مرآة الحرمين



الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية

محلاة

بمئات الصور الشمسية

تأليف ورسم

اللواء

إبراهيم رفعت باشا

قومندان حرس المحمل في سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠١ م وأمير الحج في سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣ م وسنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٤ م وسنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٨ م

الجزء الأول

(الطبعة الأولى)

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م

(أنظر الفهرس الهجائى فى آخر الجزء)

محتويات الجزء الأوّل

فهرس رسوم الجزء الأوّل

فهرس رسوم الجزء الأول

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فؤاد الأول



Sa Majesté Fouad I.
Roi d'Egypte

تصوير المستر هنزلمان بمصر

تقـديم الكتاب

الى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم فـؤاد الأوّل
أيد الله ملكه

مـولاى

لقد تسامى عصركم على الأعصار . وزهت مصر فى عهدكم على الأقطار فهذه نهضة العلوم والمعارف قد استوت . وتلك أفنانها قد اهتزت وربت . وأكمامها قد تفتحت فآتت أكلها ضعفين . بهمة مليكها . شبل اسماعيل ومحيي مجد وادى النيل .

وتلك مكة أم القرى . وطيبـة مقرّ الهـدى . والبيت المعمور وما اليها من معاهد . بارك الله حولهـا . وشاد فى القرآن بذكرها . بجعلها مثابة للناس وأمنا . تلك المعاهد . تسـدى اليك يا أبا الفاروق : شكران من حباها جلالته وآباؤه الغر الميامن بفيض كرمهم وأسـبغوا عليها وفير نعمهم . ونفروا خفافا لنصرتها فلما جأر الحجاز : رب أنى مسنى الضر . كان أسرع الأقطار لتأييده واعزازه مصر وما مصر إلا مآثر آبائك الصـيد ومكارم كل غضنفر كبير القلب حديد قد اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الذكر الحميد فى اعلاء شأن الاسلام والمسلمين .

فقـديمـا حمى جدّكم الأعلى حمى الحرمين . وعنى بقداسـة القبلتين ثم درج على سنته أبوكم ابراهيم فاذا بتلك الأقطار وقد أمنت مسالكها وسهلت مباركها ومهايعـــها .

وجاءت رعايتكم السامية فى أزمانكم الزاهيـة مصدقة لما بين يديها من عطف سام على الحرم الأقدس وعناية ملكية بالأثر الأشرف :

منن لكم ولآبائكم خالدات * وأياد على الدهر باقيات

يحفظها لجلالتكم المسلمون بين طيات قلوبهـم . ويرددها الحجيج فى عرفة يوم الحج الأكبر . وينقشها الزمان على جبين الكعبة تفيض نورا وتحـدث عن مآثركم أصائل وبكورا .

وهذا كتاب حملنى على تأليفه حب شغف به قلبي لتلك البقعة المباركة التى أنزل الله فيها على عبده الكتاب فدرج فيها الدين وأشرقت منها شمس الهداية على العالمين، جمعته وأنا أتشرف كل عام بايصال رفد بيتكم بيت اسماعيل وابراهيم الى بيت رفع قواعده ابراهيم واسماعيل، وبالسفارة بين موالى وملوكى الأخيار وبين ساكن الروضة الشريفة المعطار .

وليس فيـه إلا كل نقيبة من نقائب المجد لديكم ومحمدة تنطق بالثناء عليكم فهو منكم واليكم والحمد لله ان جاء مرآة صادقة للمشاعر الطاهرة وصورة حقيقة برسومه الوافـرة .

وإنى أرفعـه لسدّتكم العلية وأنزله بساحتكم السنية كلأ الله ذاتكم وحاط باليمن أيامكم ورعى بتوفيقه سموّ ولى العهد المحروس آمين م

العبـد المخلص المطيع لجلالتكم

(اللواء) ابراهيم باشا رفعت

مرآة الحرمين

أو

الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية

الجـــزء الأوّل



LEWA IBRAHIM REFAAT PACHA

EX O. C. H. H. BODY GUARD
EMIR EL HAGG, YEAR 1325 H.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ(١) (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا
وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٢٩) (البقرة)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ(٢) آمِنًا وَٱجْنُبْنِي(٣) وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ (٣٥)
رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ
رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُمْ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ (٣٧) (إبراهيم)

وَإِذْ بَوَّأْنَا(٤) لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَٱلْقَائِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ(٥) فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا(٦) وَعَلَىٰ كُلِّ
ضَامِرٍ(٧) يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(٨) (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِي أَيَّامٍ
مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ (٢٨)

---

(١) أرقام الآيات حسب ما جاء فى المصحف الذى تم طبعه فى عهد صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر (٢) مكة المكرمة . (٣) أبعدنى . (٤) جعلنا مكانه مباءة لابراهيم ومرجعا يرجع اليه . (٥) وأعلم الناس بالحج . (٦) مشاة جمع راجل . (٧) بعير مهزول اتعبه بُعد السفر فهزله . (٨) طريق بعيد .

ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ(١) وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ... ﴿٣٠﴾ (الحج)

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ(٢) فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ (الحج)

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ(٣) مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ(٤) إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا . وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ آل عمران . (قرآن كريم).

الحمد لله على ما هدى إليه من شعائر الدين، وسنه من شرائع لإحياء العالمين ومناسك يصمد(٥) إليها الدانون والقاصون ويتداعى إليها الموحدون، نحمده على بيت جعله مثابة للناس وأمنا، وملاذا للاسلام وحصنا، حييت به الأمة العربية وذاع صيتها فى الأقطار العجمية، وطهرت به النفوس من أوزارها وضرعت فيه إلى ربها؛ فأفاض عليها من الهدايات الروحية والكمالات الخلقية والمنافع الدنيوية والأخرويه، ما لا يدخل تحت الضبط ولا يحصره العد . والصلاة والسلام على هادى الأمم من غوايتها، ومنقذها من ضلالتها، والآخذ بها عن اللمم(٦) إلى السبيل الأمم(٧) "محمد بن عبدالله" مطهر البيت من الأوثان، والناشر على ربوعه راية السلام الذى وحد بين المسلمين فى المنسك وسنّ لهم سنة التعارف على اختلاف أجناسهم، وتباين لغاتهم وتباعد أقطارهم، فكانت بذلك وحدة لاتنفصم العرا، وألفة لايدركها البلى، مادام المسلمون

(١) أى ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار وتطهير النفوس من أدران المعاصى .
(٢) مبتعدا يقصدون اليه . (٣) مكة . (٤) موضع قيامه وهو يبنى البيت .
(٥) يقصد . (٦) الذنوب . (٧) الوسط .

بما هداهم إليه متمسكين، وبحبل الله معتصمين وبسنة رسوله مؤتسين، وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وارتسموا طريقه . (وبعد) فيقول «اللواء إبراهيم باشا رفعت» (فى الرسم ١) : كنت ولوعا بالحج شغوفا بأداء هذا الفرض متضرعا إلى الله أن يوفقنى لرؤية بيته الحرام وما اكتنفه من المناسك، فمنّ على بالإجابة بعد الإهابة (١) وبارك فى دعوتى كما بارك لإبراهيم فى دعوته الطيبة التى أحيت أمة إلى يوم القيامة وعمرت قطرها الجدب ونشرت فيه المدنية الصادقة والشرعة القائمة، فعينت فى سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) رئيس حرس المحمل (قومندانه) فرأيت أن نعمة الله على لا يفى بشكرها إلا تدوين رحلتى من أوّل خطوة فيها إلى آخر خطوة وإخراجها للناس لينتفعوا بها وليستضيئوا بنورها إذا حجوا إلى البيت الحرام أو قصدوا الجزيرة فلم أدع صغيرة ولا كبيرة مما رأيت أو سمعت إلا قيدتها، غير أنى كنت أرى مناظر جميلة وآثارا ثمينة ومشاهد مهما دققت فى وصفها لا أصل بك إلى الحقيقة ولا أدخل من الروعة فى نفسك ما تدخله المشاهدة والرؤية. وكنت أتمنى مصوّرا ماهرا يحبس ما نرى من المناظر وكنت أودّ أن أكون ذلك المصوّر فلما رجعت من حجتى الأولى تعلمت فن التصوير وجعلته مسلاتى فى وقت فراغى ونزّعت نفسى إلى حجة أخرى أقيد فيها الصور فأنالنى الله بغيتى ومنّ على منة أخرى فى سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٣ م) إذ عينت أميرا للحج فكتبت على نفسى أن أسلك سبيلى الأوّل فى تقييد كل ما أجد وتصوير كل مايقع عليه النظر حتى أضيف إلى إخبارك — أرشدك الله — المشاهدة فيتمتع السمع والبصر كأنك تشاهد الأماكن المقدّسة عن كَثَب (٢) . ومنّ علىّ بحجة ثالثة فى سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٤م) فكنت فيها أميرا للحج . وغمرنى بعد ذلك بحجة رابعة عينت فيها أيضا أميرا للحج سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٨ م) فتلك حجات أربع

(١) النـداء . (٢) قرب .

وإنها لنفحة كبيرة ومنحة جليلة تستدعى شكرا جزيلا وثناء عريضا وما ذلك الا بسط ما رأت عينى وسمعت أذنى للناس فى ثوب قشيب (١) ومنظر بهيج فتقدّمت الى المسلمين بهذه الرحلات المصوّرة التى حوى كل منها ما لا يغنى عن الأخرى إذ كان من حسن حظى أنى سلكت كل مرة من مكة إلى المدينة طريقا غير التى كنت أسلكها من قبل فظفرت بمعلومات قيمة عن أرض الحجاز لا أظنك تظفر بجملتها فى كتاب آخر .

ولقد كان من أكبر البواعث على إخراج هذه الرحلات وتكلف النفقات الباهظة فى سبيلها أنها أبين شرح لفرض من فروض الدين وأصدق لسان يصف مهد النبوّة ومبعث التشريع وأنها لتكشف لك عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن التى شرفت به حتى كأنك تراها رأى العين .

وقد رأيت أن أذكر الرحل الأربع حسب ترتيبها فى الموضوع ولما كانت السنة الأولى خالية من المناظر رأيت أن أضيف إليها من مناظر السنين الأخرى إذ هى أوّل ما تقرأ وأوسع ما خط كما رأيت أن أشبع الكلام على كل مكان شهير أو أثر عظيم أو أمر خطير يأتى ذكره فى الرحلة فى فصول مستقلة .

وأسأل الله سبحانه أن يجعل عملى خالصا من الرياء وأن ينفع به المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ﴿هُوَ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .

(١) أبيض نظيف .

الرحلة الاولى

ســـنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م

الأعمال التمهيدية قبل سفر المحمل

أمير الحج وقوة المحمل العسكرية — صدرت إرادة سنية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ (٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠) بتعيين إسماعيل صبرى باشا الطوبجى أميرا للحج وصـدر أمر عسكرى بتاريخ ٥ ذى القعدة بتعيينى رئيسا (قومندان) لحرس المحمل وأمر آخر فى التاريخ نفسه بتعيين ١٨٠ ضابط وصف ضابط وعسكرى حرسا للمحمل وكان الضباط ستة، هم رئيس المـائة (اليوزباشى) عبد الوهاب حبيب افندى من المشاة (البيادة) ورئيس المـائة سليمان كامل افندى الطبيب، والملازم الأول ابراهيم أحمد افندى من المشاة، والملازم الأول اسماعيل كامل افندى من المدفعية (الطوبجية) والملازم الأول أحمد كامل افندى من الخيالة ، والملازم الثانى محمد كامل افندى من المشاة ومن ضمن العسكر ١٤ موسيقيا .

ركب المحمل — صدرت إرادة سنية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ بتعيين محمد سليمان بك أمينا للصرة وقررت وزارة المالية تعيين الشيخ يوسف المرجاوى إماما للمحمل، وحسن حلمى افنـدى كاتبا أول للصرة، وسعيد أحمـد افندى كاتبا ثانيا وحسن قاسم افندى كاتبا للقسم العسكرى و إمارة الحج، ومحمود يوسف افندى صرافا للصرة ، والسيدة صالحة افنـدى طبيبة، وجملة من كان فى خدمة المحمل فى هـذه السـنة ٤٧٣ ما بين ضباط وعسكر وموظفين وتوابعهم وقادة الجمال والخيول وحاملى المصابيح (المشاعل) والسقائين والفراشين والزامرين (الفريحية) ولم يكن مع المحمل أحد من الأهالى غير عماله وأتباعهم .

صرة المحمل — كانت النقود التى أودعت صرة المحمل فى سنة ١٣١٨ هـ وسلمت لأمين الصرة بمقتضى إشهاد شرعى رسمى عمل بمحضر ناظر المالية وأمير الحج وأمين الصرة وصرافها وصراف من المالية ومندوب من قبل حضرة صاحب الفضيلة قاضى قضاة مصر كما يأتى :

مليم	جنيه مصرى	وينتو	جنيه مجيدى	ريال بطاقه	ريال مصرى	قرش	مليم
٥٠٠	١٤٢٧٦	٤٩	٣٥	٣٩٠٠٠	٢٩٧٢	٥٣٢٥	٥٩٦ ¼

وجملة ذلك بالجنيه المصرى والمليم ما يأتى :

مليم	جنيه
¼ ٢٦٢	١٨٨٩٣

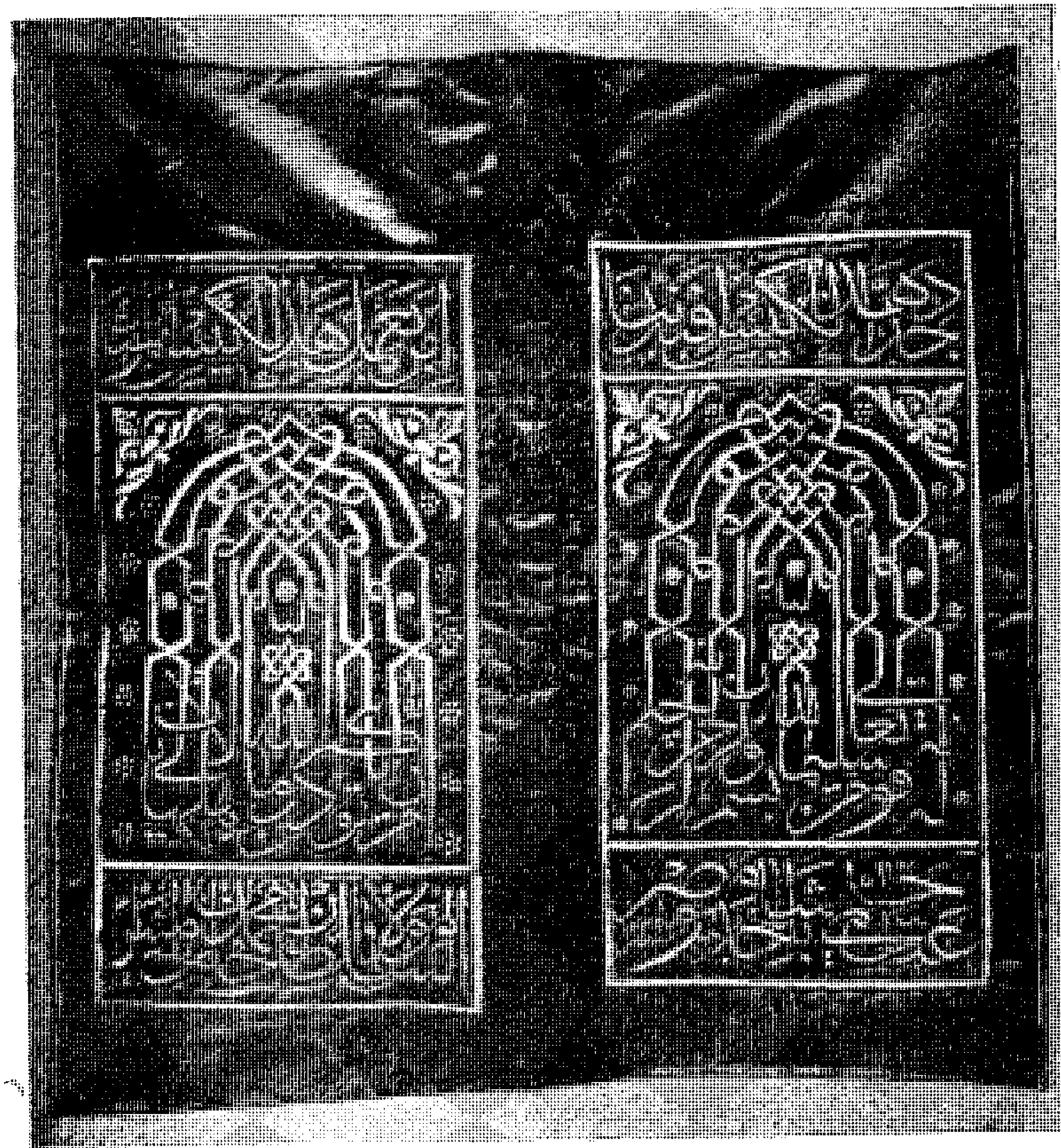
أى ربع مليم واثنان وستون ومائتا مليم وثلاثة وتسعون وثمانمائة وثمانية عشر ألفا من الجنيهات المصرية .

والمبالغ المذكورة تشمل مرتبات رجال المحمل جميعهم مدة ثلاثة شهور وهى المدة المقدرة لسفر المحمل ومرتب أمير مكة والمقدر لأشرافها وللعربان ولتكيتى مكة والمدينة وجميع النفقات الأخرى اللازمة من أجرة جمال وثمن علف للدواب الخ — أنظر مالية المحمل فى آخر الكتاب .

الكسوة ووصفها — جرت العادة أن يكتب إشهاد شرعى بتسليم الكسوة من مأمور تشغيلها الى المحملى (من فى عهدته المحمل والكسوة) ليوصلها الى البيت الحرام ويذكر فى هذا الإشهاد أجزاء الكسوة وأوصافها وقد رأينا أن نثبت هنا نص الإشهاد الشرعى الذى حرر فى سنة ١٣٢١ اذ هو أثر تاريخى يعرف منه القارئ تفاصيل الكسوة ومادتها وهى لا تختلف فى سنة عنها فى أخرى الا فى جودة ما تصنع منه واليك نص الإشهاد ،

بمحكمة مصر الكبرى الشرعية فى يوم الثلاثاء خامس عشر القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف الموافق ثانى فبراير سنة أربع وتسعمائة وألف أذن فضيلتلو قاضى افندى مصر حالا لحضرة العلامة الشيخ محمد ناجى أحد أعضاء المحكمة المذكورة بسماع ما يأتى ذكره فيه ولكاتبيه هما الشيخ محمد سعيد ومحمد مصطفى افندى

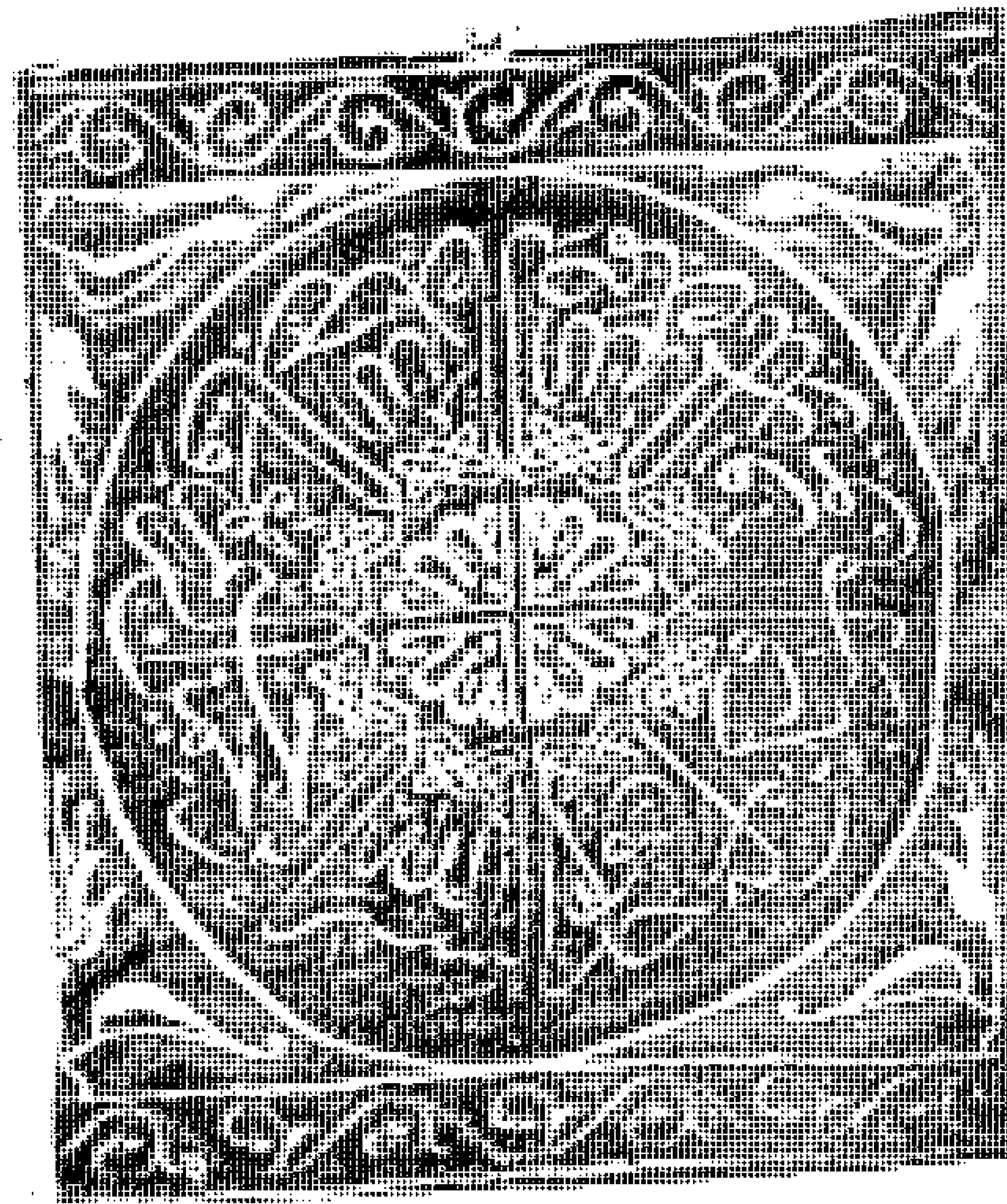
منظر كيس مفتاح الكعبة المعظمة





2. The bag containing the key of the Kaaba.

جزء من كسوة الكعبة فيه البسملة والصمدية





3. A view of a part of the carpet of El Kaaba containing a story from the Koran.

الكاتب كلاهما بالمحكمة المذكورة بكتابة ما يأتى ذكره فيه فلدى حضرة العضو المومى اليه بحضور الكاتبين المذكورين بالمجلس المنعقد بمسجد سيدنا ومولانا الامام أبي عبد الله الحسين رضى الله تعالى عنه الكائن بمصر المحروسة بالقرب من خان الخليلى والجامع الأزهر بقسم الجمالية فى الساعة العاشرة صباحا من اليوم المرقوم أشهد على نفسه الحاج محمد أحمد المحاملى الساكن بالدرب الأصفر بالقسم المذكور ابن المرحوم أحمد مصطفى بن مصطفى شهوده الإشهاد الشرعى وهو بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعا أنه قبض واستلم واستوفى ووصل اليه من حضرة عبد الله فائق بك مأمور تشغيل الكسوة الشريفة حالا الساكن بشارع المحجر بقسم الخليفة بمصر ابن المرحوم اسماعيل بك ابن المرحوم ابراهيم الحاضر هو معه بهذا المجلس جميع كسوة بيت الله الحرام المشتملة على ثمانية أحزمه وأربعة رنوكه — أى دوائر — مركبة على حملين من الثمانية أحمال الآتى ذكرها فيه، مزركشة الثمانية أحزمة والأربعة رنوكه المذكورات بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر المبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن المركبات الثمانية أحزمة المذكورة على ثمانية أحمال حرير أسود مكتوب ومبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن، اثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما تسعة أثواب كل ثوب منها طوله ستة وعشرون ذراعا بالذراع البلدى طول كل ذراع منهما سبعة وخمسون سانتى متر وكسور من السانتى، واثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما ثمانية أثواب من الأثواب المذكورة، والأربعة أحمال باقى الثمانية أحمال المذكورة اثنان منها سبعة أثواب ونصف من الأثواب المذكورة والاثنان الباقيان كل منهما ستة أثواب ونصف من الأثواب المذكورة. وستارة بيت الله الحرام المعبر عنها بالبرقع المزركشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر المبطنة بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر بها خمسة شراريب حرير أسود وقصب وكنتير ومخيش وستة أذررة (كذا) فضة مطلية بالبندقى الأحمر، واثنتى عشرة شرابة صغيرة حرير أحمر وقصب وكنتير واثنتى عشرة شمسية

مزركشة على الحرير الأحمر . وكسوة مقام سيدنا ومولانا ابراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم المبطنة بالبفت الأبيض المزركشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر، بها أربعة شراريب حرير أسود وقصب وكنتير ومخيش وعشر شمسيات مزركشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأحمر وعشرة شراريب صغيرة حرير أحمر وقصب وخمسة أذررة فضة مطلية بالبندقى الأحمر بها سجق قطن شبكة بقيطان قطن وأذررة شراريب من قطن هندى أحمر وأصفر وبها ترتر أحمر . وكيس مفتاح بيت الله الحرام المزركش بالمخيش الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الأطلس الحرير الأخضر به ترتر ملون وكنتير أصفر مبطن بالأطلس الحرير الأخضر به شرابتان قصب وكنتير وقيطان قصب . وستارة باب سطح بيت الله الحرام المعروف بباب التوبة داخل بيت الله الحرام المزركشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الأخضر والأحمر المبطنة بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر بها ترتر . وستارة باب مقصورة سيدنا ومولانا ابراهيم الخليل المشار اليه المزركشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأخضر والأحمر، بها خمسة أذررة فضة مطلية بالبندقى الأحمر وعشر شمسيات مزركشة بالمخيش الأبيض والأصفر على الأطلس الحرير الأحمر، بها عشرة شراريب صغيرة حرير وقصب المبطنة بالبفت الأبيض والأطلس الحرير الأخضر . وستارة باب منبر الحرم الشريف المكى المزركشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأخضر المبطنة بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر وثلاثة مجاديل — أى حبال قطن — احتياج تعليق الكسوة الشريفة على بيت الله الحرام وإحدى وأربعين عصفورة — أى حبل قطن مجدول — احتياج الحلق وغلايتين من النحاس مغطاتين مملوءتين بماء الورد الباش احتياج غسيل بيت الله الحرام حسب المعتاد قبضا وتسلما واستيفاء ووصولا شرعيات حسب اعتراف المشهد المذكور بذلك يوم تاريخه بهذا المجلس

بحضور كل من سعادة إبراهيم رفعت باشا أمير الحج الشريف الساكن بالدويدارى بقسم الدرب الأحمر ابن المرحوم سويفى بن المرحوم عبد الجوّاد ، وحضرة أحمد زكى بك مدير الأموال المقررة بنظارة المالية المصرية حالا وأمين الصرة الشريفة فى هذا العام الساكن بشارع الظاهر بقسم الأزبكية ابن المرحوم السيد يوسف الحلبى ابن المرحوم السيد عثمان الحلبى ، وحضرة السيد محمود البيلاوى شيخ مسجد ومقام سيدنا ومولانا أبى عبد الله الحسين رضى الله تبارك وتعالى عنه الساكن بحارة المناصرة بقسم الموسكى ابن حضرة العلامة الهمام السيد الشريف على البيلاوى شيخ الجامع الأزهر الشريف حالا نجل المرحوم السيد محمد البيلاوى ومحمد عمر افندى الكاتب وأمين مخزن مصلحة الكسوة الشريفة الساكن بشارع مصر القديمة ابن عمر ابن محمد العارف كل منهم للشهد المذكور عينا واسما ونسبا وأنه الحاضر بهذا المجلس واتصافه بالأوصاف المعتبرة شرعا وعلى المشهد المذكور الخروج من عهدة ذلك جميعه وتسليمه لمن له ولاية تسلم ذلك بمكة المشرفة حسب المعتاد فى ذلك ، صدر ذلك بحضور وشهادة من ذكر أعلاه تحريرا فى يوم الأربعاء سادس عشر القعدة المذكور الموافق ثالث فبراير المرقوم . اه .

ويعطى لمحرر الاشهاد الذى ينتدبه قاضى قضاة مصر ٣ جنيهات و ٢٨٠ مليم منها ٨٨٠ مليم نقدية و ١٤٠ قرش ثمن فروة و ١٠٠ قرش ثمن فرجية جوخ .

الاحتفال بالكسوة

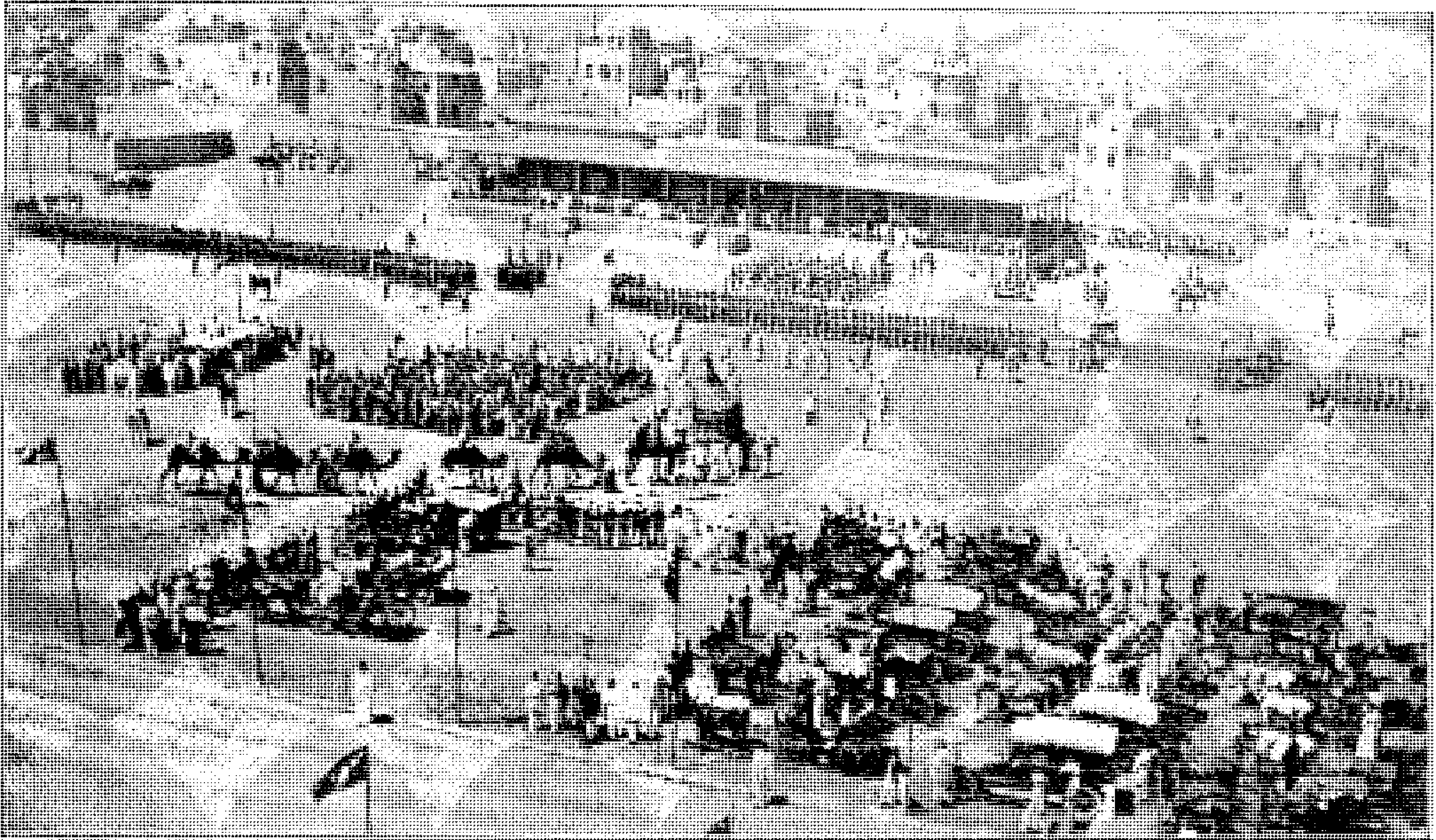
فى يوم ٢٧ شوّال سنة ١٣١٨ (١٦ فبراير سنة ١٩٠١) احتفل فى القاهرة بكسوة الكعبة المشرّفة بالطريقة الآتية :

فى يوم ٢٦ شوّال أتى بالمحمل من مقره بوزارة المالية ونقل داخل صناديق على عجلة الى « وكالة الست » بالجمالية حسب المعتاد من قديم ونقل جزء من كسوة الكعبة مع أحزمتها الحريرية المزركشة بالقصب (١) من مصنعها بالخرنفش الى

(١) خيوط من الفضة طليت بالذهب .

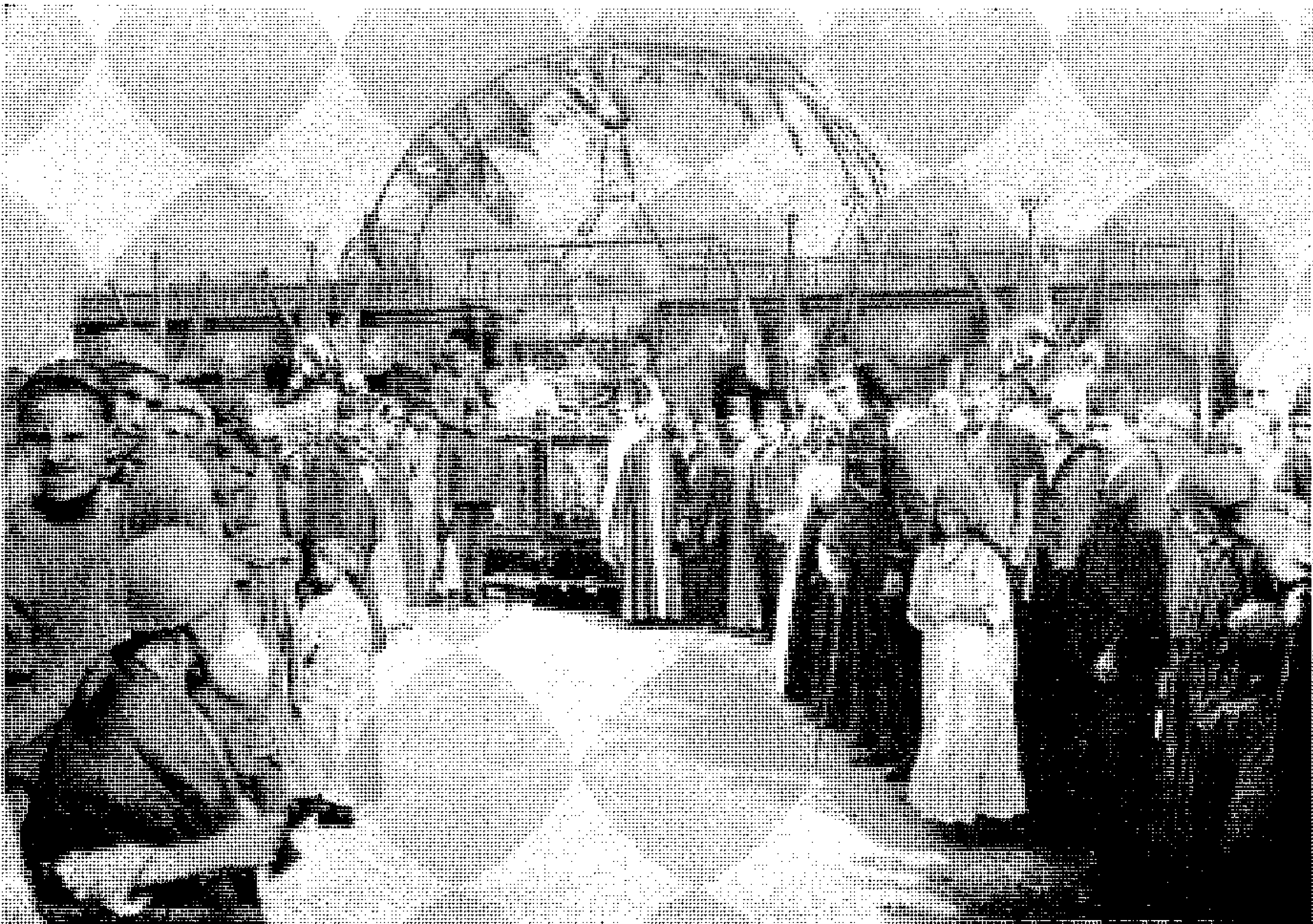
المصطبة بميدان صلاح الدين المعروف بميدان القلعة أو ميدان محمد على وفى عصر هذا اليوم احتفل رسميا بنقل كسوة مقام الخليل إبراهيم عليه السلام، والجزء الباقى من كسوة الكعبة من مصنعها بالخرنفش الى ميدان صلاح الدين السابق، وكان نقل الكسوة على أكتاف الحمالين يحيط بها رجال الشرطة ويتقدمها قسم من الجيش مابين راجل وراكب معهم الموسيقى تصدح بالأنغام المطربة ويصحبه أرباب المزمار البلدى المعينون للسفر بصحبة المحمل، وكذلك تقدّم الكسوة مدير مصنعها — مأمور الكسوة — ممتطيا جواده مرتديا لباسه الرسمى — بذلة التشريفة الكبرى — وعلى يديه مبسوطتين كيس مفتاح الكعبة (فى الرسم ٢) . ويتلو كسوة الكعبة كسوة مقام الخليل محمولة على الأكتاف أيضا، وسار الموكب بهذا النظام من المصنع الى «سبيل كتخدا» القريب من النحاسين حيث التق به المحمل بكسوته الخضراء المعتادة آتيا من «وكالة الست» بالجمالية على ظهر جمل، فسار وراء كسوة المقام وسار الموكب كله الى النحاسين فالغورية فباب زويلة (بوابة المتولى) فالدرب الأحمر فالتبانه فالحجر فميدان صلاح الدين حيث أقيم هناك الاحتفال فوضع المحمل مع الكسوة فى المحل المقابل لردهة (لصالة) الاستقبال حتى الصباح ووضعت كسوة المقام وسط الردهة المذكورة التى زينت جدرها بقطع من كسوة الكعبة وأحزمتها القصبية وكيس مفتاح الكعبة وستارة بابها وباب التوبة، ووضع حول كسوة المقام أربع ماثلاث (شمعدانات) من الفضة أحضرت من جامع القلعة، ووضع بحجرة المحافظ التى بالجهة الغربية من ردهة الاستقبال أربع قطع يقال لها (كرداشيات) (فى الرسم ٣) زينت بها جدر الحجرة، وقد أحيت المحافظة الليلة المعقبة لهذا اليوم بتلاوة آى القرآن الكريم وانشاد المنشدين فى مكان شرقى مكان الاحتفال ودعت العلماء والكبراء والأعيان لمشاركتها فى إحياء الليلة، ومنهم من دعته لتناول طعام العشاء قبل الغروب، ومنهم من دعى للاحياء بعد صلاة العشاء فحسب كما أنها دعت مشايخ الطرق من الرفاعية والسعدية والأحمدية والإبراهيمية والبيومية والقادرية والشاذلية

حفلة توديع المحمل بميدان القلعة بمصر



4. The farewell of the Mahmal at Citadel Square in Cairo.

المحمل بالسكة الحديد بمحطة الاسماعيلية



5. The Mahmal in the Railway Station of the Ismailia.

للسير أمام المحمل والكسوتين وللمشاركة فى إحياء هذه الليلة التى أنفق فيها مائة جنيه مصرى ، واستمرت الحفلة الى ما بعد نصف الليل حيث جمعت قطع الكسوة التى فى الردهة وفى حجرة المحافظ مع كسوة المقام ، ووضع كل ذلك مع المحمل فى المكان المقابل لردهة الاستقبال .

وفى صباح هذه الليلة احتفل بالكسوة والمحمل إحتفالا فخما فى ميدان صلاح الدين حضره سمو الخديو والوزراء والعلماء والأعيان ، وأطلق للخديو ساعة حضوره واحد وعشرون مدفعا وصدحت الموسيقى بسلامه ثلاثا أعقبها الضباط والعساكر والحضور فى كل مرة بالهتاف لسموه (افندم مز چوق يشا) (يعيش افندينا طويلا) وكان الخديو والحضور ساعة ذلك رافعى أيديهم الى جباههم بالسلام ثم استراح جنابه مع الحضور قليلا فى بهو (صالة) الاستقبال مشاهدا دورات المحمل السبع المعتادة فى الفناء الواسع الذى أمام البهو وكان يقود جمل المحمل مدير مصنع الكسوة الذى قدّم المقود الى سمو الخديو فقبله وناوله قاضى القضاة فقبله أيضا مع بعض الحضور ثم أعاده الى المأمور الذى ينتظر بالمحمل قُبالة الجامع المعروف بالمحمودية بالميدان ريثما يتم استعراض الكسوة ، ثم عرضت الكسوة يحملها الخفراء على سموه وقد وقف خارج الردهة مع الوزراء والحضور ، والخفراء يمرون بها من أمامهم حتى إذا ما انتهت استعرض الجيش ثم أطلق واحد وعشرون مدفعا إيذانا بانتهاء الحفلة (فى الرسم ٤) وانصرف الخديو والحضور ثم سير بالكسوتين والمحمل الى مسجد الحسين رضى الله عنه يصحبها رجال الجيش والشرطة وأرباب الطرق وفى المسجد استقبل الكسوتين أمير الحج وأمين الصرة وكانا قد سبقا الناس الى المسجد وهنالك ضمت بالخياطة قطع الكسوة بعضها الى بعض ثم نقلت الى العباسية مع كسوة المقام فى صناديقها المعدة لها استعداد السفر بهما الى الحجاز بعد . أما المحمل فسير به من المسجد الحسينى الى مصنع الكسوة بالخرنفش (١) وبقى هنالك الى صبيحة يوم الاحتفال

(١) لا يخفى عليك أن هذه الأعمال ليست من الدين فى شىء وربما كان مبررا لها أنها تهيج النفوس الى أداء الحج .

بخروج المحمل الى الأقطار الحجازية، ففى صبيحة هذا اليوم احتفل بنقله من المصنع الى ميدان صلاح الدين ولكن من طريق سوق السلاح، وفى ضحوة ذلك اليوم ١٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٤ مارس سنة ١٩٠١) عمل احتفال بالميدان المذكور كالاحتفال السابق وسلم فيه عبد الله فائق بك مدير مصنع الكسوة زمام المحمل الى سمو الخديو وسموه سلمه لأمير الحج حيث قاده محفوفا برجال الشرطة والجيش وأرباب الطرق الى العباسية ليسافر من هنالك الى السويس فمكة مع الكسوتين والروائح العطرية والخرق الجديدة التى تغسل بها الكعبة .

سفر المحمل وركبه من القاهرة الى جدة

قبل سفر المحمل من القاهرة ببضعة أيام دعت مصلحة السكة الحديدية سعادة أمير الحج اسماعيل صبرى باشا الطوبجى لتتعرف منه العربات اللازمة فى قطارى البضاعة والركاب اللذين يقلان المحمل وركبه وأمتعته من القاهرة الى السويس فاتفق معها على أن يكون قطار الأمتعة مؤلفا من ثمان عربات مغطاة وثلاث مسطحة وخمس مجنبة وسبع للحيوانات وقطار الركاب منظوما من مركبتين للدرجة الأولى وأخريين للثانية وثمان للثالثة وثنتين للحيوانات .

وفى ليلة الخامس عشر من ذى القعدة سافر قطار البضاعة من العباسية يحمل الكسوتين وما يتبعهما وأمتعة المسافرين بصحبة المحمل من خدم وعسكر وقادة إبل وضوئية وفراشين وسقائين . وقد انتقدت الشحن بأن خدم المحمل أسرعوا بشحن أمتعتهم حينما وصل القطار وشغلوا بها أكثر العربات فلما حضر العسكر لشحن أمتعتهم وجدوا أكثر العربات مشغولا فاضطروا الى إخراج بعض أمتعة الخدم حتى يخلوا لأمتعتهم عربات خاصة وفى ذلك من المشقة ما لا يخفى فلو أن (القومندان) عين ضابطا ذا مقدرة ونباهة وفطنة وكياسة لتقسيم العربات بين الخدم والحرس وتمييز عربات كل فريق وتنفيذ ذلك بالدقة لما هرول أولئك الخدم المتمرنون على الشحن

وشغلوا معظم العربات بأمتعتهم ، وكذلك ينبغى أن يعمل هذا النظام بالباخرة البحرية فيعين لكل طائفة أماكن خاصة ويراقب الرئيس تنفيذ ذلك فلا يعتدى قوى على ضعيف ولا يسبق المتمرن غيره الى خير الأماكن بل تكون سواسية بين الجميع . وفى صبيحة يوم ١٥ ذى القعدة (٦ مارس) سافر قطار الركاب فى منتصف الساعة الأولى العربية من العباسية يقل المحمل والأمير والموظفين وبقية الحرس وأتباعهم من الأهالى ، وقد وقف القطار بمحطات القاهرة وطوخ وبنها والزقازيق وأبى حماد ونفيشة والاسماعلية وفايد ، وقد كان الأهالى ومشايخ الطرق وطلبة المدارس بنين وبنات ينتظرون المحمل فى محطات الوقوف ومعهم الموسيقى والمزمار البلدى . ومما رأيناه من عادات الأهالى إحضارهم أولادهم الرضع ليروا المحمل ويلمسوه فيبارك لهم فى ذريتهم وكانوا اذا لم يستطيعوا لمسه قذفوا بمناديلهم الى خدام المحمل بعد أن يضعوا فيها شيئا من النقود أو يملؤوها بالحلوم البيضاء أو الفطير فيأخذ الخدم ذلك منها ويردونها الى أربابها بعد إمرارها على المحمل ، والذى دعا العامة الى ذلك ما يعلمونه من أن المحمل يوضع داخل المسجد الحرام كما يوضع فى المقصورة النحاسية التى حول قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما دام بالمدينة فيريدون التبرك بمحمل يزور الأماكن المقدّسة ، ولما كان التمسح بالقبور منهيا عنه فى الشرع كان الاجدر بالناس أن لا يتمسحوا بما يوضع على الأضرحة من باب أولى وخليق بالمسلمين خاصتهم وعامتهم أن تتفق عاداتهم مع آداب دينهم وهاك المحمل فى عربته بالاسماعيلية (فى الرسم ٥) .

وقد وصلنا السويس فى اليوم نفسه فى الساعة السابعة العربية والدقيقة ٤٥ وكانت المحطة غاصة بالنظارة (المتفرجين) ورجال الشرطة مصطفين على الافريز وفى مقدّمة الجميع سعادة المحافظ والموظفون وقد أطلق ساعة وصول القطار ٢١ مدفعا من قلعة السويس وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى وهتف الحضور بالدعاء المعتاد لولى النعم (افندمز چوق يشا) وتقدّم سعادة المحافظ الى أمير الحج وأمين الصرة مهنئا لها بالوصول ثم تقرر أن يكون الاحتفال بموكب المحمل فى منتصف

الساعة الحادية عشرة العربية من اليوم نفسه . ولما حان هذا الموعد اصطف حرس المحمل ورجال الشرطة صفين متقابلين بالقرب من المحطة وكذلك العساكر القائمون بمنع تجارة الرقيق اصطفوا بهجانهم صفين وجعل المحمل بينهما ثم سار الموكب بهذا النظام يتقدمه أمير الحج وعلى يمينه المحافظ وعلى يساره أمين الصرة ، والعامة ، وأرباب الطرق من دون ذلك ، وبعد أن طاف بشوارع المدينة كالمعتاد وقف حيث بدأ وإذ ذاك أطلق حرس المحمل ٢١ مدفعا ردّا لتحية القدوم ، وبعد السلام الخديوى انفرط عقد الحفلة وشحن المحمل بقطار السكة الحديدية الى محطة حوض السويس التى بتنا بها الى الصباح وباتت أسر موظفى المحمل بحجر الباخرة .

وفى صباح يوم الخميس ١٦ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٧ مارس سنة ١٩٠١) أنزلت الأمتعة والكسا والمحمل (فى الرسم ٦) الى باخرة النجيلة المخصصة لنقل المحمل وركبه الى جُدّة وقد قام بتفتيش الباخرة سعادة المحافظ ومندوب من شركة البواخر الخديوية ورئيس الحرس ولما تيقنوا بخلوها من مختبئين لايحملون جواز سفر صرح للحجاج والحرس بالنزول اليها . ومما لاحظته على الباخرة أن أماكن الدرجة الثالثة بها كانت دون حاجة المسافرين فكان الزحام فيها شديدا ومحل الحيوانات كان رديئا جدا فان طوله لايزيد على ١٥ مترا فى عرض الباخرة ، وارتفاعه متران تقريبا ولايوجد به من النوافذ التى لا يزيد قطرها عن ٢٠ سنتيمترا إلا نافذتان فى كل جهة ، وكان به ٤٠ حيوانا بين خيل وبغال وقد بلغ من ازدحام الحيوانات به أن العساكر ما كانت تتمكن من وضع العلف لها إلا بالسير من تحتها وأنها كانت تتصبب عرقا بل تتساقط على الأرض من شدة الحرارة بالرغم من أننا وضعنا مروحة بحرية (منيجة) لجلب الهواء لها ، وقد تسبب عن ذلك ضعف الخيل وهزالها مع أنها مستريحة غير عاملة .

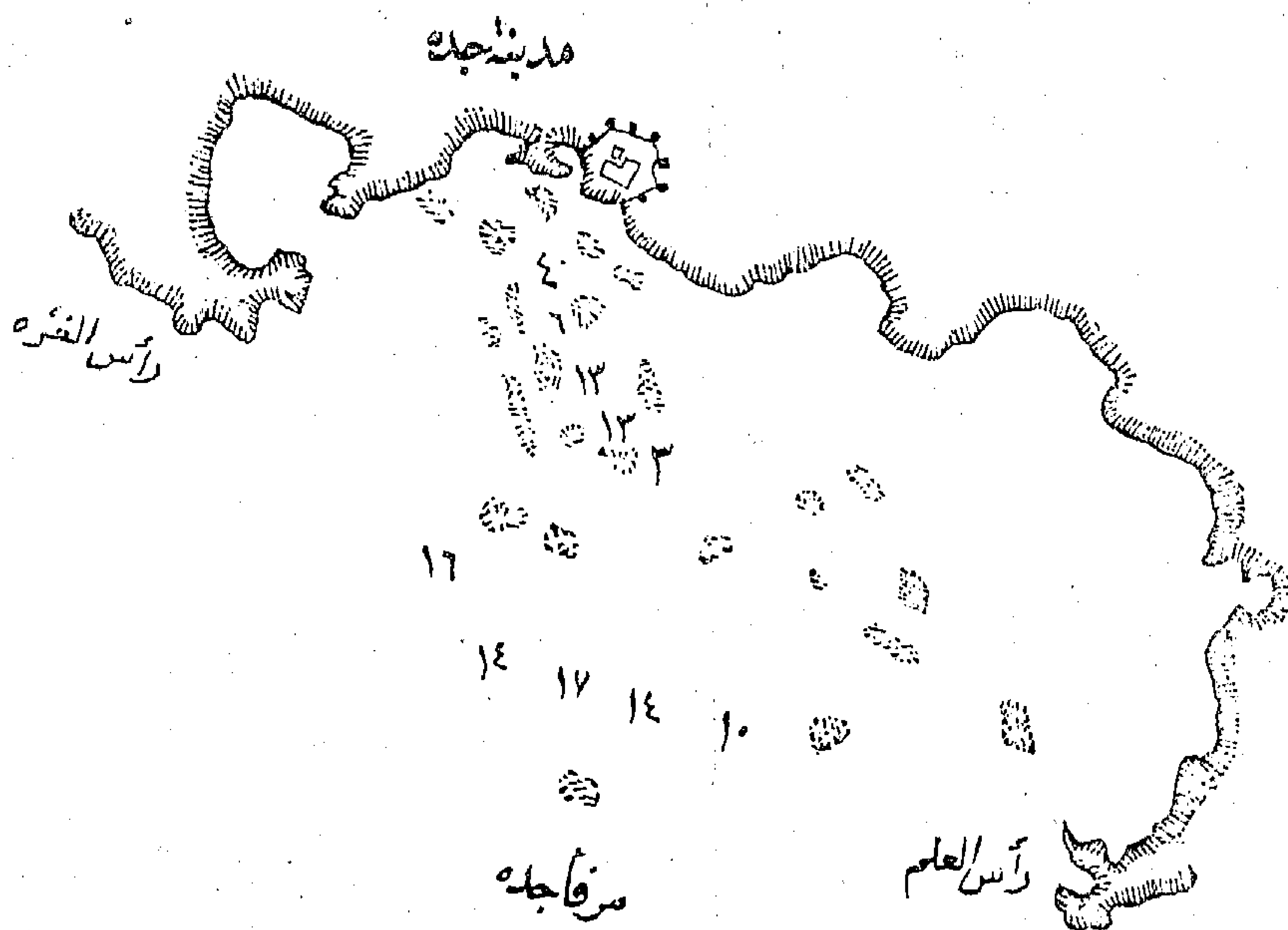
وقد أخذ من كل حاج بالسويس ٣٢ مليما ضريبة الحجر الصحى بها وقد استنفد ذلك كثيرا من وقت الحجاج ، فلو أن الحكومة أخذت هذه الضريبة مع ضريبة محجر الطور لأراحت الحجاج ووفرت عليهم وقتا ضيعوه فى الدفع وتسلم الصكوك به .

وفى منتصف الساعة التاسعة العربية من يوم الخميس أقلعت الباخرة (بسم الله مجريها

منظر نزول المحمل الى البحر بالسويس



(6). A view of the Mahmal coming down the Sea in Suez



7. The Port of Gedda.

رجل وامرأة هنديان محرمان



69. An Indian man and an Indian woman in pilgrimage (Ihram) Clothes.

ومرساها) ميممة جدّة فوصلتها فى صبيحة ١٩ ذى القعدة (١٠ مارس) فى الساعة الثانية العربية فنكون قد قطعنا المسافة بين السويس وجُدّة فى ست وستين ساعة وهى ٦٤٦ ميلا. وقد كان البحر هادئا من وقت القيام الى مساء اليوم التالى ثم اشتدّت الرياح وهاج البحر واستمر ذلك حتى جُدّة وقبل الوصول اليها بما يقرب من ست ساعات مررنا برابغ على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر وهنالك أحرم المسافرون بعد أن اغتسلوا وحلقوا وقصوا الأظفار ولبسوا لباس المحرمين (الرسم ٦٩) فرفعوا أصواتهم بالتلبية « لبيك(١) اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

تجرّدت لما أن وصلت لرابغ * ولبّيت للمولى كما حصل الندا
وقلت إلهى عندك الفوز بالمنى * وإنى فقير قد أتيت مجردا

والتلبية مطلوبة عند الاحرام بحج أو عمرة، وكلما علا مرتفعا أو نزل منخفضا وكذلك عند تلاقى الركبان ثم من الناس من أحرم بالحج ومنهم من أحرم بالعمرة وهم جميع الركب خلا أربعة وانما آثرنا العمرة لنتحلل منها اذا وصلنا الى مكة وطفنا وسعينا بين الصفا والمروة فيحل لنا ما حرم علينا بالاحرام من لبس المخيط وكشف الرأس للرجال وتغطية الوجه للنساء والتطيب والحلق الخ ، وقد جرت العادة بأن السقائين والعكامة والفراشين والضوئية لا يحرمون ولا يؤدّون شيئا من مناسك الحج فأمرهم الأمير بالاحرام، فأطاعوا مرغمين وأخذوا مما عندنا من « البفتة » ما يرتدون به للأحرام وكانوا قد خرجوا من مصر غير متأهبين له دأبهم فى كل مرة وكذلك اشتريت للحرس (بفتة) من القاهرة بنقود دفعوها(٢) فاتخذوا منها ملابس الاحرام فكنت ترى ركب المحمل من كبيره الى صغيره محرما خلاف ما تعوّدوه فى السنين الخالية ، ولهذا كان الناس معجبين بنا هذه المرة إذ رأوا فينا خطة جديدة هى عين ما رسمه الشرع الشريف وندب اليه .

(١) لبيك معناها إجابة بعد إجابة . (٢) طلبت فى سنة ١٣٢٠ من المالية أن تشترى للعسكر ملابس الإحرام من مالها الخاص فأجابت .

وصول المحمل الى ميناء جُدّة

لما وصلت الباخرة مرفأ جُدّة لم يحضر الحاكم ولا أحد من قبله لتهنئة الأمير بالوصول حسب العادات المتبعة ولا سيما أن الباخرة بها أمير الحج وقسم عسكرى ينبغى احترامه ومساعدته فى نقل أمتعته وإرشاده الى المعسكر الذى ينزل به، إنما حضر طبيب الحجر الصحى للكشف على راكبى الباخرة وأصحاب السفن الشراعية (السنابك) لينقلوا المسافرين وأمتعتهم الى البر، وعند رسو الباخرة أطلقنا سبعة مدافع إيذانا بالوصول ولم تردّ علينا التحية الباخرة العثمانية الحربية الراسية بالميناء باطلاق المدافع كما هو المعتاد ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ فكررنا التحية باطلاق ٢١ مدفعا وعزفت الموسيقى بسلام جلالة السلطان وأعقبته بالدعاء له ثلاثا ثم بسلام الخديو والدعاء له كذلك وبعد تلكؤ ردّت التحية باطلاق المدافع من قلعة جُدّة .

نقل الأمتعة من الباخرة إلى ساحل جُدّة — الباخرة ترسو بعيدا عن الساحل بنحو ميلين لكثرة الشعب بالمرفأ كما ترى فى (الرسم ٧) وتقوم بنقل الحجاج وأمتعتهم إلى البر سفن شراعية تسمى (السنابك أو القطائر) والأجرة المقدّرة للسفن التى تحمل موظفى المحمل وأمتعته خمسة جنيهات مصرية وللنجالين (النوتية) الذين ينزلون الأمتعة الى السفن ويخرجونها منها الى البر جنيهان ومثلهما للحمالين الذين ينقلون الأمتعة من الساحل الى المعسكر «نصيبا مفروضا» أما الحجاج التابعون للمحمل فنفقات النقل عليهم (انظر الميناء والقوارب فى الرسم ٨) .

عوائد الحجر الصحى وإجازة السفر — قضت قوانين الدولة العلية فى جُدة بأن يؤخذ من كل حاج ثمانية قروش رسم الحجر الصحى (أنظر ديوان الكورنتينا فى الرسم ٩) وقرشان رسم إجازة السفر (فى سنة ١٣٤٢ ﻫ كانت الرسوم على كل حاج ٨٩ قرشا — الله يرحم المعداوى القديم) ويعطى لكل حاج صكان بما دفع

منظر مدينة جدّه وميناها



(8) Geddah and Harbour.

صحيفة ١٦

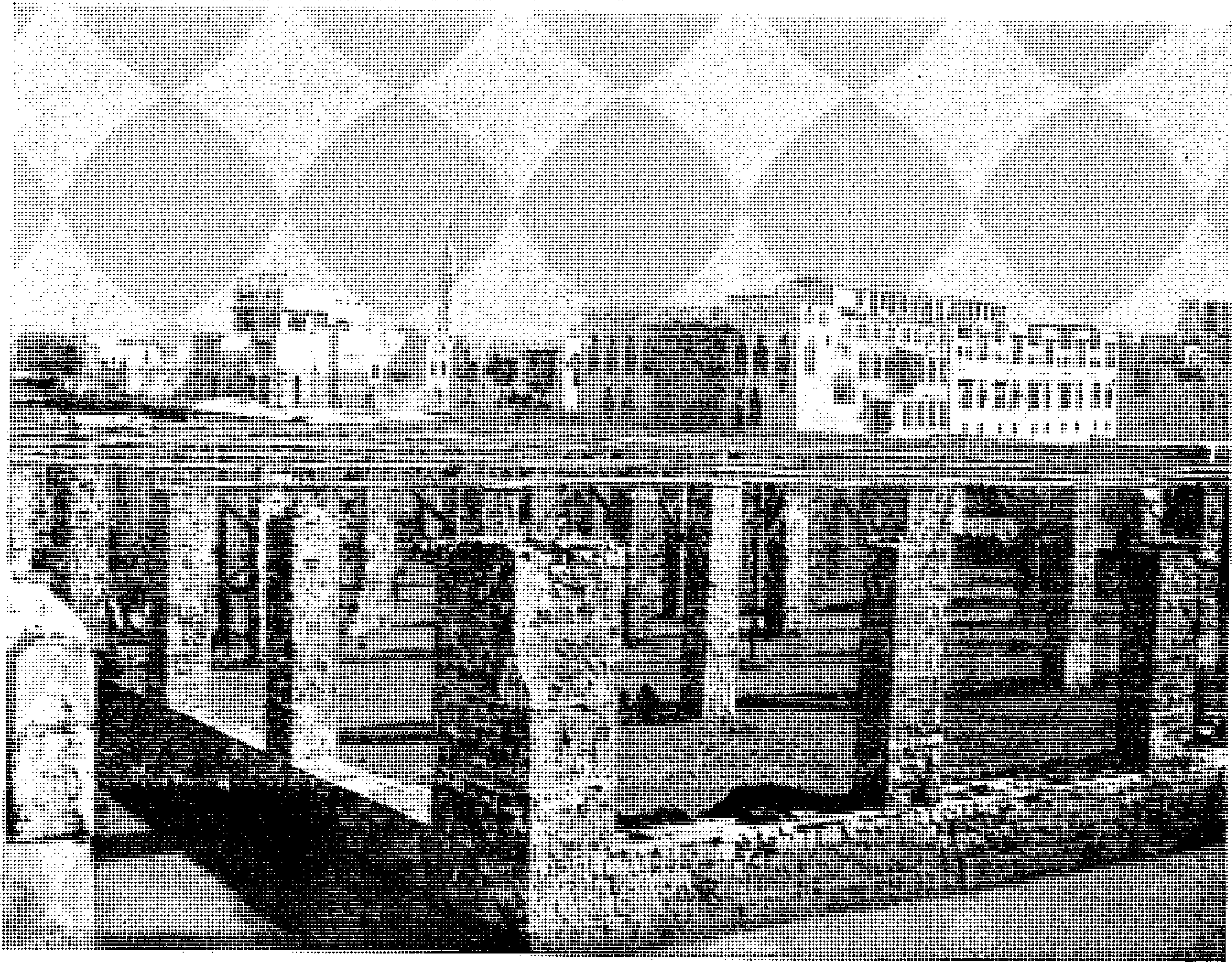
ديوان الكورنتينا بجدة سنة ١٣٢١



حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اللواء ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري في محرم سنة ١٣٢٦

(9) A view of the quarantine disinfection in Gedda in 1321.

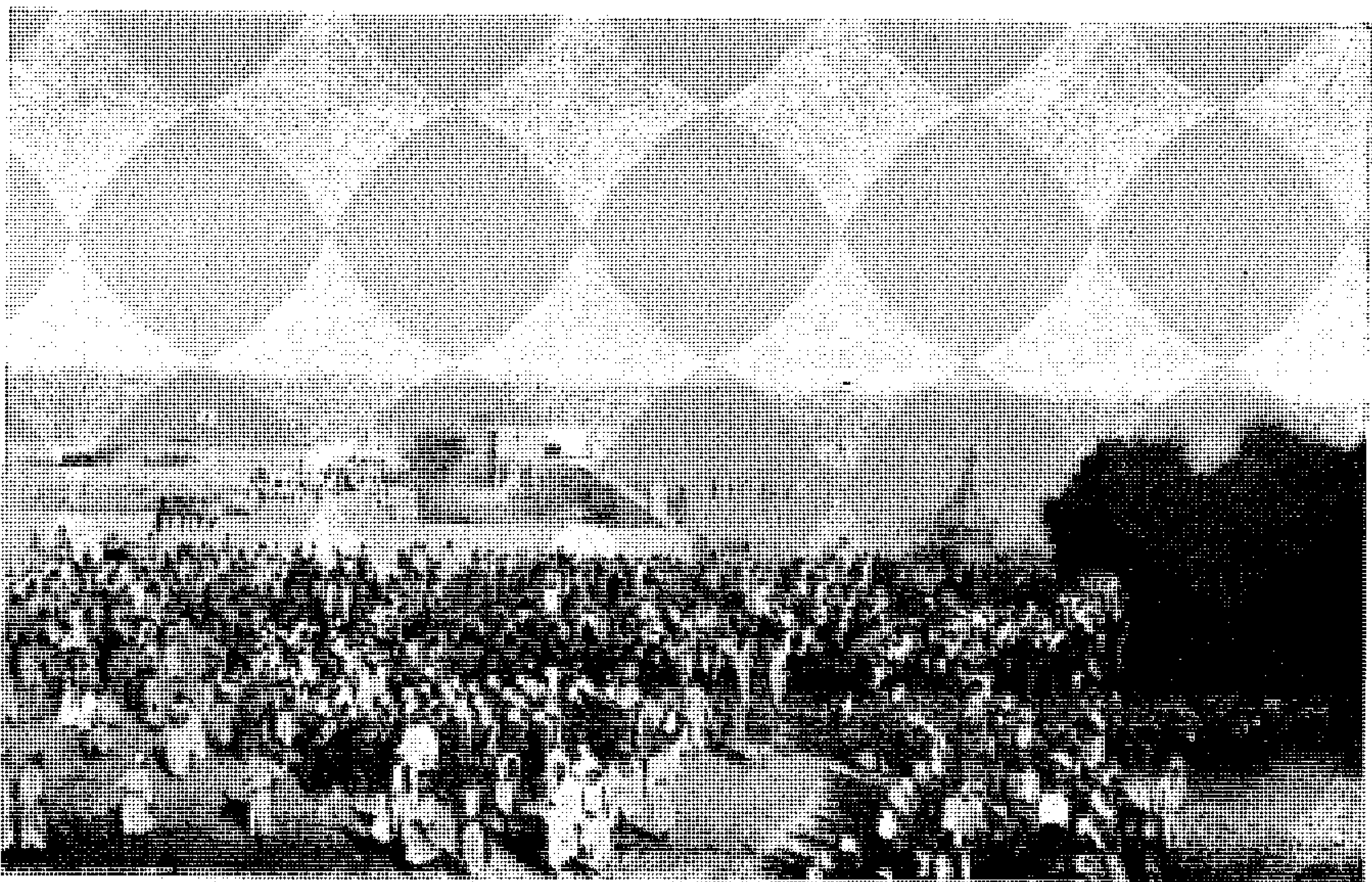
منظر ساحل جدة وبه الجمرك



11. Geddah and Customs House

احتفال أهل جدة بموكب المحمل الشريف

حقوق الطبع والنسخ محفوظة باسم مؤلفه اللواء إبراهيم رفعت باشا أمير الحج المصري في محرم سنة ١٣٢٦



12. Procession of the Mahmal at Jeddah & the (falsely ascribed) mausoleum of Hawa (Eve).

وان أخذ الرسوم يستغرق زمنا طويلا ولذلك اضطر الحجاج الى افتراش الأرض الرطبة ليلتهم حتى انتهت مهمة التحصيل التى تستنفد من كل حاج نحو خمس دقائق، وفى الباخرة ما لا يقل عن ستمائة حاج — وكان خيرا من هذا أن تسلم الرسوم كلها من أمير الحج الى المحافظ دفعة واحدة وتحصل من الحجاج مع رسوم إجازات السفر من مصر كما يؤخذ مع هـذه الرسوم أيضا أجرة نقـل أمتعة الحجاج من الباخرة الى الساحل ويتولى الأمير دفعها الى رئيس المنجلين (الحمالين) وأرباب السفن حتى لا توجد منازعات ما بينهم وبين الحجيج، وقد كتبت الى الحكومة بهذا مقترحا تنفيذه فأجابت، ولما عينت أميرا للحج فى سنة ١٣٢٠ وبلغت جُدّة كلمت محافظها سعادة على يمنى بك أن يأذن لمرافقى المحمل بالخروج من الميناء قبل دفع الرسوم وتعهدت بدفعها له مرة واحدة فأذن بذلك وكنت طبعت بطاقات بأرقام متتابعة كتب على كل منها «حاج مرافق للمحمل المصرى» وأعطى لكل حاج واحدة منها وكانت تؤخذ منه ساعة خروجه وتضم الى غيرها ودفعت الرسوم الى المحافظ بعددها بعد أن أرسل لى مأمور "الكورنتينه" الكتاب التركى الذى تراه فى (الرسم ١٠)، وبهذا تمكنا من إراحة الحج ومنع التزاحم وإنقاذهم من المكث زمنا طويلا على أرض رطبة فى جو رطب، وكذلك اتفقت فى هذه السنة مع أرباب السفن والمنجلين، وبهذا انقطعت المنازعات والاختلافات .

نقل الأمتعة من الساحل الى المعسكر — نقلت الأمتعة من الباخرة الى البر ووضعت فى الطريق أمام بناء الجمرك (أنظر الرسم ١١ وترى فيه أعمدة البناء فوقها قوائم الخشب بدون سقف) وأحيطت بسور من عساكرنا ثم أخذ الحمالون فى نقلها الى المعسكر بجوار القبر المكذوب على أمنا حوّاء على مسافة ميل تقريبا . ولما كان نقل المتاع على ظهورهم يستنفد يومين أو ثلاثة قصدت رئيس البلدية فى مكانه القريب منا ورجوته مساعدتنا فى نقل الأشياء الثقيلة التى منها كسوة الكعبة وساعتئذ حضر "القائمقام" خالد بك (قومندان) العساكر فرجوته



إدارة المحجر الصحى بجدّة . مكتوب رقم ١٧٢ . الى محافظ المحمل المصرى الشريف .

صاحب السعادة . قضى النظام المتبع بأن يؤخذ من كل حاج يقدم الى مكة عشرة قروش للادارة الصحية . وقد حضرت بالأمس الى جدّة باخرة النجيلة فيها ٢٨ حاجا تحت رعايتكم دفع خمسة منهم الرسوم و ٢٣ لم يدفعوا فنرجو أخذ ٢٣٠ قرشا منهم وارسالها الينا والأمر لكم .

٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٢٠هـ (١٢ شباط سنة ٣١٨)

أيضا فبعثنا مندوبين من قبلهما للتجار أصحاب العربات ، وبعد ساعة أحضروا سبع عربات صغيرة أشبه بعربات نقل الرمل عندنا ولكنها دونها فساعدتنا كثيرا ، ولما جنّ الليل واقترب غلق أبواب الجمرك وخفت أن يبيت بعض الأمتعة بالميناء ويتعطل لديها قسم من العساكر لحراسته — رجوت رئيس الشرطة (الحكيمدار) فى تأخير الغلق مدة وجيزة فلبى الرجاء ووقتئذ أمرت بحمل الأشياء الخفيفة وعلف الدواب على ظهور الخيل والبغال وأمرت العساكر أن يحملوا ما استطاعوا حمله فلم تأت الساعة الثالثة ليلا إلا وقد تم نقل جميع الأمتعة الى المعسكر، ومع أن النقل كان فى الظلام الحالك والزحام بالغ أشدّه والمسافة بعيدة — لم يفقد شيء ما ، وان هذا لدليل قاطع على همة الحراس بجدة وكمال يقظتهم وتنبه رجالنا ، على أنه — والحمد لله — تكاد السرقات بجدة تكون معدومة مع شدة الزحام بها فى موسم الحج ولكن هذا لا يمنع من التيقظ والاحتياط " اعقلها وتوكل " .

الاقامة فى جُدة

أقمنا بجدة من الساعة الثانية العربية من يوم الأحد ١٩ ذى القعدة سنة ١٣١٨ الى الساعة الحادية عشرة نهارا من يوم الخميس ٢٣ منه وذلك لفقدان الجمال التى تقلنا الى مكة . وقد احتفل بالمحمل فى جدّة فى اليوم الثانى احتفالا رسميا فتراصت عساكر الدولة العلية صفين متقابلين معهم الموسيقى — وكان عددهم ٤٠٠ من العساكر النظامية ، و ٢٠٠ من غير النظامية — وكان ذلك خلف الجمرك وجيء بالمحمل فى الساعة الأولى العربية الى مجتمعهم يتقدّمه الأمير وأمين الصرة ويحيط به حرسه وتضامّ الكل وسار المحمل بين الصفوف يجوب شوارع المدينة جريا على سنته الماضية وكان يوما مشهودا إذ كان جميع الضباط والموظفين بلباسهم الرسمى وموسيقى الدولة — وعدد رجالها ثمانون — تصدح مع موسيقانا بالأنغام الشجية ، وكنت ترى الوجوه ضاحكة مستبشرة لا تقرأ عليها الا آيات الفرح والسرور واذا أضفت الى ذلك منع الزحام بفضل النظام الذى وضعه القائد خالد بك أدركت أن الناس قد

بلغ الفرح من نفوسهم مبلغا عظيما، وقد انتهت الحفلة برجوع المحمل حيث بدأ سيره بعد أن صدحت الموسيقى بالسلام السلطانى فالسلام الخديوى وبعد الهتاف لهما بالعز والبقاء . (أنظر الرسم ١٢) .

تبادل الزيارات بجدّة — قد زار حاكمُ جدّة الملكى وحاكمها العسكرى بملابسهما الرسمية أميرَ الحج وأمين الصرّة ورئيس الحرس كلا فى خيمته وقدّمنا لهما القهوة والشراب الحلو ورددنا لهما الزيارة فى اليوم التالى، وكذلك زار رئيس تجار جدّة سعادة عمر نصيف باشا الأمير والأمين . ولم يتمكنا من ردّ الزيارة له لضيق الوقت وقد بلغنى وأنا بمكة امتعاضه من تركهما لزيارته فأخبرته بأنا رددنا له الزيارة بمحله بمكة ليُسَرِّى عن نفسه، وقد كان أهالى جدّة صغيرهم وكبيرهم يتواردون علينا عصر كل يوم لمشاهدة المحمل وسماع الموسيقى والمزمار البلدى حتى مغرب الشمس، ومن بعد العشاء الى الساعة الثالثة بعد الغروب، وأيام وجود المحمل بجدة تعتبر عند أهاليها مواسم فرح وسرور وإنهم ليحبون سماع الألحان حبا جما ؛ وكأن ذلك مركوز فى طبيعتهم مفطورة عليه نفوسهم .

معارفنا بجدّة — قد تعرفنا برئيس المحكمة الأهلية ومأمور الأوقاف، وكان صلة التعارف بيننا مدير البريد والإشارات البرقية عبد الرحيم محب افندى التقى الورع الصالح الأمين الذى سبق أن تعرفنا به بسواكن منذ كان هنالك مدير البرق (التلغراف) للدولة العلية وكنت بها أركان حرب فى سنة ١٨٩٦ ، وتاليتها (ورسم الثلاثة كما فى اللوحة ١٣) . وتعرفنا أيضا بالشيخ سليمان بن عبد الله البسام وكيل أمير نجد والتاجر ذى الخلق الطيب والمروءة والشهامة، وقد دعانى مع حضرة صهرى العلامة الكامل التقى الشيخ محمد طموم الى منزله فأكرمنا وأتحفنا بلذيذ حديثه وشعره وقد حضر الى مصر فى نحو سنة ١٩١٢ م وارتسمنا معا ونحن نشرب القهوة كما ترى فى (الشكل ١٤) .

مدير البوستة والتلغراف — مأمور الأوقاف ورئيس المحكمة بجدة

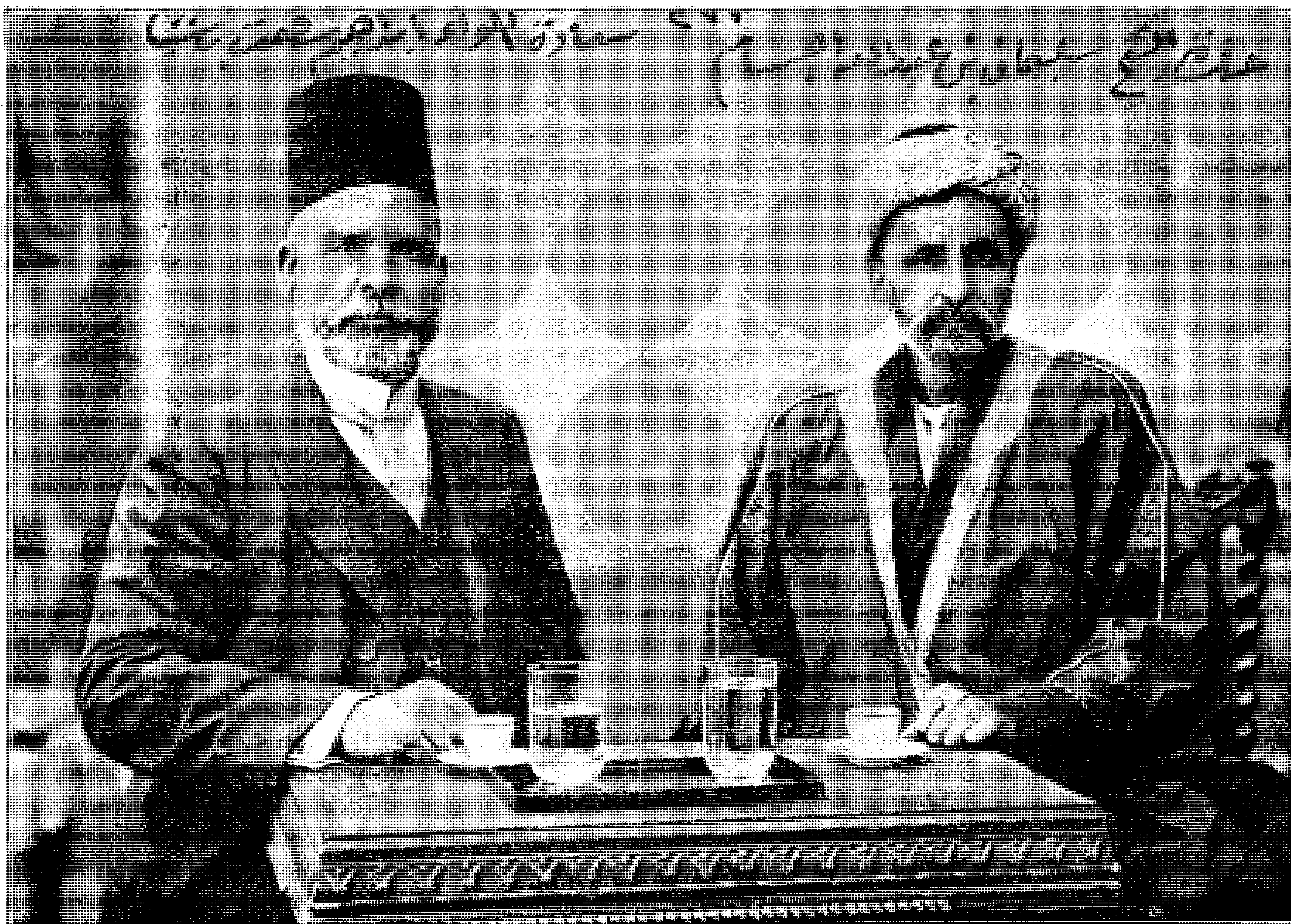


حقوق الطبع والنشر محفوظة لراسمه اللواء ابراهيم رفعت باشا

13. The Director of Post and Telegraph.—The Director of Wakfs.—The Chief of Court at Geddah.

صحيفة ٢٠

سليمان بن عبد الله البسام وامير الحج



حقوق الطبع والنشر محفوظة لراسمه اللواء ابراهيم رفعت باشا

14. Soliman ibn Abdulla el Bassam and Amir el Hag.

وكذلك تعرفنا بالطبيب محمد حسين افندى نائب "قنصل" انجلترا للرعايا الهنود (أنظر الرسم ١٥)(١) .

ما يلزم الحاج بجدّة — يلزمه شراء النعال المشروعة للحرم وشراء الشقادف التى توضع على ظهر الجمال ويركب عليها شخصان كل فى عدل منها وثمن الشقدف من ١٢٠ قرشا مصريا الى ٥٠٠ قرش ، والاختلاف فى الثمن من الدقة فى الصناعة أو الزخرفة ، ولهذه الشقادف أعمدة توضع عليها الأغطية من طنافس (أبسطة) عجمية أو ملاءات مصرية أو أخيشة كتانية يشترى كل ماينا سب ثروته وثمن (الكليم) العجمى من ١٣٠ الى ٣٠٠ قرش حسب الاختلاف فى الشكل والصنعة .

وصف جدّة بشكلها الحاضر — جدة (بضم الجيم وتشديد الدال المفتوحة) بلدة كبيرة وميناء مكة العظيمة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر واقعة على الدرجة ٦ والدقيقة ٣٩ من خطوط الطول الشرقية وعلى الدرجة ١٤ والدقيقة ٣٣ من خطوط

(١) لما كان لهذا الطبيب مآثر جمة على الهنود الذين يحجون الى البيت الحرام رأينا أن نذكر فى رحلتنا كلمة عن حياته إنصافا للعاملين وتخليدا لذكرى المخلصين فنقول : هو محمد حسين ابن الشيخ عبد الله الطبيب الذى تنتهى سلسلة نسبه الى سيدنا أبى بكر الصديق ولد بمدينة "الله آباد" فى سنة ١٨٦٣ وتلقى علومه الأولية بين أسرته ، وحفظ القرآن وتعلم اللغة الأُردية والفارسية والانجليزية وبرع فى ثلاثتها ونال درجة فى علم الطب والجراحة من كلية بنجاب فى سنة ١٨٩٠ وعين مساعد جراحة فى الحكومة الهندية وأدار عدة مستشفيات ثم عين نائبا لقنصل بريطانيا بجدة فأزال ما كان من سوء التفاهم بين البدو والقناصل ومنحته حكومة الهند لقب "خان بهادر" سنة ١٨٩٨ ومن حسن سياسته اكتسب رضا عون الرفيق باشا أمير مكة وأحمد باشا راتب واليها ، ولكنهما نقما عليه لما أن غرمهما ١٠٠٠٠ جنيه انجليزى عوضا عن السرقات التى حلت بحجاج الهنود وعن الخسارة التى لحقت التجارة الهندية ولكن ما لبث أن استمالها نحوه حتى كان طبيب الشريف من داء السُّكَّر الذى أصابه فى مرضه الأخير ، وقد طاف أنحاء أوربا خمس مرات وكل جهات آسيا عدا التبت والأفغانستان وبعض بلاد الغربيين وطاف فى بعض جهات أفريقيا ، وقد برح جُدّة فى ابريل سنة ١٩٠٩ لاعتلال صحته فكث بانجلترا سنة وبمصر أخرى ثم استقال فى سنة ١٩١١ وأقام فى (بالله آباد) منشئه وأسس فيها مدبغا على الطراز الحديث كلفه ما ينوف على ٢٠ ألف جنيه — ملخص عن كتاب بعث به إلينا فى ٢٥ مارس سنة ١٩١٤

العرض الشمالية يحيط بها سور ذو خمسة أضلاع يقطعها راكب الحصان بالسير المعتاد فى ٤٥ دقيقة وآرتفاع السور ٤ أمتار وبه تسعة أبواب، ستة فى الجهة البحرية وثلاثة فى الجهات الأخرى وأوّل من بناه السلطان الغورى من ملوك مصر فى سنة ٩١٥ﻫ.
وبها حوالى ٣٣٠٠ منزل مبنية بالحجر الأبيض المستخرج من البحر، ويتكوّن المنزل من طبقتين الى خمس — والوجهات الامامية من البيوت بها الرواشن [الخارجات المسقوفة] المصنوعة من الخشب الهندى الأحمر المخروط (الرسم ١٦) . والبيوت العالية ذات الموقع الجميل والمنظر البهيج يسكنها أكابر البلد ووكلاء الدول التجاريون (القناصل) من روس وإنجليز وفرنسيين ونمساويين وإسوجيين ونروجيين، ومن أفخم بيوتها بيت السيد عمر السقاف الشريف السرى (الرسم ١٧) . ومنزل المحافظ الذى تراه (فى الرسم ١٨) وانه لآية فى الإبداع وبه حديقة غناء . وبجدّة محل للحكومة وثكنات للعساكر (الرسم ١٩) . ومكتب للإشارات البرقية وبناء فخم للمجلس البلدى والحجر الصحى (الرسم ٩ السابق) كما تجد بالساحل بناء الجمرك (فى الرسم ١١ السابق) . وبها خمسة جوامع وثلاثون مسجدا مفروشة بالحصر الناعمة الجميلة النظيفة إلا أنها تكون مبللة عند رطوبة الجوّ وهى مرتفعة عن مستوى الشوارع بنحو ثلاثة أمتار، يصعد إليها بدرج منتظم من الحجر وليس بها بيوت خلاء ولا ميضآت، وبها حمام واحد ونزلان (لوكاندتان) وأربعون قهوة وصيدلية ومكتب تعليم راق وتسعة للصبيان ومستشفى ومصنع للجير ومذبح وأربعون مخزنا تجاريا وتسعمائة دكان وآلة بخارية لطحن الحبوب وسبع وأربعون طاحونة ومثلها مخابز وعشرة مطابخ وسوق لبيع السمك وآخر للصدف ومكاتب للبريد وبها جبانة قريبة من ثكنات العسكر، يحيط بها سور يبلغ طول ضلعه الشمالية ١٦٠ مترا ، وفى وسط الجبانة قبر أمنا حواء (المكذوب) طوله نحو ١٥٠ مترا وعرضه أربعة أمتار وآرتفاعه متر، عليه ثلاث قباب على الرأس والسرة والرجلين كما يزعمون (الرسم ٢٠) .

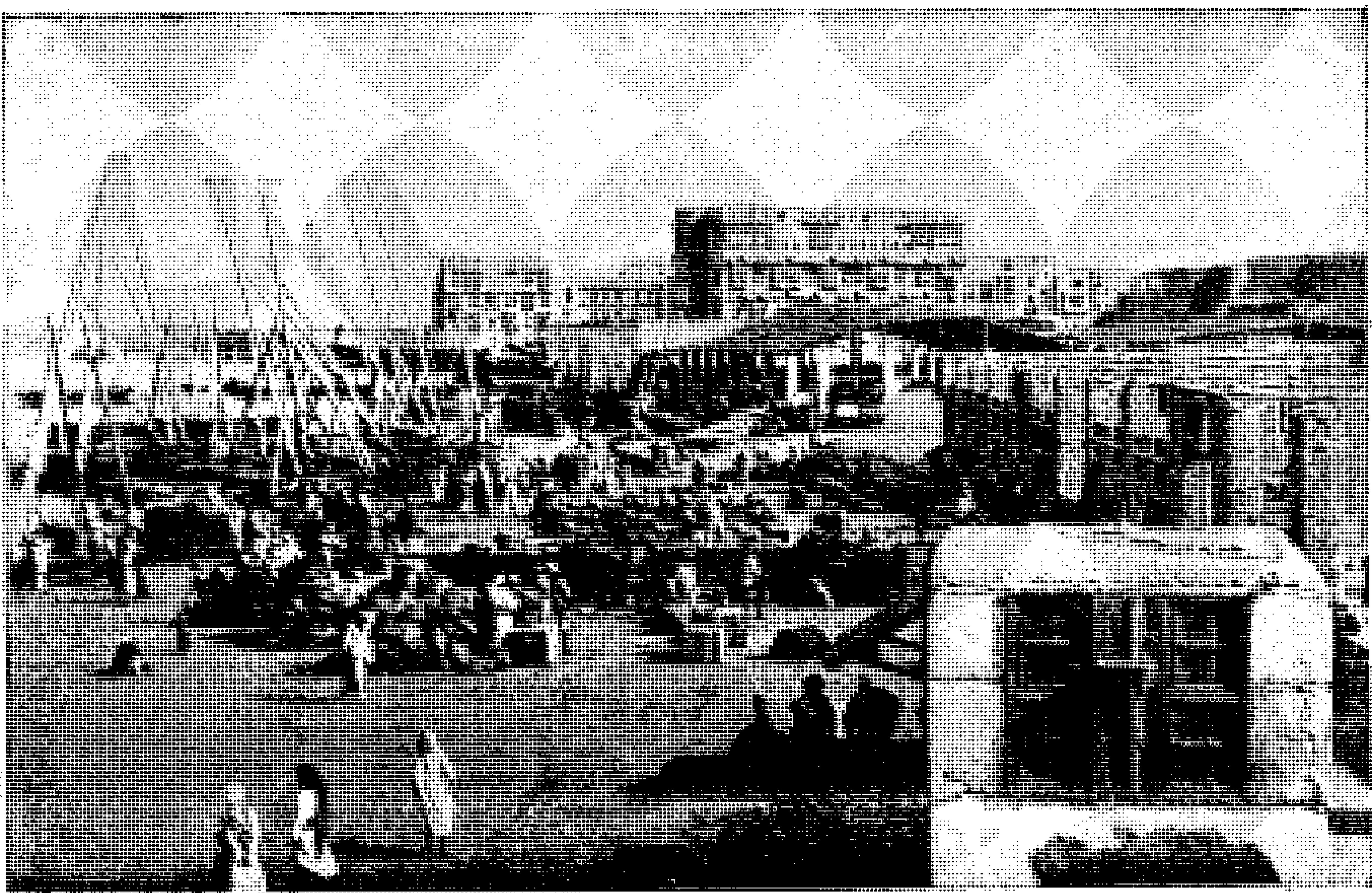
وبجانبه كثير من الشحاذات يلتمسن الصدقات على خرق بسطنها أمامهن .



10. Doctor Mohammed Hussein, the British Vice-Consulat Geddah.

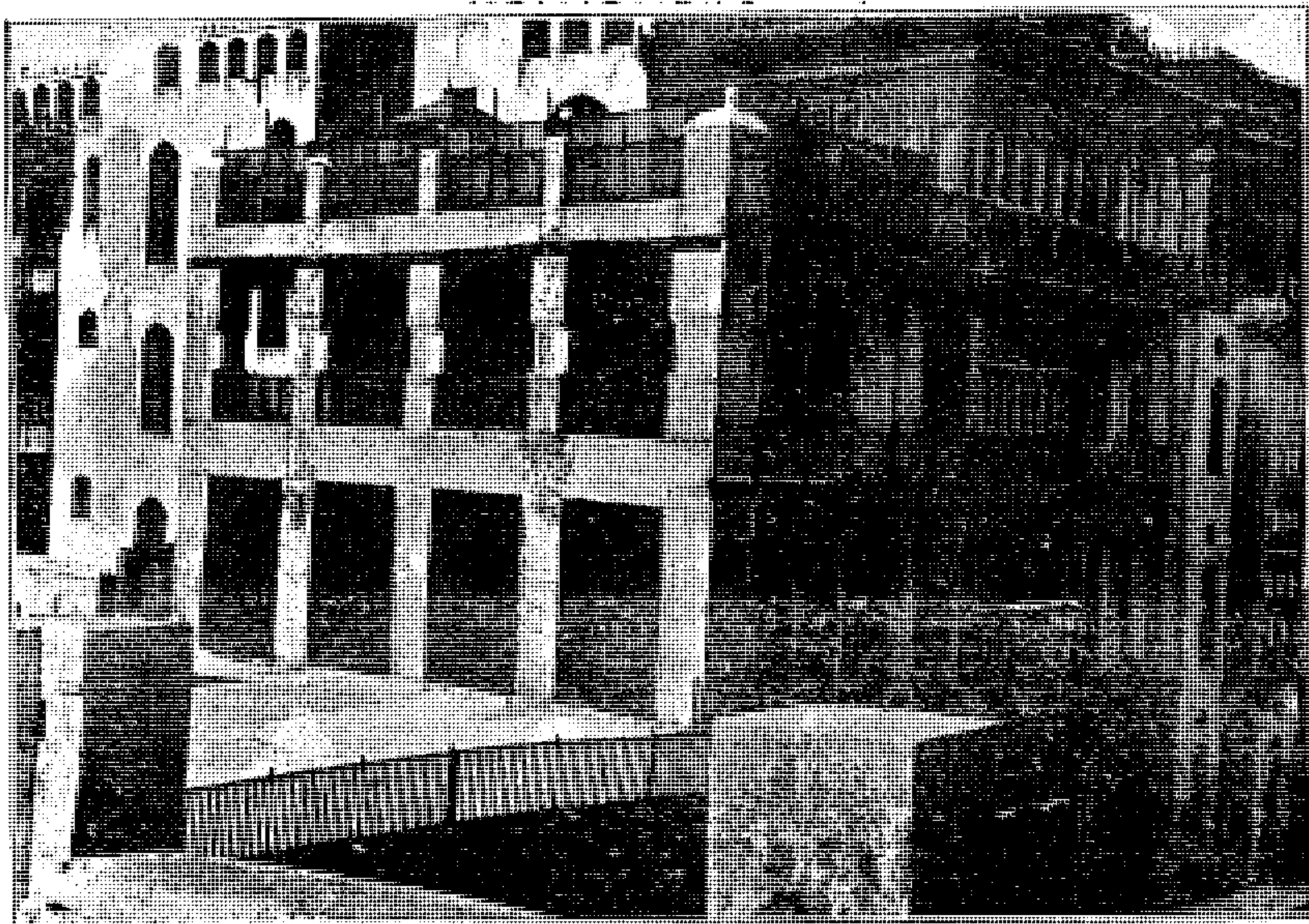
صحيفة ٢٢

رسم منازل جدة المشيدة الرفيعة



16. Geddah with its splendid buildings and magnificent houses.

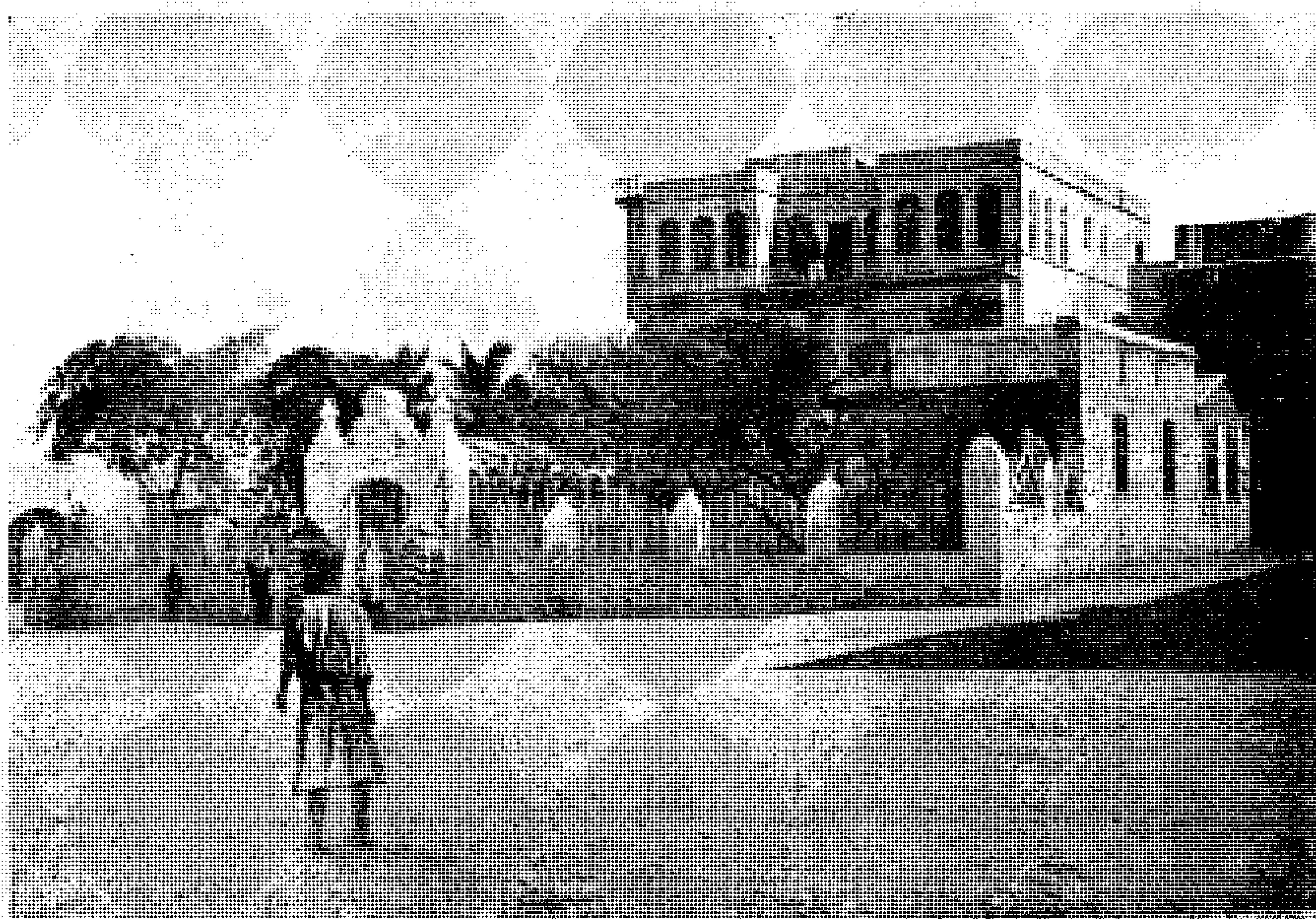
منزل السيد عمر السقاف بجده



17. The house of El Sayed Omar el Sakaf in Gedda.

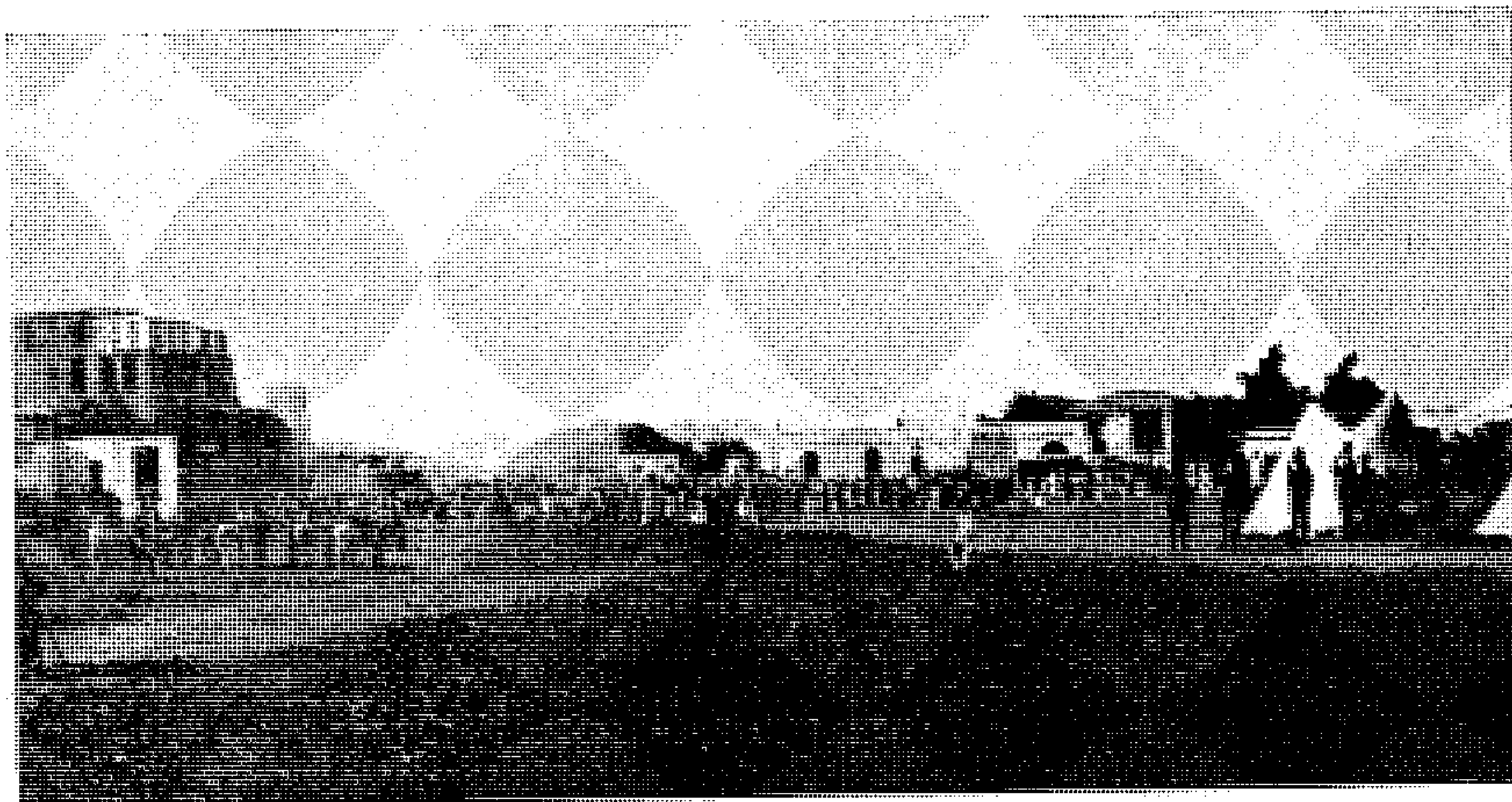
صحيفة ٢٢

سراي نايب الوالي بجده



18. Palace of the Deputy Waly at Geddah.

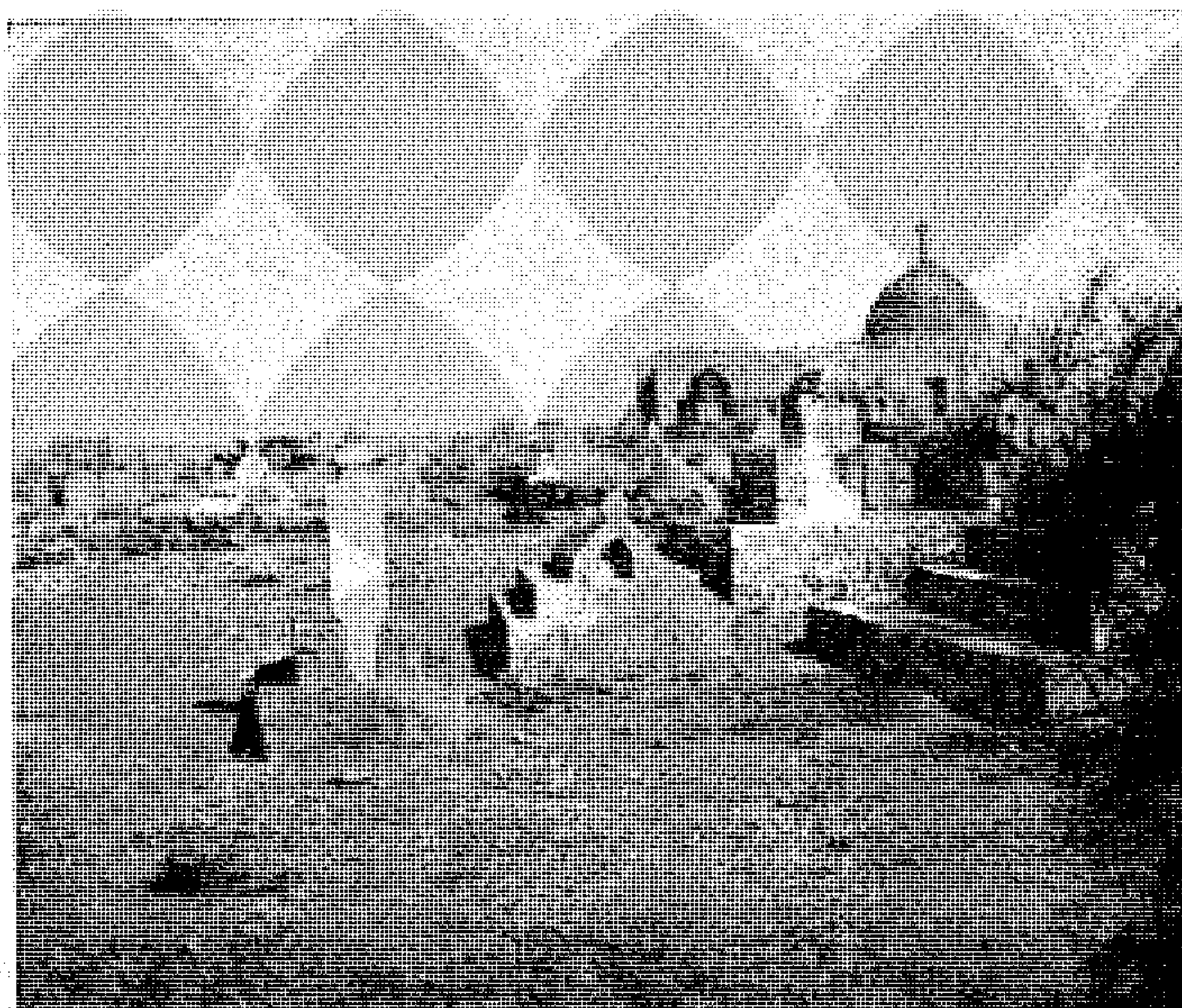
﴿ قشلاق العساكر الشاهانيه بجده ﴾



19. A view of the Turkish Barracks at Gedda.

صحيفه ٢٢

قبة امنا حوا بجدة



20. The view of Hawa (our mother) in Gedda in 1321.

وشوارعها مختلفة السعة من ٨ أمتار الى ١٥ مترا وحاراتها ضيقة وغير منتظمة. وبجدّة مجارٍ لتصريف مياه المطر الى البحر كما بها ٨٠٠ صهريج داخل البلد وخارجها — معدّة لخزن مياه المطر وبيعها فى موسم الحج ولكنها الآن معطلة إذ ترد المياه الى جدّة من عين تبعد عنها مسيرة ساعتين ونصف وتسير فى مجار مبنية تحت الأرض حفرها المصلح عثمان نورى باشا والى مكة سابقا، وخارج البلد أيضا آبار محفورة وأنابيب فى الأرض مركوزة تخرج منها المياه بالآلات الماصة (آبار ارتوازية) وبعض المياه عذب وبعضها به يسير الملوحة.

والمحمل يستورد مياه الشرب من أعذب الآبار بواسطة سقائين من جدّة يتقاضون أجرة وبقرب معسكره صهاريج مفعمة بالمياه يؤخذ منها عند الحاجة. وبالمدينة مجلس بلدى أعضاؤه من الأهالى ومجلس للأحكام وقاض شرعى. وجميع الأهالى مغرمون بشرب التبغ و(التنباك) والشاى والقهوة وبها كثير من الصبار يوضع على القبور استرحاما للموتى.

سكان جدّة — أهالى جدّة خليط من أجناس شتى مكيين ويمنيين وحضرميين (من حضرموت) وهنود وترك وشوام ومصريين وقصيريين (من القصير) وعددهم حوالى ٢٥ ألف نسمة ويبلغ من فيها فى موسم الحج خمسين ألفا الى ستين ويمرّ بها من الحجاج كل عام نحو ١٢٠ ألف حاج.

تجارتها — جدة مرفأ مكة التجارى بل هى مرفأ الحجاز المهم لذلك ترى ميناءها مملوءا بالسفن التجارية كما تراه (فى الرسم ٨ السابق).

ويرجع اتخاذها مرفأ تجاريا لمكة الى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه فانه فى سنة ٢٦هـ اعتمر من المدينة وأتى مكة فسأله أهلها أن ينقل ساحل مكة القديم من الشعيبية (جنوبى جدّة الآن) الى جدّة لقربها من مكة، فخرج بنفسه الى جدة ورآها واغتسل من البحر وقال: إنه مبارك وقال لمن معه: ادخلوا البحر مغتسلين (١)

(١) فليس الاستحمام فى البحر الملح ومعرفة فوائده من مبتكرات أوربا وانما سبقهم الى ذلك ثالث الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله عنه.

ولتكونوا مؤتزرين، ومن ذلك الوقت استمرت جدّة ميناء مكة الى اليوم، وتأتى اليها التجارة من مصر وسواكن وزنجبار والصومال والهند وجاوة والروملى والأناضول وسوريا وبلاد المغرب والعراق والبحرين ومسقط واليمن وأوربا وآسيا وغيرها، ومن أصناف التجارة البن والصمغ العربى وأنواع الروائح وريش النعام واللؤلؤ والصدف والمرجان ودهن البلسان ودهن الورد ، وترد اليها الحنطة والأرز والصابون والسكر من مصر وسن الفيل والأرز الهندى وعدد الجمال من الهند، وقد بلغت رسوم الواردات فى سنة ١٣٠٢هـ ٦٣٧٩١٦ قرش عثمانى و٣٦ باره .

السفر من جدّه الى مكة

قبل المغرب بساعة من يوم ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (١٤ مارس سنة ١٩٠١) تحرّك ركب المحمل من جدّة ميمما مكة وقد حيته فرقة من الجند العثمانى برآسة « القائمقام » خالد بك وشيعه أهل جُدّة الى أبعد من ميل ، وقد جدّ بنا السير حتى بلغنا بَحْرة لتمام الساعة العاشرة العربية ليلا وبتنا بها على مقربة من قلعتها التى يرابط بها بعض الجنود ، وفى منتصف الساعة التاسعة من يوم ٢٤ تابع المحمل سيره الى أن وصلنا الى قهوة البوغاز أو البستان فى الساعة السابعة ليلا فاسترحنا بها الى منتصف الساعة الثانية عشرة ثم ارتحلنا فوصلنا مكة لتمام الساعة الأولى من صباح يوم ٢٥ ذى القعدة .

والطريق بين جدّة ومكة واد رملى إلا فى موضعين منه حيث يوجد حصا صغير الحجم وكبيره ولكن ذلك لايشغل من الطريق إلا حوالى نصف ميل، وقبيل مكة بنحو أربعة أميال تجد مدرجا حجريا مرتفعا قليلا ثم بعده يستوى الطريق وإن كان حجريا تكثر فيه التعريجات حتى يخيل الى الرائى أن الطريق سدّ لاقتراب الجبال المواجهة وهو صالح لمدّ القضبان الحديدية به والوادى يحفه من الجانبين الجبال والتلال المتشابهة الضارب لونها الى السواد والنابتة فيها الأشجار وهى تارة تتقارب فيضيق الوادى وتارة تتباعد فيتسع ، وبالطريق بضع عشرة قهوة لراحة الحجاج وتقديم الشاى

والقهوة لهم ، وبه جملة قلاع ذات اليمين وذات الشمال يقيم بها جنود أتراك ، وبه أماكن أخرى يقطنها عساكر الشريف غير النظامية وهؤلاء الحراس وجدوا للمحافظة على الأمن بالطريق ولكنهم كما سمعت لا يفارقون أماكنهم لرد الغارات والضرب على أيدى اللصوص وقطاع الطريق ولو كان ذلك بمرآى منهم ومسمع إلا اذا أمرهم الوالى وأين هو منهم . وكثيرا ما سلب الحجاج أمتعتهم إذا تأخروا عن القافلة لإصلاح الأحمال أو قضاء بعض الضرورات ، واذا ما سئل هؤلاء الحراس لماذا لا تقومون بالواجب قالوا (أمر يوك) أى ليس عندنا أمر — فما أقبح العذر . وقد كانت العساكر تؤدّى للمحمل التحية العسكرية عند مروره بها وتنير له الطريق بحرق كومات من الأخشاب تباعا وضعت فوق آكام مرتفعة وجمعت لهذا الغرض وكنا نسير على ضوئها نحو ألف متر .

وقد رأينا أن نصف لك بالتفصيل الطريق من مكة الى جدّة وما فيه من القلاع والقهاوى والانحراف والاستقامة حسب ما جاء فى رحلة سنة ١٣٢٠ إذ هو أوفى وأبين فنقول :

فى يوم الجمعة ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٢٠ فى الساعة الثانية العربية نهارا بدأنا السير من جدّة على أرض سهلة بين نشوز رملية ناحين نحو الجنوب الشرقى على ١١٠° مدّة ٢٠ دقيقة وإذ ذاك تباعدت التلال واتسع الوادى وما زال السفر يجد بنا الى أن وصلنا الى « رأس القائم » فى س ٥ وق ٢٥ وهنالك وجدنا مخفرا به جملة عساكر نظامية مع بعض الضباط كما وجدنا قهوة يباع بها الشاى والقهوة فى زمن الحج ، كسائر القهاوى التى على هذا الطريق وتابعنا السير فوصلنا الى «الرغامة» بعد س ٦ وهنالك على نشز من الأرض قلعة بها بعض الجنود وقهوة ، وقد وقفنا بالرغامة لحظة قدّم لنا فيها الماء البارد تحية مباركة ، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا فسرنا مشرقين على ٩٠° وإذ ذاك أخذت الجبال تقترب منا تارة وتبتعد أخرى فيضيق الوادى ويتسع ما بين ١٨٠ مترا الى ٣٦٠ بالتقريب ثم تغير الاتجاه الى الجنوب الشرقى فسرنا على ١١٠° الى أن وصلنا الى موضع يدعى « جرادة » فى س ٧ وق ٤٥

وبه قهوة متسعة مبنية بالحجر ومسقوفة، وعلى نحو ١٠٠ متر منها يوجد بئران ماؤهما فيه شيء من الملوحة — سقينا منهما الخيل والبغال وآسترحنا ٥٥ ق وواصلنا السير في س ٨ و ق ٤٠، وعلى نحو ١٠٠٠ متر وجدنا على اليسار «قلعة الكتّانة» على مرتفع من الأرض كسائر القلاع في الطريق وبها ضابط وعشرون جنديا، ومن هذه القلعة كانت الأرض محصبة مسافة ميل بالتقريب . وفي الساعة ٩ والدقيقة ٢٠ تغير اتجاهنا الى الشمال الشرقي فسرنا على ٧٥° ووصلنا الى « قلعة الكتّانة » الثانية في س ٩ وق ٣٠ وبها ضابطان وخمسون جنديا والماء بعيد عنها بمسافة تستغرق ساعة ونصفا بل الماء بعيد عن كل القلاع إلا ما ندر ويوجد بها قهوة، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا الى الجنوب الشرقي على ١٤٠° ولتمام الساعة العاشرة مررنا ببرج «القلعة البيضاء» وهو على اليسار به رئيس العشرين (جاويش) و ٢٥ جنديا وفي س ١٠ وق ١٠ آجتزنا برجا صغيرا على اليمين به بعض العساكر، وفي س ١٠ و ق ٤٥ وصلنا الى « قلعة العبد أو قلعة سالم » وهي على اليمين وبها أربعون جنديا وقهوة وعلى مقربة منها بئر تسمى بئر البجادية ، ومن هذه القلعة آنفسح الوادي وتغير الاتجاه الى ١٠٠° وقد وصلنا الى قلعة « الثديين » س ١١ و ق ٣٠ وبها ١٥ جنديا و «جاويش» وهي على اليسار على أكمة مرتفعة وهناك الأراضي رملية صالحة للزراعة وفيها مراعي ومن هذه القلعة تغير الاتجاه الى ٧٠° وبلغنا قرية « بحرة » في س ١٢ أي وقت المغرب وإذ ذاك أخذت منظر المعسكر كما تراه (في الرسم ٢١) . وبحرة وتسمى بحرة الرُّغاء على يسار الميمم مكة وبها أكواخ حقيرة وحظائر للابل وقهاوي ومسجد صغير بمئذنة بنى أصله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من غزوة الطائف سنة ثمان وصلى فيه كما جاء في سيرة آبن هشام وفيها عقب ذلك . قال ابن اسحاق : فحدثني عمرو آبن شعيب أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها بدم، وهو أول دم أقيد به في الاسلام : رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به . اهـ . ولكن في زاد المعاد في هدي خير العباد في غزوة الطائف ما يأتي :

منظر ركب المحمل بمحطة بحره

امير الحج محرم وجالس فوق اجولة البقسماط وعلى يساره الضوئى حاملا الآلة الفتوغرافية جاثا على ركبتيه والواقفون الحرس

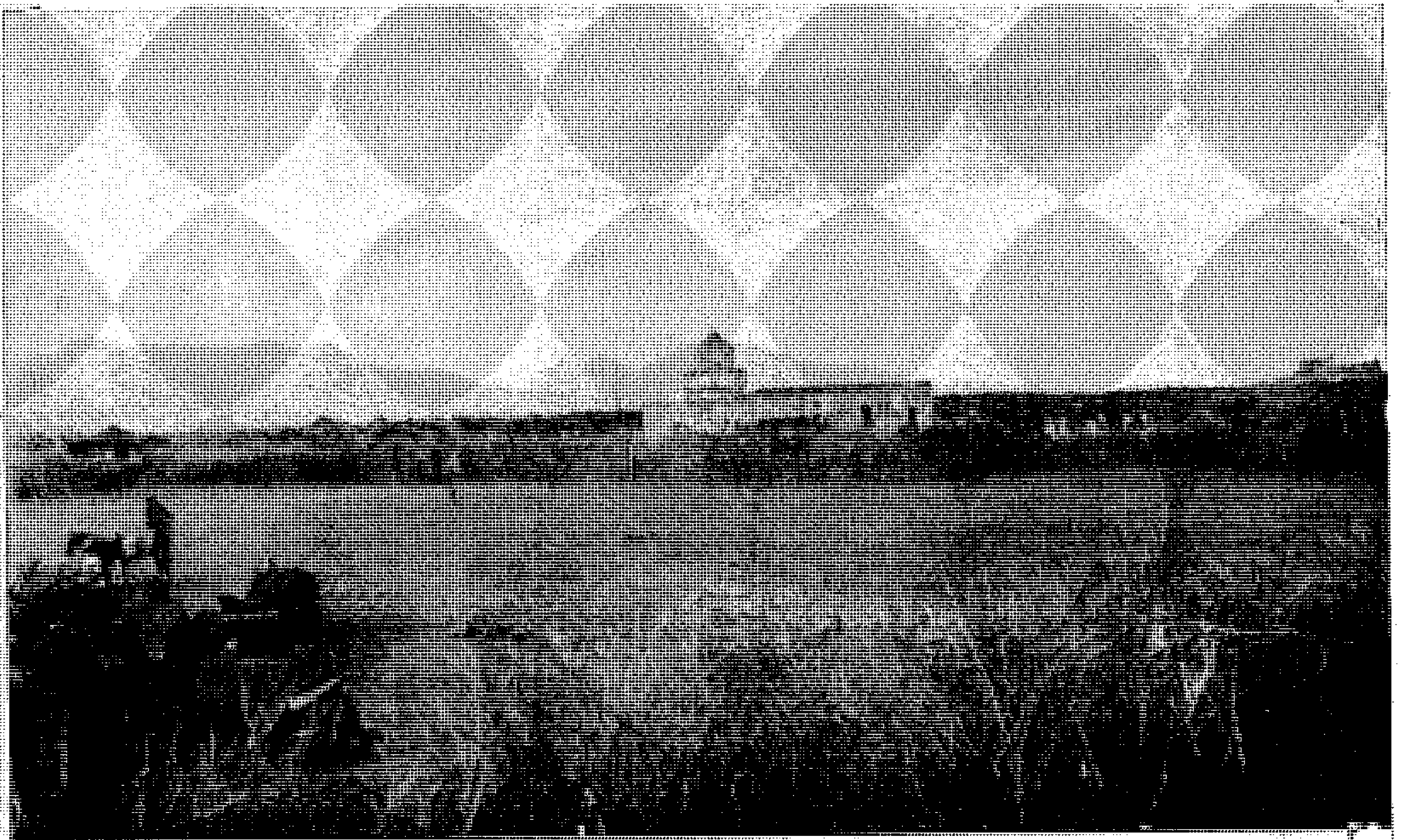


21. The Mahmal at Bahrah, the first station between Geddah and Mecca

صحيفة ٢٦

منظر محطة بحره وبها مسجد صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم

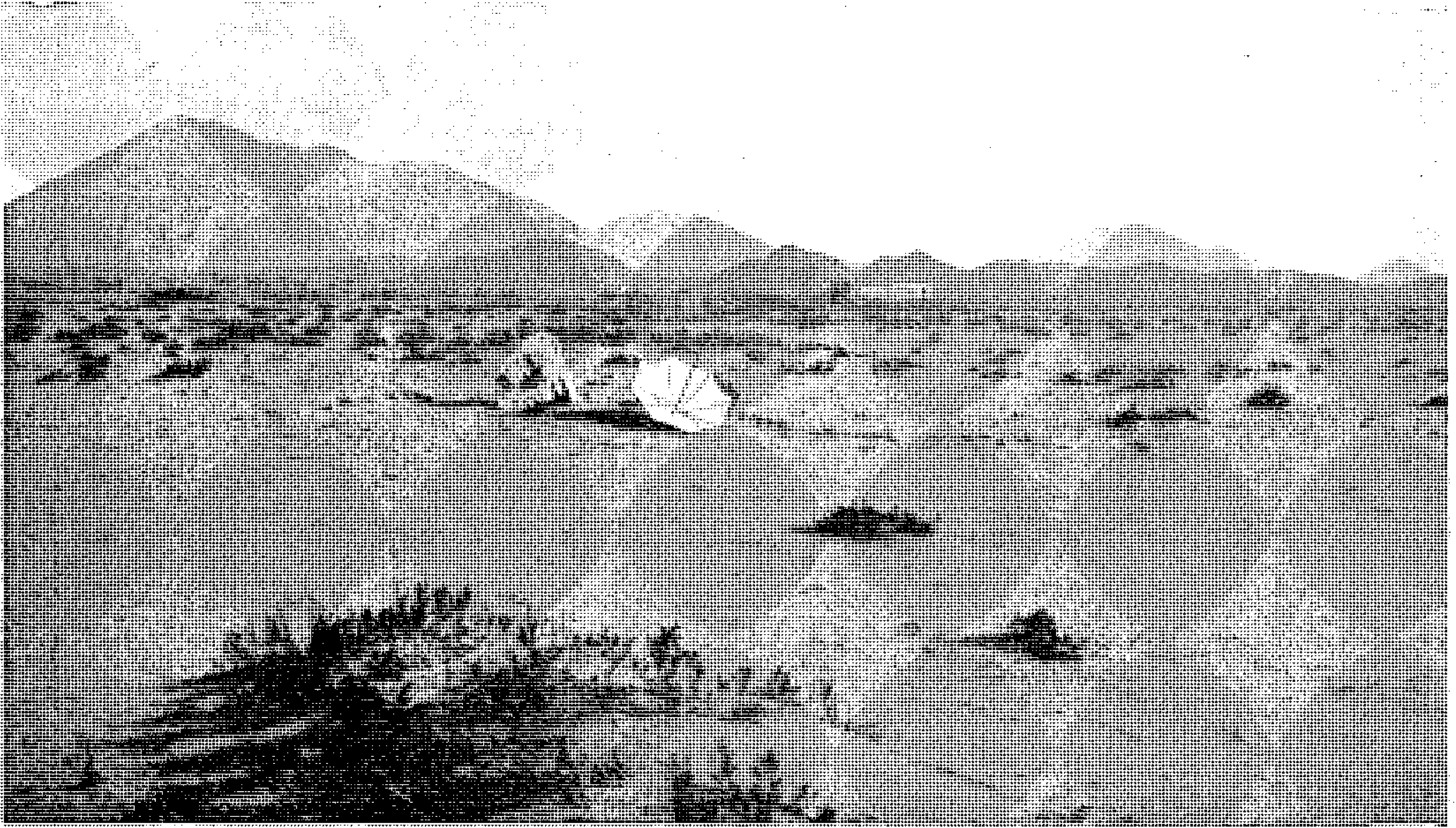
البناء المرتفع قلعة بحره وهى اكبر القلاع واقواها قوة بين جده ومكه وهى على يمين الناظر الى الرسم وما بأسفله زريبة من عيدان الاشجار



22. Bahrah and mosque where the Prophet M

منظر حده وبه مسجد قديم

امير الحج محرم وخلفه مظلة بيضاء والشجر الاسود شجر الحرمل



23. Heddah and an old Mosque.

العلمين بالشميسى بالقرب من الحديبية



حقوق الطبع في التصوير محفوظة باسم اللواء ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري في سنة ١٣٢٦ محرم

25. Two landmarks at the outskirts of the Haram at Shumaisi.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف الى الجِعْرانة ثم دخل منها محرما بعمرة فقضى عمرته ثم رجع الى المدينة . اه .

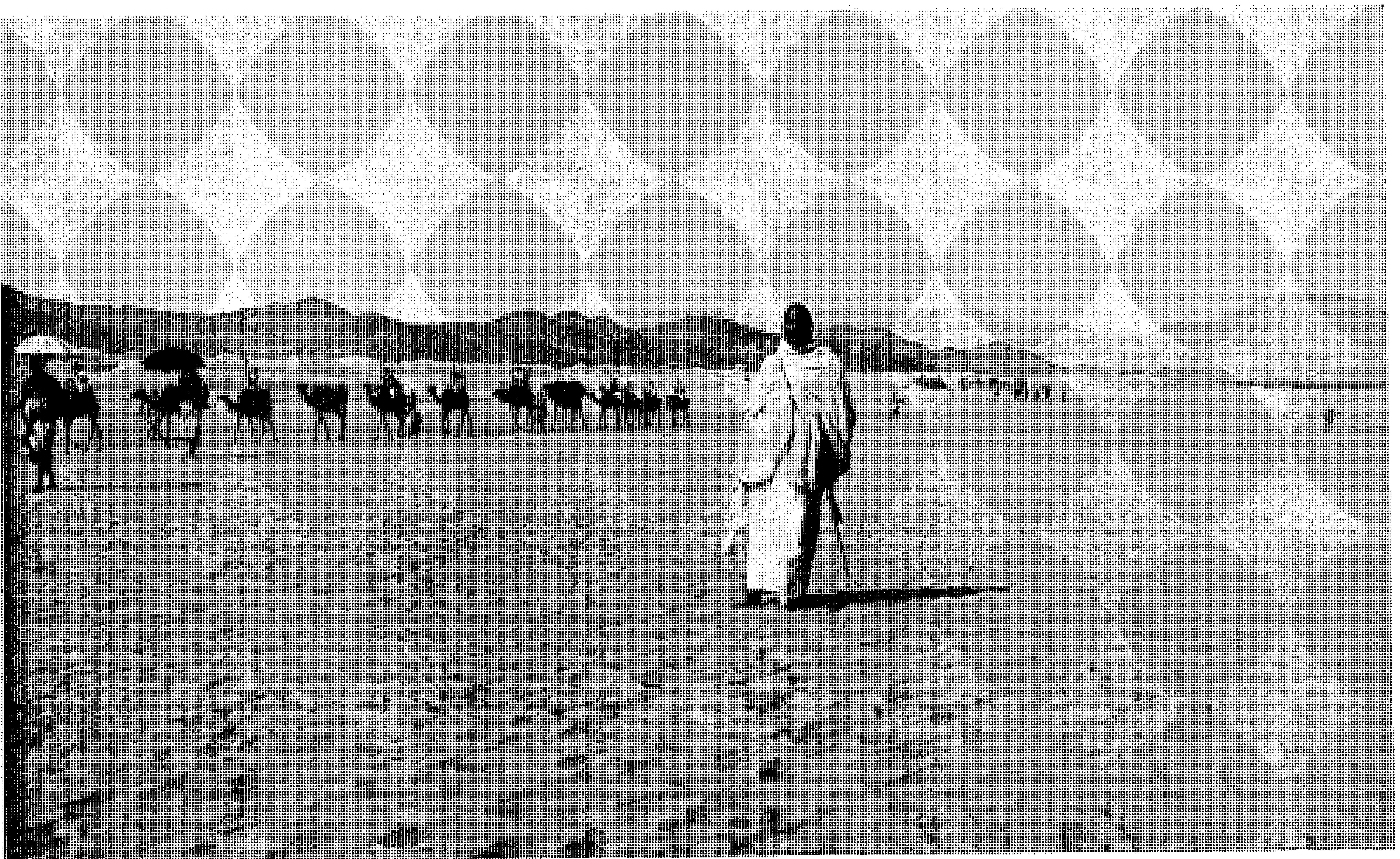
والطائف فى الجنوب الشرقى لمكة والجعرانة بينهما لكنها أقرب الى مكة فكيف يتفق مع ذلك أنه مرّ ببحرة منصرفه من غزوة الطائف مع أنها غربى مكة ولا تقل المسافة بينهما عن ثلاثين ميلا ، و بين الجعرانة ومكة حوالى عشرة أميال ، إنا لذلك نقف موقف الشك فيما رواه ابن هشام ونقله عنه كثير من المؤرخين حتى يأتينا اليقين . و يتفرّع من بحرة طريق آخر الى مكة يسير نحو الجنوب الشرقى و يقول الخبيرون : إنه أقرب اليها وأسهل من طريقنا لقلة التعاريج به . و ببحرة جملة قهاو وقد بتنا بها ليلة السبت غرة ذى الحجة سنة ١٣٢٠ وارتحلنا منها فى س ١٢ آخر الليل ورأينا على يسارنا قلعة بحرة على نحو ميل من القرية وهى أكبر القلاع وأمتنها وبها ثلاثة ضباط و١٠٠ جندى ، ولتمام الساعة الثانية العربية نهارا مررنا «ببئر أم القرون» وهى على اليسار مبنية بالحجارة وعمقها ١٠ أمتار لها أربعة أعمدة تدور عليها أقطاب البكر التى ترفع بها الدلاء ، وماء هذه البئر عذب فرات ، وفى منتصف الساعة الثالثة وصلنا «حدّة»(١) (بالحاء المهملة) وهى بلدة صغيرة على اليسار بها حصن ومسجد ذو مئذنة وعين ماء حلوة و بئران على يسار الطريق و بها نحو ٦٠٠ نخلة يملكها عون الرفيق باشا شريف مكة كما قيل لنا ، ورسم حدّة تراه فى (الشكل ٢٣) وفيه تجد بالأرض شجر الحرمل وأشجارا أخرى صغيرة مختلفة الأجناس وترى أمير الحج جالسا على مقربة من شمسية ألقت بها الرياح . وكان المحمل يبيت أوّلا بحدّة ثم عدل عنها الى بحرة لما أن تعدّى أهلها عليه . وفى ختام الساعة الرابعة مررنا ببرجين على اليمين فوق جبل هنالك بينهما نحو ٣٠٠ متر وبهما ضابط و ٤٠ عسكريا ، والقوّة بالبرجين مؤقتة تحضر وقت مرور القوافل فقط ثم ترجع الى مستقرّها بقلعة الشميسى ومن هذين البرجين تغير الاتجاه الى ١٤٥° وضاق الطريق وعند الساعة الرابعة والثلث بلغنا قلعة الشميسى وهى شامخة البناء وبها

(١) ويسمونها قديما حداء — قال أبو جُندَب الهذلى :

بغيتهم ما بين حداء والحشا * وأوردتهم ماء الاثيل فعاصما

ضابطان و ٥٠ جنديا ، والطريق لديها متسع وسهل غير أن الجبال اليمنى قريبة منه وإن كانت تنأى بعد ذلك ، وبقرب القلعة قهوة وبعض أكواخ وبالشميسى مسجد يسمى (مسجد الشميسى أو مسجد البيعة) وهو على اليسار مربع الشكل طول ضلعه ١٥ مترا ومبنى بالحجر الأزرق بناء متينا ومجصص وبه ثلاثة أروقة (بواكى) وقبلته مكتوب فيها : هذا مسجد بيعة الرضوان مأثرة من مآثر حبيب المنان عمره المليك الى رحمة الرحمن : المغفور له السلطان محمود خان سنة ١٢٥٤ هـ . وهذا المسجد موضع الشجرة التى بايع عندها الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان عام الحديبية وأنزل الله تعالى فى تلك البيعة (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وبالشميسى بئر عمقها ١٠ أمتار بالتقريب مبنية بالحجر وماؤها مقبول . ومنها تغير الاتجاه الى ١١٠° وفى الساعة الخامسة نهارا وصلنا الى العلمين ومنهما يبتدئ الحرم من الجهة الغربية وهما عمودان مبنيان بالحجر ومجصصان مربعا الشكل سمك كل منهما متر وآرتفاعه أربعة أمتار وبين العلمين مسافة ٥٠ مترا وبجوار العلم الشمالى بئر مبنية بالحجر سمك حائطها ١٫١٠ متر وقطرها أربعة أمتار وعمقها نحو ١٥ مترا وبجوارها مشرب (سبيل) مبنى بالحجر بناء متينا ومكتوب عليه أبيات باللغة التركية بخط جميل وتاريخ بنائه سنة ١٢٦٣ وبجانبه شجرة من السدر (النبق)، ويجاور العلمين تلال رملية وتجد (فى الرسم ٢٤) أمير الحج مرتديا لباس الإحرام على يمينه مسجد الحديبية وتجد فى الرسم ٢٥ أحد العلمين واضحا تمام الوضوح . وفى الساعة السادسة رأينا الجبال تتدانى وتغير الاتجاه الى ٧٥° أى الى الشمال الشرقى ، وبعد ثلث ساعة وصلنا الى قهوة العبد (أو البزم أو سالم أو البوغاز) وآسترحنا بها ثلثى الساعة ثم سرنا وتغير اتجاهنا عند الساعة ٨ الى ٩٠° ومررنا بعد ١٠ دقائق «بقلعة المقتلة» وهى على اليمين بها حراس نظاميون وتحتها بئر مطوية بالحجر وعمقها حوالى ٢٠ مترا وعليها دعامتان لوضع محور البكرة عليهما ، ولها ثلاث درجات يقف عليها من يخرج الماء منها وماؤها عذب غزير ، وعند س ٨ و ق ٢٥ تغير الاتجاه الى ٥٠°

رسم مؤخر ركب المحمل وأمير الحج بملابس الإحرام



24. The Mahmal and the Director of the Pilgrimage caravan in his Ihram dress.

وبعد ثلث ساعة تغير الى ٧٠° ، وفى س ٩ مررنا بقلعة (أم الدود) على يميننا وأمامها بئر كسابقتها . وعند الساعة ٩ و ق ١٠ تغير الاتجاه الى ٩٠° وأدركنا «قهوة البستان» فى س ٩ و ق ٢٥ ولديها شجرة سدر . وبعد ربع ساعة مررنا ببلدة الشريف حسين على يميننا وإذ ذاك أخذ الاتجاه ١٣٥° وبعد خمس دقائق اجتزنا بيت السيد بن اسحاق شيخ السادة سابقا وهو على اليسار يبعد عن جادّة الطريق حوالى ١٤٠ مترا ومن خلفه بمائة متر قبور الشهداء ، وفيها قبر عبد الله بن عمر الفقيه الكبير والمحدّث الجليل والأثرى العظيم رضى الله عنه وعن أبيه أمير المؤمنين ولكن فى كتاب أسد الغابة فى معرفة الصحابة أن عبد الله بن عمر دفن بالمحصب ، وقيل : بذى طوى ، وقيل : بفخ ، وقيل : بسرف ؛ وفى كتاب شفاء الغرام فى أخبار البلد الحرام للتقى الفاسى أنه دفن فى مقبرة صديقه عبد الله بن خالد بن أسد عند ثَنِيَّة أذاخر وهى فى الطرف الشرقى للمحصب ، وذلك حسب وصيته لصديقه وكل هذه الأماكن بعيدة عن مقبرة الشهداء التى زعموا أنه دفن فيها . وعند س ١٠ أخذ الاتجاه ٩٠° ودخلنا مضيقا يسع قطارين أو ثلاثة من الجمال قطعناه فى دقيقة ثم انفرج الطريق . وفى س ١٠ و ق ١٥ أخذ الاتجاه ١٥٠° مسافة قليلة وأدركنا «قهوة المعلم» ولديها وقف الركب أمام المضيفة «المسافرخانة» التى بناها السلطان عبد الحميد للفقراء وتبعد عن مكة بنحو ميل . ومن هنا نرجع بك الى حج سنة ١٣١٨

قلنا فيما سبق : أن المحمل وصل الى المضيفة فى الساعة ١ صباحا من يوم ٢٥ ذى العقدة سنة ١٣١٨ وهناك وجدنا المطوّفين ينتظروننا وقدّموا لنا هدايا من البطيخ والرمان وماء زمزم ، فأكلنا وشربنا حامدين الله شاكرين ووجدنا على مقربة من المضيفة مندوبين من قبل الشريف والوالى أحدهما ضابط والآخر ملكى حضرا لتهنئة الأمير وركبه بالقدوم من السفر وكان يصحبهما شرذمة من الجنود ، وقد تحرّك المحمل من هذا المكان بعد أن خلع لباس السفر وارتدى حلته القصبية يتقدّمه ثلة من الفرسان والموسيقى والمزمار البلدى يطربان بنغمهما الحضور والمستقبلين الى أن

وصل الى مقامه المعتاد بجهة جرول أو الشيخ محمود المجاور لحديقة عون الرفيق باشا، وهنالك نصبت الخيام بعد إزالة ما بالأرض من حجر ومدر وعرف كل مكانه وعين الجنود الذين يقومون بالحراسة .

دخول مكة

بعد أن ألقينا عصا التسيار بجهة جرول غربى مكة واتخذنا منها مقاما محمودا أمنا فيه على أمتعتنا هممنا بدخول مكة لأداء طواف القدوم تحية البيت الحرام فاغتسلنا جميعا من بئر ذى طوى اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فانه نزل فى حجة الوداع بذى طوى المعروفة بآبار الزاهر وبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذى الحجة سنة ١٠ وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض الى مكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى سياق حجته (أنظر المعسكر فى الرسم ٢٦) ترى به سطح المكان القائم على البئر، وبعد اغتسالنا دخلنا مكة من الطريق المعروف بطريق الحجون(١) وهو طريق ثنية كَدَاء التى دخل منها النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (أنظر الثنية فى الرسم ٢٧) والثنية كما تراها فى الرسم طريق حجرى مرتفع الوسط فى شمال مكة واقع بين جبلين على كل منهما برج بناه الشريف غالب فى سنة ١٢١٤ اتقاء لسعود بن عبد العزيز الوهابى الذى جاء للحج فى تلك السنة ومعه من قومه أمثال الرمال ومن الثنية يهبط المرء الى المعلاة مقبرة أهل مكة ويشقها الطريق شقين عن اليمين وعن الشمال ويحيط بالمقبرة سور قديم مبنى بالحجارة وبها قبور كثير من الصحابة، وبالشق الأيسر قبة شاهقة

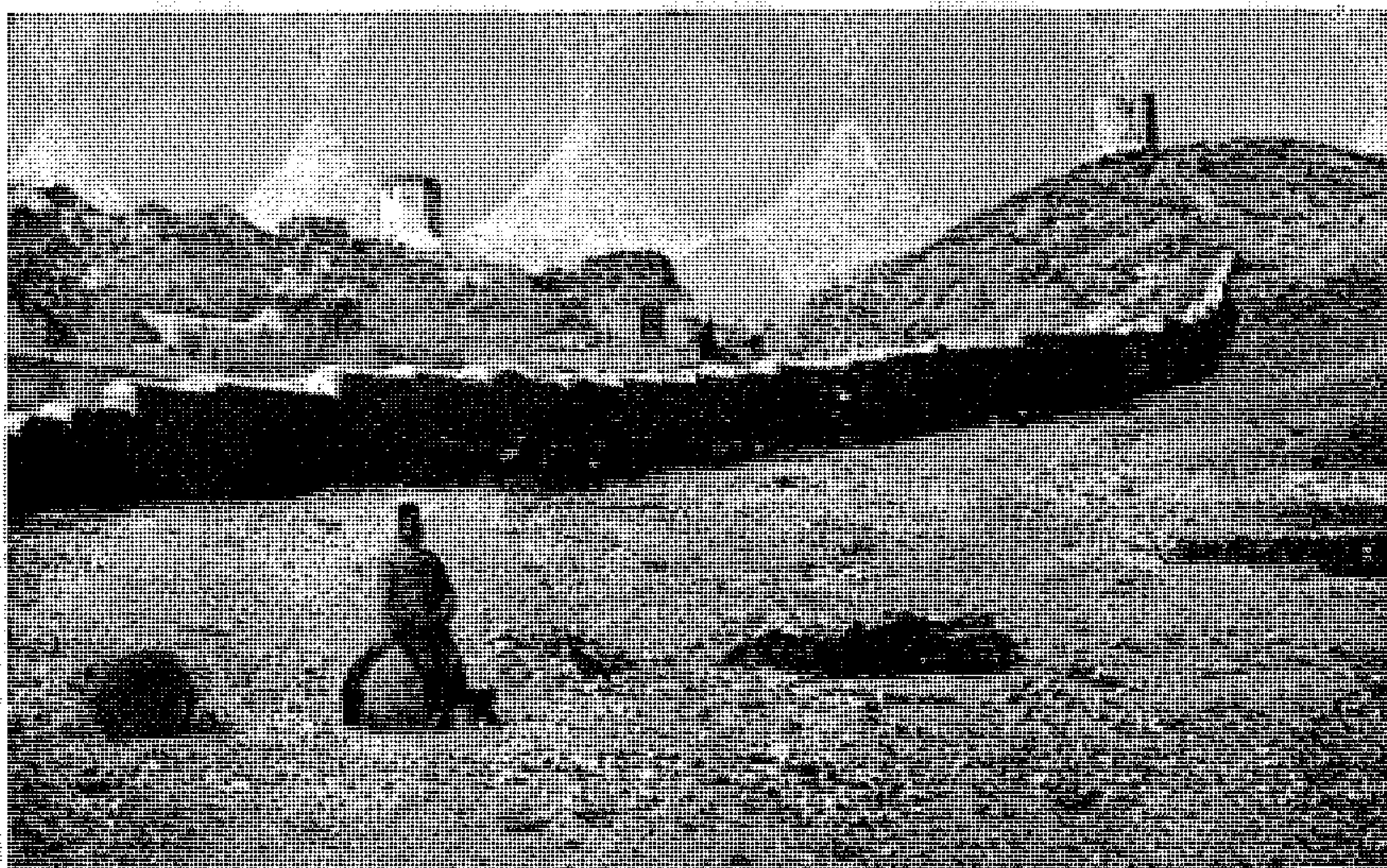
(١) قد جاء فى كتاب منتخب شفاء الغرام طبع أوربا أنه فى سنة ٨١١ سهل بعض المجاورين موضعا مستصعبا فى رأس الطريق وسهل أيضا بعض مجاورى مكة فى النصف الثانى من سنة ٨١٧ طريقا فى هذه الثنية غير الطريق المعتادة بل على يسار الهابط منها الى المقبرة والأبطح كانت ضيقة جدا فنحت ما يليها من الجبل بالمعاول حتى اتسعت فصارت تسع أربع قطائر من الجمال المحملة وكانت قبل ذلك لاتسع إلا واحدة وسهلت أرضها بتراب ألقى فيها حتى استوت ورغب الناس فى سلوكها عن الطريق المعتادة وجعل بينهما حاجز من الحجارة المرصوصة ثم جعل سودون المحمدى رئيس العمائر بالمسجد الحرام سنة ٨٣٧ هذين الطريقين طريقا واحدا فردم الطريق الجديدة المنخفضة عن القديمة بنحو قامة حتى سوّاها بالأولى وجعلهما طريقا واحدا يسع عدة قطائر، والحَجون هو الجبل الذى فيه الثنية وهو المذكور فى شعر مضاض بن عمرو الجرهمى .

بئر طوى بالشيخ محمود



26. A view of the well of Towa in El Shaikh Mahmoud in 1325.

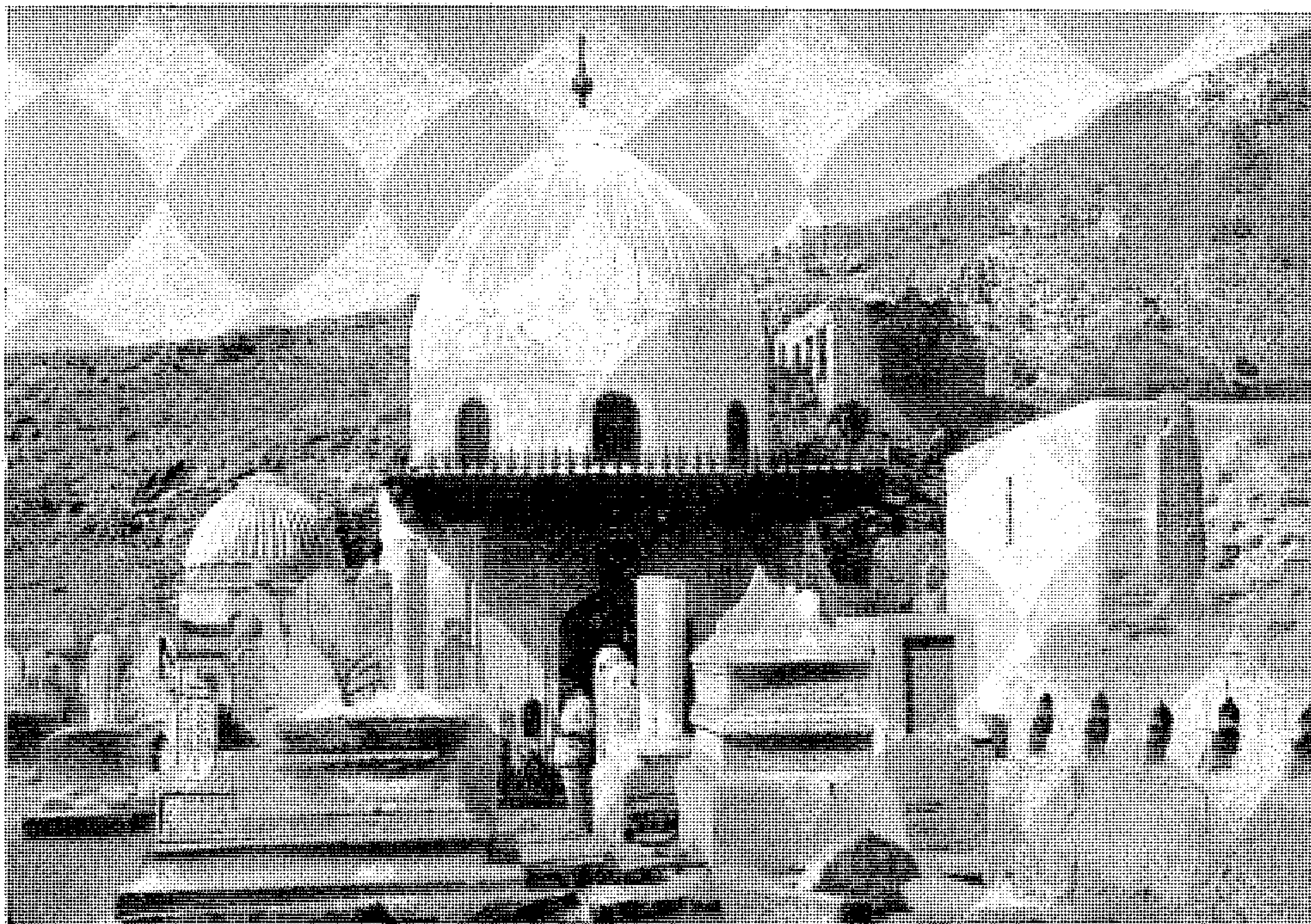
طريق ثنية كدا الذي مشى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ودخل مكة في حجة الوداع سنة ١٠



27. The route on the plateau of Thannitte Kada by which the Prophet Mohammed proceeded to Mecca for his last pilgrimage (Al Wida'a - the "farewell") in the year 10 of El Hegra.

صحيفة ٣١

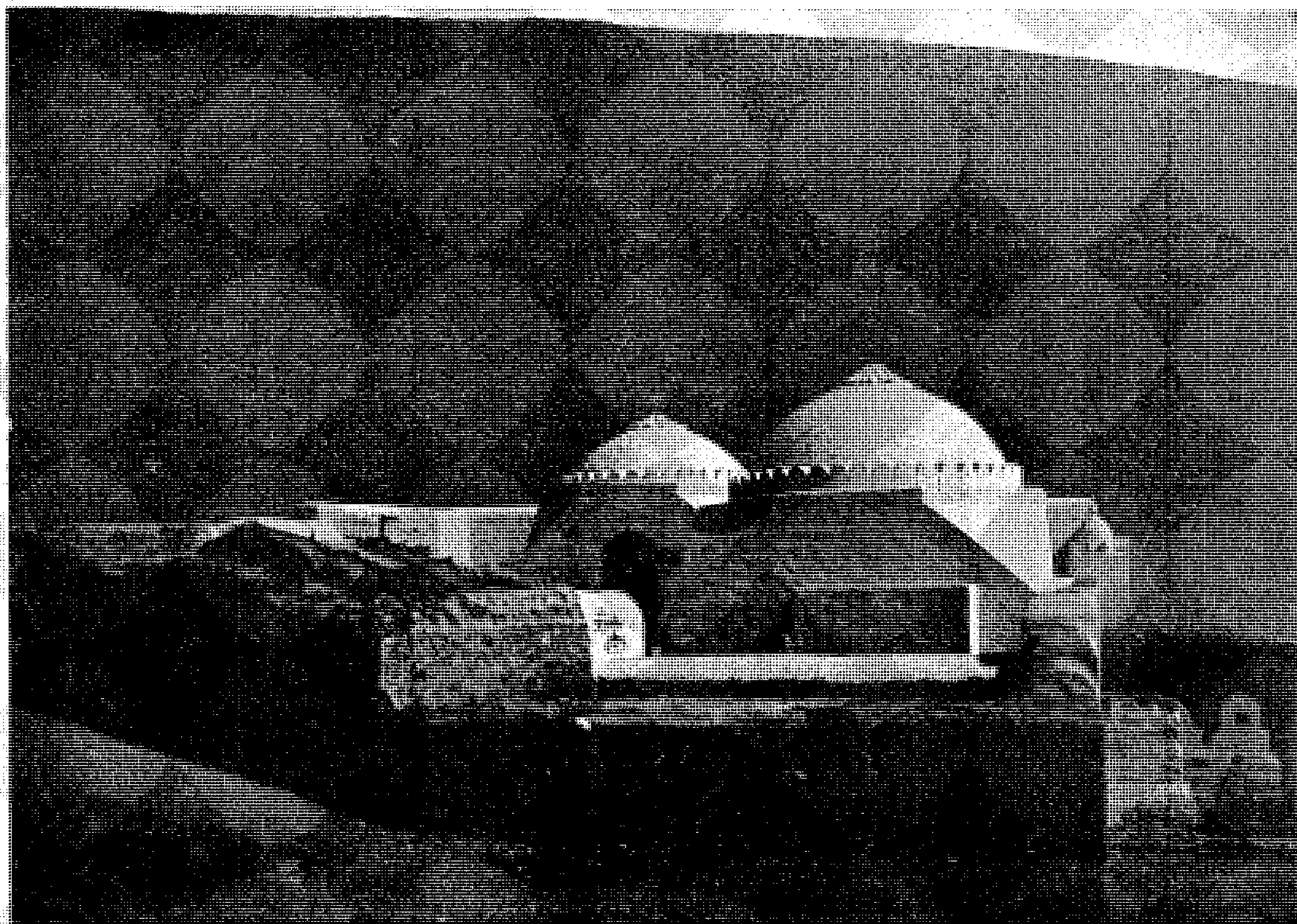
قبة السيدة خديجة بالمعلى بمكة المكرمة



28. The dome of El Sayyida Khadija in El Maalla at Mecca,

صحيفة ٣٢

قبتا جدي النبي عبد المطلب وعبد مناف وعمه ابي طالب



29. A view of the domes of the grandfathers of the Prophet, Abdel Motaleb Abd Manaf, and his uncle Abu Taleb

على قبر السيدة خديجه(١) أم المؤمنين رضى الله عنها كما ترى فى الرسم ٢٨ وبه أيضا قبر زعموا أنه لآمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم وهـذا افتراء والحقيقة أنها مدفونة بالأبواء بين المدينة ومكة على نحو ١٣ ميلا من رابغ . وبه أيضا جملة قباب(٢) قيل لنا : إنها على مقابر عبد مناف وعبد المطلب وهاشم أجداد النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) وهى زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وأول من آمن به وقد واسته بمالها ونفسها وتزوجها صلى الله عليه وسلم وسنها ٤٠ سنة وسنه ٢٥ ولم يتزوج عليها غيرها حتى توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وهذه القبة بنيت فى سنة ٩٥٠ بالحجر الشميسى بمعرفة الأمير الشهيد محمد بن سليمان الجركسى أمين الدفاتر (دفتردار) بمصر فى ولاية داود باشا نائب السلطان سليمان القانونى ، وكان على القبر قبل القبة تابوت خشبي وقد جعل محمد ابن سليمان المذكور لخادم القبر مرتبا من صدقات السلطان سليمان ولكننى رأيت على القبة تاريخ سنة ١٢٩٨ فيظهر أنها جددت بعد سنة ٩٥٠

(٢) مما لا ريب فيه فى شرعتنا الاسلامية أن إقامة القباب على القبور محرمة بل ما هو دون القباب. فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا رضى الله عنه أن لا يدع قبرا مشرفا إلا سواه بالأرض ولا تمثالا إلا طمسه — رواه النسائى — ومع هذا الحظر القطعى أكثر المسلمون من إقامة القباب فوق قبور من اعتقدوا فيهم الصلاح تقربا اليهم وإعظاما لهم وإشادة بذكرهم ويعلم الله أن الذكرى إنما هى بالأعمال الطيبة لا بالأبنية المشيدة وأن هؤلاء الموتى أحب الأشياء اليهم أن يؤتسى بهم فى أعمالهم وأخلاقهم فإن ذلك ينفعهم فى أجداثهم إذ لهم مثل أجر من عمل بعملهم ثم اذا كان الباعث على إقامة القباب ما ذكرنا من اعتقاد الصلاح والتقوى فلماذا نقيمها على قبر أبى طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد دعاه الى الاسلام فأبى حتى لفظ نفسه الأخير وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لعله تنفعه شفاعتى فيوضع فى ضحضاح من نار) — الضحضاح — اليسير .

اللهم إنى لا أظن سببا لاقامة القباب فوق قبور هؤلاء إلا قرابتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن القرابة وحدها غير منجية إذ لو أنجى قريب قريبه لنجى نوح ابنه ، وابراهيم أباه ، ولوط زوجه ، وآسية فرعون ومحمد صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب ولكن لم ينفع هؤلاء أولئك لأن الانسان بأعماله لا بأعمال غيره (وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) والتفاضل إنما هو بالتقوى لا بالقرابة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فمتى يتفقه المسلمون فى دينهم ويأتسون بنبيهم ويدعون هذه الخزعبلات وتلك الترهات التى أخرت بديننا وأمتنا وتركتنا مثلا سيئا فى الآخرين فاللهم اهد قومنا الى سواء السبيل .

وكذلك قبة على قبر عمه أبى طالب تراها فى (الرسم ٢٩) وفى (الرسم ٣٠) صورة عامة لمقبرة(١) المعلاة وكذلك فى (الرسم ٣١) .

وقد زرنا هذه المقابر وقت مرورنا بها ثم سرنا الى سوق البلد ثم الى المسجد الحرام وهو على مسير نصف ساعة من معسكرنا وقد دخلنا المسجد من باب بنى شيبة المعروف بباب السلام وهو فى الجهة الشمالية الشرقية ، وعند رؤية الكعبة رفعنا الأيدى متضرعين الى الله وكبرنا وقلنا : اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو آعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا — وقد سمع هذا الدعاء سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله عنه يقوله ، ثم آتجهنا الى باب بنى شيبة الذى بداخل المسجد عند مقام ابراهيم وهو باب المسجد الأصلى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرف بباب بنى عبد مناف ومنه دخل فى حجة الوداع وقد دخلنا منه آقتداء برسولنا عليه الصلاة والسلام وقلنا ساعة الدخول كما قال : ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا . وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ وإن ذلك لمكتوب فى أعلى الباب بالخط الجميل المذهب ، والباب عبارة

---

(١) وتسمى أيضا مقبرة الحجون وفيها يقول كثير بن كثير السهمى :

عينى جودى بعبرة أسراب ❊ من دموع كثيرة التسكاب
إن أهل الحصاب قد تركونى ❊ موزعا مولعا بأهل الحصاب
كم بذاك الحجون من حىّ صدق ❊ وكهول أعفة وشباب
فارقونى وقد علمت يقينا ❊ ما لمن ذاق ميتة من إياب

والحصاب : المراد به المحصب وهو موضع الجمارة بمنى — وفى يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الثانى سنة ١٠٨٦ شرع الشيخ محمد على بن سليمان الوزير الذى حضر من اليمن فى هدم قبور المعلاة وبنى مقبرة خاصة ذات جدر أربع وقسمها تقسيم الشطرنج وجعلها ذات بابين وهتك بذلك حرمة الأموات . وفى هذا يقول الشاعر :

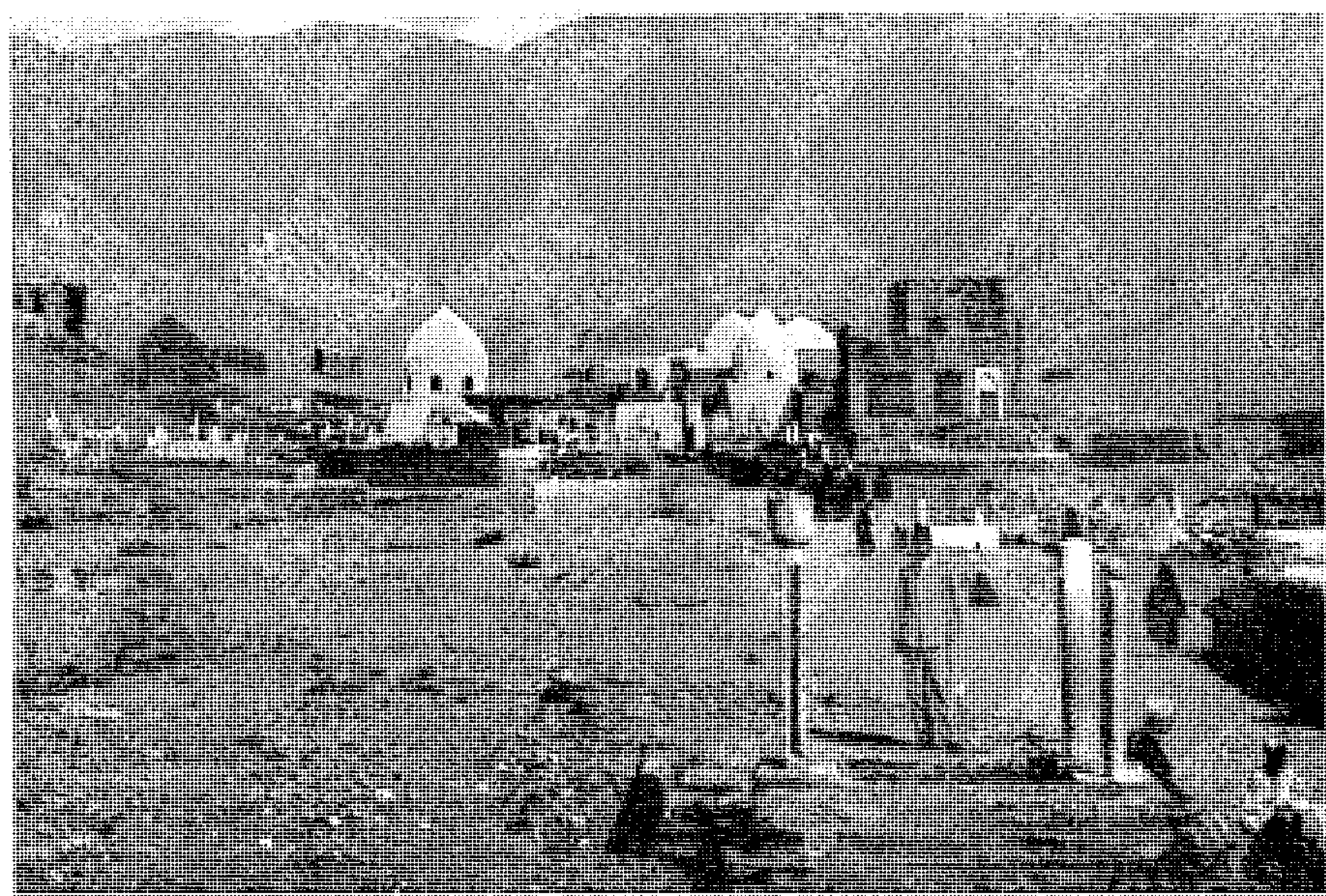
تكفل آبن سليمان أذية من ❊ قد وحد الله ممن حل فى الحرم
لحين عم الأذى الأحياء منه غدا ❊ مفتشا لأولى التوحيد فى الرمم
طريقة من شقاء ما تناقلها ❊ أهل التواريخ من عرب ومن عجم

وكان محمد هذا ممن أولع بتنظيم مكة ومناسك الحج .



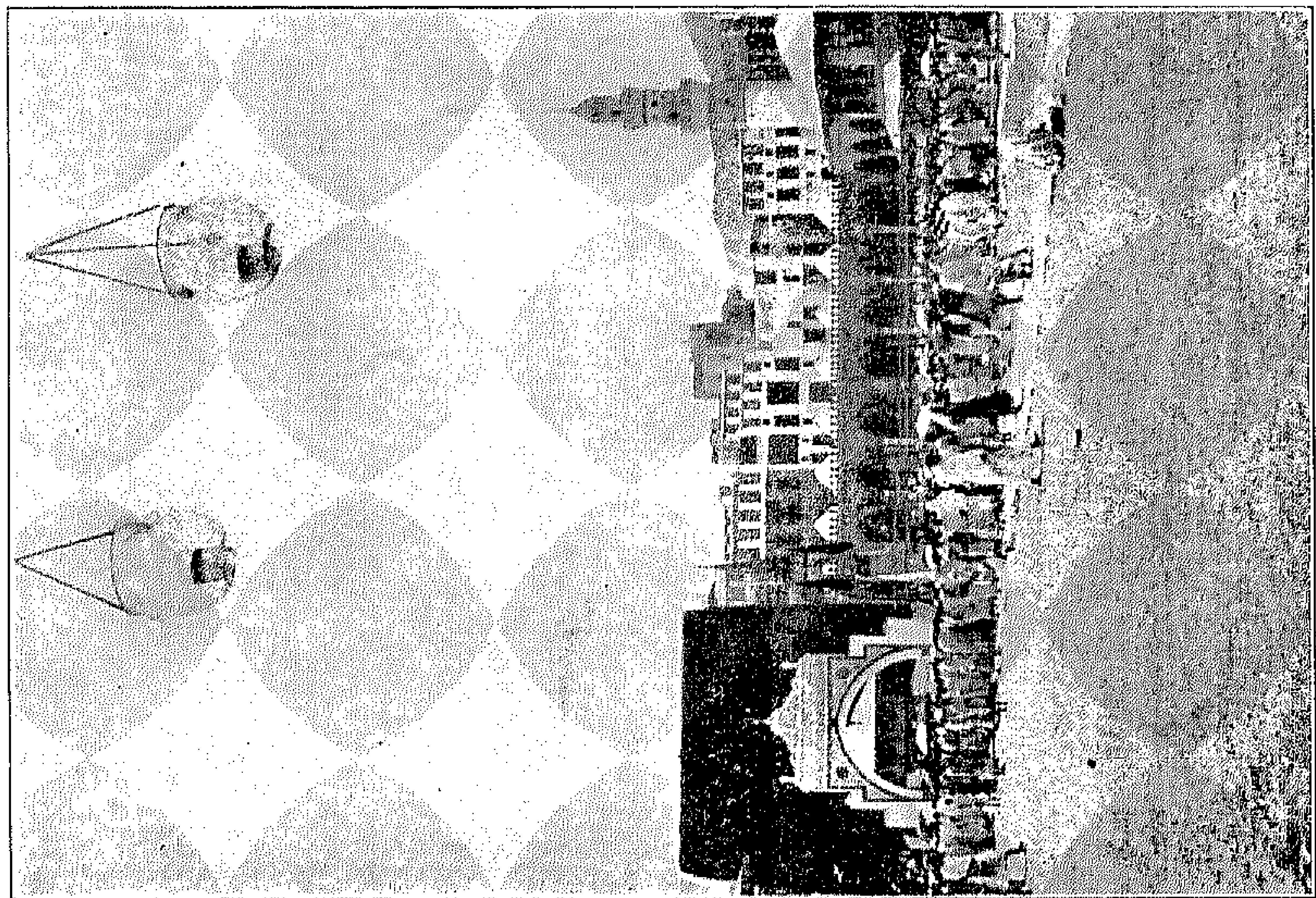
30. A view of the Tomb El Maalla in Mecca.

المعلى وقباب السيدة خديجة الكبرى والسيدة آمنة وأجداد النبي عبد المطلب وعبد مناف

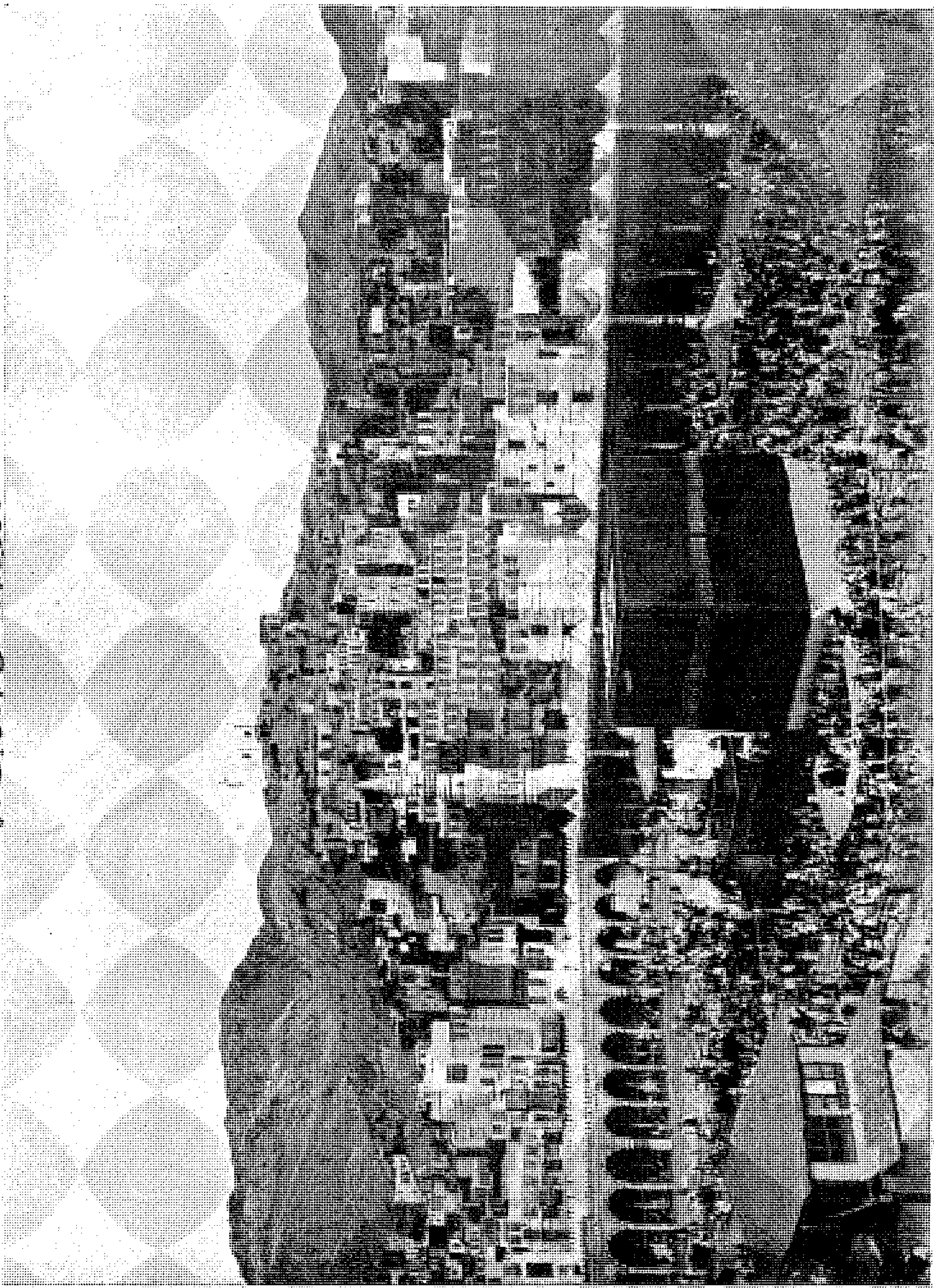


31. The Maalla showing the domes of El Sayyida Khadijah, El Sayyida Amnah, and the ancestors of the Prophet, Abdel-Mottalib and Abd Manaf.

اجتماع الحجاج لسماع الخطبة يوم التروية



32. The meeting of the Pilgrims to attend the speech of the day of El-Tarweya



33. The Kaaba in the Mecca Mosque.

عن قائمين يعلوهما عقد مستدير أتقن صنعه، وعرضه أربعة أمتار. أنظر (الرسم ٣٢) الذى أخذت صورته فى يوم التروية ثامن ذى الحجة سنة ١٣٢٥، وقد اجتمع الحجاج بالمسجد الحرام لسماع خطبة المناسك. ثم وقفنا متجهين الى ناحية الكعبة الجنوبية التى فى ركنها الشرقى الحجر الأسود وفى طرفها الغربى الركن اليمانى، وبدأنا من عند الحَجَر بطواف القدوم (طواف التحية) بعد أن قبله من قدر ولمسه من لم يقدر وأشار اليه من لم يتمكن من أحدهما، وقال الجميع: بسم الله والله أكبر، وقد جعلنا البيت عن يسارنا فى الطواف حوله، وكان طوافنا من وراء الحِجر (الحطيم) وكان سبعة أشواط رملنا (أسرعنا) فى الثلاثة الأولى منها وسرنا فى الباقى سيرنا المعتاد اقتداء بالنبىّ صلى الله عليه وسلم، اذ روى أبو داود والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما. قال: قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكةَ فى عُمرة القَضيَّة فقال المشركون: إنه يَقْدَم عليكم قوم قد أوهنتهم — أضعفتهم — حمى يثرب — المدينة — ولقوا فيها شرا فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فأمر أصحابه أن يرمُلوا الأشواط الثلاثة الأول، ولم يمنعه أن يلزمهم أن يرمُلوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم، فلما رأوهم قالوا: هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى قد أنهكتهم، هؤلاء أجلد منا وكذلك فعل هو وأصحابه فى حجة الوداع فكان ذلك سنة، وترى فى (الرسم ٣٣) الحجاج وهم يطوفون حول الكعبة وقد لبست كسوتها السوداء وأتزرت بإزارها الأبيض والواجهتان الظاهرتان بالرسم من الكعبة الواجهة الشمالية التى فى أعلاها ميزاب الرحمة الأبيض وأمامها حِجر اسماعيل على شكل نصف دائرة، والواجهة الغربية وترى على يمين الكعبة فى الرسم مصلى إمام المالكية، ومصلى إمام الحنبلية على شكل مظلة قائمة على أربعة أعمدة وعلى يسارها مقام ابراهيم من خلفه باب بنى شيبة، والجزء الأبيض الذى بين المقام وزمزم جزء من بناء زمزم الذى يصلى عليه إمام الشافعية، والمظلة ذات الطبقتين التى على اليسار مصلى إمام الحنفية وترى فى الرسم أعمدة المطاف على شكل دائرة كما ترى أعمدة الأروقة بعقودها وقبابها وكذلك به بيوت الأشراف الفخمة، والجبل

الذى على اليسار جبل الخندمة والذى على اليمين جبل أبى قبيس فوقه مسجد إبراهيم القبيسى . وبعد الطواف أتينا الملتزم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود فى الجهة الشرقية ووضعنا عليه صدورنا وتعلقنا بأستار الكعبة وابتهلنا الى الله أن يعافينا فى ديننا ودنيانا وقلنا ماخطر بنفوسنا من الرغبات الصالحة والأمانى المشروعة ثم ركعنا ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام عملا بقوله تعالى ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ثم أتينا زمزم فى الجنوب الغربى لباب بنى شيبة بداخل المسجد وشربنا منها وتضلعنا ، ثم خرجنا من المسجد من باب الصفا فى الجنوب وقصدنا الصفا وهو مكان مرتفع نحو مترين طوله ٦ أمتار فى عرض ٣ وصعدنا اليه بدرج منتظم وهناك استقبلنا البيت وهللنا وكبرنا ودعونا ثم نزلنا منه الى شارع السعى شرقى المسجد فسرنا فيه نحو ٧٠ مترا واذا بالميلين الأخضرين (العلمين) أحدهما على اليمين بحائط بيت وثانيهما على الشمال بجوار باب المسجد الحرام المسمى (باب بازان) ومنهما هرولنا واضعين أيدينا على صدورنا الى الجانبين الى أن قطعنا ٧٥ مترا واذا بالميلين الآخرين أحدهما فى الميمنة فى حائط والآخر فى الميسرة بحذائه أمام باب المسجد الحرام المسمى بباب على ، ومن هذين العلمين مشينا مشينا المعتاد ٢٤٠ مترا فوصلنا الى المروة وهى أشبه بالصفا (سيأتى الكلام مفصلا على الصفا والمروة) وقد صعدنا اليها وهللنا وكبرنا فكان ذلك شوطا ثم نزلنا من المروة الى الصفا وفعلنا فى الثانية ما فعلنا فى الأولى فكان ذلك شوطا آخر وهكذا أتممنا سبعة أشواط (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما ومن تطوّع خيرا فإن الله شاكر عليم) ويلاحظ أن النساء لا تهرول فى السعى ولا ترمل فى الطواف ولا ترفع الصوت بالتلبية خشية الفتنة وبعد السعى تحلل المعتمر منا بالحلق أو التقصير وحل له كل شىء . وفى يوم التروية (ثامن ذى الحجة) يحرم بالحج ، أما المحرم بالحج فقط أو به مع العمرة فانه لا يتحلل بل يستمر فى إحرامه حتى يأتى بأعمال الحج من وقوف ورمى وحلق وطواف الخ ، ويتحلل بعدئذ التحلل كله .

ولا بأس من أن نذكر لك فى هذا الموطن ما يصدر من العربان ونسائهم وقت الطواف فان فيه تفكهة : إحرام العربان عبارة عن كشف أذرعهم ورءوسهم، وباقى جسدهم مستور وشعرهم منثور غير منتظم وأكثرهم طويل الشعر مضفوره أشبه بشعور النساء عندنا، أما نساؤهم فمحتجبات لا يكاد يبدو منهن شىء والرجل يقول فى طوافه : يارب البيت اشهد أنى جيت لا تقول ما جيت اغفر لى ولوالدى وإلا تغفرلى غصبا تغفرلى ترانى حجيت يقول ذلك بصوت جهورى مزعج ويسرع فى مشيه فى الطواف والسعى ويأخذ الرجل بيد زوجه أو أخته أو أمه ويسرع بها فى السير وعند ما يصل بها الى الحجر الأسود يرفعها ويضع رأسها فى تجويف الحجر واذ ذاك تمسح وجهها وشعرها ويقول لها (حجى يامره حجى) وتقبيل الحجر عندهم فريضة لازبة لا يتركونه ولو ماتوا دونه ومن كثرة زحام هؤلاء العربان على الحجر وإدخالهم الرءوس فى تجويفه حصل به خدش أصلح فيما بعد، ومات أحد الحجاج أثناء الطواف من شدّة الزحام، ومما سمعته محاورة بين اثنتين من نساء العربان قالت إحداهما للكعبة : (ياست ليلة [لعل تسميتها ليلة لأنها سوداء وكسوتها سوداء] إن كان جاتنا المطر فى ديارنا وجانا الخير أجيب لك عكية سمن (قربة صغيرة) تدهنى بها شوشتك، لأن العربان يزعمون أن الكعبة امرأة تدهن رأسها — فقالت الثانية : حقيقة تجيبي لها فقالت لها : آسكتى أنا عمال أكذب عليها اذا جاتنا المطر ما أجيب) فانظر كيف بلغ أدب العربان فى خطاب الرب حدّا سيئا وكيف بلغت من نفوسهم الاعتقادات الفاسدة. ما ذلك إلا من فرط جهلهم بالدين فهل لأولئك من مرشدين .

وفى يوم السبت ٢ ذى الحجة (٢٣ مارس) قدم من جدّة الى مكة ١٥٠٠ حاج سائرين على الأقدام بعد أن تركوا جميع أمتعتهم بجدّة وانما قدموا رجّالة لقلة الجمال وكثرة الحجاج فخافوا إن انتظروا أن تفوتهم الفريضة فأسرعوا بالحضور .

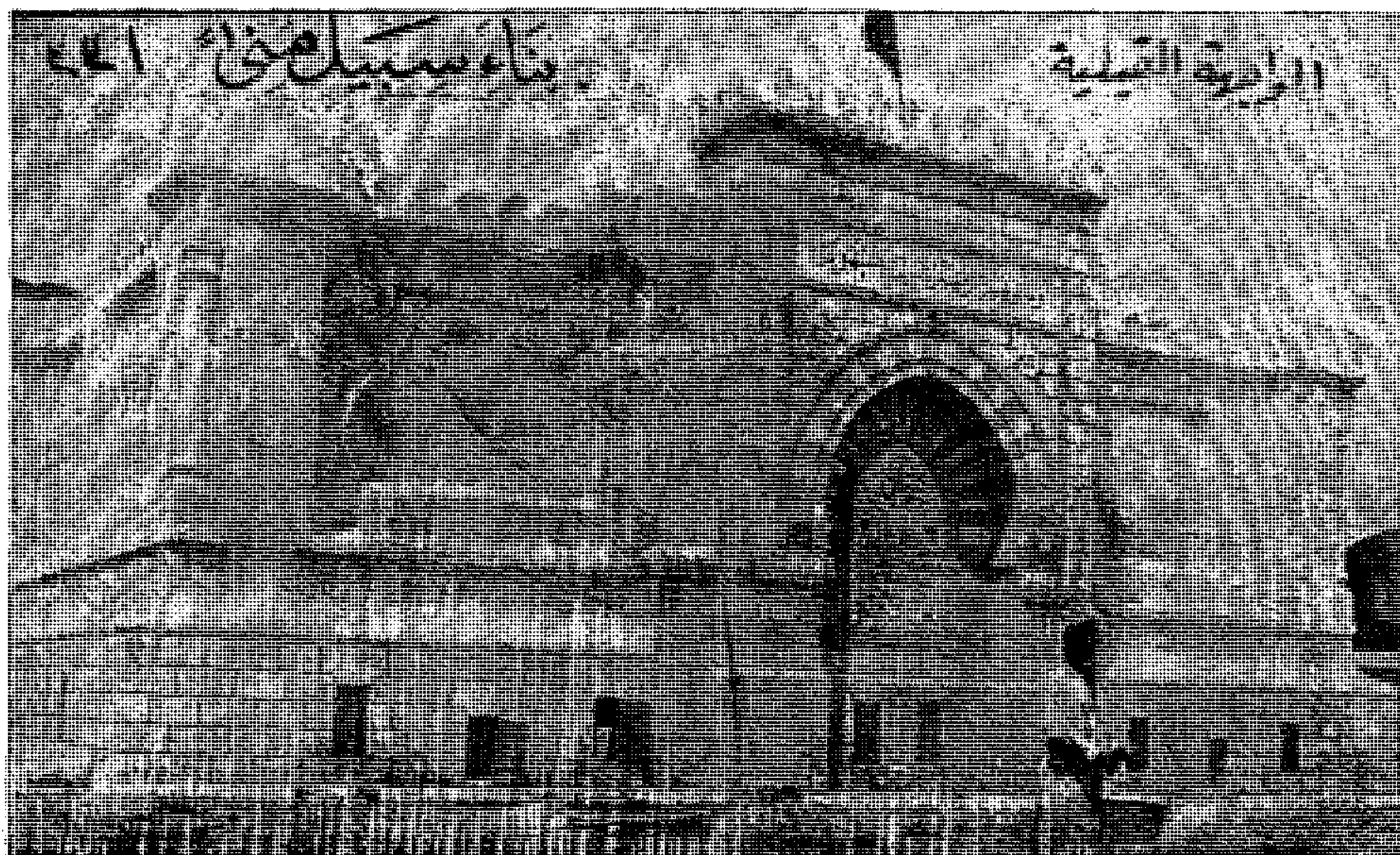
التزاور بمكة

زيارة أمير الحج وأمين الصرة لصاحبي الدولة شريف مكة وواليها

فى اليوم الذى وصلنا فيه إلى مكة (٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٨) بعد أن زرنا البيت الحرام وطفنا وسعينا وتحللنا زار أمير الحج وأمين الصرة دولة الشريف بعد الاستئذان منه وساعة اللقاء لثما يده وسلم له الأمير مكتوبين أحدهما من المعية السنية والآخر من نظارة الداخلية وكلاهما يتضمن التحية والتماس مساعدة أمير الحج على أداء عمله والقيام براحة الحجيج وقد قدّم الشريف لهما القهوة والشاى ومكثا بمجلسه فترة طويلة كانا فيها موضع تجلته ثم انصرفا شاكرين، ولم أتمكن من التوجه معهما اذ شغلنى تنظيم المعسكر وإعداد ما يلزم لرجال المحمل وشراء العلف للدواب، وفى اليوم التالى زرته مع الضباط وقد وقف لنا ساعة دنونا منه وقبلنا يده وأذن لنا بالجلوس وبلغته سلام الجناب العالى الخديو فشكر له ودعا وأظهر شوقه لرؤيته فنبأته بأن سموّه تواق إلى الحج ، فقال : متى تمت السكة الحديدية توافرت سبل الراحة ، ولبثنا فى حضرته زهاء ساعة ونصف كنا فيها موضع رعايته ، وقدّم لنا فى خلالها الشاى والقهوة ثم خرجنا شاكرين .

وفى اليوم نفسه زار الأمير والأمين وأنا ثالثهم دولة الوالى بمقر الحكومة المسمى « الحميدية » فقابلنا بالبشر والترحاب وسلم الأمير اليه كتابا من نظارة الداخلية توصية بركب المحمل فبعد تلاوته سأل عن حال العساكر والحجاج وعرّفنا بأنه مستعد لعمل كل شيء يوفر على الحجاج راحتهم وطمأنينتهم فدعونا لدولته وشكرنا وبعد تناول القهوة رجعنا شاكرين .

زيارات مختلفة — فى الفترة التى أقمناها بمكة زرت رئيس الجند العثمانى (القومندان) ولديه رتبة لواء كما زرت وكيل الوالى ويسمى « المحاسبجى » وسعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للإشارات البرقية الحجازية وكذلك زرت الشريف



صحيفة ٣٧



حقوق الطبع والنسخ محفوظة باسم مؤلفه اللواء ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري في محرم سنة ١٣٢٦

331. Fountain (Sibil) of drinking water at Mena for Pilgrims in the year 1340 H., East and South sides.

على[1] باشا وكيل الأشغال لأمير مكة والشيخ الشيبى (من بنى شيبة) السيد محمد صالح أمين مفتاح الكعبة ، وممن زرتهم ناصر باشا ابن الشريف عبد المطلب أمير مكة سابقا وقد طلب الىّ أن أرفع الى الأعتاب الخديوية ما يأتى :

(أولا) يود أن تكون مرتبات الأشراف التى تصرف اليهم من المالية والأوقاف بحساب الريال المصرى لا المجازى (أبو طاقه) الذى قيمته عشرة قروش وقتئذ .

(ثانيا) انتقد ما عمله بعض نظار (التكية) المصرية من تحويل نوافذها الى أبواب لحوانيت اقتضبت من التكية ويرى أن ذلك غير مناسب للطعم .

(ثالثا) انه قد صدر الأمر الكريم بإنفاق ۸۰۰۰ جنيه مصرى لتشييد مخزن كبير فى منًى يملأ بالماء لشرب الحاجين وأبناء السبيل فيرجو انجاز هذا الأمر الجليل الذى يعدّ أثرا خالدا لسمو الخديو يستحق به عظيم المثوبة من الله لأن بعد الماء رفع قيمته حتى إن القربة التى تسع قدما مكعبة من الماء يبلغ ثمنها ٣٫٥ قروش بل فى هذا العام كان ثمنها ٥ قروش وإنى أعضده فى فكرته هذه فان ذلك عظيم النفع للحجاج خصوصا الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون وتضطرهم الفاقة الى جلب المياه من الأماكن النازحة سيرا على أقدامهم ، بل وفرة الماء تقطع دابر الأشرار من الأعراب الذين يتربصون من يبتعد عن منًى لإحضار المياه فيسلبونه ماله ولا نغيث فان المياه تبعد عنها بأكثر من ثلاثة أميال أضف الى ذلك أن كثرة المياه تساعد على نظافة البدن والملبس وذلك أحفظ للصحة وأرعى لها فإنجاز هذا المشروع يعود بالخير العميم على الناس وعلى من يقوم به .

وقد كانت سموّ الخديو فى هذا الاقتراح فقال : لا مانع على أن يتولى الانفاق على المشروع موظف مصرى ، ولما عرضت ذلك على الشريف عون فى حجتى الثانية وافق على المشروع ولكن اشترط أن يتولى هو الانفاق ، فكان شرطه هذا داعيا لوقف المشروع الى أن نفذ فى السنين الأخيرة — فى عهد مليكنا فؤاد الأول .

(۱) يقيم الآن فى مصر بمحطة سراى القبة .

وممن زرتهم محسن بك وعبد الله بك ولدا المرحوم الشريف محمد باشا ابن الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقا وهما شابان لا يتجاوز عمرهما الثامنة عشرة لم يتعلما إلا المبادئ الأولية لإهمال التعليم بمكة وقلة المدارس بها وذلك ما يرغب فيه الشريف عون الرفيق باشا لأنه يرى فى العلم تنويرا للأفكار ومطالبة بالحقوق وضربا على أيدى الظالمين وجهادا للتخلص من المستبدين وهو عليم بنفسه خبير بسيرته ، وترى فى (الرسم ٣٤) الأخوين بلباسهما العربى وفى (الرسم ٣٥) بلباسهما المكىّ خلفهما محمد بن سعيد الزمزمى وفى (الرسم ٣٦) بلباس مختلف والواقفون وراءهما ابراهيم بك مصطفى المعمم ناظر دار العلوم سابقا فأنا فأحمد بك زكى أمين الصرة فى سنة ١٣٢١

وقد زرت كثيرا غير هؤلاء من الأشراف والسّراة وكانوا يقابلوننا أجمل مقابلة ويردون الزيارة الينا فى المعسكر، فكنت أكرمهم غاية الإكرام وكان ضباط الحرس يعطفون عليهم ويتحدّثون معهم وكانوا ولعين بسماع الآلات المطربة فكنت استحضر لهم الموسيقى والمزمار البلدى فيتناوبان الألحان مما يزيد فى ابتهاجهم وانشراح صدرهم ، وكانت الموسيقى تعزف كل يوم من بعد صلاة العصر حتى تتوارى الشمس بالحجاب وكان الناس يجتمعون على السماع ترويضا للأفكار وتهذيبا للنفوس فكان لنا الدين والدنيا جميعا .

زيارة أمير مكة وواليها وقائد جندها للمحمل — فى الساعة الثانية العربية نهارا من يوم ٧ ذى الحجة سنة ١٣١٨ زار صاحب الدولة الشريف عون الرفيق باشا أمير مكة معسكر المحمل فى موكب حافل وكان راكبا عربة يجرها جوادان وكان على يساره وكيله الشريف على باشا وكان أمام العربة ٥٠ فارسا ، و ١٥٠ هجانا و ٢٥٠ راجلا و١٢ موسيقيا وزمارا وكلهم من أهالى مكة إلا القليل — سودانيين — وكانوا بلباس عادى يحملون أسلحة من الطرز القديم وكان خلف العربة حوالى ١٥ جوادا يقودها سواسها وكان عليها السروج المذهبة المسبل عليها القطيفة المزركشة بالقصب — منظر يسرّ الناظرين — (انظر الرسم ٢٦٧) أما نحن فلدى قرب مجيئه اصطفت عساكرنا

عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف على





34 & 35. Photos of Abdulla Pacha and Mohsin Pacha the sons of El Sherrif Aly Pacha's brother.

عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف علي



محمد علي سعودي بمصر

36. The photo of Abdulla Pacha and Mohsen Pacha.

جنائب أمير مكة أي الركائب بالشيخ محمود



267. A view of the Horses of Amir Mecca in Sheikh Mahmoud.

الشريف عون الرفيق باشا وجليسه



37. A photo of El Sheriff Own El Rafik Pacha and his companion

صفين متقابلين الموسيقيون أوّلا فالفرسان فالمشاة، واتخذ رجال المدفعية مكانا مناسبا لإطلاق المدافع ووقف أمير الحج والأمين وموظفوا المحمل فى ميمنة العسكر وعند وصول الشريف تقدم اليه الأمير والأمين وقبلا يده وطرف السترة (الأتك) وتبعاه راكبا عربته يسير الهوينا بين الصفين متأملا زى العساكر معجبا بشهامتهم وثباتهم مسلما عليهم بالإشارة، وعند سرادق الأمير نزل من العربة وجلس على أريكة فى صدر السرادق وساعتئذ قدّم له الأمير موظفى المحمل فلثموا يده ثم أمرهم بالجلوس وبعد زمن يسير قلت للعسكر «صفا» أى راحة، وتوجهت بالضباط الى السرادق حيث قبلنا يد الأمير و «أتكه» كمن سبقنا، وبعد تناول الشاى والقهوة همّ بالعودة فرجعت بالضباط حيث كانوا أوّلا وساعة مروره حيى التحية العسكرية وصدحت الموسيقى بسلام جلالة السلطان وأطلق المدفعية ٢١ مدفعا كما حصل مثل ذلك عند القدوم، وقد أعجب الأمير بكل ما رأى خصوصا زى الضباط والعسكر وكان يرتدى ملابسه العادية العمامة والقَباء (القفطان) الأبيض والفرجية ذات اللون الرملى، ومما حادث به أمير الحج أنه سأله عن عمر كسوة المحمل القصبية إذ رآها غير زاهية فأجابه بأنها صنعت فى عهد الخديو السابق توفيق باشا (انظر الشريف فى الرسم ٣٧) الذى أخذته فى بيت الشريف بعد المغرب وترى بجانبه جليسه الذى يعرف بالبقّ وللشريف كبير ثقة به وحسن اعتقاد فيه جعله يؤثره بالهدايا النفيسة التى كانت ترد اليه فابتنى منها البيوت الفاخرة المشابهة لبيوت مصر وقد بلغنى أن سبب ذلك الإكبار أنه جاء الى الشريف وقد جلس تحت سقيفة فأشار اليه بالانصراف وقال له «جم جم» فلم يكد يبرح السقيفة حتى سقط عرشها، ومما آثره به من الهدايا فى سنة ١٣٢٠ سيف مذهب وسكينة مذهبة أهداهما الى الشريف سلطان زنجبار .

وفى الساعة الثالثة من اليوم نفسه أقبل دولة الوالى المشير أحمد راتب باشا لزيارة الأمير وركبه وكان يركب عربة كعربة الشريف وكان عن يساره فيها سعادة اللواء صادق باشا مدير الاشارات البرقية الحجازية ويتقدّم العربة حوالى ٥٠ فارسا تركيا

من غير النظاميين وكان منهم ستة يحملون على أكتافهم العصى الفضية الطويلة ، ودولة الوالى كان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى البحرية وهى عبارة عن (بنطلون) أبيض طويل فوقه معطف طويل أسود عليه سمة مشير بحرى و بصدر المعطف خيوط غليظة مثبتة به من طرفيها (كردون) وفوق ذلك جبة سوداء طويلة تمتد الى ماتحت الركب ومزركشة بالخيوط القصبية على طوقها وكميها ومن أمامها وخلفها وجانبيها وذيلها وهى خاصة بمن يشغل منصب الولاية على مكة وكان من فوق الجبة الوسام (النيشان) المجيدى من الدرجة الأولى ، وقد استقبلنا الوالى بمثل ما استقبلنا به الشريف غير أن الوالى نزل من عربته حينما وصل الى أوّل المعسكر ومر بين الصفين وكلما حاذى ضابطا صافحه وكان شديد التأمل فى الضباط والعساكر مسرورا من زيهم معجبا بجميل نظامهم وكان ذلك باديا على محياه ولا سيما عند ما أدّيت له التحية العسكرية بقوّة وشهامة ، وقبل أن يبرح دولته سرادق الأمير قام الشيخ محمد السنباطى (موزع الكساوى على العربان والقائم بالأدعية وقت تسليم الخديو المحمل الى أمير الحج الخ) وتلا خطبة امتدح فيها الوالى ودعا لجلالة السلطان فكافأه على ذلك بخمسة جنيهات كما كافأ الموسيقيين والزمارين بثلاثة أخرى وتلك له عادة سنوية (أنظر الرسمين ٣٨ و ٣٩) . هذا وقد كانت زيارة الشريف والوالى لمحملنا بعد عودتهما من زيارة المحمل الشامى فى اليوم التالى لوصوله .

غسل الكعبة

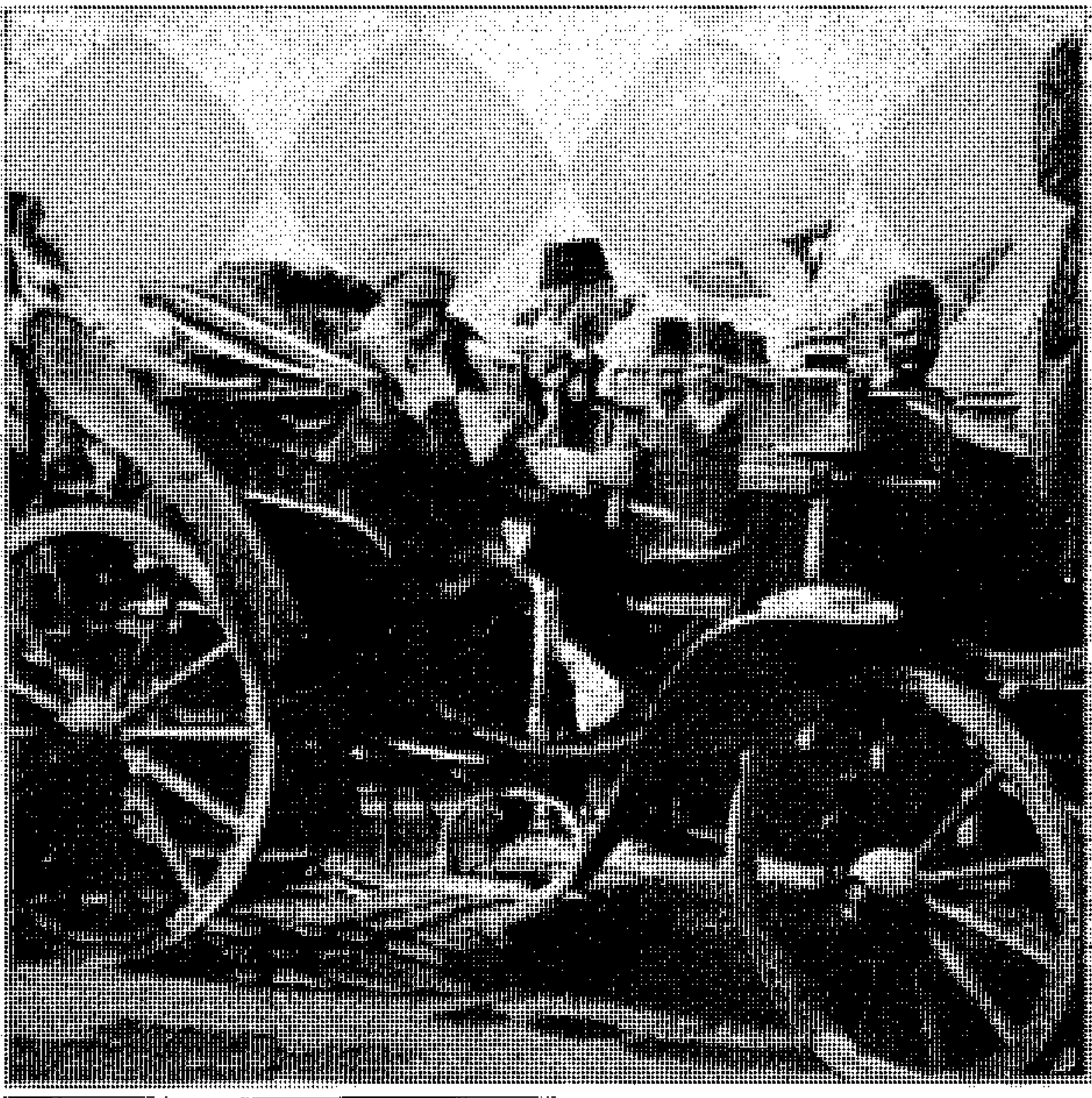
فى يوم الاثنين ٥ ذى الحجة دعيت مع أمير الحج وأمين الصرة و بعض الموظفين لغسل الكعبة حسب المعتاد سنويا فلبينا الدعوة وذهبنا الى المسجد الحرام وفى الساعة الأولى العربية حضر دولة الوالى وأمين الدفاتر (الدفتردار) واللواء (قومندان) الجند المكى و بعض العظماء من الحجاج ودخلنا الكعبة وصلينا فى كل من جهاتها الأربع ركعتين ودعونا الله بما أحببنا ودعوت للخديو كما دعا له الأمير والأمين ثم أخذنا جميعا فى غسل أرض الكعبة من الداخل بماء زمزم وكان ذلك بمقشات



38. A photo of the Wali of El Hejaz shaking hands with the officers of the Mahmal on meeting officially.

الشريف والــــــوالى فى العربه بالشيخ محمود

أمير مكة والوالى فى الشيخ محمود سنة ١٣٢١



محمد على سعودى بمصر

39. The Sherif and the Wali in carriage at a place called Sheikh Mahmoud

صغيرة صنعت من خوص النخيل ثم وزعت علينا خرق بيضاء مبللة بماء الورد والروائح العطرية وأخذنا نمسح بها جدر الكعبة ، وقد اشتد الزحام أمام بابها لأخذ مياه الغسل للتبرك بها ، والمطوفون يأخذونها فى دلاء و يضعونها فى قوار ير يهادون بها أتباعهم من الحجاج وكذلك يتخاطف الناس مقشات الغسل بل يتضار بون عليها وعلى الماء ، ولدى نزولى عن الكعبة وضعت ما معى من المقشات فى منشفة كبيرة (بشكير) استحضرتها معى لغسل الكعبة بها ولأحفظها بعد تبركا ، وقد زاحمنى الحجاج وعصر بعضهم المنشفة لعله يجد بها قطرة ماء ومنهم من مسح بها وجهه ومنهم من مسها ومسح على عينه وجسمه .

هذا والكعبة تفتح فى موسم الحج لمن يريد الزيارة بعد أن يدفع ريالا (برم) قيمته عشرة قروش مصرية لمن يتولى فتح الباب من قبل السيد محمد صالح الشيبى أمين المفتاح واذا كان الزائر غنيا أخذوا منه بضعة جنيهات ، و بعض الناس ينتهز فرصة غسل الكعبة ويدخل مع الغاسلين . وتفتح الكعبة للزائرين فى ١٠ المحرم للرجال وفى ليلة ١١ منه للنساء ، وتفتح فى ليلة ١٢ ربيع الأوّل للدعاء للسلطان ولا يدخلها الزوّار ولكن يدخلها الرجال فى صبيحة تلك الليلة ، وفى ليلة ١٣ منه للنساء ، وتفتح فى يوم ٢٠ ربيع الأوّل لغسلها ، وفى أوّل جمعة من رجب للرجال وفى اليوم التالى للنساء وفى ليلة ٢٧ رجب تفتح للدعاء للسلطان وفى صباحها يزور الرجال وفى المساء يزور النساء ، وتفتح فى ليلة نصف شعبان للدعاء وفى صباحها للرجال وفى مسائها للنساء وتفتح يوم الجمعة الأولى من رمضان للرجال وفى تاليه للنساء وفى ليلة ١٧ منه للدعاء للسلطان وآخر جمعة كذلك ، وتفتح فى نصف ذى القعدة للرجال وفى تاليه للنساء وفى ٢٠ منه لغسلها وتفتح على سبيل الخصوصية لبعض الأعيان .

وفى يوم ٢٨ ذى القعدة تحرم الكعبة أى يوضع لها إزار أبيض أسفل الكسوة .

الى عرفات ومنى

قد ورد لنا كتاب من دولة الوالى بأن قاضى مكة أثبت هلال ذى الحجة ليلة الخميس وعليه يكون الوقوف بعرفة فى يوم الجمعة تاسع ذى الحجة وترى فى (الرسم ٤٠) مثيله فى سنة ١٣٢٥.

ولما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة تحرك لتمام الساعة الحادية عشرة العربية ركب المحمل من معسكره بمكة ميمما عرفة فسار من حارة الباب الى الشبيكة فالسوق الصغير فجياد — وفيه المطعم المصرى (التكية) ودار الحكومة العثمانية المسماة بالحميدية — فجزء من شارع المسعى فالقشاشية فسوق الليل فالغزة، وقد مررنا ببيت الشريف الذى شيده محمد على باشا جدّ الأسرة الخديوية وهناك وقف الركب وصدحت الموسيقى بالسلام الملكى وهتف الجميع « پاد چاهمز چوق يشا » « يعيش الملك طويلا » ثم سرنا الى الشمال ومررنا بالبياضية على اليسار وفيها بيت بحديقة للشيخ الشيبى أمين المفتاح ثم شرقنا الى منى ووصلنا الى أوّل مدرّج فى س ١١ و ق ٤٠، والمدرّج جزء من الطريق مرصوف بالحجارة يشبه درجة السلم لكن عرضه ٢٠ مترا وطوله ٥٠ وارتفاعه عشر المتر ووصلنا المدرّج الثانى بعد ربع ساعة وقد تابعنا السير حتى بلغنا منى فى س ١ و ق ٤٥، وبها استراح المحمل ربع ساعة بالقرب من المكان المعدّ لنصب سرادق الشريف بعد رجوعه من عرفة ثم سرنا فوصلنا المزدلفة فى س ٢ و ق ٣٥، ثم عرفة فى س ٤ و ق ٣٥، فنكون قد قطعنا الطريق بين المعسكر وعرفة فى ٥ س و ٣٥ ق استرحنا فيها ١٥ ق، والطريق رملى لا تغور فيه الأقدام وتكتنفه من الجانبين الجبال الشامخة التى تتباعد بمنى ومزدلفة، وفى منتصف البعد بين مزدلفة وعرفة وبالطريق كل ما يحتاج اليه الانسان من ماء وقهوة وشاى ومأكولات من لحوم وأرز وعدس مطبوخة وغير مطبوخة وسكر وحلاوة وملبس الخ . وحينما وصلنا الى عرفة نزل الركب فى محله المعدّ له سنويا وكانت الخيام والأمتعة والمؤن قد سبقتنا الى هنالك فانها أرسلت ليلا بصحبة بعض

الحجاز ولايتي
مكتوبجي قلمي
عدد
٢٠٠٠

ولاية الحجاز — قلم المكاتبات رقم ٢٠٠٠ الى جناب محافظ المحمل الشريف المصرى العالى

صاحب السعادة إن ابتداء ذى الحجة الشريف فى هذه السنة المباركة ثبت أنه يوم الأحد حسب الإعلام الوارد الينا من قاضى مكة وعلى ذلك فوقفة عرفات ستكون يوم الاثنين المبارك ولذا بادرت بإخباركم بذلك .

٧ ذى الحجة سنة ١٣٢٥ هـ . ٢٩ كانون الأول سنة ١٣٢٣ «الياور» الأكرم والى الحجاز و«قومندانه»

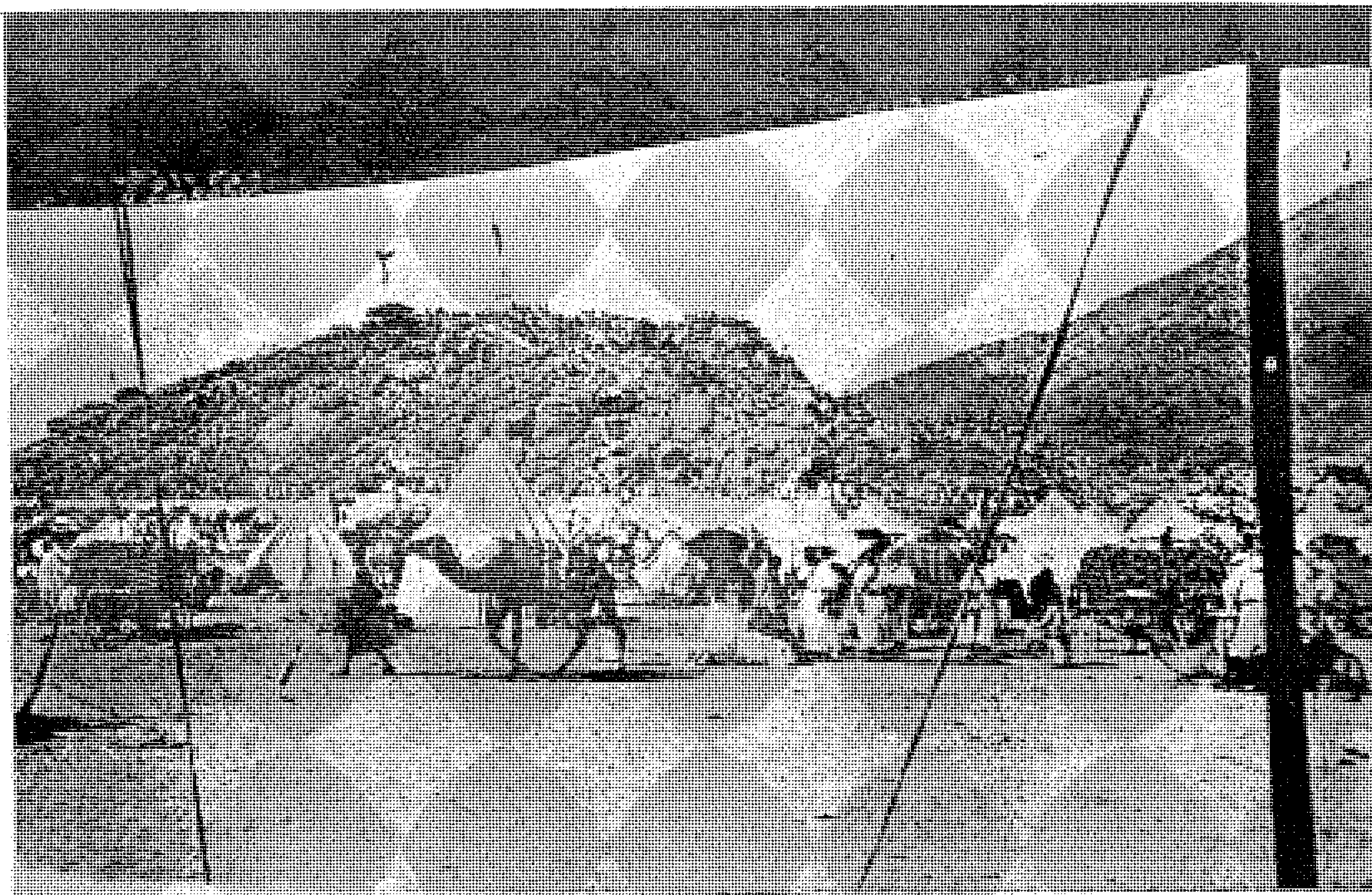
(الرسم ٤٠)

العساكر والفراشين ومعهم ضابط ، فأعدّت قبل وصولنا وبعد أن عرف كل منا محله أسرعنا جميعا الى جبل الرحمة المعروف بعرفات حيث وقفنا هنالك على سبيل الاحتياط لجواز أن يكون هذا اليوم يوم عرفة مع أنه ثامن ذى الحجة — ولا محل لهذا الاحتياط بعد التثبت فى معرفة أوّل الشهر، ونَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الشك — يرشدنا الى ترك الوقوف فى يوم توهمناه التاسع من ذى الحجة والظن بل اليقين بخلافه — وقد نزل علينا مطر خفيف أثناء الوقوف ورجعنا الى خيامنا بعد الغروب .

جبل عرفات وميدانه الفسيح — جبل عرفات على شكل قوس كبير يحيط بواد متسع يسمى «عرفة» وتبلغ مساحته نحو ميلين مربعين وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف وفى طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى الغرب يسمى «جبل الرحمة» (الرسم ٤١ وفيه ترى العلم الذى فى أعلى جبل الرحمة تحت رقم ١ وتحت رقم ٢ شجرة فوق الجبل) وهو جبل صغير بالنسبة لما حوله من الجبال ارتفاعه قريب من ٣٠ مترا وطوله ٣٠٠ متر ويصعد اليه بمدارج كبيرة على شكل سلم غير منتظم، به ٩١ درجة يختلف ارتفاع الواحدة منها من عشر المتر الى ثلاثة أعشاره ، وعلى يمين الصاعد على الجبل قريبا من منتصفه مستو طوله ١٥ مترا فى عرض ١٠ أمتار وبه مصلى ذو قبلة يسمى مسجد إبراهيم عليه السلام ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، وهذا غير صحيح فان هذا المسجد والدرج الذى وصفناه بناهما الوزير محمد بن على بن المنصور المعروف بالجواد الأصفهانى فى سنة ٥٥٩ (أنظر كتاب منائح الكرم) وفى أعلى الجبل مستو مبلط مربع ضلعه ٥٠ مترا وفى وسط المستوى مَسْطبة مربعة ضلعها ٧ أمتار وارتفاعها متر ونصف ، وعند الركن الغربى منها عمود مربع مبنى بالحجر الأصم ومجصص ارتفاعه نحو أربعة أمتار وعرض كل جانب من جوانبه الأربعة متر، وهذا العمود علم على جبل الرحمة وتعلق به مصابيح ليلة عرفة إرشادا للحاجين والسالكين ، وحول العمود حائط به محراب يصلى اليه الناس

منظر جبل عرفات

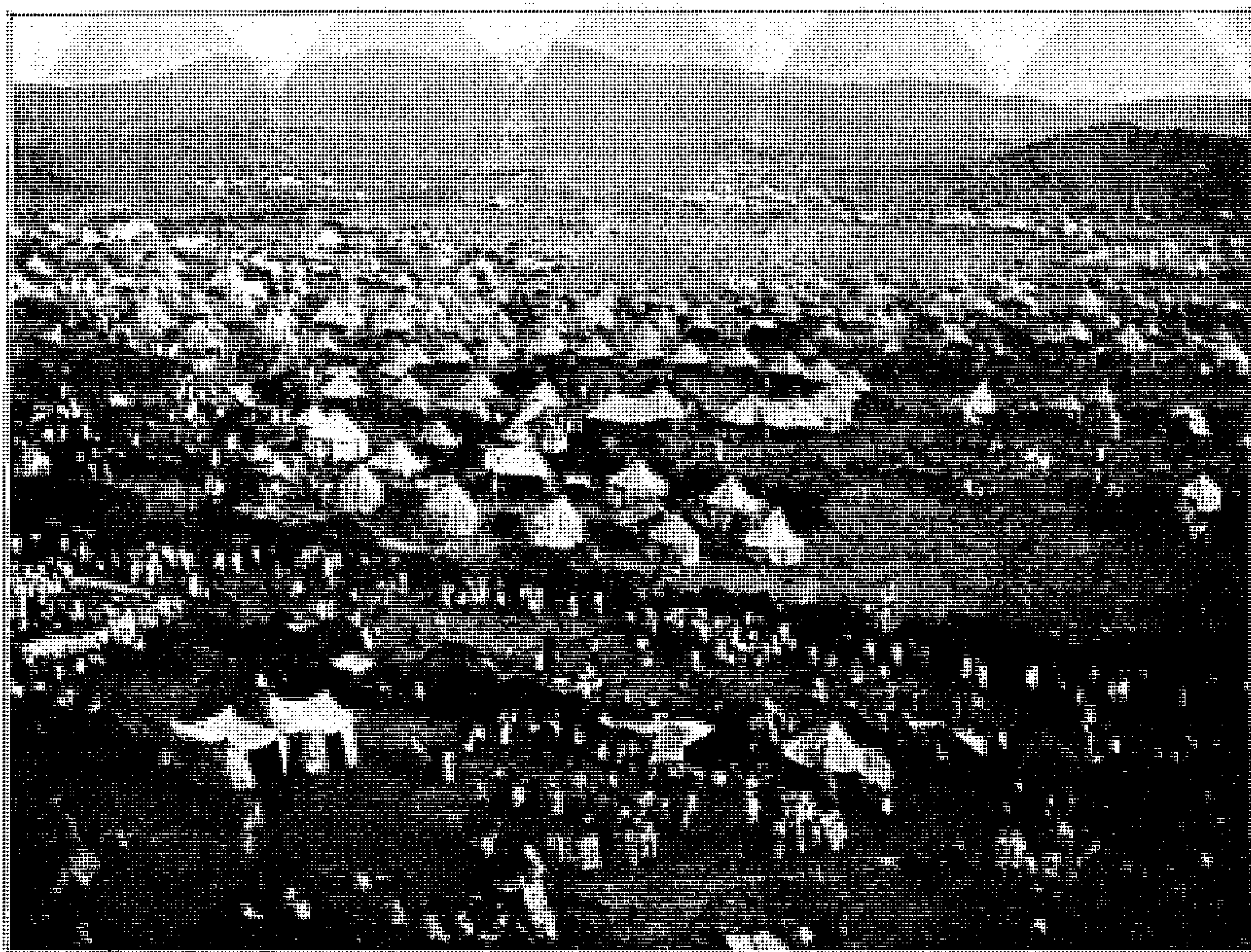
(١) منارة بها مصابيح (٢) شجرة



41. A view of Gebel Rahma, known by Gebel Arafat,

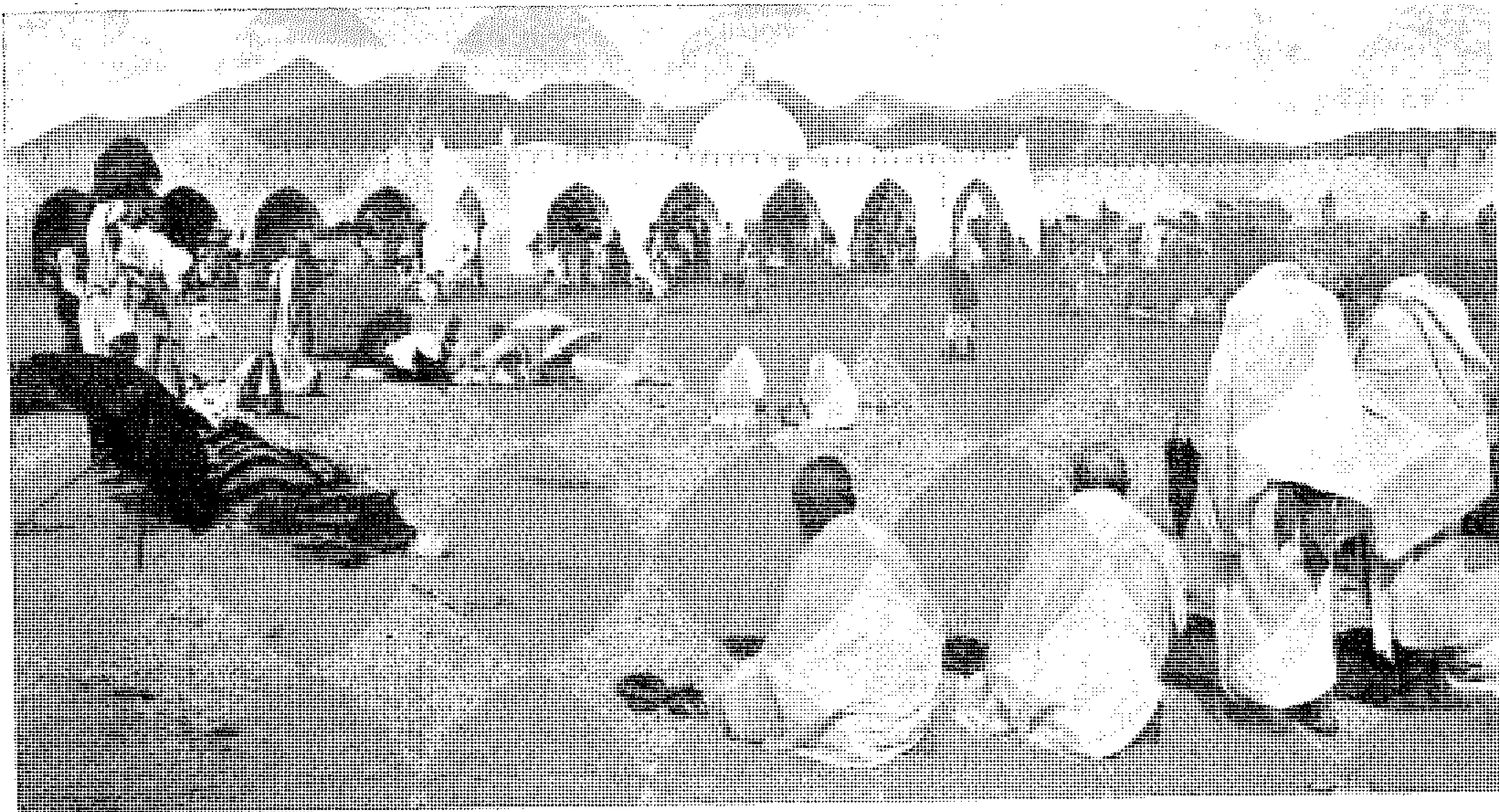
صحيفة ٤٤

معسكر الحجاج بعرفات وبه مسجد الصخرات



42. The camp of the pilgrims in Arafat, and El Sakharat Mosque in 1321.

مسجد نمرة في الحد الغربي لعرفات وقد صلى به النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم حجة الوداع سنة عشرة من الهجرة



43. Namerah Mosque where the Prophet performed the midday and the afternoon prayers together.

الحجاج بجبل عرفات يوم تسعة الحجة سنة ١٣٢١



44. A photo of the pilgrims at Arafat on 9th of El Hegga in 1321

وبأسفل الجبل مسجد صغير يسمى «مسجد الصخرات» يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ولم يثبت، وسمى بذلك لأن فى أرضه صخورا كبيرة بعضها الى جانب بعض (أنظر الرسم ٤٢) والمسجد واطئ فى جانبه الغربى، وبجوار جبل الرحمة ثمانية أحواض مبنية بناء متينا تملأ بالماء من مجرى عين زبيدة بواسطة مجار تحت الأرض وذلك فى زمن الحج فقط وترمم وتنظف كل سنة قبل أوانه، وفى جنوب الميدان على طريق الطائف جامع عتيق اسمه جامع «نَمِرَة» أو مسجد إبراهيم أو مصلى عرفة وهذا المسجد يجمع فيه الحجاج يوم عرفة بين الظهر والعصر جمع تقديم مع الامام الذى يخطب فيه قبل الصلاة خطبة يعلم الناس فيها آداب الوقوف وأنه ممتد الى الغروب (أنظر مسجد نمرة فى الرسم ٤٣) .

ويحيط بوادى عرفة من جهته الشمالية والجنوبية والغربية مجرى عين زبيدة (وسنوافيك قريبا بالكلام عليها تفصيلا وصفا وتاريخا) . وعرفة كلها موقف الا وادى عرنة .

قد نبأناك بأن ركب المحمل نزل من عرفة مكانه المعتاد وسط الوادى وقد بتنا بها ليلة التاسع من ذى الحجة، وقبل المغرب بساعة من يوم عرفة تحرك المحملان المصرى والشامى أولها يسار ثانيهما يتقدمهما أميراهما وأمين الصرة، والجند يحيطون بهما حتى وصلا الى سفح جبل الرحمة فى مكان صلب مرتفع قليلا عن سطح الأرض ووقف الخطيب على جمل بجبل الرحمة قريبا من سفحه يحيط به العساكر لمنع التزاحم عليه، ووقف بجواره مبلغان مصرى وشامى بيد كلٍّ منديل يلوّح به للحجاج كلما سكت الخطيب، وساعة يلوحان ترى الآلاف المؤلفة من الأجناس المختلفة وقد كشفت منهم الرءوس وعريت منهم الأقدام الا القليل وارتدوا ملابس الإحرام تراهم يستغيثون ومما أسلفوا يستغفرون رافعين عقيرتهم بالتلبية (لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

ألسنة مختلفة من أجناس متباينة جأرت الى الله بالدعاء فشق صوتها أجواز الفضاء، فاهت بكلمات انبعثت عن قلوب مخلصة وأفئدة طاهرة ونفوس نسيت كل شيء الا ربها إنها وأيم الله لتترك فى النفس أثرا لا يحيط به الوصف ولا تحدّده العبارة بل لا يعرفه الا من سمع وأبصر « ولا ينبئك مثل خبير » .

وما أظرف ما قاله أبو نواس فى التلبية .

إلهنا ما أعدلك * مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك * لبيك أن الحمد لك
والملك لاشريك لك * ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك * لولاك يارب هلك
لبيك أن الحمد لك * والملك لاشريك لك
والليل لما أن حلك * والسابحات فى الفلك
على مجارى المنسلك * كل نبي وملك
وكل من أهل لك * سبح أو لبى فلك
يا مخطئا ما أغفلك * عجل وبادر أجلك
اختم بخير عملك * لبيك أن الحمد لك
والملك لا شريك لك * والحمد والنعمة لك

وإنك لترى جبل الرحمة قد ملأه الحجاج حتى لم يبق به موضع لقدم، وكأنك اذا نظرته لا تنظر الا أكداسا من الناس رافعين أيديهم الى قبلة الدعاء شاخصة أبصارهم نحو السماء (أنظر الرسم ٤٤ وفيه ترى بيرق المحمل فى أعلاه كأنه رجل والوجه الكبير وجه الشيخ محمد أبى النور نجل صهرنا الشيخ طموم) وأن أغلب هؤلاء من السودانيين واليمنيين والمغاربة وأنهم ليتخذون الجبل مسكنا لهم ويؤدون به جميع أعمالهم من طهى وغيره مدّة لبثهم بعرفة . ويظنون أن الوقوف بجبل الرحمة فضيلة كبرى مع أن ذلك بدعة، فقد جاء فى كتاب منائح الكرم ما نصه . قال الشيخ تقى الدين

منظر المحملين المصري والشامي النازلين من مزدلفة الى منى يوم (١٠) الحجة سنة ١٣٢١



45. The Egyptian and Syrian Mahmals on their departure from Muzdalifa to Mina on the 10th. of Zu El-Hegga 1321.

امير الحج الشامي راكبا جواده حاملا الفرمان الشاهاني الى امير مكة بتوصيته على الحجاج



[illegible]

46. The Ameer of the Syrian Pilgrimage caravan riding his horse and carrying a Firman addressed to the Ameer of Mecca entrusting to him the care of the pilgrims

ولا نعلم فى فضل هـذا الجبل الذى يصعد اليه الناس بعرفة خبرا ثابتا ولا غير ثابت وما يخص الناس به هذا الجبل من الحرص على الوقوف عليه دون موقفه صلى الله عليه وسلم ودون مواقف عرفه قبل وقت الوقوف ، وإيقادهم عليه النيران فبدع تستلزم محظورات من اختلاط النساء بالرجال وغير ذلك ، وإنما حدث ذلك عند انقراض العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر واستيلاء الجهل على الناس وأخذهم الأمور بالقياس اهـ بلفظه فليحفظ ذلك . هكذا جاء بالكتاب المذكور تحت حوادث سنة ٥٥٩

وقد استمر الخطيب يخطب والناس وقوف حتى مغرب الشمس وإذ ذاك أشعل أحد رجال المدفعية من المحملين شهبا (صواريخ) إيذانا بالانصراف من الموقف ، فأفاض الناس مهللين ومكبرين ورحل المحملان المصرى فى ميمنة الشامى (أنظر الرسم ٤٥) والجند يسيرون صفين ومن بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم الحجاج والموسيقى والمزمار يعزفان بالألحان المشجية ، وأخذت مدافع الشريف والوالى والمحملين تتناوب طلقات البشر والسرور ، وقد سرنا نحو المزدلفة من حيث أتينا فبلغناها بعد ساعتين ووقت الوصول ضرب ٢١ مدفعا إعلاما ببلوغ القصد ونزل كل محمل فى مكانه المعتاد وجمع كل حاج ٤٩ أو ٧٠ حصاة صغيرة قدر الفولة أو البندقة ونظفها بالماء استعدادا لرمى الجمرات بمنى ، وبتنا ليلتنا بالمزدلفة اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ولنقف فى الصباح عند المشعر الحرام امتثالا لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ وقد استيقظنا حوالى الفجر وأدينا صلاته فى أول وقته وارتحل المحملان إلى موضع مسجد قديم ارتفاعه متران وبجنبه سلم وقف عليه الخطيب والتف الحجيج حوله ركبانا ومشاة وأخذ الخطيب يخطب من الساعة الحادية عشرة حتى قرب مطلع الشمس فى منتصف الساعة الثانية عشرة ، وقد كان الناس فى خلال ذلك يدعون ويلبون كلما دعا الخطيب ولبى ، وموقفنا هـذا كان بجوار « المشعر الحرام » وهو جبل بالمزدلفة يسمى بذلك لأن الجاهلية كانت تُشعر عنده.

هداياها (والإشعار ضرب الإبل فى صفحة سنامها حتى يسيل منها الدم) ووصف بالحرام لحرمة الصيد فيه لأنه من جملة أراضى الحرم التى يحرم فيها الاصطياد .

وقد ارتحل المحملان الى مِنًى قبيل طلوع الشمس فى منتصف الساعة الأولى من صباح يوم العيد الأكبر من سنة ١٣١٨ واقتفاهما الحجيج ووصلنا مِنى بعد ساعة فتوجه الناس لرمى الجمرة الأولى «جمرة العقبة» وهى بأول منى من جهة مكة على يمين القاصد لها ، وهذه الجمرة حائط مبنى بالحجر عال من وسطه وقد أخذ كل حاج يرميه بحصياته السبع واحدة بعد أخرى مع التكبير فى كل مرة ، قال المحب الطبرى : وليس للمرمى حدّ معلوم غير أن كل جمرة عليها علم وهو عمود معلق هناك فيرمى تحته وحوله ولا يبعد عنه احتياطا ، وحدّه بعض المتأخرين بثلاثة أذرع من سائر الجوانب إلا فى جمرة العقبة فليس لهـا إلا وجه واحد لأنهـا تحت جبل . وبعد رمى الجمرة المذكورة ذهبنا الى مواطننا ، ونحر الهدى(١) من كان معه هدى وحلق من حلق وقصّر من قصر والنساء قصرن ولم يحلقن .

وبعد ذلك أفاض الحجاج من منى الى مكة ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مرتدين لباس الإحرام وطافوا طواف الإفاضة وسعى من عليه سعى وحلق أو قصر ، ثم انقلبوا الى مِنى فباتوا بها ليلة الحادى عشر وبعد الزوال من صباحه رموا الجمار الثلاث كل جمرة بسبع حصيات بادئين بالجمرة الصغرى التى تلى (مسجد الخيف) من ناحية مِنى ثم بالجمرة الوسطى ثم بجمرة العقبة ، والرامى يقف عقب رمى الجمرتين الأوليين يدعو الله بمـا شاء ولا يقف عقب الأخيرة لضيق مكانها ، وقد بتنا بِمِنى ليلة الثـانى عشر ورمينا بعد ظهره الجمرات كسابقه ثم منا من سافر الى مكة قبل الغروب ومنا من بات ليلة الثالث عشر ليرمى الجمرات الثلاث فيه ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ وبذلك تمت أعمال الحج وحل للحرم كل شيء كان محرّما عليـه بالإحرام (أنظر الجمرات والحجاج يرمونها فى الرسوم ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧) .

(١) الهدى ما يهدى الى الحرم من الابل والبقر والغنم .

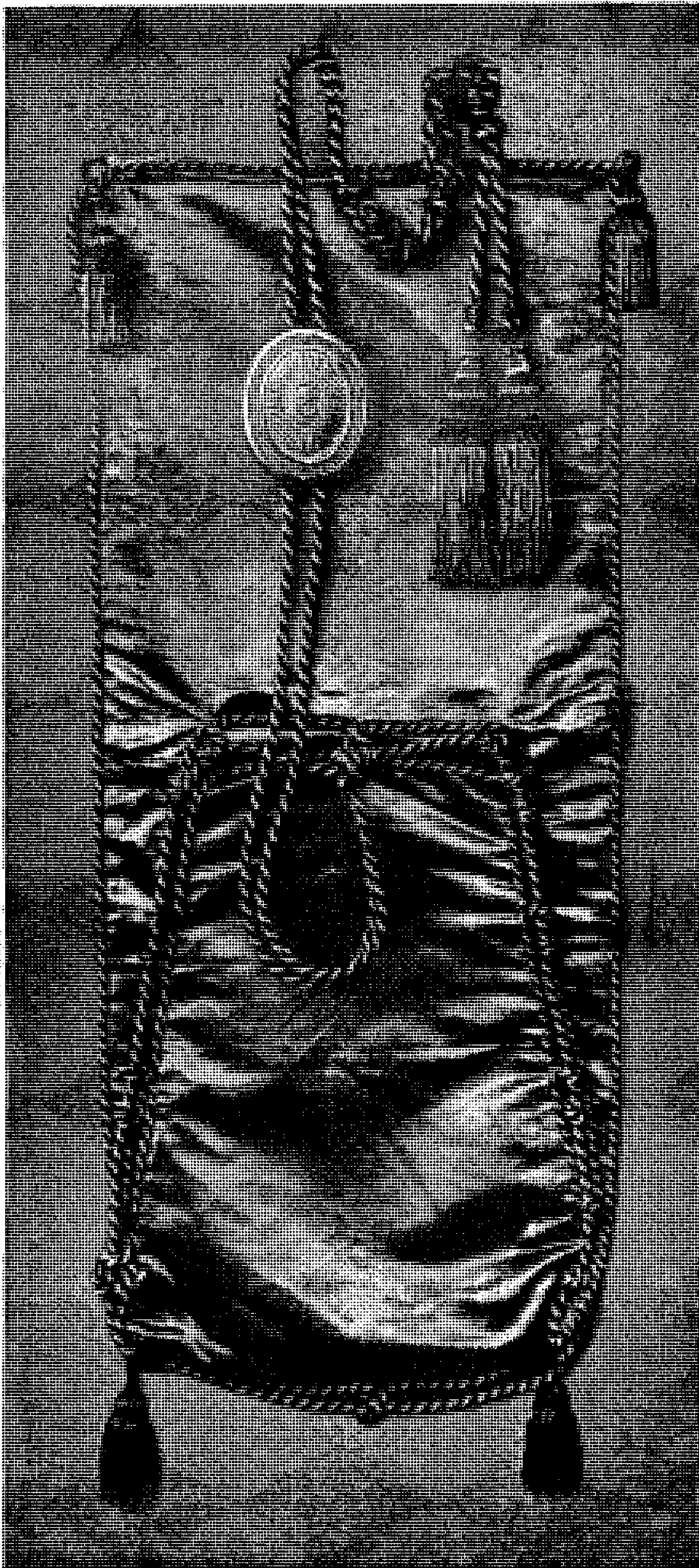
ومن فكاهات الحجاج عند رمى الجمرات أن بعضهم كان يرمى الحصيات السبع دفعة واحدة ويخاطب إبليس بلفظة «يلعن دينك» وبعضهم كان يرمى حصاة حصاة ويقول العبارة السابقة عقب كل واحدة أو يقول « فى عين دينك » وبعض الحجاج لا يكتفى بالحصيات الصغيرة بل يأتى بأحجار كبيرة ويرمى بها الجمرة (العمود القائم) بل لا يرتاح له بال إلا اذا هدم جزءا من البناء، ومنهم من يقف على البناء ويرمى ومنهم من يلصق به جسده ويرمى؛ وقد كان من الضباط الذين معنا «اليوزباشى» عبد الوهاب حبيب افندى فلما جاء وقت رمى جمرة العقبة أخذ عساكر الحرس ورجموا إبليس (الجمرة) دفعة واحدة بهيئة هجوم على عدوّ وانتقام منه .

الاحتفال بتلاوة الفرمان السلطانى

فى يوم ١١ ذى الحجة ونحن بِمِنى احتفل بتلاوة الفرمان السلطانى ودعا الشريف لذلك أميرى المحملين المصرى والشامى وأمين الصرة والضباط وكبار رجال الدولة والحجاج، وكان الاحتفال بسرادق الشريف الذى اصطفت أمامه حرس كل من الشريف والوالى بموسيقاهم وموسيق محملنا شاركتهم، وانتشرت الجموع الكثيرة من الحجاج المختلفى الأجناس حول السرادق وكان يتقدّم الحرَس على جواد حاملُ الفرمان السلطانى وآخرون يحملون خِلعا معتادا حضورها من الإستانة سنويا (الرسم ٤٦) وكان للشريف فى وسط السرادق مكان خاص وعلى يمينه : (١) فرمان فرما ابن عمّ شاه العجم وصهره؛ (٢) الشريف على باشا؛ (٣) الشريف محمد ناصر غالب باشا؛ (٤) بقية الأشراف؛ (٥) قاضى مكة والعلماء والأعيان؛ (٦) ضباط المحمل المصرى وعلى يسار الشريف : (١) المشير أحمد باشا راتب والى الحجاز وكان بحالة خضوع وخنوع لا تليق برتبة مشير؛ (٢) سلطان المكلة والشِّحْر عوض بن عمر القعيطى؛ (٣) نجله عمر بن عوض القعيطى؛ (٤) حفيده محمد بن غالب؛ (٥) أمير وأمين وموظفو المحمل الشامى؛ (٦) أمير وأمين وموظفو المحمل المصرى؛ (٧) موظفو مكة وكبار الضباط . وبعد جلوس هؤلاء بالترتيب السابق خرج عليهم الشريف فى زينته

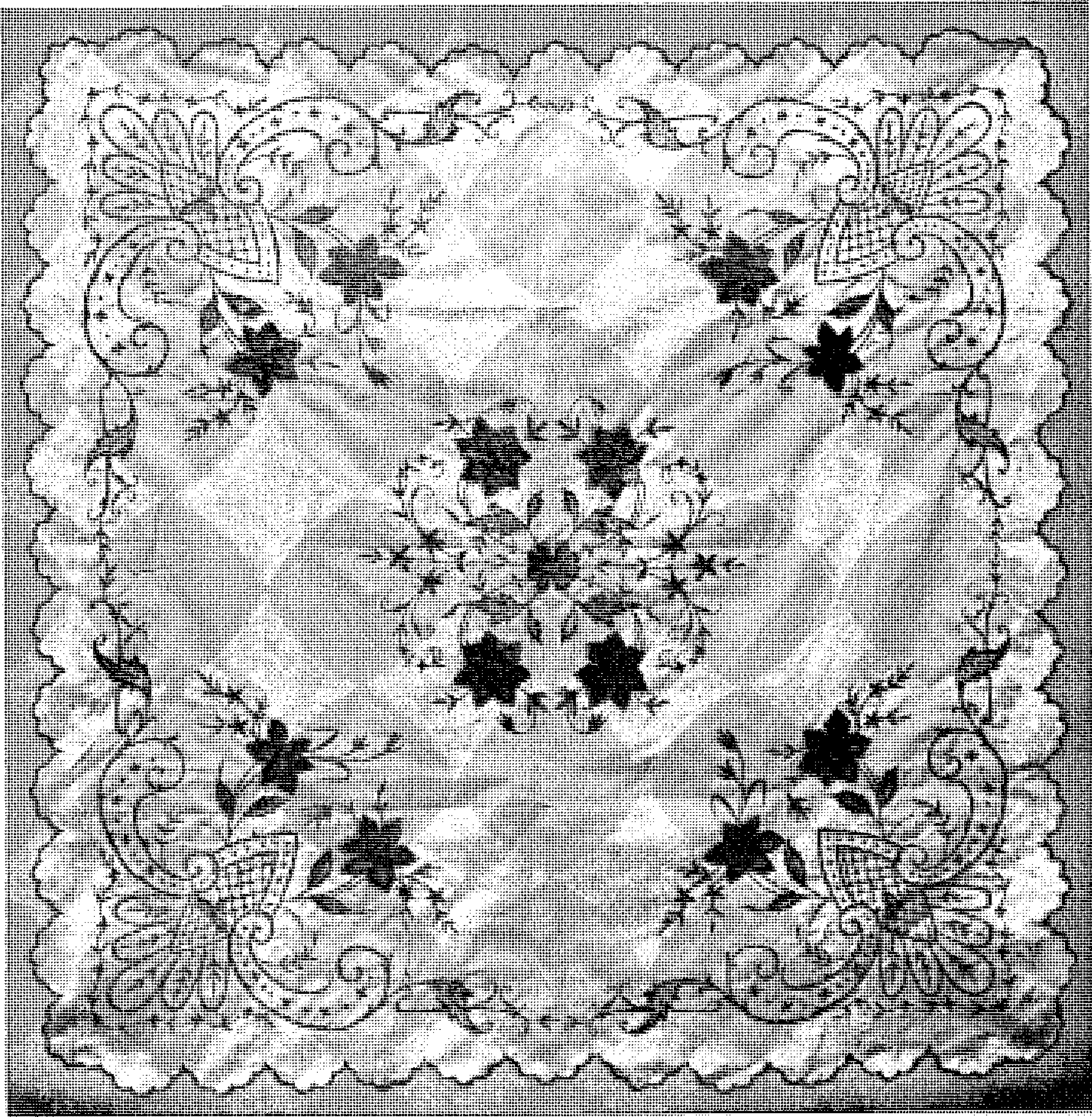
من مكان خاص به وحوله بعض خواصه من الأشراف فقام الجميع وقبلوا يده وقبل دولته رأس صهر شاه العجم وسلطان المكلة والشحر حينما انحنيا لتقبيل يده ثم تقدّم الى الأمام وتسلم المكتوب السلطانى (الفرمان) من يد حامله وقبله وكان داخل كيس من الأطلس الجميل (الرسم ٤٧) موضوع فى وقاية (بقجة) من الحرير الأطلس الأخضر موشاة بالقصب المنسوج (المخيش) ذى الرسوم البديعة (الرسم ٤٨) ثم رجع إلى محله فجلس على أريكة وسط السرادق ووضع الفرمان عن يمينه ثم لم يلبث أن وقف هو والحضور وأمر بتلاوة الفرمان فتلاه كاتبه الخاص محمد على افندى تلا أوّلا صورته التركية ثم تلا ثانيا صورته العربية، ولكنه أسرع فى تلاوته بالعربية إذ قال له الشريف : «جوام جوام» وبعد التلاوة صدحت الموسيقى السلطانية بالسلام الملكى وكذلك هتف العساكر والجموع بالدعاء للخليفة الأعظم، ثم تقدّم أمين الصرة الشامى بخلعة للشريف وألبسه إياها فوق الخلعة التى يلبسها من قبل وهى التى أهديت له فى العام الماضى — وهذه عادة سنوية — ثم قدّم له خلعة أخرى من قبل جلالة السلطان فلبسها أيضا وكانت صغيرة خفيفة من الجوخ الأسود ومطوّقة بالقصب، وكان دولة الشريف يقبل كل خلعة قبل لبسها وكان على رأسه عمامة عليها أشرطة من القصب الجميل ثم وزعت خلع أخرى على بعض الموظفين وقارئ الفرمان وغيرهم، ولثقل الخلع الثلاث كان يرفع الخلعتين الجديدتين شخصان تخفيفا عن الشريف ثم أديرت كؤوس المشروبات الحلوة على الحاضرين والموسيقى المصرية والشاهانية يتناوبان الألحان وكذلك أخذ جماعة من أهل مكة يسمون «أهل النوبة» يضربون على النقارات ومعهم آلات أشبه بالرّباب يغنون عليها بالأناشيد العربية الجميلة، فكانت الوجوه فرحة مستبشرة ثم قبل الجميع يد الشريف ومنهم من قبل مع ذلك ذيل الفرجية (الأتك) وانصرفوا، وإذ ذاك نزع الشريف الخلعتين عن جسمه ووضعتا فى الوقايات الحريرية التى أرسلت فيها من الإستانة، وهكذا فى كل عام تجدّد الخلعتان والفرمانان العربى والتركى، ولا بأس من أن نصف لك الخلعة الأولى التى قدّمت للشريف أوّلا وصفا مقرّبا : الخلعة عبارة عن فرجية — كفرجية العلماء — من الجوخ الأسود القيم مطرّزة

كيس الفرمان الشاهاني



47. A view of a bag used for keeping the Faraman.

بقجة الفرمان الشاهاني



48. A view of a cloth bag used for keeping the Faraman.

ترجمة الفرمان الشاهانى بالعربية

49. A copy of the Turkish Faraman, in Arabic, to the Amir of Mecca.

عنوان الفرمان الشاهاني بالتركية

مقدمة الفرمان الشاهاني بالعربية

عنوان الفرمان الشاهاني بالعربية



50. The title of the Faraman in Arabic language.

50. A copy of the introduction of the Faraman in Arabic language.

50. The title of the Faraman in Turkish language.

الفرمان الشاهاني بالتركية لأمير مكة



51. A copy of the Turkish Faraman to the Amir of Mecca.

بالقصب المنسوج (المخيش) ذى الأشكال البديعة والتقاسيم الهندسية العجيبة وقد كاد القصب يشغل كل سطحها فلا ترى به إلا اليسير من الجوخ وهى مرصعة باللؤلؤ الحر ولها مشابك من الألماس البرلنتى الذى يكاد سنا ضوئه يخطف بالأبصار وبالخلعة جميع وسامات (نياشين) الدولة إلا «خاندان آل عثمان» الذى لا يعطى إلا لأفراد الأسرة المالكة وعدد الوسامات ٢١ وساما منها المرصع وغير المرصع . أما المكتوب السلطانى (الفرمان) فيشمل قرطاسين كبيرين من الورق أحدهما مكتوب باللغة العربية والآخر باللغة التركية وطول العربى متر و ٤١ سنتيا وعرضه ٧٩,٥ سنتيا وفيه طرة عثمانية باسم جلالة السلطان محلاة بماء الذهب تحتها ٢١ سطرا وفوقها ١٤ سطرا وطول السطر ٧٠ سنتيا وعرضه ١,٤ سنتى وبين السطر والآخر سنتيان أنظر المكتوب العربى فى الرسم ٤٩ وعنوانه ومقدمته فى الرسم ٥٠ ، أما المكتوب التركى (الفرمان) فطوله ١,٤٢٥ متر وعرضه ٧٨,٥ سنتيا وبه ثمانية أسطر وثلث طول السطر ٦٩ سنتيا وعرضه ٢٦ مليمترا وبين السطرين فضاء ٥,٥ سنتيات وتراه فى (الرسم ٥١) وعنوانه فى (الرسم ٥٠) وقد بلغنى أن من يخط الفرمان يتناول مرتبا شهريا قدره ٤٠٠ جنيه عثمانى وإن من يتأمل الخط ووضعه وحسن تنسيقه يرى أن كاتبه يستحق مكافأة جزيلة ولكن لا ينبغى أن تكون لهذا القدر ٤٨٠٠ جنيه فى السنة بل يكفى مرتب مناسب على أنه لو عمل له طابع (إكلشيه) لوفر هذا المقدار وصرف فى وجوه الإصلاح الأخرى ، وما على الكاتب اذا تغير أمير مكة إلا أن يكتب اسم الأمير الجديد بخطه فقط إذ عبارة المكتوب السلطانى لا تغير ، وهذان المكتوبان سطرا بأجمل خط عربى ويتضمنان الثناء على الشريف والخليفة ونصح الأول بمساعدة الحجاج وكف أذى العربان عنهم وصرف المرتبات لأربابها وفيهما كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تأخذ بمجامع القلوب ولكنها مواعظ لم تصادف الأذن الصاغية والقلوب الواعية فانك تسمع عقب تلاوته دوى الرصاص يرمى به الأعراب حجاج البيت الحرام وترى دولة الشريف يقول «سيبوهم» فما أرق الموعظة وما أقسى القلوب .

التهنئة بالعيد فى منى

شغل الناس عن التهنئة بالعيد فى يومه لأنهم ذهبوا الى مكة لأداء طواف الإفاضة بعد رميهم جمرة العقبة فى صباح العيد، وفى اليوم الثانى أخذوا يتزاورون مهنئا بعضهم بعضا بالعيد الأكبر . بعد أن انتهت الحفلة بتلاوة الفرمان زرت مع الأمير والأمين الوالى والأشراف ورئيس العسكر السلطانى ورئيس المالية « المحاسبجى » وأمير المحمل الشامى وأمينه وهنأناهم بالعيد وقدّمت لنا المشروبات الحلوة وأطلق أمير الحج الشامى ١١ مدفعا تحية لأمير الحج المصرى ثم رجعنا الى أماكننا انتظارا للزائرين كما هى العادة فى الأعياد .

وفى الساعة ١١ العربية تفضل دولة المشير أحمد باشا راتب بزيارتنا فزار الأمير والأمين ورئيس الحرس كلا فى مكانه وكان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى، وكان بصحبته صاحب السعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للاشارات البرقية الحجازية وقد احتفينا بهما الاحتفاء المناسب لمقامهما وأطلقنا لقدومهما وترحالهما ٢١ مدفعا وسرهما حسن النظام العسكرى، وكانت الجنود قد اصطفت صفين سارا بينهما وقد قدّمت لدولة الوالى ضباط الحرس فوقف وصافحهم وأثنى عليهم، وبعد تناول القهوة والأشربة الحلوة انصرف مودعا بمثل ماقوبل به فصدحت الموسيقى بالسلام العظيم ولا أنسى الثناء على حضرات الضباط فى هذا الموطن فانهم أحضروا جميع ما لديهم من السجاجيد والكراسى ووضعوها فى سرادقى مما جعل منظره حسنا بهيجا وإن ذلك منهم لآية على حسن طويتهم وحبهم لما يعلى رئيسهم، وكذلك زار كلا منا فى سرادقه أمير المحمل الشامى وأمينه فاحتفينا بهما وأطلقنا لقدومهما ١١ مدفعا وقد كانا بملابسهما الرسمية وعلى كل وسام (نيشان) عثمانى من الدرجة الأولى، وبعد تناول القهوة والشاى عادا بسلام شاكرين حسن اللقاء ودماثة الأخلاق، وممن زارنا الشريف على باشا ومحمد ناصر غالب باشا وقد لبثا عندنا زهاء ساعة مسرورين من قيامنا لهم بالواجب، وزارنا أيضا الشيخ الشيبى ووكيل الشيخ السنوسى وابن الشيخ الفاسى

وكثير من الضباط العثمانيين والحجاج وخدام المسجد الحرم (الأغوات) وقد آستمرت تلك الزيارات حتى الساعة السادسة ليلا ، وكان الضباط يحتفلون بالزائرين ويعنون براحتهم .

الزينات بمِنى — هذا وقد أقيمت فى مساء ١١ ذى الحجة الزينات بمِنى عند خيم الشريف والوالى وأميرى المحملين وأطلقت « الصواريخ » بعد العشاء، وقد هرع الناس الى زينة المحمل المصرى لجمالها وحسن تنسيقها وليسمعوا الموسيقى والمزمار البلدى، وكان الزحام شديدا خصوصا فى سرادقى إذ رأوا فينا أكنافا موطأة وصدورا رحبة ووجوها باشة .

ذبائح منى وسوقها — كان الحجاج فى هذا العام يقاربون مائة وخمسين ألفا وكان أكثرهم ينحر الهدايا بمِنى فى ساعة واحدة من يوم النحر، وكان الناس فى الأعوام السالفة ينحرون بالقرب من منازل الحجاج وفى ذلك تلويث الأماكن بالدماء وإثارة الروائح الكريهة التى تجعل الهواء موبوءا والأجسام معتلة ولكن فى هذا العام عملت حفر كثيرة بعيدة عن منازل الحجاج بألف متر أريقت فيها الدماء فلم يلوّث الهواء بمِنى ولم نشم الروائح البشعة وكان الجوّ معتدلا — ولكنه بالليل بارد — من أجل هذا كانت صحة الحجاج حسنة ولم يمرض أحد منا . وكان ثمن الشاة من ريالين ونصف الى ثلاثة ونصف وكان يؤخذ للشريف على كل رأس من الغنم تباع للحجاج خمسة قروش من البائع .

وبمِنى سوق تجد بها ما يلزم من سلاح وملابس وسجاجيد وطنافس (أكلمة)، ومرجان وخرز، والمبيعات معظمها بالطريق وقليل بالحوانيت، والعربى يشترى من هذه السوق ما يلزمه طول السنة .

الرجوع من مِنى الى مكة

فى الساعة الثامنة العربية من يوم ١٢ ذى الحجة سنة ١٣١٨ رحل ركب المحمل ورمى الجمار الثلاث فى زحام شديد لم نر له مثيلا إذ قطع المحمل المسافة بين الجمرة

الصغرى وجمرة العقبة فى ساعة بينما هى لا تزيد على ٣٠٠ متر ثم تابعنا السير فوصلنا مكة فى منتصف س ١١ وأدخلنا المحمل الى فناء المسجد الحرام من باب النبىّ صلى الله عليه وسلم حسب المعتاد وتركنا لحراسته بعض الجنود وبقى بالمسجد حتى يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة حيث آحتفل بسفره من مكة الى المدينة بعد أن ورد لنا كتاب تركى من دولة الوالى بتعيين موعد الاحتفال وترى الكتاب بنصه فى (الرسم ٥٢) وهو وإن كان فى سنة ١٣٢٥ فان نصه لا يتغير .

الاحتفال بفتح «المسافرخانة» السلطانية

فى يوم الخميس ١٥ ذى الحجة آحتفل بفتح المضيفة (المسافرخانة) التى شيدها لفقراء الحجاج جلالة السلطان عبد الحميد من ماله الخاص وقد أقيم بناؤها فى فضاء واسع جنوبى مكة الغربى وقد حضرت مع ضباط المحمل وحرسه هذا الاحتفال بدعوة من الوالى ، وفى الساعة الأولى العربية اصطفت عساكرنا بالفضاء الواسع أمامها فى الجهة الغربية والعساكر العثمانية فى الجهتين الشرقية والبحرية ومع كل قسم موسيقاه وقد ازدحم باب المضيفة بأكابر مكة وأشرافها ومعهم أميرا المحملين وأميناهما ، وفى منتصف الساعة الثانية حضر دولة الوالى فحيته الجنود بهتافهم وموسيقاهم وصافح الحاضرين ثم صعد الى الطبقة العليا منها فرأى حجراتها وطرقاتها فأعجب بنظامها ثم نزل الى الطبقة الأولى ولم تمض عشرون دقيقة حتى شرف أمير مكة وحاكمها الحقيقى فحيته الجنود والموسيقى بالسلام السلطانى وقبل يده جميع الحاضرين ثم أمر بقراءة خطبة كلها دعاء وثناء وتعديد لمآثر السلطان ، وبعد قراءتها صدحت الموسيقى بالسلام الملكى معقبا بالهتاف لجلالة السلطان ، وقد بدأ القسم المصرى بالسلام أوّلا فالقسم العثمانى الشرقى فالقسم البحرى ثم دخل الشريف المضيفة وجلس فى حجرة من طبقتها الأولى ومعه الوالى والمدعوون — ويقال : أنه أُمر بالوسام (النيشان) المجيدى الثانى لأمير الحج المصرى وبالمجيدى الثالث لأمين الصرة ولكنه شىء سمعناه ولم نره — والظاهر أنه قصد بتلك الاشاعة أن يتساهلا

(الرسم ٥٢)

إلى جناب محافظ المحمل المصرى صاحب السعادة

سيحتفل فى الساعة الثالثة العربية من اليوم الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٢٥ بسفر المحملين الشريفين من مكة المكرمة الى المدينة المنورة حسب المعتاد ويكون حضور المحمل وموظفيه بالكسا الرسمية ويحضرون فى منتصف الساعة الثالثة من اليوم المذكور بميدان المخفر الكبير والأمر لمن له الأمر

والى الحجاز ورئيسه العسكرى «ياور أكرم» أحمد راتب

مع الشريف فى تقدير أجر الجمال ولا يتشددا ولكن هيهات أن تجوز عليهما الحيلة ثم صعد الى الطبقة الثانية ووقف بطنف (تراسينة) فيها ليشاهد العساكر حين انصرافها الى ثكناتها وقد سر كثيرا من نظام القسم المصرى وجميل شكله، وبعد فراغنا من التحيات العسكرية دخلت المضيفة وتفقدتها فاذا هى بناء فخم محكم البناء جميل النظام يحتوى على طبقتين مسقوفتين بالحديد الذى يتخلله عقود بالآجر الأحمر الافرنكى والبياض متقن جدا فى نعومة وهو من المواد العادية ومسحوق الرخام، والأرض مرصوفة بالبلاط، والجهتان البحرية والشرقية تم بناؤهما وبياضهما ورصف أرضهما أما الجهتان الأخريان فلما يتم تجصيصهما وتبليطهما، وللمضيفة فناء واسع كانت به حفر كثيرة خلفتها الأتربة التى أخذت للبناء، وطول الضلع البحرية من هذه السراى ١٥٠ مترا فى منتصفها الباب العام تعلوه «الأرمة» العثمانية المذهبة وضلعها الشرقية ٩٠ مترا بالتقريب والقبلى مثل البحرى والغربى كالشرقى وجميع أبوابها ومنافذها مصنوعة من الخشب المتين الذى طلى بطلاء جوزى، ومفاصل الأبواب والنوافذ ومقابضها وزواياها مصنوعة من النحاس صنعا متقنا، وبيوت الخلاء بعيدة عن مبانى الحجرات حتى لا تؤثر فى الجدران بالترشيح ولا تشم روائحها الكريهة، ولم تكن الأنابيب والصنابير (الحنفيات) قد وضعت بها وإن يعجبك هذا النظام فاعجب لهذه السراى التى بها ناظر وخدم وطباخون يأخذون مرتبهم من ثلاث سنين خلت فى حين أنه لا توجد حجرة من حجراتها مفروشة ولا يوجد بها فقير واحد . وقد بلغنى أن جلالة السلطان أنفق على إقامتها ٩٠٠٠٠ جنيه مجيدى (الجنيه المجيدى ٨٧,٧٥ قرشا مصريا) وقد أخذت رسم المضيفة فى سنة ١٣٢٥ وهو كما تراه فى (الشكل ٥٣) .

زيارة غار حراء (جبل النور)

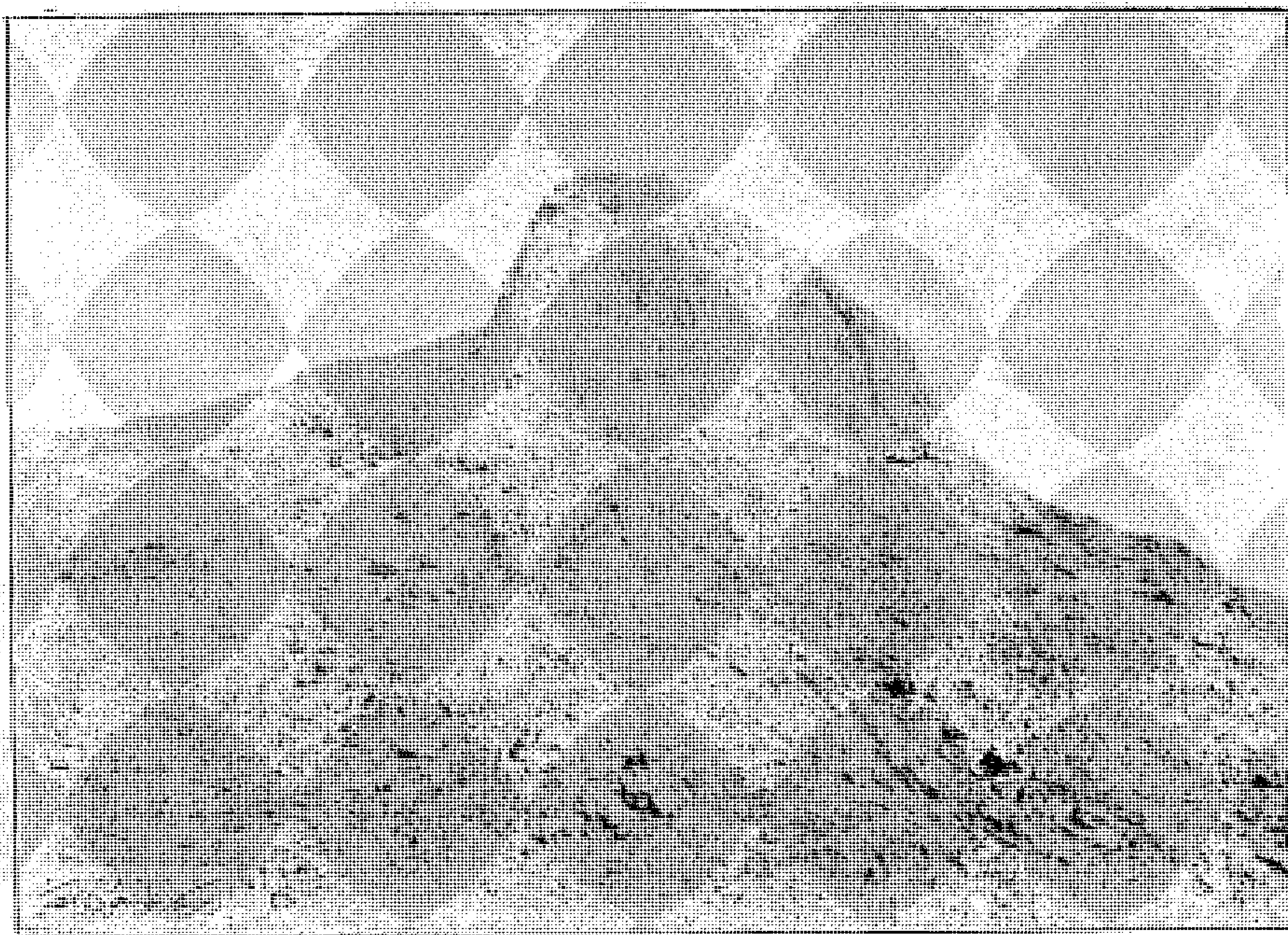
روى البخارى فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم

منظر المسافرخانة بمكة المكرمة



53. The Rest House at Mecca.

جبل غار حراء



54. The Mount of the Cave of Hera at Mecca.

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح(١) ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو « بغار حراء » فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق(٢) وهو فى «غارحراء» فجاءه الملك فقال : اقرأ قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذنى فغطنى(٣) حتى بلغ منى الجهد(٤) ثم أرسلنى فقال اقرأ : قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٥) . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف(٦) فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال زملونى(٧) زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع(٨) فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم(٩) وتحمل الكل(١٠) وتكسب المعدوم وتقرى(١١) الضيف وتعين على نوائب الحق — الحديث .

فترى من هذا مكانة «غارحراء» وأنه كان متعبدا للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأن به نزلت أول سورة من القرآن الذى هو نور وهدى للناس وفيه شفاء لما فى الصدور فلا تعجب إذا رأيتنا ولعين بزيارة هذا الأثر، ففى يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣١٨ قصدت جبل حراء فى جملة من الضباط والعساكر وبعض الحجاج فوصلنا إليه بعد خمسين دقيقة بسير الخيل المعتاد، وهذا الجبل يقع فى شمالى مكة على يسار الذاهب إلى عرفات بعيدا عن جادة الطريق بنحو ميل، ويقول ياقوت

(١) بياضه . (٢) الوحى . (٣) الغط : العصر الشديد، ومنه الغط فى الماء : الغوص. قيل : إنما غطه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئا . (٤) الطاقة . (٥) دم غليظ . (٦) يضطرب قلبه . (٧) لفونى فى الثياب . (٨) الخوف . (٩) القرابة . (١٠) الضعيف . (١١) تكرمه .

فى معجمه : إنه على ثلاثة أميال من مكة وأنه جبل شامخ أعلى من ثبير وفى أعلاه قلة شامخة زلوج — أنظر الجبل فى (الرسم ٥٤) — وفى ميسرة القمة نفس غار حراء،

وقد صعدنا هـذا الجبل فى ٣٥ ق مع أن ارتفاعه حوالى ٢٠٠ متر ولكنـه يكاد يكون عموديا فلذا كان صعب المرتقى واضطررنا إلى الاستراحة مرتين أثناء الصعود وأغمى على بعض الضباط ولولا ما معنا من المـاء الذى رششنا به وجهه لحصل ما لا تحمد عقباه ، ولذا يجمل بمن رام صعوده أن يستصحب بعض المياه خصوصا فى آونة الحر، وقبل أن نصل الى قنة الجبل بثلاث دقائق وجدنا خزانا نحت بالجبـل لحفظ مياه المطر يبلغ طوله ٨ أمتار فى عرض ٦ وعمق ٤ وله درج للوصول إلى قاعه وكان خاويا من الماء، ووجدنا بجانبه امرأة عربية تصنع القهوة والشاى للزائرين فى موسم الحج وتبيعهما بالثمن وقد تناولنا من شايها وقهوتها وفرشت لنا بساطا من الصوف، ومكثنا فى حضرتها نصف ساعة ونقدناها الثمن مضاعفا مكافأة على ما قدّمت ثم تسنمنا ذروة الجبل وإذا فيها بنـاء متين تعلوه قبة طوله ٦ أمتار فى مثلها عرضا فى ٨ ارتفاعا وفى أرض هذا البناء حجر أملس أسـود به شق فى وسطه أشبه بالفتحة التى نراها بمصر فى صناديق الخطابات بها انحدار إلى أسفل ويقال : إنه المكان الذى شق فيه صدر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولكن أخرج «البخارى» فى صحيحه عن مالك بن صعصعة قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم . "بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان — وذكر بين الرجلين(١) — فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا فشق من النحر الى مراقّ البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيمانا" — الحديث . وجاء فى كتاب الشفاء: روى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "فرج سقف بيتى فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست" الخ

(١) فى بعض الروايات : وذكر يعنى رجلا بين الرجلين والمعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان نائما بين رجلين حينما أتى بالطست فالضمير فى ذكر يعود الى النبى صلى الله عليه وسلم ، والرجلان حمزة وجعفر يوضح ذلك رواية مسلم من طريق سعيد عن قتادة بلفظ إذ سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين .

(ص ١٤٤) وأكثر الأحاديث على أن شق البطن كان فى صغره صلى الله عليه وسلم وهو عند حليمة السعدية وقد قالت فى ذكر قصة الشق لأمّه آمنة بنت وهب: بينما هو وإخوته فى بَهْم[(١)] لنا خلف بيوتنا الخ، فأين البيت الحرام أو سقف بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما وراء بيوت حليمة من قنة جبل حراء التى زعم الناس أن بها مكان شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم؟ اللهم إن هـذا بهتان مبين ظنه الناس صدقا وتوارثوا هذا الظن حتى بلغ من نفس السلطان عبد العزيز أن حركه لبناء قبة على هـذا المكان المزعوم فى سنة ١٢٧٩، وقد وجدت هذا مكتوبا على حجر فى جدارها الجنوبى محلى بمـاء الذهب، وفى الجهة الجنوبية من القبة غار حراء الذى كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على ما أسلفنا لك، والإنسان ينحدر إليه من قنة الجبل على درج حجرى غير منتظم أشبه بالسلم، والبعد بينه وبين القبة نحو ٥٠ مترا وهـذا الغار عبارة عن فجوة بابهـا نحو الشمال تسع نحو خمسة أشخاص جلوسا وارتفاعه قامة متوسطة وقد صلينا فيه ودعونا ووجدنا هنالك بعض الحجاج من الأتراك يزورون هذه الآثار. والواقف على قنة هذا الجبل يرى مكة وأبنيتها العظيمة وقلاعها الحصينة كما يرى جبل ثور، ولون الجبل ذهبى حتى لو حدقت النظر فى قطعة منه تخالها ذهبا إبريزا ولذلك إذا سطعت عليه الشمس ترى له منظرا من أجمل المناظر وأبهجها، وقد أخذت قطعا صغيرة منـه ولكن للاسف عملتـه إحدى الخدم كانونا بمدينة الوجه فتركت القطع هنالك، ومما ينبغى لزائرى هذا الجبل أن يحملوا معهم الماء الكافى وأن يكونوا جماعات يحملون السـلاح حتى يدفعوا عن أنفسهم شر اللصوص من العربان الذين يتربصون الفرص لسلب الحجاج أمتعتهم ونقودهم خصوصا فى مكان منقطع كهذا لا يقصده إلا بعض الحجاج، وقد بلغنى أن اعرابيا قتل حاجا فلم يجد معه غير ريال واحد فقيل له: تقتله من أجل ريال؟ فقال وهو فرح "الريال أحسن منه" فانظر كيف بلغت القسوة من هذه القلوب وكيف أعماها حبها لدراهم معدودة عن المحافظة على أرواح بريئة تقوم بشعيرة من أكبر الشعائر الدينية فى مكان جعله الله حرما

(١) البهم جمع بهمة وهى ولد الضأن ذكرا كان أو أنثى .

آمنا للناس ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ هـذا وفى سنة ١٣٢١ رقينا الجبل وكان معنا صاحب الدولة وزير حربية مراكش السيد المهدى المنبهى ولما أن نزلنا ضربنا فى سفح الجبل فسطاطا تغذينا فيه مع الوزير الذى واسى الفقراء بماله وطعامه .

زيارة غار ثَوْر

قال تعالى فى سورة التوبة ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ (١) عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وأخرج البخارى فى صحيحه فى باب « ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ » من كتاب التفسير — عن أنس قال : حدّثنى أبو بكر رضى الله عنه قال : كنت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الغار فرأيت آثار المشركين قلت : يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا قال : " ما ظنك باثنين الله ثالثهما " اهـ ، وذكر الحاكم فى مستدركه عن عمر : قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشى خلفك ثم أذكر الرَّصَد (من يرصدهم وينتظرهم) فأمشى بين يديك فقال عليه السلام : يا أبا بكر لو كان شىء أحببتَ أن يكون بك دونى ، قال : نعم والذى بعثك بالحق . فلما انتهى الى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فدخل فاستبرأه حتى إذا كان فى أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة ، فقال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة فدخل واستبرأ الجحرة ثم قال انزل يا رسول الله ، فنزل فمكثا فى الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب فجاءهما عبدالله بن أريقط بالراحلتين فارتحلا . اهـ .

---

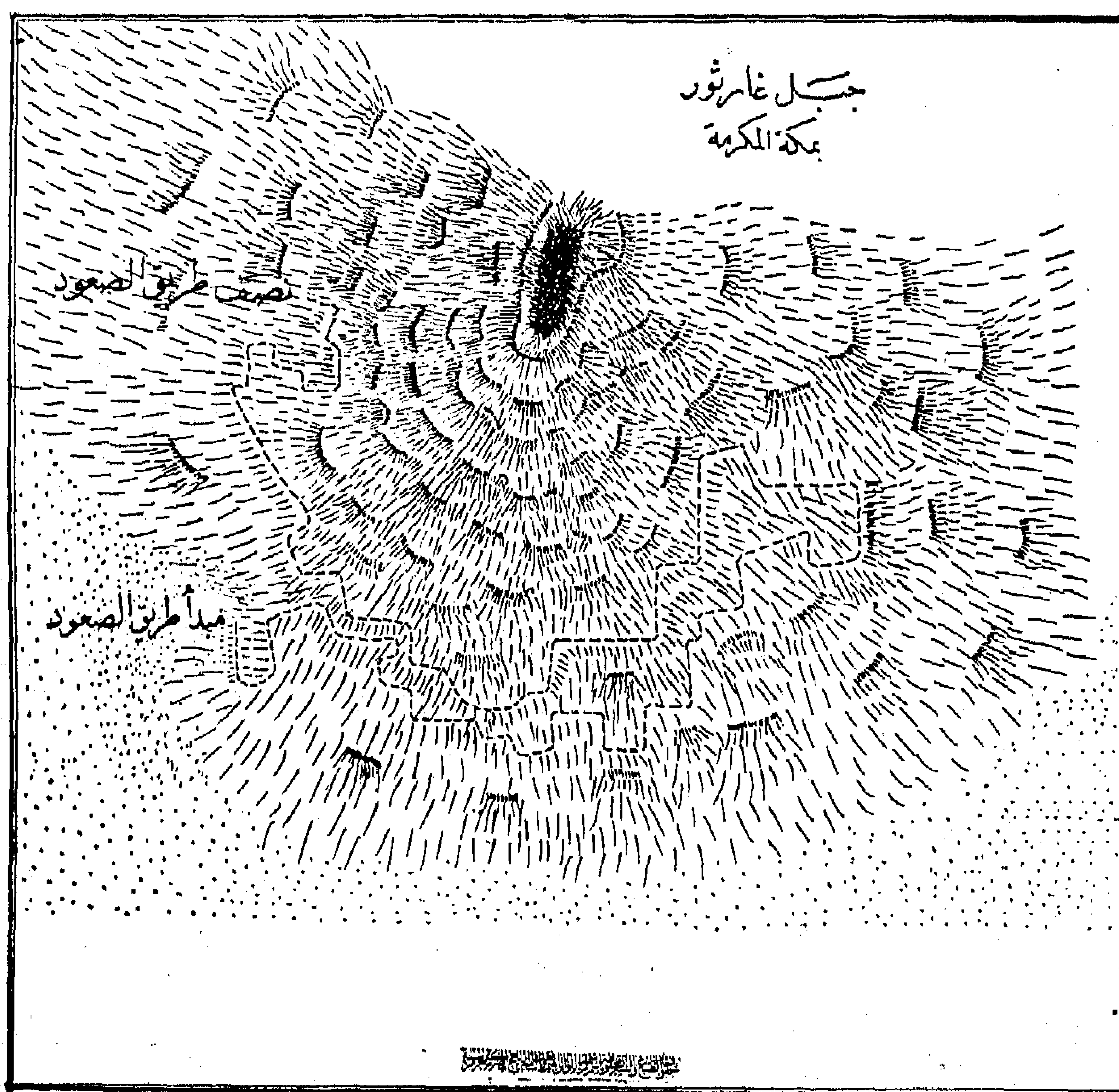
(١) أمنته التى تسكن عندها القلوب .

فترى من هـذا أن غار ثور هو الغار الذى اختفى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من دعاة الباطل وأعداء الحق الذين مكروا به مكرا كُبّارا — ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ — وأن الرسول اختفى به مع أبى بكر ثلاثا حتى انقطعت عنهما نار الطلب ثم خرجوا منه الى المدينة حيث كانت عزة الاسلام وأهله . لهذا كله وددنا ان نرى هـذا الأثر رأى العين، فخرجنا من مكة قبل فجر يوم ١٨ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (٨ أبريل سنة ١٩٠١) قاصدين زيارة هـذا الغار وكان بصحبتنا صاحبا الفضيلة الشيخ محمد طموم والشيخ محمد أحمد السيوطى صهرانا وجمـالة من الحجاج وثلة من الجنود نتقى بهم شرار الأعراب فى سبيل لا يمر به إلا القليل وقد انتحينا ناحية الجنوب فى سيرنا وصلينا فرض الصبح قبـل الوصول الى الجبـل ، وقد قطعنا المسـافة بينه وبين معسكرنا بالشيخ محمود فى ساعة و ٢٠ ق بسير الخيل المعتاد وهى قريبـة من خمسة أميال ونصف ، والطريق من مكة الى الجبل تحفه الجبال من الجانبين وبه عقبـة صغيرة يرتفع اليها الانسان وينحدر منها ولم يستغرق قطعها إلا ٣ ق وبالطريق سبعة أعلام مبنيـة بالحجر ومجصصة فوق نشوز من الأرض يبلغ ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار وقاعدته متر مربع وتنتهى بشكل هرمى ، وهذه الأعلام على يسار القاصد للجبل ، وبين كل اثنين منها بعد يتراوح بين ٢٠٠ متر و ١٠٠٠ متر وكل واحد منها وضع عند تعريجة حتى لا يضل السالك عن الجبـل ، وساعة بلغنا الجبل قسمنا قوتنا قسمين قسم صعد معنا الى الجبل والآخر وقف بسفحه يرد عنا عادية العربان إن هموا بالأذى . وقد تسلقنا الجبل فى ساعة ونصفها بما فى ذلك استراحة دقيقة أو ثنتين كل خمس دقائق بل فى بعض الأحيان كنا نستريح خمس دقائق لأن الطريق وعر حلزونى ، وقد عددت ٥٤ تعريجة الى نصف الجبل وكنا آونة نصعد وأخرى ننحدر حتى وصلنا الغار بسلام ، ولولا الاصـلاح الذى أحدثه المشير عثمان باشا نورى الذى ولى الحجـاز سنة ١٢٩٩ هـ . والمشير السيد اسماعيل حقى باشا الذى كان واليا على الحجاز وشيخا للحرم سنة ١٣٠٧ هـ لازدادت الصعوبة وضل السائر عن الطريق ولم يهتد الى الغار لعظم

الجبل واتساعه وتشعب مسالكه (الرسم ٥٥) وكان من أثر إصلاحهما جعل الطريق بهيئة سلالم تارة تتصعد وأخرى تنحدر على أنه مع ذلك لا يزال العروج صعبا فقد رأيت بعض الصاعدين آمتُقِع لونه وخارت قواه فوقع على الأرض مغشيا عليه ولولا أننا تداركناه بجرعةٍ من الماء شربها وصُبابةٍ منه سكبناها على رأسه حتى أفاق لباغتته المنية، ولهذا ننصح للزائرين بأن يتزودوا من الماء ليقوا أنفسهم شر العطب .

ولما بلغنا الغار وجدناه صخرة مجوّفة فى قنة الجبل أشبه بسفينة صغيرة ظهرها الى أعلى ولها فتحتان فى مقدمها واحدة وفى مؤخرها أخرى وقد دخلت من الغربية زاحفا على بطنى مادا ذراعى الى الأمام وخرجت من الشرقية التى تتسع عن الأولى قليلا بعد أن دعوت فى الغار وصليت ، والفتحة الصغيرة عرضها ثلاثة أشبار فى شبرين تقريبا وهى الفتحة الأصلية التى دخل منها النبىّ صلى الله عليه وسلم وهى فى ناحية الغرب أما الفتحة الأخرى فهى فى الشرق ويقال : أنها محدثة ليسهل على الناس الدخول الى الغار والخروج منه، والغار من الجبل فى الناحية الموالية لمكة وقد وجدنا بجانبه رجلا عربيا يتناول الصدقات من الزائرين فى مواسم الحج ويرشدهم الى الغار إذ توجد هناك صخور تشبه صخرته ولكنها لا تماثلها تماما، وقد مكثنا فوق ظهر الجبل ساعتين أكلنا فيهما وشربنا وتناولنا الشاى وتفقدنا كثيرا من نواحى الجبل، وقد نزل فى خلالها القسم الذى زار وجاء القسم الذى تركناه بسفح الجبل ليزور، وقد قدم علينا ونحن على ظهر الجبل نحو عشرين من حجاج الداغستان ففرحوا بنا ورافقونا الى أن رجعنا الى مكة . ولا يقصد زيارة هذا الغار وغار حراء إلا قليل من الأتراك والمغاربة والداغستانيين ولم يسبقنا الى هذه الزيارة أحد من المصريين بل ولا من المكيين إلا ما ندر، وقد بلغنى من أناس يقيمون بمكة منذ أربعين سنة أنهم لم يصعدوا إلى هذين الجبلين ولا رأوا من المصريين أو مرافقى المحمل من قصدهما فلله المنة علينا . أنظر الغار فى الرسم ٥٦ الذى أهداه الينا فى سنة ١٣٤٢ حضرة أحمد أفندى صابر ناظر التكية المصرية بمكة فله منا الشكر الجزيل على هذه الهدية القيمة .

جبل ثور وطريق الصعود عليه



55. Thor's Mountain and road of ascending same.

(غار ثور) رسم احمد صابر ناظر تكية مكة



حقوق الطبع والرسم محفوظة باسم [illegible] سنة ١٣٢٦

56. The Mount of the Cave of Thawr at Mecca.

وارتفاع جبل ثور يزيد على ٥٠٠ متر والواقف فى أعلاه يشرف على كل ما حواليه من الجبال ويرى مكة وما حولها واضحة ظاهرة وكذلك يرى حدّة (بالحاء المهملة) بنخلها وبأعلى ثور علم يسترشد به الناس لمعرفة هذا الجبل وهو مبنىّ بالحجر ومبيض بالجص ويشبه الأعلام التى وصفناها قبلا فى طريقه أنظر (الرسم ٥٥) والجبل ذو ألوان مختلفة من ذهبىّ وفضىّ وفحمىّ وما يشبه الأسمنت وما يماثل المرمر، وربما كانت له ألوان أخرى فى جهات لم أرها وقد أخذت من كل معدن قطعة ولكن فعلت بها الخادمة ما فعلت بالقطع التى أخذتها من جبل حراء — سامحها الله — غير أنها تركت قليلا عرضته بعد حضورى الى مصر على بعض الصاغة فأخبرنى بأن معدنه من الذهب ولكنه غير مستو؛ هذا وقد زار غار ثور سيدى عبد الله بن محمد ابن أبى بكر العياشى وذلك فى يوم الأربعاء ٨ شوال سنة ١٠٥٩ كما جاء برحلته المطبوعة سنة ١٣١٦ وقد ذكر فيها أنه مشى إلى الجبل من طريق بين الخندمة وأبى قبيس لقربه وان كان وعرا ومسافته ثلاثة أميال أما زيارتنا فكانت من طريق المسفلة وهو أطول وأسهل وقد وصف الغار وصفا دقيقا وذكر ما قاساه من المشاق فى الصعود الى هذا الجبل على نحو ما وصفنا (أنظر ص ١٠٢ جزء ثانى من رحلته).

عادات المكيين بعد موسم الحج

بعد انقضاء الموسم يقيمون الأفراح ويزوجون الأولاد ويتروضون جهة الطائف والزاهر والأماكن التى بها بساتين ويستصحبون معهم المغنين وآلات الطرب لأنهم ولعون بالاغانى، وفى شهر رجب يقصدون المدينة للزيارة وفى ذلك ينفقون ما جمعوا فى الموسم الا قليل منهم يستبقى بعض كسبه لينفقه فى السفر الى البلاد التى يفد منها الحجاج ليتعرّف بمريدى الحج فى العام القابل وليتفق معهم على أن يكونوا من مطوّفيه. وأكثرهم يقترض النقود بفائدة كبيرة لينفق منها فى تلك الرحلات على أمل أن يسدّدها فى الموسم وقلما يسددها فيطوّق بالديون، وقد كذّب ظنّهم فى هذا العام دولة الشريف. فقد قسم مصر وجاوه والهند والمغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساما تسابق المطوّفون،

إلى شرائها بأثمان ظنوها متناسبة مع أهمية المركز وثروة حجاجه ، ولكن كثيرا منهم خسر فى ذلك خسارة فادحة إذ دفعوا فى الأقسام أثمانا باهظة بلغت الخمسين جنيها و زادت ، ولما حان الموسم لم يحصلوا مقدار ما دفعوا ولكن قليلا منهم سعد جده فربح أرباحا عظيمة ، وقد نشأت خسارة من خسر من علو ثمن الأقسام ومن أنه كان سافر الى بعض الجهات وأنفق فى ذلك وفى الهدايا التى كان يأخذها لمريدى الحج النفقات الطائلة ثم ظهر بعد ذلك أن كثيرا منهم لم يأت فى القسم الذى اشتراه ، ولما رأى بعض المطوفين أن حجاج قسمه فقراء وما يدفعونه بخس اشتد عليهم وأغلظ لهم القول وحصل من جراء ذلك تشاحن وتساب بين الفريقين . وكانت العادة المتبعة قبل هذا التقسيم أنه يجبى من كل مطوف ريال للشريف عن كل حاج ينزل عنده وبالضرورة يأخذ المطوف من الحاج أمثال هذه الضريبة ولو كان فى فقر مدقع ، وإن كانت لديه شفقة تجاوز عنه وحصل أضعافه من الموسرين ، والشريف لا يقيل أى مطوف من الضريبة مهما قدّم من الأعذار فإما أن يدفع وإما أن يزج به فى غيابة السجن ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

دولة الشريف عون الرفيق وسلطته بمكة

يلقب شريف مكة بسيد الجميع تمييزا له عن بقية الأشراف وهو الحاكم الذى لاينازع فى أمر ولا يرد له قول ينفى من شاء ويحبس من شاء ويعاقب من شاء بيده عقد الأمور وحلها وكل الحكام بمكة طوع إشارته من كبيرهم أحمد راتب باشا المشير إلى صغيرهم ، فان عارضه واحد منهم عزل فى الحال لأن الشريف له يد قوية فى الدولة فأى الأمور طلب أجيب اليه بل غالب الشكايات منه ترد اليه ليفصل فيها بما شاء من شرع أوهوى ولا معقب لحكمه فالويل كل الويل لمن شكا ، نعم هذه اليد المستبدة تناسب حال الأعراب الأشرار الذين لا ترغمهم إلا القوة ولا يقومهم إلا البطش بهم ، ولكن لوضمت الى القوة العدالة لكبح الأشرار عن سيئاتهم

والتف النـاس حوله بأجسامهم وقلوبهم لأن للعدل من السلطان على النفوس ما ليس للقوة الغاشمة .

أما الشريف على باشا فله سلطة على الأعراب وله فى نفوسهم مكانة واحترام ولذلك لا يردّون له قولا وهو الذى يقابلهم اذا حضروا ويفاوضهم اذا عملوا ما لا يرضاه الشريف وود إقلاعهم عنه .

أجر الجمال والمكوس

كان يؤخذ فى جدة على كل شـقدف يباع سـتة قروش مصرية ونصف — روبيـة — وهى وان كانت تؤخذ من البائع لكنها فى الحقيقة يدفعها المشـترى اذ يلاحظها البائع فى تقدير الثمن ويؤخذ من أجرة الجمل الذى يقل الحاج من جدّة الى مكة ريالان للشريف وخمسة قروش عثمانية (٤ قروش مصرية) للحكومة وريال آخر لوكيل المطوّف بجدّة ولمتعهد الجمال (المقوم) — ضرائب ما أنزل الله بها من سلطان — وقد كانت أجرة الجمل من جدّة الى مكة ٦ ريالات «برم» (وهو عشرة قروش مصرية تقريبا) فى بدء الموسم هذا العام فاذا نقصنا تلك الضرائب من هذه الأجرة كان الباقى للجمال أجرة له ولجمله دون ٣ ريالات أى أقل من نصف الأجرة وإن ذلك لظلم بيّن يحمل الجمال على أن يسلب من الحاج ما آستطاع ، والأجرة وإن كانت فى أوّل الموسم ٦ ريالات «برم» لكن عند وصول المحمل الى جدّة بلغت ١٢ ريالا ثم أخذت تزداد حتى بلغت ٣٠ ريالا ثم تناقصت الى ٦ ريالات كما كانت أوّلا وكان آخر نقص لها يوم ٧ ذى الحجة ، والسبب فى ارتفاع الأجرة الى ٣٠ ريالا أن الحجاج كثر ورودهم من جهات جدّة والمدينة والجهات الشرقية بحال لم يسبق لها مثيل حتى كانت الطريق لا تخلو لحظة واحدة ليلا ونهارا من مرور الحجاج بها ، وقد قدمنا لك أنه فى يوم السبت ٢ ذى الحجة قدم من جدّة الى مكة ١٥٠٠ حاج مشاة على أقدامهم لقلة الجمال . وكان يؤخذ بمكة على كل رأس يباع من الغنم خمسة قروش مصرية وعلى كل جمل خمسون قرشا ، وقد كانت الأجرة من مكة إلى عرفات ذهابا وإيابا للجمل ذى الشـقدف

٧ ريالات « برم » وذى الرحل الذى يركبه شخص واحد ٦ ريالات منها ريال للشريف وآخر للطوّف والمقوم فيبقى للجمال ٤ ريالات أو خمسة . وأجرة الجمل من مكة الى المدينة الى ينبع كانت لذى الشقدف ٣٣ ريالا مجيديا ويتبع ذلك نصف جمل لحمل المتاع ، وكانت لذى الرحل ٣٢ ريالا منها ١٢ ريالا للشريف — جنيهان انكليزيان — وريال ونصف للمخرج (١) وريالان للطوّف وريال للتعهد (المقوّم) وريال للحكومة وربع ريال للرهينة (كل قبيلة تقدم واحدا عنها تحبسه الحكومة حتى يصل الركب بسلام الى الجهة التى يقصدها وتأخذ الحكومة ربع الريال فى نظير ذلك) فيكون الباقى للجمال من ذلك ١٥ ¼ ريالا أو ١٤ ¼ وأدهى من ذلك وأمر أنه يؤخذ من الجاويين أربعة جنيهات من كل حاج لا فى مقابلة عمل ولكنهم لغناهم وتساهلهم يطمع فى نقودهم ، وللمتعهدين طريقة فى التخلص من الضرائب التى تدفع عن كل جمل مؤجر وذلك أنهم يتفقون مع كل حاج على عدد معين ولكن عند الخروج من مكة يحملون بعض العدد فقط أحمالا فوق الطاقة والباقى يخرج غير حامل شيئا فلا تؤخذ عليه الضريبة اذ يزعم المتعهد أنه غير مؤجر وبعد الخروج من مكة توزع الأمتعة على العدد المتفق عليه وكثيرا ما يتفقون مع الحاج على عدد معين يقدمونه فى أول الأمر له ويتفقون على أجرته حتى اذا ما رحلوا أخذوا منه بعض ما اتفقوا عليه وأجروه لآخرين فيؤجرون الجمل مرتين ويتقاضون الأجرين — وانه وربك لظلم بين وطمع مرد — ثم هل سمعت بمثل هذه الضرائب القاسية التى يأباها الاسلام وينكرها أشد الإنكار ، إن غاية ما قرره الاسلام فى نظام الضرائب ٢٠ ٪ لا فى مال يكد الإنسان فى تحصيله ويعرق فيه جبينه ، ولكن فى أموال تقع فى يد المرء بلا كد ولا تعب كالمعادن وكنوز الجاهلية ، ولكن لا تعجب من أعمال هؤلاء فالدين لغو على ألسنتهم لم يتمكن بعد من نفوسهم فتراهم ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ ولو علمت دولتا فرنسا والروسيا هذه المظالم التى يتكبدها الحجاج لما منعوا رعاياهم المسلمين عن الحج اذ لو حضروا ورأوا هذه المظالم بأعينهم لرغبوا عن الحج ولم يحدثوا

(١) الذى يتولى إخراج القوافل .

به أنفسهم تارة أخرى بل لبثوا فى نفوس إخوانهم كراهيته ، وإذ ذاك يمتنعون من تلقاء أنفسهم عن الحج دون أن يتكلف حكامهم مشقة المنع ونتائجه ولكن « البعيد أعمى » .

وكل ما قدمنا لك فى أجرة الجمال إنما هو للحجاج الذين لا يتبعون المحمل أما ركبه فلهم طريقة أخرى فى تقدير الأجرة للجمال التى يحتاجون اليها .

أجرة الجمال التى تقل ركب المحمل — هذه الأجرة تقدر بمعرفة صاحب الدولة شريف مكة الذى لا يرد له قول ولا يخالف له أمر مهما كانت الأجرة المقدرة، فمعارضة أمير الحج وأمين الصرة لا تجـدى شيئا بل لا تجد الأذن السامعة وعلى ذلك أخذت الأجرة تزداد شيئا فشيئا خصوصا فى الخمس السـنين الأخيرة حيث زادت زيادة فاحشة وهاك البيان .

فى سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) كانت أجرة الجمل من مكة الى المدينة ١٨ ريالا (برما) لذى الشقدف و ١٧ لذى الرحل، وكانت من مكة الى المدينة فينبع البحر ٢٣ ريالا للأول و ٢٢ للثانى ومن مكة الى المدينة ثم الى جدّة ٢٨ للأول و ٢٧ للثانى ومن مكة الى المدينة فالوجه ٣٥ ريالا للأول و ٣٤ للثانى، ومن جدّة الى مكة ٢ ٣/٤ وهذا لكثرة الحجاج وغلو الأثمان كما هو مذكور فى رحلة المرحوم صادق باشا، واستمرت الزيادة بعد ذلك الى أن كانت فى سنة ١٣١٤ وما بعدها كما يأتى :

مجموع أجرة الجمل الواحد	الأجرة من جدّة الى مكة	الأجرة من مكة لعرفة ذهابا وإيابا	الأجرة من مكة للمدينة فالوجه	السنة	مـــلاحظـات
ـهـ	ـهـ	ـهـ	ـهـ		
٨٥٠	٩٠	٩٠	٦٧٠	١٣١٤	
١٣٦٠	٨٧,٧٥	٨٧,٧٥	١١٨٤,٥	١٣١٥	فى هذه السنة لم يعين مع المحمل قسم عسكرى.
١٤٧٠	١٣١,٥	١١٠	١٢٢٨,٥	١٣١٦	» » » » »
١٦٥٧,٥	١٩٥	١٩٥	١٢٦٧,٥	١٣١٧	
٢٠٩٦,٢٥	٣٤١,٥	٢٩٢,٥	١٤٦٢,٥	١٣١٨	

ومن هـذه المقارنة تتبين لك الزيادة المطردة من سنة ١٣١٥ التى لم يتعين فيها قسم عسكرى يصحب المحمل وكذا فى السنة التالية لهـا والسبب فى هـذه الزيادة أن المحمل رافقه قوّة عسكرية شاهانية فى السـنين التى خلت من القوّة المصرية ولم تدفع حكومتنا نفقات القوّة الشاهانية فزيدت أجرة الجمال حتى تعوّض تلك النفقات والسبب فى الزيادة العظيمة هـذا العام أن الحكومة لم تخاطب الشريف فى شأن الزيادات فى السنين السالفة فتعودها وزاد عليها تلك الزيادة الفاحشة التى ٱستكثرها الناس — وحق لهم ذلك — وقد قلت لدولة الشريف : إن هذه الزيادة المطردة ستنبه الحكومة لوضع حدّ لها وربما أحدثت تغييرا فى النظام المـالى للمحمل بسبب ذلك .

الجمـالة — بمناسبة الكلام على أجرة الجمال والمكوس نقدّم لك كلمتين الأولى فى معاملة العربان الجمـالة للركب الذى يصحبونه والأخرى فى تاريخ المكوس حتى نربط لك الحاضر بالمـاضى لتستخلص منهما ما ينبغى فى المستقبل ، هؤلاء العربان يحافظون على الحجـاج وعلى أمتعتهم متى غمروهم بالخيرات من مأكولات ولحوم ومشروب الشاى ، وتزداد عنايتهم بالحجاج إذا وعدوا بكسوة يعطونها فى المحطة الختامية وكسوتهم يسيرة الكلفة فهى ثوب قطنى من «البفتة» السمراء وعقال و « كوفية » لا تتجاوز قيمتها عشرة قروش مصرية أما من بخل عليهم بماله فيرونه العذاب ألوانا فتارة يقطعون حزام الجمل فيقع راكبه ويتأخرعن القافلة حتى يصلح الحزام وربمـا ٱنتهزوا فرصة الانفراد به وقتلوه إذا لم يبرز لهم الريالات ويتعهد بالغذاء وتارة يؤخرون الجمل عن القافلة بحجة أن الرحل فى حاجة إلى إصلاح وما يريدون بذلك إلا فرصة للفتك به . والعربان مغرمون بشرب الدخان فلو أن الحاج أخذ معه قسطا منه وأعطاه لجماله راعاه أحسن مراعاة ومشى بجانبه يحافظ عليه ويهيئ له أسباب الراحة ، ومن عادة العربان أنهم اذا تناولوا الطعام مع الحاج لا يخونونه أبدا واذا رأوا عربانا من قبيـلة أخرى يريدون الفتك به أخبروهم أنه فى كنفهم فلا يصلون اليـه بسوء وكأنما هو واحد منهم .

تاريخ المكوس — يطلق المكس على الجباية كما يطلق على ما يأخذه العشّار ويقال له الماكس : وفى الحديث «لا يدخل صاحب مَكْس الجنة» والمكوس أخذها قديم، فقد كان مضاض بن عمرو الجرهمى يعشر من يدخل مكة من أعلاها، والسميدع يعشر من يدخل من أسفلها، وكانوا يعشرون أموال العمالقة الذين كانوا ولاة مكة قبل جرهم فأنتهكوا حرمة الحرم فأخرجتهم جرهم وقطور، وكانوا يأخذون عشر الميرة التى يأتون بها (أنظر منائح الكرم للسنجارى) وقد أبطل الإسلام المكوس بأنواعها وفرض الزكاة على الناس فى أموالهم، وقد كانت المكوس تؤخذ من الحجاج الذين يمرون من طريق عَيْذاب (قرية على ساحل البحر الأحمر فى ديارنا المصرية) ومن فرّ منهم جبيت منه فى جدّة وكانت سبعة دنانير (٣٥٠ قرشا) تجبى لأمير مكة، وفى سنة ٥٧٢ أبطلها السلطان صلاح الدين الأيوبى، وكان سبب ذلك أنه حج فى هذه السنة الشيخ علوان الأسدى الحلبى فلما وصل جدّة طولب بذلك فأبى وهم بالرجوع وترك الحج فلاطفه من هنالك وبعثوا الى والى مكة الشريف مكثر بن عيسى فأمر بإطلاقه وإعفائه، فلما وصل مكة اجتمع به واعتذر اليه بأن دخل مكة لا يفى بمصالح أهلها وإننا لذلك نضطر الى أخذ المكوس، فكتب الشيخ علوان الى صلاح الدين بذلك فأرسل اليه ٨٠٠٠ أردب من الحبوب وقيل ٢٠٠٠ أردب وألف دينار ورغب اليه فى ترك تلك المظلمة فتركها ولكنها عادت، وأبطلها فى سنة ٦٣٩ المنصور عمر بن رسول صاحب اليمن وكتب بذلك مربعة جعلت حيال الحجر الأسود وفى جدار زمزم الى أن قلعها آبن المسيب ثم ما لبثت أن عادت المكوس، وأبطلت فى سنة ٧٦٠ فى سلطنة الملك الناصر بأمر شريف مكة سند آبن رُمَيثة ولكن ما عتمت أن رجعت فرفعت فى سنة ٧٦٦ بهمة الأمير كتبغا مدير السلطنة بمصر وعوض عنها صاحب مكة ٢٦٠ ألف درهم وألف أردب من القمح وقرر ذلك فى ديوان السلطان شعبان صاحب مصر وكتب ذلك بالحفر فى دعائم بالمسجد الحرام، وقد شاهدت ذلك فى جهة باب الصفا وفى سنة ٨٢٦ أمر السلطان أحمد بن المؤيد صاحب مصر أن يعطى للشريف حسن ألف دينار (٥٠٠ جنيه

مصرى) تحمل اليه من مصر نظير تركه المكوس على الخضروات بمكة وأمر أن يكتب ذلك فى بعض أساطين الحرم المكى فكتب وهو باق الى الآن بقرب باب السلام .

وفى سنة ١٠٨٣ أمر الشيخ محمد المغربى القرمسى أن تدهن السوارى التى بها الكتابات المحفورة بإبطال المكوس فدهنت بالدهانات الملوّنة وظهرت الكتابة فيها واضحة وعوّض صاحب مكة الحسن بن عجلان قسطا من بيت المال، وهكذا كان يبطلها أو يعمل على إبطالها الحكام العادلون ثم تعود على يد الظالمين مدفوعين بشهوة الطمع أو بداعى الحاجة حتى رأيناها بأعيننا فى زمننا .

ضيافات بمكة — قد استضافنا نجل الشيخ الفاسى — شيخ طريقة مشهور — فى الزاوية المعروفة باسمه وكانت الدعوة عامة لجميع موظفى المحمل من ملكيين وعسكريين وأقام لنا وليمة فاخرة أعجبنا بنظامها وإتقان طعامها ونظافة أوعيته وشربنا الشاى بعدها ثلاث كوبات كما هو المتبع عندهم، وقد احتفى بنا الشيخ وقومه حفاوة عظيمة ملئوا بها قلوبنا سرورا . ودعانا بعد ذلك لتناول الطعام الشيخ باخطمه — حضرمى — التاجر المقرّب من الأمير والذى يقوم بقضاء مصالح دولة الشريف والوالى وحكام مكة ويستحضر ما يلزم للعساكر الشاهانية ويشترى من الضباط مرتباتهم بنصف قيمتها اذ يسأمون من تأخر صرفها فيبيعون غائبا بحاضر، والشيخ باخطمه يصرفها من الخزينة كاملة نظير نقود يدفعها لذوى الشأن فى الصرف فيسرعون بصرف المرتبات اليه .

وقد أكثر من إكرامنا وضيافتنا « مقوّم » المحمل ولكن لم يقصد بضيافته وجه الله ولا وجوهنا ولكن وجه الجنيه إذ كان غرضه الوحيد من ذلك الحصول على شهادة منا بزيادة عدد الجمال عن المقرّر لركب المحمل، وهذه الشهادة يقدّمها للمالية المصرية أو الحربية — ان كانت من القسم العسكرى — ليصرف قيمة ما فيها، وقد طلب منى فعلا هذه الشهادة فأبيت عليه وقلت له : إن كان لدينا زيادة عن العدد المقرّر فأنا مستعد لدفع أجرته من مالى الخاص على شريطة أن تكون الأجرة مماثلة

لأجرة جمال الأهالى فما كان جوابه إلا أن قال « نحن لا نريد خسارتك وإنما الذى ينفعنا ينفعك» فنصحته بأن يلتزم خطة الحق وبأن ما أتى من الحرام يذهب من حيث أتى وعرفته بأننا جئنا لنتمم شعائر الدين ونطلب الغفران من رب رحيم لا أن نتحمل مآثم وأوزارا ونخون الأمة فى مالها الذى أعدّته لمصالحها فما كان منه إلا أن سكت مرغما لما أن رأى قناتنا لا تلين .

إعانة السكة الحديدية الحجازية

أمر دولة شريف مكة بجمع إعانة للسكة الحديدية وقدّر على كل حاج غير معسر ريالا ، فأخذ المطوّفون يجمعونها ويوردونها للشريف كل يوم ، وكان بعض الحجاج يمتنع عن الدفع وبعضهم دفع عن نفسه وعمن يرافقه فى القافلة ودفع أحمد بك الجمل من أعيان المنصورة مائة جنيه ، ودفع أحمد بك الضيّ عشرة جنيهات ، ودفع سلطان المكلة والشحر (ثغران على خليج عدن) عوض بن عمر القعيطى ٢٠٠٠٠ روبية أى $\frac{1}{3}$ ١٣٣٣ جنيه انجليزى وكثير غيرهم من الأغنياء ، لكن لم نقف على مقدار ما دفعوا . وقد أمر دولة الشريف بعدم خروج أحد من الحجاج من مكة حتى تجبى الضريبة كلها ، وعلى ذلك حبس الحجاج بمكة بعد تأدية الفريضة سبعة أيام كانوا فيها على أحرّ من الجمر ، شوقهم لزيارة الرسول يهيب بهم أن اسرعوا والشريف يقول : مكانكم حتى تدفعوا . وقد بلغنى أن بعضا من حجاج المغرب شكا لدولة الوالى حبسهم بمكة فأرسل بهم مع مندوب من قبله الى دولة الشريف ليسمح لهم بالخروج ، فلما وصلوا اليه نزل عليهم ضربا بالعصى واذ ذاك انقض عليهم زبانيته أيضا (الباوردية) فتشتتوا مذعورين ورجعوا بخفى حنين ، شكوى عادلة جوابها إهانة قاسية فى بلد جعله الله حرما آمنا ﴿سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ . وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّالِمُونَ﴾ ولئن دام هذا الظلم لينصرفن الناس عن الحج وتلك الطامة الكبرى ببلاد العرب وأهلها الذين يجدون فى الحجاج العيش الكفاف بل الرزق الواسع بل ذلك جناية على الإسلام ومعتنقيه فان هذا البلد واسطة

التعارف بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فاذا انقطعت بينهم الأسباب وانفصمت عروة التواد كانوا كالغنم القاصية تلتهمها الدول المستعمرة فتستغيث فلا مغيث فليقلع الظالم عن ظلمه حتى لايعمنا الله بعذاب من عنده ويغفر لنا ما أسلفنا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

مضارّ حبس الحجاج بمكة — لم يسمح دولة الشريف بخروج الحجاج من مكة إلا بعد أن دفعوا جميعا ريال الإعانة للسكة الحديدية ، فلما أن صدر الإذن بالخروج أخذ جميع الحجاج فى الرحيل وهم ألوف مؤلفة يسلكون طريقا ضيقا ولما بلغوا مكانا مخصوصا بالطريق أوقفوا حتى يدفعوا ريال الحكومة — عوائد — عن كل جمل خال أو محمل فأخذوا يدفعون ولكن بلغ الزحام أشدّه لأن المحصل شخص واحد قام بجانبه اثنان من الزبانية لايسمحان لأحد بالمرور حتى يدفع الريال واستعملا كل غلظة وقساوة لا تصدر من الوحوش فضلا عن الأناسى بل فضلا عن مسلم يدين بالإسلام ، وقد أصبحت الطريق التى كانت معدّة لسير جملين بشقادفهما متحاذيين فيها أربعة صفوف فدخلت الشقادف بعضها فى بعض وكاد الناس يكونون طبقات بعضهم فوق بعض وهنالك تحطم كثير من الشقادف وسقط بعض الراكبين من عليها فتهشمت منهم العظام وبلغت فيهم الجراح وفقدوا من الأمتعة وتلف كثير منها ، وكنت لاتسمع إذ ذاك إلا ولولة النساء وعويل الصبيان واستغاثة الضعفاء ومنازعات الرجال ولا شرطة هناك تحول دون ذلك ، وكل هذا مغبة حبس الشريف للحجاج وسوء نظام الجباية ، وماذا على الحكومة لو عينت عددا من المحصلين وعينت لكل قافلة يوما تخرج فيه ، ومعرفة القوافل من الأمور الهينة لأن المطوّفين والمتعهدين يعرفونها وأولئك معروفون لدى الحكومة وبذلك يسهل التحصيل وتسير القافلة بهدوء وسكينة ويأمن الناس على نفوسهم وأمتعتهم .

مرتبات الأشراف والعربان والأهالى وطريقة صرفها

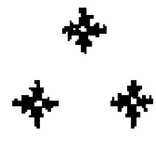
جرت العادة من قديم أن تصرف الحكومة المصرية مرتبات للأشراف والعربان والأهالى بمكة والمدينة، وكان المقرّر فى ميزانية المحمل هذا العام للأشراف ١٢٦٥ جنيها مصريا وللعربان ٢٥١١ جنيها وللأهالى ٢٨٧٩ جنيها وكان يصرف لكل شخص مرتبه المقرّر بمقتضى إذن يمضيه أمين الصرة وأمير الحج وكذلك الكاتب الأوّل للصرة دلالة على أن الصرف قانونى، والكاتب الأوّل هو الذى يقوم بإعداد إذن الصرف ليكون مطابقا لما دوّن بالسجل الذى به أسماء أصحاب المرتبات (الذين لا وجود لأكثرهم الآن) وساعة البدء فى الصرف حضر أمام الكاتب عدد عظيم من العربان وكلفوه بتلاوة الأسماء فسألهم هل أنتم أصحاب المرتبات؟ فقالوا: لا ولكننا موكلون فى تسلمها سنويا فقال لهم: أحضروا التوكيلات التى تؤيد دعواكم، فقالوا وممن تكون التوكيلات؟ فقال لهم: من أصحاب المرتبات الذين وكلوكم أو وارثيهم، فقالوا: إن أصحابها توفوا من زمن مديد ولا أثر لمعظم وارثيهم وكل سنة نتسلم المرتبات بدون معارضة ونحن متفقون فيما بيننا على صرفها إلينا فاضطرّ الكاتب لإجابة طلبهم وأخذ يتلو الأسماء عليهم، فأخذ كل منهم يخطف من الأذون ما استطاع حتى كان الواحد يتحصل على الخمسين والستين ثم يتسلم قيمتها .

والأشراف المقيدة بأسمائهم المرتبات منهم الحى ومنهم المتوفى وتصرف مرتباتهم إلى من يعينه شريف مكة وكيلا عنهم بعد أن يستعلم منه أمير الحج .

وللشيخ حذيفة كبير قبيلة الأحامدة مرتب سنوى ينيف على ٦٠٠ ريال، تصرف إليه نظير محافظته على ركب المحمل أثناء مروره بالطريق السلطانى الذى يقيم به الشيخ حذيفة، وهذا المرتب يصرف إليه سنويا مرّ المحمل به أو لم يمر، وفى هذا العام قدم من قبله وكيل عنه يدعى محمد بن عامر ومعه وثيقة التوكيل ممهورة بختم الشيخ حذيفة وصريحة فى أنه وكيل عنه فى قبض مرتبه ولكن أبى الشريف إلا أن يصرف المرتب الى أكبر أولاد الشيخ حذيفة المسمى خليلا مع أن بين الشيخ وابنه عداءً شديداً

ومخاصمات كبيرة وحروبا طاحنة أهرقت فيها الدماء آنتصر فيها الولد على ابيـه بقوة أعوانه وأنصاره وسبب ذلك تحريض الأبن للعربان على شق عصا الطاعة لأبيـه . فكان ينبغى من أجل هذا النفار المستحكم أن يصرف المرتب للوكيل الشرعى لا للابن العاق ولكن من يستطيع أن يخالف أمر الشريف الذى نفذ ما أراد وصرف المرتب للولد الباغى .

وقد صرفت بمكة مكافأة لواحد من الأشراف آسمه الشيخ مساعد يقوم فى جمع من عسكر «البيشة» بحراسة المحملين المصرى والشامى بعد وصولها الى المدينة و يبلغ عددهم نحو الخمسين يقاسمونه المكافأة وليس لهؤلاء العسكر نظام ولا يطيعون من الأوامر إلا ما آتفق مع رغبتهم مع أن عملهم مساعدة المحمل عند الحاجة ، و يشكون كثيرا من أنهم لا يجـدون ما يأكلون وما يعلفون به الدواب مع أن العلف صرف اليهم — وما كنا ملزمين بذلك — وقد أخذوا مكافآت ينفقون منها ولكن أنفقوا ما صرف اليهم فى بيوتهم وآتكلوا على الأمير والأمين يمدّونهم بما يأكلون ، ويعين مع الشيخ مساعد رئيس «البيشة» فارس عثمانى برتبة ملازم يرافق المحمل ولكن البيشة لا يسمعون منـه قولا ولا ينفذون له أمرا بل يأتمرون بأمر واحد من بنى جِلْدتهم ومع أن هؤلاء العسكر يقظون فى الحراسة و بصرهم حادّ ينبغى أن يضم اليهـم قسم من العساكر يشركونهم فى الحراسـة كما ينبغى تحذيرهم من السلب والنهب لأنهم ولعون بذلك خصوصا عند مجىء العربان لبيع ما عندهم للحجاج ، فإنه بلغنى أنهم أخذوا فى سنة خلت من بعض العربان قدرا من السمن ولم يدفعوا ثمنه وضربوا أصحابه وتسبب عن ذلك تجمع العربان وتراميهم مع رجال المحمل بالنيران حتى قتل بعض الحجاج وجرح بعض آخر « ومعظم النار من مستصغر الشرر » أما فى هذا العام فلم يحصل ما يكدر فالحمد لله على ما منّ .



والى هنا فرغنا من ذكر الأعمال التى قمنا بهـا فى مكة وأصبحنا على أهبة السفر الى الحرم الثانى وبقى علينا أن نصف لك مكة وما آشتملت عليه من المبانى الفخمة

والآثار الجمة وكذلك منى وعرفة والمزدلفة والطائف ونلم بتاريخها إلماما حتى تكون على بينة من أمرها وخبيرا بما قام به سلفنا الصالح فى الحرم الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ونقدّم لك بين يدى ذلك القسم الدينى من رحلتنا فى الحج ومناسكه ووصف لبلاد العرب وموجز فى تاريخها وفى سير الفتوحات الإسلامية وانتشار الدين فى ربوع المعمورة .

القسم الدينى

قد رأينا أن نسوق اليك أيها القارئ حجته صلى الله عليه وسلم ثم نردفها بالأحكام الفقهية فى شرائع الحج حسب ما سطر فى كتب المذاهب المختلفة ، وإنما قدّمنا حجته صلى الله عليه وسلم لأنها السراج الوهاج الذى اقتبس منه الفقهاء ولأنها الحكم عند اختلاف الآراء ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وقد اعتمدنا فى ذلك على ما كتبه الإمام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ ﻫ فى كتابه « زاد المعاد فى هدى خير العباد » فإنه خير ما كتب فى هذا الموضوع على ما علمنا .

حجة الوداع ـــ لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد هجرته الى المدينة سوى حجة واحدة وهى حجة الوداع ولا خلاف أنها كانت سنة عشر . واختلف هل حج قبل الهجرة ، فروى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : حج النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة ، قال الترمذى : هذا حديث غريب ـــ تفرّد به راو واحد ـــ من حديث سفيان قال : وسألت محمدا يعنى البخارى عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى ، وفى رواية لا يعدّ هذا الحديث محفوظا . ولما نزل فرض الحج بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج من غير تأخير فان فرض الحج تأخر الى سنة تسع أو عشر وأما قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فإنها وإن نزلت سنة ست عام الحديبية فليس فيها فريضة الحج وإنما فيها الأمر بإتمامه وإتمام العمرة بعد الشروع فيهما وذلك لا يقتضى وجوب الابتداء .

ولما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أعلم الناس أنه حاج فتجهزوا للخروج معه وسمع بذلك من حول المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافاه فى الطريق خلائق لا يحصون فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مدّ البصر، وخرج من المدينة نهارا بعد الظهر لست بقين من ذى القعدة بعد أن صلى الظهر بها أربعا وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه، قال ابن حزم: وكان خروجه يوم الخميس، قال ابن القيم: والظاهر أنه كان يوم السبت. (انظر أدلة كل منهما بزاد المعاد) وبعد أن صلى وخطب ترجل (مشط رأسه) وأدهن. ولبس إزاره[1] ورداءه وخرج بين الظهر والعصر فنزل بذى الحليفة[2] (الخريطة ٥٧) فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر فصلى بها خمس صلوات وكان نساؤه كلهن معه وطاف عليهن تلك الليلة، فلما أراد الإحرام اغتسل غسلا ثانيا لإحرامه غير غسل الجماع الأول ثم طيبته عائشة بيدها بذريرة[3] وطيب فيه مسك فى بدنه ورأسه حتى كان وبيص[4] المسك يرى فى مفارقه[5] ولحيتــه ثم استدامه ولم يغسلــه ثم لبس إزاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتيـن ثم أهل[6] بالحج والعمرة فى مصلاه ولم ينقل عنه أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر وقلد[7] قبل الإحرام بُدْنه نعلين وأشعرها فى جانبها الأيمن فشق صفحة سنامها وسلت[8] الدم عنها — وقد ساق ابن القيم بضعة وعشرين دليلا كلها صحيحة صريحة فى أنه صلى الله عليه وسلم حج قارنا، وذكر أنه أخطأ فى عمرة النبى صلى الله عليه وسلم خمس طوائف ووهم فى حجه خمس طوائف وغلط فى إحرامه خمس طوائف وبين آراء كل طائفة وساق

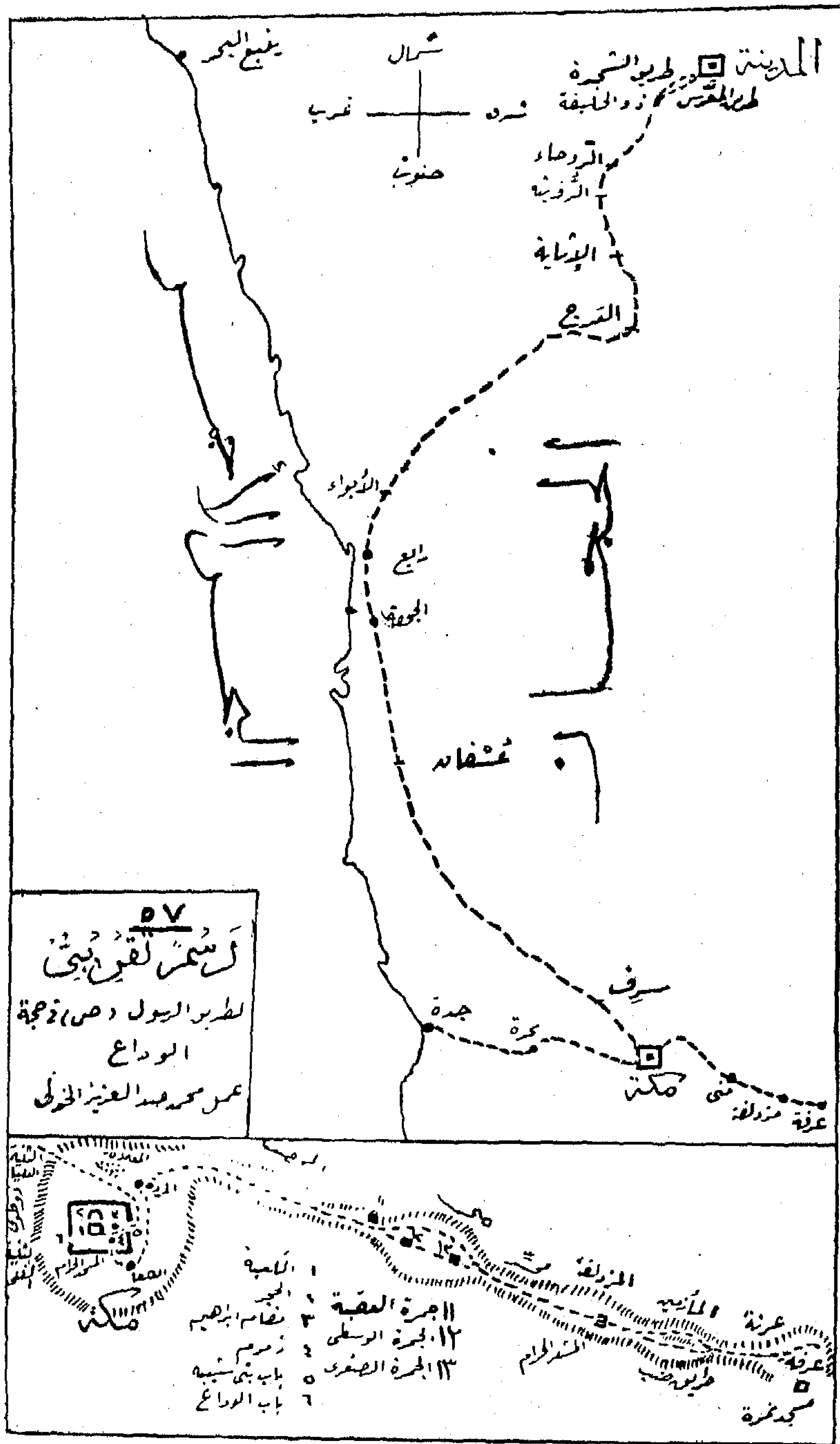
(١) الإزار ما يلف على أسفل الجسم، والرداء ما يلف على أعلاه.

(٢) ذو الحليفة أو آبار على غربى المدينة بينها وبين مسجدها نحو ٢٠ كيلو مترا وبها مسجد يسمى مسجد الشجرة وبئر يسميها الجهال بئر على لظنهم أن عليا قاتل الجن بها وهو كذب (رسائل ابن تيميــة ص ٣٥٦ جزء ثان). (٣) الذريرة نوع من الطيب يجمع من أخلاط شتى. (٤) بريقه ولمعانه.

(٥) جمع مفرق وهو وسط الرأس الذى يفرق فيه الشعر. (٦) الإهلال رفع الصوت بالتلبية بهما.

(٧) تقليد البدنة أن يعلق فى عنقها شىء ليعلم أنها هدى. (٨) أى أماطه وأزاله.

خريطة حجة الوداع



حقوق الطبع والنشر محفوظة

57. A map showing the Prophet's farewell pilgrimage.

أدلتها ثم كر عليها بالنقض، وكتابته فى هذا الموضوع أمتع ما كتب فراجعها فى كتابه زاد المعـاد من ص ١٨٣ الى ص ٢٠٢ من الجزء الأول طبع الحلبي بمصر — ولبد رسول الله صلى الله عليه وسـلم رأسه بالغسل — بوزن كفل — وهو ما يغسل به الرأس من خِطْمِى[1] ونحوه يلبد به الشعر حتى لا ينتشر، وأهل فى مصلاه ثم ركب على ناقته وأهل أيضا ثم أهـل لمـا آستقلت به على البيداء[2] . قال ابن عباس رضى الله عنهما : وايم الله لقد أوجب[3] فى مصلاه وأهل حين آستقلت[4] به ناقته وأهل حين علا على شرف[5] البيداء وكان يهل بالحج والعمرة تارة و بالحج تارة لأن العمرة جزء منه ؛ فمن ثمة قيل : قرن[6]، وقيل : تمتع، وقيل : أفرد ثم لبى فقال : لبيك[7] اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمـد والنعمة لك . والملك لا شريك لك . ورفع صوته بهذه التلبية حتى سمعها أصحابه وأمرهم بأمر الله له أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية وكان حجه على رحل لا فى محمِل ولا هودج ولا عمارِيَّة[8] وزاملته[9] تحتـه — وآختلف فى جواز ركوب المحرم فى المحمل والهودج والعمارية ونحوها على قولين همـا روايتان عن أحمـد رحمه الله أحدهما الجواز وهو مذهب الشافعى وأبى حنيفـة رحمهما الله والثانى المنع وهو مذهب مالك — ثم انه صلى الله عليه وسلم خيرهم عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة (الحج أو العمرة أوهما معا) ثم ندبهم عند دنوهم من مكة الى فسخ

---

(١) كلما راجعت قاموسا لعلى أجد فيه وصف هذا النبات لا أجد إلا قول ما يغسل به الرأس أو هو نبات محلل منضج ملين نافع لعسر البول الخ أو نبات معروف أو غسل معروف وهو بكسر الخاء وقد تفتح .

(٢) الصحراء . (٣) أوجب الشخص عمل عملا يستوجب له الجنة . (٤) حملته وقامت به .

(٥) مرتفع . (٦) القران الإهـلال بالحج والعمرة معا، والتمتع : الاهلال بالعمرة وحدها و بعد التحلل منها يحرم بالحج، و الإفراد : الاحرام بالحج وحده . (٧) أى إجابة لك بعد إجابة .

(٨) الرحل للابل كالسرج للفرس، والمحمل كمجلس : شقان على البعير يحمل فيهما العديلان، والهودج : مركب للنساء مقبب، وأما العمارية فهى الهودج يُجلس فيه (أقرب الموارد، ج ٢ ص ٨٢٩) .

(٩) الزاملة : البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع من الزمل وهو الحمل، والزميل : العديل الذى حمله مع حملك على البعير .

الحج والقِران الى العمرة لمن لم يكن معه هدى ثم حتم ذلك عنـد المروة . وولدت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضى الله عنهما بذى الحليفة محمد بن أبي بكر فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتستسفر وتستتر بثوب وتحرم وتهل ، وكان فى قصتها ثلاث سنن إحداها غسل المحرم ، والثانية أن الحائض تغتســل لإحرامها ، والثالثة أن الإحرام يصح من الحائض . ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبى بتلبيته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون وهو يقرهم ولا ينكر عليهـم ولزم تلبيته . فلما كانوا بالرَّوحاء(١) رأى حمار وحش عَقِيرا(٢) فقال : دعوه فإنه يوشـك أن يأتى صاحبه ، فجاء صاحبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله شأنكم بهذا الحمار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه فقسمه بين الرفاق ، وفى هذا دليل على جواز أكل المحرم من صيد الحلال إذ لم يصده لأجله ، وأما كون صاحبه لم يحرم فلعله لم يمرّ بذى الحليفة فهو كأبى قتادة فى قصته ، وتدل هذه القصة على أن الهبة لا تفتقر الى لفظ وهبت لك بل تصح بلفظ يدل عليها ، وتدل على قسمته اللحم مع عظامه بالتحرى ، وتدل على أن الصيد يملك بالإثبات وإزالة امتناعه وأنه لمن أثبته لا لمن أخذه ، وعلى حل أكل لحم الحمار الوحشى وعلى التوكيل فى القسمة وعلى كون القاسم واحدا ـــ ثم مضى حتى اذا كان بالإثاية بين الرُّوَيْثَة والعَرْج(٣) إذا ظبى حاقف(٤) فى ظل شجرة فيه سهم فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزوا ، والفرق بين قصة الظبى وقصة الحمار أن الذى صاد الحمار كان حلالا فلم يمنع من أكله وهذا لم يعلم أنه حلال وهم محرمون فلم يأذن لهم فى أكله ، ووكل

(١) الروحاء موضع بين مكة والمدينة على ثلاثين أو ستة وثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

(٢) معقورا مضروبا .

(٣) الإثاية موضع بين الحرمين فيه مسجد نبوى أو بئر دون العرج عليها مسـجد للنبى صلى الله عليه وسلم (القاموس المحيط) وهى بالياء مثلثة الهمزة وقال فى معجم ياقوت : هى موضع فى طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة عشر فرسخا (٤٥ ميلا) والعرج : قرية جامعة من أعمال الفُرْع على أيام من المدينة (نهاية) قال ياقوت : بينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلا ، والرويثة بالتصغير : موضع على ليلة من المدينة ، وقال ابن السكيت : الرويثة مُعَشّى بين العرج والروحاء .

(٤) رابض فى حِقْف من الرمل وهو المعوج منه .

من يقف عنده لئلا يأخذه أحد حتى يجاوزوا، وفيه دليل على أن قتل المحرم للصيد يجعله بمنزلة الميتة فى عدم الحل إذ لو كان حلالا لم تضع ماليته بل كان للحلال أن ينتفع به، ثم سار حتى اذا نزل بالعرج [1] وكانت زاملته وزاملة أبى بكر واحدة وكانت مع غلام لأبى بكر، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى جانبه وعائشة الى جانبه الآخر وأسماء أختها الى جانب أبيها، وأبو بكر ينتظر الغلام والزاملة إذ طلع الغلام ليس معه البعير فقال أين بعيرك؟ فقال : أضللته البارحة، فقال أبو بكر : بعير واحد تضله قال : فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع، وما يزيد رسول الله على أن يقول ذلك ويبتسم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالابواء [2] أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشى فرده عليه فقال : إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم. فلما مر بوادى عُسفان [3]. قال يا أبا بكر أى واد هذا؟ قال : وادى عسفان قال : لقد مر به هود وصالح على بكرين أحمرين خُطُمهم [4] الليف وأُزُرهم العباء [5] وأرديتهم النمار [6] يلبون يحجون البيت العتيق — ذكره الامام أحمد فى المسند . فلما كان بسرف [7] حاضت عائشة رضى الله عنها وقد كانت أهلت بعمرة، فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى قال ما يبكيك؟ لعلك نفست : قالت : نعم قال : هذا شىء قد كتبه الله على بنات آدم افعلى ما يفعل.

---

(١) تقدم الكلام عليه مع الاثاية . (٢) الأبواء قرية بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ورابغ بينهما، فالأبواء : جهة المدينة، والجحفة : جهة مكة وقيل : جبل شامخ هنالك، وفى هذا الموضع توفيت والدة الرسول صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف، والأبواء قبل رابغ بقليل من جهة المدينة . (٣) عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهى على مرحلتين من مكة أوسنة وثلاثين ميلا والجحفة على ثلاث مراحل ومن عسفان إلى ملل يقال له : الساحل، وملل على ليلة من المدينة . (٤) الخطام : كل ما يوضع فى أنف البعير ليقتاد به والجمع خُطُم .

(٥) العباء : ضرب من الأكسية واحدته عباءة وعباية .

(٦) النمار جمع نَمِرة وهى كل شملة مخططة كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض .

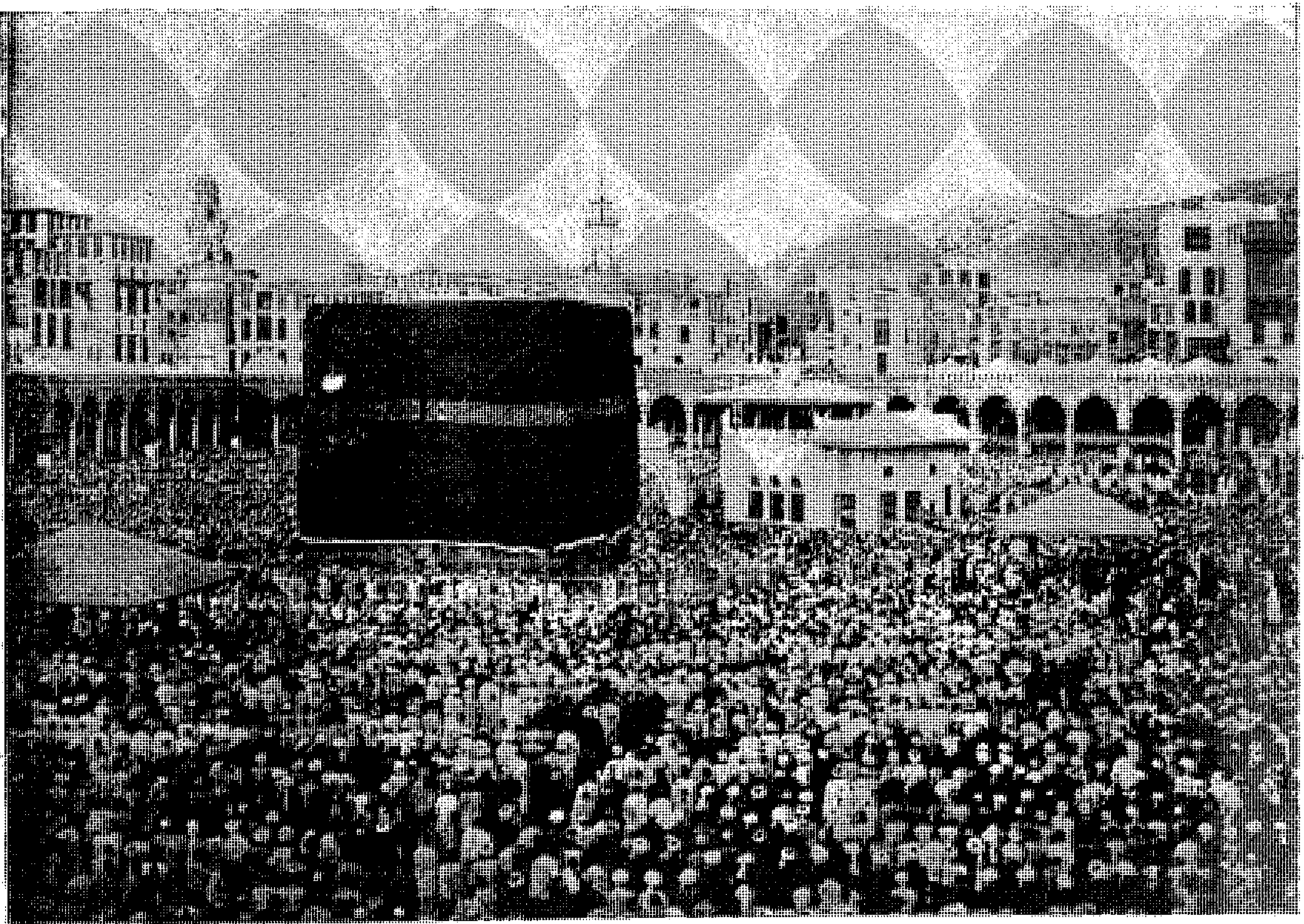
(٧) موضع على عشرة أميال من مكة وقيل : أقل وقيل : أكثر وفيه تزوج النبى صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث .

الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت . وقد جاء فى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : أهلت عائشــة بعمرة حتى اذا كانت بسرف عركت (حاضت) ثم دخل[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة فوجدها تبكى فقال ما شأنك ؟ قالت : شأنى أنى قد حضت وقد أحل الناس ولم أحل ولم أطف بالبيت والناس يذهبون الى الحج الآن ، فقال : إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم فاغتسلى ثم أهلى بالحج ففعلت ووقفت المواقف كلها حتى إذا طهرت طافت بالكعبة و بالصفا والمروة ثم قال قد حللت من حجك وعمرتك قالت يارسول الله ! إنى أجد فى نفسى أنى لم أطف بالبيت حتى حججت قال : فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم . وقد تنازع العلماء فى قصة عائشة هل كانت متمتعة أو مفردة والصواب أنها كانت متمتعة محرمة بالعمرة فقط واذا كانت متمتعة فهل رفضت عمرتها وانتقلت الى الإفراد بالحج أو أدخلت عليها الحج وصارت قارنة بإدخاله عليهـا والصواب الثانى ، وهل العمرة التى أتت بها من التنعيم كانت واجبة أو لا ؟ والصحيح أنها كانت نافلة تطييبا لقلبها وجبرا لها و إلا فطوافها وسعيها وقع عن حجها وعمرتها وكانت متمتعـة ثم أدخلت الحج على العمرة فصارت قارنة ، واختلفوا هل كان طهرها يوم عرفة أو يوم النحر . وحديث عائشة السابق يؤخذ منه أصول عظيمة من أصول المناسك : (١) اكتفاء القارن بطواف واحد وسعى واحد ؛ (٢) سقوط طواف القـدوم عن الحائض ، كما أن حديث[٢] صفية أصل فى سقوط طواف الوداع عنها ؛ (٣) أن إدخال الحج على العمرة جائز كما يجوز للطاهر وأولى المعذورة لأنها محتاجة الى ذلك ؛ (٤) أن الحائض تفعل أفعال الحج كلها إلا أنهـا لا تطوف بالبيت ؛ (٥) أن التنعيم من الحل ؛ (٦) جواز عمرتين فى سنة واحدة بل فى شهر واحد ؛ (٧) أن المشروع فى حق المتمتع إذا خاف الفوات أن يدخل الحج على العمرة وحديث عائشة أصل فيه ؛ (٨) أنه أصـل فى العمرة المكية وليس مع من يستحبها غيره ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعتمر هو ولا أحد ممن حج معه من مكة خارجا منها إلا عائشة وحدها ، فجعل أصحاب العمرة المكية قصة عائشة أصلا

(١) وذلك الدخول بعد أن وصل صلى الله عليه وسلم الى مكة .

(٢) أنظر ص ٩٤

صلاة الجمعة بالحرم المكي في الحجة سنة ١٣٢٥



58. Pilgrims round El-Kaaba performing the Friday Prays.

لقولهم ولا دلالة لهم فيهـا فإن عمرتها إما أن تكون قضاء للعمرة المرفوضة عنـد من يقول : إنها رفضتها فهى واجبة قضاء لها أو تكون زيادة محضة وتطييبا لقلبها عنـد من يقول : إنها كانت قارنة وإن طوافها وسعيها أجزأها عن حجها وعمرتها . ولنعد الى سياق حجه صلى الله عليه وسلم .

فلما كان بِسَرِف قال لأصحابه : من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدى فلا، وهذه رتبة أخرى فوق رتبة التخيير عند الميقات، فلما كان بمكة أمر أمرا حتما من لا هدى معه أن يجعلها عمرة ويحل من إحرامه ومن معه هدى أن يقيم على إحرامه ولم ينسخ ذلك شيء البتة، بل سأله سراقة بن مالك عن هذه العمرة التى أمرهم بالفسخ اليها هل هى لعامهم ذلك أو للأبد ؟ قال : بل للأبد، وإن العمرة قد دخلت فى الحج إلى يوم القيامة وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بفسخ الحج الى العمرة أربعة عشر صحابيا وأحاديثهم كلها صحاح (انظر الأحاديث وأعذار المخالفين والرد عليها فى زاد المعاد من ص ٢٠٩ الى ٢٢٥ ج ١) . ثم نهض صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل بذى طوى[١] وهى المعروفة الآن بآبار الزاهر فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذى الحجة وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض الى مكة فدخلها من أعلاها من الثنية[٢] العليا التى تشرف على الحجون[٣]، وكان فى العمرة يدخل من أسفلها، وفى الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها ثم سار حتى دخل المسجد وذلك ضحى، وذكر الطبرانى أنه دخله من باب بنى عبد مناف الذى يسميه الناس اليوم باب بنى شيبة[٤] أو باب السلام ثم استقبل البيت ودعا، وذكر الطبرانى : أنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة، وروى عنه أنه كان عند رؤيته يرفع يديه ويكبر ويقول : اللهم أنت السلام

(١) ذو طوى : موضع غربىّ مكة على مقربة منها . (٢) الثنية فى الجبل : كل عقبة مسلوكة أو هى الطريق العالى فيه . (٣) الحجون : جبل بأعلى مكة مشرف على مقبرتها وتسمى المقبرة : الحجون .
(٤) انظر صورته شرقى الكعبة فى (الرسم ٥٨) .

ومنك السلام حينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا وهو مرسل[(١)]، ولكن سمع هذا سعيد ابن المسيب من عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقوله . فلما دخل المسجد عمد الى البيت (انظر رسمه فى الشكل ٥٨) ولم يركع تحية المسجد فان تحية المسجد الحرام الطواف . فلما حاذى الحجر الأسود[(٢)] (ترى فى الرسم ٥٩ الحجاج وقد تزاحموا على تقبيله) استلمه ولم يزاحم عليه ولم يتقدم عنه الى جهة الركن[(٣)] اليمانى ولم يرفع يديه ولم يقل : نويت بطوافى هذا الأسبوع كذا وكذا ولا افتتحه بالتكبير كما يكبر للصلاة كما يفعله من لا علم عنده بل هو من البدع المنكرات ولا حاذى الحجر الأسود بجميع بدنه ثم انفتل عنه وجعله على شقه بل استقبله واستلمه ثم أخذ عن يمينه وجعل البيت عن يساره ولم يعرف عنه عند الباب[(٤)] ولا تحت الميزاب[(٥)] ولا عند ظهر الكعبة وأركانها ولا وقت الطواف ذكر معين لا بفعله ولا بتعليمه بل حفظ عنه بين الركنين ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. ورمل[(٦)] فى طوافه هذا ثلاثة الأشواط الأول وكان يسرع مشيه ويقارب بين خطاه واضطبع بردائه فجعله على أحد كتفيه وأبدى كتفه الآخر ومنكبه، وكلما حاذى الحجر الأسود أشار اليه واستلمه بمحجنه وقبل المحجن، والمحجن : عصا محنية الرأس ، وثبت عنه أنه استلم الركن اليمانى ولم يثبت عنه أنه قبله ولا قبل يده عند استلامه ولكن ثبت عنه أنه قبل الحجر الأسود وثبت عنه أنه استلمه بيده فوضع يده عليه ثم قبلها وثبت عنه أنه استلمه بمحجن فهذه ثلاث صفات، وروى عنه أيضا : أنه وضع شفتيه عليه طويلا يبكى . وذكر الطبرانى عنه بإسناد جيد أنه كان إذا استلم الركن اليمانى قال : بسم الله

(١) الحديث المرسل ما سقط من سنده — رواته — الصحابى .

(٢) فى زاوية الكعبة الجنوبية الشرقية وسيأتى مزيد شرحه .

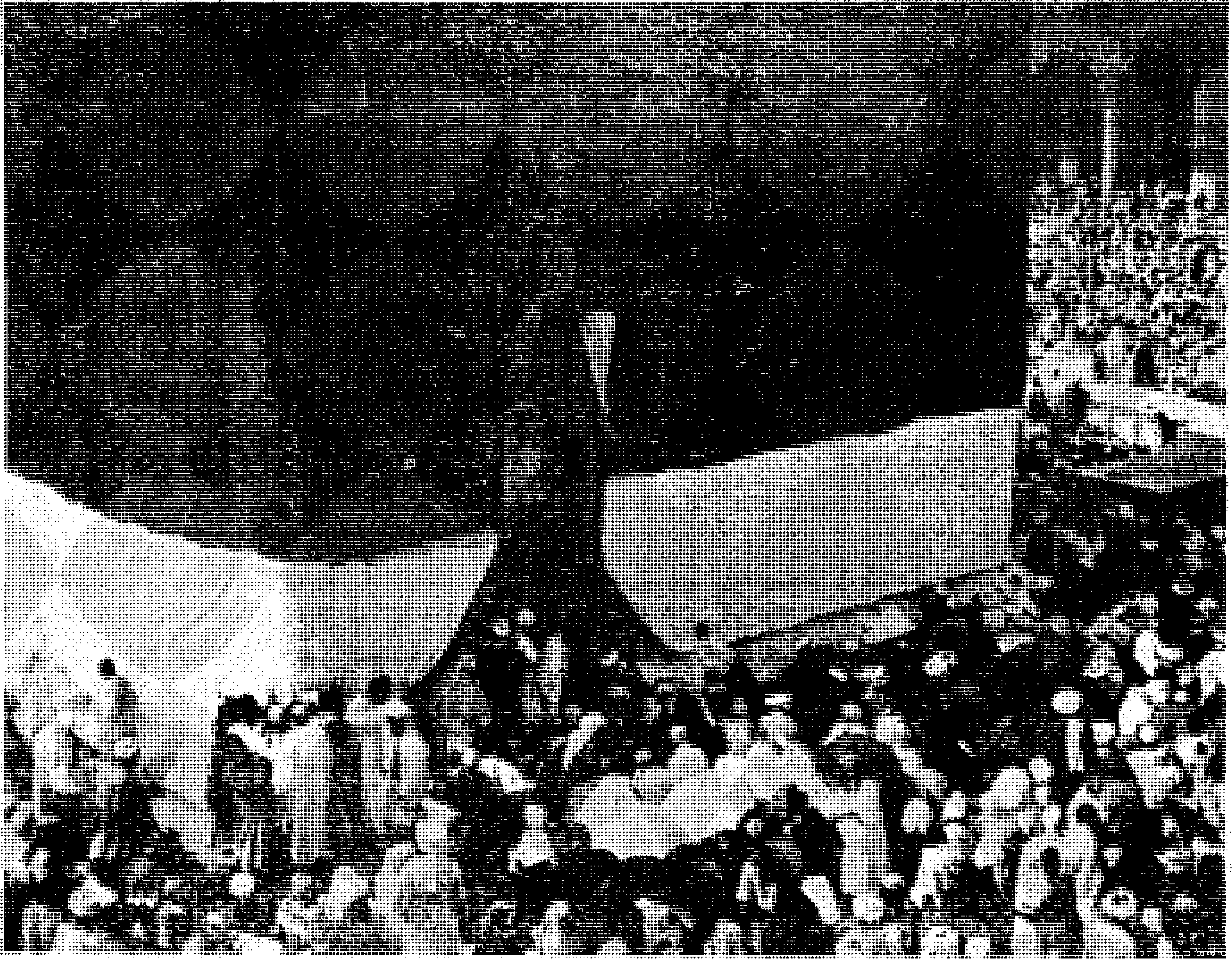
(٣) هو الركن الذى فى الجهة الجنوبية الغربية .

(٤) الباب فى الجهة الشرقية (انظره عليه الستارة فى الرسم ٥٩) .

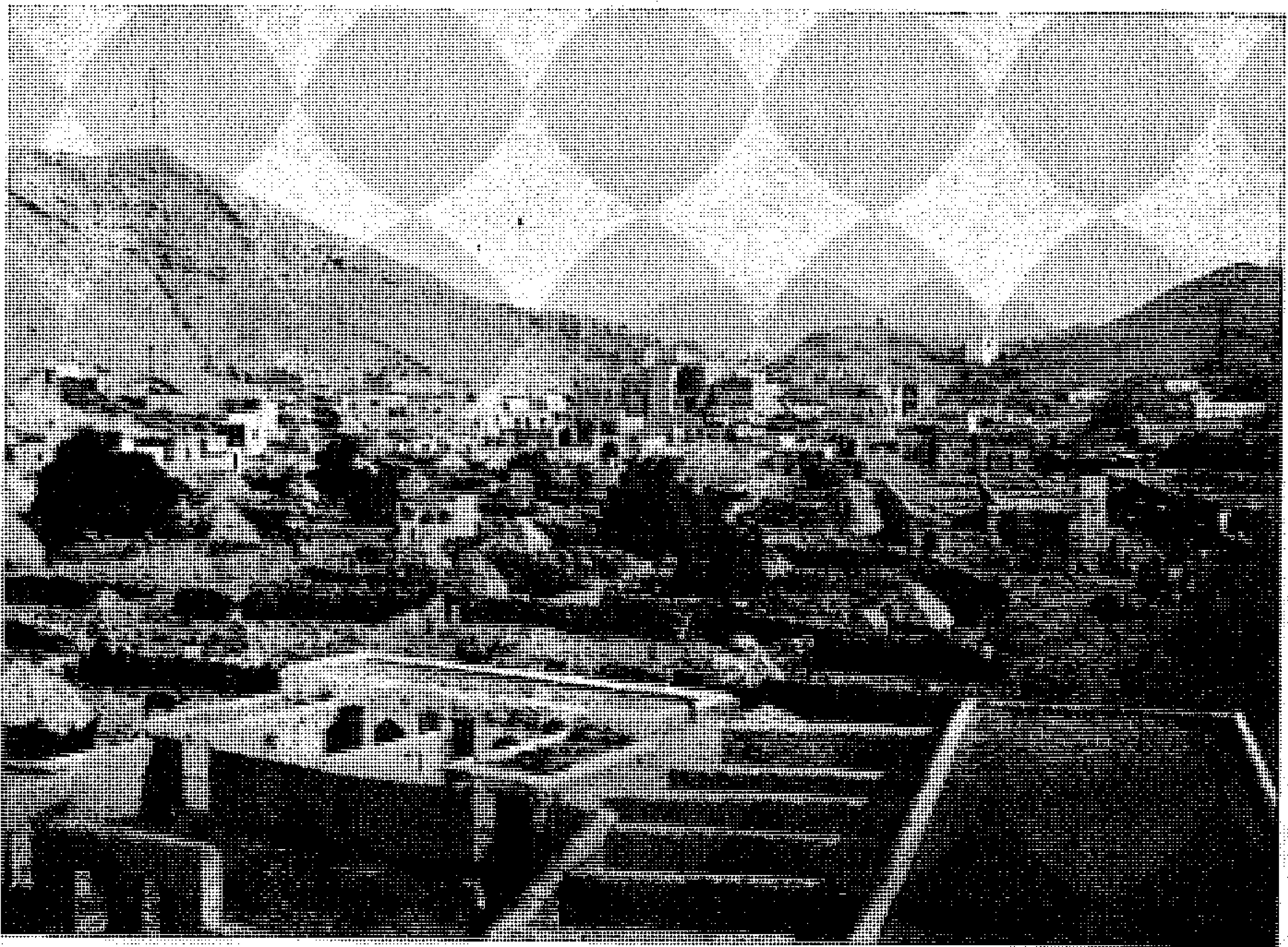
(٥) الميزاب : ما يسيل منه الماء الذى يتجمع على سطح الكعبة وسيأتى شرحه .

(٦) الرَّمَل : الاسراع فى المشى مع تقارب الخطا .

الحجاج حول الكعبة المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود



59. Pilgrims round the Kaaba kissing the Black Stone.



مقياس [illegible] بجرول سنة ١٣٢٥ وجبل الكعبة

61. The Water-gauge and the Kaaba Mountain at Garwal, Mecca.

والله أكبر، وكان كلما أتى على الحجر الأسود قال: الله أكبر، وروى عن عمر أنه قبل الحجر وسجد عليه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك. وروى عن ابن عباس أنه قبل الركن اليمانى ثم سجد عليه ثم قبله ثم سجد عليه ثلاث مرات. ولم يستلم صلى الله عليه وسلم ولم يمس من الأركان إلا اليمانيين فقط . فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف المقام(١) فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فصلى ركعتين، والمقام بينه وبين البيت قرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتى الإخلاص، فلما فرغ من صلاته أقبل الى الحجر الأسود فاستلمه ثم خرج الى الصفا(٢) من الباب الذى يقابله، فلما قرب منه قرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ ٱللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به، وفى رواية ابدءوا على الأمر ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات، وقام ابن مسعود على الصَّدع وهو الشق الذى فى الصفا فقيل له : هاهنا يا أبا عبد الرحمن قال : هذا والذى لا إله غيره مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة ــ ذكره البيهقى ــ ثم نزل الى المروة يمشى فلما انصبّت قدماه فى بطن الوادى سعى حتى إذا جاوز الوادى وأصعد مشى ــ هذا الذى صح عنه فى ذلك اليوم ــ قبل الميلين الأخضرين فى أول السعى وآخره، والظاهر أن الوادى لم يتغير عن وضعه . هكذا قال جابر عنه فى صحيح مسلم، وظاهر هذا أنه كان ماشيا، وقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : طاف النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة ليراه الناس وليشرف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا(٣)، قال ابن حزم:

(١) الحجر الذى قام عليه إبراهيم وهو يبنى الكعبة وسيأتى الكلام عليه .

(٢) الصفا : مكان عال فى أصل جبل أبى قبيس جنوبى المسجد الحرام على مقربة من بابه المسمى باب الصفا وهو أشبه بالمصلى طوله ٦ أمتار وعرضه ثلاثة وسيأتى وصفه .

(٣) فلم يسعوا بعد طواف الافاضة .

لا تعارض بينهما لأن الراكب إذا آنصب به بعيره فقد آنصب كله وآنصبت قدماه أيضا مع سائر جسده، قال آبن القيم: وعندى وجه آخر للجمع بينهما أحسن من هذا وهو أنه سعى ماشيا أوّلا ثم أتم سعيه راكبا، وقد جاء ذلك مصرحا به، ففى صحيح مسلم عن أبى الطفيل قال: قلت لابن عباس أخبرنى عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو؟ فان قومك يزعمون أنه سنة قال: صدقوا وكذبوا قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون: هذا محمد حتى خرج عليه العواتق من البيوت قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُضْرب الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشى أفضل. وأما طوافه بالبيت عند قدومه فاختلف فيه هل كان على قدميه أو كان راكبا؟ والصحيح أنه طافه على قدميه لأنه ثبت عنه الرَّمَل فيه وهو إنما يكون من الماشى، وأن الركوب كان فى طواف الإفاضة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى المروة (١) رقى عليها وآستقبل البيت وكبر الله وحده وفعل كما فعل على الصفا، فلما أكمل سعيه عند المروة أمر كل من لاهدى معه أن يحل حتما ولا بد قارنا كان أومفردا، وأمرهم أن يحلوا الحل كله من وطء النساء والطيب ولبس المخيط وأن يبقوا كذلك الى يوم التروية، ولم يحل هو من أجل هديه وهناك قال: لو آستقبلت من أمرى ما آستدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها عمرة، وهناك دعا للحلقين بالمغفرة ثلاثا وللمقصرين مرة، وهناك سأله سُراقة بن مالك بن جُعْشُم عقيب أمره لهم بالفسخ والإحلال هل ذلك لعامهم خاصة أو للأبد؟ فقال: بل للأبد ولم يحل أبو بكر ولا عمر ولا علىّ ولا طلحة ولا الزبير من أجل الهدى، وأما نساؤه صلى الله عليه وسلم فأحللن وكنّ قارنات إلا عائشة فانها لم تحل من أجل تعذر الحل عليها بحيضها، وفاطمة حلت لأنه لم يكن معها هدى، وعلى رضى الله عنه لم يحل من أجل هديه، وأمر من أهّل بإهلال كاهلاله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على إحرامه إن كان معه هدى وأن يحل إن لم يكن معه هدى، وكان يصلى مدّة مقامه بمكة الى يوم التروية (٢) بمنزله الذى هو

(١) المروة: مكان مرتفع فى أصل جبل قعيقعان فى الشمال الشرقى للسجد الحرام على بعد منه وتحيط به الآن ثلاثة جدر فى الشمال والشرق والغرب. (٢) ثامن ذى الحجة وكانوا يعدون فيه الماء للسفر الى عرفة.

نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة ، فأقام بظاهر مكة أربعة أيام يقصر الصلاة يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء ، فلما كان يوم الخميس ضحى توجه بمن معه من المسلمين الى منى (١) فأحرم بالحج من كان أحل منهم من رجالهم ولم يدخلوا الى المسجد فأحرموا منه بل أحرموا ومكة خلف ظهورهم ، فلما وصل الى منًى نزل بها وصلى بها الظهر والعصر وبات بها وكان ليلة الجمعة فلما طلعت الشمس سار منها الى عرفة وأخذ على طريق ضب (٢) على يمين طريق الناس اليوم وكان من أصحابه الملبي ومنهم المكبر وهو يسمع ذلك ولا ينكر على هؤلاء ولا على هؤلاء ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة بأمره وهى قرية (٣) شرقى عرفات وهى خراب اليوم فنزل بها حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصوى (٤) فرحلت (٥) ، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عُرَنة (٦) فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة قرّر فيها قواعد الإسلام وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقرّر فيها تحريم المحرمات التى اتفقت الملل على تحريمها وهى الدماء والأموال والأعراض ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ووضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله وأوصاهم بالنساء خيرا وذكر الحق الذى لهنّ وعليهنّ وإن الواجب لهنّ الرزق والكسوة بالمعروف ولم يقدر ذلك بتقدير وأباح للأزواج ضربهنّ اذا أدخلن الى بيوتهنّ من يكرهه أزواجهن ، وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله وأخبر أنهم لن يضلوا ماداموا معتصمين به ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه واستنطقهم بماذا يقولون وبماذا يشهدون فقالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فرفع

(١) منى : هو موضع فى شرقى مكة على مسيرة ساعتين وخمس وأربعين دقيقة منها وفيها الجمرات وسيأتى وصفها ورسمها فى خريطة مشاعر الحج .

(٢) ضب : اسم الجبل الذى فى أصله مسجد الخيف وطريق ضب يبتدئ من أول المأزمين على يمين الميمم عرفة وهو أخصر من طريق المأزمين . (٣) لم نر بالتواريخ التى بأيدينا أنها قرية .

(٤) لقب ناقة النبى صلى الله عليه وسلم والقصواء فى الأصل الناقة التى قطع طرف أذنها لكن لم تك ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك .

(٥) وضع عليها الرحل — تقدّم تفسيره .

(٦) عرنة : واد بين المزدلفة وعرفة وطوله نحو ١٥٠٠ متر .

أصبعه الى السماء وٱستشهد الله عليهم ثلاث مرات وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم، وسيأتى نص الخطبة فى الكلام على حج الجاهلية، فلما أتمها أمر بلالا فأذّن ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين أسرّ فيهما بالقراءة وكان يوم الجمعة فدل على أن المسافر لا يصلى جمعة، ثم أقام فصلى العصر ركعتين أيضا ومعه أهل مكة وصلوا بصلاته قصرا وجمعا بلا ريب، ولم يأمرهم بالإتمام ولا بترك الجمع ومن قال: إنه قال لهم: أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر فقد غلط فيه غلطا بينا ووهم وهما قبيحا وإنما قال لهم ذلك فى غزاة الفتح بجوف مكة حيث كانوا فى ديارهم مقيمين ولهذا كان أصح أقوال العلماء: أن أهل مكة يقصرون ويجمعون بعرفة كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وفى هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يتحدد بمسافة معلومة ولا بأيام معلومة ولا تأثير للنسك فى قصر الصلاة البتة، وإنما التأثير لما جعله الله سببا وهو السفر هذا مقتضى السنة ولا وجه لما ذهب اليه المحدّدون. فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف فى ذيل الجبل عند الصخرات (١) واستقبل القبلة وجعل جبل المشاة بين يديه وكان على بعيره فأخذ فى الدعاء والتضرّع والٱبتهال الى غروب الشمس، وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرنة وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال: وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف وأرسل الى الناس أن يكونوا على مشاعرهم (٢) ويقفوا بها فإنها من إرث أبيهم إبراهيم. وكذلك هنالك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال: الحج يوم عرفة من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج.

أيام منًى ثلاثة أيام التشريق ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ وكان فى دعائه رافعا يده إلى صدره كاستطعام المسكين وأخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة وذكر من دعائه صلى الله عليه وسلم فى الموقف: اللهم: لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول اللهم: لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى وإليك مآبى

(١) انظر: رسم جبل عرفات.

(٢) جمع مشعر وهو موضع الشعيرة وهى كل ما جعل علما لطاعة الله تعالى.

ولك ربى تراثى[1] اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم إنى أعوذ بك من شر ما تجىء به الريح — ذكره الترمذى — ومما ذكر من دعائه هناك : اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شىء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير والوجل المشفق المقر المعترف بذنوبى أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذلّ جسده ورغم أنفه لك ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين وياخير المعطين — ذكره الطبرانى — وذكر الامام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، وذكر البيهقى من حديث علىّ رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أكثر دعائى ودعاء الأنبياء من قبلى بعرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى صدرى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وأعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق[2] الدهر — وأسانيد هذه الأدعية فيها لين — وهناك أنزلت عليه ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ . وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفن فى ثوبيه ولا يمس بطيب وأن يغسل بماء وسدر ولا يغطى رأسه ولا وجهه وأخبر أن الله تعالى يبعثه يوم القيامة يلبى . فلما غربت الشمس واستحكم غروبها بحيث ذهبت الصفرة أفاض من عرفة وأردف أسامة بن زيد خلفه وأفاض بالسكينة وضم اليه زمام ناقته حتى أن

(١) النسك : العبادة . والمآب : المرجع . والتراث : المال الموروث .

(٢) مهلكاته .

رأسه ليصيب طرف رحله وهو يقول : أيها الناس عليكم السكينة فان البر ليس بالإيضاع أى ليس بالإسراع ، وأفاض من طريق المأزمين (١) ودخل عرفة من طريق ضب وهكذا كانت عادته صلوات الله وسلامه عليه فى الأعياد أن يخالف الطريق ثم جعل يسير العَنَق وهو ضرب من السير ليس بالسريع ولا البطىء فاذا وجد فجوة وهو المتسع نصَّ سيرَه أى رفعه فوق ذلك وكلما أتى ربوة (٢) من تلك الربا أرخى للناقة زمامها قليلا حتى تصعد وكان يلبّى فى مسيره ذلك لا يقطع التلبية ، فلما كان فى أثناء الطريق نزل صلوات الله وسلامه عليه فبال وتوضأ وضوءا خفيفا فقال له أسامة : الصلاة يارسول الله فقال : المصلى أمامك ، ثم سار حتى أتى المزدلفة (٣) فتوضأ وضوء الصلاة ثم أمر المؤذن بالأذان فأذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجمال ، فلما حطوا رحالهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء الآخرة بإقامة بلا أذان ولم يصل بينهما شيئا ، وقد روى أنه صلاهما بأذانين وإقامتين ، وروى بإقامتين بلا أذان ، والصحيح أنه صلاهما بأذان وإقامتين ، كما فعل بعرفة ثم نام حتى أصبح ولم يحى تلك الليلة ولا صح عنه فى إحياء ليلتى العيدين شىء ، وأذن فى تلك الليلة لضعفة أهله أن يتقدّموا الى منى قبل طلوع الفجر وكان ذلك عند غيبوبة القمر وأمرهم أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس ، فلما طلع الفجر صلاها فى أوّل الوقت لا قبله قطعا بأذان وإقامة يوم النحر وهو يوم العيد وهو يوم الحج الأكبر وهو يوم الأذان ببراءة من الله ورسوله من كل مشرك ، ثم ركب حتى أتى موقفه عندا لمشعر الحرام (٤) فاستقبل القبلة وأخذ فى الدعاء والتضرّع والتكبير والتهليل والذكر حتى أسفر جدا وذلك قبل طلوع الشمس وهنالك سأله عروة بن مُضَرِّس الطائى فقال يا رسول الله :

(١) هو الطريق الذى يسلكه الناس اليوم وهو أطول من طريق ضب الذى فى جنوبيه على يمين السالك نحو عرفة . (٢) مكانا عاليا .

(٣) المزدلفة : هو الوادى الواسع الذى بين المأزمين من جهة عرفة وبين وادى محسِّر الضيق من جهة مكة ويمتدّ على طول ٣٨١٢ متر .

(٤) المشعر الحرام فى المزدلفة على بعد ٢٥٤٨ متر من أوّلها من جهة المحسر عندالجبل المعروف بقزح .

إنى جئت من جبلى طيئ أكللت (١) راحلتى وأتعبت نفسى والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لى من حج؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفثه — قال الترمذى : حديث حسن صحيح (٢) . وبهذا احتج من ذهب الى أن الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة . وقد وقف صلى الله عليه وسلم فى موقفه وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف، ثم سار من مزدلفة مردفا للفضل بن عباس وهو يلبى فى مسيره وانطلق أسامة بن زيد على رجليه فى سباق (٣) قريش، وفى طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلتقط له حصى الجمار سبع حصيات ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما يفعل من لا علم عنده ولا التقطها بالليل، فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف (٤) فجعل ينفضهن فى كفه ويقول : أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فى الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين . وفى طريقه تلك عرضت له امرأة من خثعم جميلة فسألته عن الحج عن أبيها وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الراحلة فأمرها أن تحج عنه وجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فوضع يده على وجهه وصرفه الى الشق الآخر — وكان الفضل وسيما — فقيل : صرف وجهه عن نظرها اليه وقيل : صرفه عن نظره اليها، والصواب أنه فعله للأمرين فإنه فى القصة جعل ينظر اليها وتنظر اليه وسأله آخر هنالك عن أمه فقال : إنها عجوز كبيرة وإن حملتها لم تستمسك وإن ربطتها خشيت أن أقتلها فقال : أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه ؟ قال : نعم قال : فحج عن أمك . فلما أتى بطن (٥) محسر حرك ناقته وأسرع السير وهذه كانت عادته فى المواضع التى نزل فيها بأس الله بأعدائه، فإن هنالك أصاب أصحاب

---

(١) أتعبتها . (٢) الحديث الذى رواه عدل تام الضبط بسند متصل غير معل ولا شاذ يقال له : الصحيح فان لم يكن الضبط تاما يقال له : الحسن ومعنى كون الحديث حسنا صحيحا أن أحد سنديه تنطبق عليه أوصاف الصحة والآخر تنطبق عليه أوصاف الحسن فإن كان له سند واحد فوصفه بالأمرين للاختلاف فى حال رجاله أهم رجال الصحيح أم رجال الحسن ؟

(٣) تسابقهم . (٤) الخذف بالحصى رميه بالأصابع .

(٥) الوادى الضيق بين منى ومزدلفة يقال له محسر .

الفيل ما قص الله علينا ، ولذلك سمى ذلك الوادى وادى محسر لأن الفيل حَسِر فيه أى أعيي وانقطع عن الذهاب وكذلك فعل فى سلوكه الحجر وديار ثمود فانه تقنع بثوبه وأسرع السير ، و « محسر » برزخ بين مِنًى وبين مزدلفة لا من هـذه ولا من هذه و « عُرَنَةُ » برزخ بين عرفة والمشعر الحرام فبين كل مشعرين برزخ ليس منهما ، فمنى من الحرم وهى مشعر ، ومُحَسِّر من الحرم وليس بمشعر ، ومزدلفة : حرم ومشعر ، وعُرنة ليست مشعرا ولا حرما ، وعرفة : حل ومشعر . وسلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى بين الطريقين وهى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى منى فأتى جمرة (١) العقبة فوقف فى أسفل الوادى وجعـل البيت عن يساره ومنى عن يمينـه واستقبل الجمرة وهو على راحلته فرماها راكبا بعد طلوع الشمس واحدة بعد واحدة يكبر مع كل حصاة ، وحينئذ قطع التلبية ، وكان فى مسيره ذلك يلبى حتى شرع فى الرمى ، ورمى وبلال وأسامة معه أحدهما آخذ بخطام ناقتـه والآخر يظله بثوب من الحرّ ، وفى هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه إن كانت قصة هذا الإظلال فى يوم النحر ثابتة وان كانت بعده فى أيام منى فلا حجة فيها وليس فى الحديث بيان أى زمن كانت والله أعلم . ثم رجع إلى منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله وحرمة مكة على جميع البلاد وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال : لعلى لا أحج بعـد عامى هـذا وعلمهم مناسكهم وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم وأمر الناس أن لا يرجعوا بعـده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض وأمر بالتبليغ عنـه ، وأخبر أنه رب مبلَّغ أوعى من سامع وقال فى خطبته : لا يجنى جان إلا على نفسـه وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة والأنصار عن يسارها والنـاس حولهم وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعها أهل منى فى منازلهم وقال فى خطبته تلك : اعبـدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنـة ربكم ، وودّع حينئذ الناس

(١) جمرة العقبة أقرب الجمار الى مكة وهى الآن حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار فى عرض مترين وتليها الجمرة الوسطى فالأولى .

فقالوا : حجة الوداع ، وهناك سئل عمن حلق قبل أن يرمى . فقال : لا حرج قال عبد الله بن عمر : ما رأيته سئل صلى الله عليه وسلم يومئذ عن شيء إلا قال : افعلوا ولا حرج ، قال ابن عباس إنه قيل له صلى الله عليه وسلم فى الذبح والحلق والرمى والتقديم والتأخير قال : لا حرج ، وقال أسامة بن شريك : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حاجا وكان الناس يأتونه فمن قائل يا رسول الله ! سعيت قبل أن أطوف أو أخرت شيئا وقدمت فكان يقول : لا حرج لا حرج إلا على رجل اعترض عِرْض رجل مسلم وهو ظالم فذلك الذى حرج وهلك وقوله : سعيت قبل أن أطوف فى هذا الحديث ليس بمحفوظ ، والمحفوظ : تقديم الرمى والنحر والحلق بعضها على بعض ثم انصرف إلى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده وكان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى ، وكان عدد هذا الذى نحره عدد سنى عمره ثم أمسك ، وأمر عليا أن ينحر ما بقى من المائة ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يتصدق بجلالها(١) ولحومها وجلودها فى المساكين وأمره أن لا يعطى الجزار فى جزارته شيئا منها وقال : نحن نعطيه من عندنا وقال : من شاء اقتطع . وقد نحر صلى الله عليه وسلم بمنحره بمنى وأعلمهم أن منى كلها منحر وأن فجاج مكة طريق ومنحر ، وفى هذا دليل على أن النحر لا يختص بمنى بل حيث نحر من فجاج مكة أجزأه كما أنه لما وقف بعرفة قال وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف ، ولما وقف بمزدلفة قال : وقفت هاهنا ومزدلفة كلها موقف . وسئل صلى الله عليه وسلم أن يبنى له بناء يظله من الحر؟ فقال : لا ، منى مناخ لمن سبق اليه ، وفى هذا دليل على اشتراك المسلمين فيها وأن من سبق إلى مكان فهو أحق به حتى يرتحل عنه ولا يملكه بذلك .

فلما أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحره استدعى بالحلاق فحلق رأسه فقال للحلاق وهو معمر بن عبد الله وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر فى وجهه وقال يامعمر! أمكنك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة أذنه وفى يدك الموسى فقال معمر : أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمة الله علىّ ومَنّه قال : أَجَل(٢) وقال صلى الله عليه

(١) الجلال جمع جُل وهو كساء يوضع على ظهور الابل . (٢) نعم .

وسلم للحلاق : خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ، فلما فرغ منه قسم شعره بين من يليه ثم أشار الى الحلاق فحلق جانبه الأيسر ثم قال : هاهنا أبو طلحة فدفعه اليه ، هكذا وقع فى صحيح مسلم ، وقد دعا صلى الله عليه وسلم للحلقين بالمغفرة ثلاثا وللمقصرين مرة ، وحلق كثير من الصحابة بل أكثرهم وقصر بعضهم وهذا مع قوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ ومع قول عائشة رضى الله عنها طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم ولإحلاله قبل أن يحل دليل على أن الحلق نسك وليس بإطلاق من محظورات الإحرام .

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم إلى مكة قبل الظهر راكبا فطاف طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة وهو طواف الصَّدَر ولم يطف غيره ولم يسع معه هذا هو الصواب ، وقد خالف فى ذلك ثلاث طوائف ـــ طائفة زعمت أنه طاف طوافين طوافا للقدوم سوى طواف الإفاضة ثم طاف للإفاضة ، وطائفة زعمت أنه سعى مع هذا الطواف لكونه قارنا ، وطائفة زعمت أنه لم يطف فى ذلك اليوم وإنما أخر طواف الزيارة الى الليل (وقد بين ابن القيم منشأ هذه الأقوال وخطأها فى كتابه زاد المعاد من ص ٢٣٩ الى ٢٤٢) ولم يرمل صلى الله عليه وسلم فى هذا الطواف ولا فى طواف الوداع وإنما رمل فى طواف القدوم ، ثم أتى زمزم بعد أن قضى طوافه وهم يسقون فقال : لولا أن يغلبكم الناس لنزلت فسقيت معكم ثم ناولوه الدلو فشرب وهو قائم فقيل : هذا نسخ لنهيه عن الشرب قائما وقيل : بل بيان منه لأن النهى على وجه الاختيار وترك الأولى وقيل : بل للحاجة وهذا أظهر . وهل كان فى طوافه هذا راكبا أو ماشيا ؟ . واختلف أين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ؟ ففى الصحيحين عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى ، وفى صحيح مسلم عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة وكذلك قالت عائشة : وقد رجح جماعة قول عائشة وجابر ورجح آخرون قول ابن عمر (انظر وجوه الترجيح زاد المعاد أوّل ص ٢٤٣) وقد طافت عائشة فى ذلك اليوم طوافا واحدا وسعت سعيا واحدا أجزأها عن حجها وعمرتها ، وطافت صفية ذلك اليوم ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع ولم

تودّع فآستقرّت سنته صلى الله عليه وسلم فى المرأة الطاهرة إذا حاضت قبل الطواف أن تقرن وتكتفى بطواف واحد وسعى واحد، وإن حاضت بعد طواف الإفاضة آجتزأت به عن طواف الوداع . ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى من يومه ذلك فبات بها فلما أصبح آنتظر زوال الشمس ، فلما زالت مشى من رحله الى الجمار ولم يركب فبدأ بالجمرة (١) الأولى التى تلى مسجد الخَيْف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة الله أكبر ثم يقدم على الجمرة أمامها حتى أسهل (٢) فقام مستقبل القبلة ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلا بقدر سورة البقرة ثم أتى الى الجمرة الوسطى فرماها كذلك ثم آنحدر ذات اليسار مما يلى الوادى فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول ثم أتى الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة فاستبطن الوادى وآستعرض الجمرة فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه فرماها بسبع حصيات كذلك ولم يرمها من أعلاها كما يفعل الجهال ولاجعلها عن يمينه ،وآستقبل البيت وقت الرمى كما ذكره غير واحد من الفقهاء، فلما أكمل الرمى رجع من فوره ولم يقف عندها فقيل : لضيق المكان بالجبل وقيل وهو أصح : إن دعاءه كان فى نفس العبادة قبل الفراغ منها فلما رمى جمرة العقبة فرغ الرمى،والدعاء فى صلب العبادة قبل الفراغ منها أفضل منه بعد الفراغ منها . ويغلب على الظنّ أنه كان يرمى قبل الصلاة ثم يرجع فيصلى، ومما تقدّم تعلم أن حجة النبى صلى الله عليه وسلم تضمنت ست وقفات للدّعاء،الموقف الأوّل على الصفا،والثانى على المروة، والثالث بعرفة، والرابع بمزدلفة، والخامس عند الجمرة الأولى، والسادس عند الجمرة الثانية .

وخطب صلى الله عليه وسلم الناس بمنى خطبتين خطبة يوم النحر وقد تقدّمت والخطبة الثانية فى أوسط أيام التشريق فقيل : هو ثانى يوم النحر وهو أوسطها أى خيارها وآحتج لذلك بحديث سَرَّى بنت نَبْهان قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتدرون أى يوم هذا؟ قالت : وهو اليوم الذى تدعون يوم الرءوس

(١) أنظر الجمرات وصفا ورسما بعد .

(٢) صار فى الارض السهلة .

قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا وسط أيام التشريق ، هل تدرون أى بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا المشعر الحرام . ثم قال : إنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد هذا : ألا و إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ألا هل بلغت ، فلما قدمنا المدينة لم يلبث إلا قليلا حتى مات صلى الله عليه وسلم — رواه أبو داود . ويوم الرءوس هو ثانى يوم النحر بالاتفاق . واستأذنه العباس بن عبد المطلب أن يبيت بمكة ليالى منى من أجل سقايته فأذن له ، واستأذنه رعاء الإبل فى البيتوتة خارج منى عند الإبل فأرخص لهم أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا رمى يومين بعد يوم النحر يرمونه فى أحدهما ، قال مالك : ظننت أنه قال فى أوّل يوم منهما ثم يرمون يوم النفر ، وقال ابن عيينة فى هذا الحديث رخص للرعاء أن يرموا يوما ويدعوا يوما فيجوز للطائفتين بالسنة ترك المبيت بمنى ، وأما الرمى فانهم لا يتركونه بل لهم أن يؤخروه الى الليل فيرمون فيه ، ولهم أن يجمعوا رمى يومين فى يوم ، واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رخص لأهل السقاية وللرعاء فى البيتوتة فمن له مال يخاف ضياعه أو مريض يخاف من تخلفه عنه أو كان مريضا لا تمكنه البيتوته سقطت عنه بتنبيه النص على هؤلاء . ولم يتعجل صلى الله عليه وسلم فى يومين بل تأخر حتى أكمل رمى أيام التشريق الثلاثة وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر الى المحصب (١) وهو الأبطح وهو خيف بنى كنانة فوجد أبا رافع قد ضرب فيه قبته هنالك وكان على ثَقَله (٢) توفيقا من الله عز وجل دون أن يأمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم نهض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ولم يرمل فى هذا الطواف وأخبرته صفية أنها حائض فقال أحابستنا هى ؟ فقالوا له : إنها قد أفاضت قال : فلننفر اذا ، ورغبت اليه عائشة تلك الليلة أن يُعمرها عمرة مفردة فأخبرها أن طوافها بالبيت وبالصفا والمروة قد أجزأها عن حجها وعمرتها فأبت

(١) المحصب هو الوادى الذى بين المعلاة من جهة مكة و بين المكان المعروف بسبيل الست من جهة منى .

(٢) الثقل متاع المسافر وحشمه .

إلا أن تعتمر عمرة مفردة فأمر أخاها أن يعمرها من التنعيم، ففرغت من عمرتها ليلا ثم وافت المحصّب مع أخيها فأتيا فى جوف الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغتما؟ قالت: نعم، فنادى بالرحيل فى أصحابه فارتحل الناس ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح، وقد اختلف فى التحصيب أسنة هو أو منزل اتفاق على قولين — وهاهنا ثلاث مسائل هل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فى حجته أم لا؟ وهل وقف بالملتزم أو لا؟ وهل صلى الصبح ليلة الوداع بمكة أو خارجا عنها؟ والذى تدل عليه سنته أنه لم يدخل البيت فى حجته ولا فى عمرته وإنما دخله عام الفتح وأنه لم يقف بالملتزم إلا عام الفتح وانه صلى صلاة الصبح بمكة عند البيت، وسمعته أم سلمة يقرأ فيها بالطور.

ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة، فلما كان بالروحاء لقى ركبا فسلم عليهم وقال من القوم؟ فقالوا: المسلمون فمن القوم؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفعت امرأة صبيا لها من مِحفّة[(١)] فقالت يارسول الله! ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر، فلما أتى ذا الحليفة بات بها، فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخلها نهارا من طريق المعرّس[(٢)] وخرج من طريق الشجرة[(٣)].

هديه صلى الله عليه وسلم فى الهدايا: أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم وأهدى الإبل وأهدى عن نسائه البقر وأهدى فى مقامه وفى عمرته وفى حجته

(١) المِحَفّة: مركب من مراكب النساء كالهودج ألا انها لاتقبب كما تقبب الهوادج.

(٢) التعريس نزول المسافر آخر الليل نزلة للاستراحة والنوم، والمعرس موضع التعريس وبه سمى معرّس ذى الحليفة الذى عرّس به النبى صلى الله عليه وسلم.

(٣) المراد بالشجرة الشجرة التى ولدت عندها أسماء بذى الحليفة وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينزلها من المدينة ويحرم منها وهى على ستة أميال من المدينة.

وكانت سنته تقليد[1] الغنم دون إشعارها، وكان إذا بعث بهديه وهو مقيم لم يحرم عليه شيء كان منه حلالا، وكان اذا أهدى الإبل قلدها وأشعرها فيشق صفحة سنامها اليمنى يسيرا حتى يسيل منها الدم، قال الشافعي رضى الله عنه: والإشعار فى الصفحة اليمنى، كذلك أشعر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان إذا بعث بهديه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رسـوله اذا أشرف على عطب شيء منه أن ينحره ثم يصبغ نعله فى دمه ثم يجعله على صفحته ولا يأكل منه هو ولا أحد من رفقته ثم يقسم لحمه، ومنعه من هذا الأكل سدا للذريعة فإنه لعله ربما قصر فى حفظه ليشارف العطب فينحره ويأكل منه فإذا علم أنه لا يأكل منـه شيئا اجتهد فى حفظه، وشرك بين أصحابه فى الهدى فالبدنة عن سبع والبقرة كذلك، وأباح لسائق الهدى ركوبه بالمعروف اذا آحتاج اليه حتى يجد ظهرا غيره، وقال على رضى الله عنه: يشرب من لبنها ما فضل عن ولدها. وكان هديه صلى الله عليه وسلم نحر الإبل قياما مقيدة معقولة اليسرى على ثلاث وكان يسمى الله عند نحره ويكبر وكان يذبح نسكه بيده وربما وكل فى بعضه كما أمر عليا رضى الله عنه أن يذبح مابقى من المـائة، وكان إذا نحر الغنم وضع قدمه على صفائحها ثم سمى وكبر ونحر، وقد تقدّم أنه نحر بمنى وقال: إن فجاج مكة كلها منحر، وقال ابن عباس: مناحر البدن بمكة ولكنها نزهت عن الدماء ومنى من مكة، وكان آبن عباس ينحر بمكة. وأباح صلى الله عليه وسلم أن يأكلوا من هداياهم وضحاياهم ويتزوّدوا منها ونهاهم مرة أن يدخروا منها بعد ثلاث لدافّة[2] دفت عليهم ذلك العـام من الناس فأحب أن يوسعوا عليهم. وروى مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع لثوبان: أصلح هذا اللحم قال: فأصلحته فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة، وكان ربمـا قسم لحوم الهدى وربما قال: من شاء آقتطع فعل هذا وفعل هذا، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم ذبح هدى العمرة عند المروة وهدى القران بمنى وكذلك كان آبن عمر يفعل. ولم ينحر هديه صلى الله عليه وسلم قط إلا بعد أن

(١) وضع قلادة فى عنقها ليعلم أنها هدى والإشعار: الضرب فى صفحة السنام حتى يسيل منها الدم وقد تقدما.

(٢) الدّافة: القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد يقال: هم يدفون دفا.

حل ولم ينحره قبل يوم النحر ولا أحد من الصحابة البتة، ولم ينحره أيضا إلا بعد طلوع الشمس وبعد الرمى، فهى أربعة أمور مرتبة يوم النحر: أولها الرمى ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف وهكذا رتبها صلى الله عليه وسلم ولم يرخص فى النحر قبل طلوع الشمس البتة ولا ريب أن ذلك مخالف لهديه فحكمه حكم الأضحية إذا ذبحت قبل طلوع الشمس فإنها لاتجزئ .

فقه المذاهب فى الحج

قد رأينا أن نعتمد فى نقل فقه المذاهب على ماكتبه الامام ابن رشد (المتوفى سنة ٥٩٥) فى كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وإن دعت الحاجة الى الرجوع لكتب المذاهب المختلفة رجعنا اليها، وسنذكر الأحكام مجردة عن الأدلة فان ماقدمنا لك من حجة الرسول فيه الأدلة الكافية لمن أرادها وإن أبيت إلا الزيادة فدونك هذا الكتاب وكتاب نيـل الأوطار للعلامة الشوكانى اليمنى فانه البحر الخضم لمن رغب التوسع فى الأدلة والله يوفقنا لما فيه الخير لديننا وأمتنا .

النظر فى كتاب الحج فى ثلاثة أجناس: «الجنس الأول» يشتمل على الأشياء التى تجرى من هذه العبادة مجرى المقدمات التى تجب معرفتها لعمل هذه العبادة؛ «الجنس الثانى» فى الأشياء التى تجرى منها مجرى الأركان وهى الأمور المعمولة نفسها والأشياء المتروكة؛ «الجنس الثالث» فى الأشياء التى تجرى منها مجرى الأمور اللاحقة وهى أحكام الأفعال وذلك أن كل عبادة فإنها توجد مشتملة على هذه الثلاثة الأجناس .

الجنس الأول

هذا الجنس يشتمل على شيئين : (١) معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى من يجب؛ (٢) معرفة متى يجب .

(١) وجوب الحج وشروطه — لا خلاف فى وجوب الحج لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

والشروط قسمان: شروط وجوب، وشروط صحة؛ فأما شروط الصحة فلا خلاف بين الأئمة أن منها الإسلام فلا يصح حج من غير مسلم . واختلفوا فى صحة وقوعه من الصبي فذهب مالك والشافعى إلى جواز ذلك ومنع منه أبو حنيفة، وكذلك آختلف أصحاب مالك فى صحة وقوعه من الطفل الرضيع وينبغى أن لا يختلف فى صحة وقوعه ممن يصح وقوع الصلاة منه وهو كما قال صلى الله عليه وسلم من السبع الى العشر .

وأما شروط الوجوب فالإسلام على القول بأن الكفار مخاطبون بفروع شريعتنا ولا خلاف فى اشتراط الاستطاعة وإن كان فى تفصيل ذلك آختلاف وهى بالجملة تتصور على نوعين: مباشرة ونيابة؛ فأما «المباشرة» فلا خلاف عندهم أن من شرطها الآستطاعة بالبدن وبالمال مع الأمن وآختلفوا فى تفصيل الاستطاعة بالبدن والمال. فقال الشافعى وأبو حنيفة وأحمد وهو قول آبن عباس وعمر بن الخطاب : إن من شرط ذلك الزاد والراحلة، وقال مالك : من آستطاع المشى فليس وجود الراحلة من شرط الوجوب فى حقه بل يجب عليه الحج وكذلك ليس الزاد عنده من شرط الاستطاعة إذا كان ممن يمكنه الاكتساب فى طريقه ولو بالسؤال . فأما وجوبه باستطاعة «النيابة» مع العجز عن المباشرة فعند مالك وأبى حنيفة أنه لا تلزم النيابة اذا آستطيعت مع العجز عن المباشرة، وعند الشافعى أنها تلزم فيلزم على مذهبه أن من لا يقدر على الحج ببدنه وعنده مال يكفى لإنابة غيره عنه فى الحج تجب عليه تلك الإنابة من ماله الخاص، وإن وجد من يحج عنه بماله وبدنه من أخ أو قريب سقط ذلك عنه ، وكذلك عنده الذى يأتيه الموت ولم يحج يلزم ورثته عنده أن يخرجوا من ماله ما يحج به عنه ولا خلاف بين المسلمين أنه يقع عن الغير تطوّعا. وإنما الخلاف فى وقوعه فرضا، وآختلفوا من هذا الباب فى الذى يحج عن غيره سواء أكان حيا أم ميتا هل من شرطه أن يكون قد حج عن نفسه أو لا ؟ فذهب بعضهم الى أن ذلك ليس من شرطه وان كان قد أدّى الفرض عن نفسه فذلك أفضل وبه قال مالك فيمن يحج عن الميت لأن الحج عنده عن الحى لا يقع ،وذهب آخرون الى أن من شرطه أن يكون قد قضى فريضة نفسه وبه قال الشافعى وغيره.

إنه إن حج عن غيره من لم يقض فرض نفسه ٱنقلب إلى فرض نفسه، وٱختلفوا فى هذا الباب أيضا فيمن يؤاجر نفسه فى الحج فكره ذلك مالك والشافعى وقالا : إن وقع ذلك جاز ولم يجز ذلك أبو حنيفة، وبذلك عرفت من تجب عليه هذه الفريضة وممن تقع .

وٱختلفوا من هذا الباب هل من شرط وجوب الحج على المرأة أن يكون معها زوج أو ذو محرم منها يطاوعها على الخروج معها الى السفر للحج فقال مالك والشافعى : ليس ذلك من شرط الوجوب، وقال أبو حنيفة وأحمد وجماعة : وجود ذى المحرم ومطاوعته لها شرط فى الوجوب .

(٢) متى يجب الحج — ٱختلفوا هل هو على الفور أو على التراخى، والقولان منسوبان إلى مالك وأصحابه والظاهر عند المتأخرين من أصحابه أنها على التراخى وبالقول أنها على الفور قال البغداديون من أصحابه واختلف فى ذلك قول أبى حنيفة وأصحابه، والمختار عندهم أنه على الفور وقال الشافعى : هو على التوسعة .

حكم العمرة — قيل : إنها واجبة، وقيل : إنها سنة، وقيل : هى تطوّع وبالأوّل قال الشافعى وأحمد وأبو عبيد والثورى والأوزاعى وهو قول ٱبن عباس وٱبن عمر من الصحابة وجماعة من التابعين وبالسنية قال مالك وجماعة، وبالتطوّع قال أبو حنيفة وأبو ثور وداود .

الجنس الثانى

فى أفعال هذه العبادة نوعا نوعا والتروك المشترطة فيها

هذه العبادة صنفان : حج، وعمرة؛ والحج ثلاثة أنواع : إفراد وتمتع وقران وكلها تشتمل على أفعال محدودة فى أمكنة محدودة وأوقات محدودة وعلى تروك تشترط فى تلك الأفعال، ولكل هذه أحكام محدودة إما عند الإخلال بها وإما عند الطوارئ المانعة منها فإذًا الجنس الثانى ينقسم الى الأفعال وإلى التروك؛ فلنبدأ بالأفعال وهذه منها ما تشترك فيها هذه الأربعة الأنواع من النسك أعنى أنواع الحج الثلاثة والعمرة

ومنها ما يختص ببعضها فلنبدأ من القول فيها بالمشترك ثم نعقب ذلك بالخاص فنقول : إن الحج والعمرة أول أفعالها الفعل الذى يسمى الإحرام .

(١) الإحرام — (أ) ميقاته

الإحرام : يشترط فيه المكان والزمان أما المكان فهو ما يسمى مواقيت الحج وقد أجمع العلماء على أن المواقيت التى منها يكون الإحرام، ذو الحليفة لأهل المدينة والجحفة لأهل الشام، وقَرْن لأهل نجد، ويلملم لأهل اليمن، وٱختلفوا فى ميقات أهل العراق فقال جمهور فقهاء الأمصار: ميقاتهم من ذات عرق، وقال الشافعى والثورى : إن أهلوا من العقيق كان أحب (١)، وجمهور العلماء على أن من يخطئ هذه وقصده الإحرام فلم يحرم إلا بعدها فعليه دم وهؤلاء منهم من قال : إن رجع الى الميقات فأحرم منه سقط عنه الدم ومنهم الشافعى، ومنهم من قال : لا يسقط عنه الدم وإن رجع وبه قال مالك، وقال قوم: ليس عليه دم، وقال آخرون: إن لم يرجع الى الميقات فسد حجه ويرجع الى الميقات فيهل منه بعمرة، وجمهور العلماء على أن من كان منزله دونهن فميقات إحرامه من منزله ، وٱختلفوا هل الأفضل إحرام الحاج منهن أو من منزله إذا كان منزله خارجا عنهن؟ فقال قوم: الأفضل له من منزله والإحرام منها رخصة وبه قال الشافعى وأبو حنيفة والثورى وجماعة ، وقال مالك وإسحاق وأحمد إحرامه من المواقيت أفضل . وٱختلفوا فيمن ترك الإحرام من ميقاته وأحرم من ميقات آخر غير ميقاته مثل أن يترك أهل المدينة الإحرام من ذى الحليفة ويحرموا من الجحفة فقال قوم عليه دم وممن قال به مالك وبعض أصحابه وقال أبو حنيفة ليس عليه شىء .

ولا خلاف أنه يلزم الإحرام من مرّ بهذه المواقيت ممن أراد الحج أو العمرة وأما من لم يردهما ومرّ بهما فقال قوم: كل من مرّ بهما يلزمه الإحرام إلا من يكثر تردداه مثل الحطابين وشبههم وبه قال مالك، وقال قوم: لا يلزم الإحرام إلا لمريد الحج

(١) انظر خريطة المواقيت .

أو العمرة ، هذا كله لمن ليس من أهل مكة وأما أهل مكة فإنهم يخرجون الى الحل ويحرمون منه بالحج أو العمرة . وأما متى يحرم بالحج أهل مكة فقيل : إذا رأوا الهلال وقيل : إذا خرج الناس إلى منى فهذا هو ميقات المكان المشترط لأنواع هذه العبادة . وميقات الزمان محدود أيضا فى أنواع الحج الثلاثة وهو شوّال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة باتفاق ، وقال مالك : ثلاثة الأشهر كلها محل للحج ، وقال الشافعى : الشهران وتسع من ذى الحجة ، وقال أبو حنيفة : وعشر من ذى الحجة ، وفائدة الخلاف تأخر طواف الإفاضة الى آخر الشهر ، فإن أحرم بالحج قبل أشهره كرهه مالك وصح إحرامه عنده ، وقال غيره : لا يصح إحرامه ، وقال الشافعى : ينعقد إحرامه إحرام عمرة . وأما العمرة فآتفقوا على جوازها فى كل أوقات السنة ، وقال أبو حنيفة : تجوز فى كل السنة إلا يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق فإنها تكره . وآختلفوا فى تكريرها فى السنة الواحدة فكان مالك يستحب عمرة فى كل سنة ويكره تكرارها فى السنة الواحدة وقال الشافعى وأبو حنيفة : لا كراهة فى ذلك .

فهذا هو القول فى شروط الإحرام الزمانية والمكانية .

(ب) محظورات الإحرام

آتفق العلماء على أن المحرم لا يلبس قميصا ولا سِرْوالا (لباسا) ولا بُرْنُسا (قلنسوة طويلة) ولا خفا ولا ثوبا مسه الزعفران أو الوَرْس (نبت أصفر يمنى) ولا ما كان فى معنى ذلك من مخيط الثياب وأن هذا مخصوص بالرجال فلا بأس بأن تلبس المرأة القميص والسراويل والخفاف والخمر . وآختلفوا فيمن لم يجد غير السراويل هل له لباسها؟ فقال مالك وأبو حنيفة : لا يجوز له ذلك وإن لبسها آفتدى ، وقال الشافعى والثورى وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شىء عليه إذا لم يجد إزارا وجمهور العلماء على إجازة لبس الخفين مقطوعين لمن لم يجد النعلين وقال أحمد : يجوز لمن لم يجد النعلين أن يلبس الخفين غير مقطوعين ، قال عطاء : فى قطعهما فساد والله لا يحب الفساد ، وآختلفوا فيمن لبسهما مقطوعين مع وجود النعلين فقال مالك : عليه الفدية وبه

قال أبو ثور ، وقال أبو حنيفة : لا فدية عليه ، والقولان عن الشافعي . وآختلفوا في المعصفر فقال مالك : لا بأس به فانه ليس بطيب ، وقال أبو حنيفة والثوري : هو طيب وفيه الفدية وأجمعوا على أن إحرام المرأة في وجهها وأن لها أن تغطي رأسها وتستر شعرها وأن لهاأن تسدل ثوبها على وجهها من فوق رأسها سدلا خفيفا تستتر به من نظر الرجال إليها . واختلفوا في تخمير المحرم وجهه بعد إجماعهم على أنه لا يخمر رأسه ، فروى مالك عن ابن عمر أن ما فوق الذقن من الرأس لايخمره المحرم واليه ذهب مالك ، وروى عنه أنه إن فعل ذلك ولم ينزعه مكانه آفتدى ، وقال الشافعي والثوري وأحمد وداود وأبو ثور: يخمر المحرم وجهه إلى الحاجبين . واختلفوا في لبس القُفّازين للمرأة فقال مالك : إن لبستهما آفتدت ، ورخص فيه الثوري وهو مروىّ عن عائشة .

وأجمع العلماء على أن الطيب كله يحرم على المحرم بالحج أو العمرة في حال إحرامه ، واختلفوا في جوازه للمحرم عند الإحرام قبل أن يحرم لما يبقى من أثره عليه بعد الإحرام فكرهه قوم وأجازه آخرون ، وممن كرهه مالك ورواه عن عمر بن الخطاب وهو قول عثمان وابن عمر وجماعة من التابعين ، وممن أجازه أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد وداود .

وأجمع المسلمون على أن وطء النساء على الحاج حرام من حين يحرم لقوله تعالى ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ .

واتفقوا على أن المحرم لا يلقي تفثه ولا يزيل شعره ولا يقتل القمل ،وأجمعوا على أنه يجوز له غسل رأسه من الجنابة ، واختلفوا في كراهية غسله من غير الجنابة فقال الجمهور: لا بأس بغسله رأسه ، وقال مالك : بكراهية ذلك واتفقوا على منع غسل رأسه بالخطمي ، وقال مالك وأبو حنيفة : إن فعل ذلك آفتدى وقال أبو ثور وغيره : لا شيء عليه . واختلفوا في دخوله الحمام فكان مالك يكره ذلك ويرى أن على من دخله الفدية وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وداود : لا بأس بذلك .

ومن محظورات الإحرام الاصطياد وذلك مجمع عليه لقوله تعالى ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ وقوله تعالى ﴿ لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ وقد أجمعوا على أنه لا يجوز له صيده ولا أكل ما صاد هو منه ، واختلفوا إذا صاده حلال هل يجوز للمحرم أكله ؟ على ثلاثة أقوال : قول أنه يجوز له أكله على الإطلاق وبه قال أبو حنيفة وهو قول عمر بن الخطاب والزبير ، وقال قوم : هو محرّم عليه على كل حال وهو قول ابن عباس وعليّ وبه قال الثورى ، وقال مالك : ما لم يصد من أجل المحرم أو من أجل قوم محرمين فهو حلال ، وما صيد من أجل محرم فهو حرام على المحرم . واختلفوا فى المضطر هل يأكل الميتة أو يصيد فى الحرم ؟ فقال مالك وأبو حنيفة والثورى وزُفَر وجماعة : إذا اضطر أكل الميتة ولحم الخنزير دون الصيد ، وقال أبو يوسف : يصيد ويأكل وعليه الجزاء ؛ فهذه الخمسة اتفق المسلمون على أنها من محظورات الإحرام . واختلفوا فى نكاح المحرم فقال مالك والشافعى والليث والأوزاعى : لا ينكح المحرم ولا يُنكح فان نكح فالنكاح باطل وهو قول عمر وعليّ بن أبى طالب وابن عمر وزيد بن ثابت ، وقال أبو حنيفة والثورى : لا بأس بأن ينكح المحرم ويُنكح .

(ج) أنواع الإحرام

المحرم إما محرم بعمرة مفردة أو محرم بحج مفرد أو جامع بين الحج والعمرة وهذان ضربان إما متمتع وإما قارن . ولما كان الإفراد هو التعرى عن صفات التمتع والقران وجب أن نبدأ أوّلا بصفة التمتع ثم نردف ذلك بصفة القران ، اتفق العلماء على أن هذا النوع من النسك المعنى بقوله سبحانه ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ هو أن يهل الرجل بالعمرة فى أشهر الحج من الميقات إن كان مسكنه خارجا عن الحرم ثم يأتى حتى يصل البيت فيطوف لعمرته ويسعى ويحلق فى تلك الأشهر بعينها ثم يحل بمكة ثم ينشئ الحج فى ذلك العام نفسه وفى تلك الأشهر نفسها من غير أن ينصرف إلى بلده إلا ما روى عن الحسن أنه كان يقول : هو متمتع وإن عاد إلى بلده ولم يحج فعليه الهدى وكان يقول : عمرة فى أشهر الحج متعة وقال طاوس : من اعتمر فى غير أشهر الحج ثم أقام حتى يحج

وحج من عامه إنه متمتع، وقد اتفق العلمـاء على أن من لم يكن من حاضرى المسجد الحرام فهو متمتع وآختلفوا فى المكى هل يقع منه التمتع أو لا ؟ والقائلون بوقوعه منه آتفقوا على أنه ليس عليـه دم لقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ . وآختلفوا فيمن هو حاضر بالمسجد الحرام ممن ليس هو كذلك فقال مالك : حاضرو المسجد الحرام هم أهل مكة وذى طوى وما كان مثل ذلك من مكة، وقال أبو حنيفة : هم أهل المواقيت فمن دونهم إلى مكة وقال الشافعى بمصر : من كان بينه و بين مكة ليلتان وهو أقرب المواقيت ، وقال أهل الظاهر : من كان ساكن الحرم، وقال الثورى : هم أهل مكة فقط، وأبو حنيفة يقول إن حاضرى المسجد الحرام لا يقع منهم التمتع .

وهنا نوعان من التمتع آختلف العلمـاء فيهما، أحدهما فسخ الحج فى عمرة وهو تحويل النية من الإحرام بالحج إلى العمرة، فجمهور العلماء يكرهون ذلك من الصدر الأول وفقهاء الأمصار، وذهب آبن عباس إلى جواز ذلك و به قال أحمد وداود . وأما النوع الثانى من التمتع فهو ما كان يذهب اليه آبن الزبير أن التمتع الذى ذكره الله هو تمتع المحصر بمرض أو عدوّ وذلك إذا خرج الرجل حاجا فحبسه عدو أو أمر تعذر به عليه الحج حتى تذهب أيام الحج فيأتى البيت فيطوف ويسعى بين الصفا والمروة، ويحل ثم يتمتع بحله الى العام المقبل ثم يحج ويهدى ، وعلى هذا القول لا يكون التمتع المشهور إجماعا، وشذ طاوس أيضا فقـال : إن المكى إذا تمتع من بلد غير مكة كان عليه الهدى . واختلف العلماء فيمن أنشأ عمرة فى غير أشهر الحج ثم عملها فى أشهر الحج ثم حج عامه ذلك فقال مالك : عمرته فى الشهر الذى حل فيه فإن كان حل فى أشهر الحج فهو متمتع وإن كان حل فى غير أشهر الحج فليس بمتمتع، وبقريب منه قال أبو حنيفة والشافعى والثورى إلا أن الثورى اشترط أن يوقع طوافه كله فى شوّال وبه قال الشافعى، وقال أبو حنيفة : إن طاف ثلاثة أشواط فى رمضان وأربعـة فى شوّال كان متمتعا وإن لا فلا، وقال أبو ثور: إذا دخل فى العمرة فى غير أشهر الحج فسواء طاف لها فى أشهر الحج أو فى غيرها لا يكون متمتعا .

وشروط التمتع عند مالك ستة : (١) أن يجمع بين العمرة والحج فى شهر واحد؛ (٢) أن يكون ذلك فى عام واحد؛ (٣) أن يفعل شيئا من العمرة فى أشهر الحج؛ (٤) أن يقدّم العمرة على الحج؛ (٥) أن ينشئ الحج بعد الفراغ من العمرة وإحلاله منها؛ (٦) أن يكون وطنه غير مكة .

والقران أن يهل بالنسكين معا أو يهل بالعمرة فى أشهر الحج ثم يردف ذلك بالحج قبل أن يحل من العمرة . واختلف أصحاب مالك فى الوقت الذى يكون ذلك له فيه فقيل ذلك له ما لم يشرع فى الطواف ولو شوطا واحدا وقيل : ما لم يطف ويركع . ويكره بعد الطواف وقبل الركوع فان فعل لزمه وقيل : له ذلك ما بقى عليه شىء من أعمال العمرة من طواف أو سعى إلا الحلق فانه بالاتفاق إذا أهل بالحج قبله فقط لا يكون قارنا والقارن الذى يلزمه هدى التمتع هو عند الجمهور من غير حاضرى المسجد الحرام إلا ٱبن الماجُشُون من أصحاب مالك، فان القارن من أهل مكة عنده عليه الهدى .

والإفراد ماعرى عن الصفات السابقة وهو أن لا يكون متمتعا ولا قارنا بل أن يهل بالحج فقط . واختلف العلماء أىّ الثلاثة أفضل الإفراد أو التمتع أو القران (انظر أدلة ذلك ص ٢٧٠ جزء أوّل بداية وانظر ص ١٨٣ من زاد المعاد أول وتواليها) .

(د) صــــفة الإحرام

ٱتفق جمهور العلمــاء على أن الغسل للإهلال ســنة وأنه من أفعال المحرم حتى قال ٱبن نوار : إن هــذا الغسل للإهلال عنــد مالك أوكد من غسل الجمعة، وقال أهل الظاهر : هو واجب، وقال أبو حنيفة والثورى يجزى عنــه الوضوء . وٱتفقوا على أن الإحرام لا يكون إلا بنيــة، وٱختلفوا هل تجزئ النية فيــه من غير التلبية فقــال مالك والشافعى : تجزئ النية من غير تلبية، وقال أبو حنيفة : التلبية فى الحج كالتكبيرة فى الإحرام بالصــلاة إلا أنه يجزئ عنــده كل لفظ يقوم مقام التلبيــة كما يجزئ عنده فى ٱفتتاح الصلاة كل لفظ يقوم مقام التكبير وهو كل ما يدل

على التعظيم . وٱتفق العلماء على أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك ، وٱختلفوا هل هى واجبة بهذا اللفظ فقال أهل الظاهر : هى واجبة بهذا اللفظ ولا خلاف عند الجمهور فى ٱستحباب هذا اللفظ وإنما ٱختلفوا فى الزيادة عليه أو فى تبديله ، وأوجب أهل الظاهر رفع الصوت بالتلبية وهو مستحب عند الجمهور. وأجمع أهل العلم على أن تلبية المرأة فيما حكاه أبو عمر هو أن تسمع نفسها بالقول . وقال مالك : لا يرفع المحرم صوته فى مساجد الجماعة بل يكفيه أن يسمع من يليه إلا فى المسجد الحرام ومسجد مِنًى فإنه يرفع صوته فيهما . وٱستحب الجمهور رفع الصوت عند التقاء الرفاق وعند الإطلال على شرف من الأرض . وكان مالك لا يرى التلبية من أركان الحج ويرى على تاركها دما وكان غيره يراها من أركانه . وٱستحب العلماء أن يكون ٱبتداء المحرم بالتلبية بأثر صلاة يصليها ، وكان مالك يستحب ذلك بأثر نافلة . وٱختلفت الآثار فى الموضع الذى أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجته من أقطار ذى الحليفة فقال قوم : من مسجد ذى الحليفة بعد أن صلى فيه وقال آخرون : إنما أحرم حين أطل على البيداء وقال قوم : إنما أهل حين ٱستوت به راحلته ، وسئل ٱبن عباس عن ٱختلافهم فى ذلك فقال : كل حدث لا عن أول إهلاله صلى الله عليه وسلم بل عن أول إهلال سمعه ، وذلك لان الناس يأتون متسابقين فعلى هذا لا ٱختلاف . وأجمع فقهاء الأمصار على أن المكىّ لا يلزمه الإهلال حتى يخرج الى منى ليتصل له عمل الحج ، وروى مالك أن عمر بن الخطاب كان يأمر أهل مكة أن يهلوا إذا رأوا الهلال ، ولا خلاف عندهم أن المكىّ لا يهل إلا من جوف مكة إذا كان حاجا وأما إذا كان معتمرا فإنهم أجمعوا على أنه يلزمه أن يخرج الى الحل ثم يحرم منه ليجمع بين الحل والحرم كما يجمع الحاج لأنه يخرج إلى عرفة وهى حل ، وٱختلفوا إن لم يفعل فقال قوم : يجزيه وعليه دم وبه قال أبو حنيفة وٱبن القاسم وقال آخرون : لا يجزيه وهو قول الثورى واشهب . وٱختلفوا متى تقطع التلبية؟ فقال مالك : تقطع بزوال الشمس من يوم عرفة وبه قال الخلفاء الأربعة غير أنه اختلف عن عثمان ،

وقال جمهور فقهاء الأمصار وأهـل الحديث : تقطع برمى جمرة العقبة فإذا رمى آخر حصاة قطع التلبية وقيل : بل يقطعها فى أوّل حصاة يلقيها وقيل : غير ذلك ، أما وقت قطع التلبية بالعمرة فقال أبو حنيفـة ومالك : يقطعها إذا آنتهى إلى الحرم ، وقال الشافعى : إذا آفتتح الطواف .

وجمهور العلماء متفقون على إدخال الحج على العمرة ويختلفون فى إدخال العمرة على الحج ، وقال أبو ثور : لا يدخل حج على عمرة ولا عمرة على حج كما لا تدخل صلاة على صلاة . وإلى هنـا فرغنا من الكلام على أوّل عمل يأتى به المحرم وهو الإحرام وأما الفعل الذى بعد هذا فهو الطواف إذا دخل مكة .

(٢) الطواف بالبيت

الكلام فى الطواف : (١) فى صفته ؛ (٢) وشروطه ؛ (٣) وأنواعه وحكمه :

(١) صفة الطواف — الجمهور مجمعون على أن صفة كل طواف واجبا كان أو غير واجب أن يبتدأ من الحَجَر الأسـود فإن آستطاع أن يقبله قبله أو يلمسه بيده ويقبلها إن أمكنه ثم يجعل البيت على يساره ويمضى على يمينه فيطوف سبعة أشواط يرمل فى الثلاثة الأشواط الأول ثم يمشى فى الأربعـة وذلك فى طواف القدوم على مكة وذلك للحاج والمعتمر دون المتمتع وأنه لا رمل على النساء ، ويستلم الركن اليمانى وهو الذى على قطر الركن الأسود . وآختلفوا فى حكم الرمل فى الثلاثة الأشواط الأول للقادم هل هو سـنة أو فضيلة ؟ فقال ابن عباس : هو سـنة ، وبه قال الشافعى وأبو حنيفة وإسحاق وأحمد وأبو ثور ، وآختلف قول مالك فى ذلك وأصحابه ؛ ومن جعله سنة أوجب فى تركه الدم ، ومن جعله فضيلة لم يوجب فى تركه شيئا ، وعلى أصول الظاهرية يجب الرمل لقوله صلى الله عليه وسـلم " خذوا عنى مناسككم " وأجمعوا على أنه لا رمل على من أحرم بالحج من مكة من غير أهلها وهم المتمتعون لأنهم قد رملوا فى حين دخولهم حين طافوا للقدوم ، وآختلفوا فى أهل مكة هل عليهم رمل إذا حجوا ؟ فقال الشافعى : كل طواف قبل عرفة مما يوصل بينه وبين السعى فإنه يرمل

فيه، وكان مالك يستحب ذلك، وكان ابن عمر لا يرى عليهم رملا إذا طافوا بالبيت على ما روى عنه مالك. واتفقوا على أن من سنة الطواف استلام الركنين الأسود واليمانى للرجال دون النساء، واختلفوا هل تستلم الاركان كلها أم لا؟ فذهب الجمهور إلى أنه إنما يستلم الركنان فقط، واحتج من رأى استلام جميعها بما روى عن جابر، قال: كنا نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها، وكان بعض السلف لا يحب أن يستلم الركنين إلا فى الوتر من الأشواط. وكذلك أجمعوا على أن تقبيل الحجَر الأسود خاصة من سنن الطواف إن قدر وإن لم يقدر على الدخول اليه قبل يده. وأجمعوا على أن من سنة الطواف ركعتين بعد انقضاء الطواف وجمهورهم على أنه يأتى بهما الطائف عند انقضاء كل أسبوع إن طاف أكثر من أسبوع واحد، وأجاز بعض السلف أن لا يفرق بين الأسابيع بالركعتين بل يركع لكل أسبوع ركعتين.

(٢) شروط الطواف — (الشرط الأول) أن يكون فى موضعه، وجمهور العلماء على أن الحِجْر من البيت وأن من طاف بالبيت لزمه إدخال الحجر فيه وأنه شرط فى صحة طواف الإفاضة، وقال أبو حنيفة وأصحابه: هو سنة. (الشرط الثانى) أن يكون فى وقته واختلفوا فى وقت جوازه على ثلاثة أقوال: أحدها إجازة الطواف بعد الصبح والعصر ومنعه وقت الطلوع والغروب وهو مذهب عمر بن الخطاب وأبى سعيد الخدرى وبه قال مالك وأصحابه وجماعة، والقول الثانى: كراهيته بعد الصبح والعصر ومنعه عند الطلوع والغروب وبه قال سعيد ابن جبير ومجاهد وجماعة، القول الثالث: إباحة ذلك فى هذه الأوقات كلها وبه قال الشافعى وجماعة. (الشرط الثالث) الطهارة. قال مالك والشافعى: لا يجزى طواف بغير طهارة لا عمدا ولا سهوا، وقال أبو حنيفة: يجزى ويستحب له الإعادة وعليه دم، وقال أبو ثور: إذا طاف على غير وضوء أجزأه طوافه إن كان لا يعلم ولا يجزئه إن كان يعلم، والشافعى يشترط طهارة ثوب الطائف كاشتراط ذلك للمصلى.

(٣) أنواع الطواف — أجمع العلماء على أن الطواف ثلاثة أنواع، طواف القدوم على مكة، وطواف الإفاضة بعد رمى جمرة العقبة يوم النحر، وطواف الوداع،

وأجمعوا على أن الواجب منها الذى يفوت الحج بفواته هو طواف الإفاضة وأنه المعنى بقوله تعالى ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وأنه لا يجزئ عنه دم ، وجمهورهم على أنه لا يجزئ طواف القدوم على مكة عن طواف الإفاضة إذا نسى طواف الإفاضة لكونه قبل يوم النحر، وقالت طائفة من أصحاب مالك : إن طواف القدوم يجزئ عن طواف الإفاضة كأنهم رأوا أن الواجب هو طواف واحد، وجمهور العلماء على أن طواف الوداع يجزئ عن طواف الإفاضة إن لم يكن طاف طواف الإفاضة لأنه طواف بالبيت معمول فى وقت طواف الوجوب الذى هو طواف الإفاضة ، وأجمعوا فيما حكاه أبو عمر بن عبد البر أن طواف القدوم والوداع من سنة الحاج إلا لخائف فوات الحج فإنه يجزئ عنه طواف الإفاضة، واستحب جماعة من العلماء لمن عرض له هذا أن يرمل فى الأشواط الثلاثة من طواف الإفاضة على سنة طواف القدوم من الرمل، وأجمعوا على أن المكىّ ليس عليه إلا طواف الإفاضة كما أجمعوا أنه ليس على المعتمر الا طواف القدوم، وأجمعوا أن من تمتع بالعمرة إلى الحج عليه طوافان طواف للعمرة لحله منها وطواف للحج يوم النحر، وأما المفرد للحج فليس عليه إلا طواف واحد كما قلنا يوم النحر، واختلفوا فى القارن فقال مالك والشافعى وأحمد وأبو ثور : يجزئ القارن طواف واحد وسعي واحد، وقال الثورى والأوزاعى وأبو حنيفة وابن أبى ليلى : على القارن طوافان وسعيان .

(٣) السعى بين الصفا والمروة

القول فيه فى : (١) حكمه؛ (٢) صفته؛ (٣) شروطه؛ (٤) ترتيبه .

(١) حكم السعى — قال مالك والشافعى : إنه واجب وإن لم يسع كان عليه حج قابل، وبه قال أحمد وإسحاق، وقال الكوفيون : هو سنة وإذا رجع إلى بلاده ولم يسع كان عليه دم، وقال بعضهم : هو تطوع ولا شىء على تاركه .

(٢) صفته — جمهور العلماء : على أن من سنة السعى بين الصفا والمروة أن ينحدر الراقى على الصفا بعد الفراغ من الدعاء فيمشى على عادته حتى يبلغ بطن

المسيل فيرمل فيه حتى يقطعه إلى ما يلى المروة فإذا قطع ذلك وجاوزه مشى على سجيته حتى يأتى المروة فيرقى عليها حتى يبدو له البيت ثم يقول عليها نحوا مما قال من الدعاء والتكبير على الصفا وإن وقف أسفل المروة أجزأه عند جميعهم ثم ينزل عن المروة فيمشى على طبيعته حتى ينتهى إلى بطن المسيل فإذا انتهى اليه رمل حتى يقطعه إلى الجانب الذى يلى الصفا يفعل ذلك سبع مرات يبدأ فى كل ذلك بالصفا ويختم بالمروة ، فإن بدأ بالمروة قبل الصفا ألغى ذلك الشوط ، وقال عطاء إن جهل فبدأ بالمروة أجزأ عنه . وأجمعوا على أنه ليس فى وقت السعى قول محدود فإنه موضع دعاء، وثبت من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك .

(٣) شروطه — اتفقوا على أن من شرطه الطهارة من الحيض كالطواف ، ولا خلاف بينهم أن الطهارة ليست من شرطه إلا الحسن فانه شبهه بالطواف .

(٤) ترتيبه — جمهور العلماء : على أن السعى إنما يكون بعد الطواف، وأن من سعى قبل أن يطوف بالبيت يرجع فيطوف ويسعى وإن خرج من مكة، فإن جهل ذلك حتى أصاب النساء فى العمرة أو فى الحج كان عليه حج قابل والهدى أو عمرة أخرى، وقال الثورى : إن فعل ذلك فلا شىء عليه وقال أبو حنيفة : اذا خرج من مكة فليس عليه أن يعود وعليه دم .

الخروج الى عرفة — يلى السعى الخروج يوم التروية (الثامن من ذى الحجة) إلى منى والمبيت بها ليلة عرفة، واتفقوا على أن الإمام يصلى بالناس بمنى يوم التروية الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاصرا الرباعية إلا أنهم أجمعوا على أن هذا الفعل ليس شرطا فى صحة الحج لمن ضاق عليه الوقت ثم إذا كان يوم عرفة صلى الإمام بالناس صلاة الصبح ومشى معهم بعد شروق الشمس من منى إلى عرفة ووقفوا بها بعد الزوال .

(٤) الوقوف بعرفة

القول فى هـذا الفعل ينحصر : (١) فى معرفة حكمه ؛ (٢) وفى صفته ؛ (٣) وفى شروطه .

(١) حكم الوقوف — أجمعوا على أن الوقوف ركن من أركان الحج وأن من فاته فعليه حج قابل والهدى فى قول أكثرهم لقوله صلى الله عليه وسلم "الحج عرفة".

(٢) صفته — صفته أن يصل الإمام إلى عرفة يوم عرفة قبل الزوال فإذا زالت الشمس خطب الناس ثم جمع بين الظهر والعصر فى أول وقت الظهر ثم وقف حتى تغيب الشمس، وإنما اتفقوا على هذا لأن هذه الصفة مجمع عليها من فعله صلى الله عليه وسلم، ولا خلاف بينهم أن إقامة الحج هى للسلطان الأعظم أو لمن يقيمه السلطان الأعظم لذلك وأنه يصلى وراءه براكان السلطان أوفاجرا أو مبتدعا ، وأن السنة فى ذلك أن يأتى المسجد بعرفة يوم عرفة مع الناس فإذا زالت الشمس خطب الناس كما قلنا وجمع بين الظهر والعصر . واختلفوا فى وقت أذان المؤذن بعرفة للظهر والعصر، فقال مالك : يخطب الامام حتى يمضى صدر من خطبته أو بعضها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطب وقال الشافعى : يؤذن إذا أخذ الامام فى الخطبة الثانية وقال أبو حنيفة : إذا صعد الامام المنبر أمر المؤذن بالأذان كالحال فى الجمعة فإذا فرغ المؤذن قام الإمام يخطب ثم ينزل ويقيم المؤذن الصلاة وبه قال أبو ثور تشبيها بالجمعة ، وقد حكى ابن نافع عن مالك أنه قال : الأذان بعرفة بعد جلوس الإمام للخطبة ، وفى حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له وأتى بطن الوادى فخطب الناس ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا ثم راح إلى الموقف . واختلفوا هل يجمع بين هاتين الصلاتين بأذانين وإقامتين أو بأذان واحد وإقامتين؟ قال مالك : بالأول، وروى عن أحمد، وقال أبو حنيفة والشافعى والثورى وأبو ثور وجماعة : بالثانى . واتفقوا على أن الخطبة فى هـذا اليوم ليست بشرط للصلاة كالجمعة وأن القراءة فى الصلاة.

سر . واتفقوا على أن الصلاة مقصورة اذا كان الامام مسافرا، واختلفوا إذا كان الإمام مكيا هل يقصر بمنى الصلاة يوم التروية وبعرفة يوم عرفة وبالمزدلفة ليلة النحر إن كان من أحد هذه المواضع ؟ فقال مالك والأوزاعى وجماعة : سنة هذه المواضع التقصير سواء أكان من أهلها أم لم يكن، وقال الثورى وأبو حنيفة والشافعى وأبو ثور وداود : لا يجوز أن يقصر من كان من أهل تلك المواضع . واختلف العلماء فى وجوب الجمعة بعرفة ومنى فقال مالك : لا تجب الجمعة بعرفة ولا بمنى أيام الحج، لا على أهل مكة ولا على غيرهم الا أن يكون الإمام من أهل عرفة، وقال الشافعى مثل ذلك إلا أنه يشترط فى وجوب الجمعة أن يكون هنا لك من أهل عرفة أربعون رجلا على مذهبه فى اشتراط هذا العدد فى الجمعة، وقال أبو حنيفة : إذا كان أمير الحج ممن لا يقصر بمنى ولا بعرفة صلى بهم فيها الجمعة إذا صادفها، وقال أحمد : إذا كان والى مكة يجمع وبه قال أبو ثور .

(٣) شروطه — يشترط فى الوقوف بعرفة أن يكون بعد الزوال ويسنّ له أن يمدّه إلى غروب الشمس وأجمعوا على أن من وقف بعرفة قبل الزوال وأفاض منها قبل الزوال أنه لا يعتدّ بوقوفه وأنه إن لم يرجع فيقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج، واختلفوا فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل غروب الشمس فقال مالك : عليه حج قابل إلا أن يرجع ويدفع قبل الفجر، وإن دفع منها قبل الإمام وبعد الغيبوبة أجزأه، وبالجملة فشرط صحة الوقوف عنده أن يقف ليلا وقال جمهور العلماء : من وقف بعرفة بعد الزوال فحجه تام وإن دفع قبل الغروب، إلا أنهم اختلفوا فى وجوب الدم عليه . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق أنه قال : عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة . والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسِّر، ومنى كلها منحر، وفجاج مكة منحر ومبيت، واختلف العلماء فيمن وقف من عرفة بعرنة فقيل : حجه تام وعليه دم وبه قال مالك، وقال الشافعى : لا حج له، ويلى الوقوف بعرفة من أفعال الحج النهوض إلى المزدلفة بعد الغروب وما يعمل بها .

(٥) أفعال المزدلفة

قال تعالى ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ(١) الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ أجمع العلماء على أن من بات بالمزدلفة ليلة النحر وجمع فيها بين المغرب والعشاء مع الإمام ووقف بعد صلاة الصبح إلى الإسفار بعد الوقوف بعرفة فإن حجه تام، وذلك أنها الصفة التى فعلها صلى الله عليه وسلم. واختلفوا هل الوقوف بها بعد صلاة الصبح والمبيت بها من سنن الحج أو من فروضه؟ فقال الأوزاعى وجماعة من التابعين : هو من فروض الحج ومن فاته كان عليه حج قابل والهدى ، وفقهاء الأمصار يرون أنه ليس من فروض الحج ، وأن من فاته الوقوف بمزدلفة والمبيت بها فعليه دم وقال الشافعى : إن دفع منها بعد نصف الليل الأول ولم يصل بها فعليه دم، وقد أجمعوا على أنه لو وقف بالمزدلفة ولم يذكر الله فإن حجه تام، والمزدلفة وجَمْع اسمان لموضع يبيت الحجاج به ويجمعون بين المغرب والعشاء فى أوّل وقت العشاء ويغلّسون بالصبح فيها .

(٦) رمى الجمار

الفعل الذى يلى المبيت بمزدلفة والوقوف بها رمى الجمار وذلك أن المسلمين اتفقوا على أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف بالمشعر الحرام وهو المزدلفة بعد ما صلى الفجر ثم دفع منها قبل طلوع الشمس إلى منى، وأنه فى هذا اليوم وهو يوم النحر رمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس، وأجمع المسلمون أن من رماها فى هذا اليوم فى ذلك الوقت أعنى بعد طلوع الشمس إلى زوالها فقد رماها فى وقتها، وأجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرم يوم النحر من الجمرات غيرها، واختلفوا فيمن رمى جمرة العقبة قبل طلوع الفجر فقال مالك : لم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لأحد أن يرمى قبل طلوع الفجر ولا يجوز ذلك، فإن رماها قبل الفجر أعادها وبه قال أبو حنيفة وسفيان وأحمد، وقال الشافعى : لا بأس به وإن كان المستحب هو بعد طلوع الشمس، وقد أجمع العلماء على أن الوقت المستحب لرمى جمرة العقبة

(١) المزدلفة .

هو من لدن طلوع الشمس إلى وقت الزوال وأنه إن رماها قبل غروب الشمس من يوم النحر أجزأه ولا شيء عليه إلا مالكا فإنه قال : آستحب له أن يريق دما ، وآختلفوا فيمن لم يرمها حتى غابت الشمس فرماها من الليل أو من الغد فقال مالك : عليه دم ، وقال أبوحنيفة : إن رماها من الليل فلا شيء عليه وإن أخرها الى الغد فعليه دم ، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي : لا شيء عليه إن أخرها إلى الليل أو إلى الغد . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى فى حجته الجمرة يوم النحر ثم نحر بدنة ثم حلق رأسه ثم طاف طواف الإفاضة ، وأجمع العلماء على أن هذا سنة الحج وآختلفوا فيمن قدم من هذه ما أخره النبي صلى الله عليه وسلم أو بالعكس فقال مالك : من حلق قبل أن يرمى جمرة العقبة فعليه الفدية ، وقال الشافعي وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شيء عليه ، وعند مالك أن من حلق قبل أن يذبح فلا شيء عليه وكذلك إن ذبح قبل أن يرمى ، وقال أبو حنيفة : إن حلق قبل أن ينحر أو يرمى فعليه دم ، وإن كان قارنا فعليه دمان ، وقال زفر : عليه ثلاثة دماء ، دم للقران ، ودمان للحلق قبل النحر وقبل الرمى ، وأجمعوا على أن من نحر قبل أن يرمى فلا شيء عليه لأنه منصوص عليه .

ومن قدّم الإفاضة على الرمى والحلق لزمه إعادة الطواف ، وقال الشافعي : ومن تابعه لا إعادة عليه ، وقال الأوزاعي : إذا طاف للإفاضة قبل أن يرمى جمرة العقبة ثم واقع أهله أراق دما . وآتفقوا على أن جملة ما يرميه الحاج سبعون حصاة يرمى منها فى يوم النحر جمرة العقبة بسبع ، وإن رمى هذه الجمرة من حيث تيسر من العقبة من أسفلها أو من أعلاها أو من وسطها كل ذلك واسع والموضع المختار منها بطن الوادى . وأجمعوا على أنه يعيد الرمى إذا لم تقع الحصاة فى العقبة وأنه يرمى فى كل يوم من أيام التشريق ثلاث جمار بواحد وعشرين حصاة كل جمرة منها بسبع وأنه يجوز أن يرمى منها يومين وينفر فى الثالث لقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ .

وقدر الحصاة عندهم أن تكون فى مثل حصى الخذف . والسنة عندهم فى رمى الجمرات كل يوم من أيام التشريق أن يرمى الجمرة الأولى فيقف عندها ويدعو وكذلك

الثانية ويطيل المقام ثم يرمى الثالثة ولا يقف . وأجمعوا على أن من سنة رمى الجمار الثلاث فى أيام التشريق أن يكون ذلك بعد الزوال، وٱختلفوا إذا رماها قبل الزوال فى أيام التشريق فقال جمهور العلماء : يعيد رميها بعد الزوال، وروى عن أبى جعفر محمد بن على أنه قال : رمى الجمار من طلوع الشمس إلى غروبها . وأجمعوا على أن من لم يرم الجمار أيام التشريق حتى تغيب الشمس عن آخرها فإنه لا يرميها بعد . واختلفوا فى الواجب من الكفارة فقال مالك : إن ترك رمى الجمار كلها أو بعضها أو واحدة منها فعليه دم وقال أبو حنيفة : إن ترك الجمار كلها كان عليه دم وإن ترك جمرة واحدة فصاعدا كان عليه لكل جمرة إطعام مسكين نصف صاع حنطة إلى أن يبلغ دما بترك الجميع إلا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم، وقال الشافعى : عليه فى الحصاة مدّ من طعام وفى حصاتين مدّان وفى ثلاث دم، وقال الثورى مثله إلا أنه قال : فى الرابعة الدم، ورخصت طائفة من التابعين فى الحصاة الواحدة ولم يروا فيها شيئا، وقال أهل الظاهر : لا شىء فى ذلك والجمهور على أن جمرة العقبة ليست من أركان الحج، وقال عبد الملك من أصحاب مالك : هى من أركان الحج .

فهذه جملة أفعال الحج من حين الإحرام الى أن يحل، والتحلل : تحللان تحلل أكبر وهو طواف الإفاضة وتحلل أصغر وهو رمى جمرة العقبة، وسنذكر الفرق بين التحللين .

الجنس الثالث فى الأحكام

(ا) الإحصار

قال تعالى ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ جمهور العلماء : على أن المحصر عن الحج ضربان محصر بمرض ومحصر بعدوّ، فالمحصر بالعدوّ ٱتفق الجمهور على أنه يحل من عمرته أو حجه حيث أحصر، وقال الثورى والحسن بن صالح : لا يتحلل إلا فى يوم النحر، والذين قالوا : يتحلل حيث أحصر ٱختلفوا فى إيجاب الهدى عليه وفى موضع نحره إذا قيل

بوجوبه وفى إعادة ما حصر عنه من حج أو عمرة، فذهب مالك الى أنه لا يجب عليه هدى وأنه إن كان معه هدى نحره حيث حل، وذهب الشافعى الى إيجاب الهدى عليه وبه قال أشهب، واشترط أبو حنيفة ذبحه فى الحرم وقال الشافعى : حيثما حل وأما الإعادة فإن مالكا يرى عدم الإعادة عليه، وقال قوم : عليه الإعادة، وذهب أبو حنيفة إلى أنه إن كان أحرم بالحج فعليه حج وعمرة وإن كان قارنا فعليه حج وعمرتان وإن كان معتمرا قضى عمرته، وليس عليه عند أبى حنيفة ومحمد حلق أو تقصير، واختار أبو يوسف أن عليه ذلك .

وأما المحصر بمرض فإن مذهب الشافعى وأهل الحجاز أنه لا يحله إلا الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة وأنه بالجملة يتحلل بعمرة لأنه إذا فاته الحج بطول مرضه انقلب عمرة وهو مذهب ابن عمر وعائشة وابن عباس، وخالف فى ذلك أهل العراق فقالوا : يحل مكانه وحكمه حكم المحصر بعدو فيرسل هديه ويقدّر يوم نحره ويحل فى اليوم الثالث، والجمهور على أن المحصر بمرض عليه الهدى، وقال أبو ثور وداود : لا هدى عليه وأجمعوا على إيجاب القضاء عليه، وكل من فاته الحج بخطأ من العدد فى الأيام أو بخفاء الهلال عليه أو بغير ذلك من الأعذار فحكمه حكم المحصر بمرض عند مالك، وقال أبو حنيفة : من فاته الحج بعذر غير المرض يحل بعمرة ولا هدى عليه وعليه إعادة الحج : والمكى المحصر بمرض عند مالك كغير المكى يحل بعمرة وعليه الهدى وإعادة الحج، وقال الزهرى : لا بد أن يقف بعرفة وان حمل حملا، وأصل مذهب مالك أن المحصر بمرض إن بقى على إحرامه إلى العام المقبل حتى يحج حجة القضاء فلا هدى عليه، فإن تحلل بعمرة فعليه هدى المحصر لأنه حلق رأسه قبل أن ينحر فى حجة القضاء .

(٢) أحكام جزاء الصيد والنبات

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾ أى عاقبته .

قتل الصيد حرام على المحرم ، وٱختلف العلماء هل الواجب فى قتله قيمته أو مثله ؟ فذهب الجمهور الى أن الواجب المثل ، وذهب أبو حنيفة الى أنه مخير بين القيمة أعنى قيمة الصيد وبين أن يشترى بها المثل . وٱختلفوا أيضا فى ٱستئناف الحكم على قاتل الصيد فيما حكم فيه السلف من الصحابة — مثل حكمهم أن من قتل نعامة فعليه بدنة تشبيها بها ، ومن قتل غزالا فعليه شاة ، ومن قتل بقرة وحشية فعليه إنسية — فقال مالك : يستأنف فى كل ما وقع من ذلك الحكم به . وبه قال أبو حنيفة ، وقال الشافعى : إن ٱجتزأ بحكم الصحابة مما حكموا فيه جاز . وٱختلفوا هل الأجزية فى الآية على الترتيب أو التخيير ، فقال مالك وأبو حنيفة بالتخيير ، وقال زفر بالترتيب . وٱختلفوا هل يقوّم الصيد أو المثل إن اختار الإطعام فيشترى بقيمته طعاما ، فقال مالك : يقوّم الصيد وقال الشافعى : يقوم المثل ، ولم يختلفوا فى تقدير الصيام بالطعام فى الجملة وإن اختلفوا فى التفصيل ، فقال مالك : يصوم لكل مدّ يوما وهو الذى يطعم عندهم كل مسكين ، وبه قال الشافعى وأهل الحجاز ، وقال أهل الكوفة : يصوم لكل مدين يوما وهو القدر الذى يطعم كل مسكين عندهم . وٱختلفوا فى قتل الصيد خطأ هل فيه جزاء أولا؟ فالجمهور على أن فيه الجزاء وقال أهل الظاهر : لا جزاء عليه .

وٱختلفوا فى الجماعة يشتركون فى قتل الصيد فقال مالك : على كل واحد منهم جزاء كامل وقال الشافعى : عليهم جزاء واحد ، وفرق أبو حنيفة بين المحرمين يقتلون الصيد وبين المحلين يقتلونه فى الحرم فقال : على كل من المحرمين جزاء وعلى المحلين جزاء واحد .

وٱختلفوا هل يكون أحد الحكمين قاتل الصيد ؟ فذهب مالك إلى أنه لا يجوز وقال الشافعى : يجوز وٱختلف أصحاب أبى حنيفة على القولين جميعا .

وٱختلفوا فى موضع الإطعام فقال مالك : فى الموضع الذى أصاب فيه الصيد إن كان ثم طعام وإلا ففى أقرب المواضع إليه ، وقال أبو حنيفة : حيثما أطعم جاز ، وقال الشافعى : لا يطعم إلا مساكين مكة .

وأجمع العلماء على أن المحرم اذا قتل الصـيد عليه الجزاء ، وٱختلفوا فى الحلال يقتل الصيد فى الحرم فقال جمهور فقهاء الأمصار : عليه الجزاء، وقال داود وأصحابه : لا جزاء عليـه ، ولم يختلف المسلمون فى تحريم قتل الصيد فى الحرم وإنمـا ٱختلفوا فى الكفارة .

وجمهور فقهاء الأمصار على أن المحرم إذا قتل الصيد وأكله فإنه ليس عليه إلا كفارة واحدة، وروى عن عطاء وطائفة : ان فيه كفارتين . وهذه مشهورات المسائل المتعلقة بالصيد .

وٱتفق العلماء على أن صيد البر محرّم على المحرم إلا الفواسق الخمس المنصوص عليها فى حديث ٱبن عمر وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خمس من الدواب ليس على المحرم جناح فى قتلهن ، الغراب، والحدأة ، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور، والجمهور على إباحة قتل هذه الدواب وكذلك ٱتفقوا على أن صيد البحر حلال كله للمحرم وإن ٱختلفوا فى تفسيره كما ٱختلفوا فيما يلحق بالفواسق ممـا لا يلحق بها فقال مالك : الكلب العقور إشارة إلى كل سـبع عاد فأما ما ليس بعاد من السباع فليس للمحرم قتله ، ولم ير قتل صغارها التى لا تعدو ولا ما كان منها أيضا لا يعدو، وقال أبو حنيفة : لا يقتل من الكلاب العقورة إلا الكلب الإنسى والذئب، وقال الشافعى : كل محرم الأكل فهو فى معنى الخمس ، ولا خلاف بينهم فى قتل الحيـة والأفعى والأسـود وقال مالك : لا أرى قتل الوزغ، والأخبار بقتلها متواترة لكن مطلقا لا فى الحرم ، وٱختلفوا فى الزنبور فألحقه بعضهم بالعقرب وبعضهم رأى أنه أضعف نكاية من العقرب .

وٱتفق العلماء على أن السمك من صيد البحر وٱختلفوا فى غير السمك بناء منهم على أن ما يحتاج منـه إلى زكاة ليس من صيد البحر وأكثر من ذلك ما كان محرما لا يعتبر من صـيد البحر ، ولا خلاف بين من يحل جميع ما فى البحر فى أن صيده حلال . وٱختلفوا فيما يعيش فى البر والبحر معا ، وقياس قول أكثر العلماء أنه يلحق

بالذى عيشه فيه غالبا وهو حيث يولد . والجمهور على أن طير الماء محكوم له بحكم حيوان البر ، وروى عن عطاء أنه قال فى طير الماء : حيث يكون أغلب عيشه يحكم له بحكمه .

واختلف العلماء فى نبات الحرم هل فيه جزاء أم لا ؟ فقال مالك : لا جزاء فيه وإنما فيه الإثم فقط ، وقال الشافعى : فيه الجزاء فى الدَّوْحة (الشجرة العظيمة) بقرة وفيما دونها شاة وقال أبو حنيفة : كل ما كان من غرس الإنسان فلا شيء فيه وكل ما كان نابتا بطبعه ففيه قيمته ، والأصل فى هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث : « ولا يُعْضَدُ شجرها ولا ينفر صيدها » .

(٣) حكم إتيان المحظورات فى الإحرام

أجمع العلماء على أن فدية الأذى المذكورة فى قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ واجبة على كل من أماط الأذى من ضرورة ، وألحق به مالك من أماطه من غير ضرورة ، وقال الشافعى وأبو حنيفة : إن حلق من غير ضرورة فإنما عليه دم فقط ، والمتعمد والناسى فى وجوب الفدية سواء عند مالك وأبى حنيفة والثورى والليث ، وقال الشافعى فى أحد قوليه ، وأهل الظاهر : لا فدية على الناسى .

وأجمع العلماء على أن فدية الأذى ثلاث خصال على التخيير الصيام والإطعام والنسك ، والجمهور على أن الإطعام لستة مساكين ، والصيام ثلاثة أيام ، والنسك أقله شاة ، وروى عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا : الإطعام لعشرة مساكين ، والصيام عشرة أيام ، وقد اختلف الفقهاء فيما يطعمه لكل مسكين فقال مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم : الإطعام فى ذلك مدان بمدّ النبى صلى الله عليه وسلم لكل مسكين ، وروى عن الثورى أنه قال : من البر نصف صاع ومن التمر والزبيب والشعير صاع ، وروى أيضا عن أبى حنيفة مثله وهو أصله فى الكفارات .

والجمهور على أن كل ما منعه المحرم من لبس الثياب المخيطة وحلق الرأس وقص الأظفار أنه إذا آستباحه فعليــه الفدية دم على آختلاف بينهم فى ذلك أو إطعام ولم يفرقوا بين الضرر وغيره فى هذه الأشياء وكذلك آستعمال الطيب وقال قوم: ليس فى قص الأظفار شيء وقال آخرون : فيه دم، وحكى آبن المنذر الإجماع على منع المحرم من قص الأظفار، واختلفوا فيمن أخذ بعض أظفاره، فقال الشافعى وأبو ثور : إن أخذ ظفرا واحدا أطعم مسكينا واحدا وإن اثنين فاثنين وإن ثلاثة فعليه دم فى مقام واحد، وقال أبو حنيفة فى أحد أقواله : لا شىء عليه حتى يقصها كلها، وقال أبو محمد آبن حزم : يقص المحرم أظفاره وشاربه وهو شــذوذ وقال : لا فدية إلا فى حلق الرأس للعــذر الذى ورد فيه النص . وقد أجمع العلماء على منع حلق شعر الرأس، واختلفوا فى حلق الشعر من سائر الجسد، فالجمهور على أن فيه الفدية وقال داود : لا فدية عليه . واختلفوا فيمن نتف من رأسه الشــعرة والشعرتين أو من لحمه فقال مالك : ليس على من نتف الشعر اليســير شىء إلا أن يكون أماط به أذى فعليــه الفدية وقال الحسن : فى الشعرة مدّ وفى الشعرتين مدان وفى الثلاث دم، وبه قال الشافعى وأبو ثور، وقال عبد الملك صاحب مالك : فيما قل من الشعر إطعام وفيما كثر فدية .

وآختلفوا فى موضع الفــدية فقال مالك : يفعل من ذلك ما شاء أين شاء بمكة وبغيرها وإن شاء ببلده لا فرق فى ذلك بين الإطعام وذبح النسك والصيام وهو قول مجاهد، والذى عند مالك هاهنا هو نسك وليس بهدى، فإن الهدى لا يكون إلا بمكة أو بمنى، وقال أبو حنيفة والشافعى : الدم والإطعام لا يجزيان إلا بمكة، والصوم حيث شاء وقال آبن عباس : ما كان من دم فبمكة وما كان من إطعام وصيام فحيث شاء وعن أبى حنيفة مثله .

واختلف العلماء فى حلق الرأس هل هو نسك من مناسك الحج أو هو مما يتحلل به منه؟ ولا خلاف بين الجمهور فى أنه من أعمال الحج وأنه أفضل من التقصير إلا للنساء فسنتهن التقصير، ومعظم الفقهاء على أنه نسك فى الحج والعمرة وأنه واجب على

كل من فاته الحج وأحصر بعدو أو مرض، وقال أبو حنيفة : لا حلق ولا تقصير على المحصر بعدو، و بالجملة فمن آعتبر الحلق أو التقصير نسكا (عبادة) أوجب فى تركه الدم ومن لم يجعله نسكا لم يوجب فيه شيئا .

(٤) كفارة المتمتع

نص الله سبحانه عليها فى قوله ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ وجمهور العلماء على أن ما آستيسر من الهدى شاة، وذهب آبن عمر إلى أن الهدى لا يطلق إلا على الإبل والبقر، وأن معنى قوله تعالى فما آستيسر من الهدى أى بقرة أدون من بقرة و بدنة أدون من بدنة، وأجمعوا على أن هذه الكفارة على الترتيب وإن لم يجد الهدى فعليه الصيام . واختلفوا فى حد الزمان الذى ينتقل بآنقضائه فرضه من الهدى إلى الصيام فقال مالك : إذا شرع فى الصوم فقد آنتقل واجبه إليه، وقال أبوحنيفة : إن من وجد الهدى فى أثناء صوم الثلاثة الأيام لزمه وإن وجده فى صوم السبعة لم يلزمه، وأجمعوا على أنه إذا صام الثلاثة الأيام فى العشر الأول من ذى الحجة أنه قد أتى بها فى محلها لقوله سبحانه ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ وآختلفوا فيمن صامها فى أيام عمل العمرة قبل أن يهل بالحج أو صامها فى أيام منى ؟ فأجاز مالك صيامها فى أيام منى ومنعه أبو حنيفة فقال : إذا فاتته الأيام الأول وجب الهدى فى ذمته، ومنعه مالك قبل الشروع فى عمل الحج وأجازه أبو حنيفة، وآتفقوا على أنه إذا صام السبعة الأيام فى أهله أجزأه، وآختلفوا إذا صامها فى الطريق، فقال مالك : يجزئ الصوم وقال الشافعى : لا يجزئ .

(٥) مفسدات الحج ومفوتاته

ولا خلاف أن من فاته الحج بعد أن شرع فيه إما بفوات ركن من أركانه وإما من قبل غلطه فى الزمان أو من قبل جهله أو نسيانه أو إتيانه فى الحج فعلا مفسدا له فإن عليه القضاء إذا كان حجا واجبا وهل عليه هدى مع القضاء؟ الجمهور: على وجوب الهدى عليه، وآختلفوا أيضا هل يقضى الحج التطوع أو لا .

ومما يخص الحج الفاسد عند الجمهور دون سائر العبادات أنه يمضى فيه المفسد له ولا يقطعه وعليه دم، وشذ قوم فقالوا : هو كسائر العبادات .

وٱتفقوا على أن الحج يفسد بترك أركانه التى هى شرط فى صحته على ٱختلافهم فيما هو ركن مما ليس بركن، وكذلك يفسده الجماع باتفاق إن كان قبل الوقوف بعرفة أو قبل الطواف والسعى بالنسبة للعمرة، وٱختلفوا فى فساد الحج بالوطء بعد الوقوف بعرفة وقبل رمى جمرة العقبة وبعد رمى الجمرة وقبل طواف الإفاضة الذى هو الواجب فقال مالك والشافعى : يفسده الوطء قبل رمى جمرة العقبة وعليه الهدى والقضاء، وقال أبو حنيفة والثورى : عليه الهدى بدنة وحجه تام وروى مثله عن مالك والجمهور على أن من وطئ بعد رمى جمرة العقبة وقبل الطواف لا يفسد حجه ويلزمه الهدى، وقالت طائفة : فسد حجه وهو قول ٱبن عمر . واختلفوا فى صفة الجماع الذى يفسد الحج وفى مقدّماته، فالجمهور على أن التقاء الختانين يفسد الحج ويحتمل من يشترط فى وجوب الطهر الإنزال مع التقاء الختانين أن يشترطه فى الحج، وٱختلفوا فى إنزال المـاء فيما دون الفرج فقال أبو حنيفة : لا يفسد الحج، وقال الشافعى : ما أوجب الحدّ أفسد الحج، وقال مالك : الإنزال نفسه يفسد الحج وكذلك مقدّماته من المباشرة والقبلة، وٱستحب الشافعى فيمن جامع دون الفرج أن يهدى . وٱختلفوا فيمن وطئ مرارا فقال مالك : ليس عليـه إلا هدى واحد وقال أبو حنيفة : إن كرر الوطء فى مجلس واحد كان عليه هدى واحد وإن كرره فى مجالس كان عليه لكل وطء هدى، وقال محمـد بن الحسن يجزيه هدى واحد وإن كرر الوطء ما لم يهد لوطئه الأول، وعن الشافعى الثلاثة الأقوال إلا أن الأشهر عنه مثل قول مالك، وسوى مالك بين الوطء عمدا ونسيانا، وقال الشافعى فى الجديد : لا كفارة على الناسى . وٱختلفوا هل على المرأة هدى؟ فقال مالك : إن طاوعته فعليها هدى وإن أكرهها فعليه هديان، وقال الشافعى : ليس عليه إلا هدى واحد كقوله فى المجامع فى رمضان، وجمهور العلماء : على أنهما إذا حجا من قابل تفرّقا أى الرجل والمرأة، وقيل : لا يفترقان وهو مروى عن بعض الصحابة والتابعين وبه قال أبو حنيفة وفى أى الأماكن يفترقان؟ قال الشافعى :

يفترقان من حيث أفسدا الحج، وقال مالك: يفترقان من حيث أحرما إلا أن يكونا أحرما قبل الميقات . ولا خلاف بين العلماء أن التحلل الأصغر الذى هو رمى الجمرة يوم النحر — يحل به الحاج من كل شىء حرم عليه إلا النساء والطيب والصيد فإنهم آختلفوا فى ذلك، أما التحلل الأكبر بطواف الإفاضة فانه يحل للحاج كل ما حرم عليه بالاتفاق . وآتفقوا أيضا على أن المعتمر يحل من عمرته إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وإن لم يكن حلق ولا قصر لثبوت الآثار بذلك إلا خلافا شاذا، روى عن ابن عباس أنه يحل بالطواف وقال أبو حنيفة : لا يحل إلا بعد الحلق، فإن جامع قبله فسدت عمرته .

وآختلف العلماء فى الهدى الواجب بالجماع فقال مالك وأبو حنيفة: شاة، وقال الشافعى: بدنة، وإن لم يجدها قومت البدنة دراهم والدراهم طعاما، فإن لم يجد صام عن كل مدّ يوما، قال: والإطعام والهدى لا يجزى إلا بمكة أو بمنى والصوم حيث شاء وقال مالك : كل نقص دخل فى الإحرام من وطء أو حلق شعر أو إحصار فان صاحبه إن لم يجد الهدى صام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع ولا يدخل الإطعام فيه، فمالك شبه الدم اللازم هنا بدم التمتع، والشافعى شبهه بالدم الواجب فى الفدية، والإطعام عند مالك لا يكون إلا فى كفارة الصيد وكفارة إزالة الأذى .

يفوت وقت الحج بفوات الوقوف بعرفة يوم عرفة وأجمعوا أن من هذه صفته لا يخرج من إحرامه إلا بالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة أعنى أنه يحل ولا بد من عمرة وحج من قابل، واختلفوا هل عليه هدى أو لا ؟ فقال مالك والشافعى وأحمد والثورى وأبو ثور : عليه الهدى، وقال أبو حنيفة : لا هدى عليه، واختلف العلماء فى القارن إذا فاته الحج هل يقضى حجا مفردا أو مقرونا بعمرة؟ فذهب مالك والشافعى إلى أنه يقضى قارنا وقال أبو حنيفة : ليس عليه إلا الإفراد، وجمهور العلماء: على أن من فاته الحج لا يقيم على إحرامه ذلك إلى عام آخر، وهذا هو الاختيار عند مالك إلا أنه أجاز ذلك ليسقط عنه الهدى ولا يحتاج إلى التحلل بعمرة .

(٦) الكفارات المسكوت عنها

آتفق الجمهور على أن أعمال الحج أقسام ثلاثة : فرض لا يجب بتركه دم، وسنة مؤكدة يجب بتركها الدم، ونفل مرغب فيه لا يجب بتركه دم ولا شيء آخر؛ وكذلك آتفقوا على أن ما كان من التروك مسنونا ففى فعله فدية الأذى، وما كان مرغبا فيه فليس فى تركه شيء، ولكن آختلفوا فيما يعتبر فرضا أو سنة أو يعتبر سنة أو نفلا، وأهل الظاهر لا يوجبون دما أو فدية إلا فيما ورد فيه النص إذ لا قياس عندهم خصوصا فى العبادات .

وها نحن أولاء نذكر لك أفعال الحج ومحظوراته واحدا واحدا ونبين ما فيه دم أولا : (١) مجاوزة الميقات من غير إحرام قال قوم : لا دم عليه وقال قوم : عليه الدم وإن رجع وهو قول مالك وآبن المبارك، وروى عن الثورى، وقال قوم : إن رجع اليه فليس عليه دم وإن لم يرجع فعليه دم وهو قول الشافعى وأبى يوسف ومحمد، ومشهور قول الثورى، وقال أبو حنيفة : إن رجع ملبيا فلا دم عليه وإن رجع غير ملب كان عليه الدم، وقال قوم : هو فرض ولا يجبره الدم؛ (٢) غسل الرأس بالخطمى قال مالك وأبو حنيفة : من فعله يفتدى، وقال الثورى وغيره : لا شيء عليه؛ (٣) دخول الحمام رأى فيه مالك الفدية والأكثرون على الإباحة؛ (٤) لبس ما نهى عن لباسه، فيه الفدية على قول الجمهور . وآختلفوا فيمن لبس السراويل لعدم الإزار، فقال مالك وأبو حنيفة : يفتدى، وقال الثورى وأحمد وأبو ثور وداود : لا شيء عليه إذا لم يجد إزارا . وآختلفوا فيمن لبس الخفين مقطوعين مع وجود النعلين فقال مالك : عليه الفدية، وقال أبو حنيفة : لا فدية عليه والقولان عن الشافعى . وآختلفوا فى لبس المرأة القفازين (لباس اليدين) «الجوانتى» هل فيه فدية أو لا ؟ وقد تقدّم كثير من هذه الأحكام فى باب الإحرام؛ (٥) ترك التلبية، قيل : فيه دم، وقيل لا : وقد تقدّم؛ (٦) نكس الطواف أو نسيان شوط من أشواطه، يعيد الطواف من فعل ذلك باتفاق ما دام يمكنه . وآختلفوا إذا بلغ الى أهله فقال

قوم منهم أبو حنيفة : يجزيه الدم، وقال قوم : بل يعيد ويجبر ما نقصه؛ (٧) ترك الرمل فى الثلاثة الأشواط لا يجبر بالدم على قول ٱبن عباس والشافعى وأبى حنيفة وأحمد وأبى ثور، وٱختلف فى ذلك قول مالك وأصحابه؛ (٨) تقبيل الحجر أو يديه بعد وضعهما عليه فى ترك ذلك دم؛ (٩) نسيان ركعتى الطواف حتى يرجع الشخص الى أهله فيه دم عند مالك، وقال الثورى : يركعهما ما دام فى الحرم، وقال الشافعى وأبو حنيفة : يركعهما حيث شاء؛ (١٠) طواف الوداع، لا يجبر بدم عند من يرى أنه فرض ومن لا يراه فرضا، ٱختلفوا فيمن تركه ولم تمكن له العودة اليه، فقال مالك : ليس عليه شىء إلا أن يكون قريبا فيعود، وقال أبو حنيفة والثورى : فيه دم إن لم يعد وإنما يرجع عندهم ما لم يبلغ المواقيت؛ (١١) عدم إدخال الحِجْر فى الطواف فيه دم إلا اذا أعاده قبل أن يخرج من مكة وهذا عند أبى حنيفة؛ (١٢) المشى فى الطواف مع القدرة عليه، قال مالك: هو من شرط الطواف كالقيام فى الصلاة فإن عجز كان كصلاة القاعد ويعيد عنده إلا إذا رجع إلى بلده فإن عليه دما. وقال الشافعى: الركوب فى الطواف جائز؛ (١٣) ترك السعى فيه دم إذا ٱنصرف إلى بلده وهو عند من لا يراه واجبا، ومن رآه تطوّعا لم يوجب فيه شيئا؛ (١٤) تقديم السعى على الطواف إذا لم يعده حتى يخرج من مكة فيه دم عند بعضهم؛ (١٥) الدفع من عرفة قبل الغروب فيه دم عند أبى حنيفة والثورى عاد أو لم يعد، وقال الشافعى وأحمد: لا شىء عليه إذا عاد ودفع بعد الغروب؛ (١٦) الوقوف بعرنة من عرفة فيه دم عند مالك، والشافعى يرى أن لا حج له . وتقدّم مثل ذلك كثير .

القول فى الهدى

النظر فى الهدى يشتمل : (١) على معرفة حكمه؛ (٢) وعلى معرفة جنسه؛ (٣) وعلى معرفة سنّه؛ (٤) وكيفية سوقه؛ (٥) ومن أين يساق؛ (٦) والى أين يساق وهو موضع نحره؛ (٧) وحكم لحمه بعد النحر .

(١) حكم الهدى — الهدى المسوق فى الحج منه واجب ومنه تطوع، والواجب منه ما هو واجب بالنذر ومنه ما هو واجب فى بعض أنواع هذه العبادة

ومنه ما هو واجب لأنه كفارة ، فالواجب فى بعض أنواع هـذه العبادة هو هدى المتمتع باتفاق وهدى القارن باختلاف ، وأما الذى هو كفارة فهـدى القضاء على مذهب من يشترط فيـه الهدى وهدى كفارة الصيد، وهدى القاء الأذى والتفث وما أشبه ذلك من الهدى المقيس على المنصوص كما قدّمنا .

(٢) جنس الهدى — اتفق العلماء على أن الهدى لا يكون إلا من الأزواج الثمانية التى نص الله عليها وأن الأفضل فى الهدايا الإبل ثم البقر ثم الغنم ثم المعز .

(٣) سنّ الهدى — أجمعوا على أن الثّنى (١) فما فوقه يجزى منها وأنه لا يجزى الجَـذَع (٢) من المعز فى الضحايا والهدايا ، واختلفوا فى الجذع من الضأن فأكثر أهل العلم يقولون بجوازه فى الهدايا والضحايا، وكان ابن عمر يقول : لا يجزئ فى الهدايا إلا الثّنى من كل جنس، ولا خلاف فى أن الأغلى ثمنا من الهدايا أفضل وليس فى عدد الهدى حدّ معلوم، وكان هدى رسول الله صلى عليه وسلم مائة .

(٤) كيفية سوق الهدى — يساق الهدى مقلدا مشعرا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلد هديه بذى الحليفة وأشعره وأحرم وتقلد الإبل والبقر بنعل أو نعلين أو غيرهما إذا لم يجد وهـذا باتفاق، أما الغنم فلا تقلد عند مالك وأبى حنيفة وتقلد عنـد الشافعى وأحمد وداود وأبى ثور، ويستحب توجيه الهـدى الى القبلة حين توجيهه، ومالك يستحب فى الإشعار طعن الهدى فى سنامه حتى يسيل منه الدم وأن يكون من الجانب الأيسر، والشافعى وأحمد وأبو ثور يستحبونه من الجانب الأيمن.

(٥) من أين يساق الهدى — يرى مالك أن السـنة فى الهدى أن يساق من الحل ولذلك ذهب الى أن من اشترى الهدى بمكة ولم يدخله من الحل عليه أن

---

(١) الثنى من الإبل : ما دخل فى السنة السادسة ومن البقر والغنم ما دخل فى الثالثة وعلى مذهب أحمد هو من المعز ما دخل فى الثانية .

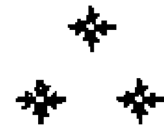
(٢) الجذع : من أسنان الدواب ما كان شابا فتيا وهو من الإبل ما دخل فى السنة الخامسة ، ومن البقر والمعز ما دخل فى السنة الثانية وقيل : من البقر ما دخل فى الثالثة ، ومن الضأن ما تمت له سنة وقيل : أقل منها .

يقفه بعرفة وإن لم يفعل فعليه البدل ، وأما من أدخله من الحل فيستحب له أن يقفه بعرفة وهو قول ابن عمر وبه قال الليث ، وقال الشافعي والثوري وأبو ثور : وقوف الهدى بعرفة سنة سواء أدخل من الحل أم لا ، ولا حرج على من لم يقفه ، وقال أبو حنيفة : توقيف الهدى بعرفة ليس بسنة .

(٦) منحر الهدى — محله أى الموضع الذى يحل نحره فيه — البيت . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ هَدْيًا بَالِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ وأجمع العلماء على أن الكعبة لا يجوز لأحد أن يذبح فيها وكذلك المسجد الحرام ، وقال مالك : المراد بالكعبة فى الآية مكة ولهذا لم يجز لمن نحر هديه فى الحرم إلا أن ينحره بمكة ، وقال الشافعى وأبو حنيفة : إن نحره فى غير مكة من الحرم أجزأه ، وقال الطبرى : يجوز نحر الهدى حيث شاء إلا هدى القران وجزاء الصيد فانهما لا ينحران إلا بالحرم ، وبالجملة فالنحر بمنى إجماع من العلماء وفى العمرة بمكة إلا ما اختلفوا فيه من نحر المحصر ، وعند مالك إن نحر للحج بمكة وللعمرة بمنى أجزأه ، وحجة مالك أنه لا يجوز النحر بالحرم إلا بمكة قوله صلى الله عليه وسلم « كل فجاج مكة طريق ومنحر » واستثنى مالك من ذلك هدى الفدية فأجاز نحره بغير مكة . هذا مكانه وأما زمانه فقال مالك : إن ذبح هدى التمتع أو التطوع قبل يوم النحر لم يجزه ، وقال الشافعى : يجوز فى كليهما قبل يوم النحر ، وجوّزه أبو حنيفة فى التطوع والجمهور على أن الصيام المعدول به عن الهدى يجوز حيث شاء لأنه لا منفعة فى ذلك لأهل الحرم ولا لأهل مكة وإنما اختلفوا فى الصدقة المعدولة عن الهدى ، فجمهور العلماء : على أنها لمساكين مكة والحرم لأنها بدل من جزاء الصيد الذى هو لأهل الحرم ، وقال مالك : الإطعام كالصيام يجوز بغير مكة .

وتستحب فى النحر التسمية لأنها ذكاة واستحب بعضهم التكبير معها ، ويستحب للمهدى أن يلى نحر هديه بيده وإن استخلف جاز ويسن أن تنحر قياما .

(٧) الانتفاع بالهدى — فى ذلك مسائل مشهورة : (١) ركوب الهدى، فذهب أهل الظاهر إلى جوازه لضرورة ومن غير ضرورة بل أوجب بعضهم ركوبه وكره جمهور فقهاء الأمصار ركوبه من غير ضرورة؛ (٢) أكل لحمه، أجمع العلماء على أن هدى التطوع إذا بلغ محله أكل منه المتطوّع كسائر الناس وإذا عطب قبل ذلك خلى بينه وبين الناس ولم يأكل منه، بل قال أبو داود وأبو ثور: لا يأكل منه رفقته أيضا، وٱختلفوا فى الواجب على من أكل منه فقال مالك : عليه بدل الهدى وقال أبو حنيفة والشافعى وأحمد والثورى وٱبن حبيب من أصحاب مالك : عليه قيمة ما أكل أو أمر بأكله طعاما يتصدّق به، وروى عن على وٱبن عباس وٱبن مسعود وجماعة من التابعين. وما عطب فى الحرم قبل أن يصل الى مكة هل بلغ محله أو لا ؟ فيه الخلاف وهو مبنى على الخلاف المتقدّم هل المحل هو مكة أو الحرم ؟ وأما الهدى الواجب فإن عطب قبل محله فلصاحبه أن يأكل منه لأن عليه بدله، بل أجاز بعضهم أن يبيع لحمه ليستعين به فى بدله — وكره مالك ذلك — وٱختلفوا فى الأكل من الهدى الواجب إذا بلغ محله فقال الشافعى : لا يؤكل من الهدى الواجب كله ولحمه كله للمساكين وكذلك جله إن كان مجللا والنعل الذى قلد به وقال مالك : يؤكل من الهدى الواجب جزاء الصيد ونذر المساكين وفدية الأذى، وقال أبو حنيفة لا يؤكل من الهدى الواجب إلا هدى المتعة والقِران .



وإلى هنا تم ما قصدنا من أحكام الحج فى المذاهب وٱختصرنا ذلك من بداية المجتهد كما أعلمناك سابقا .

جدول بمعظم أحكام الحج فى المذاهب الأربعة

العمــــل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الحــــج	(١) فرض فورا	فرض تراخيا	فرض فورا	فرض فورا
العـــمرة	سنة مؤكدة	»	سنة مؤكدة	»
الإحرام بالحج أى نيته	(٢) شرط وركن	ركن	ركن	ركن
« بالعمرة أى نيتها	شرط وقيل ركن	»	»	»
قرن الإحرام بالتلبية	(٣) سـنة	سـنة	سنة وقيل واجب	سـنة
الإحرام من الميقات	(٤) واجب	واجب	واجب	واجب
الغسل للإحرام	سـنة	سـنة	سـنة	مستحب
التطيب للإحرام	»	»	مكروه	»
التلبيــــة	»	»	واجبة	سـنة
طواف القدوم	»	»	واجب	»
نية الطواف	شرط	(٥) شرط	»	شرط
بدء الطواف من الحجر الأسود	واجب	»	»	»
جعل البيت عن يسار الطائف	»	»	شرط	»
المشى فى الطواف لقادر عليه	»	سـنة	واجب	»
الطهارة من الحدثين فى الطواف	»	شرط	شرط	»
طهارة البدن والثوب والمكان فى الطواف	سـنة	»	»	»
كون الطواف من وراء الحجر	واجب	»	»	»
« « فى المسجد	»	»	»	»
« « سبعة أشواط	(٦) واجب	»	»	»

(١) عند محمد على التراخى . (٢) أى شرط ابتداء حيث يصح حصوله قبل أشهر الحج . وركن انتهاء حيث لا يصح استدامته بعد أشهر الحج ليحج به من قابل ، والفرق بين الشرط والركن أن الشرط خارج عن الشئ والركن جزء منه وكل منهما لا بد منه لصحة الشئ . (٣) السـنة لا يلزم بتركها شئ ولكن يفوت الثواب . (٤) يلزم بتركه دم . (٥) فى الوداع والتطوع فقط . (٦) الأربعة الأشـواط الأولى ركن والثلاثة الأخيرة واجبة فى طواف الزيارة سنة فى الطواف الواجب .

(تابع) جدول بمعظم أحكام الحج فى المذاهب الأربعة

العمـــل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الموالاة بين أشواط الطواف	سـنة	سـنة	واجب	شـــرط
ستر العورة فى الطواف	واجب	شرط	شرط	»
ركعتا الطواف	(١) واجب	سنة وقيل واجب	(٢) واجب	سـنة
الطواف للعمرة	ركن	ركن	ركن	ركن
السعى بين الصفا والمروة فى الحج أو العمرة	واجب	»	»	»
وقوع السعى بعد طواف	»	شرط	واجب	شرط
نية السعى	»	»	شرط	»
بدء السعى بالصفا وختمه بالمروة	»	»	»	»
المشى فيه مع القدرة	»	سـنة	واجب	»
كون السعى سبعة أشواط...	»	شرط	شرط	»
الموالاة بين أشواط السعى	سـنة	سـنة	واجب	»
« « السعى والطواف	»	»	»	سـنة
الحلق أو التقصير فى العمرة	واجب	واجب	»	واجب
المبيت بمنى ليلة عرفة	»	سـنة	»	مستحب
الوقوف بعرفة	ركن	ركن	ركن	ركن
وقت الوقوف بعرفة	من بعـد الزوال إلى طلوع فجـر يوم النحـــر			
مدّ الوقوف إلى ما بعد الغروب إن وقف نهارا	واجب	واجب وقيل سنة	ركن	واجب
الدفع من عرفة مع الإمام أو نائبه	»	سـنة	واجب	سـنة
الجمع بمزدلفة بين صلاتى المغرب والعشاء...	»	»	سـنة	»
(٣) المبيت بمزدلفة	»	واجب	واجب	واجب

(١) ولكن يعادان ولا يجبران بالدم . (٢) و يجب فيهما عند المالكية أن يكونا بوضوء الطواف كما يجب أن لا يصليا بالحجر أو الكعبة وأن لا يفصل بينهما و بين الطواف فاصل طو يل .

(٣) ولكن يكفى فى تحصيل الواجب المكث لحظة فى النصف الثانى من الليل عند الشافعى ولحظة بعد الفجر عند أبى حنيفة ومقدار حط الرحال وصـلاة العشاءين وتناول شىء من الطعام والشراب عند مالك .

(تابع) جدول بمعظم أحكام الحج فى المذاهب الأربعة

العمـــل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الوقوف بمزدلفة «المشعر الحرام» فى وقته (١)	واجب	واجب	سنة أو مستحب	واجب
رمى جمرة العقبة يوم النحر (٢)	«	«	واجب	«
الحلق أو التقصير فى الحج	«	ركن	«	«
الترتيب بين الرمى والذبح والحلق	«	ســنة	ســنة	ســنة
كون الحلق فى الحرم وأيام النحر	«	«	«	«
طواف الإفاضة	ركن أكثره	ركن	ركن	ركن
كونه فى أيام النحر	واجب	«	واجب فى ذى الحجة	سنة يوم العيد
تأخير طواف الإفاضة عن الرمى	ســنة	ســنة	واجب	ســنة
رمى الجمار الثلاث فى أيام التشريق (٣)	واجب	واجب	«	واجب
عدم تأخير الرمى الى الليل	ســنة	ســنة	«	ســنة
المبيت بمنى ليالى أيام التشريق (٣)	«	واجب	«	واجب
طواف الوداع	واجب	«	مستحب	«

حكم المنــاسك وأسرارها

نذكر تحت هذا العنوان كلمة ممتعة للسيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغرّاء وهى القسم الأخير من رسالته فى مناسك الحج ، قال أحسن الله اليه تحت هذا العنوان :
يظن كثير من الناس الذين لا يعرفون كنه هذا الدين القويم من غير أهله ومن

(١) وقته من طلوع الفجر الى شروق الشمس . (٢) وقتها المستحب من طلوع الشمس الى الزوال ولا يجوز رميها قبل الفجر خلافا للشافعى ويجوز رميها الى غروب شمس يوم النحر فان رماها بالليل وجب عليه دم عند مالك وإن أخرها الى الغد عليـه دم عند مالك وأبى حنيفة . (٣) وذلك فى يومين فقط لمن تعجل وفى ثلاثة لغيره .

المنسوبين إليه على سبيل الجنسية لا التدين أن بعض مناسك الحج من العبادات الوثنية وأن الاسلام أقرها تأنيسا لمشركى العرب، وقد سئلنا عن ذلك سؤالا مطولا نشر فى باب الفتوى من المجلد السادس عشر، فنذكر هنا ملخص ما أجبنا به من حكم الحج وأسراره ولولا ضيق الوقت لزدنا عليه وهو :

حكمة استلام الحجر الأسود — من عرف معنى العبادة يقطع بأن المسلمين لا يعبدون الحجر الأسود ولا الكعبة، ولكن يعبدون الله تعالى وحده باتباع ما شرعه فيهما . بل كان من تكريم الله تعالى لبيته أن صرف مشركى العرب وغيرهم من الوثنيين والكتابيين الذين كانوا يعظمونه قبل الإسلام عن عبادته ، وقد وضعوا فيه الأصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه ، ذلك أن عبادة الشيء عبارة عن دعائه وكل قول أو عمل مبنى على اعتقاد أن له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه، والخوف من ضره لمن لا يعبده أو لمن يقصر فى تعظيمه، سواء أكانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستقل بالنفع والضر أم كانت غير ذاتية له بأن يعتقد أنه واسطة بين من لجأ اليه وبين المعبود الذى له السلطة الذاتية . ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد أن الحجر الأسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له ، ولا بسلطة تقرب من يعبده ويلجأ إليه إلى الله تعالى ، ولا كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ذلك وتقوله فى الحجر كما تقول فى أصنامها : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ ٱللَّهِ﴾ وإنما عقيدة المسلمين فى الحجر هى ماصرح به عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند تقبيله ؛ قال : إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك — رواه الجماعة كلهم — أحمد والشيخان وأصحاب السنن . وقد بينا فى المنار من قبل أن هذا القول روى أيضا عن أبى بكر رضى الله عنه وروى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم، وأن أثر عمر كان العمدة فى هذا الباب للاتفاق على صحة سنده . قال الطبرى : إنما قال عمر ذلك (أى مع أنه معلوم من الدين بالضرورة) لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام فخشى أن

يظن الجهال أن آستلام الحجر الأسود من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، فأراد أن يعلم الناس أن آستلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته اه .

بقي أن يقال : اذا كان هذا الحجر لا ينفع ولا يضر — كما قال عمر في الموسم تعليما للناس وأقره جميع الصحابه عليه — وكان آستلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتبع في سائر العبادات ، فما حكمة جعل ما ذكر من العبادة؟ وهل يصح ما قيل : من أن النبي صلى الله عليه وسلم تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفا للمشركين وآستمالة لهم إلى التوحيد؟ والجواب أن الحجر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين ، وإنما هو من وضع إمام الموحدين إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدأ للطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر اليها فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون ، وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك كما تحترم الكعبة لجعلها بيتا لله تعالى وإن كانت مبنية بالحجارة فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الامتثال لأمر الشارع واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان ، ولهذا لا تقبّل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وان قال به وبتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الأمور التعبدية . وتعظيم الشعائر والآثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لايستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، وأشد الناس عناية به الإفرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاتحين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لا يعبدون شيئا منها ، فلماذا نهتم بكل ما يلفظ به كل قسيس أو سياسي يريد تنفير المسلمين من دينهم إذا موه علينا في شأن تعظيم الحجر الأسود فزعم أنه من آثار الوثنية ، ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم إمام موحد داع إلى الله من النبيين المرسلين الذين عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذى أجمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى؟

بقى من حكمة آستلام الحجر وتقبيله ما آعتمده الصوفية فيها أخذا مما ورد فى بعض الأحاديث الضعيفة كحديث آبن عباس « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه » رواه الطبرانى ، فقالوا : وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى فكأن الحجر يمين الله تعالى ، ومستلمه مبايع له على توحيده والإخلاص له واتباع دينه الحق ، والأعمال الرمزية معروفة فى جميع الأديان الإلهية . وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال إن الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده — ومعاذ الله أن تكون لله جارحة — وإنما شرع تقبيله آختبارا ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم اه . وليس مراد من قال إنه يمين الله أن لله جارحة ، وإنما أراد ما ذكرنا ، والعمدة فى رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه ، فان صح وجب قبوله ومعناه ظاهر ، وقال الخطابى : معنى كونه يمين الله فى الأرض أن من صافحه فى الأرض كان له عند الله عهد ، وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والآختصاص به فخاطبهم بما يعهدونه . وقال المحب الطبرى : إن كل ملك إذا قدم عليه الوفد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم سن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ اه .

ولعمرى لو أن ملوك الإفرنج وعلماءهم أمكنهم أن يشتروا هذا الحجر العظيم لتغالوا فى ثمنه تغاليا لا يتغالون مثله فى شىء آخر فى الأرض ، ولوضعوه فى أشرف مكان من هيا كل التحف والآثار القديمة عندهم ، ولحج وفودهم إلى رؤيته وتمنى الملايين لو تيسر لهم لمسه وآستلامه ، وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع إبراهيم أبى الأنبياء عليهم السلام وأنهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك أو الصناع .

هذا وأن من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والفطرة فى أقدم معابده وإحياء شعائر إبراهيم التى طمستها وشوهتها الجاهلية بوثنيتها فطهرها الله ببعثة ولده محمد الذى آستجاب الله به دعوته ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ عليهما الصلاة والسلام . روى

أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال : أتانا ابن مِرْبع (كمنبر واسمه يزيد) الأنصارى ونحن بعرفة — فى مكان يباعده عمرو عن الإمام(١) — فقال : أما إنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم، يقول لكم : « قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من أبيكم ابراهيم» هذا سياق أبى داود وقد سكت عليه . وقال الترمذى : حديث ٱبن مربع الأنصارى حديث حسن لانعرفه إلا من حديث ٱبن عيينة عن عمرو بن دينار .

وجملة القول أن مناسك الحج من شريعة إبراهيم وقد أبطل الإسلام كل ما ٱبتدعته الجاهلية فيها من وثنيتها وقبيح عملها كطوافهم بالبيت عراة، وأن الكعبة من بناء إبراهيم واسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالإجماع المتواتر بينهم، وكانوا يعظمونها هم والأمم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود، ومن الثابت أيضا أنهم لما جدّدوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد إبراهيم، وإنما ٱقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد ٱستلام الركنين اليمانيين دون غيرهما ، ويقال لأحدهما : الركن الأسود لأن فيه الحجَر الأسود وللآخر: اليمانى فإذا ثنوهما قالوا : اليمانيين تغليبا كما يقولون فى تثنية الركن الشامى والركن العراقى : الشاميين . ولما كانت الكعبة قد جدّد بناؤها قبل الإسلام وبعده ولم يبق فيها حجر يعلم باليقين أنه من وضع ابراهيم إلا الحجَر الأسود لٱمتيازه بلونه وبكونه مبدأ المطاف — كان هو الأثر الخاص المذكر بنشأة الاسلام الأولى فى ضمن الكعبة المذكرة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها، زادها الله حفظا وشرفا . وقد علم بهذا أن الحجَر له مزية تاريخية دينية وإن كان الأصل فى وضعه بلون مخالف للون البناء ٱهتداء الناس بسهولة الى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا أن نقول إن لله تعالى أن يخصص ما شاء من الأجسام والأمكنة والأزمنة بما شاء لروابط العبادة والشعائر، فلا فرق بين تخصيص

(١) هذه الجملة مدرجة فى الحديث أدرجها فى الرواية عمرو بن دينار ومعناها أنهم فى مكان بعيد عن موقف الامام بحيث لا يسمعون كلامه فقوله : يباعده عمرو يعنى يذكر عمرو بن عبدالله بن صفوان التابعى أنه بعيد عن الإمام الأعظم صلى الله عليه وسلم أى فلذلك أرسل اليهم رسولا .

الحجر الأسود بما خصصه به وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر الحرام وشهر رمضان والأشهر الحرم بما خصت به ، ومبنى العبادات على الاتباع لا على الرأى .

حكمة رمى الجمار

إذا وعيت ماتقدّم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج ، أعنى أنها مما تعبدنا الله تعالى بها لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا ، وأنها إحياء لدين إبراهيم أبى الأنبياء وإمام الموحدين المخلصين ، وتذكير بنشأة الإسلام ومعاهده الأولى . وإن لاستحضار ذلك لتأثيرا عظيما فى تغذية الإيمان وتقوية الشعور به والثقة بأنه دين الله الخالص الذى لايقبل غيره ، فإن جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أوحكمتها لايضرنا ذلك ولا يثنينا عن إقامتها ، كما اذاثبت لنا نفع دواء من الأدوية مركب من عدّة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فان ذلك لايثنينا عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ، ولايدعونا إلى التوقف وترك استعماله الى أن نتعلم الطب ونعرف حكمة أوزان تلك الأجزاء ومقاديرها .

أبسط مايتبادر الى الذهن من منشإ هذه العبادة أن هذه المواضع التى تسمى الجمرات كانت من معاهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فشرع لنا أن نقف عند كل واحدة منها نكبرالله سبع تكبيرات نرمى عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير ، والعدّ بالحصى — ومثله النوى فى مثل الحجاز — من الأمور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة ، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة إبراهيم الذى أقام الدين الحق فى هذه المعاهد وبين التعبد لله تعالى بكيفية لا حظ للنفس ولا محل للهوى فيها . والعبادة منها شعائر يجتمع لها الناس وتقصد الأمة بعملها إظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى ، وكل أعمال الحج من هذا القبيل ، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتزكيتها فقط كالتهجد وذكر الله فى الخلوة ، فلا يقال إن الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان ، لأن هذا

القول لا يصح إلا فى غير الشعائر إذ الشعائر لابد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين .

أما كون رمى الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتى حديث عائشة المصرح به ، وأما سبب وقوف إبراهيم فى تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعدّه بالحصى فلا يضرنا جهله ويكفينا أن نقتدى به فى هذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك. وورد فى بعض الأحاديث الضعيفة السند أن إبليس عرض له هنالك أى يوسوس له ويشغله عن أداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . وروى الطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس : لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك .

وروى عن محمد بن إسحاق قال : لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له طف به سبعا : ثم ساق الحديث وفيه أنه لما دخل مِنًى وهبط من العقبة تمثل له إبليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل : كبر وآرمه سبع حصيات ، فرماه فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل : كبرّ وآرمه فرماه ابراهيم سبع حصيات ، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل : كبر وآرمه ، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فغاب عنه إبليس. ثم مضى إبراهيم فى حجه — الحديث . وليس تمثل الشيطان للأنبياء ولا ظهوره لهم بغريب فى قصصهم ففى الإنجيل المعتمد عند النصارى أنه ظهر للمسيح عليه السلام وجربه تجارب طويلة . فإذا صح أن إبليس عرض لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى أثناء أداء مناسكه بظهور ذاته أو مثاله أو بمجرد التصدى للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة فى قذفه ورجمه كما يطرد الكلب ، فمن المعروف فى الأخلاق والطباع أن يأتى الانسان بعمل عضوى يظهر به كراهته لما يعرض له

حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه و براءته منه ، فأخذ الحصيات ورميها مع تكبير الله تعالى من هـذا القبيل ، وإن حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد فى دفع الخواطر الشاغلة للقلب...والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبرى أوالإهانة معهود من الناس وله شواهد عند الأمم كرجم بنى اسرائيل مع يشوع النبى (يوشع عليه السلام) لعجان بن زراح وأهـله وماله من ناطق وصامت كما فى ٧ : ٢٤ و٢٥ من سـفر يشوع ، وكرجم النصارى لشجرة التين التى لعنها المسيح ، ورجم العرب فى الجاهلية لقبر أبى رغال فى المُغَمِّس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشى الى مكة لأجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى .

والعمدة فى رمى الجمار ماتقدّم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اتباعا لإبراهيم أقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم فى الأرض ، ومحمدٍ خاتم رسل الله ومكمل دينه ومتممه الذى حفظ كله فى الأرض صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى فى بيان أسرار الحج من الإحياء : «وأما رمى الجمـار فليقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية ، وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للنفس والعقل فى ذلك . ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعـالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجـه شبهة أو يفتنه بمعصية ، أمره الله عز وجل أن يرميـه بالحجـارة طردا له وقطعا لأمله . فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ، فاعلم أن هـذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ، ويخيل إليك أنه لا فائدة فيه ، وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالجـد والتشمير فى الرمى ، فبـذلك ترغم أنف الشيطان . واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى فى العقبـة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره ، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس فيه » اهـ .

حكمة الرمل فى الطواف والسعى بين الصفا والمروة

الطواف بالكعبة المعظمة والسعى بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر الإسلام عن عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وروى أن هاجر رضى الله تعالى عنها كانت تسعى بينهما وَالِهة حيرى عند حاجتها إلى الماء زمن ولادتها إسماعيل حتى هداها الله تعالى الى بئر زمزم . والحكمة فى هذه العبادة ما ذكرناه فى الكلام على رمى الجمار من إقامة ذكر الله تعالى فى هذه المعاهد التى هى أقدم معاهد التوحيد المعروفة فى الأرض وإحياء سنن المرسلين فيها، قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن : صحيح من حديث عائشة . وأذكاره معروفة فى المناسك . وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة ومعناه سرعة فى المشى مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب، ويسمى الخبب أيضا، فهو دون العدو وفوق المشى المعتاد، فإن زادت السرعة كان عدوا .

أما سبب الرمل فى الطواف والسعى بهمة ونشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدّة أحاديث إظهار قوّة المسلمين للمشركين ، وكان قد علم النبى صلى الله عليه وسلم أن المشركين قالوا عام الحديبية فى المؤمنين : قد أوهنتهم حمّى يثرب . وروى فى الصحيح أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة لعمرة القضاء قال المشركون : إن محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال لذلك أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا فى ثلاث طوفات ويمشوا فى أربع من الأشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم فعله لسبب عارض ، ثم بدا له فمضى عليه لأنه علم أن المحافظة على ما فعله النبىّ صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جدّه إبراهيم صلى الله عليه وسلم إن لم تكن أولى، روى أبو داود وابن ماجه عنه أنه قال : « فيم الرَّمَلان اليوم والكشف عن المناكب وقد أطأ الله الإسلام

(أى وطأه وأحكمه) ونفى الكفر وأهله ؟ مع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وأصله فى البخارى بلفظ "فما لنا والرمل إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله — ثم قال — شيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه"، وقوله : «راءينا» مشاركة من الرؤية أى أريناهم قوتنا وأننا لا نعجز عن مقاومتهم، وقيل : هو من الرياء بمعنى إراءة ما هو غير الواقع أى أريناهم من الضعف قوة . والرياء مذموم لأنه خداع والخداع جائز فى الحرب وهذا من قبيل الحرب، وقوله فى الرواية الأولى : والكشف عن المناكب معناه الاضطباع وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلق على كتف اليسرى فتظهر المناكب، وحكمته عين حكمة الرمل، وقيل : إنما هو لأجل التمكن منه وقد ورد فى الصحيح أن المشركين قالوا عند ما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يرملون مضطبعين : هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا، وفى رواية أجلد منا .

فعلم من هذا أن الرمل أو الهرولة كما قال السائل إنما شرعت فى الطواف لسبب، وأننا نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم اتباعا وتذكرا لنشأة الإسلام الأولى فى عهدهم، وهل توجد أمة من الأمم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين ؟ لالا ! فالحمد لله رب العالمين .

حكمة ذبائح النسك

حكمة ذبائح الهدى والأضاحى معروفة لا يجهلها عامة المسلمين، وهى طاعة الله تعالى وتقواه وإظهار نعمته بتوسعة المسلمين على أنفسهم وعلى الفقراء والمساكين فى أيام العيد التى هى أيام ضيافة الله للمؤمنين، وهى من مناسك الحج لأنها إحياء لسنة إبراهيم وتذكر لنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده إسماعيل من الذبح الذى ابتلاه الله واختبره به لتظهر قوة إيمانه بالله تعالى وإيثاره لرضاه . ونعمة الله بذلك على الناس كافة إنما هى من حيث إن إسماعيل هو جد محمد صلى الله عليهما وسلم الذى أرسله الله تعالى خاتما لرسله وهاديا للناس كافة .

قال الله تعالى في البُـدْن التي تنحـر للنسك ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ وقال في ذبائح النسـك عامة ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ .

جملة القول في حكمة الحج والاعتبار به

اعلم أيها الحاج أن ما ورد في الحـديث الصحيح من أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وأن «من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» سببه أن الحج إذا أدى كما يحب الله تعالى يقوى الإيمـان ويزكى النفس ويطهرها حتى يظهر أثر ذلك في الأخلاق والمعاملات مع الله والناس .

فاذا أردت أن يكون حجـك مبرورا فعليك أوّلا أن تتوب الى الله تعالى توبة صادقة وأن يكون حجك لوجه الله وابتغاء مرضاته بآمتثال أمره وتحقيق حكمة شرعه في النسك وغيره .

وذلك بأن تعلم أنك بحج بيت الله تعالى مقبل على الله تعالى مع إخوانك المؤمنين كما تقبلون عليه في الآخرة، وتذكر أن ثياب الإحرام كأكفان الموتى، وأن المحرمين يتساوى كبيرهم وصـغيرهم وأميرهم ومأمورهم في الزىّ وترك ما هو غير ضرورى للحياة من نعيم الدنيا ومميزاتها ومفاخرها وأثاثها ورياشها وزينتها وطيبها وفي أداء المناسك كلها ولا سيما الوقوف بعرفات الذى يشبه الوقوف بين يدى الله تعالى يوم القيامة . فتدبر هذه المعاني وتذكر أنك بين يدى الله تعالى وأنه يسمع تلبيتك التى سمعت معناها، فآجتهد أن تكون صادقا فيها وتدبر معناها ومعاني سائر الأذكار والدعوات، وتذكر عند تقلبك في المناسك نشأة الدين الأولى في عهد سـيدنا إبراهيم وعهد ولده سيدنا محمد وهما أفضل الرسل عليهما الصلاة والسلام وعلى سائر رسل الله تعـالى . وأنك تطوف حيث طافا وتسعى حيث سعيا وتقف حيث وقفا وتذكر الله وتدعوه حيث ذكرا ودعوا، ولكنهما تحملا من العناء والبلاء في إقامة دين الله في تلك البلاد ما لا نتحمل شيئا منه .

فاذا أنت تذكرت وتدبرت ماذكر يخشع قلبك وجوارحك وتدمع عيناك ، ويقوى شعور الإيمان فى نفسك حتى يغلب باذن الله تعالى ما كان فيها من آثار الأوزار السابقة ، وتعود بصفائها وطهارتها الى أصل الفطرة ، وهذا معنى خروجك من الذنوب كيوم ولدتك أمك . فيجب أن تحرص بعد الحج على المحافظة على هذه النفس الزكية الطاهرة كما تحرص على نفس ولدك الذى تربيه تربية صالحة أن ينغمس فى الفسق والشرور ، ولا تنس ما فى الحج من فوائد تعارف شعوب المسلمين وقبائلهم وتآلفهم ، فاحرص على هذه الفائدة والله الموفق ، فنسأله تعالى أن يوفقنا لاداء مناسكنا على الوجه الذى يحبه و يرضاه ، و يجعل ذلك ذخيرة لنا الى يوم نلقاه . والحمد لله أوّلا وآخرا .

قبل أن نتكلم على مكة وما فيها من المشاعر نتقدم اليك بكلمة جغرافية عن بلاد العرب ثم بموجز تاريخى عن هذه البلاد وسير الفتوحات الإسلامية منها الى أرجاء المعمورة حتى تكون عليما بتاريخ المسلمين وأين هم الآن فاستمع علمنا الله وإياك .

فصل جغرافى موجز (١)

فى وصف بلاد العرب

(أ) حدودها وشواطئها وأهمية موقعها

(١) حدودها — شبه جزيرة العرب أو «جزيرة العرب» كما يسميها العرب. أو «الجزيرة» فقط كما يسميها بعضهم هى ثالثة أشباه الجزائر الأسيوية الكبيرة الواقعة فى جنوب آسيا . تحدها البحار من ثلاث نواح فتفصلها عما يليها فى هذه النواحى فصلا تاما . يحدّها البحر الأحمر غربا ، والمحيط الهندى جنوبا ، وبحر عمان والخليج الفارسى شرقا . أما حدودها الشمالية العامة فمبهمة غير واضحة ، فقد يلحقون بها شبه جزيرة سيناء وبادية الشام والجزيرة والعراق وقد لا يفعلون . وهذه الجهات تعدّ منها من الوجهة الطبيعية وإن كانت لا تعدّ منها من الوجهة السياسية . وعلى كل حال فمساحة الجزيرة العربية تبلغ نحو ألف ألف ميل مربع أى نحو ثلث القارة الأوربية .

(٢) شواطئها — يكاد الشاطئ الغربى يكون خطا مستقيما وهو على العموم قليل المرافئ الصالحة لرسوّ السفن . وأهم الجزائر الواقعة بالقرب منه والتابعة لبلاد العرب جزائر فرسان وكمران وبريم الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب . والشاطئ الجنوبى الممتدّ فى تقوّس وانحناء من مضيق باب المندب الى رأس الحدّ به عدّة ثغور حسنة ، أهمها عدن والمكلّا والشحر وبالقرب منه جزيرة سقطرى وجزائر كوريا موريا . وأما الشاطئ الشرقى الممتدّ من رأس الحدّ الى الكويت فرملى قريب الغور ، وتقع قريبا منه جزائر البحرين الشهيرة . هذا ويبلغ طول الشواطئ العربية من السويس الى مصب الفرات نحو ١٠٠٠ ميل .

(١) هذا الفصل والفصل التاريخى الذى يعقبه بقلم حضرة عبد الحميد افندى العبادى أستاذ التاريخ والجغرافيا بمدرسة القضاء الشرعى .

(٣) أهمية موقعها — هذا الموقع المتوسط الذى تقعه بلاد العرب بين المحيط الهندى والبحر الأبيض المتوسط وبين آسيا وأفريقية الشمالية اللتين هما أهم أقطار العالم التجارية فى العصور القديمة والمتوسطة ومن أهم أقطاره التجارية فى العصور الحديثة قد جعل لبلاد العرب منذ أقدم أزمنة التاريخ أهمية تجارية عظيمة بحرية وبرية كما يعلم المطلع على تاريخ العرب فى الجاهلية والإسلام .

(ب) الجو والنبات والحيوان

(١) الجو — ليس جو بلاد العرب على حالة واحدة فى جميع أنحائها بل هو يختلف اختلافا بينا من مكان لآخر . فالجهات المنخفضة القريبة من البحار حارة وغير صحية ، والجهات المرتفعة جافة صحية . ويسقط المطر بنجد فى فصلى الربيع والخريف . وقد تنخفض درجة الحرارة شتاء باليمن فتفوت درجة التجمد . وقد ترتفع فى الصيف فتبلغ ٨٠° (بمقياس فهرنهايت) وتستفيد هذه البلاد من الرياح الموسمية فيسقط بها المطر فى مارس ويولية وأغسطس وسبتمبر . وقد يدوم فصل المطر فى الحجاز نحو خمسة أسابيع من فصل الخريف . وأما الجهات الشمالية فالمطر بها نادر وإذا سقط فإنما يسقط فى فصل الشتاء .

(٢) النبات — تعدّ اليمن أخصب أنحاء الجزيرة العربية ، ويزرع بها البن والفاكهة والخضروات . ومن حاصلات الحجاز الحناء والبلسم . وأهم حاصلات حضرموت البخور . وأهم مزروعات عمان والأحساء النيلة . وأما النخل فينمو فى أكثر أنحاء الجزيرة . وقد جلب الى بلاد العرب من الخارج شجر جوز الهند والموز فنما بها نموّا حسنا .

(٣) الحيوان — أهمه الإبل والغنم والخيل والحمير ، وكلها تعدّ فى الطبقة الأولى من نوعها ولا سيما مهارى (مهرة) وخيل نجد . ويوجد النعام ببعض الصحارى العربية غير أنه قليل . ويكثر السمك بخليج عمان ، ويستخرج من مغاصات اللؤلؤ الشرقية ما قيمته سنويا نحو ٣٠٠,٠٠٠ جنيه .

(ج) الوصف الطبوغرافى

مقدّمة — كان جغرافيو الاغريق والرومان يقسمون بلاد العرب بالنظر الى طبيعة أرضها الى ثلاثة أقسام : بلاد العرب الحجرية ، وبلاد العرب السعيدة ، وبلاد العرب الرملية ؛ فأما الأولى فكانت عندهم شبه جزيرة سيناء ؛ وأما الثانية فهى بلاد اليمن ؛ وأما الثالثة فكل ما عدا هذين الإقليمين من بلاد العرب . وأما العرب فكانوا يقسمونها باعتبار المواضع والأقاليم . وأساس تقسيمها عندهم جبال السراة التى تمتدّ من أطراف بادية الشام الى اليمن ؛ فتقسم جزيرة العرب الى قسمين : غربى ، وشرقى ، فالغربى وهو أصغرهما يتحدر من سفح ذلك الجبل حتى يصل الى شاطئ البحر الأحمر ، وقد صار هابطا أو غائرا فسموه الغور أو تهامة ؛ والقسم الشرقى وهو أكبرهما يمتدّ شرقا وهو على ارتفاعه الى أطراف العراق والسماوة فسموه نجدا لهذا السبب . وسموا الجبل الفاصل بين تهامة ونجد (الحجاز) وهو عبارة عن جبال تتخللها المدن والقرى . وجعلوا ما تنتهى به نجد فى الشرق حتى يصل الى خليج فارس بلاد اليمامة والبحرين وعمان وما والاها و يسمونها العروض ، وسموا القسم الجنوبى بلاد اليمن وحضرموت والشحر .

وأما الجغرافية الحديثة فتميل الى تقسيم بلاد العرب باعتبار قربها من البحر أو بعدها عنه . وعلى هذا الاعتبار تنقسم بلاد العرب الى قسمين كبيرين : (١) بلاد العرب المتصلة بالبحر وتشمل الحجاز وعسيرا واليمن وحضرموت ومهرة (الشحر) وعمان والأحساء (البحرين) ؛ (٢) بلاد العرب غير المتصلة بالبحر وهذه تشمل نجدا والصحارى الداخلية . وسنتبع هذا التقسيم ونذكر كلمة موجزة عن كل قسم من هذه الأقسام :

بلاد العرب المتصلة بالبحر

(١) الحجاز — أهم الأقطار العربية من الوجهة التاريخية ، فيه نبت الإسلام ومنه درج كما سترى فى الفصل التاريخى الآتى . وهو يمتدّ بوجه عام من رأس خليج

العقبة الى حدود اليمن اذا اعتبرنا عسيرا داخلة فيه كما يصنع بعض الجغرافيين . وبه من الأودية وادى الحمد ووادى الرمة . وأهم مدنه مكة المشرفة والمدينة المنورة والطائف الشهيرة بفواكهها الجيدة . وأهم ثغوره الواقعة على البحر الأحمر، الوجه والحوراء وينبع ورابغ وجدّة ، وكلها محطات للحجاج المصريين . وينزله من القبائل العربية الآن عرب الحويطات فى الإقليم الشمالى المسمى حسمى، وعرب عنزة شمالى المدينة، وبلى ما بين العقبة والوجه، وقريش شمالى عرفة والطائف، وهذيل فى الجبال التى بين مكة والطائف، وثقيف فى جنوب وشرق الطائف .

(٢) عسير — تتسع جبال السراة جنوبى مكة والطائف فتكوّن الإقليم المعروف بعسير والواقع بين الحجاز شمالا واليمن جنوبا . وهذا الإقليم على العموم من أخصب وأجمل الأقاليم العربية وأغناها من الوجهة الاقتصادية . أهم أوديته : وادى ضلع ووادى بيشة . وأهم مدنه : أبها ومحايل وصبيا . وأهم ثغوره : القنفذة . وأهم قبائل عسير : قبائل قحطان التى هى أصل القبائل اليمنية .

(٣) اليمن — وتنقسم الى قسمين غير متساويين : تهامة اليمن التى هى عبارة عن امتداد تهامة عسير والحجاز ، ونجد اليمن ويتضمن أربع هضاب فرعية : هضبة نجران فى الشمال، وهضبة مأرب فى الشرق، وهضبة صنعاء فى الوسط، وهضبة تعز فى الجنوب . وأهم مدن اليمن صنعاء، وهى العاصمة ثم صعدة ومأرب الشهيرة بآثارها القديمة وبريم وتعز ولحج وزبيد . وأهم ثغور اليمن الحديدة ومخا الواقعتان على البحر الأحمر، وعدن الواقعة على المحيط الهندى والتابعة لانجلترا (وكذلك جزيرة بريم الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب) .

(٤) حضرموت — وهى عبارة عن الإقليم الواقع شرق اليمن . سطحها جبلى يشقه واد متسع يساير الشاطئ نحو مائة ميل ويسمى وادى الكسر . وأهم مدن حضرموت : شبام . وأهم ثغوره : المكلة وسيحوت . وبحضرموت، كما باليمن آثار حضارة عربية قديمة .

(٥) مهرة — وكان جغرافيو العرب يسمونها (الشحر) وتمتد شرقا من سيحوت الى حاسك وتشتهر منذ القدم بالبخور والصموغ . وأهم ثغورها : الشحر ومرباط . هذا وأرض مهرة الممتدة من حاسك الى عمان قاحلة وداخلها غير معروف بالمرة .

(٦) عمان — هى أبعد جهات العرب من ناحية الشرق . يمتدّ شاطئها من رأس الحدّ الى الرأس المعروف برأس مسندم . وتكثر به المرافئ الجيـدة كما يكثر السمك بمياهه ، وأهل عمان مشهورون من قديم الزمان بالمهارة فى الملاحة والاتجار مع بلاد الهند . وأما سطح عمان فجبلى يبلغ غاية ارتفاعه فى الجبل الأخضر . وعاصمة عمان هى مسقط وتقع الى الشمال منها صحار عاصمة عمان القديمة .

(٧) الأحساء — وكانت تعرف فى عهد الدول العربية الإسلامية بالبحرين أو هجر التى كانت عاصمتها إذ ذاك . وأما لفظ الأحساء فاسم المدينـة التى أنشأها القرامطة فى القرن الرابع الهجرى بالقرب من هجر . والأحساء ثلاثة أقسام : قسم جنوبى ويعرف بالقواسم ، وقسم متوسط هو عبارة عن شبه جزيرة (قطر) التى تشتهر هى وجزائر البحرين باستخراج اللؤلؤ ، وقسم شمالى غربى يمتدّ من قطر الى الكويت ويسمى (القطيف) وأهم مدن قطر الحفوف ، وأهم مدن القطيف الكويت التى ستكون يوما ما مركزا تجاريا عظيما لحسن موقعها الجغرافى . وأهم حاصلات الأحساء : البلح ويضرب المثل بكثرته .

بلاد العرب الداخلية

ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام : البادية ونجد والدهناء .

(١) البـادية — ونطلقها مجازا على الأرض الواقعة شمـال نجد والا فهى عبارة عن بادية العراق والجزيرة والشام . ويلى هـذه البوادى بادية السماوة التى سلكها خالد بن الوليد عنـد منصرفه من العراق الى الشام بأمر أبى بكر الصديق . وهى فلاة لا يأمن سالكوها الهلاك فيهـا عطشا وجوعا . وتلى بادية السماوة الواحة المعروفة قديما بدومة الجندل وتعرف اليوم بالجوف . وهذه الواحة واقعة على الوادى

الآتى من حوران والمعروف بوادى السرحان . وتلى الجوف صحراء (النفود) وهى فلاة قاحلة لا ماء بها .

(٢) نجـــد — هضبة عظيمة تلى (النفود) ويبلغ ارتفاعها أحيانا أكثر من ٥٠٠٠ قدم، تشقها أودية تكثر زروعها وحيوانها . وأهم هذه الأودية : وادى الرمة ووادى الدواسر . ونجد تنقسم الى أقسام : حرة خيبر فى الغرب، والقصيم فى الشمال ونجد الأصلى فى الجنوب . ويقع الى الجنوب والشرق من نجـد الإقليم المعروف باليمامة والذى يطلق العرب عليه وعلى البحرين معا اسم (العروض) . هذا وجو نجد أصح أجواء بلاد العرب، وأهم بلدان نجد الرياض وحائل وعنيزة، وتنزله فى الوقت الحاضر من القبائل بنو سبيع وعنزة وقبائل تنتمى الى بنى هلال المشهورة .

(٣) الدهناء — صحراء مترامية الأطراف مجهولة الداخل تمتد من جنوبى نجد الى الحدود الصحراوية لعمان ومهرة وحضرموت واليمن . ليست بها عيون ولا أودية، وانما تجودها الأمطار فى فصل المطر فتعشب فيؤمها البدو بخيامهم وإبلهم فيرعونها نحو ثلاثة أشهر، فاذا حل فصل الجفاف ارتحلوا عنها . ويطلق على هذه الفلاة أسماء مختلفة ، فالقسم الواقع منها بين شرق اليمن وشمال غربى حضرموت يسمى (صيهد) . والجزء الواقع شمال شرقى حضرموت يسمى (الأحقاف). والجزء الواقع شمال مهرة يسمى (وبار) على أنها تسمى بوجه عام (الدهناء) لحمرة رمالها . وكثيرا ما يطلقون عليها (الربع الخالى) أى غير المعمور .

التقسيم السياسى الحاضر

إن حال بلاد العرب السياسية مضطربة فى الوقت الحاضر إضطرابا كبيرا ، وذلك نتيجة الحرب العالمية الكبرى وزوال سلطة الدولة العثمانية عن هذه البلاد . غير أنه يمكننا أن نقول فى تصوير الحال السياسية العامة لبلاد العرب إن بها اليوم من الإمارات ما يأتى :

(١) الإمارة الزيدية فى القسم الجبلى من اليمن .

(٢) الإمارة الإدريسية فى أراضى الشافعية من تهامة اليمن و بعض تهامة عسير .

(٣) الساطنة السعودية الوهابية فى جميع نجد بما فى ذلك إقليم عسير .

(٤) الحكومة الهاشمية التى انحصرت فى جدّة .

(٥) إمارة آل الصباح بالكويت عند نهاية الخليج الفارسى .

(٦) مشيخة قطر .

(٧) مشيخة حضرموت وهى تحت الحماية الانجليزية .

(٨) سلطنة عمان المستقلة و يسكنها الخوارج الأباضية .

ولا يمكن القول بما ستؤول اليه الأحوال السياسية فى هذه البلاد ، نسأله تعالى أن يوفق أهلها الى مافيه جمع شملهم وتوحيد كلمتهم ورجوعهم كما كانوا فى صدر الإسلام إخوانا متحابين كلمة فى نفوسهم إنه بالإجابة جدير .

فصـــل تاريخى موجز

فى حال العرب قبل الإسلام وقيام الدولة الإسلامية وآنتشار الدين الإسلامى

---

١ — كلمة فى العرب قبل الإسلام

الدول العربية قبل الإسلام — إن الجزيرة العربية التى سبق وصفها قد تناوب زعامتها من قديم الزمان ثلاثة شعوب سامية يطلق عليها جميعا آسم (العرب) ولا نعلم للأسف من تاريخها السابق على الإسلام غير اليسير المستمد من آثارهم التى كشفت حديثا ببلاد اليمن و بادية الشام ، ثم مما رواه الرواة من أشعارهم وأخبارهم ،

وما كتبه عنهم مؤرّخو الأمم المتحضرة التى عاصرتهم واتصلت بهم كالمصريين والإغريق والروم والفرس . تلك الشعوب الثلاثة هى :

(١) العرب البائدة — الذين عاصروا الكلدانيين القدماء ومنهم العمالقة بشمالى الجزيرة والشام ومصر، وعاد بالأحقاف، وثمود بالحجر، وطسم وجديس باليمامة والأنباط بشمالى الجزيرة . هؤلاء العرب قد بادوا وانقطعت أخبارهم، غير أنا نعلم من القرآن وبعض الآثار أنهم كانوا على حضارة راقية ولا سيما إذا اعتبرنا ما يروى عن مدينتهم (إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ) وقد بقى ذلك الجيل حتى غلبه على أمره جيل عربىّ ثان يعرف :

(٢) بالعرب القحطانية نسبة إلى جدّهم قحطان — والراجح أنهم نزحوا إلى جزيرة العرب من بعض جهات الفرات، وكانت لهم باليمن دول اشتهرت منها «الدولة المعينية» و «الدولة السبئية» (من حوالى ٨٥٠ إلى ١١٥ ق . م) و «دولة حمير» و «التبابعة» (١١٥ ق . م — ٥٢٥ م) وقد برعت العرب القحطانية فى الزراعة لخصب أرضهم، وفى التجارة لحسن موقع بلادهم من الوجهة الجغرافية، فكانت عروض التجارة ترد اليهم من الشرق بطريق البحر ثم ينقلونها على ظهور الجمال إلى الشام ومصر . وبرعوا كذلك فى الصناعة فدبغوا الجلود وطبعوا السيوف وصنعوا الرماح وغير ذلك . وكان لهم حكومات وملوك ومدن كبيرة منها (مأرب) و (صنعاء) وقصور فخمة، منها : (ناعط) و (غمدان) وسدود عظيمة يستعان بها فى خزن الماء الزائد عن الحاجة زمن المطر لينتفع به وقت الحاجة اليه كسدّ مأرب . هذا ولا يزال علماء الآثار من الأوربيين يجدّون فى البحث عن آثار العرب القحطانية وربما أوضحوا فى المستقبل ما غمض من تاريخهم .

ولما ضعف شأن الدولة السبئية بعد القوة وأهملت مرافق الزراعة والصناعة تصدع سدّ مأرب ثم انبثق فأهلك الحرث والنسل، ولقد أشار القرآن الكريم الى هذا الحادث فى سورة سبإ فقال ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ

وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ[1] خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ وربما كان ذلك فى أواخر القرن الثانى الميلادى . فهاجر أكثر القبائل اليمنية من بلادهم وتفرقوا فى طول الجزيرة وعرضها، فكان منهم دولة المناذرة اللخميين التى قامت بالحيرة بالعراق وكانت خاضعة لأكاسرة الفرس (٢٦٨ م — ٦٣٢ م) ودولة الغساسنة التى قامت ببادية الشام وفلسطين وكانت خاضعة لأمبراطرة الروم (٢٠٠ — ٦٣٣ م) . ودولة كندة التى قامت بنجد وكانت مستقلة (٤٠٠ — ٥٦٠ م ؟) وخلف الدولة السبئية دولة أخرى هى دولة حمير والتبابعة فكانت لها العظمة والقوة ردحا من الزمن حتى آستولى الرومان على مصر وآتخذوا البحر الأحمر طريقا تجاريا إلى اليمن والشرق فساءت حالها لكساد تجارتها البرّية، ونهض إليها الأحباش وتغلبوا عليها سنة ٥٢٥ م، وبعد ذلك بقليل من الزمن زالت عنها سلطة الأحباش بفضل البطل العربى المشهور سيف ابن ذى يزن وحلت محلها سلطة الفرس، فكان ذلك كله سببا فى آنتقال الزعامة على بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال فأصبحت فى الجيل العربى الثالث المعروف :

(٣) بالعرب الإسماعيلية أو العدنانية — وهم أشهر الأجيال العربية لظهور الإسلام فيهم، وهم ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل — عليهما السلام — الذى نزل هو وزوجه هاجر وولدهما إسماعيل أرض مكة وحفروا بها بئر زمزم وبنوا الكعبة، ومن ذلك الحين أخذ اليمنيون يتوافدون على تلك البقعة ويعمرونها حتى نشأت مكة المكرمة، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله على لسان سيدنا ابراهيم ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ونشأ إسماعيل عليه السلام بين هؤلاء اليمنية (وخاصة قبيلة جرهم) وتزوج منهم، وعلى مر

---

(١) ثمر مرّ بشع .

الزمن تكاثر أبناؤه وآنتشروا بالحجاز ونجد وما وراء ذلك من مشارف الشام والعراق، غير أنه بقيت منهم بمكة قبيلة كان لها فيما بعد شأن عظيم . تلك هى قبيلة قريش .

إمارة قريش بمكة — بقى أمر مكة بأيدى ملوك من جرهم . وكان لبنى إسماعيل مكانة محترمة لما لأبيهم من بناء الكعبة، ولكن لم يكن لهم من الحكم شىء . فلما كان حادث سد مأرب وآرتحال القبائل اليمنية من ديارها كان منها من عرّج على مكة وهم بنو خزاعة الأزديون فحاربوا جرهما وأجلوها عن مكة وآستبدوا بحكم مكة دون قريش حتى ظهر قصىّ بن كلاب حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى فجمع شتات قريش ووحّد كلمتهم فكان لهم بذلك قوّة مكنتهم من أن يزاحموا خزاعة ويغلبوها على حكم مكة . ولم يبق بأيديهم غير سدانة البيت الحرام فآشتراها قصىّ بزق خمر من سادنه المعروف بأبى غُبْشَان وإلى ذلك يشير الشاعر بقوله :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت * بزق خمر فبئست صفقة الشارى .

وبذلك أصبح قصىّ سيد مكة والمتولى شؤون الكعبة التى كانت تحج اليها العرب من جميع أنحاء الجزيرة فكان له من مظاهر الرياسة :

(١) رياسة دار الندوة التى أنشأها بمكة وكانت تجتمع فيها قريش للفصل فى أمورها العظيمة .

(٢) اللواء فكان لا تعقد راية الحرب إلا بيده .

(٣) الحجابة وهى حجابة الكعبة فلا يفتح بابها إلا هو وهو الذى يلى أمر خدمتها .

(٤) سقاية الحاج ورفادته .

وكان لقصىّ من الولد، عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وكان عبد مناف قد ساد فى حياة أبيه فأراد أبوه أن يلحق به ابنه عبد الدار وكان أسنّ منه، فأوصى له بما كان يليه من مصالح قريش فلم ينازع عبد مناف أخاه فى ذلك، ولما توفى ترك أربعة أولاد، هاشما، وعبد شمس، والمطلب، ونوفلا، فنافسوا بنى عمهم عبد الدار فى هذه المصالح التى رأوا أنفسهم أحق بها لشرفهم وسيادتهم وكثرتهم، وآفترقت

قريش طائفتين، طائفة تنتصر لبني عبد مناف وطائفة تنتصر لبني عبد الدار وكاد يكون بينهم قتال لولا أنهم ألهموا الصلح على طريق لا يغض من الفريقين وهو اقتسام هذه المصالح، فكان لبني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة، ولبني عبد مناف السقاية والرفادة . ثم حكم بنو عبد مناف القرعة فى نصيبهم فأصابت القرعة هاشم بن عبد مناف .

وهاشم بن عبد مناف فيما يروى أوّل من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء وكانت إلى اليمن ورحلة الصيف وكانت إلى الشام قصد الاتجار، وربما كان ذلك على أثر المعاهدات التى أبرمتها قريش على أيدى بنى عبد مناف مع من بجوارها من الملوك . روى الطبرى فى تاريخه أن بنى عبد مناف أوّل من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم . أخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام الروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشى الأكبر، فاختلفوا لذلك السبب إلى أرض الحبشة، وأخذ لهم نوفل حبلا من الأكاسرة فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس، وأخذ لهم المطلب حبلا من ملوك حمير فاختلفوا بذلك الى اليمن . وقد امتن الله على قريش بهاتين الرحلتين فى قوله : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ ﴾ .

الخلاف بين الهاشميين والأمويين — وكان ذلك الشرف كله لهاشم بن عبد مناف فأثار ذلك فيما يروى غيرة أمية بن عبد شمس وكان مثريا من المال والبنين ولكنه مع ذلك لم يكن له من رياسة قريش شىء . وجرت بين العم وابن أخيه منافرة غلب فيها أمية على أمره فكان ذلك بدء النزاع بين الهاشميين والأمويين .

فلما توفى هاشم خلفه أخوه المطلب ثم من بعده ابنه عبد المطلب فى السقاية والرفادة، وتميز إمارة عبد المطلب بثلاث حوادث كبار :

(١) كشفه عن بئر زمزم التى كانت طُمّت وخفيت معالمها .

(٢) تجدّد النزاع بين الهاشميين والأمويين ، وذلك أن حرب بن أمية بن عبد شمس نفس على عبد المطلب شرفه ورياسته وجرت بينهما منافرة كالتى كانت بين أبويهما فغلب حرب على أمره ، وكذلك آستمر الخلاف بين الهاشميين والأمويين وكانت له فيما بعد آثار عظيمة فى الإسلام .

(٣) واقعة الفيل وكانت عام ٥٧١ م . وسببها أن أبرهة الحبشى لما أقام باليمن أنشأ بصنعاء كنيسة فخمة وأراد أن يكون حج العرب إليها دون الكعبة ، فلما لم يتيسر له ذلك من طريق السلم آعتزم أن يسير إلى الكعبة ويهدمها . غير أنه فشل فى ذلك كما نطق به القرآن فى سورة الفيل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (١) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ (٢) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ (٣) مَأْكُولٍ ﴾ .

وقد رزق عبد المطلب عشرة أبناء كان أحدهم عبد الله الذى ولد له سيدنا محمد عام الفيل على أصح الروايات .

الحال الدينية للعرب قبل الإسلام — قد آختلفت أديان العرب فى جاهليتهم فمنهم الدهريون الذين قالوا : ما يهلكنا إلا الدهر ، ومنهم الصابئة عبدة النجوم والكواكب ، ومنهم الوثنيون عباد الأصنام والأحجار والأشجار ، ومنهم اليهود والنصارى . غير أن عبادة الأصنام كانت الغالبة عليهم وكانت الكعبة مجمع أصنامهم . ومن أشهر أصنام العرب ، ود ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، واللات ، والعزى ، ومناة ، وهبل ، والخلصة وقد ورد ذكر كثير منها فى القرآن الكريم .

تلك الحال الدينية قد تغيّرت بعض الشيء قبيل الإسلام إذ ظهر فى حواضر الجزيرة آحاد من العرب لم تطب نفوسهم عن ذلك الضرب من التعبد ورأوا أن هنالك حقيقة غابت عنهم أوهم ضلوا عنها . روى ابن هشام فى سيرته عن ابن اسحاق أن قريشا اجتمعت يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم فخلص منهم أربعة نفر نجيا

(١) جماعات جماعات . (٢) طين متحجر . (٣) العصف : ورق الشجر .

هم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو، فقال بعضهم لبعض (تعلموا والله ما قومكم على شيء . لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم . ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟ . يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء) فتفرقوا فى البلدان : فأما ورقة بن نوفل فآستحكم فى النصرانية وأما عبيد الله فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم آرتدّ . وأمّا عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر وتنصر . وأما زيد بن عمرو فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه . هذه الحركة تبين لنا ما كان وقتئذ فى نفوس العرب من استعداد لقبول دين يلائم الفطرة كالدين الإسلامى .

ممـا تقدّم كله نعلم أنه لم يكن للعرب قبل الاسلام جامعة واحدة تؤلف بينهم . فأما من الوجهة الدينية فقد رأينا تعدّد نحالهم . وأما من الوجهة السياسية فقد كان منهم الخاضع للفرس كأهل اليمن أوّلا ومناذرة الحيرة أخيرا، أو للروم كغساسنة بادية الشام، ومنهم من لم يخضع لحكومة أجنبية وهم سائر العرب . على أنه قد كانت لهم أمور عصمتهم من التدابر المطلق : منها إجماعهم على تعظيم الكعبة واختصاصهم قريشا بسدانتها واحترامهم للأشهر الحرم واشتراكهم فى إقامة الأسواق العامة التى كانوا فيها يتبايعون و يتحاكمون و يتناشدون الشعر وذلك مثل سوق عكاظ وغيره .

و إنما الرجل الذى قام بجمع شتات العرب وجعل منهم أمة واحدة ذات دين واحد وحكومة واحدة وعصبية واحدة هو محمد بن عبـد الله بن عبد المطلب سيد المرسلين وخاتم النبيين .

---

٢ — قيام الدولة الإسلامية وامتداد سلطانها

نشأة محمد عليه الصلاة والسلام — ولد نبينا — كما سبقت الإشارة بمكة عام الفيل سنة ٥٧١م من أبوين قرشيين هما عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وآمنة بنت وهب بن عبد مناف . وقد توفى أبوه قبيل مولده وأمه قبل أن يبلغ السادسة

وجدّه وهو فى الثامنة فأصبح فى كفالة عمه أبى طالب . غير أن فقر عمه دفعه الى العمل والارتزاق . وكان فى مكة أرملة من فضليات النساء ذات ثروة ويسار . تلك هى (خديجة بنت خويلد) فلما رأت أمانة محمد عرضت عليه أن يسافر الى الشام للاتجار بمالها ففعل فأعجبت به وعرضت عليه أن يتزوجها فقبل ذلك وقد بلغ الخامسة والعشرين . فلما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله رحمة للعالمين فأخذ يذيع أصول الدين الإسلامى ويدعو اليه خاصته فآمنت به زوجته خديجة وابن عمه على بن أبى طالب وصديقه أبو بكر بن قحافة وأفراد غيرهم من كبار قريش . ثم كثر سواد المسلمين ، غير أن قريشا شق عليها ترك دينها وتسفيه أحلامها فناصبت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه العداء وتمادوا فيه حتى اضطر بعض أصحابه الى الهجرة الى الحبشة فنزلوا على ملكها ضيوفا كراما واضطر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى الهجرة من مكة الى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة من بعثته وكان قد أصبح له بالمدينة أنصار من أهلها اعتنقوا الإسلام وعرضوا عليه نصرتهم . وقد هاجر النبى الى المدينة واتخذها مستقرا له فكانت أوّل عواصم الإسلام .

فتح بلاد العرب ٢ — ١١ هـ — وبدأ النبى صلى الله عليه وسلم منذ هاجر الى المدينة سلسلة غزوات كانت بينه وبين أعدائه من يهود المدينة وقريش مكة وسائر القبائل العربية وانتهت بأن عم الإسلام جزيرة العرب ، ونحن نذكر أهم هذه الغزوات على سبيل الإجمال .

غزوة بدر سنة ٢ هـ — بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش آتية من الشام وعليها أبو سفيان بن حرب فأراد أخذها فنهضت قريش لحمايتها . والتقى الجمعان قريبا من المدينة على ماء بدر فى ١٧ رمضان سنة ٢ هـ . فانتصر المسلمون على قلة عددهم وكثرة عدوّهم وقتلوا جمعا من صناديد قريش فيهم (أبو جهل بن هشام) ألد أعدائه عليه الصلاة والسلام . ومعركة بدر من معارك التاريخ الفاصلة ، فقد اعتز بها الإسلام وقوى شأن المسلمين كما سترى .

وعلى أثر واقعة بدر خرج النبي صـلى الله عليه وسـلم الى بنى قينقاع وهم قبيلة يهودية بالمدينة قد نقضت عهدها مع النبي وآذت المسلمين فأخرجها من المدينة .

غزوة أُحد سنة ٣ هـ — صممت قريش على الثأر لنفسها ممن انتصر عليها فى واقعة بدر . فخرجت بقيادة أبى سفيان تريد المدينة فخرج اليهم النبي صـلى الله عليه وسلم عام ٣ هـ . والتقى بهم عند جبل أُحد وكاد النصر يكون للمسلمين، لولا أن بعض أصحاب النبي صـلى الله عليه وسـلم خالف أمره فانكشف المسلمون وحمل عليهم من خلفهم خالد بن الوليد حملة شديدة اضطرت كثيرا من المسلمين الى الفرار، وجرح النبي صـلى الله عليه وسـلم يومئذ وكادت الدائرة تدور على المسلمين لولا أن قريشا اكتفت بأن قتلت من المسلمين بقدر من قتلوا منها فى واقعة بدر وثنت الأعنة راجعة الى مكة . وعلى أثر تلك الواقعة علم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بنى النضير يأتمرون بقتله فخرج اليهم وأخرجهم من المدينة الى خيبر(1) .

غزوة الخندق سنة ٥ هـ — وتعرف أيضا بغـزوة الأحزاب، لأن كثيرا من قبائل العرب ويهود خيبر ظاهروا فيها قريشا وساروا جميعا الى المدينة يريدون القضاء على الإسـلام والمسلمين وحاصروا المدينة ولكنهم لم يستطيعوا أخذها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حصنها وحفر حولها بإشارة سلمان الفارسى خندقا عميقا . وكان القتال فى تلك الغزوة قاصرا على المبارزة الفردية والترامى بالنبل . وأخيرا اجتمعت على الأحزاب سياسـة النبي صلى الله عليه وسـلم التى فرقت ألفتهم ومطر وريح وجنود سلطها الله عليهم، فكانت تكفأ قدورهم وتقلب أخبيتهم فارتدوا عن المدينة ولم يبلغوا مراما .

صلح الحديبية سنة ٦ هـ — وأقام النبي صلى الله عليه وسـلم بالمدينة الى ذى القعدة من السنة السادسـة للهجرة، ثم خرج يريد مكة معتمرا لا محاربا وسار حتى بلغ (الحديبية) وكانت قريش قد سمعت بقدومه فتأهبت للذود عن بلدها، وبعد

(١) وسيأتى تفصيل هذه الغزوة عند الكلام على زيارتنا لأُحد .

أخذ ورد عقد الفريقان الصلح على أن يكون بينهما هدنة لمدة عشر سنوات ، وعاد المسلمون من غير أن يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت .

وبتلك الهدنة أمن المسلمون شر قريش وأصبحوا مطلقي الحرية يروحون ويجيئون كيف شاءوا وعظم نفوذ النبي صلى الله عليه وسلم ، فكتب الى ملوك الدول المجاورة لبلاد العرب يدعوهم الى الإسلام ؛ فمنهم من أسلم كنجاشي الحبشة ومنهم من ردّ ردّا جميلا كهرقل قيصر الروم والمقوقس حاكم مصر — أُنظر كتابه صلى الله عليه وسلم

كتاب النبي عليه السلام للمقوقس

A copy of the letter of the prophet Mohammad to El Mokawkas.



(الرسم ٣٢٠)

الى المقوقس رسم ٣٢٠ — ومنهم من ردّ ردّا قبيحا وأهان رسول النبي ، كالحارث ابن شمر الغساني وكسرى الفرس .

فتح خيبر سنة ٧ هـ — على أن المسلمين ، وان كانوا قد أمنوا شر قريش بصلح الحديبية ، كان لهم عدوّ بالقرب منهم يتربص بهم الدوائر . ذلك العـدوّ هو يهود خيبر الذين لم ينسوا ما حل بهم وبإخوانهم . فسار اليهم النبي عليه الصلاة والسلام ونازل حصونهم واستولى عليها كلها .

ولمـا حال الحول على عمرة الحديبية ، خرج النبي صلى الله عليه وسـلم معتمرا فأخلت قريش مكة على حسب شرطها فى صلح الحديبيـة . وقضى النبي صلى الله عليه وسـلم وأصحابه مناسك الحج ثم عاد الى المدينة . وكان لتلك الحجة أثر كبير فى نفوس قريش ، حتى إن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما دخلوا فى الإسلام على أثرها .

فتح مكة سنة ٨ هـ — كان صلح الحديبية يقضى بأن يسود السـلم بين المسلمين وقريش عشر سنوات ، ولكن قريشا نقضت عهدها واعتدت على بعض أحلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، فسار النبي صلى الله عليه وسلم فى أصحابه معتزما فتح مكة . وخرج أبو سفيان يتجسس الأخبار فظفرت به جنود النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسعه إلا أن يسلم ، وعنـد ذلك منحه النبي من العفو ما لم يكن يطمع فيه وخلى سبيله . فعـاد أبو سفيان الى مكة وحمل أهلها على الاستسلام لمن لا يستطيعون مناهضته . فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تلك البلدة التي طالمـا جاهدته وآذته وكان بوسعه أن ينتقم منها أشـدّ الانتقام ، ولكنه عفا عن أهلها وقال لهم : « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم سار الى الكعبة فكسر ما حولها من الأصنام . وقد أعقب ذلك أن أسلم أهل مكة جميعا .

غزوة حنين سنة ٨ هـ — فلما رأت ذلك قبيلة هوازن، وكانت منازلها بالقرب من مكة، توقعت أن يغزوها النبى صلى الله عليه وسلم فأجمعت على أن تغزوه قبل أن يغزوها، وانضمت اليها ثقيف وقبائل أخرى. فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم بذلك سار اليهم والتقى بهم فى وادى حنين فى طريق وعرة. فبغته العدو وكادت الهزيمة تدور عليه، لولا ثباته وشجاعة الأنصار فإنهم أعادوا الكرة على الأعداء وهزموهم وغنموا أسلابهم.

غزوة تبوك سنة ٩ هـ — كان النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة ٨ هـ قبل فتح مكة قد أرسل جيشا بقيادة زيد بن حارثة، الى عرب بادية الشام فتكاثرت الروم والعرب على ذلك الجيش وقتل زيد بن حارثة، ولولا تدبير خالد بن الوليد لأبيد الجيش كله. فلما كان عام ٩ هـ. بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن الروم يجمعون له فحشد جيشا جرارا تبلغ عدته ثلاثين ألف مقاتل واتجه به نحو الشمال. على أنه لم يلتحم بالروم بل بسط نفوذه على القبائل العربية الشمالية، بأن فرض الجزية على (آيلة) و (دومة الجندل) وغيرهما، ثم عاد وكانت هذه آخر غزواته عليه الصلاة والسلام.

وفى ذلك العام أخذت العرب تدخل فى دين الله أفواجا وكثرت الوفود على النبى صلى الله عليه وسلم قادمة من جميع أنحاء الجزيرة العربية، فكان عليه الصلاة والسلام يرسل معهم من أصحابه من يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين.

حجة الوداع ووفاته عليه الصلاة والسلام — ولما كانت السنة العاشرة حج النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه آخر حجة له، وخطب الناس فى هذه الحجة خطبة بليغة مؤثرة تعرف (بخطبة الوداع) أوضح للناس فيها كثيرا من أمور الدين وألقى عليهم فيها من النصائح الغالى الثمين، وقد تقدمت الحجة بالتفصيل وسيأتى نص الخطبة. ثم عاد الى المدينة المنورة.

وفى أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة اعتلت صحته عليه السلام فاستأذن نساءه فى أن يمرض فى بيت زوجته السيدة (عائشة) فأذن له. ولما كان

يوم الاثنين ١١ ربيع الأول من سنة ١١ هـ . لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى وقد خلف وراءه دينا يساير الفطر والعقول هو الدين الإسلامى، وأمة بالمعنى الصحيح هى الأمة العربية ووضع أساس دولة سيكون لها شأن عظيم هى الدولة الإسلامية.

٣ – انتشار الدين الإسلامى بالسياسة

الحرب بين العرب وبين الروم والفرس

مقدّمة — وضع النبى عليه الصلاة والسلام أساس الدولة العربية، وفى الأرض دولتان كبيرتان هما دولة الروم المسيحية ودولة الفرس المجوسية . فأما دولة الروم فكانت قد أصابها الضعف وتفرق الكلمة، لضعف امبراطرتها من بعد جستنيان وللنزاع الدينى الذى كان قائما بين الملكانية والنساطرة بالشام، وبين الملكانية واليعاقبة بمصر . هذا النزاع قد فصل فى الحقيقة هذين القطرين عن الدولة الرومانية من الوجهة الدينية وجعلهما على وشك الانفصال عنها من الوجهة السياسية .

وأما دولة الفرس التى كان يحكمها المتأخرون من ملوك الأسرة الساسانية فلم تكن حالها خيرا من حال الدولة الرومانية، وذلك لأسباب كثيرة منها ظهور نحل دينية غريبة مفسدة للنظم الاجتماعية، وضعف المتأخرين من ملوك الأسرة الساسانية، وكثرة الطامعين فى ملكهم من أقربائهم وقوّاد جيوشهم، وحروبهم الكثيرة مع الدولة الرومانية .

تلك حال الدولتين اللتين اصطدمت بهما الدولة العربية الناهضة فزعزعت أركان الأولى وقوّضت دعائم الثانية، وذلك أن أبا بكر الصديق أوّل خلفاء الإسلام بعد أن قضى على حركة (الرّدّة) التى ظهرت فى جزيرة العرب قبيل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وأعاد الى هذه الجزيرة وحدتها السياسية، انتهز عودة الجيوش العربية الظافرة فسير بعضها الى الشام والبعض الآخر الى العراق لفتح بلاد هى عربية قبل

كل شيء، ألا وهي بلاد الغساسنة والمناذرة ، ولكن القتال مع هؤلاء ترقى بطبيعة الحال الى قتال مع الدولتين الحاميتين لهم أى مع دولتى الروم والفرس . ونحن متكلمون أولا على الحروب التى نشبت بين العرب والروم وانتشار الإسلام فى الشام ومصر وشمالى أفريقية وأسبانيا . ثم نعود فنتكلم على نشوب الحرب بين العرب والفرس وانتشار الإسلام فى الأقطار الأسيوية التى دخلها الإسلام قرين السياسة .

(١) فتح الشام

سيّر أبو بكر الصديق الى الشام جيشا ضخما تبلغ عدّته ٣٥٠٠٠ مقاتل، وكان أربعة أقسام :

(١) قسم يقوده أبو عبيدة بن الجراح وكانت وجهته حمص .

(٢) وقسم يقوده يزيد بن أبى سفيان وكانت وجهته دمشق .

(٣) وقسم يقوده شرحبيل بن حسنة وكانت وجهته وادى الأردن .

(٤) وقسم يقوده عمرو بن العاص وكانت وجهته فلسطين .

واقعة اليرموك سنة ١٣ هـ — فلما رأى ذلك هرقل امبراطور الروم قدم بنفسه الى حمص، ومن ثم وجه أربعة جيوش تبلغ عدّتها ٢٤٠٠٠٠ مقاتل لسحق الجيوش العربية . فلما رأى قوّاد العرب ذلك اتفقوا فيما بينهم على أن يجمعوا جيوشهم فى صعيد واحد وأن ينزلوا جميعا اليرموك . فأمر هرقل قوّاده أن ينزلوا اليرموك أيضا وبقى الجمعان متواقفين ثلاثة أشهر، فأوجس أبو بكر فى نفسه خيفة على المسلمين وأمر خالد بن الوليد بالسير من العراق الى الشام، فقدم خالد وعهد اليه قوّاد العرب أمر القيادة، فعبأ الجيوش تعبئة قائد خبير ثم حمل على الروم فهزمهم وأفنى أكثر جيشهم وانتصر العرب انتصارا مبينا . وفى أثناء المعركة جاء البريد بوفاة أبى بكر وتولى عمر بن الخطاب وعزل خالد عن القيادة العليا وجعلها لأبى عبيدة، وذلك لأمور كان ينقمها عمر من خالد .

وكانت واقعة اليرموك فاصلة فى أمر الشام، فقد استولى أبو عبيدة وخالد بعدها على دمشق وعلى مدن الساحل وكذلك حمص واللاذقية وقنسرين وحلب، واضطر هرقل أخيرا الى الفرار الى القسطنطينية .

فتح القدس سنة ١٥ هـ — وفى أثناء ذلك كان عمرو بن العاص يجدّ فى فتح فلسطين . وكان أرطبين حاكم فلسطين قد بث الجند فى بيت المقدس وغزة والرملة، ورابط بجيشه فى أجنادين شرقى بيت المقدس . ففصل عمرو فصائل من جيشه لمراقبة تلك الجنود، ثم زحف بمعظم الجيش الى أرطبين فهزمه عند أجنادين واضطره الى الفرار الى مصر . واستولى عمرو عقب الواقعة على مدن الساحل الفلسطينية . وأما بيت المقدس فحاصره أربعة أشهر وأبى بطريقه (سفرونيوس) أن يسلم المدينة لأحد غير الخليفة نفسه . فجاء عمر فلسطين وتسلم المدينة وابتنى بها مسجده المشهور .

(ب) فتح مصر والنوبة

عند ما قدم عمر بن الخطاب الى بيت المقدس لتسلمه سنة ١٥ هـ . اقترح عليه عمرو بن العاص أن يبعثه بجيش لفتح مصر فلم يجبه عمر الى ذلك . فلما كان عام ١٨ هـ . واضطربت حال الشام عقب طاعون (عمواس) قدم عمر الى دمشق فأعاد عمرو اقتراحه . وقد أجابه الخليفة هذه المرة وهو متخوف متردّد . ومن الحجج التى أدلى بها عمرو تبريرا لما طلب : (١) أن مصر مضطربة الحال مفتحة الأبواب؛ (٢) أنها غنية جدّا؛ (٣) أن أرطبين الذى كان حاكم القدس قد لجأ اليها وأخذ يحشد الجنود ليسترد الشام .

زحف عمرو على مصر — غادر عمرو قيسارية على رأس ٤٠٠٠ مقاتل وبلغ العريش سنة ١٨ هـ . ثم سار منها الى الفرما فاستولى عليها من غير جهاد كبير وجرّدها من معدّات دفاعها، ثم سار الى بلبيس ملتزما حدود الصحراء فلما بلغها قاتل

الروم عندها وقتل قائدهم أرطبين واستولى على البلد، ثم تركها الى قرية أم دنين الواقعة على رأس الدلتا[١].

واقعة عين شمس سنة ٢٠ هـ — على أن عمرا أدرك حرج موقفه فأرسل الى الخليفة يستمدّه وشغل جنده فى أثناء ذلك بغزو الفيوم، فلما جاء المدد وقدره ٤٠٠٠ مقاتل عسكر بجميع جنوده شمالى عين شمس ثم التقى بالروم فى واقعة عين شمس المشهورة وهزمهم هزيمة كان من أثرها سحق الجيش الرومانى والاستيلاء على الإقليم المسمى مصر الواقع عند رأس الدلتا وإتمام إخضاع الفيوم والشروع فى حصار حصن بابليون .

أخذ حصن بابليون سنة ٢٠ هـ — وكان المقوقس رئيس بطركية الإسكندرية فى ذلك الوقت داخل الحصن وكانت له مآرب سياسية يودّ الوصول إليها بكل الوسائل، فأخذ ييئس الروم من الانتصار على العرب وٱستطاع أن يبعث وفدا الى جزيرة الروضة لمفاتحة العرب فى أمر الصلح فلم يفلح الوفد أوّلا، ثم عقد الصلح أخيرا على أن يؤدّى الروم للعرب الجزية، وكتب المقوقس معاهدة بذلك وبعث بها إلى هرقل ليقرّها . فدهش الامبراطور لذلك ولم يقرّ المعاهدة بل ٱستدعى المقوقس الى القسطنطينية، فلما رأى العرب ذلك واصلوا الحصار وبينما هم كذلك اذ بلغهم موت هرقل فكان ذلك مثبطا للرومان مقويا للعرب، وتسور الزبير بن العوّام الحصن وتبعه الجند، فاستسلمت الحامية الرومانية لهم .

فتح الاسكندرية سنة ٢١ هـ — وعلى أثر ذلك شرع عمرو فى الزحف الى الإسكندرية فٱلتقى بالروم فى طريقه اليها عند دمنهور، فهزمهم فى واقعة كبيرة انحاز بعدها الجيش الرومانى الى الإسكندرية واقتفى العرب أثرهم . وكانت الإسكندرية اذ ذاك مدينة عظيمة حصينة بها نحو ٥٠,٠٠٠ مقاتل وكانت فوق ذلك مفتوحة من ناحية البحر . لذلك ترك عمرو بظاهرها جيشا يحاصرها ثم سار هو لفتح المدن

(١) وموقعها الآن ما بين الأزبكية وعابدين .

الساحلية . وفى أثناء ذلك عاد المقوقس الى الاسكندرية وأخذ يعمل على إنفاذ مآربه القديمة . وقد أفلح سعيه هذه المرة اذ أقنع الامبراطور الجديد بضرورة تسليم الاسكندرية . ثم شرع يفاوض عمرو بن العاص فى شأن الصلح والتقى به فى بابليون وعقدا معاهدة تقضى بأن تؤدّى الجزية للمسلمين وأن تجلو الجيوش الرومانية عن الاسكندرية والا يتدخل المسلمون فى الشؤون الدينية المسيحية وأن يسمح لليهود بالاقامة بالاسكندرية مع شروط أخرى . وبمقتضى هذه المعاهدة دخل العرب الاسكندرية وتمّ لهم الاستيلاء على مصر . ثم غزوا على أثر ذلك بلاد النوبة وصالحوا ملكها على جزية يؤدّيها لمصر كلّ عام .

(ج) فتح بلاد المغرب

لم يكد عمرو بن العاص يفرغ من مصر حتى شرع فى الزحف غربا وقد تمّ له فتح الاقليم المعروف ببرقة ثم صار ولاة مصر من العرب من بعده يعملون على إخضاع بلاد المغرب و إدخال الإسلام فيها فكانوا يلقون فى ذلك عناء عظيما وذلك لوعورة أرض المغرب وتنائيها عن المشرق ولاستبسال البربر فى القتال زمن الحرب وعدم إخلادهم الى الهدوء زمن السلم ولأن الروم كانوا يساعدون البربر احتفاظا بسلطانهم فى تلك البلاد بعد أن زال سلطانهم عن الشام ومصر . هذه الصعاب كلها جعلت الإسلام يسير فى بلاد المغرب سيرا بطيئا بل جعلته أحيانا يرجع القهقرى ، كما حدث عند ما تجمع الروم والبربر على عقبة بن نافع وقتلوه هو ومعظم جيشه سنة ٦٣ ﻫ . وعند ما ثاروا بزهير بن قيس البلوى وقتلوه ، وعند ما قامت الكاهنة (دهياء) والتفّ البربر حولها (٧٤ — ٧٩ ﻫ) على أن البربر نزلوا أخيرا على حكم العرب عند ما عهد أمر إخضاعهم الى القائد الكبير موسى بن نصير فإنه قمع فتنتهم ونشر فيهم الإسلام .

(د) فتح الأندلس

بعد أن تمّ لموسى بن نصير أمر المغرب ولى على طنجة وما حولها مولاه طارق ابن زياد وعاد هو الى القيروان عاصمة المغرب لذلك العهد . وكانت حال الأندلس

فى ذلك الوقت مختلة معتلة لضعف الحكومة القوطية التى كانت تحكمها . فطمع طارق فى فتحها فعبر الزقاق (مضيق جبل طارق) بإذن موسى سنة ٩٢ ه . ونزل بشاطئ أسبانيا الجنوبى والتحم بالقوط يقودهم ملكهم (رذريق) فى معركة عظيمة على النهر المعروف بوادى بكة . فهزمهم واستولى على المدن الأندلسية الجنوبية ثم سار الى طُليطُلة عاصمة الدولة القوطية واستولى عليها . وعند ذلك التحق به موسى ابن نصير ليفوز بشرف الفتح وسار القائدان العظيمان معا يفتحان مدن الأندلس حتى بلغا جبال البرانس وبذلك أصبحت أسبانيا (ما عدا الجزء الشمالى الغربى) يخفق عليها علم الدولة الإسلامية . وقد أتيح لتلك الأرض أن تقوم بها للمسلمين دولة عظيمة هى الدولة الأموية الأندلسية وحضارة رائعة يذكرها التاريخ بكل إعجاب .

(ه) قيام البحرية الإسلامية وفتح أكبر جزائر البحر الأبيض المتوسط

كان الباعث للعرب على إنشاء الأساطيل البحرية خوفهم من غارات الروم على الشام ومصر من ناحية البحر . وقد أنشأ معاوية بن أبى سفيان أيام ولايته على الشام لعثمان بن عفان أسطولا لهذا الغرض وجعل عليه عبد الله بن قيس الحارثى . وقد فتح هذا الأسطول جزيرة قبرس وساعده فى ذلك الأسطول المصرى يقوده عبد الله بن سعد بن أبى سرح .

واستولى المسلمون بمرور الزمن على أهم جزائر البحر الأبيض المتوسط ، ففى عام ٢١٠ أخرج عبد الله بن طاهر والى مصر مهاجرة الأندلس من الاسكندرية الى اقريطش (كريت) بعد أن زوّدهم بالمال والسلاح فساروا اليها وافتتحوها ونشروا فيها الاسلام . وافتتح المسلمون جزائر البليار عند فتحهم أسبانيا فى أواخر القرن الأول الهجرى . وكذلك افتتحت الدولة الأغلبية التى كانت حاكمة تونس (١٨٤ — ٢٩٦ه) جزيرة صقلية وجنوبى إيطاليا فكان ذلك سببا فى قيام حضارة إسلامية بصقلية

لا يزال بعض آثارها ماثلا الى اليوم . فلما ظهر الترك العثمانيون استولوا على رودس وكثير من جزائر بحر الأرخبيل وأدخلوا فيها الإسلام .

(و) فتح العراق (١٢ — ١٤ هـ)

كانت وقائع خالد بن الوليد وغيره من قوّاد العرب مع المرتدين فى اليمامة والبحرين يتطاير شررها الى القبائل العربية النصرانية النازلة ببادية العراق والمحتمية بالحكومة الفارسية فكانت الحال لا تخلو من قتال بين الفريقين . هـذا هو السبب القريب فى قيام الحـرب بين العرب والفرس غير أنه كان ثمـة سببان جوهريان لهـذه الحرب هما رغبة أبى بكر فى نشر الاسلام وشـغل العرب بالجهاد بعد حروب الردّة . لذلك أمر خالد بن الوليد بعـد انتهائه من واقعة اليمامة أن يسير الى العراق وينضم بجيشـه الى جيش المثنى بن حارثة الذى كان يقاتل فى البحرين . وكذلك أمر عياض بن غنم أن يلحق بهما . فاجتمع جيشا خالد والمثنى وكانت عدّتهما نحوا من ٢٠,٠٠٠ مقاتل والتقى خالد بالفـرس فى وقعة (الحفـير) فكان النصر لخالد . وقد أثار ذلك الانتصار عصبية بكر وتغلب النازلتين غربى الفرات وبعثهما على طلب الثأر لمن قتل خالد منهم، وانضم اليهم كثير من الجند الفارسى . فلما علم بذلك خالد سار اليهم والتقى بهم فى وقعة (الليس) وانتصر عليهم بعد قتال عنيف .

وزحف خالد بعد ذلك الى الحيرة عاصمة المناذرة فاستسلمت اليه بشروط معينة ثم ذهب لنجدة عياض بن غنم عند دومة الجندل فاستولى على هذه البلدة وعاد الى الحيرة والتقى بتغلب والفـرس فى واقعة الفراض وانتصر عليهم . ثم خرج الى الحج خفية وعاد ولم يشعر جنده بذلك . فلما علم أبو بكر بحجه هـذا عتب عليه وأمره بأن يتوجه بنصف الجيش الى الشام حيث كان المسلمون مرابطين باليرموك كما تقدّم القول فأطاع خالد واستخلف على بقية جيش العراق المثنى بن حارثة .

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ — رأى المثنى بن حارثة بعـد ارتحال خالد قلة جنده وحرج موقفه فخف الى المدينة ليخبر أبا بكر بحقيقة الحال فوجده فى مرضه

الأخير . فلما تولى الخلافة عمر بن الخطاب كان أوّل ما عمله أن نفذ مشيئة أبي بكر فأرسل مددا الى المثنى يقوده أبو عبيدة بن مسعود الثقفي . فانتصر أبو عبيدة فى أوّل الأمر على الفرس ولكنه خالف نصيحة القائد المجرب المثنى بن حارثة فاشتبك مع الفرس فى واقعة الجسر التى انتهت بقتله وفناء معظم جيشه . فلما بلغ الخليفة ذلك جدّ فى إرسال الجند الى العراق . أما المثنى فتراجع الى حدود الصحراء واستمدّ من يليه من القبائل العربية النصرانية فأمدّوه عصبية منهم لإخوانهم العرب واشتبك مع الفرس فى واقعة البويب فكان النصر له عليهم .

فى ذلك الوقت تولى على الفرس شاب حمِى هو يزدجرد آخر آل ساسان فعزم على طرد العرب من بلاده وساق على العراق ١٢٠,٠٠٠ مقاتل يقودهم قائده رستم . فرأى المثنى أن لا قبل له بلقاء ذلك الجيش الجرار وتراجع مرة أخرى الى الصحراء ريثما ترد عليه النجدة من المدينة . ولكنه لم يمدّ له فى عمره حتى يرى آثار إخلاصه وحسن بلائه فقد توفى بعد قليل من الزمن من جراح أصابته فى واقعة الجسر .

ومن حسن حظ الجيش العربى أن أدركته النجدة يقودها سعد بن أبى وقاص . رابط سعد فى سهل القادسية بجيش يبلغ (مع مدد جاء من الشام أثناء القتال) ٤٠,٠٠٠ مقاتل . وكان الجيش الفارسى حياله على الجانب الشرقى للفرات . وظل الجيشان متواقفين مدة طويلة حتى نفد صبر يزدجرد وأمر رستم ببدء القتال فعبر رستم الفرات ونشب بين الفريقين قتال عظيم دام ثلاثة أيام ثم انجلى عن انتصار باهر للعرب . وكانت تلك الواقعة فاصلة فى شأن العراق فانها استتبعت ارتجاع الحيرة وما والاها من المدن التى كانت سقطت فى أيدى الفرس ثم الزحف الى المدائن عاصمة الفرس وأخذها . كذلك كان من نتائجها فرار يزدجرد واستيلاء العرب على الأرض الواقعة جنوبى الموصل وقرقيسياء . وعند ذلك أمر الخليفة سعدا ألا يتابع الفتح واكتفى من بلاد الفرس بالعراق . فاتخذ سعد المدائن مقرّا له وشرع ينظم شؤون الحكومة الجديدة . غير أن غارة من الفرس على العرب كانت السبب فى واقعة

جلولاء التى استولى بها العرب على حلوان . وفرّ يزدجرد الى الرى وأصبحت جبال زجروس حدّا فاصلا بين العرب والفرس .

(ز) فتح فارس

واقعة نهاوند سنة ٢١ هـ — على أن عمر بن الخطاب اضطر لأن يأذن للعرب بمناجزة الفرس لتوالى غارات هؤلاء عليهم . فأمر سعد بن أبى وقاص أن يسيّر الجنود بقيادة النعمان بن مقرّن لقتال الفرس فالتق النعمان أخيرا بالفرس قرب نهاوند وانتشب بين الفريقين قتال عنيف قتل فيه النعمان بن مقرّن فقام مكانه حذيفة ابن اليمان فحمل على الفرس وهزمهم شر هزيمة .

وكانت هذه الواقعة فاصلة فى شأن فارس اذ استتبعت استيلاء العرب على همذان والرى كما استتبعت فرار يزدجرد الى ماوراء النهر (حيث توفى فى خلافة عثمان). ثم أمر عمر ففتح العرب الأقاليم الفارسية التى لم تكن فتحت .

(ح) فتح أواسط آسيا ودخول الإسلام فيها

حدث فى فارس بعد وفاة عمر بن الخطاب خروج عام على العرب فأمر عثمان والى البصرة عبد الله بن عامر بأن يقمع هذه الثورة ، فقام ابن عامر بذلك سنة ٣١ هـ . ثم تابع الزحف متجها شمالا بشرق فاستولى على أكبر مدن خراسان وهى نيسابور ومرو وسرخس وبلغ بلخ وطخارستان . فلما كان عصر الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك فتح العرب الاقاليم المسمى « ما وراء النهر » (٨٦—٩٦ هـ) وكان فتحه على يد قتيبة بن مسلم عامل خراسان ، فاستولى على بخارى سنة ٨٨ هـ . وسمرقند سنة ٩٢ هـ . وبلغ حدود الصين سنة ٩٦ هـ . وأصبح الإسلام دين أهل تلك البلاد وزهت بها المدنية الاسلامية زهاء عظيما .

(ط) فتح الهند وانتشار الإسلام فيها

قد بلغ العرب فى فتوحهم الاسلامية الأولى جهات الهند الشمالية ولكنهم لم يستقروا بها ولا استداموها إقليما تابعا لهم . فلما كانت ولاية الحجاج على العراق والمشرق وجه الى الهند محمد بن القاسم سنة ٩٢ هـ . لفتحها ونشر الاسلام فيها . فسار ابن القاسم فى جيش لا يزيد عن ١٠,٠٠٠ مقاتل ففتح السند والبنجاب، ووقف الفتح العربى عند هذا الحدّ لاضطراب أمر بنى أمية وظل إقليم السند زهاء قرنين من الزمان يحكمه أمراء من العرب .

على أن الفتح الحقيقى لبلاد الهند ونشر الاسلام فيها إنما جاء على أيدى أتراك خراسان لا عرب الجزيرة . وقد قام بذلك العمل الجليل أربع دول تاريخها فى الحقيقة متصل غير منفصل الأولى الدولة الغزنوية التى حكمت بلاد الأفغان والبنجاب (٣٥١ — ٥٨٢ هـ) وكان أكثر رجالها جدّا فى فتح الهند محمود بن سبكتكين . الثانية الدولة الغورية التى حكمت بالأفغان و بلاد الهند (٥٤٣ — ٦١٢ هـ) وقد دان لها سهل الهندستان كله . الثالثة دولة سلاطين دهلى (٦٠٢ — ٩٦٢ هـ) وكان مقر حكومتها بالهند نفسها لا خارجها كما كانت الحال من قبل . الرابعة دولة المغول بالهند كلها (٩٣٢ — ١٢٧٥ هـ) وقد انبسط سلطانها على الهند كلها تقريبا وظلت كذلك حتى اضمحلت وآلت الزعامة على الهند الى الانجليز فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى .

ولا بأس بأن نلمّ فى هذا المقام بأهم الأمور التى مكنت المسلمين وهم فئة قليلة أجنبية من أن ينزلوا بلاد الهند على سعتها وكثرة سكانها واختلاف نحلها و يؤسسوا لهم بها الدول ذات الأعمار الطويلة . إن الهنود على الرغم من كثرتهم الهائلة كانوا طوائف متقاطعة متخاذلة من الوجهتين السياسية والأدبية . وكان سوادهم الأعظم من طبقة الزراع المستضعفة من قديم الزمان والتى أمات الاستبداد ما بها من حب الاستقلال فأصبحت لا تهتم لسقوط حكومة وقيام أخرى ما دام الكفاف من

العيش ميسورا لها . لذلك قلما نجد الهنود يناهضون المسلمين . أما المسلمون فكانوا بإزاء ذلك يدا واحدة يقاتلون لنصر الاسلام ونشره بين الوثنيين . ثم إن الديمقراطية التى يتصف بها الاسلام قد جعلت كثيرا من الهنود يدخلون فى الاسلام فى حين أن من لم يدخل فيه كان يفضل حكومة المسلمين الأجنبية على حكومة (الراچات) الوطنية لأن الأولى كانت أبرّ بهم وأرحم .

(ى) دخول الاسلام فى جنوب أوربا الشرقى

للتُّرك فضل كبير فى نشر الدين الاسلامى فهم الذين نشروه فى بلاد الهند كما تقدّم القول، وهم الذين عملوا على حفظه من غلبة التشيع فى القرن الخامس الهجرى كما يعلم المطلع على تاريخ السلاجقة، وهم الذين رفعوا لواءه ردحا من الزمن بجنوب أوربا الشرقى .

والترك عامة فرع من الجنس التترى الذى حكم كثيرا من البلاد الأسيوية فى الأزمنة القديمة . ومواطن الترك الأصلية هى سهول بحر قزوين وبحر آرال وما وراء النهر وما والاها من الجهات . وقد تدرّجوا فى الظهور فى التاريخ الاسلامى فكانوا أوّل الأمر خدما فى بيوت الأمراء وقصور الخلفاء فجندا فولاة أقاليم فسلاطين إبان حكم السلاجقة وخلفائهم من الأتابكة، ولما جاء التتار فى القرن السابع الهجرى قضوا على بقايا السلاجقة إلا دولة الروم السلجوقية بآسيا الصغرى فانها امتنعت عليهم حينا من الزمن . وكان من بين القبائل التركية الخراسانية التى سارت مغربة فرارا من التتار قبيلة صغيرة تعرف (بالأوغوز) يبلغ عددها ٤٠٠ فارس . تلك القبيلة هى أس الترك العثمانيين الذين أتموا فتح آسيا الصغرى وأقاموا دولة أسلامية عظيمة بجنوب أوربا الشرقى .

سار بهذه القبيلة زعيمها المسمى (أرطغرل) يرتاد لقومه منتجعا فأدّى به السير الى آسيا الصغرى . وبينما هو ذات يوم يطلع اذ رأى فيما يروى جيشين يقتتلان وآنس فى أحدهما علائم الانهزام . فانحاز اليه كرما منه فتغيرت بذلك حال الجيشين

المتحاربين اذ انهزم الذى كان هازما وغلب الذى كان من قبــل مغلوبا . وما لبث أرطغرل أن علم أنه نصر السلطان علاء الدين السلجوقى على جيش تترى . واعترافا له بتلك اليد البيضاء أقطعه السلطان المذكور أرضا له على حدود الدولة البيزنطيــة فى آسيا الصغرى عرفت فيما بعد (بسلطانونى) ذلك الأقطاع هو أس الدولة التركية العثمانيــة .

نمو الدولة التركية — ولبث أرطغــرل أميرا على ذلك الإقطاع حتى توفى سنة ٦٨٠ هـ . فتولى بعــده ابنه عثمان الذى ينسب اليه الترك (٦٨٠ — ٧٢٦ هـ) فثبت قدمه فى إقطاعه ، ثم شرع فى الاستيلاء على الحصون البيزنطية التى تتاخم أرضه حتى قارب (بروسه)، وفى عام ٦٩٩ هـ . قضى التتار على الدولة السلجوقية بآسيــا الصــغرى فكان ذلك سببا فى اســتقلال سلطانونى ومن ذلك الحين أخذ سلاطين الترك يعملون من جهة على إخضاع جميع آسيا الصغرى لسلطتهم ومن جهة أخرى على التــدخل فى شئون الدولة البيزنطية بقصد الاســتفادة من ضعفها ثم إسقاطها والحلول محلها . وقد تم لهم ذلك كله . والذى بدأ سياسة الفتح الأوربية هو أرخان ابن عثمان (٧٢٦ — ٧٦١ هـ) فانه بعــد أن نظم شئون دولتــه وأنشأ جيش الانكشارية الشهير أخذ يتدخل فى الشئون الأوربية وكانت الدولة البيزنطيةاذ ذاك فى منتهى الانحطاط وكان يتنازع عرشها رجلان أحدهما يسمى كنتا كوزين والآخر باليولوغ وكان كل منهما يستعين أرخان على خصمه . فمدّ أرخان يد المساعدة الى أوّلهما فكافأه على ذلك بأن زوّجه من ابنته ، وعند ما زحف الصربيون على القسطنطينية فى عام ٧٥٣ هـ . اســتعان كنتا كوزين بصهره أرخان فأرسل اليه مددا يقوده ابنه سليمان . وقد تمكن كنتا كوزين بهذا المدد من ردّ الصربيين . ولكى يكافئ سليمان على صنيعه هذا نزل له عن حصن (تزمب) القائم بالشاطئ الأوربى للدردنيل واتفق فى العام القابل أن حدث زلزال عظيم فى تراقيــة دك حصون البــلاد وهدم أسوار غاليبولى فاستولى عليها الترك فكان ذلك بدء ملكهم بأوربا .

وفى عهد السلطان مراد الأول (٧٦١ — ٧٩٢ ﻫ) بلغ الترك فى فتوحهم نهر الطونة بعد أن هزموا الصرب والبلغار والمجر والأفلاق والألبان فى واقعة (قوصوه) الشهيرة سنة ٧٩٢ ﻫ . وبهذه الفتوح كلها أصبحت أملاك الترك تكتنف القسطنطينية من جميع جهاتها . وبذلك طمع محمدا الثانى الملقب بالفاتح (٨٥٥ — ٨٨٦ ﻫ) فى أخذها والقضاء على الدولة البيزنطية ، وقد تم له ذلك فى عام ٨٥٧ ﻫ . وأصبحت القسطنطينية عاصمة الدولة التركية . وقد اتبع محمد الفاتح ذلك العمل الخطير بأن أتم إخضاع البوسنة والصرب والمورة وجزائر الأرخبيل وشواطئ البحر الأسود الجنوبية والقرم وألبانيا . ونزلت جنوده بجنوبى إيطاليا . وبذلك أصبحت شبه جزيرة البلقان بأيدى الترك .

ثم وقف نمو الدولة التركية فى أوربا لأن بايزيد بن مراد الأول لم يكن ميالا للحروب بوجه عام ولأن سليمان ابنه (٩١٨ — ٩٢٦ ﻫ) شغل بمحاربة الفرس ومماليك مصر والشام وكان مظفرا فى حروبه فقد أذل الفرس وأدخل الشام ومصر فى حكم الترك وحمل فيما يقال الخليفة العباسى الذى كان مقيما إذ ذاك بالقاهرة على أن ينزل له عن الخلافة ففعل وأصبحت الخلافة فى آل عثمان .

فلما تولى ملك آل عثمان السلطان سليمان القانونى (٩٢٦ — ٩٧٤ ﻫ) استؤنف الفتح والتوسع فى أوربا ففتح السلطان بلاد المجر ودفع جيوشه فى النمسا حتى بلغ عاصمتها ويانا وحاصر هذه العاصمة مرتين ولكنه لم يستطع أخذها لمناعتها واستبسال أهلها .

ذلك أقصى ما بلغته حدود الدولة التركية فى أوربا . على أنها لم تستدم ذلك الملك الواسع طويلا فقد أصابها الضعف بعد القوة لفساد إدارتها وسياستها فى الداخل ولنهوض الدول المجاورة لها : الروسيا والنمسا وبولونيا واجتماعها كلها على محاربة الترك وانتقاص ما لكهم فصار الترك يتخلون شيئا فشيئا عن أملاكهم الأوربية وغير الأوربية حتى أصبح ملكهم منحصرا فى آسيا الصغرى .

٤ — الأقطار التى دخلها الاسلام بمجرد الدعوة
ومقدار انتشار الاسلام فى الوقت الحاضر

إن الأقطار التى سبق الكلام عليها هى التى شملتها الدول الإسلامية فى الأعصر الإسلامية المختلفة وهى التى دخلها الاسلام قرين السياسة . على أنه ينبغى ألا يستفاد من ذلك أن الاسلام قام بالقوة كما يرى كثير من النـاس مسلمين وغير مسلمين . فالحقيقة أن الدولة الاسلامية كانت من كثير من الوجوه ذات صفة مدنية وأنها نمت نموّ الامبراطوريات الواسعة القديمة والحديثة . أما الدين الاسلامى فقد انتشر فى أكثر الأحوال بمجرّد الدعوة من جانب الفاتحين أو بمجرّد اطمئنان القلب اليه من جانب من فتحت عليهم بلادهم وذلك كما حدث فى الشام ومصر فقد دخلهما الاسلام والمسيحية فيهما متشعبة المذاهب منقسمة الآراء منحطة النفوذ فكان ذلك سببا فى انصراف كثير من أهلها عنها ودخولهم فى الاسلام . وقد يكون انتشار الاسـلام لسبب آخر هو مجرّد الرغبة فى التخلص من دفع الجزية وأن يكون الذميون والمسلمون فى مستوى أدبى واحد . ونحن لانذهب بعيدا فى تقرير هذه الحقيقة فالقرآن والسنة حثا فى كثير من المواطن على احترام الذميين ودعوتهم الى الاسلام بالتى هى أحسن . وكان المسلمون عادة لا يكرهون أحدا على الدخول فى دينهم بل كانوا يكتفون منهم فى الغالب بالجزية والسيرة الحسنة .

ومما يدل على صدق النظرية التى تقول بانفصال الدين عن السياسة فى التاريخ الاسلامى أن الدين الاسلامى قد دخل أقطارا كثيرة مجرّدا من وسائل الفتح والتغلب السياسى ونحن نختم هذا الفصل التاريخى بذكر هذه الأقطار ثم نتبع ذلك بكلمة تبين مقدار انتشار الاسلام فى أنحاء العالم فى زمننا الحاضر .

(ا) الصحراء الكبرى — السودان — غرب أفريقية وشرقها

عرفناك قبلا أن الإسلام دخل مصر والنوبة وبلاد المغرب فى الصـدر الأوّل للاسلام ، والآن نقول إن الدين الإسلامى قد سرى أثره من هذه الأقطار الى الأقطار

الأفريقية التى تليها وهى الصحراء الكبرى وبلاد السودان وغربى أفريقية . وكان ذلك فى أغلب الأحوال بمجرّد الدعوة ومحض اختلاط المسلمين بأهل تلك الأقطار من وثنيي البربر والزنوج . وقد ابتدأ ذلك منذ القرن الخامس الهجرى عند ما قام عبد الله بن يس داعية الدولة المرابطية وعمل على نشر الإسلام فى قبائل الصحراء الكبرى . وقد تابعه فى ذلك ابن تومرت الملقب بمهدى الموحدين (٥٢٤ — ٦٦٥ هـ)، ثم قفى على أثر هؤلاء فى نشر الدعوة بالصحراء الكبرى والسودان وغربى أفريقية مشايخ الطرق التى ظهرت فى شمال أفريقية وأخصها القادرية والتيجانية والسنوسية. فبمجهودات هؤلاء جميعا أصبح الإسلام دين تلك الأقطار، مع أنها خاضعة لدول أوربية مسيحية قوية .

وكما انتشر الإسلام فى تلك الأقطار بمجرّد الدعوة فإنه انتشر كذلك فى شرقى أفريقية، فقد دخل الإسلام منذ الصدر الأول بلاد الصومال وزنجبار والجالا وكان ذلك بارتحال رجال من عرب اليمن الزيديين وعرب البحرين الى تلك الجهات واستقرارهم بها وللعلائق التجارية التى كانت على العموم بين عرب الجزيرة وبين وثنيي تلك الجهات .

(ب) الروسيا

دخل الإسلام بلاد الروسيا فى زمن الدولة العباسية (القرن الرابع) وكان دخوله فى الأقاليم الروسية المعروفة إذ ذاك ببلاد البلغار، وهى عبارة عن حوض نهر الولغا وكان دخوله تلك النواحى للعلائق التجارية التى كانت بين المسلمين وبين أهل هذه البلاد . على أن الإسلام نما وانتشر فى جنوبى الروسيا وجنوبها الشرقى عند ما غلب عليها التتار المعروفون بالطائفة الذهبية فى القرن السابع الهجرى . فإنهم اعتنقوا الإسلام بمحض رغبتهم، وأوّل من فعل ذلك منهم ملكهم الوثنى بركة خان (٦٥٤ — ٦٦٤ هـ) الذى كان معاصرا وحليفا للظاهر بيبرس سلطان مصر لذلك العهد . ولا يزال الإسلام دين هذه الجهات حتى يومنا هذا .

(ج) الصين

ليس بأيدينا من المصادر الموثوق بها ما يبين تاريخ دخول الإسلام بلاد الصين وانتشاره بها . على أنا نعرف من بعض المصادر الصينية والإسلامية أنه قد كانت علاقات سياسية بين الدولتين الإسلامية والصينية منذ خلافة عثمان بن عفان ، وقد ابتعث هذه العلاقات استعانة فيروز بن يزدجرد بإمبراطور الصين لارتجاع بلاده . وتقول التواريخ الصينية كذلك إن سفيرا صينيا قدم على الخليفة هشام بن عبد الملك موفدا من قبل أمبراطور الصين . وان الأمبراطور هسوان تسنج عند ما ثار به بعض رعيته واغتصب منه العرش استعان بالخليفة المنصور العباسي ، فأرسل اليه الخليفة جنـدا إسلاميا ارتجع به بعض مدنه من الثوار . وقد استقر هؤلاء الجنود بالصين ولم يعودوا الى بلادهم فكان ذلك بدء استقرار الاسـلام بالصين . على أن العلاقات التجارية التى كانت بين العرب والصين من قديم الزمان كانت سببا آخر فى سكنى عدد غير قليل من تجار المسلمين بالثغور الصينية . فلما كانت غارة التتار فى القرن السابع الهجرى وما حدث على أثرها من اضطراب فى العالم الإسلامى الشرقى نزح عدد كبير من الصناع والتجار المسلمين الى بلاد الصين واستقروا بها وابتنوا المساجد وانتظموا فى سلك الحكومة الصينية .

(د) أرخبيل الملايو

قد دخل الإسلام جزيرة سومطرة منذ القرن الأول الهجرى ، وكان ذلك بواسطة تجار العرب . ثم نما بهذه الجزيرة على مر الزمن بواسطة دعاة وتجار من الهند وبلاد العرب على السواء كما يستفاد من كلام الرحالة الإسلامى ابن بطوطة والرحالة الايطالى ماركو بولو (القرن السابع الهجرى) ودخل الإسلام كذلك جزيرة جاوه فى القرن السادس الهجرى وعظم شأنه بها حتى قامت بها حكومة إسلامية قوية . ثم اقتبست الإسـلام من هاتين الجزيرتين سائر جزائر الملايو — بورنيـو وسيليبس والفليبين وكذلك الهنـد الصينية ، هذا والإسلام فى الوقت الحاضر أخذ يتغلب على الوثنيـة

فى جزائر الملايو وقد بلغ عدد حجاج المستعمرات الهولندية بتلك الجزائر فى سنة ١٩١٠ نحو ١٤٠٢٤٠ حاجا .

انتشار الاسلام فى الوقت الحاضر — هذه هى الأقطار التى دخلها الإسلام بمجرد الدعوة . ولا يستفاد مما تقدم أن هذه الأقطار والأقطار التى دخلها الإسلام مع السياسة إسلامية بحتة ، فقد تقلص ظل الإسلام عن بعضها كالأندلس وأكثر الأملاك العثمانية الأوربية وبعضها توجد به أقلية إسلامية كما هى الحال فى الصين والهند بوجه عام . وقد اختلفت الأحصائيات فى تقدير عدد المسلمين فى أنحاء العالم فى الوقت الحاضر، والمتفق عليه أنهم لا يقلون عن ٢٠٠ مليون نسمة ولا يزيدون عن ٢٥٠ مليون نسمة .

مكة المكرمة

مجمل الكلام على مكة — أسماؤها — موقعها — جبالها — شوارعها وحاراتها — أقسامها الهامة — مبانيها — مستشفى الغرباء — التكية المصرية — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أو داره — دار خديجة بنت خويلد — دار الأرقم — بستان الشريف عون الرفيق باشا — تأثير السيول فى مكة وتاريخها — سكان مكة — جنسيتهم — أخلاقهم — أزياؤهم — لغتهم — دينهم — عاداتهم — جو مكة — تجارتها — نقودها — مياهها — عين زبيدة — أمراء مكة .

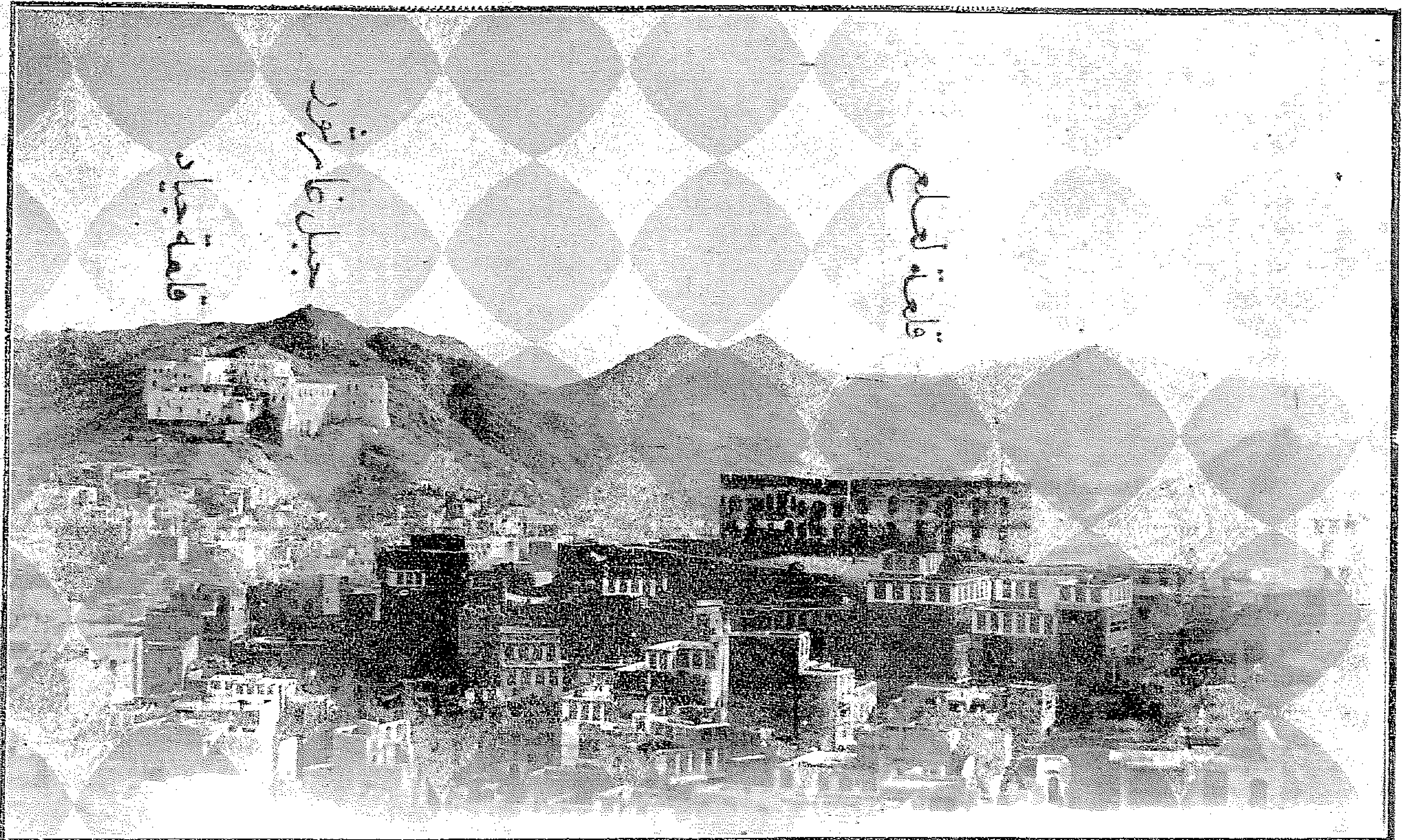
أسماء مكة — ذكر العلماء أن لمكة ستة عشر اسما نذكر أشهرها وهى أربعة نطق بها القرآن أولها : «مكة» قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ وقالوا سميت بذلك لقلة مائها ، أخذا من قولهم : امتك الفصيل ضرع أمه اذا امتصه ، وقيل : لأنها تمك الذنوب أى تذهب بها ، وثانيها «أم القرى» قال تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ، وثالثها «بكة» — بالباء الموحدة — قال تعالى

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾، ورابعها « البلد الأمين » وقد أقسم الله به فى قوله ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ .

موقعها — مكة واقعة على ٢١° و ٢٨ ق عرضا شماليا ، وعلى ٣٧° و ٥٤ ق طولا شرقى باريس ، وترتفع عن سطح البحر الأحمر بنحو ٢٧٩ مترا ، وهى عاصمة بلاد الحجاز ، وطولها من الشمال الى الجنوب ميلان ، وعرضها شرقا من جبل أبى قبيس الى أسفل جبل قعيقعان من الغرب ميل واحد ، يقطع الماشى طولها فى نحو نصف ساعة ، ومع كون عرضها دون طولها يقطع فى زمن أكثر مما يقطع فيه الطول ، وذلك لوجود أماكن على تلال فى كل من جانبيها . وهى ببطن واد يحيط به سور من الجبال الشامخة قد بنيت عليها الحصون المحكمة ، وليس بسورها الجبلى ثغرات إلا حيث مداخلها الأربع ، ففى الشمال الشرقى الطريق الى منًى ، وفى الجنوب الطريق الى اليمن ، وفى الشمال الغربى الطريق الى وادى فاطمة ، وفى الشرق الطريق الى جُدّة . وتلك الجبال تكوّن سلسلتين شمالية وجنوبية تتركب الأولى من جبل الفلج غربا ثم جبل قعيقعان ثم جبل الهندى ثم جبل لعلع ثم جبل كداء (بفتح أوّله ومدّ آخره) وهو فى أعلى مكة ومن جهته دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية تتركب من جبل أبى حديدة غربا يتلوه جبلا كُدَى وكُدَىّ (كلاهما بضم أوّله والأوّل مقصور والثانى مصغر) بانحراف الى الجنوب ثم جبل أبى قبيس الى شرقيهما ثم جبل الخندمة .

شوارع مكة ومبانيها — نذكر لك أهم شوارعها وما فيها من البنايات الضخمة والمساجد والآثار مفردين الهام منها بالوصف التفصيلى قارنين ذلك بالصور الكاشفة إن شاء الله فنقول : شوارع مكة ضيقة غير منتظمة ما عدا شارعا مشهورا يقطعها من جنوبها الغربى الى شماليها الشرقى يبتدئ من الشيخ محمود أو جرول مارّا بباب العمرة الى أمام التكية المصرية ثم على المسّعى وعلى طريق القشاشية وسوق الليل الى آخر مكة من جهة المعلاة ، وعرض الشارع بين ثمانية أمتار وعشرة وعشرين ، ومن الحارات النافذة الى الشارع المذكور ، حارة الباب ، وحارة الشبيكة ، والسوق

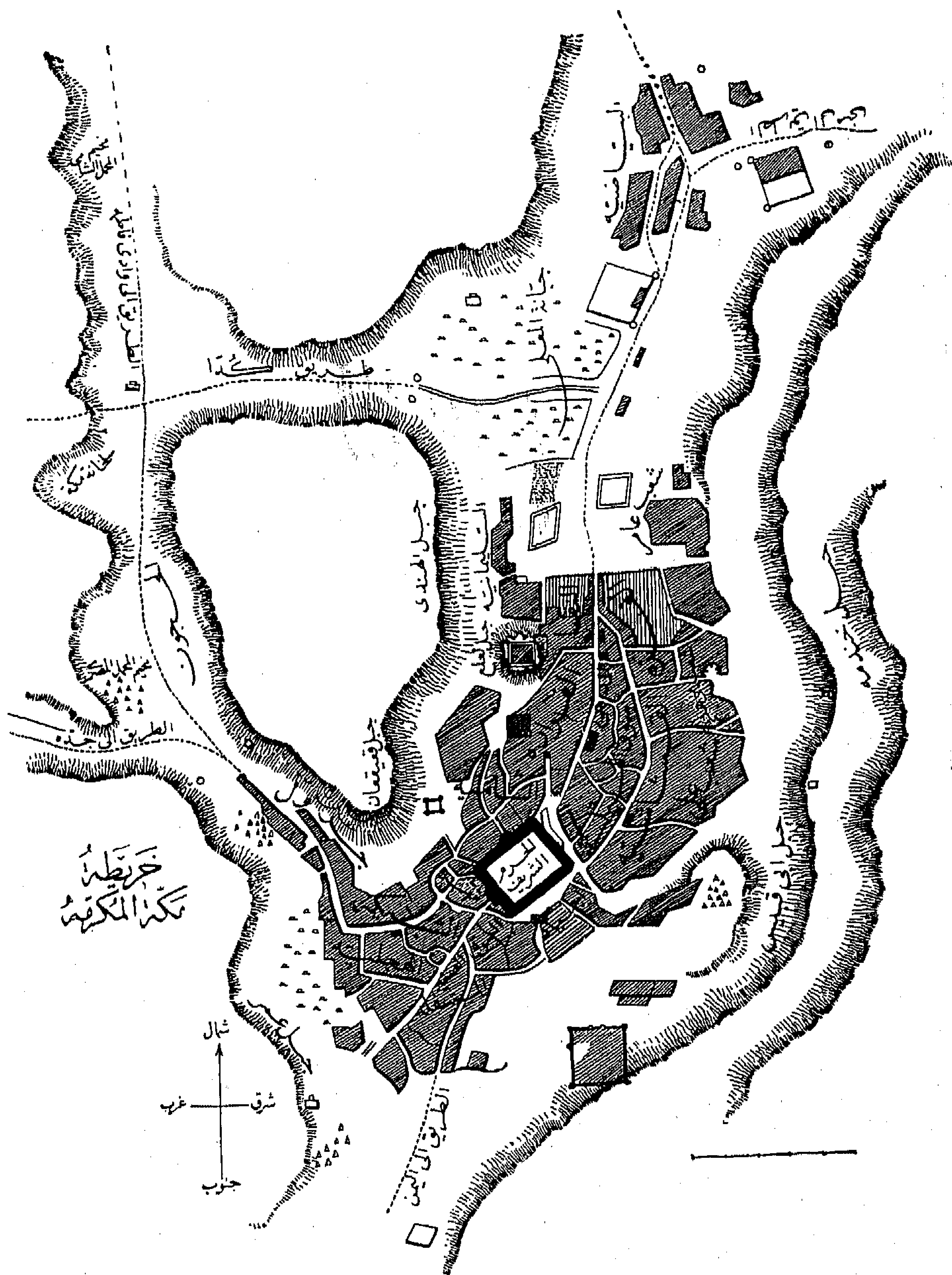
٦٠ مكرر من جبل ابى قبيس الى جبل غار ثور



بدل لعلع يقرأ الهندى

60 bis— A view of the route from Mountain Abikobeis to Garsour.

خريطة مكة المكرمة



بيوت مكة التي على الطراز الجديد بجياد للسقاف

62. A view of the houses of Mecca on the modern style in Giad in 1321.

صحيفة ١٧٩

منازل السيد عمر السقاف المشيده بمكه   سكن الوالى

63. Houses built at Gyad, belonging to Sayed Omar El Sakkaf

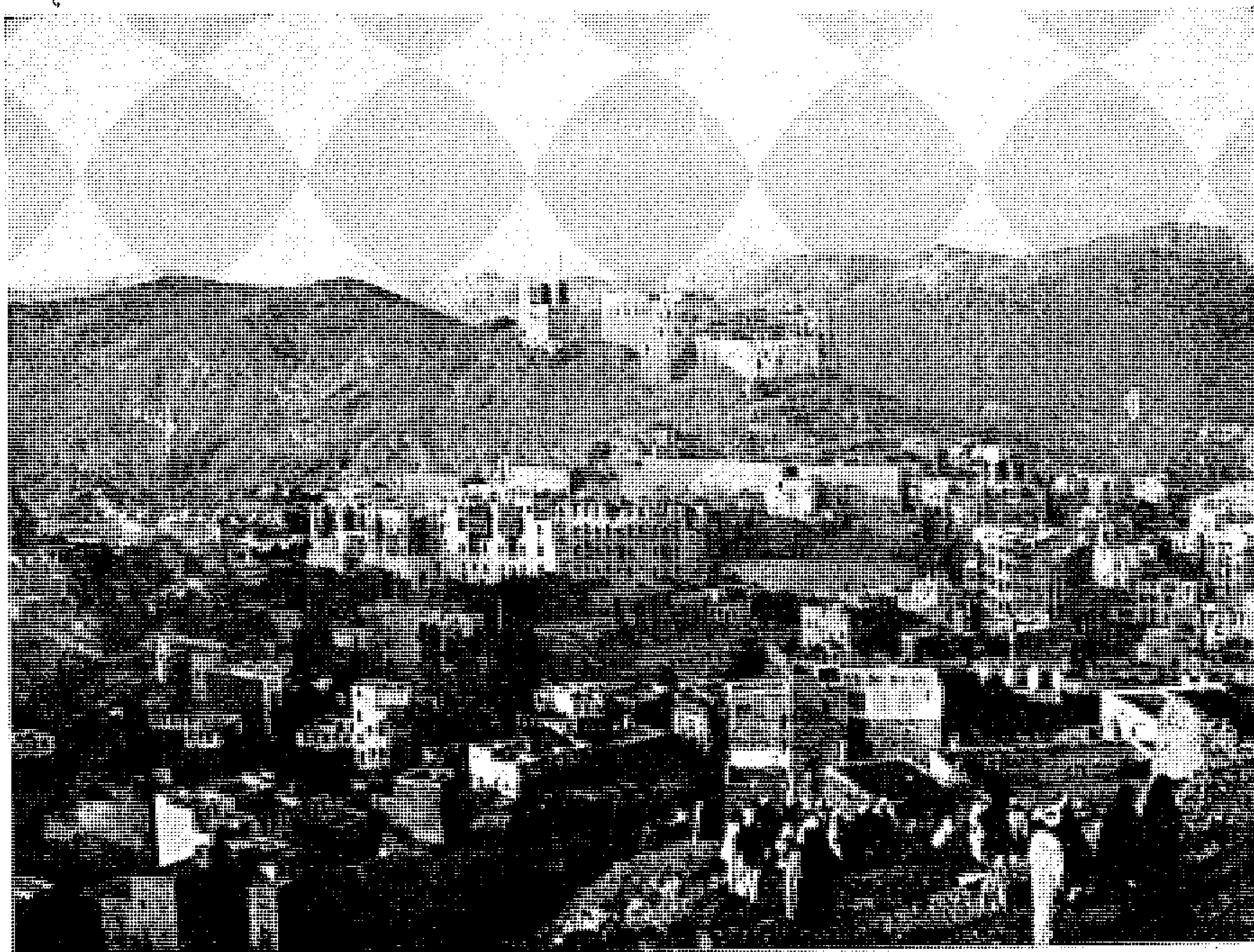
قشلاق العساكر الشاهانية بجياد



64, A view of the Turkish Barracks in Giad at Mecca in 1321.

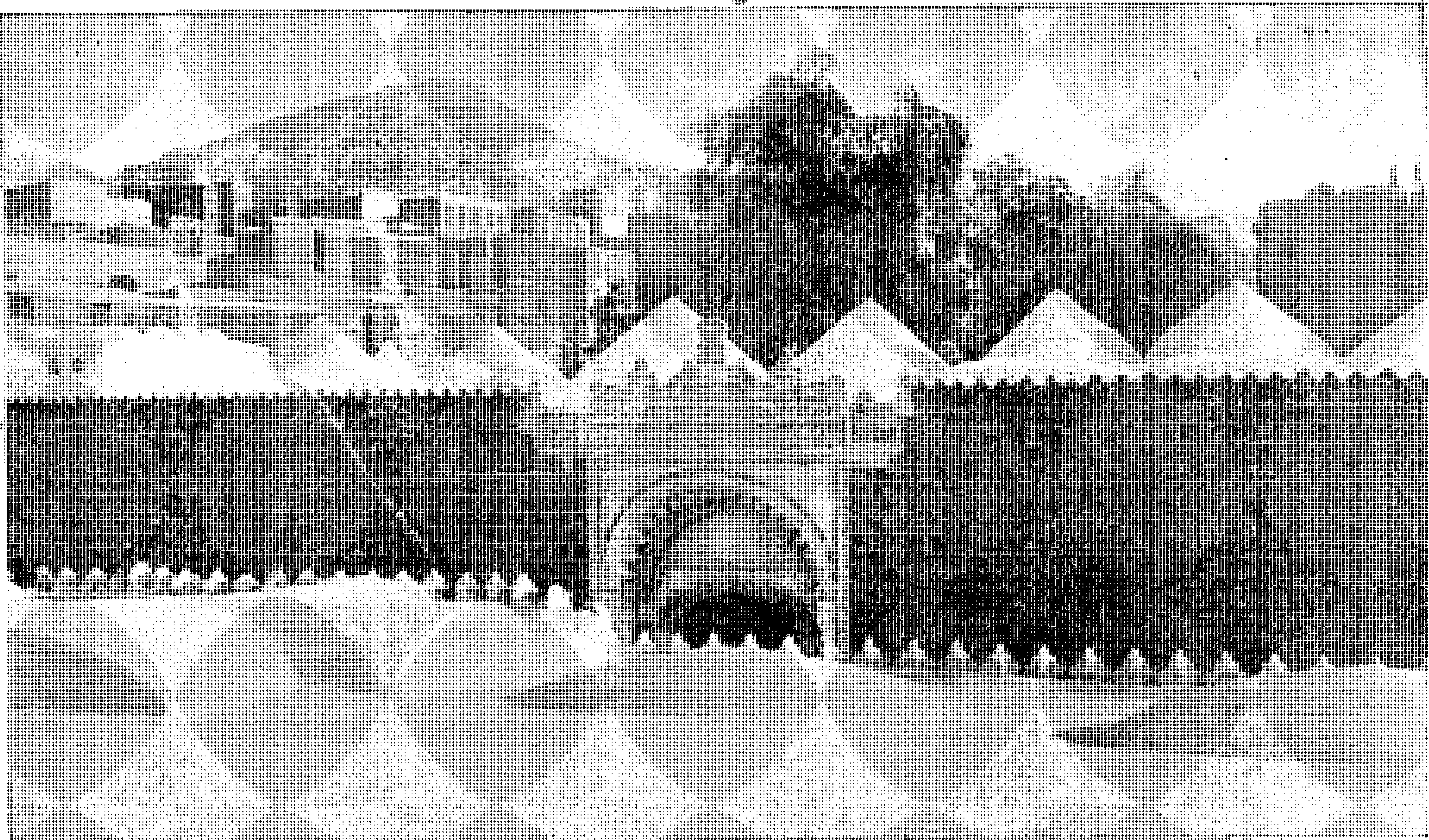
صحيفة ١٨٠

بيوت مكة من الجنوب الغربي وبها قلعة جياد



65, The Southern view of the houses of Mecca and the Citadel of Giad.

منظر تكية محمد علي باشا بمكة المكرمة



70. The Charity house of Mohamed Aly Pasha at Mecca

الصغير، وجياد وسوق الليل وسوق الصفا والمسعى، والقشاشية عن اليمين، ويليها الغزة ثم سوق المعلاة والبياضية، وعن يسار القشاشية المسعى الى المروة الذى به يسارا باب السلام ويمينا طريق المدعى ثم الجودرية ثم المحناطة، ومن حارة الباب ينفذ الى سوق الشامية ومنه الى المروة (الرسم ٦٠) .

ومن الجهات التى بها مبانٍ فخمة أو آثار جمة :

(١) جهة جرول — وعندها جبل جحيشة وفيها الحفائر وبستان لدولة الشريف عون الرفيق وبئر ذى طوى الذى اغتسل منه النبى صلى الله عليه وسلم وهو داخل الى مكة (رسم ٣٦) والمكان المعتاد للمحمل المصرى «والمسافرخانة» التى بناها السلطان عبد الحميد وقدمنا لك وصفها ومقياس المياه الذى تراه فى شرقى (الرسم ٦١) على شكل عمود .

(٢) المسفلة — فى جنوب المسجد الحرام وبها بستان الشريف عبد الله ومولد سيدنا حمزة والخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنهما .

(٣) شعب جياد — فى الجنوب الشرقى للمسجد الحرام وهو أجمل مواقع مكة لعلوه وسعة طرقه وكثرة بيوته التى على الطراز التركى والتى يسكنها غالبا موظفو الولاية من الأتراك وفى مقدمتهم الوالى وترى فى (الرسم ٦٢) نموذجا منها وهو بيت للسيد محمد السقاف ذى الأملاك الواسعة بمكة والمدينة وجُدّة، وكذلك فى (الرسم ٦٣) وبهذا الشعب التكية المصرية تجاه المسجد الحرام فى (الرسم ٧٠)، وكذلك ديوان الحميدية مقرّ الحكومة العثمانية الذى تراه غربى المسجد فى (الرسم ٨٥)، والثكنات العسكرية للجنود الشاهانية التى تراها فى (الرسم ٦٤)، وترى فيه خيما يسكنها الجنود الذين ليس لهم أماكن فى الثكنات .

والديوان والثكنات كلاهما من إنشاء الأمين الحازم المصلح الكبير المشير عثمان باشا نورى والى الحجاز وتجد مكتوبا على باب الحميدية الشرقى :

دار حوت لسعد سلطاننا * عبدالحميد كل حسن وطيب
أشادها بحى أم القـــرى * عثمان والينا بشكل عجيب
بشرى لنا قد جاء تاريخها * نصر من الله وفتح قريب

وعلى الباب الغربى :

دار سلطان الورى عبد الحميد * قد بدت كالبدر فى البيت الأمين
شادها عثمان والينا الذى * توّج الأحكام بالعـدل المبين
أرّخ المجـد ونادى فى العـلا * أدخلوها بسـلام آمنين

وعلى الباب الجنوبى المتوسط كتب (دائرت حكومت سنية) .

وعلى الباب الجنوبى الجانبى كتب سطر بالخط الثلث الجميل على شكل دائرة ، العبارة الآتية (دائرهٔ فرقهٔ عسكريهٔ) .

وفى جياد أيضا ميدان لاستعراض العساكر وفيه المطبعة الأميرية ودار للبريد (البوستة) والإشارات البرقية (التلغراف)[1] ومركز الصحة ودار عظيمة للشريف عبد المطلب وبيت لأمين الدفاتر (الدفتردار) ومسجد صغير — زاوية — للشاذلية وترى فى (الرسم ٦٥) منظرا عاما لجياد، والبناء الذى فى أعلى الرسم على قمة الجبل قلعة جياد .

(٤) القشاشية — فى شرقى المسجد الحرام ويطل عليها جبل أبى قبيس ، وفى الجهة الشرقية منها شعب علىٍّ أو شعب بنى هاشم انظر (خريطة مكة) وبالقشاشية دار الخيزران وهى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى وبها بيوت بنى شيبة حجبة

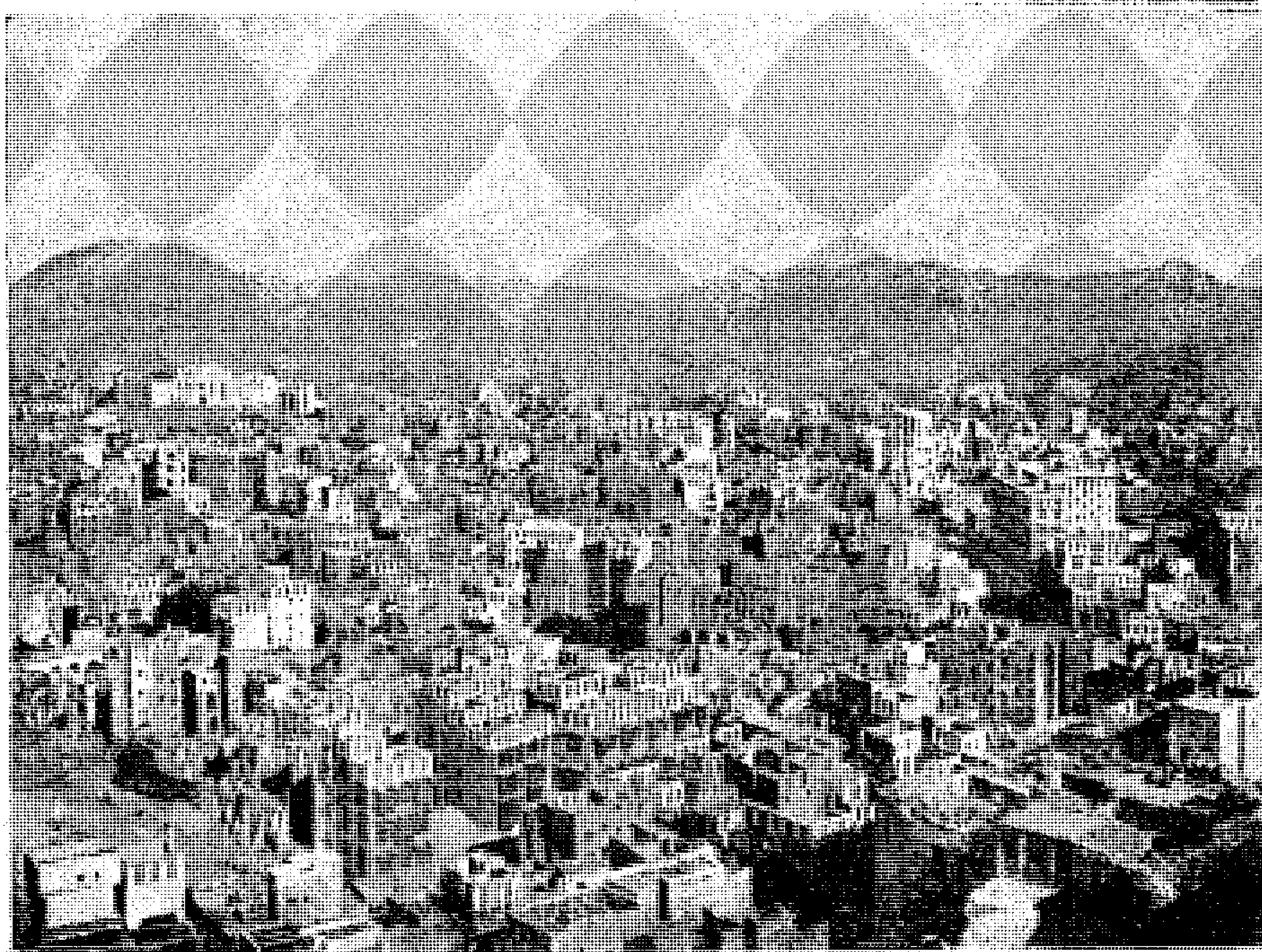
(١) لا عناية ولا نظام للإشارات البرقية ولا بالخطابات فقلما تصل إشارة الى صاحبها ، والخطابات تحضر من جدّة إلى مكة على ظهور الجمال فى غرارات (زكايب) وتلقى بطرقة فى دار البريد فيأتى الحجاج أو المطوفون أو خدمهم فيفرزون هذه المكاتبات فان عثروا على شىء لهم أو لأصحابهم وأقاربهم أخذوه ، وكان خليقا بالحكومة العثمانية أن تعنى بذلك عناية شديدة لأن أولئك الحجاج الذين شط بهم المزار فى حاجة الى تعرّف الأخبار عن أهليهم وأصحابهم وربما تضمنت أخبارا هامة يترتب على جهلها ضرر كبير .

منظر منازل مكة وغار حراء الشهير بجبل النور



66. Houses of Mecca as seen from the top of Abu-Kobis hills from the East, showing Gar Herak and the Birth Place of the Prophet.

منازل مكة من الشرق والشمال



67. The northern and eastern view of the houses of Mecca In 1321.

الكعبة ، وبيوت محسن بك وعبد الله بك وأحمد باشا الحجازى وكان واليا على الحجاز وهو والد المرحوم منصور باشا يكن ودار أبى سفيان التى جعلها الرسول عام الفتح مأمنا لمن لجأ اليها إذ قال : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن وهى الآن مستشفى . وبها بيت خديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وبها أيضا بيت أبى جهل وهو الآن ميضأة تجاه باب المسجد الحرام المسمى باب النبى عليه السلام .

(٥) الغـــزة — فى الشمال الشرقى للمسجد الحرام وبها بيت الإمارة الذى شيده محمد على باشا جدّ الأسرة الخديوية ثم الملكية ويقيم به الآن شريف مكة عون الرفيق باشا وتراه فى الشمال الشرقى من (الرسم ٦٧) وواضح بالرسم واجهتان منه إحداهما ذات « مشربيات » صنعت صنعا بديعا من الخشب الهندى الأحمر وفيها أيضا مخزن أميرى عام تخزن به الحبوب للحكومة والأهالى وكذلك مخزن كبير للصدقات والحبوب التى ترد من مصر كل عام ومن دونهم منازل لأهل مكة .

(٦) شعب بنى عامر — شمالى الغزة به مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد على رضى الله عنه قريبا منه وبيوت لبنى هاشم . وهذه الجهات الشرقية كانت مساكن بنى عبد المطلب فى الجاهلية وفيها الآن كثير من الأشراف أما باقى قريش فكانوا فى الجهة الأخرى من المسجد الحرام خصوصا جهة الشمال انظر (مساكن الجهة الشرقية فى الرسم ٦٦) .

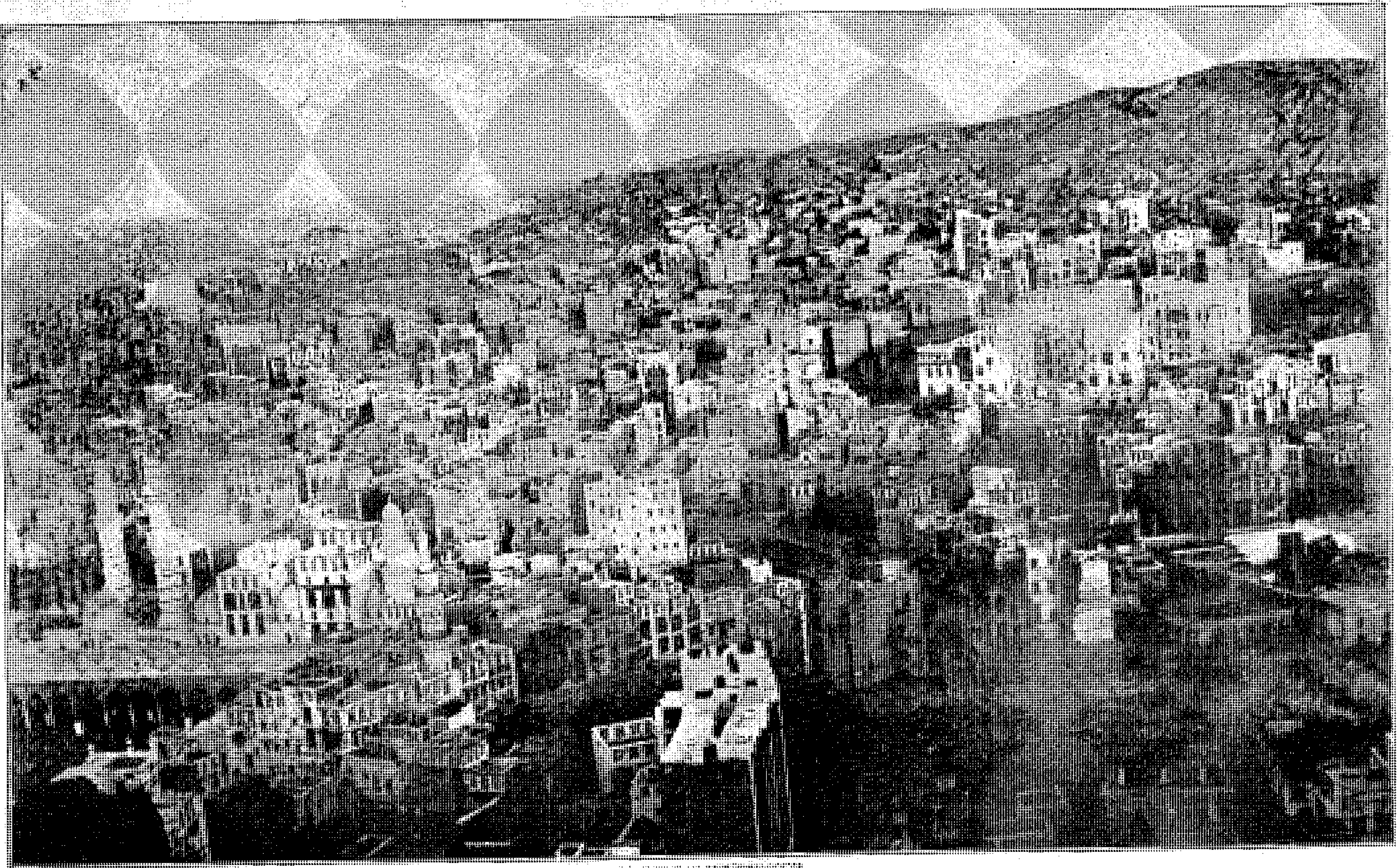
(٧) الشامية — فى شمالى المسجد الحرام مع غربيه وهى شارع تجارى عظيم أشبه بشوارع الموسكى والتربيعة والغورية وخان الخليلى عندنا بمصر ويباع فيها السُّبَح والأقمشة الهندية والتركية وفصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذى يبيعه حجاج اليمن بأثمان رخيصة جدّا .

(٨) القرارة ــ شمالى الشامية وبها منزل الشريف عبد المطلب أمير مكة سابقا وهو البناء الفخم الذى تراه واضحا فى الشمال الشرقى (للرسم ٦٨) وفيه ترى منظرا عاما لبيوت القسم الشمالى وبالقرارة مسجد صغير ــ زاوية ــ للجيلانى .

(٩) السليمانية بها النقا والمنحنى والمعابدة والبياضية والمعلاة أى المقبرة ــ كلها شوارع وجهات فى شمالى المسجد الحرام فوق القرارة والغزة ، وبالمعابدة محل للصاغة وبيت للشريف غالب أمير مكة سابقا ومسجد الإجابة والراية ومساكن للهنود والحضارم ومحل للخضراوات والمسلى والإبل والأغنام ومساكن « البيشة » وهم عساكر أمير مكة وكذلك بها مساكن قبائل من العربان وفيها معاطن الإبل ومرابض للغنم وبالبياضية منزل للسيد محمد صالح الشَّيْبى أمين المفتاح وكذلك بستان له ، والمعلاة من زمن بعيد مقبرة أهل مكة وتقدّم الكلام عليها مع رسومها .

وفى مكة على الجملة ٦ جوا مع كبيرة خلاف المسجد الحرام و ٦٧ مسجدا ، المشهور منها مسجد الراية بشرق البلد ومسجد الجنّ بغربها ومسجدا الإجابة والبيعة شماليها وزاوية السنوسى فى الجنوب الشرقى ، والسنوسى له فى الحجاز شأن كبير ومعظم الأعراب شيعته وكذلك أهل مكة وكثير منهم على طريقة يسمونها الرشيدية وأهلها أتباع الشيخ ابراهيم الرشيدى ، ومنهم الأدريسية أتباع الشيخ أحمد بن إدريس ، والمرغنية وهم شيعة المرغنى المعروف بمصر والسودان وبها محكمة شرعية تحت قبة مجاورة للمسجد الحرام بجهته الشمالية تراها شرقى المئذنتين المتقاربتين فى (الرسم ٩١) والقبة التى بينهما على المكتبة السليمانية وترى فى الشمال الغربى قلعة الهندى ، وسيأتى ذكر المكتبة والقلعة قريبا ، وظاهر بالرسم ست مآذن من مآذن المسجد الحرام ، والبناء الفخم الذى فى أعلى الشكل سراى الشريف عبدالله باشا أمير مكة سابقا وقد احترقت . وفى مكة ٦ مدارس للعلوم و ٤٣ مكتبا للصبيان ، وكانت فى سنة ١٣٠٣ ــ ٣٣ وكان عدد التلاميذ بها ١١٥٠ وأشهر هذه المدارس المدرسة الصولية التى بناها الطيب الأثر الشيخ رحمة الله الهندى

بيت الشريف عبد المطلب بالقرارة بمكة



68. The palace of El Sherif Abdul Mottaleb at El Karara in Mecca.

صاحب كتاب إظهار الحق، ويدرس فيها القرآن وعلم التجويد وشيء من اللغة العربية والحساب والهندسة وينفق عليها من تبرعات أهل الهند، ومدرسة أخرى تماثل الأولى أو تزيد عليها . وبمكة مكتبتان صغيرتان الأولى فى باب أم هانئ تسمى كتبخانة شروانى زاده محمد رشدى باشا والى الحجاز سابقا وأخرى فى باب الدريبة قرب باب السلام تسمى بالكتبخانة السليمانية أسسها السلطان عبد المجيد وكونها من شتات كتب المسجد وغيرها مما أرسله إليها من الاستانة، ولكل مكتبة من هذين فهرس بخط اليد وأمين يقوم بشؤونها، والكتب التى بهما نحوية وفقهية وأدبية وتاريخية وأكثرها باللغة العربية وفيها شيء بالفارسية والأوردية (الهندية) والتركيه والجاوية (لغة الملايو) . وبمكة مستشفى عسكرى وآخر للغرباء — يأتى وصفه — وبها ١٧ مصنعا ومدبغتان للجلود ومسلختان ومخزنان كبيران . وبها قلاع ثلاث تحكم على المدينة ويقيم بها عساكر الدولة : أولاها قلعة جياد التى أنشأها فى سنة ١١٩٦ هـ . الشريف سرور بن مساعد أمير مكة بعد أن اشترى ما حولها من البيوت وأنفق فى عمارتها مالا كثيرا، وقد نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعاده متقنا على أحسن شكل كما تراه فى أعلى (الرسم ٦٥)، وثانيتها قلعة الهندى التى بناها الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٢١هـ . فى الجهة الشمالية وكانت صغيرة وحدث فيها خراب فعمرها ووسعها المشير عثمان نورى باشا شيخ الحرم ووالى الحجاز وقد أحكم بناءها ورتبها فى سنة ١٣٠٠ هـ . زمن السلطان عبد الحميد الثانى، وثالثتها قلعة لعلع التى أنشأها أيضا الشريف غالب أيام محاربة الوهابيين له وهو الذى أقام الأبراج بأطراف مكة . وبمكة حمامان على مثال الحمامات الرومية بمصر، واحد بالعمرة بناه محمد باشا وزير السلطان سليمان سنة ٩٨٠ هـ . والثانى بالقشاشية ويسمونه حمام النبى . وبها ثلاث تكايا : أهمها التكية المصرية أمام باب المسجد الحرام المسمى باب جياد — وسيأتى وصفها — وفيها عشرون مسقى — سبيلا — وعشرون صهريجا مملوءة بمياه عين زبيدة، ويختلف طولها وعرضها من ٥ أمتار إلى ١٠، والعمق من مترين ونصف الى ١٣ مترا، وفم الصهريج سعته ٨٠ سنتيا

ولبعضها فتحتان وثلاث الى ٦ فتحات على خط واحد وتنزح المياه منها بواسطة السقائين الذين أكثرهم من العبيد، وبيوت الأمراء أنابيب مائية ذات «حنفيات»، وبمكة ١٩ رباطا يأوى إليها الفقراء، و ٨٠ طاحونة خيل، و ٦٠ تنورا، و٩٥ قهوة بلدية رصت فيها «التكك» والكراسى التى مقاعدها شباك مصنوعة من الليف أو الخوص المجدول، ويشرب فيها الشاى والقهوة والنرجيلة « الشيشة » التى يجهزونها بالتمباك الحمى عادة ويكثرون آستعمالها و يضيفون الى البن اليمنى الحبهان والقرنفل والحبة السوداء مما يجعل للقهوة نكهة جميلة. وبها محجر صحى « كورنتينا» معطّل وصيدلية ومتجران كبيران للجوهرات الثمينة، و١٧ مجيرة « كوشة » لعمل الجير، و ٨ مصانع للفخار، ومخزن كبير للغاز .

وبمكة ٣٠٠٠ دكان و ٦٥٠٠[1] بيت مبنية بالجص والحجر الأصم ذى اللون الأسود تتخلله نقط حمراء وبيضاء ، والبيت يتكوّن من طبقة الى خمس طبقات وأكثرها ليس به فناء، وأجمل بيوت مكة على الإطلاق بيوت جاليس الشريف المسمى (البو) وبيوت محمد على كاتب الشريف فإنها مبنية على الطراز الحديث من جهة التقسيم والهيئة والزخرف والزينة وهى تضارع بعض البيوت الجميلة بمصر والاسكندرية . وبيوت الأمراء وإن كانت عظيمة إلا أنها على الطراز القديم . وبمكة كثير من البساتين الصغيرة والبرك الصناعية ذات الفوارات المائية .

وها نحن أولاء نصف لك بالتفصيل بعض الأماكن الشهيرة كما وعدنا .

مستشفى الغرباء والفقراء — هذا المستشفى بالجهة الشرقية من المسجد الحرام وقد أنشئ فى سنة ١٠٨٦ هـ — كما هو مكتوب عليه — فى زمن السلطان الغازى محمد خان الرابع، وقد زرت هذا المستشفى فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (١٦ أبريل سنة ١٩٠١) فوجدت به طبيبين يدعى أولهما اسماعيل افندى ثروت طبيبا أوّل وثانيهما عثمان افندى اسماعيل طبيبا ثانيا ورأيت صيدليا آسمه حسن افندى تحسين والكل مجمل بالثياب

(١) تعداد الأماكن السالفة نقلناه عن التقويم التركى للبلاد الحجازية سنة ١٣٠٩ هـ . وهو مطبوع بمكة بالمطبعة الأميرية .

الجيدة النظيفة، وبه ما يقرب من ٥٠ سريرا وقد مررت بأقسامه فوجدت إهمالا شديدا ولا سيما قسم الأمراض العفنة فالملابس والمفروشات فى غاية القذارة تنبعث عنها الروائح الكريهة ولا يصلحها إلا حرقها وقد اعترف الطبيب الذى صاحبنى بذلك وكان يريد عدم مرورى بهذا القسم من شدّة عفونته، وقد رأيت كثيرا من المرضى نائما على الألواح قد اشتد به المرض حتى صيره هيكلا عظميا كالهيا كل التى نراها بالقصر العينى، وأن مريضا هذا حاله لا ينتظر إبلاله من مرضه وهو يتنشق تلك الروائح الخبيثة التى تفتك بالأصحاء فضلا عن المرضى، ولولا وضعى المنديل على أنفى وضغطى عليه لما استطعت المرور، وبلغنى أنه قلما يدخل فيها مريض فيشفى، فاذا كان ذلك شأنها فاغلاقها خير من فتحها، فان الهواء النقى قد يشفى المريض مما ألم به، والأدوية تأتى الى هذا المستشفى من الأستانة أما الأغذية والمفروشات فمن ديوان مكة المكرمة .

التكية المصرية — هى من الآثار الجليلة ذات الخيرات العميمة وأنها نعمت صدقة جارية لمسديها ثواب جزيل وأجر عظيم، وقد أنشأها ساكن الجنان محمد على باشا رأس الأسرة الخديوية فى سنة ١٢٣٨ هـ . كما هو مسطور بدائر القبة التى بوسط التكية تظل الصنابير «الحنفيات» التى يتوضأ منها الناس والتكية بشارع جياد أقيمت مكان دار السعادة التى كانت محل حكومة بنى زيد من الأشراف، ويرد إليها الفقراء فى الصباح والمساء فيتناول الفقير فى كل مرة رغيفين وشيئا من «الشربة» وربما أعطى أكثر من ذلك إن كان فقره مدقعا، وكثير من نساء مكة وجواريها الفقراء يتعيشن بما يأخذن ويكتفين بذلك عن مسألة الناس، ويصرف يوميا من الخبز ما يقرب من ٤٠٠ أقة (حاصل ٣ أرادب من القمح) و ١٥٠ أقة من الرز، وفى يوم الخميس تزاد كمية الأرز الى ٤٢٠ أقة، ويصرف فى هذا اليوم فقط مائة أقة من اللحم، وفى كل أيام رمضان يكون المرتب كمرتب يوم الخميس ويزيد عليه ٥٠ أقة من الحمص، ويصرف من السمن ما يكفى لطبخ هذه المقادير، والفقراء يزداد عددهم حتى يبلغ ٤٠٠٠ شخص وذلك من شهر رمضان حتى آخر ذي الحجة.

لورود كثير من الحجاج الفقراء من السودانيين (التكارنة) والمغاربة وغيرهم ثم يتناقص العدد بعد ذلك الى ٤٠٠ تقريبا .

وللتكية ناظر ومعاون وكتبة يقومون جميعا بخدمة الفقراء، وبها طاحونة يتناوب إدارتها أربعة بغال تطحن القمح، وفيها مطبخ واسع به ثمانية أماكن يوضع عليها أوان ثمان من ذات الحجم الكبير (قزانات) وفيها مخبز ذو بابين يخبز به العيش ومخزن وحجر للستخدمين انظر التكية (فى الرسم ٧٠) وفى مدّة الحج يسكنها بعض عمال المحمل كالطبيب والصيدلى وكاتب القسم العسكرى وبعض الضوئية والعكامة والسقائين، ويوضع بها أمتعة الأمير والأمين وبعض الموظفين عند ذهابهم الى عرفات، وفى التكية بيوت أدب وصنابير (حنفيات) ماء ومكان جميل مفروش فى وسطه بركة ماء صناعية (فسقية) ويجلس به أمير الحج وأمين الصرة وكتابها حينما يصرفون المرتبات، ومكتوب على باب التكية بالخط الثلث الجميل البيتان الآتيان :

لعباس مولانا الخديوى فضائل * عليها دليل كل يوم مجدّد
رأيناه قد أحيا تكية جدّه * فقلنا أعباس بنى أو محمد
[سنة ١٣١٩ و ١٢٣٨ هـ]

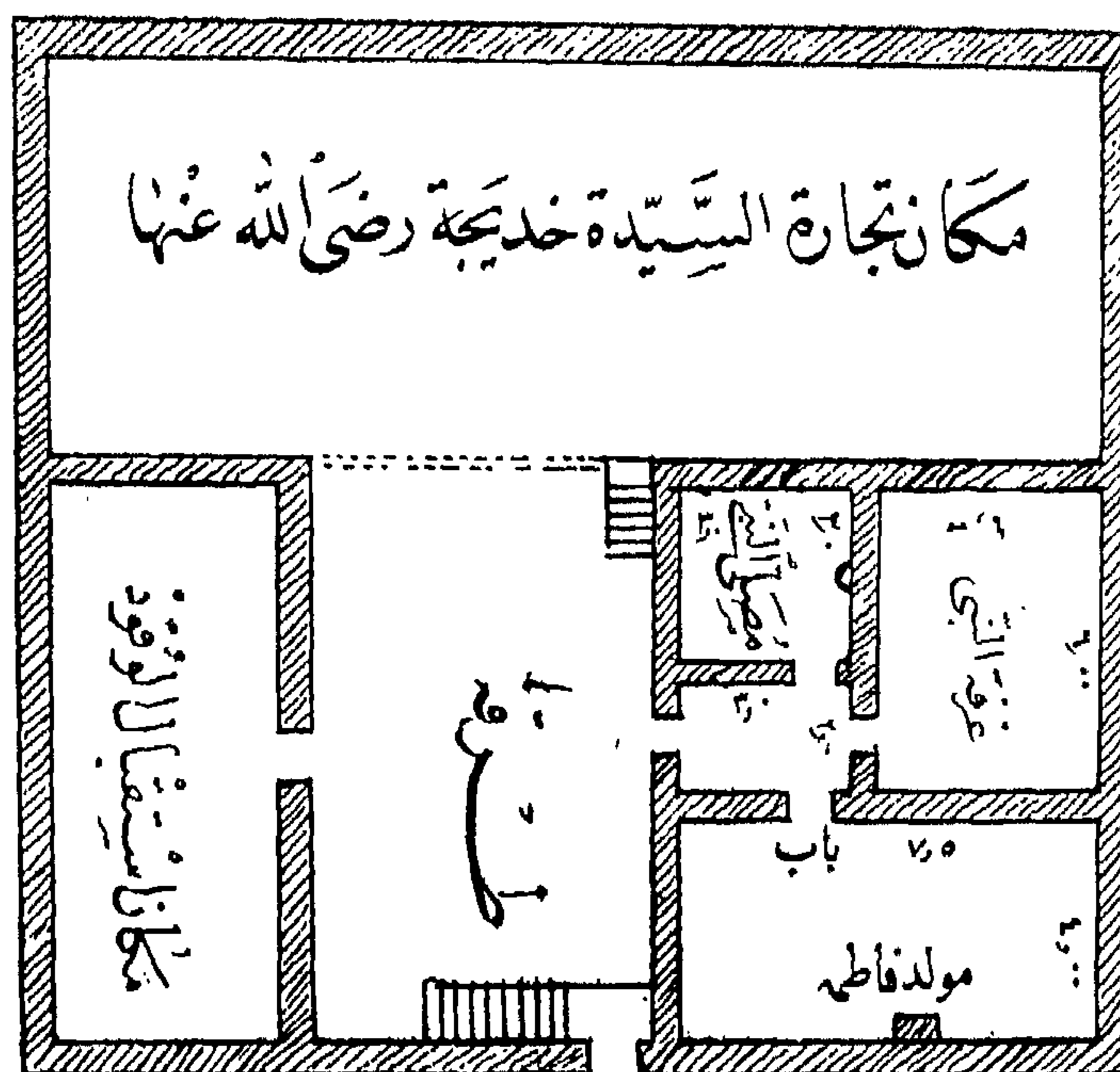
ولو سمعت الأدعية المتصاعدة من قلوب الفقراء لرب هذه النعمة لأكبرت هذا العمل ومسديه، وآنساقت نفسك الى أمثاله ان كان لديك سعة فى المال وبسطة .

أما التكايا الأخرى فلم أزرها لأنه لا يأوى اليها فقير، وقد سطر بواجهة تكية السيدة فاطمة قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ وأنها أنشئت فى سنة ١٠٨٦ هـ . زمن السلطان الغازى محمد خان الرابع كما أسلفنا .

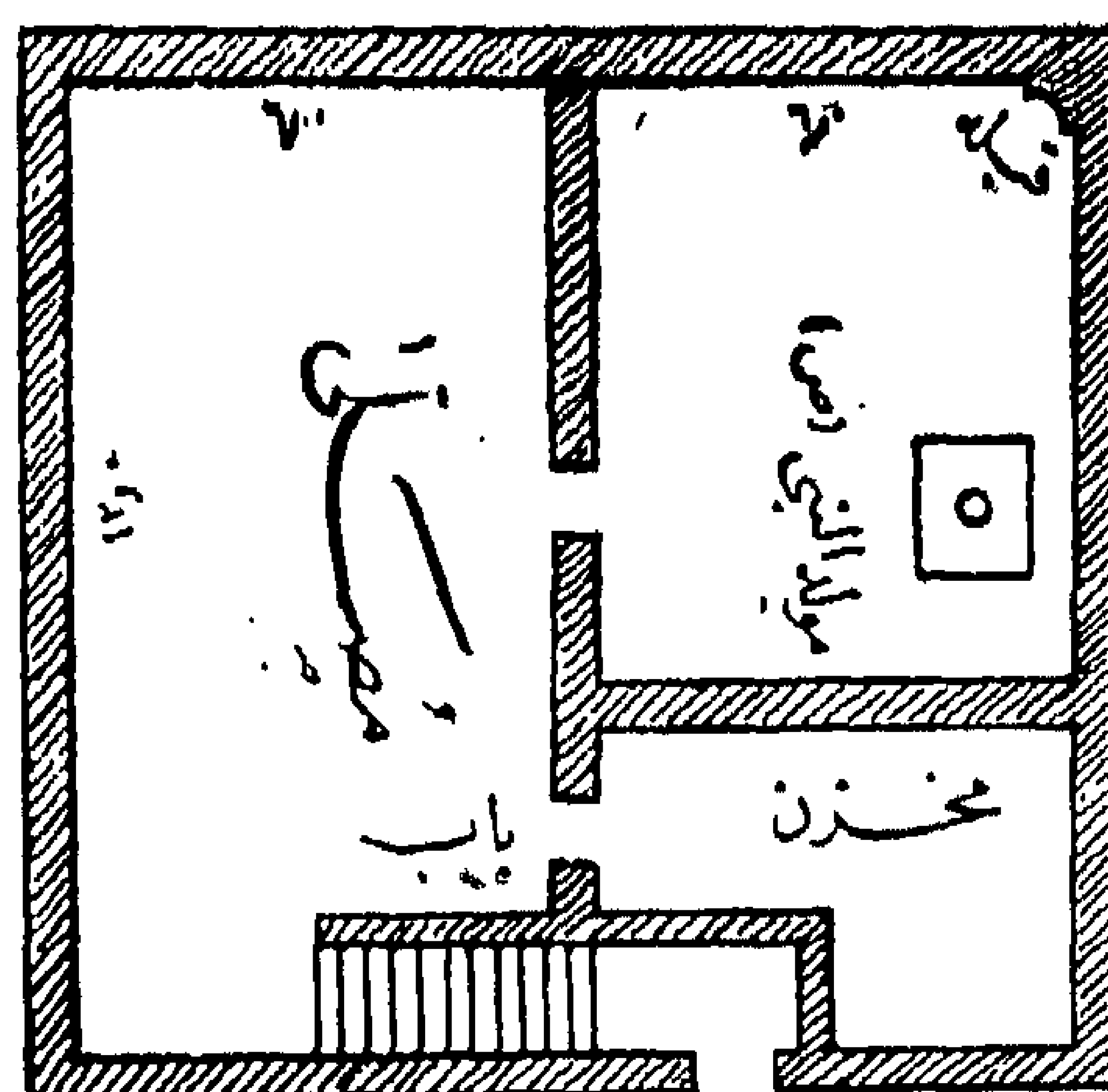
مولد الرسول صلى الله عليه وسلم — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بشعب بنى عامر شرقى مكة وهو مكان قد آرتفع الطريق عنه بنحو متر ونصف وينزل اليه بواسطة درج من الحجر يوصل الى باب يفتح الى الشمال يدخل منه الى فناء يبلغ طوله نحو آثنى عشر مترا فى عرض ستة أمتار وفى جداره الأيمن (الغربى)

باب يدخل منه الى قبة فى وسطها (يميل الى الحائط الغربى) مقصورة من الخشب داخلها رخامة قد تقعر جوفها لتعيين مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهـذه القبة والفناء الذى خارجها يكونان الدار التى ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم (رحلة البتانونى ص ٥٢ طبعة ثانية) ، وجاء فى تاريخ مكة لأبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى المتوفى فى العقد الثانى من المائة الثالثة فى ص ٤٢٢ طبع ألمانيا : أن البيت الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هو فى دار محمد بن يوسف الثقفى أخ الحجاج ، وكان عقيل بن أبى طالب أخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم داره لما هاجر ، وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى عام حجة الوداع لما قيل له : أين تنزل يا رسول الله "وهل ترك لنا عقيل من ظل"؟ ولم تزل الدار بيد عقيل وولده حتى باعها ولده من محمد بن يوسف الثقفى فأدخلها فى داره التى يقال لها البيضاء وتعرف اليوم بدار ابن يوسف ، وبقيت الدار كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون سنة ١٧١ هـ . فجعلت دار الرسول مسجدا يصلى فيه وفصلته من دار ابن يوسف وأشرعته فى الزقاق الذى فى أصل تلك الدار ويقال له : زقاق المولد قال أبو الوليد : إنه سمع جدّه ويوسف بن محمد يثبتان أنه المولد وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة اهـ . ولكن جاء فى المواهب اللدنية أنه اختلف فى مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل : ولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف الثقفى ، ويقال : بالشعب — شعب بنى هاشم — ويقال : بالردم ، ويقال : بعسفان اهـ . هذا وقد جاء برحلة العياشى (ص ٢٢٥ ج ١) بعد أن ذكر خلاف أهل السير فى مولده صلى الله عليه وسلم ما يأتى : والعجب أنهم عينوا محلا من الدار مقدار مضجع وقالوا له : موضع ولادته صلى الله عليه وسلم ، ويبعد عندى كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف لما تقدّم من الخلاف فى كونه بمكة أو غيرها وعلى القول بأنه فيها ففى أى شعابها وعلى القول بتعيين هذا الشعب ففى أى الدور ، وعلى القول بتعيين الدار ، فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار بعد مرور الأزمان والأعصار وانقطاع الآثار والولادة وقعت فى زمن الجاهلية

وليس هناك من يعتنى بحفظ الأمكنة ولا سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ، و بعد مجىء الإسلام قد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بتقييد الأماكن التى لم يتعلق بها عمل شرعى لصرفهم اعتناءهم رضوان الله عنهم لما هو أهم من حفظ الشريعة والذب عنها بالسنان واللسان ، وكان ذلك هو السبب فى خفاء كثير من الآثار الواقعة فى الاسلام من مساجده عليه السلام ومواضع غزواته ومدافن كثير من أصحابه مع وقوع ذلك فى المشاعر الجليلة ، فما بالك بما وقع فى الجاهلية لا سيما ما لا يكاد يحضره أحد إلا من وقع له كمولد علىّ ومولد عمر ومولد فاطمة رضى الله عن جميعهم ، فهذه الأماكن مشهورة عند أهل مكة فيقولون هذا مولد فلان هذا مولد فلان ، وفى ذلك من البعد أبعد من تعيين مولده صلى الله عليه وسلم اوقوع كثير من الآيات ليلة مولده صلى الله عليه وسلم فقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الآيات وان كانوا أهل جاهلية ، وأما مولد غيره ممن ولد فى ذلك العصر فتكاد العادة تقطع بعدم معرفته إلا أن يرد خبر عن صاحب الواقعة بتنبهه أو أحد من أهل بيته اه . كلامه (يلاحظ أن العياشى كتب رحلته فى حجتيه سنة ١٠٥٩ و سنة ١٠٦٤ هـ) . وقد جاء فى كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتقى الفاسى الذى كتبه فى العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة وصف مولد الرسول وقال بعد الوصف : وقد خفى علينا كثير من عمارته والذى علمته من ذلك أن الناصر العباسى عمّره فى سنة ٥٧٦ هـ . ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٦٦ هـ . ثم حفيده المجاهد سنة ٧٤٠ هـ . وفى سنة ٧٥٨ هـ . من قبل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر ، وفى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر باشارة مدير دولته يلبغا الخاسكى سنة ٧٦٦ هـ . وفى آخر سنة ٨٠١ هـ . وفى أول التى بعدها من المال الذى أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة ، وكانت عمارة هذا المولد بعد موته اه . وقد جدّد القبة التى على موضع الولادة السلطان سليمان خان سنة ٩٣٥ هـ . وفى سنة ٩٦٣ هـ . أهدى هو أيضا ثلاثة قناديل ذهبا منها اثنان للكعبة والثالث يعلق بالمولد ، وقد علقت بيد الشريف أبى نمىّ .



رسم نظري تقريبي لبيت السيدة خديجة المشهور بمولد السيدة فاطمة (بمكة)



رسم نظري تقريبي لمولد النبي (ص) او دار عبد الله بن عبد المطلب (بمكة)

71. The birthplace of the Prophet and the house of Sayyeda Khadija, Mecca.

وفى سنة ١٠٠٩ ﻫ . أمر السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان بعمارة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، و بنى فى أعلاه قبة عظيمة ومنارة ، ووقف عليه وقفا بالديار الرومية ورتب له مؤذنا وخادما و إماما ، وجعل لكل شيء معين يحمل إليه كل عام ، ثم جعلت له السلطنة العثمانية مدرسا يدرس فيه و يتقاضى مرتبا فى نظير ذلك أنظر (المئذنة والقبة متجاورتين فى وسط الرسم ٦٦ وانظر الرسم النظرى ٧١) .

دار خديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة رضى الله عنهما — هذه الدار بزقاق الحجر بمكة ويقال له أيضا : زقاق العطارين على ماذكره الأزرقى وتعرف بمولد فاطمة رضى الله عنها لكونها ولدت فيها هى وإخوتها أولاد خديجة من النبى صلى الله عليه وسلم . وذكر الأزرقى : أن النبى صلى الله عليه وسلم بنى بخديجة فيها وأنها توفيت فيها ، ولم يزل النبى صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر الى المدينة فأخذها عقيل بن أبى طالب ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا يصلى فيه ، ولكن ذكر فى موضع آخر أن معتبا بن أبى لهب أخذ بيت خديجة فباعه من معاوية بمائة ألف درهم وهذا يخالف ما ذكره من أن عقيلا أخذ بيتها وباعه من معاوية والله أعلم بالصواب ، وهذه الدار الآن قد ارتفع عنها الطريق فينزل اليها بجملة درجات توصل الى طرقة على يسارها مسطبة مرتفعة عن الأرض بنحو ٣٠ سنتيا ومسطحها نحو عشرة أمتار طولا فى أربعة عرضا ، وفيها مكتب يقرأ فيه الصبيان القرآن الشريف وعلى يمينها باب صغير يصعد إليه بدرجتين يدخل منه الى طرقة ضيقة عرضها نحو مترين ، وفيها ثلاثة أبواب الذى على اليسار لغرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولا فى أقل منها عرضا ، وهذا المكان كان معدّا لعبادته صلى الله عليه وسلم ، وفيه كان ينزل الوحى عليه ، وعلى يمين الداخل إليه مكان منخفض عن الأرض يقال : إنه كان محل وضوئه صلى الله عليه وسلم ، والباب الذى فى قبالة الداخل الى الطرقة يفتح على مكان أوسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار فى عرض أربعة وهو المكان الذى كان يسكنه النبى صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضى الله عنها ، أما الباب الذى على اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار فى طول

نحو سبعة أمتار ونصف ، وفى وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذى ولدت فيه السيدة فاطمة رضى الله عنها — لا تنس ما أسلفناه فى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم للعياشي — وفى جدار هذه الغرفة الشرقى رف موضوع عليه قطعة من رحى قديمة يقولون : إنها من رحى السيدة فاطمة التى كانت تستعملها فى حياتها ، وعلى طول هذا المسكن والطرقة الخارجة والمسطبة من جهة الشمال فضاء مرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر مترا ، وعرضه سبعة أمتار ، وأظن أنه المكان الذى كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها انظر (الرسم ٧١) . هذا وصف الدار على ما جاء برحلة البتانونى (ص ٥٣) وهو ما شاهدناه ثم قال البتانونى بعد ذلك هذه الدار التى كانت مقترا له صلى الله عليه وسلم ومحل إقامته فى مكة ومبعثه إلى الخلق كافة اذا أنعمت بها نظرك وأمعنت فيها فكرك لا تراها إلا «البساطة» بنفسها ، دار تحتوى على أربع غرف ؛ ثلاث داخلية منها : واحدة لبناته ، والثانية له ولزوجه ، والثالثة له ولربه ، والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس ؛ بالله ما هذا الترتيب الجميل وما هذا النظام البديع ! اه .

وقد جاء فى كتاب شفاء الغرام للفاسى وصفه لدار خديجة عن مشاهدته وهو مخالف للشكل الذى نراها عليه الآن قال : غالب هذه الدار الآن على صفة المسجد لأن فيها رواقا فيه سبعة عقود على ثمانى أساطين — أعمدة — فى وسط جدره القبلى ثلاثة محاريب وفيه ست وعشرون سلسلة فى صفين وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات ، وبين هذين الرواقين صحن ، والرواق الثانى أخصر من الرواق المقدم لأن بقربه بعض المواضع التى يقصدها الناس بالزيارة فى هذه الدار وهى ثلاثة مواضع ، الموضع الذى يقال له : مولد فاطمة رضى الله عنها ، والموضع الذى يقال له : قبة الوحى وهو ملاصق لمولد فاطمة ، والموضع الذى يقال له : المختبأ وهو ملاصق لقبة الوحى ، زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الحجارة التى يرميه بها المشركون والله أعلم بحقيقة ذلك ، وذرع الموضع الذى يقال له : المختبأ أربعة أذرع وثلث ذراع ، وذلك من الجدر الذى فيه المحراب الى الجدر المقابل له وهو طرف جدر

قبّة الوحى الغربى هذا ذرعه طولا ، وذرعه عرضا ثلاثة أذرع وثلثا ذراع ، وذلك من الجدر الذى فيه بابه الى الجدر المقابل له ، وذرع الموضع الذى يقال له : قبّة الوحى من الجدر الذى فيه بابه الى الجدر المقابل له ثمانية أذرع وثلثا ذراع هذا ذرعه طولا ، وأما ذرعه عرضا فثمانية أذرع ونصف بذراع الحديد المقدّم ذكره ، والموضع الذى يقال له مولد فاطمة طوله خمسة أذرع إلا ثمن ، وعرضه من وسط جدره ثلاثة أذرع وثلاثة أثمان الذراع ، وفى هذا الموضع موضع صغير يشبه بركة مدوّرة ، وسعتها طولا من داخل البناء المحوط عليها ذراع وعرضها كذلك ، وفى وسطها حجر أسود يقال : أنه مسقط رأسها ، وذرع الرواق المقدّم من هذه الدار من وسط جدريه على الاستواء ثمانية وثلاثون ذراعا هذا ذرعه طولا ، وذرعه عرضا سبعة أذرع وربع ، وذرع ما بين كل اسطوانتين منه خمسة أذرع وربع ، وذرع الرواق المؤخر من هذه الدار من جدر قبة الوحي الى الجدر المقابلة له ثلاثة وعشرون ذراعا ، هذا ذرعه طولا ، وذرعه عرضا عشرة أذرع وكان تحرير ما ذكرنا من ذرع المواضع بذراع الحديد (٥٧ سنتيا تقريبا) كله بحضورى ، وعلى باب هذه الدار مكتوب أنها عمرت فى خلافة الناصر العباسى وفى زمن الملك الأشرف ابن شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون صاحب مصر ، وفى الرواق المقدّم من هذه الدار أن المقتدى العباسى أمر بعمله ، وعمر بعض هذه الدار فى أوّل دولة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق من المال الذى أنفذه أبوه لعمارة المسجد الحرام وغيره ، ولم يعمر ذلك إلا بعد موته فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها ، ومما عمر فى هذا التاريخ من هذه الدار الموضع المعروف بقبة الوحى بعد سقوطه ، وبلغنى أن القبة الساقطة كانت من عمارة الملك المظفر صاحب اليمن رحمهم الله تعالى ، وإلى جانب هذه الدار حوش كبير على بابه حجر مكتوب فيه : إن هذا الموضع مربد مولد فاطمة رضى الله عنها ، وأن الناصر العباسى عمره ووقفه على مصالح دار خديجة التى إلى جانبه . اهـ .

وهذا الوصف فى العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة . هذا وتجد مكتوبا بالحروف البارزة على لوح من الرخام وضع فى حائط الطرقة الخارجية على يسار الداخل.

ما يأتى (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة مربد مولد الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيدنا ومولانا الإمام المفترض للطاعة على الخلق أجمعين الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وجعل منافعه ومستغلاته وأجره عائدا على مصالحه ثم على مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوى على ما يرى الناظر المتولى له فى ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المربد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك ابتغاء وجه الله تعالى وطلبا لثواب الدار الآخرة ، تقبل الله ذلك منه وجزاه عليه أجر المحسنين ، وذلك على يد العبد الفقير الى رحمة الله تعالى على بن أبى البركات الذورانى الانبارى فى سنة أربع وستمائة ، ومن غيّر ذلك أو بدّله عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين) وقد عمر الدار السلطان سليمان فى سنة ٩٣٥ هـ . وفى هذه الدار صفيحة من حجارة مبنى عليها فى جدر البيت الذى كان يسكنه النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد اتخذ أمام الصفيحة مسجدا ، وهذه الصفيحة مرتفعة فى الجدر عن الأرض قدر ما يجلس تحتها الرجل ، وذرعها ذراع فى ذراع وشبر ، ويقولون : إن هذه الصفيحة كان يستتر بها الرسول من الحجارة التى ترمى عليه من دار أبى لهب ودار عدى بن الحمراء ، ولكن هذا لم يسمع من ثقة ، وأصح ما انتهى إليه الخبر أن أهل مكة كانوا يتخذون فى بيوتهم صفائح من حجارة تكون شبه الرفاف يوضع عليها المتاع والشىء من الصينى والداجن يكون فى البيت ، فقل بيت يخلو من تلك الرفاف فالصفيحة التى فى دار خديجة من هذا القبيل (ص ٤٢٣ أزرقى) .

دار الأرقم الشهيرة بدار الخيزران — هذه الدار فى زقاق على يسار الصاعد إلى الصفا وبابها يفتح إلى الشرق ويدخل منه إلى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار فى عرض أربعة وعلى يسارها « إيوان » مسقوف على عرض نحو ثلاثة أمتار ، وفى وسط الحائط التى على يمينها باب يدخل منه الى غرفة طولها ثمانية أمتار فى عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصير ، وفى زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان

أحدهما فوق الآخر مكتوب فى أعلاهما بالحرف البارز : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ هذا مختبأ رسول الله ودار الخيزران وفيها مبتدأ الإسلام ، أمر بتجديده الفقير الى مولاه أمين الملك مصلح ابتغاء ثواب الله ورسوله ولا يضيع أجر المحسنين) ومكتوب فى الثانى بسم الله الرحمن الرحيم : (هذا مختبأ رسول الله المعروف بدار الخيزران أمر بعمله وإنشائه العبد الفقير لرحمة الله تعالى جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن على ابن أبى منصور الأصفهانى وزير الشام والموصل الطالب الوصول الى الله تعالى الراجى لرحمته أطال الله فى الطاعة بقاه وأناله فى الدارين مناه فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة) « رحلة البتانونى ص ٥٥ » . وقد جاء فى شفاء الغرام للفاسى : أن طول المسجد (الحجرة التى على اليمين) الذى فى هذه الدار ثمانية أذرع إلا قيراطين، وعرضه سبعة أذرع وثلث وأنه مكتوب فيه ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ : هذا مختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الخيزران وفيه مبتدأ الإسلام أمر بتجديده الفقيرة الى الله مولاة أمير الملك مفلح سنة ست وذهب بقية التاريخ) فتجد فرقا فى هذه العبارة والعبارة السابقة ، وقال بعد ذلك : وعمره أيضا الوزير الجواد، وعمرته مجاورة يقال لها : مرة العصمة ، وعمر أيضا فى سنة ٨٢١ هـ . والذى أمر بهذه العمارة ما عرفته . والمتولى لصرف النفقة فيها علاء الدين على بن ناصر محمد بن الصارم المعروف بالقائد . اهـ .

ودار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى كان يجتمع فيها المسلمون سرا يتعلمون الدين ويقيمون الشعائر حتى أسلم عمر رضى الله عنه وعزّ به الاسلام وجهر المسلمون بدينهم، وكان إسلام عمر بدار الأرقم : وها نحن أولاء ننقل اليك عن سيرة ابن هشام قصة إسلامه لما فيها من العبر والمواعظ قال ابن اسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبدالله النحام قد أسلم وكان يخفى إسلامه فرقا — خوفا — من قومه، وكان خَبَّابُ بن الأَرَتّ

يختلف — يذهب — الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكر له أنهم اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبدالمطلب وأبو بكر بن أبى قحافة الصدّيق وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة ، فلقيه نعيم بن عبدالله فقال له : أين تريد ياعمر؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسبّ آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسك من نفسك ياعمر ! أترى بنى عبدمناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُك (١) وابن عمك سعيد بن زيد ابن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما ، قال : فرجع عمر : عامدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر تغيّب خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليها فلما دخل قال : ما هذه الهينمة التى سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى ! والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك ، قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال : لاتخافى وحلف لها بآلهته ليردّنها اذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت له : يا أخى إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها

(١) الختن محركة : الصهر وكل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

(طه) فقرأها ، فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له يا عمر : والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الاسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر آبن الخطاب فالله الله ياعمر: فقال له عند ذلك عمر: فدلني ياخباب على محمد حتى آتيه فأسلم ، فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا — بيت الأرقم — معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عَمَد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يارسول الله : هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ، فقال حمزة آبن عبد المطلب : فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إئذن له ، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة فأخذ بِحُجْزَته — حجزة الإزار معقده — أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة — جذبه — وقال : ما جاء بك يا آبن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر : يارسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم ، فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوّهم ؛ فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم . اهـ .

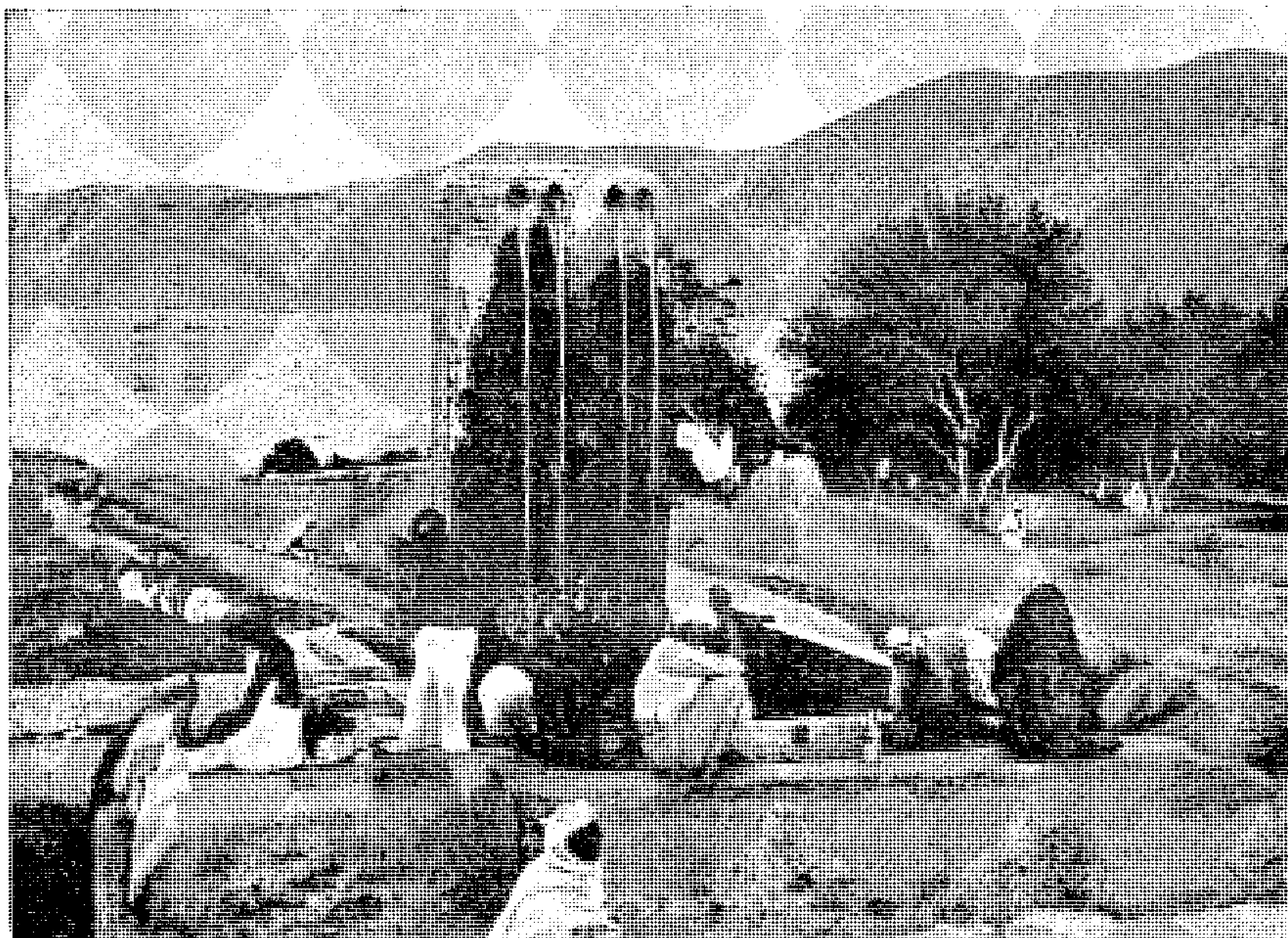
بستان دولة شريف مكة — هو حديقة غناء بجهة جرول مستطيلة الشكل طول ضلعها البحري ٢٧٠ مترا ، والغربي ١٨٠ مترا وآرتفاع سورها المحيط بها متران ، وفي وسطها خزان للماء مربع الشكل طول ضلعه ٦١ مترا ، وسمك حائطه من الأعلى ثلاثة أمتار وربع ، وآرتفاعه أربعة أمتار ، وهو مبنى بالحجر الأزرق وجدره من

الداخل والخارج مجصصة بالجير المخلوط بمسحوق الآجر، ويصعد إليه من الجهة الشمالية أولا على أربع درجات ثم بعدها ١٦ درجة عن اليمين ومثلها عن اليسار، فله سلمان بعد الأربعة الأولى، وفى آخر السلم درجة كبيرة فى مستوى أعلى الخزان والسلم مصنوع من حجر متين زادته الصنعة رونقا وجمالا وفى زوايا الخزان الأربع من الداخل درج منتظم على شكل ربع الدائرة، كل زاوية فيها ١٤ درجة طول العليا منها متر والسفلى ستة أمتار ونصف، وهذا الدرج للنزول منه الى قاع الخزان، وفى منتصف كل جدار من جدر الخزان بحذاء الأرض فتحتان ارتفاع كل فتحة ثلاثة أرباع المتر فى عرض نصفه وذلك لتصريف المياه منها الى البستان، وهذا الخزان الكبير لا مثيل له فى الأقطار الحجازية لهذا عنينا بوصفه . وبالبستان أيضا خزانان بينهما أربعة أمتار ارتفاع كل منهما ستة أمتار وبأعلى كل منهما فتحتان تقذفان المياه الى بركة يشرب منها الناس ويغسلون أوانيهم وثيابهم ويغتسلون منها، وترى الماء حين نزوله أبيض اللون يمثل قطعا فضية تلاحق رميها ؛ وإنه لمنظر جميل فى بلاد قفرة قلت فيها المياه .

والمزروع من أرض البستان نحو الربع، وفيه شجر الجوافة والجوز الهندى والبرتقال والليمون والنخيل والعنب والورد والبرسيم الحجازى والكرنب والكرات والباذنجان والطماطم الى غير ذلك، ولا يفوتنا ذكر ما فيه من شجر الكادى الذى يستخرج منه عطر الكادى ذو الرائحة الجميلة، وشكل الشجرة كالصبارة إلا أن طولها يفوق المترين ولها جذوع كثيرة ضاربة فى الأرض، وورقها عريض أشبه بسعف النخل من جانبه العريض وله شوك كثير .

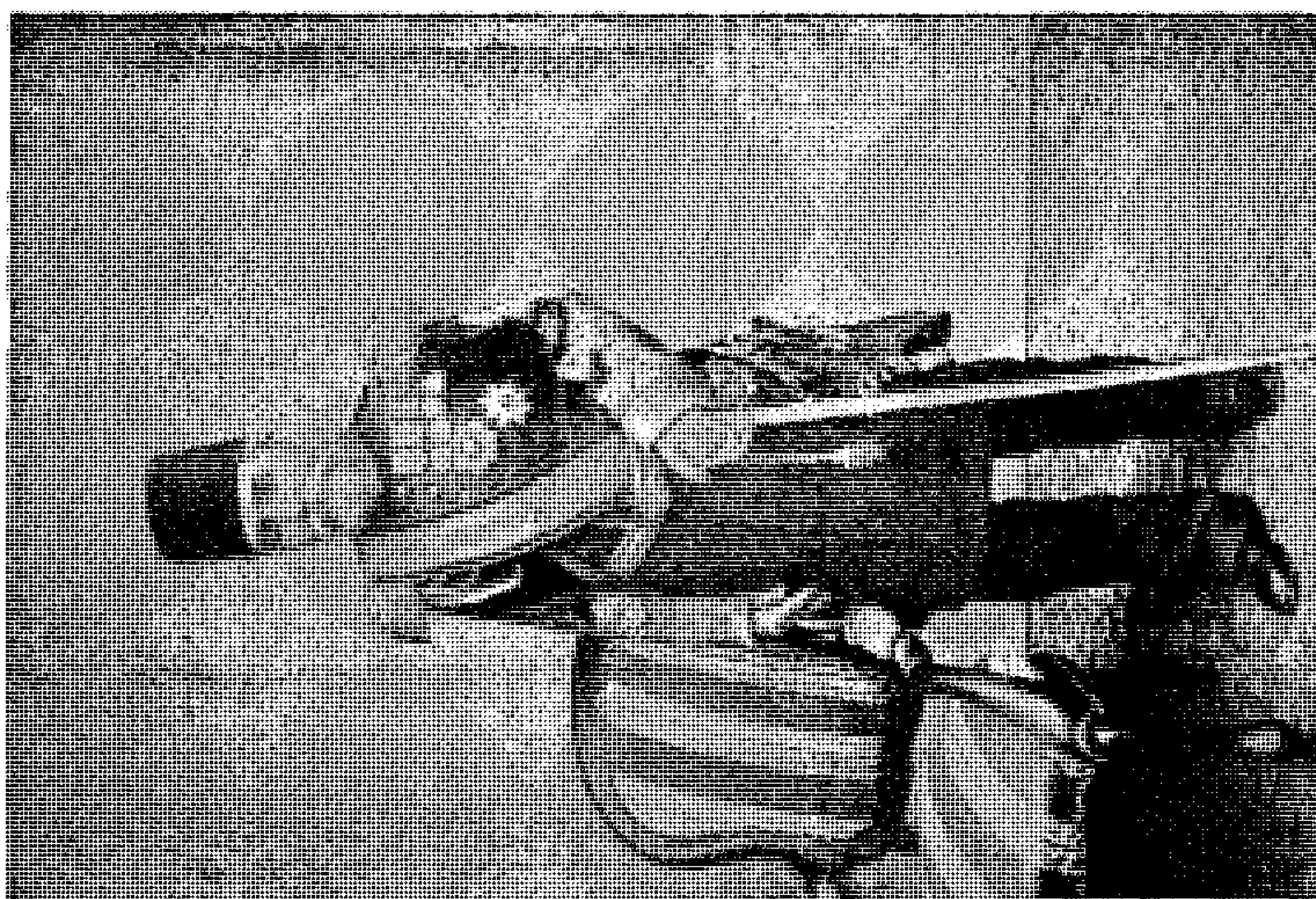
وقد أذن لنا دولة الشريف بدخوله والاستظلال بشجره فى ساعات القيلولة، وكان معسكرنا بحذائه وشدت طنب بعض الخيام بجداره . وقد تناولنا من الجوافة التى كانت به وقت لبثنا بمكة : انظر (الرسم ٧٢) وترى فيه الناس وهم يأخذون المياه ويغتسلون، وقد بلغنى أخيرا أن هذا البستان محى أثره بعد وفاة منشئه الشريف عون

حديقة الشريف عون الرفيق وبها منحدر مياه من عين زبيده



72. The garden of El Sherif Oun El Rafik with a water-fall from the well of Zobeidah.

المشير عثمان باشا نوري العادل



73. El Moshir Osman Pash Noury, the Wali of El Hejaz

الرفيق باشا فتحقق بذلك المثـل "الجزاء من جنس العمل" وذلك أن والى مكة العادل المشـير عثمان نورى باشا (١) كان قد أنشأ بالقرب من معسكر المحمل بستانا بهجة للناظرين فيه من الأشجار أجملها ومن الثمـار أطيبها وأباحه لأهل مكة يتنزهون فيه و يستظلون بوارف ظله ، وكان أول ما أنشئ بمكة من متنزهات ، فما كان من الشريف إلا أن سعى به لدى الخليفة فعزله ، وأمر بإزالة البستان الذى أنشأه وأنفق عليه الآف الجنيهات .

تأثير السيول فى مبانى مكة — إن مكة فى واد تحف به الجبال فاذا هطلت الأمطار بشـدّة تجمعت فى الأودية بسرعة وهرعت الى مكة فكوّنت فى كثير من أماكنها بحيرات ترى البيوت فيها أشبه بالجزر، واذا علمت أن المسجد الحرام وطئ عن الشوارع بنحو ثلاثة أمتار أدركت أنه عند طغيان السيول يتحوّل الى بحيرة بعيدة الغور، لذلك تنبغى العناية بتأسيس البيوت حتى لا يجرفها السيل أو يأتى عليها من قواعدها ، وللسيول بمكة حوادث غريبة دعتنا الى أن نسطر لك بعضها .

ففى زمن جرهم أيام كانوا ولاة البيت جاء سيل جارف هدم الكعبة فبنته جرهم على قواعد اسماعيل، وكان البانى رجلا أزديا يدعى أبا الجارود .

---

(١) ولى أمر الحجاز لأوّل مرة سنة ١٢٩٩ هـ . وهو رجل ذكى شهم سياسى تحيل فى القبض على الشريف عبـد المطلب الذى هم بالخروج على الدولة فعزلتـه من إمارة مكة وولت مكانه عون الرفيق باشا وقد وشى هذا بعثمان نورى باشا لما أن غل يده عن المكوس والمظالم التى كان يتقاضاها من العربان والحجاج ، فعزل بالوشاية بعـد خمس سنوات وعين واليا على اليمن ثم أعيد الى ولاية الحجاز وقد أصلح مجرى عين زبيدة وعمل فيها صنابير (حنفيات أو بازانات) وهو الذى أنشأ ديوان الحميدية ودار البريد والثكنات العسكرية بمكة وجدّة وأنشأ سور ينبع ، وقد أنشاء الحديقة المذكورة فى ولايته الثانية ولم يكن موضعها مقبرة و إنما كان فضاء واسعا ، ولما آمتلأت نفس عون منه خرج الى المدينة فى جمع من علماء مكة وأشرافها وضم إليه علماء المدينة وأشرافها وكتبوا الى السلطان يطعنون فى الوالى وأنه يكره الأشراف ويسبهم و يهينهم و يحتقرهم و إنه حوّل مقبرة المسلمين الى متنزه ، فما كان من السلطان إلا أن عزل العادل المصلح ، وكان خليقا بأمير المؤمنين أن يتبين فى قول الشريف كما أمر الله فى كتابه وأن لا يحكم على متهم إلا بعد آستجوابه وآستماع قوله .

(أنظر الوالى فى الرسم ٧٣)

وفى زمن خزاعة جاء سيل عظيم دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ورمى بالشجر وجاء برجل وآمرأة ميتين، فعرفت المرأة وكانت بأعلى مكة يقال لها : قارة وسمى السيل باسمها ولم يعرف الرجل، فبنت خزاعة بناء حول البيت أداروه وأدخلوا الحجر فيه ليحصنوا البيت فلم يزل ذلك البناء الى زمن قريش .

وفى سنة ٨٠ هـ . نزل سيل عظيم دفعة واحدة ذهب ببعض الحجاج وبأمتعتهم وكان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال والنساء ودخل المسجد فأحاط بالكعبة وبلغ الركن وهدم بيوتا كثيرة انقضت على كثيرين فأماتهم، فرقى الناس الجبال واعتصموا بها وسمى ذلك السيل « سيل الجحاف » وفيه يقول عبد الله بن عمارة

لم ترعينى مثل يوم الاثنين * أكثر محزونا وأبكى للعين
اذ خرج المخبيات يسعين * شواردا الى الجبال يرقين

وفى سنة ١٠٤ هـ . وقع سيل يقال له : المخبل لأنه أصاب الناس بعده مثل الخبال من مرض حدث بهم عقبه فى أجسامهم وألسنتهم، وكذلك حصل سيل آخر فى هذه السنة .

وفى سنة ٢٠٨ هـ . حدث سيل عظيم أحاط بالكعبة وبلغ الباب والحجر الأسود وهدم أكثر من ألف دار ومات به أكثر من ألف ملأ المسجد والوادى بالطين والبطحاء وذهب بصناديق الباعة فألقى بها فى المسفلة ، وفى ذلك كتب عبيد الله آبن الحسن الى المأمون يستنجد به : « يا أمير المؤمنين إن أهل حرم الله تعالى وجيران بيته وألّاف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت جرياته فى هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأموال وجرف الأثقال حتى ما ترك طارفا ولا تالدا للراجع اليها فى مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والأجداد، فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم وإحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك على الشكر منهم » فوجه المأمون اليهم الأموال الكثيرة وكتب اليه (أما بعد، فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله الى

أمير المؤمنين فبكاهم بعين رحمته وأنجدهم بصيب نعمته وهو متبع لما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله فى تثبيت نيته على عزمه) فكان كتابه أسر لأهل مكة مما بعث اليهم .

وفى سنة ٢٥٣ هـ . دخل مكة سيل عظيم أحاط بالكعبة وقارب الحجر الأسود وهدم دورا كثيرة وملأ المسجد غُثَاءً حتى جرف بالعجلات .

وفى سنة ٣٤٩ هـ . لما برز الحج قافلا جاءهم سيل فأخذهم عن آخرهم وألقى بهم فى البحر وما أتى مصر منهم أحد نسأل الله العافية .

وكذلك حدثت سيول فى سنى ٥٥٩ و ٥٧٣ و ٦٥٠ و ٦٦٩

وفى سنة ٧٣٣ هـ . فى آخر ذى الحجة وقعت أمطار وصواعق منها صاعقة على أبى قبيس قتلت رجلا، وثانية بالخيف قتلت رجلين، وثالثة بالجعرّانة قتلت رجلين أيضا .

وفى سنة ٧٣٨ هـ . وقعت سيول جاء معظمها من وادى إبراهيم ودخلت المسجد وعلت على العتبة قدر شبرين، ودخل المطر قناديل المطاف وهدم ما يربو على ٨٠٠ دار وغرق ناس ومات آخرون تحت الأنقاض .

وفى سنة ٧٥٠هـ . نزل مطر وصاعقة وريح سوداء أوقعت جميع الأعمدة المتجدّدة حول المطاف التى جدّدها فارس المدين فى سنة ٧٤٩ هـ . ولم يبق منها إلا عمودان .

وفى سنة ٨٠٢هـ . نزل سيل كأفواه القرب جعل فى مكة بحرا زاخرا وملأ المسجد الحرام حتى كان عمقه خمسة أذرع ودخل الكعبة من شق بابها وأسقط عمودين بما عليهما وهدم دورا كثيرة ومات به نحو ٦٠ شخصا ما بين غرقى وهدمى .

وفى سنة ٨٢٥ هـ . وقع مطر عظيم صحبته صاعقة أماتت أربعة أشخاص .

وكذلك حصلت سيول فى سنى ٩٧١ و ٩٨٣ و ١٠٢١ و ١٠٢٤ و ١٠٣٣

وفى سنة ١٠٣٩ هـ . نزل مطر شديد أمات نحو ١٠٠٠ شخص فى يوم وليلة ودخل المسجد الحرام وبلغ طوق القناديل وأسقط الجانب الشامى من الكعبة بوجهه

وأخذ معــه من الجدار الشرقى الى البــاب، ومن الغربى من الوجهين نحو السدس ودخل بيوتا فأخرج منها الأمتعة وذهب بها الى المسفلة .

وفى سنة ١٠٧٣ هـ . نزل مطر شديد وصل من المسجد الحرام الى القناديل .

وفى سنة ١٠٩١ هـ . أمطرت السماء مطرا لم يشاهد مثله خرّب أكثر البيوت خصوصا ما كان بسوق الليل والمسفلة والأطراف المنحدرة، ودخل المسجد الحرام وبلغ الى نصف الكعبه، وكان ذلك اليوم يوم خروج الحج المصرى ففرق المسافرين، ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل به الى الحرم فلم يزل السيل يدفعه — وقد انقطع حمله — حتى رقى على منبر الخطيب ولم يزل به الى الصبح من اليوم الثانى وقد أرّخ بعضهم هذا السيل بقوله (طغى المــاء) .

وفى ســنة ١٠٩٣ هـ . عملت فى المسفلة (أسفل مكة) قناة عظيمة لتصرف السيل الى بركة ماجن .

وفى يوم السبت ٢١ ذى الحجة من سنة ١٣٢٥ (٢٥ يناير سنة ١٩٠٨) فى ضحى الرابعة نزل مطر شديد وجرى السيل من كل جهات مكة بشكل لم يسبق له مثيل منذ ٣٣ سنة على ما بلغنى، وكان السيل أشبه بمــاء النيل المنحدر وكان عرضه وهو ينحدر من جبال جياد نحو ٥٠ مترا وسمعنا دوى صاعقة بجيــاد مثلت صوت جملة من المدافع الضخمة أطلقت فى لحظة واحدة، وقد ملأ الشوارع حتى كان عمقه فى شارع وادى ابراهيم مترين تقريبا، ولذلك دخل المسجد الحرام من أبوابه وانقطع المرور من الطرق إلا بالسباحة، وكنت ترى الشقادف ورحال الإبل سابحة فى المــاء وتســمع دويا للمــاء كأنك أمام القناطر الخيرية وقد فتحت عيونهــا وتجد الناس فى (الرسم ٧٤) وقد خرجوا من المسجد الحرام من باب الرحمة يستعدّون لاجتياز هذه المياه وقد كشفوا عن سوقهم ورفعوا ثيابهم الى ركبهم ودون ذلك وأكثر.

الحجاج يجتازون السبيل بمكة سنة ١٣٢٥

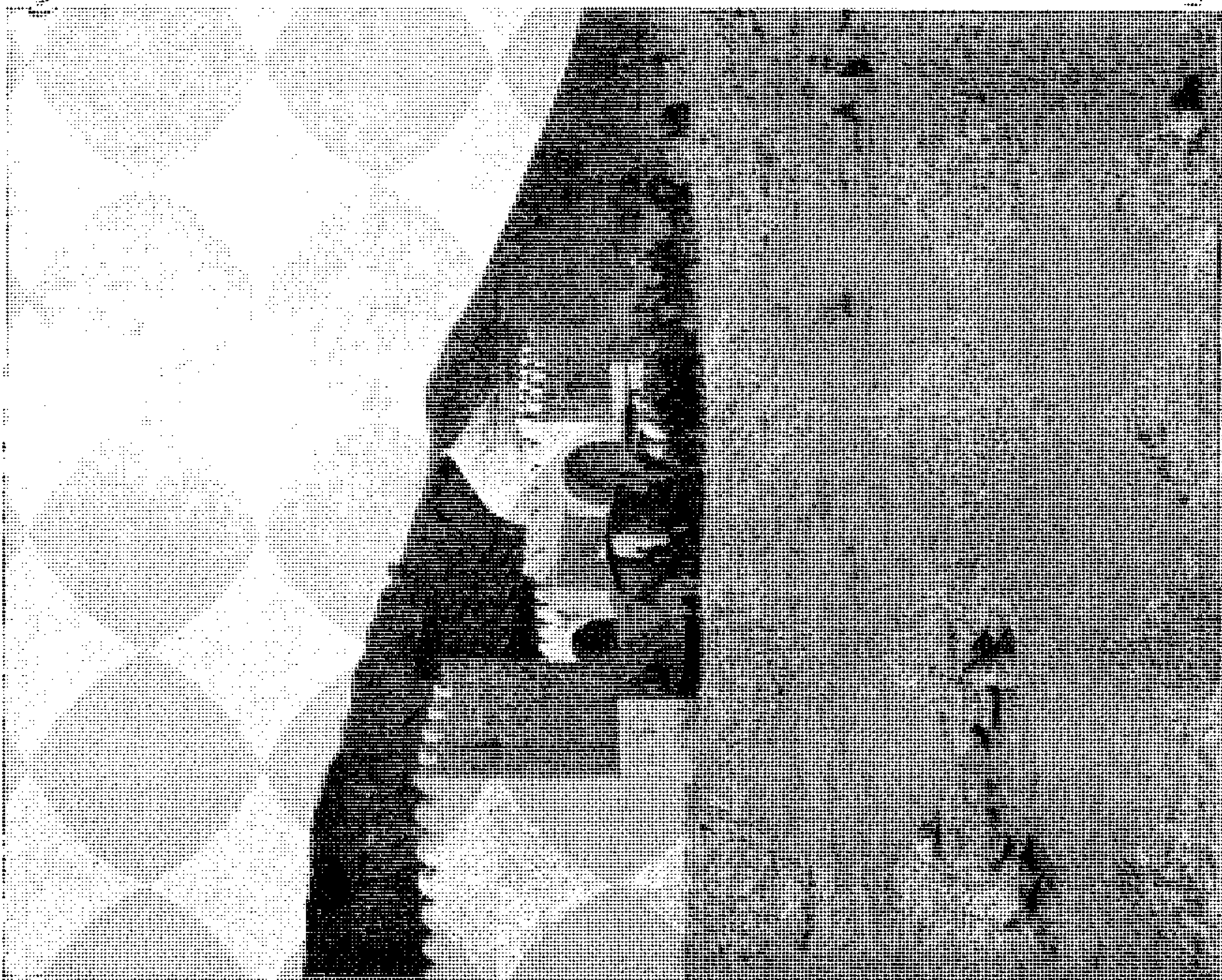


74. A photo of the pilgrims passing through El Sabil in Mecca in 1325.

[illegible]

صحيفة ٢٠٥

مسجد ومقام السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بسرف بين مكة والمدينة



75. Mosque & Mausoleum of El Sayyeda Maymuna, wife of the Prophet Mohamed, at Sarif between Mecca & Medina.

سكان مكة — قال تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً(١) لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ وقال ﴿ سَوَآءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ(٢) ﴾ لهذا هرع المسلمون من أقطارهم المختلفة الى الاقامة بمكة المكرمة احتماء بحرم الله وابتغاء لفضل الله ورضوانه وقصد التجارة للدنيا والآخرة. وذلك من يوم أن انتشر الاسلام فى أطراف المعمورة الى يومنا هذا .

وقد كان من أثر ذلك أن كان المكيون من أجناس مختلفة وأمم متباينة ؛ فمنهم المكىّ الصميم ، ومنهم أعراب البوادى الذين توطنوا مكة يمنيين وحضرميين وحجازيين ونجديين ، ومنهم الهنود والجاوة والبخاريون والأفغان والأعجام والشوام والأتراك والمصريون والسودانيون والمغاربة وكثير غيرهم من الأمم الاسلامية ، ولما كان للغربة والهجرة أثر كبير فى الجدّ والنشاط كان معظم التجارة بأيدى الأغراب ، فالأشياء الثمينة والبيوت التجارية العظيمة بأيدى أولئك .

قال صديقنا الفاضل لبيب بك البتانونى فى رحلته : ومن اختلاط هذه الأجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة أو المعاشرة صار سواد أهل مكة خليطا فى خَلْقهم وخُلُقهم، فتراهم قد جمعوا الى طبائعهم وداعة الأناضولى وعظمة التركى واستكانة الجاوى وكبرياء الفارسى ولين المصرى وصلابة الشركسى وسكون الصينى وحدّة المغربى وبساطة الهندى ومكر اليمنى وحركة السورى وكسل الزنجى ولون الحبشى ، بل تراهم جمعوا بين رقة الحضارة وقشف البداوة ، فبينا ترى الرجل منهم قد آنسك برقة حديثه معك وضعته بين يديك إذ هو قد استوحش منك وأغلظ فى كلامه حتى كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه على طبيعة الحضارة فلم يطق ما تكلفه فى حضرتك .

وقد وصل هذا الخلط الى أزيائهم التى تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية : عمامة هندية وقفطان مصرى وجبة شامية ومنطقة تركية فيها خنجر تراه على الخصوص فى حزام الأشراف مفضضا أو مذهبا بشكل جميل جدا ، وكثيرا

(١) مكانا يثوب الناس إليه ويرجعون .
(٢) المقيم والطارئ .

مايكون مرصعا بالأحجار الكريمة، وقد ترى الصانع الفقير يلبس القميص وعلى طوقه الوشي المشغول بالحرير وعلى رجل سراويله شي يشبه « الركامة » وهو حافى القدم غير أنك لا تلاحظ هذا فى طبقة الأشراف التى ترفعت عن هذا الخليط فلم يؤثر فيهم الغريب ولم يتغلب عليهم خلق جديد، بل أخلاقهم أخلاق عربيـة بحتة هى التى ورثوها عن آبائهم السالفين .

ثم قال : والذى يؤسف له أن هـذا الخلط وصل الى لغتهم فتراهم يتكلمون فى الأكثر بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوّهة أو فارسية أو تركية وهم ينوّنون المضاف فيقولون : فى هذا حق فلان مثلا : هذا حقٌّ فلان مع ابدال القاف جيما مصرية، ومنهم من يمدّ الحرف المنوّن فيقول « هـذا حقون فلان » أو يؤنث لفظه فيقول « حقة فلان » ولا يحذفون النون من الفعل فى صيغة الأمر للجمع فيقولون : « هيا صلون المغرب واركبون » بدل صلوا واركبوا ويسـتعملون الترخيم فى غير المنادى فيقولون : « قم لِعِنا » أى قم لعنـدنا ويقولون : فى الإبل « البِل » بكسر الباء وفى الجبل « البَل » بفتحها ويقولون كِمنًا أى كانا (خلصنا) ويقولون : « وصابتى» فى وامصيبتى، والَّلن فى اليمن، ومما يكثر سماعه منهم قولهم : « دَحِين » فى هذا الحين و « اِزْهَم فلان » فى ادع فلانا، ويعبرون عن الرجل بلفظ « زلمَـة » ويجمعون الرجل على «أوادم» ويقولون «زَكِّنُه» أى فكره أو نبهه وقل كذا أى اعمل كذا ويقولون « أبيض » للاستحسان و « سنِّع » فى اصنع أو أتقن و «آتجعمص» فى اجلس و « فصِّخ حذاك » أى اخلع نعالك، ويقولون : « مِشْلح » للعباءة، و«شاية» للقفطان، و«امرح» : آجر، و«الوَدَن» للفدان من الأرض، «والصُّمادة» للكوفية، و « زكن عليه » أى أكد عليه، و « زِل » بمعنى مر، و « آندر » بمعنى آخرج، و « إلّا » بمعنى نعم، ويسمون الأولاد « البزورة » فيقولون : بزورة فلان أو بزران فلان أى أولاده، ويسـتعملون لفظة « هرِّج » فى معنى كلم فيقولون : ما هرَّجته أى ماكلمته، ويستعملون لفظ « صاقن » التركيـة للتنبيه والاحتراس

و « قربوز » للبطيخ الخ ، وهذا كله مع كثرة أغلاطهم وعدم مراعاة قواعد العربية في النطق والكتابة .

وما كان ينبغي بأم البلاد العربية أن تكون لغة أهلها على هذه الشاكلة ، وكان جديرا بها أن تكون موئل العربية الفصحى ومنهلها العذب كما كانت كذلك فى أيام الجاهلية وصدر الاسلام ، ولكنه الاهمال يذهب بالمجد التليد والعز القديم . وأكثر أهل مكة يعرف التركية ومن المطوفين من يتكلم بلغات مخصوصة كالهندية والأوردية — هندية أيضا — والجاوية والصينية والفارسية وأهل البادية لغتهم عربية بحتة ، ولكن لا تكاد تفهمها ولكل قوم لهجة خاصة ، فمنهم من يقلب القاف زايا فيقول « زربة » فى قربة ، ومنهم من يقلب الكاف سينا فيقول « سواسب » فى كواكب و « سبد » فى كبد الخ .

وسكان مكة يزيدون على ١٢٠ ألفا كلهم مسلمون إذ قد حرم الاسلام أن يقربها مشرك ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا (١) وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً (٢) فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فلم يسكنها مشرك من ذلك العام ، وذلك ليكون مبعث الاسلام ومشرقه الأول بمنجى ممن يدسون للمسلمين الدسائس ويثيرون الفتن ، بل مازال عمر فى خلافته يجدّ حتى طهر جزيرة العرب ممن يدين بغير الاسلام فكانت للمسلمين حصنا حصينا وحرزا منيعا خلا من مثارات الفتن وأهل الأهواء والريب .

عادات المكيين — جاء فى رحلة صديقنا لبيب بك أن من عادات أشراف مكة أن يرسلوا أولادهم وهم فى نعومة أظفارهم الى البادية وخصوصا الى قبيلة عدوان التى فى شرق الطائف وهى قريبة من سعد التى أرضع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينشئون فيها على البداوة التامة مع الأمية الصرفة حتى اذا ترعرعوا عادوا الى مكة وقد تعلموا بعض لغات القبائل وحفظوا من أشعارهم وأخذوا من عاداتهم وأخلاقهم التى من أحسنها الفروسية والحرية فى القول والفعل .

(١) سنة تسع . (٢) فقرا .

ومن عادة الشريف أن يجلس للحكم فى دار الإمارة كل يوم من الساعة الخامسة نهارا الى قبيل العصر فتعرض عليه المسائل العامة .

ومن عادته أن يستقبل صباح الجمعة فى دار الإمارة الوالى وكبار الموظفين والأشراف والوجوه .

ومن عادات المكيين التأنق فى المأكل والمشرب واللباس وتكثر فى لباسهم الألوان الزاهية خصوصا الأخضر والأحمر والأزرق والوردى، وترى فى مساكنهم كثيرا من أدوات الزخرف والزينة والرياش الثمينة ولاسيما البسط العجمية النادرة المثال .

ومن عاداتهم تقديم الشاى فى أى وقت تحية للقادم عليهم وإقامة المآدب فى حفلة يسمونها قَيْلَة ويتفاخرون بكثرة صنوف الطعام، وليس لأطعمتهم نظام مخصوص، فمنها : الهندى والمغربى والشامى والتركى والمصرى ويقعد المدعوون فى هذه الولائم على سماط يمدّ على الأرض ويقدّم اليهم الطعام لونا فلونا، وبعد ذلك يجلسون للسمر أو سماع بعض الأغانى وآلات الطرب كالعود والقانون والرباب ثم ينصرفون وفى الأكثر تكون هذه الحفلات فى ضواحى مكة كالزاهر والشهداء، وهنالك يبكرون اليها ويقضون يومهم فى سرور وألعاب رياضية كالمسابقة بالجرى أو لعب الكرة أو النرد أو الشطرنج .

ولأهل كل حارة من حارات مكة وليمة يقيمونها للشريف كل سنة فى أحد متنزّهاتهم خارج البلد، فيحضر مع خاصته فى موكبه ويتناولون الطعام وتقام الألعاب حتى آخر النهار وبعد فترة من الليل يعود فى موكبه الى مكة .

ومن عاداتهم أن يتناولوا الطعام مرتين فى اليوم فى الضحوة وبعد صلاة العصر، ويتظاهرون بالكرم والشجاعة خصوصا فى شهر رمضان وقد كانوا يفطرون فى المسجد الحرام بعد صلاة المغرب فيمدّون الموائد هناك ولكن أبطل عون الرفيق باشا هذه العادة لما يتبعها من تقذير المسجد وقد أمرنا بنظافة المساجد وتعطيرها، ومن عادة كثير منهم شرط وجنات الصبيان ثلاث شرطات فى كل وجنة .

ونساؤهم يدخن بالنرجيلة (الشيشة) و يفشو بينهن الزار ويخرجن الى الأسواق بملاءات واسـعة سوداوات فى الأكثر و برقع كثيف فيه ثقبان صـغيران فى محاذاة العينين، وفى أقدامهن خفاف ضخمة أغلبها ذو لون أصفر .

ومن عادتهم فى عرسهـم أن يدعوا الأهل والأصـدقاء رجالا ونساء و يجلس الرجال خارج البيت فى المكان المعدّ لهم ، و يمدّ لهم فى العشاء سماط طويل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون و ينصرفون . أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب القاعة التى يجلسن فيها قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء، فتصبغ المرأة منها إحدى يديها ثم تدخل الى قاعة الجلوس و بعد السلام تجلس مع الجالسات يتجاذبن أطراف الحديث حتى منتصف الليل، واذ ذاك يزففن العروس الى بعلها ثم يعدن الى بيوتهن بعد أن يطوّقن عنقها بعقود من زهر الفل أو ثمر التفاح وهو فى قدر البندق .

ومن عادتهم فى مآتمهم أنه حينما تفيض الروح الى بارئها تصرخ امرأة من أقرب الناس اليه صرخة أو صرختين إعلاما بالمصيبة ، فيتوارد اليها النساء فيجدن قصعة على باب القاعة التى يجلسن فيها ملئت بمعجون الحناء فيخضبن منها إحدى اليدين ثم يدخلن القاعة معزيات صاحبة المصيبة ثم يجلسن ويأخذن فى الأحاديث المختلفة ثم ينصرفن والميت يأخذه بعض أقاربه الى محل يسمى الشرشوره يغسل فيه ثم يسرعون به الى المقبرة ، ويدفنونه بدون احتفال كبـير ثم يتوارد الرجال على أهـله معزين ثم ينصرفون لوقتهم .

ومن عادتهم أنهم يعملون حفلة كبيرة عنـد ختم أولادهم للقرآن، فيسيرون بهم فى موكب يقطع طرق مكة . ويحتفلون فى منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسـلم عند مدفنها بِسَرِف (الرسم ٧٥) على مسـير ثلاث ساعات من مكة على طريق المدينة، فينصبون خيامهم فى تلك الصحراء و يتفاخرون بكثرة الطعام والشراب . ويحتفلون بمولد النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول و يعبرون عن المولد بالحول فيقولون حول النبى وحول ميمونة، ومما تعوّدوه الاصطياف

فى الطائف وفى جبل الهدة فوق جبال كرا، لطيب هوائهما وكثرة بساتينهما ويرتفع الطائف عن بحر جدّة ١٥٤٥ مترا ويرتفع الهدة عنه ١٧٥٨ مترا والكرا ٨٢٣ مترا[١] وأشهر مصيف فى الطائف يسمى شبرا وهو لأشراف ذوى عون، أنشأه الشريف عبد الله باشا وسماه باسم شبرا مصر ثم حدائق المثناة وهى لذوى غالب وهى أحسن حدائق الطائف ومشهورة بخوخها وعنبها، وماؤها أعذب مياه تلك الجهة .

جوّ مكة — جوّها جاف وحار وتختلف درجة الحرارة فى بعض الشهور عن بعض، ففى يناير تكون ١٨° وفى فبراير ٢٠° وفى مارس ٢٣° وفى أبريل ٢٤° وفى مايو ٢٧° وفى يونيه ٢٩° وكذلك فى يوليه وفى أغسطس ٣٠° وفى سبتمبر ٢٨° وفى أكتوبر ٢٥° وفى نوفمبر ٢٤° وفى ديسمبر ٢٠°، هذا هو الجوّ الاعتيادى وقد تصل الحرارة الى ٣٩°[٢]، والأمطار بها قليلة وقد تنحدر اليها سيول عظيمة تحوّل مكة الى بحيرات وتأتى من الأمطار التى تنزل بالجبال المطيفة بالطائف، وقد وصفنا لك سابقا السيل الذى كان فى سنة ١٣٢٥ هـ . والرياح فى مكة مختلفة المهاب فتارة تهب من الشمال وأخرى من الغرب وثالثة من الجنوب ورابعة من الشرق، ومنشأ ذلك أن الجبال تطيف بمكة والهواء يعمل فيما بينها شبه دوامات الماء فتأتى الرياح من جميع الجهات وألطف الأهوية عندهم ماجاء من جهة البحر الأحمر، ثم من جهة الشام، أما ما يهب من الشرق أو الجنوب فحارّ .

تجارة مكة — أكثر الأشياء التى يتجر بها فى هذا البلد يأتى من الخارج : كالبصرة ومصر وبومباى واليمن والشام وغيرها، وأكثر التجار من الأجانب الذين سكنوا مكة، ومن الأصناف التى يتجرون فيها العطريات والسبح والسجاجيد والأنسجة الحريرية الهندية والشامية وأنواع الحلى وتأتى اليها الخضراوات والفواكه كالعنب والموز والجوز والسفرجل وغيرها من جهة الطائف ومن بركة ماجن التى تبعد

(١) دليل الحج لصادق باشا ولكن فى «سلنامة» — تقويم — الحجاز أن ارتفاع الطائف ١٧٧٥ متر

(٢) سلنامة ١٣٠٥ ص ١٤٩

عن مكة مسير نصف ساعة وكذلك من مزارع جنوبى جبل ثور تبعد عن مكة مسير ساعتين وتأتى أيضا من بساتين وادى فاطمة على بعد خمس ساعات، ومن سولة ووادى الليمون على بعد أربع عشرة ساعة من مكة، وأهم سوق للخضراوات واللحوم السوق الصغير غربى المسجد الحرام أمام باب إبراهيم، والمجوهرات والأشياء الثمينة فى سوق الشامية، ولوازم الحجاج فى سوق الليل شرقى المسجد الحرام . وهاك جدولا بالنقود المستعملة فى مكة وجدّة وقيمتها بالقروش العثمانيـة فى زمن الحج و بعـده نقلناه عن رحلة المرحوم محمد صادق باشا .

من بعد الحج	وقت الحج	أسماء العملة	من بعد الحج	وقت الحج	أسماء العملة
ق	ق		ق	ق	
١٧١	١٦٩	الجنيه المصرى	٢٩	٢٨	الريال الشنكوا
١٧٠	١٦٨	« الانجليزى	٢٨	٢٦	« المجيدى
١٥١	١٤٨	« العثمانى	١٣	١٣	الروبيـــة
١٣٣	١٢٨	البنتـــو	—	٥	الفـــرانق
٢٨½	٢٨	الريال بطاقة	—	١½	القرش المصرى

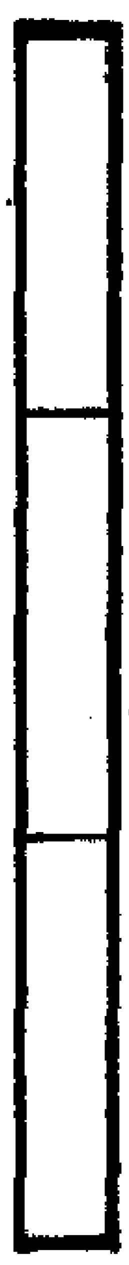
وأكثر النقود استعمالا النقود العثمانيـة وغيرها أكثر ما يتعامل به فى أوان الحج بحسب قيمته .

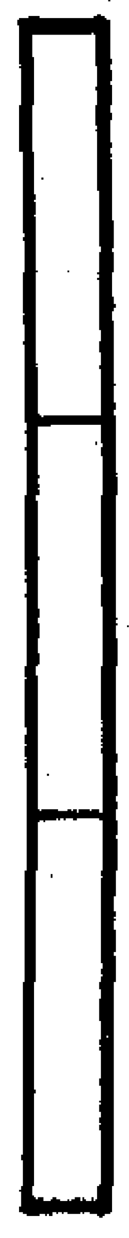
ميـاه الشرب فى مكة — قدّمنا لك نبـذة عن الصهاريج فى مكة ولم نبين إذ ذاك موارد مياهها وها نحن نشبع الكلام فى ذلك إشباعا ونقفك على سر من أسرار القدر وعمل من أجل الأعمال ربمـا شق مثله فى عصرنا عصر الاختراعات والتقدّم الباهر فى الصناعات، ولكنها الهمم لا يقف دونها شىء ولا يصدّها عن تنفيذ عزماتها صاد ولا سيما اذا صفت النية وخلصت السريرة، فاستمع وفقك الله لخير العمل وأبره، فى طريق الطائف على بعد نحو أربعين كيلومترا من مكة جبال تسمى جبال الثقبة تنبع من عندها عين تسير فى قناة بنيت لها من منبعها حتى عرفة فالمزدلفة فمنى فمكة، وهذه العين تعرف بعين زبيدة، وهذه القناة عرضها من الأعلى متر وقد تزيد، وفراغها

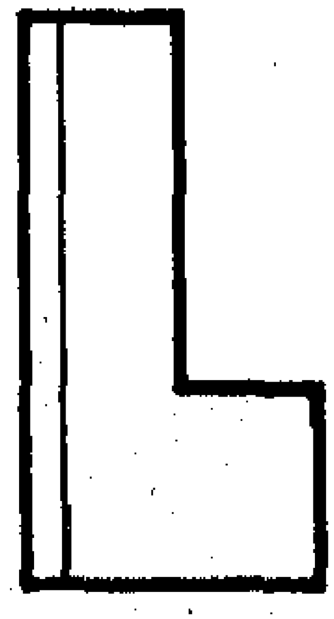
من ٥٠ الى ٦٠ سنتيمترا، وعمقها متر ونصفه، وآرتفاع المـاء فى قاعها ٧٠ سنتيمترا وقد يزيد وقد ينقص وهى مغطاة بأبنية الحجارة، وبالغطاء فتحات لأخذ المـاء منها، عرضها ستون سنتيمترا وتنقص أو تزيد، والفتحات يتباعد بعضها عن بعض بمسافات مختلفة حسب الحاجة، وبجانب الفتحات أحواض لشرب الآدميين وأخرى لشرب الحيوان، وسطح القناة تارة يكون مساويا لسطح الأرض وتارة يرتفع عنها وقد يصل الآرتفاع الى ٧ أمتار، وتارة تسير فى تخوم الأرض على مقربة من سطحها أو أبعد، ومن هذه القناة تأخذ كل صهاريج مكة فيشرب أهلها عذبا فراتا، وهذه القناة تدور فى سفح جبل عرفات من ثلاث جهات كما ترى ذلك بخريتة عرفة (رسم ٧٨)، وفيها هنالك فتحات كثيرة بين الفتحة وأختها ٤٫٥٥ أمتار، وعرض الفتحة ٦٨ سنتيا فى عرض ٨٠، وقد يزيد الطول والعرض على ذلك الى متر، وعمق القناة ١٫٣٢ متر، وعرضها ١٫٤٦ متر من الأعلى، ويصعد الى الفتحات بسلالم قد تصل درجات السلم الى ١٥، وعلو الدرجة من ٢٥ سنتيا الى ٣٥ سنتيا، وعرضها ٣٠ سنتيا وهذا المقاس إنما كان فى المجرى جنوبى جبل الرحمة فقط، وهذه الحياض ترمم وتنظف كل سنة قبل موسم الحج بقليل . ومما لاحظته أن هذه الحياض بعرفة دون حاجة الحجيج ودوابهم، فان الحجيج زادوا على ١٥٠٠٠٠ شخص، ومعهم من الحيوان مالا يقل عن ٣٠٠٠٠ حيوان، فترى الناس فى زحام شديد على هذه الحياض، وليس هناك جند يقى بعضهم صدمات بعض أو يقدّمهم الى الأحواض بنظام، وبسبب هذا التزاحم تتقذر المياه حتى لا تصلح لشرب الحيوان فضلا عن الانسان، وبسببه أيضا يعمد النـاس الى أخذ المياه من الفتحات التى فى المجرى والتى يصعد اليها الناس بسلم ذى أربع عشرة درجة، وهنالك يتوضأون أو يغتسلون من نفس المجرى أو ينظفون ثيابهـم وأوعيتهم فيقذرون المياه ولو من أرجلهـم على الأقل، ولولا جريان المـاء لكان من ذلك أضرار محققة بصحة الحجاج .

وكان خليقا بالحكومة أن تنظف الحيضان وتجدّد ماءها كل يوم من أيام عرفة التى لا تعدو الأربعة وتقيم بجانبها حرّاسا ينظمون حركة الشاربين ويحفظون الميـاه

احواض المياه بميدان عرفات

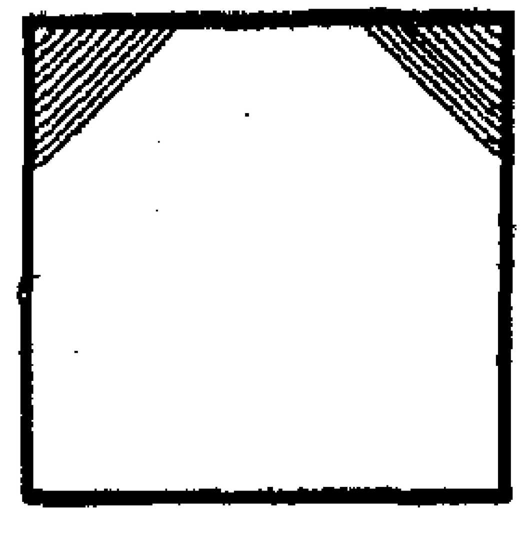


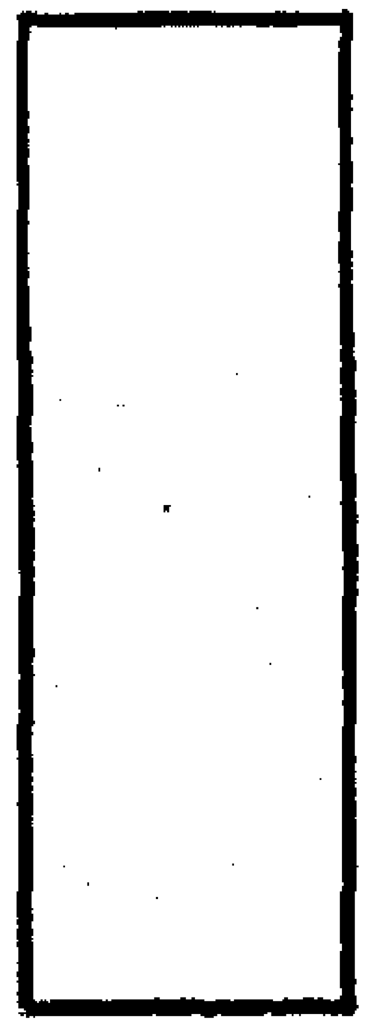


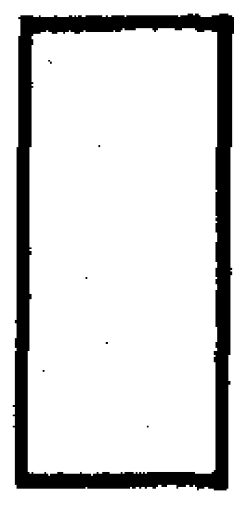


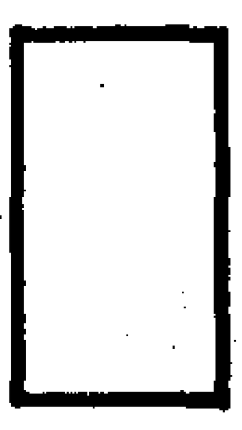
ملاحظة

لكل حوض درجة بأسفله ليقف عليه طالب الماء ليستقى









رسم ٧٧

عن الاحواض الكائنة جنوبي جبل الرحمة عرفات الخاصة بمياه الشرب وغيره للحجاج

جدول

عن بيان اطوال الاحواض وعرضها وعمقها وكذلك مواقعها واتساعها وصفاتها

العمق	العرض	العرض	الطول	نمرة	ملحوظات عن الاحواض
٠٫٦٠		٥٫٢٠	٢٦٫٢٠	١	هذا الحوض مبني من شرقه للغرب وواقعا جنوبي جبل عرفات
٠٫٤٠	٢٫٧٠	٤٫٤٠	٢٤٫٨٠	٢	〃 〃 〃 〃 〃 〃
٠٫٧٠	٢٫٢٠	١٢٫٩٤	٢٠٫٦٠	٣	〃 〃 〃 〃 〃 〃
٠٫٧٥	٤٫٩٠	٩٫٨٠	٩٫٨٠	٤	هذا الحوض خاص بالمحمل الشامي وواقع في الجهة الشمالية لجبل عرفات
١٫١٠	١٫٠٠	١٧٫٨٠	٥٢٫٥٠	٥	هذا الحوض مبني جنوبي جبل الرحمة
				٦	هذين الحوضين مردومين بالرمال وواقعين في شرقه
				٧	جهته ويبعدان عن جبل عرفات مسافة ...

77. The water-cisterns at Arafat.

من الأقذار، وأن دولة الشريف والوالى يصحبهما بعرفة الحراس الكثيرون فما عليهما لو جعلوا من أولئك حرّاسا على الحياض؟ ولا يكلفهم ذلك فتيلا ولا نقيرا، بل ماذا عليهما لو أقاما جنودا فى ميدان عرفة الفسيح يحافظون على الأمن ويضربون على أيدى اللصوص الذين تفاقم شرهم يتربصون غرة من الحاج ليسلبوه ماله ومتاعه؟ بل مما يضمن راحة الحجاج فى ذلك الميدان أن يقسم الى شوارع وحارات يوضع عليها أعلام، فان الحجاج كثيرا ما يضلون خيامهم لسعة الميدان فانه ميلان فى ميلين تقريبا وذلك لا يكلف الحكومة إلا تخطيط الأرض ووضع أسماء الجهات بالخط العريض على رءوس الشوارع وإنه لأمر يسير.

ومما لاحظته أن ليس هناك بيوت خلاء فترى الناس يقضون الحاجة فى الفضاء متدانين ومتباعدين فتتصاعد الروائح الكريهة، فلو أقيمت بيوت أدب على مبعدة من الخيام وانضاف الى ذلك العناية بالماء لكان الناس فى صحة وهناء، ومن الحسن جدا أن تغطى الحياض بغطاء من الصاج ويجعل فيها صنابير «حنفيات» فبذلك يجنّبُ الماء القذر ولا يغيره طول المكث، وكذلك ينبغى أن يجعل للفتحات التى فى مجرى العين أغطية حتى تمنع عن العين الأتربة واستقاء الناس وتطهرهم منها وغسل ثيابهم وأوانيهم، وإن ما تنفقه الحكومة فى تنظيف الحياض وترميمها فى سنتين ليكفى عمل الأغطية والصنابير فيوفر عليها النفقات الطائلة التى تنفقها كل سنة.

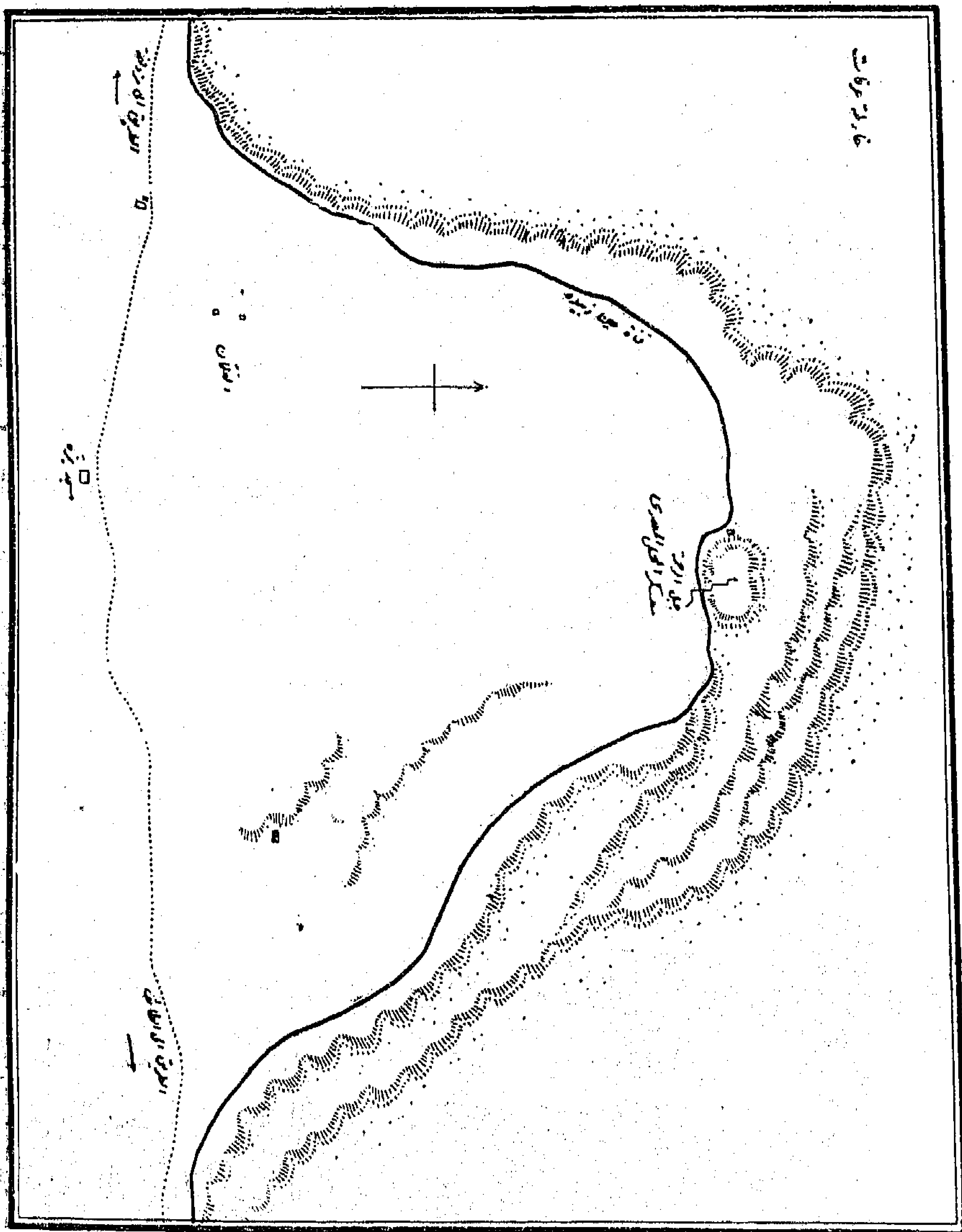
أهمية عين زبيدة — وبما أن عين زبيدة تعتبر كنهر يجرى على مسافة ٤٠ كيلو مترا يستقى منه سكان البلد الحرام والحجيج الوافدون من جميع الأقطار بل وينبتون به المزروعات ويخطون منه البساتين، كان من الواجب علينا أن نقدم بين يديك نبذة تاريخية عن عين زبيدة خاصة والمياه بمكة عامة، ومنها تعرف أن الاسلام امتزج حبه بلحوم المسلمين ودمائهم وأنه تأصل فى نفوسهم وازع الخيرات والرحمة بقُطّان الوادى المبارك كما تعرف أن الحج لم يفرضه الله عبثا — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — ولكن أنقذ به أمة فى صحراء جرداء ومكن به الروابط بين المسلمين فى جميع الاقطار: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

المياه فى مكة وضواحيها وتاريخها — كان أهل مكة فيما سلف يشربون من الآبار التى بداخل البلدة وخارجها ، فلما كانت خلافة معاوية أجرى الى مكة عيونا عشرة فى قنوات عملها لذلك ، ولما حج عبد الله بن عامر جمع العيون وصرفها فى عين واحدة واتخذ حياضا بميدان عرفة أجرى اليها ماء العين فبقى الناس فى راحة من جهة الماء بمكة وعرفة ، وفى آخر دولة بنى أمية — ١٣٢ — تخربت العيون التى كانت تمدّ العين الكبيرة فانقطعت المياه عن أهل مكة وأصابهم كما أصاب الحجاج من جراء ذلك جهد شديد حتى كانت القربة تباع بعشرة دراهم — ٢٥ قرشا مصريا — وأكثر ، ورجع الناس الى مياه الآبار كما بدءوا واستمرّوا على ذلك الى خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣) فأمر بإصلاح ما تخرّب من العيون ، ولكن ما لبثت أن انقطع ماؤها وأصاب الناس من جراء ذلك شدّة شديدة ؛ فلما بلغ ذلك أم جعفر زبيدة زوجة هارون الرشيد وكانت رغابة فى الأعمال الخيرية أمرت بإجراء عين حنين — عين زبيدة — الى مكة بعد أن استأذنت فى ذلك أمير المؤمنين ، ومنبع هذه العين فى ذيل جبل شاهق يقال له «طاد» بين جبال سود عاليات تسمى جبال (الثقبة) فى طريق الطائف من مكة ، وكانت عين حنين يسقى بها نخل ومزارع للناس اليها ينتهى جريان الماء وكانت تسمى هذه البقعة حائط حنين وهو موضع غزا فيه النبى صلى الله عليه وسلم غزوة حنين ، فاشترت زبيدة هذه الأراضى وأبطلت ما فيها من النخيل والمزارع وبنت للماء قناة يجرى فيها شقت لها الجبال وجعلت لها شحاحيذ (بركا) فى كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند هطول الأمطار ، وجعلت فيها قناة متصلة الى مجرى هذه العين فصار كل شحاذ عينا يساعد عين حنين ، وهى سبعة تصب فيها ومياهها تارة تزداد وتارة تنقص حسب الأمطار التى تنزل على أمهات تلك الشحاحيذ ، ولا زالت تمدّ تلك القناة حتى وصلت بها الى مكة ؛ وكذلك أمرت بإجراء عين وادى النعمان الى عرفة وهى عين منبعها فى ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ صعب المرتقى ، من أسفله الى أعلاه مسيرة نصف يوم وبعده أرض الطائف ، وتنحدر المياه من ذيل الجبل فى قناة الى

موضع يقال له «الأوجر» بوادى النعمان ثم يجرى منه المـاء الى موضـع بين جبلين شاهقين فى علوّ أرض عرفات فيه مزارع وفى ذلك يقول القائل :

أيا جبـلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الىّ نسيمها

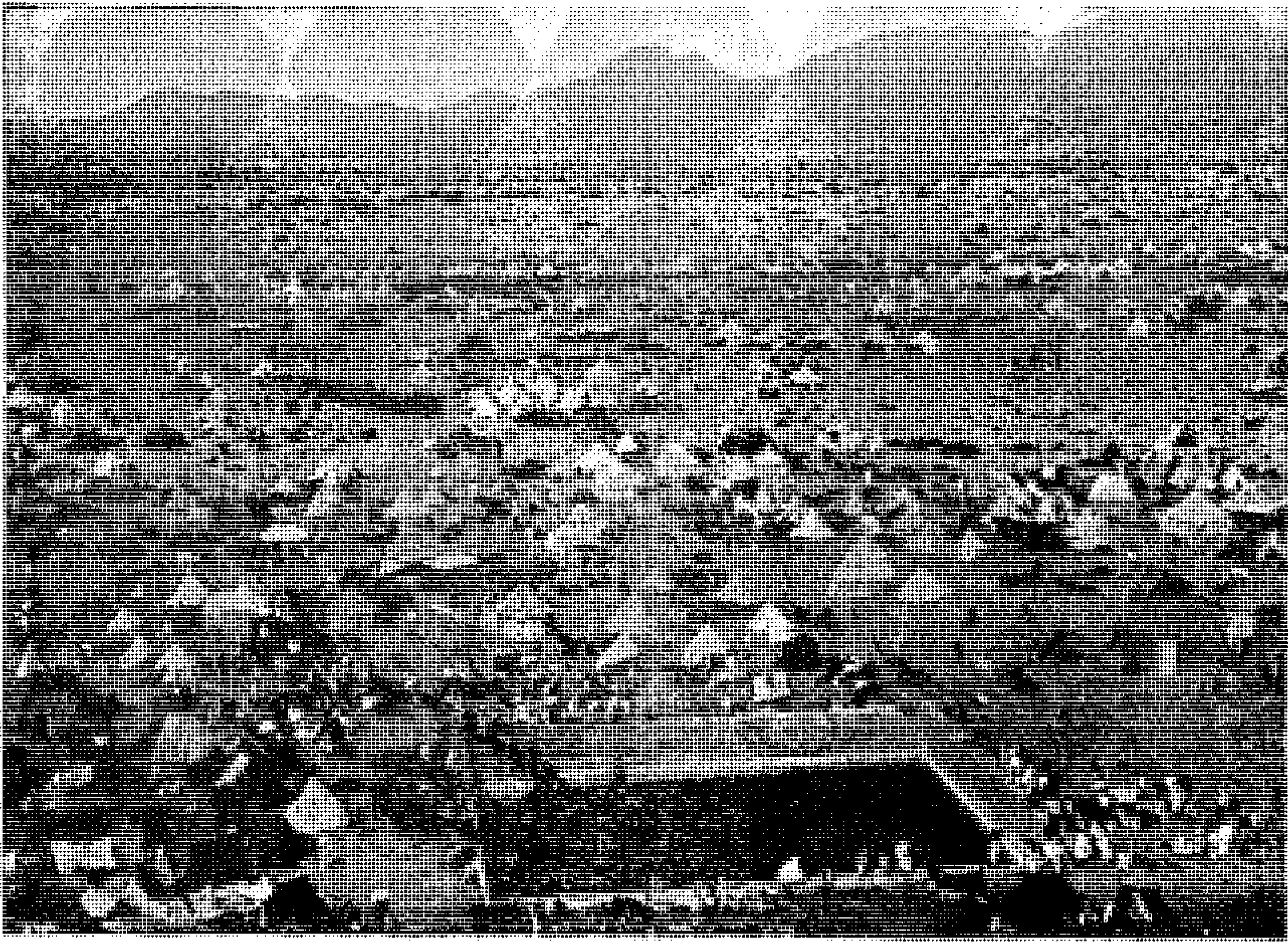
ثم أجرى المـاء فى قنـوات الى عرفات فاتصلت عين النعمان بهـا ثم أديرت القنوات فى سفح جبل عرفات كما تراه فى الخريطة (نمرة ٧٨) وجعـل منها طرق



(الخـريطة نمرة ٧٨)

الى البرك التى بأرض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه الحجاج يوم عرفة ثم سير بالقناة نحو الشمال وعلى بعد ١٣٧٨ مترا عمل بازان — بئر فى الأرض قاعه مجرى العين وينزل اليه بدرج ، وقد يكون عميقا وقد يكون قريب الغور حسب بعد القناة عن سطح الأرض أو قربها وهذه البئر تعمل ليستقى منها الناس — اسمه « فقير الذئب الأعلى» وعلى بعد ٤٠٥ متر من هذا البازان بازان «فقير الذئب الثانى» ثم تنعطف القناة نحو الغرب داخلة فى وادى المغمس وتنتهى الى « حوض البقر» على بعـد ١٤٢٠ مترا من البازان الثانى ، وفى هذا الحوض ٢٥ خرزة ثم تسـير فى باطن الجبل الى موضع يقال له «الخاصرة» بقربه أراض زراعية يقال لها الهمدانية ، ثم ترجع منه يمينا الى « بازان الحقابة » الذى على يمين الآتى من عرفات ، ثم تتوجه يمينا الى « بازان المعترضة» وبعد ذلك تسير القناة فى سفح المأزمين على يسار القادم من عرفات ، ثم تسير الى مزدلفة وتتوجه منها فى وادى النار وفيه عند رأس جبل على يسار الذاهب الى مكة بازان يقال له «فم الوبر» ومنه يكون المجرى متعلقا فى الجبل الى «المفجر» خلف منى ، وعنده أقيم الآن على المجرى آلة بخارية (ماكينة) عند الريع (المكان العالى) الذى يرده أهل منى وهـذه الآلة ترفع المياه من المجرى وتوصلها فى أنابيب حديدية الى أحواض بمنى أنشئت أخيرا فى عهد صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الأول والحجـاج يستقون من هذه الأحواض . (انظر الرسم ٧٩) الذى إذا تأملته رأيت فيه المجرى والأنابيب ، ثم يتوجه المجرى منحدرا خلف جبل منى الى فتحات موازية لمدرج منى بجانبها مسجد وحوض لسـقيا الدواب يسمى « حوض البقر الثـانى » ومنه تسـير القناة تحت الأرض الى بئر عظيمة طويت بأحجـار كبيرة جدّا تسمى « بئر زبيدة » اليها تنتهى القناة ؛ وهى من الأبنية العظيمة (انظر مجرى عين زبيدة فى الرسم ٨٠) ولعـله كان فى العزم توصيل تلك القناة الى مكة لتختلط بمجرى عين حنين ، ولكن حال دون ذلك مالا نعلمه ؛ والمسافة بين هذه البئر و بين المنبع ٣٣٠٠٠ متر (رحلة صادق باشا ص ٦١) و بينها و بين منى مسيرة ساعة ركوبا ؛ ومن هذه البئر يشرب الآن الشريف والوالى وموظفو المحملين وسَراة الحجـاج بواسطة نقل المـاء فى قرب على ظهور الحيوانات .

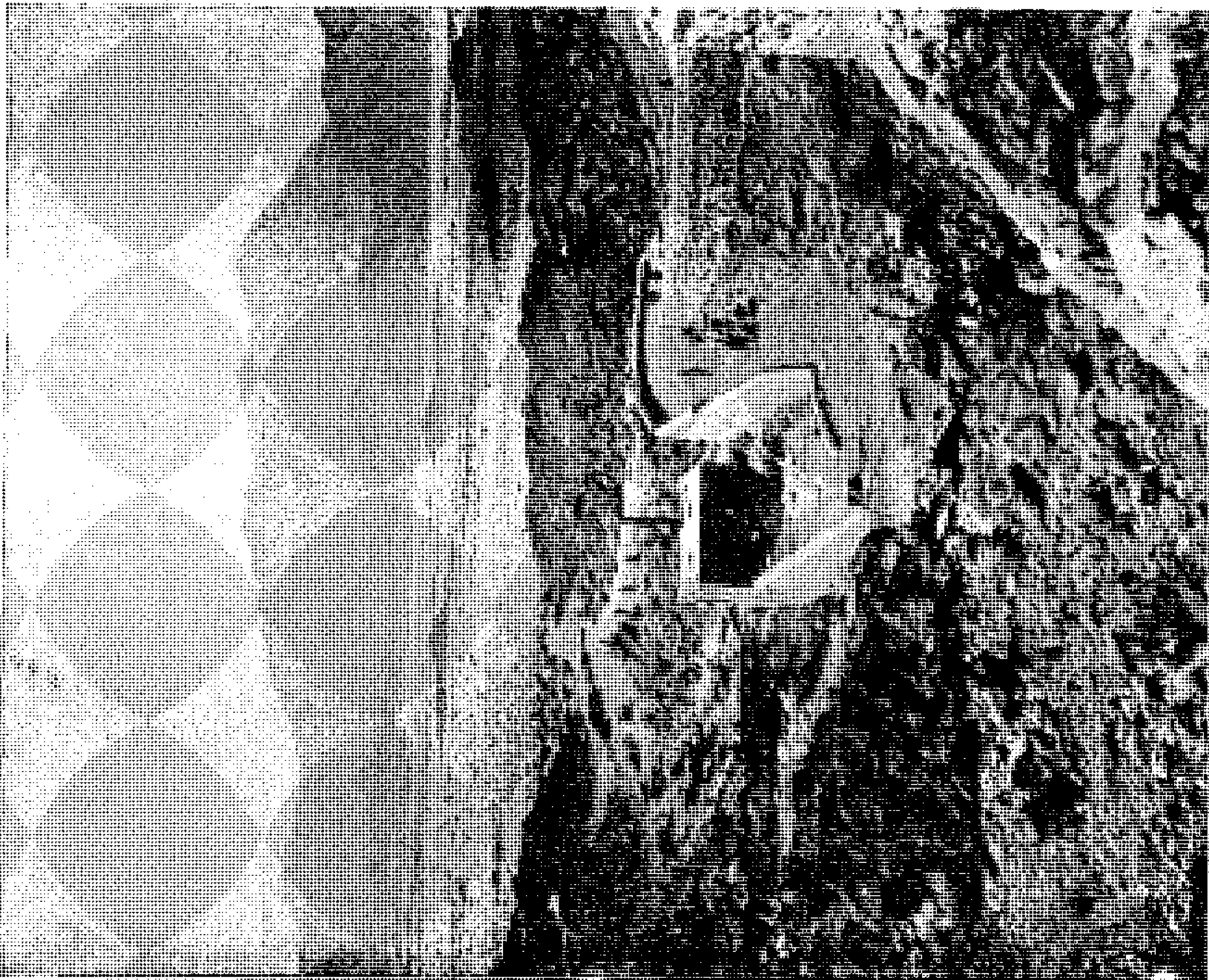
منظر الحجاج في ميدان جبل عرفات وبه حوض مياه من عين زبيدة



76. Pilgrims on Mount Arafat where a cistern of water from the well of Zobeida is found.

صحيفة ٢١٢

منظر وابور الماء بالمفجر خلف جبل في منى لسقي الحجاج من عين زبيدة بواسطة مواسير



79. A water engine in El Mafgar, behind a hill at Mina, to supply the pilgrims with water by means of pipes



(الخريطة رقم ٨٠)

وصارت عين نعمان خاصة بعرفة ومنى فى ذلك الزمن، وقد أنفقت زبيدة على ذلك العمل ١٧٠٠٠٠٠ دينار أومثقال من الذهب،ويروى أنه لما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأحضروا دفاترهم لأجل الحساب ليبرئوا ذمتهم ويخرجوا من عهدة ما تسلموه من الخزينة لهذا العمل، وكانت زبيدة ساعة ذلك فى قصر عال مطل على الدجلة فأمرت بالدفاتر يلقى بها فى الدجلة وقالت : (تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقى عنده شىء من بقية المال فهو له ومن بقى له عندنا شىء أعطيناه) وألبستهم الخلع الثمينة — شكرا لله لها سعيها ورحمها الرحمة الواسعة —

ثم أخذت عين مكة ينقطع ماؤها لقلة الأمطار وتهدّم بعض من قنواتها وطغيان السيول عليها، فأمر صالح بن العباس فى سنة ٢١٠ هـ . أن تتخذ لها جملة برك فى نواحى مكة تصل اليها مياهها، ويذهب الفائض الى بركة ماجن أسفل مكة؛ وقد كان الخلفاء والسلاطين كلما بلغهم حدوث خراب فى هذه العيون أو قنواتها يرسلون من يعمرها، ومن أولئك جعفر بن المعتصم (المتوكل على الله) أرسل مائة ألف دينار ذهبا الى مكة لاجراء ماء عين عرفات اليها، وكان ذلك لما أن حصلت زلازل فى سنة ٢٤١ هـ . غارت منها عيون مكة، ومنهم إبراهيم بن خلكان عمّر عين زبيدة فى سنة ٥٠٠ هـ . وقد وجدت فى لوحة بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه هذه الكتابة : «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إمام الله ظل مولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره؛ أمر الإمام الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زين الدين صاحب اربل — ولم أعرف ما بعد ذلك — سنة ٥٠٠ هـ . لأبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله تعالى ببقائه الإسلام» .

ووجدت لوحة أخرى تدل على عمارة لأبى العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين سنة ٥٨٤ هـ . ونصها : «بسم الله الرحمن الرحيم أمر سيدنا ومولانا الإمام خليفة الله على كافة أهل الإسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت الله الحرام،

أجزل الله ثوابه آمين؛ وذلك على يد الأمير الأصفهتيلار الكبير مجير الدين أمير الحاج والحرمين طاستكين نصر أمير المؤمنين أدام الله توفيقه، وذلك فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة » .

وهناك لوحة ثالثة تدل على عمارة لأمير المؤمنين السابق وفيها « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله، أمر بعمارة عين عرفة والمصانع التى بها ملتفة مولانا أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وبلغه سؤله ومناه وأمله ومبتغاه فى سلالته الطاهرة وعترته الزاهرة أمير الأمراء الأجل السيد الاصفهتيلار الكبير مظفر الدين بكيرى بن على صاحب اربل سيف أمير المؤمنين أيد الله سلطانه وأعلى أبدا شانه سنة ٥٩٤ هـ . تقبل الله عن يد عبد الرحمن بن أبى جرمى عفا الله عنه » .

ورأيت لوحة رابعة فيها ما فى اللوحة السابقة بالتاريخ عينه . والمستنصر العباسى عمر عين عرفات فى سنة ٦٢٥هـ . وفى سنة ٦٢٧هـ . وفى سنة ٦٣٣هـ . وبجبل الرحمة كتابة تدل على تعمير المستنصر العباسى هاكها [﴿بسم الله الرحمن الرحيم لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ شرع لعمارة هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيافه المباهى بهم الملائكة صلى الله تعالى ورجاء عفوه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ بالاربل الأشرف النبوى الامامى المستنصرى زاده الله تعالى شرفا، وقد شاده حلالا المطوع بعمارة عين عرفة والبرك التى بها ملتفة بعد عطلها خرابا عشرين سنة، المولى الأمير الكبير السيد المؤيد المظفر المجاهد شرف الدين جلال الدولة عبد الخلافة المعظم محيي الإمامة المكرمة ملك الملك ومليك المعالى زعيم الجيوش ملك الملك الإمام الأعز أبو الفضائل والمكارم اقنال الخاص النبوى المستنصرى خاص أمير المؤمنين مملوك سيدنا ومولانا الامام الأعظم المفتقر الى الطاعة على جميع الأمم عبد الله خليفة الله فى أرضه المستنصر بالله أمير المؤمنين] .

ومنهم جوبان أمير العراقين من قبل السلطان أبى سعيد بن خربندا ملك التتار فانه أمر رسوله الأمير بازان بتعمير عين عرفة وزوّده بخمسين ألف دينار فى سنة ٧٢٥هـ . فلما انتهى موسم هذه السنة نادى فى الناس بمكة من أراد العمل فى العين فله ثلاثة دراهم يوميا، فهرع اليه العمال وخرج بهم الى العمل وما زالوا يعملون أربعة أشهر

حتى جرى الماء الى مكة وظهر بين الصفا والمروة فى ١٠ جمادى الأولى من سنة ٧٢٦ هـ . وقد زادت المياه عن الحاجة فصرفها الناس فى زرع الخضراوات، وبلغت نفقات ذلك ١٥٠٠٠٠ درهم، قال الفاسى : والسبب فى كفاية ذلك القدر ما وجد فيها حين عمارتها من القناة المعمولة المهيأة من قديم الزمن ، وهى أكثر من الثلث وأقل من النصف — ومن هنا نعرف أن بازان اسم لرجل سميت به الأحواض والآبار التى على مجرى العين لقيامه بإصلاحها — وفى سنة ٧٢٨هـ . أجرى الملك الناصر محمد ابن قلاوون عينا الى مكة سارت فى مجرى عين بازان . وفى سنة ٧٤٤ هـ . أجرى نائب السلطنة بمصر عينا من منى إلى بركة السَّلَم، وذلك من طريق منى وعمرت بعد ذلك مرارا، وفى سنة ٨١٨ هـ . عمرت عين بازان — حنين — حتى وصل ماؤها إلى مكة بعد انقطاعه عنها . وفى سنة ٨٢٠هـ . انقطع الماء فانتدب الملك المؤيد صاحب مصر والشام والحرمين قائده علاء الدين لعمارة العين فى سنة ٨٢١هـ . وزوّده بألفى مثقال ذهبا، فشرع فى عمارتها فى جمادى الآخرة وتممها فى شعبان حيث وصل الماء الى مكة، ولما انقضى موسم هذا العام قل الماء وارتفع سعره فانتدب علاء الدين ثانية فى سنة ٨٢٢ هـ . بعض العمال والمهندسين لتعمير مالم يعمر منها وإصلاح ما خرب من عمارته الأولى، فتم ذلك وبلغت المياه مكة فى آخر صفر ، وفى سنة ٨٥٢ هـ . عمرت عين حنين بمعرفة «بيرم خواجة» ناظر الحرمين الشريفين، ثم خربت العيون بعد ذلك وأصاب الناس جهد جهيد . وبلغ ذلك الملك الأشرف قايتباى، فأمر بتعمير عين مكة وعين عرفات سنة ٨٧٥ هـ . وبدأت العمارة فى عين عرفات من جبل الرحمة الى وادى النعمان حيث وجدوا الماء هنالك بكثرة نخلوا سبيله الى عرفة فوصلها بعد أن انقطع عنها مائة وخمسين سنة، كان الحجاج يقاسون فيها يوم عرفة الظمأ الشديد وقد أصلح البرك التى بعرفات وملأها بالماء، وكذلك عمر عين حنين حتى وصلت مياهها إلى مكة وعمر أيضا عين خليص وأجراها وبنى قبتها .

وقد رأيت للشريف قايتباى خطبة نقشت فى لوح من الحجر وضع بجبل الرحمة على مقربة من القناة فنقلتها بالقلم الرصاص فى ٩ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ فى مدّة أربع

ساعات، وذلك لصعوبة قراءتها وشدّة الزحام، ولولا من يدفع عنى المزاحمين جهده ماتمكنت من نقلها، وفى ٩ ذى الحجة سنة ١٣٢٠هـ. تمكنت من أخذ صورتها بالآلة الشمسية (الفتوغرافيا) وقد كتبها الشيخ على بدوى بخطه الجميل لتكون صورة واضحة للأصل الذى لوّثته بعض الدماء. (انظر الرسم ٨١).

نص خطبة قايتباى على حجر بعرفات فى عمارة عين زبيدة بمباشرة أخيه سنقر الجمالى فى سنة ٨٧٥ هجرية



[أخذ هذا الرسم فى سنة ١٣٢٥ هـ]

Inscription on a stone at Arafât of Kait Bey's speech concerning the repairs to the well of Zobeida, under taken by his brother Sunkur El Gamali in the year 875.

(الرسم ٨١)

وفى سنة ٩١٦هـ. عمر قانصوه الغورى آخر ملوك الجراكسة بمصر عين حنين حتى جرت وملأت بركة المعلى وبركة ماجن فى درب اليمن من أسفل مكة، وارتفق الناس بذلك؛ وفى أوائل ملك الدولة العثمانية للأقطار الحجازية بطلت العيون لقلة الأمطار وتهدمت القنوات وانقطعت عين حنين عن مكة، وصار أهلها يستقون من آبار حولها يقال لها العسيلات فى علو مكة قريبة من المنحنى، ومن آبار فى أسفل مكة يقال لها الزاهر فى طريق التنعيم، وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها حتى كان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الأمكنة النازحة، وكان فقراء الحجاج لا يطلبون يوم عرفة غير الماء لعزته، وكان بعض الأقوياء يستحضره من الأماكن النائية ليبيعه فيربح فيه الأرباح الطائلة، قال العلامة قطب الدين الحنفى : وكنت يومئذ مراهقا فى خدمة والدى رحمه الله وفرغ المـاء الذى حملناه من مكة واشتريت قربة صغيرة جدا يحملها الانسان بأصبعيه بدينار ذهبا، والفقراء يضجون من العطش يطلبون من الماء مايبلون به حلوقهم فى ذلك اليوم الشريف، فشرب أهلنا منها وتصدقوا بباقى القربة على من كان مضطرا اليها من الفقراء، ثم عطشنا جميعا عقب ذلك وجاء وقت الوقوف والناس فى شـدة الظمأ يلهفون فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله ورحمته والناس إذ ذاك واقفون تحت جبل الرحمة، فصاروا يشربون من السيل تحت أرجلهم ويسقون دوابهم، وحصل البكاء الشديد من الحجاج لمـا رأوا من رحمة الله بهم وإحسانه اليهم، ثم صدرت الأوامر السلطانية السليمانية باصـلاح عين مكة (عين حنين) وعين عرفات، وعين للعيون ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى، وكان مجاورا بمكة فبذل جهده فى العمارة حتى جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها إلى بركة ماجن، وأصلح عين عرفات حتى صارت تملأ البرك بعرفات وكان ذلك فى سنة ٩٣١ هـ. ثم اشترى «مصلح الدين» عبيدا سودا وأجرى عليهم الأطعمة من خزائن السلطنة وأناط بهم خدمة العين وإخراج أتربتها من الدبول — جمع دبل وهو الجدول أى النهير — والقنوات، ثم قلت الأمطار ويبست العيون ونزحت الآبار فى سنين متعددة من سنة ٩٦٥هـ. وما بعدها حتى كانت سنوات تقارب سنى يوسف

شدادا عجافا، ولم يبق من العيون إلا عين عرفات ولكن قل جريانها. ولما عرضت أحوال العيون على السدة السلطانية السليمانية صدر الأمر بتصليح ذلك، فاجتمع بمكة قاضيها عبد الباقى المغربى وحاكم جدّة خير الدين وغيرهما من الأعيان وتشاوروا فى الاصلاح، فأجمع أمرهم على أن أقوى العيون عين عرفات وعقدوا النية على توصيل الماء من بئر زبيدة خلف منى الى مكة وحسبوا أن تحت الأرض مجرى قديما الى مكة وانهدم، وطلبوا من السلطنة ٣٠٠٠٠ دينار للتعمير سنة ٩٦٩هـ. فالتمست صاحبة الخيرات فاطمة هانم كريمة السلطان سليمان من أبيها أن يأذن لها فى القيام بهذا العمل الخيرى فأذن لها، وانتدبت لذلك بعد استشارة الوزراء الأمير ابراهيم بن تكرين أمين الدفاتر بديوان مصر وأعطته ٥٠٠٠٠ دينار للقيام بالعمل، وقد وصل الى جدّة لثمان بقين من ذى القعدة سنة ٩٦٩هـ. ثم برحها الى مكة فقابله شريفها محمد بن نمى مقابلة جميلة وأكرم وفادته، وجاء للسلام عليه قاضى مكة حسين الحسنى فعرض عليهما مهمته وزوّداه بالآراء الصائبة وبحث عين عرفة بنفسه حتى أحاط بها خبرا، واستدعى من مصر والشام وحلب والأستانة واليمن طوائف المهندسين والخبراء بالعيون والآبار والحدّادين والبنائين والحجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليه فى العمارة واستحضر آلاتها من مصر، وشرع بمعونة هؤلاء ومعونة مماليكه الأربع المائة فى إصلاح القناة مبتدئين من الأوجر حتى وصلوا الى بئر زبيدة، وهنالك بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون إذ لم يجدوا بعد البئر دبلا تحت الأرض وعلموا اذ ذاك أن زبيدة اضطرت الى ترك التوصيل الى مكة اضطرارا لصلابة الحجر وصعوبة قطعه وطول مسافته، وأن لا سبيل الى ذلك ألا بنقر دبل تحت الأرض فى الحجر الصوان طولها ألفا ذراع بذراع البنائين — ٧٥ سنتيمترا — حتى يتصل بدبل عين حنين وتتصل عين عرفة بمكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الأرض، فانه يحتاج الى النزول فى تخوم الأرض ٥٠ ذراعا عمقا فتجاذب الأمير ابراهيم عاملا اليأس والأمل، ولكن عامل اليأس قضى عليه صادق عزيمته لحفر وجه الأرض حتى إذا ما وصل الى الحجر الصوان أوقد عليه ليلة كاملة ما يقارب مائة حمل من الحطب الجزل فى مكان

طوله سبعة أذرع فى عرض خمسة من وجه الأرض حتى تآكل من الحجر الصوان ½ من الذراع ، ثم أعمل المعاول حتى صادف الحجر الصلب فأوقد عليه النيران كما فعل أولا حتى وصل الى عمق ٥٠ ذراعا ، وبذلك حفر من القناة خمسة أذرع من ألفى ذراع ثم سار على هذا النمط حتى أتم ١٥٠٠ ذراع ، وقد نفد الحطب من الجهات الدانية والنائية وذهب خدمه وأولاده ومماليكه فى سبيل ذلك ، وأنفق ٥٠٠,٠٠٠ دينار ذهبا من الخزائن السلطانية واخترمه أجله بعد ذلك فى رجب سنة ٩٧٤ هـ . فشيعته القلوب وأغدقت عليه صيب الدعوات ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الأبطح ، وخلفه على العمل أمير جدة قاسم بك ولم يقم بكبير عمل لقصور فهمه ومدّ يده وتشبثه برأيه وتوفى ، فخلفه الأمير محمد بك فعاجلته المنية فى رجب سنة ٩٧٩ هـ . ثم تولى العمل قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام السيد حسين الحسنى ، فجدّ جدّه ونشط نشاطه حتى أتم القناة فى خمسة أشهر بعد أن قضى الأمراء السابقون فى ذلك عشرة أعوام ، فجرت عين عرفات الى مكة وتفجرت ينابيعها فى نواحيها لعشر بقين من ذى القعدة سنة ٩٧٩ هـ . وكان هذا اليوم عيدا أكبر للناس مدّت فيه الموائد للأكابر وخلعت الحلل الفاخرة على المهندسين والبنائين ، وتصدّق على الفقراء والمساكين وزفت البشائر الى السلطان سليم وكريمته ذات المجد الأثيل والخير العميم فاطمة هانم ، فأقيمت الأفراح بالأستانة وأغدقت العطايا على قاضى القضاة الذى تم على يده ذلك المشروع العظيم الذى أحيا أم القرى بماء الحياة كما حييت من قبل بإشراق النبوّة من نواحيها وحج الناس اليها من أدانى الأرض وأقاصيها ، وتلك مأثرة للسلطان سليم تقرن بالحمد والثناء وتسطر فى سجل أعماله الطيبة بحروف من نور ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقد حصل بعد ذلك فى العين ومجاريها تعميرات فى سنى ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢٥ هـ . ورأيت فى لوحة هذه الكتابة « أمر بتعمير عين عرفات مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأفخم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان

ابن السلطان محمد خان أيد الله سلطنته الى آخر الزمان سنة ١٠٢٥ هـ . بمباشرة الفقير اليه سبحانه حسن باشا عفى عنه وكذلك عمرت فى سنى ١٠٦٦ و١٠٨٣ و١٠٨٤هـ. وقد رأيت مكتوبا على حجر رخام ثبت بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه العبارة الآتية : « يا محمد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده على إفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أمر حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأفخم مولى ملوك العرب والعجم السلطان الغازى محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان عز نصره أجرى عين عرفات وتعمير أبنيتها واتصاله الى الحرم المنيف ، بفضله تعمرت سنة أربع وثمانين وألف ١٠٨٤ من هجرة من له العز والشرف على يد عمدة أعيان الدولة الحاج على أغا بن مصلى قهوجى باشا السطان كان الله له ووفقه لمرضاة الله (وفى الآخر كلمتان لم أعرفهما) » .

وعمرت فى سنة ١٠٨٩ و١٠٩٢هـ.وعملت إصلاحات هامة فى سنة ١٠٩٣هـ. بأمر السلطان محمد خان فنظفت البرك التى بالمعلى وزيد فى ارتفاعها مقدار قامة وأقيم فى وادى النعمان سدّ عظيم يمنع طغيان السيول على المجارى ، وبنى على رأس القنوات الحواجز المسماة بالخرازات فبنى نحو عشرين خرزة وعمل قناة فى أسفل مكة تذهب بمياه السيل الى بركة ماجن ، وفى يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٠٩٩ هـ . كسر من قنوات العين نحو ثلاثين ذراعا فبعث الشريف من فوره بالمهندسين فأصلحوا ذلك .

وفى سنة ١١٤٣هـ . انقطع ماؤها أجمع وصار الناس يستقون من آبار العسيلات والزاهر وغيرهما ، وقد أصلحت من طرف السلطنة وكذلك عمرت فى سنة ١١٨١ هـ. وفى سنة ١٢١٩ هـ . بعد قطع الوهابيين المياه عن مكة حينما حاصروها وتخرّب بعض قنواتها فأصلحت ذلك الدولة العثمانية ،وكذلك أصلحها السلطان محمود سنة١٢٣٥هـ. وفى سنة ١٢٤٢ هـ . انقطع الماء من مكة لخراب حدث بالقنوات بسبب السيول فأرسل والى مصر محمد على باشا من عمر القنوات ؛ وبعد ذلك بقيت عين مكة يقل

ماؤها بقلة الأمطار ويكثر بكثرتها حتى كانت سنة ١٢٧٨ هـ . إذ حدث سيل عظيم خرب بعض مجاريها فأصلح . وفى سنة ١٢٩١هـ . كاد ينقطع ماؤها عن مكة فأصلح المجارى والى الحجاز من قبل السلطنة السيد محمد الشروانى باشا مع جماعة من أهل البر. وفى سنة ١٢٩٥ هـ . شكلت بمكة لجنة بسعى بعض الهنود لجمع الإعانات من كافة الأقطار الإسلامية خصوصا مصر والهند وإنفاقها فى إصلاح العيون ، وكان من أعضاء تلك اللجنة الشيخ رحمة الله الهندى صاحب كتاب إظهار الحق ، فجمعت أموالا كثيرة واستقدمت من الهند المهندسين والصناع وخرجت بهم الى عرفة فذرعوا المسافة بين مكة ومنبع عين زبيدة من وادى النعمان فاذا هى تنيف على ١٧٠٠٠ متر (١) ورأوا أن يبدءوا العمل فى عين زبيدة من جهة عرفة ، فأصلحوا نحو ٦٠٠ ذراع فى المجرى من بعد حدود عرفة الى وادى النعمان ، وبنوا فيها عدّة خرزات ستروا بعضها وكشفوا باقيها ليستقى منها العربان ، وكان شروعهم فى العمل من جهة مكة بتنظيف الدبول وتعمير ما تخرب منها حتى وصلوا الى المفجر ، ووصلوا الماء منه الى منى بآلة بخارية أقاموها هنالك ، ونحتوا لأجل ذلك بعض الجبال ولم يزالوا فى عملهم حتى وصلوا الى عرفة ، وبنوا فى عملهم هذا عدّة خرزات فى طريق مكة ، وبازانات بمكة منها : بازان الشعب ، وبازان سوق الليل ، وبازان القشاشية ، وبازان جياد ، وبازانان بحارة المسفلة ، وبازان بحارة الباب ، وبازان الشبيكة ، وبازان الشامية ، وبازان بسوق المعلى يسمى بازان التمّارة ، وعمروا ما كان خرابا وزادوا موارد الماء بالبلدة وقطعوا الجبل الطويل الذى بأوّل مكة وبنوا به دبلا يجرى فيه الماء الى حارة جرول التى بنوا فيها بازانا عظيما يستقى منه الناس ، وكذلك

(١) هذا ما فى رسالة الزواوى وهو يخالف ما فى رحلة صادق باشا من أن المسافة بين المنبع وبين بئر زبيدة ٣٣ كيلومترا فاذا هى بين مكة والمنبع أكثر من ذلك وهذا هو الصحيح ، فان صادق باشا لما رجع من الطائف مر بمبدأ المجرى وقطع المسافة بين المبدأ وبين علمى الحرم من جهة عرفة فى ٢ س و ١٦ ق وقطع المسافة بين العلمين ومكة فى ساعة و ٥٠ ق ، فاذا لاحظنا أن المجرى يسير حذاء الطريق فى الأكثر وأن المسافة بين مكة وعلمى الحرم ١٨ كيلومترا تقريبا كانت المسافة بين العلمين ومبدأ المجرى ٢٢ كيلومترا أى أن المجرى طوله ٤٠ كيلومترا من مبدئه الى مكة فهذه المسافة التى نسبها الزواوى الى المهندسين تخالف الواقع .

عمروا بعض التعمير فى العين الأصلية (عين حنين) بعد أن أهملت منذ وصلت عين عرفة إلى مكة. وفى سنة ١٢٩٧هـ. أرسل إلى اللجنة من مصر ٢٥٠٠٠جنيه مع أحد معاونى الداخلية وكان برفقته أحد المهندسين لمباشرة العمارة الجارية مع المعمرين، وقد مكثت اللجنة تشتغل ثلاث سنين دأبا تحت رآسة الحاج عبد الواحد الميمنى. ثم أخذ الفتور يدب فى أعضائها وتناولت الحكومة بعض مال اللجنة من صندوقها وأنفقته فى غير مصالح العين فأساء ذلك أهل الهند وقطعوا الإعانات، فوقفت اللجنة عملها وآستعفى رئيسها وأكثر أعضائها وتشكلت لجنة أخرى آستولت على ما بقى بصندوق العين ويقال: إنه كان ٥٧٠٠٠ جنيه، وسارت فى العمل كسابقتها ولكن هذه وجهت كبير عنايتها الى إصلاح عين حنين وكانوا يرون أنها عين مكة الأصلية ثم آنقطع العمل فى العينين فآنقطع ماء عين حنين وقل ماء عين زبيدة وكاد ينقطع فى سنة ١٣٢٤هـ. فتكونت لجنة تحت رياسة الشريف وجمعت إعانات جبرية من مكة والطائف وجدة وكتبت إلى الدولة مستجدية فجمعت عشرات الألوف من الجنيهات، وقدم من الإستانة مهندسون فقاموا بإصلاح كبير خصوصا فى منابع العين من جهة وادى النعمان، وفى سنة ١٣٢٦هـ. قدم مهندس ومفتش من قبل الدولة لتعرّف أحوال عين زبيدة فوضعا لها خريطة عظيمة من منبعها الى مكة تركا صورة منها فى مقر اللجنة وأخذا أخرى الى الإستانة، وفى أوائل شهر المحرم سنة ١٣٢٧هـ. شكل أمير مكة الشريف الحسين باشا بن على هيئة جديدة لإصلاح العيون أعضاؤها من أجناس مختلفة ووكل إليها الإصلاح وجعلها حرّة فى عملها فاستنهضت همم المسلمين فى الأقطار المختلفة فغمروها بالتبرعات ولا سيما الهند ومصر وجاوة وبدأت فى الإصلاح، وفى آخر سنة ١٣٢٨هـ. جاء سيل عظيم ملأ المجارى حتى طفت وهدم كثيرا منها فقل الماء ولجأ الناس الى الآبار القديمة وإنها لكثيرة، فقام شريف مكة وأنجاله وأهل مكة بالاصلاح بأموال من صندوق اللجنة حتى وردت المياه مكة. وفى ١٨ المحرم سنة ١٣٣٠هـ. هجم سيل شديد من وادى نعمان وهجان وسدّ دبول عين زبيدة بالتراب، وقطع الماء عن عرفات، فقامت اللجنة بتعمير المتخرّب حتى عاد الماء الى مجراه

وأنشأت مستغلات جديدة، وقد مكثت هذه اللجنة ثلاث سنين مجدة فى عملها فطهرت المجارى وكشفت عن عيون مختبئة وبنت خرزات كثيرة وأصلحت عدة بازانات وعمرت مستغلات عين زبيدة وأحدثت لها مستغلات أخرى فلها شكرنا الوافر وثناؤنا المستطاب .

وقد أطلنا عليك أيها القارئ الكلام مع تعمدنا الاختصار ولكنها النفوس الطيبة والأعمال الخيرة تأبى إلا أن تنقش على صفحات كل كتاب سيار حتى يكون للناس منها قدوة حسنة فيكون لفاعلها — زيادة الى أجره — أجر من عمل بها الى يوم القيامة .

وإنا نبتهل الى جميع المسلمين فى أن يتقدموا بأموالهم ورجالهم الى تلك العيون التى يستقى منها سكان بيت الله والوفود عليه من كل فج والتى تعب سلفنا الصالح فى إنشائها وتعميرها ولم يضنوا عليها بمال أو رجال ندعوهم ليقوموا نحو هذه العيون بعمل خالد يأمن معه صدمات الليالى وهجوم السيول ويطمئن به أهل مكة وحجاجها على الماء الذى به حياة كل شىء قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ ﴿ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(١) .

الحـــرم

قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ اعلم أنه يحيط بالكعبة ثلاث دوائر : الأولى دائرة المسجد، والثانية دائرة الحرم، والثالثة دائرة المواقيت فلا يعدو امرؤ الدائرة الثالثة قاصدا دخول مكة إلا إذا أحرم — لبس ثياب الإحرام وأهلَّ بالتلبية فحرمت بذلك عليه محرمات الإحرام — وهى ذو الحليفة لأهل المدينة، والجُحْفة لأهل الشام، وقَرْن لأهل نجد، ويَلَمْلَم لأهل اليمن، وذات

(١) روجع فى كتابة المياه بمكة الى الأصل ص ٤٢ والى رحلة صادق باشا ص ٦١ والى شفاء الغرام ص ٢٥٩ والى رسالة السيد محمد صالح الزواوى مفتى المالكية بمكة المكرمة .

عرق للعراقيين . وذو الحُليفة على عشر مراحل من مكة ، والجحفة على ثلاث ، وقبلها بقليل رابغ ، وذات عِرق على مرحلتين ، وكذلك قرن المنازل و يلملم . والدائرة الثانية دائرة الحرم وقد نصبت عليها أعلام فى جهاتها الأربع ، وقد ذكر المسافات بينها و بين المسجد الحرام التقى الفاسى فى كتابه شفاء الغرام ، ونحن نذكرها نقلا عنه مبينين مقدارها بالأمتار[(١)] ، فحدّ الحرم من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن عُرَنَة ٣٧٢١٠ ٢/٧ ذراع بذراع اليد ، أى ١٨٣٣٣ متر وذلك من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحدّ الحرم من جهة عرفة ، وحدُّه من جهة العراق من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحدّ الحرم فى طريق العراق واللذين هما بجادة وادى نخلة — ٢٧٣٥٢ ذراع بذراع اليد ، وتعادل ١٣٣٥٣/٥ متر . وحدّه من جهة التنعيم وهى طريق المدينة وما يليها ١٢٤٢٠ ذراع بذراع اليد ، أى ٦١٤٨ متر وذلك من جدر باب العمرة إلى أعلام الحرم التى فى الأرض من هذه الجهة لا التى على الجبل . وحدّ الحرم من جهة اليمن من جدر باب إبراهيم إلى علامة حدّ الحرم فى هذه الجهة ٢٤٥٠٩ ٤/٧ ذراع بذراع اليد ، وتعادل ذلك ١٢٠٠٩/٧٥ متر ، وعلى حدّ الحرم من جهة الجنوب مكان يقال له : أضاة ، ومن الغرب بميل قليل إلى الشمال قرية الحديبية وهى التى تمت بها بيعة الرضوان ، ومن الشرق على طريق الطائف مكان يقال له : الجعرانة[(٢)] أحرم منه النبىّ صلى الله عليه وسلم مرجعه من الطائف بعد فتح مكة (انظر الرسم ٨٢) وهذه الدائرة جعلها الله مثابة للناس وأمنا بل أمن فيها الحيوان والنبات فحرّم التعرض لصيدها ومنع أن يُخْتَلَى خَلاها (حشيشها) أو يعضد شوكها .

وأوّل من نصب علامات على حدود الحرم إبراهيم عليه السلام بإرشاد جبريل تعظيما للبيت وتشريفا ، ثم قُصَىّ بن كلاب ، وقيل : قبله اسماعيل ، ويروى هذا عن

(١) ذراع الحديد ٥٦ ١/٧ سنتيا كما حررته من قياس جدر الكعبة بالمتر ، ومقارنتها بقياس الفاسى ، وذراع اليد ٤٩ سنتيا بالتقريب استنتجته من قياسه لبعض الأماكن بالذراعين ذراع الحديد وذراع اليد .

(٢) الجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وبكسرها وكسر العين وتشديد الراء .

رسم تقريبي للمواقيت وأعلام الحرم نمرة ٨٢

شمال
شرق — غرب
جنوب

معلومات

١	المسافة بين مكة والمدينة مسيرة ١١٢ ساعة بسير الإبل وفي كتب السير القديمة عشر مراحل
٢	من المدينة الى رابغ مسيرة ٦٦ ساعة ومن رابغ الى مكة ٥١ ساعة محرم ١٣٤١
٣	بين كل من ذات عرق وقرن المنازل ويلملم وبين مكة مرحلتان في الكتب القديمة
٤	بين مكة والجحفة اربع مراحل تقريبا
٥	من المسجد الحرام الى علمي عرفة ١٨٤٢٢ متر
٦	〃 〃 〃 〃 نخلة ١٤٤٥٤/٥ 〃
٧	〃 〃 〃 〃 التنعيم ٦١٤٨ 〃
٨	〃 〃 〃 〃 اضاءة ١٦٠٠٩/٧٠ 〃 والمسافات منقولة عن شفاء الغرام للفاسي بعد تحويلها الى أمتار
٩	من مكة الى علمي عرفات مسير خمس ساعات
١٠	من مكة لعلمي الحديبية مسير اربع ساعات وربع
١١	راجعنا في عمل هذه الخريطة خريطة صادق باشا وخريطة المساحة وخريطة وزارة الحربية وخريطة الجيش الانكليزي في نوفمبر ١٩١٦ ومعجم البلدان لياقوت ورماد ومنا في رحلتنا على الطريق
١٢	○ علامة الميقات
١٣	■■ 〃 اعلام الحرم
١٤	---- 〃 الطرق
١٥	الرسم تقريبي بقدر الامكان

المدينة
ذو الحليفة أو آبار علي ميقات المدنيين
مسيرة ٦٦ ساعة
الأبواء
رابغ
٤٠٠ كيلو
ميقات الشاميين والمصريين ولكل من حاذاها برا او بحرا
الجحفة
الطريق السلطاني
عسفان
ذات عرق ميقات العراقيين
وادي نخله
علمان
الطريق الى العراق
قرن المنازل ميقات النجديين
الحديبية
علمان
التنعيم
علمان
بئر البارود
مكة
الطريق الى جدة
منى
مزدلفه
عرفة
علمان
الطريق الى اليمن
منبع عين زبيده الطريق الى الطائف
اضاءة لبن
علمان
يلملم

(الخـريتة نمـرة ٨٢)

ابن عباس، وقيل: إن عدنان بن أُدّ أوّل من وضع أنصاب الحرم، ونصبتها قريش بعد ذلك والنبيّ صلى الله عليه وسلم بمكة قبل هجرته، ونصبها النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح، ثم عمر بن الخطاب فى سنة ١٧ هـ، ثم عثمان بن عفان فى سنة ٢٦ هـ، ثم معاوية رضى الله عنهم ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهديّ العباسى، ثم أمر الراضى بعمارة العلمين الكبيرين اللذين بالتنعيم فى سنة ٣٢٥ هـ. قال الفاسى: واسمه عليهما مكتوب ثم أمر المظفر صاحب إِرْبِل بعمارة العلمين اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفة سنة ٦١٦ هـ، ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٨٣ هـ (١).

المسجد الحـــرام

وصف عام للمسجد — أبواب المسجد — مآذنه — توسعته وعماراته وتاريخ ذلك — مواقف الأئمة فى المسجد الحرام — كيفية الصـلاة فيها — مقام إبراهيم عليـه السلام — منبر المسجد الحرام وتاريخه — بئر زمزم — سقاية العباس — المـاشى الأربع — مزاول المسجد — قناديله — موظفوه — أعمدة المطاف.

وصف عام للمسجد الحرام — المســجد الحرام وسط مكة وشكله مربع تقريبا. وضلعه الشماليــة المقابلة للحطيم ١٦٤ مترا وطول الضلع الجنوبيــة المقابلة للأولى ١٦٦ مترا، وضلعه الشرقية التى فيها باب السلام ١٠٨ متر، والغربية طولها ١٠٩ متر، فيكون مسطحه من الداخل ١٧٩٠٢ متر أى أربعة أفدنة وربع تقريبا أما من الخارج فمتوسط طوله ١٩٢ مترا وعرضه ١٣٢ مترا، وفى وسط المســجد بميل إلى الجنوب بيت الله أى الكعبة المكرمة. ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع ثلاثة أروقة (بواكى) فى الأكثر، يفصل بين كل رواق وآخر صف من الأعمدة مواز لجدر المسجد، ووصل بين كل عمودين بعقد من البناء المتين وأقيم على كل أربعـة

(١) لم نعثر على تاريخ الأعلام بعد ذلك مع شـدّة حرصنا على الوقوف عليـه مع أنه لا بد أن تكون عمرت بعد ذلك مرارا فان بناءها القائم ليس بناء سبعة قرون أو تزيد.

أعمدة قبة محكمة البناء فنشأ من ذلك قباب متجاورة منها تكون سقف تلك الأروقة، وعدد العقود فى الجهة الشمالية من الجدار الشرقى الى الغربى ٤٢ عقدا فى كل صف على آستقامة واحدة، أما العقود العرضية فى هذه الجهة فثلاثة ثلاثة إلا فى الطرفين فان العرض عقدان، وعدد العقود طولا فى الجهة الجنوبية ٤٠ فى أطول صف من الجدار الشرقى الى الغربى، وعددها عرضا ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فى الوسط، وفى الطرف اثنان وواحد، وعددها من الجهـة الشرقية طولا بطول الصحن فقط ٢٤ عقدا فى كل صف، والعرضية ثلاثة ثلاثة إلا فى الطرف الجنوبى فاثنان لانحراف الجدار، وفى الجهـة الغربية قبالة الصحن فقط ٢٤ طولا فى كل صف، والعقود العرضية أربعة أربعـة وقليل ثلاثة ثلاثة، وتجـد عقودا أخرى فى الجهـة الشمالية فى مدخل باب الزيادة وكذلك فى الجهـة الغربية فى مدخل باب إبراهيم، وجملة الأعمدة المقامة عليها تلك العقود ٥٤٥ عمودا منها ٣٠١ من الرخام ومنهـا ٢٤٤ من الحجر الشميسى الأحمر، ومعلق بين كل عمودين خمسة قناديل كبار — فنايير — توضع فيها المصابيح، وفى صرة كل قبة قنديل فاذا ما أضيئت كل هذه مع ما حول الكعبة أحدثت منظرا يملأ النفس بهجة وسرورا. (أنظر المسجد الحرام فى الرسم ٨٣) والجهة الشمالية فى الرسم ما فيها باب الزيادة والشرقية ما فيها باب النبى صلى الله عليه وسلم الخ، وانظر العقود (البواكى) فى (الرسم ٨٤) وترى فى العوارض الخشبية مسامير لمنع وقوف العصافير والحمام عليها آتقاء لقذرها، وما عدا هذه الأروقة من المسجد فصحن واسع توسطته الكعبة (الرسم ٨٥) يحيط بها المطاف المرصوف بالرخام قد أقيم عليه صف من الأعمدة المصنوعة من النحاس الأصـفر وصل بينها بعوارض الحديد تعلق فيهـا المصابيح وأقيم بخارج المطاف تجاه كل ضلع من أضلاع البيت — عدا الضلع الشرقية — سقيفة قامت على أعمدة الرخام يصلى فى الشمالية منها إمام الحنفية وهى ذات طبقتين وفى الغربية إمام المـالكية وفى الجنوبية إمام الحنبلية أما إمام الشافعية فيصلى خلف مقام ابراهيم شرق الكعبة أوفوق البناء المقام على زمزم. وبجوار المطاف فى الجهة الشرقية المنبر وفى جنوبيه قبـة أقيمت على بئر زمزم، وبشمالى البئر باب

المسجد الحرام بمكة المكرمة

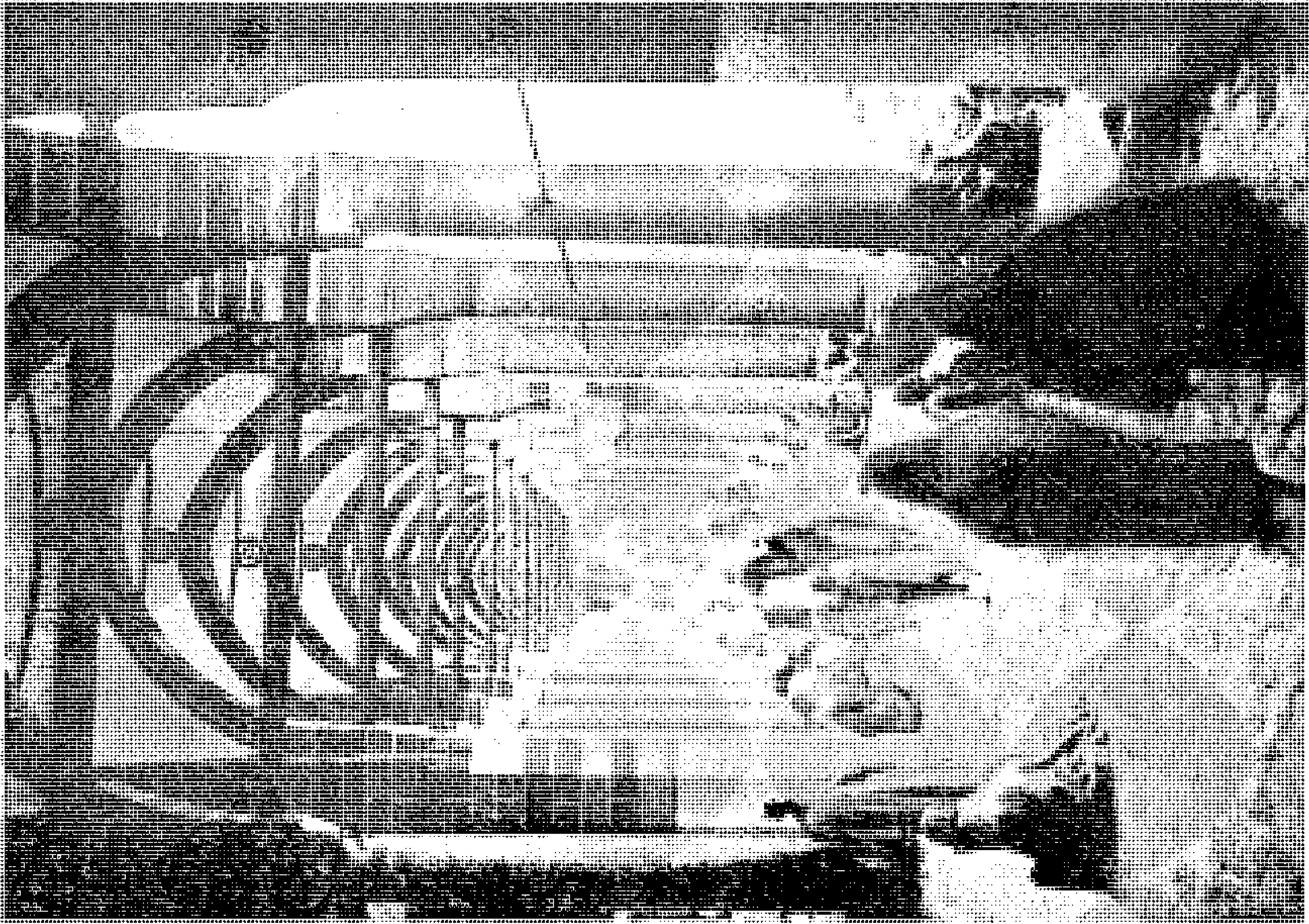
باب ابراهيم الخياط
صاله
باب الوداع
باب العمرة
مأذنة باب الوداع
مأذنة
باب ام هانئ
الباب العتيق
حصباء
باب بني تيم
الجانب الغربي
حصباء
باب الرحمة
مقام مالك
باب الباسطية
حصباء
السلم الخارجي
دائرة المطاف
تبابيطه
الركن الشامي
الركن اليماني
الكعبة
حجر اسماعيل
الركن العراقي
مقام الحنفي
باب القطبي
باب اجياد الصغير
صاله
مقام الحنبلي
زمزم
باب الزيادة
باب الصفا
مأذنة باب الزيادة
حصوة الحريم
حصباء
باب البغلة
مأذنة
الجانب الشرقي
باب بازان
حصباء
حصباء
مأذنة باب علي
باب دريبة
مأذنة باب السلام
باب علي او بني هاشم
باب العباس
باب النبي
باب السلام

١ باب المعين ٣ قبر اسماعيل ووالدته ٥ باب السلام او بني شيبة
٢ الحجر الاسود ٤ مقام ابراهيم ٦ منبر

حقوق الطبع والتصوير محفوظة باسم اللواء ابراهيم رفعت باشا أمير الحج المصري في محرم سنة ١٣٢٦

83. The map of El Haram Mosque in Mecca.

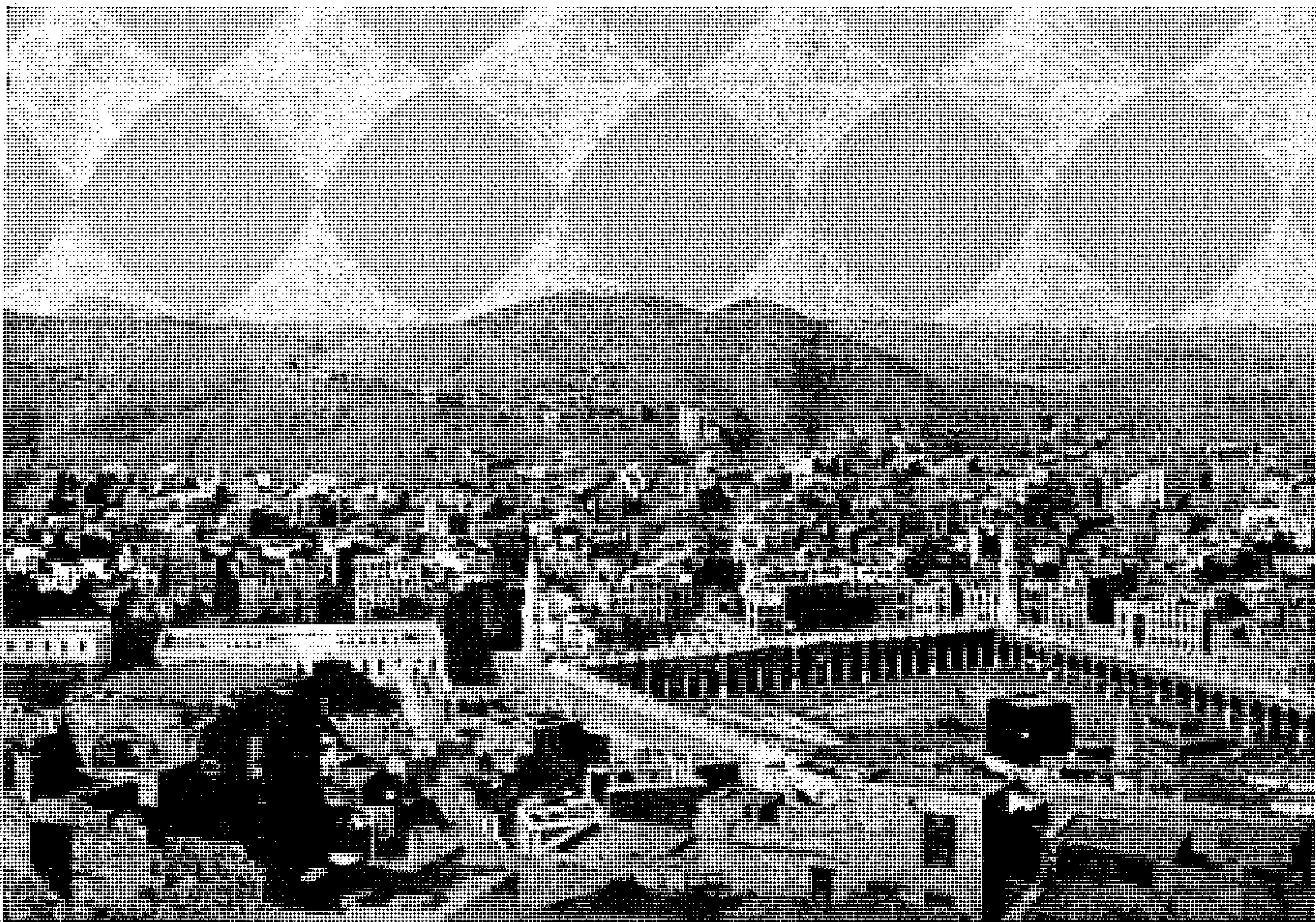
منظر رواق الحرم المكي من الداخل



84. Arcades of El Haram Mosque as seen from the Interior.

صحيفة ٢٢٨

الحرم المكي من جهة الشمال والغرب والجنوب



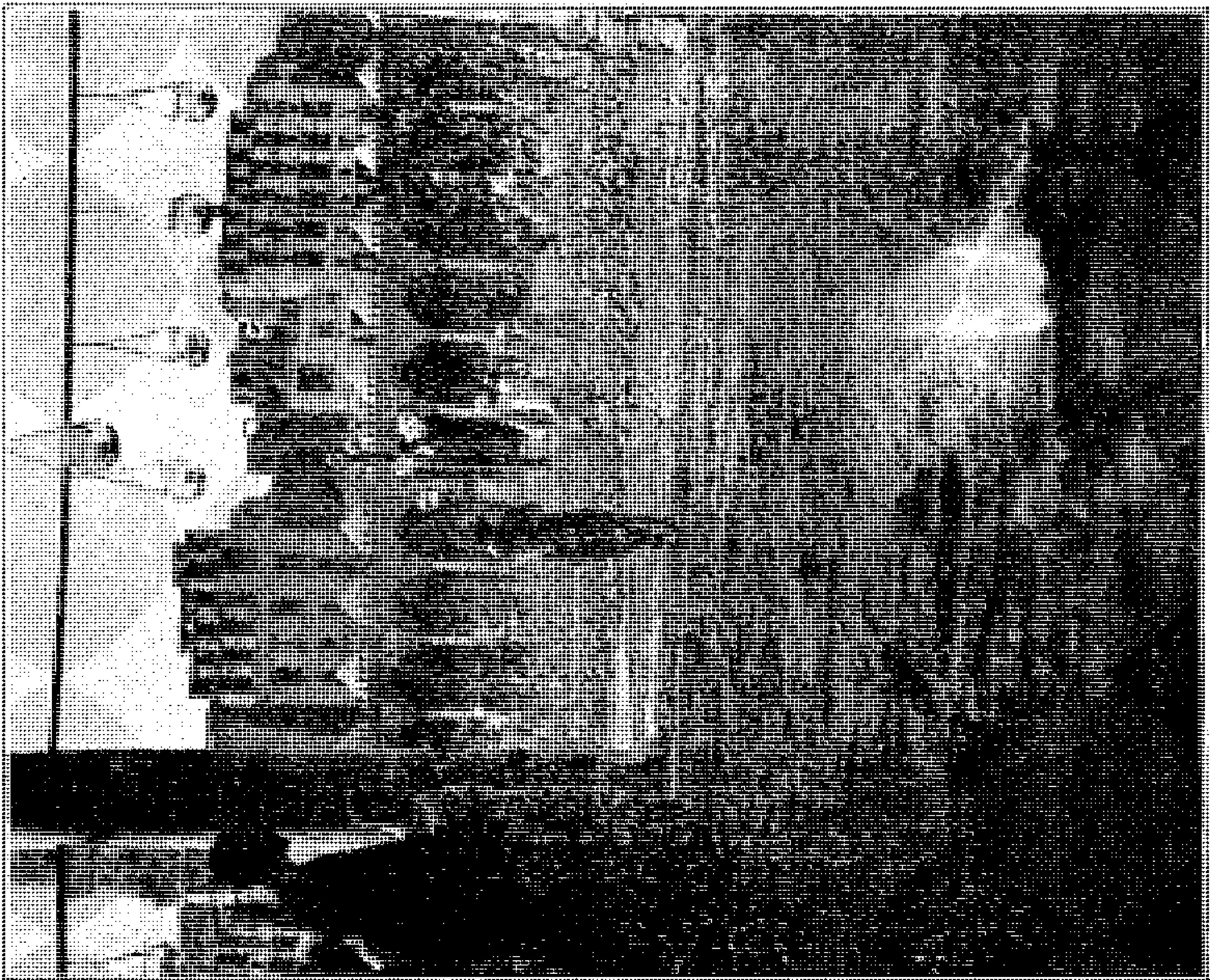
85. The Southern, Western and Northern view of the Mosque of Mecca.

اجتماع الحجاج لصلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة

بهذا الرسم على الشمال زمزم وهى البيضاء ذات القبة وبابها ظاهر وبين الباب والكعبة سلم للصعود عليه داخل الكعبة من افخر الصناعات العربية وبعدها الكعبة والحزام القصب والستارة ظاهرة وفى وجه الكعبة باب بنى شيبه وقناديل الانارة فى وسطه وبعده المنبر وعليه البيرق واثنان اغوات وبعده البواكى وبعده مقام الحنفى ذو الطبقتين والحجاج جلوس

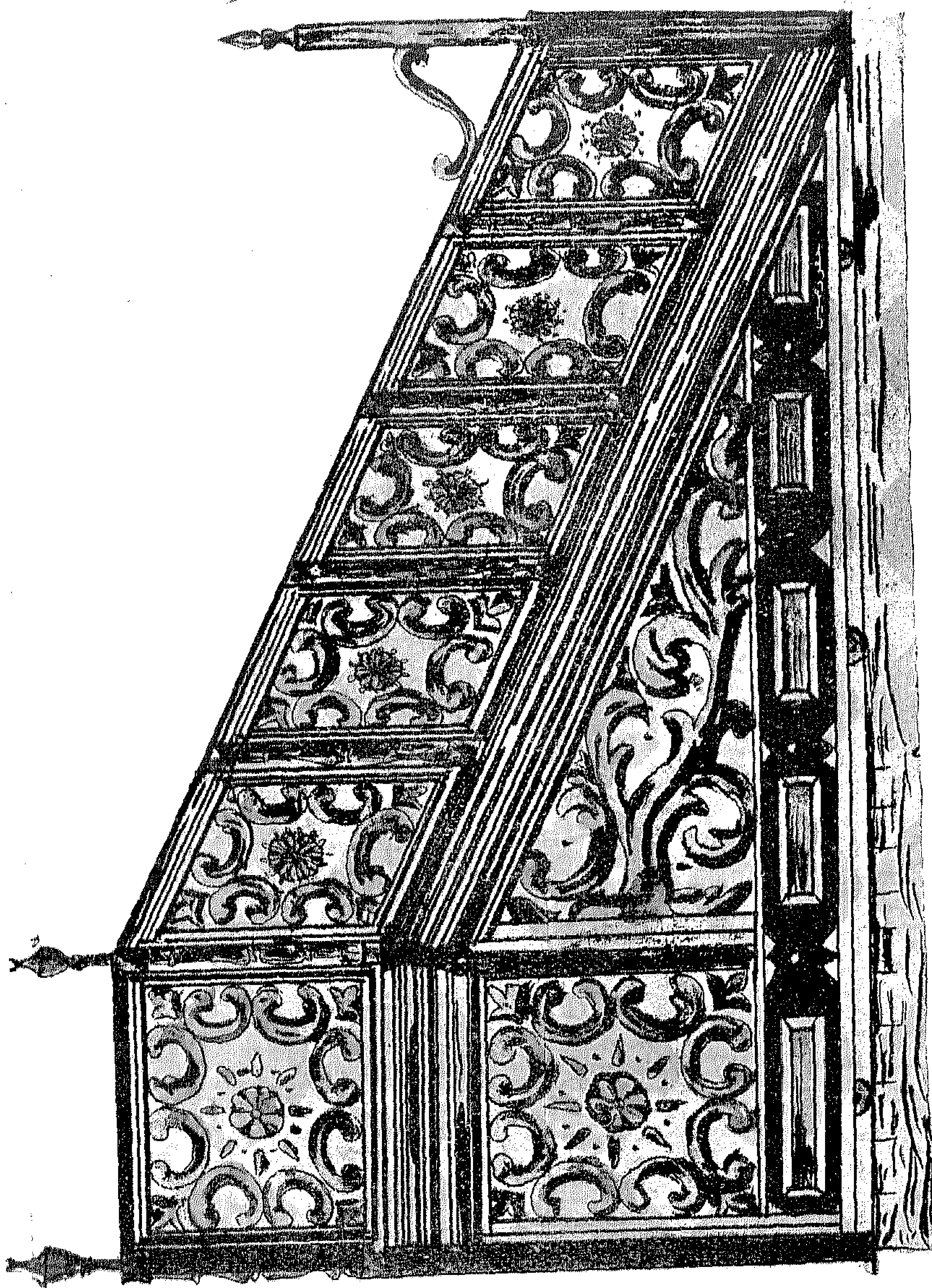


86. The meeting of the pilgrims round the Kaaba for the Friday prayers.



87. The Pigeons of Hema in Haram Mosque in Mecca

صحيفة ٢٢٩



سلم الصعود عليه لداخل الكعبة

87. Stairs to ascend to the Interior of Kaaba.

بنى شيبة يعلوه عقد أقيم على عمودين من الرخام، وقد كتب على باب بنى شيبة تحت الهلال ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ وكتب على العقد ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ وذلك بماء الذهب ، وكتب فى الجهة المقابلة لمقام إبراهيم والكعبة « الله جل جلاله » ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ « محمد عليه السلام » (أنظر باب بنى شيبة فى الرسم ٨٦ الذى أخذته سنة ١٣٢٥ ﻫ . والحجاج مجتمعون بالمسجد لصلاة الجمعة) وأرض المسجد منخفضة عن الأرض المحدقة به بنحو ثلاثة أمتار ويصعد من أرضه إلى الأبواب التى على الشوارع بسلالم، والبيت منحدر تدريجا عن هذه الأرض بنحو متر، وصحن المسجد سقفه السماء وفرشه الحصباء إلا ما تخلله من المماشى التى تصل بين الأبواب والأروقة من جهة والمطاف وما يليه من ناحية الكعبة من جهة أخرى فإنها مرصوفة بحجارة الجص كالأروقة ليسلكها الناس ويتجنبوا الحصباء التى كثيرا ما تكون مبللة بمياه الوضوء ، ولذلك فإن المطوّفين إذا ما دنت صلاة العصر بسطوا « الأكلمة » والسجادات على هذه الحصباء ليجلس عليها الحجاج ، على أن كثيرا من الناس يفترش الحصباء الساعتين والثلاث انتظارا للصلاة خصوصا فى يوم الجمعة فتراهم يبكرون ويجلسون على الحصباء وقد اشتدّ القيظ وتسلط على الأدمغة لهيب الشمس كل هذا حرصا على سماع الخطبة، وعرض تلك المماشى قريب من متر ويجلس عليها بعض النساء الفقيرات يبعن الحبوب للحجاج ليقدموها إلى حَمَام الحمى الذى يوجد بكثرة فى المسجد ولونه أزرق غامق به نقط رمادية وخطوط سود وهو مطوّق بالخضرة المحمرة ، والقطاط مسلطة عليه تصطاده ، وكذلك يوجد بالمسجد طير الأبابيل كما يسميه المكيون — وهو أشبه بما نسميه عصفور الجنة — وهذه الطيور لا تنفر من الحجاج لأن الله كتب لها الأمن فى حرمه كما كتبه للناس (انظر الرسم ٨٧) تجد الحمام وهو يلتقط الحب .

وللمسجد خمسة وعشرون بابا ، منها بالشمال ثمانية أبواب وبالشرق خمسة وبالجنوب سبعة وبالغرب خمسة، من هذه ستة أبواب صغيرة (خوخات) والباقى

أبواب كبيرة منها ذو الفتحة والفتحتين والثلاث والخمس، وفى المسجد سبع منارات فى كل زاوية منارة، وثنتان فى الشمال وواحدة فى الشرق .

أبواب المسجد الحرام ووصفها

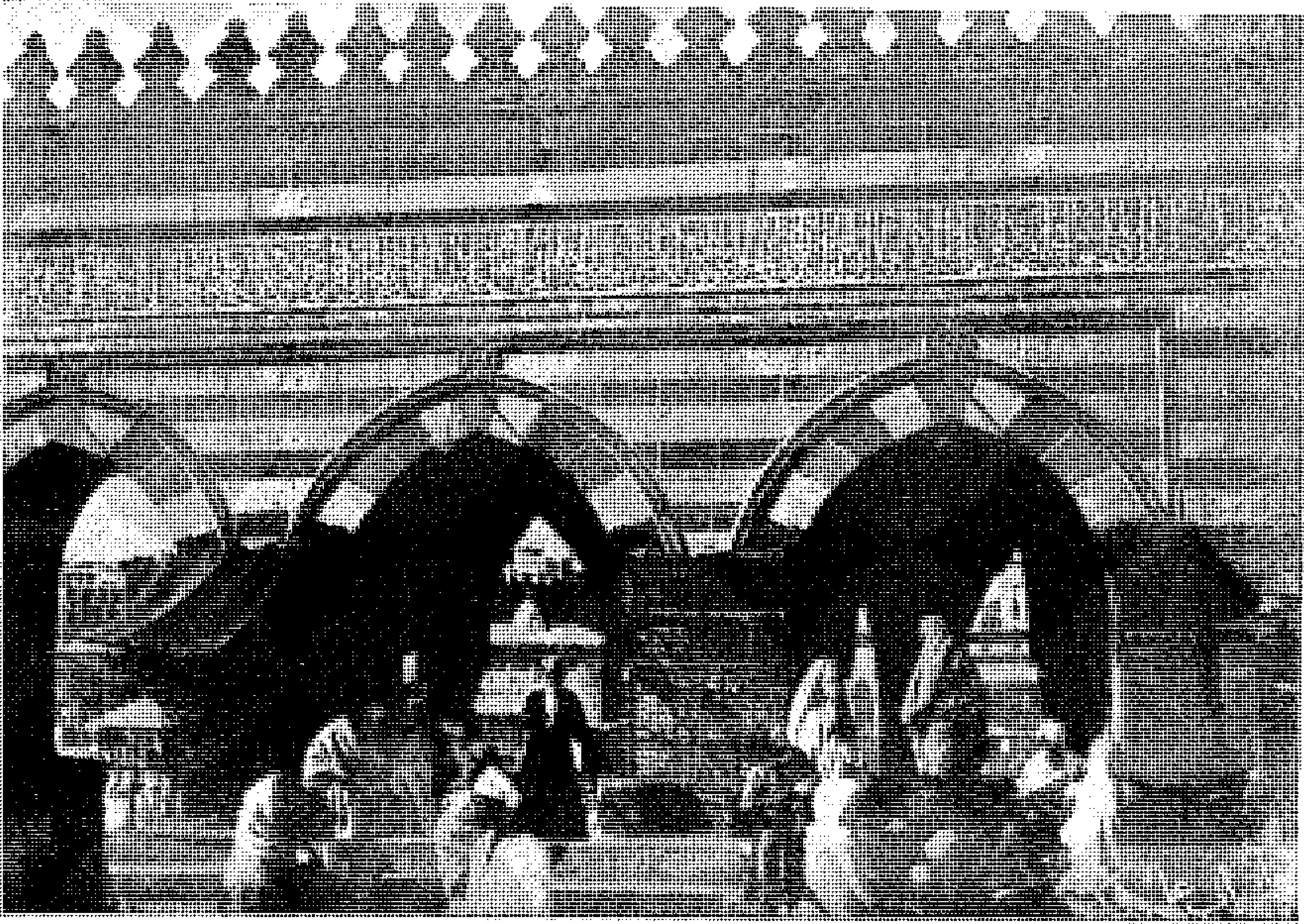
فى الشرق : (١) باب السـلام — ويعـرف بباب بنى شيبة وبباب بنى عبد شمس وهو ذو فتحات ثلاث، وكتب عليه ما يأتى : أمر بانشاء هذا البيت الشريف السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان با يزيد خان بن السلطان محمود خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمـد خان آبن السلطان با يزيد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان أرخان بن السـلطان عثمان خان، وكتابة ذلك فى سنة ٩٣١ هـ . وهى منقوشة على الحجر الأبيض ، وهذا الباب يدخل منه الحجاج لأداء طواف القدوم .

(٢) باب قايتباى — وهو خوخة ولا سلم له .

(٣) باب الجنائز — سمى بذلك لأن الجنائز تخرج منه فى الغالب الى مقبرة المعلى، وذكر الأزرقى : أنه باب النبيّ صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج منه ويدخل الى منزله دار خديجة رضى الله عنها فى زقاق العطارين، ولهذا الباب فتحتان وينزل منه الى مستوى المسجد بثلاث عشرة درجة آرتفاع الدرجة ربع المتر .

(٤) باب العباس بن عبـد المطلب — سمى بذلك لأنه يقـابل داره بالمسعى. وسمـاه آبن الحاج فى منسكه باب الجنائز ولعل ذلك لأنه كان يصلى فيـه على الجنائز ، وهـذا الباب ذو فتحات ثلاث للدخولّ منها، وله إحدى عشرة درجة ومكتوب على يسار الداخل منه على الحائط بخط الثلث الجميل (الله . محمد . أبو بكر . عمر . عثمان) رضوان الله عليهم أجمعين سـنة ١٢٩٩ هـ . وفوق ذلك كتب بالخط الثلث الدقيق (قد وقع هذا الانشاء الشريف باشارة السلطان الأعظم السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان أيد الله ملكه سنة ٩٨٨ هـ) .

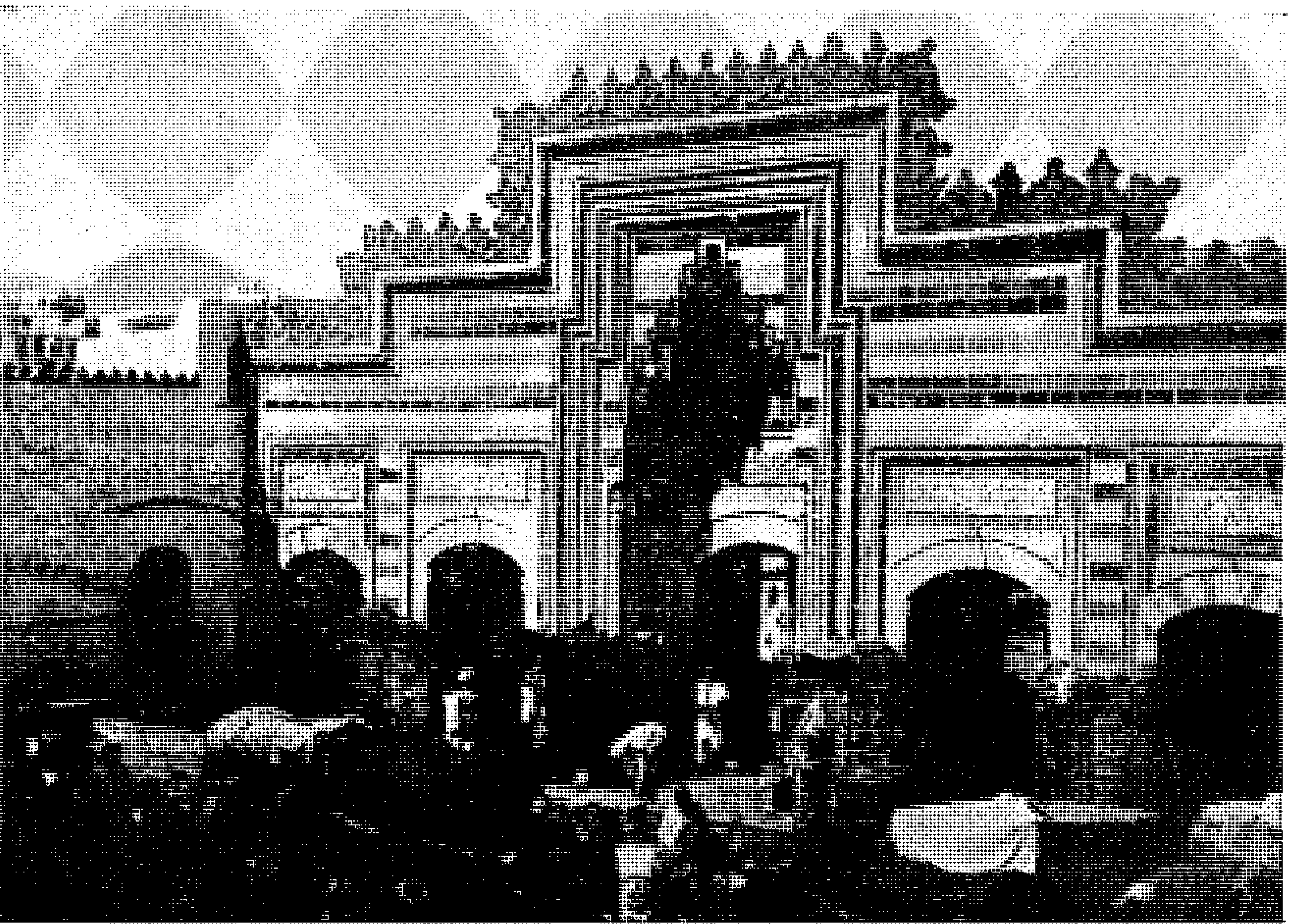
منظر باب علي بالحرم المكي



88. Door of Aly in Mecca Mosque.

صحيفة ٢٣١

منظر باب الصفا بالحرم المكي



89. View of the door of El Safa at Mecca.

(٥) باب عليّ — ويعرف بباب بنى هاشم ، قال الأزرقى : وبباب البطحاء أيضا وفيه ثلاث فتحات وآرتفاعه عن أرض المسجد ١٣ درجة آرتفاع الواحدة منها ٢٨ سنتيمترا وعليه كتابة جميلة للسلطان مراد سنة ٩٨٤ هـ . (آنظر الرسم ٨٨ الذى آستعرناه من خليل افندى قازانلى المصوّر بالمدينة) .

وبالجهة الجنوبية : (١) باب بازان — سمى بذلك لأن عين مكة المعروفة ببازان قربه — كل محل ينزل اليه بدرج ويكون مستطيلا يسمى بازان — قاله جمال الدين محمد بن محمد نور الدين فى كتابه الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف — وسماه الأزرقى باب بنى عائد ويسمى الآن أيضا باب القره قول (المخفر) لأنه أمامه ، وهذا الباب ذو فتحتين ، وله ١٣ درجة ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ سنة ٩٨٤ هـ . للسلطان مراد بن السلطان سليم خان .

(٢) باب البغلة — وهو ذو فتحتين قال الفاسى : ولم أدر ما سبب هذه الشهرة ، وعرّفه الأزرقى بباب بنى سفيان ، وله إحدى عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ صدق الله العظيم . والحمد لله رب العالمين . وذلك بالخط الثلث .

(٣) باب الصفا — سمى بذلك لأنه يلى الصفا وعرّفه الفقهاء فى المناسك بباب بنى مخزوم وكذا عرّفه الأزرقى وهو ذو خمس فتحات أو طاقات أو أبواب وله أربع عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (انظر الرسم ٨٩) وترى فيه أقفاصا تحفظ فيها أحذية الداخلين .

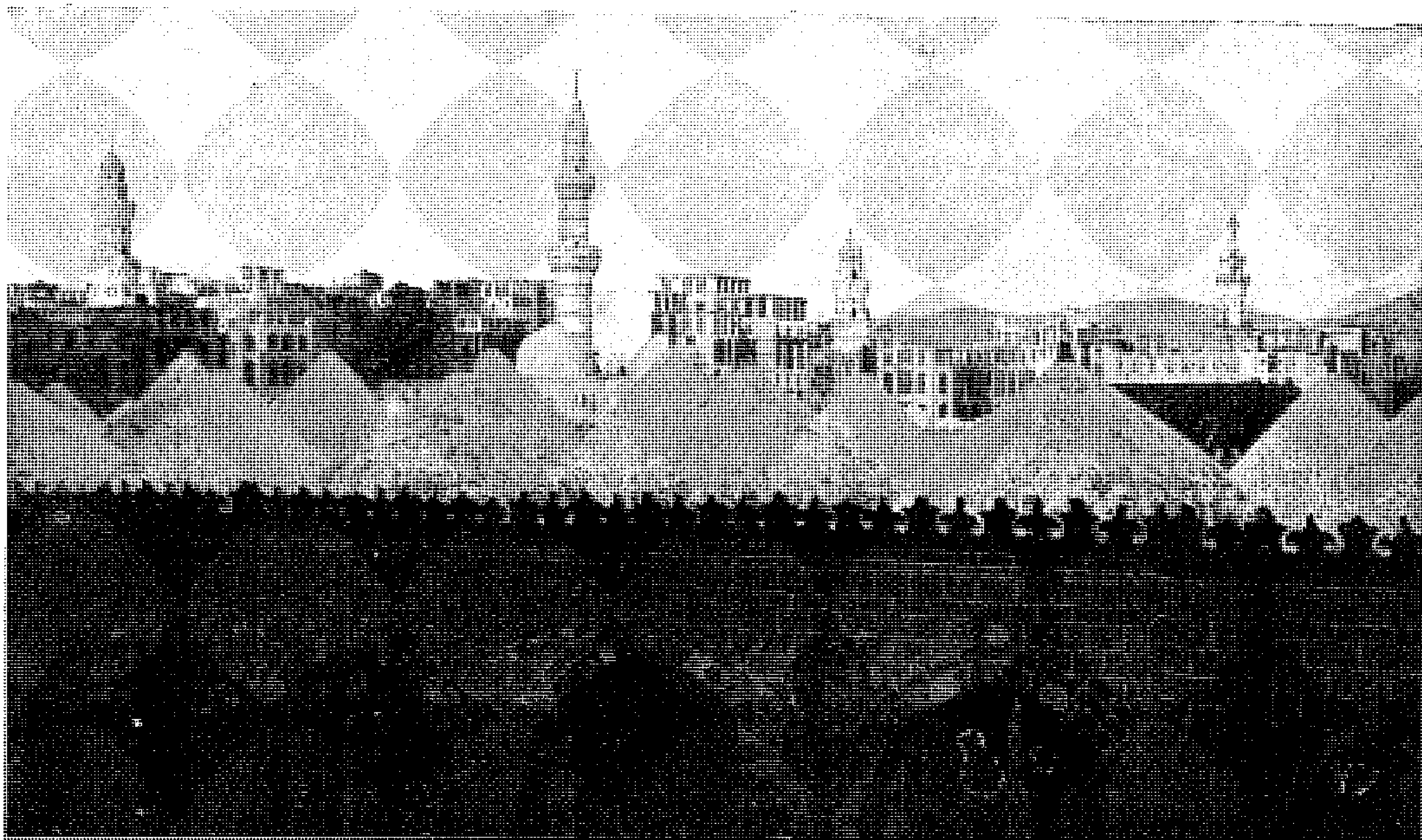
(٤) باب إجياد الصغير — كذا سماه ابن جبير وسماه أيضا باب الحلفيين ولا يعرف السبب فى هذا وسماه الأزرقى أيضا باب بنى مخزوم وهذا الباب له طاقان وينزل منه الى المسجد بتسع درجات .

(٥) باب المجاهدية — وأطلق ذلك عليه لأن عنده مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن كذا عرّفه الفاسى ويقال له : باب الرحمة ولم يعرف سبب هذه التسمية (انظر الرسم ٧٤) ، وذكر الأزرقى : أنه من أبواب بنى مخزوم فتلك أبواب ثلاثة متجاورة يطلق على كل منها باب بنى مخزوم لكونهم كانوا ساكنين بتلك الجهة .

(٦) باب مدرسة الشريف عجلان — سمى بذلك لأنها بجانبه كذا عرّفه الفاسى وعرّفه الفاسى بباب بنى تيم ويقال له : باب التكية لأن أمامه التكية المصرية وله فتحتان وينزل منه الى أرض المسجد بأحد عشر سلما ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(٧) باب أم هانئ — بنت أبى طالب وبذلك عرّفه الأزرقى وذكر الفاسى أنه يسمى بباب الملاعبة لأنه بحذاء دار تنسب للقوّاد الملاعبة يعنى فى زمنه ، وعرّفه الأقشهرى بباب الفرج ويطلق عليه الآن باب الحميدية (دار الحكومة التركية) لأنها أمامه وأشهر أسمائه الاسم الأوّل لأن ما يليه من المسجد كان دارا لأم هانئ زوج هبيرة بن عمرو المخزومى ، وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر فى المسجد فى زيادة المهدى الثانية ، وحفر المهدى عوضها بئرا عند باب الوداع (الحزورة) ولهذا الباب منفذان أو طاقتان وله سلم ١٢ درجة ينزل منه الى أرض

الحرم المكي من جهة باب ابراهيم



90. The Great Mosque at Mecca as seen from Ibrahim's Mausoleum.

داخل الحرم المكي من الجهة الشمالية الغربية



91. The Northern Western view of the Mosque of Mecca.

المسجد الحرام ، ومكتوب عليه باللون الأصفر بالخط الثلث الجميل ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ .

وبالجانب الغربي : (١) باب الحزورة — قال الفاسي : المصحّف الآن بباب عزورة والحزورة اسم لسوق فى الجاهلية كانت فى هذا المكان ودخلت فى المسجد الحرام عند توسعته ويسمى باب البقالية ، قال الأزرقى : ويقال له باب بنى حكيم بن حزام وبنى الزبير بن العوّام ، والغالب عليه باب الحزامية لأنه يلى خط الحزامية ، ويقال له الآن : باب الوداع لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم ، ولهذا الباب فتحتان وسلم من الداخل ذو درجات عشر وعليه بين البابين تاريخ للملك الناصر فرج بن السلطان الشهيد الظاهر أبو سعيد برقوق سنة ٨٠٤ ﻫ . ومكتوب على الباب يا مبدئ يا معيد . ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ . ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ .

(٢) باب إبراهيم — قال الفاسى : وإبراهيم المنسوب إليه هذا الباب كان خياطا يجلس عنده على ما قيل كما ذكره البكرى فى كتاب المسالك والممالك ، وإن العوام نسبوه اليه . ووقع للحافظ أبى القاسم بن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضى أنه الخليل عليه السلام وهو بعيد لا وجه له اه . وهذا الباب فى الزيادة التى فى هذا الجانب ، وهو ذو فتحة واحدة كبيرة وهو أكبر أبواب المسجد ، ومكتوب على يمين هذا الباب ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وعلى اليسار « أمر بعمارة هذا الباب المعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى » بدون تاريخ ، انظر داخل المسجد الحرام من جهة باب إبراهيم فى (الرسم ٩٠) الذى ترى فيه قباب المسجد وشرفاته .

(٣) باب صغير — بمدرسة الشريف عبد المطلب .

(٤) باب الداودية — صغير أيضا وله ١٣ سلما .

(٥) باب العمـرة — وسمى بذلك لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون ويدخلون منه فى الغالب وسماه الأزرقى باب بنى سهم ، وهو ذو طاق واحد وينزل منه الى مستوى المسجد بثنتى عشرة درجة .

وفى الجانب الشمالى : (١) باب عمرو بن العاص — ويقال له : باب السدّة لكونه سدّ ثم فتح ، ويقال له : الباب العتيق ، وهو ذو فتحة واحدة صغيرة ويعلو أرض المسجد بخمس عشرة درجة .

(٢) باب الزمامية — وهو باب صغير ذو فتحة واحدة وله تسع درجات تصل بك الى أرض المسجد .

(٣) باب العجلة — لكونه عنـد دار العجلة ولا يدرى ما هذه العجلة ، ويقال له باب الباسطية لأنه مجاور لمدرسة عبد الباسط وله فتحة واحدة واثنتا عشرة درجة .

(٤) باب القطبى — ويقـال له : باب الزيادة لكونه غربى الزيادة التى فى شمالى المسجد ، وهو ذو فتحة واحدة وله ١٣ درجة .

(٥) باب سويقة — وهو فى صـدر زيادة دار النـدوة أى فى شماليها ، ويعرف الآن بباب الزيادة ، وكان يقال هـذا على باب القطبى ، ولبـاب سويقة ثلاث فتحات وينزل منه الى أرض المسجد بثلاث عشرة درجة .

(٦) باب المحكمة — وهو صغير ذو فتحة واحدة ولا سلم له .

(٧) باب الكتبخانة — ويقال له : باب المدرسة ذو فتحة واحدة .

(٨) باب دريبة — وهو فى الطرف الشمالى الشرقى وذو فتحة واحدة .

مآذن المسجد الحرام — له سبع مآذن : (الأولى) مئذنة باب العمرة فى ركن المسجد الشمالى الغربى ، وقد بناها المنصور العباسى فى عمارته للمسجد سنة ١٣٩ هـ .

وجدّدها وزير صاحب الموصل سنة ٥٥١ ه . وأصلحت فى سنة ٨٤٣ ه . فى ولاية السلطان چقمق ، وفى سنة ٩٣١ ه . أمر السلطان سليمان بهدم هذه المنارة وإعادة بنائها محكما ، (الثانية) مئذنة باب السلام عمرها المهدى العباسى سنة ١٦٨ ه . (الثالثة) مئذنة باب علىّ عمرها المهدى أيضا فى التاريخ السالف ، وجدّدت بالحجر الأصفر فى عمارة السلطان سليمان للمسجد . (الرابعة) مئذنة باب الحزورة (باب الوداع) عمرها المهدى أيضا ، ثم عمرت زمن الأشرف شعبان صاحب مصر ، وكانت سقطت سنة ٧٧١ ه . فعمرت فى السنة التالية . (الخامسة) مئذنة باب الزيادة عمرها المعتضد العباسى لما بنى الزيادة سنة ٢٨٤ ه . ثم جدّدها الأشرف برسباى فى سنة ٨٢٦ ه . (السادسة) مئذنة قايتباى بالمدرسة المعروفة باسمه ، وهى مجاورة لباب السلام على يسار الداخل الى المسجد وقد عمرت فى حدود سنة ٨٨٠ ه . (السابعة) مئذنة السليمانية فى المدرسة المعروفة باسمها ، وكل هذه المآذن حصلت فيها زيادات وترميمات فى العمارة الكبيرة التى قام بها السلطان سليم الثانى وأبوه فى المسجد كما ستقف على ذلك بعد ، وكذلك رممت فى سنة ١٠٧٢ ه . على يد سليمان بك والى جدّة والحرم من قبل السلطان محمد كزلار الأغا وكل هذه المآذن يؤذن عليها الآن فى الأوقات الخمس وشيخ المؤذنين أو الميقاتى يؤذن على قبة زمزم فيتبعه باقى المؤذنين على المآذن ومثبت فى الحائط الجنوبى لهذه القبة مزولة أهداها رجل مراكشى الى المسجد وهى فى غاية الضبط والإحكام وعليها ميقاتهم فى النهار . أنظر فى (الرسم ٩١) ست مآذن من السبع .

توسعة المسجد الحرام وعمارته وتاريخ ذلك — ذكر الأزرقى والامام أبو الحسن الماوردى وغيرهما أن المسجد الحرام كان فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه ليس عليه جدار يحيط به ، وكانت الدور محدقة به من كل جانب و بين الدور أزقة يدخل منها الناس ، وكانت حدوده حدود المطاف الآن وهو على ذلك من عهد إبراهيم عليه السلام ، فلما أن استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه آشترى دورا هدمها ووسع بها المسجد — وكانت تلك أوّل زيادة —

وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وامتنع من البيع فوضع أثمانها فى خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك، وقال لهم عمر: إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها ولم تنزل الكعبة عليكم ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطا به دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه فكان عمر أول من اتخذ للمسجد جدارا ووضع له المصابيح، وذكر القاضى فى جامعه : أن أول من استصبح لأهل الطواف عتبة بن الأزرق وكانت داره لاصقة بالمسجد فكان يضع فى جداره مصباحا كبيرا يضىء لمن يطوف بالبيت . ولما كان زمن عثمان وكثر الناس آشترى دورا وسع بها المسجد وقد أبى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به فقال لهم : إنما جرأكم علىّ حلمى عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد ثم أمر بهم الى الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم . وجعل عثمان للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الأروقة له وكانت توسعة عمر فى سنة ١٧ هـ . وتوسعة عثمان فى سنة ٢٦ هـ . وفى سنة ٦٤ هـ . اشترى عبد الله بن الزبير دورا وسع بها المسجد من جانبيه الشرقى والجنوبى توسعة كبيرة، ومن جملة ما اشتراه بعض دار الأزرقى جدّ الأزرقى صاحب تاريخ مكة وكانت شرقى المسجد، وقد آشترى بعضها هذا ببضعة عشر ألف دينار، وفى سنة ٧٥ هـ . حج عبد الملك بن مروان وعمر المسجد ولم يزد فيه ولكن رفع جدره وسقفه بالساج، وجعل فى رأس كل أسطوانة ٥٠ مثقالا من الذهب ثم وسعه ابنه الوليد ونقض عمل أبيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المزخرف وأزّر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفا، وجعل على رأس الأساطين الذهب على صفائح الشبه من الصفر (الشَّبَه والشِّبْه نوع من النحاس) وجعل فى وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل إليه أساطين الرخام . وفى ولاية زياد بن عبد الله الحارثى على مكة أمره أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس

---

(١) تفعل حكومتنا مثل هذا . فمن أخذت منه شيئا للصالحة العامة وأبى أخذ ثمنه أودعته خزينة الحكمة باسمه .

بزيادة المسجد الحرام فوسعه من جانبه الشمالى ومن جانبه الغربى، ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقا واحدا ، وكان ابتداء عمل ذلك فى المحرم سنة ١٣٧ هـ ، والفراغ منه فى ذى الحجة سنة ١٤٠ هـ . وكانت زيادته ضعف ما كان عليه المسجد وقد زينه بالذهب وأنواع النقوش وبنى مئذنة بنى سهم . ولما حج المنصور سنة ١٤٠ هـ ، رأى حجارة الحجر بادية فأمر عامله زيادا المذكور بتغطيتها بالرخام ليلا حتى اذا أصبح لا يراها إلا مغطاة وقد فعل ما أمر به على السراج قبل أن يصبح الصباح ثم إن المهدى بن أبى جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه ومن الجانب اليمانى ومن الموضع الذى انتهى اليه أبوه فى الجانب الغربى حتى صار على ما هو عليه اليوم ما عدا الزيادتين فانهما أحدثتا بعده كما سيأتى . وكانت عمارة المهدى فى نوبتين الأولى فى سنة ١٦١ هـ، وزاد فيما زاده أبوه رواقين، والثانية فى سنة ١٦٧ هـ . وكان أمر بها لما حج حجته الثانية فى سنة ١٦٤ هـ . ورأى الكعبة فى شق من المسجد فكره ذلك وأحب أن تكون فى وسطه ، فدعا المهندسين وشاورهم فى ذلك فقدروا ذلك فاذا هو لا يستوى لهم من أجل الوادى والسيل، وقالوا : إن وادى مكة له سيول قوية العزم ونخشى ان حولنا الوادى عن مكانه أن لا يتم لنا ما نريد، فقال المهدى : لا بد لى من سعة المسجد حتى تكون الكعبة فى وسطه ولو أنفقت فيه جميع ما فى بيوت المال وعظمت نيته فى ذلك وقوى عزمه، فقدر المهندسون ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادى الى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل فى المسجد من ذلك وما يبقى فى الوادى ، ثم خرج المهدى الى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد ولم يكمل ذلك إلا فى خلافة ابنه موسى الهادى لمعاجلة المنية للمهدى، وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليمانى وبعض الغربى، وأنفق المهدى رحمه الله فى ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن الذراع المربع مما دخل فى المسجد الحرام خمسة وعشرين دينارا — اثنى عشر جنيها ونصفا — وثمنه مما دخل فى الوادى خمسة عشر دينارا ، ونقل الى المسجد الحرام أساطين الرخام

من مصر وغيرها فى السفن حتى أنزلت بجدّة وحملت منها على العجل الى مكة ، قال الأزرقى : ووسع المهندسون باب بنى هاشم الذى يستقبل الوادى وجعلوا إزاءه بابا فى الجهة الأخرى يقابل خط الخزامية — وهو باب الحزورة أو البقالين — وقالوا إذا جاء سـيل عظيم ودخل المسـجد خرج من ذلك الباب .

وفى خلافة هارون الرشيد عمل أمير مكة عبـد الله بن محمد بن عمران الطلحى مظلة للمؤذنين التى على سطح المسجد ليؤذنوا فيها يوم الجمعة وكانوا يؤذنون قبل ذلك فى يومها على سطح المسجد صيفا وشتاء .

ولم يزد فى المسجد الحرام بعد عمارة المهدى سوى زيادة دار الندوة فى الجانب الشامى (الشمالى) وزيادة باب ابراهيم فى الجانب الغربى ، وكان سبب الزيادة الأولى كما فصله الفاسى عن إسحاق الخزاعى أن بعض أهل الخير كتب الى وزير الخليفة المعتضد العباسى يحسن له جعل ما بقى من دار الندوة مسجدا ويقول له : إن هذه مكرمة لم تتهيأ لأحد من الخلفاء بعـد المهدى ، فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته وأخرج لذلك مالا عظيما فأخرجت القُمام — جمع قُمامة وهى الكناسـة — من دار النـدوة وجعلت مسجدا ووصلت بالمسجد الكبير وعمره بأساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها فى جدار المسجد الكبير اثنا عشر بابا بعقود ستة كبار ، تحت كل عقد منها باب سعته خمسة أذرع فى ٱرتفاع أحد عشر ، وبين العقود الكبيرة ستة صغيرة تحت كل عقد باب سعته ذراعان ونصف فى ٱرتفاع ثمانية أذرع وثلث ، وجعل فى هـذه الزيادة من الخارج ثلاثة أبواب ، بابان طاقان وباب طاق واحد شارعة الى الطريق التى حولها وجعل سقفها مسامتا لسقف المسجد الكبير وبنى فيها مئذنة وشرفا ، وفرغ من ذلك فى ثلاث سنين ، وذرع هـذه الزيادة طولا أربعة وستون ذراعا من الشمال الى الجنوب ، وذرعها عرضا من وسط الجدار الشرقى الى وسـط الغربى سبعون ذراعا بذراع الحديد . ولم يبين إسحاق الخزاعى السنة التى فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة ولعل ذلك كان فى سنة ٢٨٤ هـ . على مقتضى ما ذكره إسحاق من أن الكتابة الى المعتضد بسبب إنشائها كانت فى سـنة ٢٨١ هـ . ثم ذكر

أن القاضى محمد بن موسى لما كان اليه أمر البلد غير الطاقات (الأبواب) التى كانت فى جدار المسجد الكبير وجعل ذلك بأساطين حجارة مدوّرة عليها ملابن — كَلل خشبية فى نهاية الأعمدة ومبدأ العقود — ساج بعقود من الآجر والجص الأبيض، فوصل الزيادة بالمسجد الكبير وصولا أحسن من الأول حتى صار من فى دار الندوة من مصل ومستقبل يرى القبلة كلها وكان ذلك فى سنة ٣٠٦ هـ . وقد كانت دار الندوة منزلا للخلفاء والأمراء فى صدر الإسلام إذا حجوا ، ولكن أهمل أمرها فى منتصف القرن الثالث فأخذ يتهدّم بناؤها وألقيت فيها القمام حتى أضيفت الى المسجد .

وأما الزيادة التى فى الجانب الغربى المعروفة بزيادة باب إبراهيم فنقل الفاسى رحمه الله أنه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجدا ويوصل بالمسجد الكبير ، فعمل على ما هو عليه اليوم فاتسع الناس به وصلوا فيه وكان ذلك سنة ٣٧٦ هـ . والمسقى الذى بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون وكان إنشاؤه فى حدود سنة ٧٥٩ هـ . أو فى السنة التى بعدها ، وطول هذه الزيادة ٥٧ ذراعا إلا ربعا وعرضها اثنان وخمسون ذراعا وربع .

وفى سنة ٦٤١ هـ . أجرى صاحب اليمن على بن عمر عمارة داخل باب السلام ووقف كثيرا من الكتب للمسجد الحرام . وفى سنة ٧٨١ هـ . أرسل الأمير زين الدين العثمانى من مصر مملوكه سودون باشا لعمارة المسجد الحرام وكان مما عمله تحلية الباب والميزاب وتبييض سطح الكعبة .

وفى ليلة السبت الثامن والعشرين من شوّال سنة ٨٠٢ هـ . ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخاص عند باب الحزورة المعروف بباب عزورة بالجانب الغربى من المسجد الحرام ، فلم يكن غير لحظة حتى تعلقت النار بسقف المسجد وعمّ الحريق الجانب الغربى وبعض الرواقين المقدّمين من الجانب

الشامى بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعا وانتهى الحريق إلى محاذاة باب العجلة وصار ما احترق أكواما عظيمة تمنع من الصلاة فى موضعها ومن رؤية البيت الشريف ثم منّ الله بعمارة ذلك فى مدّة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهرى ، وكان قدومه لذلك سنة ٨٠٣ ﻫ . فلما رحل الحاج من مكة شرع فى رفع الأكوام حتى فرغ منها ، ثم ابتدأ فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان ، وكان الفراغ من ذلك فى أواخر شعبان سنة ٨٠٤ ﻫ . وعجب الناس كثيرا من سرعة العمارة فى هذه المدّة لأن من رأى ذلك قبل العمارة يقطع بأن هذه العمارة إنما تتم فى مدّة سنتين باعتبار العادة فى العمارات ، فسهل الله فراغها فى تلك المدّة وجعلت الأساطين فى الجانب الغربى كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامى ما خلا أساطين يسيرة فى مقدّمه فانها رخام مكسر ملصق بالحديد ، ولم يبق من ذلك محتاجا للعمارة إلا سقف الجانب الغربى وما أخره عن إتمام ذلك إلا فقده خشب الساج ولو وجده لأتم ذلك قبل موسم سنة ٨٠٤ ﻫ . ولما كان المحرّم مفتتح شهور سنة ٨٠٧ ﻫ . قدم الى مكة الأمير بيسق فأخذ يجمع الخشب ويعدّه للسقف ثم وضعه فى محاله بسرعة ، وكان ذلك الخشب من العرعر جئ به من الطائف الى مكة ، وقد عمر فى تلك السنة مواضع من المسجد كانت متشعبة وسقوفا فيه ونقشه وكان ذلك فى أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق . وفى هذه السنة عمرت سقاية العباس بالحجر وكانت بالخشب عمرها الجواد الأصبهانى وزير صاحب الموصل .

وفى سنة ٨١٥ ﻫ . عمرت أماكن بالمسجد ، وفى سقفه وكان القائم بذلك قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة من مال تطوع به أهل الخير .

وقد كثر بعد ذلك الخلل والتشعب فى جدر المسجد وعمده وأبوابه وسقفه فقيض الله لإصلاح ذلك الأمير زين الدين مقبلا القديدى موفدا من قبل ملك مصر وصاحبها الأشرف برسباى ، فقام بعمارة كبيرة فى كل المسجد فأقام عشرات العقود وجدّد كثيرا من أبواب المسجد وعمرت سقوفه وطليت بالنورة وكان ذلك فى سنتى ٢٥ و ٢٦ بعد الثمانمائة .

وفى سـنة ٨٤٢ هـ . عمر الأمير سيدوم سقف المسجد ، وفى سنة ٨٥٢ هـ . رمم بعض أماكنه بيرم خواجه ناظر الحرمين من قبل السلطان جقمق .

وفى سنة ٧٧٨ هـ . عمر السلطان الغورى باب إبراهيم فجعل له عقدا بعد أن لم يكن ، وجعل فى أعلاه قصرا وفى جانبيه سكنين وبيوتا تغل بالكراء وبنى ميضأة خارج باب إبراهيم .

وفى سـنة ٩٧٩ هـ . صدر أمر السلطان سليم خان ببنـاء المسجد الحرام على أكمل درجات الاتقان وأن يعتاض عن السقف بقبب دائرية وأرسل الى سنان باشا صاحب مصر ليبعث من يقوم بهـذا العمل من الكبار ، فعين الباشا أحمد بك فكان تعيينا صادف أهله فإنه طبع على حب الخير وعدم الاكتراث بالدنيا وشدّة العطف على الفقراء ، وقد وصل مكة سلخ ذى الحجة سنة ٩٧٩ هـ . ومعه الإجازات السلطانية بمباشرة البناء على أن يكون تحت إشراف القاضى حسين مدبر المملكة الحسنية وسفير الأقطار الحجازية ، واستصحب أحمد بك شيخ المهندسين بمصر المعلم محمدا المصرى ، وقد بدأ بالهدم يتلوه التعمير من باب السلام وكان ذلك فى الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٩٨٠ هـ . ولم يزل يبنى على الشكل الذى نراه الآن حتى أتم الجانبين الشرقى واليمانى ، وقد أتى نعى السلطان سليم خان وتولية ابنه السلطان مراد ، وورد منه أمر لأحمد بك بأن يستمر فى عمارة المسجد ويستنجزه الاتمام ، فجدّ جدّه فى العمارة حتى أتم المسجد فى أواخر سنة ٩٨٤ هـ . فكان نزهة الناظر وجلاء الخاطر وبلغ ما أنفق فى هـذه العمارة ١١٠٠٠٠ دينار (٥٥٠٠٠ جنيه تقريبا) ومائة ألف من الذهب الإبريز ، وذلك عدا ما وصل من مصر من مواد البناء مثل الخشب والحديد وأهلة القباب المطلية بالذهب ، وهـذا الشكل هو الذى تراه بالمسجد الى يومنا هـذا وقد وصفناه لك قبلا .

وفى هـذه العمارة خفض العمال أرض الشارع الموصل الى المسفلة بحيث صار يصرف ماعساه يدخل الى المسجد من مياه السيول التى كثيرا ما كانت سببا فى نقض

أركانه وهدم بنيانه وقد رمم المسجد الحرام فى سنة ١٠٧٢ هـ . سليمان بك والى جدّة وشيخ المسجد الحرام بمـال زوّده به سلطان مصر محمد كزلار الأغا .

هـذا وقد كانت الزيادات التى تخلف من الدور التى دخلت فى تربيع المسجد فى كل عماراته يبنى بعضها مدارس وبعضها أروقة يسكن فيها فقراء طلبـة العلم فى المسجد، وكان لهـا أوقاف جمة ولكن كثيرا ما تغيرت أوقافها واستبدل بها غيرها أو خرجت من يد واقف الى يد آخر أقوى منـه ، ومن ذلك مدرسـة قايتباى التى لا تزال للآن على يسار الداخل الى المسـجد من باب السلام فانها بعـد أن كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها ضعفت أوقافها شيئا فشيئا فنقلوها من دار علم الى دار ضيافة كان ينزل فيها أمراء الحج المصرى ثم سار يسكنها بعض أشراف بنى غالب .

مقام ابراهيم عليه السلام — (١) ما المراد به . قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُـدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ قال شيخ المفسرين ابن جرير فى تفسيره اختلف أهـل التأويل فى مقام ابراهيم فقال بعضهم : مقامـه هو الحج كله (أى مشاعره)، وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعطاء، وقال آخرون : مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار، وحكى ذلك عن هؤلاء الثلاثة أيضا، وقال آخرون : مقام ابراهيم الحجر الذى قام عليه ابراهيم حين ارتفع بناؤه وضعف عن رفع الحجارة وأسنده الى ابن عباس، وقالت طائفة رابعة : بل مقام ابراهيم هو مقامه المعروف فى المسجد الحرام وعزا ذلك الى قتادة وعمار والسدى، ثم قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون إن مقام ابراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذى هو فى المسجد الحرام، لمـا روينا عن عمر بن الخطاب أنه قال : قلت يا رسول الله ! لو اتخـذت المقام مصلى فأنزل الله ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ولمـا حدّثنا يوسف بن سليمان قال : حدّثنا حاتم بن إسماعيـل قال : حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا

ثم تقدّم الى مقام ابراهيم فقرأ ﴿وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين ، فهذان الخبران ينبئان أن الله تعالى ذكره إنما عنى بمقام ابراهيم الذى أمرنا الله باتخاذه مصلى هو الذى وصفنا ، ولو لم يكن على صحة ما اخترنا فى تأويل ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الواجب فيه من القول ما قلنا ، وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول حتى يأتى ما يدل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له ، ولا شك أن المعروف فى الناس بمقام ابراهيم هو المصلى الذى فيه قال الله تعالى ذكره ﴿وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقد روى الخبرين اللذين ذكرهما ابن جرير البخارى فى صحيحه الأول فى كتاب التفسير والثانى فى كتاب الحج ونرى أن الآية صريحة فى أن المصلى بعض من المقام أى موضع القيام والحجر لا يصلح أن يكون مصلى لصغره فالمقام مكان غيره أكبر منه ولعل الحجر المعروف الآن بمقام ابراهيم كان موضوعا فى مكان قيامه علامة عليه .

(٢) قياس المقام — (الحجر) وتحليته . قال القاضى عز الدين بن جماعة : حررت لما كنت مجاورا بمكة سنة ٧٥٣ هـ . مقدار ارتفاع المقام عن الأرض فكان ⅞ الذراع ، وأعلى المقام مربع من كل جهة ¾ الذراع ، وموضع غوص القدمين ملبس بالفضة ، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط من ذراع القماش المستعمل فى مصر . اهـ .

وأول ما حلى المقام فى خلافة المهدى العباسى لأنه رفع فانثلم لرخاوة حجره ، فكتب الحجبة الى المهدى يعرفونه بذلك وأنهم يخشون عليه أن يتفتت ، فبعث المهدى فى سنة ١٦١ هـ . بألف دينار أو أكثر فضببوا بذلك المقام من أعلاه وأسفله ، فلما كان فى خلافة المتوكل زاد فى تضبيب المقام سنة ٢٣٦ هـ . ومقدار ما زاده ٨٠٠٠ مثقال من الذهب و ٧٠٠٠٠ درهم من الفضة وكان ذلك فوق حليته الأولى ثم أن جعفر بن الفضل عامل مكة ومحمد بن حاتم قلعا حلية المتوكل وضرباها دنانير ليستعينا بها على ما قيل فى حرب إسماعيل بن يوسف العلوى الذى خرج وأفسد بمكة والحجاز فى سنة ٢٥١ هـ . ولم تزل حلية المهدى على المقام الى أن قلعت عنه

فى محرم سنة ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه لأن الحجبة ذكروا لعامل مكة على بن الحسن العباسى أن المقام وهى وتسللت أحجاره ويخشى عليه ، وسألوه فى تجديد عمله وتضبيبه حتى يشتد فأجابهم لسؤالهم و زادهم ذهبا وفضة الى حليته الأولى ، فعمل له طوقان من ذهب فيهما ١٩٩٢ مثقال ، وطوق من فضـــة ، وأحضر المقام الى دار الإمارة وأذيبت له العقاقير بالزئبق وشدّ بها شدّا جيدا حتى التصق ، وكان قبل ذلك سبع قطع زال عنها الالتصاق لما قلعت الحلية عنه سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه ، وكان الذى شـدّه بيده فى هذه الســنة بِشر الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد العباسى وحمل المقام بعد لصقه وتركيب الحلية عليه لشدّه الى موضعه وكان ذلك فى يوم الاثنين ٨ ربيع الأوّل سنة ٢٥٦ هـ .

(٣) موضع المقام والمصلى خلفه — قال التقى الفاسى : روى الأزرقى — توفى سنة ٢١٧ هـ — عن ابن أبى مليكة أن موضع المقام الآن هو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده إلا أن السيل — سيل أم نهشل سنة ١٧ هـ — ذهب به فى خلافة عمر رضى الله عنه فجعل فى وجه الكعبة — الجهة الشرقية التى فيها الباب — حتى قدم عمر فردّه الى مكانه بمحضر من الصحابة ، ونقل المحب الطبرى عن مالك فى مدوّنته أنه قال : كان المقام فى عهد ابراهيم عليه السلام فى مكانه اليوم وكان أهل الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السيل ، فكان كذلك فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، فلما ولى عمر ردّه بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حتى أخروه ، قال التقى الفاسى : وهذا يخالف قول الأزرقى وحديث جابر الصحيح ، ثم قال بعد كلام طويل : فيتحصل فيمن ردّه الى موضعه الآن — سنة ٨١٢ هـ — ثلاثة أقوال : أحدها أنه النبى صلى الله عليه وسلم ، والثانى أنه عمر ، والثالث أنه غيرهما ، ثم قال : موضع المقام الآن هو موضعه فى عهد الخليل عليه السلام من غير خلاف أعلمه فى ذلك ، وأما الخلاف فى موضعه اليوم هل هو

موضعه فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن أبى مليكة أو لا كما قال مالك ، ثم قال وكان ردّ عمر للمقام الى موضعه هذا لمـا غيره عنه السيل سنة ١٧ هـ .

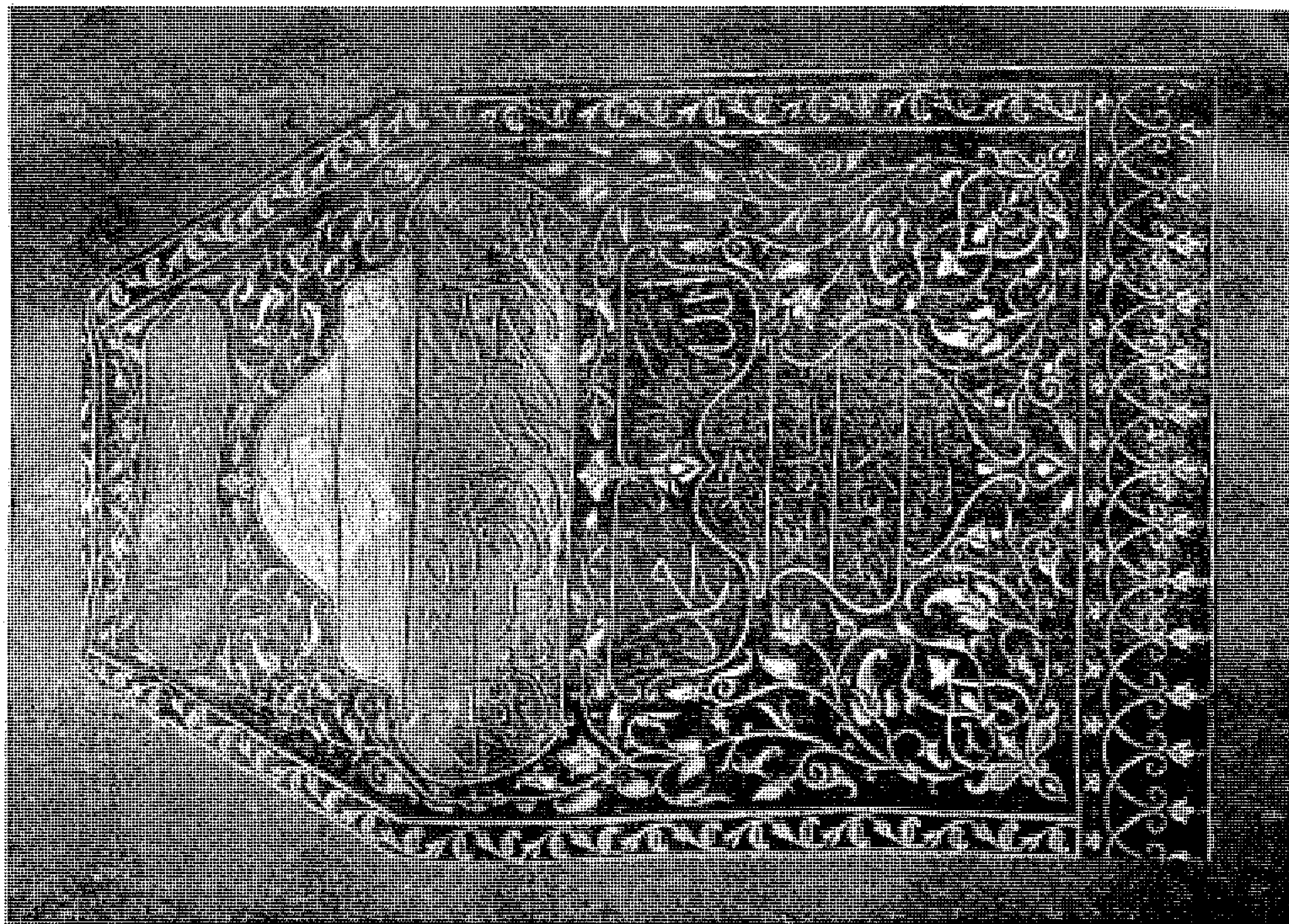
قال التقى الفاسى : المقام الآن تحت قبة عالية من خشب قائمة على أربعة أعمدة دقيقة من حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد بين كل عمودين شباك ، ومن الجهة الشرقية يدخل الى المقام ، والقبة مزخرفة من باطنها بالذهب ، ومما يلى السماء مبيضة بالنورة ، وأما المصلى الذى هو خلف المقام فعليه ظلة قائمة على أربعة أعمدة منها عمودان عليهما القبة إذ هى متصلة بالقبة ، والظلة مزخرف سقفها من الباطن بالذهب ومبيض من أعلاه بالنورة ، وأحدث وقت صنع فيه ذلك شهر رجب سنة ٨١٠ هـ . واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه بسبب هـذه العمارة ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر مكتوب فى الشباك الشرقى بسبب عمارته له سـنة ٧٢٨ هـ . ومقام ابراهيم فى وسط القبـة بين شبابيكها الأربعة الحديدية ، ويحيط بالمقام قبة من الحـديد — مقصورة — مثبتة فى الأرض برصاص مصبوب بحيث لايستطاع قلع القبة التى فوقه إلا بالمعاول وشبهها ، ولعل هذه القبة الحديدية هى التى كانت توضع فوقه عند قدوم الحاج الى مكة صونا له لكونها أشـدّ تحملا للازدحام والاستلام على ما ذكر ابن جبير فى رحلته سـنة ٥٧٩ هـ . وقد ذكر ما يدل على أن المقام لم يكن ثابتا بل كان تارة يجعل فى الكعبة وتارة فى موضعه الآن فى قبة من خشب ، فاذا كان الموسم أبدل بها القبة الحديدية ، قال التقى الفاسى وما عرفت متى جعـل المقام ثابتا فى القبة على صفته التى هو عليها الآن ، وأما القبـة التى فوق القبة الحديدية التى فى جوفها المقام فاظن أن الملك المسعود صاحب اليمن ومكة أوّل من بناها . اهـ .

وقد جدّدت قبة المقام فى سنة ٩٠٠ هـ . وكذلك فى سـنة ١٠٤٩ هـ . ونقشها بالذهب فى سنة ١٠٧٢ هـ . سليمان بك والى جدّة ومكة من قبل سلطان مصر محمد

كزلار ، وقد رأيت مكتوبا على القبة من الجهة الجنوبية «أمر بتجديد هـذا المقام الشريف مولانا العبد الفقير الى الله تعالى سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السـلطان المـالك الملك الأشرف أبوالنصر قانصوه الغورى عز نصره فى ١٥ شهر رجب الفرد سنة ٩٠٠ هـ . ومكتوبا عليها فى الجهة الغربية المقابلة لباب الكعبة « أمر بتجديد هذا المقام المعظم سـيدنا ومولانا السلطان المظفر سليم خان بن السلطان بايزيد خان — وعلى الجهـة الشمالية بقية أجداده — سـنة ١٠٤٩ هـ » . وقد قست المسافة بين المقصورة التى على المقام وجدار الكعبة الذى فيه الباب من الوسط فاذا هى ١٥,٤٠ مترا، ودخلت المقصورة مع المطوف فوضع من ماء زمزم على أثر القدمين وشربنا منه فى حجتنا هذه سنة ١٣١٨ هـ . وكان خليقا بى وبالمطوف أن نتجنب التبرك بالآثار والشرب من مواطئ الاقـدام وأن ندع هـذه البدعة جانبا ولا نفعل عند هـذا الأثر سوى ما فعـله رسول الله صلى الله عليه وسـلم من الصلاة عنـده آمتثالا لأمر الله تعـالى ﴿ وَٱتَّخِـذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ولكنى كنت فى هـذا الوقت لمـا تنضج معلوماتى الدينية فى الحج ومشاعره ولم أكن وقفت تمـام الوقوف على تأثير البدع السيئ فى الدين ، وقـد دعانى الإنصاف الى ذكر الواقـع ودعانى البصر بالدين الى انكار ما حصل ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْـطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِـكُمْ أَوِ ٱلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ .

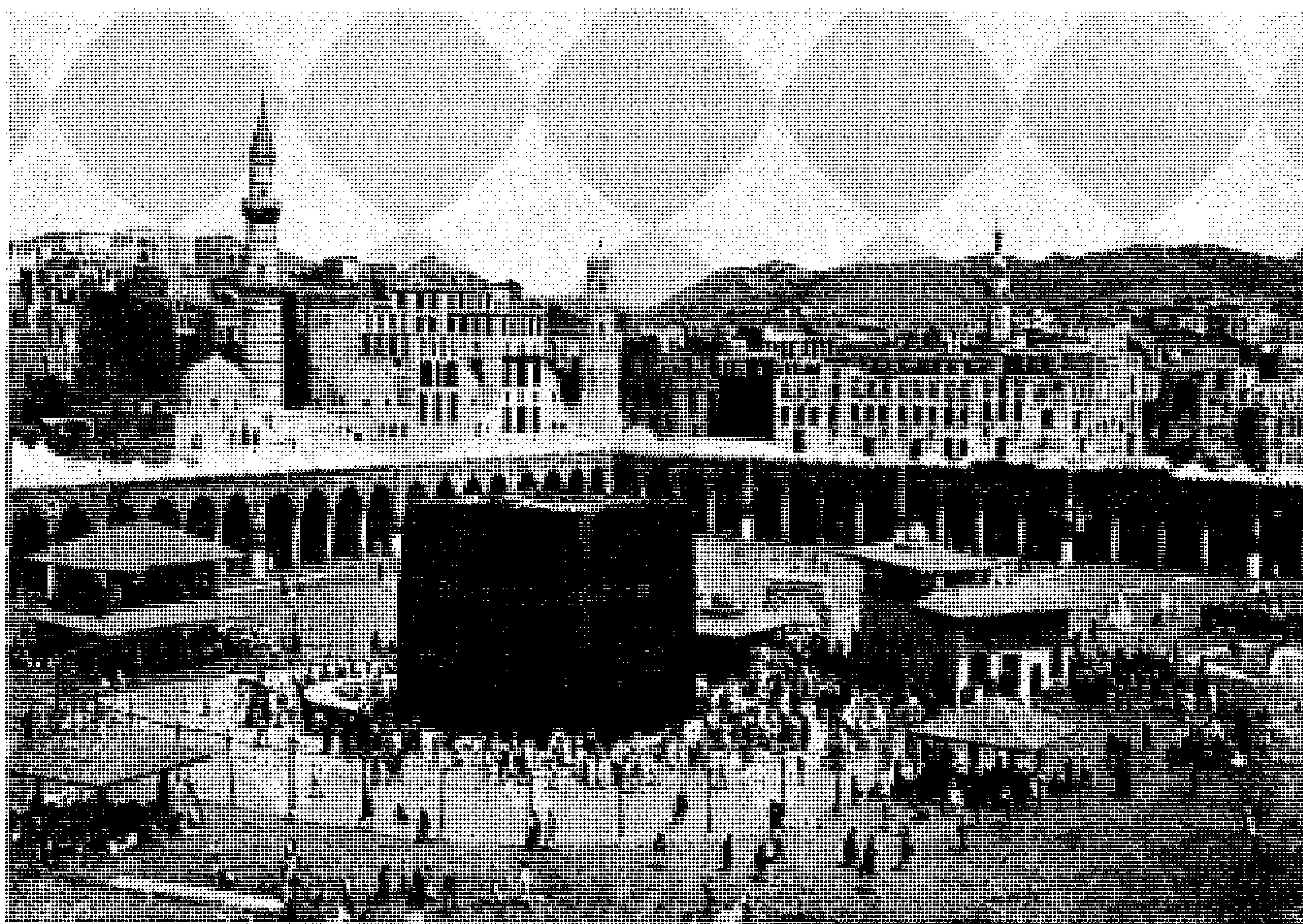
وقد رسمت المقام فى حجتى سنة ١٣٢٥ هـ . وهو الذى تراه فى (الرسم ٣٣) بجوار الكعبة والمنبر ، و بالتأمل فى الرسم تجد فى كل جهة شباكين وترى فى وسط المقـام القبـة . وفى (الرسم ٩٣) الجـانب الأمامى من كسوة المقـام التى تصنعها مصر ، وفى الجدول الآتى ما سطر على كسوة المقام :

رسم كسوة مقام ابراهيم عليه السلام



53. The Carpet on Ibrahim's mausoleum.

منظر الكعبة المعظمة بالمسجد الحرام بمكة المكرمة



92. The Northern-Eastern view of the Kaaba and the Praying Places of the four calophs in the Mosque of Mecca.

ما سطر على كسوة مقام إبراهيم عليه السلام

الوجه الأول	الوجه الثانى	الوجه الثالث	الوجه الرابع
بسم الله الرحمن الرحيم . و إذ جعلنا البيت	مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى	وعهدنا إلى إبراهيم و إسماعيل أن طهرا بيتى	للطائفين والعاكفين والركع السجود
بسم الله الرحمن الرحيم . و إذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى	قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن	إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا	واعلم أن الله عزيز حكيم . صدق الله ربنا وخالقنا العزيز الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم . إن أول بيت وضع للناس للذى	ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن	دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع	اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين
الله جل جلاله . محمد صلى الله عليه وسلم	أبو بكر رضى الله عنه عمر رضى الله عنه	عثمان رضى الله عنه على رضى الله عنه	حسن رضى الله عنه حسين رضى الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا	بسم الله الرحمن الرحيم هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا	السلطان محمد خان الخامس ابن السلطان الغازى عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان	ابن السلطان أحمد خان خلد الله خلافته وأيد بالعدل سلطنته الى انتهاء الزمان ونهاية الدوران سنة ١٣٢٧ هـ

المقامات الأربع أو مواقف الأئمة فى الصلوات المفروضة

قال التقى الفاسى فى كتابه شفاء الغرام :

مقام الشافعى خلف مقام إبراهيم بينه وبين جدار الكعبة الشرقى ½ ٣٩ ذراعاً بذراع الحديد وبينه وبين الأسطوانتين المؤخرتين من سباط مقام إبراهيم ½ ٩ أذرع — وأقول إن هذا المقام لاوجود له الآن وإمام الشافعية يصلى فى مقام إبراهيم أو على سطح زمزم قال : ومقام الحنفى بين جدار محرابه الى وسط جدار الحجر ⅚ ٣١ ذراعا ، ومن جدار محرابه الى حدّ حاشية المطاف ½ ١٠ أذرع بالعتبة ، وعرض العتبة نصف ذراع وقيراطان ، ومقام المالكى من جدار محرابه الى وسط جدار الكعبة الغربى ⅔ ٣٧ ذراعا ومن جدار المحراب الى حاشية المطاف بالعتبة ⅓ ١٠ أذرع ، ومقام الحنبلى من جدار المحراب الى الحجر الأسود فى الجنوب ⅔ ٢٧ ذراعا بعتبة الحاشية « ذراع الحديد ⅐ ٥٦ سنتيا كما سيأتى بيانه » .

(١) مقام الحنفى قال التقى الفاسي : فى أواخر سنة ٨٠١ هـ . وأوائل سنة ٨٠٢ هـ . بنى مقام السادة الحنفية وهو قائم على أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف ، وأعلاه مما يلى السماء مطلى بالنورة وبين الأسطوانتين المقدّمتين محراب مرخم ، ثم قال : وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكورى الشافعى وألف فى ذلك تأليفا حسنا ، والشيخ سراج الدين البلقينى وولده جلال الدين قاضى القضاة بالديار المصرية وكذلك القضاة وأفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة ، ورسم ولى الأمر بهدمه فعارض فى ذلك بعض ذوى الهوى فلم يتم الأمر ، وسبب الإنكار ما حصل من شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من إفساد أهل اللهو فيه لأجل سترته لهم ، وسبب المعارضة أن بعض علماء الحنفية إذ ذاك أفتى بجواز بقائه لما فيه من تظليل المسلمين من الحرّ ووقايتهم من البرد والمطر ، وحكمه فى ذلك حكم الأروقة والأساطين التى فى المسجد ، وفى سنة ٨٣٦ هـ . كشف الأمير سودون

المحمدى سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة خشب مبيضة ترى من فوق ولا أثر لها داخل المقام، وفرش فيه حجارة حمراء من حجر الماء ثم جدّد مرارا بعد ذلك ، وآخر مرة فى سنة ٩١٧ هـ . واستمر على ذلك الى سنة ٩٢٤ هـ . فلما حج الأمير مصلح الدين الرومى فى موسم سنة ٩٢٣ هـ . بدا له أن يهدمه فهدمه فى مفتتح سنة ٩٢٤ هـ . وجعله قبة كبيرة شامخة على أربع بتر (قوائم مبنية) عراض جدّا بأربعة عقود، وكل ذلك عمل بحجر الماء المنحوت ذى اللون الأحمر فالأصفر، وهذا الحجر يؤتى به من جهة الحديبية ويقال له : الشميسى ، وزاد فى طول المقام وعرضه وانتهى بمحرابه الى إفريز حاشية المطاف وبقيت هذه القبة حتى سنة ٩٤٩ هـ . فأمر بهدمها السلطان لأنها أخذت بناء كبيرا من المسجد، فنفذ الأمر الأمير خشقلدى نائب جدّة ومباشر العمائر السلطانية فهدم هذه القبة فى أوائل شهر رجب سنة ٩٣٩ هـ . ثم شرع فى بناء مقام عظيم للحنفية ، وشكله أربع بتر جميلة فى الأركان أخذت من أنقاض القبة الأولى وهى من حجر الماء، وستة أعمدة مثمنة من حجر الصوان كل عمود قطعة واحدة؛ فمن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين وآخران بين المؤخرتين وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة وآخر بين البترتين من جهة باب السلام مقابل للأول ، وعلى ذلك عشرة عقود لطاف ،وعلى ذلك سقف مزخرف من خشب الساج مصنوع صناعة ظريفة ،وفوق هذا السقف ظلة للمبلغين بأربع بتر، وستة أعمدة ألطف من الأعمدة التحتية وعلى شكلها فى الوضع ، وعلى جميعها سقف مزخرف فوقه جملى (جملون) غطى بالرصاص لدفع المطر وفى وسط السقف الأوّل طاقة يرى المبلغ منها الإمام، وفى المقام سلم جميل يصعد عليه المبلغ الى الظلة فى أوقات المكتوبة وقد أتم هذا البناء فى ١٣ رمضان من السنة المذكورة، وفى سنة ٩٧٤ هـ . رخم مقام الحنفية بأمر السلطان أحمد خان ؛ وفى سنة ١٠١٠ هـ . رخم محراب هذا المقام وفى سنة ١٠٧٢ هـ . بنى سليمان بك والى جدّة وشيخ الحرم وناظر عمارته من قبل السلطان محمد كزلار الأغا — المقام الحنفى بالحجر الصوان المنحوت وبالحجر الأصفر وصفح أعلى سقفه بالرصاص المطلى

بالذهب ، وجعل عليه رصافتين طليتا بالذهب كما جعل أمامه أربع رصافيات مطلية بالذهب ونقش نقوشا جميلة بماء الذهب والأصباغ البديعة انظر (الرسم ٩٢) وفيه ترى الجهة الشمالية والشرقية من المسجد والكعبة فى وسط الصحن ، والذى فى يسار الرسم مقام الحنفى ذو الطبقتين ومقام المالكى ثم أعمدة المطاف ثم الحجر على شكل نصف دائرة بجوار الكعبة ، والذى على يمينها مقام إبراهيم فالقبة فباب بنى شيبة فزمزم عليها قبة أيضا ، ويلاصقها سقاية العباس ، والذى فى جنوب السقاية مقام الحنبلى .

(٢ و ٣ و ٤) مقامات الشافعى والمالكى والحنبلى . عمر الأمير بيسق هذه المقامات الثلاث فى سنة ٨٠٧ هـ . وكان كل مقام منها عبارة عن بترتين عليهما عقد لطيف فى أعلاه ثلاث شراريف وفيه خشبة معترضة علقت فيها الخطاطيف للقناديل ، وبين البترتين من أسفل جدار لطيف بنى من حجارة ونورة فيه محراب إلا مقام الشافعى فانه لا محراب فيه ، قال الفاسى فى كتابه شفاء الغرام : وقد ذكرنا صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب ولكن هذا الأصل لم يوجد بعد الفاسى ولا عثر عليه قال ابن ظهيرة فى كتابه الجامع اللطيف : مقام الشافعى كذلك الى يومنا هذا ، وأما مقام المالكى والحنبلى فقد أدركتهما كذلك ثم غيرا بعد سنة ٩٣٠ هـ . بأحسن مما كانا عليه فى أيام السلطان سليمان خان ، قال : ووصفهما الآن كل مقام بأربع أساطين مثمنة الشكل ، كل أسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكى ، وتحت كل أسطوانة قاعدة منحوته بتربيع وتثمين ، وفوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان فوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف فوقه أخشاب بهيئة جملى (جملون) عليها صفائح الرصاص لدفع المطر ، وفى كل مقام محراب فيما بين الأسطوانتين المقدمتين الى جهة القبلة ، وهما كذلك الى هذا التاريخ وكان المباشر لذلك عبد الكريم اليازجى الرومى ، وفى سنة ٩٧٤ هـ . رممت المقامات الثلاث بأمر السلطان أحمد خان .

وفى سنة ١٠٧٢ هـ . نقشت الثلاثة بماء الذهب والأصباغ الجميلة وذلك بأمر سليمان بك والى جدّة السابق ذكره، وكذلك جعل فى أعلى كل مقام منها رصافية مطلية بالذهب وأمام كل منها ثلاث كذلك .

كيفية الصلاة فى المقامات الأربع — قال ابن ظهيرة فى كتابه الجامع اللطيف : أما كيفة الصلاة فانهم فى زماننا — منتصف القرن العاشر — يصلون مرتبين الشافعى فى مقام الخليل عليه السلام، ثم إمام الحنفية بعده فى مقامه، ثم إمام المالكية بعده فى مقامه، ثم إمام الحنبلية بعدهم فى مقامه، وهذا فى الفجر والظهر والعصر والعشاء، وأما فى صلاة المغرب فكان فيما أدركناه قريبا يصلى الحنفى والشافعى فى وقت واحد فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين فأنهى ذلك الى مولانا السلطان سليمان فبرز أمره بالنظر فى ذلك وإزالة هذا التخليط ، فاجتمع القضاة والأمير على بك نائب جدّه فى الحطيم وقضوا بأن يتقدّم الحنفى فى صلاة المغرب وعند التشهد يدخل إمام الشافعى وكان هذا فى حدود سنة ٩٣١ هـ . واستمر الى وقتنا هذا — عام ٩٤٩ هـ . — فجزى الله الساعى فى ذلك خيرا، وأما المالكى والحنبلى فلا يصلون المغرب أئمة فيما أدركناه، وأما كيفية الصلاة فيما تقدّم من الزمان فكانوا يصلون مرتبين كما فى الأربع الفروض المتقدّمة إلا أن المالكى كان يصلى قبل الحنفى مدة، ثم تقدّم عليه الحنفى بعد سنة ٧٩٠ هـ . ونقل الفاسى عن ابن جبير أنه اضطرب كلامه فى الحنفى والحنبلى، لأنه ذكر ما يقتضى أن كلا منهما كان يصلى قبل الآخر، أما صلاة المغرب فكان الأئمة الأربعة يصلونها جميعا فى وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كبير من اشتباه أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند ولى الأمر إذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الجركسى صاحب مصر فبرز أمره فى موسم سنة ٨١١ هـ . بأن إمام الشافعية بالمسجد الحرام يصلى المغرب وحده فنفذ أمره بذلك، واستمر الى أن تولى الملك المؤيد صاحب

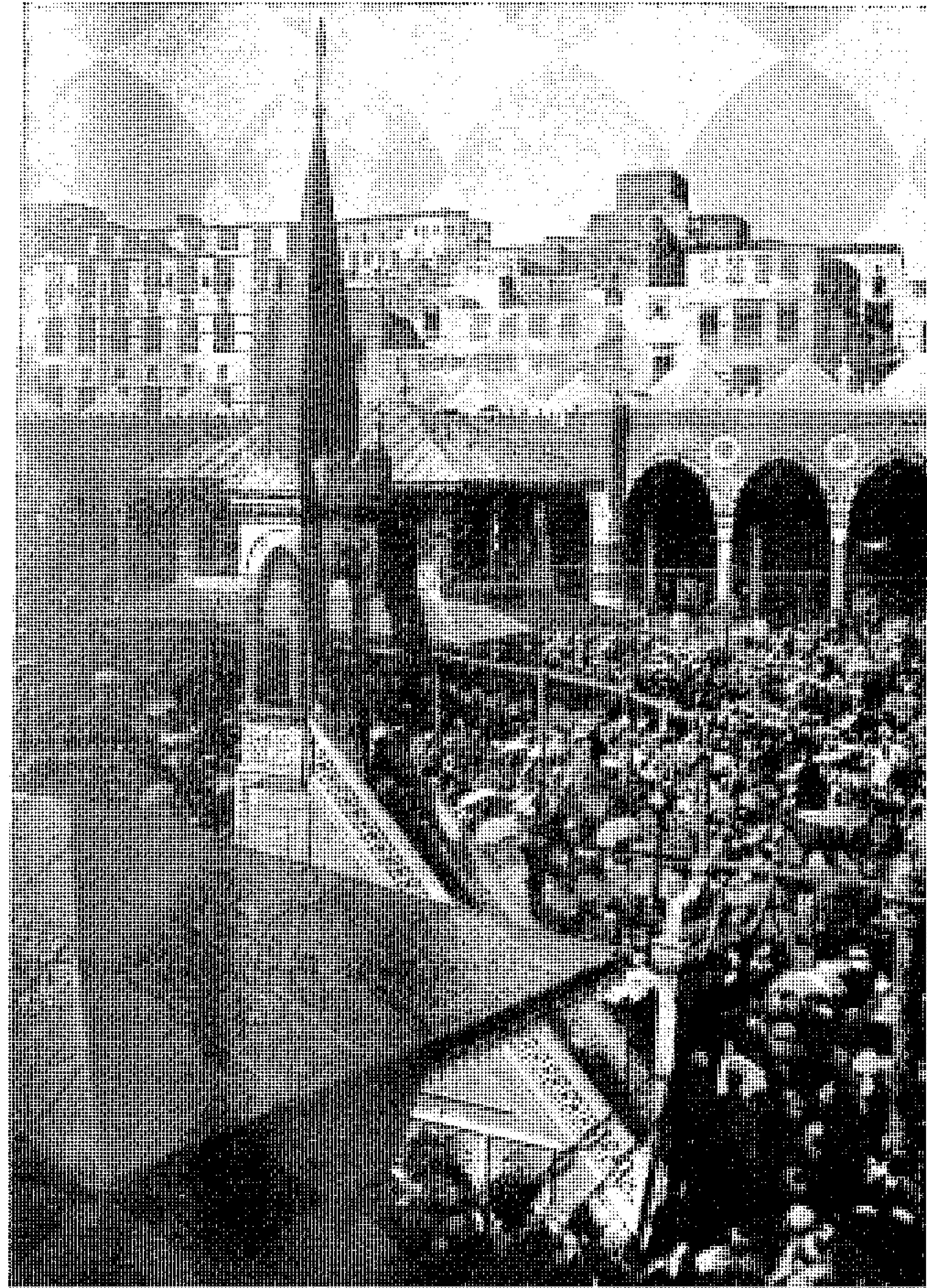
مصر فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا فنفذوا ذلك فى ليلة السادس من ذى الحجة سنة ٨١٦ هـ . وكذلك يجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعى على صلاة العشاء فى رمضان ويجتمع الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة بالمسجد الحرام فى صلاة التراويح ويحصل بسبب اجتماعهم التشويش على المصليين الذى كان يقع دائما فى صلاة المغرب وأعظم لكثرة الأئمة .

هذا وقد أنكر العلماء من كل المذاهب تعدد الأئمة فى الصلوات الخمس ، واستبشنعوا ذلك خصوصا فى صلاة المغرب إذ يصلى الكل دفعة واحدة أنظر (شفاء الغرام) أما فى وقتنا هذا (سنة ١٣١٨ هـ) . فالحنفى يبتدئ بالصلاة فى جميع الأوقات ويتلوه المالكى ثم الشافعى ثم الحنبلى إلا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعى ويتأخر بها عنهم الحنفى .

وأما الوقت الذى حدث فيه تعدّد الأئمة فى الصلوات المفروضة فقال الفاسى : لم أعرفه تحقيقا ثم نقل مايدل على أن الحنفى والمالكى كانا مع الشافعى فى سنة ٤٩٧ هـ . وأن الحنبلى لم يكن فى ذلك الوقت وإنما كان إمام الزيدية ، ثم قال : ووجدت ما يدل على أن إمام الحنبلية كان موجودا فى عشر الأربعين وخمسمائة راجع الرسالة التى كتبها الشيخ جمال الدين القاسمى فى بدعة تعدّد الأئمة .

منبر المسجد الحرام — كان الخطباء من الخلفاء والولاة يخطبون بالمسجد الحرام يوم الجمعة قياما على الأرض فى وجه الكعبة وفى الحجر حتى كانت سنة ٤٤هـ . إذ قدم معاوية بن أبى سفيان من الشام حاجا وصحبته منبر من خشب ذو درجات ثلاث خطب عليه بالمسجد الحرام وتركه وكان كلما تخرب عمر، ولم يزل يخطب عليه حتى حج هارون الرشيد فأهدى له عامله على مصر موسى بن عيسى منبرا من خشب ذا درجات تسع ونقش بديع ، فكان منبر المسجد ونقل الأول الى عرفة ، ثم أمر الواثق العباسى بعمل منبر للمسجد وآخر لمنى وثالث لعرفة ولما حج المنتصر بن المتوكل العباسى فى خلافة أبيه جعل له منبر عظيم فخطب عليه بمكة ثم خرج وخلفه بها

منظر الخطيب وهو على المنبر في صلاة الجمعة بالحرم المكي



44. The praecher in the Pulpit during Friday Prays at Mecca Mosque.

المنبر بالمسجد الحرام والحجاج مجتمعون لصلاة الجمعه

95. The pulpit of the Mosque of Mecca 1325 A. H.

وجعل للمسجد بعد ذلك عدّة منابر، فمن ذلك منبر عمله وزير المقتدى العباسى وأرسله من بغداد وكان منقوشا عليه بالذهب « لا إله إلا الله محمد رسول الله الإمام المقتدى بالله أمير المؤمنين » وقد بلغت نفقاته ألف دينار (٥٠٠ جنيه) ولما وصل الى مكة أحرقه المصريون ولم يبد اعتراضا على ذلك أمير مكة محمد بن جعفر، وأوّل من قطع الخطبة للملوك مصر وخطب لملوك بنى العباس بعد أن قطعت الخطبة لهم نحو مائة سنة وأبى أهل مصر إلا أن تكون الخطبة للمستنصر العبيدى صاحب مصر فخطب له . ثم كان بعد ذلك يخطب حينا لبنى العباس وحينا لملوك مصر يقدم منهم من يجزل له العطاء، وكانت عادة الخطباء بمكة أن تكيل الثناء للملوك كيلا من ذلك ما كان يقال للملك الكامل فى الخطبة (صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزائر ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين) . ومنها منبر عمل فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر فى سنة ٧٦٦ هـ . وقد أصلح مرارا؛ قال التقى الفاسى هو باق يخطب عليه الآن — سنة ٨١٥ هـ . وما حواليها — ومنها منبر حسن أنفذه الملك المؤيد صاحب مصر فى موسم سنة ٨١٨ هـ . وخطب عليه فى سابع ذى الحجة وهجرت الخطبة على الذى قبله، وفى السنة السابقة أرسل شيخو صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه فى يوم التروية .

وفى سنة ٨٦٦ هـ . أرسل الملك الناصر « خوشقدم » صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه بالمسجد فى ثانى ذى الحجة من السنة المذكورة، وفى سنة ٨٧٧ هـ . أرسل الملك الأشرف قايتباى الظاهرى منبرا من خشب خطب عليه فى أوّل ذى الحجة سنة ٨٨١ هـ . وفى سنة ٩٦٦ هـ . بعث السلطان سليمان خان بالمنبر الرخام القائم الآن بفناء المسجد وهو آية فى الاحكام ودقة الصناعة ودليل على ما للصناع من البراعة، وتراه فى (الرسم ٩٤) كاملا، وفى (الرسم ٩٥) إذا دققت النظر رأيت الخطيب على المنبر يلبس جبة وقباء (قفطانا) وقد لف على صدره مع رأسه « شالا » .

وقد كتب على المنبر من جهة الكعبة « الحمد لله رب العالمين قد بنى سليمان منبرا لبلد أمين » وعلى الجهة المقابلة لهـا « إنه من سليمان وإنه بسم الله صدق الله جل اسمه سنة ٩٦٦ هـ . » وقد أرخ القاضى صلاح الدين بن ظهيرة القرشى المكى سنة ورود هذا المنبر بقوله :

شـيد الله ملك من * أسـبغ الله ظـله
وبأم القرى لقـد * ضـاعف الله نزله
إن ذا المنـبر الذى * قدحوى الحسن كله
هاك تاريخـه الذى * شهد الخلق فضـله
لسليمان منـبر * بالدعا شاهـد له

سنة ٩٦٦ هـ

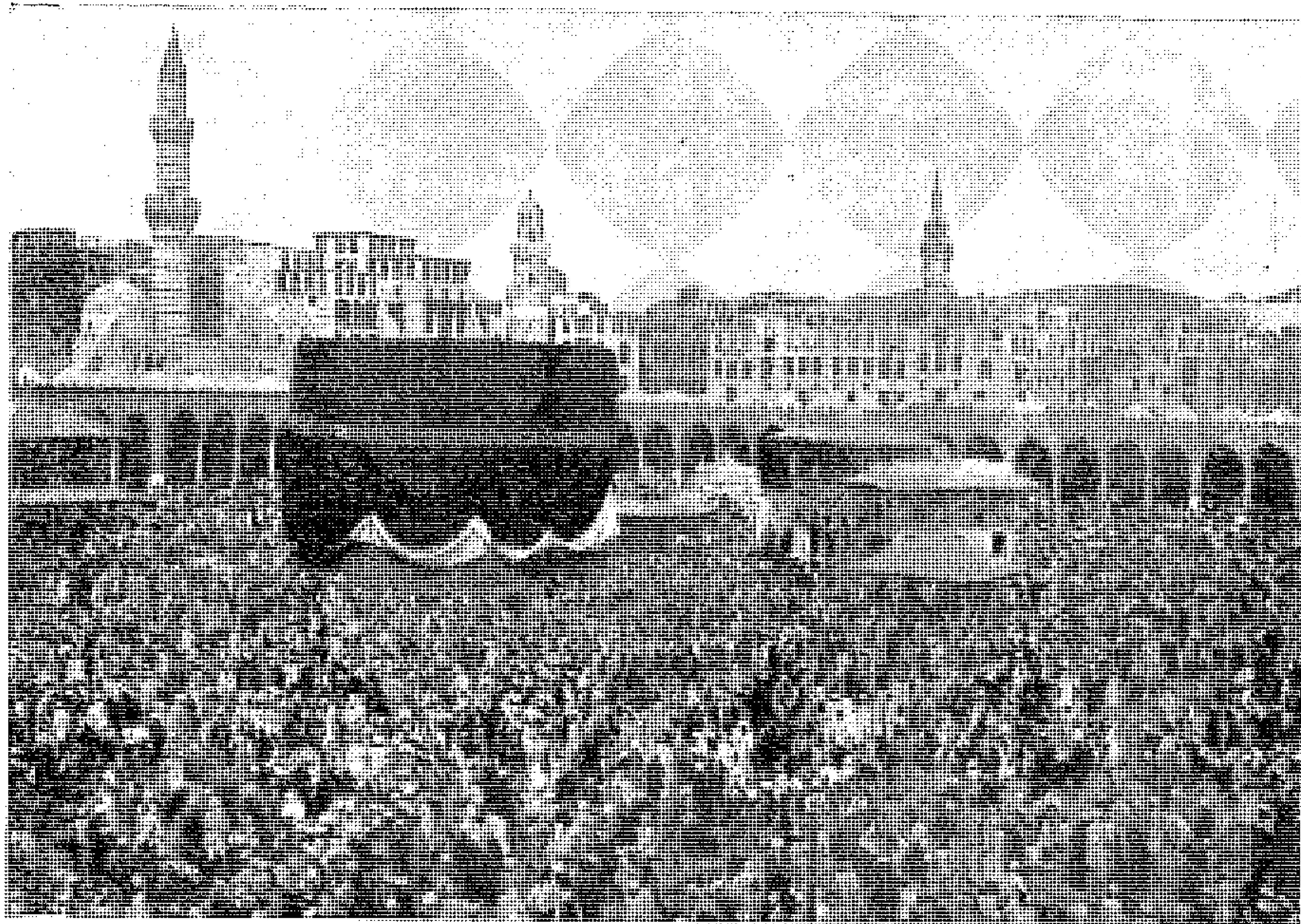
وأول خطبة خطبت عليـه خطبة عيد الفطر قالها السيد أبو حامد النجارى ،

وفى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ١٠٢٠ هـ . شرع فى تركيب هلال المنبر الذى أرسله السلطان وكان أعلى المنبر مبنيا بالآجر فهدم ذلك وجعل له ألواح ركبت فيها الفضة المطلية بالذهب .

وقد كان الخطباء إذا أرادوا الخطبة فى المسجد وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة بين الركن الأسود والركن اليمانى ، فاذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجَر أولا ، ثم دعا وصعد المنبر ، وبعـد الخطبة كان ينقل المنبر الى مكانه بجوار زمزم ، فلمـا أهدى السلطان سليمان الى المسجد الحرام منبره المذكور بقى مكانه واستمرت الخطبة عليه الى اليوم ، وترى فى (الرسم ٩٦) الستارة التى تسدل على باب المنبر وهى من صنع مصر .

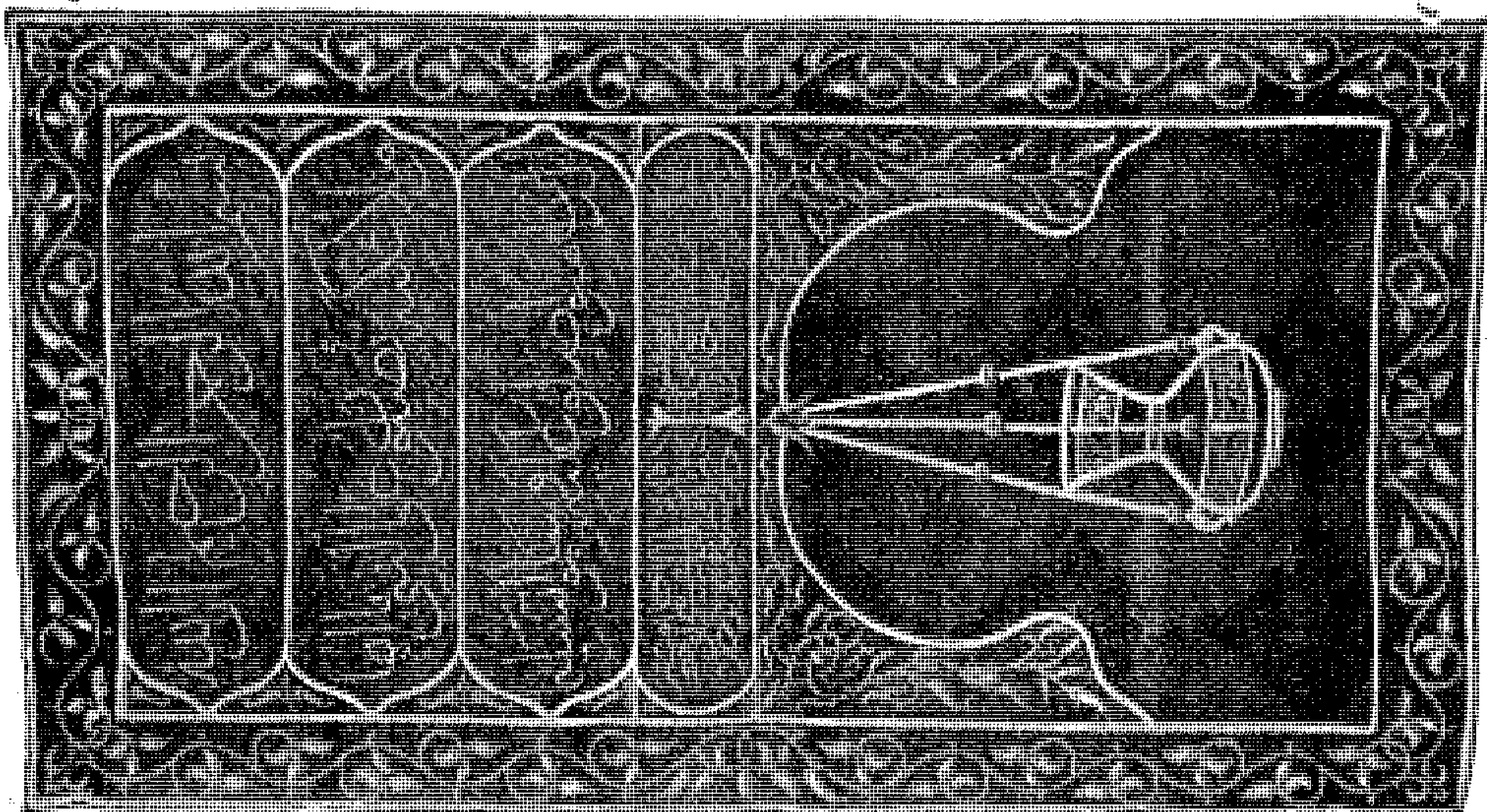
والعادة الآن بل ومن قديم الزمان أنه اذا أراد الخطيب أن يخطب للجمعة يقبل بين شخصـين من الأغوات يتهادى بينهما بيـد كل منهما راية ، ثم يعمد الى الحجَر الأسود فيقبله ويدعو عنده ، ثم يقصد الى المنبر بين الأغوين وأمامه شخص يضرب بالفرقعة — عود به جلد رقيق — فى الهواء فيسمع من فى داخل المسجد وخارجه.

صلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة



97. Pilgrims attending the Friday Prayers round the Kaaba.

ستارة باب المنبر بالمسجد الحرام



96. A view of the curtain of the door of the pulpit in the Mosque of Mecca.

حقوق الطبع والتصوير محفوظة باسم مؤلفه اللواء ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري في محرم سنة ١٣٢٦

صلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة

98. A view of the Friday Prayer in the Mosque of Mecca in El Hegga in 1325.

حقوق الطبع والنسخ محفوظة باسم مصورها اللواء ابراهيم رفعت باشا أمير الحج المصري

صحيفة ٢٥٥

99. A view of Zamzam with the pilgrims drinking from it.

صوتها الشديد، ويقصد بذلك إعلام الناس بخروج الخطيب، فإذا ما كان على باب المنبر ناوله شخص هنالك سيفا وثبتت الرايتان بجانب المنبر، فاذا ما رقى الدرجة الأولى ضربها بسيفه ضربة مسمعة، وكذلك يفعل فى الدرجة الثانية والثالثة، فاذا ما وصل الى العليا فعل بهـا كذلك ثم يدعو بدعاء خفى ويسلم على الناس يمينا وشمالا فيردّون عليه، ثم يأخذ المؤذنون على ظهر زمزم فى الأذان الثانى وبعد الفراغ منه يشرع فى الخطبة ومما يقوله فيها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف. ويشير بأصبعه الى الكعبة ويدعو للخلفاء الأربعة وعمى النبى صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وجدّتهما وكذلك يدعو للخليفة وأمير مكة واذا فرغ من الخطبة صلى وانصرف بجانبه حاملا الرايتين وبين يديه المفرقع يعلم الناس بانتهاء الخطبة والصلاة. ﴿شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ ويرى فى (الرسم ٩٧) الناس وهم يصلون الجمعة بالمسجد الحرام فى ذى الحجة سـنة ١٣٢٠ هـ . والذى على يمين الكعبة مقام ابراهيم فباب بنى شيبة فزمزم والسقاية — السقاية الآن مخزن لأدوات المسجد — وفى (الرسم ٩٨) منظر صلاة الجمعة فى ذى الحجة سنة ١٣٢٥ هـ .

بئر زمزم — هـذه البئر تقع جنوبى مقام إبراهيم بحيث إن الزاوية الشمالية الغربية من البناء القائم عليها محاذية للحجر الأسود على بعد ١٨ مترا منه، وماؤها طعمه قيسونى والبناء القائم عليها مربع من الداخل طول ضلعه ٥,٢٥ أمتار وهو مفروش بالرخام، وهـذا البناء طبقتان : فى الأولى منهما خدمة البئر، وفى الثانية خدمة من الخصيان (الأغوات) ويصعدا اليه من يريد الاستحمام على سلم من الخشب انظر (الرسم ٩٢) تجد بناء زمزم فى شرقيه داخل المسجد . ويرى فى (الرسم ٩٩) بنـاء زمزم والحجاج يدخلون اليه يستقون .

وهى بئر قديمة العهد ترجع الى زمن إسماعيل عليـه السلام، فان أمه هاجر لمـا نزلت به فى مكان البيت وظمئ ولدها إسماعيل طلبت المـاء فلم تجـده فجاء جبريل عليـه السلام* وبحث الأرض بعقبه، فى رواية غمزها بعقبه — وكلتاهما فى صحيح

البخارى — فنبع الماء على وجه الأرض ، فكان ذلك نشأة زمزم، وأدارت هاجر عليه حوضا خيفة أن يفوتها الماء قبل أن تملأ قربتها، قالوا : ولو تركته لكانت زمزم عينا تجرى على وجه الأرض — على ماورد فى الصحيح — وذكر الفاكهى ما يدل على أن ابراهيم عليه السلام حفر بئر زمزم بعد أن نبعت العين . وإذ ذاك بدأت عمارة مكة ولم يكن لأحد فيها قبل ذلك قرار فسكنتها قبيلة جرهم رغبة فى مائها، وقد غلب ذو القرنين إبراهيم على زمزم ردحا من الزمن ومازال ماؤها ينتفع به سكان مكة حتى استخفت جرهم بحرمة الكعبة وحرمها فدرس موضعه حتى صار لا يعرف ، وقيل إن جرهما طمست البئر حين نفيت من مكة ، ولما كان زمن عبد المطلب بن هاشم جدّ النبي صلى الله عليه وسلم أرى فى المنام مكان زمزم فاستبانها وحفرها قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد مدة طويلة أخذ ماؤها يقل حتى كاد ينقطع فى سنة ٢٢٣ ﻫ . لأن البئر أهملت وهدم كثير من جوانبها فأخذ رجل من أهل الطائف يقال له محمد بن بشير يعمل فيها . قال الأرزقى : وقد صليت فى قعرها وفيه ثلاث عيون : عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبى قبيس والصفا وعين حذاء المروة، قال : وكان ذرع غورها من أعلاها الى أسفلها ٦٩ ذراعا، منها ٤٠ مبنية و٢٩ نقر فى الجبل من أسفلها، قال التقى الفاسى : وقد قيس بحضورى ارتفاع فم البئر عن سطح الأرض وقطره ومحيطه فكان الارتفاع ذراعين إلا ربعا والقطر أربعة ونصفا والمحيط خمسة عشر ذراعا إلا قيراطين، وذلك بذراع الحديد ١/٧ ٥٦ سنتيا — قال التقى الفاسى : — أوائل القرن التاسع — وزمزم الآن داخل بيت مربع فى جدرانه تسعة أحواض للماء تملا من بئر زمزم ليتوضأ الناس منها ، وفى الحائط المقابل للكعبة شبابيك، وفوق هذا البيت ظلة للؤذنين ولم أدر من أقام ذلك على هذه الصفة، ثم ذكر أنه فى سنة ٨٢٢ ﻫ . أجرى إصلاح كبير بل عمارة جديدة فى هذا البيت وأحواضه والظلة التى فوقه للؤذنين وأن ذلك كان على نفقة الجناب العالى الكبير الشيخ على بن محمد بن عبد الكريم الجيلانى نزيل مكة .

وفى سنة ٩٣٣ هـ . عمل لدائر بيت زمزم طراز مذهب وكتب فيه اسم مولانا السلطان الملك المظفر سليمان نخبة آل عثمان .

وفى سـنة ٩٤٨ هـ . جدّد بيت زمزم على يد الأمير خشقلدى فرخمت أرضه وجعل عليـه سقف فوقه مظلة مسقوفة بالخشب المزخرف عليه جمـلى (جمالون) فى وسطه قبة مصفحة بالرصاص .

وفى سنة ١٠٢٠ هـ . وضع بأمر السلطان أحمد خان شبكة من الحديد بداخل البئر ومنخفضة عن سطح المـاء بمتر ، لأن بعضا من المجاذيب كانوا يلقون أنفسهم فيها ليموتوا فداء حسب تصوّرهم وتجد الآن — ١٣١٨ هـ . — مكتوبا على الشباك الشمالى من جهة الباب « ماء زمزم شفاء من كل داء »(١) « آية مابيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم »(٢) السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هـ . وتجد مكتوبا على بابها ما يأتى :

سرور لسلطان البسيطة والورا * عبد الحميد البر بحـــر المكارم
ونصر له أيضا وفتح ورفعــة * بتعمير هـــذا المأثر المتقادم
حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر * وركضة جبريل على عهد آدم

وعلى الشباك القبلى « ماء زمزم لمـا شرب له »(٣) . لا يجمع ماء زمزم ونار جهنم فى جوف عبد »(٤) (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هـ) .

وقد ورد كثير من الأحاديث فى فضـل ماء زمزم ، فمن ذلك ما رواه الطبرانى فى معجمه بسـند رجاله ثقات . وفى صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبىّ صلى الله عليه وسلم «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم» وذكر البخارى فى صحيحه : أنه لمـا شق صدر النبىّ صلى الله عليه وسلم غسل بمـاء زمزم

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس وهو حديث ضعيف . (٢) رواه الحاكم وابن ماجه والبخارى فى تاريخه . (٣) رواه أحمد فى مسنده والبيهق فى سننه وشعبة وابن أبى شيبة عن جابر بن عبد الله بن عمرو . (٤) لم نر من خرج هذا الحديث .

قال العلامة ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فى باب الطب : ماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا وأحبها الى النفوس وأغلاها ثمنا عند الناس ، وهو هزمة جبريل وسقيا اسماعيل وثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى ذر : وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين مابين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم «إنها طعام طعم» وزاد غير مسلم باسناده وشفاء سقم وفى سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ماء زمزم لما شرب له» وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبد الله بن المؤمل راويه عن محمد بن المنكدر ، وقد روينا عن عبد الله بن المبارك أنه لما حج أتى زمزم فقال : اللهم إن ابن أبى الموالى حدّثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال «ماء زمزم لما شرب له» فإنى أشربه لظمأ يوم القيامة وابن أبى الموالى ثقة ، فالحديث اذا حسن وقد صححه بعضهم وجعله بعضهم موضوعا ، وكلا القولين فيه مجازفة ، وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة واستشفيت به من عدّة أمراض فبرأت باذن الله وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعا ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرنى أنه ربما بقى عليه أربعين يوما وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مرارا ، انتهى كلامه فليس فى الاستشفاء به مطعن لا من جهة الحديث ولا من جهة الطب وما الطب إلا التجارب ، وقد جرت عادة الناس بنقل هذا الماء الى الجهات النائية تبركا به ، قال التقى الفاسى : والأصل فى جواز نقله ما رويناه فى جامع الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أنها حملت من ماء زمزم فى القوارير ، وقالت : حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأداوى والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم ، ورويناه فى شعب الايمان للبيهقى وفى سننه وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

والحجاج فى زمننا يستحضرون معهم المنسوجات البيضاء ويغسلونها بماء زمزم ويجففونها فى صحن المسجد (الرسم ٩٩) ثم يلفونها ويحفظونها ليكفنوا فيها بعد الوفاة ويأخذون الآن مياهها الى بلادهم فى أوانى صينية (دوارق) أو صفائح كبيرة ليتبركوا بها أو يهادوا، وإن حديث عائشة مع ما فيه من الغرابة ليس فيه ما يدل على جواز نقل هذه المياه للتبرك بها بل فيه أن هذا النقل للشرب منه أو مداواة المرضى به أى باستعماله شرابا أو صبا لا بحفظه فى البيوت والتماس البركة والخير به من هذه الناحية .

سقاية العباس — سقاية العباس حجرة كبيرة شرقى الكعبة وجنوبى زمزم ذات نوافذ وسقفها جملى (جمالونى) بارز عن جدرها ليستظل به الناس وقد وصفها الفاسى فى وقته فقال : إنها بيت مربع فى أعلاه قبة كبيرة وفى جهاتها الأربع عدا الجنوبى منها شبابيك من حديد ، وفى جانبها الشمالى من الخارج حوضان بينهما الباب وفى وسط البيت بركة كبيرة تملأ بالماء من زمزم بواسطة قناة سماوية من زمزم الى جدر البيت ثم يسلك قناة أرضية الى البركة فيخرج منها الماء على شكل فوّارة وقال : إنها عمرت فى سنة ٨٠٧ ه . وقد كان العباس بن عبد المطلب يسقى فيها الحجيج ، وقد ذكر الفاسى : أن مقدار ما بين هذه السقاية والحجر الأسود ثمانون ذراعا بالذراع الحديد = ٥٦ $\frac{١}{٧}$ سنتيا — أنظر (الرسم ٩٢) .

متفرقات فى المسجد الحرام :

(١) المماشى الأربعة — قال العلامة الشيخ عبد الرحمن فى بعض مسوداته : وأما المماشى الأربعة التى إحداها الى باب السلام ، والأخرى الى باب الصفا ، والثالثة الى باب العمرة ، والرابعة الى باب الحزورة فقد أحدثت بعد أن فرش المطاف بالمرمر سنة ١٠٠٣ ه .

(٢) المزاول بالمسجد — قال ابن ظهيرة : وفى الظلة التى فوق بيت زمزم مزولة يعلم بها الماضى والباقى من النهار ، وفى سادس ذى الحجة سنة ١٠٧٩ ه .

وضع الشيخ محمد بن سليمان المغربى مزولة تجاه باب السلام بنى لها بترة طول قامة الرجل ويرى الانسان رسومها حيال الركن الشرقى على ممشى باب السلام وكان موضعها فيما سلف مزولة عملها الوزير الأصفهانى الملقب بالجواد .

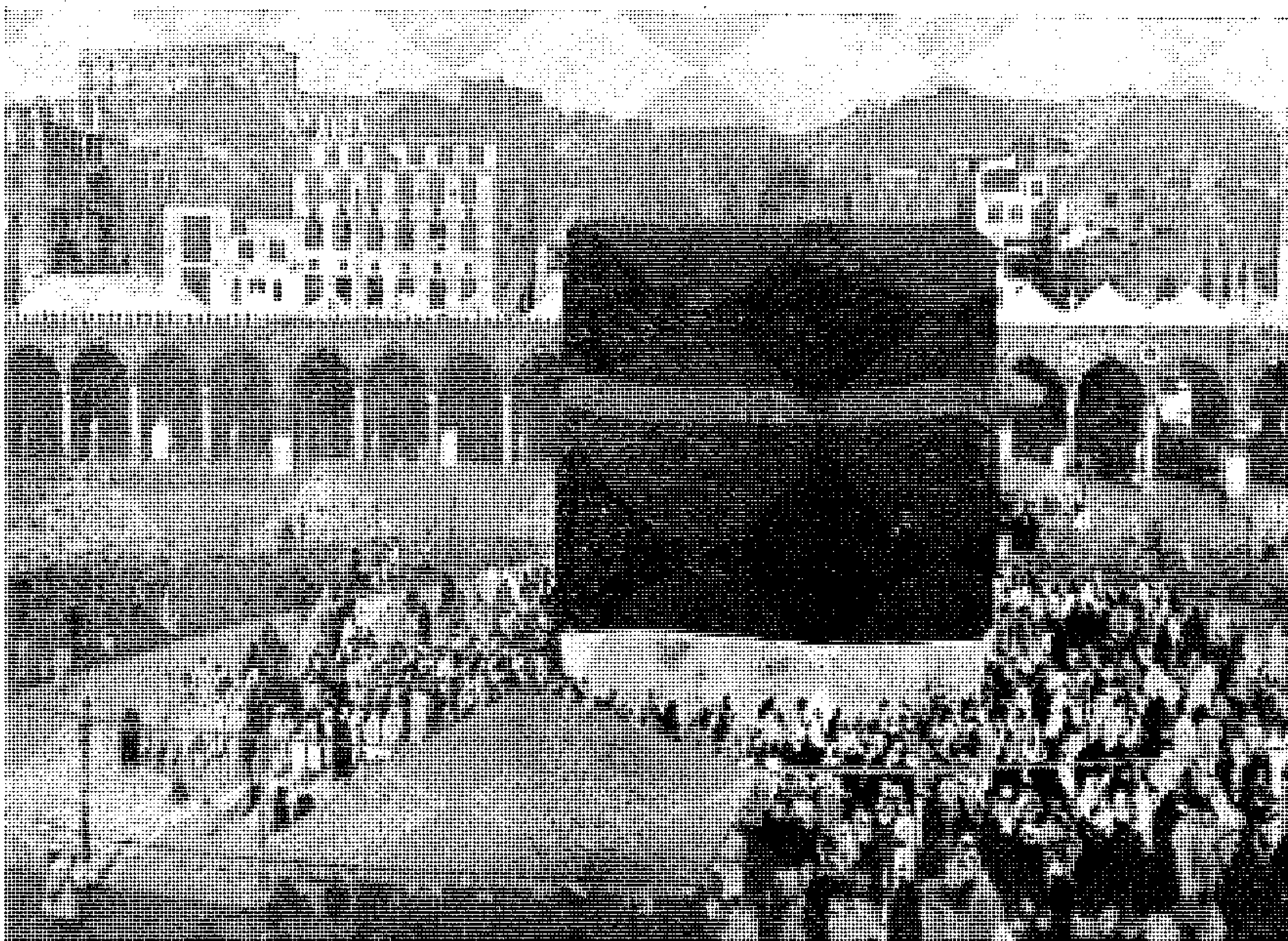
(٣) قناديل المسجد — فى الجهة الشرقية ١٦٧ ، وفى الغربية ١٤٧ ، وفى الشمالية ٣٣٠، وفى القبلية ١٨٧ ، وبين أعمدة المطاف ٢٥٧ ؛ فالجملة ١٠٨٨ عدا ما فى زيادتى دار الندوة وابراهيم وهذا حسب تعدادى لها بسنة ١٣٢٠ ه .

(٤) موظفو المسجد الحرام — له شيخ هو الوالى عادة ونائب ووكيل للنائب ومدير يقوم بشؤونه وفيه من الموظفين ما يقارب سبعمائة : منهم ١٠٧ مدرّس يتقاضى ٤٤ منهم مرتبا يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠ قرش والباقون متبرعون بالتدريس؛ ومنهم ٧٩ إماما وخطيبا للحنفية المتبرعون منهم ٣٤، ويتقاضى ٤٥ منهم مرتبا . وللشافعية ٢٤ إماما وخطيبا المتبرعون منهم ١٦ والباقون بمرتب وأئمة ، وخطباء المالكية ١٤ المتبرعون منهم ثمانية : وللحنبلية ٥ المتبرعون اثنان منهم ، والامام أو الخطيب يتقاضى مرتبا يختلف بين ٤٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ قرش، ومنهم ٥٢ خصيا (أغا) من بينهم رئيس ونقيب لهم ، ومن ذلك ٤١ مؤذنا و ٨ وقّادين و ١٢ فراشا و ١٠ محافظين على النظام (مشدين) و ٢٠ كناسا و ٣٠ بوابا و ١١ جبادا (ملاء للماء) و١٨١ غسالا لقناديل المسجد و١٨ خادما خدمة سائرة ومن ضمنهم ٢٠ لهم مرتبات قديمة، و ١٥ موظفا فى سقاية زمزم الخ، أما الذين يقومون بخدمة الكعبة فسدنتها من باب بنى شيبة . والخدمة فى المسجد الحرام وراثية فى الأكثر .

وأول من رتب الأغوات فى المسجد أبو جعفر المنصور وهم يقومون بأعمال مختلفة وخدمة المسجد الحرام مهنة من أشرف المهن يتباهى بها الخلفاء والسلاطين من قديم، ومن ضمن الرتب فى الدولة العلية رتبة « خادم الحرمين الشريفين » .

قال صديقنا محمد لبيب بك البتانونى ويدرّس بالمسجد الحرام بعض العلوم العربية والتفسير على الطريقة القديمة العقيمة ويقدر عدد الطلبة ببضع مئات جلهم

الكعبة بالإزار الأبيض من الجهة الغربية



100. The Western view of El Kaaba.

قفص النساء بالحرم المكي



101. The women's enclosure in the Mecca Mosque.

من الجاوه الذين يفرون الى هذه البلاد من المظالم التى تتساقط على رءوسهم من حكومة بلادهم ، ويشتغلون وقت الدرس بالدراسة وفى وقت الفضاء يعملون عملا يرتزقون منه .

(٥) أعمدة المطاف — فى سنة ٢٣٢ هـ . أمر الواثق بالله بعمد عشرة جعلت على المطاف ، وكانت من الخشب طويلة وأمر بثمان ثريات وضعت عليها ليستصبح بها الطائفون ، وكانت مقسمة على جهات الكعبة الأربع فى كل جهة ثنتان ، ثم زيد فى الأعمدة فبلغت اثنين وثلاثين من الخشب ، ثم أبدلت بأعمدة من الحجر والآجر فكان منها ثمانية عشر من الآجر المجصص وأربعة عشر من الحجارة المنحوتة ، ووصل بينها بعوارض من الخشب تعلق فيها القناديل ، ثم حصل فيها تغيير حتى كانت أخيرا من النحاس وصل بينها بعوارض الحديد ، علق فى كل عارضة ٧ قناديل ، والعمود يمثل مدفعين جبليين فم أحدهما على فم الآخر ، وعدد هذه الأعمدة ثمان وثلاثون انظر (أعمدة المطاف فى الرسم ١٠٠) .

مصلى النساء بالمسجد الحرام — كان النساء يصلين فى المسجد مع الرجال يقف الرجال فى المقدمة والنساء بعد الصبيان فى المؤخرة كما هى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن هناك فاصل بين النوعين وفى الطواف يختلطن بالرجال ولما بلغ خالد بن عبد الله قول الشاعر :

يا حبذا الموسم من موفد * وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللاتى يزاحمننا * عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد : اما إنهن لا يزاحمنك بعد هذا ، وأجلس عند كل ركن حرسا بأيديهم السياط يمنعون النساء أن تختلط بالرجال ، ومثل هذا ما حكاه الزمخشرى فى خالد قال : لما بلغ خالدا ما قاله رجل من موالى الأنصار :

ليتنى فى المؤذنين نهارى * إنهم يبصرون ما فى السطوح
فيشيرون أو يشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فأمر بهدم المنائر، فقال فيه الفرزدق :

ألا قبح الرحمن ظهر مطية * أتت تتهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من أمه * تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصليب لأمه * ويهدم من كفر منار المساجد

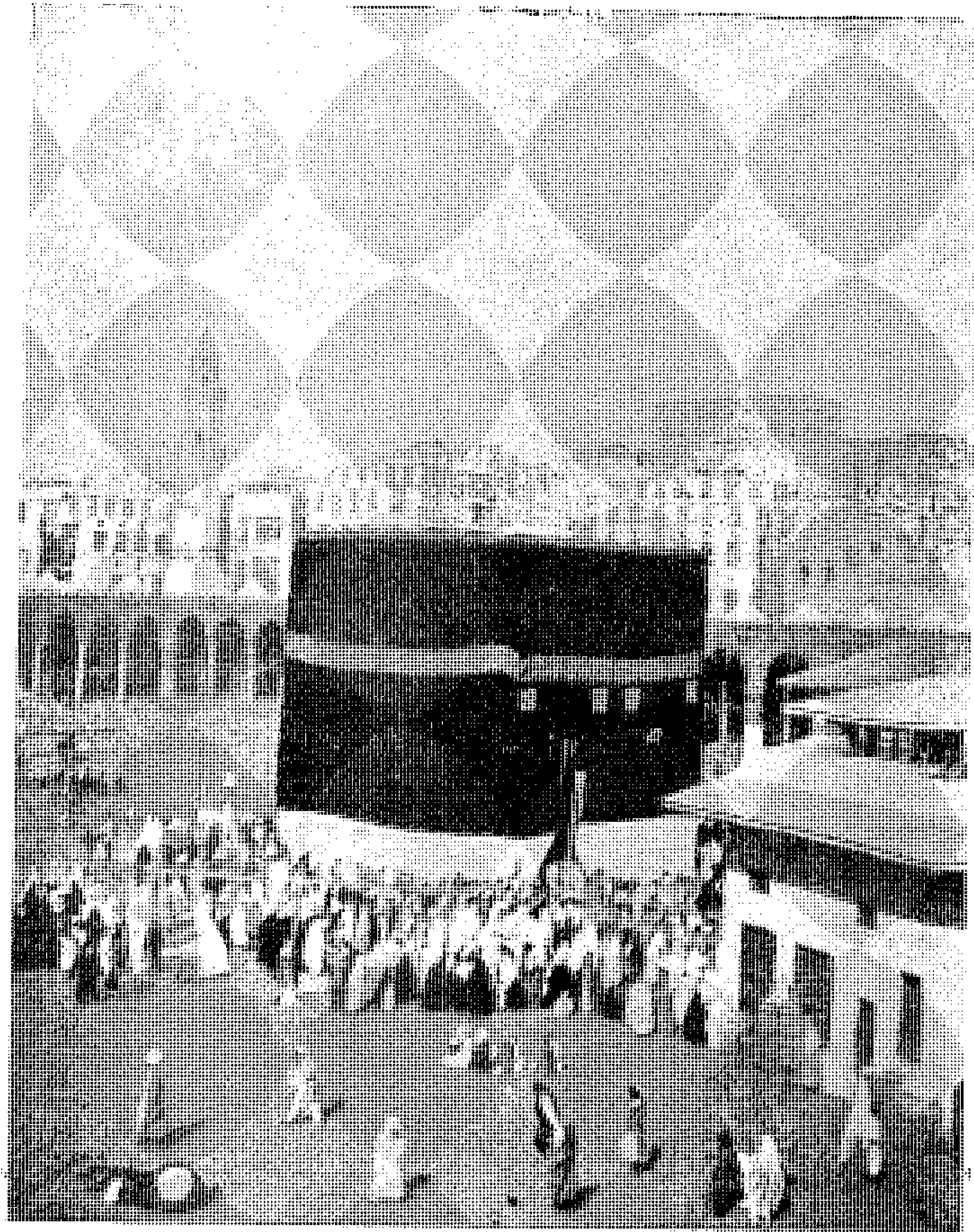
أما أول من وضع حاجزا بين مصلى الرجال والنساء فعلى بن الحسين الهاشمى أمر بحبال ربطت فى الأساطين التى يجلس عندها النساء ففصلت بينهن وبين الرجال ، وفى سنة ١٣٢٠ هـ . رأيت داخل المسجد الحرام حظيرة للنساء يفصلها عن باقى المسجد خشب « شيش » على ارتفاع مترين وترى فى الرسم (١٠١) النساء داخل هـذه الحظيرة قائمات وجالسات وراكعات وساجدات ، وقد رفع الفاصل عون الرفيق باشا أمير مكة فلم أجده فى حجتى سنة ١٣٢٥ هـ .

الكعبة المشرفة

أسماء الكعبة — وصفها ومقاسها — بناء الكعبة وعمارتها — تحليتها — معاليقها وما اهدى اليها — كسوتها — كشف باجزاء الكسوة — نفقات الكسوة — سدانة الكعبة ومفتاحها — تطييب الكعبة — صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فيها — الحجَر الأسود — الحطيم والحِجْر — الحج فى الجاهلية وما يتبعه — إنساء الشهور .

أسماء الكعبة — لها أسماء كثيرة منها الكعبة سميت بذلك لتكعيبها أى تدويرها ، وقال القاضى عياض : سميت بذلك لتكعيبها أى تربيعها وكل بناء مرتفع مربع كعبة ، ومنها البيت العتيق : لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم ينله جبار قط ، ومنها المسجد الحرام لقوله تعالى ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ والمراد به الكعبة بلا خلاف وورد إطلاق المسجد الحرام على غير الكعبة ، ومنها البنية وقد كثر قسم العرب برب هذه البنية ، ومن أسمائها نادر والقرية القديمة وقادس والدُّوّار .

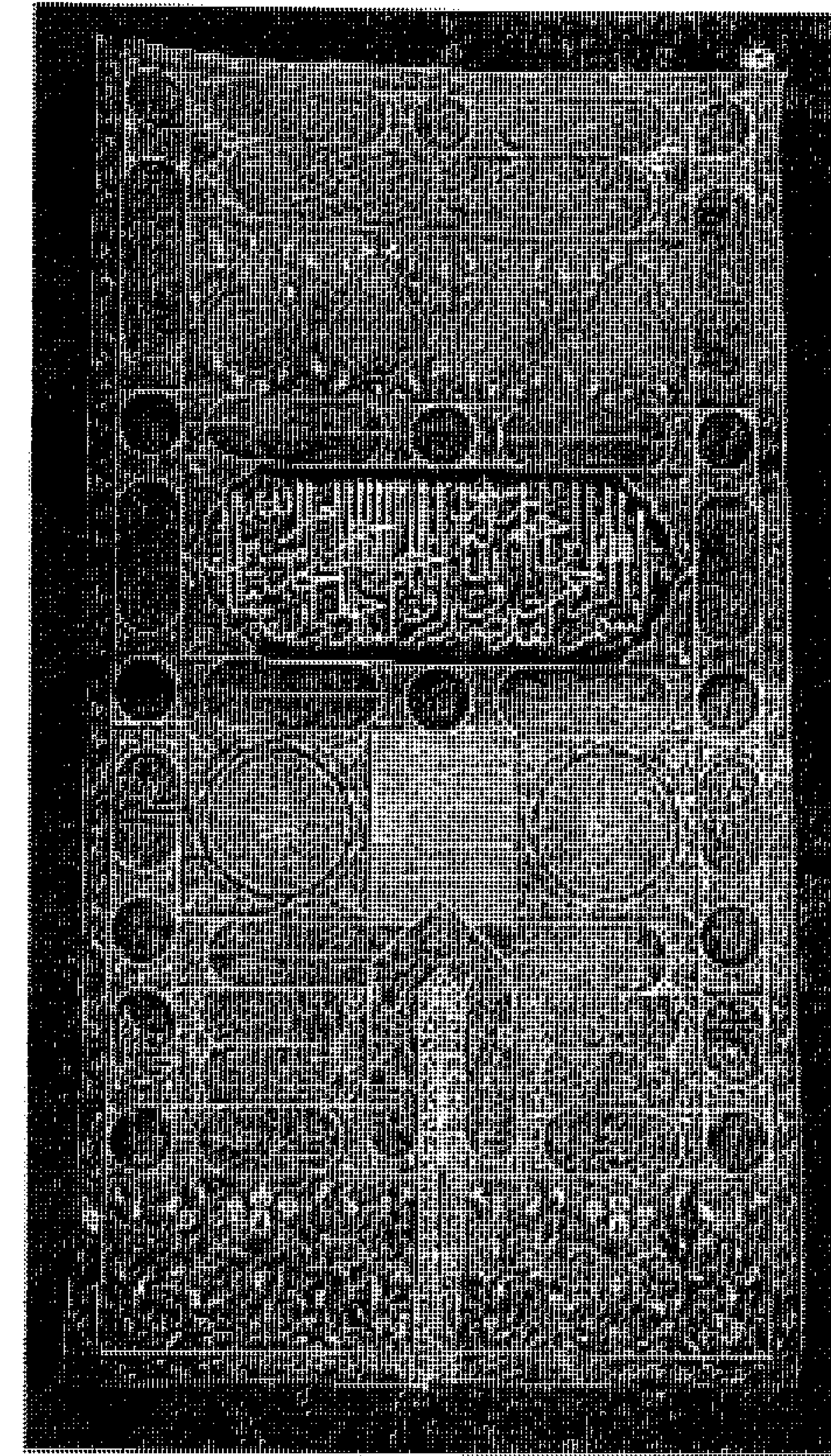
الكعبة الشرفة من جهة الجنوب والشرق وبه بابها



102. The Southern & Eastern sides of the Kaaba with door

صحيفة ٢٦٣

منظر ستارة الكعبة



103. A view of the Curtain of the door of El Kaaba

وصف الكعبة الآن ومقاسها — فى وسط المسجد الحرام بناء فخم يمثل حجرة كبيرة مرتفعة البناء مربعة الشكل تقريبا ، هى المعروفة بالكعبة أو بالبيت الحرام انظر شكل الكعبة فى (الرسم ١٠٢) والواجهتان الظاهرتان الواجهة الشرقية والواجهة الجنوبية وترى به الكسوة وحزامها المقصب وإزارها الأبيض وستارة الباب مطوية والحجاج متزاحمون لتقبيل الحجر الأسود (الرسم ٥٩) والذى على يمين الكعبة سقاية الحاج وزمزم ، وفى جدار الكعبة الشرقى ميل الى الشمال بنحو ٢٠ درجة ، وكذلك يميل جدارها الشمالى الى الشرق ٢٠ درجة أيضا ، وارتفاعها ١٥ مترا ، وطول ضلعها الشمالية ٩,٩٢ أمتار ، والغربية ١٢,١٥ مترا ، والجنوبية ١٠,٢٥ أمتار ، والشرقية ١١,٨٨ مترا ، وفى الضلع الشرقى بابها ويرتفع عن الأرض بنحو مترين ، وارتفاعه هو متران وعتبته مصفحة بصفائح الفضة ، وكذلك مصراعا الباب إلا أن صفائحه الفضية مطلية بالذهب ، وكذلك قفل الباب وذلك من مدة خلافة السلطان سليمان القانونى سنة ٩٥٩ هـ . وعلى الباب ستارة مزركشة آية فى الجمال وهى من ضمن الكسوة التى تأتى الى الكعبة من مصر انظر (الرسم ١٠٣) ويصعد الى الباب على مدرّج من خشب مصفح بالفضة ، ويلاصق جدر الكعبة من أسفلها بناء من الرخام يسمى بالشاذروان أقيم تقوية للجدران ، وهو يحيط بها من جهاتها الأربع ، وارتفاعه فى الجهة الشمالية ٥٠ سنتيا فى عرض ٣٩ ، ومن الجهة الغربية ارتفاعه ٢٧ فى عرض ٨٠ ، ومن الجهة الجنوبية ارتفاعه ٢٤ فى عرض ٨٧ ، ومن الجهة الشرقية ارتفاعه ٢٢ فى عرض ٦٦ ؛ كما حققته بالمقاس فى حجاتى الأربع قال أبو حامد الاسفرايينى وابن الصلاح والنووى وغيرهم : أصل الشاذروان ما نقصته قريش من عرض جدر أساس الكعبة حين ظهر على الأرض كما هو عادة الناس فى الأبنية ، وهو عند الشافعية والمالكية من البيت فالمطاف بعده ، وليس من البيت عند الحنفية ومذهب الحنبلية أن الاحتراز عنه مطلوب إلا أن ترك الاحتراز لا يفسد الطواف ، ولا يعلم متى بدئ البناء على أصل الشاذروان ، وقد جدّد البناء عليه مرات فبنى فى سنة ٥٤٢ هـ .

وفى سنة ٦٣٦ و ٦٦٠ و ٦٧٠ و ١٠١٠ هـ . وبين ذلك وقبله وبعده .

وفى الركن الجنوبى الشرقى للكعبة من الخارج الحجر الأسود (الرسم ١١٨) الذى هو مبدأ الطواف ، ويرتفع عن الأرض مترا ونصفا والحجر أسود اللون ذو تجويف أشبه بطاس الشرب وقد حدث فيه الآن تشقق وعمل له فى سنة ١٢٩٠ هـ . غطاء من الفضة ، فى وسطه فتحة مستديرة قطرها ٢٧ سنتيمترا أعنى شبرا وثلثا ، يرى منها الحجر ويستلم .

ويواجه ركن الحجر من البلاد الجزء الجنوبى من بلاد الحجاز الى عدن وهرر ومدغشقر وأستراليا وجنوب الهند والصين .

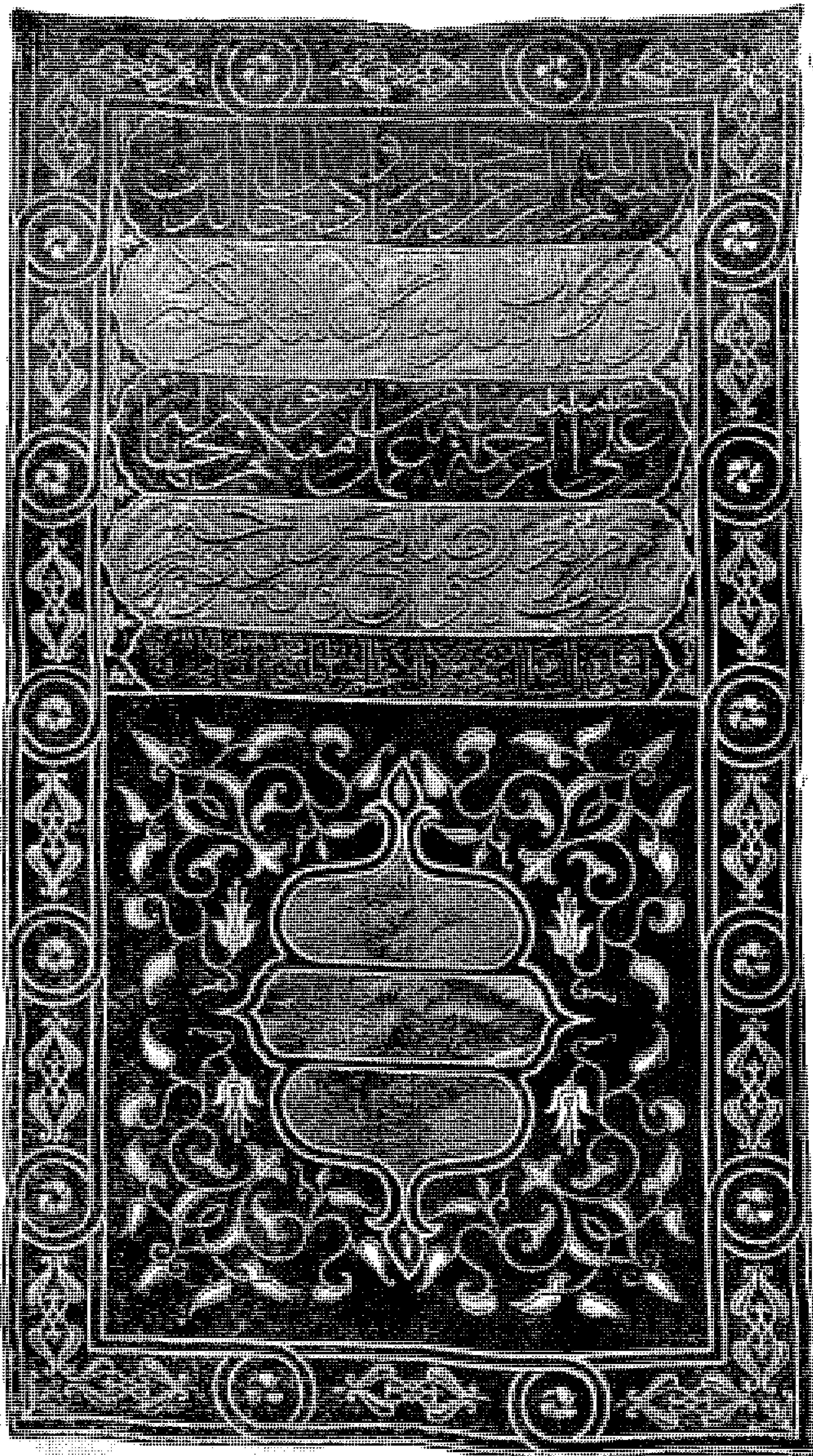
وركن الكعبة الشمالى الشرقى يسمى بالركن الشامى والعراقى ويواجهه من البلاد الجزء الأكبر من بلاد الحجاز والعجم وتركستان والعراق وشمال الهند والسند والصين وسيبريا .

وركن الكعبة الشمالى الغربى ويسمى بالركن الغربى يسامته من الجهات غرب الروسيا وجميع أوروبا والأستانة وبلاد المغرب ومصر الى الشلال .

وركن الكعبة الغربى الجنوبى ويسمى بالركن اليمانى يسامته من البلاد الجزء الجنوبى من أفريقيا من سواكن على البحر الأحمر والرأس الأخضر على المحيط الأطلسى الى رأس الرجاء الصالح ، فكل جهة تستقبل ركنها : ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر ٱلمسجد ٱلحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ .

والكعبة مبنية من الحجارة الصماء ذات الحجم الكبير واللون الأزرق ، وبداخل البيت ثلاثة أعمدة من خشب العود الماوردى الجيد ، قطر الواحد منها ربع المتر وهى على صف واحد من الشمال الى الجنوب وعلى يمين الداخل للكعبة فى زاوية الركن الشمالى الشرقى باب يصعد منه على مدرّج الى أعلى الكعبة يقال له : باب التوبة مسدولة عليه ستارة من الحرير المزركش . أنظر (الرسم ١٠٤) وسقف الكعبة منقوش بالنقوش العربية البديعة ومعلق به هدايا ثمينة أهداها اليها الملوك

منظر ستارة باب التوبة داخل الكعبة



104. The curtain to the door of El Tawba (repentance) inside the Kaaba.

فى الأعصر المختلفة . وفى سنة ١٢٩٥ هـ . فرش السطح بألواح المرمر وبدائره من الجهات الأربع حلقات تربط بها الكسوة الخارجية حتى تكون مسدولة على الجدر، كما أنه يوجد فى الشاذروان حلقات تربط بها من الأسفل وهى مصنوعة من النحاس الأصفر، وقد عددت ما بالشاذروان من هذه الحلقات فاذا بها ١٤ فى الجهة الغربية و١٢ فى الجنوبية و١٤ فى البحرية و٨ فى الشرقية وفى الغالب مثل ذلك فى الأعلى.

وكسوة الكعبة من حرير أسود من نسيج مصر مكتوب فيها «الله جل جلاله لا إله إلا الله محمد رسول الله» فى كل جزء من أجزائها أنظر (الرسم ١١٢) . وهى تتغير كل سنة وتأتى من مصر وتوضع على الكعبة مع ستر مقام ابراهيم فى يوم ١٠ ذى الحجة والناس بمنى، وفى ٢٧ ذى القعدة من كل سنة يوضع على هذه الكسوة إزار من القماش الأبيض بعرض مترين يدوربها من أسفلها أنظر (الرسم ١٠٢) وذلك علامة على إحرامها كما يزعمون والحقيقة أن الشيبى أمين مفتاح الكعبة يقطع من كسوة الكعبة نحو المترين من أسفلها ويضع بدل ذلك الإزار ويبيع الجزء المقطوع للحجاج الذين يفدون الى مكة قبل يوم عرفة وبعده، ويزعم بعض الناس أن ذلك الازار الأبيض يوضع وقاية للكسوة من أيدى من يريد العبث بها أو اقتطاع جزء منها ليتبرك به، والجدران من الداخل مكسوة بالأطلس الأحمر على شكل مثلثات كتب عليها ــ الله جل جلاله ــ وبعض آيات قرآنية هدية من السلطان العثمانى، وبالجدران تحت الستار تواريخ وكتابات فيها أسماء من عمر أو جدد شيئا فى الكعبة أو المسجد، من ذلك فى الجهة الشمالية الأبيات الآتية :

قد بدا التعمير فى بيت الاله * قبلة الاسلام والبيت الحرام
أم خاقان الورى مصطفى خان * دام بالنصر العزيز المستدام
بادرت صدقا الى التعمير ذا * إنما كان بالهام السلام
وارتجت من فضله سبحانه * أن يجازيها به يوم القيام
قال تاريخا له قاضى البلد * فعمرته أم سلطان الأنام

أحمد بك شيخ الحرم المكى سنة ١١٠٩ هـ

ومما كتب فى الجهة الغربية : بسم الله الرحمن الرحيم (أمر بعمارة البيت المعظم الامام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله (هكذا) أمير المؤمنين بلغه الله أقصى آماله وتقبل منه صالح أعماله فى شهور سنة ٦٢٦ هـ . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم) وفيها تاريخ للأشرف قايتباى كتب سنة ٨٨٤ هـ . وفيها أيضا كتب (أمر بتجديد هـذا البيت المعظم العبـد المفتقر الى رحمة ربه يوسـف بن عمر بن على بن رسول . اللهم أيده بعزيز نصرك واغفر له ذنوبه برحمتك يا كريم يا غفار سنة ٦٨٠هـ وفى جدران الكعبـة من الداخل أيضا الكتابات الآتيـة : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ربنـا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ أمر بتجديد هـذا البيت المعظم العتيق الى الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين المحترمين السـلطان بن السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان خلد الله تعالى ملكه وأيد سلطنته فى آخر شهر رمضان المبارك المعظم سـنة ١٠٤٠ هـ . من الهجرة النبوية (على صاحبها أفضل التحية) بسم الله الرحمن الرحيم (أمر بتجديد سقف البيت الشريف وجميع داخل الحرم وخارجه مولانا السـلطان ابن السلطان محمد خان سـنة ١٠٧٠ هـ) . « وتاريخ للسلطان الأشرفى أبى النصر برسباى خادم الحرمين الشريفين بلغه الله آماله سنة ٨٢٦ هـ » .

وفى شمالى الكعبة الحطيم — وهو ما حطم من الكعبة وكسر — وهو بناء مستدير على شـكل نصف دائرة ارتفاعه ١,٣١ متر، وعرض جداره من الأعلى ١,٥٢ متر، ومن أسفل ١,٤٤ متر؛ وهـذا البناء مغلف بالرخام وأحد طرفيه محاذ للركن الشامى والآخر محاذ للركن الغربى وسـعة الفتحة التى بين طرفه الشرقى وآخر الشاذروان ٢,٣٠ متر، وسعة الفتحة الأخرى التى بين طرفه الغربى ونهاية الشاذروان ٢,٢٣ متران، والمسافة التى بين طرفى نصـف الدائرة ثمـانية أمتار، ووراء الحطيم بمسافة اثنى عشر مترا المطاف . والأرض التى بين جدار الكعبة الشمالى وبين الحطيم هى المعروفة بالحجر، ويدخل اليها من الفتحتين السالفتين وهى مفروشة بالرخام والمسافة من منتصف جدار الكعبة الشمالى ووسط تجويف الحطيم من الداخل ٨,٤٤ أمتار .

وفى أعلى الجدار الشمالى فى منتصفه الميزاب الذى وضع لتصريف ماء المطر الذى ينزل على سطح الكعبة، وهو من الذهب أرسله السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٠ هـ . انظر (فى الرسم ١٠٥) ما كتب فيه .

وما بين الحجر الأسود وباب الكعبة يسمى بالملتزم ، لكون الحاج يلتزم هذا المكان للدعاء فيه وكان صلى الله عليه وسلم يدعو فيه .

وعلى مقربة من الشاذروان بين باب الكعبة والركن العراقى حفرة تسمى المعجنة يقال إن ابراهيم عليه السلام كان يعجن فيها ملاط البناء، وعمقها ٣٠ سنتيا، وعرضها متر ونصف تقريبا فى طول مترين ويقال : إن جبريل عليه السلام صلى بالنبى صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فى هذا المكان حين فرضها الله على أمته ، وبهذا المكان نقش على حجر : لأبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله تعالى آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك فى شهور اثنتين وثلاثين وستمائة ٦٣٢هـ. وصلى الله على سيدنا محمد .

وقد صليت بالمعجنة ركعتين جلست بعدهما فرأيت بالشاذروان تجاه المعجنة لوح رخام نقش فيه هذه الكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ أمر بعمارة سقف البيت الشريف وتجديد ميزاب الرحمة وتقوية جدار بيت الله الحرام تجديدا بحرمه ، وطرقه من ذهب وفضة وجلبار بخبر القرآن العظيم أسس بنيانه على تقوى من الله العبد المفتقر الى رحمة ربه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والعراق خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان خلد الله ملكه الى آخر الزمان رسم فى محرم سنة ١٠٣١ هـ .

وأمام الجدار الشرقى مقام ابراهيم عليه السلام، وشمالى المقام بقليل المنبر الرخام وجنوبيه بقليل بئر زمزم وفى شرقى المقام يصلى إمام الشافعية الصلوات الخمس وقد قدمنا لك ذلك بالتفصيل .

اما المطاف فانه يحيط بالكعبة كما قدمنا وقد قست المسافة بينه وبين جدر الكعبة الأربعة فاذا هى ١٣٫٢٥ مترا من الجهة الشرقية و ٢٠٫٤٤ مترا من الجهة الشمالية و ١٦٫١٥ مترا من الجهة الغربية و ١٤٫٧٥ مترا من الجهة الجنوبية .

بناء الكعبة وعمارتها — قال تعالى ﴿ إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من ٱستطاع إليه سبيلا ومن كفر فان ٱلله غنى عن العالمين ﴾ . قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى فى تفسير قوله ﴿ إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ . اختلف أهل التأويل فى تفسير ذلك فقال بعضهم . تأويله : إن أوّل بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركا وهدى للعالمين للذى ببكة ، قالوا وليس هو أوّل بيت وضع فى الأرض لأنه قد كان قبله بيوت كثيرة ، وقال آخرون : بل هو أوّل بيت وضع للناس ، ثم قال : والصواب من القول فى ذلك ما قال جل ثناؤه فيه ﴿ إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى ﴾ . ومعنى ذلك إن أوّل بيت وضع للناس أى لعبادة الله فيه مباركا وهدى يعنى بذلك ومآبا لنسك الناسكين وطواف الطائفين تعظيما لله وإجلالا له للذى ببكة لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما حدّثنا به محمد بن المثنى قال : حدّثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذرّ قال : قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أوّل؟ قال : « المسجد الحرام » قال ثم أى؟ قال : « المسجد الأقصى » قال كم بينهما؟ قال : « أربعون سنة » . فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسجد الحرام هو أوّل مسجد وضعه الله فى الأرض على ما قلنا .

قال التقى الفاسى فى كتابه شفاء الغرام ما ملخصه : لا شك أن الكعبة المعظمة بنيت عدّة مرات ، وٱختلف فى عدد البنايات ويتحصل من مجموع ما قيل فى ذلك أنها بنيت عشر مرات بناء الملائكة وبناء آدم وبناء أولاده وبناء الخليل وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصى بن كلاب وبناء قريش وبناء عبد الله بن الزبير وبناء

الحجاج ابن يوسف الثقفى، وإطلاق العبارة بأنه بنى تجوز لأنه لم يبن إلا جزءا منها على ما يأتى بيانه ، ثم بين أن بنايات الملائكة وآدم وأولاده لم يأت بها خبر ثابت ، وأما بناء الخليل فجاء به القرآن والسنة قال تعالى : ﴿ واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربناتقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ الآيات . وروى الفاكهى عن على رضى الله عنه : أن ابراهيم أوّل من بنى البيت وجزم به الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره وقال : لم يجىء خبر عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل . وذكر الأزرقى عن ابن اسحاق ذرع بناية ابراهيم قال : كان طول البيت فى السماء تسعة أذرع وجداره الشرقى ٣٢ ذراعا وجداره الشمالى ٢٢ ذراعا وجداره الغربى ٣١ ذراعا والجنوبى ٢٠ ذراعا، وكان بابه بالأرض، وكان إبراهيم يبنى وإسماعيل ينقل له الحجارة على كتفه . أما بناء العمالقة وجرهم فرواه الأزرقى عن على بن أبى طالب . وذكر المسعودى : أن الذى بناها من جرهم الحارث بن مضاض الأصغر، وبناها بعد العمالقة قصى بن كلاب وقد سقفها بخشب الدوم الجيد وبجريد النخل . قال الحلبى : والحق أن الكعبة لم تبن جميعا إلا ثلاث مرات : الأولى بناء ابراهيم عليه السلام، والثانية بناء قريش وكان بينهما ١٦٧٥ سنة والثالثة بناء عبد الله بن الزبير وكان بينهما ٨٢ سنة ؛ وأما بناء الملائكة وآدم وشيث فلم يصح ؛ وأما بناء جرهم والعمالقة وقصى فانما كان ترميما . اه .

وأما بناء قريش للكعبة فهو ثابت بالسنة الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم وحضره صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين سنة كما جزم به ابن اسحاق وغير واحد من العلماء، وقيل : ابن خمس وعشرين سنة كما جزم به موسى بن عقبة فى مغازيه وابن جماعة فى منسكه ، وكان من خبر هذا البناء أن الكعبة احترقت ستورها وأكثر أخشابها فأوهن ذلك من بنيانها، وتلا ذلك سيل أوهى البناء وصدع الجدران فأجمعت قريش أمرها على تجديدها ورفع بابها حتى لا يدخلها إلا قرشى ، فقدر الله أن رمى البحر بسفينة الى ساحل جدّة كانت لتاجر رومى يدعى « باقوم » ، فخرج الوليد ابن المغيرة يبتاع الخشب فاذا بباقوم وسفينته فأخبره بما اعتزموه ، فأنبأه

باقوم بأنه بناء نجار فاستصحبه الوليد معه ليقوم بالبناء، ولما أرادوا الهدم تقدّم عائذ ابن عمران فاقتلع حجرا ففرّ من يده الى مكانه فقال يا معشر قريش : لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لا يدخل فيه مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم أن القوم هابوا هدمها وفرِقُوا منه، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمها فأخذ المعول وقام عليها وهو يقول « اللهم لم ترع » ويقال : لم نزغ اللهم لا نريد إلا الخير ثم هدم وتبعه الناس حتى انتهوا الى أساس ابراهيم فوجدوا حجارة خضراء كالأسنة، وفى نسخة كالأسنمة فأقاموا بناءهم الحديد عليها، وكان صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى ذلك البخارى فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : لما بنيت الكعبة ذهب النبى صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبى صلى الله عليه وسلم :اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة نخر الى الأرض وطمحت عيناه الى السماء ثم أفاق فقال : إزارى إزارى فشدّ عليه إزاره . اه .

قال ابن اسحاق : ثم أن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال، فضربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسموا « لعقة الدم » فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم أنهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية ابن المغيرة بن عبد الله وكان عامئذ أسن قريش كلها فقال يا معشر قريش : اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه هو أوّل من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا، فكان أوّل داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم : هلم الى ثوبا فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه وفى ذلك يقول هبيرة بن وهب :

تشاجرت الأحياء فى عضل[1] حطه * جرت طيرهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا بها البغضاء بعد مودّة * وأوقد نارا بينهم شر موقد
فلما رأينا الأمر قد جدّ جدّه * ولم يبق شيء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أوّل طالع * يجيء من البطحاء من غير موعد
فقد جاءنا هذا الأمين محمد * فقلنا رضينا بالأمين محمد
بخير قريش كلها أمس شيمة * وفى اليوم مهما يحدث الله فى غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله * أعمّ وأرضى فى العواقب واليد
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا * له حقه من رفعه قبضة اليد
وقال ارفعوا حتى اذا ما علت به * أكفهم وافى به خير مسند
وكل رضينا فعله وصنيعه * فأعظم به من رأى هادو مهتد
وتلك يد منه علينا عظيمة * نروح بها مدى الزمان ونغتدى

وما زالوا يبنون حتى أتموا بناءها وكان ارتفاعه من الخارج ثمانية عشر ذراعا بزيادة تسعة أذرع على ارتفاعها فى بناء الخليل، واقتصوا من عرضها أذرعا جعلوها فى الحجر لقصر النفقة الحلال التى أعدوها لعمارتها عن ادخال ذلك، ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، وكبسوها بالحجارة وجعلوا فى داخلها ٦ دعائم فى صفين فى كل صف ثلاث من الشمال الى الجنوب، وجعلوا فى ركنها العراقى من الداخل سلما يصعد عليه الى سطحها الذى جعلوا فيه ميزابا يصب فى الحجر.

وأما بناء ابن الزبير للكعبة فانه ثابت مشهور وسبب ذلك وهن فى الكعبة من حجارة المنجنيق التى أصابتها حين حوصر ابن الزبير بمكة فى أوائل سنة ٦٤ هـ. لمعاندته يزيد بن معاوية ومن الحريق الذى أصابها من نار أوقدها نفر من أصحاب ابن الزبير فى خيمة له، فطارت الرياح بلهب تلك النار الى الكعبة فأحرقت كسوتها وما فيها من خشب الساج، فوهت جدرها وانقض بنيانها من عل وكانت حجارتها تتناثر اذا ما وقع عليها الحمام، فلما فك الحصار عن ابن الزبير وارتحل عن مكة.

(١) عضل به الأمر : اشتد .

الحصين بن نمير بعد أن نعى له يزيد بن معاوية — رأى ابن الزبير ان يهدم الكعبة ويبنيها ، فوافقه على ذلك نفر قليل وكره ذلك كثيرون منهم ابن عباس رضى الله عنهما ، ولما أجمع على هدمها خرج كثير من أهل مكة الى منى خشية أن يصيبهم عذاب ، وأمر ابن الزبير رضى الله عنهما جماعة من الحبشة فهدموها وآختار هؤلاء رجاء أن يكون فيهم الحبشى الذى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه يهدمها — روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» وفى رواية البخارى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم «كأنى به أسودا أفحج[1] يقلعها حجرا حجرا » فهدمت الكعبة كلها حتى بلغت الأرض وكان يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ٦٤ هـ . وبناها على قواعد ابراهيم وأدخل فيها ما أخرجته قريش منها فى الحجر آعتمادا على الحديث الذى أخبرته به خالته عائشة وسيأتى ، وزاد فى طولها على بناء قريش نظير مازادته قريش فى طولها على بناء الخليل وذلك تسعة أذرع ، فصار آرتفاعها سبعة وعشرين ذراعا وهى سبعة وعشرون مدماكا ، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض أحدهما بابها الموجود اليوم ، والآخر مقابل له مسدود ، وجعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد وجعل لها مدرّجا فى زاويتها العراقية من الداخل يصعد عليه الى ظهرها ، وجعل لها ميزابا على سطحها يصب فى الحِجر ، وجعل فيها روازن توضع فيها المصابيح ، ولما فرغ من بنائها خلقها بالطيب ظاهرا وباطنا وكان يجمرها كل يوم برطل من العود وفى يوم الجمعة برطلين ، وقد بقيت حجارة فرشها فى المطاف .

وأما بناء الحجاج للكعبة فثابت مشهور ، وذلك أن الحجاج بعد محاصرته ابن الزبير وقتله له كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة ماليس منها وأحدث فيها بابا آخر واستأذنه فى ردّ ذلك الى ما كان عليه فى الجاهلية ، فكتب اليه عبد الملك أن يسدّ بابها الغربى ويهدم ما زاده بن الزبير من الحِجر ويكبسها[2] به

(١) الفحج فى المشى تباعد العقبين وتدانى صدور القدمين .

(٢) فى القاموس كبس البئر والنهر يكبسهما طمهما بالتراب ، ولعل المعنى هنا يبنيها به أو يبلطها .

على ما كانت عليه ، ففعل ذلك الحجاج وبناؤه فى الكعبة الجدر الشمالى والباب الغربى المسدود وما تحت عتبة الباب الشرقى وهو أربعة أذرع وشبر على ما ذكر الأزرقى ، وترك بقية الكعبة على بناء ابن الزبير ، وكان ذلك سنة ٧٤ هـ . ثم ان عبد الملك ابن مروان ندم على ما وقع منه فى أمر الكعبة ، وقال : وددت والله أنى كنت تركت ابن الزبير وما تحمل حين أخبره الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى أنه سمع من عائشة رضى الله عنها حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم اعتمده ابن الزبير فيما فعله بالكعبة ، وحديث عائشة رواه أبو داود الطيالسى ، قال : حدّثنا سليم بن حبان قال حدّثنا سعيد بن المثنى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، قال : أخبرتنى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة وألزقتها بالأرض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ولزدت ستة أذرع من الحجر فى البيت فان قريشا آستقصرت ذلك لما بنت البيت .

ولم يحصل فى الكعبة تغيير بعد بناء ابن الزبير والحجاج الى سنة ١٠٣٩ هـ . اللهم إلا فى ميزابها وبابها وبعض أساطينها وما دعت الضرورة الى عمارته فى جدرها وسقفها وجدرها الذى يصعد منه الى سطحها وعتبتها ورخامها . وكان سليمان بن عبد الملك يحب أن يردّ الكعبة الى بناء ابن الزبير حين أخبره بذلك خليفته الامام العادل عمر ابن عبد العزيز بن مروان لما سأله عن ذلك ، ولكن منعه من ذلك حبه أن لا يغير عملا عمل بمشورة أبيه ، ويروى أن الخليفة هارون الرشيد — وقيل : أبوه المهدى ، وقيل : جدّه المنصور — أراد أن يغير ما صنعه الحجّاج ويردّ الكعبة الى بناء بن الزبير فنهاه عن ذلك الامام مالك بن أنس وقال له : نشدّتك الله أن لا تجعل بيت الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس .

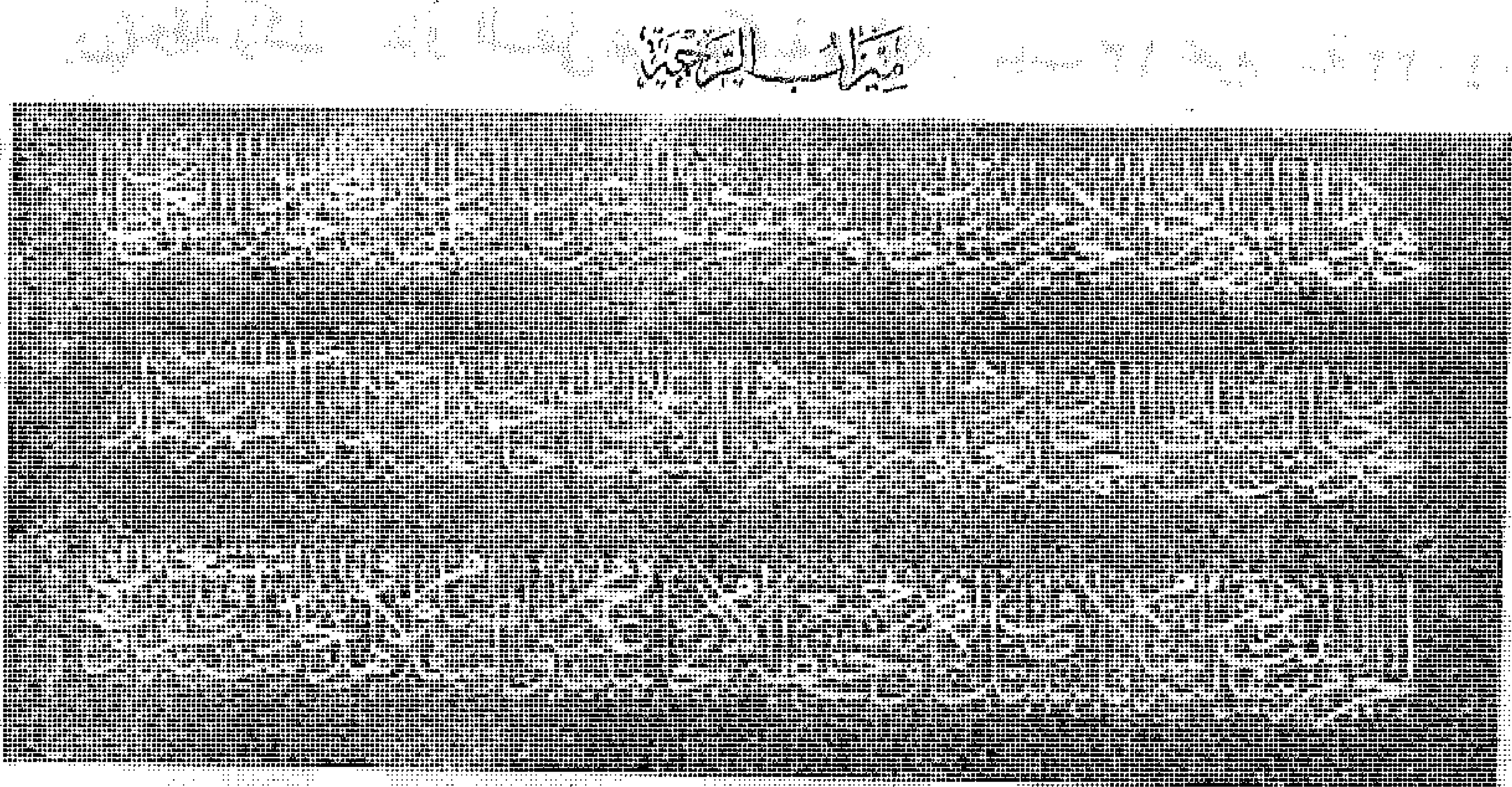
وكأن مالكا رحمه الله لاحظ فى ذلك قاعدته المشهورة : درء المفاسد أولى من جلب المصالح .

ومما جدّ فى الكعبة بعد بناء ابن الزبير والحجاج أن الوليد بن عبدالملك أرسل من الشام الرخام الأحمر والأخضر والأبيض ففرشت به وأُزِّرَتْ جدرها من الداخل . وقد انفتح الجدار الشمالى الذى أقامه الحجاج من بقية البناء وكان الفتح مقدار نصف أصبع فرمم ذلك بالجص الأبيض ، وبعد سنة ٢٠٠ هـ . رفعت الفسيفساء التى كان معمولا بها سطح الكعبة لأنها ما كانت تمنع مياه المطر أن تتسرب الى الداخل ، ووضع مكانها المرمر المطبوخ وشيد بالجص . وفى زمن المتوكل العباسى سنة ٢٤١ هـ . قلعت العتبة السفلى لباب الكعبة وكانت قطعتين من خشب الساج دثرتا من طول الزمان وأبدل بها قطعة من خشب الساج ألبست صفائح الفضة ، وكذلك جدّد المتوكل رخام الكعبة وأزرها بالفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب ، وفى سنة ٥٤٢هـ . عمر سقفها والمدرّج الذى فى بطنها ، وكذلك أصلح رخامها حوالى سنة ٥٥٠ هـ . وكانت هذه العمارة من قبل جمال الدين المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل ، وفى سنة ٥٥٩ هـ . تضعضع الركن اليمانى من زلزلة حدثت . وأصلح وعمرها المستنصر العباسى سنة ٦٢٩ هـ . وجدّد رخامها الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة ٦٨٠ هـ . وفى رمضان سنة ٨١٤ هـ . أصلح بعض سقفها وروازنها وعتبتها ، وكان ذلك عقب مطر عظيم كان من أجله يتدفق من باب الكعبة الى المطاف كأفواه القرب ، وقد عملت اصلاحات جزئية فى الروازن والسقف والرخام والأخشاب التى يركب فيها حلق الحديد الذى تربط به الكسوة فى سنتى ٨٢٥ و٨٢٦ هـ . وكان ذلك بأمر الملك الأشرف برسباى صاحب الديار المصرية والشامية والحرمين ، ورممت الكعبة فى سنة ٩٥٩ هـ . زمن السلطان سليمان ، وفى زمن السلطان أحمد (١٠١٢ — ١٠٢٢) حدث بعض التصدّع فى جدارى الكعبة الشرقى والغربى وكذلك فى جُدر الحِجر ، فأراد هدم البيت فمنعه من ذلك علماء الروم وأشاروا عليه بعمل نطاق يلم التشعب ، فعمل نطاقين من نحاس أصفر غلف بالذهب وكتب فى بعضه بالرسم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وفى بعض آخر « لا إله إلا الله محمد حبيب الله » الى غير ذلك من الكلمات الجميلة والآيات الشريفة مثل قوله : (حسبنا الله ونعم

الوكيل) وقد ركب النطاق السفلى على الكعبة فى ليلة السبت ١٢ محرم سنة ١٠٢٢ هـ . ووضعت له أعمدة ثبت أسفلها بالرصاص فى الشاذوران ، وفى ليلة الأحد شرعوا فى وضع النطاق العلوى حتى أتموه، وفى سنة ١٠٣٩ هـ . نزلت أمطار كثيرة عمت مكة وحاراتها وعلت المياه عن قفل باب الكعبة بذراعين حتى اذا ما مضى يومان انهدمت دفعة واحدة ما عدا الجهة اليمانية ، فجددها السلطان مراد خان الرابع ، وقد أرسل مندوبين من الأستانة ومهندسين من مصر أقاموا بناءها وراعوا تجديدها سنة ١٠٤٠ هـ . وقد بذل فى سبيل ذلك المال الكثير . وفى سنة ١٢٩٥ هـ . فرش سطح الكعبة بألواح المرمر .

ومن الميازيب التى عملت للكعبة ميزاب عمله الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط المشهور بمكة وصل به خادمه بعد موته سنة ٥٣٧ هـ . وميزاب أنفذه الخليفه المقتفى العباسى سنة ٥٤١ هـ . جعل عوض الميزاب السابق . وميزاب عمله الناصر العباسى من خشب مبطن بالرصاص فى الموضع الذى يجرى فيه الماء وظاهره مما يبدو للناس مطلى بفضة ، وقد حلى هذا الميزاب فى سنة ٧٨١ هـ . ثم عمل بعد ذلك ميزاب من النحاس ثم جعله السلطان سليمان القانونى من الفضة سنة ٩٥٩ هـ . وفى سنة ٩٦٢ هـ . ورد من مصر ميزاب من ذهب وضع موضع الميزاب الفضة ، وأخذ الأول الى الخزانة العالية للتبرك به وصولحت بنو شيبة سدنة الكعبة عما زاد الميزاب من الفضة بمائتى أشرفى ، وفى سنة ١٠٢١ هـ . غيره السلطان أحمد بآخر من الفضة منقوش بالذهب والمينا اللازوردية ، وفى سنة ١٢٧٣ هـ . أرسل السلطان عبد المجيد ميزابا من الذهب هو الموجود الآن انظر فى (الرسم ١٠٥) ما عليه من الكتابة .

وأول من حلى الميزاب بالذهب الوليد بن عبد الملك ، وفى سنة ٤٥٥ هـ . أخذ بنو الطيب الميزاب وحملوه الى اليمن فابتاعه صاحب اليمن الذى امتلك مكة أيضا فى السنة المذكورة ورد الميزاب الى مكانه .



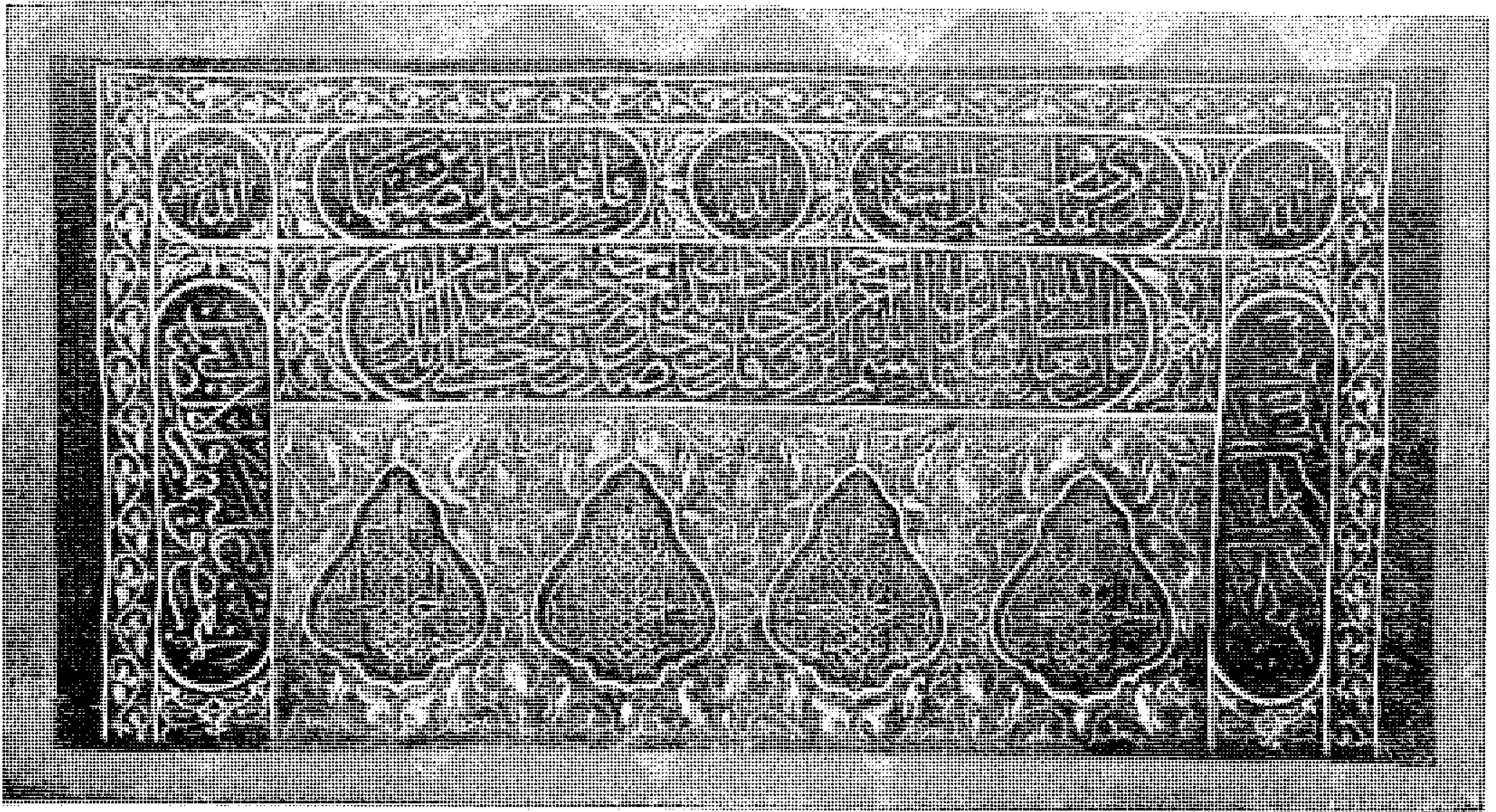
(الرســـم ١٠٥)

The gutter of El Rahma.

ومن الأبواب التى صنعت للكعبة باب عمـله الجواد وزير صاحب الموصل سنة ٥٥٠ هـ . وركب سنة ٥٥١ هـ . وكان مكتوبا فيه اسم الخليفة المقتفى العباسى، وبه حلية تستوقف الأبصار، ومنها باب عمـله الملك المظفر صاحب اليمن لما حج سنة ٦٥٩ هـ . وكان عليـه صفائح فضة زنتها ٦٠ رطلا صارت لبنى شيبة، ومنها باب من السنط الأحمر عمله الملك الناصر محمـد بن قلاوون صاحب مصر ركب على الكعبة بعد قلع باب المظفر وكان عليـه من الفضة ٣٥٣٠٠ درهم، وباب رابع عمله الملك الناصر حسن سـنة ٧٦١ هـ . وهو من خشب السـاج وزيدت حليته سنة ٧٧٦ هـ . فكان مقدارها لا يزيد على ٣٠٠٠٠ درهم، وعلى هـذا الباب اسم الملك الناصر محمـد بن قلاوون واسم حفيده الأشرف شعبان واسم الملك المؤيد لأن بعض خواصه زاد فى حليته سنة ٨١٦ هـ ٢٠٠ درهم وطلاه بالذهب .

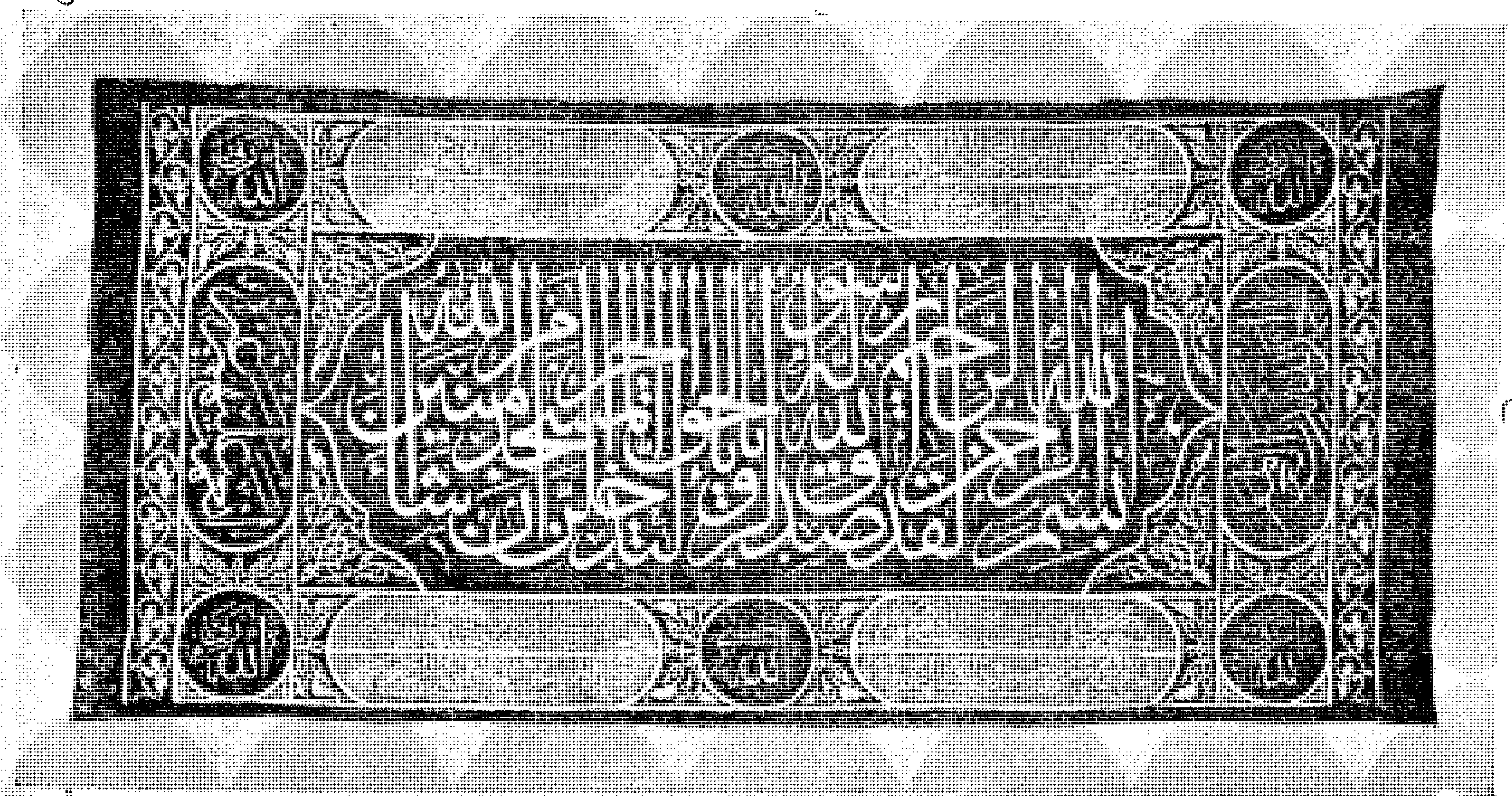
وفى سنة ٧٨١ هـ . حلى زين الدين العثمانى باب الكعبة وميزابها بمعرفة مملوكه سودون باشا حينما أرسله لعمارة المسجد الحرام . وفى سـنة ٩٦١ هـ . أمر السلطان سليمان بتصفيح الباب بالفضة . وفى سـنة ٩٦٤ هـ . أمر بعمل باب الكعبة فأتى بالبـاب الأول وركبت عليه ألواح من الخشب الآس الأسود مصفحة بالفضة

القسم الأعلى من ستارة باب الكعبة



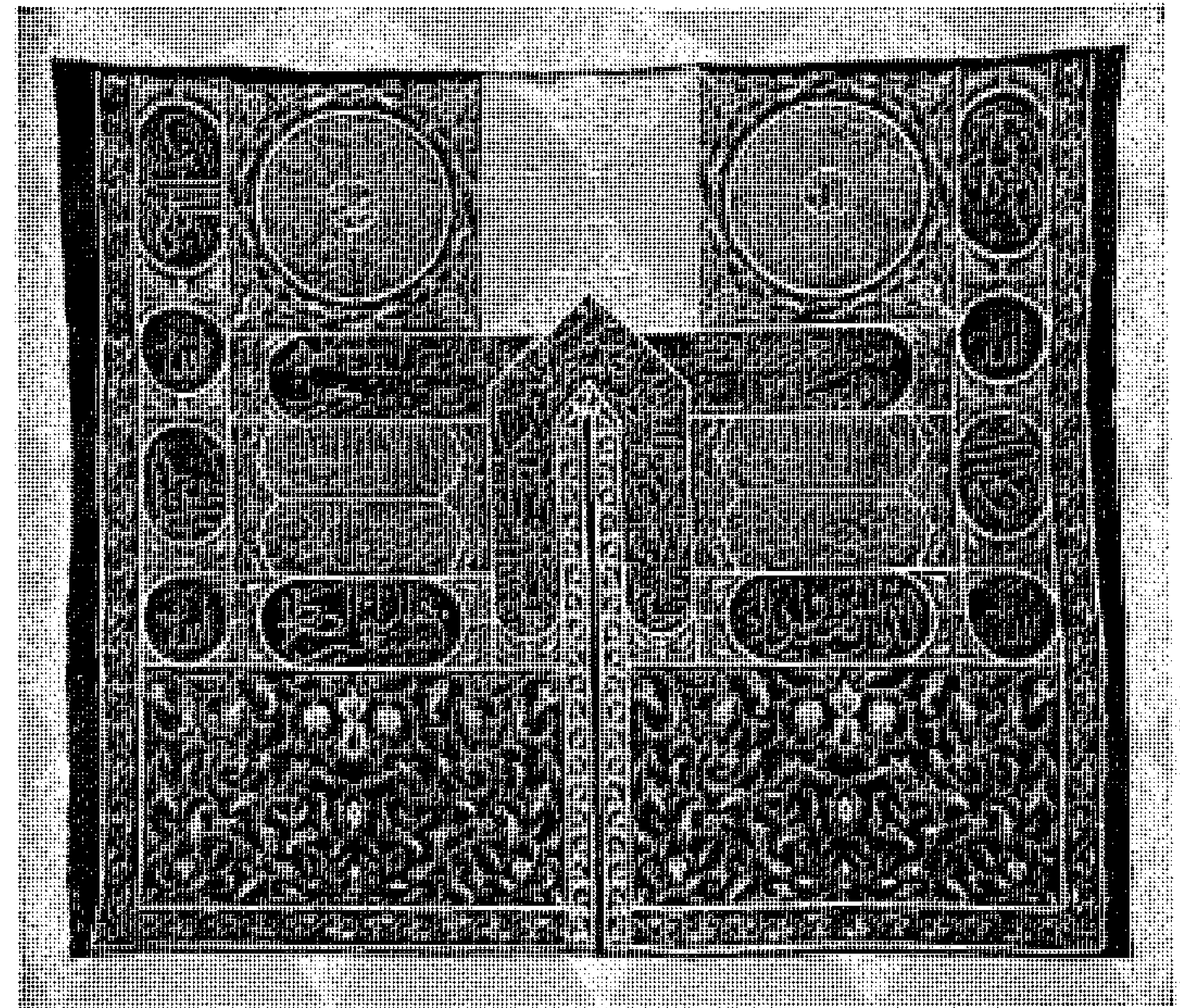
106. A view of the upper part of the curtain of the door of El Kaaba.

القسم الأوسط من ستارة باب الكعبة



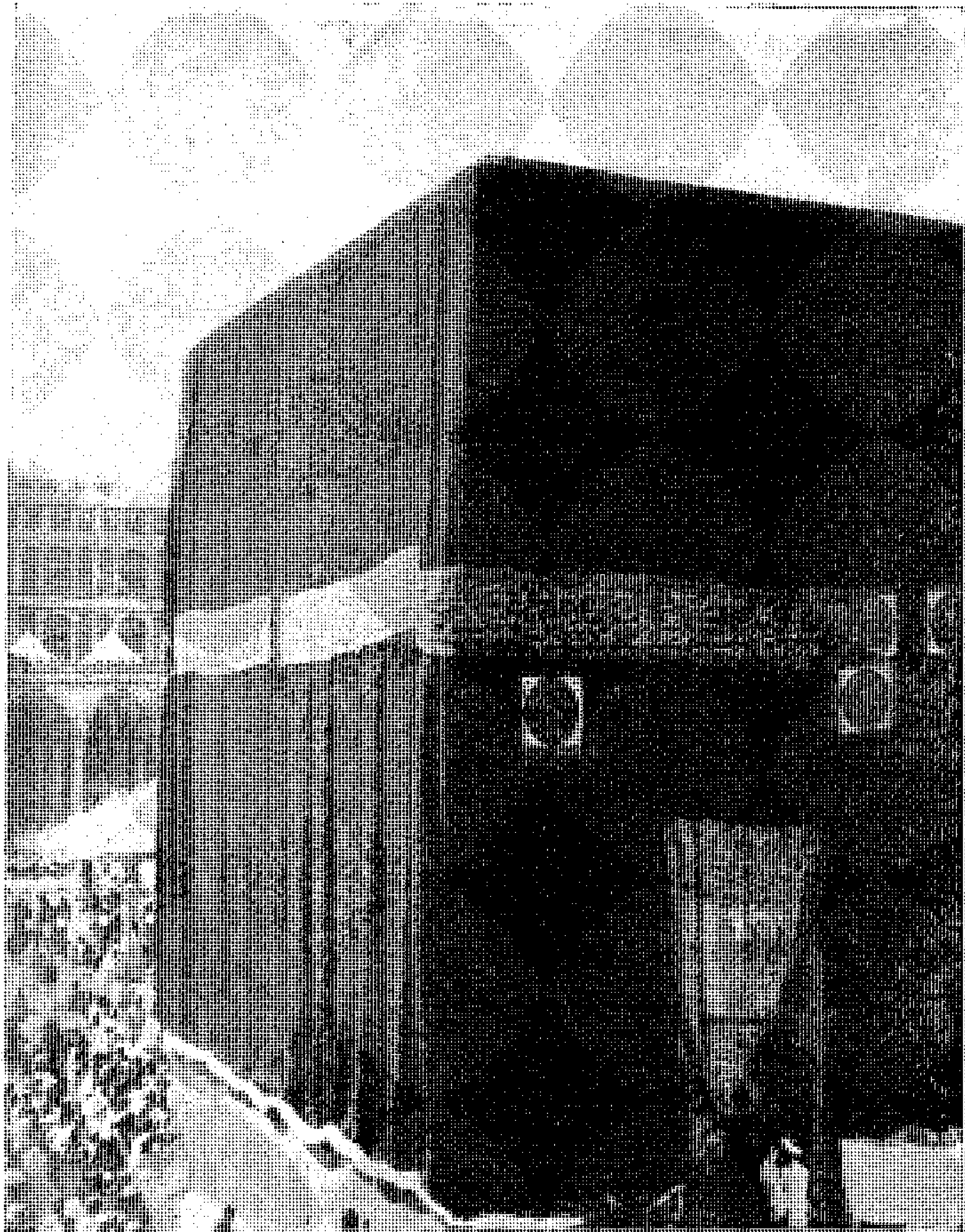
107. A view of the middle part of the curtain of the door of El Kaaba.

القسم الأدنى من ستارة باب الكعبة



108, A view of the lower part of the curtain of the door of El Kaaba,

الكعبة المشرفة من جهة الجنوب والشرق وبه بابها



109. The Eastern and Southern side of the Kaaba with door

المطلية بالذهب ، وقد قـدّر الذهب بمبلغ ٢٧١٠ أشرفى ، والفضـة بأربعة قناطير إلا قليلا ، وقد وضعت الفضة على أصل الباب القديم المصنوع من الساج وأعطى بنى شيبة ١٠٠٠ أشرفى عوض الفضة القديمة ، وقد كتب عليه البسملة وقوله تعالى ﴿رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا﴾ وتاريخ تجديده ، وقد أرّخ ذلك بعضهم « بقوله زين الباب » .

وفى سنة ١٠٤٥ هـ . غير الباب وجعل فيه من الحلية الفضية ما زنته ١٦٦ رطلا وطلى بالذهب البندقى بما قيمته ألف دينار وكان ذلك زمن السلطان مراد الرابع .

ولباب الكعبة ستارة مقصبة تسـدل عليه كما ترى فى (الرسم ١٠٩) ، وترى نقش الستارة وما كتب عليها فى الرسوم ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨

تحلية الكعبة — أوّل من حلاها فى الجاهلية على ما قيل : عبد المطلب جدّ النبى صـلى الله عليه وسـلم بالغزالين الذهب اللذين وجدهما فى زمزم حين حفرها ، وأول من حلاها فى الاسلام الوليد بن عبد الملك ذهب البيت ، وقيل : أبوه عبد الملك قـد سبقه فإنه غطى الأسطوانة الوسطى بصفائح الذهب بل قيل : إن ابن الزبير جعل على الكعبة وأساطينها صـفائح الذهب وجعل مفاتحها من ذهب ، وكانت حلية الوليد بصفائح الذهب جعلها على الباب والميزاب وعلى أساطينها وأركانها من الداخل ، وقيمة ذلك الف دينار . وأرسل الأمين محمد بن هارون الرشـيد الى عامله على مكة ١٨٠٠٠ دينار ليضربها صفائح توضع على بابى الكعبة — لعل الثانى باب التوبة داخلها — فصفحهما بها واتخذ منهـا مسامير وحلقتين للباب . وبعث المتوكل العباسى إسحاق ابن سلمة الصـائغ فلبس زاويتين من زوايا الكعبة الذهب على فضة كانت فيهما ، وقلع الذهب الذى فى الزاويتين الأخريين ولبسـه على الفضة وجعله فى الزاويتين ، فكانت الزوايا كلها سواء ، وعمل منطقة من فضة ركبها فوق إزار الكعبة وكانت منقوشه عرضها ثلثا ذراع وجعـل لهـا طوقا من ذهب منقوشا ومتصلا بهذه المنطقة ، وكان فى أعلى هـذه المنطقة رخام منقوش فلبسـه

الذهب الرقيق وغير كلاب الباب — شبنا كله — التى يشد بها اذا فتح بجعلها من فضة بدل النحاس، وتقدم ما صنعه بعتبة الباب، قال إسحاق : كان مبلغ ما فى الزوايا والطوق من الذهب ٨٠٠٠ مثقال، وما فى المنطقة وعلى عتبة الباب وكرسى المقام من الفضة قريب من ٧٠٠٠٠ درهم، وما ركب من الذهب على جدر الكعبة وسقفها نحو من مائتى حق ، فى كل حق خمسة مثاقيل أى ١٠٠٠ مثقال ذهبا، وكان هذا كله سنة ٢٤١ هـ . وأمر المعتضد العباسى بعد أن كتب له الحجبة بعمل ذهب على عضادتى باب الكعبة عوض ما أخذه بعض العمال على مكة وضربه دنانير أستعان بها على حرب العلوىّ الخارجى سنة ٢٥١ هـ . وكذلك أمر يصنع ذهب على أسفل الباب بدل ما أخذه بعض العمال لتسكين فتنة بين الخياطين والجزارين سنة ٢٦٨ هـ . وأمرت أم المقتدر العباسى غلامها لؤلؤا بإلباس الأسطوانة التى تلى باب الكعبة صفائح الذهب من أسفلها الى أعلاها وكان بعضها قبل ذلك ملبسا بصفائح الذهب وبعضها الآخر مموّها وذلك فى سنة ٣١٠ هـ . وأرسل الوزير الجواد ٥٠٠٠ دينار سنة ٥٤٩ هـ . عملت بها صفائح الذهب والفضة فى داخل الكعبة وأركانها . وكذلك حلىّ باب الكعبة الملك المظفر صاحب اليمن وحفيده الملك المجاهد والملك الناصر قلاوون صاحب مصر، وحفيده الملك الأشرف شعبان سنة ٧٧٦ هـ . وكثير غيرهم .

معاليق الكعبة وما أهدى إليها من الحلىّ — أهدى ساسان بن بابك من ملوك الفرس للكعبة غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وكثيرا من الذهب ودفن ذلك فى زمزم، ويقال : إن كلاب بن مرة أوّل من جعل فى الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة لها . ولما فتح فى عهد عمر بن الخطاب مدائن كسرى كان مما بعث اليه هلالان فعلقهما فى الكعبة، وبعث عبد الملك بن مروان بالشمسيتين وقدحين من قوارير . وبعث آبنه الوليد بقدحين . وبعث الوليد بن

يزيد بالسرير (الكرسى) وبهلالين . وبعث أبو العباس السفاح بالصفيحة الخضراء . وأرسل أخوه المنصور القارورة الفرعونية . وبعث المأمون بياقوتة ثمينة . وأهدى جعفر المتوكل شمسة عملها من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد وسلسلة تعلق فى وجه الكعبة كل سنة . وأسلم ملك من ملوك التبت وكان له صنم من ذهب فى صورة إنسان يعبده وكان على رأس الصنم تاج من ذهب مكلل بخرز الجوهر والياقوت الأحمر والأخضر والزبرجد وكان على سرير مربع مرتفع عن الأرض على قوائم والسرير من فضة ، وعلى السرير فرشة الديباج وعلى أطراف الفرش إزار من ذهب وفضة مرخاة ، والإزار على قدر الكرسى فى وجه السرير ، فلما أسلم ذلك الملك أهدى السرير والصنم إلى الكعبة . وأهدى إليها المعتصم العباسى قفلا فيه ألف دينار . وأسلم بعض ملوك السند فأهدى اليها طوقا من الذهب مكللا بالزمرذ والألماس وياقوتة خضراء زنتها أربعة وعشرون مثقالا وقد علقت فى الكعبة سنة ٢٥٩ هـ . وأهدى جعفر بن المعتمد قصبة من فضة داخلها كتاب فيه بيعته وبيعة أبى أحمد الموفق ، فعلقت فى الكعبة فى صفر سنة ٢٦٢ هـ . وبعث المطيع العباسى اليها قناديل كلها فضة خلا واحدا من الذهب زنته ٦٠٠ مثقال وذلك فى سنة ٣٥٩ هـ . وأهدى صاحب عمان بعد سنة ٤٢٠ هـ . محاريب مبنية زنة المحراب أزيد من قنطار ، وقناديل فى غاية الإحكام ، وقد سمرت المحاريب فى الكعبة مما يلى بابها . وأهدى إليها الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٣٦٢ هـ . قناديل من ذهب وفضة . وبعث إليها الظاهر بيبرس قفلا ومفتاحا . وبعث على شاه وزير السلطان أبى سعيد ملك التتر الى الكعبة سنة ٧١٨ هـ . بحلقتين من الذهب مرصعتين باللؤلؤ البلخش ، كل حلقة زنتها ألف مثقال ، وفى كل حلقة ٦ لؤلؤات فاخرات ، وبينها ٦ قطع بلخش فاخر وقد علقتا زمنا يسيرا ثم رفعتا وأخذهما أمير مكة إذ ذاك رميثه بن أبى نمى . وأهدى السلطان شيخ أويس صاحب بغداد

الى الكعبة ٤ قناديل اثنان ذهبا واثنان فضة وذلك فى أثناء عشر السبعين والسبعمائة، فعلقت فى الكعبة قليلا ثم أخذها أمير مكة عجلان بن رميثة . قال التقى الفاسى : وأهدى النـاس الى الكعبة بعد ذلك قناديل كثيرة . والذى فى الكعبة الآن — سنة ٨١٢ هـ — من المعاليق ١٦ قنديلا ، منها ثلاثة فضة وواحد ذهبا وآخر بلورا واثنان نحاسا والباقى زجاج حلبى وهى تسعة، وليس فيها الآن — سنة ٨١٢ هـ — شىء غير هذه القناديل من تلك الهدايا الفاخرة، وسبب ذلك آمتداد أيدى الولاة وغيرهم اليها . قال الأزرقى : ولا يجوز أخذ شىء من حليـة الكعبة لا لحاجة ولا للتبرك ، لأن ما جعل للكعبة وسبل لها يجرى مجرى الأوقاف، ولا يجوز تغييرها عن وجوهها وفيها تعظيم الإسلام وإرهاب الأعداء، أشار الى ذلك المحب الطبرى وقد أهدى لها بعد ذلك هدايا قيمة منها الباقى للآن ومنها ما عبثت به الأيدى .

وإذ قد عرضنا عليك صورة تاريخية لمسابقات الملوك والأمراء فى تحلية الكعبة وميزابها وأبوابهـا وتعاليقها بحلى الذهب والفضـة نرى من الواجب علينا أن ننبهك الى أن إنفاق أموال المسلمين العامة فى هـذه السبل يأباه الدين لأنه من الإسراف الممقوت، وخير لنا أن ننفق هـذه الأموال فى مصالح المسلمين العامة وإن آحترامنا لبيت الله الحرام لا يحول دون آحترام الدين وتعليماته وإرشاداته ، وليس من الدين فى شىء أن نعطل جزءا من أموال المسلمين عن آستثماره وإنفاقه فيما يعود بنفع حقيقى على المسلمين، ولعلك محتج علينا بما فعله عمر رضى الله عنه من إرسال الهلالين اللذين أرسلا اليه بعد فتح مدائن كسرى، وانا مع عدم قطعنا بصحة النسبة اليه لا نرى فيه حجة لمعارض لآحتمال أن يكون عمر أراد به إلهاب الحميـة فى نفوس المسلمين وآستنهاضهم الى الجهاد حيث يرون فى الهلالين ثل عروش الأكاسرة وتذليل ملكهم لعز الاسلام والظفر بما آدخروا وآكتنزوا، فعسى أن يوجه الملوك هممهم وأموالهم الى الصالح النافع ويأخذوا بأنفسهم عما لا يفيد ولا يجدى .

كسوة الكعبة — (أنظر الرسم ١٠٩ الذى ترى فيه الحزام المقصب والكرداشيات وستارة الباب منسدلة) .

أوّل من كسا الكعبة أسعد أبو كرب ملك حمير وذلك قبل الهجرة بقرنين وقد كساها الخصف (١) والمعافر (٢) والملاء (٣) والوصايل (٤) والعصب (٥) والمسوح (٦) والأنطاع (٧) والبرود (٨)، وجعل للكعبة بابا ومفتاحا وفى ذلك يقول مفتخرا :

ورد الملك تبع (٩) وبنوه * ورّثوهم جدودهم والجدودا
إذ جبينا جيادنا من ظفار (١٠) * ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
فآستبحنا بالخيل ملك قباذ (١١) * وابن اقلود (١٢) جاءنا مصفودا
فكسونا البيت الذى حرّم الله * ملاء معصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه إقليدا (١٣)
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا * وسجدنا عند المقام سجودا
وخرجنا منه الى حيث كنا * ورفعنا لواءنا معقودا

ولما بنت قريش الكعبة آسترفدهم بناؤها لكسوتها فعملوا لها كسا شتى من أنواع الثياب، كلما جاءت كسوة طرحت على سابقتها، ولم تزل قريش تكسو الكعبة حتى كان زمن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى وكان مثريا فقال: أكسوها من مالى عاما وقوموا بكسوتها عاما، فسمى عدل قريش لذلك، وآستمر الأمر على هذا حتى عهد

---

(١) الخصف محركة : جمع خصفة وهى الثوب الغليظ جدا . (٢) والمعافر فى الأصل آسم بلد سميت به الثياب المعافرية التى تصنع فيه . (٣) الملاء : جمع ملاءة وهى ثوب لين رقيق نسج واحد وقطعة واحدة وتسمى الريطة . (٤) الوصايل : جمع وصيلة وهى ثوب أحمر مخطط يمانى . (٥) العصب : برود يمانية يعصب غزلها أى يجمع ويشد ثم يصبغ بعضه وينسج مع غير المصبوغ فيأتى موشى . (٦) المسوح : جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ ويقال له : البلاس . (٧) الأنطاع : جمع نطع وهو بساط من الأديم أى الجلد . (٨) البرود : جمع برد وهو ثوب مخطط وكساء يلتحف به . (٩) تبع : لقب ملك ملوك حمير . (١٠) ظفار : كانت مدينة من مدن اليمن قريبة من صنعاء وأطلالها باقية ولها إقليم يسمى الآن باسمها . (١١) أبو كسرى . (١٢) لعله أمير من أمراء الشام أو العراق . (١٣) المفتاح .

النبي صلى الله عليه وسلم . ومما كسوها به مطارف(١) الخز الخضر والصفر وشقاق(٢) الشعر وأكسية من أكسية الاعراب وكرار(٣) الخز والوصايل والأنطاع والنمارق(٤) العراقية والحبرات(٥) اليمانية والأنماط(٦) .

وأوّل عربية كست الكعبة فى الجاهلية نبيلة بنت حباب أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير والديباج، وسبب ذلك أنها أضلت آبنها خوارا أخا العباس وجعلت تنشد :

أضللته أبيض لوذعيا(٧) * لم يك حلوبا(٨) ولا دعيا
أضللته أبيض غير خاف * للفتية الغر بنى مناف
ثم لعمرو منتهى الأضياف * سنّ لفهر سنة الإيلاف
* فى القر(٩) يوم القر والإصياف *

ونذرت إن وجدته لتكسون الكعبة، فأتاها به رجل من جذام فوفت بما نذرت . تلك كساها فى الجاهلية، وأما كسوتها فى الإسلام فكساها النبى صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الحبر اليمانية، وكساها عمر، وعثمان القباطى(١٠) المصرية، وكساها عثمان أيضا البرود اليمانية وهو أوّل من ظاهر لها بين كسوتين، وكان عمر رضى الله عنه ينزع كسوتها كل سنة ويستبدل بها جديدة، ويقسم الأولى بين الحاج، وكساها عبد الله آبن عمر ما كان يجلل به بدنه من القباطى والحبرات والأنماط، وكساها كذلك معاوية وكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء، والقباطى فى اليوم التاسع والعشرين من رمضان، وكساها الديباج يزيد بن معاوية وآبن الزبير وعبد الملك بن مروان .

(١) الطريفة : نسيجة تنسج من صوف أو شعر فى عرض ذراع . (٢) الشقة : نوع من الثياب الرقيقة المستطيلة . (٣) نوع من الأكسية مفرده كر . (٤) النمرقة : الوسادة وكساء يوضع على الرحل يسمى الطنفسة . (٥) الحبرات : جمع حبرة وهى ما كان من البرود مخططا . (٦) ضرب من البسط واحدها نمط . (٧) اللوذعى : الخفيف الذكىّ الظريف . (٨) الحلوب : لم أقف على معناه . (٩) القر : البرد . (١٠) القباطى : جمع قبطية بالضم وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض وكأنه منسوب إلى القبط وهى بلدة بمصر ينسب اليها أقباطها .

وفى سنة ١٦٠ هـ . حج المهدى العباسى فذكر له السدنة أن كساوى الكعبة كثرت عليها والبناء ضعيف يخشى عليه من ثقلها، فأمر بتجريدها وأن لا يسدل عليها إلا كسوة واحدة وأستمر ذلك الى يومنا هذا . وكساها المأمون ثلاث كسا الديباج الأحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الأبيض الذى أحدثه المأمون يوم ٢٧ من رمضان للفطر . وكساها حسين الأفطس بأمر أبى السرايا كسوتين من القز الرقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء . وكساها بعد ذلك كثير من الملوك والأمراء أنواعا من الكسا كالديباج الأبيض الخراسانى والديباج الأحمر الخراسانى . وكساها أبو النصر الاستراباذى سنة ٤٦٦ هـ . كسوة بيضاء من عمل الهند، وكسيت فى هذه السنة أيضا الديباج الأصفر وكساها الحبرات وغيرها الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط المشهور بالمسجد الحرام وذلك فى سنة ٥٣٢ هـ . وكانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار مصرية على ما قال ابن الأثير، وقيل : بأربعة آلاف دينار. وكسيت فى بدء خلافة الناصر العباسى كسوة خضراء، وكسيت فى زمنه كسوة سوداء، قال الفاسى : وقد استمرت الى الآن — سنة ٨١٢ هـ — إلا أنه فى سنة ٦٤٣ هـ . كساها منصور بن ربيعة شيخ الحرم ثيابا من القطن مصبوغة بالسواد .

وفى سنة ٧٥١ هـ . أراد الملك المجاهد أن ينزع كسوة الكعبة التى باسم المصريين ويكسوها كسوة من عنده تكون باسمه ، فأخبر صاحب مكة المصريين فقبضوا عليه، وفى ذلك يقول الجلال المؤذن بالمسجد الحرام :

يا راقد الليل مسرورا بأوله ✻ إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
فإن أمنت بليل طاب أوله ✻ فرب آخر ليل أجج النارا

وفى سنة ٨١٠ هـ . أحدث فى كسوة الجانب الشرقى جامات منقوشة بالحرير الأبيض ووضع ذلك أيضا فى السنين الأربع التالية ثم ترك فى سنى ١٦ و١٧ و١٨ بعد الثمانمائة .

وفى سنة ٨١٩هـ . ملئ الجانب الشرقى من الكسوة من تحت الطراز بالجامات المصنوعة من الحرير الأبيض، والآن تصنع من القصب المطلى بالذهب، أنظر

الجامات فى (الرسم ١١٠) الذى معه الرسمان (١١١و١١٢). وعمل فى هذه السنة لباب الكعبة ستارة عظيمة الحسن لم يسبقها مثلها . وفى داخل الجامات السابقة مكتوب «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بالبياض على شكل دوائر، واستمرت الجامات البيض المذكورة خمس سنين متتالية ثم أزيلت وعوض عنها جامات سود فى سنة ٨٢٥ هـ . وفى كسوة الكعبة طراز من حرير أصفر وكان قبل ذلك أبيض، وعمل أصفر حوالى سنة ٨٠٠ هـ . وفى الطراز مكتوب آيات من القرآن قريبة من الآى المكتوبة عليه الآن غير أن مواضعها منها مختلفة ، أنظر الطراز فى (الرسم ١١٠) ولمهلهل الدمياطى فى سواد كسوة الكعبة :

يروق لى منظر البيت العتيق إذا * بدا لطرفى فى الإصباح والطفل
كأن حلته السوداء قد نسجت * من حبة القلب أو من أسود المقل

وكسوة الكعبة من سنة ٧٥٠ هـ . من الوقف الذى وقفه الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر بن قلاوون على كسوة الكعبة كل سنة وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوى فى كل خمس سنين مرة، وهذا الوقف عبارة عن ثلاث قرى بسوس وسندبيس وأبى الغيط من قرى القليوبية ، اشتراها من بيت المال ووقفها على كسوتى الكعبة والحجرة، وقد اشترى السلطان سليمان بن السلطان سليم خان عدة قرى بمصر أضافها الى القرى التى وقفها على الكسوة الملك الصالح وهذه القرى هى : (١) سلكه ؛ (٢) سروبجنجة ؛ (٣) قريش الحجر ؛ (٤) منايل وكوم رحان ؛ (٥) بجام ؛ (٦) منية النصارى ؛ (٧) بطاليا ولم تزل موقوفة على ذلك حتى حل وقفها محمد على باشا فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، وتعهدت الحكومة بصنع الكسوة من مالها العام ولا يزال ذلك دأبها للآن .

وهاك نص الوقفية[1] :

(١) نقلت عن مرآة مكة لحضرة أمير اللواء البحرى العثمانى أيوب صبرى باشا .

منظر ستارة باب الكعبة المعظمة

A view of the Curtain of the door of El Kâba.



حزام الكعبة المشرفة وما به من الآيات القرآنية













جهة الشرقي







جهة الجنوبي



جهة الغربي



جهة الشمالي



كسوة الكعبة المشرفة من الظاهر

The out-clothing of El-Kaaba.



صورة وقفية الكسوة الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى رفع القبة الخضراء، ووضع بساط الغبراء، وسمك فى سمائه الأفلاك، وملك فى أرضه الأملاك، ففتح مناهج الملك والدولة الغراء، بيمن وقاية السلاطين، وحسن رعاية الأمراء، وجعل الكعبة البيت الحرام لشعائر الدين الزهراء، ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ﴾ واستسعد بحجة يوم الجمراء، ثم الصلاة والسلام على سيد الأنبياء، محمد أعلم الرسل الأعلام والأبناء، وعلى آله الكرام الأتقياء، وأصحابه العظام الأصفياء، نمقه العبد المحتاج الى عفو ربه الصمد. محمد بن قطب الدين محمد، القاضى بالعساكر المظفرة المنصورة فى ولاية أناطولى. أما بعد فهذا وثيقة أثيقة بديعة المعانى والبيان، هادية منمقة أنيقة بليغة المبانى والتبيان، توارى عباراتها راحا رحيقا، بل هى أصفى، وتجارى استعاراتها مسكا سحيقا بل هى أزكى، يشعر عما هو الحق القاطع، ما حواه فحواها، ويخبر عما هو الصدق الساطع، ما أدّاه مؤدّاها، وهو أنه قد بان لكل ذى عقل سديد، أن الدنيا الدنية قنطرة العابرين، ورباط المسافرين، يحل هذا ويرحل ذاك ولا يدرى أحد إلا ويمتطى صهوتى أدهم الليل وأشهب النهار ويسير مع السائرين الى منتهى الآجال والأعمار، وهى للموعظة ما قال سيد الكائنات[1]، عليه أفضل الصلوات، « استمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت »، فلا ريب أن العاقل من اعتبر من الرواحل واتخذ فيها لرحيله ذخيرة وزادا، وادّخر لمقامه الباقى عدّة وعتادا، بالصدقات التى ينال بها النجاة، ويتوسل بها الى الجنات، على ما نطق به القرآن، وحديث رسول الرحمن، حيث قال عز من قائل ﴿ ان الله يجزى المتصدّقين ﴾ والمتصدّقات وقال عليه الصلوات التامات، « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » ألا وهى الوقف.

(١) المعروف ان هذه الجمل من خطبة قس بن ساعدة التى ألقاها بسوق عكاظ وشهدها النبى صلى الله عليه وسلم قبل عهد الرسالة.

فلما تفكر فى جميع ذلك السلطان الأعظم ، والخاقان الأكمل الأكرم ، ظل الله فى أرضه ، وخليفته على خليقته فى رفعه وخفضه ، علوى العلا ، من آل عثمان عثمانى المحيا ، من سلاطين الزمان سلطان البحرين والبرين ، العرض القائم بالسنة والفرض ، عاشر المجددين لدين الاسـلام بأحسن المعاشر ، وعاشر السلاطين العثمانية كالعقد العاشر ، السلطان بن السلطان بن السلطان السلطان « سـليمان » شاه بن السلطان « سليم » خان بن السلطان « با يزيد » خان لا زالت حديقة حقيقة العالمين منضرة بمـاء حياته ، ونمـاء ذاته ، وحدقة العالمين منورة بضياء صـفاته ، وبيضاء سـناء حسناته ، وبلغ أرواح آبائه وأجداده الرحمة وسقاهم بالكوثر وأسبغ عليهم نعم غفرانه وأنذر ورأى منها فى نفسـه النفيسة نعم الله تعـالى جزيلة ، لا يسع شكرها على ذاته الكريمة ، منه منـة جميلة ليس فى طوقه ذكرها أراد اسـتقرارها بالأوقات القاره ، واستمرارها بالادارة الداره ، متفكرا فى قول الملك الخلاق ، ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ ، ونظر فى قول الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وعالمـا بأن تعظيم الكعبة المستورة بالأستار الشريفة العالية وتشريفها فى الحج يوجب الجنة ، ويصير الهدف الساتر من العذاب والجنة ، وسائمـا فى قلبـه الفسح من قول الرسول « من زارنى وجبت له شـفاعتى » أن يستشفع منه بتكريم قبره بالأسـتار بل بتشريف مراقد الاتباع ، وستر مراشد الأشـياع ، أيضا بالازار تنزيلا اياه منزلة الزيارة الدائمـة ، والخـدمة القائمة ، على مر الدهور والأعصـار فان تلك المواضع وان كانت جرت العادة بسترها لكنها كانت بالأموال المتطرقة ، والاثمـان المتفرقة ، فأحب أن يكون ما يصرف الى هذه الآثار الشريفة ، من الأموال المتميزة المتبركة المنيفة ، فعين لهذا أجمـل أملاكه وأسـبابه ، وأجمل أمواله وأكسابه ، فلذلك قد قال لدى المولى الفاضل ، النحرير الكامل ، مصباح رموز الدقائق ، مفتاح كنوز الحقائق ، كشاف المشكلات ، حلال المعضلات ، الموقع أعلى هذا الكتاب ، يسر الله له حسن المآب ،

بقوله الشريف ، ولطفه اللطيف ، العارى عن الاعتساف ، الحاوى على الاقـرار والاعتراف ، الذى يجوزه الشرع ، لاحتوائه على ما يغير الأصـل والفرع ، وحكى بأنه قد وقف أوقافا وسـبلها ، وحبس أملاكا وكملها ، على النمط الأكفى الأشمل ، وعلى الطريق المشروع الأكمل ، لتكون لهذه المصلحة أوقافا قارة ، وادرارات دارّه ، فى الدنيا العاجلة ، ومفيـدة له فى يوم الجزاء والآجلة وتكون عدّة معـدّة لغده عن أمسـه ، ومزية منوّرة لا تفارقه فى رمسه ، وتصـيرها جسرة من العذاب وجنة ، ويكون جزاها مثل جزاء الحج المبرور الجنة ، وتكون باعثة للرفاعة وموجبة للشفاعة ، منهـا جميع القـرى الثلاث المسماة بيسوس وأبو الغيث وخوص بقمص الواقعـة بالولاية المصرية التى كان حاصـل منها فى السـنة الواحدة مبلغ (٨٩٠٠٠) درهم ومنها جميع القرى السبع الجديدة الواقعـة فى الولاية الشرقية بالديار المصرية أولهـا قرية (سلكه) كان حصل منها فى تلك السنة مبلغ (٣٠٤٩٦) درهما وثانيها قرية (سيرونجنجة) حاصلها فيها مبلغ (٧١٨٢٠) درهمـا وثالثها قرية (قريش الحجر) حاصل ما فيها مبلغ (٥١٣٠٤) درهما ورابعها قرية (منايل وكوم ريحان) حصل ما فيها مبلغ (٣٧٨٤٠) درهما وخامسها قرية (بجام) حصل ما فيها (١٤٩٣٤) درهما وسادسها قرية (منية النصارى) وحصل ما فيها مبلغ (٦٠٨٥٨) درهما وسابعها قرية بطاليا وحاصلها فيهـا (١٠٤٨٤) درهما يكون جميع النقود المزبورة فى تلك السنة المسـفورة مبلغ (٣٦٥١٥٢) درهمـا فضيا محاذيا بنصـف القطعـة رايجا فى الوقت أيد الله تعالى دولتـه من سكها باسمه السامى ، ورفه رعاياه بعـدله المتوفر النامى ، وقف جميع القـرى المزبورة المستغنية عن التعـريف والتحديد ، والتبيين والتوصيف ، لشهرتها فى مكانها عنـد أهاليها وجيرانها ، ولكونها مشروحة ومعلومة فى الدفاتر السلطانية والمناشير الخاقانية بجملة ما لها ، من الحدود والحقوق ، وما ينسب اليها بالاصالة والحقوق ، والمراسم والمرافق ، والمداخل والطرايق ، خلا ما يسـتثنى

منها شرعا من المساجد والمعابد والمنابر والمعابر ، والمراقد والمقابر ، والأملاك والأوقاف ، وسائر ما يعرف مبينا بينه بالأسامى والأوصاف ، وسلم جميعها الى من ولاه عليها بموجب الشرع المنصوص ، ونصبه للخدمة بالأمانة والاستقامة فى هذا الخصوص ، وتسلمها هو منه للتصرف فيها بالوجه السداد ، على ما هو المراد ، تسليما وتسلما صحيحين شرعيين .

§ ثم عين السلطان الفايق على حذافير السلاطين فى الآفاق ، بالاستهلاك والاستحقاق ، والسابق فى مضامير التدابير بمكارم الأخلاق ، ومراسم الاشفاق ، لا زالت شموس سعادته أبدية الاشراق ، وما برحت نجوم سلطنته محمية عن الانمحاق ، مما يحصل من تلك القرى الموقوفة المذكورة على حسب التخمين التى مدارها حصل السنة المشروحة المزبورة فالتعيين على هذه النسبة فى جميع الأعوام ، قلت المحصولات أو حلت بتفاوت الشهور والأيام ، مبلغ مائتى ألف درهم وستة وسبعين ألف درهم ومائتى وستة عشر درهما لأستار ظاهر الكعبة الشريفة شرفها الله تعالى فى كل سنة مرة على ما جرت به العادة القديمة فى السنين الماضية القديمة طبقا على هذا التخمين بعد الصرف المذكور فى السنة مبلغ ثمانية وثمانين ألف درهم وتسعمائة درهم وستة وثلاثين درهما وشرط أن يحفظ ذلك الباقى بحفظ المتولى تمام خمسة عشر عاما فيكون عدد الجمع فى هذا العام على التخمين التام مبلغ ثلاثة عشر مرة مائة ألف درهم وأربعين درهما فعين من هذا الباقى فى المحفوظ المجموع المسطور لأستار المواضع التى تجدد فى انقضاء كل خمسة عشر عاما مرة وبعد تجديدها المزبور لا تجدد كل سنة بل تروح الى انقضاء خمسة عشر عاما أخر ثم تجدد مرة أخرى كذلك ثم فثم الى أن ينقضى الدهر ويتم لكل مرة من تلك المرات ، وفى كل كرة من هذه الكرات ، بالتخمين المزبور ، والتعيين المذكور مبلغ سبعمائة ألف درهم وأحد وخمسين ألف درهم وثلثمائة درهم وسبعين درهما فضيا

رايجا فى الوقت وتلك المواضع التى يصرف اليها هذا المقدار فى خمسة عشر عاما مرّة وهى داخل الكعبة الشريفة، والروضة المطهرة المنيفة، أعنى بها التربة المنوّرة لسيد الكونين، ورسول الثقلين، نبينا محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، الى يوم القيام، بالمدينة المنوّرة والمقصورة المعمورة ، فى الحرم الشريف ، والمنبر المنيف ، فيه ومحرابه محراب التهجد ، والأستار الأربعة لنفس الحرم الشريف ومحراب ابن العباس وقبره وقبر عقيل بن أبى طالب وحضرة الحسن وحضرة عثمان ابن عفان وفاطمة بنت أسد (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) وما زاد بعد هذا وهو مبلغ خمسمائة ألف درهم واثنين وثمانين ألف درهم وستمائة وسبعين درهما لاحتمال أن يقع فى بعض السنين النقصان، بسبب الشراقى وطوارق الحدثان ، لأن هذا بالتخمين، وان لزم فى بعض السنين، جبر النقصان ، فليجبر من هذا الفضل ذاك الزمان ، وان وجد فى انقضاء المدة وبعد الصرف شىء مما يزيد ويفضل سواء كان هذا المقدار، أو أكثر منه أو أقل فليشتر بالموجود المزبور الملك المناسب للوقف من العقار . الواقع فى موضع الرغبة والاشتهار ، ليكثر محصول الوقف ، وتوفير مواضع الصرف، بالحاق هذا المشترى والمتاع بسائر الأوقات واستغلاله معها وصرف غلاته الى المصارف المبينة بالأوصاف وتنمية الوقف وتقويته بهذا التكثير وتمشيته وتوسعته بذلك التوفير، وهذا بعد رعاية شرط أنه ان وقعت المضايقة فى هذا الوقف أو فى الوقف الآخر الذى وقفه السلطان أيضا على مصالح الفقراء الذاهبين الى الحجاز وعلى حمالهم وعلى سائر مهماتهم وكتب له وقفية مستقلة مشتملة على هذه الشروط والقيود ، تكون مرعية بالخلود والايود، يلزم أن يعين كل واحد الآخر من الجانبين بزوائده، وبفضائل عوائده، باتمام ما يهم ويلزم له وبتكميله لدفع مضايقته وضرورته واسعاده واجتهاده اقرارا واعترافا صحيحين شرعيين، مصدقين محققين مرعيين ، وقفا صحيحا شرعيا ، وحبسا صريحا

مرعيا ، حاويا على الحكم بصحته أصلا وفرعا ، على وجه يعتد به دينا وشرعا ، وغب رعايته شرائط الحكم والتبجيل ، وفى حصول الوقف والتسبيل ، لدى المولى الفضل النحرير الكامل الموقع أعلا هذا الصك الدينى ، والحفظ اليقينى ، وفتح الله تعالى أبواب الحقوق بمفاتيح أقلامه ، وأحكم الأمور بثبوت أحكامه ، فصار وقفا لازما مسلسلا متفق عليه على مقتضى الشرع ومرتضى أحكامه بحيث لا يرتاب صحته وابترامه لوقوع حكم المولى المومى اليه على رأى من رآه من الأئمة الماضين المجتهدين (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) عالما بالاختلاف الجارى بينهم فى مسألة الوقف علم خلوده بخلود السموات وأبوده بأبود الكائنات الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فلا يحل بعد ذلك لأحد يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ينقضه أو يبطله أو يحوله أو يبدله فلا يملك بعد ذلك المؤمن أو خائفا من الله المهيمن بعد ما سمع قول رب العالمين ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ وأجر الواقف بعد ذلك على أرحم الراحمين جرى ذلك .

وحرر بالأمر العالى الخاقانى لا زال عاليا فى صفر المظفر المنخرط فى سلك شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة من هجرة من لا نبى بعده . وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين وفوا عهده .

قال التقى الفاسى : والكعبة تكسى فى عصرنا هذا يوم النحر من كل سنة إلا أنه لا يسبل عليها ثوبها فى هذا اليوم بل يسبل نصفه فقط ، والباقى فى أواخر ذى الحجة وقد جرت عادة بنى شيبة أن يأخذوا الكسوة القديمة عند ورود الجديدة ويتصرفوا فيها بالبيع وغيره .

وذكر القاضى فى جامعه أن أمراء مكة كانوا يأخذون ستر باب الكعبة مع جانب كبير من الكسوة أو ٦٠٠٠ درهم عوضا عن ذلك ، الى أن رفع ذلك عنهم

منظر كسوة الكعبة المعظمة من الداخل



THE HOLY CARPET IN THE INTERIOR OF THE KAABA

الشريف عنان بن مغامس حين ولى مكة سنة ٧٨٨ ه. وتبعه أمراء مكة الى زمن السيد حسن بن عجلان فكان يأخذ ستر الباب وكسوة المقام ويهديها الى من يشاء من الملوك وغيرهم ، وقد استمر ذلك لأمراء مكة الى الآن — العشر الثانية بعد الثمانمائة — اه .

قال التق : ولم يكسها أحد من الملوك بعد الملك الصالح إسماعيل إلا أخوه الملك الناصر حسن لكن كسوته كانت لباطن الكعبة لا لظاهرها وهى الكسوة التى فى جوفها الآن — آن الفاسى — وقد أرسل هذه الكسوة سنة ٧٦١ ه . وكان قبلها كسوة للملك المظفر صاحب اليمن ، وهو أوّل من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بنى العباس من بغداد وذلك فى سنة ٦٥٩ ه . واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر، وانفرد بكسوتها فى بعض السنين . وأوّل من كساها من ملوك مصر بعد بنى العباس الملك الظاهر بيبرس .

وفى سنة ٨٢٥ ه . أرسل برسباى ملك مصر كسوة حمراء لباطن البيت، وكان كلما ولى ملك أو سلطان أرسل الى الكعبة كسوة من الحرير الأحمر لداخل البيت وبأخرى خضراء للحجرة الشريفة النبوية . فلما استولت الدولة العلية على مصر سنة ٩٢٣ ه . اختصت بكسوة الحجرة الشريفة النبوية وكسوة البيت الداخلية — فى (الرسم ١١٣) جزء من كسوة الكعبة الداخلية — واختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية فكانت ترسلها كل سنة ولا زال دأبها للآن . ومصر ترسل سنويا كسوة الكعبة الخارجية وستارة لبابها انظر (الرسم ١١١) وأخرى لباب التوبة (الرسم ١٠٤) — باب المدرج الداخلى — وثالثة لباب المنبر أنظر (الرسم ٩٦) وكسوة لمقام ابراهيم الخليل عليه السلام وكيسا لمفتاح الكعبة وقد قدّمنا لك فى (ص ٧ و ٨ و ٩) قطع الكسوة ووصفها وما تصنع منه، وذلك فى الإشهاد الذى كتب بتسليم الكسوة للمحملى بتاريخ ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٢١ ه . وهاك وصفا لها أحسن تفصيلا من

الأول أرسله الينا حضرة عبد الله بك فائق مأمور الكسوة بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وقد أجملناه فيما يأتى :

كشف بتفصيل أجزاء كسوة الكعبة التى أرسلت من مصر

في سنة ١٣٢٥ هـ . الموافقة سنة ١٩٠٨ م . وكسوة مقام الخليل الخ

أحمال الكسوة — هى أحمال من نسيج حرير أسود «كمخ»(١) منقوش بالكتابة تتألف من ٦٢ ثوبا طول الواحد منها ٢٦ ذراعا بلديا — ٥٧ سنتيا — وعرض الثوب ٩٠ سنتيا بجملة أذرع الأثواب ١٦١٢ ذراع جميعها مغطى ومخيط بالحرير الأسود المفتول « وبالشموط(٢) والخرز(٣) » القطن ومبطن « بالبفتة(٤) » البيضاء « المقصورة(٥) » وبالجميع أحبال وعراو « نوار(٦) » من القطن « المردون(٧) » والكل مخرز بالجلد « السختيانى(٨) » الأحمر والجلد « الكوسلة(٩) » ومركب على كل حمل منها حزام من الأحزمة الثمانية المبينة بعد ومركب على حملين منها أربع « رنوكات أو كرداشيات(١٠) » يأتى بيانها بعد وهاك تفصيل الأحمال وما عليها من الأحزمة .

حملان مركب كل منهما من ٩ أثواب بجملة الأثواب ١٨ والأذرع ٤٦٨ وعلى هذين الحملين الحزام الأول والثالث .

حملان مركب كل منهما من ٨ أثواب بجملة الأثواب ١٦ والأذرع ٤١٦ وعلى هذين الحملين الحزام الثانى والرابع .

حملان مركب كل منهما من ½ ٧ أثواب بجملة الأثواب ١٥ والاذرع ٣٩٠ وعلى هذين الحملين الحزام الخامس والسابع .

---

(١) الكمخ : المكتوب . (٢) الشموط : المفتول الرفيع . (٣) الخرز : المفتول الغليظ . (٤) البفتة : نسيج قطنى . (٥) المقصورة : العريضة . (٦) النوار : شريط قطنى يوضع على ملتقى العرضين . (٧) المردون المفتول . (٨) السختيانى : جلد المعز المدبوغ . (٩) الكوسلة : جلد غير مدبوغ . (١٠) الرنوكة أو الكردشية : الدائرة (انظر الرسم ٣) .

حملان مركب كل منهما من ٦ ١/٢ أثواب بجملة الأثواب ١٣ والأذرع ٣٣٨ وعلى هذين الحملين الحزام السادس والثامن .

وباقى أجزاء الكسوة الأخرى مصنوع من الحرير الأطلس الأسود « السادة »[1] البالغ مقاسه ٢١١ ذراع ومن الأطلس « الساسى »[2] الأحمر والأخضر الموضوع عليه « مخيش »[3] الفضة الأبيض ومخيش الفضة الملبسة بالذهب « البندقى »[4] الأصفر .

أحزمة الكسوة . هى ثمانية :

الحزام الأول	طوله	١٢ ٧/٨	ذراعا	وزنة	المخيش	١٠٣٠ ٧/١٢	مثقال .
« الثانى	«	١١ ٧/٨	«	«	«	٩٤٧ ١/٤	«
« الثالث	«	١٢ ٧/٨	«	«	«	١٠٣٩	«
« الرابع	«	١١ ٧/٨	«	«	«	٩٨٣ ١/٤	«
« الخامس	«	١٠ ٧/٨	أذرع	«	«	٩٠١ ١/٢	«
« السادس	«	٩ ٧/٨	«	«	«	٨٦٢ ١/٤	«
« السابع	«	١٠ ٧/٨	«	«	«	٨٦٧ ١/٤	«
« الثامن	«	٩ ٧/٨	«	«	«	٨٨٢ ١/٤	«
						٧٥١٣ ١/٣	

كردشيات الكسوة — هذه الكردشيات أربع طولها ستة أذرع مشغول عليها من المخيش بنوعيه السابقين ما زنته ٤٠٥ مثقال وهى مركبة على الحملين اللذين عليهما الحزام الأول والثانى وتوضع فى واجهة الكعبة الشرقية .

برقع الكعبة — هذا البرقع أربع قطع مصنوع من الحرير الأطلس الأسود «السادة» الذى بلغ مقاسه ٤٦ ١/٤ ذراعا ، ومن الأطلس الساسى الأحمر والأخضر وقد وصل الجميع بعضه ببعض ووضع عليه مخيش الفضة الأبيض والفضة الملبسة

(١) السادة : غير المنقوش .　(٢) الأطلس الساسى : نوع من الحرير يأتى من الخارج .
(٣) المخيش : أسلاك فضية .　(٤) البندقى : الذى عياره ٩٩ ٪

بالذهب البندقى الأصفر والجميع أيضا مبطن « بالبفتة » البيضاء المقصورة وعليه من الدائر والوسط نوار وعُرًّا من القطن « المردون » ومبطن أيضا بالأطلس الساسى الأخضر من فوق « البفتة » ويتكوّن البرقع من القطع الآتية :

العتبة (١)	وذرعها	١٢ ٣/٤ ذراعا	وزنة ما عليها من المخيش بنوعيه		١٤٠٤ ١/٣	مثقال
الطراز	ذرعه	١١ ٣/٤ «	« ماعليه	« «	١٠٥٧ ١/٣	«
القائم الكبير	«	١١ ٣/٤ «	« «	« «	١٤٥٥ ٢/٣	«
« الصغير	«	٩ أذرع «	«	« «	٩٠١	«
وصلة القائمين	... ...		« ما عليها	« «	٤٣	مثقالا
					٤٨٦١ ١/٣	

وعلى البرقع ما يأتى : ستة أزرار فضية عيار ٩٠ مطلية بالذهب البندقى مركب كل منها على شمسيتين (٢) .

اثنتى عشرة شمسية نسجت من الأطلس الأحمر وشغل عليها المخيش بنوعيه وبطنت بالجلد السختيانى الأحمر، وعلى كل منها شرابة (٣) من القطن الهندى .

اثنتى عشرة شرابة صغيرة صنعت من القطن الهندى الأحمر والقصب « والكنتير (٤) الششخانة » الأصفر والأبيض والمخيش العقادى (٥) الأصفر، وكل منها ركب على شمسية

خمس شرابات كبيرة شغلت من الحرير الأسود والقصب والمخيش العقادى « والكنتير الششخانة » الأصفر والأبيض ، وكل شرابة لها « قيطان » شغل من الحرير الأسود .

---

(١) الستارة مكوّنة من أربع قطع تسمى العليا منها العتبة والتى تحتها الطراز والتى تليها القائم الصغير والسفلى التى فيها الفتحة تسمى القائم الكبير، والوصلة ما توصل به القطع بعضها ببعض .

(٢) الشمسية : دائرة مزركشة من النسيج تشبه أشعة الشمس توضع تحت الزرار . (٣) الشرابة : جملة خيوط قصيرة مجمعها تشبه الكرة . (٤) الكنتير الششخانة : نوع ملفوف من المخيش .

(٥) المخيش العقادى نوع مطلى بالذهب .

كسوة مقام أبينا ابراهيم الخليل عليه السلام — هذه الكسوة مؤلفة من خمس قطع القوائم الأربعة والسقف ومقاس ما فيها من الحرير الأطلس الأسود السادة ثلاثون ذراعا وهى مصنوعة من المواد المصنوع منها البرقع الا أنها ليست مبطنة بالأطلس الساسى الأخضر كالبرقع وأجزاء الكسوة وما عليها كما يأتى :

القائم الأول	طوله	١/٨ ٧	أذرع	وزنة	ما عليه	من المخيش		٦١٤	مثقال
« الثانى	«	١/٨ ٧	«	«	«	«		٦١٠	«
« الثالث	«	١/٨ ٧	«	«	«	«		٦١٣	«
« الرابع	«	١/٨ ٧	«	«	«	«		٦١٢	«
السقف ...	«	١/٢ ١	«	«	«	من الفضة البيضاء		١٣٩	«
								٢٥٨٨	

خمسة أزرار فضية سبق وصفها . عشر شمسيات سبق وصفها .

عشر شرابات صغيرة « « . أربع شرابات كبيرة سبق وصفها .

« سجق[1] » شبكة بأزرار وشرابات من القطن الهندى الأحمر بخرز مركب فى أسفل المقام .

ستارة باب مقصورة ابراهيم الخليل — هذه الستارة مركبة من قطعتين طول كل منهما ١٠ أذرع ومن وصلة للقطعتين وهى مصنوعة من المواد المصنوع منها البرقع وزنة ما على القطعة الأولى من المخيش ٢/٣ ٩١٥ مثقال وما على الثانية ١/٣ ٩٠٦ مثقال وما على الوصلة ٤٨ مثقالا فالجملة ١٨٧٠ وعليها ما يأتى :

خمسة أزرار فضة كالتى سبق وصفها . عشر شمسيات كالتى سبق وصفها .

عشر شرابات صغيرة .

ستارة باب التوبة — هذه الستارة مصنوعة مما صنع منه البرقع ومقاس ما فيها من الحرير الأطلس الأسود السادة ١/٢ ١١ ذراعا ، وزنة ما عليها من المخيش بنوعيه ٢/٣ ١٠٢٤

(١) السجق : شبكة من النسيج فى أطرافها كرات .

ستارة باب المنبر المكى — مصنوعة أيضا من المواد المصنوع منها البرقع ، ومقاس ما فيها من الحرير الأطلس الأسود السادة ١/٤ ٦ أذرع ، وزنة ما عليها من المخيش بنوعيه ٣٩٧ مثقال .

كيس مفتاح الكعبة — هذا الكيس من الأطلس الساسى الأخضر الذى مقاسه ذراع وثُمن وموضوع عليه مخيش فضة ملبس بالذهب البندقى الأصفر الذى زنته ٤٥ مثقالا « وكنتير شششخانه » أبيض « وترتر »(١) فضة أبيض مثقالين وهو مبطن بالأطلس الساسى الأخضر ومركب عليه «قيطان بشرابتين» مصنوعتين من قصب ومخيش عقادى أصفر و « كنتير شششخانة » .

أصناف لزوم الكسوة

ثلاثة أحبال « مجاديل »(٢) زنتها ١٨٠ رطلا .

واحد وأربعون حبلا « عصفورة »(٣) زنتها ٨٢ رطلا .

ستة وثلاثون ذراعا من « البفتة الخام » السمراء للحزم بها .

والكسوة وتوابعها تسلم الى الشيبى سادن الكعبة بعد أن تصل مكة بمقتضى إشهاد شرعى يحضره العلماء والكبراء ويحفظها فى بيته القريب من الصفا ، حتى اذا ما كان صباح يوم النحر والحجاج بمنى ألبستها الكعبة وتثبت عليها بواسطة حلقات من النحاس الأصفر فى دائر الكعبة العلوى وفى الشاذروان ، ويوضع عليها حزامها فيما دون ثلثها الأعلى . أما الكسوة القديمة فيرسل المقصب منها عادة الى سيادة الشريف ، واذا كان الحج بالجمعة يرسل الى جلالة السلطان ، وغير المقصب يأخذه الشيخ الشيبى فيبيعه للحجاج . وبجوار باب السلام حوانيت تباع فيها الكسوة

(١) الترتر : دوائر مثقوبة من وسطها . (٢) المجاديل : أحبال غليظة تعلق منها الكسوة فى سطح الكعبة بعد أن تخاط بأعالى الكسوة . (٣) العصافير : أحبال رفيعة تربط بها الكسوة فى حلق النحاس المثبت فى دائر الكعبة العلوى والشاذروان .

مخصوصــة بذلك . وكان عمر ينزع الكسوة القديمة كل سنة ويفرّقها على الحجاج، وتبعه فى ذلك عثمان الى أن وجد شيئا منها على حائض، فأمر بحفر حفرة وألقى فيها الكسوة القديمة وأهال التراب عليهـا خوف أن يلبسها جنب أو حائض فقالت له عائشة : إن ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لايضرها من لبسها من حائض ولكن بعها واجعل ثمنها فى سبيل الله تعالى وابن السبيل، ومن ثم صاروا يبيعونها ويأخذ الآن بنو شيبة ثمنهـا لأنفسهم، وقد اختلف العلماء فى جواز بيعها فنقل جواز ذلك عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهما، وبه قال بعض الشافعية، وقال بعضهم بعــدم جواز بيعها وما أجمل كلمة عائشة التى ذكرناها .

والكسوة تعمل سنويا بمصر فى دار فسيحة بالخرنفش وإدارتها موكولة لمديرها عبد الله بك فائق .

ومصاريف الكسوة فى هــذه السنة (١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م) ٤١٤٣ جنيه وتفصيلها كما يأتى :

جنيـــه	
٥٠٤	مرتب مأمور الكسوة ٣٠٠ جنيه ومرتب كاتب ومخزنى ٢٠٤ جنية .
١٢٩	مرتبات خدمة سائرة .
٣٥١٠	نفقات فى صنع الكسوة من ثمن حرير ومخيش فضة ملبس بالذهب وأجرة العمال ونفقات المهرجان الخ .
٤١٤٣	

وكانت نفقاتها فى سنة ١٣٢٥ هـ — ٤٠٨٤ جنيه، وقد ازدادت نفقاتها فى إبان الحرب الكبرى وبعدها حتى كانت فى سنة ١٣٤٠هـ — ١٠٣٢٢ جنيه وذلك لارتفاع أثمان الأشياء بعــد قيام الحرب الكبرى وزيادة أجر العمال زيادة كبيرة .

والكسوة مكتوب فى كل جزء منها هذه العبارة «لا إله إلا الله محمد رسول الله . الله جل جلاله » (انظر الرسم ١١٢) وكذلك ستارة الباب مكتوب فيها آيات من

القرآن وبعض كتابات أخرى (انظر الرسم ١١١) ومكتوب على طراز الكسوة أو حزامها من جهاتها الأربع بعض آى القرآن المتعلقة بالكعبة ومن صنعت الكسوة فى عهده من الملوك (انظر الرسم ١١٠) وانظر فى (الرسمين ١١٤ و ١١٥) حرفى «س» و« و» بحجمهما الأصلى من ضمن الكتابة التى فى الطراز وانظر فى (الرسم ١١٦) قطعة من ستارة الكعبة وانظر الكرداشية (الجامه) ومانقش داخلها فى (الرسمين ٣ و ١١٧).

وهذا الخط العربى الجميل المسطور على الكسا والستائر والحزام وكيس الكعبة من كتابة الخطاط الماهر الذائع الصيت عبد الله بك زهدي كتبها فى عهد إسماعيل باشا خديوى مصر والد جلالة مليك مصر الآن فؤاد الأوّل .

سدانة الكعبة ومفتاحها — سدانة الكعبة خدمتها والقيام بشأنها وفتح بابها وإغلاقه ، وكانت أوّلا فى حى طسم قبيلة من عاد فلما آستخفوا بالكعبة وحرمتها أهلكهم الله ، فوليت ذلك جرهم فسلكوا مسلك أسلافهم فأوردهم الله مواردهم ثم وليت البيت خزاعة فساروا سيرة سابقيهم فنزع الله ذلك من أيديهم الى قصىّ ، وذلك أن أبا غبشان آخر من ولى البيت من خزاعة آجتمع مع قصىّ فى شرب بالطائف فأسكره قصى وآشترى مفاتيح الكعبة منه بزق خمر وأشهد عليه ودفعها لابنه عبد الدار وطير به الى مكة فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعى (١) فضربت به الأمثال فى الحمق والندم وخسارة الصفقة وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

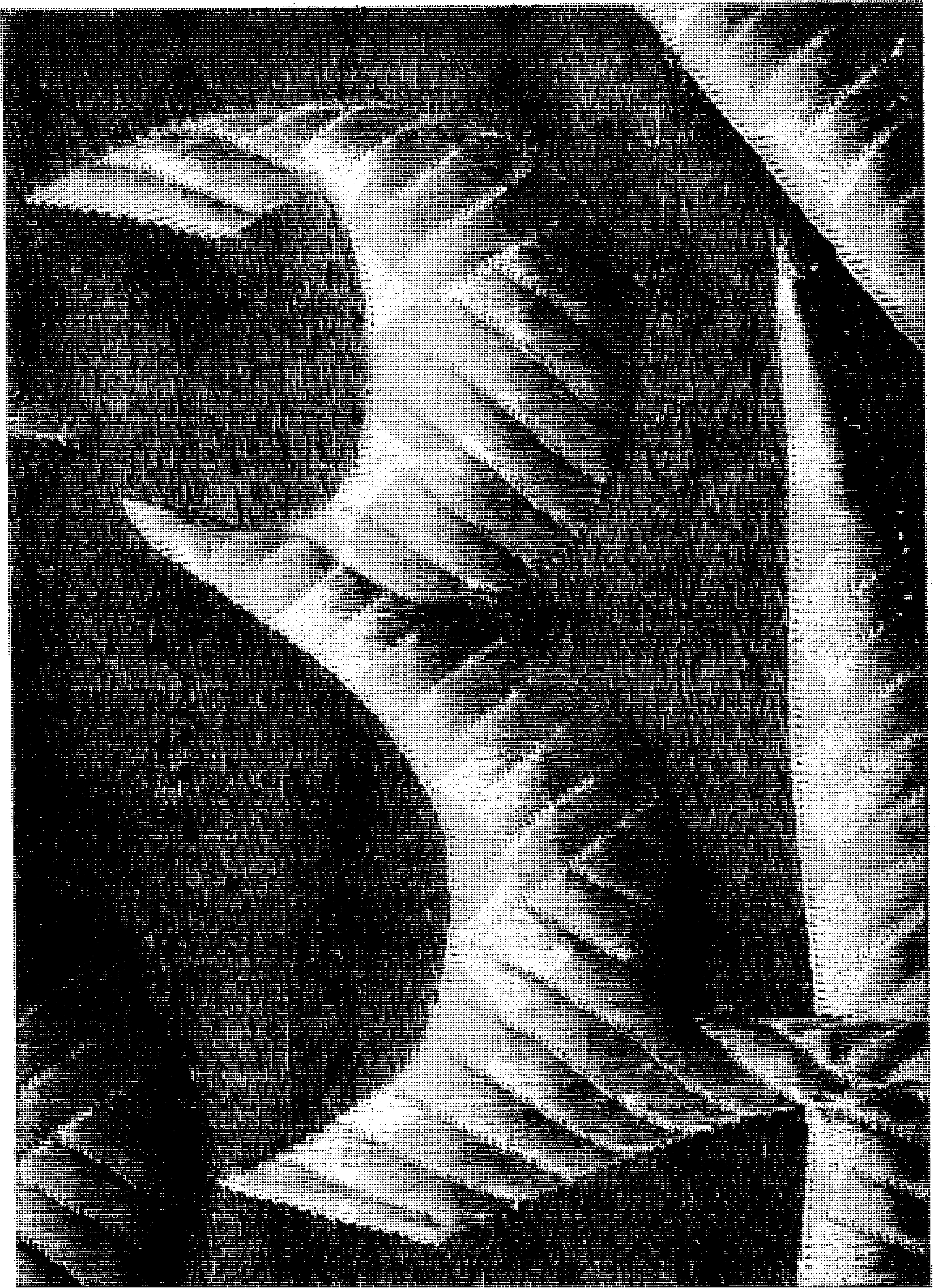
وبيعة كعبة الرحمن جمعا * بزق بئس مفتخر الفخور

(١) الكسعى الذى يضرب به المثل فى الندم هو عامد بن الحارث الكسعى الذى آتخذ قوسا وخمسة أسهم وكمن فى مختبأ فرقطيع فرمى حمارا وحشيا منه فنفذ منه السهم وصدم الجبل فأورى نارا فظن أنه قد أخطأ فرمى ثانيا وثالثا الى آخرها وهو يظن خطأه فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلما أصبح نظر فاذا الحمر مطرحة مصرعة وأسهمه بالدم مضرجه فندم فقطع إبهامه وأنشد

ندمت ندامة لو أن نفسى * تطاوعنى إذا لقطعت خمسى

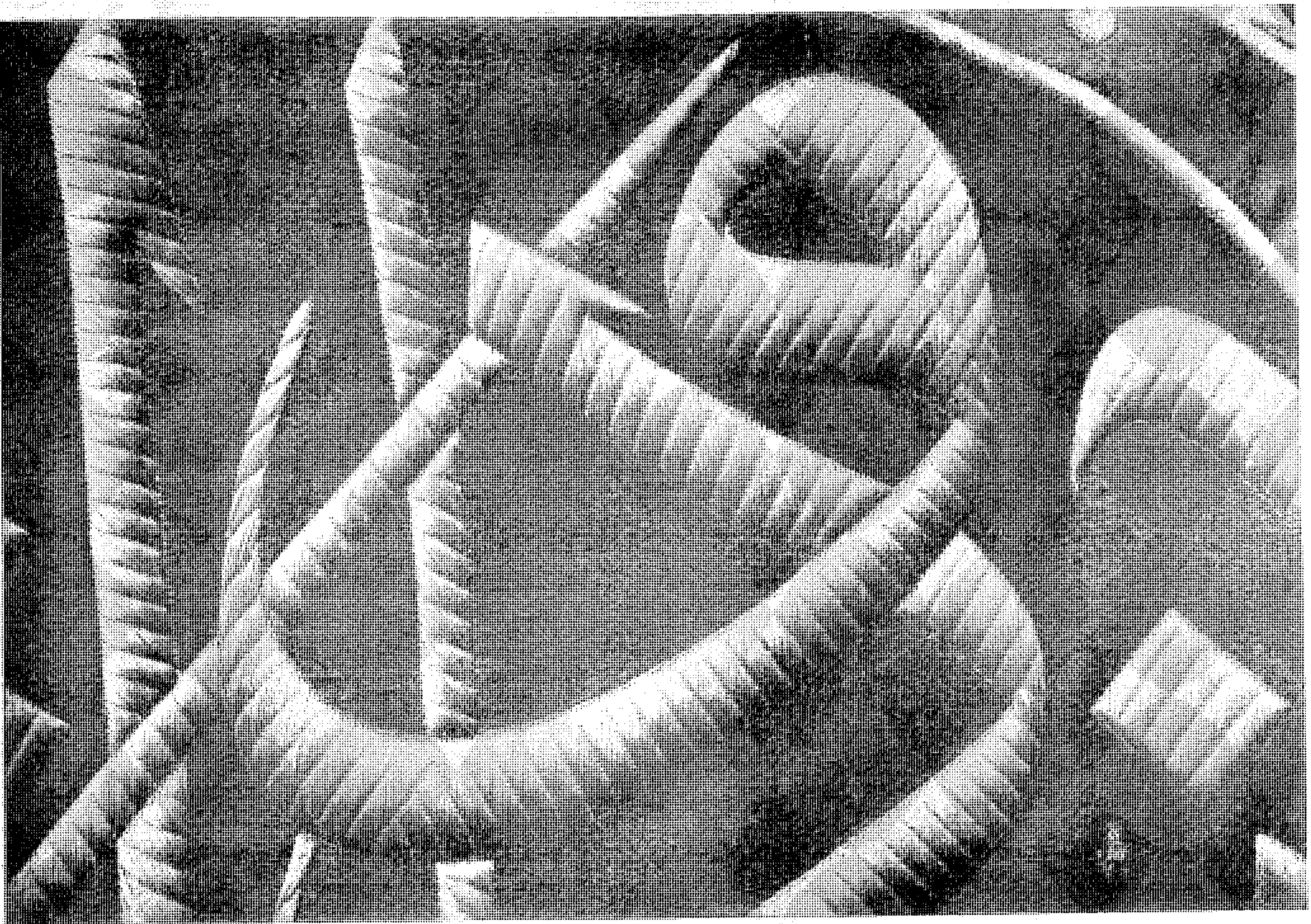
تبين لى سفاه الرأى منى * لعمر أبيك حين كسرت قوسى

حرف (س)



114. A copy of the letter (س) in the same size as what is written on the Belt of the Kaaba.

حرف (و)

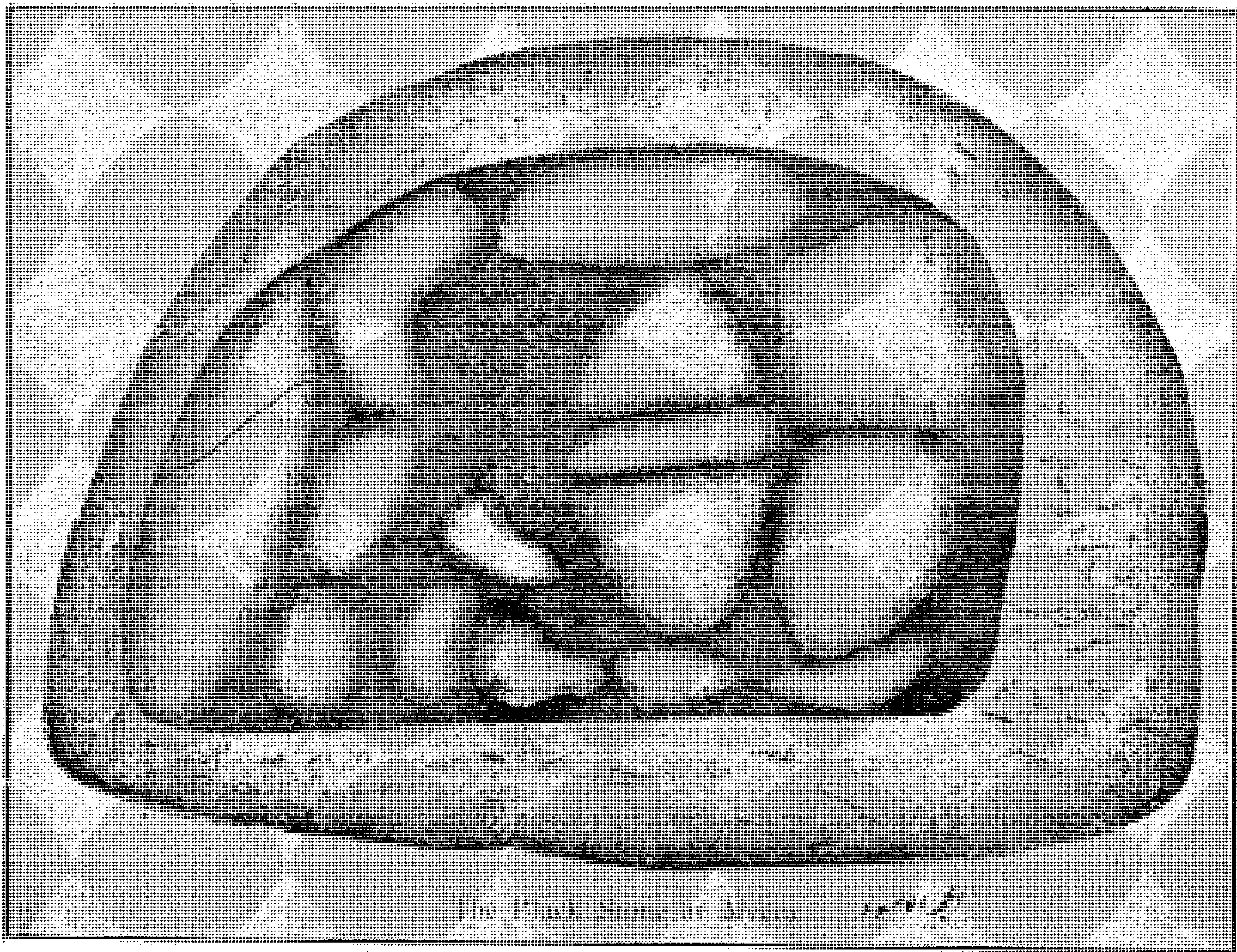


115. A copy of the letter (و) in the same size as what is written on the Belt of the Kaaba

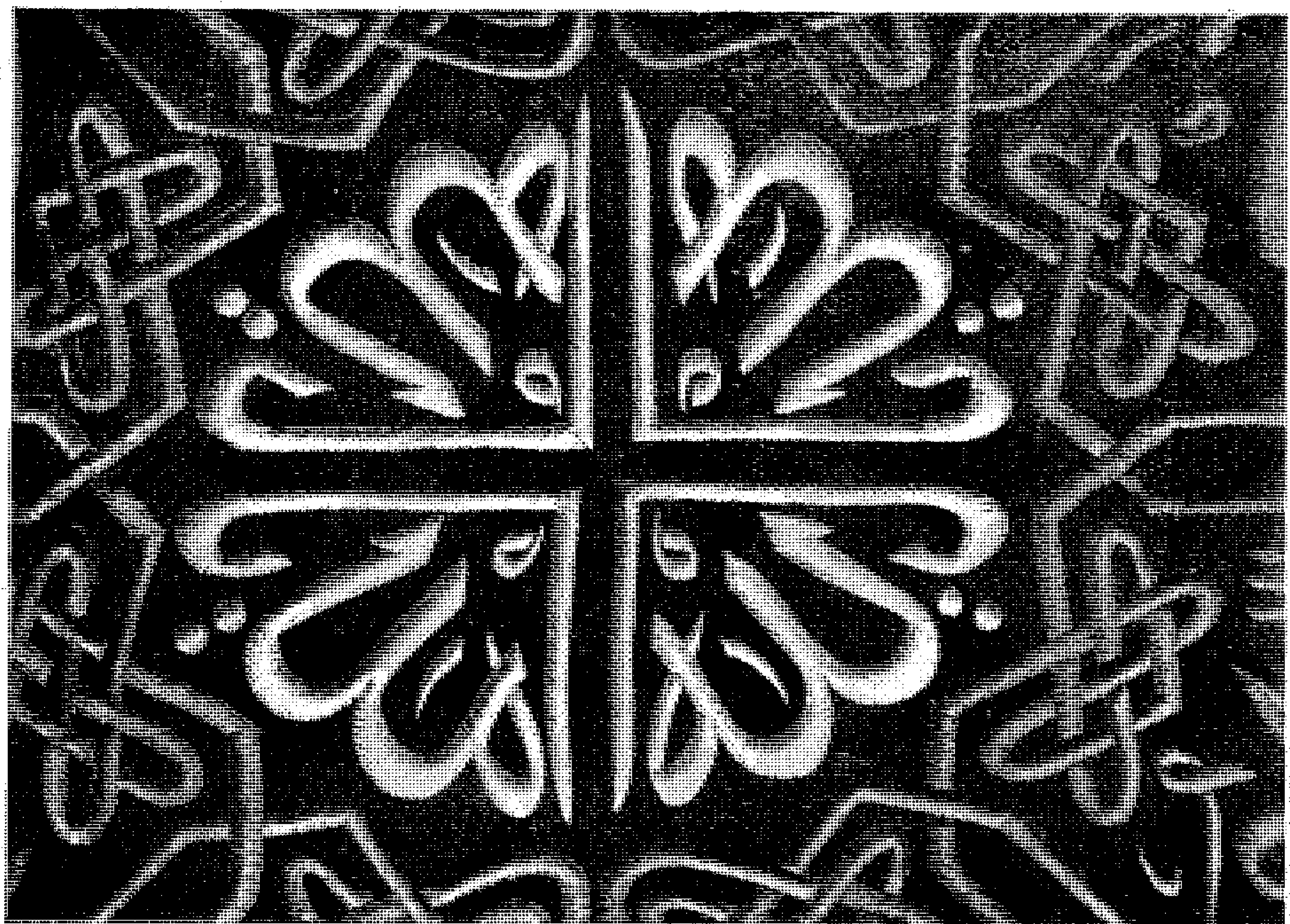
منظر ستارة الكعبة



116. The curtain before the door of the Kaaba.



صحيفة ٢٩٨



جزء من كسوة الكعبة الشريفة

117. A view of the part of the carpet of El Kaaba (Ya Allah).

وقال آخر

أبو غبشان أظلم من قصىّ * وأظلم من بنى بكر خزاعة
فلا تلحوا قصيا فى شراها * ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وقال آخر :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت * بزق خمر فبئست صفقة البادى

وأخذ المفتاح بعد عبد الدار ولده عثمان ولم تزل السدانة فى ذرّيته حتى آنتقلت الى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصىّ، وقد مات عثمان ولم يعقب فصارت الى آبن عمه شيبة بن عثمان، ولا تزال فى يد ولده للآن . وقد ردّ صلى الله عليه وسلم المفتاح الى عثمان بن طلحة بعد أن أخذه منه عمر، وقال : خذوها يابنى طلحة خالدة تالدة الى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات الى أهلها﴾ وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال : «هاكم المفتاح يابنى شيبة وكلوا بالمعروف» قال العلماء هـذه ولاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لأحد أن ينزعها منهم . قال المحب الطبرى : هذا إن حافظوا على حرمة البيت فإن آستخفوا بها فلا خطر فى أن يقام عليهم مشرف يمنعهم من الظلم .

وقد حدث فى سـنة ٩٩٦ هـ . لثلاث بقين من رمضان أن فتح الشيخ عبـد الواحد الشيبى الكعبة لزيارة النساء جريا على العـادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة ، وكان مصفحا بالذهب فحصلت ضجـة وأغلقت أبواب المسـجد وفتش الناس فلم يظفروا به ثم وجده سـنان باشا باليمن مع رجل أعجمى بلغـه أنه عنـده فكبس داره فإذا بالمفتاح فيهـا مع مسروقات أخرى آعترف بها ، فجز رأسـه ورد المفتاح الى الشيخ عبد الواحد .

وقد جرت العادة من زمن مديد أن يصنع مع الكسوة كيس لمفتاح الكعبة يحفظ فيه عند أكبر بنى شيبة ، أنظر فى الرسم ٢ هذا الكيس ، وقد نقش فى إحدى جهتيه ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ﴾ وفوق ذلك وتحته أمر بعمل هـذا الكيس المبارك مولانا السلطان محمد الخامس ، وفى الجهة الأخرى فى الوسط قوله تعالى ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وفوق ذلك وتحته جدّد هذا الكيس أفندينا عباس حلمى باشا خديو مصر سنة ١٣٢٧ هـ .

تطييب الكعبة — روى الأزرقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره وقالت : لأن أطيب الكعبة أحب الىّ من أن أهدى لها ذهبا وفضة ، وقد أجرى معاوية بن أبى سفيان للكعبة وظيفة الطيب لكل صلاة وكان يبعثه فى رجب كما أخدمها عبيدا ، ثم اتبع الولاة بعده سنته . وكان عبد الله ابن الزبير يجمرها كل يوم برطل من المجمر — بضم ميمه الأولى وكسر الثانيـة وبوزن عنبر وهو العود الرطب — وفى يوم الجمعة برطلين . وجرت العادة بأن يرسـل مع الكسوة كل سنة «غلايتان» من النحاس مملوءتان بماء الورد النقى ليغسل به الكعبة .

صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة — روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة وبعث الى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح ففتح له الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وعثمان بن طلحة وأسامة وبلال ، فلما خرجوا ابتدرهم الناس فقلت لبلال أصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت؟ قال : نعم! قلت : أين؟ قال : بين العمودين المقدمين تلقاء وجهه ، وفى رواية للشيخين عن ابن عمر : فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعل عمودا عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ ستة

أعمدة ثم صلى ؛ وروى البخارى أيضا عن ابن عمر أنه كان اذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حتى يدخل ويجعل الباب قبل الظهر يمشى حتى يكون بينه و بين الجدار الذى قبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع فيصلى يتوخى المكان الذى أخبره بلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه وليس على أحد بأس أن يصلى فى أى نواحى البيت شاء . وكان ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دخلته هذه ركعتين كما رواه كثير من الصحابة . وروى النسائى ومسلم عن أسامة بن زيد وابن سعد فى كتاب الطبقات، وأحمد فى مسنده، والطبرانى فى معجمه عن الفضل بن العباس والشيخان والنسائى عن ابن عباس أن ثلاثتهم قالوا : لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم فى الكعبة و إنما دعا فيها وصلى ركعتين خارجها عند بابها . وقد رجح التقى الفاسى فى كلام طويل جميل رواية الإثبات على رواية النفى وذكر كثيرا من المسالك التى سلكها العلماء فى الجمع بين هاتين الروايتين المتنافيتين ونقدها فارجع اليها إن شئت . وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد هجرته أربع مرات فى يوم الفتح وفى اليوم التالى له وفى حجة الوداع وفى عمرة القضية ، وكل هذه الدخلات فيها خلاف إلا دخلته يوم الفتح فليس فيها خلاف ، و إنما اختلفوا فيها هل صلى داخل الكعبة أو خارجها . وقد استحب جمهور العلماء الصلاة فيها لما ثبت عندهم من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، ومنع ذلك طائفة من العلماء منهم ابن عباس ومحمد بن جرير واصبغ المالكى و بعض أهل الظاهر قالوا لا تصح فيها صلاة أبدا، لا فريضة ولا نافلة ومذهب مالك صحة النفل غير المؤكد فيها . وأما الفرض فالمشهور من مذهبه عدم صحته فيها، وقيل : يجوز ومثل الفرض النوافل المؤكدة، والأصح عند الحنابلة صحة النفل فيها وعدم صحة الفرض . ومذهب أبى حنيفة والشافعى صحة الفرض والنفل فيها . ويصلى المرء الى أى جهاتها شاء .

الحجر الأسود — قدّمنا لك وصفه والآن نذكر لك شيئا من أخباره وما ورد من الأحاديث فى شأنه وتراه فى (الرسم نمرة ١١٨) .

(١) تاريخه — روى الأزرقى عن آبن عباس . أن الله تعالى أنزله مع آدم عليه السلام ليستأنس به ، وروى آبن إسحاق : أن الله أودعه جبل أبى قبيس وقت طوفان نوح وأنه لما بنى الخليل البيت جاءه جبريل بالحجر الأسود فوضعه الخليل موضعه من البيت ، ولما أكره بنو بكر بن عبد مناة وغبشان بن خزاعة جرهما على الرحيل من مكة دفن عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى الحجر فى زمزم وآنطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن ثم أخرج من زمزم ووضع مكانه ولما آحترقت الكعبة فى عهد آبن الزبير تصدّع الحجر فكان ثلاث فرق وانشظت منه شظية كانت عند بعض آل بنى شيبة وقد شدّه ابن الزبير بالفضة ماعدا الشظية ثم تزلزلت الفضة حول الحجر وخيف عليه أن ينقض ، فلما آعتمر هارون الرشيد فى سنة ١٨٩ هـ . أمر بالحجارة التى بينها الحجر فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغ فيها الفضة ، ولما وافى مكة عدوّالله أبو طاهر القرمطى فى سابع ذى الحجة سنة ٣١٩ هـ . بجيشه الجرار أعمل سيفه فى الطائفين والمصلين وفى مكة وشعابها وقتل هو وجيشه ما يربو على ثلاثين ألفا (عن كتاب الخميس) دفن كثيرا منهم فى بئر زمزم وفى المسجد الحرام بغير غسل ولا تكفين ولا صلاة ونهبوا أموال الحجيج وأهل مكة ، وركض أبو طاهر وهو سكران شاهر سيفه راكب فرسه ودخل المطاف فبالت فرسه وراثت وطلع الى باب الكعبة وهو يقول :

أنا بالله وبالله أنا * يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وقد أقام بمكة أحد عشر يوما ، وفى ١٤ ذى الحجة قلع الحجر الأسود من مكانه وذهب به الى بلاد هجر وبقى موضعه خاليا يضع الناس فيه أيديهم للتبرك ، وفى يوم النحر من سنة ٣٣٩ هـ . وافى بالحجر سنبر بن الحسن القرمطى وقد شدّ بالفضة من شقوق حدثت فيه بعد قلعه ، ووضعه بيده فى مكانه وشدّه الصانع بجص أحضره معه سنبر وقال : أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله ، وكان وضع الحجر قبل حضور الناس من منى فكانت مدة بقائه بيد القرامطة آثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام ، وقد بذل مدبر الخلافة ببغداد للقرامطة خمسين ألف دينار ليردّوا الحجر

الى موضـعه فأبوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نردّه إلا بأمر . وكان مما فعلوا أن قلعوا باب الكعبة وأخذوا كسوته (١) .

(١) فى خلافة المعتمد العباسى (سـنة ٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) ظهر شخص بسـواد الكوفة يقال له : قرمط دعا أهـل السواد والبادية ممن ليس لهم عقل ولا دين الى مذهبه فأجابوه وكان ما دعاهم اليه أنه جاء بكتاب فيـه (بسم الله الرحمن الرحيم) يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة إنه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وأن المسيح تصوّر فى جسم إنسان وقال : إنك الداعيـة وانك الحجة و إنك الناقة و إنك الدابة وانك يحيى بن زكريا و إنك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس و ركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان فى كل صلاة أن يقول المؤذن : الله أكبر ثلاث مرات أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن آدم رسول الله أشهد أن نوحا رسول الله أشهد أن إبراهيم رسول الله أشهد أن عيسى رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله وأن القبلة الى بيت المقـدس وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيها شيء ويقرأ فى كل ركعـة الاستفتاح وهو المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية وهو الحمـد لله بكلماته وتعالى باسمه المنجد لأوليائه بأوليائه قل : إن الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، و باطنها لأوليائى الذين عرفوا عبادى سبيلى وآتقونى يا أولى الألباب وأنا الذى لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحليم ، وأنا الذى أبلو عبادى وأمتحن خلقى فمن صبر على محنتى و بلائى وآختيارى أدخلته فى جنتى وأخلدته نعيمى ، ومن زل عن أمرى وكذب رسلى أخلدته به مهانا فى عذابى وأتممت أجلى وأظهرت أمرى على ألسنة رسـلى وأنا الذى لم يعل جبار إلا وضعته ولا عزيز إلا أذللته وبئس الذى أجبر على أمره ودام على جهالتـه وقال لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون ثم يركع ، ومن شرائعه أن يصام يومان فى السنة وهما المهرجان والنيروز وأن النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من جنابة ، لكن الوضوء كوضوء الصلاة وأن يؤكل كل ذى ناب وكل ذى مخلب . اهـ .

ومن القرامطة على بن الفضـل القرمطى ظهر بصنعاء اليمن فى سـنة ٢٩٣ هـ . وآرتكب المحظورات وأحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات . وكان عنوان كتابه من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علىّ بن الفضل الى عبده فلان وكان يؤذن فى مجالسه أشهد أنّ علىّ بن الفضل رسول الله وكان ينشد على المنبر بصنعاء

خذى الدف يا هذه وأضربى * وغنى هـذا ذيك ثم اطربى
تـولى نبى بنى هاشم * وهـذا نبى بنى يعـرب
أحل البنات مع الأمهات * ومن فضله زاد حل الصبى
وقد حط عنا فروض الصـلاة * وحط الصـيام ولم يتعب
إذا النـاس صـلوا فلا تنهضى * وأن أمسكوا فكلى وأشربى
ولا تطلبى السعى عنـد الصفا * ولا زورة القـبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك الناكحين * من الأقربين أو الأجنبى
فلم ذا حللت لهـذا الغريب * وصرت محـرّمة للأب

وفى سنة ٣٤٠ هـ . قلع الحجبة الحجر ووضعوه فى الكعبة خوفا عليه وجعل له طوق من فضة ويقال: إنه كان عليه من الفضة ٣٠٩٧,٥ درهم ثم رد الى مكانه .

وفى سنة ٤١٣ هـ . يوم النفر الأول ضرب رجل الحجر ثلاث ضربات بدبوس فانخدش وجهه وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار وتشقق، فجمع بنو شيبة الشظايا وعجنوها بالمسك واللك وملؤا الشقوق وطلوها بطلاء .

وقد أخذ أمير مكة داود بن عيسى الحسنى طوق الحجر الأسود قبيل عزله عن مكة سنة ٥٨٥ هـ . وفى سنة ٧٨١ هـ . قلع الحجر من موطنه وحلى من حلية أرسلها الأمير سودون باشا .

(٢) استلام الحجر الأسود وتقبيله — روى البخارى ومسلم عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أنه سئل عن استلام الحجر فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، وكذلك روى عن جابر وعمر وغيرهما ، وفى سنن الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد على الحجر، وفى سنن البيهقى عنه أيضا قال: رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبله وسجد عليه ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا ، وفى مسند الشافعى عن ابن عباس أنه قبل الركن — الحجر الأسود — وسجد عليه ثلاث مرات ، ولم ير الامام مالك السجود عليه وقال : أنه بدعة وخالفه الجمهور فى ذلك ، وأخرج الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يزاحم على الركنين — الحجر والركن اليمانى — فقيل له فى ذلك ، فقال : إن أفعل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن مسحهما كفارة للخطايا ، وأخرج أحمد بن حنبل وابن حبان فى صحيحه

= أليس الفراش لمن ربه * وأسقاه فى الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء * حلال فقدست من مذهب

وهى قصيدة طويلة حلل فيها سائر المحرمات — لعنه الله — وقد هلك مقصودا مسموما فى سنة ٣٠٣ هـ . ومدة محنته وكفره ١٩ سنة ، وقد قويت شوكة القرامطة وامتد سلطانهم وعلا ظلمهم فهتكوا حرمات الله ونهبوا قوافل الحجاج وقتلوا النساء والأطفال ، وكان منهم أبو طاهر القرمطى صاحب حادثة الحجر الأسود .

عنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مسح الحجر الأسود والركن اليمانى يحط الخطايا حطا . وروى سعيد بن منصور عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لامرأة لا تزاحمى على الحجر إن رأيت خلوة فاستلمى وإن رأيت زحاما فكبرى وهللى اذا حاذيت ولاتؤذى أحدا ، وفى البخارى عن عائشة ما يقتضى ترك استلام الحجر للنساء وهو محمول على ما اذا حضر الرجال كما دل عليه الحديث السابق .

وأخرج الستة البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى ومالك عن عابس ابن ربيعة قال : رأيت عمر رضى الله عنه يقبل الحجر ويقول : إنى أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، وزاد مسلم والنسائى فى رواية ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفيا ولم يذكر يقبلك ، والحفى المبالغ فى الاكرام والعناية من الحفاوة .

الحطيم والحجر — الحطيم يطلق الآن على الجدار المطيف بالحجر وبذلك قال ابن عباس ، وقيل : أن الحطيم ما بين الحَجَر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحِجر إسماعيل أى البقعة المحصورة بين الكعبة والحِجر غربا والمقام وزمزم شرقا ، وهذا ما حكاه الأزرقى عن ابن جريج ، وفى كتب الحنفية أن الحطيم المكان الذى فيه الميزاب وذلك أليق بالاشتقاق لأن ذلك المكان حطم من الكعبة وفصل منها والأكثرون على القول الثانى .

والحِجر ما أطاف به الحطيم — الجدار — وقد ذكر الأزرقى : أن ابراهيم عليه السلام جعل الحِجر الى جنب البيت عريشا من أراك يقتحمه العنز وكان زربا لغنم إسماعيل وقد تقدّم أن قريشا أدخلت فى الحِجر أذرعا من الكعبة حين بنتها لما قصرت عليهم النفقة الحلال التى أعدوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ، وأن ابن الزبير أدخل ذلك فى الكعبة حين عمرها ، وأن الحجاج أخرجه منها واستمر ذلك ليومنا ، وعلى ذلك فبعض الحِجر من الكعبة وبعضه ليس منها ، ويدل لذلك ما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ! لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض ولجعلت

لهـا بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا استقصرتها حيث بنت الكعبة ، وفى رواية فان بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع ، وفى مسلم عن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت من الحجر خمسة أذرع ، وذكر عطاء أن ابن الزبير زاد فى البيت خمسة أذرع من الحجر ، وأنه بدا له أساس نظر اليه الناس فبنى عليه ، وأما ما رواه الشيخان من حديث عائشة قالت : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الحجر أمن البيت؟ قال : نعم! قلت : فما لهم لم يدخلوه فى البيت؟ قال : إن قومك قصرت بهم النفقة الخ ، فلا يعارض ما ذكرنا من أن بعضه من البيت لأن حديث عائشة هذا مطلق وأحاديثها السابقة مقيدة ، والمطلق يحمل على المقيد ، وقد اختلف الفقهاء هل يصح الطواف من الحجر بعد السبعة الأذرع من البيت أم لا يصح الطواف إلا من وراء الحطيم كما فعل النبىّ صلى الله عليه وسلم قال كثيرون بالأوّل وقال آخرون بالثانى .

ونذكر لك طرفا من عمارة الحجر فنقول : لما حج المنصور العباسى سنة ١٤٠ هـ دعا زياد بن عبيد الله الحارثى أمير مكة وقال له : إنى رأيت الحجر بادية حجارته فلا أصبحن حتى يستر جداره بالرخام فدعا زياد بالعمال فرخموه ليلا على ضوء المصابيح ، ثم جدّد المهدى رخامه سنة ١٦١ هـ . ولم يزل به حتى رث فقلع وألبس رخاما جميلا فى عهد المتوكل العباسى سنة ٢٤١ هـ . وعمر الحجر المعتضد العباسى سنة ٢٨٣ هـ . والوزير جمال الدين المعروف بالجواد فى العقد الخامس بعد ٥٠٠ هـ . وعمر قبله أيضا وفى زمن الناصر العباسى سنة ٥٧٦ هـ . وعمره المستنصر العباسى والملك المظفر صاحب اليمن ، والملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠هـ . والأشرف شعبان سنة ٧٨١ هـ . وذلك بأمر الأميرين بركة وبرقوق مدبرى دولته ، وعمره أيضا الظاهر برقوق سنة ٨٠١ هـ . — المكتوب على الحجر من الجهة الغربية تاريخ ٧٨٠ — وثبت كثير من رخام الحجر بالجبس فى سنة ٨٢٢ هـ . وأصلح قسم كبير

من رخام الجدار وأرض الحجر سنة ٨٢٦ ﻫ . وذلك بأمر الأمير زين الدين مقبل القديرى ، وعمره السلطان چقمق سنة ٨٤٣ ﻫ . وقايتباى سنة ٨٨٠ﻫ . والسلطان سليمان سنة ٩٤٠ ﻫ . والسلطان محمد خان سنة ١٠٧٣ ﻫ .

وقد تقدّم لك وصف الحجر الآن ومقاسه فى ص ٢٦٦ ونزيد على ذلك أن فيه رخامة خضراء تحت الميزاب يقال إنها موضع قبر إسماعيل عليه السلام والناس يتحرون هذه الرخامة للصلاة عندها ، مع أن الصلاة الى القبور أو عليها منهى عنها . وفى الحديث الصحيح « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ». وأكثر المؤرّخين على أنه مدفون بالحجر ويؤيد ذلك قول ضِرار بن الخطاب :

لم يحظ بالحجر فيما قد مضى أحد * من البرية لا عرب ولا عجم
بعد ابن هاجر إن الله فضله * إلا زهير له التفضيل والكرم

يعنى زهير بن الحارث بن أسد .

ومما رأيته مكتوبا على حائط الحجر من الجهة الغربية تواريخ لمحمد بن قلاوون ولبرقوق ولجقمق ولقايتباى هى التى قدّمناها لك . ومكتوب على الحجر قبالة الميزاب من الأعلى :

نعم المطاف ترابه * فى عين أرمد إثمد[1]
ويطوفه بالليل والأسحار قوم هجد
الله بارك فرشه * مع من بناه يخلد
زان المطاف بمرمر * ملك الأنام محمد

ثم تاريخ للسلطان سليمان سنة ٩٤٠ ﻫ . وبعده

لا سيما من نسلهم * سلطاننا المستمجد
بزلال صارم سيفه * للظى[2] الضلال محمد

(١) الارمد : المريض بالرمد ، والإثمد : الكحل .
(٢) هكذا فى الحجر .

الله خلد ملكه * والعدل فيه مؤيد
كالبدر يشرق نوره * إذ جنّ ليل أسود

وتاريخ للسلطان محمد خان سنة ١٠٧٣ هـ . وفى أوّل حائط الحجر فى الأعلى من الجهة الشرقية :

الحمـــد لله الذى * جعل المطاف منورا
بضيا جبينه زين (١) * كالشمس أضحى (١)

الحج فى الجاهلية وما يتبعه

من زمن مديد والعرب فى جاهليتها تحج الى البيت الحرام وكانوا على دينين حلة وحمس ، فالحمس قريش ومن والاها من كنانة وخزاعة والأوس والخزرج وقضاعة وجديلة وغطفان وعدوان وغيرهم من قبائل العرب سموا بذلك لتحمسهم فى دينهم ، والحماسة : الشجاعة ، والأحمس : الشجاع أو لأنهم احتموا بالحمساء وهى الكعبة ، وكانت قريش إذا زوّجت عربيا من بناتهم شرطوا عليه أن كل من ولدت منه فهو أحمسى على دينهـم يرون أن ذلك أحفظ لشرفهم وأبسط لسلطانهـم ، وكانت لهم فى العرب ميزة لم تكن لغيرهم ومنشأ ذلك فضل فيهم وكمال فى أخلاقهم ، فقد كانوا حلفاء متآلفين وبكثير من شريعة إبراهيم متمسكين ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولا يزينـه أدب ، وكانوا يختنون أولادهم ويحجون البيت ويقيمون المناسك ويكفنون موتاهم ويغتسلون من الجنابة وتبرءوا من الهربذة (٢) وتباعدوا فى المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت غيرة وبعدا من المجوسية ، ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم وكانوا يتزوّجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلاثا ، ولذلك قال عبد الله بن عباس وقد سأله رجل عن طلاق العرب فقـال : كان الرجل يطلق امرأته تطليقة ثم هو أحق بها فان طلقها ثنتين فهو أحق بها أيضا فان طلقها ثلاثا فلا سبيل له اليها ولذلك قال الأعشى :

(١) هكذا فى الحجر . (٢) الهربذة سير دون الخبب .

أيا جارتى بينى فانك طالقــه * كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وبينى فقــد فارقت غير ذميمة * وموموقة منــا كما أنت وامقــه (١)

وبينى فان البين خير من العصا * وأن لاترى لى فوق رأسك بارقه

وكان من عادة الحمس اذا أحرموا أن لا يأتقطوا الأقط (٢) ولا يأكلوا السمن ولايسلوه — لا يطبخوه ولا يعالجوه — ولا يمخضوا اللبن ولا يأكلوا الزبد ولا يلبسوا الوبر ولا الشعر ولايغزلوه أو ينسجوه أو يستظلوا به ما داموا حرما، وما كانوا كذلك يأكلون شيئا من نبات الحرم، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ولا يخفرون فيها الذمة ولا يظلمون، وكانوا يطوفون بالبيت عليهم لباسهم، وكانوا اذا أحرم الرجل منهــم فى الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل البيوت نقب نقبا فى ظهر بيته فمنه يدخل ومنه يخرج، وما زالوا كذلك حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فأحرم عام الحديبية، فدخل بيته وكان معه رجل من الأنصار فوقف الأنصارى بالباب فقال له ألا تدخل ؟ فقال الأنصارى : إنى أحمسىّ يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحمسى دينى ودينك سواء، فدخل الأنصارى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من آتقى وأتوا البيوت من أبوابها وآتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ وقال الحمس لأنفسهم : لا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم، وقالوا : قد عظموا من الحل مثــل ماعظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها وجعلوا موقفهم بطرف الحرم من جهة نمرة يظلون به عشــية عرفة ويفيضون منــه الى المزدلفة، فاذا عمت الشمس رءوس الجبال وقفوا وكانوا يقولون : نحن أهــل الحرم لا نخرج من الحرم ونحن الحمس، فعلوا ذلك وأقروا سائر العرب على الوقوف بعرفة والإفاضة منها وتلك شريعة إبراهيم يعرفونها حق المعرفة ولكن ترفعهم ومغالاتهم تنكب بهم عن سبيلها، فشرعوا لهم من

(١) ومقه : أحبه . (٢) طعام يتخذ من المخيض الغنمى يطبخ ثم يترك حتى يمصــل أى يخرج ماؤه، والاقط مثلثه و يحرك ككتف و رجل و إبل .

الدين ما لم يأذن به الله ، ومنشأ ذلك الغلو أن الله تعالى لما أهلك أبرهة الحبشى صاحب الفيل وسلط عليه الطير الأبابيل (الجماعات) عظمت جميع العرب قريشا وأهل مكة ، وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم فازدادوا فى تعظيم الحرم والمشاعر الحرام والشهر الحرام ووقروها ، ورأوا أن دينهم خير الأديان وأحبها الى الله تعالى ، وقالت قريش وأهل مكة : نحن أهل الله وبنو إبراهيم خليل الله وولاة البيت الحرام وسكان حرمه وقطانه فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف العرب لأحد مثل ما تعرف لنا ، فابتدعوا عند ذلك أحداثا فى دينهم أداروها بينهم فكان منها ما تقدّم . ومنها أنهم ما كانوا يجيزون لأحد من الحلة — من ليسوا بحمس — أن يطوف بالبيت أوّل طوافه إلا اذا لبس ثوبا أحمسيا يشتريه أو يستأجره أو يستعيره فاذا ما أتى الواحد منهم باب المسجد رجلا كان أو امرأة قال : من يعير مصونا من يعير ثوبا الخ فان وفق لثوب أحمسى لبسه وطاف به وإن لم يوفق ألقى ثيابه بباب المسجد من الخارج ثم دخل للطواف عريانا فيبدأ بأساف — صنم — ليستلمه ثم يستلم الركن الأسود ثم يأخذ عن يمينه ويطوف جاعلا الكعبة عن يمينه فاذا ختم طوافه سبعا استلم الركن ثم استلم نائلة — صنم — فيختم بها طوافه ثم يخرج فيجد ثيابه كما تركها لم تمس فيأخذها ويلبسها ولا يعود بعد ذلك الى الطواف عريانا ، وكان بعض النساء يلبسن درعا مفرج المقاديم والمآخير ومنهن من تتخذ سيورا تعلقها فى حقوتها (١) وتستتر بها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وكانت العادة أن يطوف العراة من الرجال نهارا ومن النساء ليلا وكان ، من له فضل ثياب من الحلة ولم يجد ثوبا أحمسيا يطوف فيه طاف فى ثيابه التى قدم بها من الحل ، فاذا ما أتم طوافه نزعها فجعلها لقا يطرح بين أساف ونائلة فلا يمسها أحد ولا ينتفع بها حتى تبلى من وطء الأقدام والشمس والرياح والمطر ، قال ورقة بن نوفل يذكر اللقا

(١) الحقوة : معقد الازار .

كفى حزنا كرّى عليه كأنه * لقا بين أيدى الطائفين حريم

وكان من خبر الطواف عريا أنه جاءت آمرأة يوما وكانت ذات هيبة وجمال فطلبت ثيابا فلم تجد وتحتم عليها الطواف عريانة فنزعت ثيابها بباب المسجد ثم دخلت عريانة قد وضعت يديها على فرجها وجعلت تقول :

اليوم يبدو بعضه أوكله * وما بدا منه فلا أحله

أخثم(١) مثل القعب(٢) بادظله * كأن حمى خيبر تمله(٣)

فجعل فتيان مكة ينظرون اليها وتزوّجت فى قريش، وجاءت امرأة أخرى تطوف عريانة وكان عليها مسحة الجمال فرآها رجل فأعجبته فدخل الطواف وطاف فى جنبها لأن يمسها فأدنى عضده من عضدها فآلتزقا فخرجا من المسجد من ناحية بنى سهم عاريين على وجوههما فزعين لما أصابهم من العقوبة ، فلقيهما شيخ من قريش خارجا من المسجد فسألها عن شأنهما فأخبراه بقضيتهما فأفتاهما أن يعودا الى المكان الذى أصابهما فيه ما أصابهما ويدعوا الله سبحانه مخلصين عازمين على ترك العود فرجعا ودعوا وأخلصا فآفترقت أعضاءهما وذهب كل الى ناحية .

عادة سيئة وبدعة شنيعة أبى الاسلام إلا هدمها والقضاء عليها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع على بن أبى طالب الى أبى بكر أمير الحج ليؤذن فى الناس بأربع : لا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يجتمع مسلم ومشرك فى الحرم بعد عامهم هذا ، ومن كان له عند النبى صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدّته ومن لم يكن له عهد فعهدته أربعة أشهر ، وذلك ما جاء فى الآيات من سورة الاعراف وسورة التوبة ففى الأولى ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم — ثيابكم — عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ وفى الثانية ﴿ براءة من

---

(١) عريض . (٢) القدح الضخم . (٣) تعرقه ، والملال والملة : عرق الحمى .

الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين — الى أن يقول — إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ وفيها ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم﴾ وقال فى سورة المائدة ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ .

وكان من عادة أهل الجاهلية أن يدخلوا الكعبة لابسى أحذيتهم حتى سنّ لهم الوليد بن المغيرة خلع الخف والنعل إذا ما دخلوا فاستن العرب بسنته إعظاما للكعبة وإجلالا . وكان من عادتهم أيضا إذا اقترب موسم الحج أن يخرج مريدوه الذين يرجون اليه تجارة من ديارهم الى عكاظ فيوافوه مستهل ذى القعدة ويقيموا فيه عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم وتنفق سلعهم وتنحاز كل قبيلة الى منزل أعدوه للقرى فأقاموا عليه الرايات واستدعوا اليه الأضياف يستقبلهم القادة منهم والأشراف فينزلونهم أهلا وسهلا ومرعى خصبا ، وتختلط القبائل بعضها ببعض فى بطن السوق متناشدين ومتبايعين ، فاذا ما مضت العشرون انصرفوا الى مجنة فأقاموا بها عشرا أسواقهم فيها قائمة وتجارتهم رائجة ، فاذا رأوا هلال ذى الحجة انصرفوا الى ذى المجاز فأقاموا به ثمان ليال يروّجون فيها البضاعة ثم يخرجون من ذى المجاز الى عرفة يوم

---

(١) سوق على طريق الصنعاء وراء قرن المنازل بمرحلة وهى سوق لقيس بن عيلان وثقيف وأرضها لنصر . (٢) سوق بأسفل مكة على بريد منها وهى سوق لكنانة وأرضها أرض كنانة وهى التى يقول فيها بلال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بفخ وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون شامة وطفيل

وشامة وطفيل : جبلان مشرفان على مجنة . (٣) سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة على فرسخ من عرفة .

التروية ، وسموه بذلك لأنه ينادى بعضهم بعضا بذى المجاز أن ترووا من المـاء لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة ، وكان يحضر هذه المواسم من يبتغى مع الحج التجارة ، أما من أراده لحسب فيخرج متى شاء . وكان أهل مكة يخرجون يوم التروية بعد أن يترووا من المـاء فتنزل الحمس فى طرف الحرم من نمرة يوم عرفة ، والحـلة تقف بعرفة وكذلك كان يفعل النبىّ صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بترك الحمس الى الحلة ، وكانوا لا يتبايعون يوم عرفة ولا أيام منى ، فلما أن جاءت الحنيفية أحلت ذلك قال تعالى ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضــلا من ربكم ﴾ وكانت الحلة تفيض من عرفة يوم عرفة اذا طفلت[1] الشمس للغروب والحمس يفيضون من نمرة فى الوقت نفسه فيلتقون جميعا فى المزدلفة ويبيتون بها حتى اذا طلع الفجر واختلط بياض النهار بظلام الليل وقف الجميع على قزح حتى تطلع الشمس على رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال ، فيدفعوا من المزدلفة الى منى وكانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير وفى إفاضة الحمس نزل قوله تعالى ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وأستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ فجعلت الإفاضة للجميع من عرفة وخطب بذلك النبى صلى الله عليه وســلم فى حجة الوداع يوم عرفة فكان ممـا قال : وإنا لا ندفع من عرفة حتى تغرب الشــمس ويحل فطر الصائم وندفع من مزدلفــة غدا إن شاء الله قبل طلوع الشمس ، هدينا مخالف لهدى أهل الشرك والأوثان .

وكان أهل الجاهلية يرون أن من أفجر الفجور العمرة فى أشهر الحج ويقولون اذا برأ الدبر[2] وعفى[3] الوبر ودخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر ، يعنون دبر الإبل التى حجوا عليها ووبرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام : دخلت العمرة فى الحج الى يوم القيامة ، واعتمر عمرة كلها فى ذى القعدة عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة من الجعرانة .

وكانوا يعظمون الحــرم والأشهر الحرم فلا يعدو بعضهم على بعض فيهـا ويلق الرجل قاتل أخيه وأبيه فلا يتعرّض له بسوء ، وكان الرجل اذا أحدث الحدث

(١) طفلت الشمس : تغير لونها . (٢) الدبر : جمع دبرة وهى قرحة الدابة . (٣) عفى : كثر .

فقتل أو لطم أو ضرب اتخذ من لحا شجر الحرم قلادة لعنقه وقال : أنا ضرورة فلا يقتص منه ، وقد أبطل الاســلام ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ضرورة فى الإسلام وان من أحدث حدثا أخذ بحدثه .

والذى سنّ لهم تلك الشرائع الخرقاء عمرو بن لحىّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعى الذى غير دين الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وكان سـيدا شريفا مطاعا فى قومه يطعم الطعام ويحمل المغرم وكل ما قال فهو دين متبع لا يعصى ، وهو الذى جاء بهبل من أرض الجزيرة فجعله فى الكعبة وجعل عنده عشرة أقداح يستقسمون بها ، فى كل قدح منها كتابة يعملون بما تضمنته فكان مكتوبا فى أحدها أمرنى ربى وفى آخرنهـانى وثالث غفل ، فاذا أراد الرجل أمرا أو سفرا أخرج هـذه الأقداح الثلاثة فضرب بها فإن خرج الأوّل مضى وإن كان الثـانى نكص وإن طلع الثالث أعاده الكرة حتى يخرج الآمر أوالناهى ، أما السبعة الباقية فمكتوب على أحدها الفعل وفى ثان نعم وفى ثالث لا وفى رابع منكم وفى خامس من غيركم وفى سادس ملصق وفى سابع المياه ، فاذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا أيما أو يدفنوا ميتا ذهبوا الى هبل بمـائة درهم وجزور ثم قالوا لغاضرة بن حبشية بن سـلول بن كعب بن عمرو الخزاعى الذى اليه أمر القداح هذه مائة درهم وجزور ولقد أردنا كذا وكذا فأضرب لنـا على فلان بن فلان فان كان كما قال أهـله خرج «الفعل» أو «نعم» أو «منكم» فما خرج من ذلك انتهوا اليه فى أنفسهم وإن خرج «لا» ضرب على المـائة فان خرج «منكم» كان منهم وسيطا وإن خرج « من غيركم » كان حليفا وإن خرج «ملصق» كان دعيا نفيا ، فمكثوا زمانا وهم يخلطون حتى جاء الاسلام بتحريم ذلك ، قال تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم — الى أن يقول — وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ﴾ وقال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إنمـا الخمر والميسر والأنصاب(١) والأزلام رجس(٢) من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ .

---

(١) الانصاب : الحجارة التى كانوا يذبحون عليها القرابين لآلهتهم . (٢) نجس .

وعمرو هـذا هو الذى غير تلبية إبراهيم ، فبينما هو يسـير على راحلتـه فى بعض مواسم الحج وهو يلبى إذ تمثل له إبليس فى صورة شيخ نجدى على بعير أصهب فسايره ساعة ثم لبى إبليس فقال : لبيك اللهم لبيك ، فقال عمرو بن لحى مثل ذلك ، فقال إبليس : لبيك لا شريك لك ، فقال عمرو مثله ، فقال إبليس : إلا شريك هو لك ، فاستنكر ذلك عمرو ، فقال إبليس : بعده ما يصلحه : إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، فقال عمرو : ما أرى بهذا بأسا فما زالت كذلك حتى ردّها الإسلام الى ما كانت عليه فى شريعـة إبراهيم « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . أن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » .

ومن عادة العرب فى جاهليتهم — كما حكاه الفاكهى — أن الصبية اذا بلغت ألبسها أهلها من الثياب أحسن ما يجدون وجعلوا عليها من الحلى ما يقدرون ودخلوا بها المسجد الحرام سافرة الوجه فتطوف بالبيت والأبصار ترنو إليها والناس يتساءلون من هذه فإن كانت حرّة قالوا : فلانة بنت فلان ، وإن كانت مولدة قالوا : مولدة فلان قد بلغت أن تخدر فى بيتها وأراد أهلها أن تستكن فى كنها فاذا قضت طوافها خرجت تشيعها الأبصار العفيفة ، فاذ ذاك يرغب النـاس فى نكاحها إن كانت من الحرائر وفى شرائها إن كانت من الاماء ، وبعد أن تصل الى بيتها تحتجب فيه فلا تخرج منه إلا الى بيت زوجها أو الى حظيرة سيدها فكانوا يعطون للخطيب فرصة يتعرّف فيها جمال المخطوبة وجعلوا ذلك فى جوار البيت ليأمنوا النظرات الخبيثة .

وكانت الإفاضة فى الجاهليـة الى صوفة أخزم بن العاص ، وكان له ولد تصدّق به على الكعبة يخدمها فجعل اليه حبشية بن سلول الخزاعى الإفاضة بالناس من أجل نذره الذى نذر ، وكانـ الى حبشية حجابة الكعبة وإمرة مكة فحينما يقف الناس فى الموقف يقول حبشية : أجز ياصوفة فيقول صوفة أجيزوا أيها الناس فيجوزون ، وولى الإفاضة بعده ولده أخزم الذى نذره للكعبة وقام بخدمتها مع أخواله من جرهم وأعقب أخزم على الإفاضـة ولده من بعـده فى زمن جرهم وخزاعة حتى انقرضوا ، ثم صارت الإفاضـة فى عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر فى زمن قريش

فى عهد قصى ، وكانت من بنى عدوان فى آل زيد بن عدوان يتوارثونها حتى جاء الاسلام وكان عليها أبو سيارة العدوانى الذى أفاض بالمشركين فى سنة ثمان ، وأفاض أمير مكة عتاب بن أسيد بالمسلمين .

وكان حضنة البيت يكرمون الحجاج فى الجاهلية ، فروى عن هاشم بن عبد مناف أنه كان يقول لقريش اذا حضر الحاج : يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته خصكم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا أضيافه وزوّار بيته يأتونكم شعثا غبرا من كل بلد .

وروى مثل هـذا عن قصىّ بن كلاب بن مرة فكان كل قرشىّ يخرج خرجا من ماله فى كل موسم من مواسم الحج يعطيه لمن يقوم بالرفادة — إطعام الحاج — من قريش فيصنعه طعاما للحجاج أيام الموسم بمكة ومنى ، وبقى ذلك مدة فى عهـد الإسلام — حكاه الأزرقى .

إنساء الشهور — إنساء الشهور تأخيرها عن أماكنها الفطرية ، والنسىء مصدر من قول القائل : نسأت فى أيامك ونسأ الله فى أجلك أى زاد الله فى أيام عمـرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيا ، وكل زيادة حدثت فى شىء فالشىء الحادث فيـه الزيادة بسبب ماحدث فيه نسىء ، ولذلك قيل للبن اذا كثر بالمـاء نسىء وقيل للمرأة الحبلى : نسوء ، ونسئت المرأة لزيادة الولد فيها ، وقيـل : نسأت الناقة وأنسأتها اذا زجرتها ليزداد سيرها .

كان أهل الجاهلية اذا ما رغبوا فى القتال فى شهر المحرم أخروه الى صفر وأحلوا القتال فى المحرم وسموا صـفر المحرم وربيع الأول صفر وهكذا حتى يكون ذو الحجـة فى نهاية السنة الشهر المحرم ، وكانوا يفعلون هذا سنة ويتركونه سنة ، فكان ذو الحجة يعود الى مكانه الأول بعد أربع وعشرين سنة ، وأول من أنسأ الشهور من مضر مالك بعـد كنانة ثم ابنه ثعلبـة ثم أخوه الحرث بن مالك المعروف بالقلمس ثم سرير بن الحارث ، ثم كانت النساءة فى بنى فقيم من بنى ثعلبة حتى جاء الاسلام ، وكان آخر من نسأ منهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم وهو الذى جاء فى زمن

عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الركن الأسود فلما رأى الناس يزدحمون عليه قال : أيها الناس أنا له جار فأخروا عنه ، نخفقه عمر بالدرة ثم قال أيها الجلف الجافى قد أذهب الله عزك بالاسلام ، وكان الذى اليه أمر النساءة يقوم بفناء الكعبة يوم الصدر والناس حوله متجمعون فيقول : اذا أراد أن لا يحلوا المحرم ، أيها الناس ! لا تحلوا حرماتكم وعظموا شعائركم فإنى أجاب ولا أعاب ولا يعاب لقول قلته فهنالك يحرمون المحرم ذلك العام، واذا ما كانت السنة التى يريدون الإنساء فيها يقول : أيها الناس قد انسأت العام صفر الأوّل يعنى المحرم — وكانوا يسمونه صفر الأوّل وصفر صفر الثانى — فيطرحونه من الشهور ولا يعتدون به ويبتدئون العدة فيقولون لصفر وشهر ربيع الأوّل : صفرين ، ويقولون لشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى : شهرى ربيع ، ويقولون لجمادى الآخرة ولرجب : جماديين ، ويقولون لشعبان : رجب ، ولرمضان : شعبان ، ولشوّال : رمضان ، ولذى القعدة : شوّال ، ولذى الحجة : ذا القعدة ، ولصفر الأوّل وهو المحرم الذى أنسأه : ذا الحجة ، فيحجون تلك السنة فى المحرم ويبطل من هذه السنة شهرا ينسأه ، وكانوا ينسئون عاما ويتركون آخر ، فكان يقع فى كل شهر من شهور السنة حجتان فى عامين ، وكانوا يحلون فى الأشهر الحرم دماء المحلين طيئ وخثعم لأنهم كانوا يعدون على الناس فيها من بين العرب فيعزونهم ويطلبون بثأرهم ولا يقفون عن حرماتها كما كان يفعل سائر العرب من الحلة والحمس فانهم ما كانوا يعتدون فى شهر حرام ولو لقى أحدهم قاتل أبيه أو أخيه ولا يستاقون مالا إعظاما لحرمة هذه الشهور .

بقى الأمر على هذا المنوال حتى كانت سنة ثمان من الهجرة فجاء الحج فى ذى القعدة وحج المسلمون والمشركون فى هذا العام فدفعوا معا فكان المسلمون فى ناحية يدفع بهم عتاب بن أسيد ويقف بهم المواقف لأنه أمير مكة من قبل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان المشركون ممن لهم عهد ومن ليس لهم عهد فى ناحية أخرى يدفع بهم أبو سيارة العدوانى على أتان له عوراء رسنها من ليف .

فلما كانت سنة تسع وقع الحج فى ذى الحجة فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه الى مكة أميرا على الحج بعد أن علمه المناسك وأمره بالوقوف على عرفة وعلى جمع — المزدلفة — ثم نزلت سورة براءة بعد سفر أبي بكر الى مكة بالحجيج فبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم مع على رضى الله عنـه وأمره اذا خطب أبو بكر وفرغ من خطبته قام فقرأ على الناس سورة براءة ونبذ الى المشركين عهدهم — حسب ما قدمنا — وقال : لا يجتمعن مسـلم ومشرك على هذا الموقف بعـد عامهم هذا ، وكان أبو بكر رضى الله عنه يخطب الناس و يصلى بهم و يقف المواقف ويدفع منها بالحجيج .

ومما تضمنته سورة التوبة إبطال النسىء قال تعالى فيه ﴿ إن عدّة ٱلشهور عند الله ٱثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق الســموات والأرض منها أربعـة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين إنمـا النسىء زيادة فى الكفر يضـل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدّة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زيـن لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين ﴾ .

فلما كانت سنة عشر أذن الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الحج فحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع التى أسلفنا لك تفصيلها وخطب خطبته المشهورة بعرفة وذكر فيهـا النسىء وأبطله ولـما تضمنته هـذه الخطبة من الشرائع الحكيمة والنصائح القيمة نوردها لك بنصها وفصها كما رواها ابن هشام فى سيرته .

الحمــد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليــه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا مـن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير، أيها الناس ٱسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعــد عامى هذا بهذا الموقف أبدا . أيهـا الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم

ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من آئتمنه عليها وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع وإن أوّل دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل) فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهليــة ، أما بعد : أيها الناس فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم ، أيها الناس إن النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدّة ما حرم الله فيحلوا ما حرّم الله ويحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد آستدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض وإن عدّة الشهور عند الله آثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ثلاث متوالية ورجب مضر الذى بين جمــادى وشعبان ، أما بعد : أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان آنتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيأ وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيهــا الناس قولى فانى قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فان تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مســلم أخ للمسلم وان المســلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيــه الا ما أعطاه عن طيب نفس منــه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت — فذكر لى ان الناس قالوا — اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

قال ابن اسحاق : حدّثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى عن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عتاب ابن أســيد الى رسول الله صلى الله عليــه وسلم فى حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لغامها (١) ليقع على رأسى فسمعته وهو يقول : أيها الناس إن الله قد أدّى الى كل ذى حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وفى هذا اليوم نزل قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

وإذ قد انتهينا من الحج وتاريخه نذكر لك كلمات مفصلة عن مشاعره .

الصفا والمروة

قال تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ﴾ .

الصفا — الصفا الذى هو مبدأ السعى فى أصل جبل أبى قبيس جنوبى المسجد الحرام على مقربة من بابه المسمى باب الصفا وهو مكان شبيه بالمصلى طوله ستة أمتار وعرضه ثلاثة مرتفع عن الأرض بنحو مترين يصعد اليه بأربع درجات ، وفى جنوبى هذا المكان أى وراءه أربع درجات أخرى صاعدة أقيم عليها ثلاثة عقود فى صف واحد من الشرق الى الغرب ، وبعد هذه الدرجات الخلفية أصل جبل أبى قبيس وحول الصفا جدا ريحيط به ما عدا الجهة الشمالية التى منها المرتقى ، ويظهر أن فى الأرض درجا آخر غير الظاهر استتر لما رفع مستوى الشارع يدل على ذلك ما ذكره التقى الفاسى فى كتابه وصفا للصفا ، قال ما ملخصه : الصفا مكان مرتفع من جبل له درج وفيه ثلاثة عقود ، والدرج من أعلى العقود وأسفلها ، وبعض الدرج الذى أسفل العقود مدفون وذلك ثمان درجات ثم فرشة — مصطبة — مثل بعض الفرشات الظاهرة التى أمام العقود ثم درجتان وما عدا ذلك ظاهر للعيون

(١) اللغام : اللعاب .

وهو درجة أسفل العقود ثم فرشة كبيرة ثم ثلاث درجات ثم فرشة كبيرة هى السفلى الملاصقة للأرض ، وربما علا التراب على هـذه وما ذكرناه من الدرج المدفون شاهدناه بعد حفرنا عنه فى شوّال سنة ٨٠٤ هـ اهـ .

والمـــروة فى الشمال الشرقى للمسجد الحرام على بعد منـه وهى منتهى السعى فى أصل جبـل قعيقعان وهى محل مرتفع كالصفا يصعد اليه بخمس درجات فقط بعدها مصطبة طولها أربعة أمتار فى عرض مترين ، بعدها مصطبة أخرى عرضها متر واحد وهى ملاصقة لجدار المروة الشمالى إذ حولها ثلاث جدر فى شماليها وشرقيها وغربيها ، والدور من وراء ذلك ، ومن دون الدرجات الخمس عقد شاهق من الجدار الى الجدار وهو بعيـد عن مبدأ الدرج من أسفل بنحو مترين ، والشارع الذى بين الصفا والمروة هو المسعى وطوله ٤٠٥ متر ، وعرضه تارة عشرة أمتار وتارة اثنا عشر مترا ، وهـذا الطريق مقسم الى ثلاثة أقسـام يمشى الساعى فى القسمين المتطرفين ويهرول فى القسم الوسط ، والقسم الأول من الصفا الى الميلين الأخضرين وهما عمودان أخضران أحدهما فى الحائط المقابل للمسجد ، وثانيهما حذاءها بجوار باب المسجد الحرام المسمى بباب البغلة وطول هذا القسم خمسة وسبعون مترا ، والقسم الوسط يبتدئ من هذين الميلين وينتهى الى ميلين آخرين أحدهما بباب المسجد المسمى بباب على والآخر فى الحائط المقابل لجدر المسجد فى الناحية الثانيـة ، وطول هذا القسم سـبعون مترا والثالث من هـذين الميلين الى المروة وطوله ٢٦٠ متر وأول من أحدث بناء ودرجا فى الصـفا والمروة عبد الصمد بن على فى خلافة أبى جعفر المنصور ثم كملت بعـد ذلك بالنورة فى خلافة المأمون العباسى (انظر هـذا الميـل فى يمين الرسم ٢٠١) .

والصفا فى الأصل العريض من الحجارة الملس والمروة : واحد المرو وهى الحجارة البيض تقتدح بها النار ولا تكون سوداء ولا حمراء .

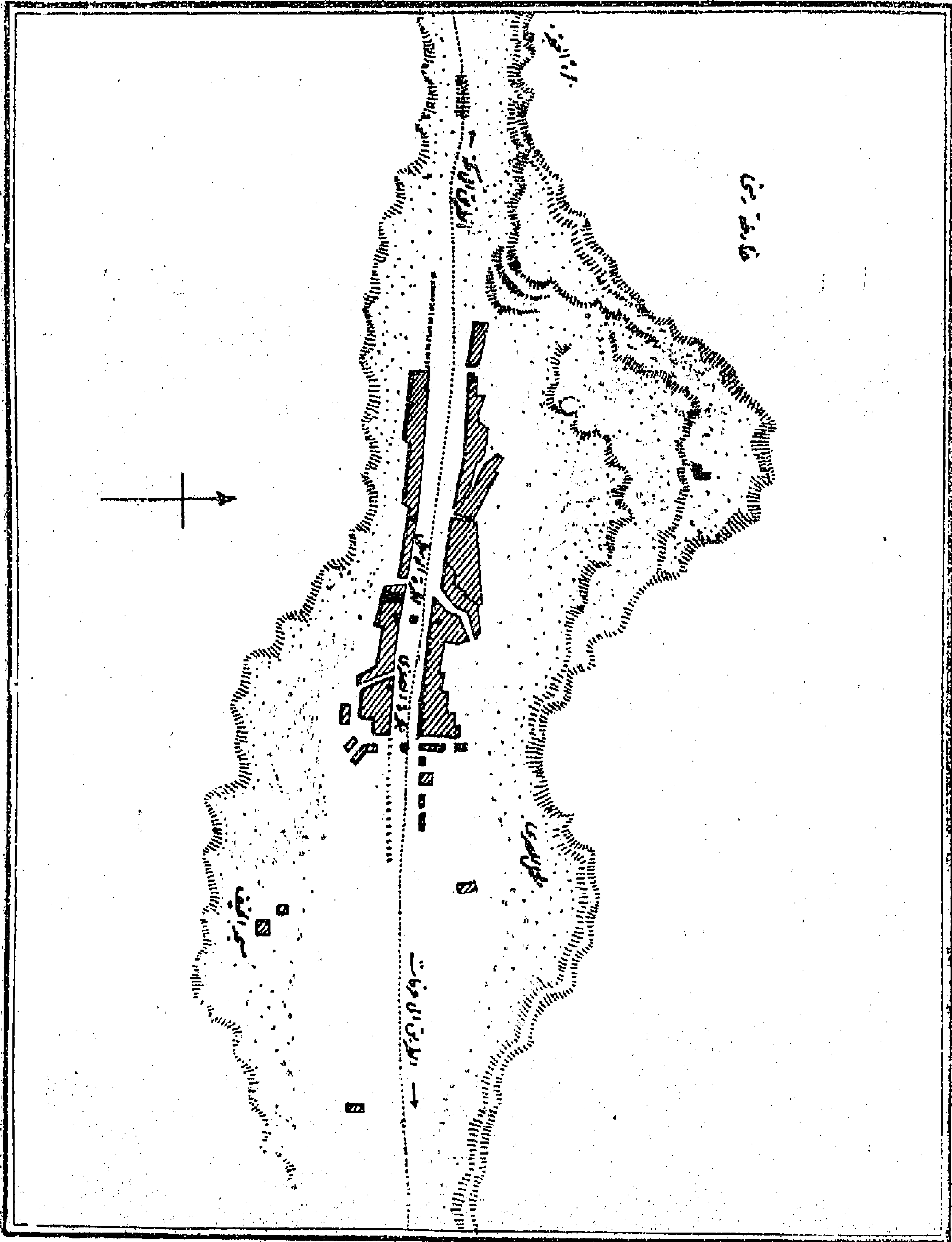
مِنًى

هى الموضع الذى ينزله الحاج ليلة عرفة حتى تشرق الشمس على ثبير وينزله أيضا يوم النحر وأيام التشريق ولياليها حتى يرمى الجمار، وقد قطعنا المسافة بين مكة وبينها فى ساعتين و ٥٤ دقيقة وبدأنا سيرنا من معسكرنا بجرول جنوبى مكة الغربى، والمسافة من المعلاة فى شمالى مكة الى منى ٦ كيلو مترات تقريبا تقطع فى ساعتين بسير الجمل المعتاد، وحدّ هذا الموضع من جهة مكة جمرة العقبة التى بايع الأنصار عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن جهة المزدلفة وادى محسر، وظاهر كلام الشافعى والنووى أن العقبة ليست من منى وغيرهما يقول : هى منها أما عرضه فعرض الوادى المحصور بين الجبال الشاهقة وذلك ٦٣٧ مترا استخراجا من مقاس الفاسى . ومنى الآن بلدة صغيرة يقطعها المحمل طولا فى ٢٠ دقيقة وعرضها صفان من البيوت على جانبى الطريق الذى يشقها شقين، والذى يبتدئ من مكة ويوصل الى عرفات، وعرض هذا الطريق مختلف فتارة عشرة أمتار وتارة عشرين ويقل عن ذلك ويكثر وبيوتها مبنية بالحجر الأصم وأكثرها طبقتان انظر (الخريتة ١٢٠) ولا تسكن إلا مدّة الحج وجوها حار لأنها واد بين جبال شامخة، ويزيد حرارتها الأنفاس المتصاعدة من آلاف الحجاج الذين تغص بهم هذه البلدة فى وقت واحد .

وبمنى الجمرات الثلاث وجامع الخيف ومسجد الكوثر وغار المرسلات والصخرة التى قام عليها ابراهيم حينما همّ بذبح ولده اسماعيل أو مسجد الكبش، وقد زرت هذه الأماكن فى صباح ١٢ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . وهاك وصفها عن مشاهدة .

مسجد الخيف — هذا المسجد بمنى فى الجهة الجنوبية على يسار القادم من عرفات ويمين المقبل من مكة انظر (الخريتة ١٢٠) وهو مسجد وسيع محكم البناء مستطيل الشكل طول ضلعه البحرية ١٣٠ مترا، وضلعه الغربية طولها ١٠٠ متر، وبابه الأكبر فى واجهته البحرية وفوق هذا الباب مئذنة بنيت بالطوب الأحمر ارتفاعها ١٤ مترا، وعلى يسار الداخل منه مقابر تعلوها قباب أقيمت على

عقود ، وفى جهة المسجد الغربية أربعة أروقة (بواكى) كل رواق يمتد من شمالى المسجد الى جنوبيه ، وعرض الأربعة ٣٧ مترا أى من صحن المسجد الى جداره الغربى ، وفى كل رواق ٢١ عقدا أعنى فى كل جدار يمتد من الشمال الى الجنوب ، والأروقة مسقوفة بقباب ظاهرة من الداخل فقط أما سطح المسجد فمستو ، وعرض



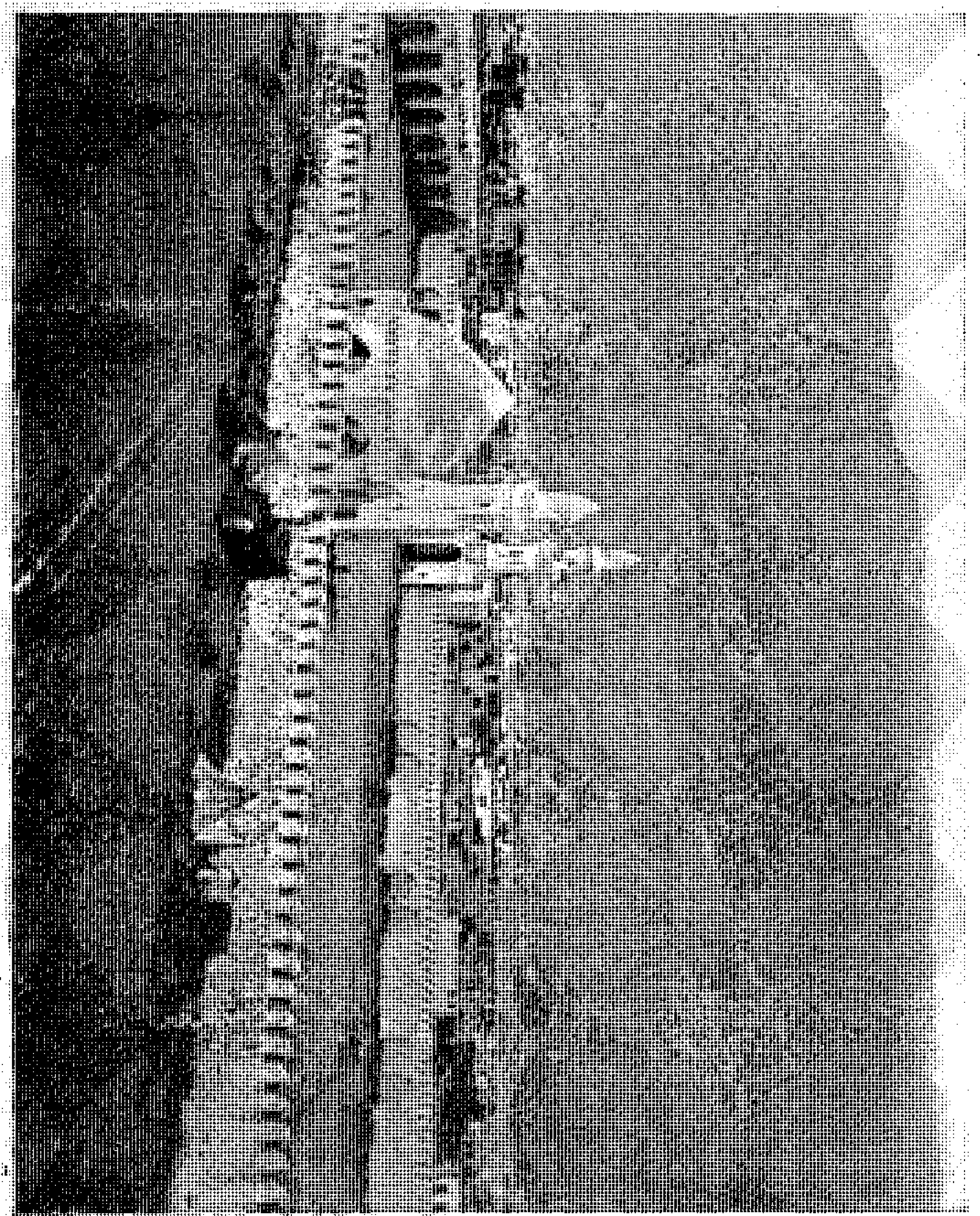
(الخـريتة نمـرة ١٢٠)

الرواق الفضاء ٥,٤ أما بالجدران فضعف ذلك ، وسمك الجدر التى أقيمت عليها قباب الأروقة ١,٥٥ ، وفى وسط الرواق الملاصق للجدار الغربى منبر ومحراب عليهما قبة فخمة ، وفى صحن المسجد قريب من جداره الشرقى قبة عظيمة أقيمت على ثمانية عقود وبها محراب وهى فى موضع خيمة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكانها الأوقات الخمسة أولها الظهر وآخرها الصبح لأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من مكة فى الثامن من ذى الحجة ووصل الى منى ظهرا و بات بها ليلة التاسع ، ولما صلى الصبح رحل الى عرفة ، وبالجهة الشرقية من القبة مئذنة مبنية بالطوب الأحمر ارتفاعها ١٤,٦٠ مترا ولها باب صغير خارج القبة يصعد منه اليها ودرجها ثلاث وسبعون ، وارتفاع الدرجة ٢٠ سنتيا ، وبالمسجد أربعة صهاريج كبيرة متجاورة بين القبة والضلع الشمالية أقيمت لحفظ مياه الأمطار بها والشرب منها فى مواسم الحج ولكنها كانت فى سنتنا مسنتة مجدبة ، والمسجد مكشوف ماعدا جهتيه الشمالية والغربية وجدره لها دعامات من الداخل والخارج وارتفاعه ٥ أمتار وعلى الجدر من الأعلى شرافات كالتى نراها بمساجد مصر وله ثلاثة أبواب شمالى وغربى وشرقى (أنظر الرسمين ١٢١ و١٢٢) وانظر أروقة المسجد فى (الرسم ١٢٣) الذى ترى فيه صديقنا محمد افندى على سعوديا .

وبالجهة الشرقية من المئذنة الشرقية على علو أربعة أمتار مكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم جدّد لله الملك المعظم ملك الملوك الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن مسجد الخيف سنة ٦٧٤ هـ) . وعلى بابه الشمالى مكتوب (عمر مسجد الخيف السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى سنة ٨٩٤ هـ) .

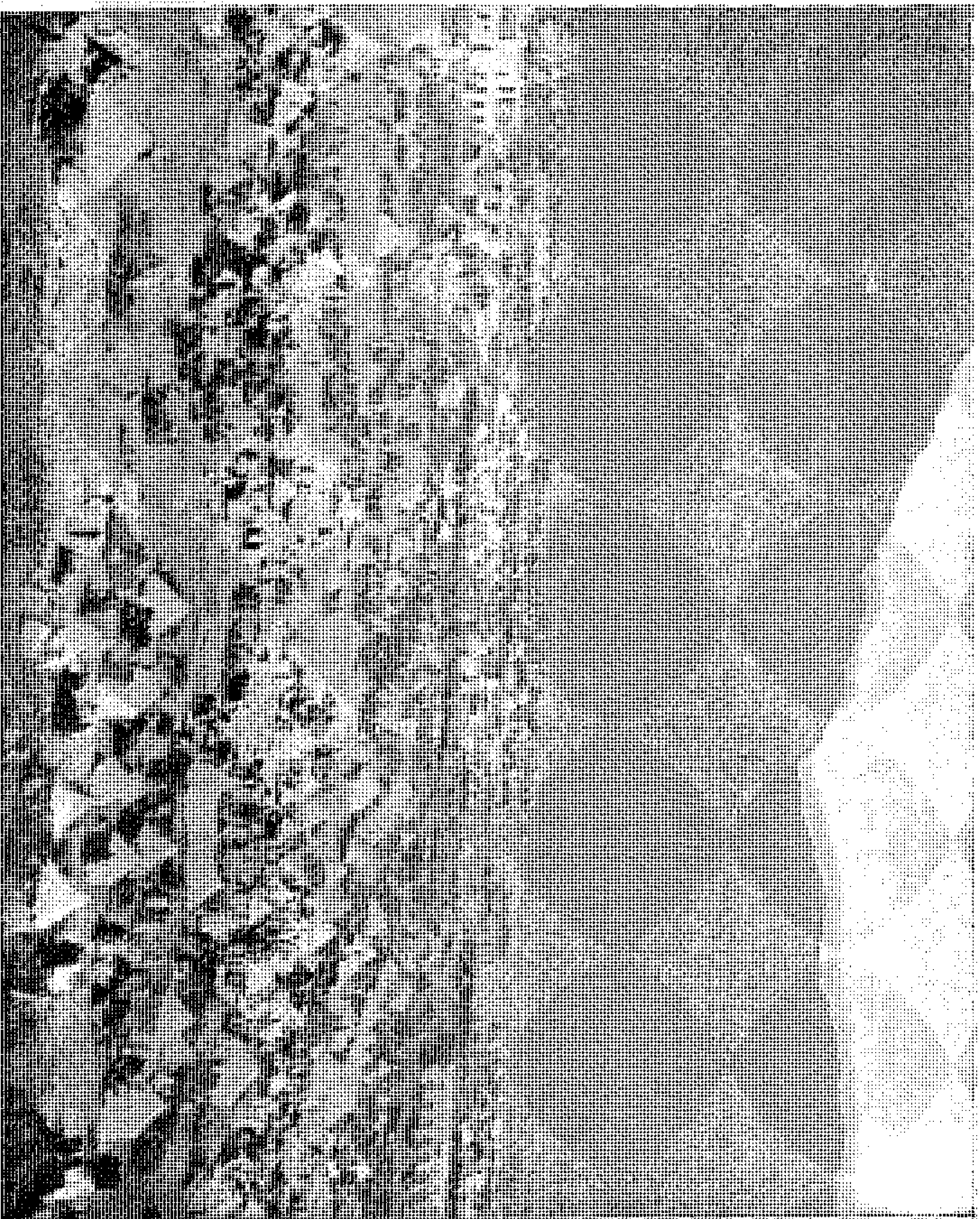
وهذا المسجد الأثرى العظيم يتخذه حجاج المغاربة والدكارنة كبيت للسكن فينصبون فيه خيامهم ويؤدّون به أعمالهم المعاشية من طبخ وغسل وينشرون به لحوم الغذاء لتجفف ويأكلوا منها أياما ، وقد رأيتها وهى منشورة بالجامع فى خيوط ،

مسجد الخيف بمنى

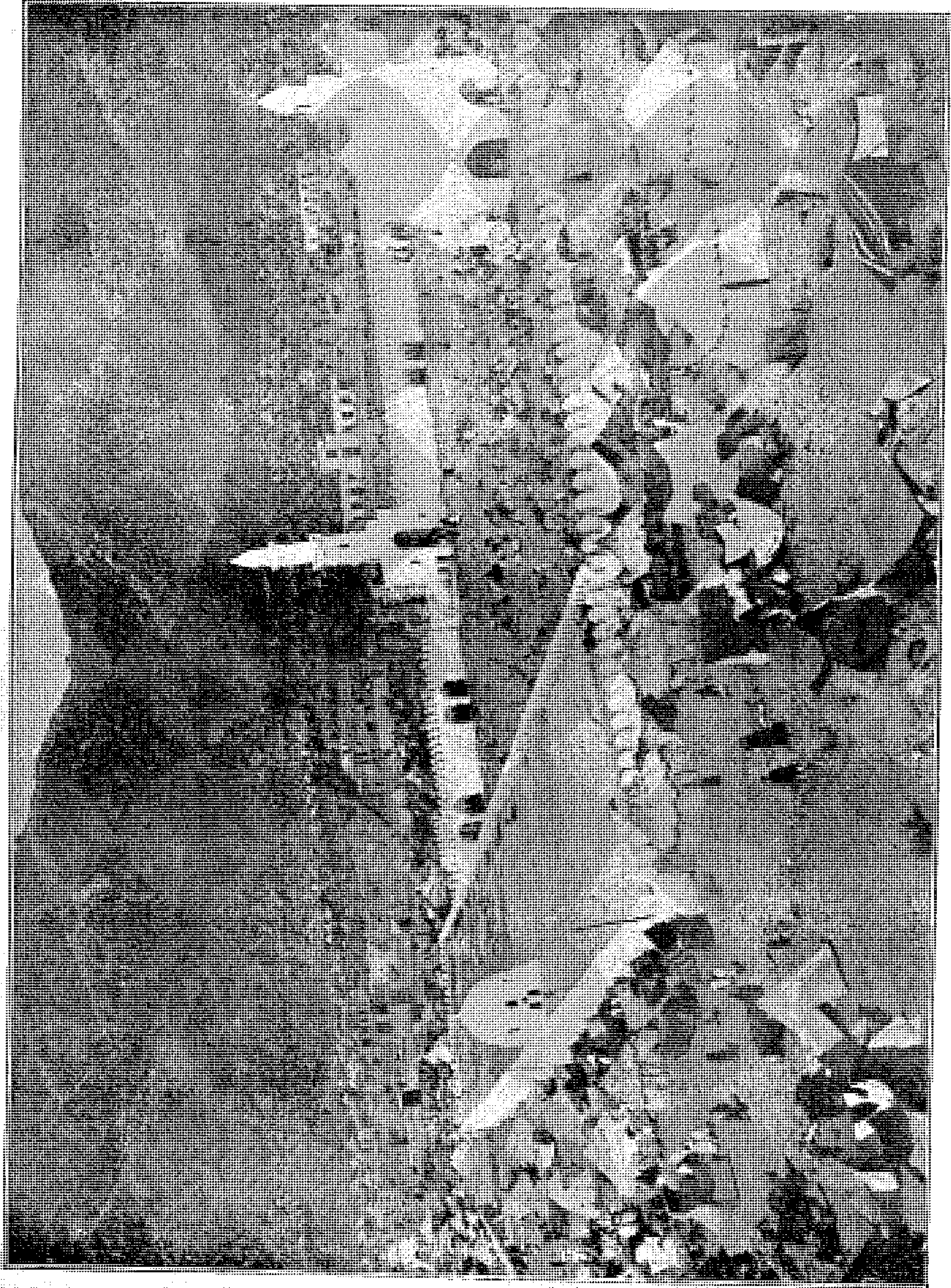


121. Mosque of El Kheif at Mina showing the dome under which the Prophet Mohamed performed the five prayers during his last pilgrimage (Al Wida'a : "Farewell").

معسكر الحجاج بمنى سنة ١٣٢٠

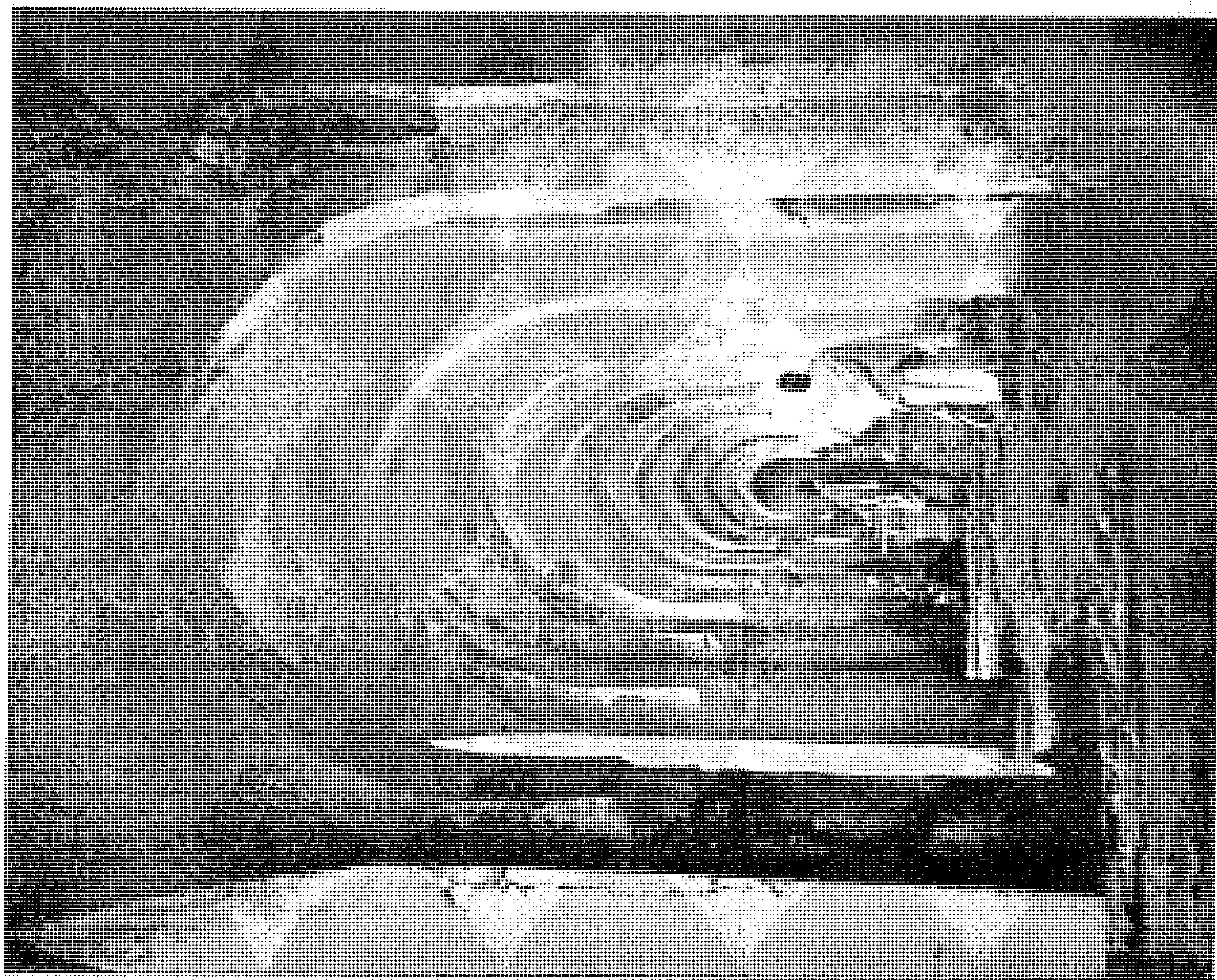


119. Pilgrims camping at Mina



مسجد الخيف بمنى وموضع القبة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس اوقات في حجة الوداع حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اللواء ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري في الحجة سنة ١٣٢٥

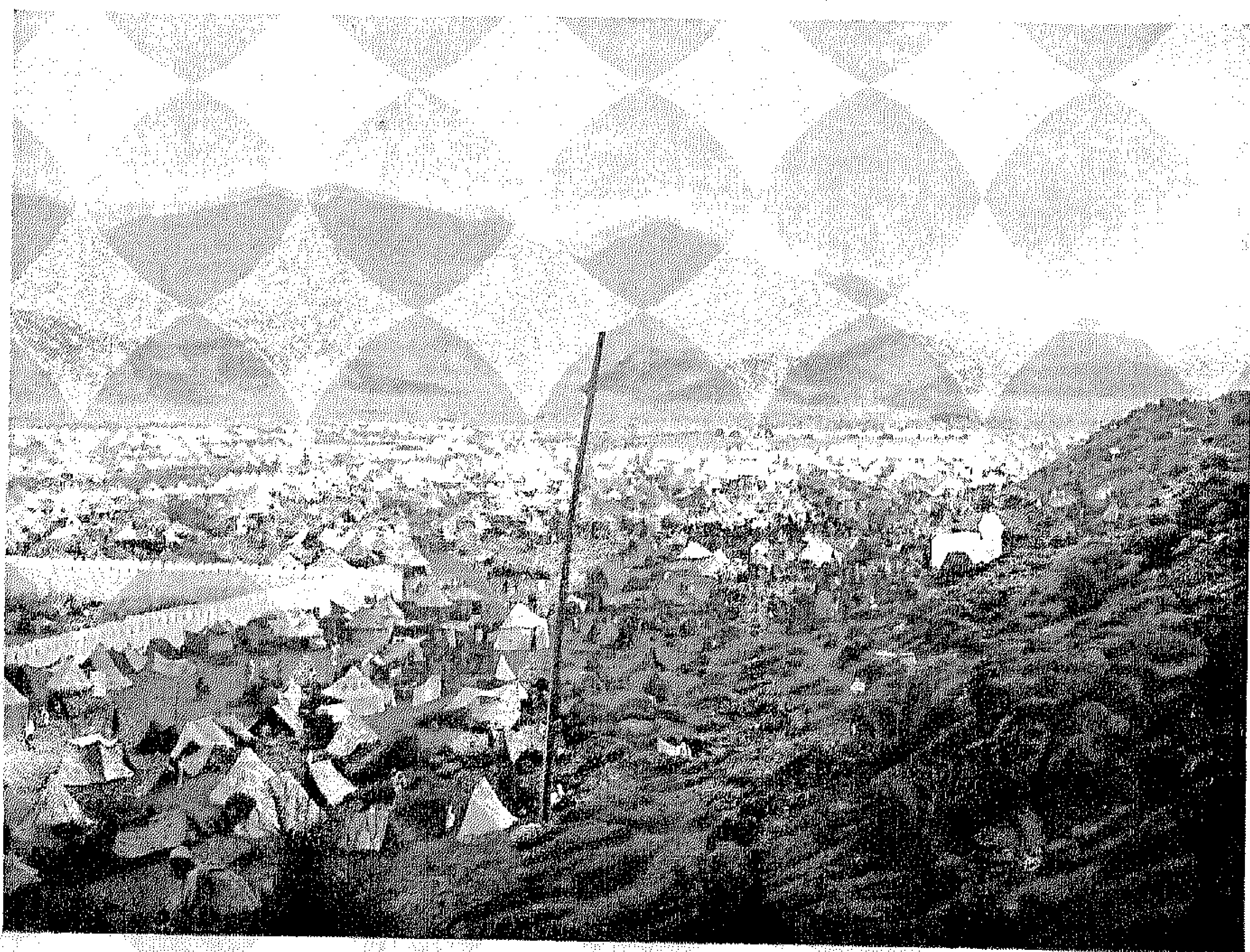
122. Mosque of El Kheif at Mina showing the dome under which the Prophet Mohamed performed the five prayers during his last pilgrimage (Al Wida'a ; "Farewell").



123. Arcades of El Kheif Mosque at Mina.

أروقة مسجد الخيف بمنى سنة ١٣٢١

مسجد نزول سورة الكوثر بمنى



124. A view of the Mosque of (Nozool Soret El Kawthar) in Mina in 1325.

بل يكادون يجعلون الجهة الشمالية منـه محلات أدب وإن ذلك لأمر تشمئز منـه الطباع ويندى له وجه الأدب ويحظره الشرع فانه أمرنا بتنظيف المساجد وتطييبها لا تلويثها ولكنه الجهـل يعمى صاحبـه عن الطريق السوى وكان حريا بالحكومة الحجازية أن تعنى بذلك المسجد عناية تتناسب مع مركزه وتنوط به من الخدم مايقوم بواجب نظافته ويمنع العابثين به مما يحدثونه .

وقد عمر هـذا المسجد فى زمن الخليفة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسى سنة ٢٥٦ هـ . وجدده الوزير محمد بن على المعروف بالجواد الأصفهانى سنة ٥٥٩ هـ . وكذلك أم الخليفة العباسى الناصر لدين الله وأقام فيـه عمارة الملك المظفر صاحب اليمن وهو الذى أقام المئذنة التى بجوار القبة وقد قدمنا لك ما عليها من الكتابة الدالة على هذه العمارة .

وفى سـنة ٧٢٠ هـ . أنفق عليـه أحمد بن عمر المعروف بابن المرجانى التاجر الدمشقى ما يزيد على ٢٠٠٠٠ درهم . وفى سنة ٨٢٠ هـ . عمر بمعرفة الشـيخ على البغدادى ولم يعرف من قام بنفقة هذه العمارة . وفى سنة ٨٧٤هـ. أمر الملك الأشرف قايتباى ببناء هـذا المسجد فبنى بناء محكما وأقيمت القبـة التى هى الآن على مصلى النبى صلى الله عليه وسلم وبنى الى جانب القبة مئذنة ذات أدوار ثلاثة وكذلك أقام المئذنة التى على باب المسجد الشمالى وجعل بجانب هـذا الباب دارا يسكنها أمراء الحج وجعـل للمسجد بابا فى جهته الشرقية وخوخة صغيرة الى الجبل الجنوبى الذى فيه غار المرسلات . وفى سنة ١٠٧٢ هـ . عمره السلطان محمد قزلار الأغا وكان القائم بالعمارة والى جدة وشيخ الحرم سليمان بك . قال النجارى وهـذه العمارة وغيرها من العمارات التى قام بها مكتوبة فى حجر بجـدار المقام الحنفى . وفى سـنة ١٠٩٢ هـ . عمره سليمان أغا مرسلا من قبل السلطان محمد خان .

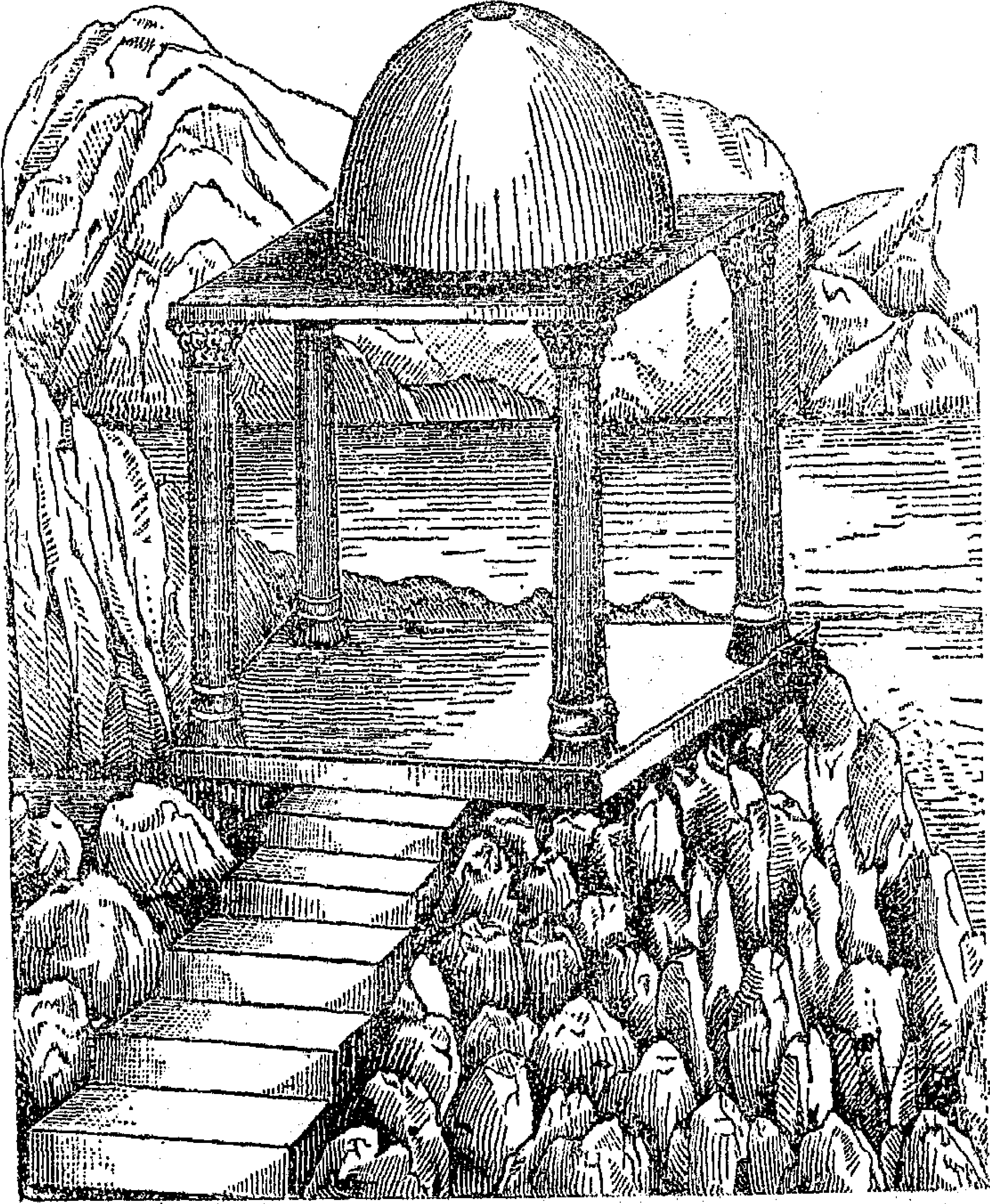
مسجد الكوثر ــ فى وسط منى على يمين القاصد الى عرفات مسجد صغير يبعد عن الطريق نحو ٤٠ مترا يسـمى مسجد الكوثر زعموا أن سورة الكوثر نزلت فى مكانه على النبى صلى الله عليـه وسلم (انظر شكله فى يمين اللوحة ١٢٤) وتجـد

باللوحة قائمة البرق — التلغراف — وبهذا المسجد حجر نقشت فيه كتابة بالخط المغربي لم أعرف منها إلا لفظة "وقفية لله" وبجواره بئر صالحة للشرب ويزوره أكثر الحجاج بقصد التبرك .

مسجد الكبش — هذا المسجد بمنى على يسار الذاهب الى عرفات وهو فى شمالى جمرة العقبة على نحو ٣٠٠ متر منها فى سفح جبل ثبير ، والكبش الذى أضيف اليه هو الذى فدى الله به نبيه اسماعيل لما شرع أبوه الخليل فى ذبحه وبجوار هذا المسجد الصخرة التى ذبح عليها الفداء . وذكر الفاكهى عن على بن أبى طالب ما يقتضى أن الذبح حدث فى غير هذا المكان وأنه بين الجمرتين الأولى والوسطى فى سفح الجبل المقابل لثبير ويؤيده ما رواه المحب الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منحر إبراهيم الذى نحر فيه الكبش فاتخذوه منحرا وكل منى منحر ، ومنحر الرسول بين الجمرتين (أنظر فى زاد المعاد لابن القيم ، بحث أن الذبيح اسماعيل لا اسحاق) وهذا المسجد وهذه الصخرة يتزاحم الحجاج على زيارتها تزاحما شديدا (أنظر رسم قبة الكبش[(١)] ٣٢٨) والصخرة فى جوف الجبل فيها فلح كبير يزعمون أن السكين التى أراد أن يذبح بها ابراهيم ولده فلتت من يده رحمة بالذبيح فغاصت فى هذا الصخر ففلحته ، وبجوار الصخرة مغارة يزعمون أن إبراهيم عليه السلام سكن فيها مع هاجر ويبلغ طولها ٤ أمتار وعرضها مترين ونصفا وعلى يمين الداخل فيها كهف ثغر فى جوف الجبل .

غار المرسلات — هذا الغار بسفح جبل جنوبى مسجد الخيف يقال له جبل الصفائح ، وهو غار صغير يبعد عن الطريق بنحو ٣٠٠ متر ، به موضع مستدير يقال إنه محل رأس النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يستظل بالجبل وفيه نزلت عليه سورة المرسلات كما يقولون ، وزحام الحاج على هذا الغار بالغ أشدّه . ومن المساجد التى بمنى ولم أزرها مسجد البيعة ومسجد منى وهاك وصفهما عن الفاسى .

(١) نقلت عن مرآة مكة تأليف اللواء البحرى العثمانى أيوب صبرى باشا .



(قبة الكبش رســـم ٣٢٨)

مسجد البيعة — هــذا المسجد بقرب العقبة التى هى حدّ منى من جهة مكة وهو وراء العقبـة بيسير الى مكة فى شعب على يسار الذاهب الى منى وسمى بذلك لأن عنده حصلت البيعة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الأنصار بحضرة عمــه العباس بن عبد المطلب على ما ذكر أهــل الأخبار وقد ذكر التقى الفاسى أن طوله $\frac{1}{6}$ ٣٨ ذراعا بذراع الحديد، وأن به رواقين كل منهما مسقوف بثلاث قبب على أربعة عقود، وأن له بابين فى الجهة الشمالية والجهة الجنوبية وذكر أنه متخرب وأن فيه حجرين مكتوب فى أحدهما (أمر عبــد الله أمير المؤمنين أكرمه الله ببنيان

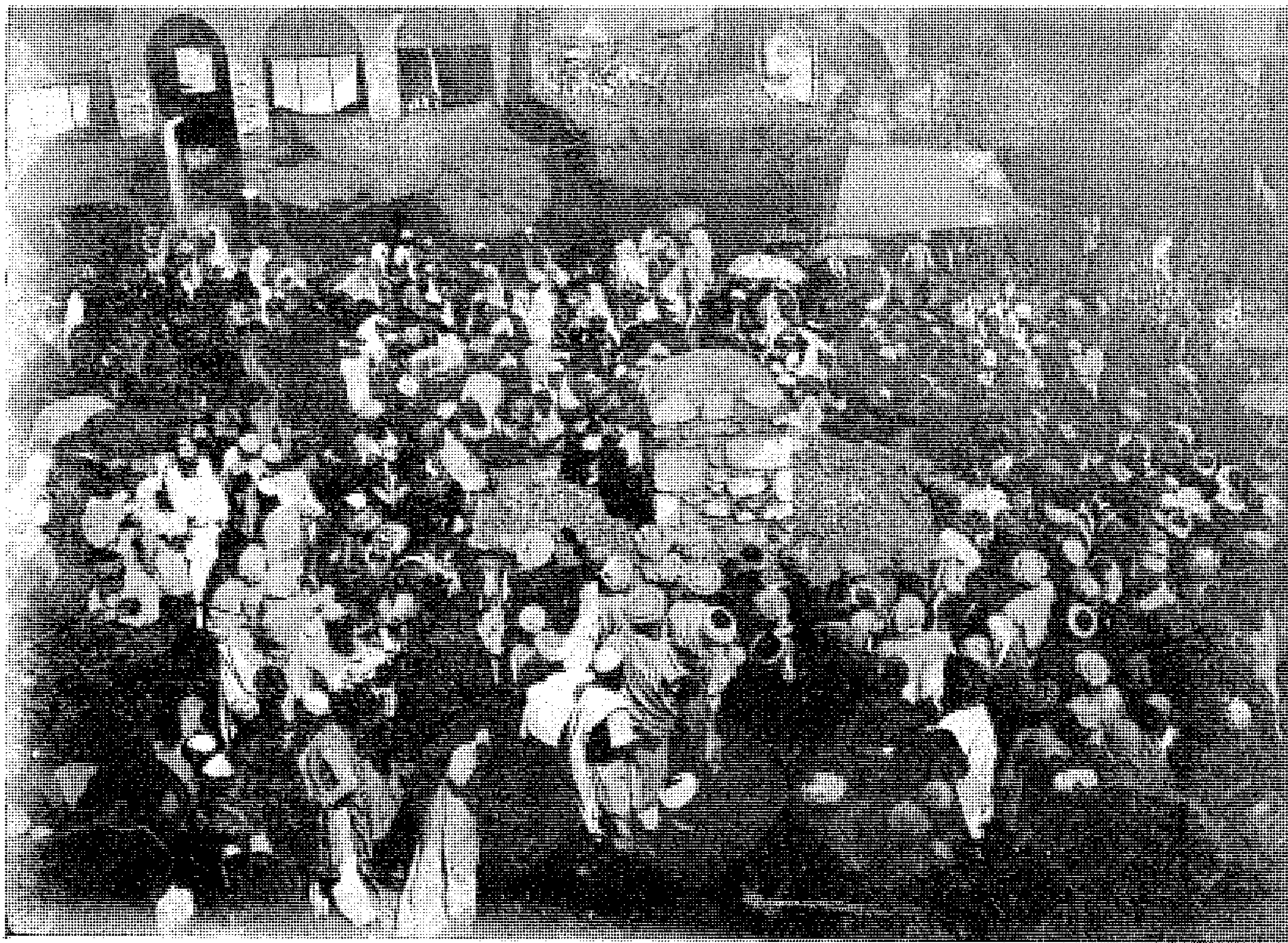
هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت أوّل بيعة بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد عقده له (؟) العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه؛ وفى الآخر تعريفه بمسجد البيعة وأنه بنى فى سنة ٢٤٤ هـ . وأمير المؤمنين المشار اليـه هو أبو جعفر المنصور العباسى . وعمره أيضا المستنصر العباسى قال : ووجدت ذلك فى حجـر ملق حول هذا المسجد لتخربه وفيه أن ذلك سنة ٦٢٩ هـ .

مسجد منى — ويقال له مسجد المنحر ذكره الفاسى وقال : إنه عند الدار المعروفة بدار المنحر بين الجمرة الأولى والوسـطى على يمين الصاعد الى عرفة وفيـه حجر مكتوب فيه (هذا مسجد سيد الأولين والآخرين صلى فيه الضحى ونحر هديه وفيه : ان الملك قطب الدين أبا بكر بن الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن أمر بتجديد عمارته بعد زيارته فى سنة ٦٤٥ هـ . وطول هذا المسجد من محرابه الى مؤخره ثمـانية أذرع وعرضـه سبعة أذرع بذراع الحـديد (ذراع الحديد ١/٧ ٥٦) .

الجمـار — الجمار التى ترمى بالحصـيات هى بمنى والأولى منهـا هى التى تلى مسجد الخيف، والوسطى التى بينها وبين جمرة العقبة، والأخيرة جمرة العقبة — انظر مواقعها من منى (فى الخريطة ١٢٠) .

وهى أقرب الجمار الى مكة وهى حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتـار فى عرض نحو مترين أقيم على قطعة من صخرة مرتفعة عن الأرض بنحو متر ونصف ومن أسفل هذا الحائط حوض من البناء تسقط اليه حجارة الرجم ورمى الجمار بهـذا الترتيب مطلوب على مذهب مالك حتى لو وقع على غير هـذه الصفة ولم يتدارك فى وقت الأداء وهو النهار على المشهور لزمه دم والمسافة التى بين جمرة العقبة والجمرة الوسطى ١١٦,٧٧ مترا، والتى بين الجمرة الأولى والوسطى ١٥٦,٤٠ مترا، وقد تقدّم فى ص ٤٨ من الرحلة وصف الأعلام التى على الجمار وبيان حدود المرمى بمـا نقلناه

منظر رمي الجمار بالجمرة الوسطى بمنى سنة ١٣٢٥



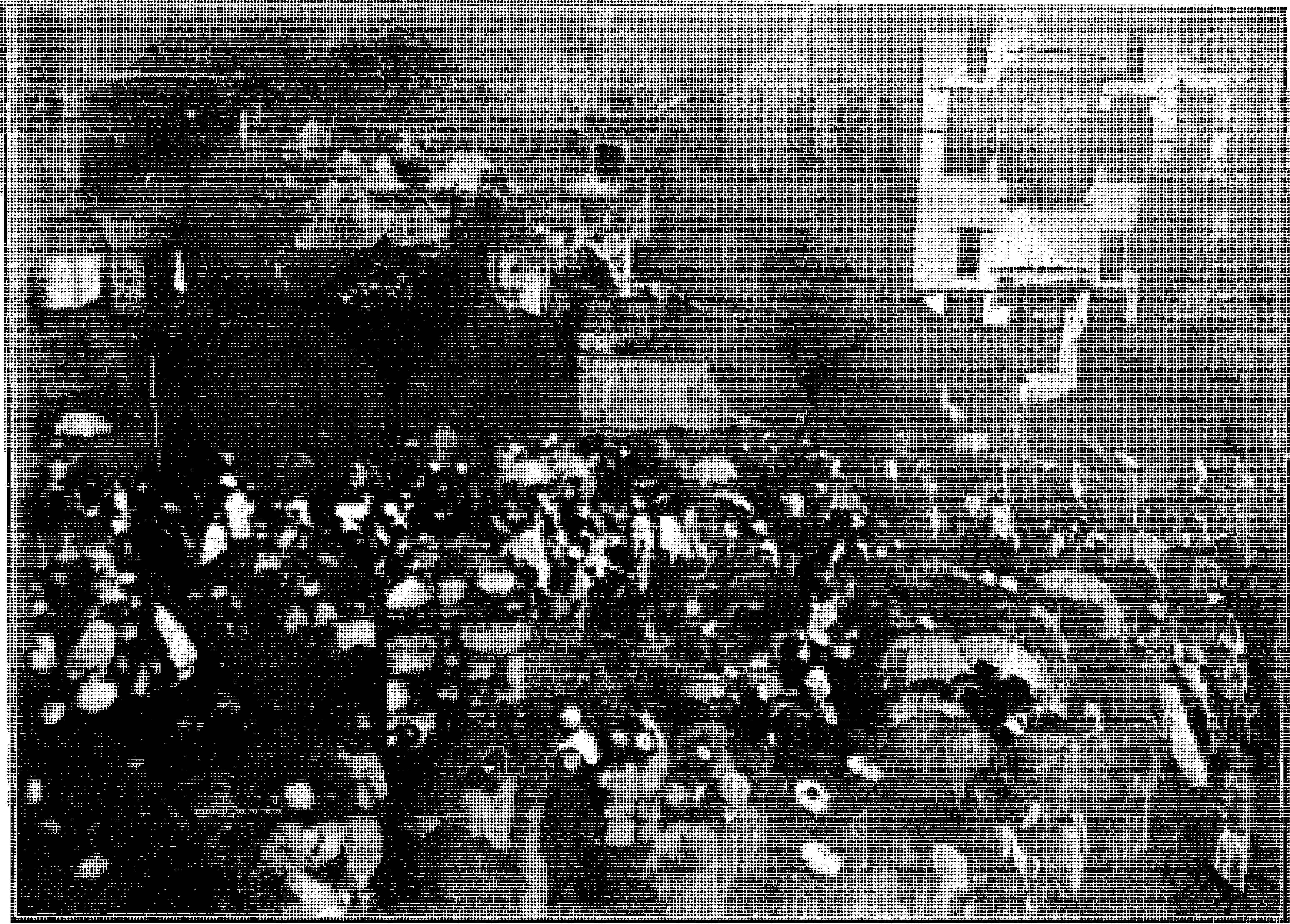
125. Stone throwing at Satan (El Shytan el Wossta) at Mecca.



منظر الجمرة الكبرى (جمرة العقبة)

126. A view of the throwing stones in the Largest Room (Gamret El Akaba) in Mina in 1325.

رمي الجمار بالجمرة الثالثة سنة ١٣٢٥



127. The third stone throwing at Shytan at Mecca'

سوق عرفات



128. A view of the market in Arafat in 1325.

هناك عن المحب الطبرى ، ونزيدك الآن أن الأزرقى ذكر فى كتابه أن جمرة العقبة أزالها جهال الناس عن مكانها الأصلى برميهم الحصى فى غير موضعه وردّها الى مكانها الذى لم تزل عليه إسحاق بن سلمة الصائغ الذى أنفذه المتوكل للقيام بأمور تتعلق بالكعبة وبنى من ورائها جدارا رفعه عنها وجعل بجانب الجدار مسجدا حتى لا يتمكن شخص من أن يرميها من أعلى لأن السنة لمن أراد الرمى أن يقف من تحتها فى بطن الوادى فيجعل مكة عن يساره ومنى عن يمينه ويرمى كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنظر الجمار الثلاث والحجاج يرمونها فى الرسوم ١٢٥ و١٢٦ و١٢٧) .

قال ابن الكلبىّ : إنما سميت الجمار جمارا لأن آدم كان يرمى إبليس فيجمر من بين يديه والإجمار الإسراع ، قال لبيد من قصيدة له :

واذا حركت غرزى أجمرت * أو قرابى عدو جون قد أبل(١)

أو سميت هذه الأماكن باسم مايرمى فيها لأن الجمرة الحصاة .

المنحر بمنى — أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن منى كلها منحر وكان الناس ينحرون قريبا من مخيم الحجاج فى الأعوام السالفة فى حفر تحفر لذلك . أما فى عامنا هذا فكانت الحفر بعيدة عن المخيم بما يقرب من ألف متر . والحجاج يذبحون الهدى والفداء فى وقت واحد من يوم النحر ولا يأكلون مما يذبحون بل يرمونه بالجهة الشرقية من منى ، وكان فقراء الحجاج من الدكارنة والمغاربة يجرّدون اللحوم من العظام ويعملون منها أحبالا تجفف فى الشمس فتكون غذاء لهم فى سفرهم حتى يصلوا المدينة المنورة ، وكانت الذبائح المتروكة تنبعث منها روائح كريهة لأنها ما كانت تدفن ولكن فى السنين المقبلة عملت حفر عميقة دفنت فيها الذبائح وكلف عمال الصحة بردمها .

(١) الغرز ركاب من جلد توضع فيه الرجل وقراب السيف معروف والعدو السير السريع والجون من الخيل الأدهم وأبل أكل الربل وهو نوع من الشجر يتقطر منه الماء .

المفجر بمنى — مكان خلف الجبل المقابل لثبير، سمى بذلك لما يجر فيه من الدماء عند ما دارت رحى الحرب بين قصى وشيعته وبين بنى الغوث بن أدّ بن طابخة ويقال لهم صوفة وذلك بسبب تقدّم الأولين الى رمى جمرة العقبة قبل بنى الغوث . وبهـذا المكان مجرى قناة عين زبيدة وقد أقيم عليه آلة بخارية قوتها ثمـان خيول لتوصيل المـاء فى أنابيب الى ميدان منى إذ يحول الجبـل بين المجرى والميـدان ، وبواسطة الأنابيب يصعد المـاء الى الجبل ثم ينزل فيها الى وادى منى ويصب فى أحواض أعدّت له هناك ليشرب منها الحجاج ؛ وهـذه الآلة أحضرها أحد أغنياء الهند كما سمعت ورتب لهـا مايكفيها من الفحم والشحم والزيت وأجور العمال ؛ وإن ممـا يذكر مقرونا بأشدّ الأسى أن هـذه الآلة وقف عملها لأن أيدى الطامعين تصل الى ما أعدّ لهـا ولإدارتها وترتب على ذلك غلو المياه حتى أن القربة من المـاء بيعت فى سـنه ١٣٢١ هـ . بثلاثة قروش ونصف صحيحة ، ويتغنى الأعراب الذين يبيعون المـاء بالنشيد الآتى :

رأيت المـا * فى سـوق منى * بيعـا وشرا
حتى آن اللاش[1] * ما يـرد المـا

وترى فى اللوحة ٧٩ الآلة البخارية والطريق اليها والجبـل المجاور لهـا ومجرى القنـاة .

منى موطن توحيد — كانت منى فيما سلف منصوبة فيها الأصنام فنصب بها عمرو بن لحى سـبعة أصنام منها واحد بين مسجد منى والجمرة الأولى على بعض الطريق، وثان على الجمرة الأولى ، وثالث على المدعى ، ورابع على الجمرة الوسطى ، وخامس على شفير الوادى ، وسادس وسابع على الجمرة الكبرى (جمرة العقبة) وقسم على هذه الأصنام حصى الجمار التى هى إحدى وعشرون حصاة ، فيرمى كل وثن منها بثلاث حصيات ، ويقـال للوثن حين يرمى ، أنت أكبر من فلان — يعنى الصنم

(١) اللاش : البخيل .

الذى قبله — فلما أن جاء الاسلام قضى على عبادة الأصنام واستبدل بها عبادة الله وحده وذكره ﴿ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَى وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

حكم البناء بمنى — أخرج أحمد بن حنبل فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله ألا تبنى لك بمنى بيتا أو بناء يظلك من الشمس فقال لا إنما هو مناخ من سبق . وأخرجه أبو داود عن أحمد بن حنبل والترمذى قال ابن عساكر بعد إخراجه لهذا الحديث : مفهوم هذا الخطاب يدل على أنه لا يجوز إحياء شىء من مواتها ولا تملك جهة من جهاتها بل هى للناس سواء ، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ على القول بأن الضمير يرجع للحرم .

الحصيات بمنى ورفعها — روى الأزرقى فى تاريخه عن جدّه قال : حدّثنى يحيى بن سليم عن ابن خيثم عن أبى الطفيل قال : قلت ياأبا الطفيل هذه الجمار ترمى فى الجاهلية والاسلام كيف لا تكون هضابا تسدّ الطريق ؟ قال : سألت عنها ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : إن الله تعالى وكل بها ملكا فما تقبل منه رفع وما لم يتقبل منه ترك ، وكذلك روى الأزرقى فى رفع المتقبل منه عن ابن عمر وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما . وروى المحب الطبرى عن أستاذه شيخ الحرم ومفتيه أنه شاهد ارتفاع الحجر عيانا ، ومع أن هذه الأقوال صادرة عن غير معصومين لسنا ملزمين بأن نعتقد اعتقادهم فانا راجعنا فى كتب الرجال أسانيدها التى ذكرها الازرقى فلم نجد لها سندا صحيحا .

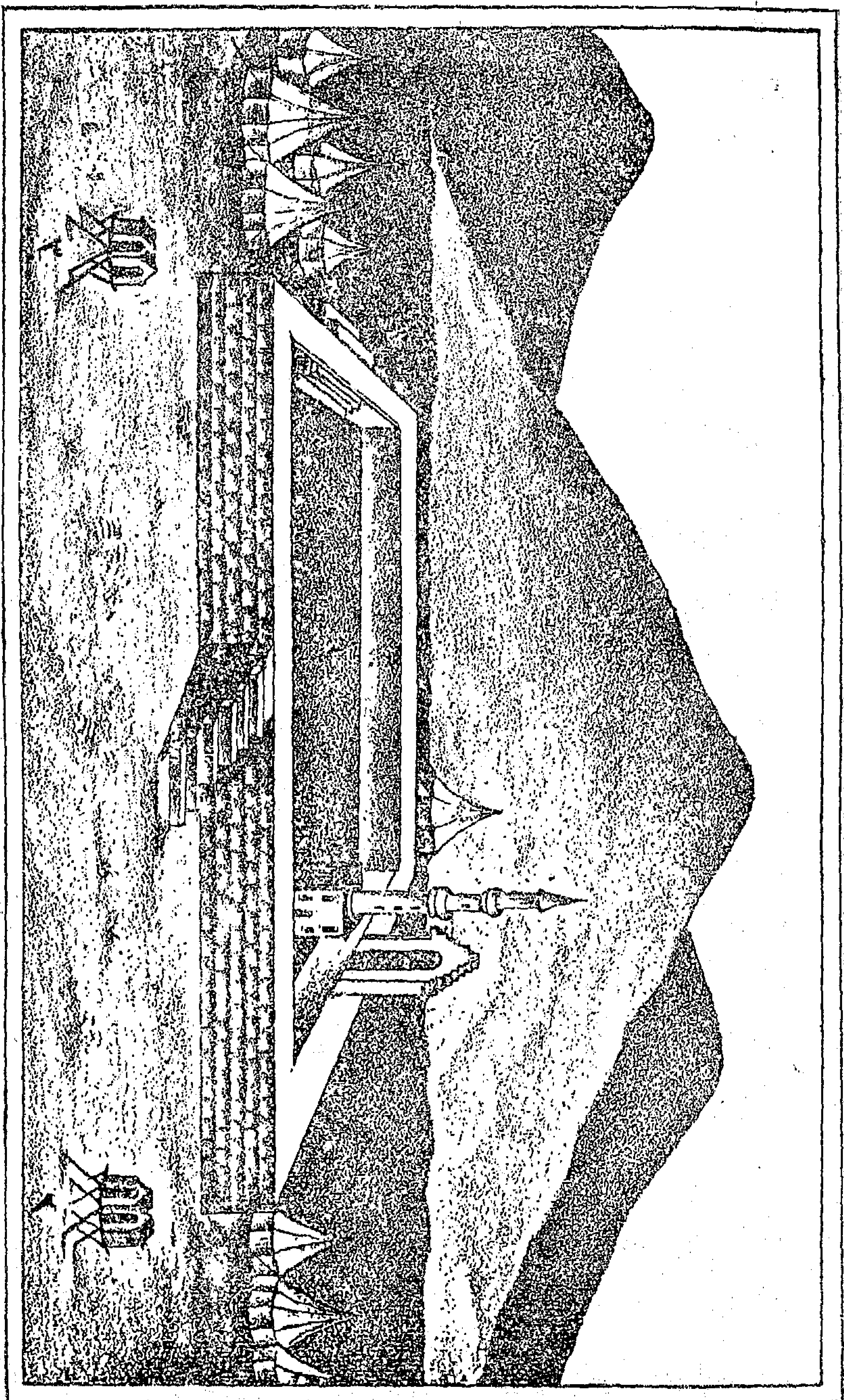
المزدلفة

المزدلفة الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله والمبيت فيه بعد دفعه من عرفة ليلا وهو بين مأزمى عرفة من جهتها ومحسر من جهة منى ؛ ومأزما عرفة هو الذى يقال له المضيق ، وسميت بذلك لازدلاف الناس اليها : أى اقترابهم ؛ وقيل لمجىء الناس اليها

فى زلف من الليل : أى ساعات ؛ و يقال للمزدلفة جمع سميت بذلك لاجتماع الناس بها ؛ وقيل لاجتماع آدم وحواء فيها ؛ وقيل لجمع الصلاتين بها . وطول المزدلفة من حدّها الذى يلى منى وهو طرف وادى محسر الى حدّ مزدلفة الذى يلى عرفة ، وهو أوّل المأزمين مما يلى المزدلفة ٤٣٧٠ متر ، وبوسط المزدلفة المشعر الحرام الذى يستحب للحجاج الوقوف عنده للدعاء والذكر غداة يوم النحر امتثالا لقوله تعالى ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ واقتداء بنبينا صلى الله عليه وسلم فانه لما أصبح بجمع أتى قزح فوقف عليه وقال : « هـذا قزح وهو الموقف وجمع كلها موقف» أخرجه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح . وهذا المشعر هو المسمى بقزح ، ويقول ابن عمر رضى الله عنهما : المشعر الحرام المزدلفة كلها ومثله فى كثير من كتب التفسير وهذا محمول على المجاز كما ذكره المحب الطبرى . وقد ذكر التقى الفاسى فى كتابه شفاء الغرام صفة البناء الذى على قزح فى سنة ٨١١هـ . فقال : إنه بناء مربع يشبه المنارة عرض كل ضلع من أضلاعه اثنا عشر ذراعا ونصف ذراع بالذراع الحديد إلا أن الجهة الشرقية تنقص ثلث ذراع — ذراع الحديد $56\frac{1}{7}$ سنتيا — وفى أعلاه اثنتان وعشرون شرافة ، وله درج من ظاهره وباطنه ، وعدد الذى من ظاهره ٢٤ والذى من باطنه ٢٠ وارتفاعه فى السماء ثلاثة عشر ذراعا ، قال : وهـذا البناء يقف عليه من يتمكن من الوقوف عليه ومن لا يتمكن يقف بجوار هذا البناء ، وجرت عادة الناس أن يصعدوا من الدرج الظاهرى وينزلوا من الدرج الباطنى . أما الآن فعلى جانبى الطريق جداران ارتفاع كل منهما أربعة أمتار ، وعرضه ثلاثة أمتار والمسافة بينهما ٦٠ مترا ، والمحل الذى يحدّه هذان الجداران هو المسمى فى عرف الناس المشعر الحرام (أنظر المزدلفة فى الرسم ٣٢٧)[1] . وتجد فى أسفل الرسم الشقدف تحت رقم ٢ و ٣

(١) أخذناه عن مرآة مكة التى ألفها بالتركية اللواء البحرى أيوب باشا صبرى العثمانى .

وادي المزدلفة والمشعر الحرام



(رسم ٣٢٧)

وفى المزدلفة بجانب قزح مسجد صغير ذكر الفاسى أنه قصير الحيطان وطوله الى جهة القبلة ستة وعشرون ذراعا إلا ثلث ذراع والمقابلة لها تنقص عنها خمسة أذرع إلا ثلثا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وفى قبلته محراب فيه حجر كتب عليه أن الأمير يلبغا الخاصكى جدّد هذا المكان بتاريخ ذى القعدة سنة ٧٦٠ ه .

وفى سنة ٨٤٢ ه . أمر السلطان جقمق الأمير سيدون بتعمير هذا المسجد . وفى سنة ٨٧٤ ه . فى سلطنة قايتباى أمر أمير مكة الشريف محمد بن بركات بتبييضه . وفى سنة ١٠٧٢ ه . عمره سليمان بك والى جدّة من قبل السلطان محمد .

وهذا المسجد الآن مهدّم بعض جدره ويقف الإمام به فوق أرض مرتفعة فيخطب الحجيج خطبة صيغت منذ مئات السنين فلا تناسب بينها وبين عصرنا الحاضر ولا أثر لها فى القلوب شأن خطبة عرفة وغيرها واذا قارنت بين هذه الخطب وخطب النبيّ صلى الله عليه وسلم بعرفة ومزدلفة ومنى وما تضمنته من الحكم والأحكام والمواعظ والنصائح أدركت سرّ تأخرنا وأننا لا ننتهز الفرص فنبث روح الدين ونوحد بين المسلمين ونربطهم برباط لا ينفصم ، وكان الواجب على ولاة الأمر أن ينبهوا الخطباء الى هذا بل يقسروهم قسرا على تعصير الخطب وأن يجعلوا مع الخطباء مترجمين حتى تسمع كل أمة بلسانها النصح البليغ والوعظ الرقيق ، فتثوب الى ديارها وقد ملئت قلوبها بحب الدين وتمكن فيها الحرص على مصالح المسلمين ولكن لا عجب إن سمعت أمثال هذه الخطب فان خطباءنا من أجهل الناس بالدين وشؤون العمران وأحوال المسلمين إلا قليلا منهم ، فكيف يصفون دواء لايعرفونه لداء يجهلونه فأس الإصلاح رجال عرفوا الدين حق معرفته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخبروا شؤون المسلمين خبرة تامة بل شؤون غيرهم أيضا حتى يأمنوا كيدهم ويسلموا من شرهم هدانا الله الى سواء السبيل .

عرفة

ميدانها وجبالها — على بعد ٢١٤٧٦ متر من باب المعلاة بمكة تجد في طريق الطائف علمين هما حدود عرفة من جهة مكة وهما في الحل بعد العلمين المنصوبين على حدود الحرم بمسيرة ٢٥ دقيقة وعرفة ميدان واسع أرضه مستوية يبلغ نحو ميلين طولا في مثلهما عرضا وتحيط به سلسلة جبال على شكل قوس كبير ويمر بطرفي القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف، وفي شماليه جبل الرحمة المعروف عند الناس بجبل عرفات، وإنما جبل عرفات ما أطاف بهذا الميدان وجبل الرحمة أصغر جزء فيه ويبلغ ارتفاع هذا الجزء ثلاثين مترا وطوله نحو ٣٠٠ متر، وفي متوسط ارتفاعه مستو طوله ١٥ مترا في عرض ١٠ أمتار به مسجد إبراهيم كما يقولون، وفي قنة الجبل مستو واسع مبلط في وسطه مصطبة في ركنها الغربي علم مبني كأعلام الحرم يعلق به جملة مصابيح يهتدي بها الناس ليلا الى موطن الجبل، وقد تقدم تفصيل بعض ذلك في ص ٤٤ من الرحلة، وبهذا الميدان يخيم الحجاج أيام عرفة وبه جملة مساجد وعدة أحواض وسوق، ومجرى عين زبيدة يطيف بالميدان كما تطيف الجبال، وقد قدمنا لك ذكر الأحواض ووصفها بالتفصيل ومقاسها في الرسم (٧٧) وفي ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وكذلك تكلمنا على مجرى عين زبيدة بعرفة وذكرنا الكتابات التي وجدناها بجبل الرحمة دالة على العمارات المختلفة في ص ٢١٤ و ٢١٥ وذكرنا أيضا ما نقدناه هنالك من النظام والأعمال فلا داعي لذكره فارجع اليه ان شئت .

عرفة موقف — لا يقوم الحج إلا بالوقوف في عرفة تاسع ذي الحجة بعد الزوال، وكل عرفة موقف إلا بطن عرنة كما قضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبطن عرنة ما بين العلمين اللذين هما على حدود الحرم والعلمين اللذين هما حد عرفة من جهة مكة، وعرفة تطلق تارة على ما يشمل بطن عرنة وتارة على الموضع الذي يجزئ فيه الوقوف فقط، ويدل على الاطلاق الأول استثناؤها من عرفة كما جاء في الحديث .

وقد حرّر القاضي عز الدين بن جماعة في منسكه موقف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفات فقال : اجتهد والدى تغمده الله برحمته فى تعيينه وجمع فيه بين الروايات فقال : إن الفجوة المستعلية المشرفة على الموقف وهى من ورائه صاعدة فى الرابية وهى التى عن يمينها، وورائها صخرتان متصلتان بصخر الجبل المسمى جبل الرحمة، وهذه الفجوة بين الجبل المذكور والبناء المربع عن يساره وهى الى الجبل أقرب بقليل بحيث يكون الجبل قبالة الواقف اذا استقبل القبلة ويكون طرف الجبل تلقاء وجهه، والبناء المربع عن يساره بقليل، قال التقى الفاسى بعد أن حكى ذلك عن ابن جماعة : البناء المربع المشار اليه هو الذى يقال له بيت آدم بعرفة وكان سقاية للحاج أمرت بعملها العجوز والدة المقتدر العباسى على ما هو مكتوب فى حجر فى حائطها القبلى . اه .

مسجد نمرة — على مسيرة ٢٠ دقيقة من جبل الرحمة تجد علمين يمرّ من بينهما الحجاج وهما على حدود عرفة من جهة مكة ومبنيان بعيد أحدهما عن الآخر، ارتفاع كل منهما خمسة أمتار فى عرض ثلاثة، وعلى مسيرة ١٥ دقيقة جنوبى هذين العلمين اللذين تراهما فى الخريطة (٧٨) تجد مسجد نمرة ويسمى مسجد عرنة وجامع إبراهيم ومصلى عرفة وهو جامع كبير طوله ٩٠ مترا فى عرض ٨٠ أحاطت به الأروقة من جميع جوانبه وله محراب يرتفع ثلاثة أمتار وعرضه ١,٥ متر ويدخل فى الحائط نحو متر وله منبر بدرجات عشر وارتفاعه متران ونصف والمياه تصل اليه من مجرى عين زبيدة أيام عرفة، والحجاج يجمعون فى هذا المسجد بين صلاتى الظهر والعصر جمع تقديم يوم عرفة، وقد جمع بينهما النبي صلى الله عليه وسلم فى بطن عرنة كما تقدّم فى حجة الوداع، وهذا المسجد يرجع إنشاؤه الى العقد الخامس بعد المائة، وقد عمر فى عصور مختلفة فمن ذلك عمارة للسلطان جقمق فى سنة ٨٤٣ هـ . على يد الأمير سيدون وعمارة للسلطان قايتباى سنة ٨٧٤ هـ . جعل فيه رواقين وعمر فى سنة ١٠٧٢ هـ . فى زمن السلطان محمد على يد سليمان بك والى جدة . انظر المسجد (فى الرسم ٤٣) وتجد فيه الأروقة والحجاج بلباس الإحرام رجالا ونساء .

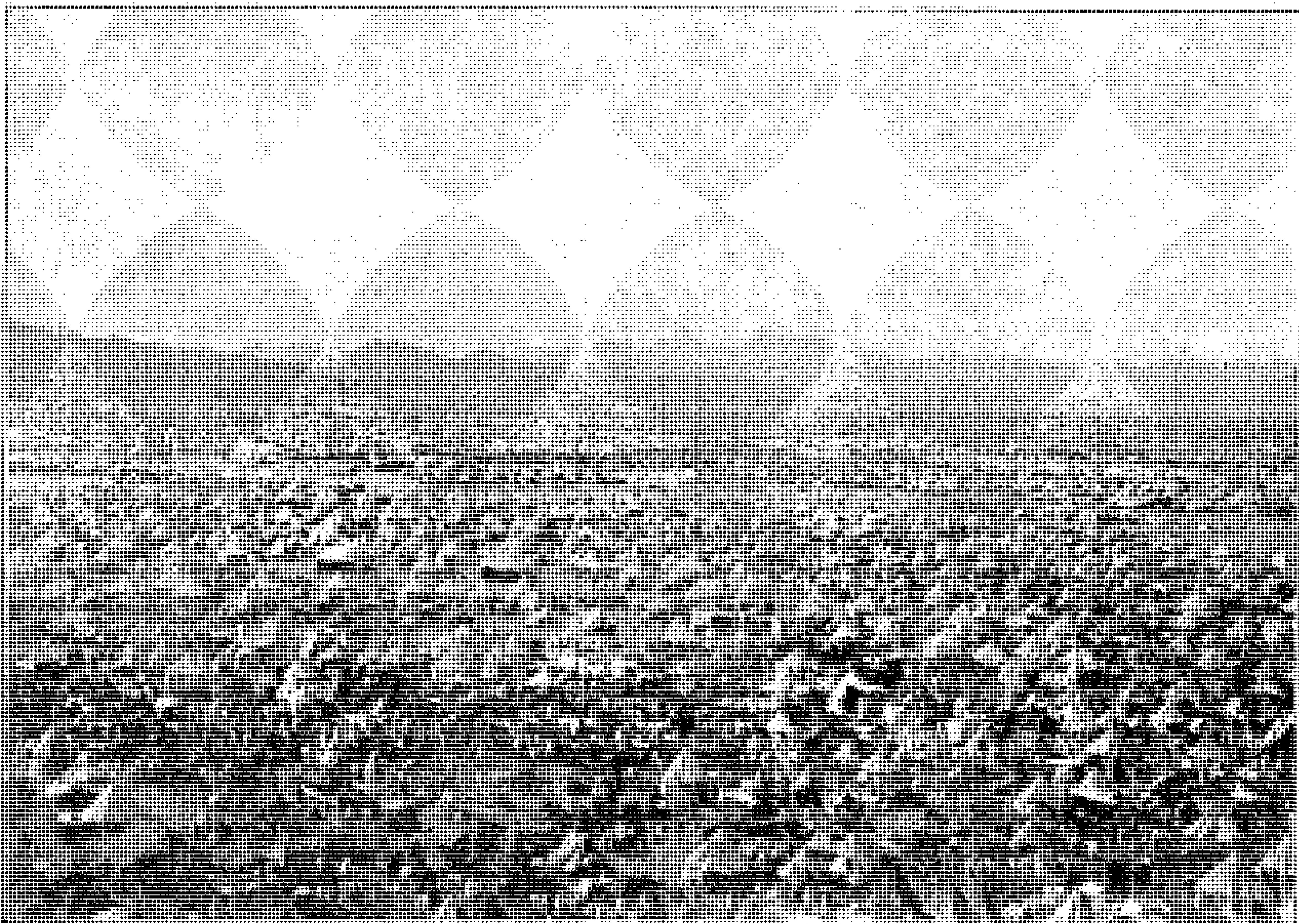
الحجاج بخيامهم بعرفات مع الصخرات



129. Photo of the pilgrims in Arafat.

صحيفة ٣٣٧

معسكر الحجاج بعرفات من الجهة الشرقية وبه جبل الرحمة



130. Camp of Pilgrims from the Eastern side & Rahma Mountain.

مسجد الصخرات — هذا المسجد أسفل جبل الرحمة وهو مسجد صغير زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى مكانه وسمى بذلك لأن بأرضه صخورا كبيرة بعضها الى جانب بعض . انظر جدره المهدّمة فى الشرق الجنوبى (للرسم ٤٢) .

سوق عرفة — يوجد بعرفة سوق كبير جدا يباع فيه كافة أنواع المأكولات وهو قريب من جبل الرحمة المشهور بجبل عرفات انظر (فى الرسم ١٢٨) السوق وترى به القصابين قد علقوا اللحوم فى حبال مدت بين أعمدة من السنط أو السلم والخط الأبيض الذى فى شمالى الرسم مسجد نمرة .

مناظر الحجاج فى عرفات — تجد (فى الرسم ٤٤) الحجاج على جبل الرحمة وذلك فى تاسع ذى الحجة سنة ١٣٢١ وهذا المنظر أخذته وأنا بالموقف تحت الجبل وترى أعلى المحمل «بيرقه» ظاهرا به ، وفى نهايته «الرمانة» يخيل الى الناظر أنها رجل فوق الجبل وترى الخطيب بلباس أبيض وقد أمسك بيده كتابا يقرأ منه الخطبة ، والوجه الكبير البارز بالصورة وجه الشيخ محمد أبى النور نجل الشيخ طموم الكبير صهرنا وكان حاملا آلة الرسم وإنك لتشاهد الحجاج ملؤا ظهر الجبل حتى لم يدعوا به موضع قدم وهم من أجناس مختلفة ينطقون بلغات شتى يجأرون جميعا الى الله أن يغفر لهم ما أسلفوا ويوفقهم الى عمل ما فيه السعادة لهم فى أولاهم وأخراهم .

وتجد فى (الرسم ١٩٢) خيام الحجاج بجانب الصخرات التى بجوار جبل الرحمة وترى فى الرسم رجلا راكعا نصفه العلوى بلا رداء والخيام التى فى أعلى الرسم فيها عساكر الدولة الذين هم حرس للشريف والوالى .

وفى (الرسم ١٣٠) مخيم الحجاج بميدان عرفات فى سنة ١٣٢٠ ه .

وكذلك (الرسم ٧٦) وتجد به حوضا من ضمن الحياض التى بالميدان وهو الحوض الخاص بركب المحمل الشامى وقد قدمنا لك وصفه فى الكلام على عين زبيدة .

الطريق من مكة الى عرفات ومشاعر الحج فيه

الطريق بين مكة وعرفات واد بين جبال تكتنفه من الجانبين تارة تتباعد وأخرى تتقارب ، وللوادى فى مواضع تنائيها وتدانيها أسماء مختلفة تعلق بكثير منها بعض أعمال النسك فعند خروجك الى مكة من جهة المعلاة تجد على يمينك جبلا يسمى الحجون قد أشرف على مقبرة المعلاة فيه قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب أو الحجون الجبل الذى بحذائه قال الشاعر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

والحجون حدّ المحصب من جهة مكة وحدّه الآخر من جهة منى مكان به سبيل يسمى سبيل الست ، والمحصب جزء من الطريق الى منى وهو مسيل للماء وسمى بذلك لأن السيل يجمع فيه الحصى وهى الحصا الصغير ، وبالمحصب نزل النبى صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من منى ولهذا يستحب للحاج النزول فيه أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم والمسافة من باب بنى شيبة الى سبيل الست الذى هو حدّ المحصب من جهة منى ٧٥٠٠ ذراع بذراع اليد على ماقدّره الفاسى وذلك ٣٦٧٥ مترا باعتبار الذراع ٤٩ سنتيا على ما حققناه من كلام الفاسى — وبما أن المسافة من باب بنى شيبة الى باب مقبرة المعلاة ٢١٢٧ ذراعا بذراع اليد أى ١٠٤٢ مترا تقريبا فالمسافة بين باب المعلاة وسبيل الست ٢٣٨٧ مترا أى طول الوادى الوسيع المسمى بالمحصب ، ويطلق المحصب على الموضع الذى ترمى فيه الجمار لأن به ترمى الحصباء وهى الحصى الصغير، قال عمر بن أبى ربيعة

نظرت اليها بالمحصب من منى * ولى نظر لولا التحرج عازم
فقلت أشمس أم مصابيح بيعة * بدت لك تحت السجف (١) أم أنت حالم
بعيدة مهوى القُرط إما لنوفل * أبوها وإما عبد شمس وهاشم
ومدّ عليها السجف يوم لقيتها * على عجل تباعها والخوادم

(١) الستر .

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا * عشية رحنا وجهها والمعاصم
اذا ما دعت أترابها فاكتنفنها * تمايلن أو مالت بهن المآكم[1]
طلبن الصبي حتى اذا ما أصبنها * نزعن وهن المسلمات الظوالم

و بعد سبيل الست يضيق الوادى وعلى بعد ٣١٢٠ مترا من السبيل تجد على يسارك جمرة العقبة وهى حدّ منى من جهة مكة فالمسافة بين باب المعلاة بمكة وأوّل منى ٥٤٠٧ مترا ، وتجد على مقربة من جمرة العقبة فى شعب على يسارك مسجد البيعة فى المكان الذى بايع فيه الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة عمه العباس. ومن جمرة العقبة يتسع الوادى اتساعا كبيرا فيكوّن ميدانا فسيحا عرضه من مؤخر مسجد الخيف الذى يلى الجبل الى الجبل المقابل له فى الناحية الأخرى ٦٣٧ مترا ويضيق عن ذلك ويتسع ، وطوله من جمرة العقبة حتى نهاية وادى محسر من جهة المزدلفة ٣٥٢٨ مترا ، وهذا الميدان هو المسمى بمنى يشقه طريق من الغرب الى الشرق فى أوّله جمرة العقبة التى يرميها الحاج بالحجارة فى يوم النحر وأيام التشريق ، وتليها الجمرة الوسطى على بعد ١١٦,١٧ مترا وتليها الجمرة الأولى على بعد ١٥٦,٤٠ مترا من الثانية ، والجمرتان الأخيرتان فى وسط الطريق وترمى بالحجارة فى أيام التشريق فقط ، والجمار أعلام منصوبة لبيان موضع الرمى وهى أشبه بالأعمدة وقد تقدم لك وصفها ورسمها فى منى ، ومساكن منى بجوار هذه الجمار على جانبى الطريق ، وبمنى ينحر الهدى ويبيت الحجاج ليالى التشريق ويتحللون بعد الحلق أو التقصير عقب النحر يوم الأضحى وقد قدمنا لك قريبا وصفها تفصيلا وفى آخر منى يضيق الوادى ويسمى فى مضيقه وادى محسر الذى يستحب للحاج الاسراع فيه ، والمحسر — بصيغة اسم الفاعل مع تشديد السين — من الحسر وهو كشطك الشيء وكشفك إياه ، يقال : حسر عن ذراعيه ويجوز أن يكون من الحسر بمعنى الاعياء يقال : حسرت الدابة والعين اذا أعيت ويتسع الوادى بعد انتهاء وادى محسر فى مسافة طولها ٣٨١٢ مترا تنتهى الى المأزمين والوادى فى هذا الاتساع يسمى

(١) جمع مأكم أو مأكة بفتح الكاف وتكسر وهى لحمة على رأس الورك .

المزدلفة وعلى مقدار ٢٥٤٨ مترا من أوّله من جهة المحسر المشعر الحرام أو قزح الذى يقف فيه الحجاج غداة يوم النحر للدعاء ، وعلامته جداران هنالك واحد عن اليمين وآخر عن الشمال ؛ وفى المزدلفة يبيت الحجاج ليلة النحر بعد أن يدفعوا من عرفة ويجمعون فيها بين المغرب والعشاء جمع تأخير (انظر ما تقدم فى المزدلفة) والوادى من نهاية المزدلفة يضيق الى ٥٠ مترا عرضا ويمتدّ على بعد ٤٣٧٢ مترا ، أى الى العلمين اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفة وهما بناءان أشبه ببنائى المشعر إلا أنهما أصغر منهما والمسافة بينهما مائة متر ؛ والوادى فى هذه المسافة يسمى المأزمين أو طريق المأزمين أو المضيق بين مزدلفة وعرفة وسمى بالمأزمين لأن الجبلين اللذين بينهما الوادى يسمى كل منهما مأزما ويقول أهل اللغة . المأزِم الطريق الضيق بين جبلين وفى أول المأزمين على يمين الميمم عرفة طريق آخر اليها أخصر من طريق المأزمين يسمى طريق ضب يستحب للحاج أن يسلكه اذا توجه الى عرفة صباح يومها كما يستحب له أن يسلك طريق المأزمين اذا أفاض من عرفة ، وبانتهاء المأزمين ينتهى الحرم من جهته الشرقية ويبتدئ وادى عرنة الذى يتجنب الحاج الوقوف فيه يوم عرفة وهو ضيق فى أوّله وينتهى بوسع كبير وطول هذا الوادى من العلمين المحددين للحرم الى العلمين الآخرين المحددين لعرفة من جهة المزدلفة ١٥٥٣ مترا ، وهذان العلمان بناءان بعيد أحدهما عن الآخر ارتفاع الواحد منهما خمسة أمتار وعرضه ثلاثة ، وفى جنوبى هذين العلمين على بعد ربع ساعة مسجد نمرة الذى قدمنا لك وصفه كما قدمنا لك قياس عرفات والكلام على ما فيها من الآثار فأغنانا عن الإعادة ، وعلى ذلك فبعد المواضع التى بهذا الطريق كما يأتى :

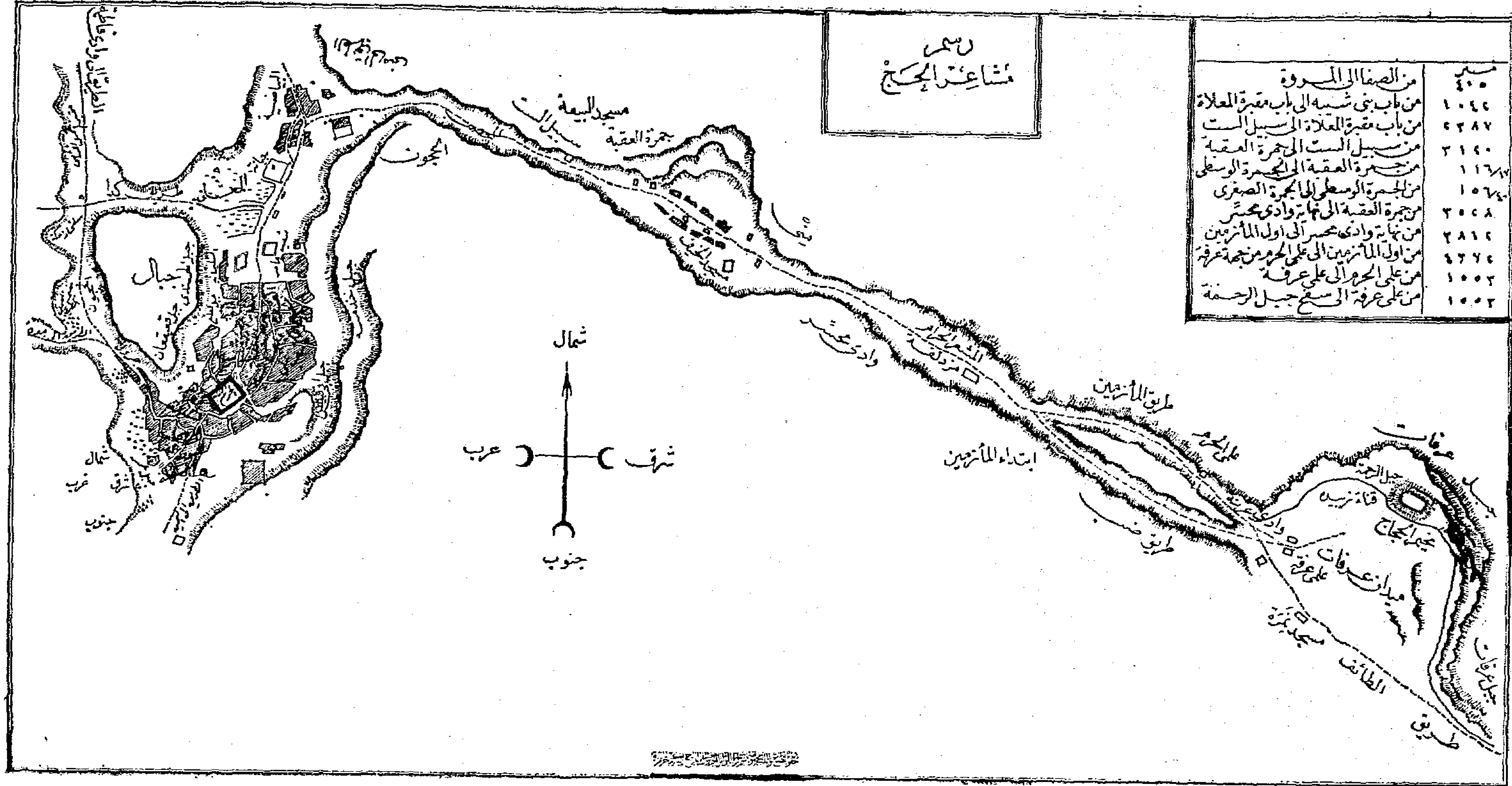
متر	
١٠٤٢	من باب بنى شيبة الى باب مقبرة المعلاة .
٢٣٨٧	« « المعلاة الى سبيل الست : أى طول المحصب .
٣١٢٠	« سبيل الست الى جمرة العقبة .
٣٥٢٨	« جمرة العقبة الى وادى محسر : أى طول منى .
١٠٠٧٧	نقل بعده

متر	
١٠٠٧٧	ما قبله
٣٨١٢	من نهاية وادى محسر الى أوّل المأزمين : أى طول المزدلفة .
٤٣٧٢	« أوّل المأزمين الى العلمين المحدين للحرم : أى طول المأزمين .
١٥٥٣	« أوّل العلمين المحدين للحرم الى العلمين المحدين لأول عرفة من جهة مكة : أى طول وادى عرنة .
١٥٥٣	من أوّل علمى عرفة الى سفح جبل الرحمة وهذه المسافة الأخيرة ذكرناها بالتقريب بخلاف ما سبقها .
٢١٣٦٧	المسافة بين باب بنى شيبة شرقى المسجد الحرام وجبل الرحمة بعرفة (١) .

وقد قطعنا هذه المسافة فى ٥ ساعات و ٣٥ دقيقة فيكون ما قطعناه فى الساعة تقريبا أربعة كيلو مترات (انظر رسم المشاعر فى الخريطة ١٣١) .

التنعيم ومساجد عائشة — التنعيم حدّ الحرم من جهة المدينة وهو فى شمال مكة الغربى وقد قدّمنا أن المسافة بينه وبين باب العمرة ٦١٤٨ مترا وقد قطعنا الطريق بين معسكرنا بالشيخ محمود وهذا المكان فى ٤٠ دقيقة بسير الخيل المعتاد (٤ أميال فى الساعة) ويقطعه الماشى فى ساعة ولا يحتاج الى دليل لكثرة المارين به من الحجاج من الفجر إلى ما بعد الغروب ولأن به أعلاما منصوبة أشبه بالأعلام التى بحدود الحرم والطريق سهل رملى تحفه الجبال من الجانبين وبه آبار كثيرة وفيه تباع المأكولات والقهوة والشاى .

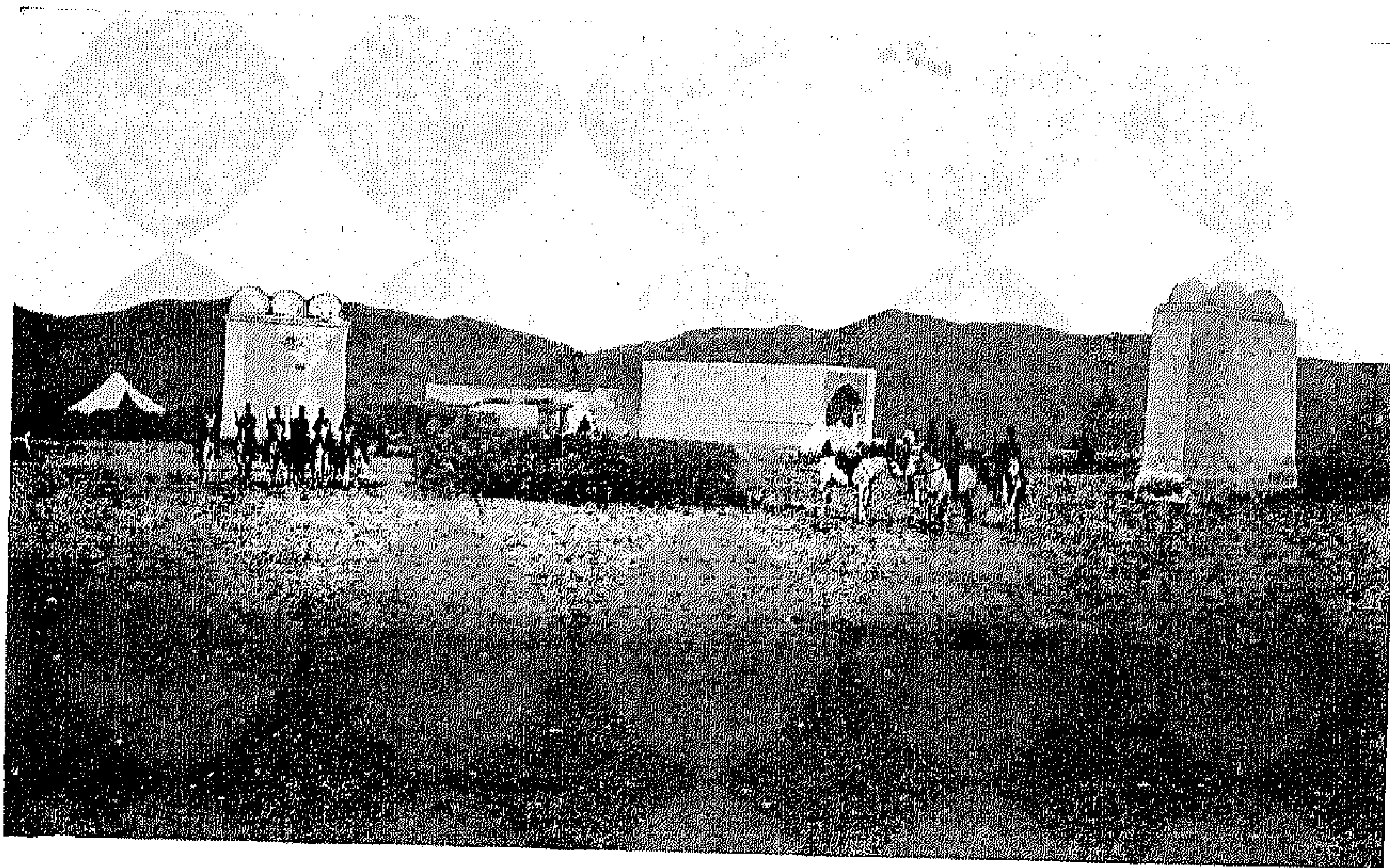
(١) اعتمدنا فى ذكر هذه المسافات على ما ذكره التقى الفاسى فى كتابه شفاء الغرام والأزرقى فى كتاب تاريخ مكة والمسافة مذكورة فيهما بذراع اليد وتارة بذراع الحديد المستعمل فى قياس القماش بمصر فى عهد الفاسى بعد القرن الثامن وقد استنتجنا مقدار ذراع الحديد من قياس الفاسى لجدر الكعبة ومقارنته بقياسنا لها ولم يحصل فى جدرها تغيير من عهد الفاسى الى الآن فكان ذراع الحديد ١/٧ ٥٦ سنتيا ورأينا الفاسى قاس بعض الأماكن بالذراعين الحديدى واليدوى فاستنتجنا مقدار ذراع اليد فاذا هو ٤٩ سنتيا تقريبا ولا يخفى عليك أن تقدير المسافات فى هذه الأمكنة محتمل للنقص والزيادة باعتبار ما فى الأرض من نشوز وانخفاض واستقامة وانثناء فان رأيت مخالفا فلا تنكر فنشأ الخلاف ما ذكرنا .



مسير	
٤٠٥	من الصفا الى المروة
١٠٤٢	من باب بني شيبة الى باب مقبرة المعلاة
٢٣٨٧	من باب مقبرة المعلاة الى سبيل الست
٣١٢٠	من سبيل الست الى جمرة العقبة
١١٦ ١/٢	من جمرة العقبة الى الجمرة الوسطى
١٥٦ ٣/٤	من الجمرة الوسطى الى الجمرة الصغرى
٣٠٢٨	من جمرة العقبة الى نهاية وادي محسر
٢٨١٢	من نهاية وادي محسر الى اول المأزمين
٤٣٧٢	من اول المأزمين الى علمي الحرم من جهة عرفة
١٥٥٣	من علمي الحرم الى علمي عرفة
١٥٥٣	من علمي عرفة الى سفح جبل الرحمة

(الخريطة ١٣١)

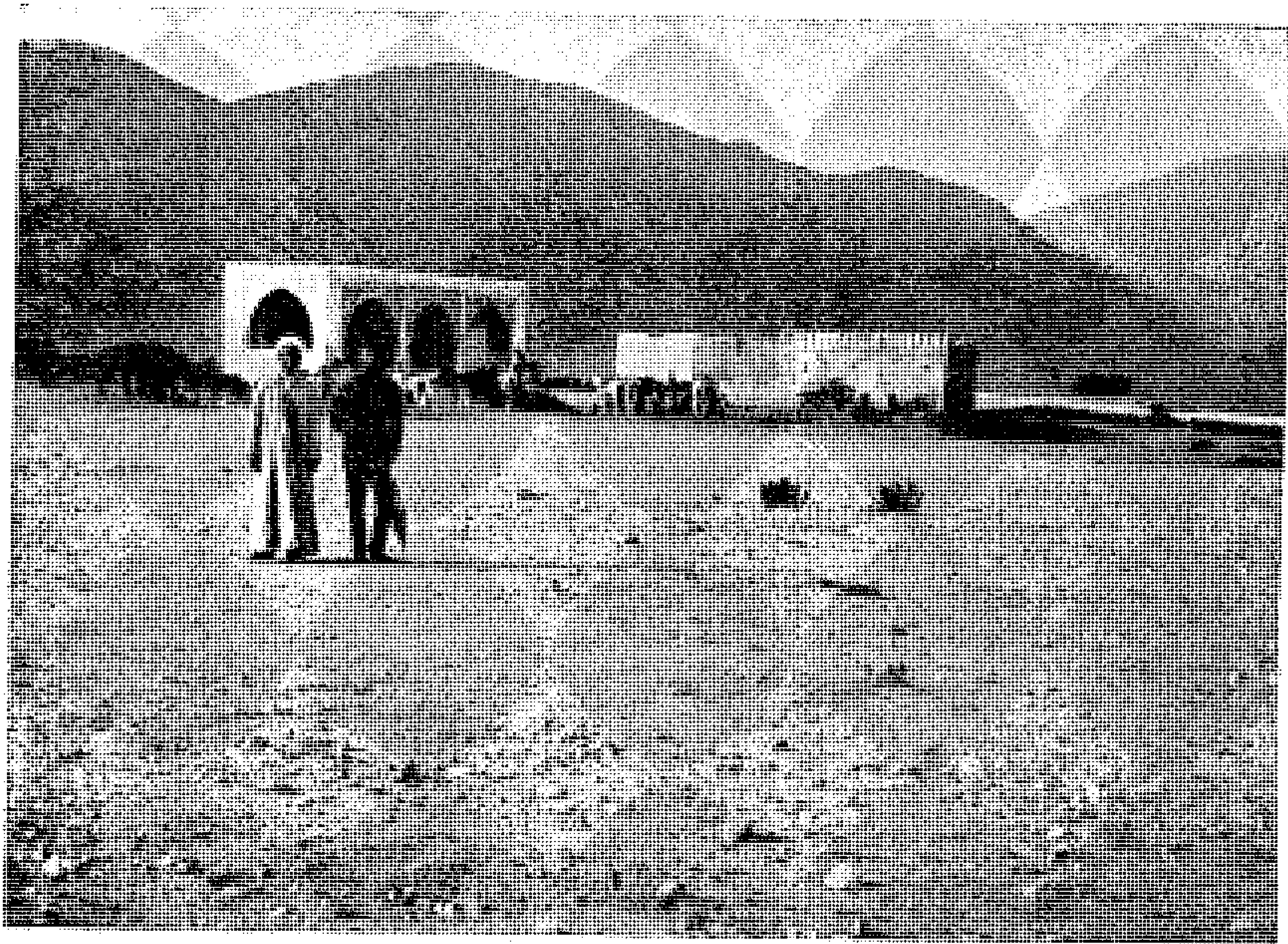
علما العمرة



132. The two posts of Al-Umrah (two columns limiting the sacred Territory

صحيفة ٣٤٣

مسجد السيدة عائشة وعلما العمرة



33. Mosque El-Sayyida Eishah and the two posts of Al-Umrah.

وقد أقيم عنـد التنعيم علمـان يفصلان الحل من الحرم ارتفاع كل منهما ستة أمتار، وعرضـه ثلاثة وهما مبنيان بالحجر والملاط الجيد والذى بناهما محمد أو أحمد ابن المقتـدر الراضى بالله سنة ٣١٥ هـ . (انظر رسمهما فى الشكل ١٣٢) وبجوار هـذين العلمين مسجد عائشة الذى أقيم فى مكان إحرامها بالعمرة بعد أن حجت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وطول هذا المسجد ١٦ مترا فى عرض ١٥ وارتفاعه ٤ أمتار ومكتوب فى محرابه بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ هذا مسجد السيدة عائشة رضى الله عنهـا مجدّده السلطان محمود فى أوّل جمادى الثانية سنة ١٠١١ هـ . وممن عمر هذا المسجد عبد الله ابن محمـد بن داود العباسى أمير مكة ثم العجوز والدة المقتدر العباسى ثم زوج الملك المنصور صاحب اليمن سـنة ٦٤٥ هـ . على ما ذكره التقى الفاسى وكـذلك عمره محمود بك والى جدة بصفة تكة مرتفعة وهى باقية الى الآن وذلك سنة ١٠١٢ هـ . كما ذكره السنجارى (انظر غربى الرسم ١٣٣) وخلف مسجد عائشة حوض أعد لخزن المياه طوله ٢٤ مترا ، وعرضـه ١٩ مترا ، وعمقه ثلاثة وسطحه مواز لسطح الأرض بنى بالحجر والملاط الجيد، وفى كل من جهتيه الشمالية والجنوبية سلم يوصل الى قاعه ويتكوّن من سبع درجات وبأعلى الجهة الشرقيـة من الخزان حجر سطر به تاريخه غير أنه مقلوب الوضع لم أتمكن من قراءته وحول الخزان آثار بناء قديم، وهناك أيضا صهريج كبير كان يمتلئ من السيول ويتوضأ منه المعتمرون وهذا الصهريج قديم، ولمـا حج سنان باشا الوزير المجاهد فى سنة ٩٧٨ هـ . اعتمر من التنعيم فرأى هـذا الصهريج خاويا ورأى ما يعانيه المعتمرون فى حمل المـاء من مسافات بعيدة ليشربوا منـه ويتوضئوا فحركته الشفقة الى بئر قديمة هنالك تبعد عن الخزان بنحو مائتى متر قـد ملأها التراب فأمر بإصلاحها وأقيمت هنالك ساقيـة ومجرى مرتفع مقدار قامة يجرى المـاء فيه من البئر الى هـذا الصهريج الذى عمره الوزير المذكور والى الخزان السابق الذى أنشأه وجعـل للقائم بنزح الميـاه أجرا من ريع أوقاف له بمصر وذلك فى سنة ٩٨١ هـ .

ولقد انتفع الناس من حجيج وسابلة بمياه هذا الصهريج وذلك الحوض أحقابا ولكن أغفلتهما يد العناية فنضب منهما الماء وبدأت يد الدهر تضرب فيهما بمعولها .

وفى غربى الخزان مصلى صغير ارتفاع جدره ٨٠ سنتيا وبه محراب وحجران عن يمين المحراب وشماله مكتوب فى أحدهما حفرا بالخط الكوفى تاريخ سنة ٥٣١ هـ . وما وقف عليه ، وفى ثانيهما بالحفر أيضا كتابة بالخط المغربى لم أتبين رسمها . ونقلت التاريخ فاذا هو سنة ٣٠١ هـ . كما تبينته من حضرة الأثرى يوسف افندى أحمد .

الطائف

كنت أود زيارة الطائف ومشاهدتها وخبرة طرقها حتى أكتب ما أكتب عن مشاهدة ولكن ما تيسر لى ذلك وتيسر للطيب الأثر محمد صادق باشا من ضباط أركان الحرب ومن المهندسين البارعين أن شاهد الطائف وذهب من أحد طريقيه ورجع من الآخر وذكر ذلك بكتابه « دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج » فأذكر ذلك نقلا عنه مع تغيير تقتضيه صياغة الألفاظ وإضافة مايستدعيه المقام مع بيان ذلك . قال طيب الله ثراه وأكرم مثواه :

فى شهر شعبان سنة ١٣٠٤ هـ . حضرت الى مكة لأمر يتعلق بغلال الصدقة فوجدت سعادة الشريف عون الرفيق باشا وسعادة الوالى صفوت باشا عازمين على التوجه الى الطائف فى آخر الشهر لشدة الحر بمكة ودعونى أن أكون برفقتهم فلبيت .

وفى يوم الثلاثاء غرة رمضان الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٨٣ م . قبل الغروب بنصف ساعة خرجنا من مكة ميممين الطائف ومقدار الحرارة ٣٩ درجة (سنتجراد) وبلدة الطائف فى الجنوب الشرقى لمكة ، ولها طريقان يقطع أقصرهما فى ١٨ ساعة فسلكنا الطويلة لسهولتها عن الأخرى فسرنا ٢٠ دقيقة مبحرين مشرقين الى جبل حراء المشهور بجبل النور ونزلنا بجوار ساقية ، وبعد الغروب سرنا وعطفنا يسارا

من بعد جبل النور تاركين منى يمينا سالكين طريق السيل أو « اليمانية » مبحرين مشرقين حتى وصلنا الى « بئر البرود » فاسترحنا فيه قليلا ، ثم سرنا مشرقين ساعتين فى طريق يمثل نصف دائرة ولجنا بعدهما مدخل جبال « السولة » وبعد نصف ساعة استرحنا ببقعة بين الجبال ، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ من ليلة الأربعاء شرقنا فى صعود قليل وبلغنا أعلى الجبل الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ وكان الشريف يركب عربته تارة وتخته أخرى (التخت وعاء تحفظ فيه الثياب ومراده التختروان) وحصانه ثالثة فأمر برجوع العربة الى مكة من هذا المكان لتعذر سيرها فيه من كثرة الحجارة والصخور وعسر الطريق وسرنا فى هبوط مهبط كثرت الأحجار فى منحدره الى مكان فسيح بين جبال ، وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٢٠ من يوم الأربعاء وصلنا بقعة فسيحة بها زروع وجنات تحيط بها الأسوار وفيها نخيل وليمون أزواجا شتى وبعض فواكه لما تنضج وينبوع فى الجبل تحدر منه المياه يسمونه نهرا وهذا المكان يسمى « وادى اليمانية » وقد دخل الركب أحد بساتينه وضربنا الخيام فى ظلال أشجاره واسترحنا بياض النهار وتغدينا وأنسانا عناء السفر ووعثاءه تغريد الطيور من قمرى وشحرور وحمام وزرزور وبلغت الحرارة ٣٧° وبعد الغروب سرنا نحو ساعتين ونصف ومررنا « بالسولة » وفى الساعة ١٢ ليلا نزلنا بمحل متسع به مياه جارية واستظللنا بخيامنا ، وفى يوم الخميس ٣ رمضان الساعة ١٠ رحلنا وسرنا بين صخور مرتفعة وعقبات صعبة حتى الساعة الثالثة والنصف من ليلة الجمعة وبتنا بمحل يقال له « نبيه » أو « كوجك دره » وهناك بئر تسمى « بئر عابد » وكانت الحرارة ٣١° وفى الساعة ١٠ من يوم الجمعة تابعنا السير وبعد مضى نصف ساعة صعدنا الى عقبة حجرية أفضت بنا الى مستو فسيح به أشجار وسرنا الى الجنوب ، وفى الساعة الثانية مررنا « بالجديرة » ، وفى الساعة الرابعة « بأم حمص » ، وفى الساعة السادسة بمحل يسمى الجيم ، وفى س ٧ و ق ٤٠ وصلنا « الطائف » وهى فى صحراء متسعة تحيط بها جبال صغيرة غير منتظمة أرضها صالحة للزراعة لأنها تتكوّن من طين ورمل شديد النعومة ، ويقال للطائف أيضا وادى العباس.

والزمن الذى استغرقناه فى قطع الطريق من مكة الى الطائف ٣٦ ساعة آمتطينا فيها متون الإبل . « وبلدة الطائف » يحيط بهـا سور من اللبن بناه الشريف غالب سنة ١٢١٤ هـ . ليتحصن به ممـا عساه يجد من غدر سعود بن عبـد العزيز الذى حج للمرة الثانية فى سنة ١٢١٥ هـ . وخشيه الشريف على نفسه . وداخل هذا السور ٤٠٠ منزل و ٢٠٠ حانوت وستة جوامع أشهرها جامع عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — حبر الأمة وابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن والمتوفى فى سـنة ٦٨ هـ . وله إحدى وسبعون سـنة وبجواره مقام الطيب والطاهر ولدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبها أيضا سبعة مساجد ودائرة للحكومة ومنزل للمدير ومستشفى للجند ومسلختان وحمـام وقلعة لحبس المجرمين حبس بهـا مدحت باشا الشهير ورفاقه وتوفوا بها، وعدد سكانها ٢٠٠٠ نفس وبيوتها فى أكثر الأشهر خالية من السكان إلا القليـل ولا تعمر إلا فى الصيف حيث يؤمها المكيون فرارا من حرّ مكة وقيظها؛ وبجوار الطائف جنات مثمرة وعيون جارية وقرى آهلة ويوجد خارجها بعيدا عن سورها نحو ٢٥ منزلا بعيدا بعضها عن بعض ومحاطة بالأشجار داخل الأسوار والمنزل منها يتركب من طبقتين فى كل طبقة حجرات ثلاث نفذ بعضها الى بعض، وهذه المنازل لأغنياء مكة خصوصا أميرها والشيخ عمر الشيبى .

وهواء الطائف شديد الجفاف منطاق التيار قرب العصر وتارة فى الصبح وتبلغ الحرارة نهارا ٢٩° وعند الغروب ٣٠° وفى الليل ٢٤° واذا اشتد تيار الهواء لا تنقص درجة الحرارة إلا قليـلا ويصعب السـير خارج المنـازل قبـل الظهر الى العصر ولو بمظلة لأنه يهب على المـار حرارة جافة كحرارة النـار تجعله ضيق الصـدر وإنها لشـديدة الوقع على الأغراب؛ أما المكيون فلشدة الحرارة ببلدهم لا يشعرون بالألم الكبير اذا مروا وقت الظهيرة بالطائف لأنهم مرنوا على هواء السموم حتى أورثهم ذلك نحافة فى الجسم وكسلا فى النفس فيجدون فى هواء الطائف رحمـة لهم بالنسبة لمـا تعودوه من جوّهم المحرق، ويشتكى أهل الطائف أنفسهم من شـدّة الحرارة فى هجـيرى النهار؛ أما الذين اكتنوا بالبيوت فلا يصـل اليهم ذلك الحرّ اللافح لأن

الأبنية تمنع تياره أن يمرّ بها و يطيب للناس الجلوس بعد العصر تحت الأشجار وبساتين الطائف قليلة وأشهرها « الهدة » غربى البلد بثلاث ساعات . ولانتظام درجة الجو دائما بالطائف تنضج فواكهها على الهينة حتى تبلغ غايتها فتكون لذيذة جيدة بخلاف بقاع الحجاز الأخرى ولذا شبهوا الطائف ببلاد الروم ، أما فى الفاكهة فنعم ، وأما فى الهواء فلا ؛ ومن فواكهها الطيبة عنبها لا سيما النوع المعروف بعنب الجاووش والخوخ والرمان خصوصا الملايسى والتين العلبى والبرشومى والتوت الشامى والبرقوق والبلح والليمون وأنواع الخضراوات ، وقد دعانى مرارا الشيخ عمر الشيبى للإفطار بمنزله ورأيت منه ما سرنى من جميل خلقه وحسن لقائه وبشاشة وجهه وكرم نفسه ، ومنزله خارج السور تحيط به جنة من أشجار وأزهار وأعناب مختلفة فيها قناة جارية تأتى من جبل هنالك وتنتهى الى حوض كبير نصطف حوله اذا جنحت الشمس للغروب فتنشرح منا الصدور — وقد وافاه القدر فى سنة ١٣٠٦ هـ . فرحمه الله رحمة واسعة . والسواقى هناك عمقها من ستة أبواع الى تسعة بحسب الأرض و بالمياه مواد كبريتية تمنع رغوة الصابون كما ينبغى وهى سريعة البرودة عند مرور الهواء ، وقيل إنها فى الشتاء تجمد ولو لم ينزل ثلج ودرجة الحرارة بالطائف معادلة لدرجتها بجدة لكن هواء الأولى جاف وهواء الثانية رطب ، والطائف مرتفعة عن البحر بنحو ١٥٤٥ مترو عن مكة بنحو ١٢٦٦ متر و جميع عربان الطائف مطيعون لسعادة الشريف أمير مكة وللحكومة وأغلبهم مقيم بأرض «سفيان» و «ثقيف» .

ولبعضهم عادات وحشية يعتقدونها دينية منها : أنهم لايختنون صبيانهم إلا بعد البلوغ أعنى بعد سنّ خمس عشرة سنة وصفة الختان عندهم أن يسلخوا جلد المختون من أسفل سرته بعرض بطنه الى ثلثى فخذيه مع جميع جلد ذكره وأكثرهم يموت من ذلك و يكون المختون قد خطب له زوجة من قبل فتحضر وقت سلخه وتزغرد تشجيعا له مع ضرب الطبول وهو واقف ثابت يهز خنجرا بيده و يذكر بأعلى صوته بدون تضجر بل بفرح اسمه وألقابه ونسبه حتى تنتهى عملية الختان و إن تأوه كان ذلك عارا عليه ولا ترضى به خطيبته ، وقد بدؤوا فى محو هذه العادة الشنعاء ؛ أما

إناثهم فلا يختن وصفة عقد النكاح عند هؤلاء أن أحد أقارب الزوجة يقول لهـا : زوّجتك فلانا فقط بدون أن يحضر فقيه أو يذكر مهر ونساؤهم لا يستترن عن الرجال، وقد بلغنى عن سـعادة أحمد فيضى باشا « قومندان » الحجاز عامة وكان قد سبق له الخدمة باليمن أنه يوجد بالعسـير قبائل يتركون بناتهـم يختلطن بالرجال حتى يحبلن فيزوّجون البنت ممن حبلت منه وإن لم تحبل فتلك المعرة عندهم . وبمسقط يزوّجون الذكور بالذكور ويحجبونهم كالنساء فى بيوتهم ويخضبون أيديهم ويكحلون عيونهم ويحفون وجوههم وأذقانهم (١) .

(١) ذكرتنى هـذه العادات بعادات أهل سواكن بالسودان ومريوط وسيوه غربى البلاد المصرية. فان العادة فى سواكن اذا ما رغب الشـخص فى الزواج أن تحضر الزوجة ومن فى سنها والزوج وأترابه. ويكشف نصفه الأعلى بطنه وصدره وظهره ويضرب سياطا محدودة على ظهره وبين كتفيه فإن حرك جسمه. من الألم رغبت عنه الزوجة ولو لم يحرك لسانه بكلمة وإن لم يبد ألمـا قبلته بعلا لها ودعاه أترابها «أخا البنات» وفى ليـلة الزفاف يجتمع مع الزوجة سبع من مثيلاتها فى السن يلبسن كلباسها ويسـترن وجوههن ويدخل عليهن الزوج فان ميز زوجته من بينهن دخل بهـا وإن لم يميز أنفق عليهن سبعة أيام ثم يعاد التمييز فان عرفها فبها وإلا أنفق على رفيقاتها سبعة أخرى الى أن تكرر عملية التمييز سبع مرات فان لم يعرف زوجته فى الأخيرة. قدمت اليه والنبهاء من الأزواج يتفقون مع «المـاشطة» لتشير الى الزوجة فيعرفها من بين أترابها . ومن عادة. أهل سواكن أن الزوجة اذا أسدلت على باب حجرتها سترا لا يدخلها الزوج إلا أن ترفعـه وأن البكر إن. حملت من السفاح لا يعار ذلك عليها بل يقول أهلها «رزق جانا نطرده؟» وإن لم تحمل قيل لها «يا وحشة. ماحدّ نظر اليك» والعادة عندهم فى ختان المرأة أن يكشطن مانتأ من الفرج عن باقى الجسم حتى يكون الكل فى مستو واحد وبعد الكشط يضم الفخذان وتربط الرجلان ويوضع فى الفرج عود رفيع كعود القمح تبول. منه البنت فاذا ما تزوّجت فتق بقدر الحاجة فاذا ما أتى الوضع وسع حتى يخرج منه الحمل فتلك ثلاث عمليات جراحية فظيعة .

أما أهل مريوط فالعادة عندهم فى الزواج أن يذهب الخطيب الى الآبار التى ينزح منها المياه بكر النساء. فينتقى منهن من يشاء ويسأل عن أبيها وأين يقيم ويذهب الى خيمته ويخطب اليه ابنته فيدع له الخيمة بعد أن يخليها من أسرته حاشا المخطوبة فيجلس اليها الخطيب بعد أن ينصب بندقيتـه بالباب ويتحادثان ساعات ثم ينصرف وتعود الأسرة الى بيتها ثم يعاود الخطيب ذلك حتى تتوثق بين الخطيبين روابط الألفة والمحبة. فيتزوّجها ولو بعد حملها منه وإن رغب عنها اغترب عن أهلها سنة كاملة ثم يلتجئ الى عظيم ليقدر عليه دية =

وكان الطائف أوّلا مسكن العمالقة ثم آل ثمود ثم بنى ثقيف وكان به زمن الجاهلية صنم اللات تعبده ثقيف من دون الله وكان على صورة رجل يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج، وكان(١) من خبر ثقيف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غزاهم فى سنة ثمان وحاصر ديارهم ولما لم يؤذن له بالفتح رحل عنهم وقال : اللهم اهد ثقيفا وائت بهم فآستجاب الله دعوته وأرسلوا فى سنة تسع ستة منهم وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومه فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى وإنما يريدون بذلك فيما يظهر أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها ، وقد كانوا يسألونه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا

= فان قبل ماقدر و إلا قتل ، و يكفى فى عقد الزواج أن تقدم شاة للخطوبة والمهر عندهم من الجمال والغنم والمعز و يتفاوت بحسب اليسر والعسر وهو حق لأهل الزوجة فان أبت إلا أخذه أقصوها عنهم إن أتت غضبى اليهم من بيت زوجها . وابن العم له السيطرة على بنت عمه فلا تتزوّج إلا برضاه أو تقديم رشوة اليه فان أبى تزويجها عاشت عانسا حياتها .

وفى سيوه يتزوّج الرجال الغلمان و يعاشرونهم كما يعاشرون النساء بل غلام الرجل مقدم على زوجه و يلبس الغلمان قلانس (طواقى) مزركشة وعلى قدر ما فيها من الزخرف يكون تقدير المهور لهم ومعرفة درجتهن فى الجمال والحسن .

وكنا نود أن نربأ بقلمنا عن تدوين هذه المخازى وتسطير تلك الفضائح التى يمقتها كل دين ولا يرضاها إلا الجهل والوحشية والبعد عن أسباب المدنية ولكنا ذكرناها ليتنبه الناس الى واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأنه ما جنى تلك الجنايات على هؤلاء الجهال إلا تقاعسنا عن التعلم والتعليم حتى أصبحنا فى جهالات مظلمة وعادات منكرة .

(١) ملخص من الجزء الأوّل من زاد المعاد ص ٤٥٧

أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة « فلا خير فى دين لا صلاة فيه » .

ولما قدم الطائف أبو سفيان والمغيرة علا هذا اللات وأخذ يضربها بالمعول، وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهالك واهالك، ولما هدمها أخذ ما عليها من الذهب والفضة والجزع .

قال الامام ابن القيم استنباطا من هـذه القصة فى كتابه زاد المعاد : لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعـد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا فإنها شـعائر الكفر والشرك وهى أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة، وهـذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانا وطواغيت تعبـد من دون الله، والأحجار التى تقصـد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القـدرة على إزالته وكثير منهـا بمنزلة اللات والعزى — شجرة سمرة لغطفان كانوا يعبـدونها — ومناة الثالثة الأخرى — صخرة كانت تعبدها هذيل وخزاعة — أو أعظم شركا عندها وبها والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتميت وتحيي وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقـذة — القذة ريش السهم — وأخذوا مأخذهم شبرا بشـبر وذراعا بذراع ، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العـلم فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ فى ذلك الصغير وهرم عليه الكبير وطمست الأعلام واشـتدّت غربة الاسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشـتدّ البأس وظهر الفساد فى البر والبحر بمـا كسبت أيدى الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولأهل الشرك والبـدع مجاهدين الى أن يرث الله سـبحانه الأرض ومن عليهـا وهو خير الوارثين وممن ثبتوا بالطائف الحجاج بن يوسف الثقفى المعروف .

قال صادق باشا : بعــد اقامتى بالطائف جملة أيام رغبت فى العودة الى مكة وأعددت البغال اللازمة للسفر فى صباح يوم الخميس ١٧ رمضان لأنى عزمت على سلوك طريق الكرا الذى لا يصلح للسير فيه سوى البغال، ونبه الوالى على ثلاثة من العسكر أن يكونوا برفقتى الى مكة ، وبعد الظهر ودعت الشريف والوالى. وفى العصر أحضرت البغال ووضعت عليها الأثقال، وفى الساعة العاشرة رحلنا من الطائف منتهجين سبيل الكرا ما بين الشمال والغرب ، وبعــد ربع ساعة دخلنا بين جبال واجتزنا جملة محاجر فأراضى مرملة تحف بها الجبال ذات اليمين وذات الشمال، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ٥٥ صعدنا الى محجر بين جبال حجرية صماء ثم هبطنا الى طريق مستو يسمى "بالجميرات" أوالجبال الحمر، وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٥ صعدنا الى محجر آخر ثم هبطنا ثم صعدنا فوق تلال متعددة ، وبعــد عشر دقائق غرب الطريق، وبعــد ٧ دقائق هبطنا الى أرض واسـعة نزلنا بها بجوار بئر تسمى "بئر العسكر" عذبة المياه صلينا عندها المغرب وتابعنا المسير الساعة ١٢ ونصفا ، وبعــد ٥ دقائق مررنا بمحجر صعب وجملة أخوار، وبعد ١٠ دقائق مررنا بحدائق وبيوت فى "وادى محرم" وفى الساعة ٢ والدقيقة ١٠ نفذنا من عقبة كأداء صعبة المرتقى لعلوها وكثرة أحجارها ولهــذا لا يمكن أن يمر منها إلا فرد فرد ومرور التختروان من هــذا الطريق متعذر، وبعد أن علونا صخورا وانثنى الطريق عدة انثناءات الى الساعة ٣ والدقيقة ١٠ حيث وصلنا "الهده" وهو أعلى الجبل وهناك بيوت وبساتين والفواكه فى هذه الجهة أطيب وألذ من فواكه غيرها لاعتــدال هوائها وارتفاعها عن سطح البحر بنحو ١٧٥٨ متر وبتنا فى مكان متسع مفروش بالأبســطة ، وفى الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ ليلا سرنا راكبين، وبعد ٥ دقائق مررنا بدرب الجمال على اليمين وتركناه لكونه خاصا بسير الإبل، وبعــد ٣ دقائق ابتدأ النزول من الجبل من درب ضيق صناعى غير منتظم كثير الانعطاف ، وفى الساعة ٩ والدقيقة ٤٥ مررنا بعين جارية.

من الجبل تصب فى حوض مبنى وتتدفق منـه الى الصخور ويقال ان هـذا المـاء سريع الهضم جدا وكان هبوط البغال من هـذه البقعة اليافعة حاملة أثقالها من الغرائب لشدّة انحدارها ولولا مهارة البغالة وحذقهم فى تحميل الأمتعة وربطها بحيث يستقر عليها الراكب ولا تضطرب به فى صعود أو هبوط — لأصاب الراكب خطر عظيم إذ يخيل الى الراكب أن البهيم نازل به من سلم مرتفع ولولا قبضـه على رباط البرذعة الخلفى لانكب على الأرض فى كل منحدر ، والخيـل والحمير لا تصلح للركوب فى هـذه الطرق لشدّة الصعود والانحدار وكثرة الأحجار والانعطافات التى تمثل مسير الثعبان — وبهذا الطريق سلك الاشارات البرقية بين مكة والطائف — وفى الساعة ١١ مررنا بماء جار عذب ، وفى الساعة ١١ والدقيقة ٢٥ اجتمع الدربان وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٤٨ وصلنا "الكرّ" — آخر صعوبة فى الجبـل — وهناك ماء عذب جار وعرب راعيـة نساؤهم لابسات قمصا سوداء من صوف أو غيره ويغطين رؤوسهن بخمر سوداء تثنى الى الخلف وتظل الأعين تسمى "بيرام" ويسترن الفم مع العنق فقط دون الوجه ، وبعد أن مكثنا قليلا لتصليح الأحمال سرنا وكانت الساعة واحدة وربعـا من يوم الجمعة وكان السير بانحـدار خفيف ، وفى الساعة ١ والدقيقة ٤٨ وصلنا الى آخر الجبل المسمى "بوادى خريف الرأس" وفى الساعة ٢ والدقيقة ٢٥ نزلنا بقعة مرملة تحيط على الجبال فملنا نحو الجنوب الغربى ، وفى الساعة ٣ والدقيقة ١٠ وصلنا قهوة "شـدّاد" وهذه القهوة إحدى قهاو ثلاث بهذا الوادى ساقنا اليها البغال لينتفع من صاحبها وهى مركبـة من أربعة أخصاص متفرقة قطر الواحد منهـا ثلاثة أمتار ونصف فى ارتفاع متر ونصـف بأحدها أسرة القهوى والباقيات للمسافرين والدواب ، ولمـا لم يمكننا الجلوس بها من شـدّة الحر وتعرّض أبوابها للهب السموم عرض علينا القهوى خصه بعد أن أخلاه من أسرته فوجدنا به بعض الأثاث ودجاجا بعضـه قائم يلتقط الحب وبعضـه مفترش بيضه ففرشنا

السجادات فى الجهـة الخالية ولبثنا ننتظر زوال القيلولة مع سمومها والفراخ تكأكئ وتنبعث منها رائحة بشعة والنصب ململ الأعضاء وساعده القيظ ، وفى الساعة ٩ انتحينا ناحية الجنوب الغربى ، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ وصلنا "وادى النعمان" وعلى اليمين مبدأ بناء مجرى عين زبيده ثم بعد مدة غربنا فى طريق واسع بين جبال وهو صالح لسير العربات من مكة الى ابتداء وادى نخريف الرأس ، وفى الساعة ١١ والدقيقة ٨ وصلنا قهوة عرفات وبجوارها عساكر ضبطية للخفر وبعـد الاستراحة قمنا الساعة ١ من ليلة السبت وبعد ٥٠ دقيقة بلغنا جامع نمرة بعرفات ، وفى الساعة ٢ والدقيقة ١٠ مررنا بين العلمين ، وفى الساعة ٤ ليلا دخلنا مكة المباركة .

فتكون المسافة من الطائف الى مكة خمس عشرة ساعة وربعا بالبغال وبعض الناس يقطعها فى ١٣ ساعة وذلك من أقرب طريق ؛ وهاك بيان ارتفاع الأماكن المشهورة عن سطح البحر الملح بالقـدم الانكليزى وكل عشرة أقدام تساوى ثلاثة أمتار :

	قدم	متر		قدم	متر
مكة مرتفعة عن بحر جدة بمقدار	٩٣٠	٢٧٩	الكرا مرتفع عن بحر جدة بمقدار	٢٧٤٠	٨٢٢
» » » »	١٠٥٠	٣١٥	الهدا » » » »	٥٨٦٠	١٧٥٨
عين زبيدة » » »	١١١٤	٣٣٤	الطائف » » » »	٥١٥٠	١٥٤٥
الوادى أو الجبل مرتفع » »	١٧٦٠	٥٢٨			

وقبل أن نغادر مكة الى المدينة نذكر لك جدولا بأمرائها من الفتح الاسلامى الى يومنا هذا ونشفعه بآخر فى المسافات بين مكة والمدن الاسلامية الهامة .

أمراء مكة

كانت إمارة مكة الى عمال الخلفاء حتى سنة ٣٥٨ هـ . فانتزعها منهم الأشراف الحسنيون وبقيت فيهم الى سنتنا هذه — ١٣٤٣ — حيث انتزعها منهم الوهابيون كما يسميهم الناس أو الإخوان كما يسمون أنفسهم وهؤلاء الأشراف أربع طبقات الموسويون أو بنو موسى والسليمانيون والهواشم وهذه الطبقات الثلاث وليت ٢٤٠ سنة من ٣٥٨ الى ٥٩٨ هـ . والطبقة الرابعة قتادة وبنوه حكموا ٧٤٥ سنة من ٥٩٨ الى ١٣٤٣ هـ . ولا يزالون فى حرب وقتال مع الإخوان والله العليم بمن يستقر له الأمر وأول من ملكها من الأشراف جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثانى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب .

وسترى من المعلومات التى ذكرناها بالجداول أنه قلما وجد بين الأشراف مصالح وأن الحرب قلما انطفأ سعيرها بينهم من أجل الإمارة حتى بلغ الأمر ببعضهم أن قتل أخاه وطبخ لحمه ودعا إخوته الباقين لوليمة قدّم لهم فيها لحم أخيه وأقام على رأس كل منهم سيافين حتى لا يستفزهم الغضب الى الانتقام وكانوا يجدون من الحكام المجاورين من يساعدهم على قتل بعضهم بعضا حتى تفاقم الشر بينهم فكانوا أسوأ أسرة وجدت بين أفرادها أسوأ العلاقات وكان خليقا بحكام البلد الحرام والمتشرفين بجوار بيت الله أن يكونوا مثالا حسنا للإمارة والولاية ولكن الملك عقيم خصوصا اذا كان بيد الجهلاء الذين يحسبون مجرّد نسبتهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم فخرا لهم وشرفا وإن نبذوا أخلاقه وأعماله وآداب دينه ولقد سموا أنفسهم شرفاء ويعلم الله أن أكثرهم من الشرف براء وهاك جدول الأمراء وتاريخ ولايتهم ومدّتها ما وجدنا الى معرفة ذلك سبيلا .

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
عتاب بن أُسَيد	أوائل شوّال سنة ٨ هـ	ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له حين بعثه : هل تدرى الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله فاستوص بهم خيراً يقولها ثلاثاً
المحرز بن حارثة	سنة ١٤	ولاة مكة فى عهد عمر بن الخطاب من ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ الى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ .
قنفذ بن عمير التيمى	...	
نافع بن الحارث الخزاعى ...	...	
خالد بن العاص	...	
أحمد بن خالد...	...	
طارق بن المرتفع	...	
الحارث بن نوفل...	...	
على بن عدى...	سنة ٢٤	تولوا فى خلافة عثمان رضى الله عنه الذى قتل سنة ٣٥ هـ .
خالد بن العاص المتقدّم ...	...	
الحارث بن نوفل « ...	...	
عبد الله بن خالد بن أسيد...	...	
عبد الله بن عامر الحضرمى...	...	
نافع بن الحارث الخزاعى ...	...	
خالد بن العاص المتقدّم ...	...	
أبو قتادة الأنصارى	سنة ٣٦	تَوليا مكة فى خلافة على رضى الله عنه الذى استشهد فى سنة ٤٠ هـ.
قثم بن العباس	...	
عتبة بن أبى سفيان	سنة ٣٩	تولوا فى خلافة معاوية الذى توفى سنة ٦٠ هـ .
مروان بن الحكم	...	
سعيد بن العاص	...	
عمرو بن سعيد	...	
خالد بن العاص المتقدّم ...	...	
عبد الله بن خالد بن أسيد...	...	
عمرو بن سعيد	سنة ٦١	بعض ولاة مكة زمن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير وقد بايع الناس عبد الله بن الزبير سنة ٦٢ هـ . وتوفى يزيد سنة ٦٤ هـ . واستشهد عبد الله سنة ٧٣ هـ .
الوليد بن عتبة بن أبى سفيان	...	
عثمان بن محمد بن أبى سفيان	...	

اسم الأمـــير	تاريخ التولية	معـــلومات
الحارث بن خالد المخزومى ...	سنة ٦١ ﻫ	باقى ولاة مكة زمن يزيد بن معاوية وعبـــد الله بن الزبير وقد بايع النـاس عبد الله بن الزبير سنة ٦٢ ﻫ . وتوفى يزيد سنة ٦٤ ﻫ . واستشهد عبد الله سنة ٧٣ ﻫ .
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب	...	
يحيى بن حكيم	...	
الحجاج بن يوسف الثقفى ...	سنة ٧٣	ولاة مكة فى زمن عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ٨٦ ﻫ .
مسلمة بن عبد الملك بن مروان	...	
الحارث بن خالد المخزومى المتقدم	...	
خالد بن عبد الله القسرى ...	...	
نافع بن علقمة الكنانى	...	
يحيى بن الحكم بن أبى العاص	...	
عمر بن عبد العزيز	سنة ٨٦	توليا زمن الوليد بن عبد الملك المتوفى سنة ٩٦ ﻫ . وبقى خالد مدة فى ملك سليمان .
خالد بن عبد الله القسرى المتقدم	سنة ٨٩	
طلحة بن داود	...	توليا فى زمن سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ ﻫ . وبقى خالد الى زمن عمر .
عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد	...	
محمد بن طلحة بن عبد الله ...	...	تولوا فى خلافة عمر بن عبد العزيز الذى توفى سنة ١٠١ ﻫ . وبقى عثمان مدة فى زمن يزيد .
عروة بن عياض	...	
عبد الله بن قيس بن مخرمة ...	...	
عثمان بن عبيد الله العدوى ...	...	
عبد الرحمن بن الضحاك القرشى	سنة ١٠١	توليا فى زمن يزيد بن عبد الملك الذى توفى سنة ١٠٥ ﻫ . واستمر عبد الواحد مدة فى خلافة هشام .
عبد الواحد بن عبد الله النصرى	...	
ابراهيم بن هشام المخزومى ...	...	تولى الثلاثة فى زمن هشام بن عبد الملك الذى توفى سنة ١٢٥ ﻫ .
محمـــد بن هشام	...	
نافع بن عبد الله الكنانى ...	...	
يوسف بن محمـــد الثقفى ...	سنة ١٢٥	ولى فى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذى قتل سنة ١٢٦ ﻫ .
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	سنة ١٢٦	ولى فى زمن يزيد بن الوليـــد الذى توفى بعد خمسة أشهر من ولايته وخلفه أخوه إبراهيم وخلع بعد أربعين يوما وبقى عبد العزيز الى زمن مروان .

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك	سنة ١٢٦	عينه مروان بن عبد العزيز .
أبو حمزة الخارجى	...	تولى على مكة قهرا .
عبد الملك بن محمد بن عطية...	...	ولاه مروان بعد قتل أبى حمزة و إخراج جيشه منها .
الوليد بن عروة السعدى ...	...	وليا مكة من قبل مروان بن محمد أيضا وقتل مروان سنة ١٣٢ هـ
محمد بن عبد الملك بن مروان	...	
داودبن على بن عبدالله بن عباس	سنة ١٣٢	ولياها فى زمن مؤسس الدولة العباسية السفاح عبدالله بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس وتوفى أبو العباس السفاح سنة ١٣٦ هـ .
عمر بن عبد الحميد	...	
العباس بن عبد الله بن معبد	سنة ١٣٦	ولاهم أبو جعفر المنصور .
زياد بن عبد الله الحارثى ...	...	
الهيثم بن معاوية العتكى ...	...	
السرى بن عبد الله بن الحارث	سنة ١٤٣	
محمد بن الحسن بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر	سنة ١٤٥	تولى من قبل النفس الزكية محمد بن عبد الله الذى خرج على أبى جعفر بالمدينة و بايعه الأئمة من أهل عصره كمالك وأبى حنيفة ومن فى طبقتهما .
السرى بن عبد الله بن الحارث	سنة ١٤٥	ولاهم أبو جعفر المنصور أيضا وتوفى أبو جعفر سنة ١٥٨ هـ
عبد الصمد بن على بن عبد الله ابن عباس	سنة ١٤٦	
محمد بن ابراهيم الامام ...	سنة ١٤٩	
ابراهيم بن يحيى بن محمد ...	سنة ١٥٨	ولاهم محمد المهدى بن المنصور وتوفى المهدى سنة ١٦٨ هـ وأبقى عبيد الله مدة فى زمن الهادى .
جعفر بن سليمان بن على ...	سنة ١٦١	
عبيد الله بن قثم بن العباس...	سنة ١٦٦	
الحسين بن على بن الحسن بن المثنى	سنة ١٦٩	خرج الحسين هذا على العباسيين واستولى على مكة حتى قتل مع مائة من جنده يوم التروية وكان ذلك فى زمن موسى الهادى الذى توفى سنة ١٧٠ هـ .
أحمد بن اسماعيل	...	ولى هؤلاء أخو الهادى هرون الرشيد الذى توفى سنة ١٩١ هـ
حماد البربرى...	...	
سليمان بن جعفر	...	
العباس بن موسى	...	

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
العباس بن محمد بن إبراهيم	...	
عبد الله بن قثم	سنة ١٦٩	
على بن موسى	»	ولى هؤلاء أخو الهادى هرون الرشيد الذى توفى سنة ١٩١ هـ .
الفضل بن العباس...	»	
محمد بن عبيد الله	»	
موسى بن عيسى بن موسى ...	»	
داود بن عيسى بن موسى ...	»	ولاه محمد الأمين بن الرشيد ولما قتل الأمين سنة ١٩٧ هـ . وخلفه أخوه المأمون . بقى داود مدة واليا على مكة .
الحسين بن الحسن المعروف بالأفطس	»	تولى من قبل أبى السرايا السرى بن منصور الشيبانى الذى قام بالعراق يدعو لأهل البيت .
على بن محمد بن جعفر الصادق	سنة ٢٠٠	ولاه الحسين بن الحسن لما بلغه قتل أبى السرايا سنة ٢٠٠ هـ وخاف على نفسه بطش العباسيين وكان الحسين وعلى من أقبح الناس سيرة .
محمد بن عيسى بن يزيد الجلودى	سنة ٢٠٠	توليا من قبل المأمون .
يزيد بن محمد المخزومى ...	...	
إبراهيم بن موسى الكاظم ...	سنة ٢٠٢	جاء من اليمن واستولى على مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد .
عبيد الله بن الحسن	...	
صالح بن العباس	...	
سليمان بن عبد الله...	...	تولوا مكة من قبل المأمون العباسى وتوفى المأمون سنة ٢١٨ هـ .
محمد بن سليمان	...	
الحسن بن سهل	....	
عبيد الله بن عبد الله بن الحسن	...	
صالح بن العباس	سنة ٢١٨	تولوا فى عهد المعتصم بن الرشيد وتوفى المعتصم سنة ٢٢٨ هـ وبقى محمد بن داود فى الولاية مدة الواثق بن المعتصم الذى توفى سنة ٢٣٢ هـ .
أشناس التركى...	...	
محمد بن داود بن عيسى ...	...	
على بن عيسى بن جعفر ...	سنة ٢٣٢	
عبد الله بن محمد بن داود ...	سنة ٢٣٩	تولوا فى زمن المتوكل بن المعتصم الذى قتل سنة ٢٤٧ هـ . وتولى بعده ابنه المنتصر فمات بعد ستة أشهر .
عبد الصمد بن موسى	...	

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
محمد بن سليمان بن عبد الله ...	سنة ٢٣٩	تولوا فى زمن المتوكل بن المعتصم الذى قتل سنة ٢٤٧ هـ . وتولى بعده ابنه المنتصر فمات بعد ستة أشهر .
محمد المنتصر بن المتوكل ...	...	
إيتاخ مولى المعتصم	...	
عبد الصمد بن موسى	سنة ٢٤٧	توليا فى عهد المستعين بن المعتصم .
جعفر بن الفضل	...	
اسماعيل بن يوسف	...	غلب جعفر بن الفضل على مكة ومات بالجدرى سنة ٢٥٢ هـ .
العباس بن المستعين	سنة ٢٥٢	توليا فى عهد المستعين ولكن لم يباشرا العمل والمستعين توفى سنة ٢٥٢ هـ .
محمد بن طاهر بن الحسين ...	...	
عيسى بن محمد بن إسماعيل ...	...	توليا فى خلافة المعتز بن المتوكل الذى قتل سنة ٢٥٥ هـ .
محمد بن أحمد بن عيسى ...	...	
على بن الحسن الهاشمى ...	سنة ٢٥٥	ولاه المهتدى بن الواثق الذى قتل سنة ٢٥٦ هـ .
الموفق طلحة بن المتوكل ...	...	تولى هؤلاء التسعة فى خلافة المعتمد على الله بن المتوكل وأحمد ابن طولون صاحب مصر ولى عقدا ولم يباشر وتوفى المعتمد سنة ٢٧٩ هـ .
إبراهيم بن محمد بن إسماعيل	...	
أبو المغيرة محمد بن أحمد ...	...	
أبو عيسى محمد بن يحيى ...	...	
الفضل بن العباس	...	
هرون بن محمد	...	
أحمد بن طولون	...	
محمد بن أبى الساج	...	
يوسف بن أبى الساج	...	
... ...	...	المعتضد المتولى سنة ٢٧٩ هـ
عج	..	المكتفى « « ٢٨٩ هـ — لم يعلم من ولاة مكة فى عهد هؤلاء الخلفاء الا الثمانية الذين ذكرناهم وأبو طاهر من القرامطة دخل مكة وعاث فيها فسادا وابن طغج وولداه تولوا مكة بالعقد لا بالمباشرة .
مؤنس الخادم	...	المقتدر « « ٢٩٥ هـ
ابن ملاحظ	...	القاهر « « ٣٢٠ هـ
ابن محلب أو ابن محارب ...	...	الراضى بالله « « ٣٢٢ هـ
أبو طاهر القرمطى	سنة ٣١٧	المتقى بالله « « ٣٢٩ هـ
محمد بن طغج المعروف بالاخشيد وولداه أبو القاسم وعلى	سنة ٣٣١	المستكفى « « ٣٣٢ هـ
أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز	سنة ٣٣٨	المطيع لله « « ٣٣٤ هـ واستمرت ولايته الى سنة ٣٦٣ هـ

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
جعفر بن محمد بن الحسين أول الأشراف	سنة ٣٥٨	خرجت مصر من يد العباسيين الى يد العبيديين أو الفاطميين من سنة ٣٥٨ هـ . ومن ذلك الوقت ابتدأ حكم الأشراف بمكة وأول من وليها منهم جعفر بن محمد من الأشراف الحسنيين .
عيسى بن جعفر	...	
أبو الفتوح الحسن بن جعفر	سنة ٣٨٤	
أبو الطيب داود بن عبد الرحمن	...	تولى مكة لما غاب عنها أبو الفتوح حينما خرج على العبيديين .
تاج المعالى محمد شكر بن أبى الفتوح	سنة ٤٣٠	
عبد تاج المعالى	سنة ٤٥٣	
محمد بن أبى الفاتك	...	من بنى أبى الطيب داود بن عبد الرحمن .
على بن محمد الصليحى	سنة ٤٥٥	قدم الى مكة من اليمن وانتزعها من بنى أبى الطيب واستعمل العدل والاحسان .
محمد بن جعفر بن محمد... ...	«	ولى مكة من قبل الصليحى وهو من الأشراف الحسنيين .
حمزة بن وهاس بن أبى الطيب	...	انتزع حمزة مكة من ابن جعفر ولكن ما لبث أن استرجعها منه .
محمد بن جعفر بن محمد... ...	...	
القاسم بن محمد بن جعفر ...	سنة ٤٨٤	
الأصبهبذ بن سارتكين	«	انتزع مكة من يد القاسم ثم استردها القاسم منه .
القاسم بن محمد بن جعفر ...	سنة ٤٨٨	كان قويا شجاعا .
فليتة بن القاسم	سنة ٥١٨	من الأدباء الشعراء .
هاشم بن فليتة	سنة ٥٢٧	نهب الحج العراقى أثناء طوافه لخلاف بينه وبين أميره .
القاسم بن هاشم	سنة ٥٤٩	صادر أموال أعيان مكة وتجارها والمجاورين بها .
عيسى بن فليتة	سنة ٥٥٣	حصلت فتنة بين القاسم وعمه عيسى انتهت بطرد القاسم من مكة .
القاسم بن هاشم	سنة ٥٥٧	قتل بعد أيام لقتله قائدا من قواده فتغير عليه أصحابه .
عيسى بن فليتة	...	فى سنة ٥٦٧ هـ أثناء ولاية عيسى انقرضت دولة العبيديين بمصر واستولى عليها السلطان صلاح الدين الأيوبى ودعا للعباسيين .
مالك بن فليتة	سنة ٥٦٥	
عيسى بن فليتة...	...	
داود بن عيسى	سنة ٥٧٠	عزله الناصر العباسى فى ١٥ رجب سنة ٥٧١ هـ .

معــلومات	تاريخ التولية	اسم الأمــير
نحى مكثرا عن مكة طاشتكين أمير الحج العراقي بعد أن جرى بينهما قتال شـديد نهبت فيه دور كثيرة وأحرقت وساب مكثر من الحجاج أموالهم .	سنة ٥٧١	مكثر بن عيسى ... ...
	...	طاشتكين ... ...
	...	القاسم بن مهنا الحسيني ...
ولاه طاشتكين بعد أن أظهر له القاسم عجزه عن حكم مكة .	...	داود بن عيسى ... ...
في زمنه أبطل صلاح الدين المكوس التي كانت يتقاضاها أمير مكة من الحجاج عن طريق عيذاب وهي سبعة دنانير مصرية عن كل شخص وعوضه عنها ثمانية آلاف أردب من القمح .	سنة ٥٨٧	مكثر بن عيسى ... ...
انتزع مكة من مكثر وبذلك انقرضت ولاية بني فليتة المعروفين بالهواشم والشريف قتادة هو جد الأشراف الذين يحكمون مكة الى الان سنة ١٣٤٣ هـ .	سنة ٥٩٧	الشريف قتادة بن ادريس الحسني العلوي
قيل انه قتل أباه خنقا وكان أبوه مريضا .	سنة ٦١٧	الحسن بن قتادة ... ...
انتزع مكة من الحسن ملك اليمن المسعود ابن الملك الكامل صاحب مصر وولى عليها المسعود على بن رسول نائبه على اليمن .	سنة ٦١٩	على بن رسول... ... ...
ولى مكة من قبل الملك المسعود .	سنة ٦٢٦	صارم الدين ياقوت عتيق المسعود
« « « الكامل .	«	طغتكين التركي ... ...
ولى مكة بمساعدة على بن رسول صاحب اليمن بعد المسعود . وقد انتزعت منه واستردها ثماني مرات حتى توفي راجح سنة ٦٥٤ هـ بعد أن نزعت منه مكة لآخر مرة . سنة ٦٥٢ هـ .	سنة ٦٣٠	راجح بن قتادة ... ...
	سنة ٦٣٩	الحسن بن على بن قتادة ...
ولى عليها بمساعدة الملك الناصر صاحب مصر .	سنة ٦٥١	جماز بن الحسن بن قتادة ...
انتزع إمارة مكة من أبيه راجح الذي أخرج جمازا من مكة بلا قتال .	سنة ٦٥٢	غانم بن راجح... ... ...
انتزعا مكة من غانم في شوال سنة ٦٥٤ هـ .	سنة ٦٥٤	إدريس بن قتادة ومحمد أبو نمي الأول
تقاتل مع إدريس حتى قتله سنة ٦٦٧ هـ . وانفرد بالولاية .	سنة ٦٦٧	محمد أبو نمي الأول ... ...
لما قتل أبوه استنجد بجماز بن شيحة فأخرج أبا نمي ثم استرد أبو نمي مكة .	...	غانم بن إدريس ... ...
كان واليا على المدينة وأضاف اليه قلاوون صاحب مصر مكة . فأخذها أياما ولكن لم يلبث أن استرجعها منه أبو نمي .	سنة ٦٨٨	جماز بن شيحه ... ...

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
رميثة وحميضة ولدا أبي نمي	سنة ٧٠١	تنازل أبوهما عن الملك لهما ولما حج بيبرس أمير الكرك ولى أخويهما عطيفة وأبا الغيث لما شكوا اليه وقبض على رميثة وحميضة وأخذهما معه .
عطيفة وأبو الغيث ولدا أبي نمي	»	
رميثة وحميضة ولدا أبي نمي	سنة ٧٠٣	استعادا مكة سنة ٧٠٣ هـ . ووقعت بينهما فتن وكذا بينهما وبين عطيفة وأبي الغيث وقتل حميضة أخاه أبا الغيث سنة ٧١٤ هـ وقتل حميضة سنة ٧١٨ هـ وبقى التنازع بين رميثة وعطيفة زمناطويلا هذا يأخذ مكة مرة وذاينتزعها منه أخرى حتى استقر الملك لرميثة بعد سنة ٧٣٧ هـ .
رميثة منفردا	سنة ٧٣٧	
عجلان بن رميثة	سنة ٧٤٥	اشترك معه فى الولاية بعد سنة ٧٤٦ هـ أخوه ثقبة الذى توفى سنة ٧٦٢ هـ فأشرك معه ابنه أحمد حتى توفى سنة ٧٧٧ هـ .
عجلان وثقبة	سنة ٧٤٦	
سند ومغامس ابنا رميثة ...	سنة ٧٤٧	ولاهما صاحب مصر فى حين ولاية عجلان وثقبة وقتل مغامس سنة ٧٦١ هـ .
أحمد بن عجلان منفردا ...	سنة ٧٧٧	استقل بالملك بعد وفاة أبيه وأشرك معه فى الملك ابنه محمدا سنة ٧٧٨ هـ . وتوفى أحمد سنة ٧٨٨ هـ .
محمد بن أحمد بن عجلان منفردا	سنة ٧٨٨	قتله أمير الحج المصرى بعد أن تولى ١٠٠ يوم .
عنان بن مغامس	»	ولاه مكة الظاهر برقوق وأشرك عنان معه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة ظانا أن ملكه يدوم بذلك ولكن عزله برقوق وولى على بن عجلان فأشرك على معه عنانا ثم استقل على بالملك سنة ٧٩٤ هـ .
على بن عجلان	سنة ٧٨٩	
محمد بن عجلان	سنة ٧٩٧	ولى بعد قتل أخيه على .
حسن بن عجلان	سنة ٧٩٨	ولاه سلطان مصر لما قتل على لخضر الى مكة فسلم له أخوه محمد .
بركات بن الحسن...	سنة ٨٠٩	أشركه أبوه معه فى هذه السنة .
أحمد بن الحسن	سنة ٨١٠	أشركه أبوه مع أخيه بركات وتولى الحسن نيابة السلطنة فى جميع بلاد الحجاز .
رميثة بن محمد بن عجلان ...	سنة ٨١٨	ولى رميثة سلطان مصر فأرسل الحسن ابنه بركات يستعطف السلطان فأعاد الحسن .
الحسن بن عجلان...	سنة ٨١٩	
على بن عنان بن مغامس ...	سنة ٨٢٧	ولاه برسباى ملك مصر ثم أعاد الحسن .
الحسن بن عجلان...	سنة ٨٢٨	توفى بمصر سنة ٨٢٩ هـ . وكان من العلماء الفضلاء .
بركات بن الحسن...	سنة ٨٢٩	تولى مرارا وكان من العلماء الأنجاب .

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
على بن الحسن	سنة ٨٤٥	عزل أخوه بركات وتولى هو مكانه ولكن ما لبث أن أعيد بركات .
بركات بن الحسن	«	عزل بعد سنة بأخيه أبى القاسم .
أبو القاسم بن الحسن	سنة ٨٤٦	أخرجه بركات سنة ٨٤٩ هـ . ثم عاد الى مكة وبقى عليها الى سنة ٨٥١ هـ حيث ذهب الى مصر ومات بها سنة ٨٥٣ هـ .
بركات بن الحسن	سنة ٨٥١	أعاده الى ولاية مكة السلطان چقمق وبقى بها حتى توفى سنة ٨٥٩ هـ
محمد بن بركات	سنة ٨٥٩	كان عالما فاضلا حج فى ولايته السلطان قايتباى سنة ٨٨٤ هـ .
بركات بن محمد	سنة ٩٠١	قد أشركه أبوه معه فى الملك من سنة ٨٧٨ هـ . واستقل به بعد وفاته سنة ٩٠١ هـ .
هزاع بن محمد	سنة ٩٠٧	تولى كل من هؤلاء بعض شهور وتغلب عليهم أخوهم بركات حتى صفا له الملك سنة ٩٠٨ هـ . واستمر فيه الى أن توفى سنة ٩٣١ هـ .
أحمد بن محمد	«	
حميضة بن محمد	سنة ٩٠٨	
أبو نمىّ الثانى محمد بن بركات	سنة ٩٣١	أشركه السلطان الغورى مع أبيه فى ولاية مكة من سنة ٩١٨ هـ ولم تعد سن أبى نمى ٧ سنوات وبعد وفاة أبيه استقل بالولاية وقد أقره مع أبيه السلطان سليم لما فتح مصر سنة ٩٢٢ هـ .
أحمد بن أبى نمى	سنة ٩٤٥	أشركه السلطان سليمان مع أبيه فى ولاية مكة سنة ٩٤٥ هـ . وتوفى فى حياة أبيه سنة ٩٦١ هـ .
حسن بن أبى نمى...	سنة ٩٩٢	شارك أباه فى الملك من سنة ٩٦١ هـ . واستقل بعد وفاة أبيه سنة ٩٩٢ هـ .
حسين ومسعود ابنا الحسن	...	ولى كل منهما مكة مع أبيه فى حياته وتوفيا قبل وفاة والدهما .
أبو طالب بن الحسن	سنة ١٠١٠	هو أكبر أولاد الحسن ولى بعد وفاة أبيه ولم يعقب أبو طالب .
ادريس بن الحسن	سنة ١٠١٢	ولى بعد وفاة أبى طالب .
فهيد بن الحسن	«	أشركه الأشراف مع أخيه إدريس ثم خلع سنة ١٠١٩ هـ .
محسن بن الحسين بن الحسن	سنة ١٠٣٢	أشرك مع عميه إدريس وفهيد وبعد نزاع استقرت له الولاية سنة ١٠٣٢ هـ .
أحمد بن عبد المطلب بن الحسن	سنة ١٠٣٧	ولاه أحمد باشا والى اليمن من قبل السلطنة وقد قاتل أخاه محسنا فهزمه .
مسعود بن ادريس بن الحسن	سنة ١٠٣٩	ولاه قانصوه باشا بعد أن قتل أحمد خنقا اقتصاصا منه للشيخ عبد الرحمن المرشدى مفتى مكة الذى قتله أحمد لضغائن بينه وبينه .
عبد الله بن الحسن	سنة ١٠٤٠	

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
عبد الله بن الحسن	سنة ١٠٤٠	تنازل عن الإمارة لابنه محمد واستدعى محسن بن زيد من اليمن وأشركه مع ولده أيضا .
محمد بن عبدالله بن الحسن...	سنة ١٠٤١	قتله نامى بن عبد المطلب بن الحسن الذى دخل مكة ونهب بيوتها .
زيد بن محسن	...	بعد أن قتل نامى سنة ١٠٤٢ ه . خلصت له الولاية الى أن توفى سنة ١٠٧٧ ه .
نامى بن عبد المطلب	سنة ١٠٤١	قتل فى المحرم سنة ١٠٤٢ ه بعد أن تولى ١٠٠ يوم .
سعد بن زيد...	سنة ١٠٧٧	ولى بعد وفاة أبيه ثم ولى ثلاث مرات أخرى ومجموع مدة الولاية ٧ أشهر و ١٥ سنة .
أحمد بن زيد...	سنة ١٠٨٠	أشركه معه أخوه سعد ثم هربا سنة ١٠٨٢ ه .
بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبى نمى	سنة ١٠٨٢	ولى بعد هروب أحمد وسعد وبقى فى الولاية حتى توفى سنة ١٠٩٤ ه . وكان حميد السيرة .
سعيد بن بركات	سنة ١٠٩٤	حصلت بينه وبين الأشراف فتن انتهت بخلعه .
أحمد بن زيد	سنة ١٠٩٥	ولاه السلطان بعد خلع سعد وتوفى سنة ١٠٩٩ ه .
أحمد بن غالب	سنة ١٠٩٩	تنازعا الإمارة بعد وفاة أحمد بن زيد بجاء الأمر السلطانى بتولية أحمد بن غالب فسلم له سعيد فى السنة نفسها .
سعيد بن سعد بن زيد... ...	...	
محسن بن حسين بن زيد ...	سنة ١١٠١	ولاه والى جدة فخرج أحمد من مكة .
مساعد بن سعد	سنة ١١٠٣	نازع سعيد بن سعد محسنا فتنازل عن الملك لمساعد بن سعد . وهذا تنازل عنه لسعيد .
سعيد بن سعد	»	
سعد بن زيد...	»	ولى بأمر سلطانى وكان فى بلاد الروم فأناب عنه ابنه سعيدا .
عبد الله بن هاشم...	سنة ١١٠٥	طلب الولاية له والى جدة ولكن قاتل سعد عبد الله وانتزع مكة منه .
سعد بن زيد...	سنة ١١٠٦	استمر فى هذه الولاية الى سنة ١١١٣ ه حيث نزل عن الإمارة لابنه سعيد .
سعيد بن سعد	سنة ١١١٣	حصلت بينه وبين الأشراف فتن كثيرة فعزلوه وولوا عبد المحسن .
عبد المحسن بن أحمد بن زيد	سنة ١١١٦	نزل عن الامارة بعد تسعة أيام لعبد الكريم .
عبد الكريم بن يعلى	»	أخرجه من مكة سعد بن زيد .
سعد بن زيد...	»	طعنه عبد الكريم عدة طعنات مات منها .

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
عبد الكريم بن يعلى	سنة ١١١٦	تقاتلا على ولاية مكة وقد تولاها الأول ثلاث مرات مجموعها ست سنين وعشرة أشهر وتولاها الثانى خمس مرات مجموعها عشر سنين وسبعة أشهر .
سعيد بن سعد	»	
عبد الله بن سعيد...	سنة ١١٢٩	تولى بعد وفاة أبيه سعيد .
على بن سعيد...	سنة ١١٣٠	لما عزل الأشراف عبد الله أرادوا الولاية لعبد المحسن بن أحمد بن زيد فأباها فأرادوها لأخيه مبارك فأباها له واختار على بن سعيد .
يحيى بن بركات	»	
مبارك بن أحمد بن زيد ...	سنة ١١٣٢	
يحيى بن بركات	سنة ١١٣٤	تنازل عن الولاية لوالده .
بركات بن يحيى	سنة ١١٣٦	
مبارك بن أحمد بن زيد ...	»	
عبد الله بن سعيد...	»	
محمد بن عبد الله بن سعيد ...	سنة ١١٤٣	انتزع الامارة منه عمه مسعود مع أنه الذى ساعده عليها .
مسعود بن سعيد	سنة ١١٤٥	» » محمد بن عبد الله .
محمد بن عبد الله بن سعيد ...	»	اصطلح مع عمه سنة ١١٥١ هـ وبقى تحت طاعته الى أن توفى سنة ١١٦٩ هـ .
مسعود بن سعيد	سنة ١١٤٦	بقى فى الولاية الى أن توفى .
مساعد بن سعيد	سنة ١١٦٥	تولى مرتين مدتهما ١٨ ش و ٩ س .
جعفر بن سعيد	سنة ١١٧٢	ولى جعفرا أمير الحج الشامى بعد أن عزل سلفه ولكن دفع اليه مساعد مالا وتنازل له عن الولاية بعد أن مكث بها دون شهر .
مساعد بن سعيد	سنة ١١٧٣	
عبدالله بن سعيد	سنة ١١٨٤	نازعه أخوه أحمد فتنازل له عن الولاية ولم يمض عليه أيام .
أحمد بن سعيد	»	تولى مرتين مدتهما سنتان .
عبد الله بن حسين بن يحيى ابن بركات	»	انتزع الولاية من أحمد بمساعدة حملة مصرية برياسة عبد الله محمد بك أبى الذهب قاتله ثم قبض عليه ابن أخيه سرور ابن مساعد وأودعه السجن حتى توفى سنة ١١٩٥ هـ .
أحمد بن سعيد	سنة ١١٨٥	
سرور بن مساعد	»	

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
غالب بن مساعد	سنة ١٢٠٢	ولى غالب بعد وفاة أخيه وفى أيامه ظهر الوهابية وفى سنة ١٢٢٨ هـ أقصاه عن الولاية محمد على باشا وأسكن سلانيك فمات بها سنة ١٢٣٠ هـ . وتولى يحيى الى أن نزعت منه الإمارة سنة ١٢٤٢ هـ . لقتله الشريف شنبر المنعمى .
يحي بن سرور	سنة ١٢٢٨	
عبد المطلب بن غالب بن مساعد	سنة ١٢٤٢	تولى عبد المطلب بعد يحيي ولكن لم توافق الدولة العثمانية على توليه بل ولت محمد بن عون بطلب محمد على باشا وتوجه عبد المطلب الى بلاد الروم وولته الدولة على مكة سنة ١٢٦٧ هـ . وعزلت محمدا فذهب أيضا الى بلاد الروم وفى سنة ١٢٧٢ هـ ولى مكة وعزل عبد المطلب فذهب الى بلاد الروم .
محمد بن عبد المعين بن عون	سنة ١٢٤٣	
عبد المطلب بن غالب	سنة ١٢٦٧	
محمد بن عبد المعين بن عون	سنة ١٢٧٢	
عبد الله باشا بن محمد بن عبد المعين	سنة ١٢٧٤	ولى بعد وفاة أبيه محمد بن عون .
حسين باشا الشهيد ابن محمد ابن عبد المعين	سنة ١٢٩٤	قتله أفغانى بجدّه .
عبد المطلب بن غالب	سنة ١٢٩٧	فصل عن الامارة سنة ١٢٩٩ هـ .
عون الرفيق باشا بن محمد بن عبد المعين	سنة ١٢٩٩	تولى فى ٢٤ ذى القعدة وكان بالأستانة فوصل الى مكة فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٢٩٩ هـ .
على باشا	سنة ١٣٢٣	ولى وأعطى رتبة الوزارة فى ١٥ شعبان من السنة نفسها .
حسين بن على	سنة ١٣٢٦	ولى فى ٦ شوال سنة ١٣٢٦ هـ . ثم أعلن نفسه ملكا على الحجاز ثم خليفة .
خالد بن لؤى	سنة ١٣٤٣	وليها من قبل السلطان عبد العزيز بن السعود أمير نجد بعد أن سقطت مكة فى أيدى جنده وطرد منها الحسين بحاشيته .

جدول المسافات بين مكة وأمهات المدن الاسلامية

أمهات المدن	ميل	الموقع بالنسبة لمكة	أمهات المدن	ميل	الموقع بالنسبة لمكة
المدينة	١١٠٢	فى شمالها	هراة	١٣٤٤	فى الشمال الشرقى
القدس	٨٤٠	فى شمالها الغربى	بلخ	١٥٩٠	»
الفسطاط	٨٥٤	»	غزنة	١٧٣٨	»
دمشق	٧٢٨	فى الشمال	مرو الشاهجان ...	١٣٠٠	»
بغداد	٦٤٢	فى الشمال الشرقى	هرمز	٢٠٧٠	»
ثغـــر	٤٧٦	فى الجنوب	كابل	١٦٤٢	»
زبيـد	٤٧٦	فى الجنوب الغربى	الملتان	١٦٥٢	»
الأحسا	٣٣٣	فى الشرق	دلى	٣٢٢٠	»
مهـرة	٥٢٨	فى الجنوب الشرقى	تانة	١٤١١	»
الطائف	٤٠	فى الجنوب الغربى	كنبايت	١٨٠٦	»
البصرة	٦١٠	فى الشمال الشرقى	الكولم	٣٧٨٠	فى الجنوب الشرقى
الكوفة	٥١٠	»	سرنديب	٣٠٥٢	»
عيذاب	١٢٤	فى الغرب	الخنسا	٥٤٣٢	»
الطور	٨٠٠	فى الشمال الغربى	الزيتون	٢٦٣٠	»
البلقاء	٦٨٠	»	خان بالق	٣٩٣٤	فى الشمال الشرقى
الموصل	٧٨٤	فى الشمال	قراقرم	٤٩٩٨	فى الشمال الغربى
أصفهان	٩٤٠	فى الشمال الشرقى	بلاصاغون	١٩٧٤	فى الشمال الشرقى
السلطانية	١٠٦٤	»	كاشغر	١٩٧٤	»
توريز	١٠٨٠	»	اسفيجاب	١٩٠٤	»
نيسابور	١١٠٠	»	فرغانة	١٧٤٠	»

(تابع) جدول المسافات بين مكة وأمهات المدن الاسلامية

أمهات المدن	ميـل	الموقع بالنسبة لمكة	أمهات المدن	ميـل	الموقع بالنسبة لمكة
أطرار	١٣٩٠	فى الشمال الشرقى	روميه	١٩٣٢	فى الشمال الغربى
أسروسنة	١٧٨٠	«	غرناطة...	٣٢٥٠	«
بدخشان	١٧٥٦	«	أشبيليه	٣٣٦٠	«
ترمذ	١٥٩٦	«	قرنبطة	٣٢٦٦	«
بخارى	١٢٨٨	«	أسنى	٣٣٨٨	
سمرقند	١٦٣٨	«	سبتة	٣٢٢٠	«
كركاج	١٣٢٥	«	مراكش	٢٦٣٢	«
السراى	١٢٤٦	«	فاس	٢٤٤٨	«
البلغار	٢٠١٦	«	تلمسان	١٧٧٤	«
القرم	١٥٧٠	فى الشمال الغربى	تونس	٢٠٧٢	«
طرابزون	١٣٥٠	«	غانة	٢٢٤٠	فى الجنوب الغربى
كسطمونية	١٥١٢	«	جيمى	٢٤٤٠	«
قصون	١٤٢٨	«	جزمى	١٠٢٢	«
قيسارية...	١١٩٠	«	أوقات	١٣٣٠	فى الشمال الغربى
قونية	١٢٣٢	«	بيدسوا	١١٤٨	فى الجنوب الشرقى
القسطنطينية	١٦١٠	«	قانة	١٤١١	«

(ملحوظة) هذا الجدول نقلناه عن درر الفرائد المؤلف فى القرن العاشر والذى عنـدنا منه نسخة خطية وبمقارنة ما ذكرهنا عن المسافة بين مكة والمدينة بما نذكره بعـد عن المسافة بينهما يمكنك أن تعرف مقدار الميل فى القرن العاشر .

وإذ قد انتهينا من مكة ووصفها وذكر آثارها ومسجدها الحرام وكعبتها التى جعلها الله قياما للناس وعرفناك أخبار ضواحيها ووصفها ورسمها وأمراءها والمسافات بينها و بين المدن الهامة نتابع سيرنا الى المدينة عاصمة الحجاز الثانية ومهد الاسلام الثانى ومثوى خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

الاحتفال بسفر المحمل من مكة

فى منتصف الساعة الثانية عشرة العربية من صباح يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . سارت قوتنا من معسكرها بالشيخ محمود الى المسجد الحرام فوصلت بعد نصف ساعة وهناك وجدنا فى الجهة الشرقية العساكر الشاهانية مصطفة قبالة باب على رضى الله عنه واصطف حرسنا فى الجهة المقابلة بجوار المسجد بعد أن ألبس محملنا كسوته القصبية وكذلك اصطف موظفو الحكومة الحجازية بمكة بأوسمتهم وملابسهم الرسمية وبعد فترة أقبل دولة الوالى بركنه ووقف بين هذا الجمع المحتشد فتقدّم اليه أمير المحمل الشامى عبد الرحمن باشا يقود زمام جمله وسلمه الزمام فدار بالمحمل خمس دورات ثم سلمه لأميره بعد أن لثم مقوده ولحظتئذ صدحت الموسيق الشاهانية بسلام جلالة السلطان وهتف العسكر والحضور بالدعاء له ثلاثا ثم تقدّم اليه أمير المحمل المصرى بزمام محمله فتسلمه منه ودار به خمس دورات كما فعل بسالفه وسلمه للأمير وصدحت الموسيق بالسلام الملكى ثم ألقى الشيخ السنباطى خطبة دعا فيها لجلالة السلطان ودولتى الشريف والوالى وختمها بالدعاء للجناب الخديوى وعقب ذلك انصرف المحملان يتبع كلا حرسه الى مقرّه بمعسكره .

السفر من مكة الى المدينة

(اليوم الأوّل) فى منتصف الساعة الثانية العربية من يوم الخميس ٢٨ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . قام ركبنا من مكة ميمما المدينة فسار نحو الشمال الغربى ٣٠ دقيقة ، ثم نحو الشمال الشرقى مثلها ، ثم أشمل ٤٥ دقيقة ، ثم سار نحو الجنوب الشرقى ساعة

و ١٥ دقيقة ، ثم شرق ٣٠ دقيقة ، ثم تابع السير نحو الشمال الشرقى ساعتين ونصفا وإذا بنا فى المحطة الأولى (بئر البرود) وكانت الساعة وقت وصولنا تسعا وربعا سرنا منها ٦ ساعات وأضعنا ساعة وثلاثة أرباعها فى إصلاح الأحمال بين لحظة وأخرى ؛ وذلك أن مقوم المحمل قدّم لنا كثيرا من الجمال التى لم تمرّن على الحمل ولم تتعوّد رؤية الطرابيش والكسا العسكرية وكانت أقتابها — عددها — منفوشة غير مدمجة فلم تلبث أن هبط علوها فارتخت أحزمتها فسقط أكثر الأحمال وهرول غير المذلل من الجمال أضف الى ذلك رجوع العربان الى بيوتهم لقضاء لوازم السفر ونوط كل خمسين جملا بواحد منهم فقل من سلم من العثور ، ولقينا يوما شديد النصب دائب التعب ولكن فى سبيل الله ما لقينا ، والطريق واد بين جبال تحفه من الجانبين محصب فى أوّله وحجرىّ فى وسطه الى حذاء جبل النور — حراء — ومترب فى آخره حتى بئر البرود اللهم إلا بعض مسافات قليلة فانها حجرية ، والجبال تارة تتدانى حتى لا يكون بينها إلا واد عرضه ٦٠ مترا وتارة تتناءى فتنفرج عن واد سعته من ٣٠٠ متر الى ألف وقد يقل أو يزيد عن ذلك ؛ ولما بلغنا بئر البرود وجدنا المحمل الشامى سبقنا اليه والزحام على البئر شديد فلم نتمكن من أخذ مياه إلا بعد الساعة الخامسة العربية ليلا ولولا ما استصحبناه معنا من مكة من المياه الكافية لأضرّ بنا الظمأ إضرارا بليغا وكان يرافق الركب الشامى ركب الحجاج من أتباع ابن الرشيد وعدده يقارب ١٢٠٠٠ نفس معهم ألوف الحيوان وبالنظر لقلتنا وكثرتهم وسبقهم دائما الى الآبار رأيت ان نتأخر عنهم يوما فوافقنى الأمير والأمين على ما رأيت وذلك لنتمكن من أخذ المياه بسهولة فتأخرنا يوما بعد وادى الليمون .

وبئر البرود بئر عظيمة مطوية بالحجارة المنحوتة قطرها ٦ أمتار ، وعمقها ١٢ مترا وماؤها عذب لا يزيد ارتفاعه فى قاعها عن ٥٠ سنتيا ، وبالبئر شجرة جميز ضخمة نبتت فى أصل البئر واخترقت جدارها الشرقى وأظلت فروعها البئر وفناءها ، والناس يجلسون على جذوعها لأخذ المياه من البئر بالكيزان اذا ما قلت فان كثرت أخرجوها بالدلاء ولهذه البئر سلم من خارج جدرها ينتهى بفتحة الى قاعها ولكن بابه العلوى

مردوم، وهذا البئر أشبه ببئر البردويل بمريوط مصر. وبجوارها بئر أخرى مردومة، وأسس أبنيــة فى جملة مواضع، عرض الجدار منها ثلاثة أمتار وهى من الحجر الصلب الضخم ذى النقط البيضاء والسوداء، وإن فى هــذا لآية على أنه كان بهذه الجهة بلدة كبيرة ذات مدنية فى الأزمنة الغابرة، ويدل على ذلك قول كثير :

غشيت لليـــلى بالبرود منازلا * تقادمن واستنت بهن الأعاصر (١)

وأوحشن بعد الحىّ إلا معالمـا * يرين حديثات وهن دواثر

ومن هذه البئر طريق سهل يوصل الى الطائف كما أخبرنى بذلك متعهد الجمال (المقوّم) والذى حفرها خراش بن أمية الخزاعى الكعبى وله يقول الشاعر :

* بين البرود وبين بلدح نلتقى *

(اليوم الثـانى) وفى مبتــدأ الساعة الأولى من صباح الجمعة ٢٩ ذى الحجــة سنة ١٣١٨ هـ . رحلنا من بئر البرود واتجهنا نحو الشمال الشرقى حتى وصلنـا « وادى فاطمة » فى الساعة الرابعــة والربع وكان الطريق خورا ذا أشجار كبيرة على شاطئيه والجبال تكتنفه من الجانبين ومن بدء وادى فاطمة تغير اتجاهنا الى الشرق، وهــذا الوادى متسع به أراض زراعية مرتفعة نحو ثلاثة أمتار بها حشيس يسمى العترى ينبته المطر وهو من أجود الأغذية للحيوان وهناك مساكن للأعراب الذين يحافظون على هذا النبت ليبيعوه فى مكة وللسابلة، وقد استمر سيرنا بهذا الوادى حتى الساعة الخامسة والنصف وإذ ذاك دخلنا واديا آخر به نخيــل وأشجار وبيوت من الجانبين ومازلنا نسير فى تعاريجه حتى وصلنا «وادى الليمون» فى الساعة السابعة والربع ولم نســترح فى خلال ذلك إلا ١٥ دقيقة ويحتوى هــذا الوادى على بيوت بنيت فى أحضان الجبال وحدائق ذات بهجة بها النخيل والليمون والبطيخ والخيار والبامية والقطن الذى يرتفع نحو مترين وفتلته كالحرير، ولبعض الحدائق أسوار بنيت من

(١) الأعاصر جمع إعصار وهى ريح تثير الغبار فيرتفع فى السماء كأنه عمود واستنانها مرورها سريعا .

الحجارة الصماء ذات اللون الأزرق والحجم الكبير غير أنها متهدمة وتوجد بها آثار أبنية قديمة تدل على أنه كان لهذه الجهة شأن فى سالف العصور .

وبهذا الوادى قناة بنيت بالحجارة والملاط المتماسك عمقها ثلاثة أرباع المتر ، وعرضها ستة أعشاره وعمق الماء فى قاعها ٥٠ سنتيا وماؤها عذب فرات صاف كأنه مقطر يجرى ليلا ونهارا صيفا وشتاء ولكنه ينتهى فى الآخر الى الصحارى حيث تستشفه ولا تشكر بالانبات ، فلو أنه حول حيث ينبت الزرع والأشجار لأجدى ذلك عظيم الاجداء ؛ وهذه القناة تسير نحو الشرق فى سفح الجبل على مدى بعيد قطعناه فى نصف ساعة وجزء كبير من أبنيتها متهدم ، وقد سألت شيخا هرما عن أصل هذه القناة فأخبرنى أنها تأتى من عين فى قاع بئر غؤور فى أرض صلبة بلغ عمقها ٢٠ قامة وغطيت بالأحجار فوقها الأتربة ثلاث قامات أخرى ولا تكشف هذه العين إلا اذا أريد إجراء عمارة بها وهى على يمين السالك نحو يثرب .

وبوادى الليمون « سوق » باعتة من مكة فيه اللحوم والأرز مطبوخة وغير مطبوخة ، وبه الخيار والقثاء والبطيخ والكراث والعيش والجبن والبصل الأخضر والجاف والإبل والغنم وغير ذلك أزواجا شتى .

(اليوم الثالث) وفى الساعة السابعة من نهار السبت أوّل المحرم سنة ١٣١٩ هـ . سار ركبنا من وادى الليمون نحو الشمال ساعتين و ٢٠ دقيقة ثم الى الشمال الشرقى ساعة ثم شرق أخرى فتلك أربع ساعات وثلث ألقينا بعدها عصا التسيار للمبيت وقطعنا فيها واديا سهلا تكثر به الحصباء وتحفه الجبال الشامخة من حاشيتيه وقد وجدنا بعد مسير ثلاث ساعات ونصف بئرا حجرية على يميننا ماؤها العادى به ملوحة وفى فصل المطر يكون عذبا .

(اليوم الرابع) وفى الساعة الحادية عشرة الليلية فى صباح الأحد ثانى المحرم سنة ١٣١٩ هـ . سار ركبنا نحو الشمال الشرقى ٥٥ دقيقة ، وأشمل ساعة ونصفها ، وأبحر مشرقا نصفا ، ومغربا ٣٧ دقيقة ، وأشمل ساعتين ونصفا ثم سار نحو الجنوب

الشرقى ساعة وربعا، والشمال الشرقى ساعة واحدة فتلك ثمـان ساعات و ١٧ دقيقة. قطعنا فى أولها عقبة عوجاء استنفدت ساعة ونصفا ولقينا بعد مسير ثلاث ساعات ونصف غابة ذات أشجار كثيرة إلا أنها متفرقة وبعد الغابة بساعتين ونصف سرنا ساعة فى واد فسيح جباله اليمنى دانيـة واليسرى نائية متقطعة تكوّن تلالا عالية ثم ضاق الوادى كما بدأ، وفى مبدأ العقبة وجدنا حفائر فى أراض رملية بهـا ماء عذب كماء النيل يخرجه النكت فى الأرض باليد وإنه لمـاء غزير يكفى الآلاف من الناس والحيوان وهناك النخيل ذات اليمين .

وقد أتممنا نهـارنا وبتنا ليلتنا بمحطة يقال لهـا الحفائر أو الضريبـة وصلناها فى منتصف الساعة الثامنة نهارا، والمـاء بها عذب غزير فى حفائر عمقها ٥٠ سنتيا وماؤها يكون مرا فى السنين التى يحبس فيهـا ماء المطر، وكان الهواء فى يومنا هذا شديد الجفاف غاية فى الاعتدال وكان المـاء وقت الظهيرة باردا جدا كأنه مثلج أما بالليل فكان الطقس باردا .

وبهذه المحطة لصوص شاهدت منهم رمى الحجيج بالحجارة الصغيرة حتى اذا كانوا يقظين وشعروا بالحجـارة أجل اللصوص سطوهم لفرصة أخرى وإن كان حارسهم نامت عينه مشوا على أيديهم وأرجلهم واستلبوا مايصلون اليه وعادوا، وقد شاهدتهم فى الصباح حينما سار المحمل يركبون الهجن ويتربصون من يتخلف عن الركب ليسلبوه ماله ولكن بعناية الله وقوته لم يصلوا الينا بسوء ولم يسترقوا شيئا إلا ماتركه الحجاج من جلود الأنعام ورءوسها وأرجلها وأكراشها .

وقد كان معنا ثلاثة من العربان استأجرناهم بجنيهات عشرة ليرشدوا ركبنا الى مواطن المياه العـذبة وليعرفونا منازل اللصوص وقد أحسنوا القيام بما كلفوا به نان أحدهم كان يرافق دائما العسس — الداورية — حينما يمرّون على المعسكر ليلا .

(اليوم الخامس) وفى صباح الاثنين ثالث المحرم الساعة ١١ والدقيقة ١٥ الليلية قمنا من الضريبة وسرنا نحو الشمال الشرقى فى خور ذى أشجار كثيفة ترتفع أرضه تارة

وتنخفض أخرى قطعناه فى ساعة وثلاثة أرباعها الى واد آخر عظيم الاتساع سرنا فيه ساعة وربعا فى أرض حجرية صعبة المسلك ثم أعقبتها أرض سهلة غابت فيها الجبال عن الأبصار، ولتمام الساعة العاشرة تغير سيرنا الى الشمال وبعد نصف ساعة وصلنا « محطة البركة » فتلك احدى عشرة ساعة وربع استرحنا منها فى أثناء الطريق ساعة واحدة، وبهذه المحطة حوض يسمى بركة زبيدة متقن البناء مربع ضلعه ٥٠ مترا، وعمقه نحو الثلاثة وبجواره جملة برك بها ماء الأمطار يمثل اتصال بعضها ببعض نهرا أحاطت به الأشجار الكثيفة من أجناس شتى كالسنط والنبق والسلم، وبهذه الجهة لصوص من عربان عتيبة ولكن كفانا الله شرهم فلم يسلبونا شيئا وقد اشتد الحر بعد الظهر ومات من خيلنا حصان أصابه مغص فقضى عليه .

(اليوم السادس) وفى صباح الثلاثاء رابع المحرم الساعة ١١ ليلا غادرنا البركة متجهين نحو الشمال الغربى فى أرض سهلة لم تصادفنا بها إلا ثلاث عقبات حجرية صلبة قطعنا كلا منها فى ربع الساعة وانتهينا الى محطة « الغدير أو المكر والمكير » فى الساعة ١١ والدقيقة ٢٠ نهارا ولم نسترح من ذلك إلا ساعة وقت الظهر الذى كان الحر بعده شديدا، وبهذه المحطة مياه كثيرة متخلفة من الأمطار وفيها تباع الحشائش والتبن والمسلى والأغنام وخشب الحريق متوفر بها وأرضها زراعية وهى قبل المحطة المعتادة محطة « حاذا » بساعة ونصف .

(اليوم السابع) وفى منتصف الساعة الثانية عشرة ليلا صباح الأربعاء خامس المحرم قمنا من « الغدير أو المكر والمكير » فشرقنا ساعتين ونصفا وسرنا الى الشمال الشرقى ساعة ونصفها ونحو الشمال ست ساعات ووصلنا « محطة الهضاب » فى منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا وقد استرحنا بالطريق ساعة وقت الظهر فالمسير عشر ساعات قطعنا فى الخمس الأولى منها ملاحة اذا أصابها وابل المطر تعذر عبورها لرخاوة أرضها ، وفى الخمس الثانية أسهلت الأرض وانفرجت عنها الجبال الى مدى واسع «وبمحطة الهضاب» جمال تباع ولا ماء بها وخشب الحريق قليل .

(اليوم الثامن) وفى ليـلة الخميس سادس المحرم الساعة ٨ والدقيقة ١٥ قمنا من الهضاب وسرنا نحو الشمال خمس ساعات ونصفا ونحو الشمال الغربى سـبعا ونصفا فوصلنـا الى « صفينة » فى منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا بعـد أن استرحنا بالطريق ساعة وربعها ، وبعـد قيامنا من الهضاب بساعتين وثلاثة أرباع وجدنا على ميسرتنا ملاحة طويلة ملحها شديد البياض باد على وجه الأرض وقد اجتزناها فى أربع ساعات وقبل أن نصل الى صفينة بساعة صعدنا الى عقبة حجرية قطعناها فى الساعة الباقية وأولها وآخرها صعب المسلك مسيرة خمس دقائق فى مبدئها ومثلها فى منتهاها وما بين ذلك طرق متعدّدة اختطتها الأرجل المـاشية .

وصفينة هذه بلدة أمير مكة الآن الشريف عون الرفيق باشا وهى قرية صغيرة أبنيتها بالطين المكدس بعضه فوق بعض يسكنها نحو ٤٠٠ نسمة وبها حوالى ١٠٠ نخلة صغيرة وكبيرة وقليل من شجر الليمون وشجر الطرفاء وفيها ٣٦ بئرا مبنية بالحجر عمق الواحدة منهـا ثلاث قامات وماؤها رائق نظيف معين لا ينضب ولكنه لا يروى ، وأراضى هذه القرية صفراء تشبه أراضى مريوط يزرع بها الشعير والقمح وبعض الخضراوات وقد بتنا بها ليلتين فى الأولى منهما سرق حصان لنا كان مريضا باحتقان فى الحنجرة وكانت تنزل من أنفه مواد مخاطية وكان مربوطا خارج المعسكر للاشتباه فى مرضه ولذلك تمكنوا من أخذه وقد بلغنى خبر السرقة فى الساعة الثامنة ليلا من الضابط المنوط بالحراسة (النوبتجى) فأحضرت فى الحال عمدة البلدة المدعو سـعدا وأخبرته الخبر وأكدت عليـه ضرورة رجوع الحصان فأسرع فى الحال وركب مع بعض أقربائه هجنا واقتفوا أثر اللصوص فوافونا به فى الساعة الرابعة من الليلة التالية وقد أنهكه التعب فسرنى ذلك جدّ السرور وفرح الركب أيمـا فرح وقد كافأ العمدة أمير الحج بجنيهين انجليزيين — وكان له مرتب مثلهـما — وجبـة حمراء وشهادة بأنه « خَوِى » المحمل أى من أمنائه ففرح بذلك فرحا شديدا .

وفى الليلة الأولى أيضا اقترب بعض اللصوص من المعسكر زاحفين على أيديهم وأرجلهم فبادرهم الجندى الخفير (الديده بان) بضرب الرصاص فانثنوا راجعين بعد أن أصيب واحد منهم برصاصة فى نخذه كما وردت بذلك الأخبار الأكيدة فى الصباح ، وبلغنى أنهم سيحضرون فى الليلة التالية ليأخذوا بثأرهم فأعددت لذلك العدّة واتخذت الحيطة فعند الغروب أمرت « البروجى » بترمير نوبة[1] كبسة ففى لحظة يسيرة وقف العساكر بشكل مربع محكم داخله الحجاج وجمالهم وترأس كل صفّ ضابط ونصب المدفعان فى اتجاه البلدة وأمرهم رئيس المائة (اليوزباشى) أن يتشكلوا بشكل ضرب النار ففعلوا وبعد أن مررت بهم ونبهت عليهم بما يلزم زمّر «البروجى» ترميرة الانفضاض (دستور) . وقد بلغنى أن العربان لما شاهدوا تمرين العسكر والمدافع وجهت أفواهها نحو البلدة جبنوا عن الاقتراب من المعسكر وبتنا ليلتنا الثانية فى أمان واطمئنان ولم يحدث ما يكدر الصفو فحمدنا الله رعايته لنا ورده المسلوب الينا ولم نسمع قبل ذلك أن العربان استلبوا شيئا وردّوه ولكن رعاية الله فوق كل رعاية .

(اليوم التاسع) وأقمنا يوم الجمعة سابع المحرم بصفينة للاستراحة والاستحمام اذ المياه بها كثيرة .

(اليوم العاشر) وفى منتصف الساعة الثانية عشرة وقد أصبح صباح السبت ثامن المحرم قمنا من صفينة وسرنا الى الشمال الشرقى ثلاث ساعات ونصفا والى الشمال الغربى ستا ونصفا فتلك عشر ساعات سيرا واسترحنا ساعة وقت الظهر فكنا فى منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا قبالة « السويرجية » فى ميسرتنا مسيرة ست ساعات وأقمنا حيث انتهى بنا السير ولم نعرج على محطة السويرجية لأنه كان معنا المياه الكافية والطريق من صفينة الى قبالة السويرجية سهل رملى إلا بعض بقاع فيه ، وأشجاره كثيرة وحره شديد وبه جملة برك تجمع فيها ماء المطر فسقينا منها

(١) تكون عند هجوم العدوّ بغتة .

الحيوان وقد وافانا حيث أقمنا الشيخ «بريكة الشويب» شيخ قبيلة مطير وله مرتب سنوى ٦٠ ريالا (بطاقة) يأخذها من صرة المحمل عند مروره بأرضه نظير محافظته عليه ، وقدطاب من الأمير مرتب السنة الماضية أيضا لأن المحمل لم يمر فيها من الطريق الشرقى الذى نحن بصدد وصفه فلم يتقاض مرتبها — والعادة تثبت عند العرب بمرة واحدة — فأبى عليه الأمير فأسرها فى نفسه وتصادف أنه لما حضر الشيخ بريكة كان معه نحو ثلاثين هجانا مسلحين فاناخوا هجنهم قبالة سرادق الأمير فأمر بنقلهم الى جهة أخرى بلهجة شديدة فامتلأت من ذلك نفس الشيخ وصحبه واستبنت ذلك فى وجوههم فتلافيت الأمر وأخذتهم الى خيمتى وذبحت لهم كبشا وصنعت لهم ثريدا يعلوه الأرز فسُرِّى عنهم وأكلوا وشكروا وازداد فرحهم لما قدمت لهم شايا وقهوة وأوقدوا نارا أمام خيمتنا وصنعوا لنا قهوة عربية ودعونى فشربت معهم وكان مما قاله لى الشيخ بريكة ساعة حضر الى خيمتنا هذه الجملة : (يابيه الباشا هذا علومه فاسدة يا راجل) وقال بلا خوف : نحن كلاب يقول لنا امشوا امشوا ، ولكن اكرامنا له وحفاوتنا به أزالت ما علق بنفسه وطلب الىّ أن أتكلم مع الباشا الأمير بشأن مرتب السنة الماضية فكلمته واتفق الأمير مع أمين الصرة والكاتب الأول على أن يصرف له نصف المرتب فرضى الشيخ بذلك ورجا الأمير فى أن يكلم وزير المالية فى صرف النصف الآخر اليه فوعده المساعدة وأعطاه نصف رأس من السكر ونحو رطل من البن وبعض من « البقسماط » وكذلك أعطيته بعض البن والسكر فزاد فرحه وشكره وعاد الى قبيلته بعد أن رافقنا يوما بعد حدوده التى كان يرافق المحمل اليها كل سنة .

(اليوم الحادى عشر) وفى منتصف الساعة العاشرة ليلا قمنا من «السويرجية» وسرنا نحو الشمال الغربى تسع ساعات ونصفا ونحو الغرب ساعتين ونصفا واسترحنا ساعة وقت الظهر فتلك ثلاث عشرة ساعة وصلنا بعدها الى « محطة الجرية » قبل المغرب بساعة ونصف وكان طريقنا خيرانا يشبه بعضها بعضا تنخفض تارة وترتفع أخرى وبه أشجار عتيقة ضخمة والجبال متدانية وقبل أن نصل الى الجرية

بساعتين ونصف بدأنا السير فى عقبة سهلة فى أوّلها متشعبة طرقها لا يسع الواحد منها إلا جملا واحدا وفى وسط هذه العقبة منحدر شديد يمرّ منه الجمل تلو الجمل بعسر ومشقة حيث إن الجمل لا ينزل من المنحدر إلا اذا صاحبه ثلاثة أشخاص يأخذ بمقوده واحد ويسند ميمنة الشقدف ثان وميسرته ثالث، وقد مرّ جميع الركب بهذا النظام ولم يقع منه إلا رجل طاعن فى السن يسمى أبا حلاوة يرافق المحمل سنويا ومعه سوط — فرقلة — يفسح به الطريق للركب، فإنه وقع وأصابته رضوض صاحبته الى مصر، وتنتهى العقبة بمضيق بين جبال شاهقة به أشجار كثيفة ومياه مطر كثيرة .

وبالجرية ست آبار عذبة المياه عمق الواحدة منها سبعة أمتار وبها حشائش للحيوان تباع بأثمان عالية .

وقد وجدنا بالمحطة رجلا مغربيا مصابا بالجدرى لا يستطيع النهوض تركه رفاقه على « شبرية »(١) وسط أشجار سنط كثيفة فأشفقنا عليه واستجدينا له المحسنين وأجرنا له جملا يركبه ورجلا يخدمه وجعلناه فى مؤخرة الركب على بعد ١٠٠ متر منه حذر أن تنتقل الينا جراثيم مرضه وقد أخذت صحته فى التقدّم من ذلك الحين لشدة فرحه برؤية ركبنا ولإشفاقنا عليه وكان من خبر هذا الرجل مع رفقته أنه الذى دفع لهم أجرة الجمال وأنه كان معه ٤٠ جنيها أخذوها وتركوه وسط غابة لا يأوى اليها إلا الوحوش الضارية وقد بلغنى من أهل المدينة أنه تم شفاؤه وأنه عرف رفاقه بالمدينة فأخذ منهم نقوده وتركهم وشأنهم .

(اليوم الثانى عشر) وفى صباح الاثنين عاشر المحرم الساعة ١١ ليلا قمنا من الجرية وسرنا نحو الشمال الغربى ساعة ونصفا والى الشمال الشرقى ساعتين ثم الى الشمال الغربى ثمان ساعات ونصفا وقد استرحنا بالطريق من الساعة الخامسة نهارا

(١) الشبرية عبارة عن مستطيلين من الخشب طول كل منهما نحو ١٥٠ سنتى فى عرض ٧٥ وضع أحدهما فوق الآخر على قوائم أربع فى الزوايا الأربع ووصل بين كل ضلعين متقابلين بأحبال على شكل شبكة ما عدا الجهة العلوية ويوضع على ظهر الجمل ويركب فيه شخصان كل فى ناحية ويسميها بعض العرب سحلية .

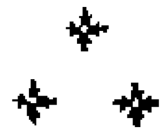
لغاية الساعة الحادية عشرة ثم واصلنا السير حتى وصلنا تجاه محطة « غرابة » فعرّسنا هنالك بعد تمام الساعة الخامسة ليلا والطريق سهل واسع جباله متنائية وأرضه مستوية تصلح للزراعة وبعد قيامنا من الجرية بنصف ساعة هبت علينا رياح شديدة ملأت الجو بالأتربة حتى كان الشخص لا يبصر جاره وقد قللت سير الجمال فدعونا الله أن تقلع عنا فبعد الغروب بنصف ساعة أخذ تيارها يخف شيئا فشيئا وصفا الجو من الغبار وسارت الإبل على ضوء القمر ضعف ما كانت تسير بالنهار . وقد بدأنا من الجرية فى غابة كثيفة ساعتين ونصفا وبها طرق متعددة (مدقات) ووجدنا بها بعض حجاج تردهم ركب المحمل الشامى كما وجدنا غيرهم بالمحطات السابقة وكنا نحمل من نجد الى المدينة ولا ماء حيث عرّسنا .

(اليوم الثالث عشر) ورحلنا عن الغرابة صباح الثلاثاء الساعة ١١ ليلا فأشملنا مغربين ثمانى ساعات وسدسا وغربنا ساعة ونصفا فوصلنا محطة «الغدير» الساعه ٨ والدقيقة ٤٠ نهارا والطريق أكثره سهل عظيم الاتساع مستو صالح للزراعة ، وفى منتهاه عقبة ذات صعود وهبوط وتعاريج كثيرة تدانت فيها الجبال وقد قطعناها فى ساعة ونصف وقد وجدنا بالطريق بئرا ملأتها مياه المطر، أما محطة الغدير فبها بركة مبنية طولها ١٠٠ متر فى عرض ١٠ وعمق مترين أو يزيد وهى فى حجر الجبل وبجوارها مياه أخرى وقد أطلق أحد العربان «بندقيته» على خادم من خدم سلطان المكلة والشحر وهو يغترف الماء من البركة ولكن طاش سهمه وقد بحثنا عن هذا الشقى فلم نظفر به .

وبمحطة الغدير المسلى واللبن الحامض والأغنام والحشيش للحيوان وبها لصوص .

(اليوم الرابع عشر) وفى الساعة العاشرة من ليلة الأربعاء ثانى عشر المحرم سرنا من محطة الغدير نحو الشمال الغربى سبع ساعات ونصفا وغربنا ساعة ونصفا وانحينا ناحية الجنوب الغربى ثلاث ساعات واذا بنا فى « المدينة المنورة » على صاحبها أزكى الصلوات والتسليمات وكان وصولنا اليها فى منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا ، وقد استرحنا بالطريق نصف ساعة والطريق من الغدير حجرى صعب

المسلك سرنا فيه فرادى سبع ساعات وكان يعلو بنا تارة وينحدر أخرى وقد وجدنا قبل وصولنا الى المدينة بقريب من ثلاث ساعات غديرا يمثل جزءا من نهر النيل فى اتساعه وقت الفيضان ويقال له غدير الأغوات ، وكذلك يوجد خارج المدينة جملة آبار مررنا بها وماؤها مالح لا يصلح للشرب وأكثرها مردوم غير معتنى به .



ولا يفوتنا أن نذكر لك أنه عند قيامنا من مكة قام معنا مائتا جمل وجمل محملة أسلاكا ومغازل — ما يلف حوله السلك بالعمود — لخط الاشارات البرقية الذى شرع فى إنشائه بالطريق الشرقى بين مكة والمدينة فسارت معنا آمنة مطمئنة ووزعت تلك الأحمال على المحطات التى انتخبها الشريف لذلك حتى محطة الجحرية قبل المدينة بمحطتين وقد كان بعض العربان يسألنى عن السلك والغرض منه ومن توزيعه فكنت أبين له منافعه العامة والخاصة من تسهيل المخابرات وتعيين مرتبات لمن يحافظ عليه فكنت أرى فيهم الغيظ والتذمر وكنت أراهم يتحدث بعضهم الى بعض فى شأنه كأنما يأتمرون عليه وقد تحقق ذلك فانه بعد وصولنا الى المدينة بيومين بلغنا أن العربان قطعوا الأسلاك وحرقوا ١٢٠٠ عمود من الخشب كان يحملها ٣٠٠ جمل من جدة ، فسطا عليها العربان ونهبوها وقتلوا بعض جمالتها ولجأ الباقى الى الجبال والفيافى وبعد أن بلغنا الخبر بأسبوع قدم الى المدينة الفريق صادق باشا العظم المنوط به إنشاء الخط البرقى ومعه ركنه — أركان حربه — وبعض خدمه فارّين من العربان الذين أرادوا بهم سوءا لما علموا أن صادقا هو القائم بذلك ، وكان حضورهم من طريق الساحل الى ينبع ومنها سلكوا الى المدينة طريقا غير معتاد يسمى طريق بويط ينتهى شمالى المدينة بمحطتين ولما وصل فى مسيره الى محطة «الملاليح» شمالى المدينة أخبر الدولة برقيا بما حصل فعزلته وعينت «فريقا» بدله إرضاء للشريف عون الرفيق باشا وهكذا تعمل مع كل موظف يخلص فى عمله فيتصادم حقه بباطل الشريف وهواه فيشى به الى أولى الأمر بالاستانة فيعزلونه ويولون غيره .

وقد زارنى صادق باشا وزرته مرات فوجدت فيه عاقلا نابها وعالما متضلعا وشهما مخلصا يقدّر الأمور حق قدرها ويعمل للدولة كل ما فيه إصلاحها ورقيها ولكن ذلك لا يعجب الشريف بل يريد عاملا اذا أمره أطاع واذا أغرض ساعد وكان من أمره مع صادق باشا أنه لما أتم الخط البرقى بين الشام والمدينة وشرع فى مدّه الى مكة قابل الشريف فسأله أىّ الطرق يسلكه الخط البرقى فقال: «الطريق السلطانى» فامتعض الشريف وقال: بل الطريق الشرقى وخاطب الباب العالى فى ذلك فأيده فى قوله وجاء الأمر لصادق باشا بأن يذعن لقوله، فلم يسعه إلا التسليم مع أن الطريق السلطانى طريق مأمون عامر البلاد والسكان والآبار ولكن الشريف كبر عليه أن لا يمرّ الخط ببلدته « صفينة » بالطريق الشرقى فضرب برأى الباشا عرض الحائط مع أنه محض الصواب والمصلحة وعرض الخط لسطو اللصوص وعبثهم به وبالقائمين بمدّه، على أنى أجزم بأن الشريف هو الذى حرضهم على ذلك وكتب الى السلطان بأن العربان قطعوا الأسلاك انتقاما منه لاخلاصه لسدتكم وأنه أرسل اليهم عساكره فأدبوهم وضربوا على أيديهم فأرسل له السلطان مكافأة على ذلك ١٥٠٠ ريال و٦٠ جبة جوخ ليفرقها على عساكره فحرّضهم على التخريب ليتوصل الى هذه المكافأة ومن جهة أخرى فإنه يكره سهولة المخابرة مع الدولة لأنه لو خالفها استطاعت فى زمن وجيز أن تجلب عليه من خيلها ورجلها مالا قبل له به، ويؤيد ذلك أنى لما حججت فى سنة ١٣٢٥ هـ . وسلكت الطريق السلطانى سمعت مشايخ العربان يقولون إن الشريف عرفنا أن مد الخط الحديدى الى الحجاز يمكن الألمان من بلادهم وينزل الضرر بهم وبأرزاقهم لأنه سيحرمهم نقل الحجاج وأمتعتهم وذلك مصدر من مصادر عيشهم وأن ذلك ينشر الحرية بين الناس فيقف السيد مع عبده جنبا الى جنب فى المقاضاة ويخاطبه خطاب الند للند وترى الجارية منزلتها بمنزلة سيدها والأعراب قاطبة من أبغض الناس لهذه الأمور لأن الخدمة الخارجية

على العبيد والمنزلية على الجوارى فكيف ينصاعون لأوامرهم إذ سوّوا بهم، فمن هذا وأمثاله تستنتج خلق الشريف وتصوّب ما ارتأيته فى إغرائه العربان على حرق الأعمدة وتقطيع الأسلاك ــ نرجع الى سياق السفر، جرت العادة أن المحمل اذا اقترب من المدينة بات عند مثوى سيدنا حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وشهيد أحد وهو يبعد عن المدينة بمسير ساعة ولكنا تركنا هذه العادة فى حجتنا هذه ودخلنا المدينة بدون أن نبيت عنده و زرناه فى يوم آخر كما سيأتى إن شاء الله .

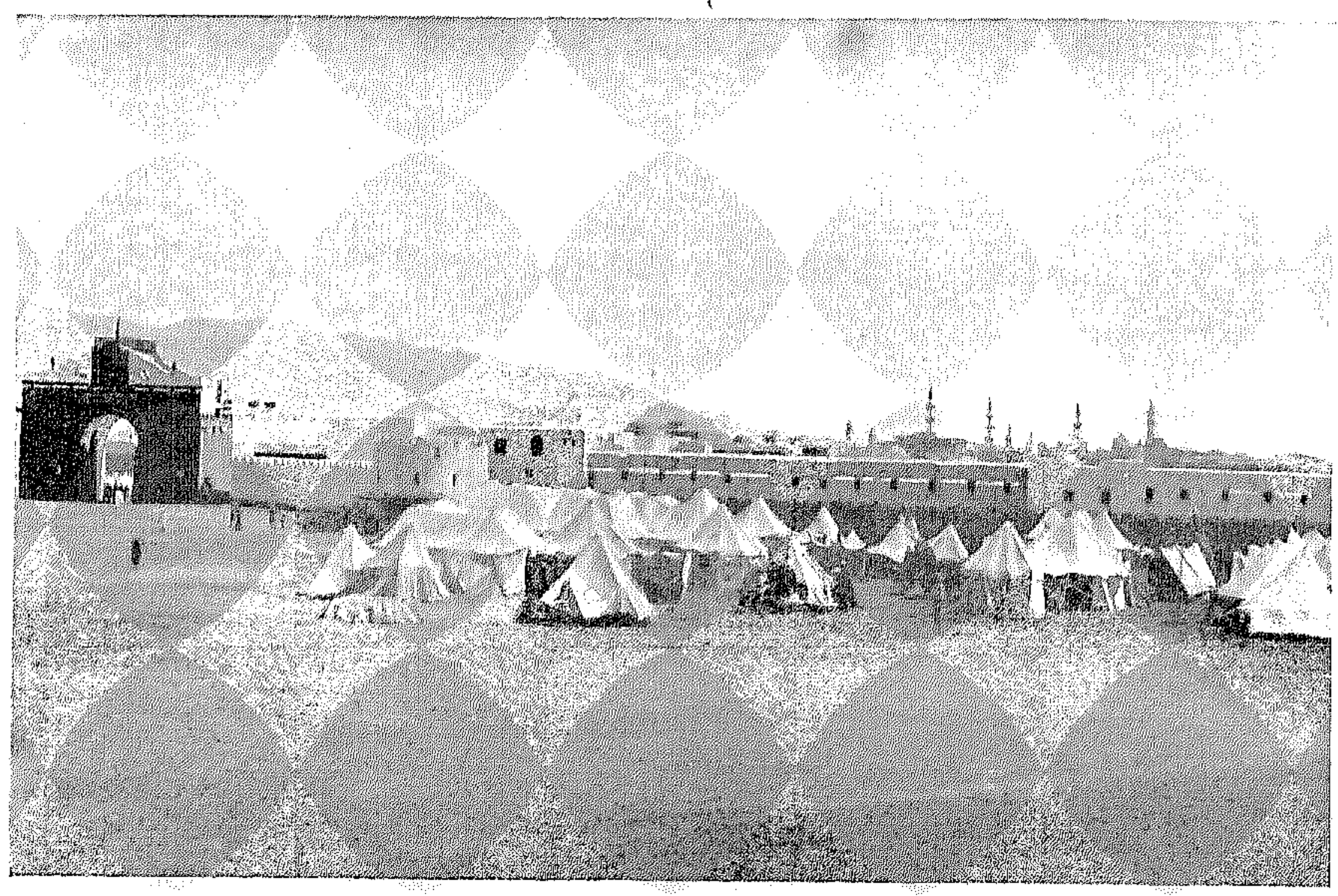
وقد شاهدنا القبة الخضراء المقامة على قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل أن نصل الى المدينة بثلاث ساعات وكان الجو صافيا واستقبلنا خارج المدينة بمسيرة ساعة كثير من أغوات المسجد النبوىّ وأخبرونا بأن الاشاعات ذاعت لما أن تأخر محملنا عن المحمل الشامى وحسبوا أن العرب أوقعت بنا حتى لم يفز أحد ولكن كذب ظنهم وحضرنا جميعا بمعونة الله سالمين ومعنا نحو ٨٥ حاجا من تابعى المحمل الشامى الذين خلفهم فى الطريق وقد ساعدنا على حملهم الى المدينة سلطان المكلة والشحر فانه ــ وفقه الله ــ أجر لنا ٢٠ جملا من ماله الخاص . وقد أرسل صاحب الدولة شيخ المسجد النبوى مندوبين من قبله لتحيتنا وتهنئة السلطان وركبه بالقدوم سالمين وقد رافقونا حيث ينزل جندنا كل سنة فى غربى المدينة الجنوبى وذلك بجوار « باب الحميدية » الذى شيده سلطاننا الحالى عبد الحميد الثانى ويسمى باب العنبرية وقد نقش عليه هذان البيتان :

باب لطيبة شاده ملك الورى * خاقاننا الغازى الحميد ثناه
يا سعد أرّخ باب سعد ناجح * سلطاننا عبد الحميد بناه

١٣٠٥ هـ

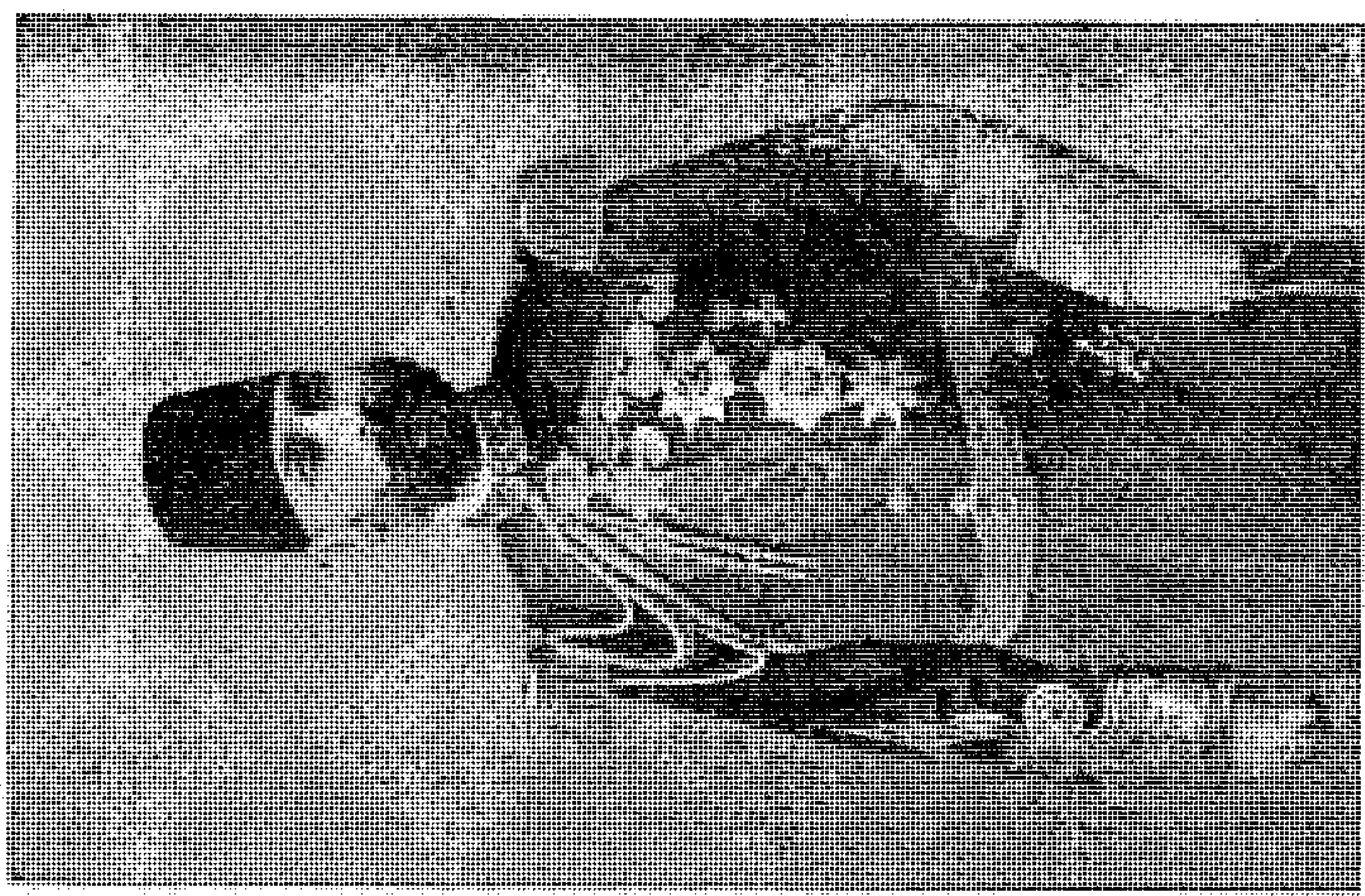
وهما من إنشاء مفتى الشافعية السيد جعفر البرزنجى . انظر المعسكر والباب فى (الرسم ١٣٤) .

معسكر المحمل المصري خارج باب العنبرية بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٠



134. The Egyptian Mahmal camping outside the Ambarieh gate at Medina

الفريق عثمان باشا فريد شيخ الحرم النبوى



135. A photo of El Farik Osman Pacha Farid the Sheikh of Nabawi Mosque.

دخول المدينة المنوّرة

فى يوم الخميس ١٣ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . اغتسلنا ولبسنا ثيابا بيضاء و يممنا المسجد النبوى لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فدخلنا المسجد ووقفنا تجاه قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وسلمنا عليه ، ثم خطونا خطوة الى اليمين وسلمنا على أبي بكر الصدّيق أوّل الخلفاء الراشدين ، ثم خطونا أخرى وسلمنا على الفاروق عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين ، ثم زرنا مكانا يقال له « مهبط الوحى » ومكانا آخر يزعم الناس أن سيدفن فيه عيسى عليه السلام ، ومكانا ثالثا يقال أنه مقبرة فاطمة الزهراء ، وكذبوا فان الواقدى قال : قلت لعبد الرحمن بن أبى الموالى إن الناس يقولون إن قبر فاطمة بالبقيع : فقال ما دفنت إلا فى زاوية فى دار عقيل وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع ، وكل هذه الأماكن شمالى حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجنا بعد ذلك من المسجد من باب جبريل وزرنا مقبرة البقيع فبدأنا بزيارة الخليفة الثالث جامع القرآن عثمان بن عفان وثنينا بزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وأولاده وأقربائه وثلثنا بشهداء البقيع ثم زرنا قبر مالك ابن أنس إمام دار الهجرة والفقيه الورع ، وزرنا الامام نافعا أحد القراء المشهورين وكذلك زرنا غيرهم ممن دفن بالبقيع رضى الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة .

وقد زرنا فى هذا اليوم الفريق عثمان باشا فريد محافظ المدينة وشيخ المسجد النبوى فاذا به رجل كامل متواضع طلق المحيا محمود الخلق وقد أكرمنا وبالغ فى الحفاوة بنا وقد أبلغته تحية الخديوى فشكر له ودعا وقال إنه من مدّة لم تأتنا مكاتبات من جنابه فقلت له إنه عازم على الحج والزيارة ففرح بذلك فرحا شديدا وأشار بأنه يود أن ينعم عليه الخديوى بنقود (فحرّك إصبعيه الإبهام والسبابة) فقلت له إنه اذا حج كثر إنعامه وزاد إحسانه فازداد سرورا الى سروره وقال إنى معجب بظرفك وجميل حديثك وحسن جوابك (١) .

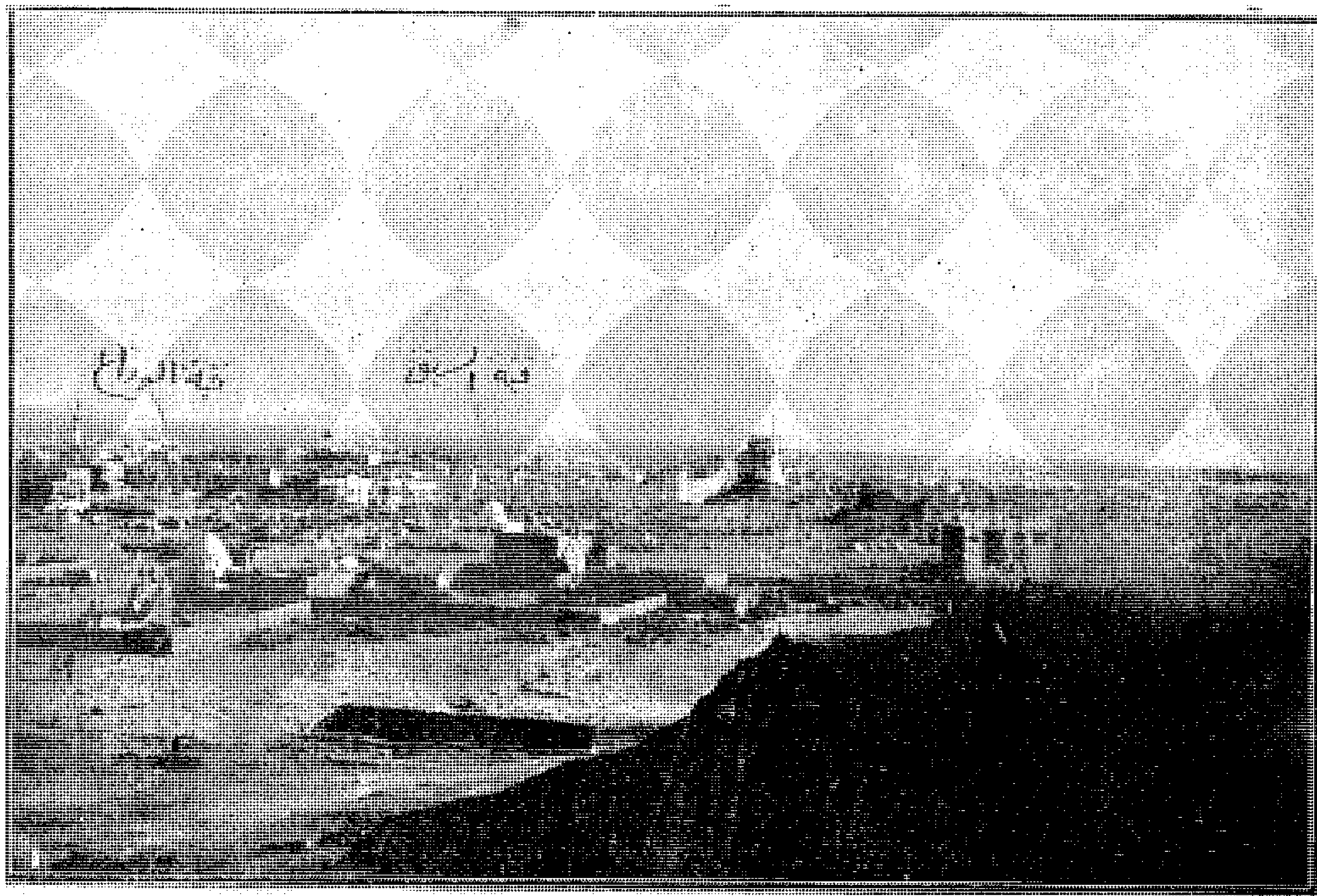
(١) عثمان باشا فريد أصله من الشراكسة وقد مكث فى مشيخة الحرم الى أن أعلن الدستور فى سنة ١٣٢٦ هـ . فعزل وكان رجل عمل وشدّة ودهاء وسياسة ، ومن آثاره فى المدينة باب العنبرية وقلعة فى وادى العقيق على مقربة من مسجد السيد عبد المحسن أسعد وغرس أشجارا بالمناخة تظل النازلين بها . انظره فى (الرسم ١٣٥) .

وليمة المحافظ — فى يوم الجمعة ١٤ المحرم أقام لنا سعادة المحافظ وليمة فخمة دعا اليها سلطان المكلة والشحر ونجله وحفيده وأمير الحج المصرى وأمين صرته ورئيس حرسه — قومندانه — والضباط والموظفين وأعيان المدينة فكنا نحو الستين تناولنا طعام العشاء دفعة واحدة على ثلاث عشرة مائدة وضعت على النمط التركى فوق كراسى قصيرة وفرشت حولها الفرش الوثيرة على الأبسطة القيمة الجميلة فجلسنا حولها وقدمت لنا أطعمة فاخرة أتقن صنعها وجمل شكلها فذكرتنا بموائد الملوك والأمراء وكانت الموسيقتان الشاهانية والمصرية والمزمار البلدى تطرب الحضور بالأنغام الشجية والأنوار ساطعة من المصابيح الموضوعة على الجدر والنخيل التى بفناء المنزل على شكل منظم فكانت ليلة بديعة وحفلة أنيقة تناولنا فيها الحديث فى مختلف الشؤون وكان المحافظ ينتقل بين الحضور يجلس مع هذا لحظة يحييه ويؤانسه ومع آخر أخرى ومع ثالث ثالثة وهكذا يحيي ضيوفه بما جبل عليه من كمال الشيم .

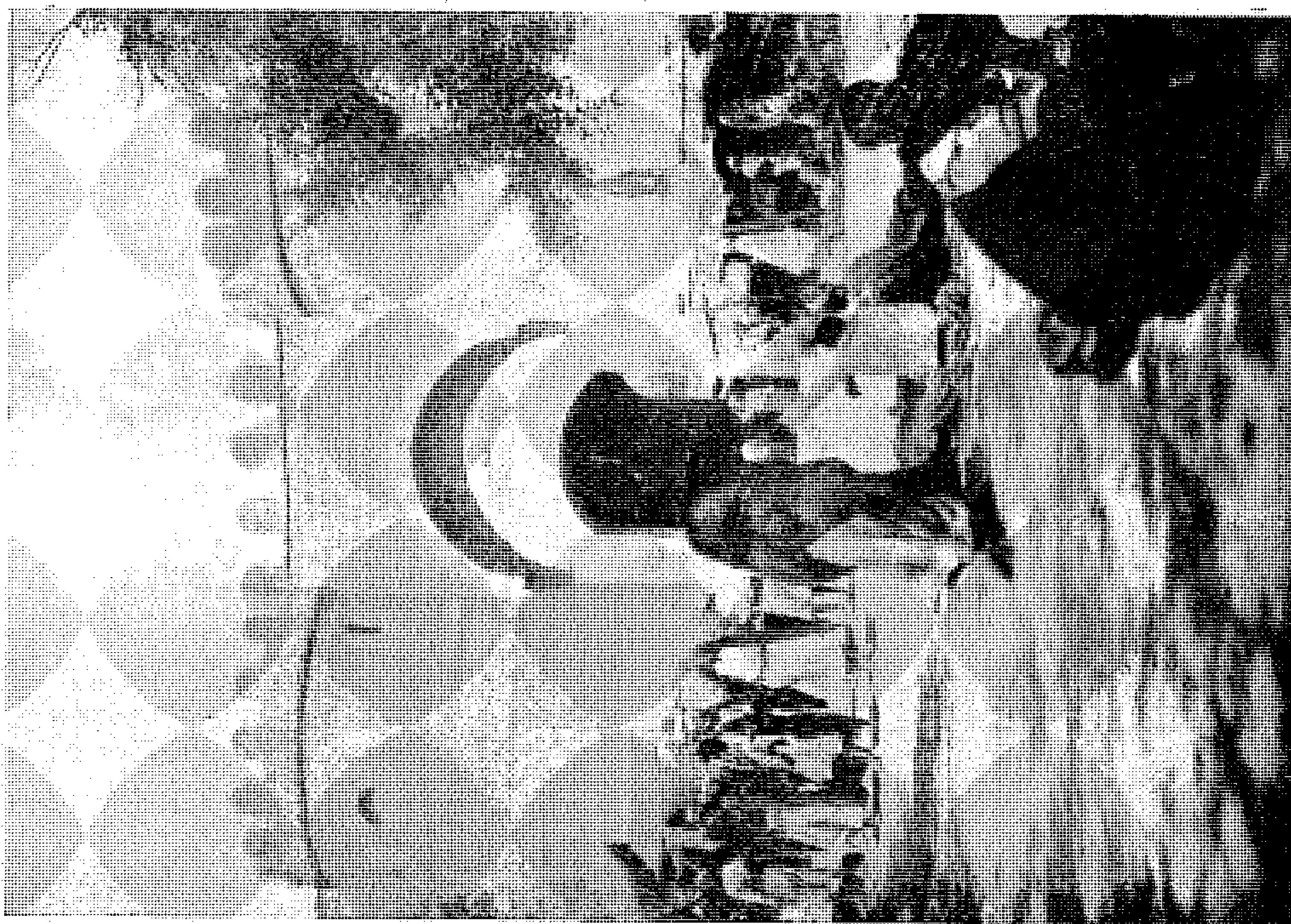
والذى بعثه لاقامة هذه الوليمة الحفاوة بسلطان المكلة والشحر عوض بن عمر القعيطى ، وفى نهاية الحفلة صدحت الموسيقى بالسلام الملكى وهتف للسلطان ثلاثا وألقيت بعض الخطب بالعربية والتركية وبعض أشعار ارتجالية وانصرفنا شاكرين .

الاحتفال بادخال المحمل المسجد النبوى — فى صباح السبت ١٥ المحرم ألبس المحمل كسوته المقصبة واحتمله جمله وسار من معسكرنا يتقدمه أميره وأمين الصرة ففرقة من العساكر الشاهانية بضباطها وموسيقاها ويحف به من الجانبين الحرس والفرسان ودخل المدينة من باب العنبرية وسار فى شارعها وقطع المناخة ولما وصل الى الباب المصرى (الرسم ١٣٦) وهو أشبه بباب زويلة المعروف — ببوابة المتولى بالقاهرة — ترجل الراكبون أدبا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وسلكنا طريقا معوجا عرضه ٤ أمتار الى أن وصلنا الى باب السلام (الرسم ١٩٠) من أبواب المسجد النبوى فى ركنه الجنوبى الغربى وهناك وجدنا محافظ المدينة وشيخ المسجد النبوى الفريق عثمان باشا فريد ينتظرنا فتسلم مقود الجمل الذى يقل

منظر المدينة من الجهة الشمالية اخذ من جهة جبل سلع



137. The Northern-Western view of Medina Mosque in 1325.



الباب المصري بالمدينة المنورة

136. The " Egyptian gate " at Medina.

المحمل من يد الأمير وأناخه وأدخلنا المحمل المسجد ووضعناه بجوار المنبر النبوى كما هو العادة كل سنة ثم جلس المحافظ والأمير والأمين ومن حولهم الموظفون وفككنا كسوة المحمل قطعة قطعة ووضعت فى وسط المحتشدين أو المحتفلين والغرض من هذا التفكيك أن يحمل كل موظف قطعة ويدخل الجميع المقصورة النحاسية لوضع الكسوة بها وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حمل كل منا قطعة واشترك المحافظ مع أمير الحج فى حمل العلم الكبير « البيرق » وسار الجميع يتقدمهم المحافظ والأمين نحو الحجرة وقد ارتدوا الملابس والعمائم البيضاء وتقدم كثيرون واشتركوا معنا فى الحمل فكثر العدد وتنبه « الأغوات » لذلك فأقصوا الدخيل ودخلنا المقصورة ودعونا وقد تيسر لى الدخول مرتين أخريين مع « الأغوات » لإيقاد المصابيح .

وقد أقمنا بالمدينة اثنى عشر يوما كنت أؤدى فيها أكثر الصلوات بالمسجد النبوى استزادة للثواب وكثيرا ما كنت أتلو القرآن فى المصاحف التى أبدع تسطيرها مهرة الخطاطين من الأتراك، وإن جمال روائها وحسن تنسيقها ليستزيدك من القراءة فيها فالبصر متمتع واللسان مرتل والقلب متدبر والمقام كريم والذكرى تهيج فيالها من ساعات لا يحيط الوصف بأثرها فى النفس .

وبالمسجد مكتبة مملوءة بالمصاحف الخطية ودلائل الخيرات ذات الكتابة البديعة، وللمكتبة رئيس وعمال يجمعون المصاحف والدلائل من القارئين عند الصلاة ويوزعونها بعدها على من رغب فى التلاوة فيها .

زيارة شهداء أحد

قبل أن نذكر لك حديث الزيارة ووصف ما شاهدناه ورسومه نتقدم اليك بموجز عن غزوة أحد التى أبلى فيها المسلمون بلاء حسنا واستشهد كثير منهم وكان لهم فيها من العظة والاعتبار ما سلك بهم فى المستقبل نهجا أمما وطريقا رشدا وعمدتنا فى ذلك " زاد المعاد فى هدى خير العباد " للامام الهمام ابن قيم الجوزية .

لمـا قتل الله أشراف قريش ببدر وأصيبوا بمصيبة لم يرزؤوا بمثلها ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم أخذ يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين بجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش وحلفائهم والأحابيش وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا ليحاموا عنهن ثم أقبل بهم نحو المدينــة فنزل قريبا من جبل أحد بمكان يقـال له عينين[1] وذلك فى شوال من السنة الثالثة واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحـابه أيخرج اليهم أم يمكث فى المدينـة ؟ وكان رأيه أن لا يخرج من المدينة وأن يتحصنوا بهـا فان دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة والنساء من فوق البيوت ووافقه على هذا الرأى عبد الله بن أبىّ، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاتهم الخروج يوم بدر وأشاروا عليه بالخروج فنهض ودخل بيته ولبس لأمته — درعه ولباسه الحربى — وخرج فى ألف من الصحابة واستخلف ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقى فى المدينة لخروج يوم الجمعة . فلما صار بالشوط[2] بين المدينة وأحد انعزل عبـد الله بن أبىّ بنحو ثلث العسكر وقال : تخالفنى وتسمع من غيرى، فتبعهم عبـد الله ابن عمرو بن حزام يوبخهـم ويحضهم على الرجوع ويقول : تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع فرجع عنهم وسبهم . وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من اليهود فأبى وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب[3] من أحد فى عدوة الوادى — شاطئه — وجعل ظهره الى أحد ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم فلمـا أصبح يوم السبت تهيأ للقتال وهو فى سبعمائة فيهم خمسون فارسا واستعمل على الرماة وكانوا خمسين عبـد الله بن جبير وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم وأن لا يفارقوه ولو رأوا الطير تتخطف العسكر وكانوا خلف الجيش وأمرهم أن ينضحوا[4] المشركين بالنبـل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم وظاهر[5] رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين[6] يومئذ وأعطى اللواء مصعب بن عمير

(١) الجبل المقابل لجبل أحد . (٢) بستان بقرب ذباب وهو الجبل الذى عليه مسجد الراية .
(٣) الشعب الطريق فى الجبل أو ما انفرج بين الجبلين . (٤) يرشوا . (٥) جمع وطابق .
(٦) الدرع لبوس من الحديد يتقى به المحارب بأس الحرب .

واستعرض الشبان يومئذ فردّ من استصغره عن القتال وأجاز من رآه مطيقا وتعبت قريش للقتال وهم فى ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد. وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه الى أبى دجانة سماك ابن خرشة وكان شجاعا بطلا يختال عند الحرب ثم قاتل المسلمون قتالا شديدا وكان شعار المسلمين يومئذ « أمت أمت » وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار فانهزموا وولوا مدبرين حتى انتهوا الى نسائهم فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه وقالوا : يا قوم، الغنيمة الغنيمة! فذكرهم أميرهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعوا فظنوا أن ليس للمشركين رجعة فذهبوا فى طلب الغنيمة وأخلوا الثغر وكر فرسان المشركين فوجدوا الثغر قد خلا من الرماة فجازوا منه وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين فأكرم الله بعضهم بالشهادة وهم سبعون وولى الصحابة وخلص المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرحوا وجهه وكسروا رباعيته — إحدى أسنانه التى بعد الثنيتين الأماميتين — اليمنى وكانت السفلى وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه وسقط فى حفرة من الحفر التى كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين. فأخذ علىّ بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله وقتل مصعب بن عمير بين يديه فدفع اللواء الى علىّ بن أبى طالب ونشبت(١) حلقتان من حلق(٢) المغفر فى وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما فسقطت ثنيتاه(٣) من شدة غوصهما فى وجهه. وامتص مالك بن سنان — والد أبى سعيد الخدرىّ — الدم من وجنته وأدركه المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه فحال دونه نفر من المسلمين نحو عشرة حتى قتلوا ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم(٤) عنه، وترس أبو دجانة بظهره عليه والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك، وصرخ الشيطان بأعلى صوته أن محمدا قد قتل ووقع ذلك فى قلوب كثير من المسلمين وفر أكثرهم وكان أمر الله قدرا مقدورا، ومرّ أنس بن

---

(١) علقت . (٢) زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . (٣) الثنايا الأسنان الأربع التى فى مقدّم الفم ثنتان فوق وثنتان تحت . (٤) نحاهم عنه .

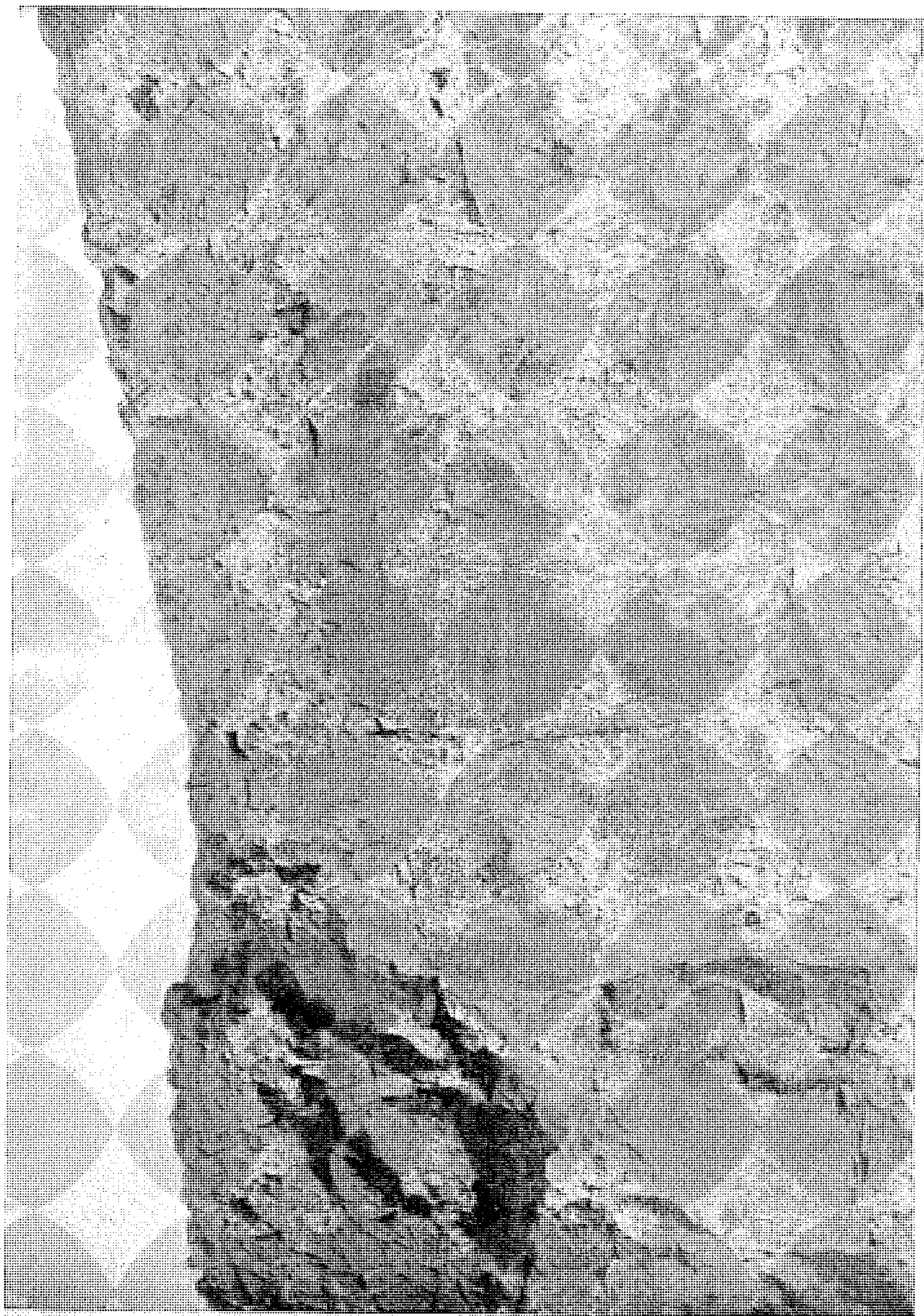
النضر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال ما تنتظرون؟ فقالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعون بالحياة بعده ، قوموا فموتوا على مامات عليه ثم استقبل الناس ولقى سعد بن معاذ فقال يا سعد ! إنى لأجد ريح الجنة من دون أحد فقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة وجرح حينئذ عبد الرحمن بن عوف نحوا من عشرين جراحة ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو المسلمين وكان أوّل من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك فصاح بأعلى صوته يا معشر المسلمين ! أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار بيده أن اسكت ، واجتمع إليه المسلمون ونهضوا معه الى الشعب الذى نزل فيه فلما امتدوا الى الجبل أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بن خلف على جواد له يقال له (العَوْد) كان يعلفه بمكة ويقول أقتل عليه محمدا ، فلما اقترب منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة فطعنه بها فجاءت فى ترقوته فكر منهزما وأيقن أنه مقتول بذلك الجرح فمات منه فى طريق سرف مرجعه الى مكة .

وقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلو صخرة هنالك فلم يستطع لما به فجلس طلحة تحته حتى صعدها وحانت الصلاة فصلى بهم جالسا ، وصار ذلك اليوم تحت لواء الأنصار .

وقتل المسلمون حامل لواء المشركين فرفعته لهم عمرة بنت علقمة الحارثية فاجتمعوا اليه .

ولما انقضت الحرب أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى أفيكم محمد أفيكم ابن أبى قحافة أفيكم عمر بن الخطاب فلم يجيبوه فقال لقومه : أما هؤلاء فقد كفيتموهم ، فلم يملك عمر نفسه وقال : ياعدوّ الله ان الذين ذكرتهم أحياء وقد أبقى الله لك ما يسوءك ، وإنما سأل عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه بأن قيام الإسلام بهم ثم قال أبوسفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال ، فأجابه عمر وقال : لا سواء . قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار وكان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله عز وجل به المؤمنين وأظهر به المنافقين ممن كان يظهر الاسلام بلسانه وهو مستخف بالكفر

جبل سلع وبه كتابة بالكوفي



138. A view of the Mountain of Salâ.

اللواء ابراهيم باشا رفعت امير الحج وابراهيم افندي حمدي خربوطلي بجبل سلع بالمدينة المنورة



139. Al-Liwa Ibrahim Pasha Rifaat and Ibrahim Eff. Hamdy El Kharboutly on Sele'i Hills at Medina.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ فأكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته، وكان مما نزل من القرآن فى يوم أحد ستون آية أولها ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الى آخر القصة . ولنعد الى حديث الزيارة .

فى يوم الخميس ٢٠ المحرم سنة ١٣١٩ هـ ، عزمنا على زيارة الشهداء بأحد ورؤية ماهنالك من الأبنية فسلكنا طريقا فى شمالى المدينة الغربى رمليا سهلا، عن يمينه وشماله حدائق ومزارع بها النخيل والليمون وكثير من الخضراوات وفيها العيون والآبار والسواقى ولكن أكثرها مهمل قد ملأته الرياح بالأتربة، ورأينا على يسارنا « قبة السبق » ويقال إنها فى المكان الذى كان الصحابة يتسابقون فيه بخيلهم وتراها فى (الرسم ١٣٧) وعلى الميسرة أيضا مسجد ذو قبتين يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم لبس فى مكانه الدرع يوم أحد وهذا لا يتفق مع ما أسلفنا لك من أنه لبس لأْمَته ببيته وأنه ظاهر بين درعين فى الشِّعب من جبل أحد صبيحة القتال، وبالطريق مسجد آخر زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم استراح بمكانه مرجعه من أحد وبجواره علامة — إدعوا أنها على موضع ظهره صلى الله عليه وسلم :

والدعاوى اذا لم تقيموا عليها * بينات أبناؤها أدعياء

وقد مررنا بجبل سَلع بعد مسير ثلث الساعة، وفى المحرم سنة ١٣٢٦ هـ . زرت هذا الجبل مع الشيخ ابراهيم حمدى خربوطى أمين مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك وقد وجدنا فى الجبل كتابة كوفية خطت بالنحت نصها كما أملاه علىّ رفيقى «أمسى وأصبح عمر وأبو بكر يشكوان الى الله من كل ما يكره» وترى فى (الرسم ١٣٨) شكل الكتابة التى تحققنا صحتها من حضرة الأستاذ يوسف افندى أحمد الأثرى بوزارة الأوقاف عند تقديم الرسم اليه فى ١٧ مايو سنة ١٩٢٤ م .

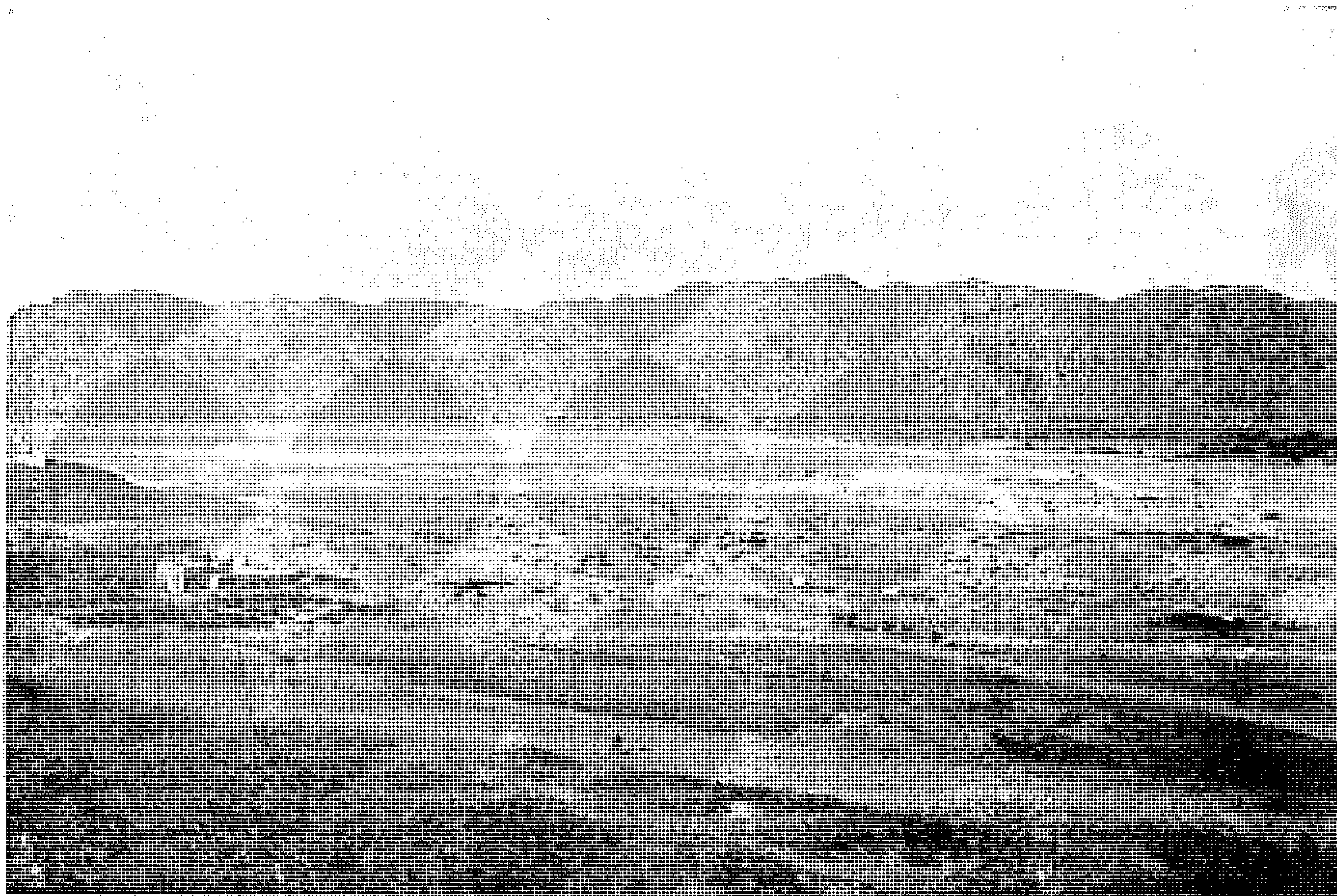
وكذلك مكتوب فى الجبل « يقبل الله عمر — الله يعامل عمر بالمغفرة ». وترى فى (الرسم ١٣٩) صورتى مع صورة رفيقى ونحن جالسون على جبل سلع، وكان

الجبل على يسارنا ثم تركناه وانعطفنا نحو اليمين فكان الجبل وراء ظهورنا وأحد أمام عيوننا وقد بلغناه بعد مسيرة ثلثي ساعة من المدينة أنظر (الرسم ١٤٠) وترى في وسطه مسجد سيدنا حمزة والبساتين في شماليه وجنوبيه والطرق الى المدينة ، والحفر التي تراها بالرسم موضع أخذ النورة التي يصنع منها الآجر .

مسجد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي
صلى الله عليه وسلم وشهيد أحد

هو مسجد محكم البناء خال من الزخارف به قبة فوق مقصورة حمزة التي أسدل عليها ستر مقصب هو في الأصل من ستارة باب الكعبة التي تصنعها مصر وقد كتب في هذا الستر من إحدى نواحيه — بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ ومن ناحية أخرى — بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أنظر (الرسم ١٣٤)، وترى شكل المقصورة في (الرسم ١٤١) الذي أخذه حضرة محمد افندي على سعودي في حجته معنا سنة ١٣٢٥ ه . والجالسون من اليمين الى اليسار هم شيخ الضريح فسعودي افندي فأمير الحج فابراهيم افندي حمدي أمين مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك، وترى في (الرسم ١٤٢) المسجد على الميسرة وأمامه صهريجان متقنا البناء لهما بابان من الحديد يملآن من مياه الغدير الذي يبعد عن المدينة بنحو أربع ساعات ، ويصل الماء من الغدير اليهما في قناة مبنية تشبه مجرى عين زبيدة والذي بناهما على بك كبير حجبة السلطان عبد الحميد ، وتراهما في الرسم على يمين المسجد فوقهما شبابيك ظاهرة والقسم الأول من البناء الذي بعد النخلة مسكن لخادم المصرع ، والقسم الثاني منه المرتفع المباني أقيم فوق المكان الذي استشهد به سيدنا حمزة ودفن به الى عام نيف وثلاثمائة ثم أتى سيل جارف من جهة الطائف فكشف عن ساقيه فنقل الى الربوة التي بني عليها مسجده الذي تراه في (الرسم ١٤٣) ولكن جاء في كثير من كتب السير أن حمزة قتل تحت جبل الرماة

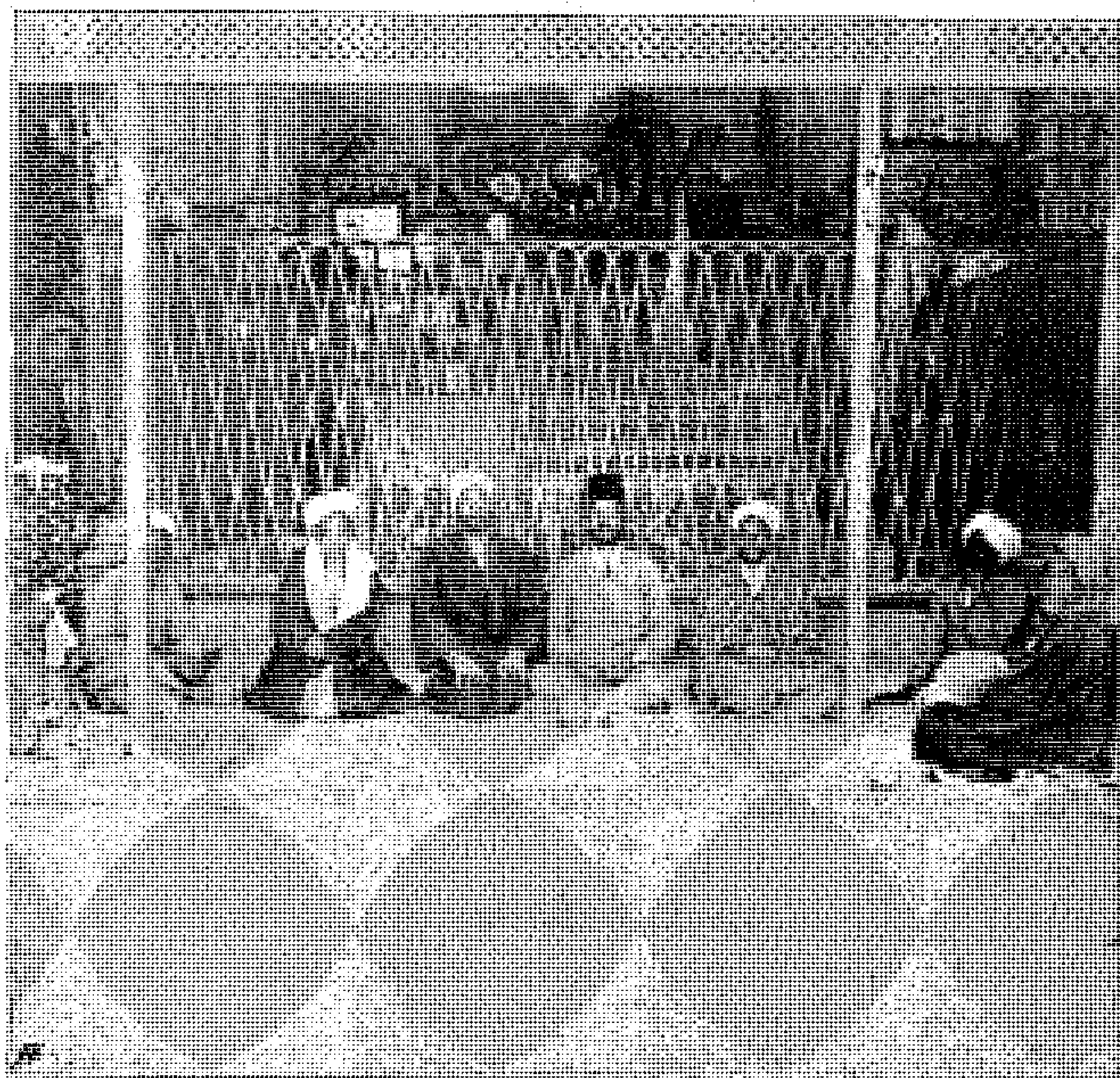
من جبل سلع الى جبل احد



140. A view of the road from Gebel Salà to Ohod in Medina.

صحيفة ۳۹۰

منظر ضريح سيدنا حمزه



141. The Mausoleum of Sayyedna Hamza, the uncle of the Prophet Mohamed in Ohod at Medina.

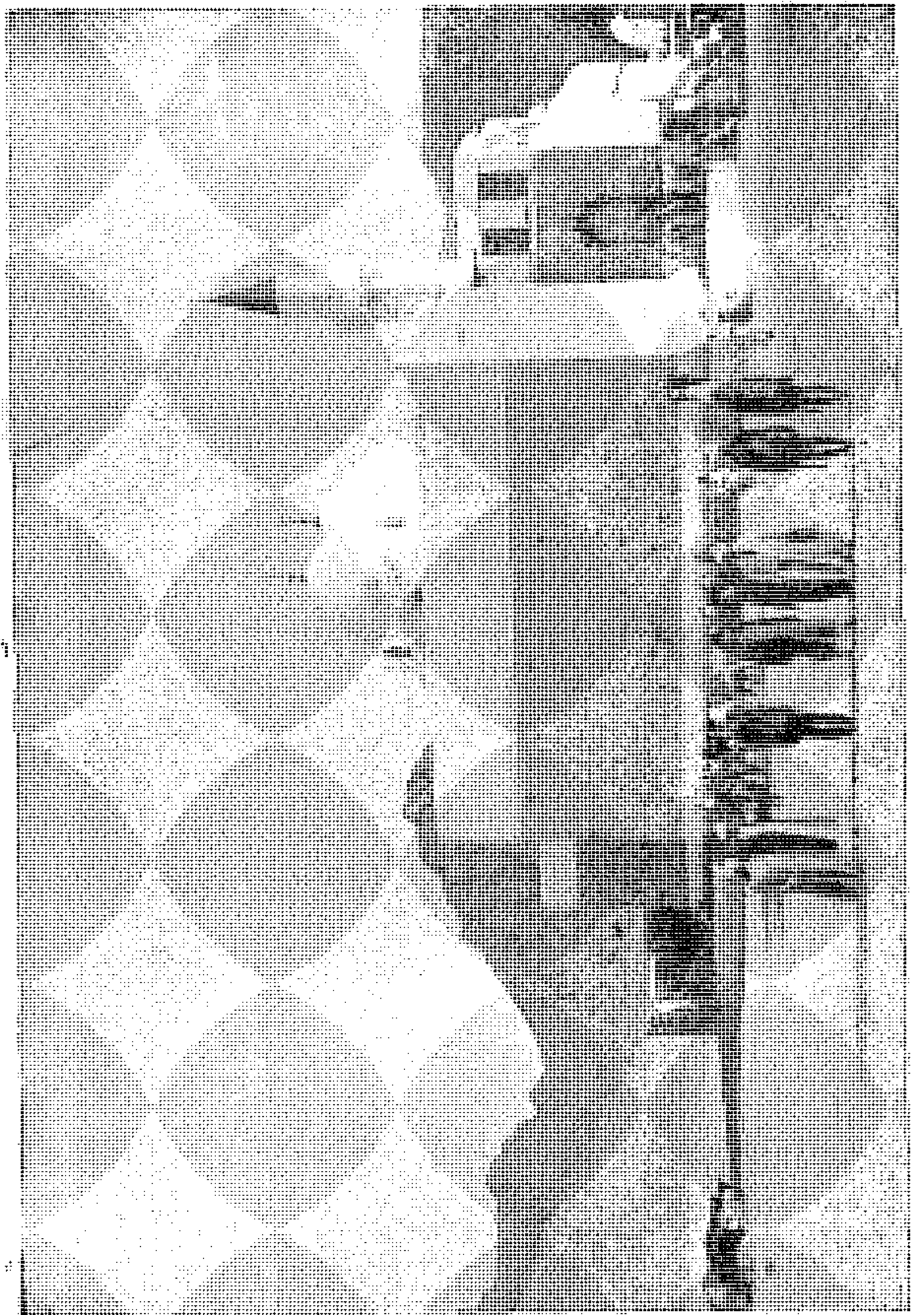
صحيفة ٣٩٠

منظر مسجد ومشهد سيدنا الحمزه عم النبي صلى الله عليه وسلم باحد بالمدينة المنورة



142. The Mosque and place of Martyrdom of Hamza, the uncle of the Prophet Mohamed, in Ohod at Medina

منظر جبل احد وبه ضريح ومسجد سيدنا حمزه



143. View of Mount Ohod with the mausoleum and Mosque of Hamza

وهو جبل عينين وإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر به فنقل عن بطن الوادى الى ربوة هنالك فالمدفن غير المصرع ، والربوة نقل اليها وقت الغزوة وقد تكون الربوة التى نقل اليها بعد القرن الثالث ربوة أخرى هى التى عليها المسجد الآن والله بالحقيقة خبير وتجد فى المصرع ضريحا(١) كتبت عليه الأبيات الآتية المتضمنة لعمارة زامر باشا .

أعظم بمشهد ليث الله حمزة من * بيوم أُحْد لخير الخلق قد نصرا
وفل فيه جيوش الشرك فأنهزمت * وباع لله نفسا والجنات شرى
فيا له مشهد يزهو برونقه * حسنا ويزرى بهاه الشمس والقمرا
قد فاز زامر باشا حين عمره * بأعظم الأجر والمولى له شكرا
وقال يمن له وافى يؤرخه * بجنب أكرم عم قد بنى أثرا

سنة ١٢٨٧ هـ

وهناك لوحة أخرى تضمنت تاريخ عمارة سليم بك سنة ١٢٦٥ هـ . وهاك نصها :

مسجد حاز كل فخر وسؤدد * وبدا نوره الى العرش يصعد
فيه صلى النبي بالصحب صبحا * وسما إذ غدا لحمزة مشهد
مسجد منه روح خير شهيد * رجعت بالرضا لفوز مؤبد
وبه بقعة حوته ونفس * اطمأنت بجنة وبمقعد
أسد الله عم طه المرجى * من أتاه لا شك بالخير يرفد
سيد الشافعين حمزة ترى * من يكشف الكروب قد صار يقصد
هو ذخر الورى لكل ملم * من به لاذ فى البرية يسعد
هو بحر يفيض برا وجودا * من رجاه أنا له خير مقصد
وهو للملتجى به خير حصن * وهو درع لخائف جاء ملهد
هو منجى الغريق هادى الحيارى * فبه الله كم أغاث وأنجد
مسجد الراية الشريفة هذا * للذى شاده قصور تشيد

---

(١) الضريح : الشق وسط القبر .

ويوم التمام أرخه البرى * ببيت يفوق درا منضد
يا له مشهد بهى تسامى * قد بناه سليم بك وجدد
سنة ١٢٦٥ هـ

وإنى لتأخذنى رعدة ساعة أقرأ هذه الأبيات التى تضمنت الشرك الصراح واذا كان حمزة ذخر الورى لكل ملم كما يقول هذا الشاعر الأحمق فما الذى بقى لله تعالى شأنه اللهم إن الجهل قد طبق على قلوب الناس وعموا عن دينه وتغالوا فى تقديس الأشخاص حتى أسندوا لهم ما هو لله وحده ، فاللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وتجد مكتوبا فى لوحة على القبر الذى بالمسجد هذين البيتين

قف على أبوابنا فى كل ضيق * واطلب الحاجات وابشر بالمنى
فما نا ملجأ للطالبين * وبنا تجلى الكروب والعنا

وكذب على حمزة من قال هذا الشعر بلسانه ونسب اليه مالا يليق بإسلامه ولا يتفق مع مقامه وهل حمزة المؤمن الموحد يدعو الناس الى دعائه من دون الله فى المضايق ويزعم أنه يرفع عنهم الضر والكروب وقد سمع قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وهل يرضى أن يكون دون المشركين الذين اعترفوا بأن الله يجير وحده ولا يجار عليه قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ اللهم إن حمزة براء مما قاله بعض الجاهلين على لسانه ظانا أنه قربة اليه وإن حمزة اذا كان يسره شيء منا فانما هو اتباعنا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن نلجأ فى السراء والضراء الى الله وحده ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وممن بنى مسجد حمزة أم الخليفة الناصر العباسى فى سنة ٥٩٠ هـ . وزاد فيه الأشرف قايتباى زيادة فى جهته الغربية وكان من ضمنها بئر فى غربى المسجد وأقام بيوت خلاء وحفر بئرا هناك يرتفق بها المارة واتخذ لها درجا وذلك كله فى سنة ٨٩٣ هـ . على يد شاهين الجمالى ، وفى شمالى المسجد مقبرة

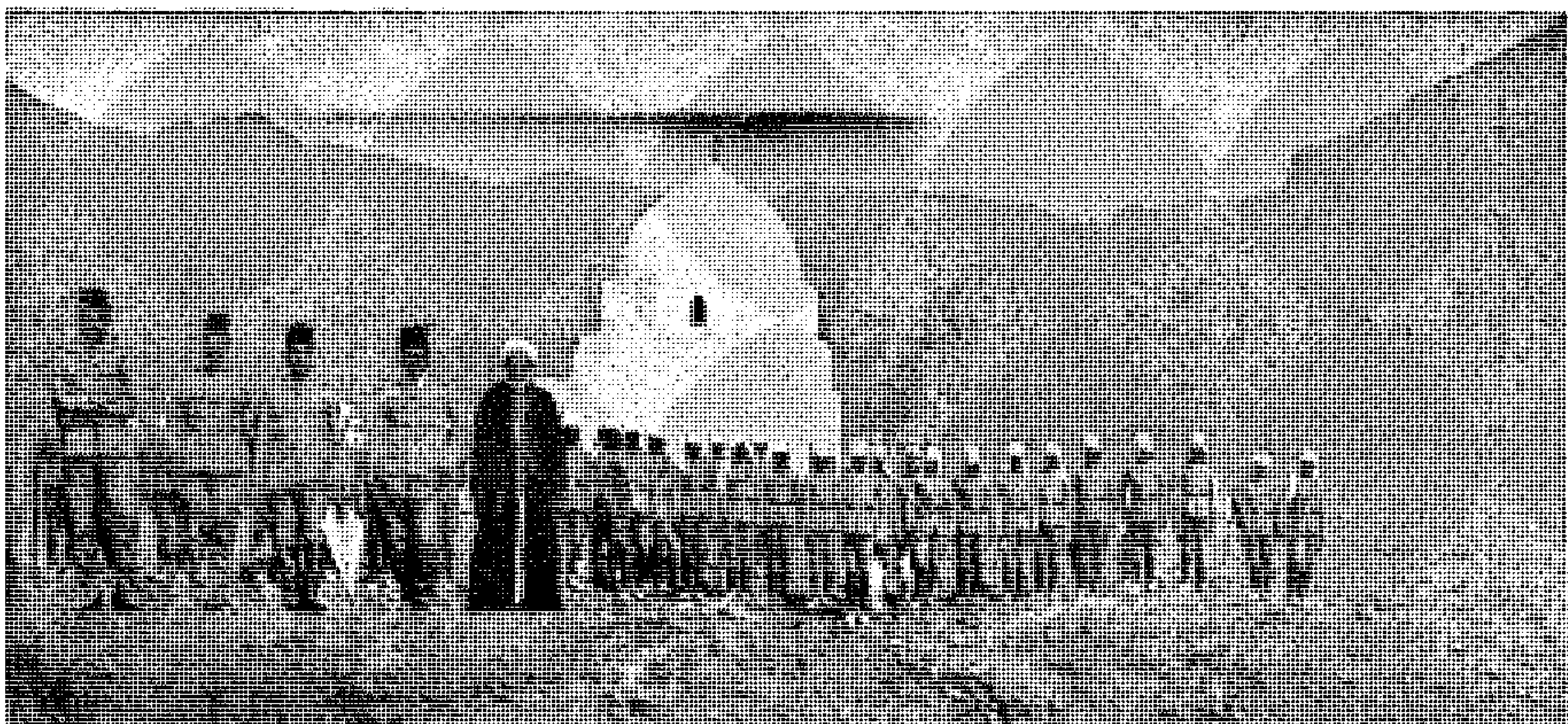
منظر قبة الثنايا بجبل احد بالمدينة المنورة



144. The dome of Et Thanaya in the neighbourhood of Ohod at Medina.

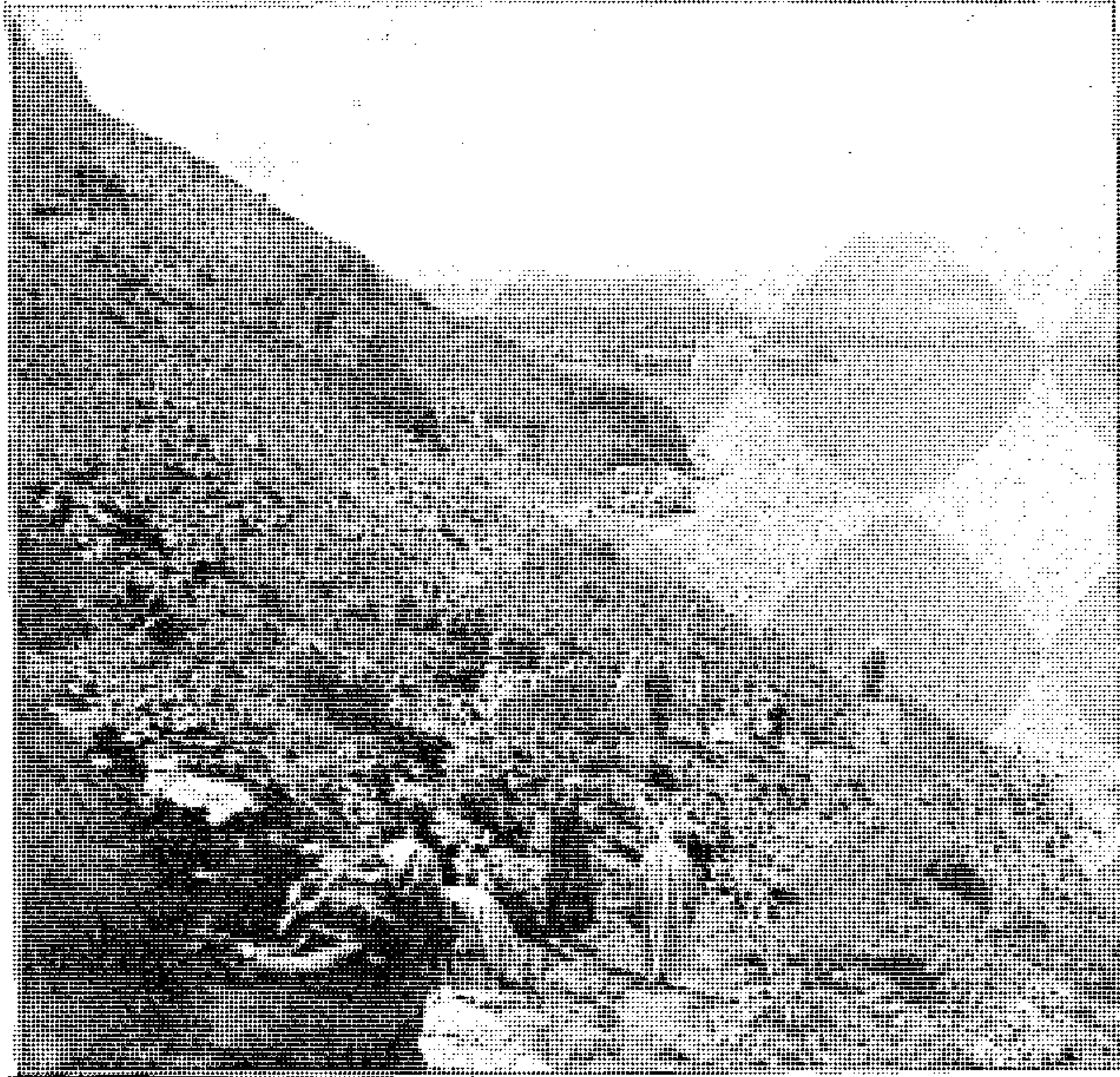
صحيفة ٣٩٣

رسم قبة الثنايا بجبل احد بالمدينة المنورة



145. A photo of the soldiers and officers near the dome of El Thanaya in Gebel Ohod.

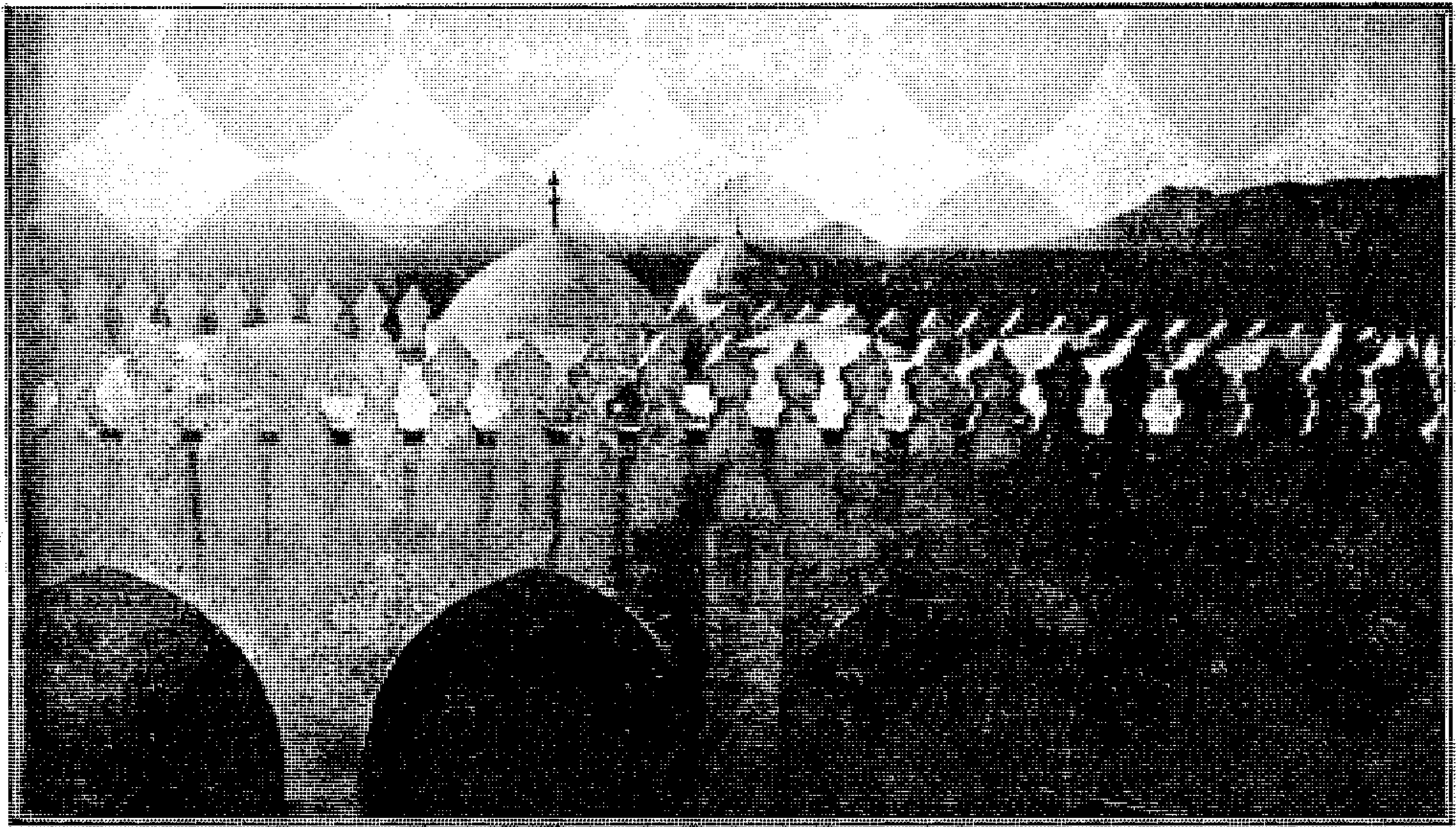
منظر من جبل احد سنة ١٣٢٢



146. A view from Ohod Mountain in 1321.

صحيفة ٣٩٧

داخل مسجد قبا سنة ١٣٢٥



147. Holy Mosque of Koba at Medina.

شهد أحد وعلى بابها حجر منقوش عليه تاريخ بنائها فى سنة ٢٧٥ هـ . ويجاور المقبرة عين تسمى عين الثنايا ماؤها عذب وينزل إليها بسلم منتظم، وهنا لك قبة الثنايا التى تراها فى (الرسم ١٤٤) والسيدات المرافقات للمحمل واقفات دونها وفى (الرسم ١٤٥) ترى جندنا مصطفا عندها ومعه الشيخ محمد تخه — المرشد للآثار — واليوزباشى محمود رياض وضابط آخر ويقال إن هـذه القبة فى المكان الذى كسرت فيه ثناياه صـلى الله عليه وسـلم فى غزوة أحد، ولا مستند لمن زعم ذلك وإنما هو إشاعة بين أهل المدينة . وهناك أيضا مصـلى صغير مقاسه أربعة أمتار فى ثلاثة يقولون إنه فى موضع إصابة حمزة ولكن لم يثبت ذلك فى أثر، وبين هذا المصلى والمصرع قريب من ثمـانين مترا، وبجوار المصرع الذى قدّمنا لك ذكره بئر مالحة عمقها نحو ١٥ مترا، وعلى بعد ٤٠٠ متر من المصرع جبل أحد وهو أحمر اللون كثير الرءوس أنظر جبل أحد فى (الرسوم ١٤٠ و١٤٢ و١٤٣ و١٤٦) ويقابل أحدا من الجهة الأخرى جبل عينين والوادى بينهما، وقد شاهدت به محلا يقولون إنه الذى جلس فيه النبى صلى الله عليـه وسلم بعـد هزيمة أصحابه فى أحد والله أعلم حيث جلس رسوله . ويلاصق الجبل مسجد الفسح يزعمون أن فى مكانه نزل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي ٱلْمَجَالِسِ فَٱفْسَحُوا يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنْشُزُوا فَٱنْشُزُوا يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ قال السيد نور الدين على بن عبد الله فى كتابه « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » بعد ذكر أن الآية نزلت فيه : ولم أقف على أصـل لذلك وأقول أن سبب النزول يدل على أنها لم تنزل فى هذا المكان اذ جاء عن مقاتل أنه قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الصفة وفى المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصـار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سـبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم وشق ذلك على رسول الله صـلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر : قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذى قاموا بين يديه.

من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من المجلس وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فقال المنافقون للسلمين : ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم أقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم فأنزل الله تعالى الآية السابقة فالرسول صلى الله عليه وسلم وقت الحادثة التى فيها نزلت الآية لم يكن بأحد وإنما كان بالصفة بجوار مسجده صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، ولكن المرتزقين من أهل مكة والمدينة مجدّون فى آختلاق آثار نبوية ليستدروا بها أموال العامة والعامة أتباع كل ناعق .

زيارة مسجد قباء

قال تعالى فى سورة التوبة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا(١) لِمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا(٢) جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً(٣) فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

قال الحافظ بن حجر فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى : آختلف فى المراد بقوله تعالى : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ فالجمهور على أن المراد مسجد قباء وهو ظاهر الآية ، وتقدّم فى فضل المسجد النبوى حديث أبى سعيد الخدرى — عند مسلم — أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال : هو مسجدكم هذا ، وفى رواية لأحمد والترمذى عنه آختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد المدينة

(١) ترقبا . (٢) شفا كل شىء — حرفه ، والجرف ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض ، والهار : الساقط . (٣) شكا ونفاقا .

فسألاه عن ذلك فقال : هو هذا وفى ذلك — يعنى مسجد قباء — خير كثير، وقدّمنا أيضا الجمع بأن كلا من المسجدين أسس على التقوى من أوّل يوم تأسيسه وأنهما المراد من الآية، وان السر فى اقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر مسجد المدينة دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قباء اه .

وروى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجدكم واستعدّوا بما استطعتم من قوة فإنى ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلى فيه وتدعو بالبركة فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ — الخ وهذا المسجد لا أثر له الآن بل دثر من زمن بعيد .

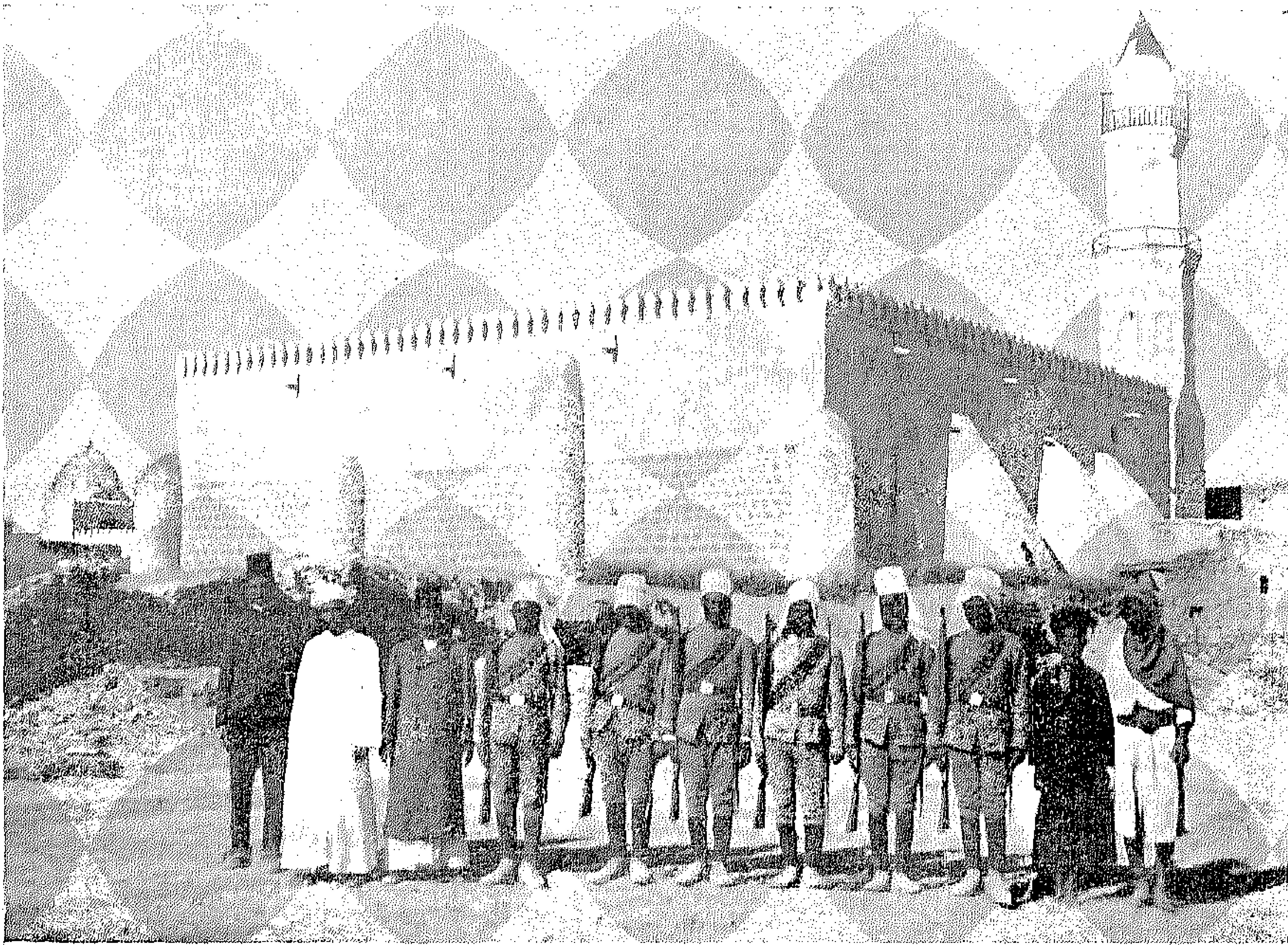
لما سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يخرجون كل يوم الى الحرّة[1] أوّل النهار فينتظرونه فما يردّهم إلا حر الشمس فبعد أن رجعوا يوما أوفى رجل من اليهود على أطم[2] من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين[3] فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته يا بنى قَيْلة — يعنى الأنصار — هذا جدّكم — حظكم — الذى كنتم تنتظرونه، فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرّة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس وكان له مِرْبَد — الموضع الذى يبسط فيه التمر لييبس — فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسسه وبناه مسجدا، وكان يعمل فيه بنفسه ولم يزل يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلى فيه أهل قباء، وكان يؤمهم فيه معاذ بن جبل، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتعظمه، وفى صحيح البخارى كان سالم مولى أبى حذيفة رضى الله تعالى عنهما يؤم المهاجرين الأوّلين من أصحاب النبى صلى الله

(١) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. (٢) الأطم بضمة وبضمتين القصر وكل بيت مربع مسطح وكل حصن مبنى بحجارة . (٣) لابسين ثيابا بيضا .

عليه وسلم فى مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر ، ولما تولى عبد الملك بن مروان زاد فيه ، ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسعه وبناه بالحجارة والجص وأقام فيه الأساطين من الحجارة فى جوفها عمد الحديد والرصاص ونقشه بالفسيفساء وعمل له مغارة وسقفه بالساج وجعله أروقة — بواكى — وفى وسطه رحبة ، وتهدم على طول الزمان حتى جدّد عمارته جمال الدين الأصفهانى وزير « بنى زنكى » ببلاد الموصل وذلك فى سنة ٥٥٥ هـ . وجدّد أيضا فى سنة ٦٧١ هـ . وعمر بعضه الناصر بن قلاوون سنة ٧٣٣ هـ . وجدّد غالب سقفه الأشرف برسباى سنة ٨٤٠هـ . وسقطت منارته سنة ٨٧٧هـ . فجدّدت فى سنة ٨٨١هـ . وكذلك جدّد بعض جدره وسقفه وأنشئ اذ ذاك سبيل وبركة قبالة المسجد ، وقد عمر عدّة مرات فى زمن الدولة العثمانية وآخرها عمارات كانت فى مدّة السلطان محمود الثانى وابنه السلطان عبد المجيد وتاريخ عمارة الأول مكتوب على حجر فوق باب المسجد .

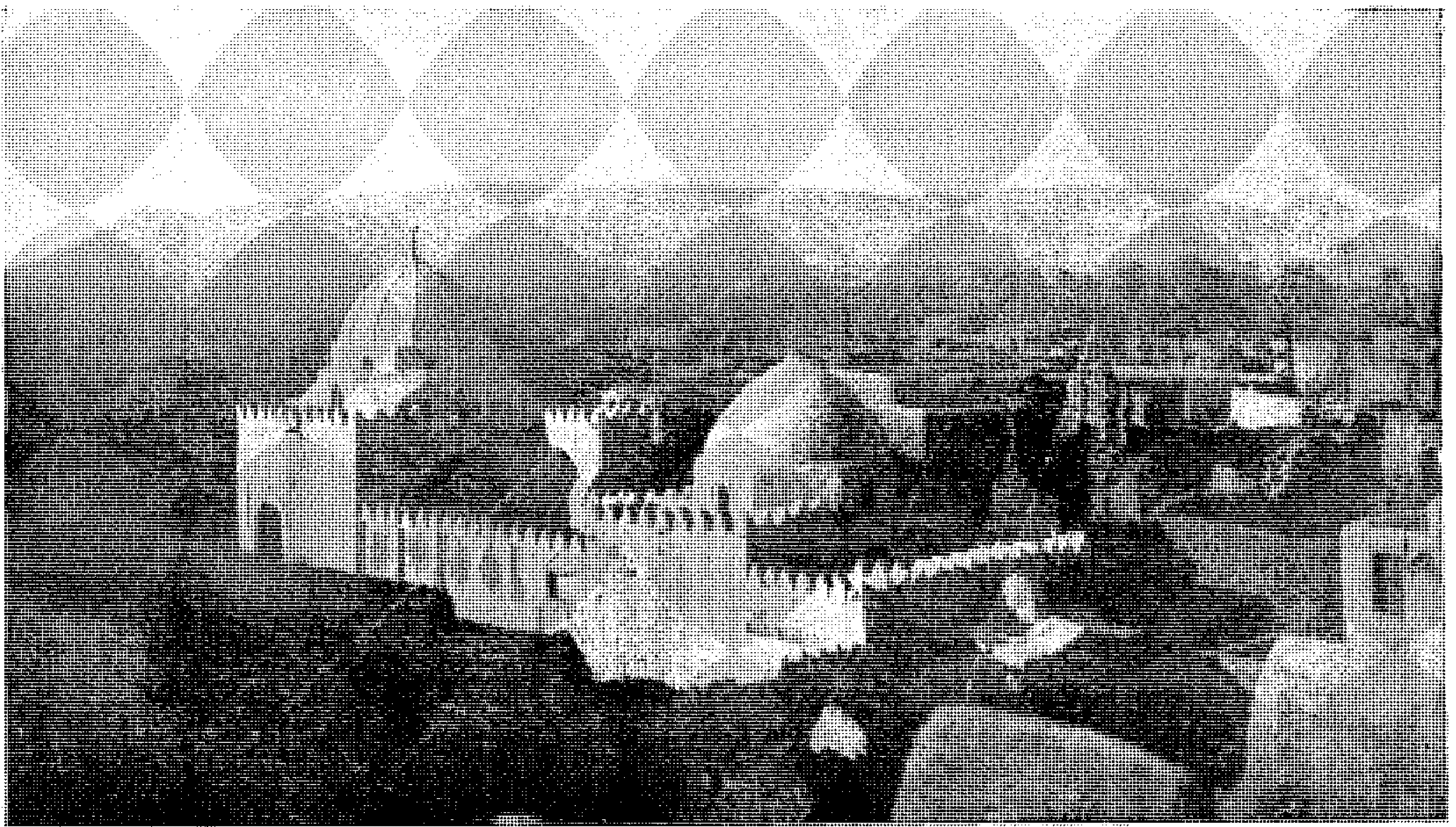
وقد وصفه السيد الشريف على بن عبد الله صاحب كتاب « وفاء الوفا » فى عصره آخر المائة التاسعة فقال : المسجد سبعة أروقة ثلاثة جهة القبلة فى كل رواق سبع أساطين من الشرق الى الغرب ، وفى جهة الشمال رواقان كذلك وفى الشرق رواق وفى الغرب رواق فى كل منهما أسطوانتان ، والرحبة بين الأروقة ، وبين الأسطوانة وجارتها سبعة أذرع وجداره البحرى طوله ثمانية وستون ذراعا ونصف ، والجنوبى أو القبلى يزيد عن ٧٠ ذراعا ، وطوله من الشمال الى الجنوب تسعة وسبعون ذراعا وأما صحنه أو رحبته فطوله من المشرق الى المغرب واحد وخمسون ذراعا ، وعرضه من الشمال الى الجنوب ستة وعشرون ذراعا وربع ، وطول ذرعه فى السماء من أرض المسجد الى سقفه ١٩ ذراعا ، وارتفاعه من الخارج من البلاط الذى فى غربيه الى أعلى شراريفه أربعة وعشرون ذراعا ، وارتفاع منارته خمسون ذراعا وقاعدتها مربعة تسعة فى تسعة والمسافة بين عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل وعتبة باب مسجد قباء سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع بذراع اليد أى ٣٥٢٨ متر

مسجد قبا بالمدينة المنوره



148. A view of the Mosque of Koba in Medina in 1321.

رسم عوالي المدينة المنورة من جهة قبا



149. The higher parts of Medina as seen from the door of Koba Mosque

إذ ذرَع اليد كما حققناه ٤٩ سنتيا تقريبا أما المسجد الآن — سنة ١٣١٨ هـ . — فقد زرناه وهو فى الجنوب الغربى للمدينة وقطعنا المسافة بينه وبين معسكرنا أما باب العنبرية فى ٤٠ دقيقة بسير الخيل المعتاد — الأشكين — وهو مربع الشكل ضلعه ٤٠ مترا وارتفاعه ستة أمتار (أنظر المسجد من داخله فى الرسم ١٤٧) به ٢٩ عمودا وهو مبنى بالحجر بناء متقناوله دعامات من الخارج لتقوية جدره (أنظر الرسم ١٤٨) والذين بالرسم من اليسار القائم مقام على بك اسماعيل رئيس الحرس (قومندان) فالفاضل ابراهيم بك مصطفى ناظر دار العلوم فمحمد افندى أبو السعود كاتب الصرة الأول فبعض العسكر فاثنان من عرب المدينة الذين يعملون فى الأرض ويديرون السواقى وذلك فى حجة سنة ١٣٢١ هـ . وله محراب ومئذنة ومنبر رخامى وفيه بئر تنسب لأبى أيوب الأنصارى وبجوار البئر شجرة نبق ونخيل وقطن قليل ، وفيه مصلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وبه موضع يقال : إنه مبرك ناقته صلى الله عليه وسلم وآخر يقال إنه نزل فيه على النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَى الخ﴾ وهذا غير صحيح ، فان الطبرى روى عن الزهرى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم أقبل من غزوة تبوك حتى نزل بذى أوان — بلد بينه بين المدينة ساعة من نهار — وكان أصحاب مسجد الضرار أتوه وهو يتجهز الى تبوك ورجوه الصلاة فيه فقال إنى على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ، فلما أقفل ونزل بذى وان نزل عليه القرآن فى شأن مسجد الضرار ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابيين وقال لهما : اذهبا الى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه وحرّقاه ففعلا وحرقاه بنار فى سعف — جريد — فأين ذو أوان من هذا المكان بمسجد قباء الذى زعموا نزول الآيات السالفة فيه ، وفى المسجد موضع يقال : إنه طاقة الكشف يزوره الناس ولا أدرى كشف أى شيء . وآخر مدّة تجدد فيها هذا المسجد سنة ١٢٤٥ هـ . كما هو مسطور على حجر فوق بابه ، والمسجد مفروش بالحصير وأنظف ما يكون . وفى غربى المسجد مسجد السيدة فاطمة الزهراء عليه قبة تحتها مكان زعموا أنه الموضع الذى كانت تطحن فيه الشعير ، وبجوار مسجد

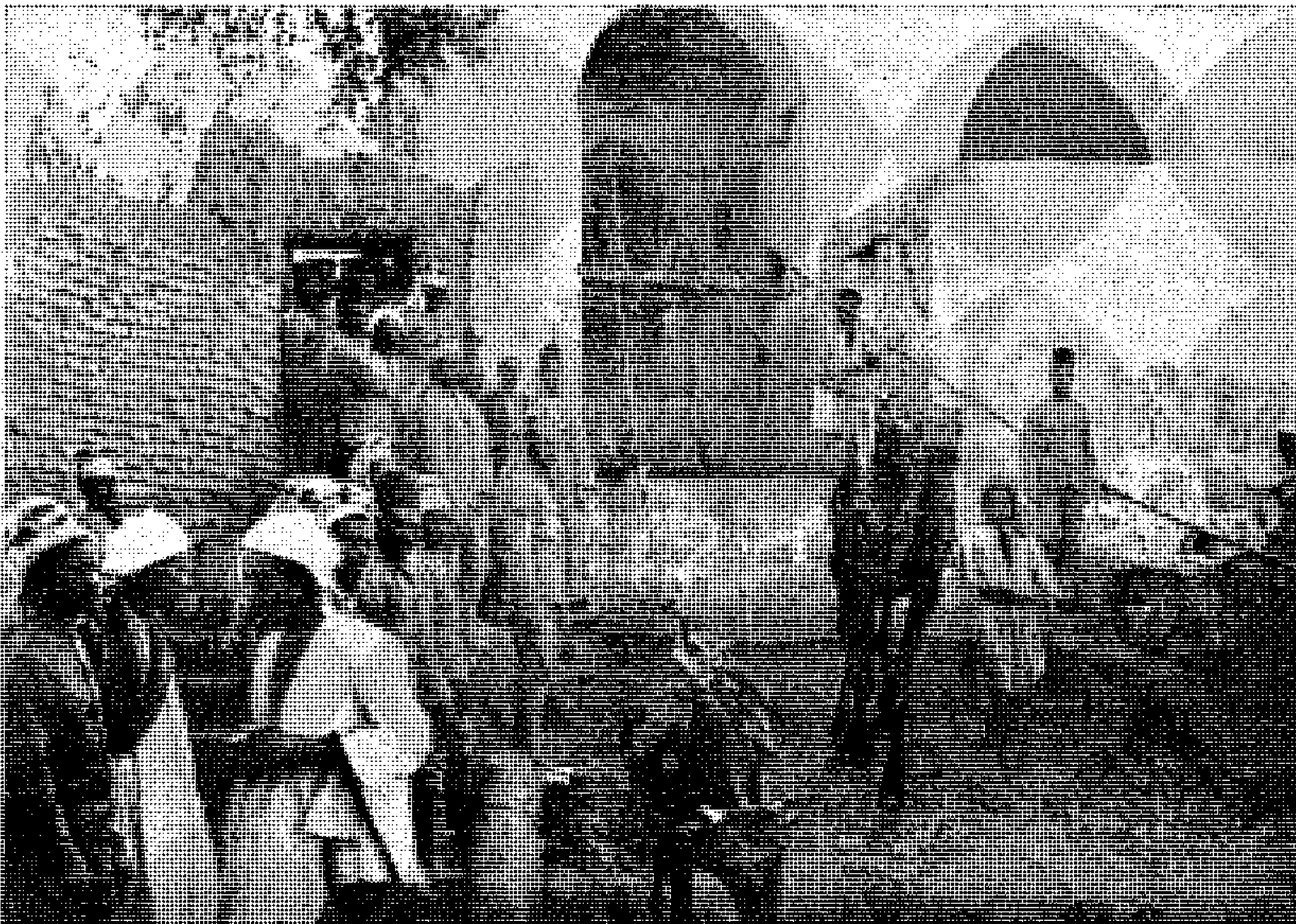
فاطمة مسجد الشمس ، أنظر شكلهما فى (الرسم ١٤٩) وموقعهما من مسجد قباء فى (الرسم ١٥٠) وفى الرسم الأوّل جبل عير، وفى الشمال الغربى للمسجد على بعد مائتى متر منه بئر اريس و تسمى بئر الخاتم و بئر التفلة وهى داخل حديقة وعمقها ١٣ مترا ، وفى أسفلها فتحتان يجرى منهما الماء الى قاع البئر وفتحة ثالثة تصلها بمجرى العين الزرقاء التى يشرب منها أهل المدينة كما سنبينه إن شاء الله تعالى ، وأريس الذى سميت البئر باسمه رجل من اليهود ومعناه بلغة أهل الشأم الفلاح ، وتسمى بالخاتم لأن بها وقع خاتم النبى صلى الله عليه وسلم ، أخرج البخارى فى صحيحه من حديث أنس ، قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده وفى يد أبى بكر بعده وفى يد عمر بعد أبى بكر، قال : فلما كان عثمان جلس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط قال فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده وكان ذلك بعد ست سنين من خلافته ، وثبت عن ابن عمر فى صحيح مسلم أنه سقط من يدى معيقيب وهو دوسى من أصحاب الهجرتين ، وفى صحيح البخارى حديث طويل فيه أنه صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر أريس فتوضأ منها وجلس على قفها (المرتفع منها) وكشف عن ساقيه وأدلى بهما فى البئر وأن أبا هريرة تبعه اليها وثلثهما أبو بكر وأتى بعده عمر ثم عثمان فتوضؤا جميعا منها وجلسوا عليها كما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسمى هذه البئر أيضا بئر التفلة ، ويقولون : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم تفل فيها فعذب ماؤها بعد أن كان أجاجا ، وقد ذكر الغزالى هذا فى إحيائه وقال العراقى مخرج أحاديثه أنه لم يقف على أصل حديث تفله صلى الله عليه وسلم فى بئر أريس . وقد جدّد أبو بكر بن أحمد السلامى درجا لهذه البئر ينزل منه الى قاعها من يريد الوضوء أو الشرب وذلك فى سنة ٧١٤ هـ . وماء البئر غزير يسير الى بركة داخل الحديقة وهو عذب فرات شديد النظافة وبمجرّد أن يوضع فى الأوانى المصنوعة من طين المدينة يبرد كأنه مثلج . ويسقى منها البستان المسمى بستان بئر النبى صلى الله عليه وسلم وقف المرحوم محمد باشا العثمانى الصدر الأعظم ، ويتولى إدارته الآن مدير الخزينة الجليلة النبوية ، وفى هذا البستان أنواع من الفواكه

مسجد قبا من الخارج من الشمال والشرق سنة ١٣٢٥

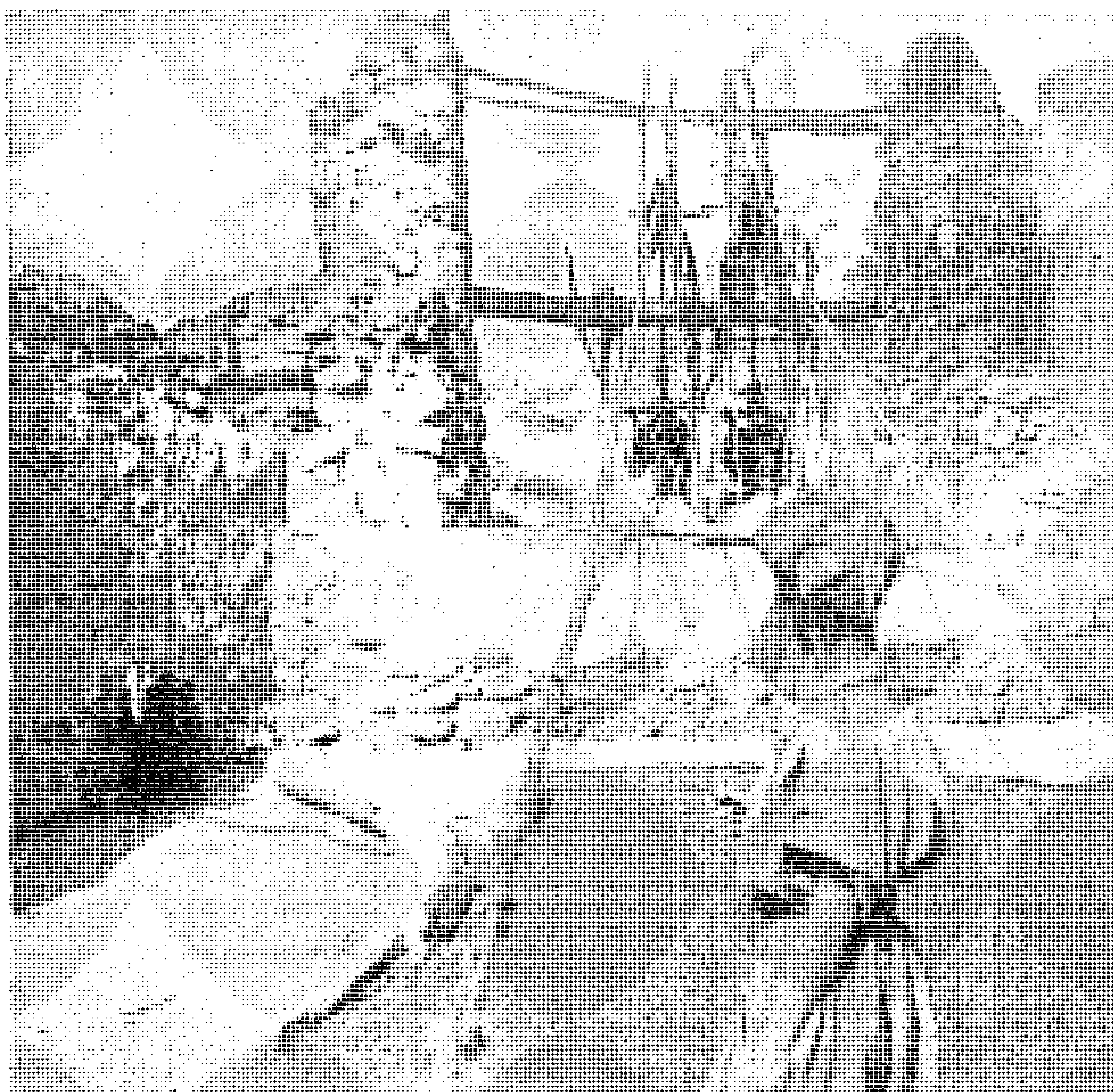


150. Outside view of the Mosque of Koba from the North and East.

منظر اخراج المياه من بير الخاتم بجنبة قبا بالمدينة المنورة



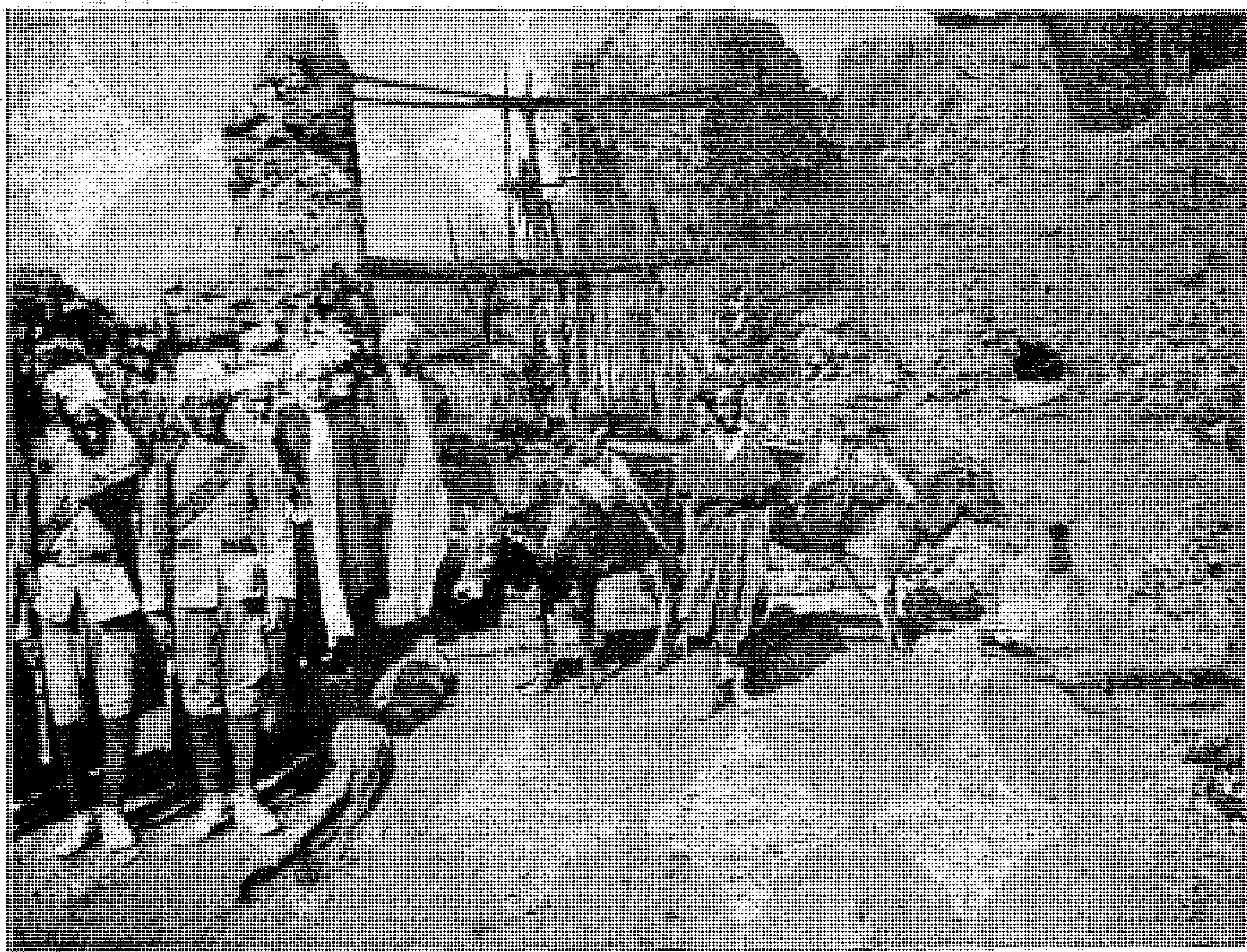
151. Receiving water from El Khatims' well in Koba at Medina.



152. Raising water by means of a Sakia at Medina.

صحيفة ٣٩٩

ساقية بالمدينة بجهة البقيع سنة ١٣٢٢



153. A sakia at Bakaih in Medina

والأشجار ويقصده أهـل المدينة للقيلولة فيـه والتروض ، وترى فى (الرسم ١٥١) الساقية المقامة على البئر والأبنية التى حواليها والساقية على خلاف المعروف عندنا بل هناك قائمـان على البئر وضعت عليهما عارضـة فيها بكرتان يمر بكل رشا آن يربطان بطرفى الغرب من جهة، ومن جهة أخرى بحيوان يجرهما، فإذا كان الحيوان بجانب البئر كان الغرب قد امتلأ بالماء فيمشى الحيوان الى جهة واحدة طول الرشاء فيكون الغرب بظاهر البئر فيسكب فى القناة ثم يرجع الحيوان الى حيث بدأ ، والرشاء أثناء ذلك يتدلى حتى يغترف الغرب من البئر ثانية ثم يستأنف الحيوان السير ثانية وهكذا والحيوان متمرن على ذلك فيعرف المبدأ والمنتهى و يتحوّل باشارة خفيفة اذا ماسكب الدلو ويسمى كل بكرتين بحبليهما سانية، وقد يكون على البئر سانيـة وثنتان وثلاث الى ثمـان ، ولكل سانية حيوان يجرّها قد يكون بعيرا أو ناقة وقد يكون بقرة أو حمارا ، والغرب قربة هى جلد الشاة كاملا وقد تكون دون هـذه اذا كان يجرّها حمار أو عجل صغير أو ماشا كلاهما، أنظر الرسمين (١٥٢ و١٥٣) والطريق من المدينة الى قباء مخوف لكثرة النخيل به على الجانبين، فالواجب اتخاذ الرفيق وحمل السلاح اذ هناك أعراب أشقياء يترصدون من ينفرد عن ركبه فيسلبونه ماله وربمـا قتلوه، وقد حدث أن أحد ركب المحمل سار مع صاحب له يودعه فبعد عن المدينة مسيرة ساعة وعنـد أوبته اصطاده اللصوص وضربوه على صفحة عنقه بعصا ذات رأس كبيرة كروية يسمونها «الدبسة» وسلبوه نقوده وتركوه فلما أفاق رجع الينا مشحوب اللون ومكث يعالج نفسه عشرة أيام حتى عاد الى طبيعته الأولى .

إخراج المحمل من المسجد النبوىّ وزيارة محافظ المدينة لنا

فى يوم السبت ٢٢ المحرم سـنة ١٣١٩ هـ . تجمعنا بالمسجد النبوى وأخرجنا الكسوة من المقصورة النحاسية كما أدخلناها ووضعناها على المحمل الذى أقله جمـله ، وكانت العساكر الشاهانية والمصرية مصطفة صفين خارج باب السلام ومعهم الموسيقيان تعزفان بشجى الألحـان وسرنا فى موكب من الطريق الذى قدمنا

منه حتى خرجنا من باب العنبرية ، أنظره فى (الرسم ٢٠٤) فوضعنا المحمل هناك بمعسكرنا قبالة سرادق الأمير وعينا له من يقوم بحراسته وقد تفضل سعادة الفريق عثمان باشا فريد شيخ المسجد ووالى المدينة وزارنا بخيمنا فاستقبلناه استقبالا حسنا فاصطف جنودنا صفين على اليمين وعلى الشمال من باب العنبرية الى سرادق الأمير ، ولما أن حضر حيي التحية العسكرية وأطلق له ٢١ مدفعا ، وكنت مع الأمير والأمين وضباط الحرس وموظفى المحمل فى انتظاره ولبث بحضرتنا ثلث الساعة وحيي فى وداعه بمثل تحيته فى قدومه ، وقد سره حسن اللقاء وكمال النظام ، وكال الثناء للضباط والعسكر لما رأى من انتظامهم البديع وزيهم الجميل ، وكان الوالى راكبا فى قدومه ورجوعه عربة جميلة المنظر يقودها جوادان فرنجيان ويسوقها وطنى وأمامها وخلفها حوالى العشرين من الفرسان غير النظاميين وكان سعادته يرتدى جبة وقباء — قفطانا — من « الصوكبيس » الأبيض وعلى رأسه عمامة ذات طربوش تركى وعلى عينيه نظارة ولحيته سوداء وعليه سيما التقوى والوقار وأهل المدينة يحبونه لحسن عمله وعدم طمعه فانه لا يأخذ عن كل جمل يغادر المدينة سوى ريال واحد و (المدعّى) يأخذ آخر .

سلطان المكلة والشّحر

قبل أن نتكلم على المدينة المنورة ووصفها وآثارها وعلى مسجدها النبوى وصفا وتاريخا نذكر كلمة عن سلطان المكلة والشحر الذى رافقنا ركبه فى السفر والذى دلنا على علو نفسه وكريم خلقه فعاله الطيبة ، والمكلة والشحر ثغران فى جنوبى بلاد العرب على ساحل المحيط الهندى بينهما وبين عدن مسيرة ٢٤ ساعة فى الباخرة البحرية .

وباسمهما سميت الولاية التى يسيطر عليها هذا السلطان ويبلغ تعداد سكانها مائتى ألف نسمة وفيها ٦٠٠٠ جندى على ما أخبرنى نجله وللأمير ثلاث بواخر كبيرة تجارية فى المحيط الهندى وقد رافقنا (عوض بن عمر القعيطى) سلطان المكلة والشحر

فى سفرنا من مكة الى المدينة وكان بصحبته نجله الثانى (عمر بن عوض القعيطى) أما غالب نجله الأكبر فتركه والده بالسلطنة يدير شؤونها مدّة غيابه فى الحج، وكان ابن غالب هذا المسمى محمدا بصحبة جدّه وكذلك كان بصحبته أسرته ووكيله السيد حسين المحضار الشريف وطبيب هندى ونحو ٩٠ جنديا ما بين سودانيين وهنود مسلحين بأسلحة قديمة ذات فتيل وفى بلادهم يحملون البنادق الحديثة من طراز (هنرى مارتينى) التى لا تصرح الدولة بدخولها فى بلاد العرب مع أنى شاهدت مع الأعراب جميع أنواع البنادق الحديثة من سمة (ماركة) مارتينى وفورد وليتفورد الانكليزية، وسمات أخرى فرنسية وطليانية وغيرها، وشاهدت بندقية رصاص دمدم الخ، وهذه الأسلحة تحضرها اليهم المراكب الشراعية — السنابيك — من الثغور البحرية مثل چيبوتى ومصوع وغيرهما وتباع لهم بأثمان عالية فلا يقل ثمن البندقية عن عشرة جنيهات إنجليزية، وأن أحسن هدية تقدمها للعربى السلاح وذخيرته، وكثيرا ما طلبوا منى الذخائر بواسطة المقوم فلم أجبهم الى ماطلبوا . وجند هذا السلطان يحملون البنادق مشعلة الفتيل دائما ويضعون البارود والرصاص فى أوان بعضها فضى وبعضها نحاسى على شكل قرن الحيوان، وفى وسطهم أحزمة ضخمة وضعوا بها سكاكين صغيرة وكبيرة داخل جرب فضية ذات نقش بديع ومنظر بهيج ويلبسون قميصا واسعا من القطن (بفته) عليه لباس آخر ضيق طويل أبيض يشبه (البنطلون) وعلى رؤسهم العمائم البيضاء ذات الحجم الكبير، وفى أقدامهم النعال أو (المراكيب) وأكثر ما يأكلون الأرز بالخردل والحمص واللحوم ولم أرهم قط يأكلون الخضراوات ومما يأكلون يأكل الأمير وأسرته غير أنهم يزيدون على ذلك الحلو كالهريسة والشعرية الفرنجية، ولباس السلطان كلباس أمراء الهنود وقد أرسل لى نجله وحفيده رسمهما الشمسى مع كتاب يأتى ذكره بعد، فوجدت لباس النجل كلباس الضابط الانجليزى الفارس الا أنه مقصب كلباس التشريفة الكبرى وعلى الرأس طربوش، وزى الحفيد كزى أمراء الهند الفرسان وهو متمصب كسابقه وتراهم يتقلدون سيوفهم فى الحفلات الرسمية أنظر النجل والحفيد

فى الرسمين (١٥٤ و ١٥٥) أما نساؤهم فلباسهن الظاهرى ثياب ساترة كل البدن من الفرق الى القدم لا تمثل شيئا من الجسم وما من الثوب أزاء العينين منسوج على هيئة « التنتنة » والجوارى الخدم يلبسن فوطا تلف على الجسد من الوسط الى القدم، وفوق ذلك قميص من «الشاش» الأبيض، والرأس والوجه والذراعان مكشوفة .

وفى أثناء سفرنا من مكة الى المدينة كان ركبه يتأخر فى التحميل خصوصا فى الأيام التى كنا نرحل فيها قبل شروق الشمس وكنا نضطر لانتظارهم بما أنهم أصبحوا منا، فرأيت من الجميل أن أعين لهم قسمين من العسكر يساعدونهم وقت الرحيل فكان ركبهم يسايرنا بلا تأخير .

مساعدة الأمير للفقراء — كنا نجد أثناء السير كثيرا من الحجاج الذين رافقوا المحمل الشامى وانقطعوا عنه فى الطريق لضعفهم عن المشى وكنا نجدهم فى أراض موحشة ليس معهم زاد ولا ماء فكنا نحملهم على جمالاتنا عند مانسوق الخيول وتخف الأحمال قياما بواجب الأخوة الإسلامية، ولما بلغ عددهم نحو الأربعين استعطفت الأمير لهم فأمر — أكرمه الله — من فوره بتأجير ٢٠ جملا فاستأجرتها ودفع أجرها فى الحال فوزعنا عليها الفقراء لكل جمل فقيران، وكان من جدهم أن المحمل رافقه مائتا جمل وجمل كانت تحمل الأسلاك البرقية وكانت توزعها تباعا فى الطريق، فلما أردنا الاستئجار وجدنا فيها العدد الكافى، ولما تكاثر عديدهم ركب الضعفاء وتناوب الأقوياء حتى وصلنا المدينة بسلام، وقد بلغ المتخلفون خمسة وثمانين غير من وجدناه بالطريق جثة هامدة فواريناه بالثرى بعد التكفين، وقد كان هذا التخلف نتيجة الإسراع فى السير، فان المحمل الشامى جد فيه حتى عطب منه فى الطريق ما ينيف على مائة جمل رأيناها بأعيننا ولو كانت عنده رحمة بالإنسان والحيوان وسار الهوينا ما تخلف من تخلف ولا عطب ماعطب وفى العجلة الندامة وفى التأنى السلامة .

هدايا الأمير لموظفى المحمل — راى الأمير ما قمنا به نحوه من الخدمات الجليلة التى لم يدفعنا اليها الا شعور نفسى وإيمان يقينى زرع فى قلوبنا شجرة المودة

عمر بن عوض القعيطي نجل سلطان المكلا والشحر



154. The son of the Sultan of El Mekalla & El Shehr Omar ibn Awad.

محمد بن غالب نجل ولي عهد سلطان المكلا والشحر

155. Mohamed ibn Ghaleb the son of the Crown Prince of the Sultan of El Mekalla & El Shehr

والإخاء والمساعدة للغرباء فأبى — أكرمه الله — إلا أن يكافئنا على ما قدمنا بهدايا قيمة .

فأهدى سيفا وخاتما من الماس لأمير الحج اسماعيل باشا صبرى الطوبجى .

وأهدى « « « لرئيس الحرس إبراهيم بك رفعت — صاحب الرحلة — أنظر السيف فى يمين الرسم ٢٤٦

وأهدى ساعة فضية بديعة لرئيس مائة (يوز باشى) الحرس الرجالة عبد الوهاب حبيب أفندى .

وأهدى علبة دخان من الفضة المسكوفى لضابط الخيالة الملازم الأوّل أحمد كامل أفندى .

وأهدى علبة دخان من الفضة المسكوفى لرئيس المائة (يوز باشى) الطبيب سليمان كامل أفندى .

وأهدى علبة دخان من الفضة المسكوفى للملازم الثانى فى المشاة محمد كامل أفندى .

« ساعة فضية صغيرة لضابط المدفعية الملازم الأوّل اسماعيل كامل أفندى .

« « من النيكل أسبوعية للملازم الأوّل فى المشاة ابراهيم أحمد أفندى .

« دبوسا ذهبيا } لكريمات رئيس الحرس ابراهيم بك رفعت.
« سوارين صغيرين من الذهب }

« ٢٥ جنيها «وينتيا» للحرس وزعت عليهم .

وساعة أن ناولنا تلك الهدايا الثمينة أبدى لى سروره السار من المساعدات التى تقدمنا بها اليه والى صحبه فشكرنا له حسن الرعاية .

الأمير وعرب ينبع البحر — عزم الأمير على السفر من المدينة الى ينبع حيث البواخر الكثيرة التى تقله هو وحاشيته الى وطنهم ولكن حال دون نفاذ العزم ما أجمله لك .

لما علم مشايخ ينبع وعربانها وعربان غيرها بوصول الأمير الى المدينة تواردوا عليه وفودا كل وفد يريد الاتفاق معه على القيام بمعدات السفر ورواحله ، وكلما اتفق

مع وفد أتى آخر ليفسد على سابقه اتفاقه تارة بالطعن فيه وتارة بنقص الأجر عنه وتارة بتعهده بتقديم رهينة وكلهم لايبغى من وراء ذلك الا أن يصاحبه الأمير فينتهب أمواله فى الطريق ، وقد تزاحمت هذه الوفود أمام بيت الأمير كأنما هو حاكم المدينة وأخيرا أشار عليه كبير من كبراء الأشراف أن يوزع على مشايخ الطريق ٢٠٠٠ جنيه ان كانت معه ليسير فى أمان واطمئنان وإن لم تكن معه فالأولى به أن يرافق المحمل المصرى كما حضر معه ، فلما سمع تلك الاشارة عض بنان الندم على مابذل من الهدايا النفيسة والمال الوافر لشريف مكة وواليها أملا فى أن يكون مرعى الجانب مشمولا بحياطتهما حتى يصل الى جدة ولكن خاب فأله ، فكلم محافظ المدينة فى أمر سفره ورجاه أن يبعث معه قسما من العسكر الى ينبع أو جدة ويتعهد هو بنفقات السفر ذهابا وإيابا فلم يجبه لأنه محظور عليه أن يبعث العسكر خارج المدينة الى مكان يستغرق السير اليه أكثر من ثلاث ساعات إلا بإذن من الدولة ، ونصح له المحافظ أن يصحب المحمل لأنه خير كفيل بالراحة والأمن فرجع من عنده غير مرتاح النفس مضطرب الرأى فأبرق الى الشريف والوالى أن يأذنا باستصحاب بعض الجند معه من المدينة الى جدة ومكث أسبوعا ينتظر الإجابة فلم تأته فأبرق الى شركة البواخر الخديوية أن تأجره باخرة من الوجه الى جدة ثم عدن ، فلم تفده ويظهر أن الإشارة حجزت فى مكتب البرق لأنها لا توافق مشرب الدولة أو أن العمال قصروا فى تسليمه رد الإشارة كما هو دأبهم ، ويحسن أن نعلم أن الإشارة التى ترسل من المدينة الى مكة ترسل للشام أولا فالسويس فسواكن فجدة فمكة وذلك بواسطة شركة « الايسترن الانكليزية » .

وقد أشرت على الأمير — وكنت أتردّد عليه لأتعرف ألاعيب الأعراب واستكشف من كلامهم ما عقدوا عليه القلوب — بأن يصحب المحمل وأن لا يتخذ لذلك بديلا إذ قرأت آيات السوء فى وجوه أولئك المتسابقين فاتفق رأيه على ذلك وسار معنا بركبه إلا القليل منه .

وكان الأمير استأجر من مكة الجمال لتقله الى المدينة فجدّة ونقدها الأجرة فلما تحوّل عزمه الى ينبع أو الوجه فر الجمالة بما أخذوا وكذلك استأجر بالمدينة جمالا

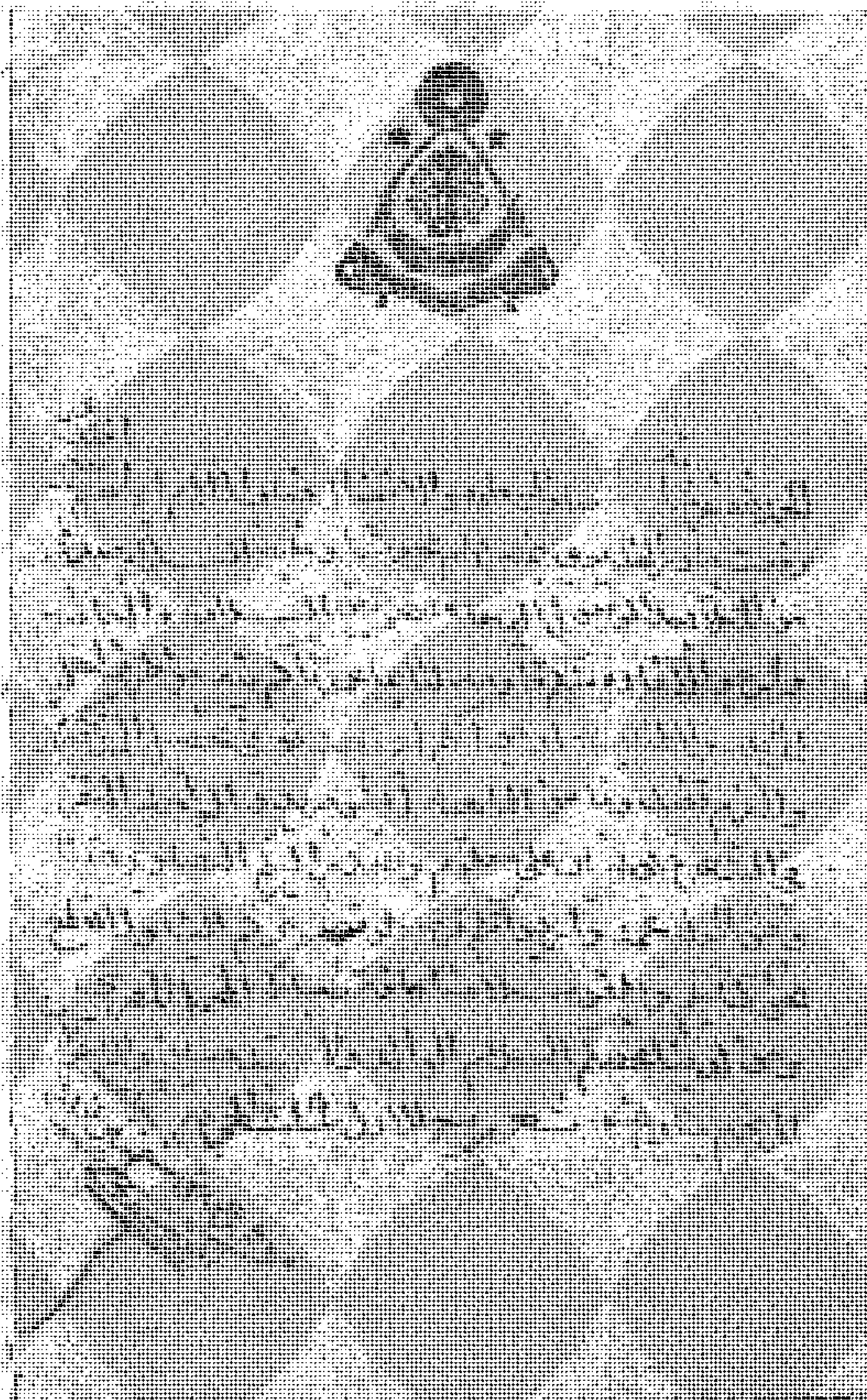
ودفع أجرة بعضها ففرّ أصحابها بما أخذوا ولم يقـدّموا له شيئا مع أن الشيخ محمدا أبا حميدى المقدوم أشار عليه بأن لايدفع الأجرة كلها للجمالة نخالف، فكان الفرار وضاع عليه مانقد وان كان المقدوم تعهد له بسداد ما أخذوا وقدم له ١٤ جملا الى ما آجره ولم يفر أربابها ولكن ذلك لم يكف ركبه، ورغب الجمالة عن المشى بطريق الوجه. فاضطر لقلة الجمال أن يرسل كثيرا من خدمه وعبيده الى ينبع برا فجدّة بحرا فى المراكب الشراعية، وقد ذكرتنى معاملة الأعراب لهذا الأمير بأبيات قالها عالم مغربى فى عرب الحجاز لما أن حج فى سنة ١٢٧٠ هـ . قال :

من رام أن يلق تباريح الكرب * فليأت أجلاف العرب
يلق الجمال والجلال والخشب * والشّعر والأوتاد حيثما انقلب
هم أسرق الناس عن أم وأب * وأسمج الناس وأخزى من نهب

ولما سمعت العرب هذه الأبيات همت بقتله ولكن الله عصمه وقد قلبها الى مدح الشيخ أحمد الجمل من علماء الأزهر فقال :

من رام أن يُلقِى تباريح الكرب * فليأت أحلاف العرب
يلق الجَمال والجَلال والحسب * والشعر والأوتار حيثما انقلب
هم أشرف الناس عن أم وأب * وأسمح الناس وأجزى من يهب

مرتب الأمير وأمنيته — بلغنى أن الأمير يتقاضى من الانكليز مرتبا سنويا قدره ١٠٥٠٠٠ روبية أى ٧٠٠٠ جنيه انجليزى وذلك نظير موالاته لهم وعدم انتهاكه لحرماتهم . ولما رأى ابن الأمير نظام جندنا وجمال موسيقانا كلمنى فى أن أرسل اليه جوقة موسيقى وضباطا يعرفون فن المدفعية ليعلموا رجاله، ولما حضرت مصر وصلنى منه الكتاب الذى ترى صورته الشمسية فى (الرسم ١٥٦) وتعرف منه لغتهم ومبلغ اللغة العربية من ألسنتهم، واستنجزنى فى هذا الكتاب ما طلبه ورغب فى أن



Message from the Son of the Sultan of El-Makla and Esh-shehr to the Ameer of the Pilgrimage Caravan.

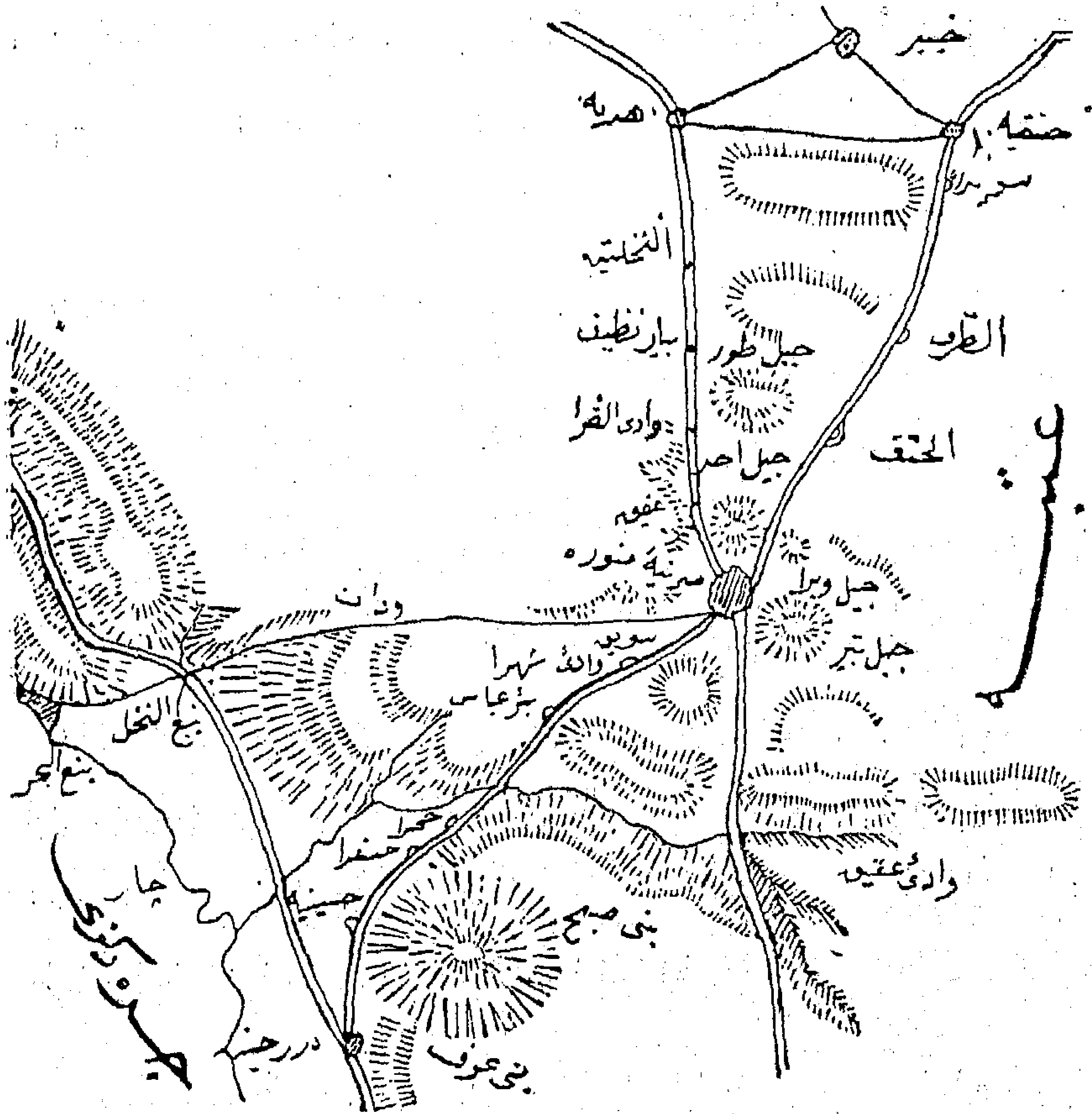
أبين له ما يتقاضونه من المرتب الخ ما جاء بكتابه الذى عبر فيـه عن رجال المدفعية بالطنابشة ، فكتبت اليـه بأنه يحسن تكليم سموّ الخديوى فى الجوقة والضباط لأن ارسال بعثات تعلم فنونا حربيـة فى بلد أجنبى يحتاج الى تصريحات رسمية وأرسلت له ولابن أخيـه رسمى الشمسى فلم يجب بعـد أن كاتبتـه ثلاث مرات فقطعت المكاتبـة .

المدينـــة المنـــوّرة

أسماؤها وموقعها — المدينة العاصمة الثانية لولاية الحجاز وهى فى شمالى مكة تبعـد عنها نحو ٥٠٠ كيلو متر وقـد قطعنا المسافة بينهما من الطريق الشرقى فى ١٢٥ ساعة و ٥٠ دقيقة بسير الجمل فى ركب المحمل وهى واقعة على الدرجة ٣٩ والدقيقة ٥٠ طولا شرقيا ، وعلى الدرجة ٢٤ والدقيقة ٣٢ عرضا شماليا وهى فى صحراء مستوية ومتسعة مكشوفة من جهاتها الأربع ، وفى شماليها جبل أحد على مسيرة ثلثى ساعة منها ، وفى جنوبها الغربى جبل عَيْر بالقرب من ذى الحليفة على مسيرة ساعة ونصفها ، وهو جبل مستقيم شامخ تراه فى (الرسم ١٤٩) وانظر المدينة وما حولها فى (الرسم ١٥٧) . ولها أسماء كثيرة أوصلها الى نيف وتسعين صاحب كتاب وفاء الوفا ، وأشهر هذه الأسماء ما نطق به القرآن والسنة فالقرآن سماها المدينة . قال تعـالى ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ وقال ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ وسماها يثرب وهو اسمها القـديم قبل الهجرة . قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ قال الزجاجى يثرب اسم من بناها وهو يثرب بن قانية بن مهلائيل بن ارم بن عبيل ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح . وسماها الدار فى قوله تعـالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ . وسماها النبى صلى الله عليه وسلم : طيبة وطابة مأخوذ ذلك من الطيب وهو الرائحة الحسنة .

مبانى المدينة — أكثر أبنيتها من الأحجار المجلوبة اليها من المحاجر القريبة وبيوتها ضيقة غير منتظمة أكثرها من غير رحاب مرتفعة البناء ذات طبقتين وثلاث وأكثر ، وقل أن تجد فيها بناء ذا طبقة واحدة وأكثر الطبقات الأرضية مشحون

بالبضائع التجارية وحجراتها ضيقة تشبه فى شكلها قيعاننا إلا أنهـا ذات « لوانين » وحوانيتها مرتفعة الأبواب عن الأرض بنحو متر، وبيوت أكابر الأشراف ضخمة متينة ذات شكل جميل ومنظر بديع ووجهاتها مبنية بالآجر الأسود ولها رواش « مشربيات » مصنوعة من الخشب الخرط الجميل وأبوابها مرتفعة عن الأرض وترى فى (الرسم ١٥٨) واجهة أكبر فندق فى المدينـة يسمى دار السرور وهو الآن — سنة ١٣٢٦ هـ — لورثة السيد عبد الله المدنى الذى كان عضوا بمجلس إدارة المدينة وترى فى (الرسم ١٥٩)

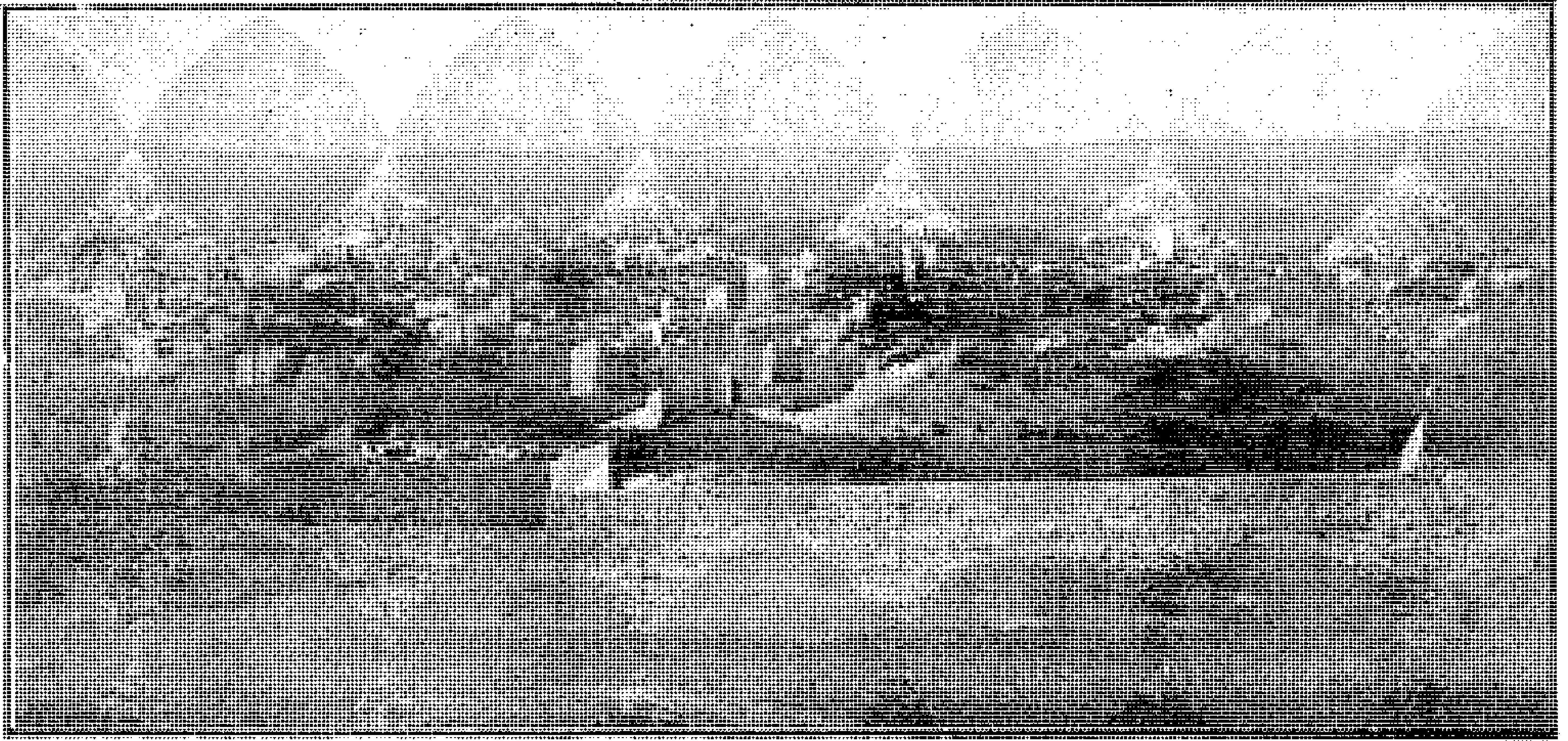


المدينة المنورة وماحولها

(الرســم ١٥٧)

صحيفة ٤٠٨

منظر المدينة من الجهة الغربية الجنوبية سنة ١٣٢٥

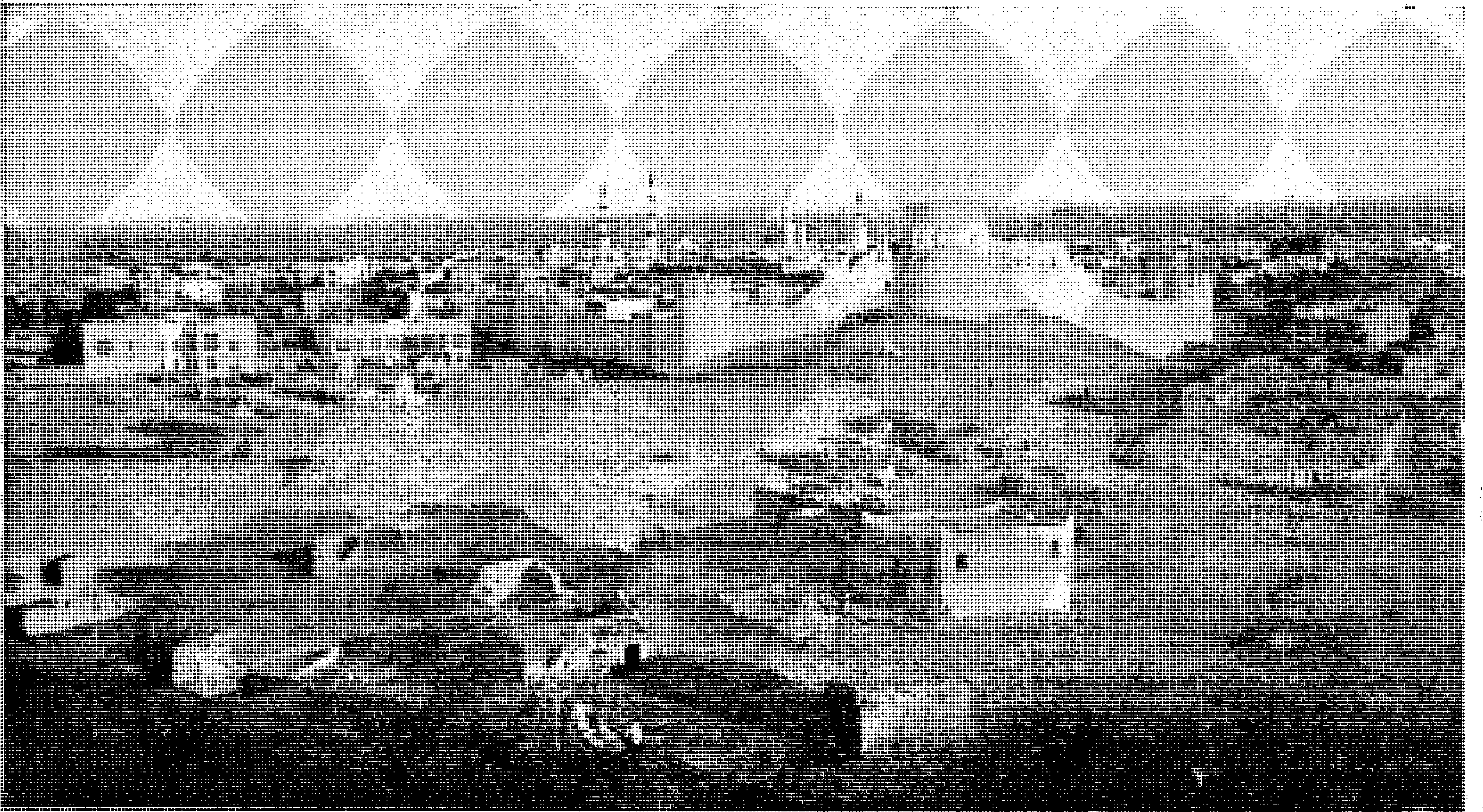


159. A western and southern view of El Medina.

صحيفة ٤١٣

منظر المدينة المنورة من جهة الباب الشامى

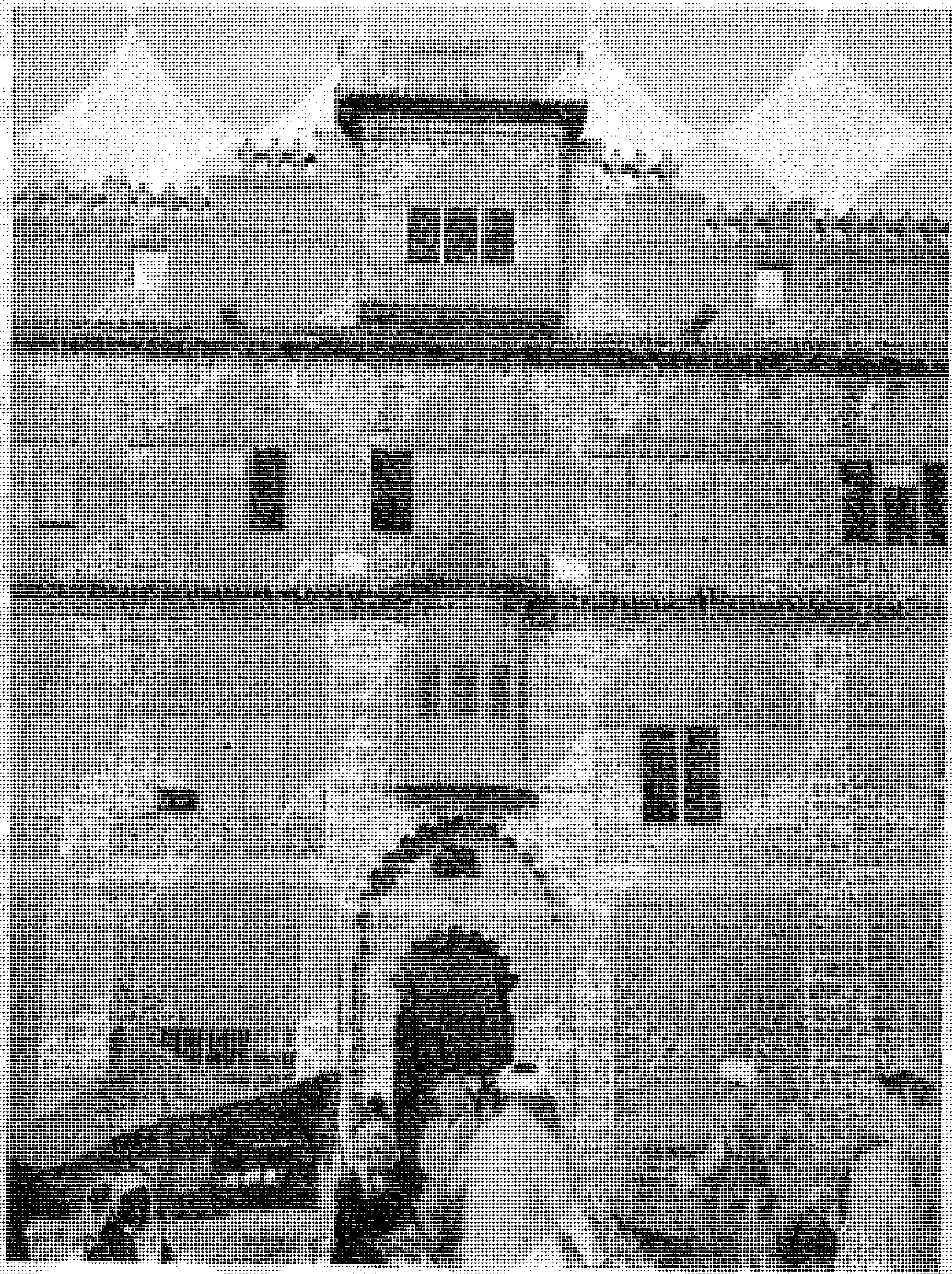
هذا رسم الجهة البحرية من المدينة المنورة وبه القلعة السلطانية منشأ السلطان سليمان العثمانى وبها الخمسة المنارات للحرم النبوى وبها بيوت السادة الاسعدية مع الجنينه المسماة بالسبيل عند العامة والخاصة وهى على شمال الناظر لهذا الرسم والقبه تسمى قبة السبق لمسابقة خيل الضحاية نحوها وهذا الرسم مأخوذ من فوق جبل سلع



161. Medina as seen from the "Syrian gate".

أكبر فندق بالمدينة المنورة

A view of the largest hotel in medina in the year 1321.



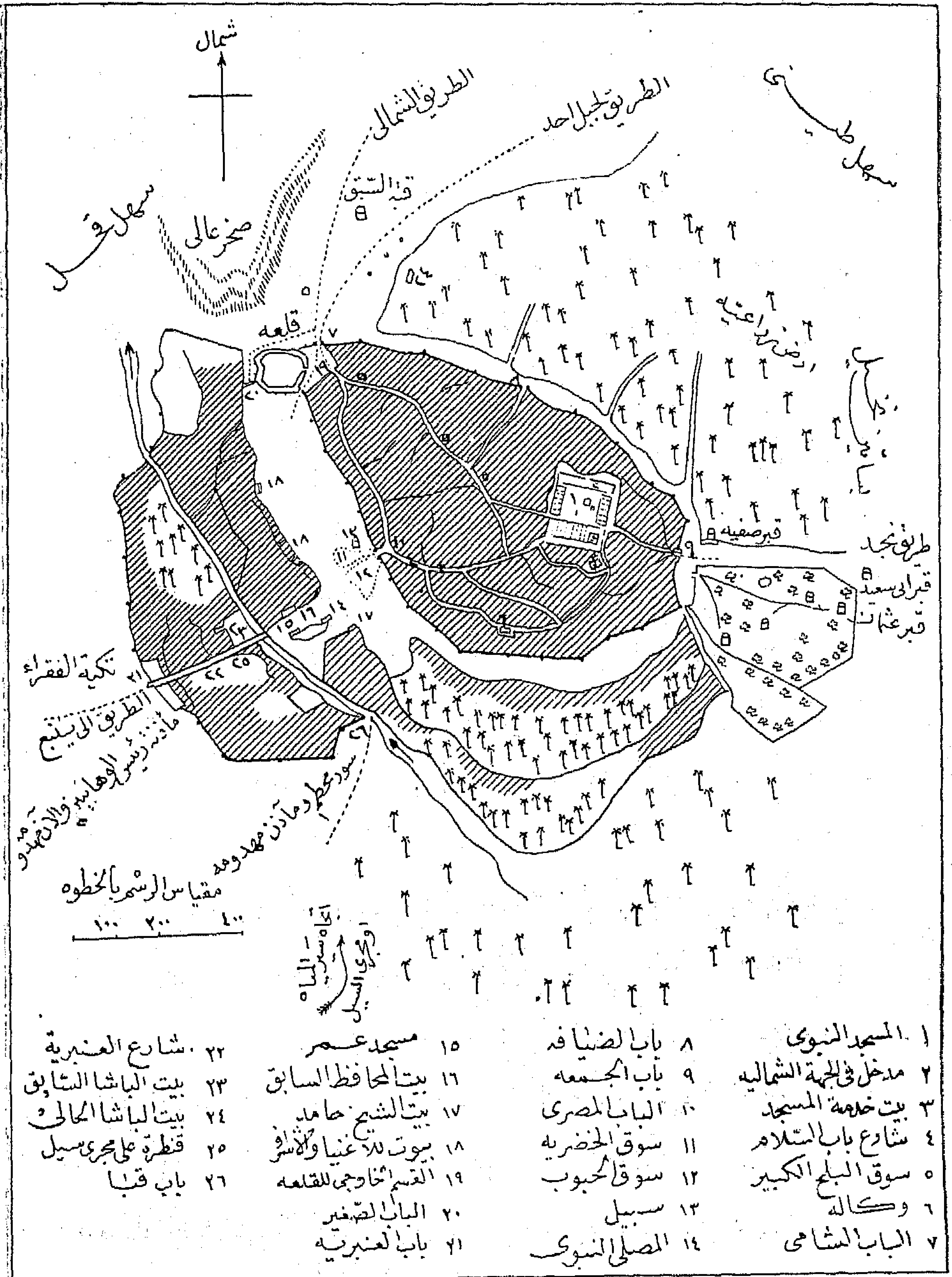
للمرحوم السيد عبد الله مدنى وعدد غرفه ٣٧١

(الرسـم ١٥٨)

منظر المدينة من الجهة الغربية الجنوبية ، وحارات المدينة ضيقة لا يزيد عرض الواحدة عن المترين ، وشوارعها لا تزيد على أربعة وأحسنها شارع غرب المسجد النبوى يسمونه حارة الساحة وهو أطول الشوارع وفيه أجمل المبانى وبه دار المحافظة ، والشارع الموصل للمسجد من جهة باب السلام مبلط بالأحجار ولكن أرضه غير مستوية والحارات لضيقها يسمونها أزقة ، منها فى شمال المسجد زقاق البقر وزقاق الخياطين وزقاق الحبس وزقاق عنقيني وزقاق السمهيدى وزقاق البدور وزقاق الأغوات وحارة البقيع ، وفى هذه الحارة رباط كتب بالنقر على حجر فيه : (وقف هذا الرباط المبارك لوجه الله تعالى العبد الفقير ياقوت المظفرى المنصورى والماردانى على الفقراء والمساكين الغرباء الرجال خاصة دون النساء تقبل الله منه وأثابه الجنة برحمته وكرمه بتاريخ ست وسبعمائة) وفى جنوبى المسجد زقاق باهو وزقاق الكبريت وزقاق القاشين وزقاق حيدر وزقاق الحجامين وزقاق مالك بن أنس ، وللمدينة سور داخلى وآخر خارجى ، وأول من أقام لها سورا محمد بن اسحاق الجعدى بنى لها سورا منيعا فى سنة ٢٣٦ هـ . ليصد عنها هجمات الأعراب وغزوات البدو ، وجعل له أربعة أبواب باب فى المشرق يخرج منه الى بقيع الغرقد ، وباب فى المغرب يخرج منه الى العقيق والى قباء ، وداخل هذا الباب فى حوزة المصلى الذى كان صلى الله عليه وسلم يصلى فيه العيد ، وباب شمالى غربى ورابع شمالى يخرج منه الى قبور الشهداء بأحد . وفى سنة ٣٧٢ هـ . بنى عضد الدولة بن بويه وزير الطائع لله بن المطيع سورا للمدينة وقد تهدم على طول الزمان ولم يبق إلا آثاره ورسومه ولا يدرى أن كان هذا السور موضع سور الجعدى أم لا ثم جدّد للمدينة محمد بن أبى منصور المشهور بالجواد الأصبهانى وزير صاحب الموصل سورا محكما حول المسجد النبوى وذلك فى سنة ٥٤٠ هـ . قال ابن الأثير : رأيت بالمدينة إنسانا يصلى الجمعة فلما فرغ ترحم على جمال الدين ودعا له فسألناه عن سبب ذلك فقال :

يجب على كل مسلم بالمدينة أن يدعو له لأننا كنا فى ضر وضيق ونكد عيش مع العرب لا يتركون لأحدنا ما يواريه ويشبع جوعته فبنى علينا سورا احتمينا به ممن يريدنا بسوء فاستغنينا فكيف لاندعو له ، وكان خطيبهم يقول فى خطبته : اللهم صن حريم من صان حريم نبيك بالسور محمد بن على بن أبى منصور، ولما كثر الناس خارج هذا السور ووصل الى المدينة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٥٧ هـ . كلموه فى أن يبنى لهم سورا آخر يحفظ أبناءهم وماشيتهم فأمر ببناء السور الخارجى سنة ٥٥٨ هـ . وكتب ذلك على صفحات الحديد التى صفح بها باب البقيع ، وكانت مسافته ما بين الباب الغربى عند المصلى وبين عتبة باب السلام ٦٤٥ ذراع ، وبين باب البقيع وعتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل ٤٣٣ ذراع ، وربما كان هذا السور موضع السور الذى بناه عضد الدولة وعفت آثاره لأنه كان بجوار المصلى من الغرب وهذا كذلك ، وقد جدّد هذا السور الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٥٥ هـ . وجدّد بعضه السلطان قايتباى سنة ٨٨١ هـ . وقد درست معالم هذا السور بعد مدة ، أما السور الداخلى فجدّده السلطان سليمان بن السلطان سليم سنة ٩٣٩ هـ . وجعله على أساس السور القديم وقد أتم بناءه سنة ٩٤٦ هـ . وتعطل البناء مدّة فى خلال ذلك وبلغ ما أنفق عليه مائة ألف دينار وأذرع محيطه ٣٠٧٢ ذراع معمارى (٧٥ سنتيا) وله اليوم خمسة أبواب (الرسم ١٦٠) الباب الذى يخرج منه الى البقيع ويعرف بباب البقيع وباب الجمعة ، وعلى هذا الباب الكتابة الآتية : جدّده السلطان سليمان سنة ٩٤٥ هـ . والسلطان محمد خان بن ابراهيم خان سنة ١٠٧٨ هـ . وهذا مكتوب بالنحاس ، وعمره السلطان محمود سنة ١١٦٢ هـ . ويلى هذا الباب من الشمال باب محدث يسمى الباب المجيدى عند دار الضيافة ، وفى الشمال الغربى الباب المقابل لجبل سلع بين منتهى السور من هذه الجهة وبين القلعة ويعرف بالباب الشامى ، ويليه من الغرب الباب الصغير وهو

خريطة المدينة المنورة



(الرسم ١٦٠)

فى جنوب القلعة الغربى (فى الرسم ١٦١ ترى القلعة والجهة الشمالية من المدينة وترى قبة السبق فى وسط الرسم من أسفل) ثم الباب المصرى فى منتصف الجهة الغربية وقد فتح هـذا الباب محمـد على باشا بعـد حربه للوهابية وتعميره للسور الداخلى (انظر الرسم ١٣٦) وقد عمر هذا السور أيضا السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٥ هـ . وجعـل ارتفاعه نحو ٢٥ مترا وبنى فيه ٤٠ برجا تشرف على ضواحى المدينة للدفاع عنها ، وفى هذا السور كثير من المزاغل وأبراجه مشحونة بالمدافع والذخائر الحربية .

وفى غربى هذا السور سور آخر أوسع منـه يحيط بالبيوت التى خارج السور الأول فى غربه وجنوبه ويبتـدئ من البقيع فى الجنوب الغـربى وينتهى بالقلعـة التى أنشأها السلطان سليمان بن السلطان سليم فى سـنة ٩٣٩ هـ . وذلك فى الجهـة الشمالية ، وله خمسة أبواب بابان عند البقيع يعرف أحدهما بباب العوالى لأنه يخرج منه اليها ولعل الثانى باب الكوفة ؟ ويلى هذين البابين من الجنوب باب السد أو باب قباء لأنه يخرج اليها منه ، وفى الغـرب باب العنبرية يخرج منـه الى الحرّة والى وادى العقيق ويسمى أيضا بالباب الحميدى ، لأن السلطان عبد الحميد جدّده وزاد فى السور من ذلك فى سـنة ١٣٠٥ هـ . وقد رأيت هـذا مكتوبا على الباب (انظر الرسم ١٣٤) وهـذا الباب من السور الخارجى والبـاب المصرى من السور الداخلى عليهما العمل فى دخول القوافل وخروجها ، وفى نهاية السور الخارجى عند القلعة تجد بابا يسمونه اليوم باب الكومه وهو يقابل سلعا ، وهذا السور مبنى باللبن والطين ومجصص ويظهر أنه فى موضع السور الذى بناه اسحاق بن محمد الجعدى والمشهور بين أهل المدينة أنهم الذين بنوه زمن سعود الوهابى الذى يأتى ذكر هجومه على المدينـة ، وقد تهدّم كثير من هـذا السور ، وبين السور الداخل من الغرب والبيوت التى فى غربيه براح متسع يبلغ متوسط عرضه ٤٠٠ متر اشتراه بعض ملوك آل عثمان ووقفه ومنع البناء فيه وجعله محطا للحجاج والقوافل ومناخا لمطيهم فسمى

لذلك بالمناخة ، ثم أطلقت المناخة على ما بين السورين من فضاء وبناء وأصبحت كبلدة مستقلة تقام فيها الجمعة ولا تعاد ، وفى المدينة ١٧ مسجدا و ١٨ مكتبة « كتبخانة » و ١٧ مدرسة تدرس فيها العلوم الأولية ومكتبا راقيا و ١٢ مكتبا للصبيان لكل مكتب فقيه وعريف ، وكان عدد التلامذة بالمكاتب ٣٢٠ وتلامذة المكتب الراقى ٥٥ وذلك فى سنة ١٣٠٩ ﻫ . وفيها ٨ تكايا و ٢١ مشربا ـ سبيلا ـ ومستشفى و ١٠٨ رباط للفقراء وقلعة وثكنة للعسكر ودار كبيرة للحكومة وقد زرت محل (البوليس) فوجدت رئيسه (القومندان) والكتبة جالسين على مساطب مرتفعة عن الأرض بنحو ٤٠ سنتيا ومفروشة بالسجادات والحصر ، وفيها ١٠ مخافر (قره قول) وحمامان : أحدهما داخل المدينة بناه السلطان سليمان القانونى ، والثانى بالمناخة وهما أشبه بحمامات مصر وفيها مزولة لمعرفة الأوقات ، و ٤٠٠٠ منزل و ٩٣٢ حانوت ومخزن و ٤ متاجر كبيرة (وكالات) و ١٨ مخبزا و ٣٦ قهوة و ٤ محلات للأصباغ (البويات) و ٤٨٥ بستان فيها النخيل والأعناب ومن كل الثمرات .

وإذ سمعت الوصف الإجمالى لمبانى المدينة وما فيها من الآثار فاستمع لما وقفنا عليه من تفصيل لبعض تلك الآثار .

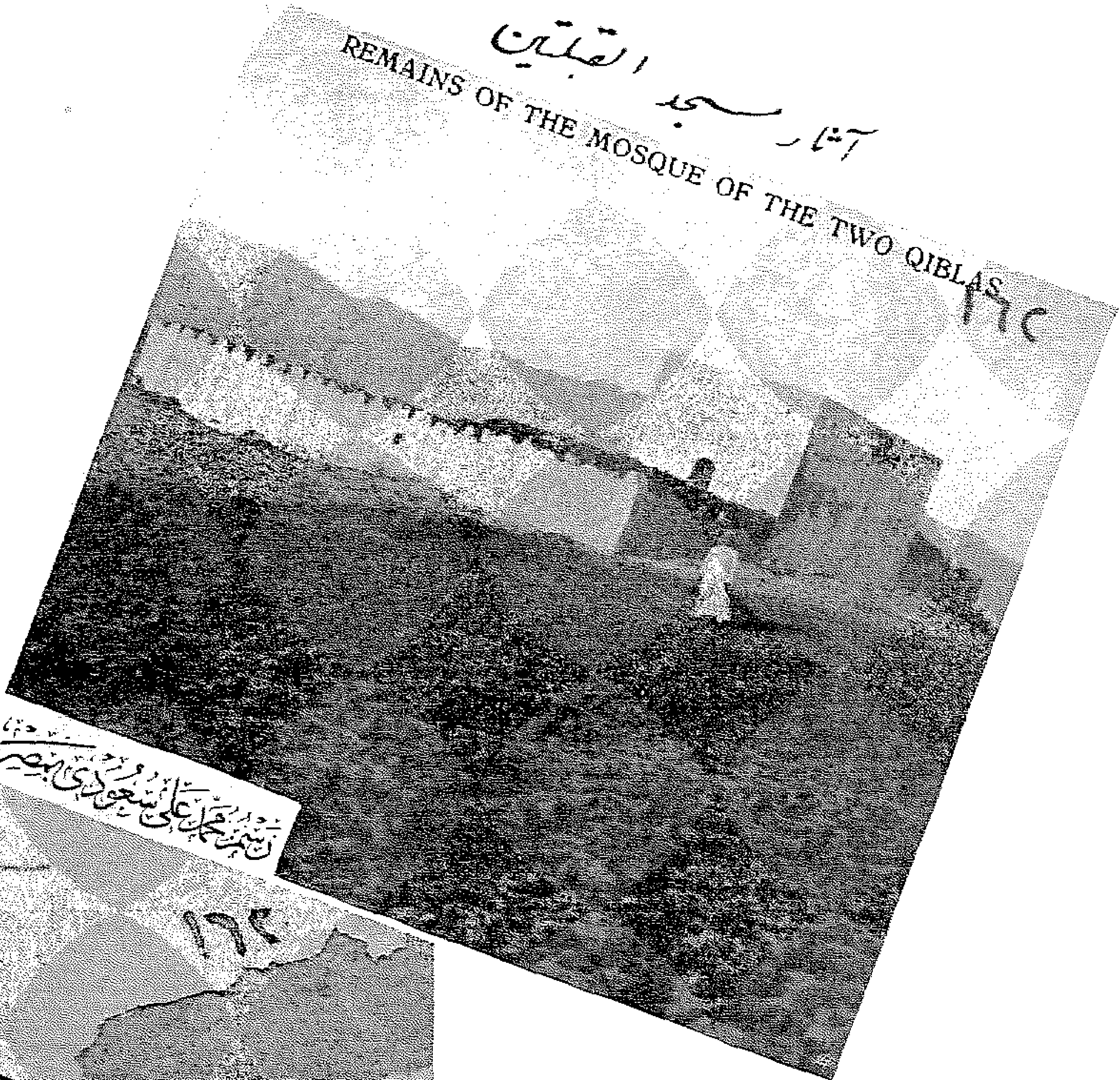
مساجد المدينة — أما مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فسيأتى الكلام عليه فى باب مسهب ذى فصول جمة وقدمنا لك وصف مسجد حمزة ومسجد قباء بما فيه الغناء فلنذكر وصف المهم من باقيها .

(١) مسجد القبلتين — قد زرت هذا المسجد فى ٢٤ المحرم سنة ١٣١٨ ﻫ . وهو فى الشمال الغربى للمدينة فى رابية على شفير وادى العقيق الصغير ، والمسافة بينه وبين بئر رومة — بئر عثمان رضى الله عنه — التى فى شمالى المسجد مسيرة ١٥ دقيقة وقد وجدته متخربا لم يبق منه الا بعض حيطانه (انظر الرسم ١٦٢) وممن عمره وجدد سقفه الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الخدم بالمسجد النبوى وذلك فى سنة ٨٩٣ ﻫ . وجدده السلطان سليمان سنة ٩٥٠ ﻫ . كما رأيت ذلك مكتوبا عليه وسمى بمسجد القبلتين



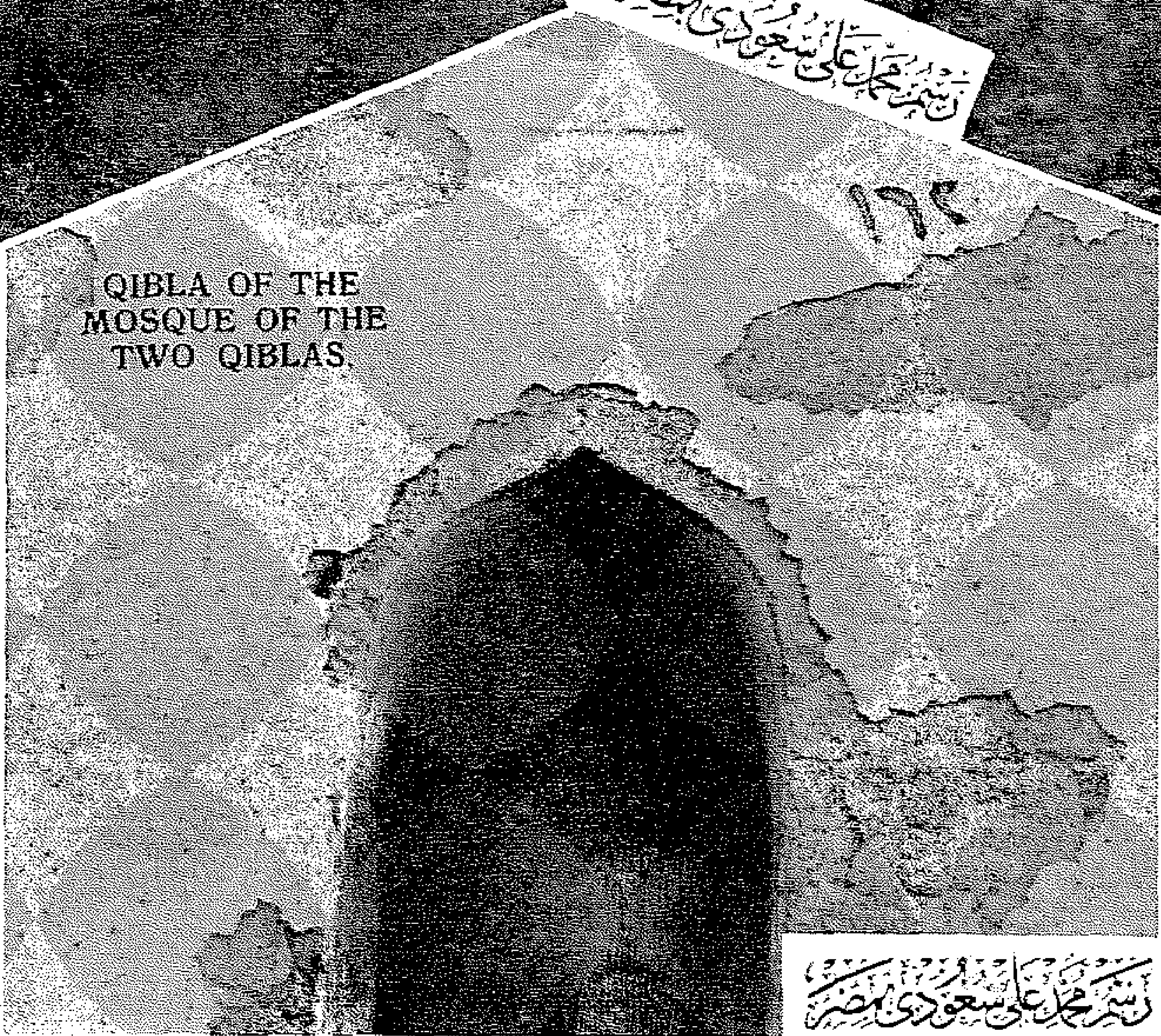
آثار مسجد القبلتين

REMAINS OF THE MOSQUE OF THE TWO QIBLAS.



آثار مسجد القبلتين

REMAINS OF THE MOSQUE OF THE TWO QIBLAS.



QIBLA OF THE MOSQUE OF THE TWO QIBLAS.

لما رواه يحيى عن عثمان بن محمد بن الأخنس ، قال : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بشر بن البراء فى بنى سلمة فصنعت له طعاما فأكل هو وصحبه ثم جاءت الظهر فصلاها بأصحابه فى مسجد القبلتين ولما أن صلى ركعتين منها أمر أن يتوجه الى الكعبة فاستدار هو وصحبه اليها — قال الزمخشرى : وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال — واستقبل الميزاب فهى القبلة التى قال الله تعالى ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ فسمى من أجل ذلك بمسجد القبلتين ، وروى عن محمد بن جابر ما يخالف ذلك فانه قال : صرفت القبلة ونفر من بنى سلمة يصلون الظهر فى المسجد الذى يقال له : مسجد القبلتين فأتاهم آت فأخبرهم وقد صلوا ركعتين فاستداروا حتى جعلوا وجوههم الى الكعبة ، وفى رواية البراء بن عازب عند البخارى فى ذكر قصة التحويل : فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى فمرّ على قوم من الأنصار يصلون فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة فتحرّف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة . وروى يحيى عن رافع بن خديج أن التحويل كان بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الظهر ، وفى الصحيحين عن ابن عمر قال : بينما نحن فى صلاة الصبح بقباء جاءنا رجل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها وكانت قبلة الناس الى الشام ، فاستداروا وتوجهوا الى الكعبة ، قال سعيد بن المسيب : وكانت الصلاة الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا ، وهذه الروايات مع تضاربها فى تعيين المسجد الذى كان يصلى فيه الرسول حينما حوّلت القبلة وتضاربها فى الصلاة التى كان التحويل أثناءها تفيد فى مجموعها تعدّد المساجد التى حوّلت القبلة فيها أثناء الصلاة بل كل مسجد صلى فيه نحو البيتين فهو ذو قبلتين فلا معنى لتخصيص مسجد بنى سلمة بهذه التسمية ، اللهم إلا أن نقول ما قاله الحافظ ابن حجر من أن التحقيق أن أوّل صلاة صلاها فى بنى سلمة الظهر ،

وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر فحينئذ يكون مسجد بنى سلمة أولى بالتسمية لأنه أول مسجد صليت فيه صلاة واحدة الى القبلتين وحصل ذلك بعده فى عدة مساجد .

(٢) مسجد الفتح — فى شمالى المدينة الغربى جبل يقال له « سلع » على قطعة منه ويسمى أيضا مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى ، وهذا المسجد فى المكان الذى قام فيه الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على الأحزاب فى غزوة الخندق فاستجاب الله دعاءه وأرسل عليهم ريحا كفأت قدورهم وقلعت خيامهم وجنودا لم يروها فانخذلوا ورحلوا .

روى أحمد فى مسنده بسند رجاله ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا فى مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين وكان الدعاء الذى دعا به — كما رواه ابن زبالة من طريق عمر بن الحكم : اللهم لك الحمد هديتنى من الضلالة فلا مكرم لمن أهنت ، ولا مهين لمن أكرمت ، ولا معز لمن أذللت ، ولا مذل لمن أعززت ، ولا ناصر لمن خذلت ، ولا خاذل لمن نصرت ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا رازق لمن حرمت ، ولا حارم لمن رزقت ، ولا رافع لمن خفضت ، ولا خافض لمن رفعت ، ولا خارق لمن سترت ، ولا ساتر لمن خرقت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت ؛ ورويت أدعية أخرى أحسنها ما فى الصحيح من حديث ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرضين رب العرش الكريم . وهذا المسجد عمره عمر بن عبد العزيز وكان رواقا واحدا ذا أعمدة ثلاث ولكنه تخرب فجدده فى سنة ٥٧٥ هـ . الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء أحد وزراء العبيديين ملوك مصر وجعله رواقا واحدا ذا عقود ثلاثة وقباه قبوا محكما ، وطوله من الشمال الى الجنوب عشرون ذراعا تنقص يسيرا ، ومن الشرق الى الغرب سبعة عشر ذراعا ، وأسفل مسجد الفتح من جهة الجنوب

مسجدان آخران يقال للأوّل منهما : مسجد سلمان وللذى فى جنوبيه مسجد على رضى الله عنهما ، وقد جدّد المسجدين الأمير سيف الدين السالف ذكره فى سنة ٥٧٧ هـ . وجدّد الثانى أمير المدينة زين الدين ضغيم بن حشرم سنة ٨٧٦ هـ . والأوّل طوله من الشرق الى الغرب ١٧ ذراعا فى عرض ١٤ ، وذرع الثانى من الشمال الى الجنوب ١٣ ذراعا فى طول ١٦

(٣) مسجد الاجابة — هذا المسجد فى شمالى البقيع على يسار السالك الى « العريض » فوق تلال هى آثار قرية بنى معاوية بن مالك بن عوف من الأوس وهو مسجدهم ، وسبب هذه التسمية ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال : سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألته أن لا يهلك أمتى بالسنة — بالجدب — فأعطانى وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها .

وروى مالك فى موطئه هذه القصة عن عبد الله بن جابر عن عبد الله بن عمر ، وقد ذرع صاحب وفاء الوفاء هذا المسجد فى القرن التاسع فاذا هو من الشمال الى الجنوب عشرون ذراعا تنقص قليلا ، ومن الشرق الى الغرب ٢٥ ذراعا تنقص يسيرا .

(٤) مسجد الراية — هذا المسجد على يسار الداخل الى المدينة من طريق الشام فوق جبل ذباب ولهذا يسمى مسجد ذباب أيضا ، وقد روى ابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى على ذباب ، وروى أيضا عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب قبته عليه فى غزوة الخندق ، وسبب تسميته بمسجد الراية مارواه الواقدى أن يزيد بن هرمز كان يقاتل بالموالى على ظهر ذباب وكان رئيسهم يحمل الراية لهم . (أنظر المسجد فى نهاية الرسم ١٤٠ من جهة اليسار فوق القمة) .

(٥) مسجد السقيا — السقيا بئر بحرة المدينة الغربية، وهذا المسجد عندها ومكانه الآن قبة شهيرة تسمى بقبة الروس عند باب العنبرية . روى الترمذى وقال حسن صحيح عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر حتى اذا كنا بحرة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بوضوء فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال : اللهم إن ابراهيم كان عبدك وخليلك ودعاك لأهل مكة بالبركة وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مدّهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين . وفى بعض الروايات عند أحمد والطبرانى أنه صلى هنالك فأقيم المسجد حيث صلى وقد ذرع هذا المسجد صاحب وفاء الوفاء فاذا هو سبعة أذرع فى مثلها .

(٦) مسجد الفضيخ — هذا المسجد شرقى مسجد قباء على شفير الوادى فى نشز من الأرض وهو مسجد صغير قال صاحب الوفاء : إنه أحد عشر ذراعا فى مثلها وسبب تسميته بذلك ما روى ابن شبة عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم لما حاصر بنى النضير ضرب قبته قريبا من مسجد الفضيخ وصلى فى موضع هذا المسجد ست ليال فلما حرمت الخمر خرج الخبر الى أبى أيوب فى نفر من الأنصار وهم يشربون فيه فضيخا فحلوا وكاء السقاء فهراقوه فيه ، فبذلك سمى مسجد الفضيخ ، والفضيخ عصير العنب وشراب يتخذ من بسر مفضوخ ، ويقال لهذا المسجد : مسجد الشمس وقيل فى تعليل ذلك إنه فى مكان عال شرقى مسجد قباء فأوّل ما تطلع الشمس تطلع عليه .

ولقد ذكرتنى كلمة بسر بيتين ظريفين رأيتهما فى رحلة العياشى قالهما الشيخ محمد فتح الدين القليوبى وقد أهدى اليه بسر كثير النوى :

أرسلت لى بسرا حقيقته نوى * عار فليس لجسمه جلباب
ولئن تباعدت الجسوم فودنا * باق ونحن على النوى أحباب

(٧) مسجد بنى قريظة — هـذا المسجد شرقى مسجد الفضيخ بعيـد عنـه بالقرب من الحرة الشرقية والظاهر أنه الذى ورد ذكره فى حديث الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسـل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد. فأتى على حمار فلمـا دنا قريبا من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم ثم قال: إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك فقال: نقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم» الحديث. وقد قاس هذا المسجد صاحب وفاء الوفاء — فى القرن التاسع فاذا هو ½ ٤٤ ذراعا من الشمال الى الجنوب فى عرض ٤٣ وقال إنه يحيط به جدار ارتفاعه نصف القامة وان هذا الجدار جدّده الشجاعى شاهين الجمالى شيخ المسجد النبوى سنة ٨٩٣ هـ .

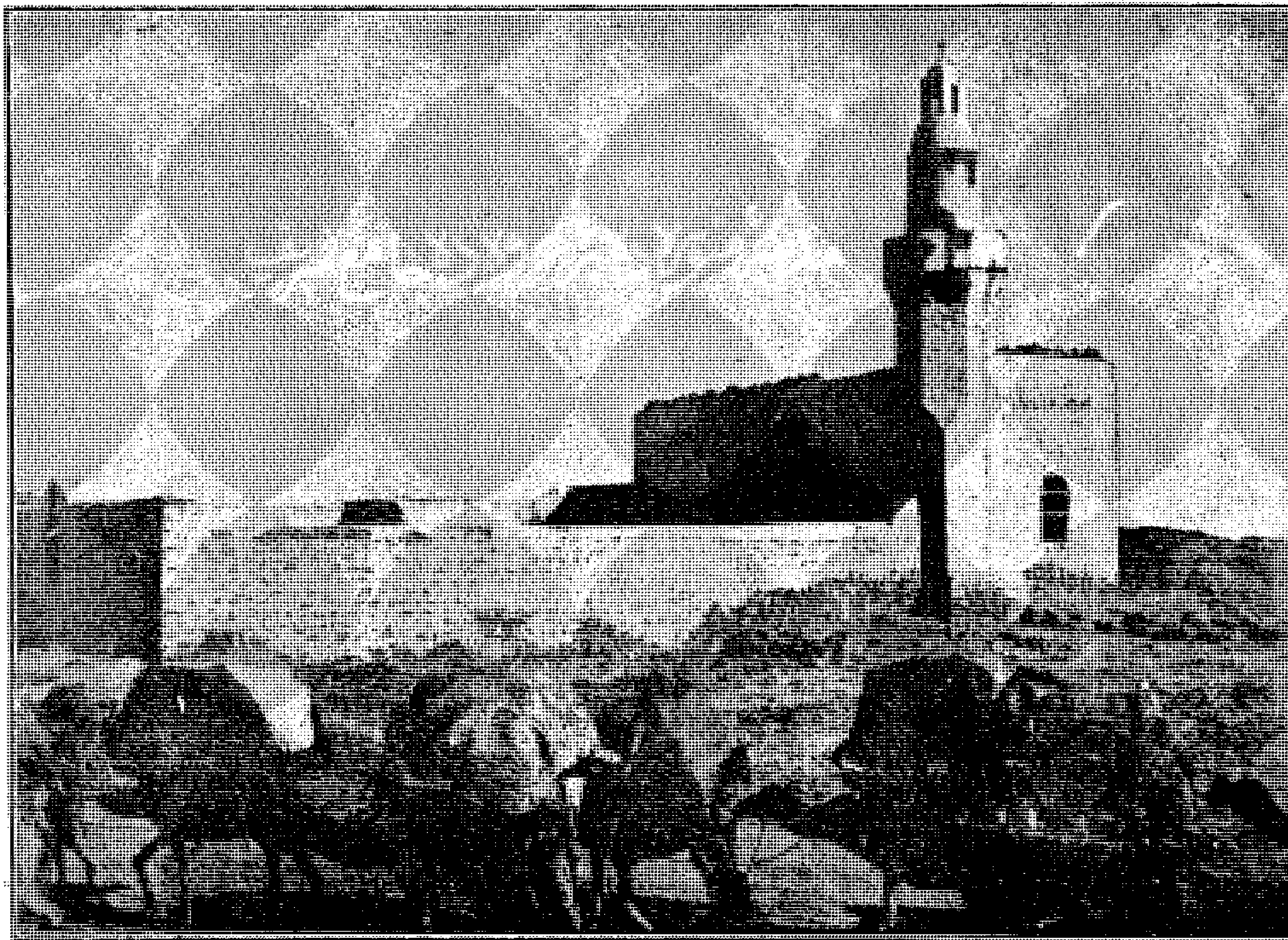
(٨) مسجد بنى ظفر — هـذا المسجد يعرف أيضا بمسجد البغلة وهو شرقى البقيع بطرف الحرة الغربيـة . روى الطبرانى بسند رجاله ثقات عن محمد بن فضالة الظفرى وكان ممن صحب النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فى مسجد بنى ظفر فجلس على الصخرة التى فى مسجدهم ومعه عبـد الله ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأناس من أصحابه، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم قارئا نقرأ حتى أتى على هـذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ فبكى رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى اضطرب لحياه فقـال: أى رب شهيد على من أنا بين ظهرانيه فكيف بمن لم أره، وعند هذا المسجد آثار فى الحرة من جهة القبلة يزعمون أن أحدها أثر حافر بغلة النبى صلى الله عليه وسلم، وفى غربى هذا الأثر مرفق غائص فى الحجر زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه ووضع مرفقه الشريف عليه فلان له الحجر، وعلى حجر آخر أثر أصابع نسبوها كذلك للنبى صـلى الله عليـه وسلم ولم يثبت شىء من ذلك وإنمـا هو محض افتراء زوره المرشـدون للاثار ليستدروا بذلك أموال الدهماء . وقد قاس هـذا المسجد صاحب الوفاء فى القرن التاسع فوجده ٢١ ذراعا فى مثلها، وممن عمر هـذا المسجد المستنصر بالله أبو جعفر المنصور سنة ٦٣٠ هـ .

(٩) مسجد أبي بن كعب — ويعرف أيضا بمسجد بني جديلة ، هذا المسجد غربي مشهد عقيل وأمهات المؤمنين على يمين الخارج من درب البقيع ، روى عمر بن شبة عن يحيي بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختلف الى مسجد أبيّ وأنه صلى فيه كثيرا ، وقد كان هذا المسجد متخربا ، وكانت توضع فيه آلات الحفارين فجددته الدولة العلية مع محرابه وأحكمت بناءه .

(١٠) مسجد المائدة — هذا المسجد شرقي المدينة وقد زرته مع جمع فوصلنا اليه من المدينة في ثلث ساعة ، ورأيت هنالك دائرة فيها نقر تمثل أواني الأكل — أطباقا — يقولون أنها أثر المائدة التي نزلت على عيسى عليه السلام والتي ورد ذكرها في القرآن في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ وإن ما قالوا زور وبهتان فإنه لم يثبت ذلك في أثر ولا عرف أن عيسى عليه السلام أتى يثرب ولم يكن قومه الذين طلبوا منه إنزال المائدة يسكنونها إنما كانوا في بلاد الشام ، وهكذا يضحك المغرضون على ضعاف العقول فيخترعون وينسبون وأولئك يصدقون ، وفي المدينة مساجد أخرى غير ما ذكرنا منها مسجد عروة الذي تراه في (الرسم ١٦٣) وقد أخذ صورته خليل افندي القازاني ، ومسجد الجمعة الذي صلى في مكانه الرسول صلى الله عليه وسلم أوّل جمعة بالمدينة بعد أن أدركته في بني سالم ابن عوف أثناء تحوله من قباء الى المدينة ، وهو في وادي ذي صلب بمكان يقال له الغبيب ، وترى هذا المسجد في ميمنة (الرسم ١٦٤) .

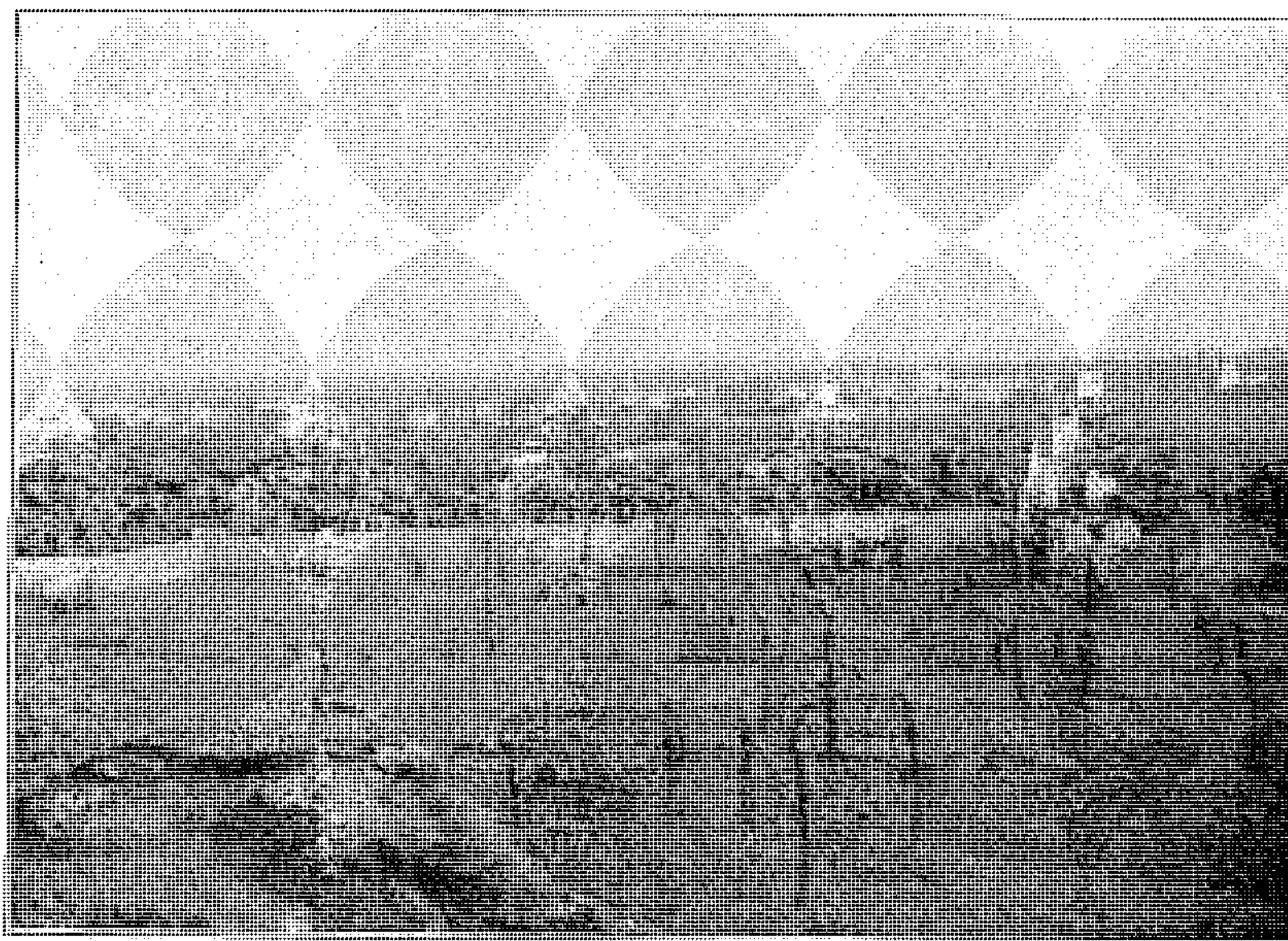
مصلى العيد — هو المعروف الآن بمسجد الغمامة — وحقيقة مسجد الغمامة ببدر — أوّل عيد صلاه الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ثنتين من الهجرة ، وكان يصلي في الفضاء وكانت تحمل اليه العنزة فيصلي اليها ، والعنزة رميح بين العصا والرمح فيه زُجٌّ — الحديدة في أسفل الرمح — وكانت للزبير بن العوام أعطاه إياها النجاشي فوهبها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان يخرج بها بين يديه يوم العيد ، وقد صلى العيد

مسجد عروه بالمدينة المنورة



163. The Mosque of Orwa at Medina.

مُنظر خارج باب قبا بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٦



164. A view in the out of Bab Koba in Medina in 1326.

فى أماكن مختلفة ولكنه فى سنيه الأخيرة داوم على صلاة العيد بمصلاه المعروف الآن بالمناخة غربى المدينة ، وهو فى موضع الرقم ١٤ من خريطة المدينة ، وقد جاء فى الجزء الأول من زاد المعاذ فى صفحة ١٢٠ أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين فى المصلى الذى على باب المدينة الشرقى وهو المصلى الذى يوضع فيه محمل الحاج ، وأظن أن كلمة الشرقى سهو لأن ما بعدها يدل على أنه الغربى لأن المناخة فى الجهة الغربية ، وهذا المصلى بينه وبين مسجد الرسول ١٠٠٠ ذراع أى قريب من نصف كيلومتر ، ولم يكن به بناء فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما كان فضاء وقد ثبت النهى عن تضييقه والبناء فيه ، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المصلى يستسق فبدأ بالخطبة ثم صلى وكبر واحدة افتتح بها الصلاة وقال : « هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة » وفى بعض الروايات : هذا مستمطرنا ومصلانا لأضحانا وفطرنا لا يضيق ولا ينتقص منه شىء ، وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ينصرف من صلاته يقوم مستقبل الناس فيخطبهم ولم يكن له منبر يقوم عليه كما دل على ذلك حديث أبى سعيد الخدرى فى البخارى ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى الى المصلى فأول شىء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فان كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشىء أمر به ثم ينصرف ، فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة فى أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت واذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى فجبذته بثوبى فجبذنى فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له : غيرتم والله فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : والله ما أعلم خير مما لا أعلم فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة . ذكر ذلك البخارى فى باب الخروج الى المصلى بغير منبر ، وكان صلى الله عليه وسلم يذهب الى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريقين ويقضى حاجة من له

حاجة منها ويشهد البقاع ويظهر شعائر الاسلام ، والطريق العظمى هى المعروفة بدرب السويقة والطريق الأخرى غربى طريق بنى زريق وهى ضعف تلك فى المسافة وسور المدينة الآن يمنع سلوكها .

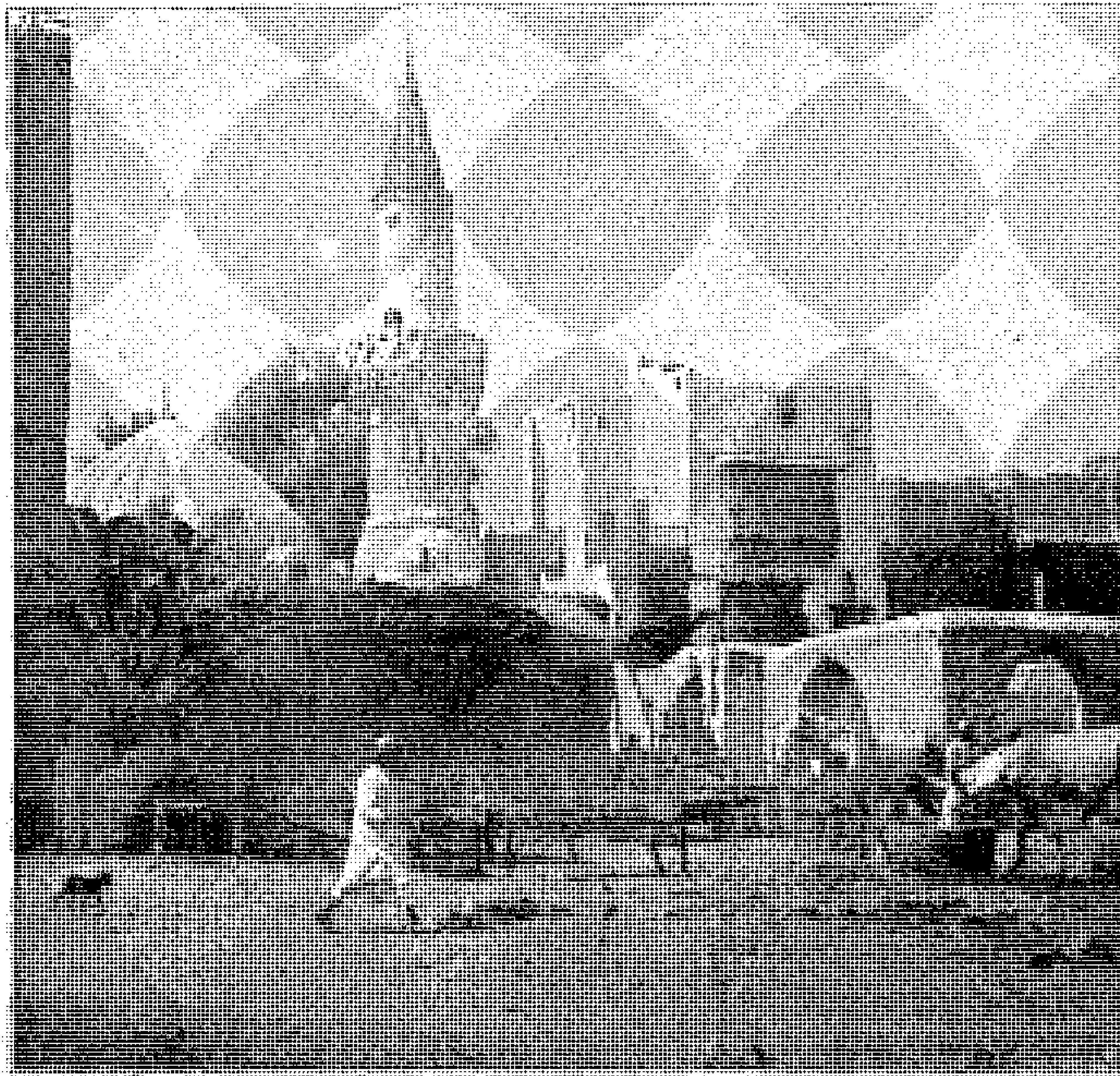
وقد أقيم فى بعض المصلى بناء بمسجد المصلى أو مسجد الغمامة ، وفى شماليه مسجد يعرف بمسجد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (الرسم ١٦٥) وفى شمالى المسجد الأخير مسجد يعرف بمسجد علىّ رضى الله عنه (الرسم ١٦٦) عمره أمير المدينة زين الدين ضغيم المنصورى سنة ٨٨١ هـ . ومكتوب على هذا المسجد :

لله مسجد للامام على * أضحى بأحكامه زاهى البنا على
تود أن لو غدت هبا ساحته * زهر النجوم وفرق الفضل فيه جلى
دامت صلاة فيه وافية * تمو لموقف جرى فى سابق الأزل
خيرات سلطاننا عبد المجيد نمت * طول الزمان بوصل غير منفصل
جلت دعائمه اذ كان راسمه * مدير حكم لطيف الاسم والعمل
فيا له مسجد دار البهاء به * يفوق شمس الضحى فى دارة الحمل
أرّخته سار طول الدهر ناشيه * مليكنا الماجد السامى على الدول

ومسجد المصلى عمّره بعد خرابه السلطان حسن بن السلطان محمد بن قلاوون ولاندرى تاريخ العمارة وانما تولى السلطان حسن من سنة ٧٤٨ هـ الى سنة ٧٦٢ هـ . ورممه الأمير برد بك المعمار سنة ٨٦١ هـ . فى دولة الأشرف إينال وأحدث سقفا خارج المسجد يجلس عليه المبلغون ومدرجا خارجه على ميمنة الداخل من بابه يقوم عليه الخطيب أما المسجد الآن فانه ذو قباب ثمانية ومبنى بناء متقنا بالآجر الأسود . أنظر (الرسم ١٦٧) والذى بجواره مسجد عثمان والمنزل ذو الرواشن الذى باليمين لأمين افندى برى شيخ الفراشين بالحجرة النبوية ولأخيه الشيخ حسين .

مكتبات المدينة (كتبخاناتها) — فى المدينة كثير من الكتب القيمة النادرة المثال وهى مبعثرة فى مدارس متعددة ومكاتب مختلفة ، وبين هذه الكتب

مسجد سيدنا ابو بكر بالمدينة فی محرم سنة ١٣٢٦

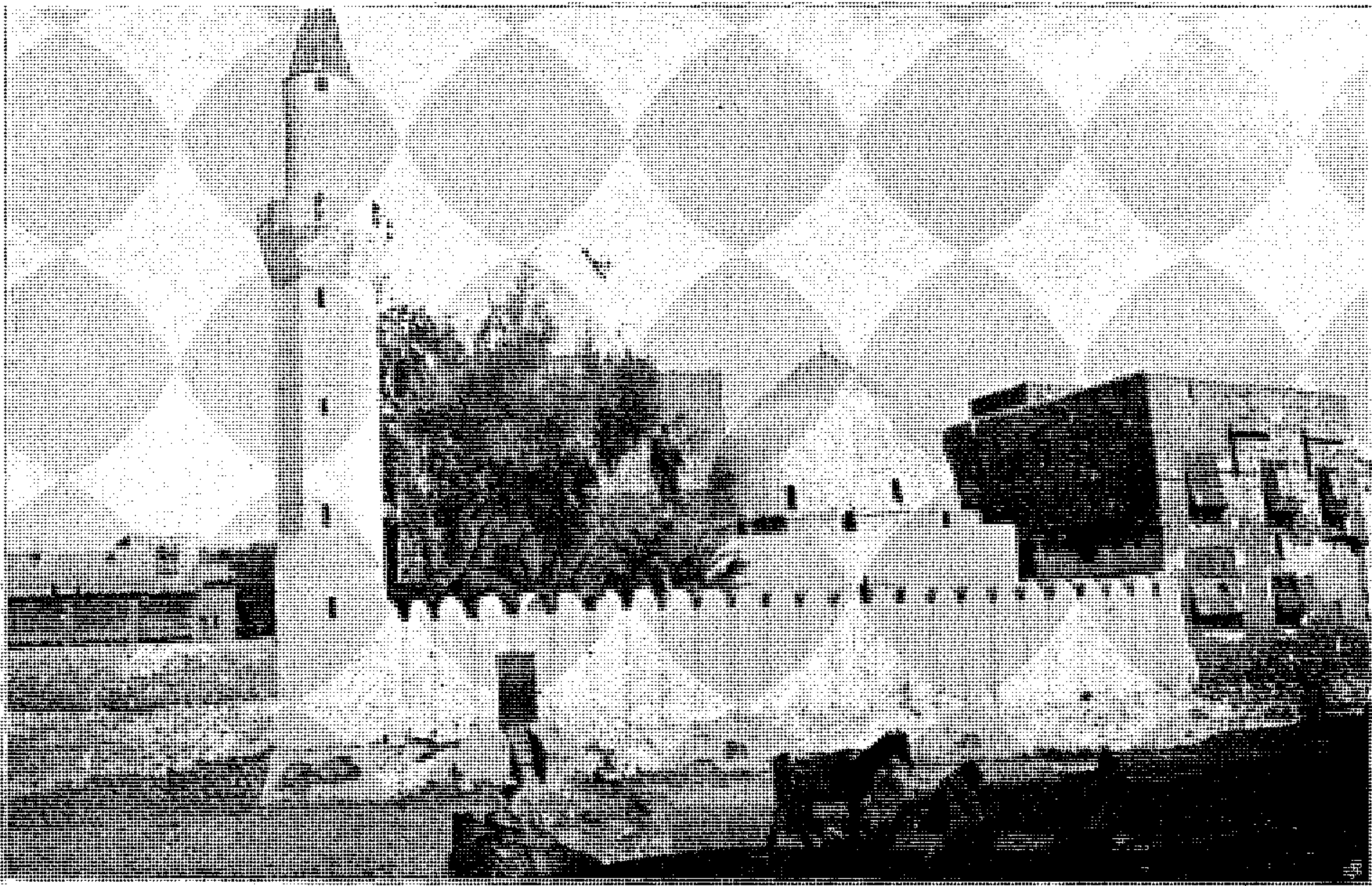


رسم محمد علی سعودی افندی

165. A view of Abo Bakr Mosque at Medina in Moharam 1326.

صحيفة ٤٢٢

مسجد سيدنا على فى محرم سنة ١٣٢٦

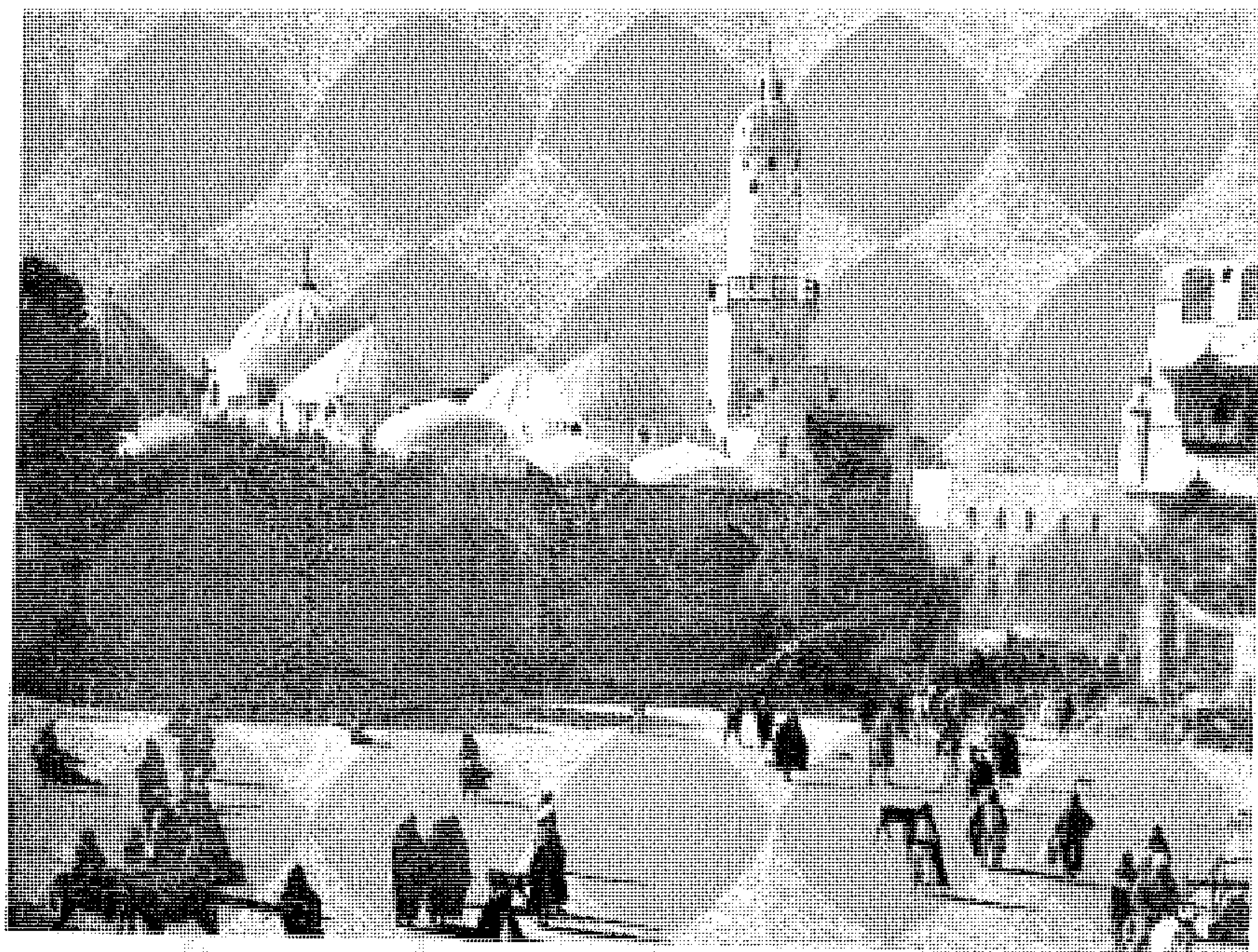


رسم محمد علی سعودی افندی

166. The Mosque of Aly at Medina, 1326 A.H.

صحيفة ٤٢٢

مسجد الغمامة بالمدينة المنورة



167. El Ghemama Mosque at Medina

صحيفة ٤٢٤

منظر المدينة من فوق تكية محمد على باشا



168. Medina as seen from the roof of the Charity house of Mohamed Aly Pasha.

مصاحف مكتوبة بالخط البديع الذى يسحر الطرف جماله ويأخذ بالنفس حسن روائه، وها نحن أولاء نذكر لك تلك الأماكن وتعداد مافيها من الكتب والمصاحف .

عدد	
١٠٨١	مصحف بالروضة التى بين منبر الرسول وقبره صلى الله عليه وسلم .
٤٥٩٦	« وكتاب بمكتبة مدرسة السلطان محمود بباب السلام بالمسجد النبوى
١٦٦٩	الكتب التى بمكتبة مدرسة السلطان عبد الحميد الأول .
٢٠٦٣	« « « « بشير أغا بجوار باب السلام .
١٢٤٦	« « « « الشفاء التى أنشأها شيخ الاسلام فيض الله .
٥٤٠٤	« « « « عارف حكمت شيخ الاسلام وهى قريبة من باب جبريل بالمسجد النبوى وهى أحسن المكاتب وأنظفها وأجملها ترتيبا .
١٢٦٩	الكتب التى بمكتبة مدرسة عمر افندى .
٥٩٣	« « « « مصطفى افندى الساقزى .
١٥٨	« « « « أمين باشا شيخ المسجد النبوى سابقا .
٤٦١	« « « « مصطفى افندى التى تسمى مدرسته بالاحسانية
١٢٩	« « « الشيخ عبد الغفور البخارى أحد المجاورين .
١١٠٠	« « « "تكية" الشيخ مظهر افندى .
١٠٠	« « « مدرسة حسين أغا ناظر "التكية" المصرية سابقا .
١٠٠	« « « « أمين افندى الفنايرجى .
٢٠٦	« « « محمد افندى ثروت .
١٠٥٠	« « « أحمد افندى البساطى أحد أئمة وخطباء المسجد النبوى .
١٥٧	« « « مدرسة الكيلى الناظر أحد المجاورين . .
٥٠٠	« « « سليم بك رئيس التشريفة للحضرة السلطانية .
٢١٨٥٥	جملة ما بهذه المكاتب

تكايا المدينة — بالمدينة ثمان تكايا أشهرها التكية المصرية بالمناخة على يسار الداخل من باب العنبرية ، وطولها ٨٩ مترا فى عرض ٥٠ وهى مبنية بناء متقنا وشكلها بديع كما ترى ذلك فى (الرسم ١٦٩) والذى بناها إبراهيم باشا فى عهد أبيه محمد على باشا جدّ الأسرة العلوية وجعل سقفها قبابا حتى لا يعبث بها الحريق أنظر (الرسم ١٦٨) الذى أخذته للمدينة من فوق سطح التكية والذى ترى فيه أربع مآذن من مآذن المسجد النبوى . وفى التكية مخازن وأفران ومطبخ ويأتى لها القمح والأرز وما يلزم لها من ديوان الأوقاف بمصر ، وكذلك ما لناظرها وموظفيها من المرتبات وهم معينون من قبل الحكومة المصرية ، ويرد اليها الفقراء يوميا ليأخذوا الخبز والشربة ، وهاك ما ينفق يوميا لثمانمائة فقير فى أيام الزيادة وفى أيام العادة سنة ١٣٢١ هـ . وأيام الزيادة هى أيام رمضان وأيام الخميس من النصف الثانى من شوّال ومن النصف الأوّل من ذى القعدة وكذلك أيام الخميس من شهر المحرم وشهر رجب .

أيام الزيادة			أيام العادة		
مقدار المنفق	الصنف	ما يخص الفرد	مقدار المنفق	الصنف	ما يخص الفرد
أقة		درهم	أقة		درهم
٨	سمن	٤	٣	سمن	١ر٥
١٠٠	أرز مصرى	٥٠	٤٠	أرز مصرى	٢٠
٩٦	دقيق	٤٨	٩٦	دقيق	٤٨
٤٠	لحم	٢٠	—	—	—
٩٢	حطب	٤٦	٩٢	حطب	—
٣٣٦	—	١٦٦	٢٣١	—	—

واجهة تكية محمد علي باشا بالمدينة المنورة



169. A view of the front part of the Alms-House of Mohamed Aly Pasha in Medina

وناظر التكية رجل ترکی یسمی نجیب بك يقوم بواجب عمله خير قيام بل شاهدت جملة إصلاحات بالتكية أقامها من مرتبه الخاص ولا عجب فانه تقىّ كريم يحبه أهل المدينة وحكامها حبا جما ، وكذلك موظفو التكية أخلاقهم حسنة يعاملون الفقراء باللين والرفق .

مقابر المدينة — تكلمنا على أحد ومقابر الشهداء به و بقى الكلام على مقبرة البقيع التى هى مدفن أهل المدينة الى يومنا هذا .

البقيع محل مستطيل شرقى المدينة خارج عن سورها طوله ١٥٠ مترا فى عرض ١٠٠ ويقال له بقيع الغرقد لأن هذا النوع من الشجر كان كثيرا فيه ولكنه قطع ، والبقيع فى أصل اللغة : الموضع الذى به أروم الشجر من ضروب شتى ؛ والغرقد كبار العوسج ، و بقيع الغرقد هذا هو الذى ورد ذكره فى مرثية عمرو ابن النعمان البياضى لقومه ، وقد دخلوا فى بعض حروبهم حديقة من حدائقهم وأغلقوا بابها عليهم ثم اقتتلوا فلم يفتح الباب إلا بعد أن قتل بعضهم بعضا فقال فى ذلك :

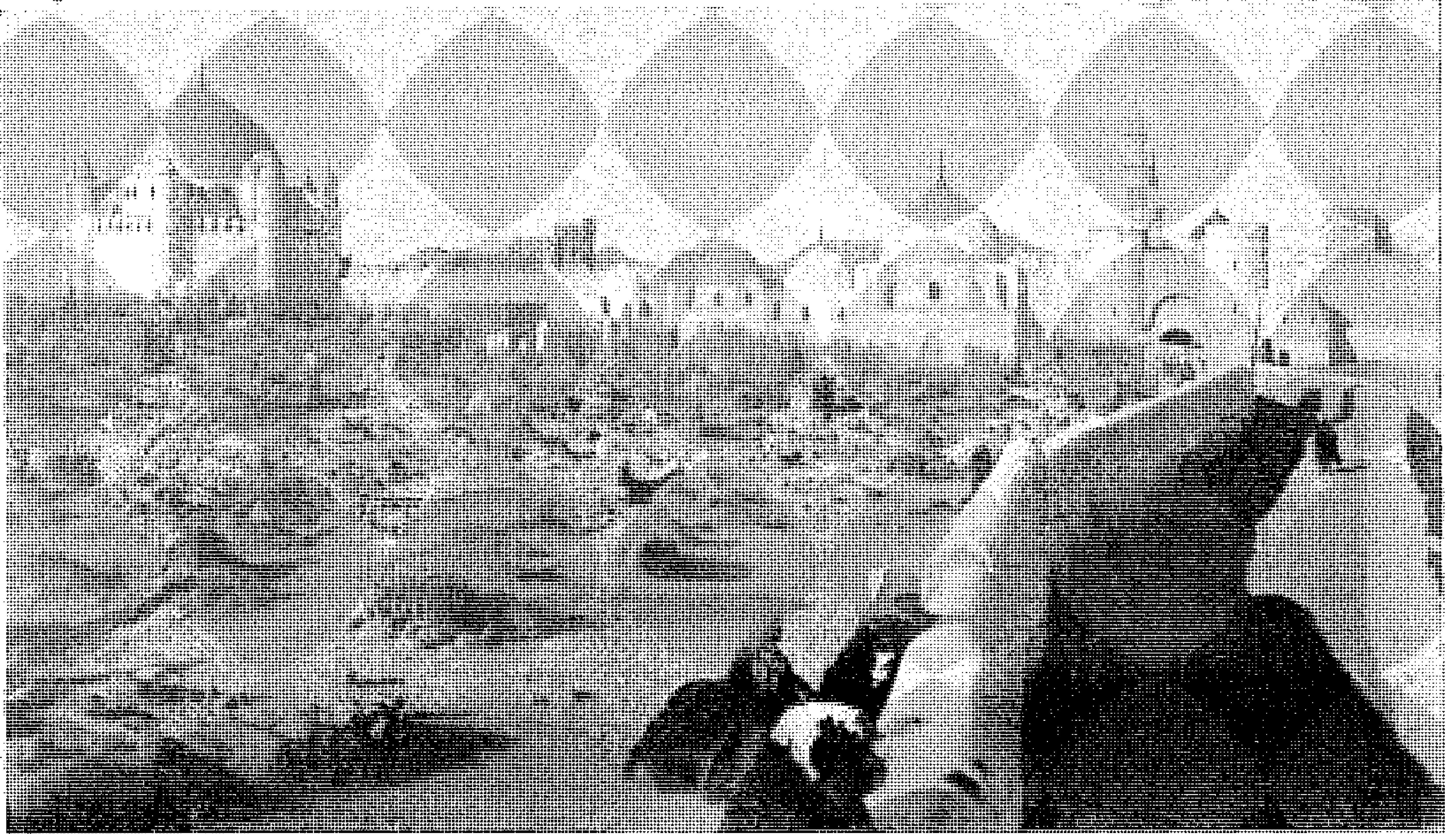
خلت الديار فسدت غير مسوّد * ومن العناء تفردی بالسؤدد
أين الذين عهدتهم فى غبطة * بين العقيق الى بقيع الغرقد
كانت لهم أنهاب كل قبيلة * وسلاح كل مدرب مستنجد
نفسى الفداء لفتية من عامر * شربوا المنية فى مقام أنكد
قوم هموا سفكوا دماء سراتهم * بعض ببعض فعل من لم يرشد
يا للرجال لفتية من دهرهم * تركت منازلهم كأن لم تعهد

وهذا المكان به مقابر كثير من الصحابة والتابعين وكبار المسلمين وقد دفن به من الصحابة نحو عشرة آلاف وتفرق باقيهم فى البلدان ، ونظرا الى أن السلف الصالح كان يجتنب البناء على القبور وتجصيصها وقد أفضى ذلك الى انطماس معالم كثير

من قبورهم ، فلذلك لا تعرف قبور كثير منهم الا أفرادا معــدودة أقيمت على قبور بعضهم قباب ، ومن أولئك الأفراد ابراهيم ورقية وفاطمة أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت أســد أم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهــما وعبد الرحمن ابن عوف وعبــد الله بن مسعود وســعد بن أبى وقاص وأسعد بن زرارة وخنيس ابن حذافة السهمى والحسن بن على ، ومعه فى قبره ابن أخيه زين العابدين على بن الحسين وأبو جعفر الباقر محمد بن زين العابدين وجعفر الصادق بن الباقر ، وممن علم قبره بالبقيع العباس بن عبدالمطلب وأخته صفية وابن أخيهما أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وسعد بن معاذ الأشهلى وأبو سعيد الخدرى ، وكل زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم دفن بالمدينة إلا خديجة فبمكة وإلا ميمونة فبسرف رضى الله عن الجميع ، والعباس والحسن بن على ومن ذكرناه معه تجمعهم قبــة واحدة هى أعلى القباب التى هنالك كقبة إبراهيم وقبة عثمان التى بنــاها السلطان محمود ســنة ١٢٣٣ هـ . وقبة الزوجات وقبــة اسماعيل بن جعفر الصادق وقبة الامام أبى عبد الله مالك بن أنس الأصبحى إمام دار الهجرة ، وقبة نافع شيخ القراء وهنالك قبة تسمى قبة الحزن يقال إنها فى البيت الذى آوت اليه فاطمة بنت النبى والتزمت الحزن فيه بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بالبقيع قباب كثيرة هدمها الوهابيون ، وترى فى (الرسم ١٧٠) جملة قباب فالتى على يمين الناظر قبة ابراهيم ، والثانية لعقيل ، والثالثة لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، والرابعة لبناته رقية وزينب وأم كلثوم ، والخامسة الكبيرة لآل البيت ، والتى على يمين البرجين لعاتكة وصفية عمتى الرسول صلى الله عليــه وسلم ، وانظر البقيع من الجهة الشرقيــة الجنوبية فى (الرسم ١٧١) .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يزور بقيع الغرقد ويدعو لأهله بل أمره ربه بذلك كما يدل عليــه حديث عائشة عنــد مسلم والنسائى فان فيــه أن جبريل قال للنبى

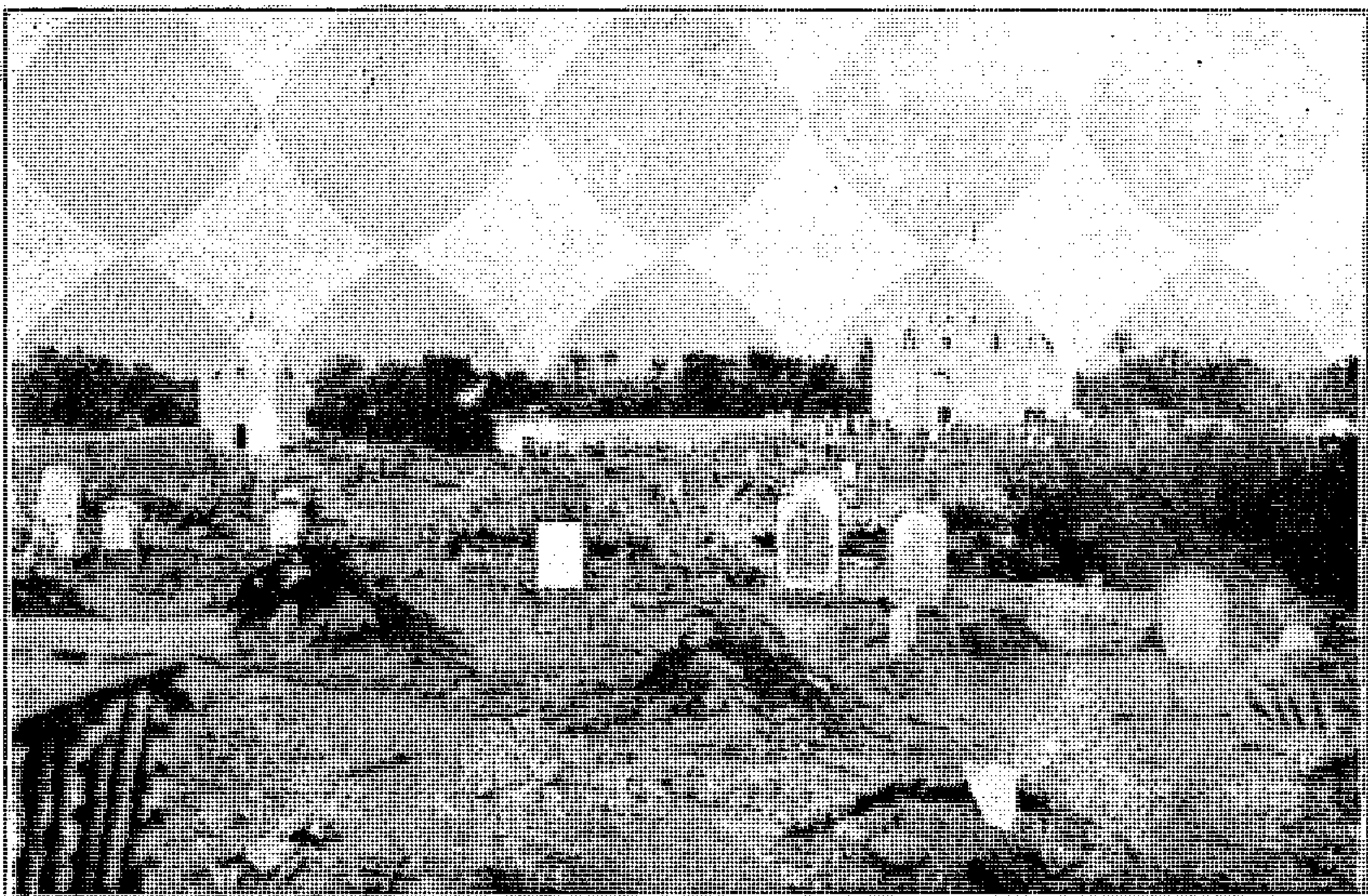
منظر البقيع وبه قبة آل البيت وقبتا سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا مالك



170. Baqui'a showing the dome of the Prophet's Family and the two domes of Othman and Malik.

صحيفة ٤٢٦

منظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية سنة ١٣٢١



171. A south-eastern view of Bakeea El Gharkad at Medina.

صلى الله عليه وسلم : إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم . ويزور أهل المدينة البقيع فى كل يوم خميس ويضعون على القبور الريحان وبجانبه بعض الأزهار ولا يدخل شيعى قبة أهل البيت بالبقيع إلا اذا دفع خمسة قروش كما أنه لا يدخل الكعبة إلا من دفع ريالا مالم يكن ذا يسار فيؤخذ منه مبلغ كبير وكذا خصى المسجد النبوى — الأغوات — المنوطون بخدمة الحجرة لا يجيزون لأحد دخولها إلا اذا دفع ريالا. فيدخلها قبل الغروب بساعة عند إيقاد الشموع ، ومن الأضرحة التى فى خارج البقيع ضريح لعبد الله بن عبد المطلب والد النبى صلى الله عليه وسلم وهو بداخل المدينة ، وضريح للشيخ على العريضى وهو واقع شرقى المدينة على مسير ساعة منها وضريح للسيدة ملكة بنت السيد أحمد الرفاعى وهو بديار العشرة وبناؤه من آثار السلطان محمود خان وضريح السيد زكى الدين خارج الباب الشامى وضريح أبى شجاع أحد فقهاء الشافعية وضريح نور الدين الشهيد الأصفهانى وهما فى شرق المسجد مما يلى الأحجار المفروشة .

أراضى المدينة وأوديتها وآبارها وزروعها — أرض المدينة قسمان الأول وهو الأكثر مادته رملية بيضاء خالية من الأملاح ملأته أشجار النخيل والكروم وأكثر ذلك شرقى المدينة ، والثانى طينته سوداء يزرع به القمح — بقلة — والشعير والرمان والبرتقال والخوخ والعنب والموز والليم والبطيخ والقاوون والليموت الحلو والملح والأضالى —. نسبة الى أضاليا ببلاد الأناضول — والورد والياسمين والنعناع والفل والكرنب والطماطم والباذنجان الأسود والملوخية والبامية واللوبيا والقرع الكوسى والآستانى — الكبير الحلو— والفجل والخس وجميع أصناف الخضراوات ، وأكثر هذا القسم بقباء والعوالى وقربان جنوبى المدينة وبالعقيق غربيها ، والأرض مقسمة الى بساتين لكل شخص بستان أو أكثر ، ومن أشهر هذه البساتين نزهة للنفس وشرحا للصدر وجلاء للبصر الداودية لمعتوق داود باشا والسبيل ، وبضيعة للسادة الأسعدية

وسواله للشريف شحات وأخيه ناصر، والشدقة معظمها لآل حماد، والحمرة للشريف منصور، والقائم للشريف عون أمير مكة، والقويم لزين العابدين المدنى وبستان بئر النبي صلى الله عليه وسلم وقف الشهيد محمد باشا وكل هـذه قبلى المدينة، وبستان أبى السعود المفتى وبستان الأسعدية وبستان محروس وبستان معتق قاشقجى وبستان الأسعدية. وكل هذه حول مشهد حمزة فى شمال المدينة على العيون التى هنالك وتسقى أراضى المدينة من مياه الآبار التى بعضها حلو وبعضها فيه يسير الملوحة وإخراج المـاء من الآبار التى يختلف عمقها بين قامتين واثنتى عشرة قامة بواسطة السوانى (جمع السانية) وتطلق فى اللغة على الدلو وعلى أداته وعلى الناقة التى يستقى عليها، ولكن يطلقها الآن أهل المدينـة على الأدوات التى تخرج بها المياه من الآبار وهى بكرتان يمرّ عليهما حبلان ربط كل واحد منهما بطرف من طرفى الغرب أو القربة ويشد الحبلين بهيم واحد الى جهة واحدة وقد يكون على البئر بكرتان وأربع وست الى ١٦ حيث يكون بالبئر ثمان قرب، وقد شرحنا لك فيما سبق طريقـة إخراج المياه من الآبار بواسطة السوانى وصورتين لذلك، وأشهر آبار المدينة : (١) بئر أريس، وقد فصلنا الكلام فيها حين وصفنا قباء؛ (٢) بئر الأعواف وهى إحدى صدقات النبى صلى الله عليه وسلم؛ (٣) بئر انا وهى التى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته عندها حينما حاصر بنى قريظة وشرب منها، وهـذه البئر غير معروفة الآن وربما كانت فى المدينة باسم آخر غير هـذا الاسم؛ (٤) بئر أنس بن مالك بن النضر وتضاف أيضا لأبيه. وهى التى ورد ذكرها فى حديث أنس الصحيح قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دارنا هـذه فاستسقى فحلبنا شاة لنـا ثم شبته من بئرنا هـذه فأعطيته فشرب وعمر بين يديه وأبو بكر عن يساره وأعرابى عن يمينه فأعطى الأعرابى فضله وقال : الأيمن فالأيمن، وهذه البئر تعرف الآن ببئر الحضارم وهى فى رباط شمالى الحديقة المعروفة بالعينية، وبقرب البئر قبـة على قبر يزعمونه قبر عبـد الله أبى النبى صلى الله

عليه وسلم؛ (٥) بئر بضاعة فى منتهى عمار المدينة من جهة الشمال وهى التى كان يلق فيها لحوم الكلاب والمحائض وعذر الناس وسئل صلى الله عليه وسلم عن التوضؤ منها فقال : الماء طهور لا ينجسه شيء — روى ذلك أحمد والنسائى وصححه والترمذى وحسنه والدارقطنى وأبو داود وابن ماجه — وزاد إلا ماغلب على ريحه وطعمه ولونه ، و فى رواية للبيهقى الماء طهور الا إن تغير ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه ، وفى رواية للنسائى عن أبى سعيد قال : مررت بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ من بئر بضاعة فقلت أتتوضأ منها وهى يطرح فيها ما يكره من النتن ؟ فقال : الماء لاينجسه شيء ؛ (٦) بئر بيرحاء . هذه البئر شمالى المدينة بعد سورها شرقى بئر بضاعة ولكن يفصل بينهما بئر بصيعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعذب ماءها ، وكانت فى بستان لأبى طلحة وقفه على أقاربه و بنى عمه كما دل على ذلك حديث البخارى فى كتاب الأشربة فى (باب استعذاب الماء) روى عن أنس بن مالك أنه قال — كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل وكان أحب ماله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد — المسجد قبليها — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة فقال — يارسول الله؟ إن الله يقول — ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ : وأنا أحب مالى الىّ بيرحاء و إنها صدقه لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى لله عليه وسلم : بخ ذلك مال رابح أو رايح — شك من الراوى — وقد سمعت ما قلت و إنى أرى أن تجعلها فى الأقربين ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وفى بنى عمه ؛ (٧) بئر رومة — هذه البئر شمالى المدينة على مسيرة ساعة منها وهى حد العقيق من جهة الشمال ، وقطرها أربعة أمتار وعمقها آثنا عشر مترا أو تزيد و بجوارها حوض وحجرة

للاستراحة ومزارع كثيرة ، وفى شمالى البئر البركة والعيون التى يحف بها النخيل ، وهذه البئر كانت ليهودى فاشتراها منه عثمان بن عفان بماله وتصدق بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية (بئرا) ليهودى يبيع ماءها للسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشترى رومة فيجعلها للسلمين يضرب بدلوه فى دلائهم وله بها شرب فى الجنة ، فأتى عثمان اليهودى فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر ألف درهم فجعله للسلمين، فقال له عثمان : إن شئت جعلت لنصيبى قربين وإن شئت فلى يوم ولك يوم فقال : بل لك يوم ولى يوم ، فكان إذا كان يوم عثمان استق المسلمون ما يكفيهم يومين ، فلما رأى اليهودى ذلك قال أفسدت على ركيتى فاشتر النصف الآخر فاشتراه بثمانية آلاف درهم ، وهذه البئر فى أسفل وادى العقيق قريبة من مجتمع الأسيال فى براح واسع من الأرض ؛ (٨) بئر غرس وهى بئر بقباء فى شرقى مسجدها على نصف ميل من جهة الشمال ، روى ابن حيان فى كتاب الثقات عن أنس رضى الله عنه أنه قال : ائتونى بماء من بئر غرس فإنى رأيت رسول الله صلى عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ، وفى المدينة آبار أخرى مثل بئر القويم وهى من أكبر آبار المدينة وبئر العباسية وبئر الصفية وبئر البويرة وبئر فاطمة ، وكل هذه الآبار جنوبى المدينة وبئر عروة بوادى العقيق ، وكان أهل المدينة فيما سلف يهدون من مياه البئر الأخيرة لأمراء الشام .

هذه هى الآبار التى عليها معول أهل المدينة فى سقى أراضيهم ومواشيهم أما مياه الشرب لأنفسهم فيأخذونها من عين الأزرق أو العين الزرقاء على ما هو المشهور فى عرفهم ، وهذه العين منشؤها بئر بقباء غربى مسجدها وتعرف بالجعفرية ، اجراها الى المدينة مروان بن الحكم عامل معاوية على المدينة بأمر منه فسار بها حتى مصلى الأعياد ، وقد أقيم عليها بعد قبة هنالك مفتوحة من جانبيها الشمالى والجنوبى حيث فى كل جانب منهما مدرج فى الأرض ينزل منه الناس لأخذ المياه

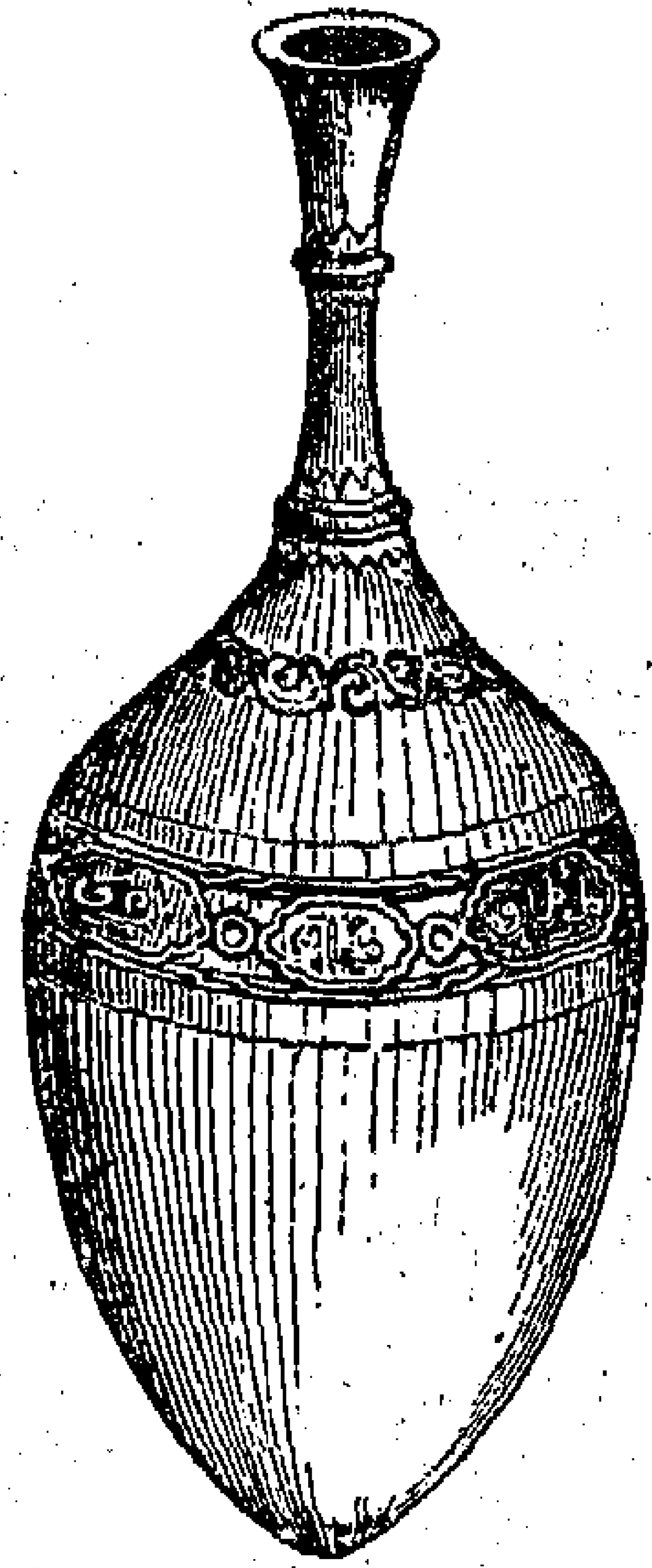
من العين أما العين نفسها فتخرج من شرقى القبــة ثم تتجه نحو الشمال، وقــد جدد هــذه القبة إبراهيم باشا الذى أرسـله أبوه لتجديد ما خرّبه الوهابيون وفى حدود الستين وخمس المـائة أخذ منها الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء شعبة من عنــد مخرجها من القبــة فساقها الى باب المدينــة المعروف الآن بالباب المصرى ثم أوصلها الى الرحبة التى عنــد مسجد النبي صلى الله عليــه وسلم من جهة باب السلام وبنى لهـا هنالك منهلا بدرج تحت الدور يستقى منــه أهل المدينة، وأخذ أمير من أمراء الشام يسـمى أبا شامة من هذا المنهل شعبة صغيرة أدخلها الى صحن المسجد النبوى وجعل لهـا به منهلا بدرج عليه عقد ، وفى هذا المنهل فوارة ماء يتوضأ منها من يريد الوضوء ولكنها بللت الأرض، وكان يستنجى منها بعض الجهلة وبكشف عورته فسدت ولكنها أعيدت الآن (١٣١٨هـ) كما كانت ، وقد جعـل ابن أبى الهيجاء مصرفا للعين الزرقاء يبتـدئ من المنهل الذى دون باب السـلام ويسير فى مكان يعرف الآن بسوق الحرازين ثم فى مكان آخر يعرف بالساحة ثم يخرج الى ظاهر المدينة الشمالى من شرقى القلعة التى بالباب الشامى ، وقد أنشئ لها فى المدينة مناهل أخر، منها منهلان بالساحة عنـد القلعة يواجهان بابهـا، ومنهلان داخلها، ومنهـل بحارة «الأغوات» شرقى المسـجد النبوى فى مكان يقال له : الحرة وكل المساقى (السبل) الموقوفة بالمدينة تستمد مياهها من هذه العين وكذلك حمام الصدر الأعظم محمد باشـا الشهيد بحارة دروان، وحمام أحمـد أفندى الترجمان مدير الحرم — بالمناخة — وتسقى منها بساتين عدّة فى داخل المدينة، منها بستان العينية وقف الامام العينى شارح صحيح البخارى وهو فى شارع باب السلام، وبستان آل برى زاده بالمناخة تجاه مصلى الاعياد أو مسجد الغمامة وبستان عبد العال فى التاجورية بالمناخة وبستان السادة الأسعدية داخل البـاب الشامى وبستان داود باشا، ولكنه خارج الباب الشامى، وداود هذا هو الذى كان واليا على بغـداد وخرج على الدولة وضرب

سكة كتب عليها ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض﴾ ثم عفت عنه الدولة وعينته شيخا للمسجد النبوى أو الحرم فى عرف أهل المدينة، وفى بستانه لوح رخام سطرت فيه أبيات شعرية آخرها (تاريخه غرسه ١٢٦٥ ﻫ) . أنظر البستان وسوره بجوار معسكر المحمل سنة ١٣٢٦ ﻫ . فى (الرسم ١٧٢) الذى ترى فى وسط أعلاه مسجد العريضى وقبته .

ومن هذه العين تملأ الدوارق التى بالمسجد والتى لا تحصى كثرة ويشرب منها الناس ويطوف ببعضها طائفون . أنظر الدورق فى (الرسم ٣٣٠) .

وبعد أن تخرج العين الى ظاهر المدينة الشمالى تسير مبحرة فاذا ما كانت بين مسجد السبق وقبر ذى النفس الزكية ابن جعفر الصادق كان لها منهل هنالك ومنهل آخر شرقى المسجد المذكور على يمين السائر نحو ثَنِيَّة الوداع التى تسير العين اليها ثم تجاوزها مارة شمالى جبل سَلْع على مقربة من مسجد الراية، ولها هنالك منهل قريب من ظهر الأرض له باب ودرج ثلاث ثم تمر غربى الجبلين اللذين فى شرقهما مساجد الفتح (مسجد الفتح ومسجد على ومسجد سلمان) ثم تسير حتى تصل الى مجمع مائها المسمى « بالبركة » حيث الغابة ذات الأشجار الكثيفة والبساتين النضرة والمزارع الطيبة، وهذه العين تبدأ بعيدة المجرى عن ظهر الأرض وكلما سارت نحو الشمال اقتربت من ظاهرها حتى تكون على سطح الأرض عند اقترابها من الغابة التى شرقى مسجد رومة، والمناهل التى قدمنا ذكرها تسمى بالعيون، وعين الأزرق أو العين الزرقاء كما يسميها أهل المدينة كانت ولا تزال موضع عناية الملوك والأمراء والكبار، وقد وصل بمجراها فى أزمنة مختلفة ثلاث آبار بئر تنسب للنبى صلى الله عليه وسلم بقباء وبئر الرباط وبئر

(١)



(الرسم ٣٣٠ دورق فخار)

(١) عن مرآة مكة لأيوب صبرى باشا أمير اللواء البحرى العثمانى .

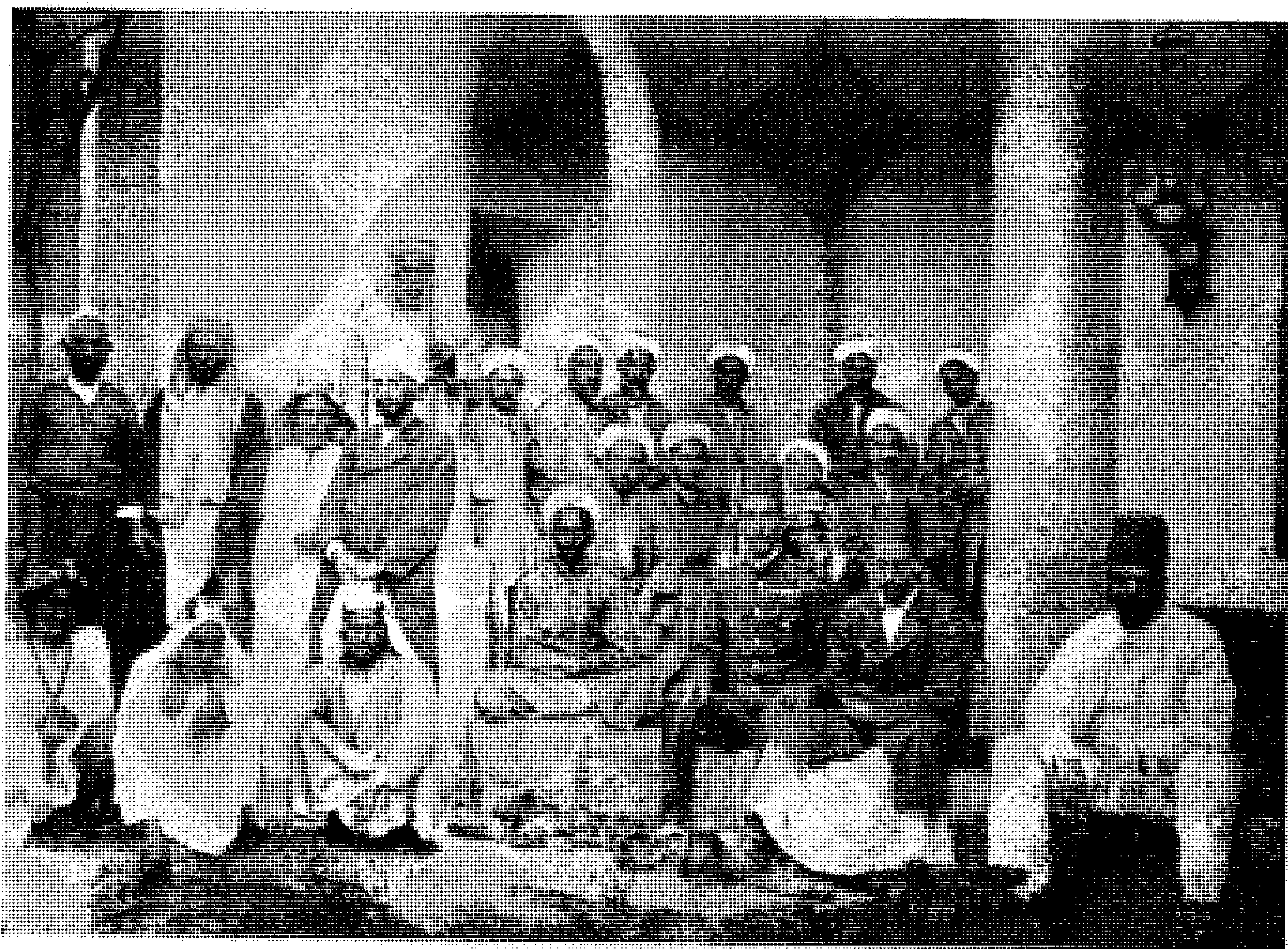
معسكر المحمل بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٦ بالداودية



172. A view of the camp of El Mahmal in El Dawadieh in Medina in 1326.

صحيفة ٤٣٩

اجتماع من أهل المدينة المنورة



173. A photo of the people of Medina gathering.

عذق ، ولما تخربت فى أوائل حكم العثمانيين بقيت مدّة مهملة حتى لحق المدنيين من قلة الماء جهد شديد ، وقد عمرها السلطان سليمان سنة ٩٢٣ هـ . ثم خربها السيل فعمرها السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٩ هـ . وضم الى منابعها بئر الغربال التى اشتراها سنة ٩٩٠ هـ . فزادت مياهها أضعاف ما كانت عليه ،وفى سنة ١١١١ هـ . اشترى السلطان مصطفى بئر العقد وأضافها الى منابعها أيضا ، وفى سنة ١٢١٢ هـ . بنى مجراها السلطان سليم الثالث ولكن ماعتّم أن خربه الوهابيون لما حاصروا المدينة سنة ١٢٢٤ هـ . فأصلحه محمد على باشا ثم جدد البناء السلطان عبد الحميد بعد سنة ١٣٠٠ هـ . واشترى بئر بويرة وأضافها الى منابعها فصار لها منابع متعددة تتصل بمجراها الأصلى بواسطة قنوات فى جوف الأرض وأصبح المجرى كنهر تتدفق فيه المياه فيشرب الناس والأنعام وتسقى الرياض والمزارع .

والمياه يوزعها السقاءون على مساكن المدينة فى قرب يملؤونها من الحنفيات المتينة بجدر الخزانات أو المناهل التى ينزل اليها على درج واسع من الحجر يبلغ نحو الثلاثين لكل منهل .

ولعين الأزرق أوقاف ينفق منها على عمارتها والقائمين بخدمتها ولها أمير يرأس خدمها ويلاحظ شؤونها فيخرج كل سنة ما قد يتجمع فى المجرى من طين وحشائش وغيرها .

وسميت هذه العين بالزرقاء أو بعين الأزرق لأن مروان الذى أجراها بأمر معاوية كان يلقب بالأزرق لزرقة فى عينه .

لئن قيل فى زرق العيون شآمة * فعندىَ أن اليمن فى عينها الزرقا

وفى ضواحى المدينة عدا العين الزرقاء عيون وادى حمزة التى تبلغ أربعين عينا أو تزيد ، وحقيقة هذه العيون آبار فتح بعضها الى بعض فتكوّنت منها مجارى ضيقة تارة تكون نصف متر فى مثله وتارة تكون أقل من ذلك أو أكثر ، فسموا تلك المجارى عيونا ، ومنشؤها شرقى المدينة حيث الأرض عالية وتسير مغربة نحو حمزة ثم الى غربى المدينة حيث الأرض هنالك واطئة ، وكذلك من عيون المدينة

عين السلطان وتجرى بحذاء عين الأزرق فى مجرى دون مجراها وماءها ملح، والغرض منها تطهير مجارى المدينة وسحب القاذورات الى خارج البلد .

وحول المدينـة أودية كثيرة كوادى العقيق ووادى بطحان غربى المدينـة ، وفى جزء منه بعض مبانيها ، ووادى رانون يأتى من جبل عير قبلى المدينة و يمر بقباء ويختلط بوادى بطحان غربى المدينـة ، ووادى مذينيب وهو شـعبة من بطحان ، ووادى قناة فى شرق المدينـة الشمالى ، وقد فاض هذا الوادى فى سـنة ٧٣٤ ه . فأغرق الجهة الشمالية من المدينة وصعب على الناس أن يصلوا الى مشهد حمزة أربعـة أشهر، ومن وديانها وادى مهزور و يأتى من الحَرَّة الشرقيـة وقد سال هـذا الوادى فى عهد عثمان سيلانا عظيما خيف على المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذى عند بئر مِدْرَى ليرد به السـيل عن المسجد النبوى والمدينة وتحول الى وادى بطحان ، وكذلك سال فى خلافة المنصور سنة بضع وخمسين ومائة حتى بلغ أنصاف النخيل فى بعض الجهات وهدم بيوت بطحان و بنى جشم ، وقد وفق أهل المدينة الى ثقب كبير كشفوا عنـه فغاضت فيـه المياه وقد دلهم على ذلك رجل عجوز من أهل العالية ، وأشهر هـذه الأودية ، أولها فإن به المزارع الفسيحة والرياض الأنيقة والحدائق الشهيرة ، التى من أشهرها حديقة عبد القادر الرشيدى وحديقة السيد عبد المحسن أسعد وحديقة السيد عبد الله أسعد ، وفى هـذا الوادى مسجد عروة (الرسم ١٦٣) وبئر عروة التى هى من أطيب آبار المدينـة ماء وكان يهدى ماؤها فيما سلف لأمراء الشـام والعراق وهى داخل حديقة الرشـيدى ، وفيه مسجد للسـيد عبد المحسن أسـعد طوله ٣٠ مترا فى عرض نصفها وقد بناه فى سنة ١٣١٠ ه . وبجواره قلعـة سلطانية وإن شئت فقل هـذا الوادى أطيب جهات المدينـة ماء وهواء ، وحسـبك فى ذلك حديث البخارى الذى رواه عبـد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق أتانى الليلة آت من ربى فقال : صل فى هـذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة ، وعن عامر بن سـعد أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ركب الى العقيق ثم رجع فقال يا عائشـة جئنا من

العقيق فما ألين موطئه وأعذب ماءه قالت فقلت يارسول الله أفلا ننتقل اليه؟ قال :
وكيف وقد ابتنى الناس ؟ ولطيب هذا الوادى آستقطعه بلال بن الحارث من النبى
صلى الله عليه وسلم فأقطعه له كله ، ولما كان زمن عمر أخذ منه العقيق الأدنى من
المدينة وترك له الأقصى الذى به ذو الحليفة ، قال عبد الله بن أبى بكر لما ولى عمر
قال يا بلال : إنك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا طويلة عريضة
فأقطعها لك و إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئا سئله و إنك لا تطيق
ما فى يدك فقال : أجل قال : فانظر ماقويت عليه منها فأمسكه وما لم تطق فادفعه
إلينا نقسمه ، فأبى فقال عمر : والله لتفعلن فأخذ منه ماعجز عن عمارته فقسمه بين
المسلمين ، وهذا الوادى يطوف بالمدينة من جهة الجنوب والغرب والشمال ولكنه
بعيد عنها فهو من جهة الجنوب بعد قُباء شمالى وادى النقيع الذى حماه رسول الله
صلى عليه وسلم لخيل الجهاد ، وكانت فيه الدوحات العظيمة والغابات الكثيفة التى
يستتر فيها الراكب ، ومبدؤه من جهة الغرب على ميلين من المدينة عند المدرج
الحجرى القريب من بئر عروة ويصل اليه الآتى من المدينة فى ٤٥ دقيقة ويمتد
غربا الى ما بعد ذى الحليفة عند آبار على ، على مسير ساعتين وثلثى ساعة ، أما من
الشمال فينتهى عند بئر رومة على مسير ساعة من المدينة ، والقسم المقارب للمدينة
من العقيق الغربى يسمى العقيق الكبير أو الأكبر وفيه بئر عروة ، والأقصى الذى
فيه ذو الحليفة يطلق عليه العقيق فحسب وهو الذى أبقاه عمر بيد بلال بن الحارث ،
والقسم الشمالى يسمى العقيق الصغير أو الأصغر ولديه بئر رومة ، وكل مسيل ماء
شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه عقيق ، وبالعقيق عرصتان وجماوات
ثلاث ، والعرصة فى الأصل الفضاء المتسع ليس فيه بناء ، والجماء الهضبة سميت
بذلك لأنها دون الجبل فهى أشبه بالشاة الجماء التى لا قرن لها : وإحدى العرصتين
تلى بئر رومة وهى الكبرى منهما وتسمى عرصة البقل ، والأخرى بينها وبين العقيق
الكبير وتسمى عرصة الماء ، والعرصتان من أفضل بقاع المدينة وأكرم أصقاعها ،
وكان بنو أمية يمنعون البناء فيهما ضنابهما ، ولم يكن لأمير المدينة أن يقطع بهما

قطيعة إلا بأمر الخليفة . كتب سعيد بن العاص الى عبد الأعلى بن عبد الله ومحمد بن صفوان الجمحى وهما ببغداد يذكرهما طيب العقيق والعرصتين فى أيام الربيع فقال :

إلا قل لعبد الله اما لقيته * وقل لابن صفوان على القرب والبعد
ألم تعلما أن المصلى مكانه * وأن العقيق ذو الأراك وذو المرد (١)
وان رياض العرصتين تزينت * بنوّارها المصفر والأشكل الفرد (٢)
وان بها لو تعلمان أصائلا * وليلا رقيقا مثل حاشية البرد
فهل منكما مستأنس فمسلم * على وطن أو زائر لذى الود

فأجابه عبد الأعلى :

أتانى كتاب من سعيد فشاقنى * وزاد غرام القلب جهدا على جهد
وأذرى دموع العين حتى كأنها * بها رمد عنه المراود لا تجدى
فان رياض العرصتين تزينت * وأن المصلى والبلاط على العهد
وأن غدير اللابتين ونبته * له أرج كالمسك أو عنبر الهند
فكدت بما أضمرت من لاعج الهوى * ووجد بما قد قال أقضى من الوجد
لعل الذى كان التفرق أمره * يمن علينا بالدنو من البعد
فما العيش إلا قربكم وحديثكم * اذا كان تقوى الله منا على عمد

ولله ماقاله بعض المدنيين :

و بالعرصة البيضاء اذ زرت أهلها * مهًا مهملات ما عليهن سائس
خرجن لحب اللهو من غير ريبة * عفائف باغى اللهو منهن آيس
يردن اذا ما الشمس لم يخش حرها * خلال بساتين خلاهن يابس
اذا الحرّ آذاهن لذن بحجرة * كما لاذ بالظل الظّباء الكوانس

فأما الجماوات الثلاث فالأولى منها جماء تضارع وتنتهى الى بئر عروة وما والاه وفيها يقول أحيحة بن الجلاح :

---

(١) المرد : الغض من ثمر الأراك أو نضيجه . (٢) الأشكل : ذو الألوان المختلفة والفرد الذى لا نظير له .

إنى والمشعر الحـرام وما * حجت قريش له وما نحروا
لا آخذ الخطة الدنيـة ما * دام يرى من تضارع حجـر

والثانية منها جماء أم خالد وهى فى شمـال الأولى، والثالثة جماء العاقر فى شمـال الثانية، وفى إحدى هذه الجماوات يقول أبو قطيفة :

القصر فالنخل فالجمـاء بينهما * أشهى الى القلب من أبواب جيرون (١)
الى البـلاط فمـا حازت قرائنه * دور نزحن عن الفحشاء والهون
قد يكتم النـاس أسرارا وأعلمها * وليس يدرون طول الدهر مكنونى

وقد كان بالعقيق فى صـدر الاسلام القصور الفاخرة والجنات الناضرة والثمـار اليانعة التى تحـدثك عنها الأشعار السائرة، ومن تلك القصور قصر عُروة بن الزبير وبجانبه بئره ويقول فيهما عامر بن صالح :

حبذا القصر ذو الظلال وذو البئـ * ـر ببطن العقيق ذات السقاة
ماء مزن لم يبغ عروة فيها * غير تقوى الإله فى المفظعات
بمكان من العقيق أنيس * بارد الظـل طيب الغدوات

ويقول فى البئر السَّرى بن عبد الرحمن الأنصارى :

كفنونى إن مت فى درع أروى (٢) * واستقوا لى من بئر عروة مائى
سخنـة فى الشتاء باردة فى الصـ * ـيف سراج فى الليـلة الظلمـاء

ومنها قصر عاصم بن عمرو، وقصر المغيرة بن أبى العاصى وقصر عنبسة بن عمرو وقد نزل به جعفر بن سليمان لمـا كان واليـا على المدينة وابتنى اليـه أرباضا أسكنها حشمه ثم تحوّل منـه الى العرصة فابتنى بهـا وسكنها حتى عزل وفى ذلك يقول ابن المزكى :

أوحشت الجماء من جعفر * وطالمـا كانت به تعمـر
كم صارخ يدعو وذى كربة * ياجعفر الخـيرات ياجعفر
أنت الذى أحييت بذل الندى * وكان قـد مات فلا يذكر

(١) دمشق . (٢) أروى بنت أويس .

ومنها قصر المستقر لأبى بكر بن عبد الله بن مصعب وقصر عبد الله بن أبى بكر ابن عمرو وقصر إبراهيم بن هشام وقصر آل طلحة وقصر خارجة وقصر عبد الله بن عامر وقصر مروان بن الحكم وقصر سعيد بن العاص الجواد الشهير .

و بالجملة فقد كان العقيق صروحا شماء ور ياضا فيحاء ومروجا خضراء ولا تزال معالم تلك القصور قائمة تنبئك عن مدنية واسعة ومجد تليد وعز منيع ، ولله عبدالسلام ابن يوسف إذ يقول شوقا الى العقيق وساكنيه :

على ساكنى بطن العقيق سلام * وإن أسهرونى بالفراق وناموا
حظرتم على النوم وهو محرم * وحللتم التعذيب وهو حرام
اذا بنتموا عن حاجرى وحجرتم (١) * على السمع أن يدنو إليه كلام
فلا ميلت ريح الصّبا فرع بانة * ولا سجعت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكى * على حافتيه بالعشى غمام
فمالى وما للربع قد بان أهله * وقد قُوِّضت من ساكنيه خيام
ألا ليت شعرى هل الى الرمل عودة * وهل لى بتلك البانتين لمام (٢)
وهل نهلة من بئر عروة عذبة * أداوى بها قلبا براه أوام (٣)
ألا يا حمامات الأراك اليكموا * فمالى فى تغريدكن مرام
فوجدى وشوقى مسعد ومؤانس * ونوحى ودمعى مطرب ومدام

أهالى المدينة — قال تعالى ﴿والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدارَ والإيمانَ من قَبْلِهم يُحِبون منْ هاجَرَ اليهم ولا يجدون فى صدورِهم حاجةً مما أُوتوا و يُؤْثِرون على أَنْفُسِهم ولو كان بهم خَصَاصةٌ (٤) ومن يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فأُولئكَ همُ المفلِحونَ﴾ يسكن المدينة

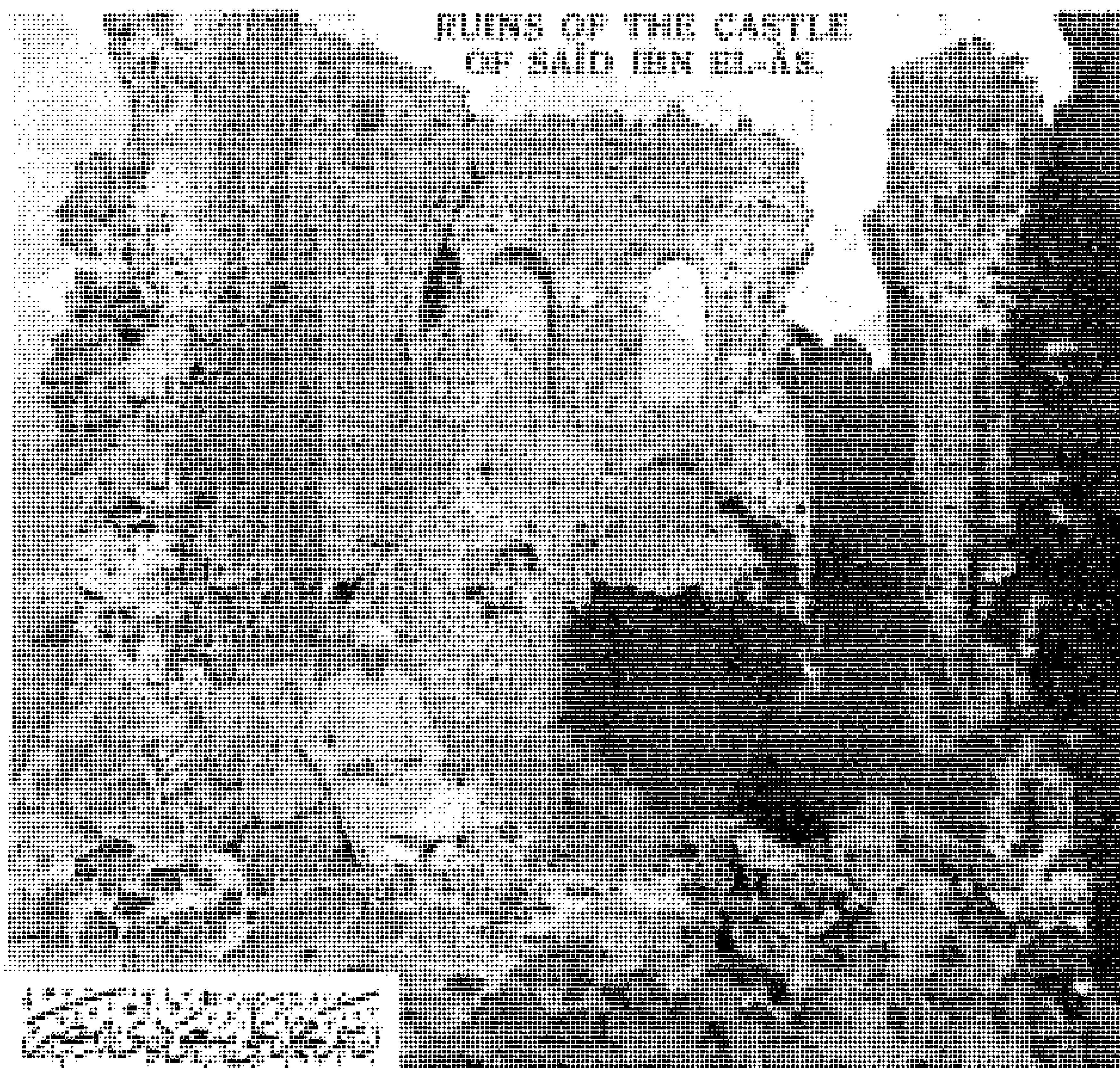
(١) الحاجر : منبت الرمث ومجتمعه .

(٢) البان : ضرب من الشجر واحدته بانة واللمام : الاجتماع فى بعض الأحايين .

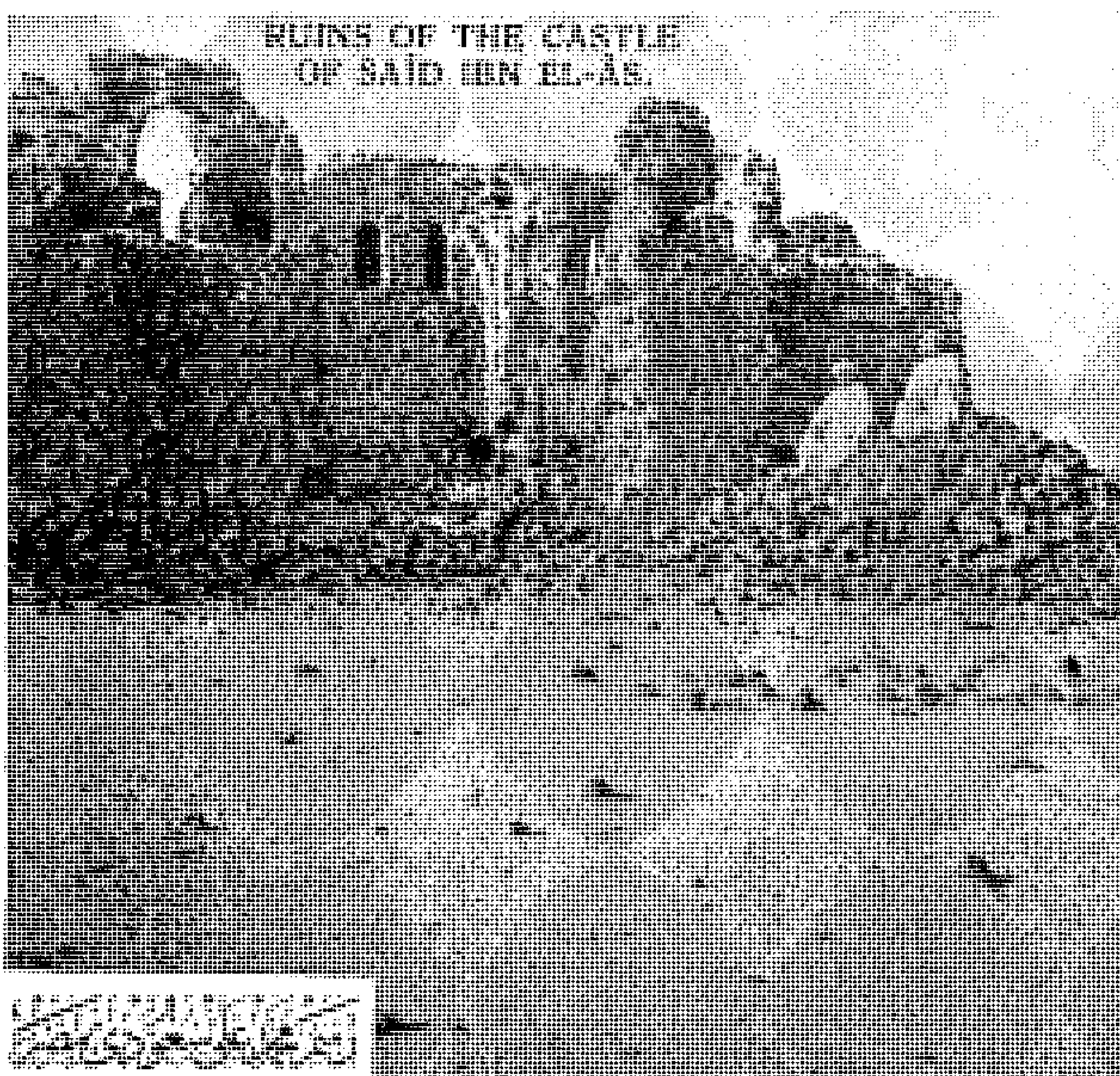
(٣) الأوام : حر العطش .

(٤) شدة الفقر .

٢٢٥ آثار قصر سعيد ابن العاص



٢٢٥ آثار قصر سعيد ابن العاص



حوالى ٥٦[1] ألفا بينهم من ذرية الأنصار الذين نزلت فيهم هذه الآية مالا يعدو أصابع اليد وأكثرهم من الشاميين والأتراك والهنود والمصريين والمغاربة الذين رحلوا الى المدينة ليجاوروا رسول الله صلى عليه وسلم وليسكنوا البلد الذى عز فيه الاسلام وانتشر منه نوره فى قارات الدنيا القديمة، وأشهر الأسر العريقة بالمدينة السادة الأسعدية والسادة المدنية وآل حماد وآل برادة وآل البرى وآل الياس وآل الكردى وآل الرفاعى وآل سفر وآل الطيار وآل الأنصارى، و بيت البساطى و بيت الداغستانى، وأشهر البيوت المصرية بيت الدمياطى و بيت الأسكندرانى و بيت حجاج الصعيدى و بيت طَقُّوس الصعيدى ، وأشهر البيوت الشامية بيت الخطيب ، وأشهر الأسر المغربية أسرة الكتانى وأسرة الجزائرى، وأشهر البيوتات الهندية بيت لمبو و بيت الفَتَّنى و بيت عبد الرسول و بيت السِّندى ، ولا تزال الأخلاق الفاضلة التى أشادت بذكرها الآية راسخة فى نفوس المدنيين، فالأخلاق مهذبة والنفوس مكملة والأكناف موطأة يألفون و يؤلفون أنجاب كرماء أقاموا لنا الولائم الفاخرة ودعونا اليها بصدور منشرحة و بشاشة باشة ، وما كان ذلك مكافأة لنا على خدمة قدمنا ولا انتظارا لشىء منا ، غاية ما فى الأمر أنهم كانوا يأتون الى معسكرنا لسماع الموسيقى — وأنهم لشديدو الولع بها — كل يوم بعد العصر فكنا نفرش لهم السجادات ونجلسهم على الكراسى ونقدم لهم الشاى والقهوة ، وممن دعونا فلبينا دعوتهم سعادة شيخ الحرم والسيد على زين العابدين الحبشى وأخوه وهما من أكابر الأشراف — كانت دعوتهما فى سنة ١٣٢٢ هـ . وترى الذين كانوا معنا فى الوليمة فى (الرسم ١٧٣) — ومحيي الدين الدرابزونى وله مرتب من وقف عباس باشا الأول يزيد إيراده سنويا على أربعة الآف ريال، و بكير بك ناظر التكية

(١) قد قل عددهم الآن وربما كانوا اثنى عشر ألفا وسبب ذلك هجرة أهل المدينة الى الشام والأناضول والهند لما أن غادر الاتراك بلاد الحجاز وأصبحت السيطرة للملك حسين فقطعت المرتبات التى كانت ترد من تركيا وكذلك قطعت مرتبات مصر أخيرا وتبرعات كانت تأتى من الهند و بخارى وسبب كل هذا توتر العلاقات بين الحجاز وكثير من الممالك الاسلامية .

المصرية ومحمد افندى التركى، وكانت هـذه الولائم فى بيوت جميلة وحدائق ذات بهجة تجرى من تحتها الأنهـار، وقـد بلغ من كرم أخلاقهم أنهـم يستقبلون خارج المدينة الوافدين عليها من كل فج عرفوهم أو جهلوهم فيتلقونهم ببشاشة وسعة صدر ويدعونهم الى منازلهم فيجدون بها أهلا وسهلا وعيشا رغدا، وما فعلوا ذلك طمعا فى مال أو رغبة فى أجرولكنه خلق تمكن فيهـم فدفعهم الى إكرام الضيف إرضاء لوازع النفس وإجابة لنداء الضمير . وأكثر أهل المدينة لونهم السمرة الضاربة الى السواد وفيهم ذو السمرة الخالصة أو البياض الناصـع وأجسامهم نحيفة وحواشيهم رقيقة وهم يتعيشون من التجارة والزراعة القليلة والمرتبات التى يتقاضونها من أوقاف أرصدت لهم أو يأخذونها فى نظير عمـل يقومون به فى المسجد النبوى، وكثير منهم يرتزق من الإرشاد الى المسـاجد المأثورة والأماكن والبقع المباركة . والبساتين والحقول يقوم بحراستها والخدمة فيها ورعى مواشيها، بل بالخدمة فى البيوت أيضا جماعة من ذرية الأعجام يسمون النخولة وهؤلاء بالمدينة أشبه بالفلاحين فى مصرنا ولولاهم ماقامت الزراعة وهم رافضـة يبغضون أبا بكر وعمر واحتقارا لهم وعقابا على نزعتهم الباطلة كلفهم رئيس البلدية بأن يقوموا بطرد الكلاب من حول المسجد النبوى ويجتمع بهم الأعجام فى مواسم الحج ويؤجرون منهم الدور بما فيها ! ! !

والتجارة بالمدينة فى أصناف كثيرة فيتجر أهلها وأرباب البادية فى التمر والسمن والجبن — وهو رخيص — وعسل النحل والحبوب من قمح وشعير وفول وحمص وذرة وترمس وعدس وأرز، وأكثر الحبوب يرد من مصر والشام والهند، والسمن والجبن أكثره يأتى به الأعراب من البوادى فيشترون به الحبوب والثياب والنحاس ويتجرون فى الإبل والغنم والخيل الجيدة التى تأتى من نجد والحمير الحساوى، وفى الحرير بأنواعه والثياب القطنية والصوفية وتأتى اليها من تركيا ومصر والهند ويتجرون فى السجادات وتأتى من فارس وبغداد والبصرة، ويأتى من الأخيرتين العباءات التى يختلف ثمن الواحدة من نصف جنيه الى عشرين، وتأتى الأبسطة « الأكلمة » من فارس وتركيا وبغداد، والنحاس يرد من مصر . وأهم صنف يتجرون فيه التمر الذى خصت

المدينة من أصنافه بما لم يخص به غيرها ، وقد بلغت أنواعه ١٧٢ نوعا منها الأنواع الحُرّة وتبلغ نحو ٧٢ صنفا ، وهذه يأكل منها أهل المدينة ويهدون ، ومنها الأنواع التى تسمى «لونا» وتقارب المائة، وهذه يأكل منها عرب الجبال لرخص ثمنها، ومن اللون ما له نوى وما ليس له ، والأبيض والأصفر والأحمر والغليظ والرفيع وذو الحجم الكبير والصغير ، أما الأنواع الحرّة فأهمها «العنبرة» وطول التمرة منها يقارب ١٠ سنتيمترات فى عرض نصفها، وثمنها أربعة أمثال ثمن غيرها وهذا الصنف قليل ثم «الشلبى» ويهدى لكثير من الأمراء والكبراء ثم «الحلوة» وهو أحب الأنواع الى أهل المدينة بلحه ورطبه وتمره ثم «البَيْض» — طوله كعرضه — ثم «الشُّقْرى» ثم «السُكَّرة» ويتفتت فى الفم بسهولة بلحه ورطبه وتمره كأنما هو سكر ثم «الطَّبَرْجَلِي» ويكون أصفر بلحا ورطبا ثم «البَرْنى» و«العَجْوة» و«الخُضَرِيَّة» ولونه أخضر بلحا ورطبا وتمرا «والرُّباعى» «والمكتومى» ويشبه فنجال القهوة ثم «سكرة الشرق» ثم «الجاوى» وهو أسود اللون بطنا وظهرا رطبا وتمرا و«اللبانة» ولونها أبيض ولا تؤكل إلا تمرا وهى أنواع سبعة «والفند» وهو أحمر اللون ذو أنواع ، والحر كله بارد إلا الشلبى والجاوى فانهما حاران إذا أكل منهما المرء شرب من الماء كثيرا ولذلك لا يأكله أهل المدينة إنما يهدونه حيث الأجواء المناسبة لأكله .

وأكثر تجار الحبوب والتمر من المصريين ويليهم الترك والشوام والهنود ثم أهل المدينة، والاردب عند أهل المدينة ينقسم الى ٢٤ مدّا والمدّ خمس أقات — من القمح — والأقة ٤٠٠ درهم كأقتنا والكيلة عندهم ربع المدّ والشطر نصف الكيلة، والرطل المصرى يستعمل عند العطارين فقط والأقة تستعمل فى كل شىء .

والعملة الأصلية فى المدينة الجنيه العثمانى (٨٧,٧٥ قرشا مصريا) والريال العثمانى (١٦,٢٥) وكل النقود الذهبية والفضية فى الدول المختلفة مستعملة بالمدينة .

وأشهر الأسواق بالمدينة سوق باب السلام ويمتدّ من هذا الباب بالمسجد النبوى الى الباب المصرى على مسافة تقارب ٤٠٠ متر فى شارع ضيق لا يعدو عرضه

أربعــة أمتار ، وبهذا السوق الأشــياء الثمينة ويليه سوق البلاط على يسار المتجه الى باب الســلام ثم سوق الساحة بعــده ثم سوق المناخة ، وفيــه الحبوب واللحوم والخضراوات والفواكه والأشياء القديمة فى مكان يقال له « سوق الحَرَّاج » .

عادات أهل المدينة — من عاداتهم فى الزواج أنه اذا رغب فتى فى الاقتران بفتاة اتفق أهله مع أهلها ثم تذهب أسرة الزوج الى منزل آل العروس فيقوم خطيب من قبل الأوّلين يخطب خطبا نثرية وشعرية يعدّد فيها مفاخر الزوجة ويلمح فيها باسم العروس ثم يقوم خطيب من قبــل أهل المخطوبة فيعدّد مآثر الزوج ومفاخر أسرته ثم يقبض المهــر بأكمله — وقد يؤخر بعضه فى الأسر الفقيرة — ويســتحضر المهر فى صندوق من فضة به ورقة كتب فيها مقدار المهر وقيمة الجارية التى يشتريها والد الزوج لتخدمها ، والمهر لا يزيد على مائة جنيــه وقيمة الجارية من ٣٠ الى ٥٠ جنيها مجيديا ، ويقدّم مع المهر ملابس حريرية للزوجة مشغولة بالفضة «والتُّل» الكثيرين قيمتها من ٥٠ الى ١٠٠ جنيه ، ويبلغ ثمن « التكة » وحدها حوالى عشرة جنيهات فى المهور الكبيرة ، والزفاف يكون بعد سنة من هذه الحفلة ولا يكون قبل ذلك حتى يتمكن والد الزوجة من إعداد الأثاث لمنزل زوجها وفرشه ، وهم يسرفون فى الجهاز كما يسرف سكان القاهرة والمــدن المصرية ، وتقام وليمة فى منزل الزوج يوم نقل الجهاز يدعى اليها أقارب العروســين والأصحاب ويستكثرون من الأشخاص الذين يحملون الجهاز حتى أن لكل قطعة صغيرة حاملا خاصا ، ويدفع الزوج أجر الحمالين ، وفى حفلة الجهاز يعين يوم الدخول ليلة اثنين أو جمعة ويكون ذلك بعــد نقل الجهاز بأســبوع كما هو عادتنا بمصر ، وتزف العروس وقت الســحر الى منزل زوجها فى عربة وحين تصل تزف مع زوجها داخل المنزل بحضور جمع من النساء سافرات يحملن الشــموع ثم يدخل بها المخدع فاذا ما أشرقت الشمس خرج الزوج الى منزل العروس ليتغدى فيــه ثم يرجع الى زوجه ، ولا يباح للزوجة أن تخرج من المنزل إلا بعد ســنة وربما تساهلوا الى ســتة أشهر ، وتقام ولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وليلتين قبلها وليلة بعــدها يبذر فيها المــال تبــذيرا كما أسرفوا فى الجهاز والهــدية

ـ والشبكة ـ وكان خليقا بجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتجنبوا الإسراف والمخيلة وأن يقفوا عند ما رسمه من الحدود فيقتصدوا فى المهور والأجهزة والولائم، ولكن الناس أولعوا بالزخارف والمظاهر عن رعاية المصالح والشرائع الحقة ﴿ وَزَيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهم فَصَدَّهم عن السَّبيلِ ﴾ .

وإن تكن هذه سيئة منهم فحسنة كبيرة فيهم أن الميت إذا فاضت روحه لا يرفع صوت ولا يشق جيب ولا تنوح نائحة ولكن تبكى العين ويحزن القلب ولا يقولون ما يغضب، الرب ولا تتبع امرأة جنازة، فهم فى ذلك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جرت عادتهم أن الميت بعد أن يوارى التراب يقف أهل الميت فيعزيهم الناس ثم يعيدون الكرة إذا رجعوا إلى منزله ويحضرون اليه ليالى ثلاثا ليقرءوا القرآن ويهدوه إلى روح الميت ويستغفروا له، ويقدّم أهل الميت لكل قادم اليهم جزءا يتلو فيه القرآن إن كان يحسن التلاوة، ويسرفون فى المآتم كما يسرفون فى الأفراح، فكل معزية طاعمة، ويزورون المقابر رجالا ونساء ليلة الاثنين وليلة الخميس ويأخذون معهم الرَّيْحان يضعونه على القبور كما شق رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة شقين ووضعها على قبرين، ويقرأ لهم القراء هنالك القرآن ويأخذون نظير ذلك ما تيسر من النقود ، ولا يفرقون أطعمة هنالك كما نفعل ولكن يأخذون الماء ويبيحونه للراغبين . ويقيمون مولدا لسيدنا حمزة عند مشهده كل سنة من أوّل رجب إلى منتصفه بحضرة أهل المدينة رجالا ونساء، وأهل مكة والطائف وجُدّة ورابغ وسكان البوادى الذين يزورون المدينة كل عام فى رجب ، ويحضر أرباب الطرق وتذبح هنالك الذبائح ويطعم الطعام، ولولا ما فى ذلك من اتخاذ القبور أعيادا ودعاء الموتى من دون الله والجلوس على المقابر وسن شرائع لم يأذن بها الله لدخل هذا فى حظيرة الجائز . وكذلك يعملون مولدا لسيدنا على العريضى عند قبره، ومسجده شرقى المدينة على مسيرة ساعة ونصف منها ، والمولد فى الأكثر يكون فى صفر ، وهذا المولد يستمرّ أربعة أيام، والعريضى هذا شقيق ذى النفس الزكية ابن جعفر الصادق .

ومن عادتهم فى رمضان أنهم يتناولون فطورا خفيفا فى المسجد النبوى بعد أذان المغرب لا فرق بين غنيهم وفقيرهم، وهذا الفطور من الأشياء الحلوة ونحو الزيتون والفطير وما شابه ذلك ثم يصلون المغرب ويذهبون الى بيوتهم ليتناولوا الفطور الكامل، ويأخذون كل من يجدون فى الطريق، وبعد الأكل يحضرون الى المسجد لصلاة العشاء وصلاة التراويح، وهذه تقام بأئمة كثيرين ينيفون على الخمسين، فكل كبير له ولأتباعه إمام، والنساء لهن إمام واحد، والأئمة إما من الشبان الذين حفظوا القرآن أو من علمائهم، وأمام كل إمام شمعدانان بكلٍّ شمعتان تصرف من خزينة الدولة، ويتقاضى هؤلاء الأئمة مرتبا من الدولة آخر رمضان أجرا لهم على إمامتهم، وسراة البلدة يوزعون الثياب البيض على الفقراء والمساكين غب الصيام، وعيد الفطر عندهم أربعة أيام يتزاورون فيها جميعا لكل جهة يوم مخصوص يزورون فيه أهالى الجهات الباقية، ويقدّم للزائرين الحلوى فيأكلون وماء الورد فيتطيبون والعود الهندى فيتبخرون . ويقاد فى الحجرة النبوية ليالى رمضان من العشاء الى إكمال صلاة التراويح أربعة عشر شمعدانا ذهبيا زنة الواحد سبع أقات كما حدّثنا بذلك السيد عبد المحسن أسعد من كبار المدنيين .

وفى ٢٧ ذى القعدة من كل سنة تقدّم كل أسرة هدايا الى حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهى أكياس من « الشاش » بعدد أفراد الأسرة، فى كل كيس من ٢٠ الى ٥٠ درهما من القمح الطيب النظيف، ويضعون هذه الأكياس فى الحجرة من الشباك فيأخذها الخصيان — الأغوات — خدم المسجد ويهادون بها الملوك والأمراء والأكابر، ويبتغى أهل المدينة من وراء ذلك بركة أو يقصدون الصدقة ولكن لا أدرى على من ؟ وليست تعطى لصنف من الأصناف الثمانية الذين تقسم فيهم الصدقات كما نطق بذلك القرآن .

ومواعيد سداد الديون عندهم حضور المحمل الشامى أو المصرى، والأوّل أحب الى الدائنين لحضوره أوّلا والثانى أحب الى المدنيين لحضوره آخرا .

ويعملون عقيقة الطفل يوم الولادة وربما كررها الأغنياء فى اليوم السابع الذى يسمون فيه المولود ويضعون عليه من الحلى ما ينوء به الرجل الكبير وبعد التسمية تحرك يد « الهون » داخله حركات متوالية إيذانا بالتسمية فيزغرد النساء اذ ذاك، واذا ما تم للطفل أربعون يوما على الأقل أثقله أهله بالزينة وذهبت به أمه وقريباته ومعهنّ القابلة تحمله الى المسجد النبوى قبيل المغرب، فبعد أن ينتهى النساء من صلاة المغرب بمكانهن الحاضر (التقفيصة) يأتى أحد الخصية — الأغوات — فيأخذه ويدخله الحجرة ويضعه تحت الستر الذى هنا لك عند رأس النبى صلى الله عليه وسلم ويكون بصحبته عيش لت بالسمن يدخل معه الحجرة ثم يوزع بعد ذلك على الأهل والأقارب فيأكلون منه ويتبركون، ويعطى للخصى نظير ذلك بن وسكر ودراهم معدودة .

وأكثر البيوت يقوم بالخدمة فيها الجوارى وعلى ربة المنزل أن تنظم وتشير .

ومن عاداتهم أنه اذا ضرب شخص آخر ضربا يكاد يقضى عليه والتجأ الى أحد الأعيان وقال له : أنا فى وجهك — يعنى حماك وكنفك — فيأخذ هذا من فوره جمعا من أصحابه وأقربائه ويذهبون الى أسرة المضروب فأى شخص صادفوا منها ألحوا عليه حتى يتكفل لهم بتأجيل الأخذ بالثار سنة، ومتى تكفل أجازه قومه وبعد السنة إما صلح على مال يدفعه أهل البلد وقد يتسامح فيه المدنيون حاشا الأعراب واما قصاص، وذلك قليل لأن الحفيظة يخفف أثرها مضى الزمن وآجتهاد آل الجانى فى آسترضاء أولياء المجنى عليه .

جوّ المدينة — المدينة شديدة الحرّ فى الصيف ولا سيما قبيل الظهر الى ما بعد العصر حيث يشتد هبوب ريح السموم التى تؤدى بحياة كثير من الغرباء الذين لا يحتاطون، وتخف وطأتها من بعد العصر الى منتصف الليل، ومن ذلك الى الضحوة هواء لطيف يشرح الصدر وينعش النفس، وأعلى درجة تصل اليها الحرارة ٢٨° سنتجراد . والناس فى الصيف يناموں على ظهور البيوت يلتحفون السماء

لا فرق فى ذلك بين غنى وفقير، واذا ما هبت ريح السموم أثلجت الماء الساخن فى مدّة لا تعدو ١٠ دقائق ، أما فى زمن الشتاء فالبرد شديد وتنزل درجة الحرارة الى ١٠° فوق الصفر نهارا والى ٥° تحت الصفر ليلا ، وجوّ المدينة فى الجملة أشدّ من جوّ مصر صيفا وشتاء .

قرى المدينة أو توابعها — يتبع المدينة قُباء وقُرْبان والعوالى وكلها جنوبى المدينة ، وتعتبر من ضواحيها ، وفى شمالها العيون والبركة عند مسجد حمزة وهما من الضواحى والحَنَاكِيّة ثم خَيْبَر وهما بعيدان عن المدينة فى شمالها الشرقى ، وكانت خيبر فى صدر الاسلام دارا لبنى قُرَيْظة والنَّضير وبها كان السموءل بن عادِيَا الشاعر المشهور وهى بلدة عامرة آهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجرى ، وعلى مقربة من خيبر فَدَك التى صالح أهلها النبى صلى الله عليه وسلم على النصف من ثمارها سنة أربع من الهجرة ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب ، فكانت له صلى الله عليه وسلم خالصة ينفق منها فى المصالح العامة ، وكان معاوية بن أبى سفيان قد وهبها لمروان ابن الحكم ثم ارتجعها منه لمَوْجِدة وجدها عليه ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ردّها الى ما كانت عليه زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تُغِل فى أيام إمرته ١٠٠٠٠ دينار أى ما يقرب من خمسة آلاف من الجنيهات المصرية وكان يتجافى عنها . وتتبع المدينة الفَقْرة وهى قرية على جبل عال منيع يسكنه الأحامدة أقوى القبائل وأعتاها ، وبينه وبين المدينة مسيرة ٢٤ ساعة ومياههم ومزارعهم بالجبل ، ولا يعرف مسالكه أحد سواهم ، فالحمراء فالصفراء فينبع النخل ، فينبع البحر وكلها غربى المدينة على الطريق منها الى ينبع بساحل البحر الأحمر ، والحمراء على مسيرة ٣٣ ساعة و ٣٥ دقيقة من المدينة ومسيرة ٢٥ ساعة و ٢٥ دقيقة من ينبع البحر وبها كثير من النخل وشجر الليمون ، وسوق حوانيته مبنية بالجريد ويباع فيه التمر والحناء والموز والطماطم والملوخيا الخ والأجربة الجلد والمراوح المصنوعة من الخوص ، والصفراء على مقربة منها وهى فى واد كثير المزارع والحدائق والمياه ، وينبع النخل على مسيرة ١٢ ساعة من ينبع البحر وكانت قديما محطا للمحمل لما كان يسلك

طريق البر وفيها ستون خَيْفا — الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء — وسنفصل القول فيها عند الكلام على الطريق من ينبع البحر الى المدينة من جهة طريق الطريف أو درب الزجاج .

حرم المدينة — وردت أحاديث كثيرة تدل على أن للمدينة حرما يحرم صيده. وقطع شجره واختلاء خلاه، نذكر من ذلك ما رواه الشيخان عن عبد الله بن زيد. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وروى البخارى من حديث أبى هريرة : حرم ما بين لابتى المدينة على لسانى، ولابتا المدينة : حَرتاها الشرقية والغربية، وروى مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى : اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراما وإنى حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها — جبليها، عير فى جنوبيها وثور خلف جبل أحد وهو صغير — أن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف، وعند أبى داود : لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا من أشاد بها، قال النووى : اللابتان حدّ حرمها من المشرق والمغرب، وعير وثور حدها من الجنوب والشمال وإن تكن للمدينة حرة جنوبية وأخرى شمالية فإنهما راجعتان الى الشرقية والغربية ومتصلتان بهما .

وبما دلت عليه هذه الأحاديث الصحيحة قال مالك والشافعى وأحمد . ولكن اختلفوا فى التفصيل وقال أبو حنيفة : لا حرم للمدينة واستدل بحوادث جزئية فيها صيد وقطع للشجر والخلا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فراجعها إن شئت فى وفاء الوفاء أول الكتاب، قال الماوردى : إن محل الخلاف فيما كان من النبات والشجر فى موات الحرم فان أنبته شخص فى ملكه جاز قطعه بلا خلاف، كما أنه لا خلاف فى جواز قطع ما يستنبت من غير الشجر كالحنطة والخضراوات مطلقا .

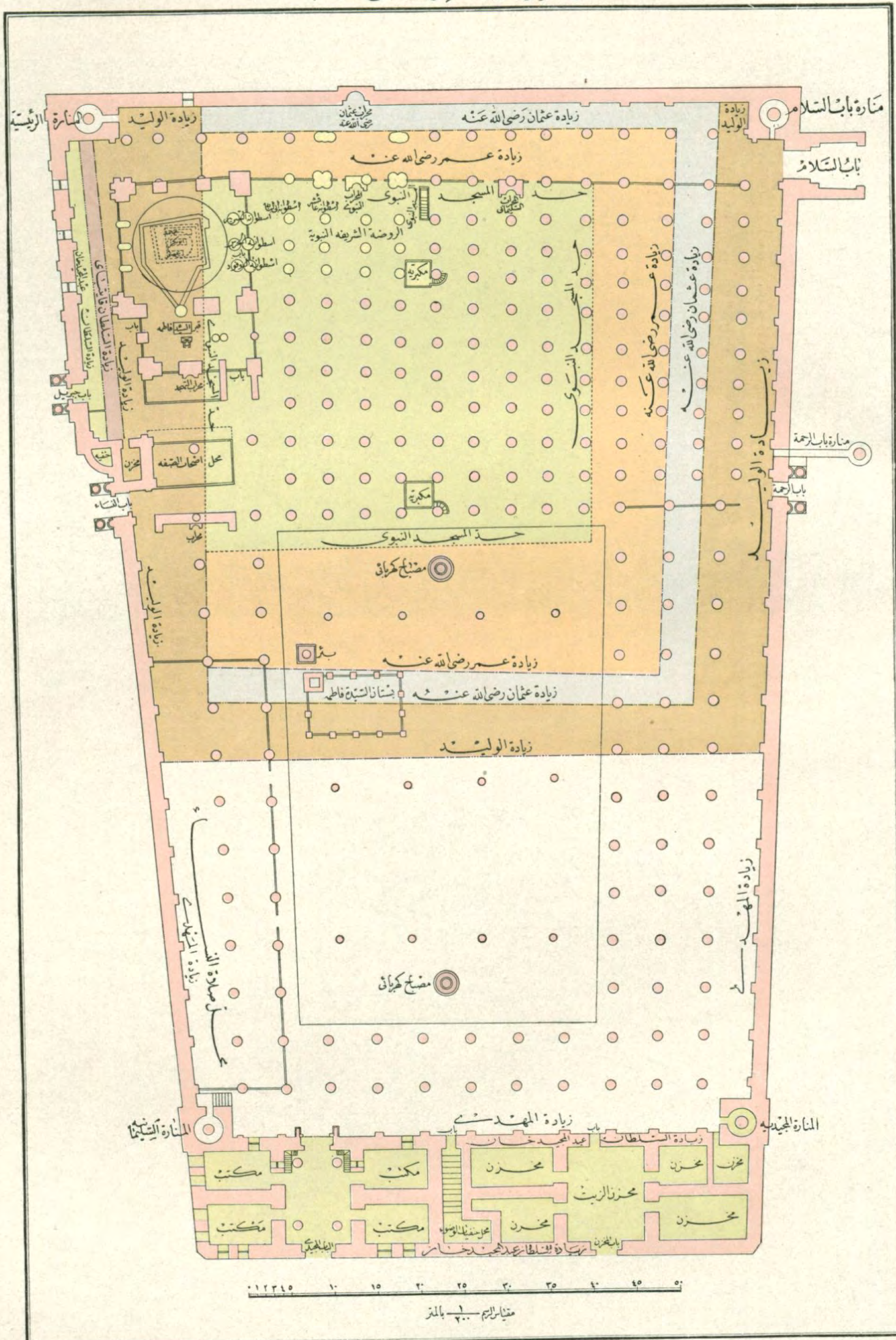
واختلف القائلون بالتحريم فعن أحمد فى الجزاء روايتان، وعن الشافعى قولان. الجديد عدم الجزاء وهو قول مالك، والقائلون بالجزاء اختلفوا فقيل : إنه كالجزاء.

فى حرم مكة وقيل : إنه أخذ السلب فيسلب من الصائد والقاطع فرسه وسلاحه وثيابه وقيل : الثياب فقط، ويكون ذلك للسالب على الأصح وقيل لفقراء المدينة ويترك للمسلوب ما يستر به عورته، وقد أكثر الفقهاء القول فى هذه المسألة وتضاربوا وفرعوا وتعمقوا فى البحث مما نجد المصلحة فى تركه، وفيما قدمنا الكفاية فى هذا الموضوع والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

المسجد النبوى

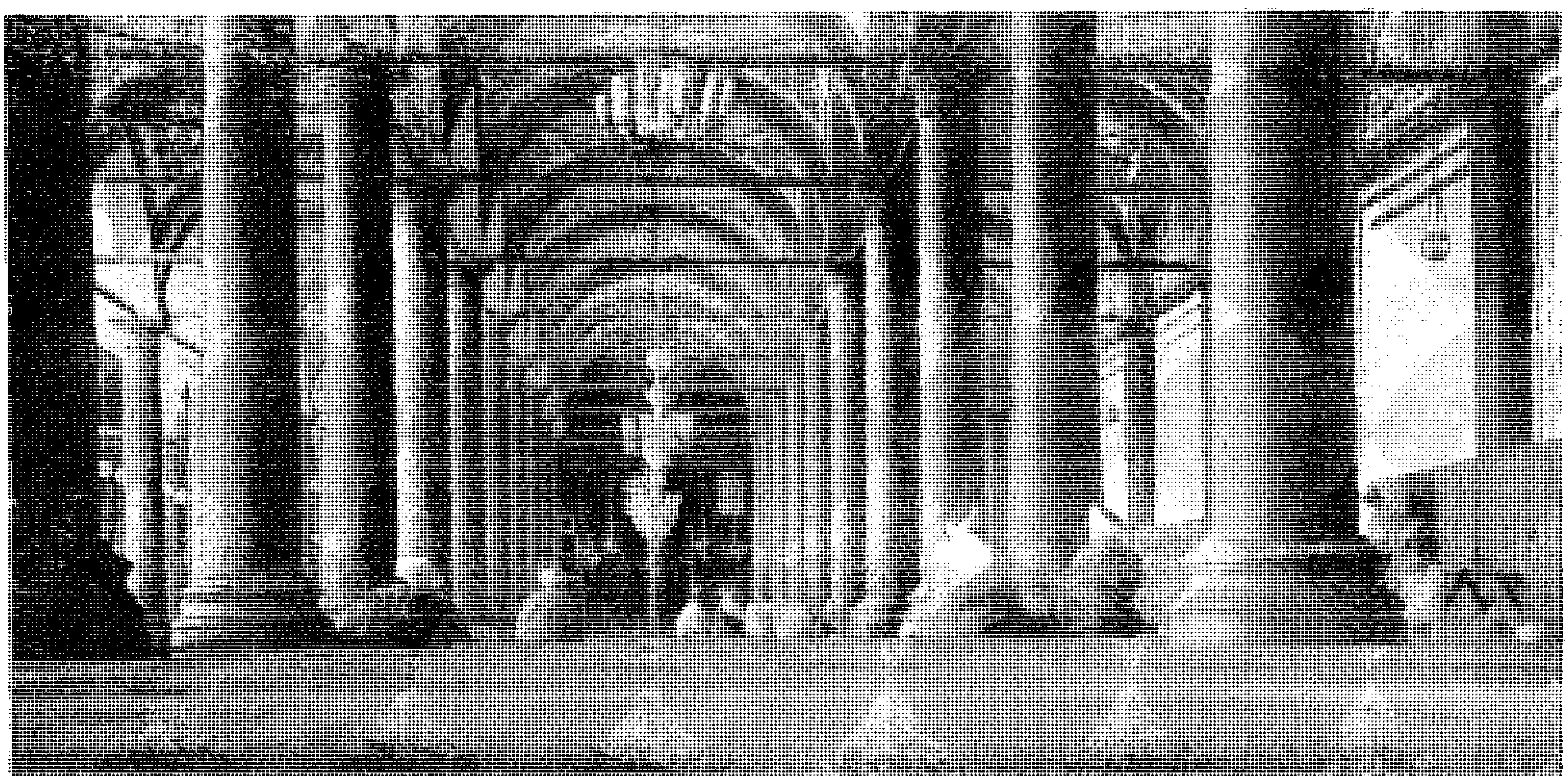
وصف المسجد الآن — (الرسم ١٧٤) المسجد النبوى فى الجهة الشرقية من المدينة شكله شبه مستطيل متوسط طوله من الشمال الى الجنوب ١١٦,٢٥ مترا، وعرضه من الجهة القبلية أو الجنوبية ٨٦,٢٥ مترا، وعرضه من الجهة الشمالية أو الشامية ٦٦ مترا وهو شامخ البناء سقفه قباب أقيمت على عقود تقلها أعمدة متينة بلغ عددها ٣٢٧ عمود بما فى ذلك الملصق منها بالجدر ووسط المسجد الى الشمال صحن غير مسقوف يسمونه الحصوة فى غربه ثلاثة أروقة وفى شرقه رواقان وفى شماله ثلاثة وفى جنوبه آثنا عشر رواقا (باكية) (الرسم ١٧٥) وفى (الرسم ١٧٦) بعض العقود والصحن الذى ترى به الحمام يلتقط الحب الذى يرمى به الناس فى الصحن صدقة عليه، والأعمدة التى بالجهة الغربية من الجدار الجنوبى الى الشمالى ١١٢ والتى بالجهة الشرقية كذلك ٨٦ عدا أربعة أعمدة فى أركان الحجرة الشريفة، والتى فى الجهة القبلية موازية للصحن ١٠٧ والتى فى الجهة الشمالية كذلك ١٨ فالجملة ٣٢٧ عمود من الحجر الصوانى المتين، كثير منها مغطى بطبقة من المرمر الموشى بماء الذهب وغير الموشى، وبين كل عمودين زجاجات (فنابير) ثلاثة توضع فيها المصابيح، وقد علقت فى عوارض بين الأعمدة بسلاسل فضية، وللمسجد خمسة أبواب اثنان فى الجهة الغربية وهما باب السلام فى أول الجدار الغربى من جهة الجنوب أنظر (الرسم ١٩٠) وباب الرحمة فى ثلث هذا الجدار من هذه الجهة أنظر (الرسم ١٨٩) وواحد فى الجهة الشمالية يقال له باب التوسل أو الباب المجيدى وهو

رسم المسجد النبوي



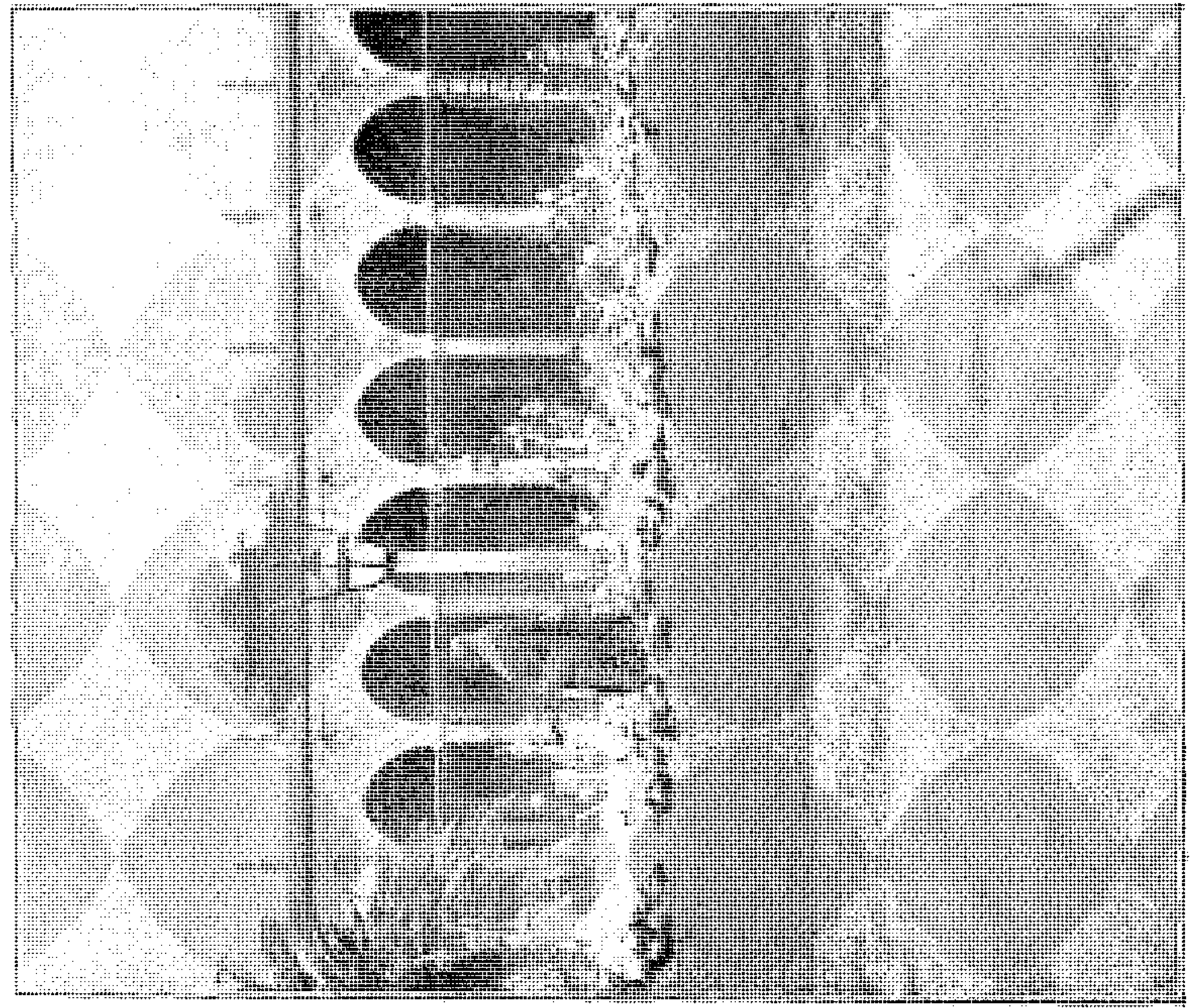
رسمت بمعرفة حسين حسني يوسف المهندس بالمساحة بمصر من الخريطة الممتازة باسم فرانلي ابو خليل سنة ١٣٢١ هجرية

منظر داخل الحرم النبوى الشريف من الجهة البحرية (البواكى)



175. Arcades of the Mosque at Medina.

صحيفة ٤٤٨



176. The pigeons at the Prophet Mosque.

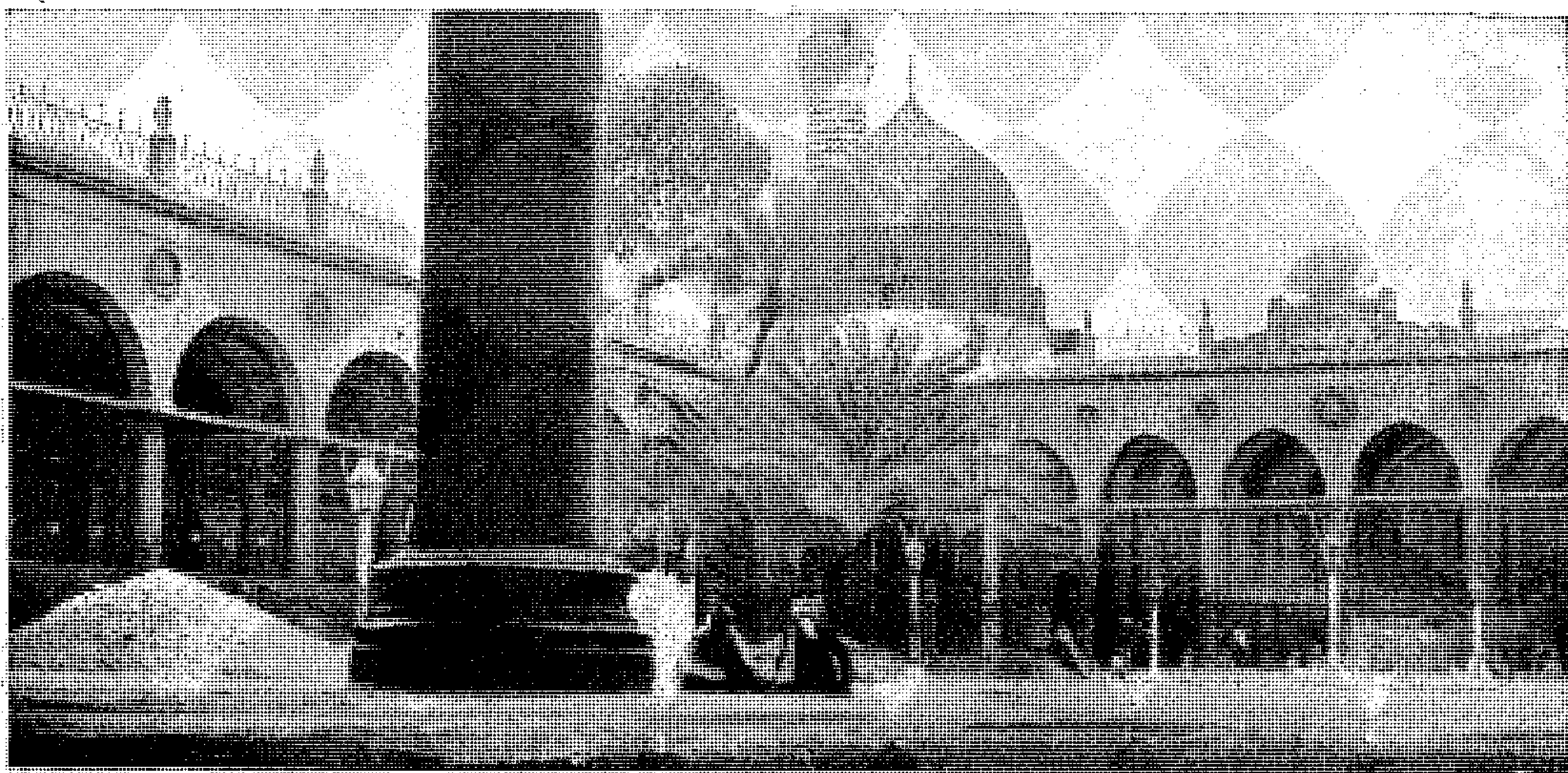
قريب من الزاوية الشمالية الشرقية، وبابان فى الجهـة الشرقية أحدهما باب النساء فى مقابلة باب الرحمة، والداخل منه يرى على يمينه محرابا وعلى يساره الصُّفَّة أو دكة الأغوات وهى مستطيلة طولها ١٢ مترا فى عرض ٨ وآرتفاعها ٤٠ سنتيا وفى جنوبه قريبا منه باب جبريل، وبالمسـجد خمس مآذن فى كل ركن من أركانه مئـذنة وخامسة أمام باب الرحمة تسمى مئذنة باب الرحمة، والتى فى الزاوية الغربية الجنوبية تسمى مئذنة باب السلام والتى فى الزاوية الشرقية الجنوبية تسـمى المئذنة الرئيسية التى يؤذن عليها رئيس المؤذنين والتى فى الركن الشمالى الشرقى تسمى المئذنة السليمانية والتى فى الشمال الغربى تسمى المئذنة المجيدية، وفى الرواق الثالث من الجهة القبلية تجـد المنبر وعن يساره المحراب النبوى وعن يمينه المحـراب السليمانى أنظر (الرسمين ١٨٤ و١٨٥) وأما المحراب العثمانى لثالث الخلفاء فهو فى الجدار القبلى وهو فى نهاية الزيادة التى زادها عثمان رضى الله عنـه فى المسجد أنظر (الرسم ١٨٥) وفى شمـال المسـجد رَدْهتان (صالتان) داخل كل منهما أربع حجـرات، ثنتان عن اليمين وثنتان عن الشمال ويفصـل البناءين مكان مستطيل به صنابير (حنفيات) للوضوء ومراحيض وحمـام وهو فى الطبقة الثانيـة يصعد اليه بسلم فى مدخل بابه الذى بالمسجد، وتحت هذا المكان ميضأة لها باب خارج المسجد، وتجاه هذا الباب الأخير باب آخر فى الجانب الثانى للشارع يدخل منه إلى ميضأة ثالثة، والمكان الأول خاص بأغوات المسجد وخدمه ومن يرغبون من الأكابر والأعيان .

والرَّدْهة الغربية مكشوفة وحجراتها مخازن للزيت والقناديل والحصر ولهـا بابان واحد داخل المسجد والآخر خارجه، وبين المئذنة المجيدية وهـذه المخازن مخزن آخر له باب مستقل داخل المسجد وكان قبـل ميضأة للأغوات والخـدم، أما الردهة الثانية وحجراتها ففى الجهة الشرقية وهى مكتب أو مدرسة يعلم فيها الصبيان القرآن ومبادئ العلوم الأولية وهذه الردهة (الصالة) هى طرقة الباب المجيدى، والمكتب ذو طبقتين أرضـية وعلوية، وفى شرق الصحن أو الرحبـة حديقة صغيرة سورت بسور حديدى بها نبق ونخيل يحيط بنخلة كبيرة يقال إنها : مكان نخلة للسيده فاطمة

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديقة تنسب اليها ، وفى جنوبى الحديقة بئر حلوة الماء تنسب للنبي صلى الله عليه وسلم ويقال : لها زمزم المدينة ، والأروقة التى شرق الصحن أقيم حول معظمها شبكة من الخشب الرفيع (الشيش) وجعل ما أطافت به مصلى للنساء خاصة فهن فى عزلة عن الرجال ، ويدخلن من باب النساء جنوبى هذه الحظيرة وفى وسط الرحبة عدّة أعمدة أقيمت عليها مصابيح أو ثُرَيَّات (١) (كهربائية) وترى فى (الرسم ١٧٧) بستان السيده فاطمة وبعض عقود المسجد وبعض أعمدة الاضاءة عليها المصابيح وتقفيصة مصلى النساء وترى كوما من التراب الذى أخرج فى سنة ١٣٢٦ هـ . من المقصورة أثناء تعميرها وكذلك ترى القبة الخضراء و«الطرة» العثمانية فوق العقود وترى الأعمدة التى كسيت قواعدها بالنحاس الأصفر ونحن هنالك ، وترى اثنين من الهنود قد احتبى أحدهما ولبس الآخر عمامة ذات عذبة . وفى زاوية المسجد الجنوبية الشرقية جزء فصل من المسجد بسور من النحاس الأصفر طول كل من ضلعيه الجنوبيـة والشمالية ١٦ مترا ، وكل من الشرقية والغربية ١٥ مترا ويقال له المقصورة الشريفة وداخلها بناء ذو خمسة أضلاع تمثل الشماليتان منها ساقى مثلث ، والثلاث الباقية أضلاع فى مربع ، وارتفاعه نحو ستة أمتار وفيه قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجهة القبلية ثم فى شماليه قبر أبى بكر الى الشرق قليلا ثم قبر عمر شرقى قبر سلفه قليـلا ، والبناء الخارجى أقامه نور الدين زنكى لما بلغه اعتزام الصليبيين الذين كان يحاربهم على إخراج الجثـة الشريفة فبنى ذلك البناء ونزل بأساسه الى منابع المـاء ثم أفرغ عليه الرصاص حتى لا يستطيعوا له نقبا ، وفى شمال السور النحاسى متصلة به مقصورة أخرى ضلعها الجنوبيـة ١٤ مترا ، والشمالية كذلك تزيد نصفا والشرقية والغربيـة ٧ أمتار ونصـف وداخلها ضريح زعموا أنه على قبر فاطمة الزهراء بنت

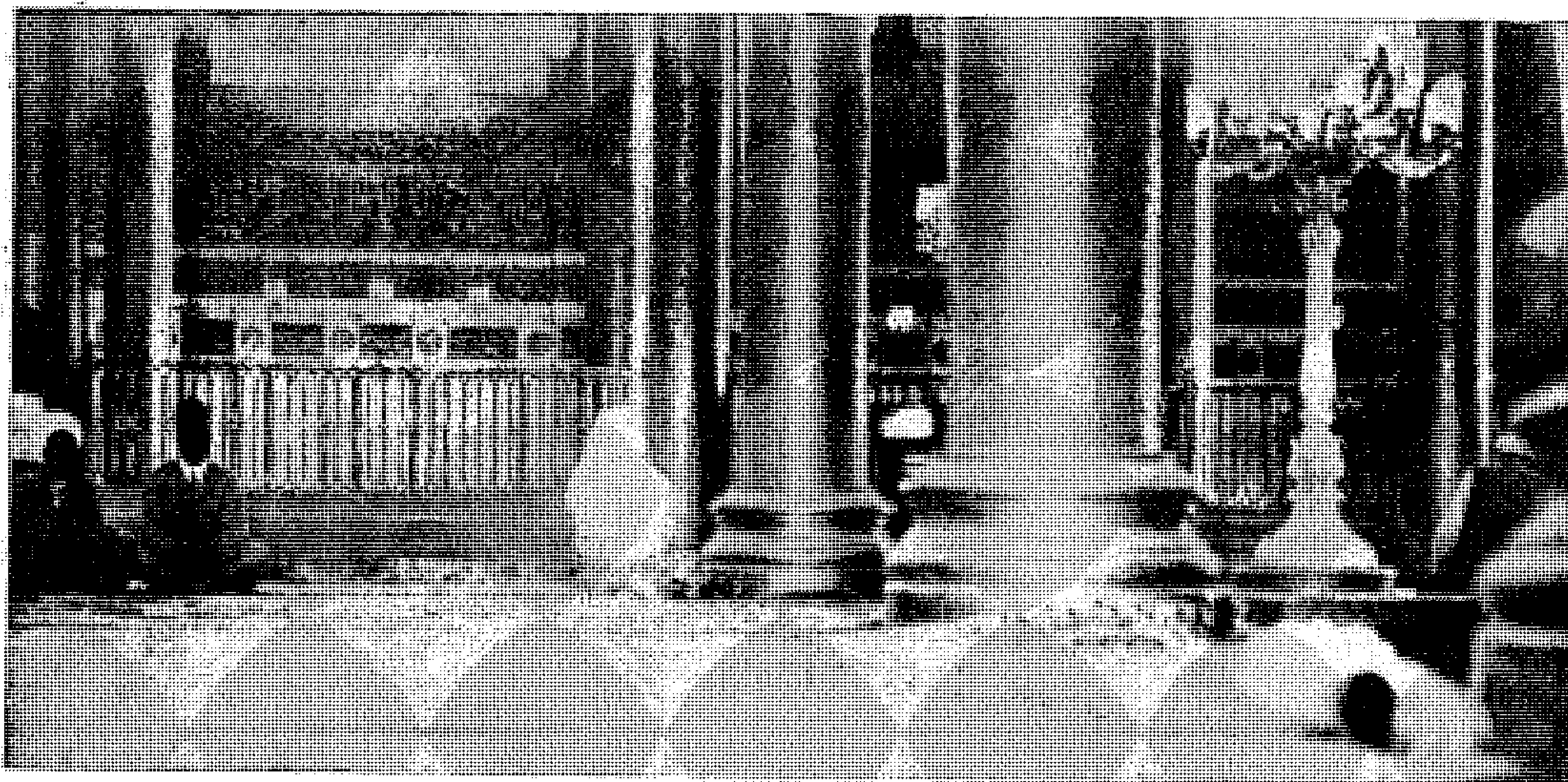
(١) قال السمهودى وبصحن المسجد أربعة مشاعيل اثنان فى جهة القبلة واثنان فى جهة الشام وكل واحد كالأسطوانة وبأعلاه مسرجة عظيمة تشعل ليالى الزيارات المشهورة ولا أدرى ابتداء حدوث ذلك اهـ قال صاحب النزهة وقد أعيد ذلك كما كان فى أربعة أركان الصحن على أعمدة من رخام أبيض على كل واحد (فانوس) كبير من جام (فضة) حوله أربعة قناديل كقناديل المسجد معلقة بسلاسل على معالق أربعة من حديد ، وفى سنة ١٢٩٦ هـ . نقلها شيخ الحرم النبوى الى داخل الصحن اهـ .

قسم من داخل المسجد النبوى رسم من الجهة الشمالية



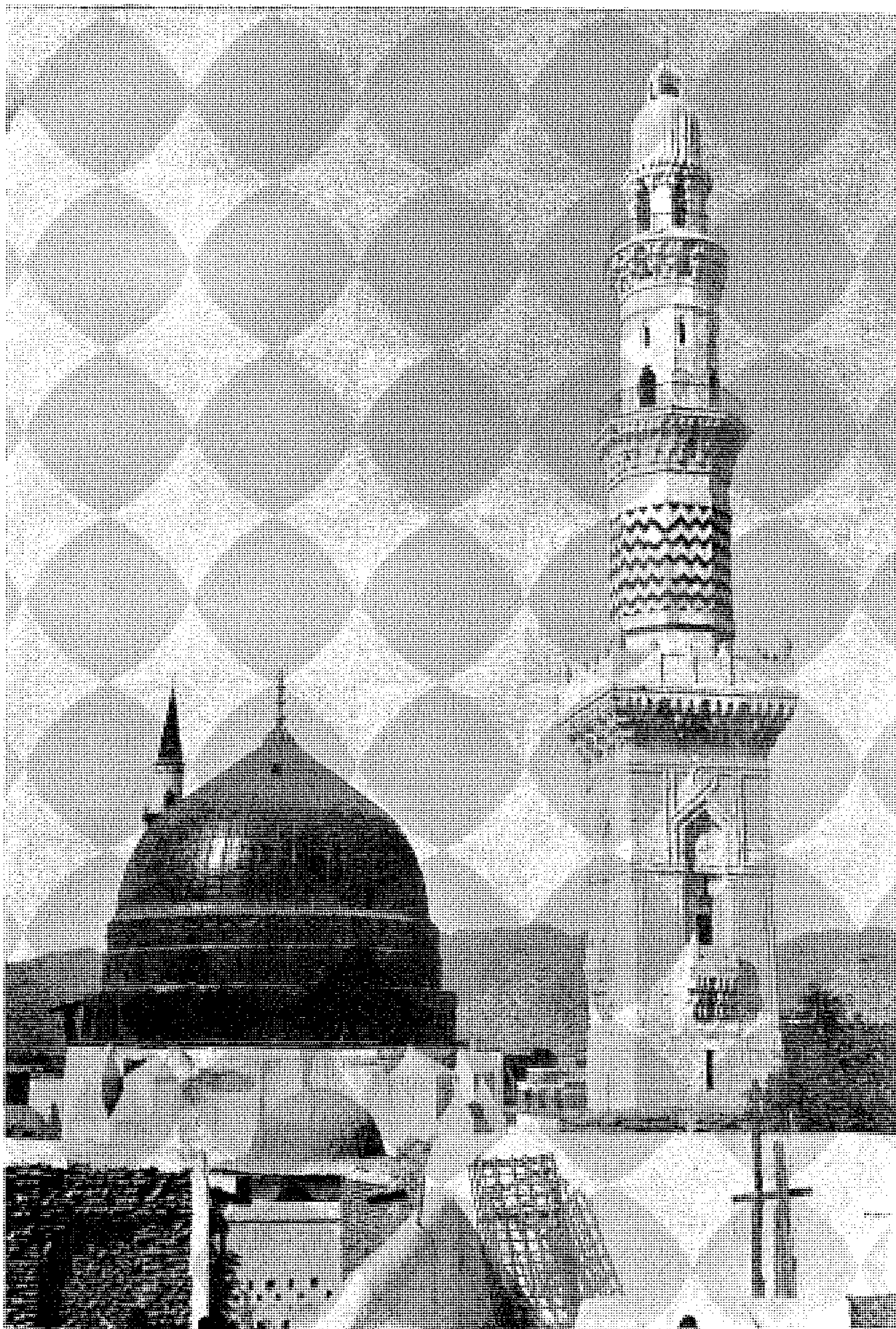
177. Interior of the Mosque at Medina as seen from the North.

منظر داخل الحرم النبوى من الجهة القبلية



179. The interior of the Mosque of Medina as seen from the South.

قبة النبي عليه الصلاة والسلام وأبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة

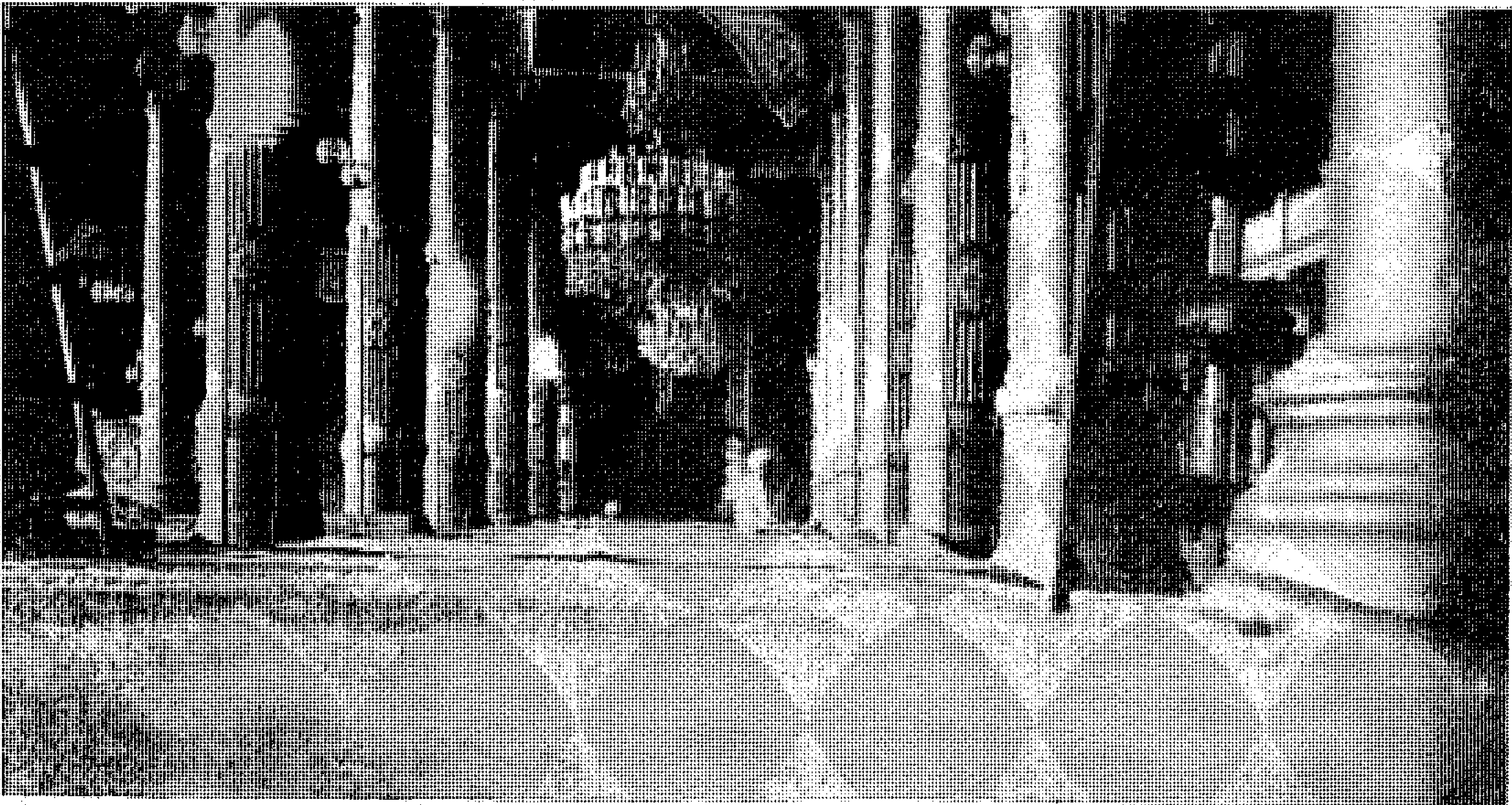


حقوق النقل والطبع والنشر محفوظة ومسجلة باسم مرسله اللواء ابراهيم رفعت باشا أمير الحج المصري

في محرم سنة ١٣٢٦ هجرية

178. The view of the domes of Mohamed the Prophet, Abu Bakr and Omar at Nabi Mosque

قسم من الروضة النبوية والحجرة الشريفة من جهة الغرب بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة



180. The Northern view of the Sherifa Room.

الاعمـدة المفرغة هى اشارة لحدود المسجد النبوى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يثبت، ويرجحون أن قبرها بالبقيع ويوصل هذه المقصورة بالمقصورة الأولى بابان بجدارها الجنوبى، وللمقصورة الكبيرة باب غربى فى الروضة يسمى باب الوفود أو باب الرحمة، وفى جنوبه شباك التوبة، ولها باب آخر فى الجهــة الجنوبية ويدخل اليها من باب فى الجهة الشرقية، ومن باب آخر فيها فى الجهــة الشمالية وهو الذى يدخل منــه الأغوات لإيقاد الحجرة الشريفة، وبزوايا المقصورة النبوية أربعة أعمدة كبيرة مزوية أقيمت عليها القبة الخضراء التى تراها مع المئذنة الرئيسية فى (الرسم ١٧٨) وفى شمالى مقصورة فاطمة دكة كدكة الأغوات قالوا : انها فى متهجد النبي صـلى الله عليه وسلم . وبين المنبر والقبر الروضة وطولها ٢٢ مترا فى عرض ١٥ ويفصلها عن الرواقين القبليين سور نحاسى ارتفاعه حوالى متر، به بابان عن يمين ويسار المحراب النبوى انظر السور النحاسى فى (الرسم ١٧٩)، وترى فيــه عبد اللطيف عبــد القادر أحد الأغوات والذى بجانبــه « البكباشى » مصطفى افنــدى رفقى وانظر فى (الرسم ١٨٠) قسما من الروضة فيه الأعمدة الجميــلة المفرغة و« نجفة » كبيرة وشباكا من شبابيك المقصورة، ذاك وصف إجمالى للمسجد النبوى، أما ما فيه من النقوش البديعة والكتابات الجميلة التى بسقف المسجد وجدره وأعمدته ومحاريبه فقل فى وصفها ما شئت، فانه ليس فى الدنيا مسجد عنى به الملوك — خصوصا ملوك العثمانيين — والأمراء والأفراد كالمســجد النبوى الذى به تعاليق نفيسة وهدايا ثمينة أهديت للمسجد والحجرة لا تجد لهــا مثيلا فى مكان آخر، وحســبك أنهــا قومت بسبعة ملايين من الجنيهات ولا بأس من أن نجملهــا لك، يوجد بالمسجد النبوى عدا المقصورة ٦٢٠ قنديل معلقة فى العوارض الحديدية التى بين الأعمدة بسلاسل مــن فضة فى المسقف القبلى وبسلاسل من صــفر فى باقى المسجد وفيه نجفات كثيرة من البلور، ومن ذلك نجفتان كبيرتان على أطرافهما تنانير يوقد فيها الشمع أهداهما إلى المسجد النبوى عباس باشا الأول، والكبيرة منهما معلقة فى المسقف القبلى ممــا يلى الروضة من جهة الشمال أنظرها فى (الرسم ١٨٠) وكذلك أهدى أربع شجرات على أعمدة من البلور مفرعات بأغصان مائلة عليها تنانير صافية.

وضعت بالروضة المطهرة وما يليها من المغرب فى صف واحد بين الأساطين. انظر (الرسم ١٧٩) وبالمقصورة ١٠٦ قنديل حول الحجرة الشريفة منها ٣١ غير البراقات فى الرواق الذى تجاه الوجه الشريف وكلها من الذهب المرصع بالألماس والياقوت والباقى قناديل كقناديل المسجد معلقة بسلاسل الذهب، ومن ضمنها الثريتان المعلقتان على يمين قبر فاطمة ويساره، وبأعلى الدائرة التى حول الحجرة معاليق من الجواهر الثمينة ومكانس من اللؤلؤ الفاخر، وقد أرسل السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٤ هـ. شمعدانين عظيمين من الذهب الخالص المرصع بالألماس الفاخر طول كل منهما نحو قامة، ويقال إن ثمنها ٣٠٠٠٠٠ جنيه مجيدى (الجنيه المجيدى يساوى ٨٧,٧٥ قرشا صحيحا مصريا) وقد وضعا بالمقصورة أحدهما تجاه رأسه الشريف والآخر فى محاذاة رجله الكريمة، وقبل ذلك أهدى شمعدانين كبيرين من الذهب الخالص وأهدى بعد ذلك عدّة مباخر وقماقم من الذهب والفضة.

وقد كان الملوك والأمراء فى الأعصار المختلفة يتسابقون فى الهدايا الى المسجد وكثيرا ما سلبها قوم لينتفعوا بها فى مصالحهم الشخصية، ومن أولئك السالبين جماز ابن هبة الحسينى أمير المدينة لما ورد الأمر سنة ٨١١ هـ. بعزله وتولية ثابت بن نفير والأمير غُرير بن هيازع الحسينى سنة ٨٢٤ هـ. وبرغوث بن بتير بن جريس ودبوس ابن سعد الحسينيان سلبا كثيرا من قناديل المسجد سنة ٨٦٠ هـ. وحسن بن زبير المنصورى سلب فى سنة ٩٠١ هـ. ما فى القبة التى كانت بصحن المسجد من النقود والقناديل والسبائك، وكذلك فعل الوهابيون لما استولوا على القطر الحجازى وتملكوا المدينة سنة ١٢٢١ هـ. وهدموا القباب التى بالبقيع وغيره وقد فرق ما أخذوه على المجاهدين وهودى منه بعض الملوك وردّ كثير منه الى المسجد النبوى.

ويحسن بنا أن نورد لك فى هذا المقام نبذة ذكرها الجبرتى المؤرّخ الناقد عن الوهابيين فى هذا الموضوع لما تضمنته من الفوائد القيمة وحكم تلك الكنوز المحبوسة ولتتبين لك حقيقة الوهابيين (١) الذين وصمهم العامّة بما هم منه براء قال :

(١) المتغالين فى الدين (ولن يشاد الدين أحد الأغلبه).

إنه فى عام ١٢٢١ هـ . وصلت الأخبار الى مصر من الديار الحجازية بمسالمة الشريف غالب للوهابيين وذلك لشدّة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة وقطع الجالب عنهم من كل ناحية حتى وصل ثمن الأردب المصرى من الأرز ٥٠٠ ريال والقمح ٣٠٠ وغير ذلك ، فلم يسع الشريف إلا مسالمتهم والدخول فى طاعتهم وسلوك طريقتهم وأخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب التنباك فى المسعى وبين الصفا والمروة ، وبالملازمة على الصلوات فى الجماعة ودفع الزكاة وترك لبس الحرير والمقصبات وإبطال المكوس والمظالم ومصادرات الناس فى أموالهم فيكون الشخص من سائر الناس جالسا فى داره فما يشعر إلا وأعوان الشريف يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون إن سيد الجميع محتاج اليها فما يجد حيلة إلا الطاعة وتصير من أملاك الشريف ، فعاهده الشريف على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله به فى كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والأئمة الى آخر القرن الثالث وترك ما حدث فى الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات فى الشدائد وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والنذور والقربان وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقى الأشياء التى فيها شركة المخلوقين مع الخالق فى توحيد الألوهية التى بعثت الرسل لمقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله ، فعاهده الشريف على منع ذلك كله وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة فعند ذلك أمنت السبل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة وجدة والطائف ورخصت الأسعار حتى بيع الأردب من الحنطة بأربعة ريالات ، واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار بقوله : إن هؤلاء مشركون وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين ، وفى سنة ١٢٢٤ هـ . وصل مسعود الوهابى الى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس فى حالة أمن ورخاء سعر ، وأحضر أمير الحج المصرى وقال له : ما هذه

العويدات والطبول التي معكم ويقصد بالعويدات المحمل فقال : إشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم فقال : لا تأت بذلك بعد هذا العام وإن أتيت به أحرقته وهدم القباب التي بينبع والمدينة وأبطل شرب التنباك في الأسواق وكذلك البدع . وفي سنة ١٢٢٣ هـ . انقطع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي للناس عن الحج ، وليس الأمر كذلك فإنه لم يمنع أحدا يأتي الى الحج على الطريقة المشروعة وإنما منع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزمر ، وقد حج طائفة من المغاربة ولم يتعرض لهم أحد بشيء ، ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وامتنع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم بأسرهم ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك وأتوا الى مصر والشام ، ومنهم من ذهب الى استامبول يتشكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق واتصال الصلات والنيابات والخدم في الوظائف التي بأسماء رجال الدولة كالفراشة والكناسة ونحو ذلك .

ويذكرون أن الوهابي لما استولى على المدينة أخذ ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر وعبأ أربع « سحاحير » منها ، ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة ألماس مستطيلة ونحو مائة سيف أقرابها ملبسة بالذهب عليه الماس والياقوت ونصابها من الزمرد واليشم كل سيف منها عظيم القيمة عليه دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك فيرون أن أخذه لذلك من الكبائر العظام ، وهذه الأشياء أرسلها ووضعها من وضعها من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم إما حرصا على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم أو لنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء ، فلما تقادمت عليها الأزمنة وتوالت عليها السنون والأعوام وهي في الزيادة أرتصدت معنى لا حقيقة وارتسم في الأذهان حرمة تناولها وأنها صارت مالا للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد

أخذها ولا إنفاقها ، والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك لم يدخر شيئا من عرض الدنيا فى حياته ، وثبت فى الصحيحين أنه قال « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وكنز المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين مخالف لشريعته ، وإن قال المدخر أكنزها لنوائب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة اليها قلنا : قد رأينا شدّة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم فى مصالحة المتغلبين عليهم من قرانات الافرنج وخلو خزائنهم من الأموال التى أفنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة بكفالة إحدى الفرق من الافرنج المسالمين لهم واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والاستيلاء على الأموال بغير حق حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم ، ولم يأخذوا من هذه المدخرات شيئا ولم ينتفع بها أحد إلا ما يختلسه أغوات الحرم تبعا ، وأما الفقراء من أولاد الرسول وأهل العلم والمحتاجين وأبناء السبيل فيموتون جوعا .

ولما كثرت شكاوى أهل المدينة إلى الباب العالى أمر مولانا السلطان محمد على باشا والى مصر بمحاربة الوهابية فحاربهم وانتصر عليهم ، وفى ١٨ رجب سنة ١٢٣٣ هـ . حضر باقى الوهابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو أربعمائة نسمة وأسكنوهم فى محلات تليق بهم وكان عبد الله بن سعود الوهابى وخواصه من جملتهم وسكنوا بدار عند جامع مسكة من غير حرج عليهم ، وصاروا يذهبون ويجيئون ويتردّدون على المشايخ وغيرهم ويمشون فى الأسواق ، ولما وصل عبد الله بن سعود إلى مصر عمل له موكب عظيم وضربت له المدافع (١) وسكن فى بيت إسماعيل باشا ابن محمد على باشا ببولاق ، وفى ثانى يوم تقابل مع محمد على باشا بسراى شبرا فآنسه وأجلسه بجانبه وقال له ما هذه المطاولة؟ فقال : الحرب سجال وكان ما قدره الله فقال : إن شاء الله أرجو فيك عند مولانا السلطان فقال : المقدر يكون ، وكان بصحبته صندوق صغير من صفيح فقال له الباشا ما هذا؟ فقال : هذا ما أخذه أبى من الحجرة أصحبه معى إلى السلطان ، وفتحه فوجد به ثلاثة مصاحف مكلفة ونحو

(١) لم يقبل الاحتفال وضرب المدافع مع أنه على السنة كما يقولون .

ثلثمائة[1] حبة لؤلؤ كبيرة وحبة زمرد كبيرة فقال له الباشا : الذى أخذه من الحجرة أشياء كثيرة فقال : هذا هو الذى وجدته عند أبى فانه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا : صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك ثم ألبسه خلعة[2] وانصرف عنه الى بيت اسماعيل باشا المعدّ له ، وفى ١٩ المحرم سنة ١٢٣٤ هـ . سافر عبد الله بن سعود الى الاسكندرية ومنها الى الأستانة ومعه خدم لزومه ، وفى جمادى الاولى وصلت الأخبار عن عبد الله المذكور أنه لما وصل الى دار السعادة طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضا فى نواح متفرقة اهـ .

هذا ما يتعلق بالهدايا الثمينة والتعليقات النفيسة وسيأتى وصف الرسوم والنقوش البديعة التى بالمسجد عند الكلام على عمارة السلطان عبد المجيد له ، وأكثر جهات المسجد به سور وآيات وقصائد فى أغراض شتى ، نذكر لك منها ما ينفسح له المجال. إذا دخلت من باب السلام تجد مكتوبا على الحائط الذى عن يمينك بالخط الثلث الجميل قول الله جل شأنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ — الى قوله — لعلَّهم يَرْشُدون ﴾ وبعد ذلك قوله تعالى ﴿ لا يأتيه الباطلُ مِنْ بَيْنِ يديهِ ولا مِنْ خلفِه تنزيلٌ مِن حكيمٍ حميدٍ ﴾ ثم قوله عز شأنه ﴿ قالوا أتعْجَبِين مِنْ أمرِ اللهِ رحمةُ اللهِ وبركاتُه عليكم أهلَ البيتِ إنّه حميدٌ مجيدٌ ﴾ ثم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وإذ ابتَلَى إبراهيمَ رَبُّه بكلماتٍ فأتمَّهنَّ — الى قوله — إنكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ ثم قوله بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إذْ قالتِ إمرأةُ عِمْـرانَ ربِّ إنى نذرتُ لكَ ما فى بطنى محرّرا فتقبـل منى إنكَ أنتَ السميعُ العليمُ — الى قوله — وما كنتَ لديهم إذْ يَخْتَصِمون ﴾ صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله تعالى عن أصحاب سيدنا رسول الله أجمعين . ثم قوله بعد البسملة ﴿ ما كان على النبىِّ مِنْ حَرَجٍ فيما فرض اللهُ له سُـنّةَ اللهِ فى الّذين خَلَوْا

(١) لم لم يبع الجواهر ليستعين بها على الحرب الشرعى وكيف يهديها للسلطان وهو فى غنى عنها وربما كان هو الذى أهداها أولا . (٢) لم يستجيز لنفسه لبس هذه الخلعة و يستنكر المحمل .

مِنْ قَبْـلُ وكان أمرُ اللهِ قدَرا مقـدورا — الى قوله — وتوكَّلْ على اللهِ وكفى باللهِ وكيلا ﴾ اللهم صلى وسلم على سـيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ثم قوله بعد البسملة ﴿ وما أرسلْنا من رسولٍ إلَّا ليُطَاعَ بإذنِ الله — الى قوله — ويُسَـلِّموا تسليما ﴾ صـدق الله العظيم . ثم قوله بعد البسملة ﴿ هو الذى أرسـلَ رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ — الى قوله — سِيمَاهُمْ فى وجوهِهم من أثرِ السُّجودِ ﴾ صـدق الله العظيم . وفوق ذلك مكتوب فى لوحة : قال الله تعالى ﴿ وما آتاكُمُ الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وهـذه الكتابات كلها فى سطر واحد يبتدئ من باب السـلام مارا بالحائط القبلى ، وفى سطر تحت هذا مكتوب بالخط العريض قال الله تعالى ﴿ وما تفعلوا من خيرٍ يَعْلَمْـه اللهُ وتزوَّدوا فإن خيرَ الزادِ التَّقْوى واتَّقونِ يا أولِى الألباب ﴾ صدق الله العظيم . وبعد ذلك قوله ﴿ أولئك يُسارعون فى الخيراتِ وهُمْ لها سابِقون ﴾ ثم قوله بعد البسملة ﴿ إنما يعمُر مساجدَ اللهِ مَنْ آمن باللهِ واليومِ الآخرِ وأقام الصَّلاةَ وآتى الزكاةَ ولم يخشَ إلا اللهَ — الى قوله — والله لا يهدى القومَ الفاسـقين ﴾ صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصـلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبـه وسلم ورضى الله تعالى عنهـم أجمعين وبعد ذلك البسملة فقوله تعالى ﴿ مَثَلُ الذين يُنْفِقون أموالَهمْ فى سبيلِ الله كمثل حَبَّـة أنبتت سبعَ سنابلَ فى كلِّ سنبلةٍ مائةُ حبةٍ — الى قوله — واللهُ غنيٌّ حليمٌ ﴾ صـدق الله العظيم . بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن اللهَ وملائكتَه يُصَلُّون على النبيِّ يا أيُّها الذين آمنوا صَلُّوا عليـه وسلِّموا تسليما ﴾ صدق الله العظيم . وفى سطر ثالث تحت هذين قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فى بُيوتٍ أذن الله أن تُرْفَع ويُذْكَرَ فيها اسمُه — الى قوله — لِيَجْزِيَهمُ اللهُ أحسن ما عمِلوا ويَزِيدَهم مِنْ فضـلِه ﴾ ثم قال الله تبارك وتعـالى فى كتابه الكريم . ﴿ فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعِذْ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيم . إنه ليسَ له سلطانٌ على الذين آمنوا وعلى ربِّهِـمْ يتوكلون ﴾ ثم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا فتَحْنَا لك فتحا مُبينا﴾ — الى

آخر السورة — صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين أجمعين وهذا الختام تجاه الوجه الشريف ثم

بنور رسول الله شرفت الدُّنَى * ففى نوره كل يجىء ويذهب
براه جلال الحق للخلق رحمة * فكل الورى فى بره يتقلب
بدا مجده قبل آنشاء رمزه * وأسماؤه من قبل فى اللوح تكتب

أنظر نظام السطور وشكلها فى (الرسم ١٨٥) ومكتوب على عضادتى باب السلام من الخارج أربعة أسطر بالخط الثلث الجميل ، فى الأول منها قال الله تعالى: ﴿ومن أصدقُ مِنَ اللهِ حديثا﴾ . ﴿وقُلْ ربِّ أدخلْنِى مُدْخَلَ صدقٍ وأخرِجْنى مُخْرَجَ صدْقٍ — إلى قوله — وإذا مسه الشرُّ كانَ يَؤوسا﴾ وفى السطر الثانى بعد البسملة قوله تعالى ﴿لَقَدْ كانَ لكُمْ فى رسولِ الله أُسْوَةٌ حسنةٌ لِمَنْ كان يرجو اللهَ واليومَ الآخِرَ — إلى قوله — وكان اللهُ قويا عزيزا﴾ .

وفى السطر الثالث :

رسول الله إنى مستجير * بجاهك والزمان له اعتداء
وجاهك يا رسول الله جاه * رفيع ما لرفعته انتهاء
وظنى فيك يا طه جميل * ومنك الجود يعهد والسخاء
وحاشا أن أرى ضيما وذلا * ولى نسب بمدحك وانتماء
رجوتك يا آبن آمنة لأنى * محب والمحب له رجاء
عسى بك تنجلى عنى كروبى * وكم كرب له منك انجلاء
وكم لك يا رسول الله فضل * تضيق الأرض عنه والسماء
وكم لك معجزات ظاهرات * كضوء الشمس ليس له خفاء
وأنت لنا على خلق عظيم * ونحن على العموم لك الفداء

ومكتوب على الباب الذى على يمين المحراب النبوى فى الفاصل النحاسى قال صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها » وفى الباب الذى على يساره « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » .

ومكتوب فى المسجد قصيدة البوصيرى المشهورة بالبردة والتى مطلعها :

أمن تذكر جيران بذى سَلَمٍ * مزجتَ دمعا جرى من مقلة بدم

وكذلك أسماء الله الحسنى وأسماء أهل بدر الى غير ذلك وكل هـذا مكتوب بالخط الجميل المحلى بماء الذهب .

والمسجد مفروشة أروقته بالسجادات التركية الجميلة المقسم كل منها بالرسم الى سجادات صغيرة الواحدة منها تكفى المصلى وترشده الى القبلة ، أما صحنه فمفروش بالحصباء كما أسلفنا ، وبالمسجد ٥٧ أغا وأكثرهم يقوم بخدمة الحجرة النبوية (المقصورة) وله ٤٦ خطيبا يتناوبون الخطبة و٣٨ إماما و٣١ وكيل إمام و١٨ مدرّسا يدرّسون المذاهب الثلاثة الحنفى والمالكى والشافعى و٥٠ مؤذنا و٢٦ وكيل مؤذن و١٢ محافظا على النظام — مشدا — و٥١ كناسا و١١ بوابا و١٠ سقائين و٤ يجبدون المياه و٧٥٠ يقومون بتنظيف القناديل وملئها وإسراجها ، و٢٦ ما بين صائغ وخائط وسراج وغيرهم ... وأوّل من رتب الأغوات لخدمة المسجد والحجرة نور الدّين الشهيد فى أوّل دولة الأكراد رتب آثنى عشر وشرط حفظهم لكتاب الله تعالى وربع العبادات وأن يكونوا حبوشا فإن لم يوجدوا فأرواما فإن لم يوجدوا فتكارنة فان لم يوجدوا فهنودا ، وقيل : أوّل من رتبهم السلطان صلاح الدين الأيوبى رتب أربعة وعشرين وجعل عليهم شيخا يقال له بدر الدين الأسدى .

ووقف عليهم قريتى نقادة وقبالة على شاطئ النيل بالصعيد وكذلك وقف ثلث قرية سندبيس ووقف ثلثيها الباقيين الملك الصالح عماد الدين وذلك فى سنة بضع وأربعين وسبعمائة . ثم صار سلاطين الغرب والسودان يرسلون أغوات من قبلهم للخدمة ، بل كل من رغب فى ذلك يرسل حتى زادوا على المائتين فى بعض الأحيان ، وكثيرا ما كانت تثور بينهم العداوة والبغضاء وكثيرا ما كان فيهم أهل خير وصلاح ، ولهم الآن مرتبات من قبل سلاطين آل عثمان وأوقاف بالمدينة وغيرها وترسل اليهم من أهل البر هدايا كثيرة يتسلمها رئيسهم المعروف بالمستسلم ويقسمها

بينهم بالسوية (انظر فى الرسمين ١٨١ و١٨٢) شكل الأغوات ، والذى فى الأول منهما يسمى حسن أغا أهداه الى المسجد أحد أمراء بخارى ، والثانى عبد اللطيف عبد القادر من أغوات سراى السلطان عبد الحميد وكلاهما بواب للحجرة النبوية ، وقد رتب السلطان محمود بالمسجد ٣٩ قارئا يتلون القرآن وصحيح البخارى وشفاء القاضى عياض ودلائل الخيرات والأحزاب والصلوات ولو قصر الأمر على تلاوة القرآن وعين للصحيح والشفاء من يقوم بدراستهما لكان ذلك أجدى ، ورتب السلطان عبد الحميد لمثل هذا ١٥٧ قارئ ورتبت والدته ثمانية فأولئك ٢٠٤ قارئ لو كانوا مفسرين وقائمين بتعليم العامة لحولوا أهل المدينة قاطبة عن الأمية وأوردوهم من العلوم مناهلها العذبة .

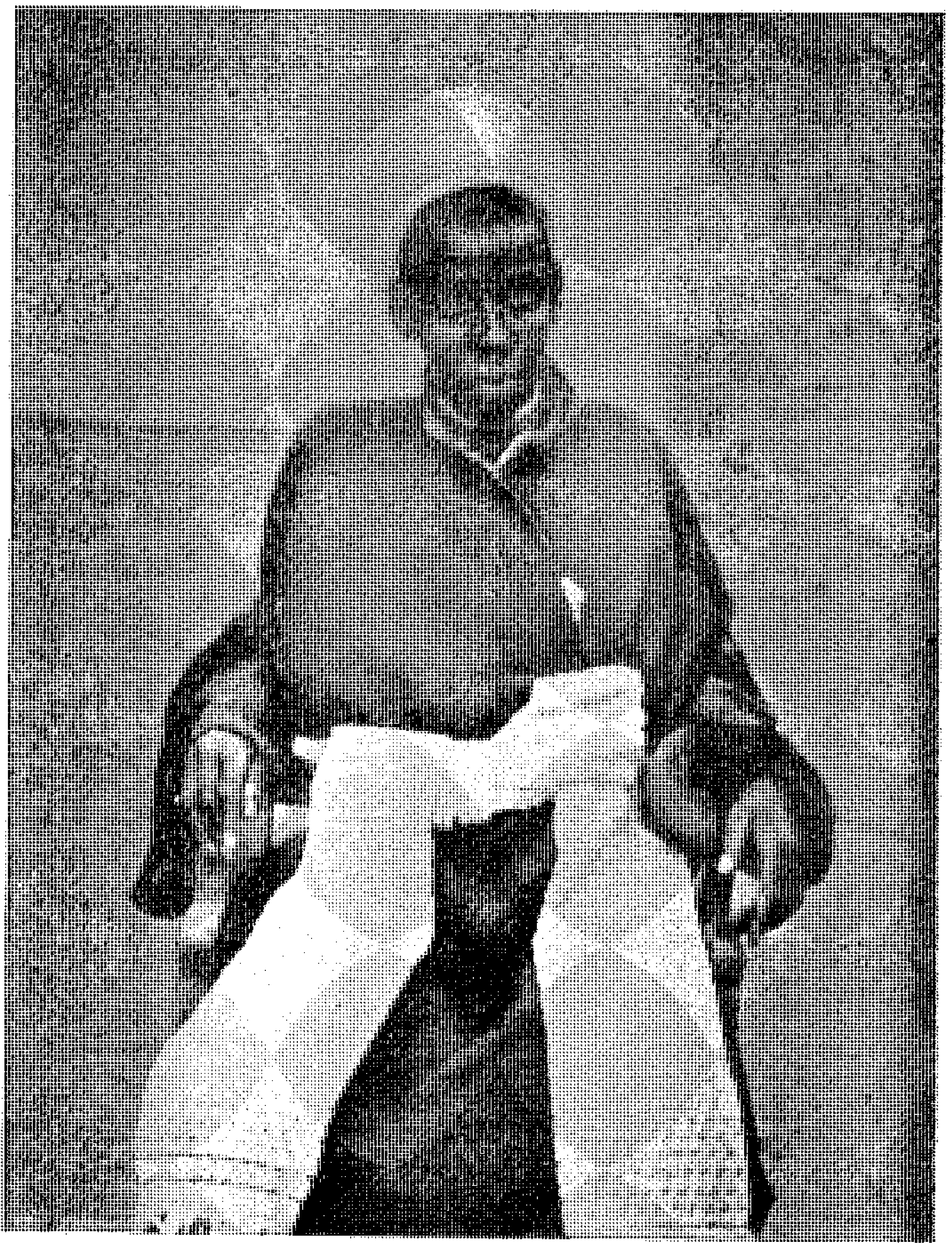
وعلى البناء المخمس حول قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ستائر من الحرير وكذلك على كل أبواب المقصورة وعلى المحاريب الثلاثة النبوى والسليمانى والعثمانى ، وللمنبر ستارة ، وللمئذنة الرئيسية ستارة ، وللشبكة التى على الحجرة النبوية ١٨ ستارة ، وعلى شبابيك مقدم الحجرة ٤ ستائر ، وللتهجد ستارة وللمنبر علمان ، وهناك إحدى عشرة ستارة من الأطلس الأخضر مسبلة من رأس قبة الحجرة إلى سطح أرضها ، انظر الستائر ضمن (الرسم ١٨٨) .

تاريخ المسجد النبوى

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هجرته نزل بقُباء وأقام فيها بضع عشرة ليلة أسس فيها مسجد قباء ثم تحول منها الى المدينة فتلقاه أهلها فرحين وخرجت ذوات الخدور تنشد :

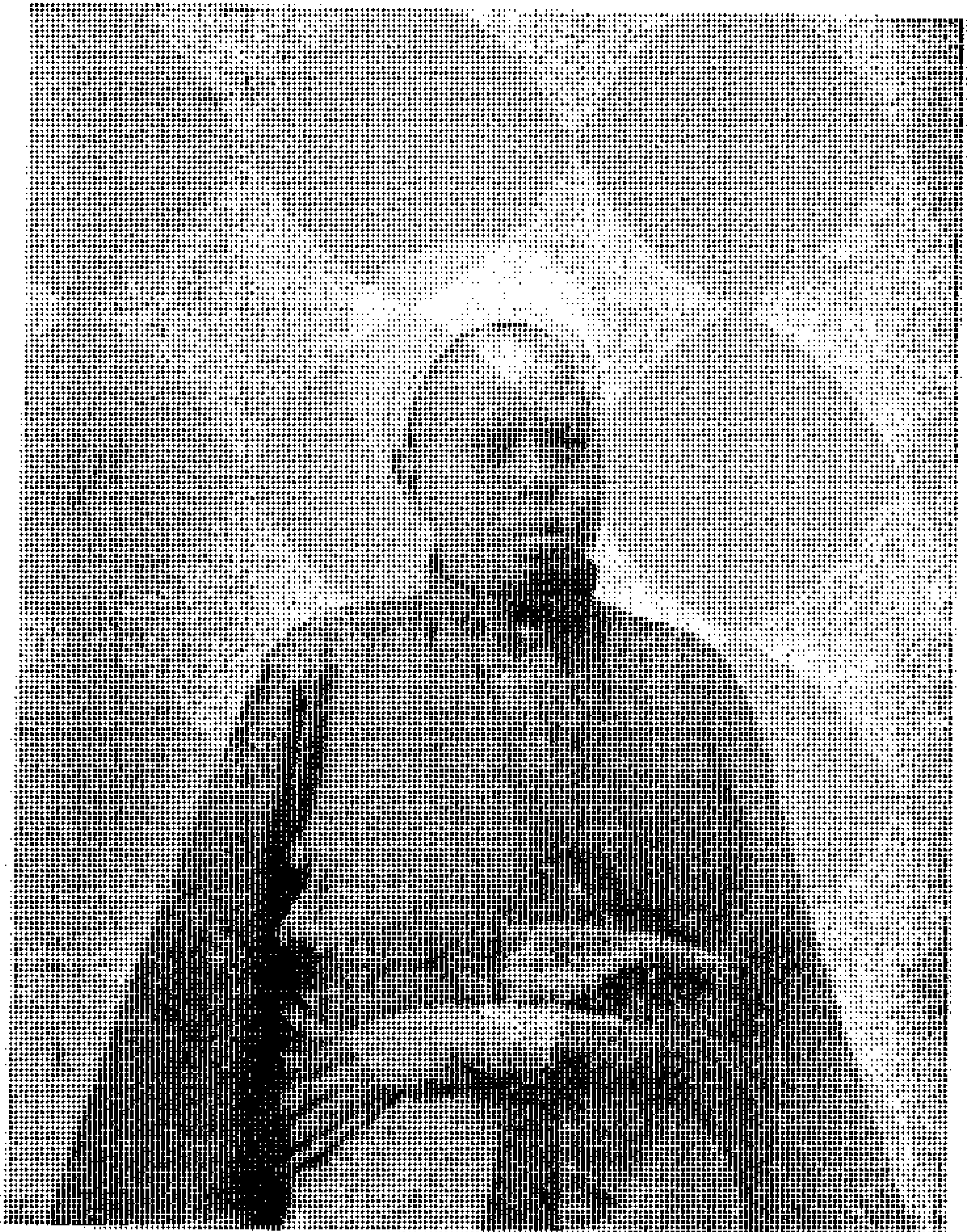
أشرق البدر علينا * واختفت منه البدور
مثل حسنك ما رأينا * قط ياوجه السرور

رسم نمـــوذج اثنين من الاغوات بالمسجـــد النبوي



عبد اللطيف اغا عبد القادر بواب الحجرة النبوية الشريفة

181. A photo of one of the unichs of the Mohammedan Mosque.



حسن اغا بخارى قدمه هدية لخدمة المسجد النبوى

احد امراء بخارى

181. A photo of one of the unichs of the Mohammedan Mosque.

وخرجت جوار من بنى النجار أخواله صلى الله عليه وسلم يضربن بالدفوف ويقلن :

نحن جَوَارٍ من بنى النجار * يا حبــذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتحببنى ؟ قلن : نعم يا رسول الله ! فقال : الله يعلم أن قلبى يحبكن ، وكان كل جماعة يعرضون عليه النزول بدارهم وهو يقول خلوا سبيل ناقتى فإنها مأمورة فحيث بركت نزلت ، فلما أتت موضع المسجد بركت وهو عليها وفى رواية عند بيته المشهور الآن بالحجرة الشريفة ثم قامت من غير أن تزجر وسارت غير بعيد وبركت تجاه دار أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه فنزل هناك وهى شرقى المسجد فأقام عنده بهذه الدار حوالى سبعة أشهر ولا تزال هذه الدار قائمة للآن ، وفى جدارها القبلى محراب يتبرك الناس به ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجده الشريف عند الموضع الذى بركت فيه ناقته أولا وكان مِرْبَدا — موضعا يجفف فيه التمر — لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار وكانا فى حجر أسعد بن زُرارة فساوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير ، وكان جدارا ليس له سقف وقبلته إلى بيت المقدس وكان يصلى فيه ويجمع أسعد بن زرارة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيه شجر غرقد ونخل وقبور للشركين ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالنخل والشجر فقطعت وصفت فى قبلة المسجد ، وكانت مساحة المسجد ٧٠ ذراعا فى ستين أى نحو ٣٥ مترا من جنوبه لشماليه فى ٣٠ من شرقه لغربه ، وكان أساسه قريبا من ثلاثة أذرع بنى بالحجارة ، وبنيت الجدر باللبِن وكان صلى الله عليه وسلم يبنى معهم وينقل اللبن والحجارة وهو يقول : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة ، وجعل عمده الجذوع وسقفه الجريد وكان به ثلاثة أروقة فى الجهة القبلية وله رحبة وثلاثة أبواب ، باب فى جهته الجنوبية وكانت قبلته إلى بيت المقدس أى فى الجهة الشمالية ، وصلى الى هذه القبلة سبعة عشر شهرا ثم تحول إلى المسجد الحرام

والباب الثانى باب عاتكة أو باب الرحمة الذى به الآن، والثالث باب آل عثمان وهو باب جبريل الآن وقد سدّ الباب الأول لما حولت القبلة وجعل بدله باب يقابله فى الجهة الشمالية ، ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بناء المسجد بنى بعائشة فى البيت الذى بناه لها شرقى المسجد وهو مكان حجرته اليوم كما بنى بجانبه بيتا آخر لسودة ، وبنى فى أوقات مختلفة بيوتا لأزواجه الأخريات كانت جنوبى المسجد يفصلها عنه طريق عرضه خمسة أذرع ، وكل هذه البيوت دخلت فى المسجد فى إمرة عمر بن عبد العزيز على المدينة ، ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر مفتتح سنة سبع من الهجرة زاد فى المسجد من جهة الشرق والغرب والشمال حتى صار مربعا طول ضلعه ١٠٠ ذراع أو ٥٠ مترا وهو الذى تراه ملونا باللون الأخضر الفاتح فى (الرسم ١٧٤) الذى أخذناه من رسم كبير عمله مهندسو الأتراك وطبعه بنفقته فى ألمانيا خليل افندى القازانى، واستأذناه فى تصغيره فأذن لنا كتابة . ولما كان زمن عمر بن الخطاب زاد فى المسجد من جهته الجنوبية نحو خمسة أمتار ومن جهته الغربية عشرة ومن الشمالية خمسة عشر مترا ، ولم يزد شيئا من الجهة الشرقية، ودخلت فى الزيادة الجنوبية دار العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل له ستة أبواب، بابان فى الجهة الغربية حذاء باب الرحمة وباب السلام، وبابان فى الجهة الشرقية الثانى منهما حذاء باب النساء، والأول باب آل عثمان الذى لم يتغير، وبابان فى الجهة الشمالية ، وكان تجديد عمر للمسجد سنة ١٧ هـ . وكان بناؤه باللبن والجريد وعمده من الخشب، وفى سنة ٢٩ هـ . أعاد عثمان بن عفان بناء المسجد وزاد فيه رواقا من جهة الشرق والشمال والغرب والقبلة، واستقرّ الأمر على زيادته القبلية الى يومنا هذا، وبنى جدر المسجد بالحجارة المنقوشة والقَصَّة — الجص — وجعل عمده من حجارة منقورة أدخل فيها عمد الحديد وصب فيها الرصاص وسقفه بالساج، وجعل أبوابه ستة كما كانت فى عهد عمر، وقد سدّ بعدُ البابان الشماليان وما أحدث من الأبواب فى أطراف المسجد، وبقى بأبوابه الأربعة المعروفة حتى زيد الباب الخامس الشمالى فى عمارة السلطان عبد المجيد

وقد اتخذ عثمان مقصورة على مصلاه فى المسجد وكانت صغيرة من لبن وفيها كُوَة ينظر الناس منها الى الإمام ثم جعلها عمر بن عبد العزيز من ساج ثم جدّدها المهدى من ساج أيضا ونزل بأرضها الى أرض المسجد وكانت مرتفعة عن سطحه نحو ذراعين ، ثم جدّد الوليد بن عبد الملك المسجد على يد عامله على المدينة الإمام العادل عمر بن عبد العزيز وابتدأ ذلك التجديد فى سنة ٨٨ هـ . وانتهى منه فى سنة ٩١ هـ . وقد زاد فى المسجد من جهة الغرب — ولم يزد بعدُ فى هذه الجهة شيء كبير — والشمال والشرق فأدخل فى المسجد حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم التى كانت جنوبى المسجد وشماليه بعد أن هدم بناءها وكانت أبوابها شارعة فى المسجد ، واقتطع أيضا جزءا من حجرة عائشة أدخله فى المسجد وذلك من جهة الروضة وأقام على الحجرة ذلك البناء الخماسى الذى تسدل عليه الكسوة اليوم ، ولم يجعله مربعا عدولا به سنن الكعبة حتى لا يتخذه الناس قبلة ، وقد بنى المسجد بالحجارة المطابقة والقصة وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب ونقش رءوس الأساطين والأعتاب بالذهب ، ولما حج الوليد وقدم الى المدينة بعد فراغ عمر من عمارة المسجد أخذ ينظر فى جدره وسقفه ونقوشه وجميل شكله حتى اذا تم النظر التفت الى أبان بن عثمان وقال أين بناؤنا من بنائكم ؟ قال أبان : بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس . ثم زاد المهدى العباسى فى المسجد من جهة الشمال وعلى زيادته استقر المسجد من هذه الجهة وكان بدء البناء سنة ١٦١ هـ . والفراغ منه سنة ١٦٥ هـ . وفى ليلة الجمعة أوّل رمضان سنة ٦٥٤ هـ . أحترق المسجد من شعلة تركها موقد المصابيح فالتهمت ما حولها ثم امتدّت الى المسجد جميعه ولم يبق منه إلا قبة كانت بصحن المسجد أقامها الناصر لدين الله سنة ٥٧٦ هـ . لتحفظ بها ذخائر المسجد وكان فيها وقت الحريق المصحف العثمانى وأشياء أخرى ، وقد حاول أهل المدينة إطفاء هذا الحريق فغلبهم وكان أمر الله قدرا مقدورا ، وقد كتب الى الخليفة المستعصم بالله عبد الله ابن المنتصر بالله بذلك الحريق فأرسل الصناع والآلات فى موسم الحج وبدأ تجديد

المسجد سنة ٦٥٥ هـ . وأرسل أخشابا ومواد للعمارة الملك المظفر صاحب اليمن وكذلك فعل نور الدين على بن المعز صاحب مصر والظاهر بيبرس البندقدارى وفى أيامه تمت العمارة، وفى سنة ٧٠٥ هـ . وتاليتها جدّد الملك الناصر محمد بن قلاوون سقف المسجد شرقى رحبته وغربيها، وفى سنة ٧٢٩ هـ . زاد رواقين فى المسقف القبلى مما يلى صحن المسجد ثم حصل فيهما خلل فجددهما الأشرف برسباى سنة ٨٣١ هـ . وجدّد الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ هـ سقف الروضة وبعض سقف أخرى حصل فيها خلل، وفى سنة ٨٧٩ هـ . أجرى الملك الأشرف قايتباى عمارة هامة بالمسجد شملت بعض سقفه وعمده وجدره ومآذنه . وفى ليلة الثالث عشر من رمضان سنة ٨٨٦ هـ . أبرقت السماء وأرعدت إرعادا شديدا أيقظ النائمين وانقضت صاعقة على هلال المئذنة الرئيسية قضت على رئيس المؤذنين الذى كان يهلل بالمئذنة وانتقلت الى سقف المسجد فالتهمته وانتشرت بالمسجد جميعه وصارت ترمى بشرر كالقصر كان يتساقط على المنازل المجاورة ولا يؤثر فيها، وقد تهدمت جدر المسجد وتداعى أكثر أساطينه واحترقت المقصورة والمنبر والكتب والمصاحف ولم يسلم من طغيان النار إلا الحجرة الشريفة والقبة التى بالصحن وسلمت فى الحريق الأول، وقد مات بهذا الحادث بضعة عشر شخصا رحمهم الله برحمته الواسعة، ولما بلغ الخبر الأشرف قايتباى وجه الأمير سنقر الجمالى الى المدينة لعمارة المسجد ومعه مايزيد على مائة صانع والآلات اللازمة وشرعوا فى العمارة فبدأوا بالمئذنة الرئيسية فبنوها ثم بنوا الجدار القبلى والشرقى الى باب جبريل وزادوا فى عرضه يسيرا ووسعوا المحراب العثمانى وأقاموا عليه قبة على رءوس الأساطين التى حوله بعد أن دعموا كل أسطوانة بأخرى وربما دعموا الواحدة بأربع، وأقاموا على جدر الحجرة النبوية قبة فوق السقف الذى كان عليها وجعلوا فوق القبة قبة أخرى أقيمت على الأساطين والدعائم التى أحدثوها فضيقت الجهة الشرقية فخرجوا بجدار المسجد ذراعين وربعا، وأحدثوا أسطوانة فى رأس مثلث الحجرة وأقاموا قبة كبيرة تحيط بها ثلاث صغيرة بين الحجرة النبوية والجدار القبلى وقبتين أخريين أمام باب السلام من الداخل، وبنوا هذا الباب

بالرخام الأسود والأبيض وزخرفوه كما زخرفوا المحـراب العثمانى وأعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها والجدار القبلى وصنعوا منبرا واتخذوا "دكة" للمؤذنين من الرخام وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصـلى النبوى واتخذوا محرابا مجوفا للرسول صـلى الله عليه وسلم فى دعامة أقاموها بين المنبر والقبر على حدّ مسجده الأصلى وزخرفوا هذا المحراب بالرخام الملون وجعلوا المقصورة فى محلها الأول، وبنوا الجدار الغربى من باب الرحمة الى باب السـلام ، وبنوا مئذنة باب الرحمة وجعلوا الأعمدة قصيرة فوقها عقود من الآجر عليها السقف من الخشب، وبنوا مدرسة بجوار المسـجد بين باب السلام وباب الرحمة ولا تزال باقية للآن تعرف بالمحمودية ، وقد أنفق قايتباى على هذه العمارة ماقيمته ١٢٠٠٠٠ دينار أوما يقرب من ٦٠٠٠٠ جنيه

ولمـا انتقلت الخلافة الى آل عثمان وأصبحت لهم السيطرة على الحرمين خلفوا ملوك مصر فى القيام بما يحتاج اليه المسجد النبوى ففى سنة ٩٨٠ هـ . عمره السلطان سليم الثانى وبنى به قبلة جميلة تراها غربى المنبر النبوى على حد المسجد الأصلى من الجهة القبلية وقد وشاها بالفسيفساء المنقوشة بمـاء الذهب وكتب اسمه على ظهرها بالخط الثالث الجميل، وفى سنة ١٢٣٣ هـ . بنى السلطان محمود القبة الشريفة ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الأخضر سنة ١٢٥٥ هـ ، ثم كانت العمارة الكبيرة التى قام بها السلطان عبد المجيـد. وقد بدأت فى سنة ١٢٦٥ هـ . وانتهت فى سنة ١٢٧٧ هـ . وسببها أن شيخ الحرم — المسجد النبوى — داود باشا كتب الى السطان عبد المجيد بأن المسـجد النبوى مضى عليه ما يقارب أربعة قرون دون أن تقوم به عمارة هامة حتى آل كثير منه الى التخرب، فأرسل السلطان من قبله من استبان الحقيقة وتعرف حال المسـجد ونبأه به فأمر بعمارته ووكل أمر ذلك إلى رجال انتخبهم فاختاروا أن يقتطعوا الأحجار والأعمدة من هضاب بوادى العقيق عند آبار على، ومهدوا الطريق للعربات وفتحوا بابا بالسور مما يلى باب الرحمة لتمر منه العربات ولا تزلزل أبنية المدينة وشرعوا فى هدم المسـجد جزء جزء وجهة جهة حتى لا يعطل الناس عن الصلاة بهذا المسجد المبارك وكلما نقضوا جزء قديمـا أقاموا مكانه جديدا حتى أتموا العمارة

(٣٠)

فى ثلتى عشرة سنة ، وقد تناولت المسجد كله خلا المقصورة وما فيها وبعض جدر لم ينقضوها لإحكام أساسها وإتقان بنائها فلم ينقضوا الجدار الشمالى ولا الغربى إلا الجزء الذى يلى المئذنة المجيدية ولم ينقضوا المحراب العثمانى لإتقانه وحسن صنعه وغيروا الأعمدة القديمة بأعمدة أخرى أكثرها قطعة واحدة يرتكز كل منها على مربع حجرى وفى عاوه مثله ، وأقاموا عليها عقودا من الحجر الأحمر المنحوت وعلى تلك العقود قبابا فى كثير منها طاقات وشبابيك بها الشبكات النحاسية التى تشبه الزرد والزجاج الملوّن ينفذ منه الضوء إلى جوف المسجد ، وترى فى (الرسم ١٨٣) قباب المسجد ، والقبة الخضراء من خلفها قبة العشرة والمآذن هى من الشرق الى الغرب الرئيسية ، فمئذنة باب السلام فمئذنة باب الرحمة ، وترى فى الرسم أسرّة جريد فوق السطوح ينام عليها المدنيون فى الصيف ولم يعيدوا من الأعمدة القديمة إلا أعمدة كانت بالروضة مرخمة بالرخام الأبيض والأحمر ومذهبة فأعادوها ، واستحدثوا أعمدة ملصقة بالجدر لتقوم عليها القباب ووسعوا الأروقة الشمالية والشرقية والغربية ، فجعلوا فى الجهة الشمالية رواقين بدل ثلاثة وكذلك الجهة الشرقية وجعلوا فى الغربية ثلاثة بدل أربعة من المئذنة المجيدية الى باب الرحمة ، ولم يوسعوا الأروقة القبلية التى تحاذى الصحن وإنما أضافوا اليها رواقين مما يلى صحن المسجد حتى غطت الأروقة القبلية التى تسامت الصحن أرض المسجد الأصلى الذى كان به أروقة ثلاثة فى جهته القبلية ، وباقيه رحبة فى الجهة الشمالية وخرجوا بالجدار الشرقى من المئذنة الرئيسية الى باب جبريل خمسة أذرع وربعا فوسع ما بين المقصورة والجدار وكان قبل ضيقا ، وحدث من ذلك فجوة بين المئذنة الرئيسية والجدار الشرقى الجديد جعلوا بها خلوة فوقها أخرى يصعد اليها بسلم من الداخل ويوضع فيها بعض لوازم الحجرة ، وجدّدوا باب هذه المنارة بالحجر الأحمر المنحوت وهو باب غربى يجلس أمامه الخطيب ، وبنوا بين باب جبريل وباب النساء فى الخارج مكانا به صنابير — حنفيات — للوضوء ، وبنوا باب جبريل بحذاء الباب الأصلى كما أعادوا بناء باب السلام بشكل فخم ، وجعلوا أمامه من الداخل قبة عظيمة ، وكان بشماله

المسجد مخزن ومخبز ودور، فاشتريت الدور وهدم الكل، وبنى مكانه ساحتان بكل منهما أربع حجرات جعلت الشرقية منهما مكتبا والغربية مخزنا ولكل منهما باب داخلي في المسجد وآخر خارجي، والساحة الشرقية هي طرقة الباب المجيدي الذي أحدث في شمالي المسجد أثناء هذه العمارة، وبين هذين البناءين مكان للوضوء، وقد تقدم وصف ذلك فلا داعي لتكراره، وبنوا المئذنة المجيدية على أبدع شكل وأجمل منظر بعد أن حفروا لها أساسا عظيما وهدموا القبة التي كانت بصحن المسجد مخزنا للزيت لأنها كانت تلوثه وأستعاضوا عنها بالمخزن الشمالي الغربي، وبنوا أطراف دكة الأغوات وجعلوا بأركانها قوائم ثبت بها "درابزين" من الصفر وجددوا دكة أخرى جنوبي هذه وأخفض منها وجعلوا عليها "درابزين" من الصفر أيضا، وبها محراب التهجد الذي حلوه بماء الذهب، ويفصل هذه الدكة عن دكة الأغوات الطريق الى باب النساء، وبنوا المحراب الذي على يمين الداخل من باب النساء وكذلك بنوا المخزن الذي في شرقي دكة الأغوات وهو طبقتان وبجانبه ميضأة، وكان أحدث في شرقي المسجد تجاه الصحن حظيرة صغيرة لحليلة السلطان محمود لما قدمت المدينة بعد سنة ١٢٥٠ هـ . وكانت أرضها مرتفعة عن سطح المسجد فسويت به ووسعت بطول ثلاثة أعمدة في عرض الرواقين ثم وسعها شيخ الحرم محمد حافظ باشا سنة ١٢٨٠ هـ . الى الشكل الذي تراها به الآن في (الرسم ١٧٧)، وصارت المكان الخاص بصلاة النساء، وكان على حد المسجد النبوي من جهته القبلية "درابزين" من الخشب فرفعوه وبنوا مكانه حاجزا مسنما من الحجر الأحمر المنحوت عليه "درابزين" من الصفر المشتبك بعضه ببعض وجعلوا به أربع فتحات أشبه بالأبواب واحدة يمين المحراب السليماني أو الحنفي وثانية عن يساره وكذلك الأمر بجوار المحراب النبوي الذي لم يغير هو ولا المنبر في هذه العمارة، وكانت الجهة الغربية والشمالية والشرقية مرتفعة أرضها عن مقدم المسجد فسويت به حتى أصبح الجميع مستويا، وكان صحن المسجد مسامتا لأرضه فخفض عنها، وفي أثناء التخفيض ظهرت بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب لها درج في جوانبها والماء ينبع من فوارة

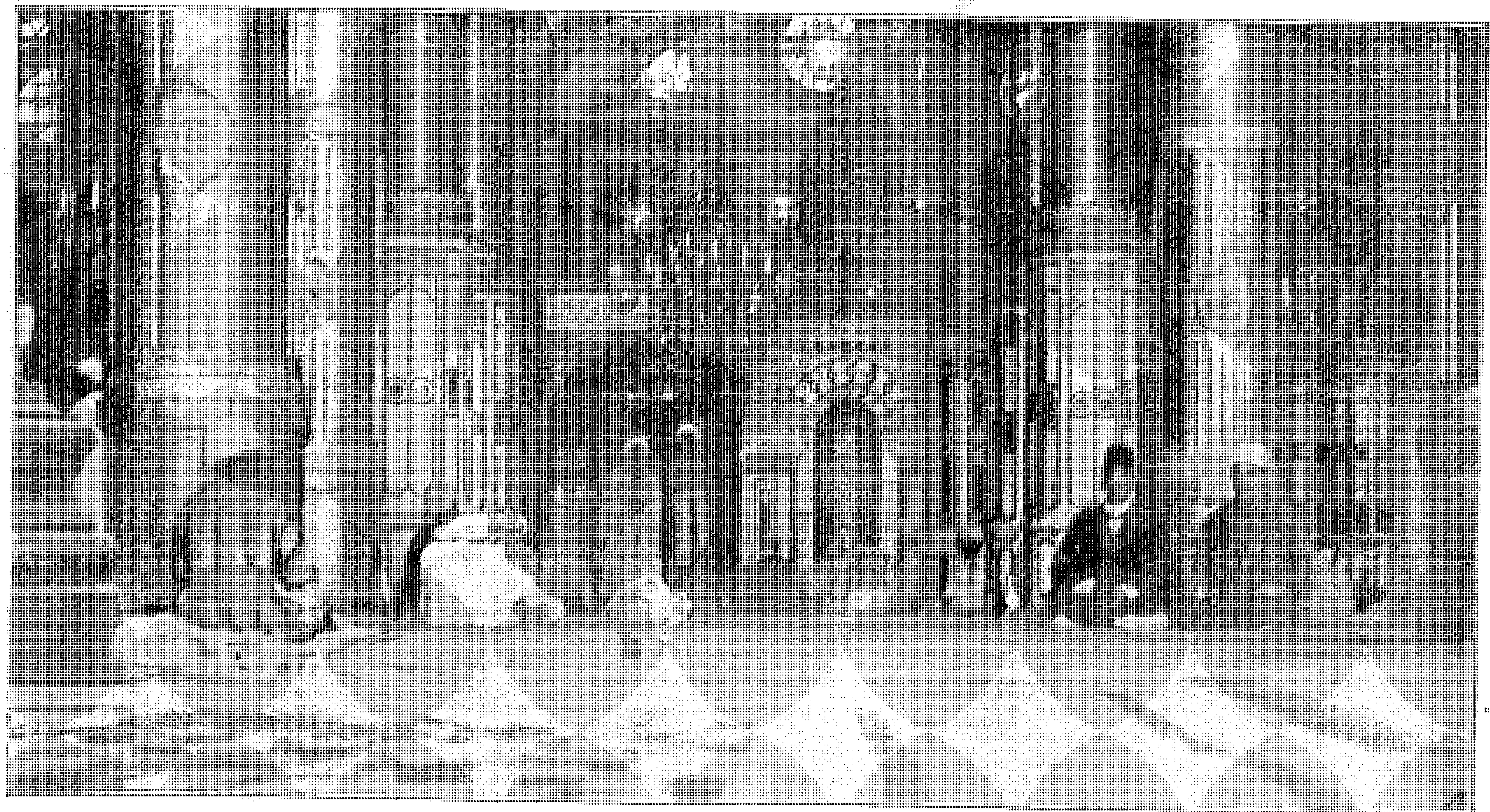
فى وسطها تأتى من العين الزرقاء ، وقد تقدم الكلام على هذه البركة أثناء حديث العين الزرقاء — ولا يكون الماء بهذه البركة إلا أيام الموسم — وبعد أن أتموا البناء رخموا أرض المسجد كلها والنصف الأسفل من الجدار القبلى ونقشوا فى القبب كلها رسوما تمثل أشجارا مختلفة وأزهارا شتى وجداول جارية وإن شئت فقل فى كل قبة حديقة زانت سماء المسجد ، والنقش فى القباب القبلية أجمل منه فى القباب الأخرى ، وصقلوا الأساطين ودهنوها بلون يشابه لون الحجر ونقشوا فى رءوسها أكفا ذهبية وأعادوا تذهيب المحراب النبوى والمنبر وصبغوهما باللازورد وذهبوا المحراب السليمانى أو الحنفى وزخرفوه ، ووصل بعد ذلك من الأستانة عبد الله بك زهدى الخطاط الشهير فكتب فى ثلاث سنين ما تراه بقبب المسجد وجدره وأساطينه من الآيات والقصائد وأسماء النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد بلغت نفقات هذه العمارة ثلاثة أرباع مليون من الجنيهات المجيدية جزى الله مسديها جزاء وفاقا .

محاريب المسجد النبوى — به الآن ستة محاريب : (١) المحراب النبوى بالروضة على يسار المنبر ولم يكن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم محراب مجوّف وإنما كان يصلى بهذا المكان أو قريبا منه ، وأول من أحدث المحراب المجوّف عمر ابن عبد العزيز والى المدينة فى خلافة الوليد ، وإنا لنشك فى صحة تلك النسبة اليه فان عمر أرعى الناس لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن تجويف المحراب سنة نصرانية فكيف يُسْتَنّ عمر بسنة النصارى (١) ، وكان موضع هذا المحراب صندوق به

(١) قد عثرنا على رسالة فى دار الكتب السلطانية ألفها السيوطى بين فيها بدعة المحاريب المجوفة وأقام الدليل على ذلك من السنة متكلما على أسانيد الأحاديث سندا سندا ، وقد نقلنا هذه الرسالة فى عصر الأحد ٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هـ (١٦ ديسمبر سنة ١٩١٧ م) وأولها الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى « وبعد » فهذا جزء سميته إعلام الأديب بحدوث بدعة المحاريب لأن قوما خفى عليهم كون المحراب فى المساجد بدعة ، وظنوا أنه كان فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى زمنه ولم يكن فى زمنه قط محراب ولا فى زمن الخلفاء الأربعة فما بعدهم الى آخر المائة الأولى وإنما حدث فى أول المائة الثانية مع ورود الحديث =

الروضة الشريفة وفيها الشيخ محمد سالم طومر والدكتور ابراهيم بك سليمان



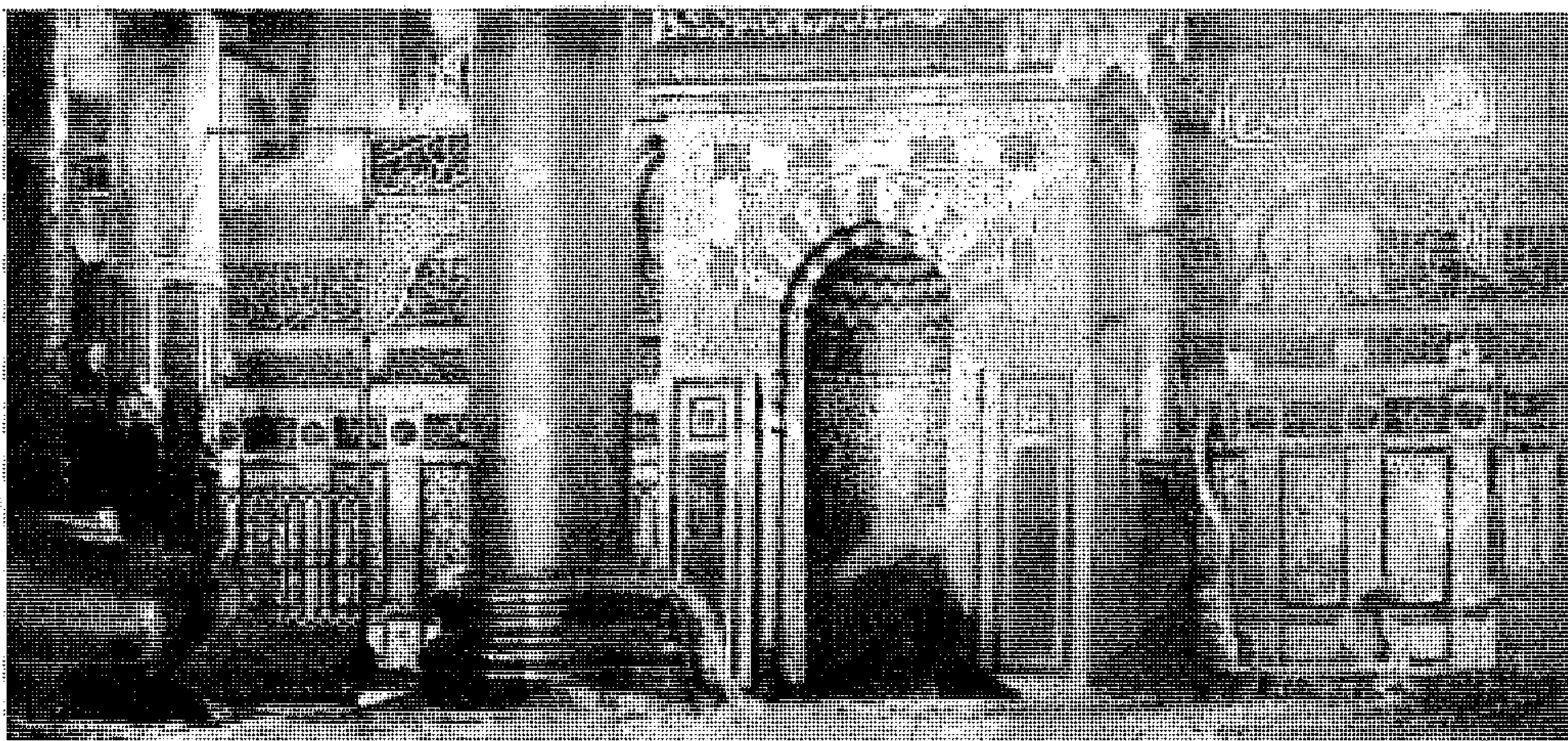
حقوق الطبع والتصوير محفوظة للواء ابراهيم رفعت باشا

184. The Holy Niche in the Prophet's Mosque at Medina.

المحراب الشريف بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة

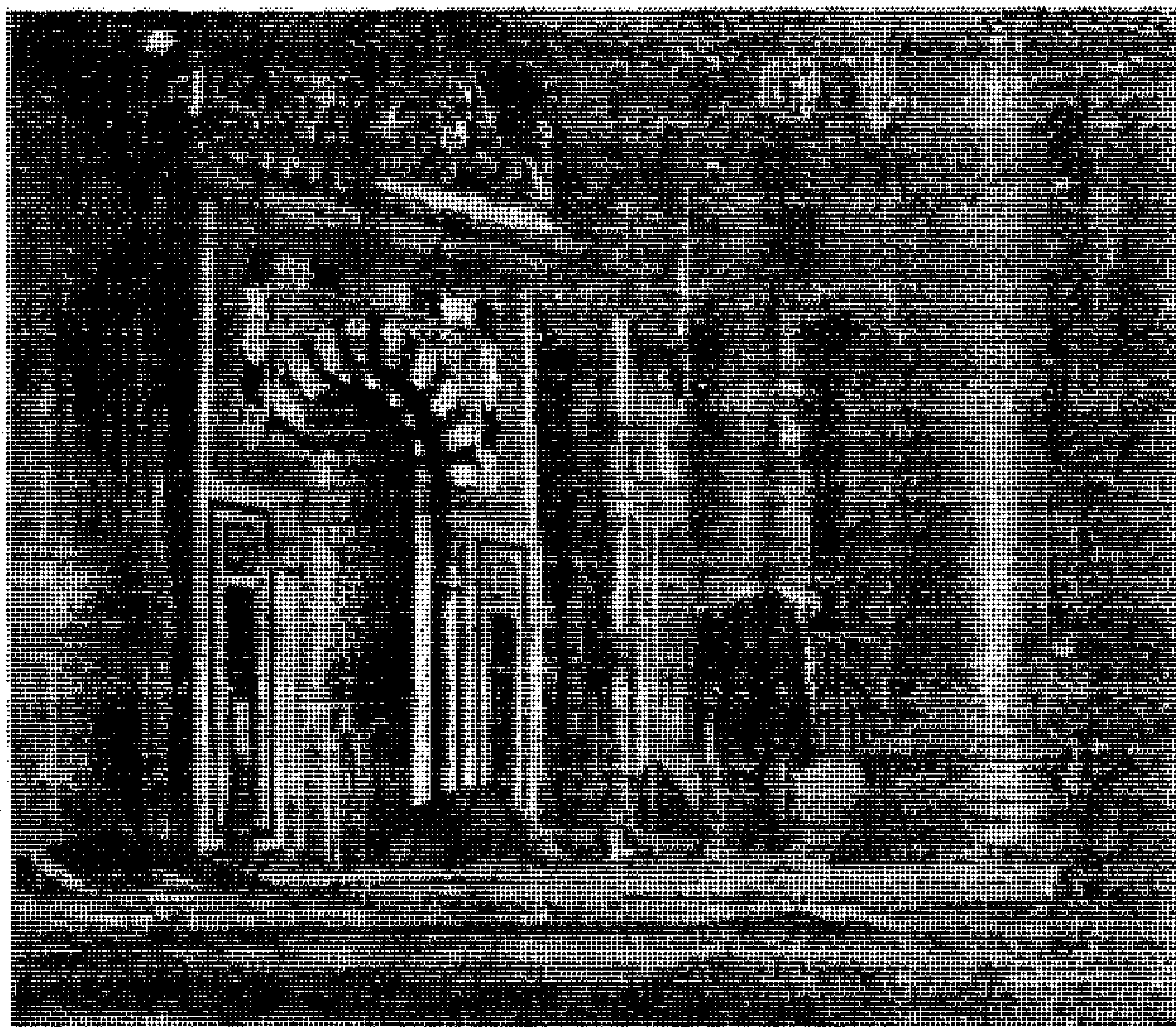
المحراب العثماني بالمسجد النبوي

(عثمان بن عفان)



185. A view ot the Kibla of Osman Ibn Affan in the Mosque of Medina.

المحراب السليماني بالمسجد النبوي



186. A view of the Soliman Place of Prayer in the Mohammedan Mosque.

مصحف كبير أرسله الحجاج بن يوسف الى المدينة المنورة حين أرسل الى أمهات القرى بمصاحف ، أنظر فى (الرسم ١٨٤) شكل المحراب النبوى وبالرسم الطبيب ابراهيم سليمان والشيخ محمد سالم طموم نجل صهرنا وعبد اللطيف أغا خادم الحجرة والشيخ يوسف المرجاوى إمام المحمل؛ (٢) المحراب العثمانى فى حائط المسجد القبلى وهو محدث فى مصلى عثمان بالناس وكان حول المصلى مقصورة من لبن اتخذها عثمان لما طعن عمر يتقى بها الأشرار — وقد ذكرنا ذلك قبلا وترى هذا المحراب فى (الرسم ١٨٥)؛ (٣) المحراب الحنفى ويعرف اليوم بالمحراب السليمانى وهو غربى المنبر على حدّ المسجد القديم من جهة القبلة وقد بناه « طوغان شيخ » بعد سنة ٨٦٠ هـ . وكان الناس من عهد الرسول يصلون الى إمام واحد يقف بالمحراب النبوى وفى أيام الموسم يقف بالمحراب العثمانى من الزحام فأراد طوغان أن يصلى بالحنفية إمام لهم بالمحراب الذى أحدثه ، فقام المصلحون الواقفون عند السنة فى وجهه فما كان منه

= بالنهى عن اتخاذه وأنه من شأن الكنائس وأن اتخاذه فى المساجد من أشراط الساعة ، ثم ذكر المؤلف ما أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى من أن أوّل من أحدث المحراب المجوّف عمر بن عبد العزيز وما أخرجه أيضا عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا هذه المذابح يعنى المحاريب ، وتكلم على رجال هذا الحديث وبين أنه حديث ثابت ثم ذكر ما رواه البزار فى مسنده عن عبد الله بن مسعود أنه كره الصلاة فى المحراب وقال : إنما كانت للكنائس فلا تشبهوا بأهل الكتاب يعنى أنه كره الصلاة فى الطاق وذكر حديثا مرسلا رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه عن موسى الجهنى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال هذه الأمة أو قال أمتى بخير ما لم يتخذوا فى مساجدهم مذابح كمذابح النصارى ثم ذكر ما رواه ابن أبى شيبة أيضا عن أبى ذر أنه قال : إن من أشراط الساعة أن تتخذ المذابح فى المساجد ، وروى أيضا عن عبيد ابن أبى الجعد قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون : إن من أشراط الساعة أن تتخذ المذابح فى المساجد يعنى الطاقات ، وذكر أيضا ما رواه عبد الرزاق فى مصنفه عن كعب قال : يكون فى آخر الزمان قوم يزينون مساجدهم ويتخذون بها مذابح كمذابح النصارى فاذا فعلوا ذلك صب عليهم البلاء ، وذكر بعد ذلك حديث الطبرانى فى الأوسط عن جابر بن أسامة الجهنى قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه بالسوق فقلت : أين تريد يارسول الله ؟ قال : نريد أن نخط لقومك مسجدا فأتيت وقد خط لهم مسجدا وغرز فى قبلته خشبة فأقامها قبلة ، وفى آخر الرسالة أنها تمت على يد مصطفى چربجى بن أيوب چربجى الشافعى وأن ذلك فى يوم السبت ٣ ذى الحجة سنة ١٢٨١ هـ فى الساعة ١١ والدقيقة ٤٥

إلا أن سعى فى الدولة المصرية حتى أجازت له ما رغب فيـه، فكان يصلى بالحنفية إمام لهم بالمحراب البدعى بعد صلاة الناس وراء إمام شافعى يقف بالمحراب النبوى وكانا يصليان التراويح معا، وآستمر الأمر على ذلك الى سنة ١٢٢٩ هـ . أيام السلطان محمود فسعى محمد على باشا الذى قدم الى المدينة زائرا بعد فتنة الوهابية — لدى الدولة فى تقـديم إمام الحنفية على إمام الشافعية فقسم الأمر بينهما وصار كل منهما يصلى يوما وليلة فى المحراب النبوى ويوما وليلة فى محراب الحنفية ولا يتقدّم إمام الشافعية إلا فى صلاة الصبح ويصـلى إمامهم بالمحراب النبوى فى أيام المواسم بعد انصراف إمام الحنفيـة من المحراب العثمانى — شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وفرّقوا جماعات المسلمين فى عبادة توحد بين القلوب فاللهم اهدنا صراطك المستقيم . وقد رخم هذا المحراب بالرخام الأبيض والأسود السلطان سليمان سنة ٩٣٨ هـ . ولهـذا سمى بالمحراب السليمانى ومكتوب على هذا المحراب بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ نرى تَقلُّبَ وَجْهِـكَ فى السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْـجِدِ الحرامِ وحيثما كنتم فَوَلُّوا وُجوهَكُم شَطْرَهُ ﴾ . ﴿ قُلْ صدق الله فاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبْراهِيمَ حَنِيفًا وما كانَ مِنَ المشركينَ ﴾ الخ صدق الله العظيم وصدق نبيه الكريم ﴿ التائبونَ العابدونَ الحامدُون السائحونَ الراكعونَ السـاجدونَ الآمرونَ بالمعروف والناهونَ عنِ المنكَرِ والحافظون لحدودِ اللهِ وبَشِّرِ المؤمنينَ ﴾ صدق الله العظيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله، أنظر المحراب فى (الرسم ١٨٦) وتجد به « الملك الحق المبين » وامرأة ساجدة أمامه؛ (٤) محراب التهجد وهو خلف حجرة فاطمة خارج المقصورة الدائرة عليها، وعلى الحجرة الشريفة من جهة الشمال ويقال إنه فى متهجد رسول الله صلى الله عليـه وسلم، والمعروف أن تهجده فى غير قيام رمضان كان ببيته، وقد جدّد هـذا المحراب فى عمارة السلطان عبد المجيد وكتب فيه ﴿ ومِنَ الليلِ فتهجَّد بهِ نَافلةً لكَ عسَى أن يبعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا محمودًا ﴾؛ (٥) محراب فاطمة جنوبى محراب التهجد داخل المقصورة مبنى على الأسطوانة الملاصقة للصندوق المقـام على قبر فاطمة المزعوم؛

(٦) المحراب الذى شمالى دكة الأغوات أو مسطبتهم وهو محـدث فى العمارة الأخيرة وكان فى موضعه مصلى مشايخ الحرم فى الأعصر الخالية ويصلى به الآن شيخ الحرم صلاة التراويح .

المنـــبر النبوى — كان صلى الله عليه وسلم يخطب غير مستند الى شىء ثم خطب الى جذع يعتمد عليه اذا طال قيامه ثم بدا له أن يتخذ منبرا فاتخذه من الطَّرْفاء (الأثل) ذا درجات ثلاث وكان يقف على الثالثة ، فلما خطب أبو بكر نزل درجة ثم عمر درجة ثم على درجة يكبر كُلٌّ سلفه ، وقام عثمان على الدرجة السفلى ست سنين ثم رقِى حيث كان يرقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فٱنتقده الصحابة وهو أوّل من كسا المنبر ثيابا قبطية ، ولمـا قدم معاوية الى المدينـة عام حج حرك المِنبر وأراد أن يخرجه الى الشام فكسفت الشمس يومئذ حتى رؤيت النجوم ، فٱعتذر معاوية الى الناس وقال : أردت أنظر الى ماتحته وخشيت عليه من الأرضة ، وزاد فيه مروان عامله على المدينة ست درجات من أسفله وقال : إنما زدت فيه لمـا كثر الناس فصار المنبر تسع درجات بالمجلس ، وكان الخلفاء يقفون على السابعة وهى الأولى من المنبر النبوى ، واستمرّ المنبر على هـذا حتى احترق المسجد سنة ٦٥٤ هـ . فاحترق ثم جدّد المظفر صاحب اليمن منبرا له رمانتان من الصندل وضع موضع الأوّل سنة ٦٥٦ هـ . ثم غير بمنبر أرسله الظاهر بيبرس ، ثم غير هذا بمنبر للظاهر برقوق أرسله سنة ٧٩٧ هـ . ثم استبدل الأخير بمنبر أرسله المؤيد سنة ٨٢٠ هـ . وقد احترق سنة ٨٨٦ هـ . فأقام أهل المدينة منبرا من الآجر المطلى بالنورة غير بمنبر من الرخام بعث به الأشرف قايتباى سنة ٨٨٨ هـ . ثم نقل هذا الى مسجد قباء ووضع مكانه منبر من الرخام أرسله السلطان مراد سنة ٩٩٨ هـ . ولايزال الى يومنا هذا ، ولهذا المنبر آثنتا عشرة درجة ثلاث منها خارج بابه وتسع منها داخله وهو من عجائب الدنيا لا يوجد له مثيل ، هذا وقد روى بضعة عشر رجلا من الصحابة أن الجذع الذى كان يخطب اليه صلى الله عليه وسـلم حن إليه لمـا فارقه وأن رسول الله صلى الله عليـه وسلم وضع يده عليه فسكن ، والراجح أن ذلك الجذع مدفون بين المنبر ومصلى النبى صلى الله عليه وسلم .

ومكتوب على المنبر بأعلى بابه الأبيات الآتية :

أرسل السلطان مراد بن سليم * مستزيدا خير زاد للمعاد
دام فى أوج[1] العلا سلطانه * آمنا فى ظله خير البلاد
نحو روض المصطفى صلى عليه * ربنا الهادى به كل العباد
منبرا قد أسست أركانه * بالهدى واليمن من صدق الفؤاد
منبرا يعلى الهدى إعلاؤه * دام منصوبا لأصحاب الرشاد
قال سعد ملهما تاريخه * عمر منبرا سلطان مراد

سنة ٩٩٨ هـ

انظر شكل الخطيب يوم الجمعة فى (الرسم ٣٢٦) لابسا عمامة تسمى الكودبان[2]

حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصورة — كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فى الجنوب الشرقى للمسجد يعرف ببيت عائشة وكان جنوبيه بيت حفصة يفصله عنه طريق ضيق وكانت بقية البيوت التى يسكنها أزواجه التسع جنوبى المسجد الى محاذاة محرابه الآن وشرقيه الى ما بعد باب النساء وفى شماليه الى ما يحاذى منبره صلى الله عليه وسلم بين باب الرحمة وباب النساء ولم يكن ملاصقا للمسجد منها إلا بيت عائشة رضى الله عنها ، وكان له بابان : أحدهما غربى داخل المسجد ، والآخر شمالى وقيل غير ذلك ، وكان فى كل بيت من بيوت أزواجه حجرة مبنية بالجريد عليه أكسية الشعر أما البيوت فكانت من اللَّبِن والجريد ولم تكن السقوف مرتفعة بل كانت قصيرة تنال باليد ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ . دفن بحجرة السيدة عائشة رأسه الى الغرب ووجهه الشريف نحو القبلة ، ولما توفى أبو بكر فى ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ . دفن الى جانبه من جهة الشمال رأسه خلف منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما طعن عمر استأذن عائشة أن يدفن مع صاحبيه فأذنت له ، فلما توفى فى ٢٧ ذى الحجة سنة ٣٢ هـ . دفن فى جوارهما شمالى أبى بكر رأسه عند منكبه وبذلك

(١) الأوج : ضد الهبوط . (٢) كهيئة عمامة الخلفاء العباسيين وملوك آل عثمان .

كان بيت عائشة قسمين قسم به القبور وقسم كانت تسكنه وبينهما حائط، وكانت تدخل أحيانا حيث القبر سافرة فلما دفن عمر لم تدخله إلا مقنّعة محافظة على الحجاب فى الحياة وفى الممات فلله هذه الآداب وتلك الأخلاق .

وقد أعيد بناء الحجرة باللبن فى عهد عمر رضى الله عنه ولما كانت خلافة الوليد ابن عبد الملك أدخل عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بيوت الأزواج فى المسجد وأقام بناء حول الحجرة التى بها القبور جعله مخمسا ولم يجعله مربعا خشية أن يستقبله الناس كما يستقبلون الكعبة، وقد ذرع السمهودى الحجرة الداخلية فاذا بضلعها الجنوبية من الداخل عشرة أذرع وثلثا ذراع، وضلعها الشمالية أحد عشر ذراعا و $\frac{5}{12}$ من الذراع، وطول كل من الضلعين الشرقية والغربية $7\frac{5}{8}$ أذرع — الذراع ٤٩ سنتيا — وارتفاع الحجرة ١٥ ذراعا، وطول الضلع الجنوبية من الدائر المخمس ١٥ ذراعا إلا قليلا، وطول الشرقية منه ½ ١٢ ذراعا وطول الغربية ½ ١٦، وطول الضلعين الشرقية والشمالية ½ ١٢، وطول الغربية الشمالية ١٤ ذراعا، وارتفاع الدائر المخمس من أرض المسجد ثلاثة عشر ذراعا وثلث، وبين جدر الحجرة والدائر المخمس فضاء واسع من جهة الشمال ونحو ذراع من جهة الشرق والجنوب ولكنه يضيق الى شبر تجاه وجهه صلى الله عليه وسلم، أما الجداران الغربيان فليس بينهما فضاء ولم يتغير هذا الوضع الى يومنا هذا .

وكانت الحجرة مسقوفة بالخشب سمر بعضه فوق بعض وجعل عليه ثوب مشمع ثم أقام عليها أحمد بن البرهان عبد القوى ناظر قوص وقيل الملك المنصور قلاوون سنة ٦٧٨ هـ . قبة مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها صنعت من خشب أقيم على رءوس الأساطين المحيطة بالحجرة وسقفت بألواح منه فوقها ألواح الرصاص منعا للمطر أن ينزل داخل الحجرة، وهذه القبة مبدؤها من سقف المسجد وهو مواز لسقف حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذى وصفناه والذى احترق فى حريق المسجد الأول سنة ٦٥٤ هـ . وقد جدّد القبة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . وجدّد ألواح الرصاص الأشرف شعبان سنة ٧٦٥ هـ . وكذلك

الظاهر جقمق ولما احترق المسجد للمرّة الثانية جدّد الأشرف قايتباى سنة ٨٨٦ ﻫ . القبة وجعلها على حائط الحجرة وبناها بالحجر الأسود المنحوت وكملها بالحجر الأبيض وكانت قبل من الخشب ، وبلغ ارتفاعها من أرض الحجرة الى مرتكز هلالها ثمانية عشر ذراعا وربعا ، وهذه القبة لا يراها الآن من بأرض المسجد لأن الدائر المخمس الذى تسدل عليه الكسوة يمنع من رؤيتها ، وقد بنى قايتباى فوق هذه القبة قبة أخرى عظيمة اتخذ لها دعائم وأساطين حول الدائر المخمس ، ولم يكد يتم بناؤها حتى تشققت أعاليها فأعيد بناؤها محكما بعد أن أخذ لها الجبس الأبيض من مصر وكان ذلك سنة ٨٩٢ ﻫ . وهذه القبة مزينة بالنقوش الجميلة وفيها طراز كتب فى جهته الغربية : أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير قايتباى ، وفيها من الشبابيك والطاقات ست وسبعون ، وقد حدث بها شقوق فى زمن السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد فأمر بتجديدها فهدم أعاليها وأعيد بناؤها متقنا وذلك سنة ١٢٣٣ ﻫ . ثم أمر بصبغها فصبغت باللون الأخضر وكان لونها قبل أزرق لون الرصاص الذى عليها ثم صارت تصبغ باللون نفسه كلما خف سابقه من تأثير الشمس .

وقد حفر حول الحجرة خندق عميق صب فيه الرصاص حتى لا يستطيع أحد أن يصل الى جثة النبى صلى الله عليه وسلم كما حاول ذلك بعض النصارى سنة ٥٥٧ ﻫ . فى زمن الملك العادل نور الدين الشهيد ولما فطن لذلك أمر بهذا الحاجز الرصاصى .

وكان فى الجدار القبلى من الخارج تجاه رأسه صلى الله عليه وسلم مسمار من فضة وضع علامة على الرأس فعوض ذلك بقطعة من الألماس أقل من بيضة الحمام وتحتها قطعة أخرى أكبر منها وكلتاهما مشدود بالذهب والفضة ويطلق عليهما الكوكب الدرّى وقد أهداها الى الحجرة السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان ، والقطعة الكبيرة تساوى ٨٠٠٠٠ دينار ، وتحت هاتين القطعتين حجر من الألماس مرصع بالجواهر الكريمة المشدودة عليه بالذهب والفضة أهداه السلطان مراد بن السلطان أحمد خان

قسم من الروضة النبوية والحجرة الشريفة من جهة الغرب بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة



188. Section of the Prophet's Rawdah (Sacred burial place) and the Holy Sepulchre as seen from the West in the Prophet's Mosque at Medina.

سنة ١٠٤٧ هـ . وفى سنة ١١٥٤ هـ . أرسلت جواهر أخرى مما غنمها المسلمون من فتح بلغراد فوضعت تحت الأحجار السابقة، وفى سنة ١٢٩١ هـ . أهدت الملكة العادلة أخت السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود صفيحة من الذهب طولها ثلاثة أرباع الذراع فى عرض أربعة أصابع كتب فيها بخط جميل : لا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك بأحرف ذهبية مثبتة فى الصفيحة مرصعة بالألماس البرلنتى ولها سلسلة ذهبية علقت بها فوق الكوكب الدرّى ومكتوب على الحجرة فى جهاتها المختلفة شعر ركيك أبى قلمى أن يخط منه إلا هذين البيتين

إنى توسلت بالمختار أشرف من * رقى السماوات به الواحد الأحد

رب الجمال تعالى الله خالقه * فمثله فى جميع الخلق لم أجد

(أنظر الرسم ١٨٠) ففيه الجهة الغربية الشمالية من الحجرة وبه النجفة الكبيرة وشباك حديدى بالحجرة من جهة الغرب وهو مسبوك بالرصاص، وفى (الرسم ١٨٨) الحجرة من الجهة الغربية القبلية وظاهر بوسط الرسم باب الوفود ويسمى باب التوبة وستائر الحرير الخضر، وترى بجوار الباب شباكا فى الحظيرة النحاسية بجواره شخص يقرأ فى كتاب فشخص آخر، وكذلك ترى فى وسطه «كلوبا» للإضاءة كالذى نراه بمصر ولكن بدل بذلك مصابيح كهربائية، وهذه الأعمدة التى تراها فى الروضة بينها عوارض خشبية دقت فيها مسامير لمنع العصافير أن تقف عليها حتى لا يلوث المسجد .

وحول الدائر المخمس وقبر فاطمة المزعوم سور نحاسى مستطيل يطلق على ما بداخله المقصورة، وأوّل من أحدث هذا السور الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨ هـ . وكان من خشب وكان ارتفاعه نحو القامتين فزاد فى طوله الملك العادل «كتبغا» حتى وصله بسقف المسجد ثم جعل فى سنة ٨٨٠ هـ . من الشبابك النحاسية وجعل متصلا بالعقود التى حول الحجرة وجعل سور نحاسى مشبك يفصل حجرة فاطمة أو قبرها المزعوم

عن الدائر المخمس وما يليه — وكل هذا فى زمن قايتباى[1] — فصار لفاطمة مقصورة مستقلة ولكنها تتصل بالمقصورة الكبيرة ببابين، والحجرة تطلق فى عرف أهل المدينة على المقصورة وأبوابها تسمى أبواب الحجرة الخ، وللمقصورة ستة أبواب : باب قبلى يسمى باب التوبة، وباب شرقى يسمى باب فاطمة، وباب غربى يطلق عليه باب الوفود، وباب شامى يسمى باب التهجد، وبابان على يمين المثلث ويساره داخل المقصورة، وأوّل من كسا الدائر المخمس الخَيْزُران أم هارون الرشيد كسته من الزنانير وشبائك الحرير ثم ابن أبى الهيجاء وزير ملك مصر كساها الديباج الأبيض عليه الطرز والجامات المرقومة، وجعل عليه زنارا من الحرير الأحمر كتبت فيه سورة يس ثم أرسل المستضىء بعد ذلك بسنتين كسوة من الديباج البنفسجى المطرز عليها اسمه وضعت مكان الأولى، ثم كساه الديباج الأسود الخليفة الناصر ثم صارت ترسل الكسوة من مصر كل ٦ سنين من الديباج الأسود المرقوم بالحرير الأبيض وعليها طراز منسوج بالذهب والفضة ثم ملوك آل عثمان من بعد ذلك، وكلما وردت كسوة جديدة قسمت القديمة، وقد تقدم ذكر الستائر التى للأبواب والمحاريب وغيرها ويقال أن أوّل من جعل الستائر على الأبواب زياد بن عبيد الله الحارثى سنة ١٣٨ هـ . أنظر قطعة من كسوة الدائر المخمس فى (الرسم ١٨٧) .

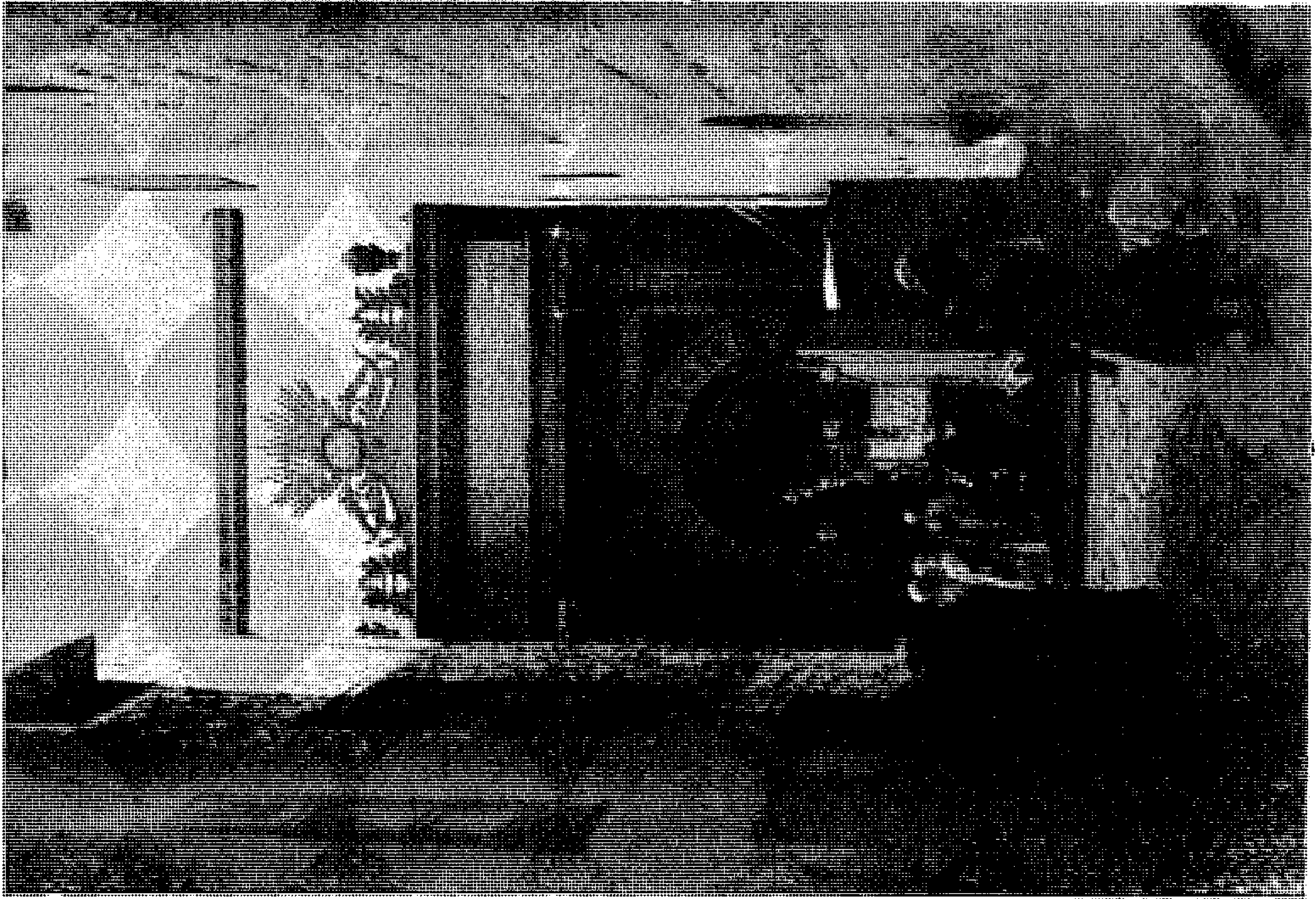
أبواب المسجد — ذكرنا فيما سلف أثناء الكلام على عمارة المسجد نبذا تتعلق بالأبواب ونقول هنا إن الأبواب التى كانت بالمسجد بعد زيادة المهدى أربعة وعشرون بابا بخوخة أبى بكر رضى الله عنه أربعة فى القبلة خاصة غير عامة وعشرون عامة، ثمانية فى المشرق وثمانية فى المغرب، منها خوخة الصديق وكانت شارعة فى الرحبة وأربعة فى الجهة الشامية، وقد سدت هذه الأبواب أثناء العمارات

(١) وقد جاء فى الجزء الثانى من تاريخ ابن أياس (ص ٢٢٠ و ٢٣٢) أن قايتباى أرسل هذه الشبابك النحاسية مع المحمل فى شوّال سنة ٨٨٨ هـ . وأن زنتها ٤٠٠ قنطار حملها إلى المدينة ٧٠ جملا وأرسل معها مصحفا كبيرا نادر المثال حمل على جمل بمفرده، وهذا المصحف بخط شاهين النورى الذى مات ولم يتمه فأتمه الشيخ خطاب بأمر السلطان .

منظر كسوة الحجرة النبوية الشريفة من الداخل



187. Cover of the Prophet's Sepulchre as seen from inside.

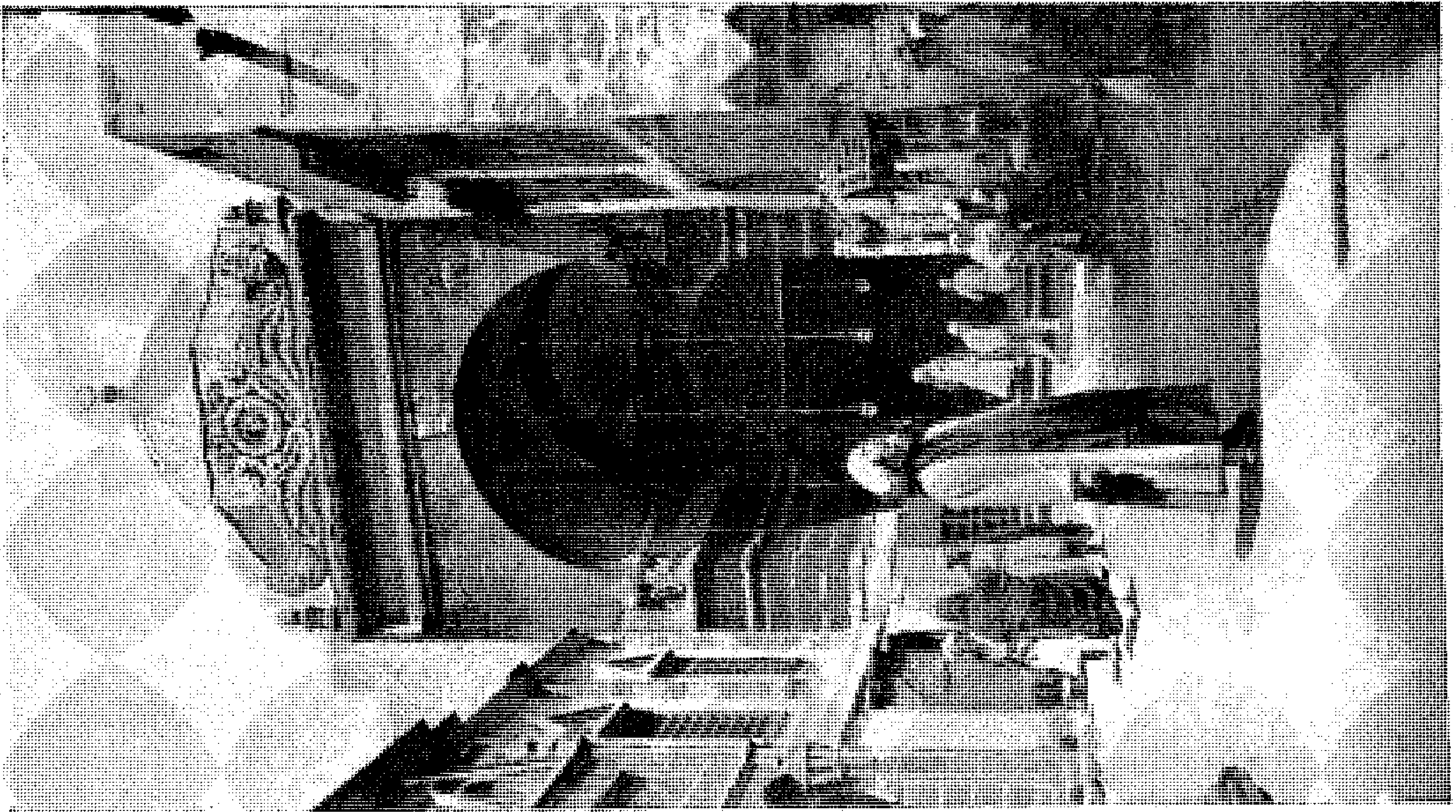


باب الرحمة بالحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة

189. The door of Mercy in the Prophet's Mosque at Medina.

صحيفة ٤٧٧

باب السلام في المسجد النبوي بالمدينة المنورة



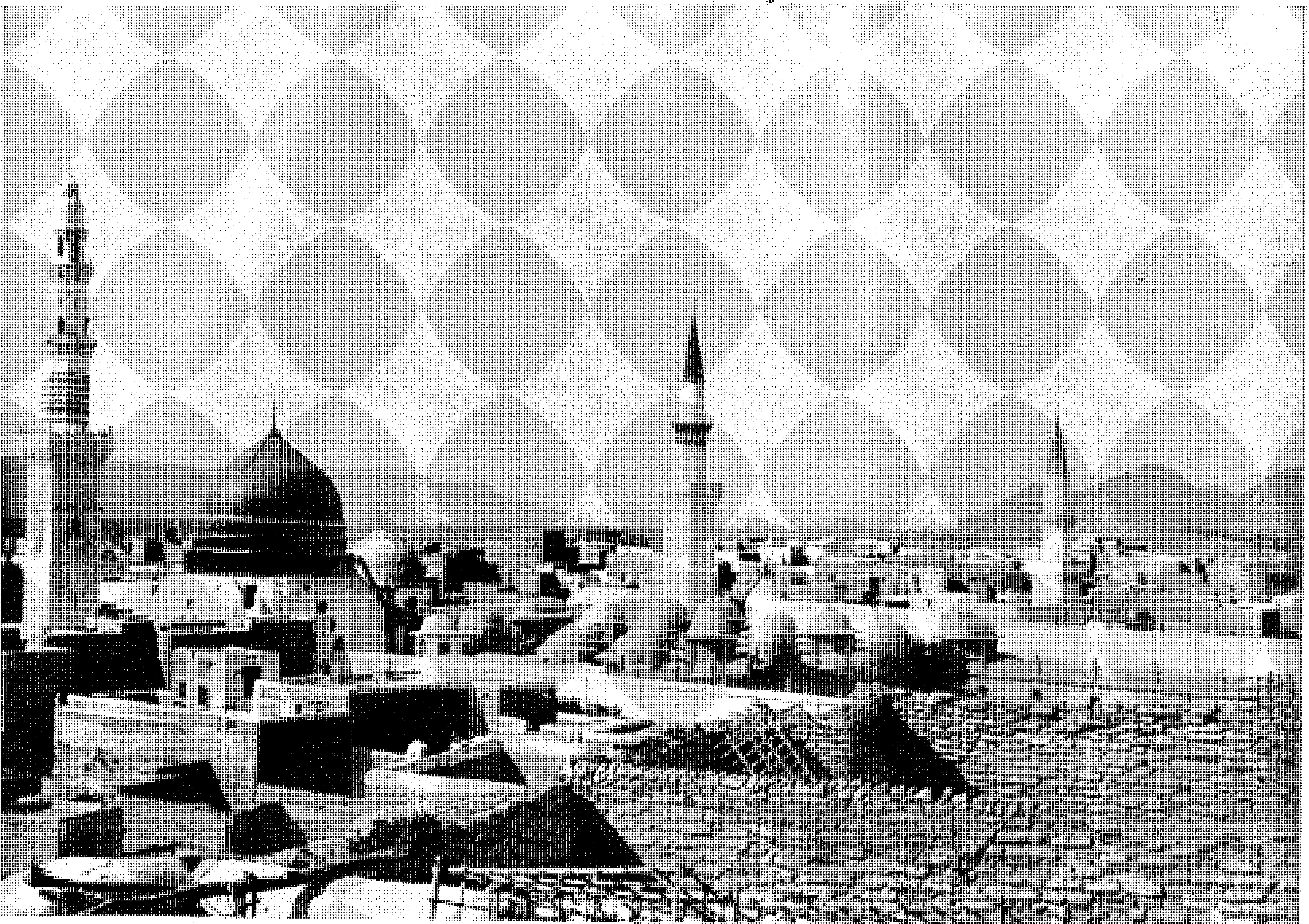
190. The door of El Salam in the Prophet's Mosque at Medina.

المختلفة ولم يبق منها إلا الأربعة التى فى شرق المسجد وغربه، أما الذى فى الشمال فأحدث فى عمارة السلطان عبد المجيد كما قدمنا بجملة الأبواب خمسة. (١) باب السلام فى المغرب وكان يعرف بباب مروان لملاصقته لداره التى كانت فى قبلة المسجد مما يلى الباب المذكور، وفى موضع تلك الدار ميضأة أنشأها المنصور قلاوون سنة ٦٨٦هـ. ثم أبدل بها أخيرا مدرسة السلطان بشير أغا ، ونقلت الميضأة الى غربى المسجد مقابل رأس الزقاق المعروف بزقاق الزرندى على يمينك وأنت ذاهب الى الباب المصرى، والزوّار يدخلون فى الأكثر من هذا الباب لكون طريقه أخصر الطرق من باب المدينة، ومكتوب على هذا الباب ﴿ إن المتقينَ فى جَنَّاتٍ وعُيونٍ أُدخُلوها بسَلامٍ آمنينَ ﴾ وذلك بالنحاس الأصفر، وعليه من الخارج الكتابة الآتية : فداك أبى وأمى يارسول الله اللهم أيد بالنصر والعز السلطان عبد العزيز خان بن السلطان عبد المجيد خان — الى أن يصل بالنسب الى رأس الأسرة العثمانية السلطان عثمان خان — أيد الله ملكه الى آخر الزمان ونهاية الدوران أنظر (الرسم ١٩٠)؛ (٢) باب الرحمة فى الغرب أيضا وكان يعرف ببيت عاتكة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية لمقابلته لدارها وبباب السوق لأن السوق أوّلا كان فى هذه الجهة أما الآن فجهة باب السلام ويقال أن سبب تسميته بباب الرحمة أن أعرابيا دخل منه يوم جمعة فطلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يستمطر فدعا فمطروا سبعا حتى روى الناس والزرع، ثم دخل منه فى الجمعة التالية فطلب من الرسول أن يدعو برفع المطر خوفا على الأبنية وخشية الغرق فانقشعت السحب عن المدينة ، وهذه القصة فى صحيح البخارى ومكتوب على هذا الباب من الخارج قوله تعالى ﴿ قُلْ يا عِبادىَ الذين أَسرفوا على أنفُسِهم لا تَقْنَطُوا من رحمة الله إن اللهَ يغفر الذنوبَ جميعا إنه هو الغفورُ الرحيمُ ﴾ ومن الداخل قوله ﴿ وإذا جاءَكَ الذينَ يُؤْمنونَ بآياتنا فَقُل سَلامٌ عليكم كتب ربُّكم عَلَى نفسِهِ الرحمةَ ﴾ أنظر (الرسم ١٨٩) وقد جرت سنة أهل المدينة بإدخال جنائزهم من هذا الباب تفاؤلا بأن الله يرحم موتاهم، وخارج هذا الباب صنابير — حنفيات — للوضوء كتب على بنائها ما يأتى :

أعظم بخير خليفة سلطاننا * عبد المجيد المجد ذى الأمر الرشد
المغدق الحرمين جارى فضله * من فيض عين خزائن دوما يمد
من هذه بعض أوقاف له * تجرى معينا بالظهور لمن ورد
تاريخها بحريم أرفع مسجد * حنفية يبقى بها النفع الأبد
سنة ١٢٦١

وبين باب الرحمة وباب السلام حجرة يعرف بابها بخوخة أبى بكر رضى الله عنه وهى فى محاذاة خوخة أبى بكر التى كانت بالجدار الغربى بالمسجد الأصلى، وكان بينهما أيضا دار القضاء التى كانت لعمر بن الخطاب وأوصى أن تباع فى دينه فبيعت من معاوية فسميت دار قضاء الدين، وقد هدمها زياد بن عبيد الله الحارثى فى ولايته سنة ١٨٨ هـ . وجعلها رحبة للمسجد ثم بنى فى مكانها الحصن الذى كان ينزله أمراء المدينة ثم صارت رباطا لغياث الدين سلطان بنجاله سنة ٨١٤ هـ . ثم دخلت فى رباط ومدرسة الأشرف قايتباى اللذين بناهما سنة ٨٨٨ هـ . ثم صارت المدرسة محكمة ينزل بها قضاة المدينة، ولما انتقلوا إلى المحكمة التى بالساحة تخربت المدرسة فأقام السلطان عبد المجيد على أنقاضها مدرسته التى بها المكتبة العظيمة وبنى بجوارها دارا لناظر المدرسة سنة ١٢٣٧ هـ . ثم جددهما السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٧ هـ؛ (٣) الباب المجيدى أو باب التوسل فى شمالى المسجد وهو من إنشاء السلطان عبد المجيد سنة ١٢٦٧ هـ . وعلى يسار هذا الباب وتجاهه مكانان للوضوء بالثانى منهما بيوت أدب؛ (٤) باب النساء فى الجهة الشرقية وهو من محدثات عمر رضى الله عنه سمى بذلك لأن عمر قال حين بناه : لو تركناه للنساء، وكان فى مقابلة هذا الباب دار رَيْطَة ابنة السفاح العباسى، وفى شرقيها دار أبى بكر رضى الله عنه التى فى موضعها الآن زاوية الشيخ عبد القادر الجيلانى أو زاوية السمان ومكتوب على هذا الباب (الله ولى التوفيق) قال الله تبارك وتعالى جل وتقدس ﴿ وأَقِمْنَ الصَّلاةَ وآتينَ الزكاةَ — الآية — ﴾ صدق الله ربنا العظيم وصدق نبيه الكريم ﴿ واذْكُرْنَ ما يُتلى فى بيوتِكنَّ من آياتِ اللهِ والحكمةِ إن اللهَ كان لطيفا خَبيرا ﴾ ومكتوب على المصراع الأيمن (يا مفتح الأبواب) وعلى الأيسر (أفتح لنا خير باب) ثم عكس ذلك بالكتابة،

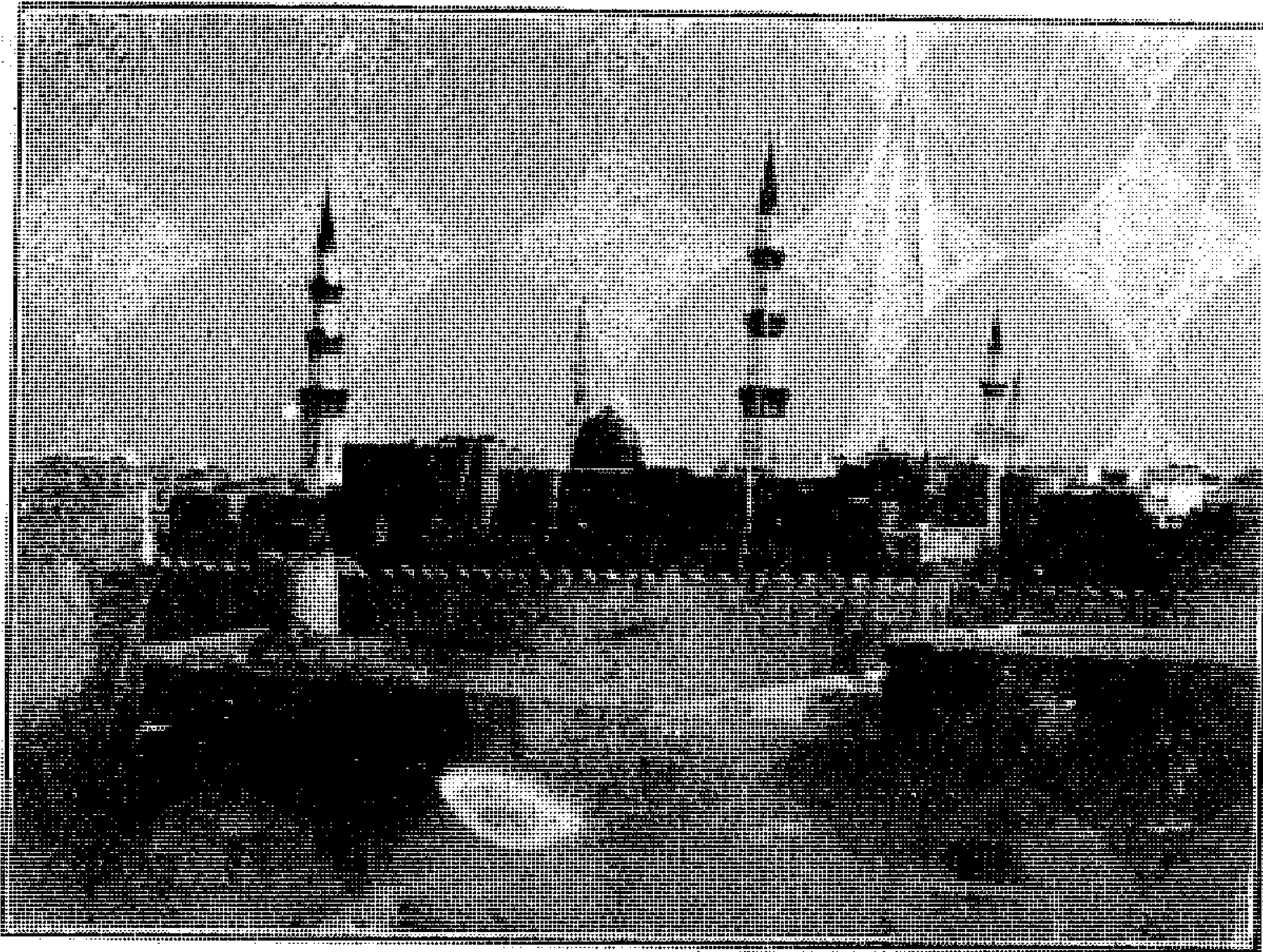
قبة النبي عليه الصلاة والسلام وأبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة في محرم سنة ١٣٢٦ هجرية



183. The view of the domes of Mohamed the Prophet, Abu Bakr and Omar at Nabi Mosque

صحيفة ٤٧٩

منایر المسجد النبوى وصور المدينة من الجهة الشرقية بالبقيع سنة ١٣٢١



191. The interior of the Mosque of Medina as seen from the North.

صحيفة ٤٨٥

قصر عبله فى طريق الوجه سنة ١٣٢٦



192. The Palace of Abla on the route from Al Wagh.

ومكتوب على هـذا الباب من الداخل فوق العقد ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وللنساءِ نصيبٌ مما اكْتَسَبْنَ واسألُوا اللهَ مِن فضلِهِ إن اللهَ كان بكُلِّ شيءٍ عليما ﴾ وتحت العقد فوق العتبة، قال الله تعالى فى كتابه الكريم ﴿ ومن يَقْنُتْ منكُنَّ لله ورسولِهِ وتَعْمَل صالحًا نؤتِهـا أجرَهَا مرَّتَيْنِ واعتدنا لها رزقًا كريمًا ﴾ ؛ (٥) باب جبريل فى الشرق جنوبى باب النسـاء ويعـرف قديمـا بباب عثمان لمقابلتـه دار آل عثمان وسمى بباب جبريل لأنه أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم عند هذا الباب وأمره أن يغزو بنى قريظة بعد انصرافه من غزوة الخندق .

ومكتوب على هـذا الباب البديع الصنع بالخط الثلث الجميـل ، قال الله العليم الخبير فى كتابه العزيز ﴿ فإنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وجبْرِيلُ وصالحُ المُؤْمنينَ والملائكةُ بعدَ ذلكَ ظَهيرٌ ﴾ صدق الله خالقنا رب العالمين ومكتوب على مصراعيه ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحةً لهُمُ الأبْوابُ ﴾ .

مآذن المسجد — لم يكن بالمسجد مآذن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده وإنمـا كان يؤذن على أسطوانة بدار عبد الله بن عمر التى تعرف الآن بدار العشرة وهى فى قبلة المسجد، وكان بلال يرقى اليها على سبعة أقتاب — القتب الإكاف على قدر سنام البعير — فلما كانت زيادة الوليد أحدث عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة أربع مآذن فى كل زاوية مئذنة ، وكانت المئذنة التى عند باب السلام مطلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن فأطل عليه فأمر بتلك المئذنة فهدمت إلى أن أعادها فى سنة ٧٠٦ هـ السلطان محمد بن قلاوون وقيل أعادها شـيخ الخدم شبل الدولة كافور المظفرى ، والمئذنة التى بباب الرحمة أنشأها قايتباى ، وكل المآذن حصل فيها تجديد وترميم إلا المئذنة المذكورة ، أنظر المآذن فى (الرسم ١٧١) الذى ترى فيه سور المدينـة من الجهة الشرقية ، وأنظر الرسمين (١٨٣ و ١٧٨) وقد سبق عد المآذن والكلام على عمارتها وترميمها فلا داعى للتكرار .

تجمـير المسجد — أول من جمره عمر بن الخطاب ثم تبعه الخلفاء الى يومنا هذا فيؤتى كل عام بمقدار من العود والعنبر وغيرهما من أنواع الطيب ويجمر به

المسجد ليلة الجمعة ويومها والحجرة كل ليلة ، وكانت المجمرة فى زمن عمر من فضة وقد أهدى الى المسجد كثير من المجامر الذهبية والفضية المرصعة بالجواهر الثمينة ، وأكثر المهدين من ملوك آل عثمان وقد جعلوا لمن يقوم بالتجمير كل شهر خمسمائة قرش رزقا معلوما كل شهر .

آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم — يحسن بنا فى هذا المقام أن نورد لك نبذة مما كتبه فى مناسك الحج شيخ الاسلام ابن تيمية عن الزيارة الشرعية والزيارة البدعية قال : وإذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فإنه يأتى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ويصلى فيه ، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، ولا تشد الرحال إلا إليه وإلى المسجد الحرام وإلى المسجد الأقصى هكذا ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وهو مروى من طرق أخر ، ومسجده كان أصغر مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيد فى جميع الأحكام ثم يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فإنه قال : ما من رجل يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحى حتى أرد عليه السلام — رواه أبو داود وغيره — وكان عبد الله بن عمر يقول إذا دخل المسجد : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف ، وهكذا كان الصحابة يسلمون عليه ويسلمون عليه مستقبلى الحجرة مستدبرى القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعى وأحمد . وأبو حنيفة قال : يستقبل القبلة فمن أصحابه من قال يستدبر الحجرة ومنهم من قال يجعلها عن يساره ، واتفقوا على أنه لا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا يصلى إليها وإذا قال فى سلامه : السلام عليك يا رسول الله يا نبى الله يا خيرة الله من خلقه يا أكرم الخلق على ربه يا إمام المتقين فهذا كله من صفاته بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إذا صلى عليه مع السلام فهذا مما أمر الله به ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة فإن هذا كله منهى عنه باتفاق الأئمة ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك ، ولا يقف عند القبر

للدعاء لنفسه فإن هذا بدعة لم يكن يفعلها الصحابة إنما كانوا يستقبلون القبلة ويدعون فى مسجده فإنه صلى الله عليه وسلم قال : اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد وقال : لا تجعلوا قبرى عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علىّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى وقال : أكثروا علىّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علىّ فقالوا : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ أى بليت قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فأخبر أنه يسمع الصلاة والسلام من القريب وأنه يبلغ ذلك من البعيد وقال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد — يحذر ما فعلوا — قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ولكنه كره أن يتخذ مسجدا — أخرجاه فى الصحيحين — فدفنته الصحابة من موضعه الذى مات فيه من حجرة عائشة، وكانت هى وسائر الحجر خارج المسجد من قبليه وشرقيه حتى أدخلها عمر بن عبد العزيز فى المسجد ومن ضمنها حجرة عائشة التى بناها منحرفة عن القبلة مسنمة لئلا يصلى أحد اليها فإنه قال صلى الله عليه وسلم : لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها . رواه مسلم عن أبى مرثد الغنوى .

وزيارة القبور على وجهين زيارة شرعية وزيارة بدعية ، فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له كما يقصد ذلك بالصلاة على جنازته ، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسنة أن يسلم على الميت ويدعو له سواء كان نبيا أو غير نبى كما كان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم، وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة أو غيرهم أو زار شهداء أحد وغيرهم ، وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم مستحبة عند أحد من أئمة المسلمين بل الصلاة فى المساجد التى ليس فيها قبر أحد من الأنبياء والصالحين وغيرهم أفضل من الصلاة فى المساجد التى فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين بل الصلاة فى المساجد التى على القبور إما محرمة وإما مكروهة .

والزيارة البدعية أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت أو بقصد الدعاء عند قبره أو بقصد الدعاء به فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا استحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها ، وقد كره مالك وغيره أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اللفظ لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بل الأحاديث المذكورة فى هذا الباب مثل قوله : من زارنى وزار أبى ابراهيم فى عام واحد ضمنت له على الله الجنة ، وقوله : من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن زارنى بعد مماتى حلت عليه شفاعتى ونحو ذلك كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة ليست فى شىء من دواوين الاسلام التى يعتمد عليها ولا نقلها إمام من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا نحوهم ولكن روى بعضها البزار والدارقطنى ونحوهما بأسانيد ضعيفة ، ومن عادة الدارقطنى وأمثاله أن يذكروا هذا فى السنن ليعرف وهو وغيره يبينون ضعف الضعيف من ذلك ، فإذا كانت هذه الأمور البدعية منهيا عنها عند قبره وهو أفضل الخلق فالنهى عن ذلك عند قبر غيره أولى وأحرى .

وإلى هنا تم الكلام على المدينة وحرمها ومسجدها وآثارها وآن أوان الرحيل الى ديارنا فلنسر على بركة الله تعالى .

السفر من المدينة

الاحتفال بالسفر من المدينة — جرت العادة أن يقيم ركب المحمل زينة قبل سفره بليلة وقد أقمنا هذه الزينة مساء يوم الأحد ٢٣ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . وقد هرع الأهالى والضباط والعساكر العثمانية لمشاهدتها ، وقد أحيينا هذه الليلة بتلاوة المولد النبوى ، والقائم بتلاوته جندى من الحرس يحسن إلقاءه ويجيد قراءة القرآن بصوت جميل ويعرف القراءات ، وقد اشتد الزحام حتى اضطررت لاستحضار جميع كراسى الأمير والأمين وفرشت جميع ما عندنا من السجادات و" الأكلمة " وشرفنا جمع من الأكابر من بينهم السيد على زين العابدين الحبشى العفيف القانع والتقى الزاهد وقد هاديته من ملبس كنت أحضرته معى من مصر وبزجاجتين

صغيرتين بهما روح النعناع والبرتقال ، وقدّمنا لكل من حضر الشربات والشاى ووزعنا عليهم قراطيس صغيرة فيها الملبس كعادة أهل المدينة والحجاز وآستمرت الحفلة إلى الساعة السادسة بعد الغروب .

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نذكر كلمة عن الزينة التى يقيمها ركب المحمل فى الجهات المختلفة فنقول : الزينة تصرف من نظارة الحربية بعد أن تكتب لها نظارة الداخلية وهذه تكاتب أمير الحج بتسلمها ، وهاك نص الكتاب الذى ورد للأمير فى حج سنة ١٣٢٥ هـ ، رقم ٢٥٠٥

أمير الحج المصرى « سعادتلو افندم » الأمل أن تأمروا حضرة « قومندان » الحرس بأن يتوجه لنظارة الحربية لمقابلة مدير المهمات لاستلام «الفشيك» (الأسهم النارية) اللازمة للعمل وقد أخطرنا نظارتى المالية والحربية بذلك .

١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧ م و ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ هـ

عن وكيل الداخلية موريس بونيتو
ختم

وهاك ما صرف من كل نوع لكل بلدة من البلاد الآتية :

	كبريس ٩ و ٣	فدبرة	حمامة	بوابة	جملة	فلام للنور	صاروخ هواء	طارة صاروخ
جدة	—	—	—	١	١	١	١٧	١
عرفات	—	١	١	١	٢	١	٢٠	٢
منى	١	١	١	١	٢	٢	٣٥	٢
مكة	١	١	١	١	١	١	١٣	١
ينبع — عمل بها زينة ولم تدرج	—	—	—	—	—	—	—	—
المدينة	٢	١	١	١	٣	٢	٤٥	٢
جبل الطور	—	—	—	—	١	١	٢٠	١
الجملة	٤	٤	٤	٥	١٠	٨	١٥٠	٩

المرحلة الأولى من المدينة إلى بئر سـيدنا عثمان — فى الساعة العاشرة العربيـة من يوم الاثنين ٢٤ المحرم سـنة ١٣١٩ هـ . تحرّك ركبنا من المدينة يبغى الأوبة بعد الجولة وقد وصلنا بئر رومة المعروف ببئر عثمان بعد ساعة ونصف من بدء السير وهى فى شمال المدينـة الغربى مبنية بالآجر والملاط (المونة) بناء متقنا وقطرها أربعة أمتار وعمقها أثنا عشر مترا وماؤها شديد العذوبة .

وبجوارها حجرة وحوض للميـاه ومصلى وفى جنوبها بمسيرة ١٥ دقيقة مسجد القبلتين الذى قدّمنا وصفه وقد وجدت فى حجـر بأعلاه (جدّده السلطان سليمان سـنة ٩٥٠ هـ) وهو مسجد صغير حوله مزارع فيها القثاء والخيار والبطيخ وغيرها وقد بتنا عند هـذه البئر والطريق من المدينة إليها سهل به من النبات أزواج شتى وفيـه بعض الجبال . وقد حضر إلى بئر عثمان مودعا رئيس خدم الحجـرة والمودعين والشيخ محمد الأديب وكيل فراشة الجناب العالى ومدرّس بالمسجد النبوى .

المرحلة الثانية من بئر رومة إلى بئر الظعينى — كنا عزمنا على السفر عند تمام الساعة الحادية عشرة من ليـلة الثلاثاء ٢٥ المحرم ولكنا انتظرنا سلطان المكلة والشحر ليرافق المحمل إلى الوجه وأرسلنا قسما من الفرسان ليساعده فى التحميل ويصحبه فى الطريق ، وقد بدأنا السـير فى منتصف الساعة الثالثة نهارا سالكين طريقـا سهلا مدّة ساعة ثم أرضا حجرية مدّة ٤ ساعات ونصف ثم أرضـا سهلة مدّة ٣ ساعات فوصلنا إلى بئر الظعينى وكانت الجبال فى مبدأ السير متقاربة على بعد ٤٠٠ ياردة ثم أخذت تتناءى شيئا فشيئا حتى كنا فى ميدان فسيح عنـد محطنا ببئر الظعينى ، وكان سيرنا نحو الشمال الغربى ٥ ساعات ونصفا ونحو الغرب ساعة ونصفا ثم نحو الشمال الغربى ساعة ونصفا وبالمحطة بئران مالحتان فى حاجر الجبل الغربى تحيط بهما الأشجار عمق الواحدة منهما ٦ أمتار ، ويسمى كل منهما المندسة — وخشب الحريق بهذه الجهة كثير جدا .

المرحلة الثالثة من بئر الظعينى إلى الملاليح — سرنا فى منتصف الساعة الحادية عشرة من ليـلة الأربعاء ٢٦ المحرم نحو الشمال الغربى خمس ساعات وربعا

ثم إلى الشمال ساعتين ، والطريق كله ميدان فسيح سهل تتباعد فيه الجبال وتكثر فيه الأشجار والحشائش وخشب الحريق وقد بلغنا آبار الملاليح في الساعة السادسة نهاراً بعد أن استرحنا بالطريق ربع ساعة ، وهناك آبار خمس ماؤها من المطر فإذا لم يكن مطر فالماء به بعض الملوحة وعمق الواحدة ٣ أمتار وكان الحرّ شديدا في هذا اليوم سموما قتالا ولكن الله سلم .

المرحلة الرابعة من الملاليح الى قصر عبلة أو الشجوة — سرنا في الساعة ٩ والدقيقة ٤٠ من ليلة الخميس ٢٧ المحرم وبلغنا قصر عبلة (الرسم ١٩٢) بعد المغرب بساعة بعد أن استرحنا بالطريق خمس ساعات فمدّة السير ١٠ ساعات و ٢٠ دقيقة وكان سيرنا إلى الشمال الغربي ساعتين و ٣٠ دقيقة وإلى الغرب ساعة واحدة و ٥٠ دقيقة فالشمال الغربي ٦ ساعات والطريق واد متسع يسمى « وادى الحمض » به حنظل كثير وخشب للحريق وأكثر الأرض صالح للزراعة ، وفي منتهى الطريق أرض حجرية سهلة ذات مسالك — مدقات — قطعناها في ساعتين وكان الحرّ سموما .

المرحلة الخامسة من قصر عبلة إلى آبار الحلو — قمنا من القصر بعد المغرب بساعة من ليلة الجمعة ٢٨ المحرم وسرنا إلى الساعة الخامسة ليلا واسترحنا إلى تمام الساعة الحادية عشرة وتابعنا السير إلى الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ نهارا حيث كنا بآبار الحلو وماؤها مالح ذو نتن زائد لعدم استعماله ولم يشرب منه حاج واستصحبنا بعضه في القرب خشية أن نضطر إلى الشرب منه وسقينا منه الحيوانات فأدرّ بولها إدرارا شديدا حتى أن الفرس الذى كنت أعلوه كان يبول كل ١٠ دقائق بالتقريب ، وبهذه المحطة أثل كثير ورمال وقد رحلنا منها بعد الاستراحة لفقدان الماء الصالح بها وقد ضل عنا جمل عليه خيام لأمير المكلة أثناء سُرَانا فأرسلنا من الأعراب من أحضره فكافأه الأمير على ذلك بجنيهين وبنتيين ، وكان اتجاهنا إلى الشمال الغربي ٤ ساعات وإلى الشمال الشرقي ٤ ساعات و ٤٥ دقيقة وإلى الشمال الغربي ساعة والطريق رملي سهل تكتنفه الجبال ويكثر به خشب الحريق .

المرحلة السادسة من آبار الحلو الى آبار الحفائر أو النقارات — بدأنا السير وقت الغروب إلى الشمال الغربى وحططنا الرحال بعد الساعة السادسة بربع ساعة ثم تابعنا السير فى الساعة الحادية عشرة ليلا ووصلنا "آبار الحفائر" لتمام الساعة الرابعة من يوم السبت ٢٩ المحرم فمدّة السير ١١ ساعة و ١٥ دقيقة ، والطريق سهل تتباعد عنه الجبال من الجانبين وفى آخره مسيرة ساعة نشوز — نبات — كثيرة والأرض حجرية غير مستوية تسع القطارين والثلاثة والآبار فى ميدان رحب أرضه سبخة وعدتها آثنا عشر بئرا مبنية أفواهها بالأحجار ومن تحت محفورة وعمقها ثلاثة أمتار وماؤها به بعض الملوحة والحطب كثير والحر لافح والأرض لا تستقر عليها قدم إذا هطلت عليها الأمطار .

وقد تجمع بهذه المحطة الأعراب على أمير المحكلة يزينون له السفر إلى ينبع و يعدونه الراحة والأمن ولما كنت أعلم من مكرهم ما لا يعلم كاشفت بجمله بأنى لا أرضى بانفصال الأمير عن ركبنا إلا إذا حرّر كتابا بأنه تركنا رغبة واختيارا وأننا غير مسئولين إذا جدّ له حادث ففكر الأمير وارتأى رأينا ومتابعة السير صحبتنا .

المرحلة السابعة من الحفائر الى الفُقَيِّر — فى منتصف الساعة الحادية عشرة من ليلة الأحد مستهل صفر سنة ١٣١٩ هـ . قمنا من الحفائر سائرين نحو الجنوب الغربى فى أرض سبخة متماسكة و بعد مسير ساعة و ٤٥ دقيقة لقينا أشجارا كثيفة سرنا فى خلالها أربع ساعات إلا ربعا وقبل منتهاها بمسيرة ساعة وربع وجدنا كثيرا من شجر «الدوم» به ثمر ناضج أخذ منه كثير من الحجاج ، وقد وصلنا الفقير فى الساعة الخامسة نهارا بعد أن سرنا ٦ ساعات ونصفا ، و بالفقير آبار أربع تشبه آبار الحفائر بناء وعمقا وطعما .

المرحلة الثامنة من الفقير إلى العقلة — لتمام الساعة العاشرة من ليلة الاثنين ثانى صفر سرنا من الفقير إلى الشمال الغربى سبع ساعات واسترحنا ستا وتابعنا السير إلى الشمال الغربى ثلاث ساعات وربعا والى الجنوب الغربى أربعا إلا ربعا فوصلنا العقلة فى نهاية الساعة السادسة ليلا فمدّة السير ١٤ ساعة والجبال كانت متجافية عن

الطريق فى بدء السير وبعد مسيرة ٣ ساعات و٥٠ دقيقة تدانت فمررنا بمضيق ذى ارتفاع وانخفاض وبعده بربع ساعة مررنا ببناء قديم على اليسار طوله ٥٠ مترا وارتفاعه متران ويقال له قصر عنترة أو إصطبل عنترة وقد سرنا من الفقير ٦ ساعات فى أرض رملية سهلة بها أشجار قليلة ثم تكاثر الشجر بعد ذلك وهو متفرق فارع ، وعلى مسيرة ثمان ساعات ونصف من الفقير وجدنا أرضا حجرية غير مستوية من تأثير السيول بها فسرنا فيها بين الجبال الشامخة والأشجار العتيقة التى طوحت السيول بكثير منها ، وقد أوقدنا منها لإنارة الطريق الذى صعب مسلكه وتكاثر به الحصى ، الكبير والطريق من قبل العقلة بساعة رملى سهل قد استوت أرضه وكثرت فيه جِحَرَةُ الأرانب الجبلية وكانت أقدام الإبل والخيل والبغال تغوص فيه إلى ٢٠ سنتيا ؛ وبالعقلة شوك كثير يسمى لُزِّيق وهو مستدير يشبه ترس الساعة له أسنان حادة كأطراف الإبر إذا دخل فى الجسم أو الملبس لايخرج منه إلا بصعوبة ، والماء بها مالح لايشرب وقد دلنا على ماء مطر يبعد عن الطريق مسيرة نصف ساعة أحد الأعراب نظير مكافأة قدّمناها له .

المرحلة التاسعة من العقلة إلى المطر — عند تمام الساعة التاسعة من يوم الثلاثاء ثالث صفر قمنا من العقلة وسرنا إلى الشمال الغربى ست ساعات بتنا بعدها فى الطريق ثم واصلنا السير عند الساعة العاشرة ليلا فوصلنا محطة المطر أو العجلة لتمام الساعة الخامسة من يوم الأربعاء رابع صفر وهنالك استرحنا ، وقد سرنا من العقلة ٧ س و ٣٠ ق فى أرض سهلة رملية متماسكة بها حشائش جيدة وسرنا بعد ذلك ساعة ونصفا فى أرض حجرية صعبة غير منتظمة ملأتها السيول بالأحجار وبعدها بنصف ساعة وجدنا على ميمنتنا خورا كثير الأشجار قطعناه فى ١٧ دقيقة وهو ينتهى إلى جبل ينحدر منه من ارتفاع ١٢ مترا سلسل (سلسول) ماء قدر ما تخرجه الساقية صاف لونه عذب طعمه يشرب منه الأعراب القاطنون هنالك وكذلك دوابهم ولا يسقى منه زرع بل تنشفه الأرض بلا جدوى مع أن نزوله مستمر ليلا ونهارا ، وهذا السلسل يأتى من الأمطار التى تهطل على رءوس الجبال وهو يبعد عن محجة الطريق مسيرة ١٧ دقيقة بسير الخيل المعتاد وقد شاهدت سمكة صغيرة

فى المـاء المتكوّن منـه فى سفح الجبـل ولو بحث الانسان فى أرض الخور قليـلا لنبع ماء عذب أصله من ماء السلسل الذى سلك فى الأرض ينابيع ؛ وعربان هذه الجهـة يسكنون قنن الجبـال ولهم ولأغنامهم سرعة عجيبة فى النزول منها والصعود عليها مع علوّها ووعورة مرتقاها ولكنها العادة تيسر العسير وتذلل الصعب ، والأغنام عندهم رفيعة الثمن وقد ساومت واحدا منهم فى كبش حتى أبلغت ثمنه ٣ ريالات مصرية فلم يقبـل مع أنه يبـاع فى الجهات الأخرى بريال أو يزيد نصفا ، ويظهر أنهم يجهلون قيمة النقود فالشراء منهم شاق ، وقد وجدنا مع امرأة قربة لبن حامض فأبت إلا أن تبيعها بثمن فاحش فباعتنا الكوز الذى يسع نصف رطل بنصف قرش ومن العجب أنهـا كانت تأخذ الثمن ونفسها راغبة عن إعطاء اللبن ، والطريق بعد الخور رملى سهل تتناءى عنه الجبال وتكثر فيه الأشجار وكان الجو حارا ، وللبن الحامض تأثير فى دفع الظمأ .

وقد سرق الأعراب خمسة جمال من مرافق الركب الذين يسبقونه عادة فى السير فيتركون إبلهم ترعى الحشائش وكانوا على مسيرة ٣٠ دقيقة من ركب المحمل وهـذه الجهة وإن لم تكن تابعة لسليمان باشا بن رفادة فإن له عليها سيطرة فلما نبأناه بالسرقة بعث من قبله من أحضر خمسة الجمال قبل مغادرتنا لمدينة الوجه .

المرحلة العاشرة من المطر إلى الخوتلة — قبل غروب شمس الأربعاء رابع صفر بساعة رحلنا من المطر أو العجلة أو المثر أو الناضوح كما يقولون سالكين نحو الشمال الغربى فوصلنا الخوتلة عند تمام الساعة السادسة ليلا وقد سرنا قبل الخوتلة فى أرض حجرية ساعتين ونصفا منها ساعة ونصفها فى عقبة ذات تعاريج وارتفاع وانخفاض بها مضيق لا يمر منه إلا الجمل تلو الجمل وقد وقفت عنده حتى مر جميع الركب بسلام . وبالخوتلة ثلاث آبار ماؤها حلو وعمق الواحدة منها ثلاث قامات ليست مبنية وبها سوق كبير به أصناف المطعومات أقامه سليمان باشا بن رفادة كبير مشايخ قبيلة "بلى" لركب المحمـل المصرى وقد قابلنا سعادته بهـذه المحطة وبرفقته نحو خمسين من الأعراب يركبون الهجن ومسلحين ببنادق من نوع «مرتينى هنرى» وقد زار الأمير

والأمين ورئيس الحرس وضباطه فى خيامهم وزاروه وذبح لركب المحمل وموظفيه غنما كثيرة قدم لهم طعامها ودعاه الأمير ورئيس الحرس للغداء فلبى وأعد له الأول سرادقا يبيت فيه ويجلس وأرسل له الموسيقى والمزمار البلدى يشنفان سمعه ؛ وبالحوتلة خشب الحريق كثير وقد أخذنا منه ما يكفينا مدّة الاقامة بمدينة الوجه والسير اليها لأن الخشب بها نادر يجعل كحزم الفجل وتباع الواحدة بقرش صحيح وقد أقمنا بالحوتلة يوم الخميس والجمعة خامس وسادس صفر سنة ١٣١٩ ه .

المرحلة الحادية عشرة الختامية من الحوتلة إلى الوجه — فى منتصف الساعة العاشرة من ليلة السبت سابع صفر غادرنا الحوتلة وجد بنا السير حتى الساعة الخامسة نهارا حيث استرحنا أربع ساعات ونصفا ثم تابعنا السير بقية اليوم وليل التالى كله ووصلنا إلى مدينة الوجه بعد الساعة الأولى بخمس دقائق من صباح الأحد ثامن صفر فمدة السير ٢٣ ساعة منها ساعة ونصف سرناها إلى الشمال الغربى وساعتان وثلث إلى الغرب وربع ساعة نحو الجنوب الغربى وثمانى عشرة ساعة ونصف نحو الشمال الغربى ونصف ساعة نحو الجنوب الغربى وقد سرنا أربع ساعات و٥ دقائق فى أرض رملية سهلة تكتنفها الجبال المتقاربة وبها شجر "الدوم" ثم سرنا فى سهل اتسعت أرجاؤه وقلت أشجاره واستوت أرضه الرملية المتماسكة ، وبعد مسيرنا ١١ ساعة و٥ دقائق من الحوتلة مررنا بنشوز كثيرة تمثل جسرا يقطع الطريق من الغرب إلى الشرق وبعد ساعتين دخلنا مضيقا قطعناه فى ٣٥ دقيقة به أشجار على جانبيه ثم أخذ الطريق ينفسح شيئا فشيئا مع كثرة التعاريج به وقلة الأشجار ، وقد رأينا على ميمنتنا قبل أن نصل إلى الوجه بنصف ساعة كثيرا من شجر النخيل وعلى ثلث ساعة من الوجه نزل معسكرنا فى مكان به سوق يباع فيه ما يلزم الانسان والحيوان وما أحسن ما قاله العياشى فى رحلته عند رؤية مدينة الوجه :

وشربنا من مياه عذبة * شربها يجلو عن القلب الحزن
نحمد الله الذى أسعفنا * ورأينا ذلك الوجه الحسن

وقد قَدِم الينا محافظ الوجه وقاضيه الشرعى وكبير تجاره وأكابره وضباط حاميته التى تتألف من نحو ٥٠ جنديا وهنئوا الأمير بوصوله سالما وانصرفوا بعد شرب القهوة ، وقد قابل المحافظ سلطان المكلة وعين له بضعة جنود تقوم بحراسته مدّة إقامته بالوجه ولا أعلم أن الأمير أهدى شيئا للمحافظ أو غيره .

الوجه — الوجه قرية صغيرة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر إلى الشمال . بها ما يقرب من ١٥٠ بيتا منها ذو الطبقة وذو الطبقتين بنيت بالحجر الخام والملاط ويسكنها حوالى ٥٠٠ نسمة أصلهم من الصعيد والقصير، وبها قلعة ذات مدفعين وثلاثة مساجد وزاويتان وحوانيت على الشاطئ وثمانية صهاريج يحفظ بها ماء المطر ويباع للأهالى ولركب المحمل عند قدومه وتساوى القربة ثلاثة أرباع القرش والسمك فى هذه الجهة كثير جدا ورخيص حتى تباع السمكة التى طولها متر بقرشين صحيحين مع أنها من النوع الجيد والحبوب بها عالية الثمن وعيشها شمسى كالذى يصنعه أهل الصعيد ويتجر أهلها فى المسلى والأرز والشعير والفول والحبوب الأخرى وترد اليها هذه الأشياء من القصير والسويس على مراكب شراعية .

وللبلدة محافظ ملكى وأمين جمرك وأمين حساب وقاض شرعى وكاتب وقسم عسكرى من المشاة والمدفعية وملابسهم ثمينة من الجوخ الأسود الجيد الذى لم نر مثله لجند مكة والمدينة وجدّة ، ولا تمر بالبلدة بواخر البريد أو غيرها إلا مرة فى السنة أو مرتين وليس بها طبيب ويقولون إن مركزه بالعقبة ومركز الصيدلى بالوجه ، شتان بين مشرق ومغرب . وقد رأيت طفلا صغيرا لأمين الجمرك بعينه رمد فأعطيته زجاجة قطرة ، وبالبلدة مكتب صغير لم أجد به شيئا من كتب التعليم فأرسلت له مصحفا مجزأ وكثيرا من جزءى عم وتبارك يعلم فيهما أولاد الفقراء .

وصول باخرة النجيلة — عند وصولنا إلى الوجه وصلت باخرة النجيلة لتقلنا إلى السويس ولذلك لم نلبث بالوجه إلا يوما وبعض يوم فبعد ظهر الثانى أخذنا ننزل الأمتعة إلى المركب وأتممنا إنزالها فى صباح اليوم الثالث ونزل الركب والحيوان والمحمل فى احتفال ؛ ولما كانت الباخرة معدة لركبنا فقط لم تكن بها أماكن خالية لسلطان المكلة وحاشيته والضرورة قاضية بسفره معنا لندرة البواخر بهذا الثغر أو عدمها فأعددنا له مكانا بظهر الباخرة نصبنا فيه الخيام ليستتر بها الأمير وحشمه .

وقد حضر معنا من المدينة ٤٩ شخصا من فقراء الحجاج الذين أكثرهم من المغاربة الذين تدربوا على تحمل المشاق مهما صعبت ، اختاروا مرافقة المحمل بعد التنبيه عليهم بأن المحمل لايستطيع حملهم ولا يكلف بماء أو زاد لهم والباخرة ترفض إقلالهم . ولما حضروا إلى الوجه كلمت ربان الباخرة فى ترحيلهم فأبى فلما علم المحافظ كرر عليه الرجاء فى قبولهم لأن البلد فقير لايستطيع مساعدتهم بشىء فإن تخلفوا عن الباخرة تعرّضوا للهلاك فقبلهم الربان فضلا منه ومنة وسافروا معنا إلى الطور فالسويس .

من الوجه إلى الطور — أقلعت بنا باخرة النجيلة من ثغر الوجه فى الساعة السابعة العربية من يوم الثلاثاء عاشر صفر سنة ١٣١٩ هـ . ووصلت مرسى الطور فى منتصف الساعة السادسة من يوم الأربعاء الحادى عشر ، فمدّة السير اثنتان وعشرون ساعة ونصف كان البحر فى خلالها هادئا غير أن الهواء اشتدّ بعض الاشتداد فى منتصف الليل . وعند رسو الباخرة أقبل طبيب المحجر الصحى وكشف على الحجاج وأمر بنزولهم إلى المحجر ونزول أمتعتهم لتبخيرها ولم يبخر من أمتعة الموظفين إلا ما كان منها للخدم ، وقد توجهنا إلى المحجر بقطار السكة الحديدية ومكثنا به ثلاثة أيام واحتفل بنا فى الليلة الأخيرة ناظر المحجر فأقام زينة حضر اليها موظفو المحمل جميعا ونجل سلطان المكلة نيابة عن والده والقسس والرهبان وتلامذتهم وجميع

الموظفين من وطنيين وأجانب، وقد أطرب الحضور موسيقى المحمل ومزماره وبعد تناول المرطبات ألقى خطبة تلميذ من تلامذة الرهبان الفرنسيين وتلاه الشيخ السنباطى بدعوة من الأمير فألقى كلمة ثم صرخت الموسيقى بالنشيد الخديوى وهتف الحاضرون وانتهت الحفلة فى الساعة الخامسة ليلا .

من الطور إلى السويس — بعد أن مكثنا بالمحجر الصحى ثلاثة أيام من ظهر يوم ١١ إلى ظهر يوم ١٤ أذن لنا بالسفر فأبحرت بنا الباخرة فى منتصف الساعة العاشرة من يوم السبت ١٤ صفر ووصلنا السويس فى منتصف الساعة الأولى من صباح الأحد ١٥ صفر فمدّة السير ١٥ ساعة، وقد حضر طبيب المحجر الصحى بعد قدومنا بساعة وكشف على الركاب فلم يجد شيئا فصرح للباخرة بالدخول إلى الرصيف وقبل نزولنا من الباخرة حضر المحافظ وهنأ الأمير بالقدوم سالما واتفق معه على أن يكون الاحتفال بالمحمل فى الساعة الحادية عشرة العربية من اليوم نفسه وكان الاحتفال شبه الاحتفال الذى وصفناه عند إبحارنا من السويس وعند نزولنا من الباخرة إلى البر كشف علينا طبيب انجليزى فوجدنا مطهرين من الأمراض وقد دعانى مع الأمير والأمين محافظ السويس مصطفى بك ماهر لتناول العشاء على مائدته فلبينا الدعوة وحضرنا إلى منزله الجميل فبالغ فى الحفاوة بنا فشكرنا له صنيعه وكان المحافظ فى الذهاب مصطفى بك عبادى فخلفه مصطفى بك ماهر .

أمير المكلة والشحر — لما كنا بالمحجر الصحى بالطور كتب رئيسه إلى مجلس الصحة البحرى يستأذنه فى سفر الأمير إلى السويس بجدّة فعدن فكانت الإجابة أن يقيم مع حاشيته فى عيون موسى حتى تأتى له باخرة تقله فأبرق إلى اللورد كرومر ليساعده فى مرافقة المحمل إلى السويس فخابر اللورد مجلس الصحة فأذن له ولنجله فقط بالإقامة فى السويس أما باقى الحشم فيبقى بعيون موسى ولكن ساعده الأطباء حتى تمكن هو وجميع صحبه من الإقامة فى السويس بالباخرة حتى أقلته إلى مصوّع باخرة تليانية استأجرها بستمائة جنيه ومن مصوّع تقله باخرة أخرى إلى عدن التى تبعد

عن المكلة مسيرة أربع وعشرين ساعة فى البحر بسير الباخرة وكل موظفى المحجر من كبير وصغير خدم الأمير طمعا فى مكافأته وهداياه ولكن لم ينالوا شيئا و يظهر أن الأمير قل ماله ونفدت هداياه لأنه طلب من مصلحة المحجر الصحى أن يكتب لها صكا — شيكا — بعشرة آلاف روبية وتسلمه بدلها نقدا فاستأذنت من المالية فأذنت على شرط أن تكون الروبية بخمسة قروش ونصف فأبى الأمير شرطها لأنه يخسر فى ذلك مائة جنيه إذ الروبية تساوى ستة ونصفا لا خمسة ونصفا لأن الجنيه الانجليزى ١٥ روبية ؛ ولما نزل بالسويس أبرق إلى عدن أن حوّلوا لى بالسويس مبلغ عشرة آلاف روبية وكذلك أبرق الى التجار الحضرميين بمصر فحضروا اليه وله عليهم نفوذ وله بهم علاقات تجارية .

من السويس إلى القاهرة — أقلنا القطار فى منتصف الساعة الأولى من صباح الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣١٩ هـ . وبلغنا محطة القاهرة فى الساعة الثامنة إلا ربعا من نهار اليوم نفسه و بعد أن نزل الحجاج من القطار سير بالمحمل إلى العباسية فوصلها فى الساعة ٨ والدقيقة ٢٥ وهناك أنزلت الأمتعة وحملتها العربات إلى المعسكر، وفى الساعة الحادية عشرة العربية أركب المحمل وسار يحف به الحرس والموسيقيون من خمس السرايات إلى شارع العباسية فالمعسكر وكان تزاحم الناس على النظر إليه شديدا، وفى يوم الخميس ١٩ صفر أقيم له الاحتفال المعتاد بميدان محمد على بالقلعة وفى ختامه سار المحمل بحرسه ومعه قسم من الجيش إلى شارع الصليبة فالسيدة زينب فالناصرية فالمالية وهناك وضع المحمل فى مكانه المعتاد ورجع الحرس إلى العباسية وبقى بها حتى سلم مهماته وانفض المعسكر وصرح لجميع القوة بالأجازة الحرّة حتى الذين لا يستحقونها ليكون الفرح عاما والسرور شاملا فلله الشكر على ما وفق والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وهاك جدولا بخط السير من بدء السفر الى منتهاه :

جدول خط السير من مصر الى الحجاز ثم الى مصر سنة ١٣١٨ و ١٣١٩ هـ

من	الى	التاريخ	مدة السير: دقيقة	مدة السير: ساعة	المياه	معلومات عامة
القاهرة	السويس	١٥ ذى القعدة ١٣١٨هـ ٦ مارس سنة ١٩٠١م	١٥	٧		السير بالسكة الحديدية المصرية .
السويس	جدّة	١٦ و١٧ و١٨ و١٩ من ذى القعدة	—	٦٧		« فى الباخرة فى البحر الأحمر .
جدّة	مكة	٢٣ و ٢٤ منه	—	٢٣	بالطريق آبار كثيرة يختلف طعم مياهها .	« على الإبل فى طريق سهل بين جبال من الجانبين وبه جملة أماكن للاستراحة وتناول الشاى والقهوة وسبع قلاع بها جند يحافظ على الامن وخشب الحريق به قليل ويحتاج المرء الى دليل .
مكة	منى	٨ ذى الحجة	—	٢		
منى	عرفة	٨ «	٢٠	٣		
عرفة	مزدلفة	ليلة ١٠ «	٥٠	١	المياه عذبة من مجرى عين زبيدة .	الطريق سهل والجبال على شاطئيه لايحتاج فيه الى دليل لكثرة السائرين فيه وبه كثير من الباعة والقهاوى ولانبات به والشجر نادر والسير من الآن فصاعدا على متون الابل .
مزدلفة	منى	١٠ «	٣٠	١		
منى	مكة	١٠ «	—	٢		
مكة	منى	١٠ «	—	٢		
منى	مكة	١٢ «	—	٢		
مكة	بئر البرود	٢٨ «	—	٦	المياه عذبة من بئر البرود	الطريق كثير الاعوجاج حجرى تارة ورملى أخرى بين جبال تتباعد من ٦٠ الى ٤٠٠ متر والمحطة بميدان فسيح به مرعى ومبتدأ طريق يوصل الى الطائف .
بئر البرود	وادى الليمون	٢٩ «	—	٧	المياه بالوادى شديدة العذوبة تجرى فى مجرى كمجرى عين زبيدة .	الطريق بين جبال يتخللها بخور كثير الأشجار بعض أرضه زراعى ويكثر اعوجاج الطريق قرب الوادى وبجوانبه البيوت والنخيل والمرعى ولكن بالثمن ويكثر الباعة وخشب الحريق بالوادى .

وادي اليمون	الضريبة أو الحفائر	١و٢ المحرم سنة ١٣١٩ ٢٣ أبريل سنة ١٩٠١	—	١٢	الماء في حفائر رملية على بعد ٥٠ سنتيا عذب أيام المطر مرّ في غيرها .	الطريق بين جبال وهو سهل به حصباء وعقبة ذات تعاريج بها مضيق لا يسع إلا جملا واحدا يمر وخشبه متوفر ومرعاه مفقود ولصوصه كثيرون .
الضريبة	البركة	٣ المحرم سنة ١٣١٩	١٥	١٠	بالبركة حوض مربع ٥٠ مترا في ٥٠ وبها خور كبير والماء في أيام المطر فقط .	في أول الطريق خور أرضه غير مستوية بعده أرض حجرية محصبة صعبة السلوك والجبال متباعدة وبالبركة مياه مطر كثيرة وغابة كثيفة ولصوص وخشب حريق .
البركة	حاذا	٤ «	٢٠	١١	الماء من المطر .	بالطريق ثلاث عقبات قطعت الواحدة في ربع ساعة وهو بين جبال عتيبة أرضه صالحة للزراعة ولا مرعى به .
حاذا	الهضاب	٥ «	—	١٠	لا ماء بالهضاب .	الطريق أرضه خصبة يقل به خشب الحريق به ملاحة مسيرة خمس ساعات يصعب سلوكها اذا نزل المطر ولا ماء بالطريق إلا مايتخلف من الأمطار .
الهضاب	صفينة	٦و٧ «	—	١٣	بصفينة ٣٦ بئرا في مائها بعض الملوحة عمق كل منها ١٣ قامة .	بالطريق ملاحة سهلة مسيرة أربع ساعات ثم عقبة ساعة أولها وآخرها صعب المسلك والمرعى قليل وصفينة بلدة الشريف وهي صغيرة بها الغنم واللبن والسمن والحشائش والخشب وفيها لصوص سرقوا حصانا مريضا واسترد منهم وأصيب أحدهم برصاصة في فخذه .
صفينة	السويرجية	٨ «	—	١٠	بالطريق مياه المطر كثيرة	الطريق سهل جدا كثير الأشجار ليس به مرعى .
السويرجية	الحجرية	٩ «	—	١٢	بالحجرية ٦ آبار عذبة المياه وماء المطر كثير يتجمع في بركة .	أكثر الطريق خيران متشابهة ذات أشجار كثيرة عالية في الجانبين به عقبة مسيرة ساعتين ونصف أولها سهل ووسطها منحدر وآخرها مضيق بين جبال شامخة ولا مرعى بالطريق وبالحجرية تباع الحشائش .

(تابع) جدول خط السير من مصر الى الحجاز ثم الى مصر سنة ١٣١٨ و ١٣١٩ هـ

من	الى	التاريخ	مدة السير ساعة	مدة السير دقيقة	المياه	معلومات عامة
الجحرية	غرابة	١٠ المحرم سنة ١٣١٩ ١٦ مايو سنة ١٩٠١	١٢	—	—	الطريق سهل عظيم الاتساع تناءت عنه الجبال صالح للزراعة خال من المرعى وفى أوّله غابة كثيفة مسيرة ساعتين ونصف .
غرابة	الغدير	١١ المحرم سنة ١٣١٩	٩	—	بالغدير بركة عرضها ١٠ أمتار فى طول ١٠٠ ماؤها عذب وفى سفح الجبل مياه من المطر .	الطريق سهل متسع صالح للزراعة وفى آخره عقبة حجرية ذات ارتفاع وانخفاض واثناء تقاربت فيها الجبال قطعت فى ساعة ونصف والماء بالطريق كثير ولا مرعى ويباع بالغدير الغنم والسمن واللبن «الخض» وحشيش البهائم .
الغدير	المدينة	١٢ «	١٢	—	بالطريق مياه المطر .	أرض الطريق حجرية صعبة ذات مدقات متعدّدة مرتفعة ومنخفضة لا يسع المدق إلا جملا يسير به والمدقات مسيرة ٧ ساعات وخشب الحريق قايل والمرعى معدوم .
المدينة	بئر عثمان	٢٤ «	١	٣٠	بئر عثمان عذب الماء .	الطريق سهل ليس به حشيش للحيوان و به نشوز حجرية .
بئر عثمان	الطعينى	٢٥ «	٨	٣٠	بالطعينى بئران مالحتان .	الطريق سهل بين جبال به مرعى للجمال وكثير من خشب الحريق وميدان الطعينى فسيح جداً .
الطعينى	الملاليح	٢٦ «	٧	١٥	بالملاليح خمس حفائر عذبة الماء زمن المطر .	يكثر بالطريق خشب الحريق والهواء سموم لا يطاق .
الملاليح	قصر عبلة	٢٧ «	١٠	٢٠	لا ماء .	الطريق واد متسع به أرض حجرية ذات مدقات سهلة مسيرة ساعتين و به حشائش للحيوان والريح سموم .
قصر عبلة	آبار الحلو	٢٨ «	٩	٤٥	آبار الحلو خمس وماؤها منتن ذو ملوحة وأكثرها مردوم ولو نظفت لحلت	الطريق بين جبال رملى سهل لا مرعى به و يكثر فيه خشب الحريق و بالآبار أثل كثير مسيرة ربع ساعة .

آبار الحلو	الخفائر أو النقارات	٢٩ المحرم سنة ١٣١٩ ١٨ مايو سنة ١٩٠١	١٥	١١	بالنقارات ١٢ بئراً بعضها حلو و بعضها به ملوحة وعمق البئر ٣ أمتار .	الطريق يضيق فى آخره حتى لا يسع إلا القطارين والثلاثة لوجود نشوز كثيرة واعوجاج فى الطريق والخفائر ميدان واسع سبخ بعدت عنه الجبال .
الخفائر	الفقير	أول صفر سنة ١٣١٩	٣	٦	بالفقير خمس آبار بمائها بعض الملوحة .	الطريق سهل سبخ كثير الأشجار به شجر الدوم المثمر .
الفقير	العقلة	٢ «	—	١٤	بالعقلة حفر وبئر مالحة تصلح لشرب الحيوان .	نصف الطريق الأول سهل قليل الشجر ثم يتحجر بين الجبال الشامخة و يكثر فيه الشجر ثم تكثر به حفر الأرانب و يصعب سلوكه و بالعقلة شوك ومرعى جميل يسمى العترى .
العقلة	الناضوح أو المطر	٣ «	—	١٣	قبل المطر بثلاث ساعات ونصف على الميمنة سلسل ماء عذب .	الطريق سهل و بعد منتصفه أرض حجرية صعبة مسيرة ساعة ونصف .
المطر أو العجلة	الخوتلة	٤ «	—	٧	بالخوتلة ثلاث آبار عذبة غير مبنية .	قبل آخر الطريق بساعة عقبة حجرية مسيرة ساعة ونصف لا يمر فيها إلا قطار واحد و بالخوتلة الحشائش والخشب الكثير وسوق به المأكولات وقابلنا فيها سليمان باشا ابن رفادة شيخ مشايخ قبيلة بلى بركب من الهجانة ورافقنا الى الوجه بعد أن أقمنا بالخوتلة يومين .
الخوتلة	أم حرز	٧ «	٣٠	١٤	بالوجه صهاريج ماؤه من المطر .	الطريق مسيرة أربع ساعات رملى سهل بين جبال به أشجار بينها شجر الدوم الصغير ثم يتسع ويستوى وتكثر النشوز المتفرقة غربيه ويقل الشجر فيه وكثيرا ما تقطعه جسور مرتفعة .
أم حرز	الوجه		٣٠	٨		وقبل أم حرز اقتربت الجبال ومررنا بمضيق ذى مصاعد ومهابط ووجد قليل الشجر ثم أخذ الطريق يتسع مع اعوجاج ودوران وقلة شجر الى الوجه وهى ثغر بحرى .
الوجه	الطور	١٠ و ١١ «	٣٠	٢٢	—	السفر بالباخرة بحرا .
الطور	السويس	١٤ «	—	١٥	—	« « «
السويس	القاهرة	١٦ «	١٥	٧	—	« بقطار السكة الحديدية المصرية .

كشف بالمقذوفات « الخرطوشات »

التى أطلقت من مدفع كروب قطر ٦ فى حجة سنة ١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م

العدد	التاريخ	المكان	السبب
٢١	١٦ القعدة — ٧ مارس	السويس	الاحتفال بسير موكب المحمل .
٢١	١٧ « — ٨ «	«	قيام باخرة المحمل من ميناء السويس .
٧	١٩ « — ١٠ «	جدّة	الوصول الى جدّة .
٢١	١٩ « — ١٠ «	«	« « « لعدم الاجابة فى الأوّل .
٢١	٢٠ « — ١١ «	«	الاحتفال بسير موكب المحمل .
٧	٢٣ « — ١٤ «	«	سفر ركب المحمل من جدّة .
٢١	٢٥ « — ١٦ «	مكّة	وصول ركب المحمل الى مكّة .
٢٢	ليالى الاقامة بمكّة	«	منع الدخول بالمعسكر .
٦٣	٢٨ القعدة — ١٩ مارس	«	الاحتفال بزيارة الشريف والوالى .
٤٩	٨ الحجة — ٢٨ «	الطريق من مكّة لعرفة	الذهاب الى عرفات والوصول اليها .
٧٥	٩ « — ٢٩ «	عرفة ومزدلفة	الافاضة من عرفة والوصول الى مزدلفة .
١٠٥	١٠ « — ٣٠ «	منى	الاعلان بدخول الأوقات الخمسة .
١٠٥	١١ « — ٣١ «	«	« « «
٢١	١١ « — ٣١ «	«	تشريف الوالى .
١١	١١ « — ٣١ «	«	زيارة أمير الحج الشامى .
١٠٥	١٢ « — ١ أبريل	«	الاعلان بدخول الأوقات الخمسة .
٦٣	١٣ « — ٢ «	«	« بدخول الفجر والظهر والعصر .
٤٣	٣٠ « — ١٩ « ‹› ١٣ المحرم — ٢ مايو	بين مكّة والمدينة	الإعلام بالراحة أو القيام .
٢١	١٣ « — ٢ «	المدينة	الوصول الى المدينة .
٤٢	١٤ « — ٣ «	«	زيارة محافظ المدينة .
٢١	١٥ « — ٤ «	«	إدخال المحمل فى المسجد النبوى .
٢١	٢٧ « — ١٦ «	«	إخراج المحمل من المسجد النبوى .
٦٧	٦ صفر — ٢٥ «	بين المدينة والوجه	الاعلام بالحل والترحال .
٢١	٦ « — ٢٥ «	الوجه	الوصول الى الوجه .
٢١	٩ « — ٢٨ «	«	القيام من الوجه .
٢١	١٠ « — ٢٩ «	الطور	الوصول الى الطور .
٢١	١٣ « — ١ يونيه	«	القيام من الطور .
٢١	١٤ « — ٢ «	السويس	الوصول الى السويس .
٢١	١٤ « — ٢ «	«	الاحتفال بالمحمل فى السويس .
٢١	١٥ « — ٣ «	القاهرة	وصول المحمل الى الحصوة بالعباسية .
١١٠٠	جملة الطلقات أو المقذوفات وأما « الكبسون » الذى استعمل فبلغ ١٣٢٠ لأن بعضه كان غير جيد .		

ختام الرحلة الأولى

الى هنا بتوفيق الله ومعونته أتممنا رحلة سنة ١٣١٨ هـ . وكان تمام نقلها من المذكرات الصغيرة الى الأصل الذى ننقل عنه الآن فى يوم الأحد ١١ رمضان سنة ١٣١٩ هـ . ثم كتبناها للمرة الأخيرة تهيئة لطبعها وأضفنا اليها ما وقفنا عليه من المعلومات القيمة عن المسجد الحرام والمسجد النبوى وبلدتى مكة والمدينة وما بالأولى من مشاعر ومناسك ، فوصفنا كل ذلك وصفا دقيقا محيطا وذكرنا عن كل نبذة تاريخية حسب ما وصل اليه علمنا وحققنا كل مسألة حامت حولها الريب والشكوك وفرغنا من تدوين ذلك على الشكل الذى تراه فى صباح الأحد ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٢ هـ و ٢٢ يونيه سنة ١٩٢٤ م . بعد أن مكثنا فى تسطيرها وتأليفها ستة أشهر إلا أياما و بقى علينا أن ندون فى المجلد الثانى رحلات سنى ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٥ هـ . وسترى فيها ما لم تر فى الرحلة الأولى لاختلاف الطرق التى سلكناها فى كل حجة وسنتبعها بخاتمة فيها مباحث قيمة لن تظفر بها فى أى كتاب . وإنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمدنا بروح من عنده تسهل لنا اتمامها وطبعها و إخراجها للقارئين فى أكمل حلة وأحسن جلباب والله يهدى الى سواء السبيل م‍

اللــواء

إبراهيم رفعت باشا

ابن سويفى بن عبد الجواد بن مصطفى

تمت الرحلة الأولى و بتمامها تم المجلد الأول وذلك بمطبعة دار الكتب المصرية

فى عهد حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر

فى شعبان سنة ١٣٤٣ هـ — مارس سنة ١٩٢٥ م

الفهرس الهجائى للجزء الأول

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	٩	وارزقهم	وارزقهم
٢	١٩	مبتعدا	متعبدا
٦٢	١	غارفور	غارثور
٩٤	٢٤	النقل	الثقل
٩٦	٢٤	دنا	دفا
١١٤	٦	بدنة	بدنه
١٢٤	٣	وكدلك	وكذلك
١٥٩	٩	الحج	العمرة
١٥٩	٩	الحجة	العمرة
١٦٣	١١	وابنى	وابتنى
١٧٨	٩	المحكة	المحكمة رسم ٦٠ مكرر
١٨٠	٢٢	حليقا	خليقا
١٨١	٧	المجسد	المسجد
١٨٢	٤	أى	وهى
٢٠١	٤	انسر	انتشر
٢٠٨	١٣	فقط	فقط وبميدان عرفات سبعة أحواض تراها فى الرسم ٧٧
٢٢١	٢٢	بالفنوات	بالقنوات
٢٥٩	٣	أوانى	أوان
٢٦٢	٣	أمه * تدين	أمه تديـ*ـن
٢٧٢	٨	اسودا	أسود
٢٧٣	١٥	وجدرها	ودرجها
٢٨٢	٣	ايمانية	اليمانية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٨٩	١٩	والأيود	والأبود
٢٩٨	٥	الكرداسية	الكرداشية
٢٩٩	٢٠	با يمن	باليمن
٣٠٣	١٥	وبلانى	وبلانى
٣٠٩	٢٣	ططام	طعام
٣١٣	٢	ولا بالمزدلفة	ولا بالمزدلفة ولا بمنى
٣١٣	٢٠	عمـرة	عمـره
٣٢٢	١٤	ويزيد	وتزيد
٣٢٤	٧	الى عرفة	الى عرفة انظر معسكرنا فى الرسم ١١٩
٣٣٧	١	١٩٢	١٢٩
٣٤٠	١٥	المحدين للحرم	الحادين الحرم
٤١٩	٦	وتسى	ونسى
٤٢١	٣	المعاذ	المعاد
٤٣١	٩	وبكشف	ويكشف
٤٣٦	٩	فشاقى	فشاقنى
٤٣٦	٢٣	المختلقة	المختلفة
٤٣٧	١	بحت	بجت
٤٣٨	٣	الشهير	الشهير انظر قصره فى الرسم ٣٢٥
٤٥٣	٢٣	مسعود	سعود
٤٧٩	٢١	١٧١	١٩١
٤٩٢	٣	صرخت	صدحت

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٦٣/١٩٢٤/٣٠٠٠)

مرآة الحرمين



الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية

محلاة

بمئات الصور الشمسية

تأليف ورسم

اللواء

إبراهيم رفعت باشا

قومندان حرس المحمل في سنة ١٣١٨ / ١٩٠١ وأمير الحج في سنة ١٣٢٠ / ١٩٠٣ وسنة ١٣٢١ / ١٩٠٤ وسنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٨ م

الجزء الثاني

(الطبعة الأولى)

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م

(أنظر الفهرس الهجائى فى آخر الجزء)

محتويات الجـــزء الثـانى

*

فهرس رسوم الجزء الثانى

فهـــرس رسوم الجزء الثانى

مرآة الحرمين

أو

الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية

الجـــزء الثانى

الرحلة الثانية

فى حجـــة

ســـنة ١٣٢٠ هـ – ١٩٠٣ م

بِسْـــــــــــمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله ونشكر له نعمه المترادفة ونصلى على رسوله محمد بن عبد الله وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان . وبعد فقد كنت فى الرحلة السابقة رئيسا (قومندانا) لحرس المحمل أما فى هذه الرحلة والرحلتين التاليتين فكنت أميرا للحج وقد صدرت الإرادة السنية بتعيينى أميرا لأوّل مرّة فى ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٠ هـ (٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٢ م) وأبلغها الى حضرة صاحب العطوفة ناظر الداخلية مصطفى باشا فهمى بكتاب مؤرّخ فى ٢ رمضان (٢ ديسمبر) . وقد سبق أن اجتمع مجلس النظار فى ٢٢ شعبان وقرّر أن جميع الأشخاص الذين يبـغون أداء الحج يجب عليهم أن يرافقوا قافلة المحمل ليكونوا تحت رعاية أميره وملاحظة حرسـه فاذا مرض منهـم أحد وجد فى الحال الطبيب بجانبه والدواء بيـد الصيدلى وبذلك يتقى الوباء الذى نقل الحجـاج جراثيمه فى العام المـاضى من الحجاز الى القطر المصرى ففتك بالناس فتكا ذريعا وكذلك قرّر أن المحمل والحجاج فى ذهابهم يسافرون الى السويس فجدّة فمكة فعرفات ثم يعودون الى جدّة ومنها الى ينبع بحرا ثم الى المدينـة برا وفى الإياب يقومون منهـا الى ينبع فالطور فالسويس وتكفلت الحكومة بنقل الحجـاج برا وبحرا من السويس الى أن يعودوا اليهـا وحتّمت فى نظير ذلك على كل حاج يركب فى الدرجة الأولى أن يدفع

٧٠ جنيها وله خمسة جمال على الأكثر ومن يركب الدرجة الثالثة يدفع خمسين جنيها وله جملان (منشور ٦ رمضان سنة ١٣٢٠ هـ الموافق ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٢ م) . وهذا المبلغ ضمان عند الحكومة تحتسب منه نفقات الحَجْر الصحى والسفر برا وبحرا وتردّ الباقى لمن دفعه ، ولقد كان رفع قيمة الضمان مثبطا للناس عن الحج فلم يحج إلا عدد قليل وربما كان ذلك ما ترمى اليه الحكومة من إعلاء القيمة .

ولأن المحمل لم يسلك الطريق من ينبع الى المدينة منذ ٤٣ سنة أرادت الحكومة أن تمهد سبيل السير به فكتب الىّ ناظر الداخلية أن أسافر الى ينبع قبل سفر المحمل وأتفق مع مندوبين من قبل والى الحجاز وأمير مكة على تسهيل السفر من هذا الطريق وقد التمست من عطوفة ناظر الداخلية أن يزودنى ببعض المعلومات التى تسهل لى ما عهد به إلىّ فأرسل إلىّ الكتاب الآتى :

صاحب السعادة أمير الحج المصرى فى طلعة سنة ١٣٢٠ هـ

بما أننا كلفنا سعادتكم أن تقوموا بتسهيل سفر المحمل من طريق ينبع وبما أن عربان هذه الجهة يزعمون أن لهم مرتبات مستحقة عن سنين مضت وبما أنكم طلبتم معلومات عن العمل الذى ندبتم له — من أجل ذلك نفيدكم أنه حينما تصلون الى ينبع تتفقون مع مندوبى الدولة ومشايخ العربان على أجرة الجمل الواحد بين ينبع والمدينة ذهابا وإيابا مع مراعاة أن هذه الأجرة مضافا اليها أجرة الجمل من جدّة الى مكة ومن الأخيرة الى الأولى — تكون أقل من الأجرة التى دفعت فى العام الماضى عن السفر من جدّة الى مكة فالمدينة فالوجه وينبغى أن تفهموا العربان أثناء المساومة فى الأجرة أن سلوك المحمل طريقهم يعود عليهم بفوائد جمة إذ يؤجرون جمالهم ويأخذون مرتبا سنويا من ابتداء هذه السنة فان رأيت منهم التساهل والاستعداد للمساعدة فقد خولنا لك أن تعترفهم أن الحكومة مستعدة لأن تعطيهم عوضا عما يدعونه

من مرتبات مستحقة عن سنين خلت — من ألف ريال طاقى الى أربعة آلاف — مع إعلامهم بأنه لا حق لهم مطلقا فيما يدعونه لأن المرتبات إنما تكون نظير خدمات يقومون بها للمحمل وهو لم يمر بديارهم منذ سنين ، ولنا الأمل بعد أن تبذلوا ما فى وسعكم وتتفقوا معهم أن تفيدونا بما حصل .

حرر بمصر فى ١٤ شوال سنة ١٣٢٠ هـ . الموافق ١٣ يناير سنة ١٩٠٣ م .

ناظر الداخلية

مصطفى فهمى

وقد سافرت من القاهرة فى ١٣ يناير وعدت اليها فى ٢ فبراير ورفعت الى ناظر الداخلية التقرير الآتى :

حضرة صاحب العطوفة ناظر الداخلية الجليلة

أتشرف بأن أرفع الى عطوفتكم التقرير الآتى تنفيذا لأمركم المؤرخ فى ١٣ يناير سنة ١٩٠٣ م .

سافرت من مصر الى السويس فى يوم ١٣ يناير ومنها سافرت على باخرة القليوبية الى الطور فى يوم ١٥ وقضيت بالمحجر الصحى يومين وتابعت السفر الى ينبع يوم ١٩ فوصلت اليها يوم ٢١ وقابلت نائب دولة الوالى «القائم مقام» وسلمته الكتاب المرسل من عطوفتكم اليه بالمساعدة فأخبرنى بأن المندوبين لم يحضروا — وكانت الحكومة خابرت والى الحجاز بارسال مندوبين من قبله الى ينبع للاتفاق معهم — وأن محافظ المدينة كتب اليه بأن المحمل يسلك طريقه المعتاد وقال النائب : إنه لا يمكننى أن أعمل شيئا ولا أصرح للمحمل بسلوك طريق ينبع إلا اذا صدر لى أمر من دولة أمير مكة كما ترون ذلك فى الجواب الذى كتبه لكم بعد جمعه مجلس الادارة وأخذ رأيه فى ذلك وبمساعدة وكيل شركة البواخر الخديوية استحضرت الشريف عبدالله شيخ قبيلة جهينة ونائب شريف مكة فى ينبع وكلمته فى تسهيل السفر من طريق

ينبع ووعدته المكافأة فقال : إن ذلك متمنانا ولكن لا يمكننا إلا بأمر من شريف مكة ولتعذر المخابرة مع الوالى والأمير لفقد البرق والبريد ركبت الباخرة يوم ٢٢ فأقلتنى الى جدّة التى بلغتها يوم ٢٣ وهنالك وجدت من عطوفتكم إشارة برقية بأن الباب العالى أجاز ما قرّرته الحكومة المصرية من سفر المحمل من طريق ينبع و بعدد من يحجون من المصريين وعلمت أيضا بأن شريف مكة أرسل الى ينبع مندوبا من قبله معه قسم من عساكر « البيشه »(١) لظنه أن المحمل سيمرّ بينبع قبل أداء الحج وليس الأمر كما زعم ثم هممت بالرجوع الى ينبع للاتفاق مع منـدوب الشريف ولكنى مكثت بجدّة ثلاثة أيام أنتظر باخرة وقد أبرقت فى خلالها الى الشريف والوالى بأنى حضرت الى جدّة لعدم وجودى مندوبا بينبع وأنى راجع اليها لمذاكرة المندوب فى الموضوع فوردت الإجابة بلسان تركى تتضمن إرسال المندوب واصدار الأوامر بتسهيل السفر وأنه يتعذر سير المحمل مع الحجاج دفعة واحدة لقلة المـاء وحينما تحضرون مكة وتؤدّون الفريضة نتذاكر فى الموضوع فأبرقت لهما بقيامى الى ينبع ورجوتهما المساعدة حتى ندرك غايتنا فنعود شاكرين فلم ترد منهما إفادة حتى ساعة سفرنا .

وفى الساعة ٣ والدقيقة ٣٥ من يوم ٢٦ يناير سافرت الى ينبع ودخلتها مساء ٢٧ وفى صباح اليوم التـالى نزلت الى البر وتقابلت مع نائب الوالى « القائم مقام » الذى حضر فى ذورق مع بعض الضباط ومندوب الشريف لاسـتقبالى ثم سرنا الى دار الحكومة وتراودنا هناك مع بعض المشايخ فى سـير المحمل من طريق ينبع وما يلزمه من جمـال وماء وأخذت أسرد لهم المنافع التى تعود عليهم من مرور المحمل بديارهم فتهللت وجوههم و وعدونى المساعدة والتيسير وسألت عن بقية مشايخهم فأخبرونى بأنهم فى مراكزهم لم يصدر أمر بجمعهم ولا يسهل حضورهم لأن الوقت موسم مرور الحجـاج من ينبع الى المدينـة فهم فى مراكزهم يحصلون العوائد ممن يمرّ بهم وسألت عن أجرة الجمل بين ينبع والمدينة فقالوا : إنها الآن عشرة ريالات مجيدية فى الذهاب

(١) عساكر غير نظامية تبع دولة الشريف .

صحيفة ٦ (*)

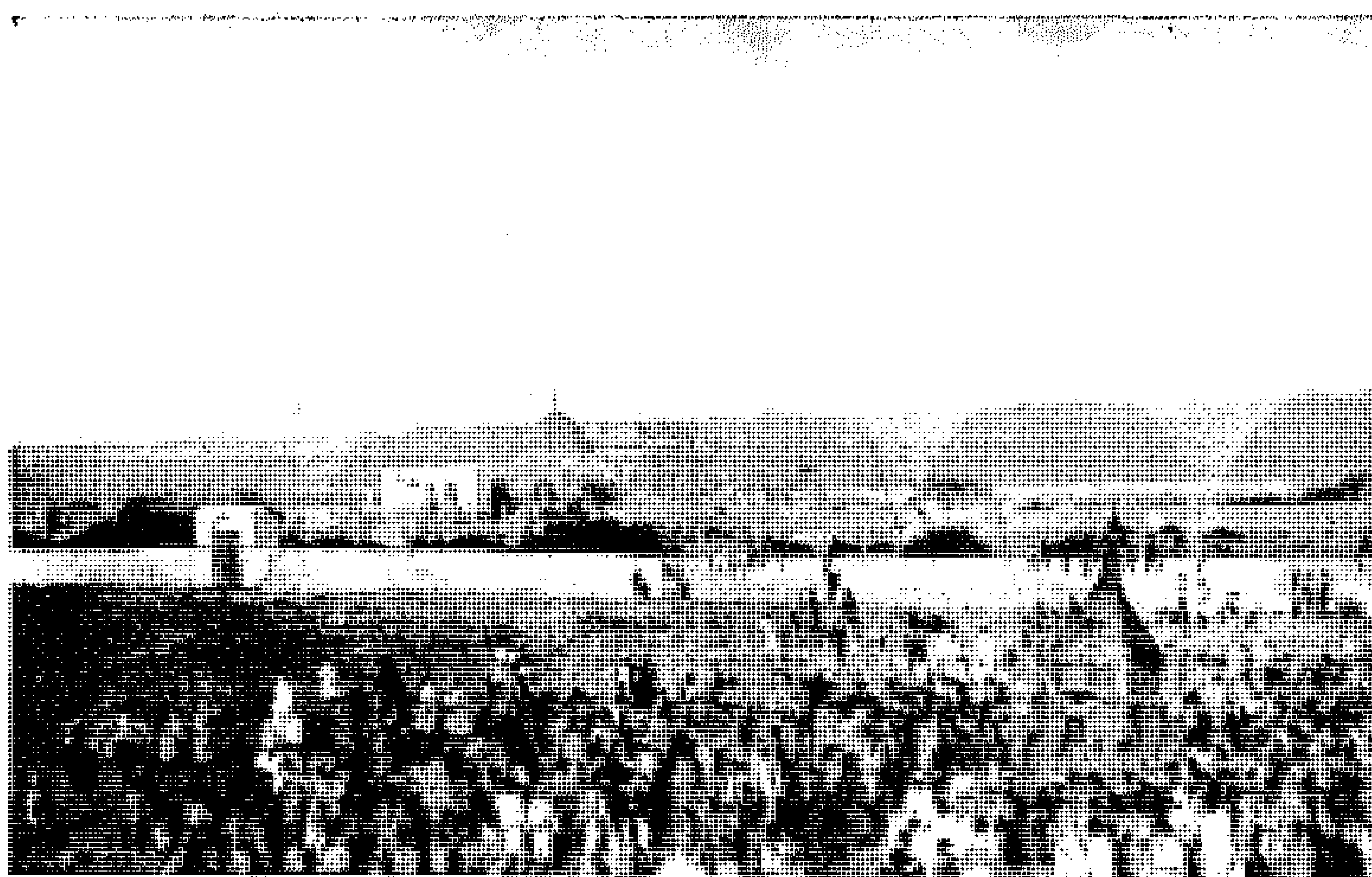
عيون موسى سنة ١٣٢١



193. Moses' Wells.

صحيفة ٩ (*)

قبر أمنا حواء بجدة



194. A view of the dome of Hawa in 1325.

يخبرنى فيه بأنه جرت العادة أن يرسل الى الحرم المكى كل سنة ٤٤٥٩ أقة و٢٧٢ درهم من الزيت الطيب وأنه عين أحمد أفندى عاطف الطبيب البيطرى لمرافقة الزيت مع تابع آخر وأنه ينبغى إيابه بعد العيد مع الآئبين متى أمكن ولا ينتظر سفر المحمل. وفى يوم ١٣ ذى القعدة كتب إشهاد بمسجد الحسين رضى الله عنه بتسليم الكسوة الى المحملى بحضورنا . وفى يوم ١٤ منه كتب إشهاد آخر بنظارة المالية بتسليم الصرة الى أمينها ، حضرناه أيضا كما طلب منا ناظر المالية فى كتابه المؤرخ فى١٢ ذى القعدة — وقد قدمنا صورة من إشهاد الكسوة فى أول رحلة سنة ١٣١٨ هـ . وهاك إشهاد الصرة فى هذه السنة :

صورة حجة استلام الصرة الشريفة

بمحكمة مصر الكبرى الشرعية فى يوم الأربعاء ١٤ القعدة سنة ١٣٢٠ هـ . الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٠٣ افرنكية أذن فضيلتلو مولانا افندى قاضى مصر حالا حضرة العلامة الشيخ أحمد الغرابلى أحد أعضاء المحكمة المذكورة بسماع ما يأتى ذكره والشيخ أمين يوسف ومحمد افندى مصطفى من كتاب المحكمة المذكورة بكتابته ولدى حضرة العضو المومى اليه وبحضور الكاتبين المومى اليهما بالمجلس المنعقد فى الساعة ١٢ افرنكى صباحا من اليوم المذكور بسراى نظارة المالية المصرية أشهد على نفسه سعادة إبراهيم باشا رفعت أمير الحج الشريف المصرى وحضرة مهدى بيك أحمد أمين الصرة الشريفة وحافظ افندى نجى صراف الصرة المذكورة وحسن افندى خليفة كاتب أول الصرة المرقومة أنهم قبضوا واستلموا ووصل اليهم من عهدة سعادة أحمد مظلوم باشا ناظر المالية المصرية حالا مبلغ الصرة الشريفة الإرسالية المعتاد إرسالها لأهالى الحرمين الشريفين ومرتبات العربان والأشراف ومصارف دائرة المحمل الشريف المصرى ذهابا وإيابا طلعة سنة تاريخه وقدر ذلك بمبلغ ٦٠٤ مليمات و١٥٧٥٣ جنيه وبيان مفردات ذلك : ١٥٥١٤ جنيه انكليزى و ٣٢ جنيه مجيدى و ½٢ ٤٨ وينتو و ½٢ ٢٥٤٨ ريالا مصريا و ٥١٨١ قرشا و٤٤٧ مليا قبضا واستلاما

ووصولا شرعيات حسب إقرارهم بذلك بالمجلس المذكور بحضور كل من محمود افندى نسيم الكاتب بادارة الخزينة العمومية بنظارة المالية وعلى افندى علوى اليوزباشى وأركان حرب بنظارة المالية وذلك بنقد وعدّ وفرز ووزن الصراف المذكور ه

نائب حضرة مولانا القاضى	الكاتبان
حضرة العلامة الشيخ أحمد الغرابلى	حضرة الشيخ أمين يوسف
	ومحمد افندى مصطفى

وقد أرسلت الينا نظارة المالية التعليمات التى ينبغى اتباعها فى مالية المحمل وما الى ذلك وتتألف من سبعة وعشرين « بندا » وسنذكر ما يماثلها ان شاء الله فى حجة سنة ١٣٢٥ هـ . هذا وقد احتفل بنقل الكسوة الى ميدان محمد على فى يوم السبت ٤ ذى القعدة (٢ فبراير) واحتفل بسفر المحمل فى يوم الخميس ١٤ ذى القعدة (١٢ فبراير) .

سفر المحمل

شحنت الأمتعة فى قطار قام من العباسية فى الساعة ١١ الافرنجية من مساء يوم الجمعة ١٥ ذى القعدة (١٣ فبراير) ووصل الى السويس فى الساعة ٧ والدقيقة ٣٥ صباح اليوم التالى . أما قطار المحمل فانه بارح العباسية على بركة الله فى الساعة ٥ والدقيقة ٤٥ صباح يوم السبت ١٦ ذى القعدة ووصل الى السويس فى الساعة الأولى والدقيقة ٣٥ بعد الظهر وقمنا منها فى يوم ١٧ ذى القعدة فوصلنا جدّة يوم ٢٧ بعد أن عرجنا فى الطريق على الطور وأقمنا به خمسة أيام مدّة الحجر الصحى وقد لقينا فى الطور من الشدّة والإهانة ما دعانى لكتابة تقرير الى ناظر الداخلية بما كابدناه ورأيناه . قدّمته اليه بعد عودتى من الحج وسنوافيك به وكان برفقتنا من الأهالى ٢٨ حاجا نقص نظيرهم من خدم المحمل بطريق الاستغناء وكان والى الحجاز بجدّة عند وصولنا اليها فزرته مع رئيس الحرس وأمين الصرة فقابلنا بمحيا طلق وقدمت اليه كتاب سمو الخديو السابق ورجوته أن يرعانا فى سفرنا بين ينبع والمدينة فأجاب بأنه أصدر الأوامر

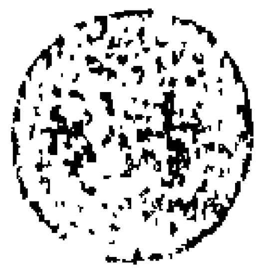
لمحافظ ينبع أن يساعدنا ما استطاع وأنه مع ذلك سيكررها ويرسل مندوبين من قبله يرافقون المحمل فى ذهابه وإيابه فشكرت له ورجوته أيضا أن يساعدنا فى تقدير أجر الجمال فقال : إن ذلك الى دولة الشريف لا إلىّ وإن أمرها سيكون سهلا ثم انصرفنا الى معسكرنا وأرسلت برقية الى شريف مكة بوصولنا فأبرق إلينا أن عينت الشريف محمد بن عبد المحسن بن حازم ليرافق المحمل وعينت محمدا أبا حميدى الحازمى « مقوما » للمحمل يحضر له الجمال اللازمة . وفى يوم ٢٨ ذى القعدة (٢٦ فبراير) احتفل فى جدّة بالمحمل احتفالا حضره نائب الوالى والجند المصرى والشاهانى وكبار الموظفين والأعيان (أنظر الرسم ١٩٤) . وفى يوم الجمعة ٢٩ ذى القعدة سافرنا من جدّة فبلغنا مكة فى مساء ٣٠ واجتزنا الطريق فى ١٨ ساعة و٣٥ دقيقة وجرت العادة أن يقطعه المحمل فى ٢٣ ساعة ، وقد رافقنا فى الطريق صهر شاه العجم ونجله وحاشيته — بأمر من دولة الوالى — وقافلتان وكثير من الحجاج من أجناس مختلفة كانوا ينتظرون سفر المحمل ليصحبوه لأن الطريق كان مخيفا وقد انقطع السير فيه منذ اثنى عشر يوما وكان منهم الراجل والراكب .

فى مكة — وفى غرة ذى الحجة — أول مارس — فى اليوم التالى لوصولنا زرت مع الأمين ورئيس الحرس دولة الشريف وقدمت إليه الخطاب المرسل له من سمو الخديو السابق فقال : إنى مسرور من قلة الحجاج فى هذا العام مراعاة للحالة الصحية وكلمته فى تسهيل سبيل ينبع لسفرنا فقال إننا بالحجاز للعمل على راحة الحجاج وإن المحمل حرّ يسلك أى الطرق أراد وإنى إن شاء الله مساعده وكنا كلما هممنا بالانصراف استمهلنا حتى قضينا فى حضرته ساعة ونصفا . وبعد ظهر هذا اليوم زرنا نائب دولة الوالى ورئيس الجند العثمانى — القومندان — كما هو المعتاد وفى صباح اليوم التالى زارونا كما زرناهم . وفى خامس ذى الحجة قابلت مع أمين الصرة دولة الشريف وسألناه تقدير الأجرة فوعد بذلك بعد العيد . وفى اليوم نفسه بدأنا بصرف المرتبات والأمانات لأربابها بعد ورود كتاب من دولة الأمير بتعيين الشريف عبد الله بن هاشم ملاحظا للصرف من قبل دولته .

(انظر الكتاب فى الرسم ١٩٥) وفى السادس زارنا دولة الشريف ودولة الوالى منفردين زيارة رسمية فقابلناهما بالبشر والترحاب وأطلقنا لقدوم كل منهما ورجوعه ٢١ مدفعا وقد تأملا كثيرا فى كسوة المحمل المقصبة وقالا : إنها أصبحت قديمة وكذلك لاحظ شيخ الحرم المدنى عند إدخالها للحجرة النبوية ، وحقا ما قالوا فانها لم تجدّد منذ اثنتى عشرة سنة ، ولما عدت الى مصر عرضت تجديد الكسوة على سمو الخديو السابق فأمر بتجديدها فجدّدت .

وفى يوم الأحد ثامن ذى الحجة (٨ مارس) قمنا من مكة الى عرفات فوصلناها بعد مسيرة ٥ ساعات و ٣٥ دقيقة وبقينا بها الى غروب شمس يوم الاثنين تاسع ذى الحجة حيث أفضنا منها الى المزدلفة وبتنا بها وبعد شروق الشمس من يوم النحر تركناها الى منى ورمينا جمرة العقبة فى يوم النحر ونحرنا وحلقنا وطفنا بالبيت ثم رجعنا الى منى ورمينا الجمار الثلاث فى اليومين الأولين من أيام التشريق وغادرناها الى مكة بعد ظهر ١٢ ذى الحجة وعند وصولنا اليها وضعنا المحمل بالمسجد الحرام كالمعتاد وبقى به الى يوم ٢٢ من الشهر نفسه وأقمنا بمكة الى يوم ٢٤ لصرف باقى المرتبات والأمانات .

وقد أخذت كثيرا من الصور أثناء إقامتنا بمكة تقدّم لك كثيرا منها . ومما أخذنا بيوت مكة من الشمال الشرقى وتراها فى (الرسم ١٩٦) وترى فى وسطه من أعلى قلعة لعلع ، وكذلك أخذنا (الرسوم ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩) والأول أخذته بالقرب من مسجد نمرة وتصادف مرور الشريف عون الرفيق باشا بركبه ساعة كنت أرسم فأوقف عربته



(الرسم ١٩٥)

بيوت مكة من جهة الشمال الشرقي

196. The Northern Eastern view of the houses of Mecca.

موكب الشريف عون وهو متوجه الى عرفات في ٩ الحجة سنة ١٣٢٠

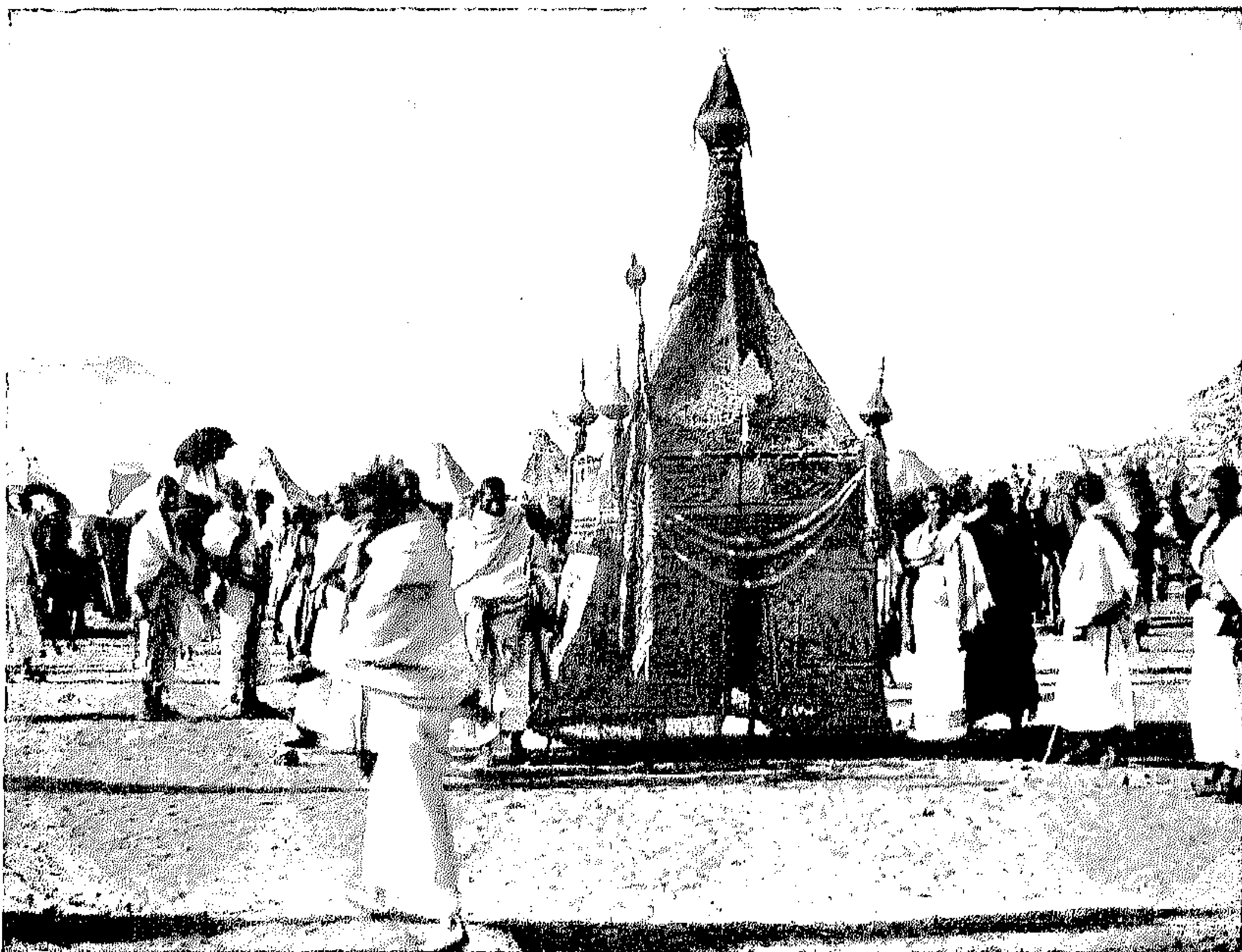
197. The Procession of El Sherif Oun El Rafik on his departure to Arafat on the 9th. Zu El Hegga in the year 1320 of the Hejra

صحيفة ١٠ (*) التختروانات على الجمال بعرفات



198. A view of the palanquins of camels in Arafat.

صحيفة ١٠ (*) المحمل المصري وحرسه بميدان عرفات يوم تاسع ذي الحجة سنة ١٣٢١



199. A view of the Mahmal in Arafat in 1321.

فقط وتزيد وتنقص حسب قلة الجمال وكثرتها ولقد صدقوا فلقد سألت من قبل وكيل البريد وآخرين فكان قولهم كما قالوا ورأيت من المصلحة ترك الكلام فى تقدير الأجرة لأن المحمل لا يحضر ينبع إلا بعد ٥٠ يوما تقريبا تصعد فيها الأجر وتنزل حسب العادة ولأن المحمل متى حضر تجمّع المشايخ وظهرت مطالبهم الحقيقية فربما طلبوا أجرا يسيرا ومن جهة أخرى نكون قد عرفنا أجرة الجمل من جدة الى مكة وبالعكس فيسهل علينا تقدير الأجرة بعمل النسبة بين الطريقين ولى كبير الأمل فى نقص أجرة الجمال عنها فى العام الماضى كما ترغب الحكومة وربما تراوحت بين أربعة جنيهات وخمسة عن الذهاب والإياب معا .

وقد سألت نائب الوالى ومندوب الشريف وأمير جهينة والشيخ شاهر بن نصار «مقوم» المحمل سابقا عن أكبر وأصغر قافلة تسير بين ينبع والمدينة فأجابوا بأن العدد يختلف من ٥٠٠ الى ٥٠٠٠ يسافرون ركبا واحدا وأن فى الطريق مياها تكفى هؤلاء وأكثر ما عدا المحطة الأولى بعد ينبع فانه لا يوجد بها ماء إلا بعد قطع مسافة تستنفد من ١٨ الى ٢١ ساعة والماء يؤخذ لهذه المحطة من ينبع مضاعفا لأنها لا تقطع فى يوم واحد ولا يؤخذ قولهم هذا بالتسليم إلا بعد عبور الطريق ومعرفته عن رؤية وتقديم تقرير عنه بعد الحج إن شاء الله .

والمياه فى ينبع قليلة جدا لعدم نزول الأمطار بها سنين وثمن القربة فيها من خمسة قروش مصرية الى ستة ويجلب الماء على متون الإبل من مسيرة ١٠ ساعات ذهابا وإيابا .

وقد اختليت بمندوب الشريف وبعد ملاطفته سألته عن التعليمات التى أصدرها الشريف اليه خشية أن يكون من بينها تحصيل العوائد عن السنين الماضية فأخبرنى بأنها لا تعدو مرافقة المحمل ومساعدته فى الطريق واستحضرت أمير جهينة وسألته عن فكرة العربان فى سير المحمل فأخبرنى بأنهم يتمنون مروره ليأخذوا عوائدهم ويبيعونه بضائعهم وأنهم يرضون بالقليل عن السنين الماضية لأنهم فى حاجة شديدة

لقلة الامطار ثم قابلت نائب الوالى واعطانى الكتاب الذى يراه عطوفتكم مع التقرير وغادرت ينبع على ظهر باخرة المنيا بعد ظهر يوم ٢٨ ينـاير ووصلت عيون موسى مساء يوم ٣٠ ومكثت بهـا ٤٨ ساعة مدّة الحجر الصحى وسافرت من السويس بعد ظهر ٢ فبراير فوصلت القاهرة فى الساعة العاشرة والدقيقة ٣٥ بعد الظهر (انظر عيون موسى(١) فى الرسم ١٩٣)

اللـــواء

٣ فبراير سنة ١٩٠٣

إبراهيم رفعت أمير الحج

هــذا وقد جرت مخابرات بين الباب العالى وسموّ الخديو السابق بشأن ما قررته الحكومة المصرية من سفر المحمل من طريق ينبع فالباب العالى قرر أوّلا منع السفر من هذا الطريق فاحتجت حكومتنا على هذا القرار ورجت الخليفة فى العدول عنه وإلا منعت المحمل من السفر الى المدينة واكتفت بسفره الى مكة فوافق الباب العالى على تغيير الطريق بعد تردّد وزاد على ذلك أن سترافق المحمل قوّة من الجنود الشاهانية من ينبع الى المدينة فأبرق له الخديو السابق شاكرا . أنظر ماجاء فى جريدة المؤيد فى العدد رقم ٣٨٧٥ الصادر فى رابع ذى القعدة سنة ١٣٢٠ هـ . (٢ فبراير سنة ١٩٠٣م) .

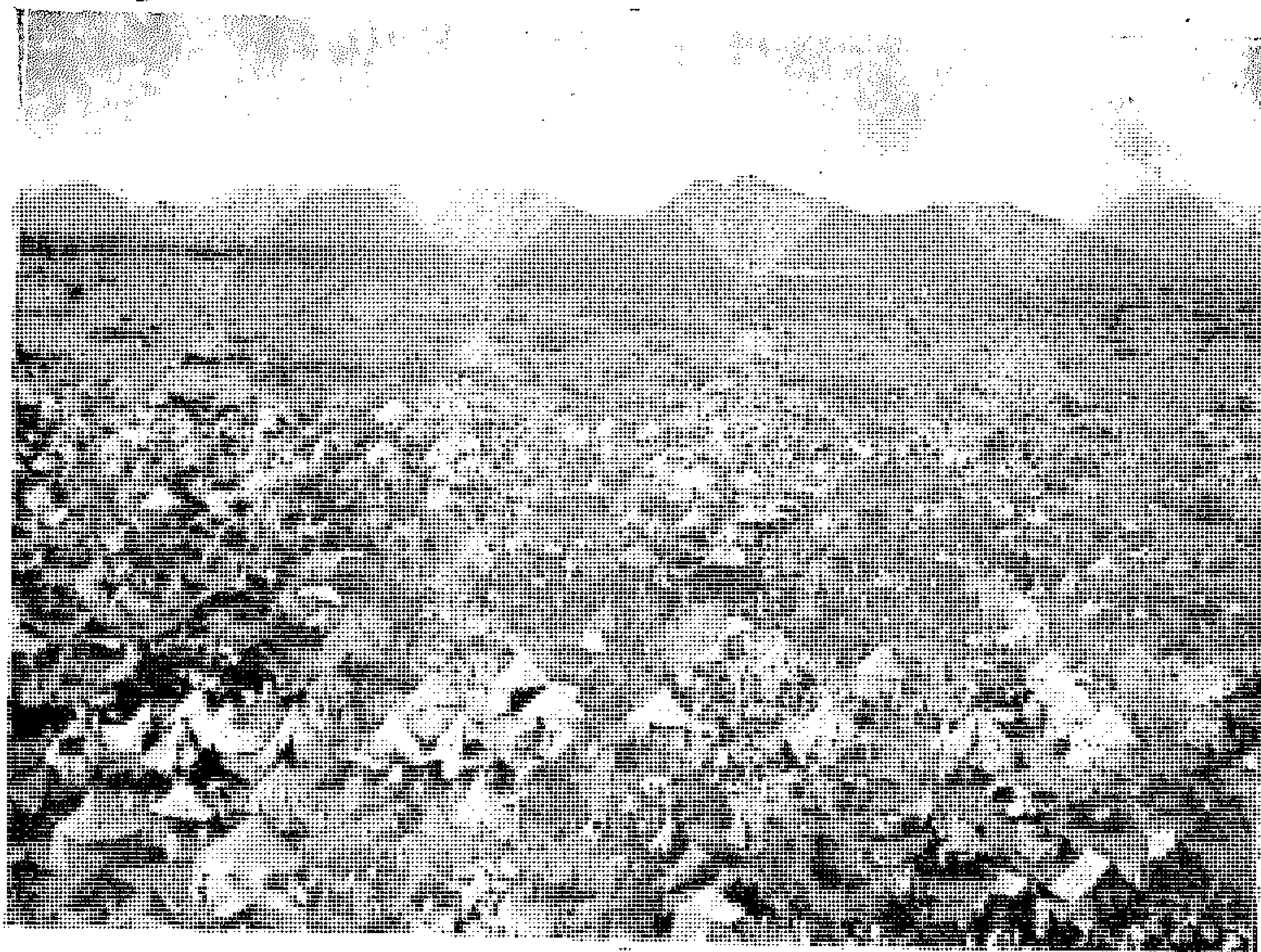
وفى يوم ١١ ذى القعدة (٩ فبراير) جاءنى كتاب من ناظر المـالية أحمد باشا مظلوم

---

(١) عيون موسى قريبـة من الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر على مقربة من السويس وهى فى واد سهل مرمل به خمسـة بساتين لبعض الأوربيين القاطنين بالسويس يصيفون فيها وفيهـا كثير من النخيل وبعض الأشجار المثمرة والأرض بها مزروعة شعيرا وقمحا ولا يزرع بها غيرهما لأن الأرض رملية ولا يوجد هنالك السماد اللازم لزرع الخضراوات وبأحد هـذه البساتين ثلاث حفائر ماؤها « فيسونى » عمقها نحو متر أو مترين ومن هذه البساتين ثلاثة فى كل منها عينان يصلح ماؤهما لشرب الحيوان وبعض العيون فى مائه قليل الملوحة وبالبستان الخامس عين عذبة الماء وعلى مسير ثلاث دقائق من هـذه البساتين أرض مرتفعة عن مستوى البساتين بنحو مترين ولكنها منحـدرة فيها نخلة شامخة بجانب جذعها عين « فيسونية » قطرها متر وعمقها ٣٠ سنتيا وعلى نحو ستين مترا من النخلة تل يرتفع سـتة أمتار سطحه مستو عشرة فى عشرة وفى وسطه معين « فيسونى » مساو للسطح وبعيون موسى محجر صحى وأكثر مياه الشرب ينقل اليهـا من السويس . (أنظر رحلة صادق باشا ص ١٤٠) .

صحيفة ١١ (*)

الحجاج في ميدان جبل عرفات في ٩ الحجة سنة ١٣٢٠



حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اسمه اللوا ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري في الحجة سنة ١٣٢٠

200. The Southern Western view of the camp of pilgrims in Arafat.

صحيفة ١٢ (*)

حفلة توديع المحمل بمكة سنة ١٣٢١



[illegible]

201. The farewell of the Mahmal in Mecca.

وتقدم إليه مهدى بك أمين الصرة وصبرى بك رئيس الجرس وسلما عليه فسألهما عما أفعل فقالا له : يرغب أن يصوّر دولتكم فاعتدل وسوى ملابسه وقال : « خليه يرسم كويس » وترى الشريف فى عربته محرما مكشوف الرأس ، وكذلك ترى الأشراف وقد امتطوا هجنهم خلف عربتـه وفى الرسم الثـانى الشقادف و « التختروانات » الخاصة بأمير الحج وأمين الصرة وفى الرسم الثالث المحمل حوله حرسه وبجانبه الشيخ أبو النور طموم والشيخ محمد حسين الديابى صـديقنا والشيخ محمد على العدوى والد الشـيخ أحمد زكى العـدوى رئيس المصححين الآن بدار الكتب المصرية وترى فى (الرسم ٢٠٠) الحجاج بميدان عرفات والخط الأبيض فى شماليه مسجد نَمِرة .

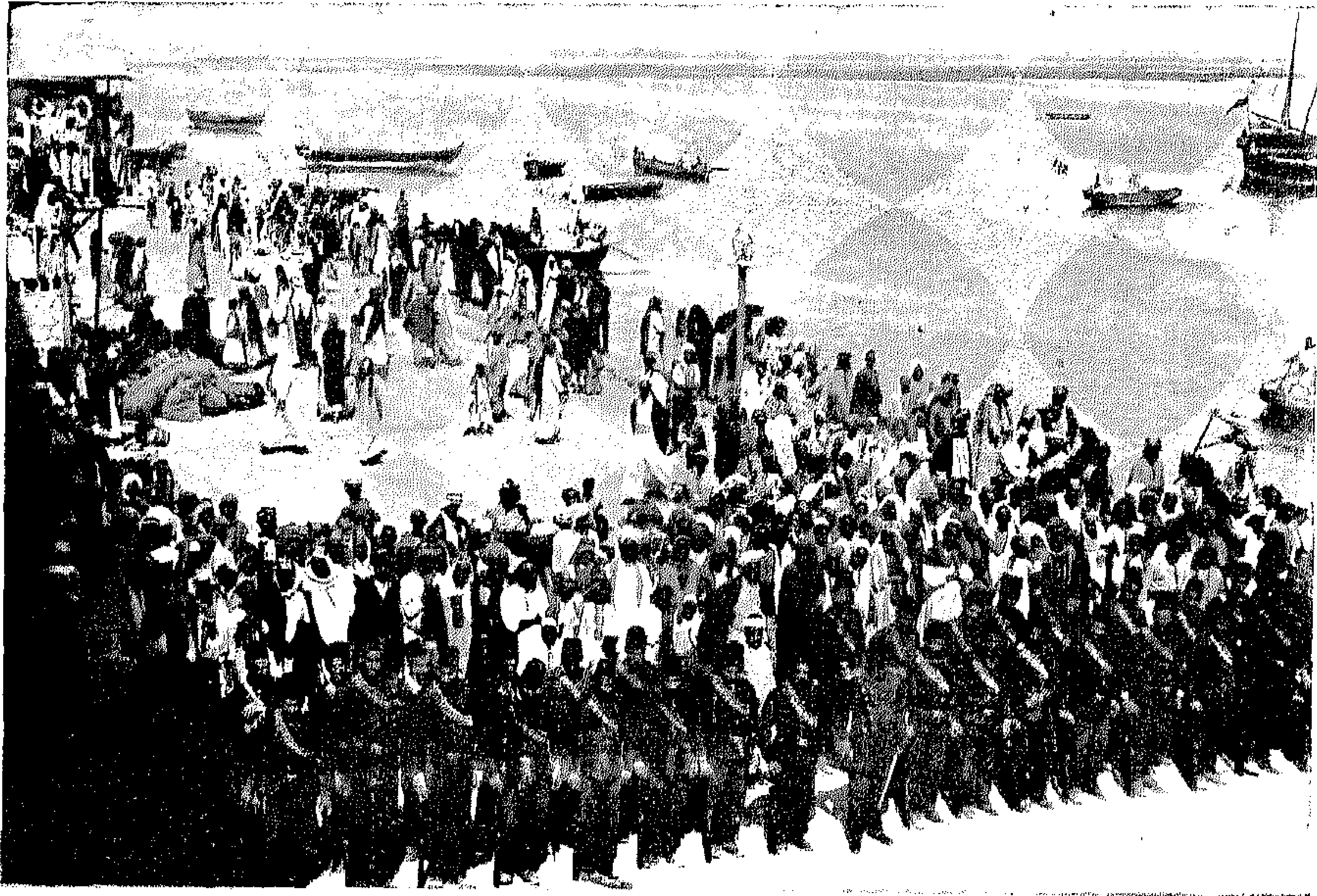
وقد كتبت الى دولة الشريف كتابا رسميا أطلب فيه تقدير أجرة الجمال من جدّة الى مكة فعرفة فمكة فجدّة ومن ينبع الى المدينة فينبع وسلمته اليه فى يوم ١٥ ذى الحجة فقال : إن تقدير الأجرة بين ينبع والمدينة يكون بالاتفاق مع محافظ الأولى ففرحت لهذه الإحالة ، أما أجرة باقى الطريق فسيكتب الينا بها ، فطلبت اليه أن يخبرنى بها قبل الكتابة الرسمية حتى لا يحصـل نزاع فى مقدارها بعد رسميتها إذا كانت تزيد على المناسب فوعد بأن يوافينى بخبرها قبل الكتابة إلىّ وأنه سيراعى جانبنا بقدر ما تسمح به العدالة والإنصاف . وفى السابع عشر كاتبنا رسميا بتقـدير الأجرة من جدّة الى مكة فعرفة وبالعكس وأنها ستة جنيهات إنجليزية ولمـا لم يخبرنى بها قبل الكتابة كما وعد توجهت اليـه فى يوم ١٨ ذى الحجـة فقال قبل أن أجلس : لمـا لم أجد فى تقدير الأجرة حيفا عليكم لم أر داعيا لإخباركم بها قبل المكاتبة ، فقلت له : إنهـا لكثيرة وإن الأهالى استأجروا الجمل من جدّة الى مكة بست ريالات مجيدية الى سبعة فأنكر ذلك وقال : إن أحمال ركب المحمل أثقل من أحمال الأهالى واستدعى كاتبه وأسرّه حديثا ثم أمره بإحضار الدفتر المقيد به أجرة الجمال فأحضر دفترا فردّه وتكرر الإحضار والرد حتى سئمت ثم قال : إن الأجرة مناسبة ليس بها من زيادة بل فيها مراعاة لكم . وفى الحقيقة هى مناسبة . فإن بعض الحجاج استأجر الجمل من جدة الى مكة بأربعة عشر ريالا مجيديا أى بجنيهين وثلث ، وبعضهم استأجر بجنيه ونصف ، وآخرين

بجنيه وسدس، ولكنى قصدت بمراجعته أن أضعف أمله فى زيادتها فى المستقبل .
وقد كتب الينا دولة الوالى كتابا تركيا حدّد فيه يوم الاحتفال بسفر المحمل وساعته وترى مثله مع ترجمته فى (الرسم ٥٢) صحيفة ٥٥ وفى يوم الاثنين ٢٣ ذى القعدة احتفل بسفر المحمل احتفالا كالذى وصفناه فى حجة سنة ١٣١٨ هـ . (انظر الرسم ٢٠١) وبعده قصدنا المعسكر للاستعداد للسفر . وفى يوم ٢٤ ذى الحجة زرت دولتى الشريف والوالى مودعا وتسلمت منهما مكاتبات الى سمو الخديو السابق إجابة ما كتبت به اليهما ولم أحادث الشريف فى الـ ٦٠٠٠ الريال التى قررتها نظارة المالية ترضية للعربان عما يطلبونه عن السنين الماضية بناء على طلبى ذلك منها .

السفر من مكة الى جدّة فينبع البحر — قام ركبنا من مكة فى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذى الحجة (٢٥ مارس) ووصلنا جدّة بعد ظهر يوم ٢٦ وبعد حط الرحال قامت الجمال بجماليها من فورهم الى ينبع برا وبقى معنا « المقوّم » وكثير من مشايخ الحوازم وبعض مشايخ الأحامدة ليسافروا صحبتنا فى البحر وانتظرنا بجدّة يومين حتى شحنت الباخرة بالأمتعة واشترينا من العلف ما يكفى حيواناتنا الى أن تصل — إن شاء الله — الى المدينة . وفى التاسع والعشرين أبحرنا من جدّة على باخرة النجيلة فوصلنا ينبع فى غرة المحرم سنة ١٣٢١ هـ . (٣٠ مارس سنة ١٩٠٣ م) . وقد استقبلنا بالميناء (انظر الرسم ٢٠٢) محافظ ينبع ورئيس عسكرها (القومندان) بلباسهما الرسمى وحيتنا العساكر الشاهانية مصطفة على رصيف الميناء ثم أنزلت الأمتعة والمحمل الى البر ونزلنا واحتفل بالمحمل احتفالا عظيما هرع اليه الناس جميعا لأنهم لم يشاهدوا موكب المحمل قبل هذه المرّة اذ كان المحمل وقتما كان يسافر برا يمرّ بينبع النخل التى تبعد عن ينبع البحر مسيرة ١٢ ساعة ولا يمرّ بالثانية .

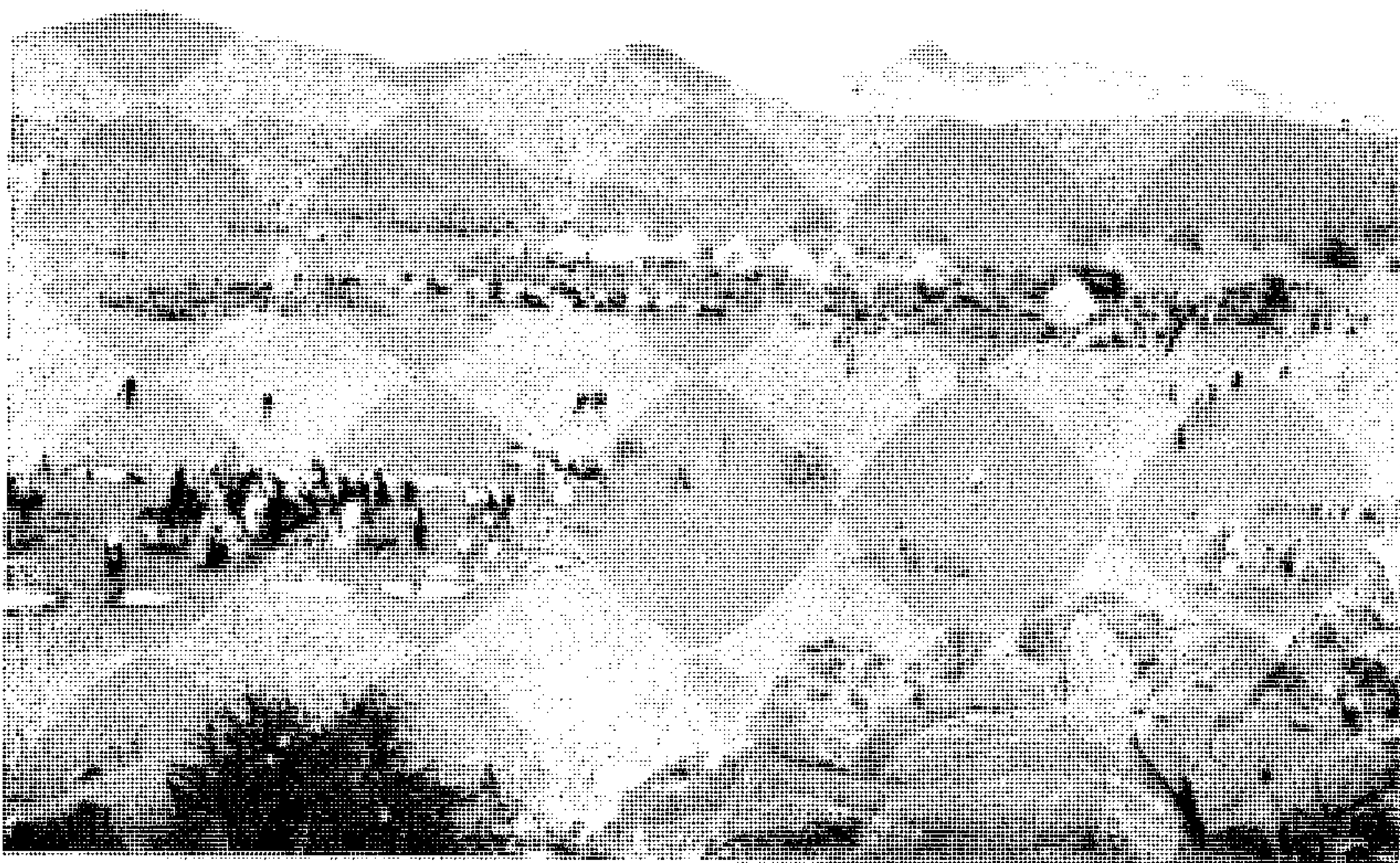
ينبع البحر — هذه المدينة واقعة على ٢٤° و٥ دقائق عرضا شماليا وعلى ٣٦° طولا شرقيا وهى على الساحل الشرقى للبحر الأحمر غربى المدينة وهى فرضتها التجارية والمسافة بينهما مسيرة ٥٩ ساعة من طريق ينبع السلطانى ولها مرسى مبنى بالحجارة ويسكنها ٧٠٠٠ نفس وبها ٨٠٠ منزل و٣٠٠ دكان وثلاثة جوامع وتسعة

منظر العساكر الشاهانية بينبع لاستقبال المحمل الشريف



202. Turkish soldiers at Post Yambo waiting for the reception of the Mahmal.

معسكر المحمل بالحمراء



203. A view of the camp of the Mahmal at the station of El Hamra in Moharram in 1321.

مساجد صغيرة — زوايا — ومكتب للتعليم ودار للحكومة وأخرى للبريد ومخزن كبير وصهاريج يتجمع بها ماء المطر وفيها ينابيع ماء لكنها قليلة الغَناء وتجلب لها المياه من محل يسمى « المسيحلى » على مسير خمس ساعات (انظر شكوى أهل ينبع فى الرحلة الثالثة) . ولينبع محافظ ونائب عنه ومجلس إدارة يرأسه المحافظ ويتألف منه ومن ستة أعضاء ثلاثة منتخبون والثلاثة الآخرون نائب المحافظ ومدير الأموال ورئيس التحريرات وفيها مجلس بلدى يتألف من رئيس وثلاثة أعضاء وبها شرذمة « أورطة » من الجنود وجوّها رطب ويحيط بها سور به باب مخفور فى الجهة الشمالية وهذا السور بناه دولة المشير عثمان باشا نورى الحاكم العادل الذى منع الأعراب من الدخول فى هذه البلدة مسلحين بل يضعون سلاحهم فى المخفر ثم يدخلون ويأخذونه بعد الخروج ومكتوب على السور الأبيات الآتية :

سلطاننا عبد الحميد له الهنا * أمنت بسعد رجاله الأوطان
لا سيما عثمان والينا الذى * بوجوده وادى الحجاز أمان
قدشاد سورا حول ينبع لم يزل * أثرا له ما دامت الأزمان
قلنا وقد لاح المؤرخ ناجزا * قد حصن سور ينبع عثمان (؟)

١٣٠٣

وكان قبل هذا السور سور آخر جدّده عثمان أغا بأمر دار السعادة فى سنة ١١٢٦ هـ . وقبل السورين سور آخر أمر بهدمه فى سنة ١٠٧٩ هـ . الشريف سعد صاحب مكة . وقد رأيت فى حجتى سنة ١٣٢٠ هـ . قلعة خربة كتب على بابها الغربى فى لوح خشب قديم :

ياسالما بلغت ما رمته * فى دار عز أنت شيدته
إن زرته ياصاح أو جزته * فتاريخه أثر قد نلته

١١٧٣

وفى سنة ٦١٧ هـ . بنى بها قلعة الشريف قتادة وقد اشتراها فى سنة ٦٣٩ هـ . صاحب اليمن على بن عمر بن رسول من الشريف أبى سعد الحسنى وأمره بهدمها .

وأكثر الحجاج يمرّون بينبع ميممين المدينة للصلاة فى المسجد النبوى ولزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم تبعا لذلك فينبغى العناية بها لأن نسبتها الى المدينة كنسبة جدّة الى مكة .

فى ينبع البحر — فى ثانى المحرم (٣٠ أبريل) زرت المحافظ زيارة رسمية وقدّمت له ولأمير جهينة مكاتبات من دولتى الأمير والوالى تقضى بمساعدتنا وطلبت من المحافظ تقدير الأجرة فوعدنى صباح الغد ، وفى الصباح قابلته فقال : إنه سينظر فيها بعد الظهر بحضور الأكابر فعدت اليه بعد الظهر فلم أجد بحضرته أحدا فطلبت اليه استحضار المجلس للفصل فى تقدير الأجرة فأرسل اليه ، وبعد نصف ساعة حضر أمير جهينة والمقوّم والأشراف والأعيان وكبار الموظفين وبدأنا الحديث فى الأجرة فطلب المقوّم أجرة للجمل الواحد بين ينبع والمدينة ذهابا وإيابا عشرة جنيهات إنكليزية ، فوقع ذلك من نفسى موقع الدهشة وقلت : هذا طلب غير معقول وإن الأهالى يدفعون من ثمانية عشر ريالا مجيديا الى عشرين : أى ثلاثة جنيهات إنكليزية وثلث ، فقال المقوّم : إن الأحمال ثقيلة والحشيش مأكول الجمال مرتفع الثمن لقلة الأمطار والمحمل يقيم بالمدينة أكثر مما يقيم الأهالى حتى يصرف المرتبات وإنه سيستحضر عددا احتياطيا من الجمال لوقت الحاجة ، فقلت : إن الأجرة أربعة جنيهات فأبى وكثر الأخذ والرد فى الموضوع حتى قال المقوّم : لا أرضى بدون ثمانية ، فأخذت أقدّر فى نفسى أجرة تناسب الأجرة من مكة الى المدينة فينبع ، فإن الشريف قدّرها بتسعة وثلاثين ريالا مجيديا لجمل الشقدف وأضفت الى ذلك نصف أجرة جمل للحملة كما هو المعتاد فاذا هى ٤٧ ½ ريالا : أى نحو تسعة جنيهات ونصف ، والطريق من مكة الى المدينة فينبع خمس عشرة مرحلة ، ومن ينبع الى المدينة ذهابا وإيابا عشر مراحل ، فتكون الأجرة المناسبة ستة جنيهات وزيادة بل ذلك دون المناسب لأنه جرت عادة الحجاج أن يقدّموا للعربان وقت السفر المآكل الجيدة ويغدقوا عليهم العطايا فزدت الأجرة الى خمسة جنيهات إلا ثلثا فلم يقبل ، فتوسط المجلس وحكم بسبعة فأبيت وهدّدت المقوّم بأنه اذا لم يقبل أجرا

مناسبا عدنا الى مصر وطال بنا الأخذ والرد الى ما بعد المغرب بساعة وانفرط المجلس ولما نتفق ، وأنذرت المقوّم بأنه إن لم يتنازل الى أجرة مناسبة عدلت عنه الى غيره فانصرف غضبان أسفا ، وقد قلت لأعضاء المجلس قبيل الانصراف : إنى لم أر منكم أية مساعدة كما وعدتم ولم تعملوا بوصايا الشريف والوالى ثم تركتهم فاضطر المقوّم ووكيله وكبير جهينة لمقابلة رئيس حرسنا وأمين الصرة وشكوا اليهم كثرة النفقات ورجوهما التوسط فى الأمر . وفى الصباح حضروا الى سرادق وتراودنا فى الأجرة فقبلوا بعد جهد جهيد أن تكون الأجرة خمسة جنيهات ونصفا وأخذت ما ينبغى من الشروط على المقوّم ولم أقابل المحافظ ولا غيره بعد ذلك لأنى لم أجد منهم أية مساعدة .

وقد أقمنا بينبع يومين دفعنا فيهما أزيد من خمسة وثلاثين جنيها مصريا ثمنا للمياه لأننا كنا نشترى القربة الشعرية المصرية بثمانين مليما . والماء يجلب الى البلد من آبار « المسيحلى » على مسيرة خمس ساعات أو ست ، وعند نزول الأمطار ترخص المياه .

السفر من ينبع إلى المدينة المنوّرة

صممت على السفر من ينبع الى المدينة فى يوم الخميس رابع المحرم سنة ١٣٢١ هـ (٢ أبريل سنة ١٩٠٣) وأخبرت المحافظ بما صممت عليه فأبلغنى أن "الطابور" (٥٠٠ جندى) الذى أمر به جلالة السلطان ليرافق المحمل فى ذهابه وإيابه لما يحضر ، وأنه أخبره رسول قدم من المدينة بأن الذى أخر العساكر بها قلة الجمال وكتب الىّ يستأخرنى يوما أو يومين ريثما يحضر العسكر ، فكتبت اليه بنفس كتابه أن التأخير لا يمكن وأن الأمر صادر بإعداد "الطابور" منذ شهرين ونصف وإنها لمدة تزيد عن الكفاية فحضر الىّ ورجانى فى التأخير فأبيت إلا ما صممت عليه وقلت : ماينبغى لى أن أرجع بعد أن عزمت ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فاضطر لتجهيز ١١٠ عسكرى من عساكر ينبع ومعهم مدفع وطلب الىّ مساعدته فى إعطاء العسكر ٢٠ قربة فأجبته الى رغبته وزدت .

المرحلة الأولى — فى مفتتح الساعة الأولى العربية من يوم الخميس رابع المحرم استقل ركبنا من ينبع وخرج من باب المدينة وسار على الدرجة (١١٥) البحر الأحمر عن يميننا والمحجر — موضع قطع الأحجار — عن يسارنا وبعد مسير ربع ساعة وقفنا ٥ دقائق وقد سرنا ساعة فى ميدان واسع سهل أرضه رملية ملحة بها زمر الحشيش من الجانبين وشجر السنط الصغير والجبال فى ميسرتنا على مبعدة منا . وفى الساعة ١ والدقيقة ٤٠ وجدنا بالأرض حصباء ومدقات وتزايد شجر السنط . وفى الساعة ٢ والدقيقة ٣٠ مررنا بمرتفع حجرى — تبة — على ميسرتنا يبعد عن الطريق نحو ٤٠٠ متر وكانت الحرارة ٣٤° . وفى الساعة ٢ والدقيقة ٥٠ صعدنا الى نشز فى الطريق وتزايدت الحصباء . وفى الساعة ٣ والدقيقة ١٠ مررنا بتلال على اليسار بعضها خلف بعض يختلف بعدها عن الطريق من ٥٠ الى ١٥٠ مترا ، وبعد ٥ دقائق مررنا على بيت صغير فى اليمين يبعد عن قارعة الطريق بنحو ٣٠٠ متر وبجواره ثلاث آبار مالحة تشرب منها الإبل عمق الواحدة منها قامة ونصف ويجاورها ثلاث عشرة نخلة صغيرة على درجة ١٩٠ من طريقنا ، وبعد ١٠ دقائق وجدنا على ميمنتنا حفائر مالحة . وفى الساعة ٣ والدقيقة ٤٠ مررنا فوق نشز وقلت الأشجار فى أرض صفراء تصلح للزراعة من مبتدأ الآبار . وفى الساعة ٤ والدقيقة ٣٥ مررنا على نشز آخر ووجدنا على يسارنا بيوتا من الشعر يسكنها العرب وآنقطع شجر السنط ، وبعد ١٠ دقائق هبطنا من النشز . وفى الساعة ٥ وصلنا الى آبار المسيحلى وهى فى خور به البيوت على الجانبين ومنها المالح والحلو أيما حلاوة ، وعلى مسيرة ٢٠ دقيقة على درجة ٢١٥ ماء يصلح للشرب به قليل الملوحة ، ثم قمنا من المسيحلى فى الساعة ٨ والدقيقة ٣٠ وسرنا على درجة ١٥٠ فى أرض حجرية محصبة . وفى الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ وجدنا شجر سنط وتزايد فى علو بعد ربع ساعة ، ثم سرنا ٢٠ دقيقة فى أرض عظيمة "الطمى" عرضها ١٠٠ متر ، ثم فى أرض حجرية تبدو بها المدقات تارة وتختفى أخرى ، وتوجد بها الحصباء مرة وتفقد ثانية وأخذت الأشجار تقل وما زلنا نسير حتى الساعة ١٢ والدقيقه ٢٠ أى بعد أن غربت الشمس وإذ ذاك حططنا الرحال ونمنا الى الصباح على غير ماء .

المرحلة الثانية — قمنا من مبيتنا مشرق الشمس من يوم الجمعة خامس المحرم عند تمام الساعة الحادية عشرة وسرنا على درجة ١٠٥ فى أرض رملية سهلة لا شجر بها. وفى الساعة ٢ مررنا بنشزين من الحجر الأحمر أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال، ووجد بالأرض حصباء قليـلة وشجر قصـير متفرق ليس بالكثير واقتربت الجبال اليسرى من مسيرنا شيئا فشيئا. وفى الساعة ٢ والدقيقة ٣٥ وصلنا "مضيق الفجيج" وعن يمينه ويساره جبال سـود متلاحقة بين الجبـل والآخر من ٣٠ مترا الى ٢٠٠ وببعض الجبال رمال أتت بهـا الرياح. وأرض الفجيج مرتفعة من أولها منحدرة من آخرها بعضها رملى وفيها أشجار عالية يستظل الناس بظلها ويجتاز المضيق الركب المؤلف من ٥٠٠ جمل فى ساعة؛ وبعـد الفجيج "بطن العذيبة" وهى ميدان واسع تتجمع فيه الأمطار والسيول التى تذهب الى البحر الأحمر وقد قطعناه فى ساعة و ٣٥ دقيقة وقد استرحنا بالطريق من الساعة ٥ الى الساعة ٧ ثم تابعنا السـير فوصلنا بعد ثلث ساعة الى مضيق كالفجيج قطعناه فى ١٠ دقائق. وفى الساعة ٧ والدقيقة ٣٥ بدأنا السير فى واد مستو ناعمة أرضه تباعدت عنه الجبال نحو ألف متر، والجبال اليمنى نشوز مرتفعة وفى سفح اليسرى شجر كثير. وفى الساعة ٨ والدقيقة ٢٠ اقتربت الجبال اليسرى من محجة الطريق ثم ابتعدت الى ألف متر وتصلبت الأرض ووجد بها بعض الحصباء وتغير الاتجاه الى درجة ١٣٥، وفى الساعة ٨ والدقيقة ٣٥ صعدنا على مرتفع تكتنفه الجبال من الجانبين ويقل به الشجر. وفى الساعة ٨ والدقيقة ٤٥ مررنا بعقبة حجرية لا تسع سوى قطارين اجتزناها فى ٤٥ دقيقة وتغير اتجاهنا الى درجة ١٠٥، وفى الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ عدلنا عن الطريق الأصـلى واتجهنا الى بئر سعيد على درجة ١٦٠ وسرنا فى أرض رملية تحفها الجبال والمرتفعات. وفى الساعة ٩ والدقيقة ٤٧ اجتزنا عقبة. ولتمام الساعة العاشرة وصلنا «آبار سعيد» وماؤها عذب فرات وعمقها ثمـان قامات وقد بتنا عنـدها فى محل تحيط به الجبال وضربنا حولنا نطاقا من عساكرنا بين الشخص والآخر ١٠ خطوات واللصوص بهذه الجهة كثيرون. وفيها جرح جندى خرج فى الفجر ليتوضأ من ماء جبده بعض

العربان لسق دوابهم وليبيعوه لدواب غيرهم فضربه أحدهم بحجر كسر فكه الأيمن ولولا استنجاده بالعسكر وإنجادهم له بسرعة لهلك وقد فر الضارب الى الجبال .

المرحلة الثالثة من بئر سعيد الى الحمرة — بدأنا الترحال من بئر سعيد فى منتصف الساعة الثانية عشرة بعد شروق الشمس من يوم السبت سادس المحرم وسرنا على درجة ٤٥ ربع ساعة ثم عشر دقائق فوق عقبة مرتفعة لا تسع إلا قطارين قطارين على درجة ٧٥ وهذه العقبة فى مجتمع الطريق الأصلى بطريق بئر سعيد . وهناك الجبال فى جميع النواحى وعلى قممها الجنود العثمانية ، وبعد العقبة سرنا ٢٠ دقيقة فى ميدان متسع عرضه يقارب ٢٠٠ متر، به رمل أحمر وحشيش وبعض الأشجار . وفى منتهاه مضيق ينتهى الى ميدان فسيح تحيط به الجبال ويسمى « ميدان واسط » وبه رمل أحمر أيضا وأشجار عالية ونوع من الحشيش يسمى « ضُرْمة » تأكله الإبل ، وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٤٠ مررنا على رمل أبيض وبعد ثلثى ساعة تحجرت الأرض واقتربت الجبال وانتهى وادى واسط فى الساعة ١ والدقيقة ٣٠ وبعد ٥ دقائق وجدنا فى ميمنتنا تلا من الرمل الأبيض فى سفحه « أهل بدر » وقد تغير الانجاه الى درجة ١٧٠ واتسع الطريق وكثرت الأشجار ذات اليمين وذات الشمال واسترحنا ربع ساعة . وفى الساعة ٢ والدقيقة ٣٥ سرنا على درجة ٩٢ وعلونا نشزا هو أول « نقر الفار » فى ميسرته على مدى ٤٠٠ متر بئران ماؤهما حلو مبنيتان بالحجر والملاط (المون) عمق كل منهما ١١ قامة، ثم هبطنا من النشز الى خور عرضه بين ٢٠٠ متر و ٣٠٠، به جبال عالية وأشجار ضخمة وأرضه حجرية صعبة يكثر بها الحصى الكبير وتمر منه الجمال فرادى وقد صعدت العساكر العثمانية الى أعالى الجبال لتحول دون العربان إذا أرادوا الاعتداء على ركبنا . وفى الساعة ٤ علونا مرتفعا فى نهاية « نقر الفار » واتسع الطريق لقطارين . وفى الساعة ٤ والدقيقة ٤٠ تغير اتجاهنا الى درجة ١٤٠ ووجدنا بجانب الطريق الأيسر بئرا حجرية عمقها ١٥ مترا ، وعرضها متران وبجدارها مشرب — سبيل — وتسمى البئر بئر عبيد بن نويشع الحازمى ، ومن البئر يوجد طريق الى الحمرة أخصر من الطريق المعتاد إلا أنه ضيق

لا يصلح لسير الإبل ذات الأحمال، ومنه نسير فى خور بعض أرضه رملى وبه شجر الحرمل وأشجار أخرى ضخمة كثيرة . وفى الساعة ٥ والدقيقة ٥٠ سرنا على ١١٠° ووجدنا بالطريق بعض العربان يبيع البطيخ والبلح والبصل الأخضر والطماطم والموز . وفى الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ تغير آتجاهنا الى ١٠° وظهرت بلدة الحمرة . وفى الساعة ٧ والدقيقة ١٠ دخلناها بعد أن سرنا ٧ ساعات و٢٥ دقيقة من بئر سعيد. وكان فيها المبيت وترى معسكرنا بها فى (الرسم ٢٠٣) والمتجمعون فى يسار الرسم السقاءون يأخذون المياه من العين الجارية وترى فى أسفله صخرات بعضها فوق بعض . وبأعلاه قمة كقمة جبل غار حراء بمكة .

والحمرة بلدة على يسار الطريق أرضها رملية بها من النخيل ما يقرب من عشرة آلاف وفيها ألف شجرة ما بين ليمون وسدر وبها سوق كبير حوانيته من جريد النخل يباع به التمر والبطيخ والبصل والفجل والحناء والمراوح والأجربة الجلدية. والموز والملوخية الخضراء وبها عين ماء ذات قناة مبنية يجرى فيها الماء وهى تأتى من جهة الصفرة وتتفرع الى ١٨ فرعا يسقى كل فرع بلدة .

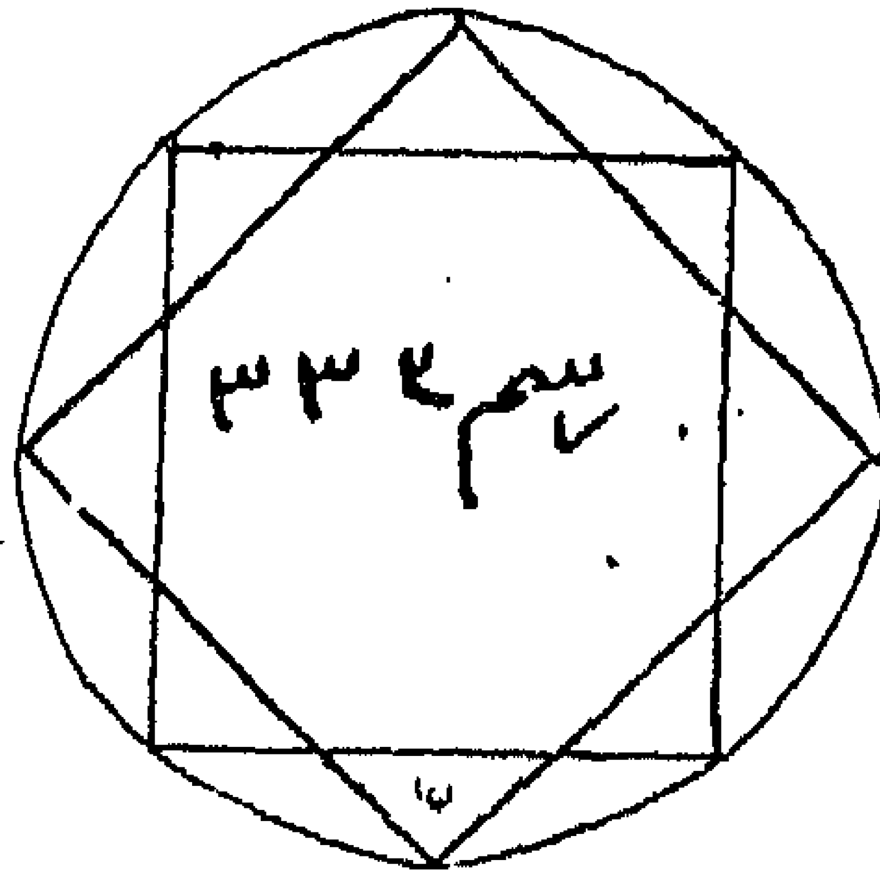
وفى هذه البلدة حضر مندوبا الوالى والشريف والمقوّم وأخبرونى بضرورة المبيت بهذه البلدة ليلة ثانية حتى تصل العسكر القادمة من المدينة فسألتهم عن السبب الحقيق فقالوا : إن عربان الأحامدة يريدون الأذى بالمحمل فرفضت المبيت لأنه يطمع فينا الأعراب ولأنى تبينت الغرض الحقيق من البيات وهو أنهم رغبوا فى التوجه الى منازلهم القريبة والتلبث بها يوما فاختلقوا مسألة الأحامدة وقد أمرت أن يكون الرحيل كالعادة فأذن مؤذن بذلك فى الركب وبعد نصف الليل بساعة أيقظونى من النوم ورجونى فى التأخير فأبيت إلا ما عزمت وآستشرت رئيس الحرس فوافقنى فى الرأى وسطرت كتابين لكبار مشايخ الأحامدة أرسلتهما ليلا مع هجان وضمنتهما أن سير المحمل بديارهم وأنهم يستعدون لمقابلته ومرافقته الى منتهى حدودهم، بجاءتنى الإجابة أثناء السفر بجهة الجُدَيِّدة متضمنة آستعدادهم لكل خدمة ورجونى النظر فى معاشهم القديم وأن يصرف لهم من الآن فصاعدا المرتب السنوى.

حسب المعتاد . وفى أثناء قطعنا لهــذه المرحلة فى الإياب سمعت بعض الأعراب ينشد فى سير الهجين الجيد :

حثت ولا هزت * أطــراف الجاعــد
يا بعــد مسراحك * عــلى اللى قاعـــد
نبيع بمــا باعــوا * ونشرى بمــا شروا
ولا غبن إلا * فى النضا والحلايل

ويعنى بالجاعد الفروة، ويعنى بالنضا البعير المهزول، وبالحلايل الزوجات .

المرحلة الرابعة من الحمرة الى بئر عباس — فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة مشرق الشمس من يوم الأحد سابع المحرم (٥ أبريل) رحلنا من الحمرة وبعد مسير ثلث ساعة تغير اتجاهنا الى ٧٥° وأرملت الأرض ووجدنا شجر الحرمل بين شجر كثير متفرق فى الجانبين . وفى الساعة ١١ والدقيقة ٤٠ سرنا فى أرض حجرية . وفى الساعة ١٢ تغــير الاتجاه الى ٥٥° ودنت جبال اليسار بالطريق وابتعدت جبال اليمين وبعــد ربع ساعة ارتفعت بنا الأرض وهبطت الى واد بعض أرضــه رملى وبعضها صخرى . وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٢٥ انعطفنا الى اليسار على ٣٦٠° وبعــد ربع ساعة ابتعدت عنا جبــال اليسار بنحو ٣٠٠ متر . وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٥٤ وجدنا حجرا أزرق مكعبا ضلعه نصف المتر بدائره شكل الخاتم المعروف بخاتم سليمان، أنظر (الرسم ٣٣٢) . وفى الساعة ١ والدقيقة ١٠ قربت منا الجبال الى ١٥٠ مترا وارتفع الطريق ووجدنا معالم قناة قديمة مبنية خالية من المــاء طولها ١٠ أمتار وهى فى سفح



الجبل الأيمن الذى به حفائر من مجرى السيول، وفى الساعة ١ والدقيقة ٥٥ ابتعدت الجبال عنا بنحو ١٠٠٠ متر وبدت للعيون نخيل بلدة «الجُدَيِّدَة» ووقفنا ربع ساعة لتنظيم الرحال . وقد بلغنى بالطريق أن كثيرا من عربان الأحامدة تجمعوا فوق الجبال يريدون بنا شرا فأمرت العساكر أن يستعدوا وتقدّم رجال المدفعية وتسلق قسم من عساكر الدولة جبالا تجاه الجبال التى اعتلاها العربان ، وأخذ الجند حذرهم من الأعراب خشية أن يصلوا الى الركب بسوء، فلما رأى الأعراب استعدادنا صاحوا وضربوا الطبل — النقارة — واعتصموا بقمم الجبال وتهيئوا للقتال، وكنا وقتئذ نسير فى مضيق فَأَخَذْتُ المندوبين والأشراف والشيخ عبد المعين بن حصانى كبير مشايخ صبح والشيخ فيصل بن فهد شيخ الفضلة وشيخ الحمرة وسرنا أمام الركب وأمروا العربان أن ينزلوا من معتصمهم فنزلوا ولما سئلوا قالوا : نريد عربان الحوازم ولا نقصد المحمل بسوء، ثم اجتمع الفريقان وأصلح الأشراف ما بينهم ومر الركب بسلام . وفى الساعة ٢ والدقيقة ٣٧ بلغنا الجُدَيِّدة وهى على يميننا وبها نخل كثير وعلى اليسار نخيل أيضا فى أرض صفراء تشبه أرض مريوط يضيق عندها الطريق الى ٣٠ مترا ثم يرتفع وينحدر الى أرض رملية عرضها نحو ٢٠٠ متر، وقد كان سيرنا فى مبدأ البلدة على درجة ١٨٠ وفى نهايتها تغير الاتجاه الى ٢٥° ، وفى الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ وجدنا قبة مبنية من الحجر فيها مقبرة الشيخ عبد الرحيم البرعى ، وفى الساعة ٤ سرنا على ٩٥° ورأينا على اليسار أرضا زراعية تحيط بها أسوار حجرية لأهل الجديدة وعندها الطريق حجرى تقرب منه الجبال العالية ، وفى الساعة ٤ والدقيقة ٤٥ تغير اتجاهنا الى ٥٥° وبعد ثلث ساعة تغير الى ١٢٥° ، ووجدنا على شمالنا أرضا زراعية يحيط بها سور وبها ٦ شجرات كبيرة من السدر «النبق» وفى الساعة ٥ والدقيقة ٢٠ سرنا على ٩٠° ، وعلى بعد ٣٠٠ متر نظرنا فى ميسرتنا شجر نبق فى أرض زراعية، وفى الميمنة مزارع، وفى الساعة ٥ والدقيقة ٥٥ تغير اتجاهنا الى ٧٠° ووجدت أشجارا على يسارنا ، وفى منتصف الساعة السابعة استرحنا وصلينا ثم تابعنا السير فى منتهى الساعة الثامنة على ١٥٥° ، وفى الساعة ٨

والدقيقة ٢٥ تغير سيرنا الى ١١٠° وبعد ٢١ دقيقة سرنا على ٤٠° ونزلنا من منحدر رملى ، وفى الساعة ٩ سرنا على ٩٥° ووجدنا على يسارنا بئرا فى وسط أرض زراعية فسيحة بها كثير من البرك المائية الطبيعية تسمى الترعة ويسكنها عرب ميمون وينام بها الحجاج ، وفى الساعة ٩ والدقيقة ١٥ سرنا على درجة ٢٠ وبعد ربع ساعة على درجة ١١٥ ووجدنا بالأرض حصى صغير يسهل المرور فوقه ، وقل ارتفاع الجبال اليمنى ، وفى الساعة ٩ والدقيقة ٥٥ سرنا على درجة ٣٥ فى ميدان واسع به حصباء وقلعة خربة بنيت من الحجر وبئر سعة فمها أربعة أمتار ونصف وعمقها ١٥ وعرض جدرها ٨٠ سنتيا ، وحول البئر أحواض مستديرة يشرب منها الحيوان صنعت من جلد الغنم وهى معلقة على خشب رفيع من شجر السلم ومسندة بأحجار ، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ وصلنا بئر عباس ، وبعد أن نصبنا الخيام للبيت بها قدم الينا من المدينة مائتا عسكرى عثمانى من المشاة على رأسهم عشرة ضباط يرأسهم « بكباشى » ومعهم مدفعان جبليان وقد حييناهم التحية العسكرية وانضموا الى قوتنا ورافقونا الى المدينة ، وعند وصولنا الى بئر عباس وجدنا فى انتظارنا كثيرا من مشايخ عربان الأحامدة وتابعيهم فأقبلوا الينا قبيلة قبيلة محيين فقدمنا لهم القهوة والشاى ثلاث مرات كما تعودوا ثم خرجوا ورجعوا سريعا وطالبونا بحقوق سابقة وأخرى لاحقة ، فقلت لهم : أحب أن يبقى رؤساء القبائل لأباحثهم فى المطالب ومن عداهم ينصرف ، فهاجوا وماجوا حتى لم أستطع أن أميز نابلهم من حابلهم وكبيرهم من صغيرهم ، فصرفتهم حتى يتفقوا أو تنتخب كل قبيلة رئيسا لها ، فحضر أكثرهم غير متفق واستمروا متنازعين من الساعة ٤ بعد الظهر الى الساعة الحادية عشرة ، ولما رأيت كل فرد مستبدا برأيه وأنه لا يقف تحت لواء شيخه أخبرتهم على سواء أن إجابتهم الى مرتبات السنين الماضية مستحيلة لأنها تصرف لهم نظير خدمة المحمل ومادامت الخدمة مفقودة فلا مرتبات إنما لهم الحق فى مرتب السنة التى يمر فيها المحمل بديارهم وأن عليهم أن يقدموا الى الحكومة طلبا بذلك

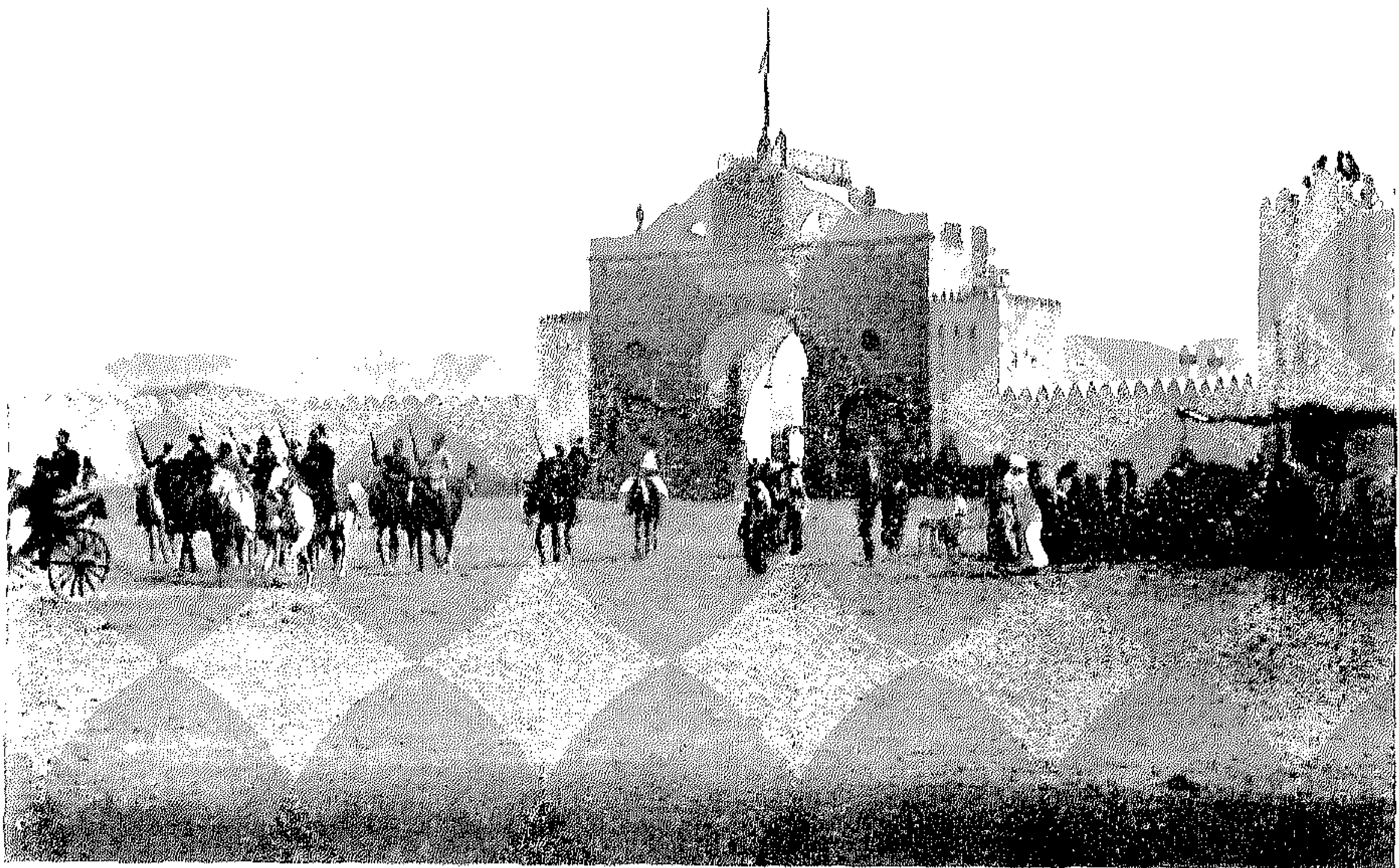
ومنيتهم المساعدة ففرحوا بذلك واستبشروا، ولم أر من المستحسن أن أفتح لهم باب الترضية بستة آلاف الريال — بطاقة — (٦٠٠ جنيه) التى قررتها المالية لأن ذلك لا يكفيهم ويطمعهم فى أضعاف أضعافه .

المرحلة الخامسة من بئر عباس الى بئر درويش — فى الساعة التاسعة العربية والدقيقة الـ ٤٥ من ليلة الاثنين ثامن المحرم سرنا من بئر عباس على درجة ٣٥ الى الساعة ١١ ومكثنا ١٠ دقائق صلينا فيها الصبح ثم واصلنا السير فى طريق تقترب منه الجبال ويحف به من الجانبين شجر السلَم الكبير، وبالأرض حصى صغير أخذ يتكاثر الى الساعة ١١ والدقيقة ٥٠ التى تغير وقتها اتجاهنا الى درجة ٩٠ عند ملتقى الطريق السلطانى بالطريق الفرعى وطريق ينبع الذى نسلكه، وفى الساعة ١١ والدقيقة ٥٥ وجدنا مشربا — سبيلا — باليمين، وفى الساعة ١ سرنا على درجة ١٠٠ ووصلنا بعد ساعة الى بئر الراحة وهى كبئر عباس عمقا وسعة، وحوله أشجار من الجانبين فى أرض زراعية يحيط بها سور من الحصى، وبعد الساعة ٢ والدقيقة ٤٠ تكاثرت الأشجار وضخمت، وفى الساعة ٣ والدقيقة ٥ سرنا على درجة ١٥ وزادت الأشجار اليمنى كثرة، وفى الساعة ٦ وضعنا الرحال واسترحنا ساعة ونصفا تغذينا فيها وصلينا، وفى الساعة ٧ والدقيقة ٣٠ سرنا على درجة ٣٦٠، وفى الساعة ٩ تغير الاتجاه إلى درجة ١١٠ وكانت الجبال على ١٠٠ متر منا وهى جبال صغيرة، وفى الساعة ١٠ وصلنا «بئر عار» وهى كبئر عباس وفى جوارها بئر خربة، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ١٠ سرنا على درجة ٧٥ فى أرض بها الحصباء الحمراء والجبال علت كما كانت من وقت مسيرنا من الحمرة، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ ابتعدت جبال اليمين، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ سرنا على درجة ٢٠، وفى الساعة ١١ والدقيقة ١٠ وصلنا «بئر درويش» وهى فى ميدان فسيح مبنية بالحجر والملاط (الموَن) وسعتها ٨ أمتار وعمقها الى الماء ١٤ باعا — حوالى ٢٥ مترا — وعرض جدرها ثلاثة أمتار، وماؤها حلو غزير لا ينضب معينه يكفى جميع القوافل مهما بلغ عددها وكثر أفرادها، وقبل أن نصل الى بئر درويش أطلق أشقياء الأحامدة علينا اثنى عشر رصاصة

لم تصب والحمد لله أحدا منا بسوء وكانوا فوق جبل شامخ ، وعنـد ذلك أمر « القومندان » الجند فترجلوا من على ظهور الجمـال واستعدوا ولم نقطع السـير بل تابعناه ، غير أن مؤخرة الركب التى كانت من عساكر المدينـة وقفت قليـلا وأمر « قومندانها » قسما منها فتسلقوا الجبال فذعر الأعراب وانقطع إطلاق الرصاص.
وفى « بئر درويش» جلسنا جلسة حضرها مندوب الشريف وأكابر مشايخ الحوازم. والشيخ فيصل بن فهد كبير الفضلة والشيخ عبد المعين بن حصانى من مشايخ قبيلة صبيح بجهة بدر، وقد قدرنا فى هـذه الجلسة ما يصرف لكل قبيلة مكافأة لهـا على خدمتهـا للمحمل وقد راعينا الاقتصاد ما أمكن ثم استحضرنا مشايخ القبائل أوزاعا وعرفنا كلا ما قدر له فكان يأبى إلا أن يزاد فأزيده النزر اليسـير وما كنت أعلم شخصا بمـا قدّر للآخر حتى لا يتمادوا فى طمعهم ولا يحقد بعضهم على بعض، وقد استمر الصرف الى السـاعة الثالثة بعـد نصف الليـل ثم أمرت الصراف أن يغلق الخزينـة ويختمها ففعل وأخرج العسكر العرب من خيمة الصرف ، وجاء الذين لم يأخذوا وكانوا طامعين فى الزيادة يرجوننى صرف المقرّر فوعدتهم ذلك فى الصـباح. وأمر « القومندان » جنديا يخفر خيمتى لمـا رأى من سوء حالة الأعراب .

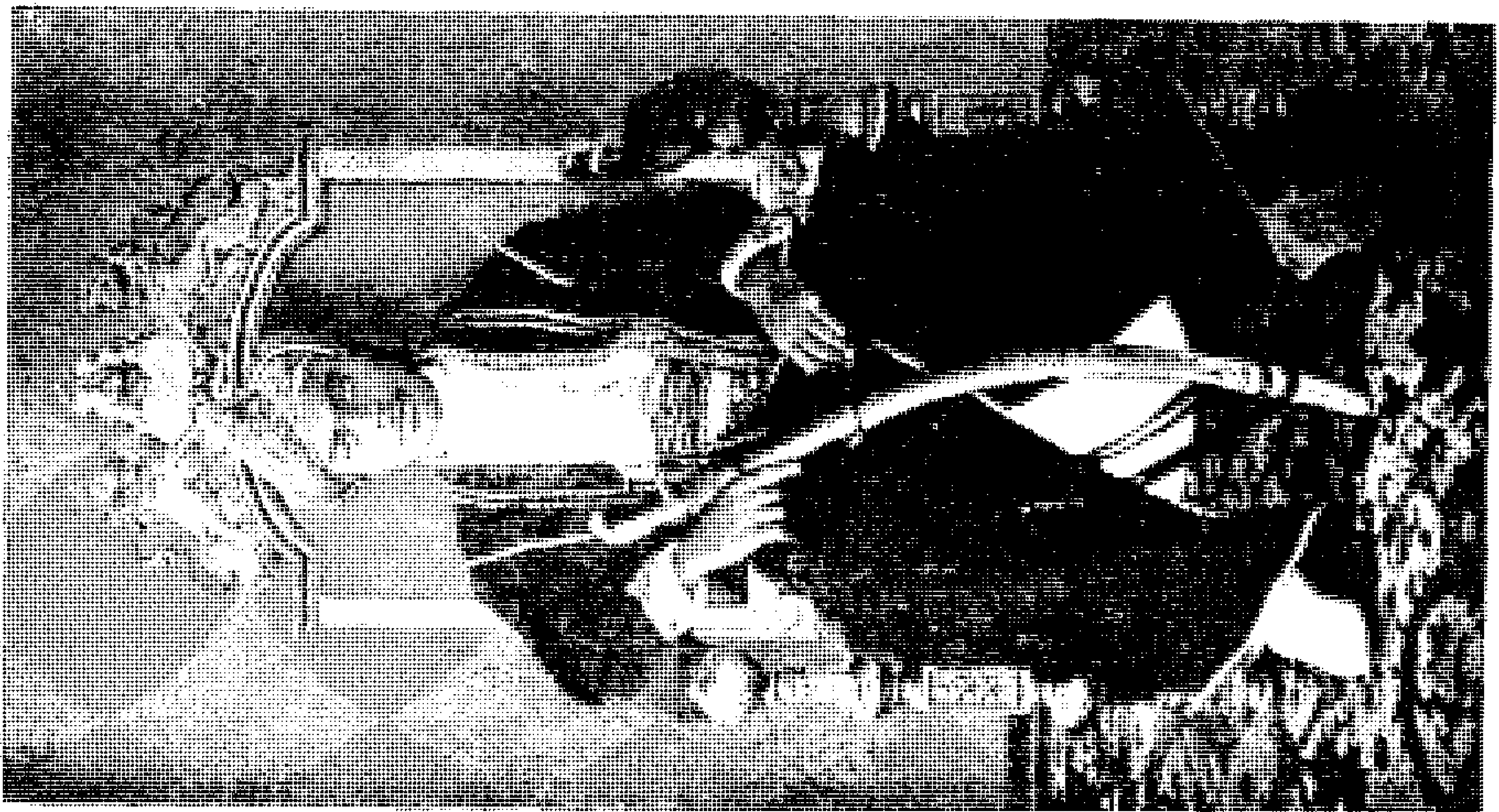
المرحلة السادسة من بئر درويش إلى المدينـة — فى منتصف الساعة الحادية عشرة العربية من ليلة الثلاثاء تاسع المحرم (٧ أبريل) قمنا من بئر درويش على درجة ٢٠ وسرنا فى ميدان فسيح الى الساعة ١٢ والدقيقة ٥ ثم اقتربت الجبال الى ١٠٠ متر وانقطعت الأشجار وتحجرت الأرض ثم تباعدت الجبال بعد ١٠ دقائق. وتغير الاتجاه الى درجة ٥٥ ووجدت الأشجار على جانبى الطريق والحصباء على ظهر الأرض، وفى السـاعة ١٢ والدقيقة ٥٥ انفسح الطريق وعلونا نشزا بيـن تلين متقاربين لا يمر منه إلا قطاران قطاران ثم انحدرنا منه الى طريق واسع وتغير الاتجاه الى درجة ٨٥، وفى الساعة ١ والدقيقة ٣٠ صعدنا على مرتفع آخر انتهى بنا الى واد.

باب المدينة المنورة المسمى بالعنبرية



حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اللواء ابراهيم رفعت امير الحج المصري في محرم سنة ١٣٢٦

204. The Medina Gate known as El Anbarieh.



205. A photo of the Sultan of Zanzibar.

متسع ضخم الشجر، وتغير الاتجاه الى درجة ١٥، وفى الساعة ٢ والدقيقة ١٠ انعطفنا نحو اليمين على درجة ٥٥ وتحصبت الأرض ووجدت بهـا مدقات ولقينا بالطريق « بئر الشريوفى »، وفى الساعة ٢ والدقيقة ٤٥ سرنا على درجة ١٣٠، وفى الساعة ٣ والدقيقة ١٠ علونا مرتفعا وتغير الاتجاه الى درجة ٧٥، وفى الساعة ٣ والدقيقة ٥٠ سرنا على درجة ٣٥ : ٥٥ دقيقـة وعلى درجة ١١٥ : ٢٥ دقيقـة ودرجة ٥٥ : ٥ دقائق ثم صعدنا الى عقبـة ذات ارتفاع وانخفـاض وازورار وتغـير الاتجاه الى درجة ٧٥، ولتمام الساعة السادسة استرحنا نصف ساعة ثم تابعنا السـير على الاتجاه السابق، وفى السـاعة ٧ والدقيقـة ١٥ تغير الى درجة ٥٧ وتباعدت الجبـال، وفى السـاعة ٨ والدقيقة ٥٠ رأينا « وادى العقيق » على اليمين وفيه بئر المـاشى على بعد ٤ ساعات، ووصلنا « آبار على » فى الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ و « بئر عروة » فى الساعة ١٠ والدقيقـة ٥٠ وبجوار البئر مسـجد ومخفر وبستان، ومنهـا يضيق الطريق حتى لا يسع سوى قطارين، وبه ارتفاع وانخفاض ودرجات واسعة مبنية، وفى الساعة ١١ والدقيقة ٤ مررنا ببرج وقلعة على اليمين فوق ربوة عالية وبهما جنود عثمانية والأرض حجرية سوداء، وقد اجتلى لأعيننا منظر المدينـة، وفى الساعة ١١ والدقيقة ١٣ وجدنا مشربا على اليمين كتب عليـه أبيات شعرية، وفى السـاعة ١١ والدقيقة ٣٠ وصلنا المدينة بسلام وقد استقبلتنا العساكر الشاهانية بموسيقاها ومندوبان من قبل المحافظ وشيخ المسجد النبوى واستقبلنا أهل المدينة على مسيرة ساعة منها، وكانت حفلة الاستقبال غاية فى البهجة والنظام .

الوصول الى المدينـــــة

دخلنا المدينة من باب العنبرية الذى تراه فى (الرسم ٢٠٤) والذى ترى به عربة فيهـا سلطان زنجبار ومحافظ المدينة وراءهما ثلة من الجنود التركية، وترى فى الرسم أيضا جزء من السور المحيط بالبلد، وقد أقمنا بالمدينة من يوم الأربعـاء عاشر المحرم الى عصر الجمعة تاسع عشره (١٧ أبريل) .

وفى عاشر المحرم استرحنا وحظينا بالصلاة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم زيارته صلى الله عليه وسلم وقابلنا شيخ الحرم والمحافظ زائرين، وفى حادى عشره احتفل بإدخال كسوة المحمل فى الحجرة النبوية، وفيه أيضا رد لنا شيخ الحرم والمحافظ زيارتنا الرسمية، وبدأنا فى صرف المرتبات والأمانات، وفى رابع عشره أخبرنى المحافظ أن عربان الأحامدة ممتعضون من عدم صرف المرتبات اليهم وأنكم وعدتموهم ارسال برقية الى نظارة المالية لتأذن بالصرف لهم، فأجبته بأنى لم أعد أحدا إلا شيخا من بنى عمرو يسمى حمزة بن راجح أخبرنى بأن له مرتبا مقطوعا منذ سنتين أو ثلاث، فقال : إنكم لم تصرفوا لهم من المكافآت إلا قليلا ثم هم يطالبون بالمرتبات القديمة فقلت له : انى أرضيتهم بما كافأت به ونبأتهم أن صرف المرتبات القديمة لا يمكن ومنيتهم المساعدة فى باقى ما طلبوا، فرضوا بذلك وأخيرا طلبت منه إحضارهم لإقناعهم أمامه فاجتمعوا بمنزل المحافظ فكررت عليهم بصوت جهورى ما ذكرته للمحافظ من الاتفاق الذى تم بينى وبينهم فقالوا : حقا ما قال غير أنهم طلبوا منى الكشف من الدفاتر القديمة على ما كان يصرف لهم من المرتبات وقال أكثرهم : إن الأمراء كثيرا ما وعدونا النظر فى طلباتنا ثم لا يفون بالوعد فقلت لهم : إنى رافع رغباتكم الى الحكومة بنفسى ومساعدكم فيها جهدى وإن الأمير الذى يأتى فى العام القابل سيخبركم بما أمرت به الحكومة وعليكم أن تذعنوا لأمرها ثم طلبت من المحافظ أن يعين لكل قبيلة شيخا تصرف له المكافأة ويكون مسئولا عما يحصل فى جهته فقال : إن العرب لا يذعن بعضهم لبعض وليس لهم رئيس يخضعون لأمره ويرضون بما ارتضى ثم انصرف المشايخ وبقيت مع المحافظ ومندوبى الشريف والوالى وباب عرب المدينة دياب افندى الذى يقضى فى المنازعات التى تحدث بين الأعراب والحجاج والأهالى ثم طلب الىّ المحافظ أن أغير الطريق الذى حضرت منه بطريق آخر الى ينبع يسمى « الطريف » زاعما أنه آمن من الأول وأنه يخشى علينا تحزب الأحامدة ووعد أن يمدنى بقوة من عنده فقلت له وأنا مندهش : إنى حضرت من الطريق الذى تنفرنى منه وليس معى إلا ٣٠٠ عسكرى ولم يحدث

ما يكدر فكيف أخشى الرجوع منـه ومعى ٥٠٠ جندى وأربعة مدافع إنا ان غيرنا الطريق ظن بنـا الأعراب الظنون فقال : كثيرا ما غيرت المحامل طريقها، فقلت تلك عادة المحمل الشامى ليفرّ من دفع المرتبات أما نحن فلا نخلف وعدا ولا ننقض عهـدا فمم نخاف ؟ إنا من طريقنا آئبون ما لم تأمرنا الحكومة الحجازية بالتغيير أو نضطر إلى ذلك ثم انصرفنا، وفى مساء ١٧ المحرم جاءنى كتاب تركى العبارة يطلب حضورى بديوان المحافظة مع أمين الصرة ورئيس الحرس فى الساعة الأولى العربية من صباح الغد لعقد جلسة غير عادية ، وقد أدركت لأوّل وهلة أن الاجتماع لتغيير طريق السير فأستحضرت من فورى المقوم والشيخ فيصلا من الأحامدة وأخبرتهما بعزم المحافظ على تغيـير الطريق ، وقلت لهما : ينبغى أن تفهما القبائل التى تنتمى اليكما أن الطريق اذا تغـير حرموا من مكافأة المحمل وخيراته . وفى الساعة الثالثـة العربية من صباح ١٨ المحرم انتظم عقـد المجلس بدار المحافظة رئيسه محافظ المدينة وأعضاؤه قاضيها ومفتيها ومفتى الشافعيـة ونقيب الأشراف و « الدفتردار » وأمير المحمل المصرى وأمين صرته ورئيس حرسه، وقد افتتح الرئيس الجلسة بقوله : إن الطريق السلطانى الذى سلكه المحمل فى قدومه مخيف ومهدّد من عربان الأحامدة، وقد اجتمعنا لنختار طريقا أوفق وأرى أن يكون طريق الطريف، فطلبت منه منهج السـير فيه فأحضره وتأملتـه فاذا هو تسع مراحل تقطع فى ٩٦ ساعة وهو مع هذا قليل المـاء صعب المسلك بخلاف طريقنا فإنه سهل كثير المـاء خمس مراحل تقطع فى ٥٩ ساعة فقلت للحافظ ومن أنى بلغك مخافة الطريق ؟ فقال : إشاعات بالأسواق فقلت : لا عبرة بالإشاعات بعـد الذى رأينا من مساعدة الأحامدة فأخرج لى كتابا من «جيبه» حرره اليه الشيخ شاهر بن نصار مندوب الوالى المرافق للمحمل من مكة وفيه يعدد بعض أسمـاء من الأحامدة يريدون الفتك بالمحمل عنـد رجوعه من أجل وعد أميره بمخاطبـة ناظر المـالية فى مرتباتهـم بالبرق اذا ما وصل الى المدينـة ولم يف بمـا وعد وأنه ينصح بسلوك المحمل طريق الطريف ويتعهد بوصول المحمل منه سالمـا، ولمـا كان شاهر بن نصار مقوّم المحمل سابقا فرت منه

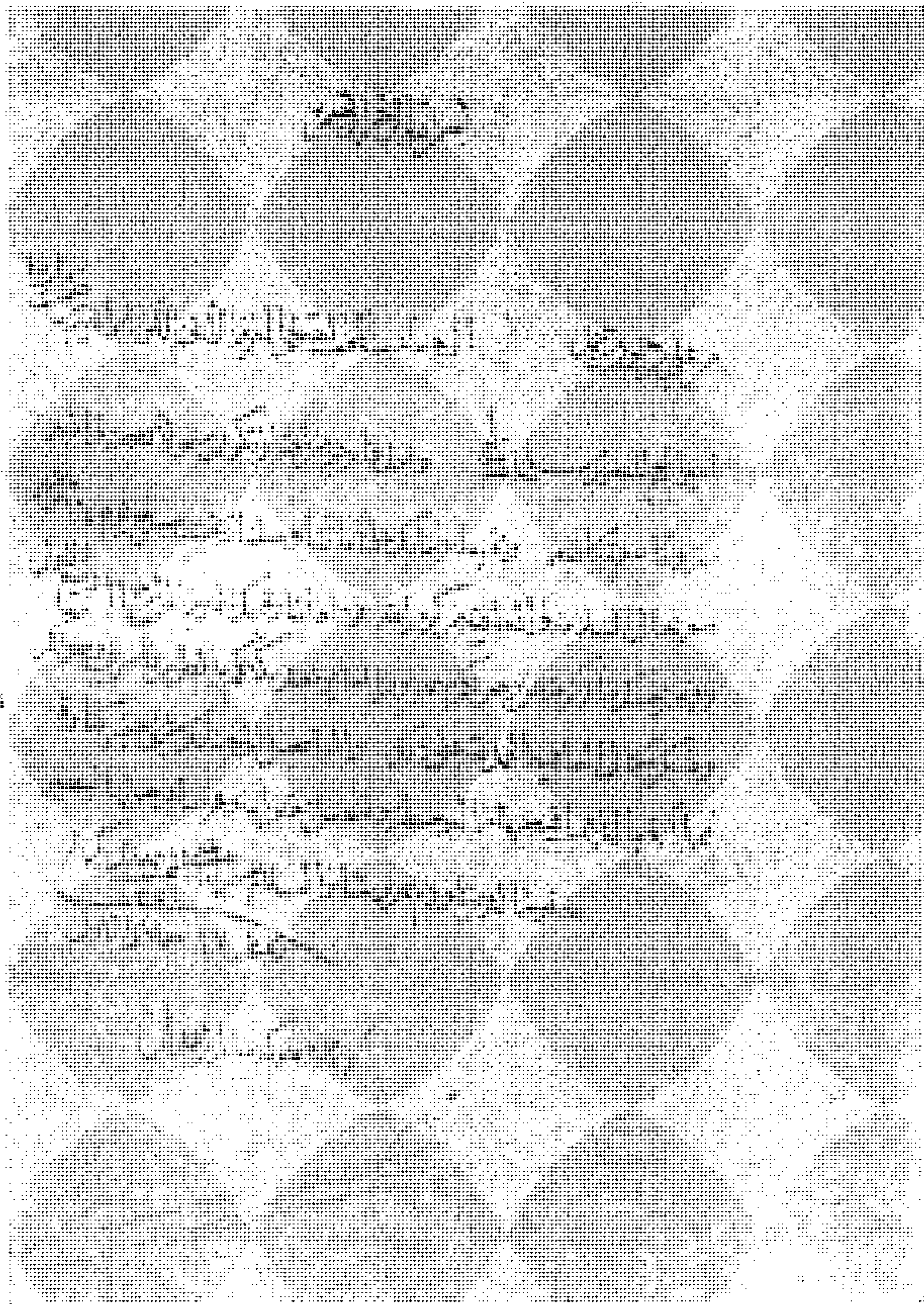
الجمالة بجمالهم لمنع الأجرة عنهم ، وترتب على ذلك مكث المحمل بالمدينة شهرا وتجشمه نفقات غير عاديه ، لما كان ذلك منه اتهمته في نصيحته وقلت للحافظ بعد تلاوتي الكتاب على الحضور : لماذا انفرد شاهر بكتابة هذا الكم دون أبيه؟ وكلاهما معين من قبل الوالى لمرافقة المحمل فقال : إن أباه كبير مريض والثقة فى ابنه فقلت : لا أترك طريقا أمما قريبا لقول متهم فقال المحافظ : هاك ما يؤيد قول شاهر وأخرج كتابا وصله من محافظ ينبع ينبئه فيه باحتشاد الأحامدة فى الطريق ليفتكوا بالمحمل وركبه وأنه يخشى عليهم اذا رجعوا من حيث قدموا ، وبعد تلاوة الكتابين تداول الأعضاء وقر قرارهم على سلوك طريق الطريف ، وأمر المحافظ الكاتب الأول بتدوين القرار فدوّن ، وأمسك الأعضاء بأختامهم ليوقعوا فقال لهم القومندان : قبل أن تبرموا أمرا اعلموا أن حكومتنا حتمت السير من طريق ينبع بعد أن خابرت الباب العالى والوالى والشريف وأقروها على ما آعتزمت ، فتروووا فى الأمر فاستحضر المحافظ كتابا أتاه من الوالى يتضمن المخابرات ومساعدة المحمل على السير فى طريق آمن فحسب ، فطلبنا من المحافظ إحضار مشايخ الأحامدة لنقف على أغراضهم فأحضرهم وتلوت عليهم كتاب الشيخ شاهر — على كره من المحافظ — فتأججت فى نفوسهم الحمية العربية وقام منهم فيصل بن فهد — وكنت وعدته المكافأة — وضرب صدره بيده وقال : إنى بالنيابة عن قبيلتى وقبيلة بنى فهد و بنى زيد أتعهد بخدمة المحمل والمحافظة عليه اذا ما مرّ بديارنا وتبعه بقية المشايخ فقال المحافظ : برهنوا على صدقكم بتقديم رهائن منكم حتى اذا ما وصل المحمل بسلام إلى ينبع أطلقنا سراحها فأجابوا بعد اختلاف بينهم وقدّموا خمسة منهم نظير ٩٠٠ ريال — بطاقة — دفعناها تأمينا للرهائن وكانوا طلبوا عن كل شخص ١٢٠٠ ريال — ٢٠ جنيها مصريا — ولكن ما زال الأمين يساومهم حتى اتفق معهم على هذه القيمة وقدّموا الرهائن فى اليوم نفسه ، فسكنت نفس المحافظ وانتهت هذه المشكلة التى لو سايرناه فيها لغرمنا ٨٠٠ جنيه انجليزى فرق أجرة الجمال فقط إذ تزيد أجرة الجمل جنيهين ونصفا ولزدنا أربعة أيام فى الطريق نتكلف فيها النفقات الباهظة ،

ومن جهة أخرى يظن فينا العربان الضعف والخور والجهل بدخائل الأمور ولأجل إقناع المحافظ وأعضاء المجلس بأنى لم أعد الأحامدة بمخاطبة نظارة المالية فى مرتباتهم حين أصل الى المدينة — سألت مشايخ الأحامدة فردا فردا على مرأى من المحافظ والأعضاء ومسمع هل وعدتكم ذلك ؟ فكانوا يجيبون بالنفى . ومن الغريب أن العربان لما طلبوا عن كل رهينة ١٢٠ جنيها ساعدهم المحافظ وقال : إما أن تدفعوا ما يطلبونه أو تغيروا الطريق كأنه يريد من سلوكه حاجة فى صدره ولكن لم يبلغها وقضى الله لنا بأيسر الطريقين فله الحمد والمنة .

ومن ١٤ المحرم الى ١٩ منه كثر ورود الأعراب الينا طمعا فى المكافأة أو فى تقدير مرتب لهم ، وكانت التكية المصرية مع سعتها تضيق بهم وقد عقدنا عدّة جلسات تارة معهم وتارة مع المحافظ لتقدير ما يرضيهم فما أنتجت نتيجة لأنهم كانوا ينقضون فى المساء ما أبرموه فى الصباح ، وكثيرا ما كان الأعراب يهددوننا ويقول الواحد منهم «نحن نضرب الكف ونأخذ أجرته» فأطردهم وأرضى غيرهم فيأتون صاغرين فأعطيهم اليسير لا على أنه مرتب ولكن مكافأة نظير خدمة حتى لا يتخذوا من ذلك ذريعة للمطالبة به فى الأعوام المقبلة ، وقد عسرت على العربان فى المكافأة خشية أن تظن الحكومة فينا التساهل ويعلم الله أنى لو كنت أنفق من مالى ما ساومت الأعراب هذه المساومة التى قبلوها بكل جهد جهيد ، وقد بلغ ما أنفقته عليهم فى ذهابنا ألفى ريال وما أنفقته حال عودتنا ثلاثة آلاف ومائة وخمسين ريالا ولولا ولوع المحافظ بتغيير الطريق ما أنفقنا هذا المقدار كله ولكنه يسير فى سبيل تذليل طريق مختصر يوفر علينا كثيرا من النفقات فى السنين المقبلة .

ولما حان وقت السفر ولما نتمه من ترضية العربان أمرت «القومندان» أن يسير بالمحمل وركبه الى « آبار على » حيث المبيت هنالك على ساعتين من المدينة وبقيت فى نفر من الفرسان بالمدينة أسترضى الأعراب الذين لا تنتهى طلباتهم

ما دام المحمل بالمدينة فأرضيتهم ثم لحقت بالركب فى الساعة التاسعة بعد الظهر، وقد رافقنا فى مسيرنا الى ينبع سلطان زنجبار وحشمه وصهر شاه العجم ونجله وحاشيتهما وذلك بأمر والى الحجاز ومحافظ المدينــة وكذلك رافقنا أمير دارين بالبحرين محمد ابن عبــد الوهاب باشا ومائتا عسكرى من عساكر الدولة المشاة معهم مدفع جبلى. وذلك بخلاف مائة العسكرى والعشرة الذين حضروا معنا من ينبع وسار معنا حجاج من أجناس مختلفة فى قافلتين بهما ٣٠٠٠ نفس و ٢٤٠٠ جمل على وجه التقريب وترى سلطان زنجبار فى (الرسم ٢٠٥) وقد أهدى الينا سيفا — كتاره فى لغته — بعد أن وصل الى سلطنته وبعث مع السيف الكتاب الذى تراه فى (الرسم ٢٠٦) .



(الرســم ٢٠٦)

وقد آحتفلنا فى المدينة قبل مبارحتها بتلاوة قصة المولد النبوى احتفالا حضره وجهاء المدينة وكبار الحجاج وكان القائم بتلاوة القصة وتلاوة ما تيسر من القرآن الشيخ منصور المصرى الشهير وكان حضر الى المدينة صحبة المحمل الشامى وساعده الشيخ حسن الشاعر السيوطى المجاور بالمدينة وكان الاحتفال بالمسجد النبوى والسرادق وقد وزعنا فى ختامه الحلاوى فى قراطيس وعطرنا الحضور أسوة بأهل المدينة فى حفلاتهم وقد أنفقنا فى ذلك ٢٤٠٨ قرش .

السفر من المدينة الى ينبع فالطور — قام ركبنا من المدينة بعد عصر الجمعة تاسع عشر المحرم سنة ١٣٢١ ﻫ . (١٧ أبريل سنة ١٩٠٣ م) . وبتنا عند بئر على بذى الحليفة على مسير ساعتين من المدينة ثم تابعنا السفر فى الأيام التالية فوصلنا ينبع يوم الخميس ٢٥ المحرم بعد أن سرنا ٥٨ ساعة و١٠ دقائق، ولم يحدث بالطريق مكدر سوى أن بعض أشقياء الأحامدة وقفوا على جبل تجاه الجبل الذى أطلقوا منه الرصاص فى ذهابنا وأرادوا من ذلك إيهامنا بقوتهم واستدرار العطايا منا فأنزلهم المشايخ الذين رافقونا ليبينوا أن لهم كلمة مسموعة وليكون ذلك ذريعة لهم الى مكافأة يرجونها وأكبر ظنى أن كل ما فعلوا مصطنع قد بيتوه من قبل . ولما وصلنا ينبع أنزلنا متاعنا الى الباخرة ثم آحتفل بموكب المحمل وودعنا ساحل الحجاز فى ٢٧ المحرم ووصلنا الطور فى صباح ٢٩ منه (٢٧ ابريل سنة ١٩٠٣ م) . وبه حجر علينا صحيا ١٦ يوما ذقنا فيها الأمرين ورأينا من سوء المعاملة ما حرك قلمى لكتابة تقرير بما كابدنا الى صاحب العطوفة وزير الداخلية؛ وإنا نذكر لك خلاصته لما به من الفوائد الجمة والملاحظات الهامة .

الحجر الصحى بالطور — يقوم بالتفتيش جماعة من الأروام المسيحيين ليسوا على طريقة واحدة فى معاملة المسافرين وبحث الأمتعة؛ فمنهم من يبحث المتاع قطعة قطعة مع أدب وحسن معاملة، ومنهم من يجعل عالى الأوعية سافلها ويرمى بكل ما فيها على ظهر الأرض من غير مبالاة مع أن أكثر ما بها زجاجات عطرية

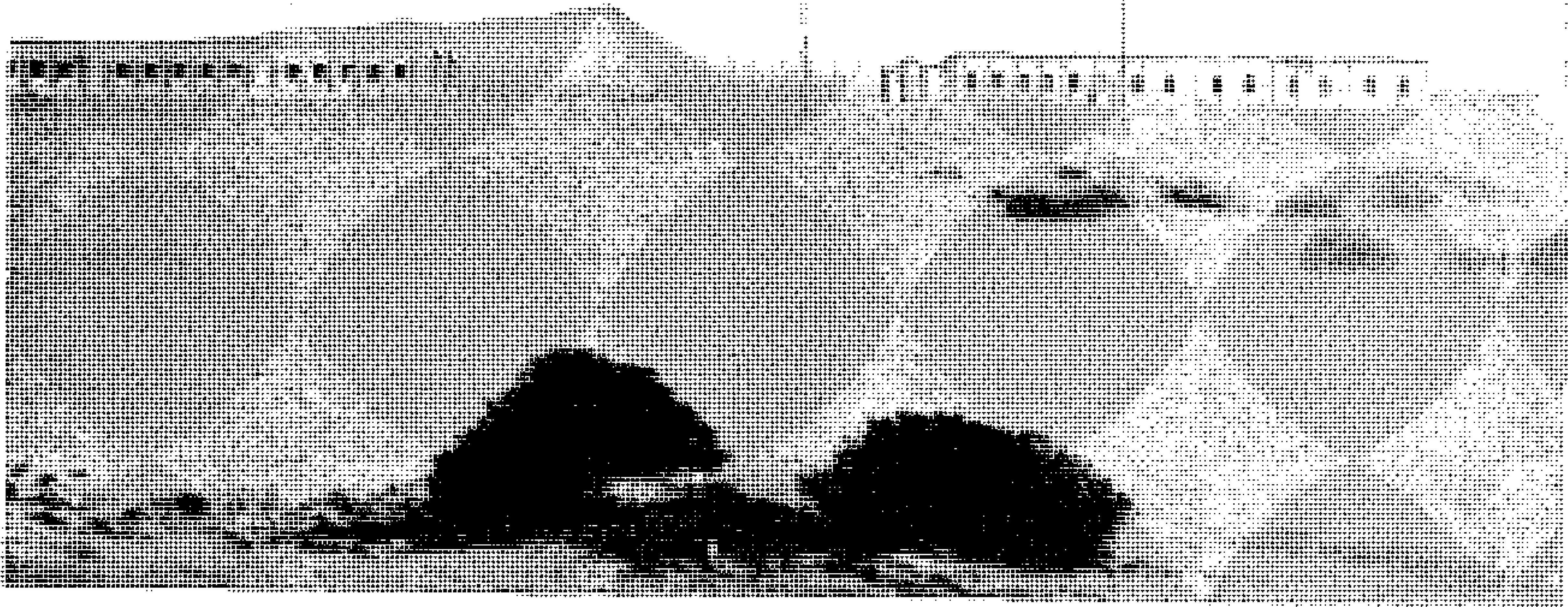
وأوان فضية دقيقة فقلما تسلم من العطب ويريقون السمن البلدى الجيد والزيت الطيب على وجه الأرض وكثيرا ما بخروا أمتعة جديدة نظيفة لم تسكن بها جراثيم الأمراض واذا مابخروا الثياب خلطوا بعضها ببعض ثم رموا بها الى الأرض فيصعب على الإنسان العثور على ملابسه وقد جرت العادة أن المسافرين اذا أدخلوا الحمامات هنالك لبسوا ثيابا قطنية سمراء مفتوحة الصدر ليس لها من أزرار ثم يخرجون منها حاسرة رءوسهم كاشفة أقدامهم فيمكثون فى حرّ الشمس وشديد الهواء مدّة حتى تبخر ثيابهم ويلتقطوها من بين الملابس الكثيرة فينتابهم أثناء ذلك زكام وآلام صدرية وأمراض مختلفة وقد مرض من جراء ذلك أحد الضباط ومكث عشرين يوما حتى أبل من مرضه فلو أنهم انتقوا من ملابس المرء ثيابا نظيفة ليلبسها بعد الحمام لمنعوا عنهم عاديات الأمراض .

ثم إن الأمتعة أنزلت كلها من الباخرة ووضعت فى فناء بجوار المبخرة وفتشت بحضور الخدم الذين رأوا ما بها من الأشياء الثمينة وبعد التفتيش أعيدت الى الفناء دون الباخرة واستمر التفتيش تسعة أيام حتى تم ، ثم أعيدت الأمتعة كلها دفعة واحدة الى الباخرة كل ذلك جرى وأصحابها بعيدون عنها لا يمكنون من رؤيتها فسرق منها الشيء الكثير خصوصا نفائس الأشياء ومثمناتها ، وقد شكا الىّ اثنان من أكابر الحجاج سرقة بعض أمتعتهما من مصاغ ومصنوعات حريرية وسبح وغيرها مما توازى قيمتها ٥٠ جنيها مصريا فأحلتهما الى «البوليس» فى ١٥ مايو علّ ماسرق منهما يكون ضمن ما ضبطوه مع أحد ملاحظى المباخر بالسويس . فلماذا لا يعاد الى الباخرة كل متاع بحث ويكون ذلك بمرأى من أصحابه حتى نأمن شر اللصوص .

وكان مع الحجاج أوان فخارية (قلل) يشربون منها وأباريق زنكية يستعملونها فى غير الشرب فأعدم كل ذلك إلا الحديد فانه حفظ بالمخازن وأبدلنا به أوانى صفيحية — أقساطا — نشرب منها ونستنجى وهذا غير مناسب لأنها تسخن الماء حتى تعافه النفس ثم من الجميل أن تختلف أوانى الشرب عن أوانى الاستنجاء ، ثم إن بيوت

صحيفة ٢٣٣ (*)

٢٠٧ الطور وبه الخزانات



207. Tor, the Lazaretto and disinfecting establishments.

صحيفة ٤٤ (*)

٢٠٨ قومندان الحرس ابراهيم بك صبري سنة ١٣٢٠

صحيفة ٤٩ (*)

٢٠٩ مهدي بك احمد امين الصرة سنة ١٣٢٠



208. Kaimakam Ibrahim Bey Sabry the Commandant of the Mahmal in 1320



209. Mahdy Bey Ahmad the Amin of El Sorra El Sharifa in 1320

الأدب قائمـة فوق حفر طول الواحدة ثلاثة أمتار فى عرض مـتر فى عمق مترين ويحيط بالمقعد جدر خشبية من ثلاث جهات ؛ وفى الجهـة الرابعة باب يرتفع عن الأرض بنحو ٣٠ سنتيا وأرض البيوت بشـكل "درابزين" فيرى قاضى الحاجة الفضلات فتشمئز النفس وتغثى وقـد مرض بعض الحجاج مما رأى وشم ؛ ثم إنه عنـد الاستنجاء واستعمال المـاء يدخل الهواء بشدّة من الفتحة التى تحت الباب فيردّ منه الى الجسم والملابس فتتلوث ولكون الحفر واسعة ليس لها مصرف ولا تردم كل يوم يتجمع فيها الذباب وينتشر فى المساكن بحالة مريعة فأين ذلك من الصحة ؛ ثم إن أبواب بيوت الأدب ضيقة حتى ما كان يتمكن من قضاء الحاجة بها البادنون ولا فرق فى ذلك بين ما أعد لذوى الدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة كلها سواء .

وأماكن الاقامة — الحذاءات — وإن كانت جميلة متقنة البناء ينقصها المطابخ والمغاسل والحمامات . والمراحيض على بعد ٢٠٠ متر من أماكن الدرجة الأولى والثانية وليس لأهلهما مراحيض خاصة فيضطرون الى التعرض للهواء وقت القيام من النوم اذا ماذهبوا اليها وربمـا وجدوها مشغولة فانتظروا على أبوابها وما هـذا بالمناسب لمقام هؤلاء إذ لم يتعودوا من قبل وترى فى (الرسم ٢٠٩) الحذاءات وجبـل الطور وأعمـدة بينها شباك سلكية لتكوّن منهـا حذاءات أخرى وكذلك ترى به جمـلة حشائش . وقد بحثت المأكولات التى مع الحجاج فرمى قليل منها غير صالح على الأرض برأى منهم والكثير النظيف — ومنه مأكولاتى ومأكولات أمين الصرة — حفظ بالمخازن وكان معنا ثلاثون صندوقا بهـا مياه زمزمية داخل أوعيـة صفيحية فتركت بالفناء مملوءة . وفى ثامن ذى الحجة استأذنت برقيا من مجلس الصحة أن يعطى الحجاج مياه زمزم بعد غليانها فأذن لى بالبرق فى اليوم نفسه . وفى الساعة ٥ بعد ظهر التاسع من صفر (٧ مايو) حضر زكريادس بك ناظر المحجر الى مساكن المسافرين وجلس بحجرة الطبيب وكان من عادته أن يجلس فى سرادق الأمير فغير عادته لمـا رآه من شكوى الحجـاج بالجرائد فسألته عن ماء زمزم فقال : إنه أعدمه مع ما بالمخازن من المأكولات فعجبت ممـا صنع بعد أن آستأذنت فى المياه فأذن لى بعد غليانها وبعد

أن جرى فحص هذه المأكولات ووجدت صالحة ومكثت بالمخازن تسعة أيام بل ١١ يوما لأننا وصلنا الطور صباح ٢٩ المحرم وتم الفحص فى سابع صفر بحضر الناظر وأرسلت الينا الأوانى التى كانت بها المأكولات والمياه فى العاشر منه، فتلك أحد عشر يوما ثم لماذا لم تعدم هذه المأكولات بحضورنا حتى تدفع شبهة اختلاسها ولما حاججت الناظر بذلك قال : إنى رئيس أمين أفعل ما أشاء ولست مكلفا بإخباركم أو إحضاركم فتركته وأبرقت الى عطوفة ناظر الداخلية بذلك فأمر بتعويض ما أعدم نقدا وقد بلغت قيمة ما أعدم من مأكولاتى الخاصة ٥٤ جنيها و ٤٦٢ مليما والمأكولات بالطور غير جيدة إلا الخبز وتندر به الخضراوات المصبحة وطلب الحجاج بعض المأكولات فلم يجدوه ووعدهم المتعهد باحضاره ولم يحضره حتى رحلنا ومع رداءة الأصناف فانها مرتفعة القيمة حتى عن مكة والمدينة مع أن المسافة بين السويس والطور ١٢٥ ميلا وبينها وبين مكة أو المدينة لا تقل عن ٧٠٠ ميل فكان ينبغى أن تكون الأثمان بالطور دونها بعاصمتى الحجاز وأذكر لك مثلا علبة الكبريت التى تباع فى القاهرة بنصف القرش كانت تباع فى الطور بقرشين وفى العاصمتين بقرش واحد والعلبة التى تباع فى مصر بمليمين ونصف بيعت فى الطور بثمانية وفى العاصمتين بخمسة وقس على ذلك بقية الأصناف .

وقد جرت العادة أن ترسل الداخلية مندوبا من قبلها يرافق الحجاج بالطور ولم أر فى وجوده أية مصلحة للحجاج بل كان ضررا عليهم فقد رأيت ناظر المحجر يستخدمه كعامل صغير واذا أساء بعض الموظفين بالمحجر الى أحد الحجاج على مرأى منه وطلب أن يعطيه شهادة بما رأى أبى وقال : (موش شغلى) وقال مرة أمام جمع كبير : (إن كلمة صغيرة من زكريادس تشيلنى) وفى سابع مايو كان أكل الحجاج متغيرا طعمه فاستحضره الناظر فى حجرة الطبيب وأخذ يكلمه وهو جالس على كرسيه واضعا إحدى رجليه فوق الأخرى والمندوب واقف أمامه وإن يكن غير جميل من المندوب تلك الذلة والمسكنة والطاعة العمياء فغير جميل من الناظر أيضا علوه واستكباره بله استبداده . وقد كتب اليه رئيس الحرس «القائم مقام» إبراهيم بك

صبرى يطلب منـه شهادة بخمسين قربة أعدمت بالمبخرة لتخصم ممـا فى عهـدته وكتب اليه فى صدر الكتاب : جناب ناظر محجر الطور فأمتعض الناظر من مخاطبته بلفظة جناب وقال للمندوب : أبلغ رئيس الحرس أن عندى الرتبة الثانية وأن عليـه أن يخاطبنى بلقبى الرسمى واستنكف أن يجيب « القومندان » الى ما طلب مع أنه رئيس مثله ويجب عليه بمقتضى وظيفته إعطاء الشهادة كذلك حصل خلاف بينه وبين «القومندان» على بعض المسائل فاشتكاه ببرقية الى الصحة مباشرة وكان ينبغى عرض هذا الخلاف علىّ بمـا أنى رئيس المحمل ولكنه لم يفعل ولمـا علمت بالشكوى أزلت سوء التفاهم بتنفيذ رغبات الصحة وأبرقت لعطوفة ناظر الداخلية فأبرق الينا شاكراً حسن صنيعنا .

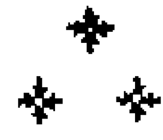
والطبيب الذى كان يراقبنا رومى لا يعرف اللغة العربيـة فلا يمكنه التفهم منا أو تفهيمنا إلا بمترجم، فلو أنه أبدل به عالم بلغتنا لكان أفيد وأجدى .

ثم إن ضباط الشرطة الذين يحققون فى السرقات والضـائعات اذا رأى زكريادس بك أن التحقيق منهم ليس فى مصلحة المحجر أحاله الى ضابط آخر تخلصا من أن يواجه المحجر ورجاله بصدمات الحق ولم أر بين الضباط مستقيما عادلا يساير الحق فى تحقيقه الا «اليوزباشى» بدرخان على أفندى (١) . والكتبة الذين يكتبون أسماء الحجاج ومحال إقامتهم بعضهم أروام يكتب بلغة أجنبية فيحرف وينقص وعند مضاهاة ما كتب بمـا فى قلم الجوازات يحصل اختلاف منشؤه الكتابة بلغة أجنبية ويترتب على ذلك عدّ الحجاج مرة بعد أخرى تارة بمناداة الأسماء وتارة بوقوفهم صفوفا وتلك مضايقة لهم ؛ وقد عدّ ركب المحمل فى الطور ثمـانى مرات فى أربعـة أيام مع أنه لا يتجاوز عدده ٣٥٠ شخصا تجمعهم بقعة واحدة لهـا باب واحد به بعض الخفـر وينبغى أن تعلق على أبواب المبـاخر قوائم مطبوع بها الأشـياء التى تقتضى قوانين

(١) هو الآن — نوفمبر سنة ١٩٢٤ — مدير أسيوط وفى كل جهة يحل فيها لا يعمل إلا حسنا ولا نسمع عنه إلا جميلا .

الحجر إعدامها والأشياء التى تبخر والتى لا تبخر فاذا ما آطلع الحجاج على ذلك آطمأنت نفوسهم ونفذوا الأوامر عن رغبة فآستراح عمال المحجر أيضا على أنه لو نشر ذلك بالجرائد لكان أجدى فانه ينبه الحجاج ألّا يشتروا مايعدم بالطور فتتوفر عليهم أموالهم ولا يطالبوا الحكومة بعدُ بتعويض ما فقدوا .

هـذا ملخص التقرير الذى رفعناه الى حضرة صاحب العطوفة ناظر الداخلية وأرسلنا نسخة منه الى رئيس الديوان الخديوى وقتئذ .



بعد ظهر ١٥ صفر (١٣ مايو) سافرنا من الطور الى السويس بعد أن لبثنا به ستة عشر يوما فوصلناها فى اليوم التالى . وقبل أن ننزل الى البر وصلتنا التعليمات الآتية التى أرسلتها الينا نظارة الداخلية بواسطة محافظ السويس لنقوم بتنفيذها وهاك أهمها :

(أوّلا) لا يصرح لأحد بالنزول من الباخرة حتى ترسو على الرصيف المعدّ لها (التخشيبة) .

(ثانيا) يكون نزول المسافرين بالترتيب الآتى : المرضى فالحجاج فأسر موظفى المحمل فخدم المحمل فقوّته .

(ثالثا) يجب على كل فرد حين نزوله أن يملى آسمه ولقبه ومسكنه بالضبط وبعد ذلك يكشف عليه طبيا ويكشف على السيدات فى محل أعدّ لهنّ ممرضة أجنبية تساعدها طبيبة وطنية واذا دعت الحال لكشف طبيب السويس عليهن كشف ويجوز آستبقاء بعض الخدم بالباخرة ليحرسوا المحمل بشرط أن لا يتجاوز عددهم العشرة ويكونوا قد كشف عليهم وأملوا أسماءهم ومحال إقامتهم . وينزل البحارة أيضا ليكشف عليهم طبيا .

(رابعا) بعد خلو الباخرة من جميع ما فيها يفتشها مكانا مكانا طبيب الصحة بالسويس وضابط الشرطة (البوليس) ومندوب من قبل أمير الحج وعلى الركاب الذين معهم مفاتيح حجرات أن يسلموها الى المندوب المذكور .

ولما وصلت باخرة النجيلة الى السويس فتشها الأطباء ووجدوا عند تجارها أقتين من البلح فأخروها فى المرسى ست ساعات وكان رجال المحجر البحريون يطوفون طول الليل حول الباخرة كأنما نحن أعداء وقعنا فى أسر العدو ويخشى أن نفرّ وكان الأطباء البريون والبحريون وعمال الجمرك يحيطون بنا فى السويس والناس ينظرون إلينا كأنما أتينا أمرا إدّا وكل هـذا ناتج من أن أمتعتنا فتشت بالطور فى تسعة أيام وفى الباخرة مرتين فظن الناس أن الأمراض التهمتنا أجمعين فجاءوا لذلك ينظرون مع أننا كنا فى صحة جيدة ولكن سوء تصرف موظفى المحجر بالطور وصمنا بما نحن منه براء، فبقينا بالسويس يومين بحثونا فيهما مرة ثالثة وإننا نحمد الله أن وصلنا ديارنا سالمين .

وقد غادرنا السويس فى صبح الثامن عشر من صفر (١٦ مايو) ووصلنا القاهرة ظهر اليوم وفى صباح العشرين احتفل بعودة المحمل وسلمت زمامه فى ختام الحفلة الى صاحب العطوفة ناظر الداخلية الذى أنابه عنه سموّ الخديو السابق .

والى هنا أتممت المهمة التى انتدبت لها وكلفت القيام بها وبذلك ختمت الرحلة الثانية غير أنى قدّمت تقريرا الى ناظر الداخلية ضمنته وصف طريق ينبع بالإجمال وما أنفق فيه وما ينبغى من زيادة مرتبات أو نقصها وما لاحظته فى حجتى هذه . ولما كان ذلك من الأهمية بمكان رأيت أن أذكر لك ملخص هذا التقرير الذى كتبته فى ثلاثين صفحة أو تزيد ؛ ونسأل الله أن يسدد خطانا ويمدنا بروح من عنده حتى تتم هذا السفر وإنه بالاجابة جدير .

التقرير

المقدّم من أمير الحج المصرى فى طاعة سنة ١٣٢٠ هـ . الى صاحب العطوفة ناظر الداخلية مصطفى باشا فهمى .

بدأت التقرير بذكر أنى توخيت فيما كتبت الحقائق التى عرفتها عن تجربة ورؤية — وما راءٍ كمن سمعا — وأنه من أجل ذلك ينبغى أن يعتنى بتقريرى

العناية التامة فيعمل بما فيه من الإرشادات والنصائح ثم أوجزت وصف الطريق بين ينبع والمدينة فذكرت أنه طريق واسع بين جبال أكثرها شاهق يتخللها فواصل وأن سعته تختلف من ٥٠ مترا الى ٢٠٠ متر وفى بعض الأحيان تزيد على الألف . وأن به مضيقين يسمى الأوّل « نقب الفار » يقطعه الراكب فى ثلثى ساعة ويمرّ منه الجمل تلو الجمل وربما مرّ منه الجملان خلفهما آخران فآخران وكله أحجار تجعل السير فيه عسرا . والثانى يسمى « الجديدة » يشبه الأوّل لكنه أطول والسير به أسهل لنعومة أرضه والأوّل بديار « الحوازم » والثانى بديار « بنى عمرو » ويسهل على العربان معاكسة الحجاج فى هذين المضيقين مهما بلغت قوّة الركب لأن الجبال التى تكتنفهما شاهقة فيعتليها أولئك العربان ويصوّبون منها الى الحجاج الرصاص أو السهام .

والماء بالطريق كثير يكفى الآلاف المؤلفة من الانسان والحيوان وهو فى محطتين فى قنوات مبنية يغترف منها الانسان بيده وفى باقيها آبار تنزح منها المياه بالدلاء ترفعها الحبال على بكر حديدى يدور بها ، وفى بعض المحطات الآبار قليلة لا تكفى العدد الكبير إلا فى الزمن الطويل ؛ والماء بينبع معدوم ويجلب اليها من مسير خمس ساعات ولذلك كان ثمنه مرتفعا وفى أيام المطر يكون رخيصا .

نفقات الحج فى هذا العام وأجر الجمال والزوارق — أنفق على راكب الدرجة الأولى الذى معه خادم واحد ما يأتى :

ملّيم	جنيه مصرى	
٨٣	١٧	أجر جمال فى الطريق كله من جدّة الى مكة فعرفة ذهابا وإيابا ومن ينبع الى المدينة كذلك .
١٢٠	٢	نفقات حجر صحى (كورنتينا) .
—	٢١	أجرة الباخرة لراكب الدرجة الأولى ١٣ جنيها ولخادمه راكب الثالثة ٨ جنيهات .
٢٠٣	٤٠	جملة النفقات .

وكانت أجرة الباخرة لراكب الدرجة الأولى فى العام الماضى ثمانية جنيهات ولراكب الثانية خمسة جنيهات ، ولراكب الثالثة ثلاثة جنيهات؛ وأنفق على راكب الدرجة الثالثة فى هذا العام ما يأتى :

مليم	جنيه مصرى	
٨٩٠	٦	أجرة جمال .
٠٠٠	٨	« باخرة .
٦٠	١	نفقات حجر .
٩٥٠	١٥	جملة النفقات .

والدرجة الثانية لا تختلف أجرتها عن الدرجة الثالثة إلا فى أجرة الباخرة فهى عشرة جنيهات ونصف بدل ثمانية جنيهات وربما قلت النفقات عن ذلك اذا سافر مع المحمل جمع كبير من الحجاج وقد بلغت أجرة الجمال فى الطريق كله هذا العام ٣٤٦٥ جنيها ، وكانت فى العام الماضى ٥٦٦٢ جنيها ، فالوفر فى هذه السنة ٢١٩٧ جنيها وكان متوسط أجرة الحاج فى الجمال لا فرق بين راكب الدرجة الأولى وغيره ٧ جنيهات و ٦٢٤ مليما ويدخل فى ذلك نفقات أخرى صغيرة .

وأجرة الزوارق التى كانت تحمل الأمتعة من الباخرة الى البر بجدّة خمسة جنيهات ولمن يخرجونها من القوارب الى البر (المنجّلين) جنيهان ومثلهما لمن يحملونها من البر الى المعسكر . وقد آستقل رئيس البلدية هذه الأجرة ولم يقبل تسلمها إلا قبيل قيامنا لأن بين مرسى الباخرة والبر ما يقارب ميلين وبين الشاطئ والمعسكر مسير نصف ساعة والحمالون يحملون الأمتعة على ظهورهم فى هذه المسافة وأرى أن تزاد أجرة الحمالين جنيهين آخرين لأن نقل الأمتعة الى المعسكر يجهدهم إجهادا كبيرا ولقد رأيت كثيرا منهم يحمل الحملة ثم لا يرجع لأخرى لبعد المسافة ويفضلون نقل

أمتعة الأهالى عن نقل أمتعتنا لأنهم ينتفعون منهم أكثر مما ينتفعون منا . وقد ذكرت بالتقرير أن الشريف والوالى ربما أحدثا فى العام المقبل عقبات فى سبيلنا اذا ما سلكنا طريق ينبع لأنه تفوتهما منفعة كبيرة من ترك الطريق الأول الى الطريق الثانى اذ كان لهما على كل جمل ثلاثة جنيهات ؛ وكانت الأجرة فى الطريق الأول نتحمل ذلك أما فى الطريق الجديد فلا يمكن أن نتحمله بل ولا نتحمل سدسه ثم إن الخسارة لا تنشأ من ركب المحمل وحده بل من كل القوافل لأنها فى الأكثر تتبع سير المحمل أنى سار سارت وراءه ، وقد حاولت أن أقوم الى جدّة قبل سفر المحمل الشامى الى المدينة بثلاثة أيام فلم أمكن إلا قبل قيامه بيوم واحد وذلك خشية أن يتبعنا الناس فيفوت على الشريف والوالى تلك المكاسب الكبيرة .

سلوك الطريق السلطانى أقصد — وقد استصوبت فى التقرير سلوك الطريق السلطانى فى السفر من مكة الى المدينة وطريق ينبع فى الرجوع منها بدل أن نركب البحر بين جدّة وينبع ونسلك طريق الثانية فى الذهاب الى المدينة والاياب منها وذلك للأسباب الآتية :

(١) استغرق سفرنا من مكة الى جدّة فينبع فالمدينة ١٤ يوما والطريق السلطانى يقطع فى زمن دون ذلك بكثير ومتى قلت الأيام قلت النفقات وذلك ما ترغب فيه الحكومة .

(٢) اذا قارنا أجرة الجمال بين ينبع والمدينة مضافا اليها أجرة الباخرة بين جدّة وينبع ونفقات انتظارها فى الثغرين — بأجرة الجمال من مكة الى المدينة بالطريق السلطانى ومن المدينة الى ينبع — وجدنا أن الأجرة الثانية دون الأولى بكثير وتوفر علينا بذلك أيام نقضيها بينبع ننتظر فيها الجمال وندفع فيها أثمانا عالية للمياه كما نتوفر علينا مشقة إنزال الأمتعة بالباخرة فى جدّة وإخراجها منها فى ينبع .

(٣) نتخلص بعض الخلاص من شر الأحامدة الذين قاسينا الشدائد فى استرضائهم ولما يرضوا والذين لهم السلطان الكبير على طريق ينبع لأن ذهابنا وإيابنا من

طريقهم يترك لهم مجالا واسعا لمشاكستنا والأخذ والرد معنا فيثير ما كمن فى نفوسهم من الشر المتأصل و يفعلون بنا ما يريدون بخلاف ما لو مررنا بديارهم مرّة واحدة .

عربان الطريق بين ينبع والمدينة وطلباتهم وضيافتهم الخ — طلب العربان منى صرف المرتبات التى كانت موظفة لهم ولم تصرف فى السنين السابقة فوعدتهم المساعدة، فقالوا : كم وعدا سمعنا ولم نر وفاء، فقلت لهم : إنى مساعدكم إن شاء الله وستعرفون خبر المرتبات من الأمير الذى يأتى فى حج العام القابل وقد رجوت الحكومة فى تقريرى أن تبحث فى الدفاتر القديمة عن مرتباتهم فى الأعوام السابقة وتصرف لهم مثل ما كانوا يأخذون فى السنين القابلة و إن لم يتيسر لها ذلك فلتفوّض الأمر الى أمير الحج يتفق معهم بما فيه المصلحة حتى يصبح مالهم معروفا فيطمئنوا ولا يشاكسوا المحمل و ركبه و رجوت الحكومة أن تبر بوعدى لهم حتى لا يصموننا بأن الإخلاف شيمتنا وقد أضفت مشايخ هذا الطريق وكبار عربانه فى بئر عباس فقدّمت لهم لحوم الغنم التى ذبحناها والأرز والسمن فطبخوا وأكلوا وسروا سرورا عظيما حملهم على أن يتركوا مرتباتهم القديمة ضيافة لى كما أضفتهم . وكتبوا الى سمو الخديو السابق كتابا هذا نصه بعد الديباجة

مقدّمه لجنابكم العالى عبيدكم عربان حرب القاطنين ما بين المدينة المنوّرة و ينبع البحر نعرض للأعتاب السنية بلسان الصداقة والاخلاص معربين غاية الشكر والممنونية من الحكم السلمية التى أتى بها سعادة إبراهيم باشا رفعت أمير الحج المصرى مُزيلا ما كان بالخاطر وعلى ذلك أضفناه بما كان متأخرا من عوائد الثلاثين سنة الماضية التى حجب فيها مرور المحمل من ديارنا وحمدنا الله الذى منّ علينا بمروره فى هذا العام من هنا مع أمير تشهد له أعماله التى ثبّت بها دعيمه الآمن بفتح هذا الطريق الجديد نلتمس من مراحم سموّكم إمناحنا بالرواتب المسجلة بدفاتر حكومة

لخفامتكم إحسانا من مراحم جنابكم نظير صداقتنا لخدمة المحمل والحج متعهدين بغدوه ورواحه بين المدينة وينبع البحر بكل راحة وأمان طائعين لكل متبوع لسموكم فى هذه المأمورية الشريفة سنويا والأمر لمن له الأمر افندم م

٢١ محرم سنة ١٣٢١

بنده (أنا)	بنده	بنده أعيان
الشيخ عبدالمعين بن عبدالله حصانى	أعيان أحمد بن حمدان	صالح بن مايق
بنده شيخ الصميدات	بنده مشايخ الصميدات	بنده
عقاب ابن الشيخ حذيفة	أحمد بن محمد بن عامر	الشيخ عبد المعطى بن بخيت
شيخ الذكرة	شيخ الرحلة	الشيخ عبد الرحيم عبد اللطيف
عايض بن عتيق	محمد نافع	شيخ الجديدة
سالم بن محسن القليطى	شيخ قبيلة الذكرة والحمود	الشيخ احمد ابن الشيخ زيد بن محمود
من مشايخ بنى عمرو	عايض بن عبد الرحمن	من مشايخ الأحامدة
الشيخ فاهد ابن الشيخ فهد	الشيخ عوض نويفع الحازمى	منصور عباس الحازمى
من مشايخ الأحامدة	شيخ قبيلة أولاد أبى الحيا	شيخ قبيلة المراوضة
عبد المنعم بن عبد الرحمن الحازمى	عبيد بن عبد الله الحازمى	
شيخ قبيلة بنى محمود	شيخ قبيلة ذوى نصار والغيشة	

وقد أنفقنا فى فتح طريق ينبع ٤٤٨٧ ريالا طاقيا — كان الجنيه المصرى يساوى أحد عشر ريالا طاقيا — من ذلك بالميزانية العادية ١٠٠ جنيه مصرى أى ١١٠٠ ريال طاق نفقات للجواسيس والأدلاء، ووفرنا من أجر الجمال المقدرة بالميزانية ٢٢٩٩ ريالا أخذناها فى فتح الطريق فذان ٣٣٩٩ ريالا، فإذا طرحت مما أنفقنا كان الباقى ١٠٨٨ ريالا أخذناه من ستة آلاف الريال التى كانت مقدرة

فى الميزانية لترضية العربان عن مرتباتهم القديمة ولم تنفق فى ذلك وما بقى منها وهو ٤٨٠٢ ريال ردّ الى خزينة المالية وينبغى أن يبقى مبلغ الترضية فى كل ميزانية ويترك الأمر فيه الى حكمة الأمير لأن الأحوال تتقلب . كما ينبغى أن يضاف الى النفقات السائرة ٣٩ جنيها مصريا لتكون ١٥٠ جنيها بدل ١١١ التى منها ٢٦ جنيها ثمن قناديل للسجد الحرام وذلك لأن أثمان المياه كانت مرتفعة جدا وقد كانت نفقاتنا السائرة فى هذا العام ١٢٨ جنيها ولو مكث المحمل بينبع أكثر من يومين لتضاعفت النفقات، ثم إن الحكومة قدّرت أجرة للجمل الواحد فى الطريق كله ١٢ جنيها والأجرة وإن لم تزد عن هذا المبلغ فى العام الحاضر ينبغى أن تزاد فى المستقبل الى ١٤ جنيها لأن الشريف والمقوّم قد يستبدان فلا يرضيان بدون ذلك فعلى الحكومة أن تقرّر الأحوط وعلى الأمير أن يجتهد فى تقليلها بقدر ما يستطيع .

وكما ذكرنا ذلك بالتقرير ذكرت أن الملابس والحلويات التى تؤخذ للأعراب صرف بعضها لهم بعينه وبعضها صرف ثمنه كما ترغب الحكومة ولكن بكل مشقة لأن الأثمان مقدّرة حسب الأسعار فى مصر وهى دونها فى الحجاز وتوقف بعض العربان فى أخذ الثمن وقد أبنت أن الأثمان لو أضيف اليها نصفها وصرفت الى العربان بدل الملابس والحلويات لكان ذلك أوفر للحكومة لأن حمل هذه الأشياء يكلفنا نفقات باهظة دونها النصف الذى طلبت إضافته بكثير وينبغى أن يؤخذ فى العام القابل الملابس التى رجعت معنا إذ قد يتشبث بعض العربان بأثمان عالية لعدم وجود الملابس صحبة المحمل فوجودها يمنع المغالاة فى استزادة الأثمان .

ملاحظات على بعض موظفى المحمل

(١) رئيس الحرس (القومندان) — من الإنصاف أن يكون مرتبه ١٠٠ جنيه بدل ٥٠ لأنه يكون برتبة « قائم مقام » فمرتبه الشهرى ٣٠ جنيها مصريا وهو يؤدّى عملا خارج القطر فيستحق عليه بدل سفر ٣ فى المائة من مرتبه : ى

٩٠ قرشا كل يوم، فيكون له فى ثلاثة الشهور ٨١ جنيها وبما أنه يقاسى من المشاق فى حفظ الركب ليلا ونهارا ما لا يقاسيه غيره فينبغى أن يكافأ على ذلك بباقى المائة على الأقل وقد أوصى بزيادة مرتبه أمير الحج فى العام الماضى ولقد كان رئيس الحرس فى هذا العام القائمقام إبراهيم بك صبرى وقد قام بما وكل اليه خير قيام، فكان دائما يمر بالركب أثناء سيره ليلا ونهارا وتارة تراه فى مقدمته وتارة فى مؤخرته وتارة فى أثنائه وكان يقظا حتى أنه لم يضع من الحجاج شىء مطلقا ولم يحصل منه ما ينافى الأدب والكمال بل كان مثالا تجسمت فيه الأخلاق الطيبة والشيم العالية التى اذا وجدت فى كل «قومندان» يرأس حرس المحمل كتب لركبه الأمن والسلامة فى الذهاب والإياب وكثيرا ما ساعدنى على عربان الأحامدة حتى ألنا عريكتهم وأمنّا شرهم بل جلبنا مودّتهم وقد اقترحت فى تقريرى على الحكومة أن تمنحه الوسام — النيشان — المجيدى الثالث مكافأة له على خدماته الجليلة فأجابتنى الى طلبى وقرر ذلك مجلس نظارها (انظر الرسم ٢٠٨) .

(٢) صراف الصرة وكاتباها الأوّل والثانى — ينبغى أن يضاف الى مرتب الصراف سبعة جنيهات ونصف ليكون مرتبه كمرتب كاتب الصرة الثانى وكاتب الإمارة والقسم العسكرى : أى خمسة عشر جنيها مصريا بل هو أولى لأنه يقدّم ضمانا لا تقل قيمته عن ٥٠٠٠ جنيه وقد بلغنى أن مرتبه كان ١٥ جنيها فنقص الى نصفه لأمر ما فينبغى أن يرجع الى أصله لأن النصف لا يكفيه ثمن عيش فى ثلاثة الشهور بَلْهَ حاجاته الأخرى، وطلبت أيضا فى التقرير أن يضاف له جمل وكذلك لكاتب الصرة الثانى .

ولما كان كاتب الصرة الأوّل حسن افندى خليفه وكاتبها الثانى سعيد افندى أحمد وصرافها حافظ افندى نجمى — قد قاموا جميعا بعملهم خير قيام وسهروا ليالى فى ترضية العربان والصرف لهم بدون أن يبدو منهم ضجر أو تململ طلبت الى الحكومة

فى تقريرى أن تصرف لكل منهم مكافأة اعترافا بجميل صنعهم وتشجيعا لمن يخلفهم ولا سيما أن مرتباتهم قليلة .

(٣) إمام المحمل — له مرتب شهرى جنيه واحد ويتقاضاه طول السنة ويعطى فى مدّة السفر ٧٥ قرشا شهريا بدل سفر وبما أنه عدّلت بعض المرتبات فى هذا العام وجعل لرؤساء العكامة والضوئية والفراشين ٢٥٠ قرشا شهريا فمن المناسب للكرامة أن يزاد الإمام شهريا جنيها واحدا على الأقل حتى يكون جميع ما يأخذه فى الشهر ٢٧٥ قرشا فمجموع الزيادة فى ثلاثة الشهور ٣ جنيهات وإنها لقليلة وقد طلب الأمير السابق أن يزاد ١٥ جنيها على ما يأخذه .

وينبغى أن يكون إمام المحمل من العلماء(١) الذين كملت نفوسهم وتهذبت أخلاقهم وكان لهم فى التقوى والإرشاد قدم حتى يكون فيه للحجاج أسوة حسنة يرشدهم بقوله وعمله الى ما فيه سعادة الدارين؛ أما تعيين الإمام من غير العلماء فإنه غير جميل وإن علو العمل يستدعى علو العامل فليكن من الطبقة العالمة العاملة ويوكل اختياره الى « شيخ الإسلام » ويعطى له ما كان يعطى للإمام الدائم : أى عشرون جنيها فى مدّة الحج أو أكثر حسب الأحوال .

(٤) أمير الحج — يعطى لأمير الحج عن مدّة سفره صحبة المحمل مكافأة غير ثابتة ولكنها لا تزيد على ٥٠٠ جنيه ومنشأ اختلافها المرتب الذى يتقاضاه الأمير فانه يخصم منه مرتبه فى ثلاثة شهور من مبلغ الخمس المائة فان كان مرتبه فيها ١٩٥ جنيها — وهو الكثير بالنسبة للواء — أعطى ٣٠٥ جنيهات ، وإن كان ١٨٠ جنيها مثلا أعطى ٣٢٠ جنيها وهكذا، وإن لم يكن له مرتب ولا معاش أعطى خمس المائة بتمامها وبما أن الأمير نائب عن الحكومة وممثل لها فى هذا العمل الدينى الكبير ويحكم عليه عمله بأن يكون سخىّ اليد موفور الكرامة وذلك يستدعى نفقة ربما كانت ضعف الخمس المائة — لهذا اقترحت فى تقريرى على الحكومة أن يعطى

(١) الآن يعين الامام من العلماء فى عهد حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر .

الأمير خمس المائة بتمامها بدون أن يخصم منها مرتب ثلاثة شهور أو معاشها وكانت عطوفة ناظر الداخلية فى ذلك فوعدنى إجابتى الى ملتمسى وقد وفّى بما وعد فقرر مجلس النظار فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٣ صرف المكافأة لى بتمامها وجعل ذلك لنا خاصة فأخذت المبلغ تاما فى حجة سنة ١٣٢٠ هـ . وكذلك قرره لنا خاصة فى حجة سنة ١٣٢١ هـ . فتسلمته كاملا ولم يأخذه الأمير تاما فى حجة سنة ١٣٢٢ هـ . لأنه أضاع من نقود الصرة ٨٠٠٠ جنيه ثم صارت المكافأة تصرف بتمامها الى أمير الحج من سنة ١٣٢٣ هـ . الى يومنا هذا .

وقد طلبت فى تقريرى أيضا أن يضاف الى جمال الأمير خمسة جمال فى الطريق كله أو يجعل المرتب له فى الطريق الطويل مرتبا له فى الطريق كله ويضاف أيضا جمل واحد للنجار وعدّته وينقص بدله جمل من جمال الخزينة التى تزيد عنها أثناء السفر .

(٥) العسكر — ينبغى أن يزاد مرتب العسكرى كل يوم قرشا واحدا صحيحا مدّة سفره لأن المقرّر له قليل بل لو صرفت لهم مأكولات كانت أجدى وأفيد لجسمهم مما يأكلون من زيتون وجبن وبلح وهم يقومون بأشق الأعمال ومكلفون بالحراسة فى الليل والنهار ، فينبغى أن يكون غذاؤهم جيدا والمأكولات لا تكلفنا جمالا أخرى تقلها لأنه يمكن توزيعها على الإبل المخصصة للقسم العسكرى .

وقد التمست فى تقريرى أن يعين للعسكر مطوف يرشدهم الى مناسك الحج بمكة ومرشد (مدعى) يرشدهم الى الأماكن الأثرية بالمدينة واقترحت أن يكون مرتب الأول ١٥ جنيها ومرتب الثانى عشرة وأن يكون أمر الطواف الى محمد حامد أبى ناصف وإخوته ، وأمر الإرشاد الى محمد سعيد تخّه لما رأيت من حسن أدبهم وجميل خلقهم ويمكن أن يحتسب هذان المرتبان مما يعطى للمقوّم مكافأة أو من النفقات السائرة .

والذى دفعنى الى طلب ذلك للجنــد فقرهم وقلة مرتبهــم فدفع الأجرة للطوف والمرشد من قبلهم يضر بمصلحتهم وهم أولى الناس برعايتنا لأنهم يتحملون من مشاق السفر ووعثائه فوق ما يتحمله أى آمرئ آخر فى ركب المحمل وقد رتبت الحكومة بعــد للطوف المذكور وجعلت له نصف إردب من القمح كل شهر ويتقاضى ثمنه ٩٢٧ مليما ورتبت لمرشد المدينة جنيها و٩١٦ مليما .

(٦) العكامية والضوئية والسقاءون والفراشون وتعيينهم — جرت العادة أن نظارة المــالية تعين أربعة أشخاص باسم مقدّمين : أحدهم يقدّم العكامة ، والآخر يقــدّم الضوئية ، والثالث يقــدّم السقائين ، والرابع يقدّم الفراشين ، وتخبر النظارة أمير الحج بتعيينهم وتكل اليهــم آختيار الأشخاص الذين يقومون بهذه المهن فيختارون من يتقدّم اليهم بالرشوة أو يقدّم لهم صكا بأنه تسلم مرتبه أو قيمته قبل سفره .

وقد آنتقدت فى تقريرى هــذه الطريقة وطلبت أن يكون أمر الاختيار الى المحافظ بعد أخذ رأى أمير الحج أو الى النظارة كذلك أو يجعل للأمير حق آختيار النصف على الأقل حتى تضمن بذلك آنتخاب أشخاص لهم سيرة طيبة وخلق حسن على أن كل شهادة تقدم من الرؤساء بأنهم ســلموا مرءوسيهم مرتبهم أو قيمته ينبغى أن لا تعتبر إلا اذا كان الأمــير مصدقا عليها لأن أكثرها صورى أخذ قبــل السفر كرشوة أو أخذ بطريق الإكراه ولا يصح مطلقا أن يتوقف صرف المرتبات لهذه الفئات على تصديق هؤلاء الرؤساء لأنهم يمتنعون من التصديق حتى ينالوا أجرا منهم ومن خالف من هــذه الطوائف رئيسه يصح أن يعاقب باقتطاع بعض مرتبه الى ١٥ يوما أو برفته عند الضرورة ويعين أمير الحج بدله .

وبهذه الطرق تتحسن حال هؤلاء ولا يشكون مر الشكوى من الفقر وخلو اليــد ولهم حق فى الشكاية لأن رؤساءهم سلبوهم مرتباتهم فأصبحوا عالة على الحجاج بفضل تلك السلطة التى منحها رؤساؤهم .

فقراء الحجاج — حظرت وزارة المالية علينا فى تعليماتها أن نحمل معنا فى البواخر فقراء ممن آنقطع بهم السبيل وهذا لا يتفق مع كرامتنا وكرامة الحكومة التى من أهم واجباتها إعانة الضعيف وإغاثة الملهوف وأكثر هؤلاء المنقطعين ممن سلب نقودهم العربان فأصبحوا لا أمل لهم إلا فى حكومتهم التى هى أحق الناس برحمتهم ، فكيف نترك هؤلاء فى الثغور يقتلهم الجوع والعطش ، لو كان فى ينبع أو فى الوجه برق لخابرت الحكومة فى شأنهم كما خابرتها بجدّة فى شأن بعض الفقراء فأذنت لى فى سفرهم معنا وقد حتمت علىّ الشفقة والرحمة أن آخذ معى من ينبع من آستطعت ولا أخال حكومتنا إلا مشجعة لى على الرحمة بابن السبيل وحمله الى بلده بل لا أظنها إلا مخولة — إن شاء الله — لأمير الحج أن يحمل معه من يجد من الفقراء أو المنقطعين وعلى الحكومة بعد حضورهم أن تتعرف حالهم فان كانت تسمح باسترداد ما أنفق عليهم آستردته وإلا تركته صدقة على أبناء السبيل الذين لهم فى مال الحكومة حق معلوم حسبما نطق به كتاب الله المبين .

صيدلية ملكية — كان يرسل صحبة المحمل صيدلية ملكية خلاف الصيدلية العسكرية ولكنها لم ترسل فى هذا العام ولم نجد الغناء فى الصيدلية العسكرية لقلة الأدوية بها ولقد مرض أحد الضباط بمكة وطلب له الطبيب «حراقة» فلم نجدها فى هذه الصيدلية وآضطررنا أن نشتريها من مكة بستة عشر قرشا صحيحا مع أن قيمتها فى مصر قرش واحد على أنا نحمد الله أن كان المرض بمكة ووجدنا المطلوب وماذا كنا نصنع لو كان ذلك بالطريق؟ أكنا نترك المريض فريسة لمرضه حتى يستل حياته من بين جنبيه ؟ أم ماذا نفعل ؟ لقد أكدت على الحكومة فى تقريرى أن ترسل هذه الصيدلية كما أرسلتها فى سنة ١٩٠٢ وأن تخصص لها جملا يحملها ويحمل ممرضا معها وتكون فى عهدة الصيدلى العسكرى ، وقد أجابتنى الحكومة الى طلبى وأرسلت الىّ كتابا بذلك فى ١٩ شوال سنة ١٣٢١ ه . بعد أن عينت أميرا للحج فى طلعة هذا العام .

ختام التقرير — وقد ختمت تقريرى بالثناء على ضباط المحمل وموظفيه وشكرت لهم صادق خدماتهم وإخلاصهم فى أعمالهم ولا سيما أمين الصرة مهدى بك أحمد، فانه بهرنا أدبه وكمال خلقه ولين عريكته ومساعدته لنا فى الأمور الهامة (١) وخليق بالحكومة أن تقدر أمثاله قدرهم وتوفيهم قسطهم من العناية والرعاية . (انظر الرسم ٢٠٩) وكذلك شكرت للضباط والجنود العثمانيين الذين كانوا طوع بناننا وأحرص الناس على مصلحتنا وسرعان ما كانوا يتسلقون الجبال اذا شموا رائحة تحرش بنا، هذا الى ماهم عليه من البسالة والإقدام وكرم الخلق . هذا ملخص التقرير نتبعه بالجدول الآتى :

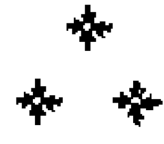
(١) وقد توفى مهدى بك بعد رجوعنا بسنتين ونرى قضاء لحق الصحبة وواجب العشرة واعترافا بالفضل لذويه أن نذكر كلمة وجيزة فى تاريخ حياته فنقول : ولد رحمه الله سنة ١٨٤٥ م. بزاوية أبى شوشه بمركز الدلنجات فى البحيرة ولما ارتقت معلوماته التحق بخدمة الحكومة فى نظارة المالية سنة ١٨٦١ ثم عين صرافا لجيب المغفورله سعيد باشا ورحل معه الى الأراضى الحجازية وحظى بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم . وفى سنة ١٨٧١ عين فى لجنة المقابلة فى الاسكندرية . وفى سنة ١٨٧٦ عين أمينا لصندوق الدين العمومى إبان إنشائه . وفى سنة ١٨٨٤ م . اختير فى لجنة توزيع أطيان الترعة النوبارية التى لم تكن فى حوزة أحد وذلك فى عهد الخديو توفيق باشا . وفى سنة ١٨٩١ عين أمينا لصرة المحمل تحت إمرة اللواء محمد نصحى باشا . وفى سنة ١٩٠٣ اختير معنا للوظيفة نفسها فرأينا منه ما أنطق لساننا بالثناء عليه وما زال أمينا لصندوق الدين حتى توفى فى ١١ ينايرسنة ١٩٠٥ م . بعد أن خدم بلاده ثلاثة وأربعين عاما أوتزيد كان فيها مثال الجد والأمانة بل الرقة واللطافة، ولقد أعجب به ممثلو الدول الأوربية إذ رأوا فيه رجلا مقداما يمثل الإباء والعزة وإن يكن شبل أشبه بأبيه فذلك نجله إبراهيم مهدى بك الأمين الحالى لصندوق الدين . رحم الله أباه الرحمة الواسعة، لخصنا هذه الترجمة من كتاب بعث به الينا السيد افندى فهمى صهر النجل فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٣

جدول خط السير من مصر الى الحجاز ثم الى مصر سنة ١٣٢٠ — ١٣٢١ ه (١٩٠٣ م)

من	الى	التاريخ	مدة السير دقيقة	مدة السير ساعة	المياه	معلومات عامة
القاهرة	السويس	١٦ القعدة سنة ١٣٢٠ ١٤ فبراير سنة ١٩٠٣	١٥	٧	ماء نيل بالقطار	السير بالسكة الحديدية المصرية .
السويس	الطور	١٧ القعدة سنة ١٣٢٠	١٥	١٦	« بالباخرة	« بالباخرة بسرعة ٥ر٧ أميال فى الساعة .
الطور	جدة	٢٣و٢٤و٢٥و٢٦ منه	١٥	٧٣		
جدة	مكة	٢٩ و ٣٠ منه	٣٥	١٨	بالطريق آبار كثيرة	« على متون الإبل ، تقدم وصف الطريق .
مكة	عرفات	٨ ذى الحجة	٣٥	٥	مياه عذبة من عين زبيدة	
عرفات	مزدلفة	ليلة ١٠ ذى الحجة	٥٠	١		
مزدلفة	منى	يوم ١٠ «	٣٠	١		« على متون الابل ، تقدم وصف الطريق .
منى	مكة	«	—	٢		
مكة	منى	«	—	٢		
منى	مكة	يوم ١٢ ذى الحجة	—	٢		
مكة	جدة	« ٢٥ «	٤٠	١٧	آبار	« على متون الابل ، تقدم وصف الطريق .
جدة	ينبع البحر	٢٩ذى الحجة و ١ المحرم سنة ١٣٢١	٢٠	٢٤	ماء نيل بالباخرة	« بالباخرة بالسرعة السابقة .
ينبع البحر	مبيت بالطريق	٤ المحرم	—	٩	بعد ٥ ساعات آبار المسيحلى ماؤها قليل العذوبة	بالطريق بعض نخلات و بعض حشائش وشجر سنط والأرض صالحة للزراعة بعد مسير خمس ساعات والطريق ميدان واسع رملى .
المبيت	آبار سعيد	٥ «	—	٩	آبار سعيد عذبة الماء عمقها ثمان قامات	بالطريق مضيق الغجيج ثم بطن العذيبة التى تجمع فيها الأمطار والسيول ثم شجر كثير ثم عقبة لاتسع سوى قطارين و بآبار سعيد لصوص .
آبار سعيد	الحمرة	٦ «	٢٥	٧	بالطريق بئر نو يفع و بالحمرة عين كعين زبيدة	الطريق يجرى شامخ الجبال عقبتان الأولى مسيرة ٥ ٥ دقيقة ، والثانية مسير ساعتين لاتسع إلا جملا وتسمى نقر الفارو بعدها ميدان واسع وتباع خضراوات بالطريق

الحمرة	بئر عباس	٧ المحرم سنة ١٣٢١ ٧ أبريل سنة ١٩٠٣	٣٥	٩	بالطريق بئر الترعة و برك مائية و بئر عباس عذبة الماء .	بعد ساعتين قناة قديمة مبنية ثم حجر أزرق مثمن نقش فى سطحة المربع خاتم سليمان المثمن ثم الجديدة فقبة عبد الرحيم البرعى فقلعة خربة .
بئر عباس	بئر درويش	٨ المحرم سنة ١٣٢١	٤٥	١١	بالطريق بئر الراحة وعار وماؤهما عذب و بئر درويش عـذبة الماء غزيرته .	بعد مسير ساعتين ملتق الطرق الثلاثة السلطانى والفرعى و ينبع الذى نسلكه و يكثر بالطريق شجر السلم .
بئر درويش	المدينة	٩ »	٣٠	١٢	بالطريق بئر الشريوفى ثم بئر الماشى بعيـدة عن الطريق مسير ٤ ساعات ثم بئر عروة وهى عذبة الماء .	مررنا بمضيق بعـد ساعتين لا يسع إلا قطارين و بعده واد متسع ضخم الشجر وعند بئر عروة مسجد ومخفر و بستان ثم طريق مدرج لايسع إلا قطارين ثم قلعة .
المدينة	ذى الحليفة أو آبار على	١٩ »	٥٠	١	تقـــدم وصفها .	السير فى طريق ينبع على ظهور الابل .
ذى الحليفة	بئر درويش	٢٠ »	—	١٠		
بئر درويش	بئر عباس	٢١ »	١٠	١١	»	بعـد ٧ ساعات و ٣٠ دقيقة مجتمع الاحامدة إذا أرادوا غزو القوافل .
بئر عباس	الحمرة	٢٢ »	٢٠	٩		
الحمرة	بئر سعيد	٢٣ »	٤٥	٧	»	آبار سعيد ثلاث أولها بئر سعيد وثانيها بئر فريج بن فراج الحازمى والثالثة بئر فهد ابن محمد الحازمى .
بئر سعيد	المسيحلى	٢٤ »	١٥	١٣	»	بعد مسير ١٢ ساعة أرض خصبة مسيرة ٢٥ دقيقة .
المسيحلى	ينبع البحر	٢٥ »	٤٠	٥		
ينبع البحر	الطـور	٢٧ و ٢٨ و ٢٩ المحرم	١٠	٤٤	»	عند وصولنا لينبع وجدنا حجاجا كثيرين و ١١ باخرة بالمرفأ .
الطـور	السويس	١٥ و ١٦ صفر	٥	٢٠		
السويس	القاهرة	١٨ صفر	٣٠	٦		

والى هنا تم إعداد الرحلة الثانية للطباعة وكان ذلك فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٢ هـ (أوّل يوليه سنة ١٩٢٣ م) ونرى من الاعتراف بالجميل أن نورد بعض القصائد التى هنأنا بها بعض الشعراء مَقْدَمنا من حجتنا الثانية وكنا نود أن لا نذكر شيئا فيه إشادة بأخلاقنا وأعمالنا ولكن رأينا فى تسجيل ذلك بكتابنا شكر الشعراء على شعرهم وتوفية الأدب حقه من العناية .

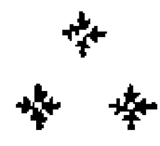


أرسل الينا الأديب حسن افندى بدر الدين الموظف البرقى بالأزكية القصيدة الآتية :

إياب عمّ نادينا سرورا * وأورث مصرنا بلجا ونورا
فأصبحت الأحبة فى ابتهاج * وأنس فائق شرح الصدورا
وغرد بلبل الأفراح حتى * ملئنا من بدائعه حبورا
وقد صرنا الجميع بروض حظ * ندير الراح نقتطف الزهورا
وسالمنا الزمان بعود شهم * له حزم اذا ما الأمر شورى
جليل القدر ذو مجد أثيل * همام جاوز العليا ظهورا
سمىّ خليل خالقنا ويبهى * برفعته المحافل والقصورا
حباه خديونا بعزيز قرب * ومتعه بما يرجو سرورا
وقلده مناصب ساميات * وإن تك عن سواه غلت مهورا
أدار شؤونها بحسام عزم * اذا أبدى ظباه نهى الأمورا
الى أرض الحجاز سرى رئيسا * وكان لمحمل المختار سورا
فأدّى الحج محفوفا بحفظ * من البارى سكونا أو عبورا
وعاد أمامه الإقبال يسعى * وقد زان المدائن والقصورا
فكان على الأحبة عيد سعد * وأشرق فى سما صفوى بدورا

وأرسل الينا صديقنا محمد افندى يسرى الصيدلى بأسيوط القصيدة الآتية :

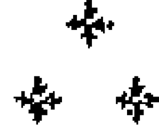
عقد امتداحى فى حلاكم جوهر * وصفاتكم حتما أجل وأكبر
أنتم لدى ذكر الأماجد سادة * لكم الفخار وغيركم لا يذكر
وحديث مادحكم صحيح ثابت * بين الأنام وفضلكم لا ينكر
تليت سجاياكم بألسنة الثنا * وبها مزاياكم دواما تظهر
أبدا تشوقنى اليكم فكرتى * وسواكم فى خاطرى لا يخطر
وبكم وفيكم لا عدمت وجودكم * ثقتى وآمالى وأنتم أخبر
وأنا المحب لكم وإن عز اللقا * وعهود صدق الودّ لا تتغير
أنبئت أنكم لخير وظيفة * سارت ركائبكم ونعم المظهر
فأردت أن أسعى لما هو واجب * من حسن تهنئة عليها أقدر
فأبى فتور الحظ تشريفى بكم * لموانع أعدادها لا تحصر
ورسائلى عنى تنوب وكلما * قصرت فالتقصير ذنب يغفر
ولقد حظيت بما يسرّك سيدى * والقلب يشهد والمحبة أشهر
وافى بشير سعودكم فحمدته * ولدى تلاقينا يلوح المضمر



وبعث الينا الشيخ إبراهيم السبكى المدرّس بمدرسة قليوب الأميرية بقصيدة منها :

لئن يك يهدى الشعر فى مقدم السعد * فتهنئتى إياك أجزل ما أهدي
ألست الذى أرضيت ربك قانتا * ولم تعد يوما سنة الصادق الوعد
ووجهت نحو الدين وجهك مسرعا * خطاك وأبناء الزمان على بعد
وطاب لنا فيك الثناء كأنما * سكنت قلوب الناس بالشكر والحمد
فلا غرو إن أولاك عباس رتبة * سموت بها فخرا على هامة المجد

وصـــرت على حق رئيسا مبجلا * على الحرس المشمول باليمن والرفـد
فيانعمت القربى ويانعم من بهـا * يجـــود ويانعـــم المقرب بالجـــد
تقبلتها شـكرا من الوطن الذى * له منـك ذخر حيثما الفضـل للجنـد
ومن يخدم الأوطان فى ساحة الوغى * فليست ترى فى حفظ ذكراه من بد



والى هنا تمت الرحلة الثانيــة وأصبحت معدّة للطباعة وكان إتمـام ذلك فى يوم الثلاثاء ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٢ هـ (أوّل يوليه سنة ١٩٢٤) ونسأل الله ان يوفقنا لإتمام الرحلتين الباقيتين فى عهد حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم فؤاد الأوّل .

الرحلة الثالثة

فى حجة

سنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حق حمده ونصلى على رسوله محمد وآله وصحبه ونستمد من الله الحول والقوة حتى ندرك غايتنا ونحصل مرغوبنا .

فى ثالث شعبان سنة ١٣٢١هـ (٢٤ أكتوبر سنة ١٩٠٣ م) صدرت إرادة سنية بتعيينى أميرا للحج وأبلغها الى عطوفة ناظر الداخلية فى الرابع ونشرت بالوقائع المصرية فى الخامس بالعدد ١٢٣ ، وفى التاسع تشرفت مع أحمد بك زكى الموظف بقلم الأموال المقررة والمعين أمينا للصرة بمقابلة سمو الخديو السابق بقصر رأس التين بالإسكندرية وشكرنا له تفضله باختيارى للإمارة ورفيقى للأمانة .

وفى شهر رجب (أكتوبر) بعثت نظارة الداخلية الى المديريات والمحافظات منشورا تبين فيه الشروط التى يجب توفرها فيمن يريد الحج والتعليمات التى تتبع فى إعطاء جواز السفر — الباسابورت — وأن كل من رغب فى الحج غير مرافق للمحمل فعليه أن يدفع مائة قرش نفقة المحاجر الصحية وستة وخمسين رسم الحجر الصحى ونفقة النزول الى البواخر والخروج منها فى محطة الطور ؛ وفى المنشور رغبت الناس فى أن يكونوا صحبة المحمل حيث إن ذلك آمن لهم وأقصد فى الزمن والنفقات إذ أجرة الجمل الواحد فى ركب المحمل كانت فى العام الماضى

أحد عشر جنيها ونصفا فى الطريق كله . وأجرة الباخرة لمرافق المحمل فى العام الحاضر من السويس إلى جدة فينبع فالسويس ١٠ جنيهات فى الدرجة الأولى وستة ونصف فى الثانية وثلاثة فى الثالثة، وفى المنشور بينت التأمين الذى يدفعه من رغب فى مرافقة المحمل، وأنه للشخص الواحد ٢٥ جنيها فى الدرجة الأولى ولصاحبها الحق فى جمل واحد وإن رغب فى آخر أضاف إلى ذلك ١١٥٠ قرشا — و٢٢ جنيها فى الثانية — ولصاحبها جمل واحد — و١٨ جنيها فى الثالثة — ولصاحبها جمل واحد أيضا — و١٢ جنيها فى الثالثة اذا اتفق صاحبها مع آخر على ركوب جمل واحد ويحسب من هذا التأمين أجرة السفر برا وبحرا دون نفقات الأكل بالبواخر أو الحجاز ومن ضمن التأمين مائة القرش السابقة والستة والخمسون أيضا . وتعهدت الحكومة فى منشورها هذا بأنه اذا بقى من التأمين شئ بعد حسبان تلك النفقات ردّته الى أهله وأتبعت الحكومة هذا المنشور بمنشورين آخرين فى شهر شعبان بينت فيهما أن الأولاد الذين تتجاوز سنهم أربع سنوات يدفع عنهم مائة القرش والستة والخمسون وتأمين كالذى يدفعه الكبار إلا إن كانت سنهم دون عشر فيدفع عنهم نصف التأمين فقط وبذلك تدرج أسماؤهم فى جواز السفر ويباح لأهليهم أن يأخذوهم معهم .

وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٣ أرسل الىّ ناظر المالية أحمد باشا مظلوم التعليمات المتعلقة بمال المحمل وعدد ركبه كما هو المعتاد سنويا ومعها كتاب منه يلفت فيه نظرى الى ما بها ويحظر علىّ أن آخذ معى فوق العدد الذى بالتعليمات وهو ٤٢٤، وفى يوم الاثنين ٣٠ شوّال (١٨ يناير) احتفل بالكسوة . وفى عاشر ذى القعدة (٢٨ يناير سنة ١٩٠٤) وصل منه كتاب آخر بأن إشهاد تسلم الكسوة سيكتب بمسجد الحسين رضى الله عنه فى يوم الثلاثاء ١٥ ذى القعدة (٢ فبراير) — تقدّمت صورة هذا الإشهاد فى أوّل حجة سنة ١٣١٨ هـ — وإشهاد تسليم الصرة سيحرر

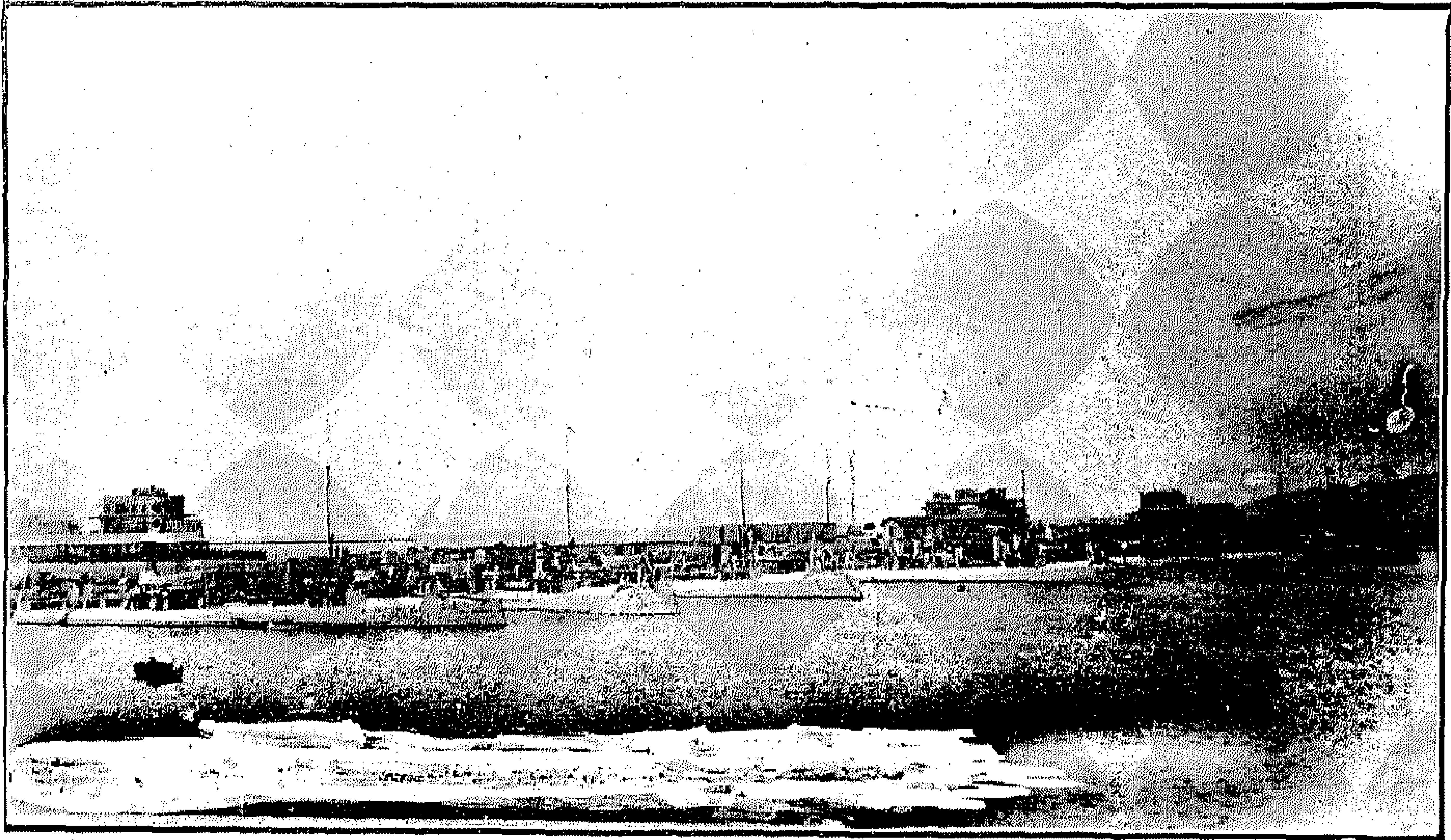
بنظارة المالية فى يوم الأربعاء التالى له وطلب منى أن أحضر ذلك فحضرت تحريرهما فى الموعد المحدد، وفى اليوم نفسه كتب الىّ مدير عموم الحسابات بأن نظارة المالية اتفقت مع شركة البواخر الخديوية على أن يقل ركب المحمل والحجاج الى الحجاز باخرتا الرحمانية ومسير، وأن الأولى خصصت بموظفى المحمل وأسرهم ولا مانع إن كان فيها سعة أن تكمل من الحجاج المصريين . وأما الثانية فانها لهؤلاء الحجاج وطلب الىّ فى كتابه أن أخبر الشركة بموعد السفر من كل ثغر قبل القيام منه بسبعة أيام على الأقل كما حصل عليه الاتفاق معها وذلك لكى تتهيأ البواخر للسفر ولا يتأخر الركب بالطريق . وفى ١٤ ذى القعدة (أول فبراير) وصل الىّ كتاب من المدير أيضا بأن الزيت المعتاد إرساله الى الحجاز سنويا فى البواخر التى تقل الحجاج — وقدره ٤٤٥٩ أقة و٢٧٢ درهما — عين لمرافقته سليمان افندى ذهنى ومعه مساعد له ولفت نظرى الى المحافظة عليه حتى يسلم بمكة والى تسهيل العودة للمرافق بعد إتمام مناسك الحج . وفى يوم الخميس ١٧ ذى القعدة (٤ فبراير) احتفل بطلعة المحمل . وفى يوم السبت ١٩ منه سافرنا الى السويس ومكثنا بها أياما ننتظر البواخر ومما لاحظناه على ميناها أن المصابيح به قليلة حتى أن أحد الحجاج سقط بالبحر فانتشلناه فى الحال وأنه لا يوجد به مراحيض مع أن به مئات من الحجاج بل ألوفا وكانوا يقضون حاجاتهم فى الخلاء مما سبب وجود فضلات تفسد الهواء وتسقم الأجسام وليس به أماكن يأوى اليها الناس فيتقون بها الحرّ والقرّ وقد نقدت ذلك فى تقرير قدمته لناظر الداخلية وعضدته بمقابلة مستشارها « المستر متشل » ووكيلها إبراهيم باشا نجيب فصوبوا اقتراحى وأقيمت بالميناء أماكن لركاب الدرجات الثلاث فاستراح الحجاج مما كانوا يعانون وقد أخذ من كل حاج بالسويس ٣٢ مليما رسم محجر السويس الصحى وكان ينبغى أن تؤخذ هذه الرسوم قبل السفر مع رسوم محجر الطور حتى لا نضيع من وقتنا فى الدفع وأخذ الصك . وقد وجدنا قطعا من

الأسطول الروسى تراها فى (الرسم ٢١٠) وترى فى (الرسم ٢١١) منظر القنال من الجهة الشرقية .

السفر من السويس الى جدّة فمكة — لتمام الساعة الخامسة بعد ظهر الاثنين ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٢١ هـ (٨ فبراير سنة ١٩٠٤ م) . أقلعت باخرة الرحمانية من السويس قاصدة جدّة وكان بها من الحجاج ٥٩٩ منهم ٢٤ فى الدرجة الأولى وكلهم من موظفى المحمل عدا ثلاثة ، ومنهم ٣٣ فى الدرجة الثانية من بينهم ٧ من موظفى المحمل ، ومنهم ٥٤٢ فى الدرجة الثالثة من بينهم ٢٩٦ تبع موظفى المحمل والباقى من الأهالى ، ومن هؤلاء ٩١ من محافظة مصر و ٤ من المنوفية و ٤ من الجيزة و ١٨ من محافظة دمياط و ٢ من محافظة السويس و ١٤ من المنيا و ٢١ من الغربيــة و ٩٢ من القليوبية . أما باخرة مسير فانهـا قامت من المرفأ فى الساعة ١٢ والدقيقة ٣٥ وكان بها من الحجاج ٤٤٨ ، منهم ٢٤ فى الدرجة الأولى من بينهم ٤ من موظفى المحمل وتابعيهم ، ومنهم ٩ فى الدرجة الثانية بينهم أربعة من موظفى المحمل و باقى الراكبين فى الدرجة الثالثة وعددهم ٤١٥ ، منهم ١٩ موظفون فى المحمل والباقى ٢٥ من محافظة مصر و ٥٨ من المنوفيــة و ١٥٣ من الشرقيــة و ٩٦ من الدقهليــة و ٤٤ من الغربية ، وعلى ذلك فجملة الحجاج ١٠٤٧ من بينهم ٣٥١ موظفون فى المحمل أو تابعون لموظفيه .

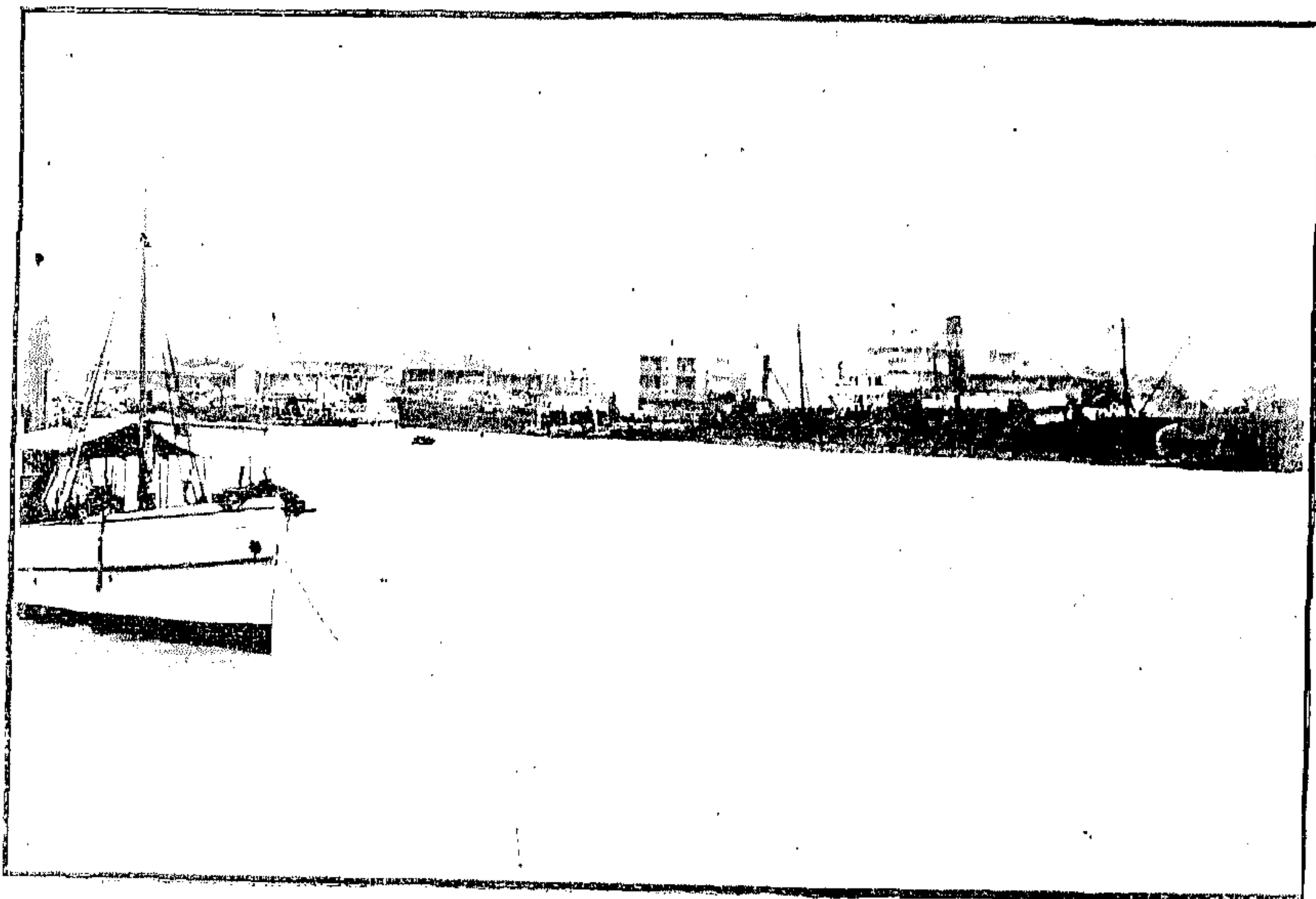
وقد وصلنا جدّة بعــد ظهر يوم الخميس ٢٤ ذى القعدة (١١ فبراير) بثــلاثة أرباع الســاعة وأبرقنا الى والى الحجاز بالوصول وشكرنا له عناية الحكومة بنا فأبرق لنا أيضا مهنئا ومعربا عن سروره بوصولنا وترى البرقيــة فى (الرسم ٢١٢) وقد أخذت كثيرا من الصور الشمسية فى جدّة ، منها (الرسم ٢١٣) الذى ترى فيــه على يســار أمير الحج على بك يمنى نائب الوالى بجــدّة فالقائمقام خالد بك رئيس الجنــد العثمانى ، ومنها (الرسم ٢١٤) الذى ترى فيــه ضباط المحمل و بعض موظفيه بلباس

٢١٠ الاسطول الروسي بالسويس سنة ١٣٢١ﻫ



210. The Russian fleet at Suez, 1321 A. H.

٢١١ منظر القنال من الجهة الشرقية سنة ١٣٢١ ﻫ



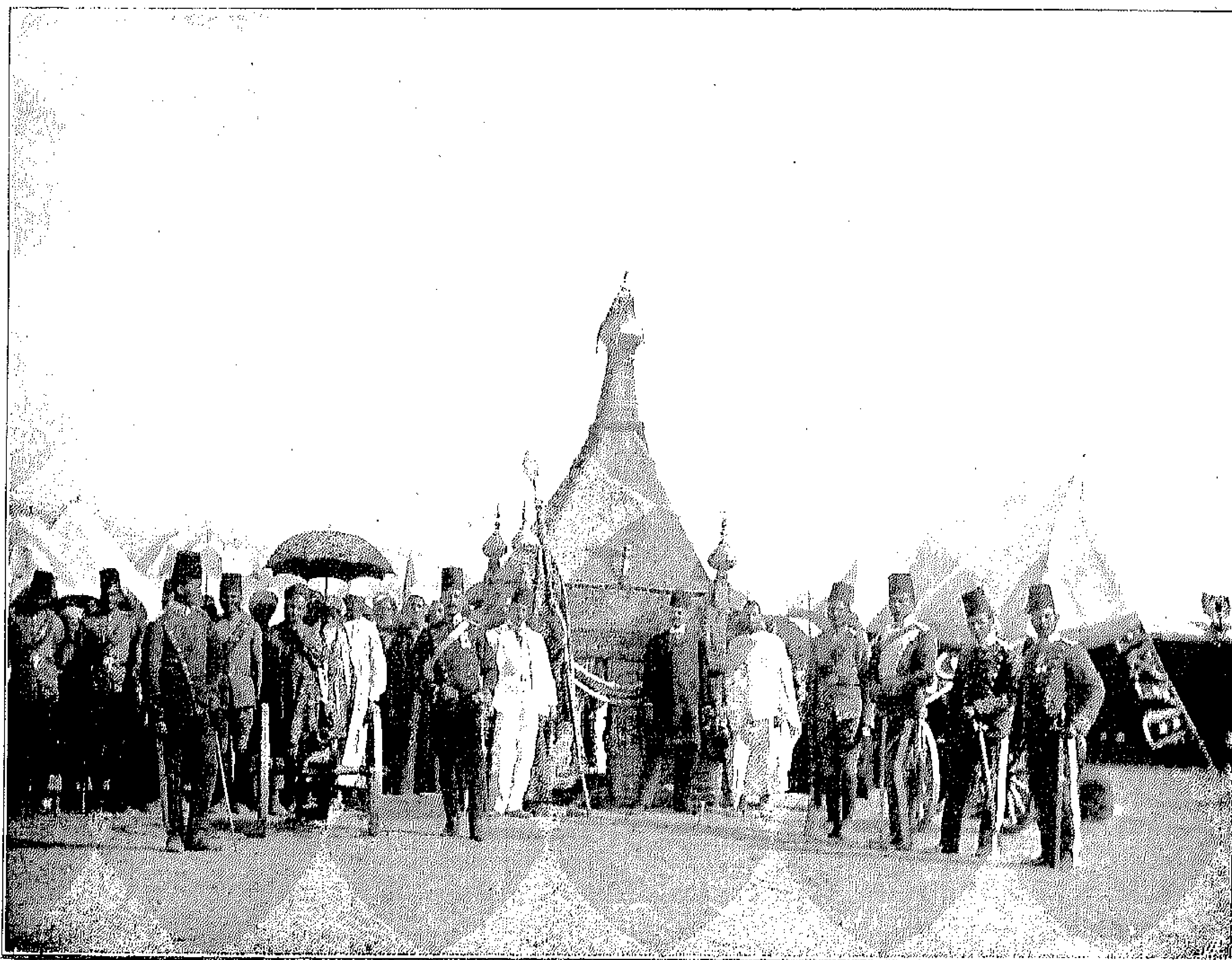
211. A view of the Canal from the eastern side, 1321 A. H.

٢١٣ رسم ضباط المحمل وقائمقام الوالي بجده بالملابس الرسمية



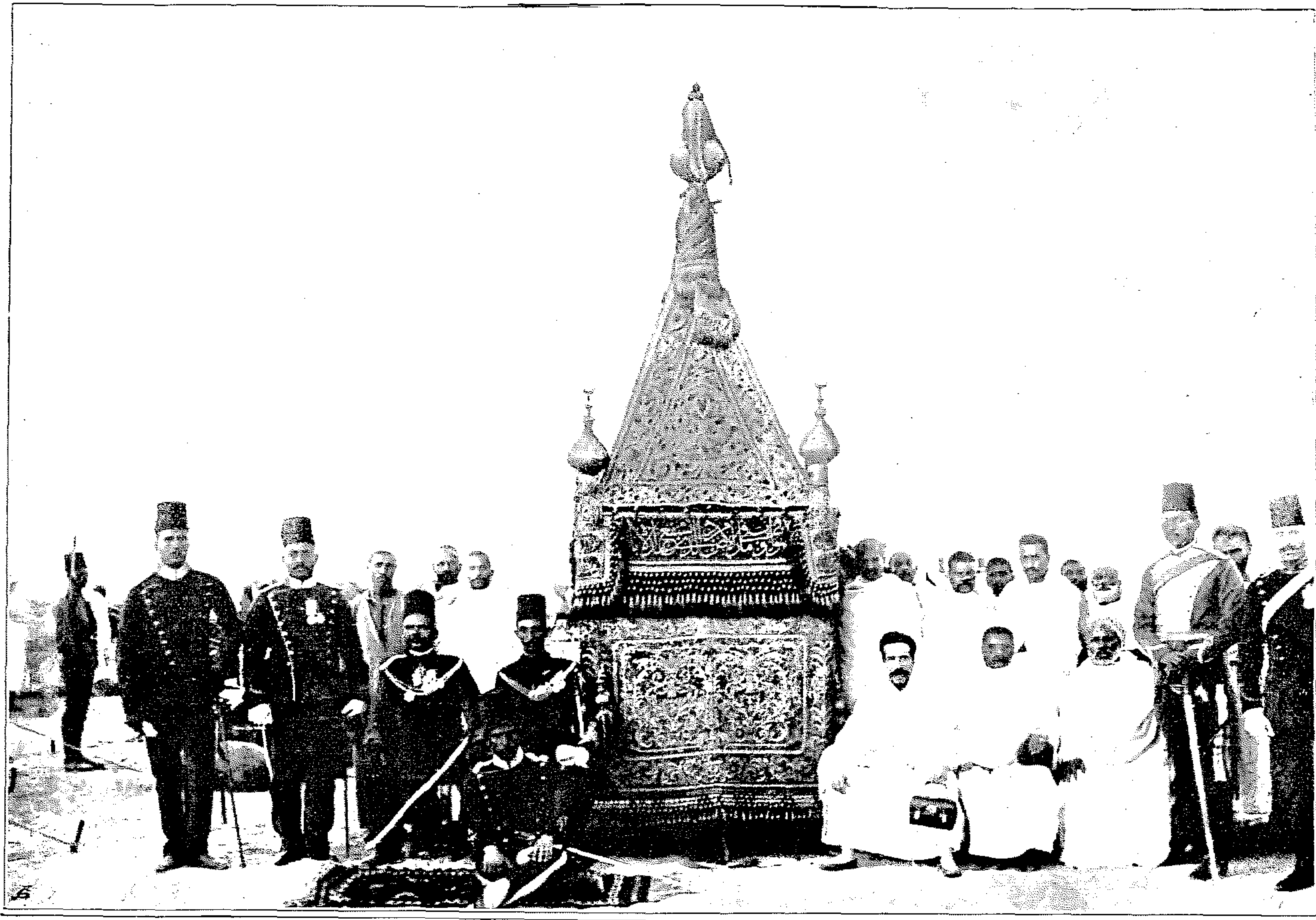
213. Officers and Deputy Wali in uniform and Jeddah.

٢١٥ ضباط المحمل بجده سنة ١٣٢١ هجرية



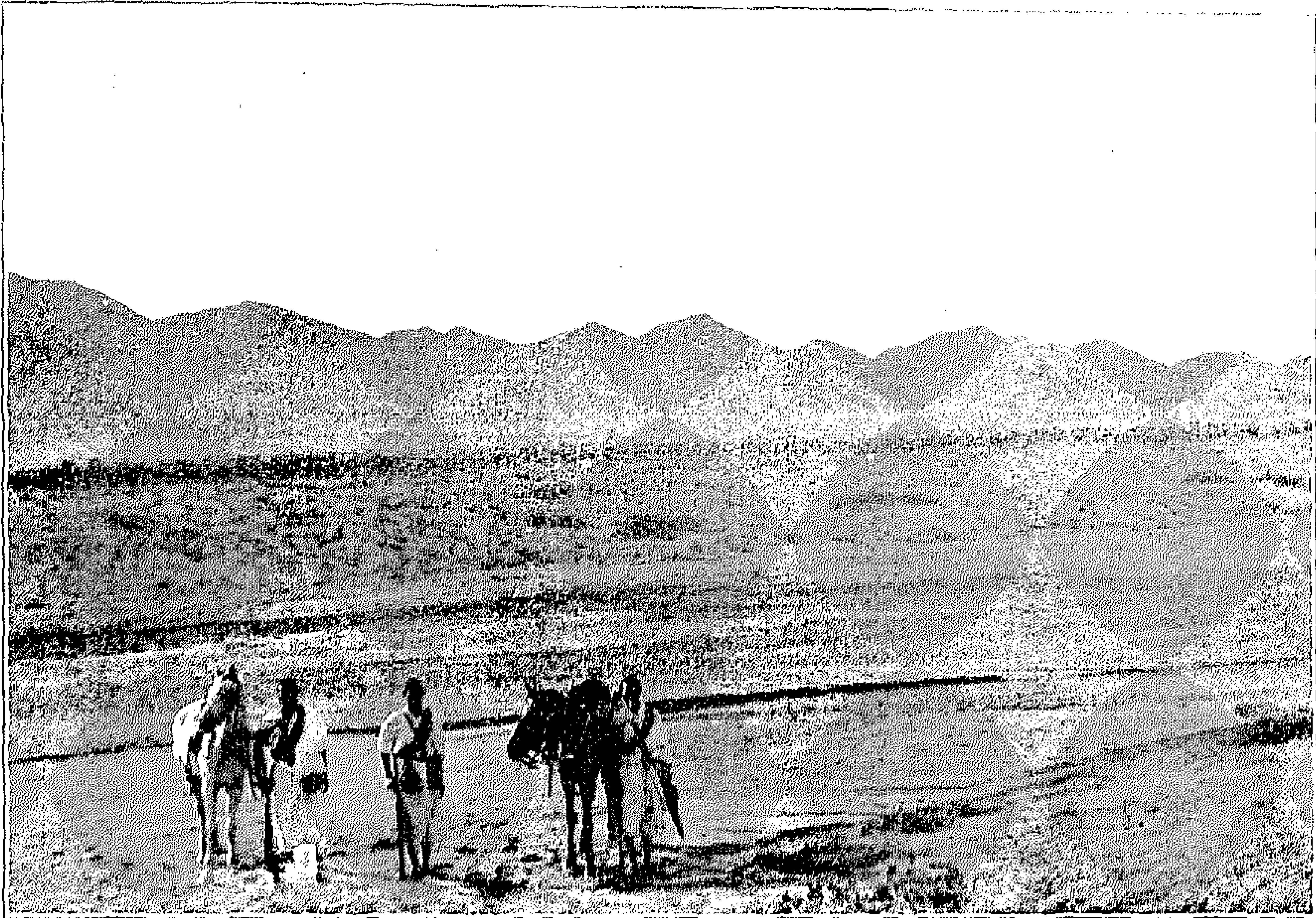
215. The officers of the Mahmal in Gedda in 1325.

موظفو المحمل وضباطه بجدة سنة ١٣٢١



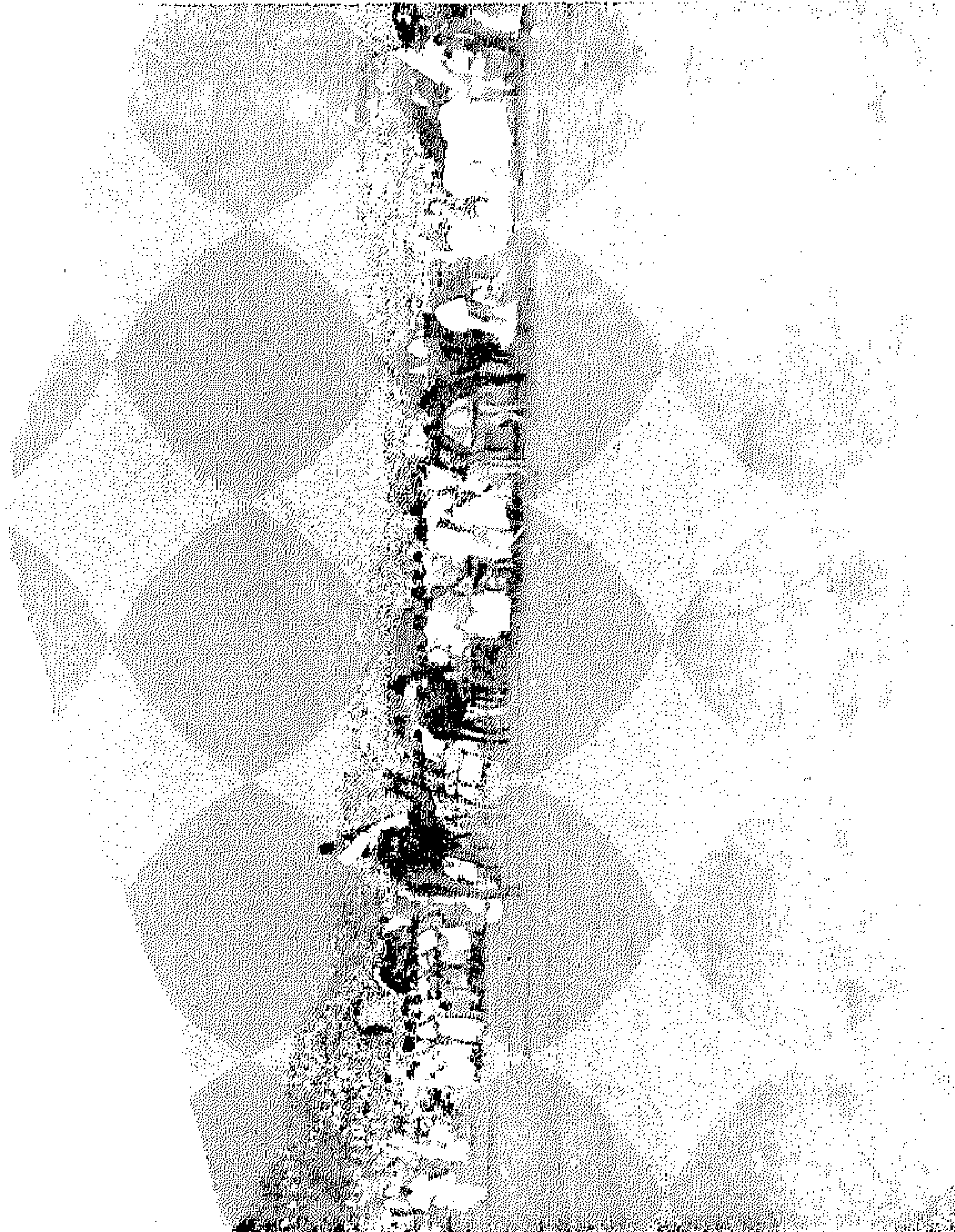
214. The employees and the officers of the Mahmal in Jedda 1321.

ركب المحمل في طريق جدة سنة ١٣٢١



حقوق الطبع والتصوير محفوظة للرحالة اللواء ابراهيم رفعت باشا

216. The caravan of the Mahmal in the way of Gedda in 1321.



218. A photo of the soldiers dressed in the Ihram Clothes in Mona in 1321.

الإحرام، ومنها (الرسم ٢١٥) وفيه ضباط المحمل وترى به سرادق أمير الحج على أحباله بعض الأعلام المصرية .

وفى يوم الاثنين ٢٨ ذى القعدة (١٥ فبراير) قمنا من جدّة لتمام الساعة الثانية العربية ووصلنا بحرة فى الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ نهارا وبتنا بها، وفى (الرسم ٢١٦) ركب المحمل بين بحرة وجدّة، وفى منتصف الساعة الأولى من صباح الثلاثاء سرنا الى مكة فوصلناها فى منتصف الساعة العاشرة من اليوم نفسه فكانت مدّة السير ١٧ ساعة و٤٥ دقيقة وكان بصحبة ركبنا خمسة آلاف جمل بعضها للحجاج و بعضها للتجار وممن صحبونا فى طريقنا من جدّة الى مكة وزير حربية مراكش وحشمه

212. Copy of a congratulatory telegram from the Wali to Emir-el-Hag at Gedda 1325 A. H.

ف شه نمونه ١ فى سنه

Le ______ 190__ En ______ 190__

واسطه‌سيله وصول نومروسى

Transmis par ______ No d'arrivée ______

دقيقه ساعت دقيقه ساعت

h. m. du h. m. du

TÉLÉGRAMME

بدأ مخابره ارسالى

Commencé à ______ Réexpédié ______

ختام مخابره à ______

Fini à ______

L'état n'accepte aucune responsabilité à raison du service de la télégraphie

مأموركـ امضاسى مأموركـ امضاسى

Signature de l'Employé Signature de l'Employé

عن الى

De ______ pour

اشارات مخصوصه	طريق	روز وياشب	دقيقه	ساعت	محل تاريخى	غروپ	عدد كلمات	محل نومروسى
Indications non taxées	Voies	Matin ou soir	Minutes	Heures	Date du dépôt	Group	Nombre de mots	No du dépôt
[illegible]		[illegible]		[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]

(الرسم ٢١٢)

وقد أمرت وأنا بمصر مقابلة دولته مرتين فى محل نزوله بشبرا لأبلغه توصية الخديو السابق عليه فى حله وترحاله والصدر الأعظم السابق لدولة إيران وحاشيته وقد أوصانى به خيرا سموّ الخديو السابق كما ترى ذلك فى (الرسم ٢١٧) وكذلك صحبنا الى مكة ركب المحمل الدارفورى (١) .

فى مكة — وفى يوم الأربعاء ٣٠ ذى العقدة زرنا الشريف والوالى . وفى رابع ذى الحجة زرنا غار حراء الذى كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وصحبنا اليه وزير حربية مراكش وكان معنا من جنودنا حوالى ١٠٠ ما بين راجل وراكب ومدفعى وقد غذى الوزير الجند فقدّم لهم العيش والجبن والزيتون والبطيخ والتمر والجوز . وفى الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ من اليوم نفسه استعرض الوالى الجيش التركى للوزير المنبهى وحضرت ذلك بدعوة من الوالى وقد توجهنا بعد الاستعراض الى سراى الوالى وتعشينا معه وأخذنا فى السمر حتى الساعة الثالثة بعد المغرب .

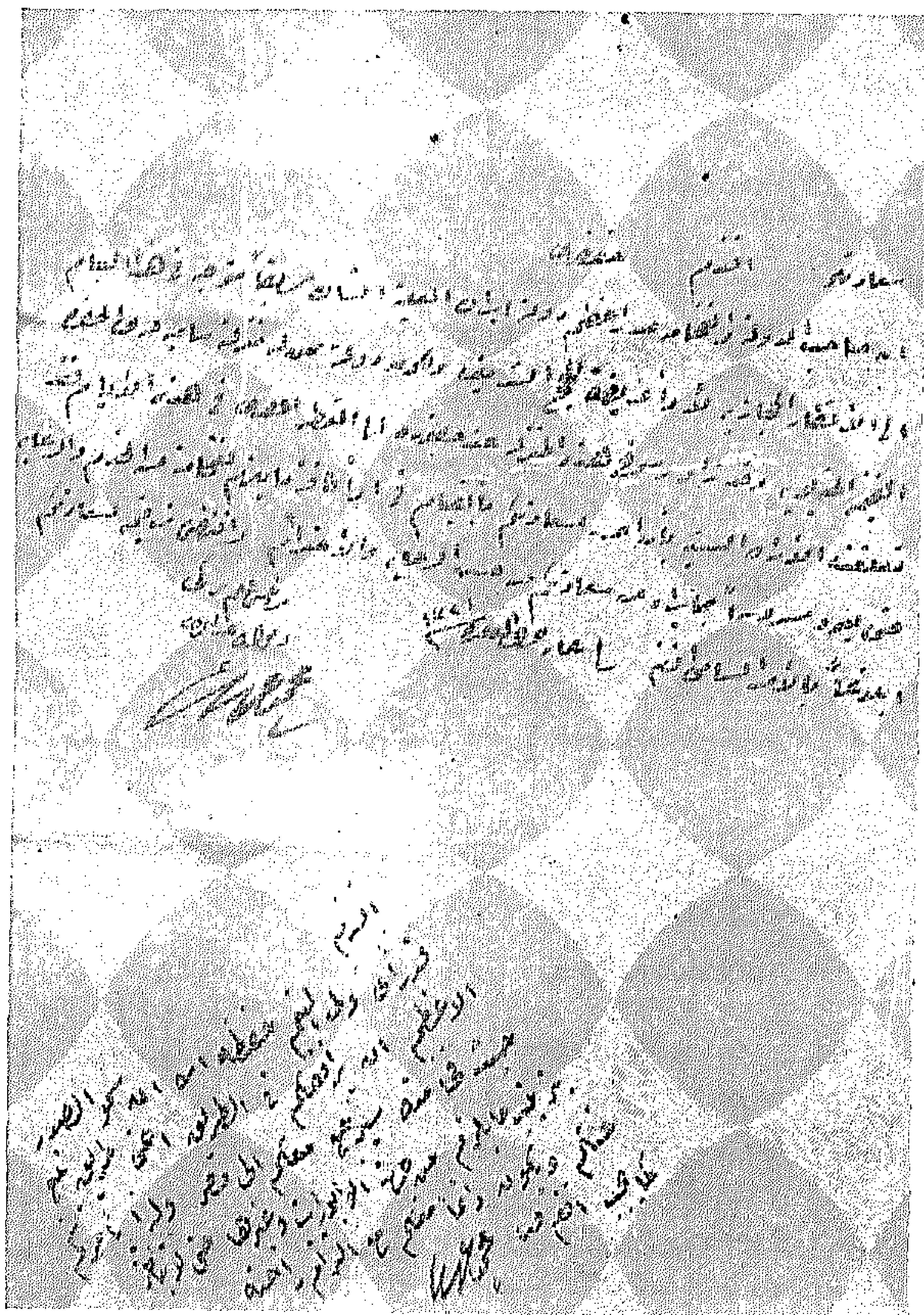
(١) هذا الركب أبحر من سواكن الى جدة على باخرة « مخبر » التابعة لنظارة الحربية المصرية ولما علم بقدومه الشريف عون الرفيق باشا أكرم أميره لأنه من أسرة ابن دينار فأعد له فى جدة منزلا خاصا يقيم فيه مع عبيده وجواريه الذين هم أكثر ركبه وما كان ذلك كرم نفس منه ولكن طمعا فى ذهب الأمير فقد أوحى الى سعادة عمر باشا ناصيف كبير تجار جدة أن يتعرف مالدى الأمير من النقود من حيث لا يشعر فعرف أن معه ألفى ريال لخدم المسجد الحرام ومثلها لخدم المسجد النبوى وستمائة ريال لنفقته الخاصة ولما وصل مكة استأجر منزلا بأربعمائة ريال سكن فيه مع خدمه وكان يركب فى غدوّه منه ورواحه اليه حمارا عليه بردعة مغطاة بغطاء أحمر له أهداب محلاة بخيوط نحاسية طليت بلون الذهب وكان يعدو أمام الحمار وخلفه عبيد الأمير وقد دفع الأمير لفخامة اسمه الى انفاق ما عنده ودفع له الشريف أجرة المنزل بعد أن ابتز منه أربعة آلاف الريال التى أعدها لخدم المسجدين وأوهمه أن سينفقها فيما أعدها له ولما تكاثر الوراد عليه والمؤملون عطاءه باع فى مكة عبيده وإماءه عدا القليل منهم لينفق عليهم من ثمن ما باع وقد سافر الأمير معنا من مكة الى جدة فينبع فالمدينة وكنا نمده هو وخدمه مما عندنا من « بقسماط » الفقراء وكذلك كان يفعل الحجاج ولما علم بمقدمه أغوات المدينة خرجوا على جياد الخيل يستقبلونه رجاء أن ينالوا من ذهبه ولكن خاب فألهم ولما سألوه عن ألفى الريال التى أعدها لهم أخبرهم بأنه أعطاها للشريف لينفقها عليهم بالنيابة عنه وكانت العاقبة أن قاموا هم بالانفاق على الأمير وركبه بدافع وحدة الوطن وقد باع فى المدينة مابقى عنده من الأرقاء لينفق فى أوبته من ثمنهم الى بلده .

وفى سادس ذى الحجـة (٢٣ فبراير) زارنا الشريف والوالى أوزاعا، فأطلقنا لقدومهما وقيامهما المدافع واستقبلناهما بمنتهى الحفاوة وقدّمنا لهما القهوة والشربات الحلوة.

وفى السـابع وصلنا كتاب تركى من الوالى بأنه ثبت أن أوّل ذى الحجـة يوم الخميس وأن الوقفة ستكون يوم الجمعة. وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجـة قمنا من مكة فى الساعة ١٢ والدقيقة ٥٠ عربى نهارا ووصلنا منى فى الساعة ٣ والدقيقة ٢٥

توصية سموّ الخديوى المعظم لأمير الحج على جناب صاحب الدولة الصدر الأعظم لدولة إيران الأتابك

Letter from H.H. Ex—The Khedive recommending the grand Vizier (Atabek) of Persia to the Ameer of the Pilgrimage Caravan.



(الرسـم ٢١٧)

واسترحنا بها نصف ساعة ثم رحلنا عنها فى الساعة ٣ والدقيقة ٥٥ وترى الجند وهم يستعدون للرحيل فى (الرسم ٢١٨) ووصلنا مزدلفة فى الساعة ٥ والى العلمين الأولين فى الساعة ٦ والى الآخرين فى الساعة ٦ والدقيقة ٢٠ والى جبل الرحمة فى الساعة ٦ والدقيقة ٤٠ فالمدّة كلها ٥ ساعات و ٥٠ دقيقة استرحنا منهـا نصف ساعة وأتممنا نهارنا وبتنا ليـلة التاسع بعرفة، وفى ظهره توجهنا الى مسجد نَمِرَة وجمعنا فيـه مع الإمام بين الظهر والعصر جمع تقديم ثم وقفنا بميدان عرفة تحت جبل الرحمة وآمتدّ الوقوف إلى الغروب . أنظر الحجاج فوق جبل عرفات فى (الرسمين ٢١٩ و ٢٢٠) وبعده أفضنا الى مزدلفة وبتنا بها ليـلة العاشر وفى الصباح وقفنا بالمشـعر الحرام وسمعنا الخطبـة هنالك ثم سرنا الى منى (أنظر معسـكرنا بهـا فى الرسم ١١٩ أمام الصفحة ٣٢٤ ج ١) ورمينا جمرة العقبة وحلقنا وذبحنا وفى طريقنا الى مكة المكرمة وتحركنا عن منى ذكرنا الحـديث الشريف الوارد فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عام حجة الوداع مرجعه من منى منزلنا ان شاء الله بخيف بنى كنانه حيث تقاسموا على الكفر وهو المحصّب والأبطح وهو شِعب أبى طالب وفى نزوله صلى الله عليه وسلم حينئذ فيـه وذكره لمـا جرى به إشارة الى الظهور بعد الخمول وامتثال لمـا أمر به من التحدّث بالنعم، وفى ذلك الشكر لمنعمها .

ذكرنا ذلك فتاقت نفوسـنا الى الاحتذاء بسنته عليه السـلام فمررنا بالشعب، ذى التاريخ الخالد، فى الصبر على الشدائد، حتى نصر الله عبده، وأعز جنده .

وفى قصة الشعب قيلت قصيدة عامرة، تعلو على المعلقات، جزالة، وأداء معنى، وصدق قول .

القصـيدة الشّعبية

لأبى طالب عمّ سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالها فى الشعب وهو شعب أبى طالب الذى أوى اليه بنو هاشم مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم لمـا تحالفت عليهم قريش وكتبوا الصحيفة .

وأصل الشعب لعبد المطلب فقسمه بين بنيه وأخذ النبى صلى الله عليـه وسلم حظ أبيه وكان منزل بنى هاشم ومساكنهم، وفيه يقول أبو طالب :

٢١٩ الحجاج فوق جبل عرفات يوم ٩ الحجة سنة ١٣٢١



219. The pilgrims on Mount Arafat, 9th. Zu Ell Hegga, 1321 A. H.

صحيفة ٦٢ (*)

٢٢٠ الحجاج فوق جبل الرحمة بملابس الاحرام سنة ١٣٢١ من الجهة الشمالية



220. The pilgrims on Mount Arafat, from the northern side. 1321 A. H.

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما
بتفريقهم من بعد ودّ وألفة * جماعتنا كيما ينالوا المحرّما
كذبتم وبيت الله نبزى(١) محمدا * ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

ومحصل قصة الشعب أن كفار قريش لما رأت عز النبي صلى الله عليه وسلم إذ أمر بضعة عشر من أصحابه بالهجرة الى الحبشة وإسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة أيام وفشو الإسلام فى القبائل أرادوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأتوا لأبى طالب بعمارة بن الوليد أعز فتى فيهم ليأخذه بدل ٱبن أخيه فأبى وجمع بنى هاشم وبنى المطلب فدخلوا الشعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية، فكتبت قريش صحيفة تعاقدت فيها على مقاطعتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقوها فى الكعبة وكان ذلك سنة سبع من النبوّة. فشلت يد الكاتب منصور بن عكرمة بن هشام فمكثوا سنتين أو ثلاثا لا يصل اليهم شيء إلا سرا ولا يخرجون إلا من موسم الى موسم . فقام فى نقض الصحيفة خمسة رأسهم هشام بن الحارث والأربعة هم : زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب عمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزمعة بن الأسود، والمطعم بن عدىّ، وأبو البَخْتَرِىّ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أبا طالب أن الله تعالى أوحى اليه أنه سلط الأرضة(٢) على الصحيفة فأكلت جميع ما فيها من الظلم والقطيعة ولم تدع غير ٱسم الله فوجدوها كذلك، وخرجوا من الشعب .

قال ٱبن كثير : وهذه القصيدة الشّعبية قصيدة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت اليه، وهى أفحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى .

وٱسم أبى طالب عبد مناف وٱشتهر بكنيته، وقد كفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصاية عبد المطلب فرباه وسافر به الى الشام، ولما بعث قام بنصرته، وذب

(١) نبزى — من بزا يبزو كنصر : غلب . وبزا الرجل قهره وبطش به كأبزى به .

(٢) الأرضة بفتحتين دويبة معروفة يقال : أرض الشيء على البناء للمجهول يؤرض أرضا بالسكون فهو مأروض اذا أكلته الأرضة .

عنه ومدحه عدّة مدائح، وتوفى فى السنة العاشرة من النبوّة وهو ابن بضع وثمانين سنة .
ومن شعره :

ودعوتنى و زعمت أنك صادق * ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

ومما قاله فى الشِّعب :

ألا بلغا عنى على ذات بيننا * لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط فى أوّل الكتب

القصيدة (١)

خليلىّ ما أذنى لأول عاذل * بصغواء (٢) فى حق ولا عند باطل
خليلىّ إن الرأى ليس بشركة * ولا نهنه (٣) عند الأمور البلابل
ولما رأيت القوم (٤) لا ودّ عندهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل

(١) أشار بوضع هذه القصيدة وشرحها فضيلة الأديب الشاعر الشيخ محمد عبدالرحمن الجديلى الموظف بمجلس النواب .

(٢) الصغو – الميل وفعله من باب عدا وسما وصدى وسعى ، صغوا وصغوا وصغا وصغيا ، وقوله بصغواء خبر (ما) الحجازية : أى لا تميل أذنى لأوّل من يعذل فى الحق . والمعنى – أنه لاتهامه العاذل لا يقبل منه العذل لا فى خير ولا فى شر .

(٣) النهنه – بنونين وهائين وزن جعفر : الثوب الرقيق النسج ، والمراد هنا المضىء الشفاف الذى يظهر الأمور على جليتها . والبلابل – جمع بلبلة أو بلبال بفتح الموحدتين : الهم والوساوس : أى أن الرأى الذى لم تشارك فيه العقلاء ولم يكن جليا مضيئا يكون عند الأمور البلابل : أى بعد معها : أى لا تطمئن اليه القلوب لأنه فطير ، وأجود الرأى الذى ترك حتى اختمر .

(٤) القوم – كفار قريش ، والعرى جمع عروة ما يتمسك به من العهود ، والوسائل جمع وسيلة ما يتوسل به .

وقد صارحونا (١) بالعـــداوة والأذى * وقـد طاوعوا أمر العـــدو المزايل
وقـد حالفوا قـــوما علينا أظنـــة (٢) * يعضون غيظا خلفنـا بالأنامل
صبرت لهم نفسى بسـمراء (٣) سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى * وأمسكت من أثوابه بالوصائل (٤)
قياما معا مستقبلين رتاجـه (٥) * لدى حيث يقضى خلفـه كل نافل
أعوذ برب النـاس من كل طاعن * علينـا بســوء أو ملح (٦) بباطل
ومن كاشح (٧) يسعى لنـا بمعيبة * ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول
وثور (٨) ومن أرسى ثبـيرا مكانه * وراق لـبرّ فى حـراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله : إن الله ليس بغافل
وبالحجـر المسـودّ إذ يمسحونه * اذا اكتنفوه بالضحى والأصائل (٩)

---

(١) صارحونا — كاشفونا . المزايل اسم فاعل من زايله مزايلة وزيالا فارقه .

(٢) أظنة جمع ظنين سماعا ، وهو الرجل المتهم ، والظنة بالكسر التهمة .

(٣) السمراء — القناة (والسمحة) اللدنة (والأبيض) السيف (والعضب) القاطع (والمقاول) جمع مقول بكسر الميم الرئيس دون الملك . وأراد بالمقاول آباءه شبههم بالملوك إذ لم يكونوا ملوكا بدليل حديث أبى سفيان وقد سأله هرقل هل كان فى آبائه من ملك؟ فقـال لا . ويحتمل أن يكون هـذا السيف من هبات الملوك لأبيه فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات كثيرة .

(٤) الوصائل — ثياب يمانية مخططة كان البيت الشريف يكسى بها .

(٥) الرتاج — الباب العظيم وهو مفعول مستقبلين (والنافل) فاعل من النافلة وهى التطوع .

(٦) الملح — اسم فاعل من ألح .

(٧) الكاشح — من كشح له بالعداوة من باب قطع : أى أضمرها له (والمعيبة) العيب .

(٨) ثور معطوف بالجر وهو (وثبير وحراء) جبال بمكة (والبر) بكسر الباء خلاف الاثم .

(٩) الأصائل — جمع أصيل . وهو ما بعد صلاة العصر الى الغروب .

وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل (١)
وأشواط بين المروتين الى الصفا * وما فيهما من صورة وتماثل (٢)
ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
فهل بعد هذا من معاذ (٣) لعائذ * وهل من معيذ يتقى الله عادل
يطاع بنا الأعدا (٤) وودّوا لو أننا * تسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نبزى (٥) محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه (٦) حتى نصرّع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم فى الحديد اليكم * نهوض الروايا (٧) تحت ذات الصلاصل

(١) موطئ إبراهيم – موضع قدمه حين غسلت كَنَّتُهُ رأسه وهو راكب فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل . وكانت سارة قد أخذت عليه عهدا حين استأذنها فى أن يطالع ما تركه بمكة فخلف لها أنه لا ينزل عن دابته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر – وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع قواعد البيت .

(٢) تماثل – جمع تمثال – فحذف الياء (والمرو) الحجارة البيض تقدح بها النار مفرده مروة وبالمفرد سمى جبل بمكة المكرمة يعطف على الصفا وقد وقع لهم تثنية مالا ثانى له فى الوجود تغليبا كالعمرين والقمرين .

(٣) المعاذ : بفتح الميم اسم مكان من عاذ فلان بكذا اذا لجأ اليه واعتصم به (والمعيذ) اسم فاعل من أعاذه بالله : أى عصمه به .

(٤) هو على تقدير الاستفهام والباء فى بنا الأعدا للظرفية المجازية مثلها فى (فتماروا بالنذر) أى شكوا فيها ولا خير بخير بعده النار . (والترك) (وكابل) صنفان من العجم : أى أتطاع فينا الأعداء وقد ودوا أن تسد علينا أبواب من ذكر : أى أن نبرح الحجاز الى تلك البلاد ونمنع فيها من العود .

(٥) نبزى : أى نغلب جواب القسم على تقدير النفى نحو تفتأ تذكر (ومحمدا) نصب على نزع الخافض : أى لا نغلب عليه صلى الله عليه وسلم (والطعان) بالرمح والنضال بالسهم .

(٦) ونسلمه بالرفع معطوف على نبزى : أى لا نسلمه من أسلمه اذا سلمه .

(٧) الروايا : جمع راوية ، وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه (وذات الصلاصل) المزادة التى ينقل فيها الماء (والصلاصل) جمع صلصلة بضم الصادين وهى بقية الماء فى الأداوة يريد أن الرجال مثقلون بالحديد كالجمال التى تحمل المياه مثقلة شبه قعقعة الحديد بصلصلة الماء فى المزادات .

وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعـه (١) * من الطعن فعـل الأنكب المتحامل
وإنا لعمر الله إن جد (٢) ما أرى * لتلتبسن أسـيافنا بالأماثـل
بكفى فتى مثـل الشهاب (٣) سميـذع * أخى ثقـة حامى الحقيقة باسـل
وما ترك قـوم لا أبالك (٤) سـيدا * يحوط الذمار غـير ذرب مواكل
وأبيض (٥) يستسـقى الغمام بوجهـه * ثمـال اليتامى عصمة للأرامـل

(١) الضغن : الحقد ، و يقال للقتيل ركب ردعه اذا خر لوجهه على دمه (والردع) اللطخ والأثر من الدم (الأنكب) المائل الى جهة أى كفعل الأنكب من النكب بالتحريك داء يأخذ الابل فى مناكبها فتظلع وتمشى منحرفة والفعل كفرح والمتحامل الجائر والظالم .

(٢) جد : أى دام وعظم والأماثل الأشراف جمع أمثل .

(٣) مثل الشهاب : أى لا يقاوم كأنه شعلة يحرق من قرب منه . والسميذع كسفرجل : السيد الموطأ الأكناف ، والحقيقة ما يحق على الرجل أن يحميه (والباسل) الشجاع الشديد وفعله بسل بالضم ومراده بصاحب هذه الصفات سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وقد حقق الله تعالى ما تفرسه أبو طالب يوم بدر .

(٤) لا أبالك : إما كناية عن المدح بأن يراد نفى نظير الممدوح بنفى أبيـه أو الذم بأنه مجهول النسب (وحاط) من باب قال رعاه (والذمار) بالكسر الحقيقة لأنه يتذمر له (والذرب) كفرح : البذىء الفاحش (والمواكل) من المواكلة وهى اتكال كل على الآخر ، يقال رجل وكل وتكلة كهمزة : أى عاجز يكل أمره الى غيره ويتكل عليه .

(٥) أبيض : معطوف على (سيدا) المنصوب بالمصدر قبله هكذا أعربه الزركشى فى نكته على البخارى وقال لا يجوز غيره (والثمـال) العماد والملجأ والمطعم (والعصمة) ما يعتصم به (الأرامل) جمع أرملة وهى التى لا زوج لها لافتقارها الى ما ينفق عليها ، وأصله من أرمل الرجل اذا نفـد زاده وافتقر فهو مرمل . وفى روض السهيلى قالت رقيقـة : تتابعت على قريش سنو جدب قد أقحلت الظلف ، وأرقت العظم ، فبينا أنا راقدة مهمومة ومعى صنوى اذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول : يا معشر قريش إن هذا النبىّ المبعوث منكم هذا إبان نجومه فحيهلا بالحيا ، والخصب ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض بضا أشم العرنين له فخر يكظم عليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن رجل ألا فليشنوا من المـاء ، وليمسوا من الطيب ، وليطوفوا بالبيت سبعا ، ألا فليستسق الرجل ، وليؤمن القوم . قالت : فأصبحت مذعورة ، قد قف جلدى ، ووله عقلى ، فاقتصصت رؤياى فوالحرمة والحرم إن بقى أبطحى الا وقال هذا شيبة الحمد ، وتتامت عنده قريش ، وانفض اليه الناس من كل بطن رجل فشنوا ، ومسوا ، واستلموا ، واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدنون حوله ما أن يدرك سعيهم مهلة فقام عبـد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أوكرب . ثم قال : اللهـم ساد الخلة ، وكاشف الكربة ، أنت عالم غير معلم ، ومسئول غير مبخل ، وهذه عبيدك و إماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم فاسمعن اللهـم وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجيجه اهـ .

يلوذ به الهـــلاك(١) من آل هاشم * فهـــم عنده فى رحمة وفواضـــل
جزى الله عنا عبـــد شمس ونوفلا(٢) * عقـــوبة شر عاجـــل غـــير آجل
بميزان قسط(٣) لا يخس شـــعيرة * له شاهـــد من نفســـه غير عائل
ونحن الصميم(٤) من ذؤابة هاشم * وآل قصىّ فى الخطوب الأوائل
وكل صديق وابن أخت نعـدّه * لعمرى وجـــدنا غبه(٥) غـــير طائل
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة * بـــراء(٦) الينا من معقة(٧) خاذل
ونعم ابن أخت القوم غـير مكذب * زهير حساما مفـردا من حمائل
أشم من الشم(٨) البهاليـــل ينتمى * الى حسب فى حومة المجـــد فاضل
لعمرى لقـــد كلفت(٩) وجدا بأحمـــد * وإخـوته دأب المحب المواصـــل

---

(١) الهلاك : جمع هالك الفقراء الذين ينتابون الناس طلبا لمعروفهم .

(٢) نوفل : هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن العدوية وكان من شياطين قريش قتله على بن أبى طالب يوم بدر .

(٣) القسط : العـــدل (خس) نقص وخف وزنه فلم يعادل ما يقابله وله أى للميزان شاهد أى ميزان من نفسه أى نفس القسط (غير عائل) صفة شاهد : أى غير مائل : يقال عال الميزان يعول يعدل اذا مال .

(٤) الصميم : الخالص من كل شىء (والذؤابة) الجماعة العالية وأصله الخصلة من شعر الرأس .

(٥) الغب بالكسر : العاقبة ويقال : هذا الأمر لا طائل فيه اذا لم يكن فيه غناء ومزية .

(٦) البراء بالكسر : جمع برىء ككريم وكرام وبالفتح مصدر كسلام وهمزة الاثنين لام الفعل ويوصف بالمفتوح المفرد وغيره ، وبالضم جمع برىء أيضا ككريم وكرماء .

(٧) المعقة : مصدر بمعنى العقوق ومراده بالرهط الخمسة الذين قاموا لنقض الصحيفة .

(٨) الشمم : ارتفاع فى قصبة الأنف مع استواء أعلاه وهـــذا مما يمدح به (والبهاليـــل) جمع بهلول وهو الحيىّ الكريم .

(٩) كلفت : بالتشديد مبالغة كلف كتعب : أى أحبه ، (وجدا) أى كلف وجد يقال : وجدت به أى حزنت (و بأحمد) متعلق بكلفت وهو اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأراد بإخوته أولاده جعفرا ، وعقيلا ، وعليا ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين . وأبو طالب عم والعم أب فأولاده إخوته (ودأب) مفعول لفعل محذوف : أى دأبت دأب يقال : دأب فى عمله اذا جد وتعب .

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها * وزينا لمن ولاه (١) ذب المشاكل
فمن مثله فى الناس أىّ (٢) مؤمل * اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش * يوالى إلها ليس عنه بغافل
فأيده رب العالمين بنصره * وأظهر دينا حقه غير ناصل (٣)
فوالله لولا أن أجيء بسبة (٤) * تجرّ على أشياخنا فى القبائل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا (٥) غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعنى (٦) بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد فى أرومة (٧) * يقصر عنها سورة المتطاول
حدبت (٨) بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

وبعد التيمن بآثار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب قمنا الى مكة فطفنا طواف الإفاضة ثم رجعنا من يومنا الى منى لرمى باقى الجمار . وقد زرت

(١) ولاه : أى فوض اليه الدفع عن المشكلات بحلها .

(٢) أىّ : هى الدالة على الكمال، خبر مبتدا محذوف : أى هو (والمؤمل) الذى يرجى لكل خير (والتفاضل) التغالب بالفضل .

(٣) الناصل بالمهملة : الزائل المضمحل، يقال : نصل السهم اذا خرج منه النصل أو دخل ضدّ ونصل الشعر زال عنه الخضاب .

(٤) السبة بالضم العار، وتجر من جر عليهم جريرة : أى جنى جناية .

(٥) انتصب جدا لما حذف المضاف أى قول جد وغير نعت جدا ولا تفيدها الاضافة لمعرفة تعريفا لتوغلها فى الإبهام ، والتهازل بمعنى الهزل لأن تفاعلات قد يأتى بمعنى فعلت كتوانيت بمعنى ونيت لكنه أبلغ من المجرد .

(٦) عنى بحاجتك عن المجهول : أى اهتم فهو معنى بها والأباطل الأباطيل جمع باطل ضد الحق .

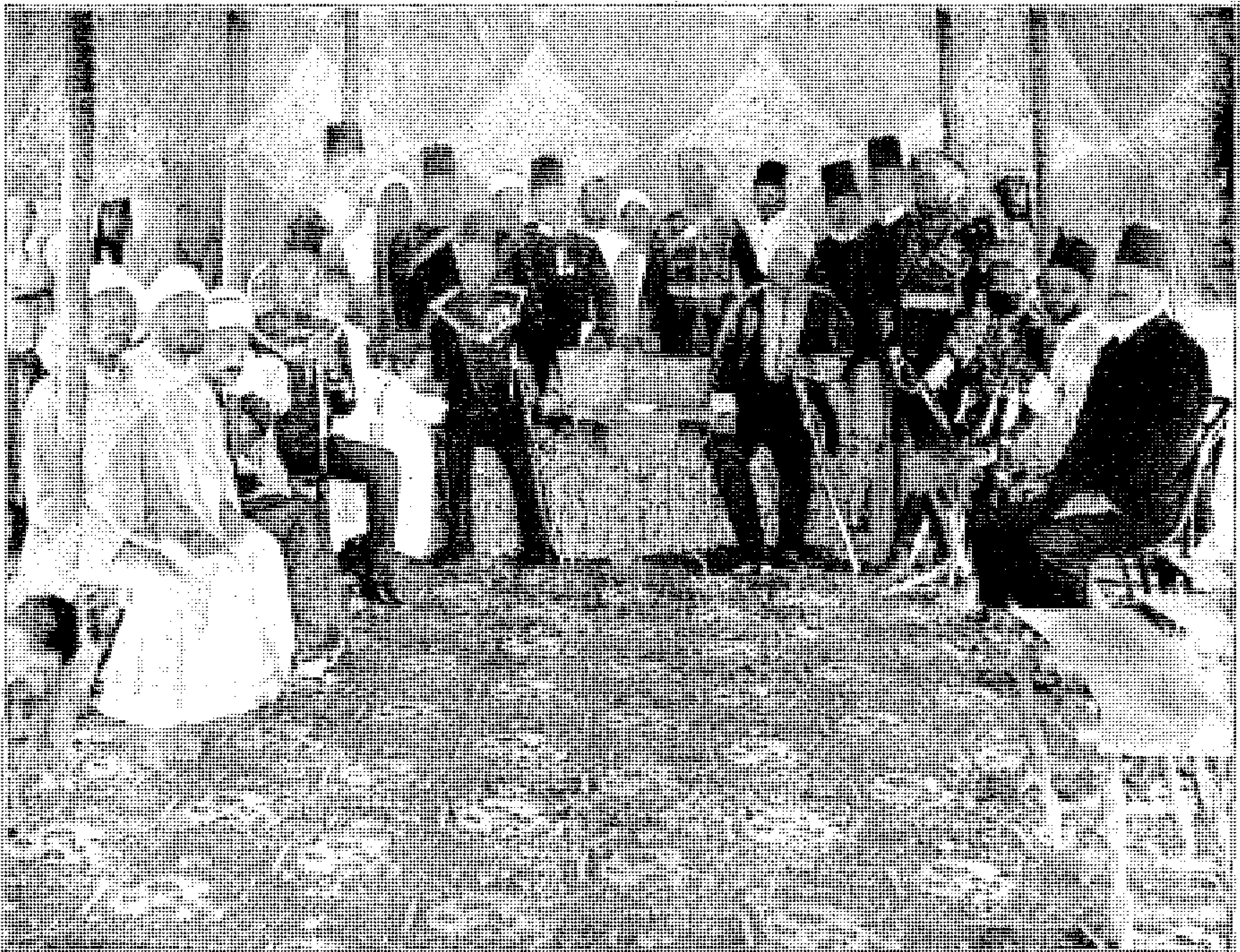
(٧) الأرومة بفتح الهمزة وتضم الأصل، والسورة بضم السين المنزلة وبفتحها السطوة، والمتطاول من الطول بالفتح وهو الفضل وهذا بالنسبة الى المنزلة ومن تطاول عليه اذا قهره وغلبه وهذا بالنسبة الى السطوة .

(٨) حدب عليه كفرح وتحدّب أيضا بمعنى تعطف وحقيقته جعل نفسه كالأحدب بالانحناء أمامه ليتاقى عنه ما يؤذيه ودونه أمامه ودون أيضا نقيض فوق، والذرى بالضم جمع ذروة بالكسر وذرى الشىء أعاليه (والكلاكل) جمع كلكل كجعفر بمعنى الصدر والله تعالى أعلم .

مع الضباط والموظفين آبن ملكة بهوبال بالهند وذلك فى خيمته بمنى وأخذت رسم الحضور كما ترى (فى اللوحة ٢٢١) وترانى مع ابن الملكة على أريكة فى سرادقه وبجانبه ضابطان هنديان فى صحبته وفى أول الرسم من اليمين محمد افندى أبو السعود فمحمد افندى سعودى وأصحاب العمائم البيضاء فى اليسار مطوّفون يليهم على بك إسماعيل . وفى يوم الاثنين ١٢ ذى الحجة (٢٩ فبراير) غادرنا منى الى مكة ووضعنا المحمل داخل المسجد الحرام كما هو المعتاد . وقد حاول أحد الأعراب السرقة بمنى فاقترب من المعسكر فناداه الحارس (الديده بان) فلم يرد عليه فرماه برصاصة أودت بحياته ولما رجعنا الى مكة أخذ الأعراب بثأرهم فأطلق واحد منهم فى الساعة ٥ والدقيقة ٣٠ من ليلة ١٣ ذى الحجة رصاصة على الجندى أحمد شهاب الدين الذى كان يقوم بالحراسة (ديده بان) فخر صريعا وقد أبرقنا بذلك الى المعية السنية ونظارة الداخلية فى ١٣ ذى الحجة وكتبنا الى الشريف والوالى مبدين أسفنا مما كان .

التعدّى على الحجاج — فى يوم ١٧ ذى القعدة قبل أن نصل الى مكة سطا العربان على قافلة كانت بحرة بين جدّة ومكة فقتلوا من رجالها ونسائها وجرحوا كثيرين وسلبوهم المتاع والنقود والحلى وكان فيها كثير من المصريين والسودانيين فلما وصلنا مكة فى ٢٩ ذى القعدة هرع الحجاج الينا وبثوا شكواهم وفقد المال من أيديهم . فاستجدينا أهل البر والاحسان لهؤلاء الذين انقطع بهم السبيل فجادوا بما قدروا وقد كتبت الى الحكومة تقريرا بهذه الحادثة وبحوادث أخرى فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٢١ هـ . (١٥ مارس سنة ١٩٠٤ م) . ونشر بالعدد ٤٠ من الوقائع المصرية فى عدد الأربعاء ٢٠ المحرم سنة ١٣٢٢ هـ . (٦ أبريل)؛ وإنا نذكر لك خلاصته لتقف على الحقائق ولتعرف من أخلاق العرب ومعاملة الحكام لقاصدى البيت الحرام .

٢٢١ ابن ملكة بهوبال وضباط المحمل المصري سنة ١٣٢١



221. The son of the queen Behwibal and company and the officers of the Mahmal.

المحمل الشامي وحفلة توديعه بمكة
٢٢٢ وامامه عساكر تركيه ومنازل الاشراف بالمسعى سنة ١٣٢١



222. The Syrian Mahmal and its farewell ceremony at Mecca and the Sherifs' houses at Al Masa.

قلت بعد الديباجة : بعد وصولنا الى مكة هرع الينا الحجاج المصريون الذين لم يرافقوا المحمل وقصوا علينا ما أصابهم بين جدّة ومكة من العربان من إزهاق الأرواح وجرح الأجسام وسلب الأموال وأخبرونا بأن أطباء مكة يعالجون جريحهم بأجرة عالية فأمرت أطباء المحمل فعالجوهم بالمجان واستنديت الأكف لمدّهم بالمال فأمدوا وطلب إلىّ الأكثرون أن يرافقوا المحمل من مكة الى جدّة فينبع والمدينة فأخبرتهم بأن ذلك ليس فى مكنتى فان حرس المحمل لا يكفى للمحافظة على الجم الغفير وكثرة الركب تؤخرنا فى الطريق لأننا نمكث عند الآبار زمنا أطول حتى يأخذ الركب جميعه ما يلزمه من المياه ، وقد طلبت من الوالى أن يمدّهم فى الطريق ببعض العساكر فاعتذر بقلتهم وكثرة القوافل ، وقد حاول بعض العربان ليلة أن وصلنا الى مكة من جدّة أن يسرقوا بعض أمتعة المعسكر من ثلاثة أماكن ولكن لم يدركوا ما أملوا فانا لما شعرنا بذلك أخذنا حذرنا ومكثنا ليلنا متيقظين ، وقد أراد بعض الحجاج المصريين أن يسافروا الى المدينة قبل حضورنا وتجمعوا فى المكان الذى يعسكر فيه المحمل بعد أن سلموا أجرة الجمال للجمالة فاعتدى هؤلاء عليهم فقتلوا وجرحوا وسلبوا ثم هربوا وقد كلمت دولة الوالى فى ردّ ما سلبوه فوعد بالنظر ، ولما قابلت دولة الشريف رأيت منه ميلا الى تغيير طريق ينبع بطريق رابغ وكلمنى فى ذلك فأجبته بأن تغيير الطريق لا يمكن إلا إذا صرحت الحكومة المصرية بذلك ثم أنه لم ترد إشارة من الباب العالى بذلك وكل ما فى الأمر أن محافظ ينبع كتب الى الشريف بقلة المياه فى ينبع ولما أعلمه من كثرة الأشقياء بطريق رابغ وطوله كاتبت الحكومة فى تدبير المياه لنا بينبع ، فرتبت الماء الكافى وأرسلت الباخرة (ينبع) التى تكرر المياه المالحة وبذلك زالت الصعوبات .

وليلة أن وصلنا من منى الى مكة حصل قتال بين اعراب حرب وهذيل امام ديوان الحكومة دون أن يبالوا بها وقد قتل فيها ثمانية وقد كثرت إهانة المطوفين وأعوان الشريف للحجاج المصريين وأكرهوهم على دفع الإعانة للسكة الحديدية الحجازية بل كانوا يحبسون من يمتنع عن دفعها ، وقد أخرجنا من السجن كل من

علينا بسجنه وحبسوا أيضا مصريا استأجر جمالا من المحمل الشامى بحجة أن ذلك يضر بمصلحة الشريف اذ ليس له ضرائب على الجمال التى تقل ركب المحمل الشامى لأنها تأتى معه من الشام وقد شكونا الى الشريف والوالى هذه الإهانات فما كان جواب الأول إلا أن قال : إنكم كاذبون ، فكاتبناه بأننا مستعدون لإثباتها رسميا فكتب الينا أن لا تتداخلوا فى شؤون الحجاج. أما الوالى فانه اعترف بحبس المطوفين من لم يدفع الإعانة . وقد ذيلت التقرير بكشف فيه أسماء الذين قتلوا أو جرحوا أو نهبوا يوم ١٧ ذى القعدة بين جدة ومكة وذكرت به موطن كل واحد من جهات مصر وما سلب منه وما خصه من الإعانة التى تبرع بها المحسنون والتى بلغت ١٠٩ جنيهات و ٧٠٠ مليم ومن الصدف الجميلة كان موجودا معنا الشيخ اسماعيل سكر المقرى الشهير فافتتح الحفلة بتلاوة آى الصدقات بصوته الرخيم وعند ختام التلاوة تبرع بعشرين قرشا مصريا وأعقبه ابراهيم بك مصطفى بعشرة جنيهات والشيخ الحداد المشهور جمع من قافلته مبلغا عظيما وأعقبه المحسنون فجزاهم الله أحسن الجزاء . وهاك البيان بالتفصيل :

جنيه انجليزى

٧ حسن افندى محمود ناظر عزبة أحمد بك شرمى من كفر الطايفه مركز كفر الشيخ . جرح برصاصة .

٥ زوجة حسن افندى محمود مجروحة بسكينة فى يدها ورأسها .

٥ تابعة حسن افندى محمود .

٥ بنت حسن افندى محمود .

٥ الشيخ محمد القبلاوى من كفر الطايفه مركز كفر الشيخ مجروح بسكينة فى باطنه .

٥ زوجة الشيخ المذكور .

٢ محمود حنفى من الحسينية بمصر قسم باب الشعرية نهب منه عدة أمواس ثمنها ٣ جنيهات و ٦ جنيهات نقدية .

جنيه انجليزى

٥ فاطمة سليمان من فوه غربية زوجها اسمه محمد أبو عامر قتل ونهب منها ٢٥ جنيها بخلاف الأمتعة جرحت فى أصبعها .

٤ نفيسه أحمد غانم من فوه غربية نهب منها ١٩ جنيها ومتاعها .

٤ سكينة محمد عرب من فوه غربية نهب منها ١٠ جنيهات ومتاعها .

٤ على أحمد غانم من فوه غربية نهب منه ٢٥ جنيها ومتاعه .

٣ أحمد محمد حماد من المنصورة بالدقهلية نهب منه ٣٢ جنيها ومتاعه مع أخيه طه الصغير .

٤ فاطمة بنت أحمد من اسكندرية قسم اللبان نهب منها ١٢½ جنيها وغرارة عيش ونحاس معها ابن لها صغير .

٤ فرج ابراهيم من ميت البز غربية نهب منه ١٠ جنيهات وخرج هدوم .

٤ محمد الشناوى من فوه غربية نهب منه ١٥ جنيها ومتاعه وقتل من بلده نفر ونفران من سنديون مركز فوه مجروحان فى الرأس .

٤ سناجق چلبى أبو حسن من رمالى بالمنوفية نهب منها ١٦ جنيها وتذاكرها ومعها ابنها أحمد عبد الرحمن الألسنى .

٢ السيد فرحات دلاسى من بنى سويف نهب منه ٥ جنيهات ومتاعه .

٥ السيد محمد البزى التبريزى من سيدنا الحسين بمصر مجروح ثلاثة جروح .

٥ عوض افندى داود كاتب مركز الزقازيق مجرّد ومنهوب .

٤ لنجه الشاذليه من ناحية سنديون غربية نهبت وقتل ابنها أحمد الصياد .

٤ عديله حرم المرحوم عبد الخالق شمس من اسكندرية بحارة الناضورى نهبت ومما أخذ منها ٢٦ جنيها .

٢ حنيفة زوجة المرحوم الحاج محمد جوده من اسكندرية بحارة الناضورى نهبت ومما أخذ منها ١٠ جنيهات .

٢ أحمد عبد الرحمن الألسنى ابن سناجق چلبى أبو حسن نهب مع أمه فى ٢ مارس سنة ١٩٠٤ .

جنيه انجليزى
٤ محمد شعراوى من باب اللاوق فى شياخة عبدالرحمن تبع قسم عابدين نهب منه ١٨ جنيها مع متاعه .
٢ بركه السودانية نهب منها ٢ جنيه ونصف ومتاعها .
٢ مدنيه السودانية نهب منها ١٧ ريالا ومتاعها .
٢ أمينه السودانية نهب منها ٣٠ جنيها ومتاعها .
٢ عائشة بنت محمد السودانية نهب منها ٣ جنيهات ومتاعها .
٢ حليمه بنت أحمد السودانية نهب منها جنيهان ومتاعها .
٢ أم على السودانية نهب منها ٤ جنيهات وخلخال وحزام ومتاعها .
٢ حوا بنت على السودانية نهب منها ٣ جنيهات ونصف ومتاعها .
٢ فاطمة الشريفة السودانية نهب منها جنيهان ومتاعها .
٢ عائشة السودانية نهب منها ٢ جنيه وحزام ومتاعها .
٣ مرسى أحمد الاسكندرانى من الباب الجديد باسكندرية نهب منه ٣٥ جنيها وملابسه وكان قادما من شندى عن طريق سواكن ونهب بين جدّة ومكّة محمد سحلول وزوجته من الكفر الجديد بمركز دكرنس دقهلية نهب منهما ٢٥ جنيها ومتاعهما .
سكينة بنت المرحوم الحاج حسن أبى شنب من قسم السيدة زينب نهب منها ٦ جنيهات فى جدّة وأحضرناها من جدّة لمكّة على الجمال .
٨ سلفه الى شخص من فوّه بمقتضى سند .
فاطمة أم على بنت مصطفى سقعه من دمياط أخذ منها نصف جنيه مصرى

وفى سابع ذى الحجة نهبت قافلة أخرى بين بحرة وجدّة وسرق عسكرى عثمانى كيس أحد الأهالى أثناء استحمامه من حياض عرفات وكان فى الكيس عشرة جنيهات وقد كتبت الى الوالى فى ذلك فكتب الىّ أنه سيقوم بالواجب نحو السارق .

وقد خابرت الحكومة بكل هذه الحوادث فخشى مغبتها الشريف والوالى فأحسنوا معاملة المصريين وتركوهم يسلكون أى الطرق شاءوا وبعد أن كانوا يُكرِهُونهم على

السير فى طريق لا يرتضيها أحد وسلك المطوفون وأداة الحكام مع حجاجنا مسلكا أحسن من الأول . وقد قامت قيامة المصريين والهنود والجاوة من أجل هذه المظالم وتلك الدماء المراقة وإنا ذاكرون لك بعض مقالات كتبها بعض هؤلاء تعرف منها مقدار إلحاد شريف مكة عون الرفيق فى بيت الله الحرام فاستمعها وقد نقلناها مع بعض تصرف فى عباراتها .

جاء فى العدد ٤٢٣٠ من جريدة المؤيد الصادرة فى ٢٣ المحرم سنة ١٣٢٢ ﻫ . (٩ أبريل سنة ١٩٠٤ م) ما يأتى :

عريضة مفتوحة لجلالة سيدنا ومولانا الخليفة لسعادة صاحب الإمضاء

علا الضجيج يا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين فملأ الآفاق من حجاج بيت الله الحرام ومن الذين يتألمون لهم من المسلمين وغير المسلمين من أهل الشفقة والمرحمة يا إمام الهدى وظهير الحق إن الأيدى الطاهرة التى بسطها الحجاج الى السماء فى بيت الله حول الكعبة للدعاء بنصرك قد قطعها الأعراب ورموا بها على الأرض تقطر دما يقرأ منه الغادى والرائح حروف (وآخليفتاه) بل قطعها يا أمير المؤمنين عون الرفيق وأنصاره ممن فى دار الخلافة طمعا فى المال من أجرة الجمال . يا أمير المؤمنين قد حار الناس وجدير بهم أن يحاروا لأنهم يعدون أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين تقى وإيمانا ويعتقدون أنه خبير بما فى الشرق والغرب ويعلمون أن كلمة ينطق بها جلالته تجعل الحجاج يسرون ليلا آمنين بين تلك النجاد والوهاد أفرادا وأزواجا ولهذا قد زاغ بعض الجهال فقالوا : إن هذا مقصود ليشتهر بين الناس عن المنتسبين الى بيت الرسالة ما نراه ونسمعه من هذه المخزيات فتشمئز منهم النفوس وتعتقد أنهم لا يصلحون لشىء فيستريح خاطر جلالة سيدنا ومولانا من تلك الكلمة التى يكررونها آنا فآنا وهى (الأئمة من قريش) ولكن الحقيقة الخالصة هى أن عون الرفيق وصاحبه وجدا من تشبث الحكومة المصرية فى التشديد على الحجاج فى السفر الى الحجاز ينبوعا لا ينضب فى تكذيب ما يرد على العتبة العليا من

صادق الأخبار فى أحوال الحجاج السيئة باستكتابهم أشياعهم ما أرادوا من الأراجيف . يعود يا أمير المؤمنين حجاج البيت الى بلادهم وقد فقدت الأم ولدها والزوج زوجها والولد أمه والزوج زوجه والغنى ماله والفقير ثيابه ويزيد على ذلك كله تجاهلهم من الذين كانوا يحذرونهم سوء هذا المنقلب . يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون إن أعظم ألقاب الشرف والفخر لجلالتكم ولآبائكم خلفاء الإسلام وسلاطين العالم أنكم خدام الحرمين الشريفين فكيف تسفك دماء من قصدهما لإكمال قواعد دينه وهما من الله فى عهدة جلالتكم . قد أعيتنى يا أمير المؤمنين الحيلة فى هذه الحادثة وأعيت غيرى من عبيدكم المخاصين لوجود هذه الأسوار الصينية حول القصر المعمور التى بناها عون الرفيق وأشياعه فبعثت بهذه العريضة مفتوحة وهو ذنب عظيم ولكن السكوت على هذا الأمر الفظيع أعظم فاخترت أخف الذنبين وأنا واقف موقف الخضوع ألتمس العفو والمغفرة .

عبد مملوكلرى

ابراهيم المويلحى

وجاء فى العدد ٤٢٣٤ الصادر فى ٢٨ المحرم تحت عنوان «الخطر على الإسلام» ما يأتى بعد الديباجة :

خير ما يهدى المسلم لأخيه الدعاء وقد فعلت وأرجو من الله سبحانه أن يعينكم ومن نحا نحوكم من الصحافيين وأرباب الأقلام على القيام بالواجب تلقاء ما ألمّ بحجاج بيت الله فى هذا العام من خطر وأصابهم من ضيم وضر وإنى وغيرى من المسلمين لنألم أشدّ الألم لما أصاب إخواننا الحجاج وكيف لا نألم لدماء تسفك وأموال تسلب ومصونات تهتك فتنبذ بالعراء وكل ذلك كان أمانة فى حمى بيت الله الحرام فخاب الأمل فى الأمانة ووقعت الخيانة من المؤتمنين عليها وكانت الشكوى من شريف مكة مثل الشكوى من أعراب أجلاف غلاظ الأكباد قساة القلوب يزعمون أنهم مسلمون والإسلام من أعمالهم براء .

السيد الشريف هو الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤدّى على رغبة منه واختيار ما وجب عليه لدينه وسلطانه وقومه وليس هو ذلك الآمر بالفساد

وقطع الطريق الدافع المسلمين عن زيارة بيت ربهم أملا فى نيل ذهب ذاهب وفضة منفضة ومتاع غرور ولا يدرى أنه بما أمر يجنى على نفسه وعلى ذريته بل وعلى أهل دينه وأنه بما يسلب وينهب وأشياعه وأعوانه كأنما ينادى بتشهير سلطانه ويعلن عجز دولته عن تأديب أعرابه وحراسة الأمن فى جزيرة العرب وكأنه يدعو بذلك دول أوربا التى لها رعايا مسلمون أن تحتج للتدخل فى شؤون الجزيرة بحماية رعاياها الحجاج فترسل كل عام جيوشا تنزل الجزيرة تخبر أحوالها وتعمل على اختلاق الأسباب لاحتلالها وهناك البلاء الطام والداهية المدلهمة للإسلام وأهله .

فلماذا يصبر المسلمون على الأذى ويرضون بوجود طاغية فى ظل الكعبة يظلم الناس باسم خدمتها وينهب أموالهم ويسفك دماءهم يزعم أنه ابنها الواجب احترامه . لماذا يرضى المسلمون أن يكون القائم على حراسة الكعبة وحجاجها رئيس طغام طغاة فهلا اتفقت كلمتهم واكتتبوا بالمال واتخذوا لهم جندا يستنزل هذا الظالم العاتى من سماء جبروته أو على الأقل يهيئون جيشا يخرج مع الحج فى كل عام الى تلك المفاوز فيبدل خوفها أمنا ويضرب على أيدى العتاة الظالمين .

وقد يكون هذا متعسر الحصول أو متعذره ولكن ألا يسهل على الخليفة الأعظم وهو خادم الحرمين الشريفين وصاحب الجيوش الكثيرة أن يرسل الى أرض الحجاز كل سنة من جنوده ما يحفظ الحج والحجاج ويجعلهم فى مأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ألم يكن بلد الله الذى يقصده من مسلمى الأرض طرا مثل مقدونيا التى عبثت بها مئات الألوف لتخفر الأمن تحت الصقيع وفوق جليد الثلج؟ اذا ضاعت مقدونيا أو استقلت أو خسفت أرضها بمن فيها أتضر بالدولة كما يضرها تخريب الحرمين؟ وهل سلطة الخلافة المقدسة تغار على صعاليك الأرْوام والبلغاريين القاطنين بمونستير أو سلانيك ولا تغار على سراة المسلمين وعظمائهم الذين يقصدون بيت الله ليؤدوا أقدس الفرائض الدينية ؟ ولا يخفى على الصحافيين أن الجرائد ملاذ الناس فى أمثال هذه الحوادث المدلهمة وهم أعلم الناس بما ينجم عن الفوضى فى أرض الحجاز من المضار الجسيمة فاستصرخوا أقلامكم فى وجه ذلك الطاغية المقيم فى مكة واطلبوا

من أمير المؤمنين مولانا السلطان توجيه عنايته لبلاد العرب التى هى بمنزلة الشريان فى جسم الدولة والقلب من جسد الأمة الاسلامية ولا أمان لهما من الإصابة فيه إلا بتجهيز جيش يمتد على طريق الحج فى كل عام ليحفظه ويحفظ السكان من عبث العابثين وظلم الظالمين . محمود أنيس

وجاء فى جريدة المؤيد فى العدد ٤٢٤٥ الصادر فى ١١ صفر ما يأتى تحت عنوان « الحجاج الهنود » .

نعرب هنا بعض ما نشر فى الجرائد الهندية الإسلامية التى تصدر باللغة الأوردية عما أصاب حجاج بيت الله الحرام فى هذا العام .

جاء فى جريدة (وكيل) التى تنشر فى بلدة (امرتيسار) من أعمال الهند ما يأتى فى رسالة بعث بها أحد الحجاج الهنود من مكة بتاريخ ٥ فبراير سنة ٩٠٤ م :

قد توجد فى الجهات البربرية التى لا يزال أهلها فى طور الهمجية بلاد يظلم فيها النـاس ويسامون الخسف ولكنا لو فتشنا فى كل بقاع المعمورة على بقعة يصاب فيها عباد الله بكل أنواع المظالم والعنف والاستبداد وسوء المعاملة بمثل ما يصابون به فى مكة المكرمة حيث بيت الله الحرام ما وجدنا لهـا نظيرا (وآحسرتاه) يهجر الحجاج بلادهم ويفارقون بيوتهـم وأولادهم ونساءهـم وأموالهم ويكابدون ما يكابدون من وعثاء السـفر ومتاعب المحجرات الصحية عن طيب نفس ورضـا خاطر حبا فى الثواب وطلبا للأجر من الله مؤملين أنهـم متى وصلوا الى مكة فقـد آن لهم أن يسـتريحوا وتطمئن نفوسهم ولكنهم لا يطؤن أرض الحرمين حتى ينقض عليهـم الأعراب سلبا ونهبا وقتلا ويسومونهـم سوء العذاب اللهم إنا نعرف أن التصريح لكل هـذا مضر بنا مضيع لعزتنا ملوث لشرف آبائنا لأنه يرى العالم الأجنبى كيف أصبحت البلاد الإسلامية المقدسة ولكن ما الحيلة وقد أدلهم الخطب وبلغ السيل الزبى وطفح الكيل وقد توجـد أمور لا يصـح إظهارها ولكن لا يمكن إخفاؤها بحال من الأحوال وكنا نظن ونسمع فى الهند أن الأعراب هم أصل البلاء وسبب

المظالم فى بلاد الحجاز فما راعنا إلا ما علمناه وعرفناه من أن كبار رؤساء المسلمين الذين بيدهم الحل والعقد يساعدون بل يحثون على تلك المظالم وما أدراك بهذا الفرعون (هكذا لقب الهنود شريف مكة عون الرفيق) الذى جعل فى مكة شركة تجارية مشتركة أقام نفسه رئيسا لها واتخذ أعضاءها من عماله ومن المطوفين ووكلائهم فى جدّة وغيرها وغرضهم سلب الحجاج أموالهم بكل وسيلة من الوسائل . كان للانجليز قنصل فى جدّة يهتم براحة الهنود ويمنع وقوع الأذى عنهم والآن يظهر أن القنصل الجديد الذى دعاه الشريف الى مكة وزوده بالهدايا وملأ فاه بالنعم يتغاضى عن رعايا دولة بريطانيا حتى سلبت أموال الهنود وقطعت أيديهم وتركوا للجوع والعرى والموت الزؤام اللهم رحماك .

وكتبت جريدة (وطن) الغرّاء التى يصدرها صديقنا الفاضل محمدان شاء الله فى لاهور مقالات متعددة وحملت على قنصل الانكليز المذكور آنفا حملات شديدة ومما جاء فى تلك الجريدة أن عمال الشريف فى جدّة يأخذون الأموال جبرا وظلما من الهنود بحيث لا يسمح لأحد منهم بمبارحة ذلك الثغر حتى يدفع للطوفين مالا كثيرا وبلغت أجرة الجمل من جدّة الى مكة ٣٣ روبية (الروبية ستة قروش ونصف صحيحة) مع أنه لا يعطى لصاحب الجمل أكثر من ٥ أو ٦ روبيات وأشار السيد محمد مسعود الحق أحد أعيان الهنود بجمع نقود من الهنود المسلمين لإرسال وفد يحمل عرائض الشكوى الى جلالة السلطان ونشر رأيه هذا فى جريدة وطن ليرى رأى إخوانه المسلمين وكتب فى جريدة (بيسه أخبار) كلاما طويلا بهذه النغمة وعلى تلك اللهجة .

وكتبت جريدة المؤيد فى العدد ٤٢٥٩ الصادر فى ٢٩ صفر سنة ١٣٢٢ ما يأتى تحت عنوان " الحج فى هذا العام "

عاد ركب المحمل المصرى الشريف بسلام وعاد معه كثيرون من فضلاء المصريين الذين رافقوه ذهابا وإيابا وقد شرح لنا بعضهم النصب الذى قاسوه

فى سفرهم والتلاعب الذى قام به الوالى والشريف وقد قال لنا أحدهم ان الشريف ليس ملوما لأنه بدوى لا يفهم معنى المسئولية وواجب النظام كما يفهمها رجل تركى عالى المقام مثل دولة راتب باشا والى الحجاز وربما كان الشريف لا يفهم إلا أنه من آل البيت وإن كل ما للبيت فهو له لأنه سيد الجميع فما على الذين يحجون البيت إلا أن يخضعوا لأوامره ومشيئته كيفما كان الحال، وعلمنا من أن طريق الطريف صعبة وعرة كثيرة الغابات الملتفة والصوّان المحدّد قليلة المياه شاسعة المراحل حتى أنهم كانوا يقطعون بعض المراحل فى ٢٢ ساعة ثم يجدون الماء قليلا والمرحلة التالية قريبة من الأولى فى المسافة وكان سعادة أمير الحج وحضرة رئيس حرسه وبقية ضباط الحرس لا ينامون فى الأكثر إلا على ظهور خيولهم وقد لبثوا مرة نحو ٥٠ ساعة لم تذق أجفانهم فيها طعم الكرى. والخلاصة أن طريق الطريف أصعب الطرق الى المدينة وأكثرها أمنا لأنه لا يوجد من يسلكها من الأعراب ومنذ ٣٠ سنة مر منها المحمل المصرى لأسباب قضت بذلك ثم عدل عنها بتاتا ولم يكن سفر المحمل من هذه الطريق إلا غشا من حكومة الحجاز لأن الإرادة الشاهانية كانت صدرت لوالى الحجاز بأن المحمل المصرى يجب أن يسافر الى المدينة من أى طريق شاء: فبلغ الوالى بواسطة نائبه فى جدة أمير الحج هذه الإرادة يقتضى سفر المحمل من طريق الطريف فلما وصل المحمل الى المدينة بعد قطعه هذه الطريق فى تسعة أيام على الحال الآنف ذكرها اطلع سعادة أمير الحج على صورة الإرادة الشاهانية عند محافظ المدينة فاذا بها لا تعين طريق الطريف ولكن مع ذلك اضطر الى الرجوع من طريق الطريف لأن الجمال مستأجرة لها ولا يسمح لها أعراب الطريق الأخرى بالمرور فيها وقاسى ركب المحمل فى الإياب مثل ما قاسى فى الذهاب من المتاعب وسيأتى على تفصيلات أعم فى موضوع الحج نلفت بها نظر حكومتنا المصرية ولدولتنا العلية لما يحصل فى أرض الحجاز خصوصا بعد ما ثبت أن حكومة الحجاز تحرف الإرادات السلطانية وتقلبها قلبا وثبت أيضا أنها تبلغ الصدارة العظمى أشياء لا حقيقة لها كما سيأتى بيانه .

شكوى حجاج جاوة

وجاء فى جريدة اللواء الصادرة فى ١٨ شعبان سـنة ١٣٢٣ هـ (١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٥ م) تحت عنوان "شكوى حجاج جاوة من المطوفين بالحجاز" ما يأتى :

بعث الينا أحد الفضلاء فى جاوة المقالة الآتيـة قال : إننا معشر الجاويين قد تراكمت علينا المصائب حتى كادت قلوبنا تنفطر لما نكابده من المظالم الفادحة والغرامات الباهظة عند حجنا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، فنرفع شكوانا الى عالم النجوى ليخلصنا من هـذه البلوى طالبين أهـل الإنصاف وكل من يتصف بالرحمة أن يرأف بنا معشر الجاويين الضعفاء القاصدين أداء فريضة الحج، بعد أن أذهبنا الكثير من عمرنا فى تحصيل العدّة لأدائه : ذلك أننا معشر الحجاج من الجاويين تعودنا من قديم الزمان إذا وصلنا الى جدة أن نسأل عن أى شـيخ من مشايخ الجاويين ليكون دليـلا لنا فيما يتعلق بأمورنا فيقابلنا وكيل ذلك الشيخ أو هو بنفسه إن حضر، وينزلنا فى منزله ويستأجر لنا الركائب الى مكة بما قسم الله ويأخذ منا فى مقابلة خدمته وسكنا منزله أجرا مناسبا واذا وصلنا الى مكة قابلنا ذلك الشيخ وأتباعه وهيئوا لنا منزلا تحمل أمتعتنا اليه وأضافونا يوم دخولنا ويأخذون من كل واحد منا حق الضيافة ريالا ونصفا ويخدموننا مدة لبثنا بمكة فيما نحتاج اليه، ثم يذهب بنا الشيخ الى المدينة المنوّرة بنفسه أو وكيله ويقوم بخدمتنا نظير أجر يتقاضاه منا كما أنه يقوم بكرى الجمال اللازمة ولا يزال على ذلك الى أن نرجع الى مكة على أحسن حال، ثم يذهب بنـا الى عرفات ويجهز لنا الطعام والخيام بلوازمها ويطعمنا يوم عرفة وأيام منى ويأخـذ على كل شخص منا ريالين للطعام والخيام والخدمة والمنزل فى منى أيضا، ثم بعد أداء المناسك ينزل بنا بنفسه أو وكيله الى جدّة وينزلنا الى الباخرة ويأخذ منـا صاحبها باسم (البخشيش) بضـعة ريالات وأجرة الباخرة يومئذ خمسة وعشرون ريالا تارة وسبعة وعشرون ريالا تارة أخرى، وبقى الأمر على هذا الى أن تولى الشريف عبد المطلب بعد وفاة الشريف حسين فخرج

شقى من أشقياء مشايخ الجاوى يومئذ وهو ابراهيم العراقى البنا وسعى عند الشريف عبد المطلب لتقسيم بلادنا بين مشايخ الجاوى المقيدة أسماؤهم عنده فى نظير أجر معلوم يتقاضاه من كل منهم وأقل ذلك عشرون ليرة، ومن يومئذ ابتدأت المظالم علينا معشر الجاويين خاصة وعلى بقية الحجاج عامة وكل يوم تمو نمو الزرع فى الربيع، وكان كل حاج مقهورا على الدخول فى حظيرة شيخ جهته فصارت بلادنا كأنها مباعة لهؤلاء المشايخ وصاروا يتصرفون فينا تصرف الملاك فى أملاكهم وسقطت حرمتنا التى كانت لنا حتى اذا أردنا الاجتماع بأصحابنا وأقاربنا المقيمين بمكة نمنع من ذلك اذا كان القريب أو الصاحب غير شيخ لجهتنا، واذا أردنا أن نفعل الخير باخواننا وأصحابنا المذكورين لا نقدر عليه الا خفية كوصية بدل حج أو عمرة أو تهليل أو غير ذلك فيأبى إلا اختصاصه بهذا البدل، لذلك هجنا حتى كادت الفتنة تنتشر وقد رفعنا شكوانا الى حكام بلادنا فخابروا أولياء الأمور بالاستانة فى شأن ذلك فأرسل جميل باشا الى مكة فأبطل تلك التقسيمات وخفت تلك المظالم بجعلنا أحرارا فى اختيار من نشاء من المشايخ، وبقى الأمر على ذلك الى أن تولى راتب باشا فاتفق هو مع الشريف عون الرفيق على تأسيس قواعد المظالم وبناء أركانها القوية فكل واحد منهما يبتدع مظلمة ويسكت الآخر عن الانكار عليه وهكذا فى كل عام وكل شهر وكل يوم، ورجعت التقسيمات كما كانت نظير جعل جديد أقله أربعون جنيها أفرنجيا ويزيد الى المائتين والثلاث، وسرى ذلك الى جميع المطوفين وامامهم فى ذلك شيخ مشايخ الجاوه يوسف القطان الذى تفنن فى المظالم وبرع فيها حتى أدخل فى حوزته كل الأقاليم التى يكثر ورود الحجاج منها فكان خمس الحجاج من الجاويين فى قبضته وقل المال من يد المشايخ الآخرين حتى دفع بعضهم الى الشحاذة، ثم أخذ يعمل لأقربائه وأصدقائه مثل ما عمل لنفسه وحرم بقية المشايخ، فنهى وأمر وتكبر وتجبر وجمع من ذلك القناطير المقنطرة، فأطعم منها الأمير وأتباعه وكل من يخاف من جهته الفتنة حتى توطدت له أمور المظالم، ولما امتنعنا عن دفع المكافأة للشريف والمشايخ حصلوها من ربان الباخرة التى تقلنا، وهذا زادها على الأجرة.

وحصلها منا فأخذ من كل حاج أحد عشر ريالا ولما خشى الشريف مغبة الاجبار على الدخول فى حوزة من لا يرغب من المشايخ أباح لنا أن نختار أى المشايخ شئنا ولكن ما يؤخذ منا يعطى لصاحب الجهة ومن دخلنا فى مشيخته يتقاضى ما لصاحب الجهة ويختلق أسبابا يأخذ بها بعض المال لنفسه أيضا فعظمت المظالم وفتحت أبوابها للأمير بعد أن كان غافلا عنها، فاندفع فى اقتحامها وكان أمر المظالم من قبل من كاتب الأمير محمد على وكان يعطى الأمير من الشاة أذنها فبنى منها الدور والقصور للسكنى والاستغلال وصار يفتح لنا كل سنة أبوابا أخرى للمظالم حتى كدنا نترك الحج وها نحن أولاء نفصل بعض تلك المظالم :

(أولا) يؤخذ منا عند نزولنا من الباخرة باسم الزوارق والحمالين أضعاف ما كان يؤخذ منا سابقا .

(ثانيا) عند سفرنا من جدة الى مكة يجيء المخرج المقام من جهة الأمير فيقدر لنا ما نحتاجه من الجمال ويطلب من كل واحد منا ثمانية عشر ريالا أو أكثر لركوبه وحمل متاعه وكل ريال واحد وثلاثون قرشا ولا نعلم أين يصرف ذلك وقد سألنا الجمالة عما يأخذونه من الأجرة فقال بعضهم ريالا ونصفا مع احتساب قيمة الريال ٢٨ قرشا وبعضهم قال ريالين من الريالات الطاقية .

(ثالثا) عند ذهابنا الى المدينة المنورة نسمع المنادى ينادى (ان ايجار الجمل الى المدينة المنورة ذهابا وإيابا أربعون ريالا مجيديا تارة وأخرى ٤٨ ريالا مجيديا وكل ريال مجيدى ثلاثة وخمسون قرشا وستة ريالات مجيدية بجنيه أفرنكى) ومشايخنا يطلبون منا على كل جمل مائة ريال وعشرة قيمة كل ريال ٣١ قرشا أو أكثر من ذلك بحسب رأفة المشايخ وعتوهم والزيادة عما يقوله المنادى يأخذونها فى مقابلة الشقدف والخدم والماء للطريق، فالزيادة تبلغ نحو ثلاثة جنيهات على كل جمل وقد بحثنا مع الجمال عن القدر الذى يصل الى يده فقال سبعة عشر ريالا مجيديا أو أقل بحسب حاجة الجمال وعدمها وسمعنا أن الذى للشريف وحده من الأجرة ثلاثة جنيهات فهى أكثر مما يأخذه الجمال والباقى لا نعلم مصرفه .

(رابعا) اذا صعدنا الى عرفات يأخذ منا الشيخ حق الضيافة ليوم عرفة وأيام منى أربعة ريالات على كل واحد منا، وبعض المشايخ يأخذ خمسة ريالات شنكوا أعنى جنيها أو دونه بقليل، وتختلف أحوالهم باختلاف الرحمة والغلظة لأنه لا حظر عليهم فى شىء ما وكرى الجمل قد يصل الى عشرين ريالا، والشريف يأخذ عن كل جمل ريالا مجيديا .

(خامسا) عند سفرنا الى جدّة تزداد المظالم لكثرة المخرّجين حتى ان الجمل يحسب بجمل ونصف أو جمل وربع (والكوشان) أى الذى يأخذه الأمير من كل جمل يبلغ ثمانية ريالات مجيدية غير الأجرة، وكرى الجمل الذى يأخذه الجمال مجيدى ونصف .

(سادسا) عند طلوعنا الى الباخرة يؤخذ منا شىء باسم الزوارق والحمّالين وكرى المنزل، وعلى الجملة فكل حركة من حركاتنا يجعلونها مغنما لهم وزيادة على ذلك اذا مات واحد منا فأكثر المشايخ يبتلعون ماله ان لم يكن له مطالب، فان كان اختلقوا طرقا لاستلاب المال كبدل الحج واسقاط الصلاة وقراءة القرآن له واشتراء عقار يوقف باسمه، ووكلاء المشايخ بجدّة يأخذون من كل واحد منا خمسة جنيهات باسم دم مجاوزة الميقات ان أحرمنا من جدّة مع أننا لم نعلم أن أحدا منهم ذبحه، هذا حالنا مع هؤلاء الظلمة اذا حججنا الى بيت الله الحرام الذى يلجأ اليه المظلوم، وقد صرنا فيه الآن محط رجال المظالم وتجارة تتخذ للغانم ونحن على يقين من أن جلالة السلطان الأعظم والخاقان الأفخم سلطان المسلمين وأمير المؤمنين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى مولانا السلطان الغازى عبد الحميد خان الثانى اذا اطلع على مظلمتنا أصدر إرادته السنية برفع كل بلية عنا أدامه الله، هذا ونقسم عليكم بكل آيات الله أن تبادروا بنشر ذلك عاجلا بعد وصول الرقيم اليكم وأن تصدروا بها جريدتكم جريدة الرحمة والرضوان جريدة رحمة الأمة المحمدية وناصرة الشريعة النبوية ؟

مكة فى ٥ شعبان سنة ١٣٢٣ هـ الحاج باجودين الجاوى

أجر الجمال — كانت أجرة الجمال للعامة ٤٦ ريالا مجيديا لذى الشقدف الذى يركبه شخصان و ٤٥ ريالا للراحلة — العصم — التى يركبها شخص واحد وذلك بين مكة والمدينة ذهابا وإيابا ، وأجرة الأول من مكة الى المدينة فينبع ٤١ ريالا وأجرة الثانى ٤٠ أما الأجرة بين مكة وعرفات غدوة وروحة فكانت ١٥ ريالا «برما» أى حوالى ١٣٥ قرش .

أما أجرة الجمال لركبنا فان الشريف طلب زيادتها عن العام الماضى نصف جنيه لكل جمل وذلك من جدّة الى مكة فعرفة فمكة فجدّة ، وقد أبرقت الى حكومتنا بما طلب فأبرقت الىّ بأنها خابرت الصدارة العظمى فى الاستانة بالأجرة وهذه خابرت الوالى بمكة فقابلته فى ٢٠ ذى الحجة فوعد بمساعدتى عند الشريف . وفى اليوم التالى قابلت الشريف فأخبرنى بأنه وافق على ما ارتضته الحكومة المصرية وكانت صرحت بزيادة ألف جنيه على أجر الجمال فى المسافات كلها بما فى ذلك مابين ينبع والمدينة ولولا مخاطبة الحكومة للصدارة العظمى لما رضى الشريف بأقل من ألفين فى كل الطريق .

ملكة بهوبال — حجت ملكة بهوبال بالهند معنا فى سنة ١٣٢١ ﻫ . وقد أقامت بمكة ١٣ يوما كانت فيها مورد خير ورزق للفقراء والمساكين ، وبلغنى أنها دفعت فى المنزل الذى سكنته المدّة السالفة ثلاثة آلاف جنيه ، وقد دعت أميرى المحملين وضباطهما وموظفيهما الى تناول العشاء على مائدتها فلبينا الدعوة واستقبلنا نجلها فى ثلة من فرسانهم بباب المنزل وبعد أن استرحنا قليلا قدّمت الينا المرطبات ثم أقبلت الأميرة وحيتنا من وراء حجاب بتحية الاسلام «السلام عليكم» فرددنا التحية وقد امتلأت قلوبنا فرحا وسرورا وحمدنا الله ان كان فى كبيرات السيدات الشرقيات من يرعى آداب ديننا الحنيف وقد رحبت بنا بعد التحية وشرحت ما فى نفسها من الفرح العظيم بوجودها فى أم القرى تؤدّى فريضة الاسلام الاجتماعية وأنه زاد سرورها تلبية رجال المحملين لدعوتها واجتماعهم فى دارها فشكرنا لها ، ثم قالت إنى أضرع الى الله أن يمتعنا بنعمة الحج مرة أخرى وأن نعود الى هذا الاجتماع وطلبت منى أن أبلغ سلامها سموّ الخديو فقلت سمعا وطاعة ثم انصرفت وفى النفس من السرور ما الله به

عليم وكان حديثها باللغة الهندية ويترجمه الينا بالعربيـة الطبيب محمد افندى حسين وكيل قنصل إنجلترا بجدّة وكان الأكل على مائدة طويلة وضعت عليها بشكل بهيج المأكولات الطيبة فى الأوانى الفاخرة وكان أمام كل شخص جميع الأصناف فى أوان خاصـة وفى الوسط أوان كبيرة يستزيد منها من يشاء وكان يحادثنا على الطعام نجل الأميرة وضباط حرسها وكان بعض حديثهم بالانجليزية وبعضه بالعربية ، وقد انصرفنا شاكرين راجين أن تحتذى المسلمات حذو هـذه الاميرة فى التمسـك بآداب الدين وترك الآداب الفرنجية جانبا فان ديننا لم يترك حسنة إلا ندب اليها ولا سيئة إلا حظر الدنو منها فلا داعى الى التقليد وانظر يا أخى كيف تؤلف فريضـة الحجّ بين الأمم المتباينـة الجنس المختلفة اللهجة وكيف تورث بين المسلمين محبـة لا تنفصم عراها ﴿لو أَنْفَقْتَ ما فى الأرض جميعاً ما أَلَّفْتَ بين قلوبهـم ولكنّ اللهَ أَلَّفَ بينهُـم إنَّه عزيزٌ حكيمٌ﴾ وقد قدّمنا لك زيارتنا لنجل الأميرة فى منى ورسمه وقد أرسل الشريف عون الرفيق مندوبين من قبله يرافقون الأميرة فى سفرها من مكة الى المدينة ولكنهم بدل أن يكونوا أعوانا كانوا لصوصا يبتزون مالها بدعوى أنهم يرضون به الأعراب ويعلم الله أن الاعراب لم ينالوا من مالهـا إلا اليسير كما سمعت ذلك من كثيرين ، وكان بصحبة الأميرة ٩٠ فارسا وأربعة ضباط هم :

(١) سهيل زاده حافظ مولى عبد الله أرهان بك باهادور ؛

(٢) "الميجر" ميرزا كريم بك سردار باهادور ؛

(٣) "الكبتن" محمد حسن أرهان ؛

(٤) محمد أفزال أرهان .

(1) Sahil Zadah Hafiz Mawule Abed Ulla Orhan Beg Bahadur.

(2) Major Mirza Karim Beg Sardar Bahadur.

(3) Kaptain Mahammad Hasan Orhan.

(4) Mohammad Afzal Orhan.

سفر المحمل من مكة الى جدّة فينبع

ورد الينا كتاب من دولة الوالى بأن الاحتفال بخروج المحمل سيكون يوم الجمعة ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٢١ ﻫ (١١ مارس سنة ١٩٠٤) . وفى اليوم نفسه احتفلنا به الاحتفال الذى وصفناه لك فى حجة سنة ١٣١٨ ﻫ . وترى (فى الرسم ٢٢٢) المحمل الشامى والاحتفال به فى مكة وتجد أمامه العساكر التركية والبيوت الظاهرة بيوت الأشراف بالمسعى . وفى يوم ٢٥ ذى الحجة سافرنا من مكة الى جدّة فوصلناها عصر ٢٦ وكان معنا كثير من المصريين وغيرهم ممن لم يكونوا فى رعاية المحمل وكان المصريون طلبوا إلىّ أن يكونوا ضمن ركبنا فأجبتهم بأنى لا أستطيع ذلك لأنهم تسعة آلاف وليس معى من القوّة ما أضمن به الأمن لجيشهم الجرّار ولكن صرحت للوجهاء والأسر الكبيرة أنْ يصحبونا فسار الركب من مكة الى جدّة لا يقل عدد جماله عن ٣٠٠٠ وقد وصلنا سالمين ولم يحدث بالطريق أى حادث، نعم مرض بحرة جمل من جمال المحمل فأسرع اليه الموت .

وفى الساعة الثامنة العربية من يوم الخميس ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣٢١ ﻫ (١٧ مارس سنة ١٩٠٤) قامت بنا باخرة الرحمانية من جدّة ولكنها بعد دقيقتين غاصت فى رمل فوقف سيرها ولم نستطع تسييرها إلا فى صباح الجمعة أوّل المحرم بعد أن خرج المسافرون الى باخرة أخرى .

ومما حدث بالباخرة أثناء وقوفها أنه لما أديرت الآلة الرافعة — الونش — لتحريكها وربط بها حبل غليظ حول وتد حديدى ثخين مثلث فى المركب ثم ربط طرفه الآخر فى كلاليب أنزلت الى قاع البحر وضربت بأسنانها فى قاعه — لما أديرت على هذه الشاكلة وجدّ بها السير فرّ الحبل من الوتد فأصابنى فى فخذى ورمى بى الى حافة الباخرة (الكورتّة) فخررت مغشيا علىّ ولولا لطف الله فى قضائه للفظنى الى البحر فكان ما لا أذكره ولكن الله سلم على أن فى المثل العامى "إعطينى عمر وارمينى فى البحر" .

وقد أقلعت الباخرة من جدّة فى منتصف الساعة السادسة العربية من يوم الجمعة ووصلت الى ينبع فى اليوم الثانى ثانى المحرم فى منتصف الساعة الخامسة ولم ننزل الى البر بل بتنا بالباخرة ليلتين لقلة المياه بينبع، وترى فى (الرسم ٢٢٣) باخرة المحمل مزينة بجميع الأعلام الدولية وترى فيه المحمل على فلك صغيرة يحمله الى البر، وترى فلكا أخرى تنقل الحجاج وأمتعتهم . وفى (الرسم ٢٢٤) الجنود الشاهانية والأهالى ينتظرون قدومنا ليؤدوا التحية وإن فى رؤية الجند ما يغنى عن الوصف .

وقد حضر أكثر العربان الى ينبع وتغالوا فى الطلبات فطلب خليل بن حذيفة وحده ٣٠٠٠٠ ريال طاق وطلب كثير من المشايخ والأفراد مثل ما طلب حتى كان المجموع ٢٣٠٠٠ ريال أى ٢٣٠٠ جنيه مصرى باعتبار أن قيمة الريال الطاق عشرة قروش مصرية صحيحة وكان مما قالوا : إن المحمل هذا العام فى الحقيقة ثلاثة محامل المصرى وسلطان مراكش يعنون وزير حربيتها وسلطان برنوا يعنون أمير حج ابن دينار وقد قلت لهم : إن طلباتكم كتب الى مخزن الدفاتر (الدفترخانة) بشأنها وكتب إلىّ بعض المشايخ كتابات ذكر فيها طلباته وحذر وأنذر ونثبتها لك بنصها لتقف منها على لغة العرب بالحجاز وتعرف نفوسهم ومكان الدين منها . أرسل إلىّ خليل بن حذيفة أكبر مشايخ الأحامدة الكتاب الآتى :

الحمد لله وحده

الى حضرة الجناب العالى والمقام الغالى الجناب المحترم المكرم الأكرم أمير المحمل الشريف المصرى أعزه الله تعالى

بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لا يخفى جنابكم العزيز أن حكم ما عرفنا جنابكم سابق فلا علينا تعدّى ولا مرور إلا بمحاسبة معاشاتنا ومعاشاة أتباعنا الذى عازبة لها مدّة سنين عديدة وكذلك عوايدنا على الحج يوم يسير له مرور على ديارنا وبغير ما ذكرنا نمنعكم ونحذركم عن التعدّى على ديارنا فيصير عندكم معلوم مثل ما زبرنا — يعنى كتبنا — العربان سابق تكتمل بما سارنا — بما سرنا عليه — الأول وزايد سمعنا أن بعض المشايخ مراده يهويكم على ديارنا وهو ما يحرز لا خدمة

٢٢٣ وابور الرحمانية مزين بالاعلام بينبع سنة ١٣٢١

223. A view of El Rahmania steamer decorated with flags in Yambo in 1321.

صحيفة ٨٨ (*)

٢٢٤ منظر ينبع البحر

224. The Post of Yambo.

ولا خلافها ويكل بعض أقوال العربان لكم لم علينا نعــدى ونبق نشوف قولهم لكم مرادنا نشرفكم على أنهم ما يحقبون — يمتلكون — شيء ولا حيلتهم إلا التهذيل فِلى — فى الذى — ما يقدرون ولا قيراط من ما يقدر غيرهم والدرب الذى جيتوا معها خلكم بردكم هى دربكم وأما حِنّا — نحن — فلا علينا درب بغير وفاء حقوقنا من أقصاها يكون لديكم معلوم هذا والسلام . ٢٣ يوم محرم سنة ١٣٢٢

بنده الشيخ خليل بن حذيفة سعد

ختم

هذا ما كتب به أكبر شيخ للعربان فى طريق ينبع وهو معين رسميا من قبــل الشريف ومعنى هذا أنه خاضع لأمره ورهين إشارته، ولكن الأمر كما تقرأ وكتب مثل هـذا الى محافظ ينبع ومحافظ المدينة وأمير جهينة ومأمور الحج المعين من قبل الشريف وشيخ عربان الحوازم المدعو درويش الهاباشى ومع أن الشريف والوالى يعلمان هذه الممـانعة فانهما لم يكتبا اليه بمنع التعرض لنا، وإن فى هـذا لدليلا على رضاهما بمـا صدر منه وجاءنى كتاب آخر مختوم بخاتم عقاب وخالف وخليـل أولاد حذيفة سعد كما تراه فى (الرسم ٢٢٥) وبعض الكلمات فى الخطاب يصعب معرفته وقد غيرنا بعض ذلك فى الرسم ونذكر الباقى مما يصعب : فِنْزول وفِرْجوع ولِرَّد أى فى نزول وفى رجوع والردّ، جينك أى جئناك، النظركم أى نظركم .

وكذلك جاءنا كتاب من الشيخ سعد جزاء (رسم ٢٢٦) وكتاب من مشايخ صبح يطلبون مكافأة عن العام المـاضى والعام الحاضر ويذكرون فيــه أن بنى سالم هموا للقائنا وأنهم يستفزون باقى المشايخ لمناهضتنا (رسم ٢٢٧) وورد الينا كتاب آخر من خليل بن حذيفة ينذرنا فيه ويخوّفنا بطشه إن لم ندفع مرتب ٢٥ سنة مضت وفى كتابه يقول "موعدنا جهة الخيف يوم ٦ المحرم سنة ١٣٢٢ هـ" .

رأينا أنفسنا بين كتابات مهدّدة ووعود مُبرِقة مُرعِدة وطلبات مسرفة وقد بذل محافظ ينبع وأمير جهينة ومأمور الحج المنتدب من قبل الشريف ودرويش الهاباشى الذى أرسله الشريف ليجمع له ما تيسر من أجر الجمال — بذل كل هؤلاء ما فى وسعهم ليقنعوا أولئك المتطرفين فى طلباتهم فلم يقتنعوا وأصروا فاضطررت أن أسافر الى جدّة

مكتوب من شيخ الأحامدة واخوته

A letter from Sheikh El Ahamida and his brothers
at Moharram, 1322. A,H.

(الرســـم ٢٢٥)

حيث هناك مكتب للبرق لأخابر حكومتى ودولتى الشريف والوالى فيما جدّ فسافرت يوم الخميس ٨ المحرم (٢٤ مارس) ووصلت جدّة فى اليوم الثانى ومن هنالك أبرقت للوالى والشريف بأن المحمل لا يزال بينبع من أجل تصميم الأحامدة على منعه بالقوّة لطلبات قديمة تنازلوا عنها كتابة فى العام المنصرم ، ولأنه لم يقدّم لنا رهائن ولم تكن معنا قوّة كبيرة نرجو مساعدتنا حتى يصل ركبنا الى المدينة بسلام ولا نحرم من الزيارة .

وأرسلت للمعية السنية ولنظارة الداخلية البرقية الآتية :

سهل لجميع الحجاج السفر الى المدينـة من طريق ينبع بسبب مخابرة الحكومة الخديوية لحكومة الحجاز أما المحمل فأقيم فى طريقه العقبات . معنا وزير حربيـة مراكش والركب السودانى . العربان نقضوا فجأة ما تعهـدوا به فى العام المـاضى قبـل قيامنا لجدّة وأبوا تقديم الرهائن وأعلنونا بمنع مرور المحمل بالقوة إلا اذا دفع مرتب ٢٥ سـنة وألفا جنيه مكافأة — المحمل له أسبوع بينبع . الحجاج متكدرون

مكتوب من الشيخ سعد جزا

A letter from Sheikh Saad Gaza al Ahmadi
dated Al Moharram A.H.

بالحمد وحده

الى حضرة الجناب العالي والمقام العالي امين محمل الحج المصري سلمه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حكم معرضتكم سابق في معاشي الاثنين والخمسين ريال
من ضمن المعاشي المتوقف الذي اخذه الكاتب احمد العرقان اوله مدة سنين متوقف فلما
اعرضنا العام معك للخديوي في معاشي المتوقف حكم قولك ليه انك السنه الاتيه ما
تجينا الا ابمعاشنا واليوم حصلت او حصل كل خيرا وهاذي الوعده ان الله لا يخلف الميعاد
اوطالب معاشي كذالك وتبعثني الحمايه عند امير الحج على طريق الصلطاني الامام لنا باولاد
شيخ سعد وقبيلتنا الصميد وهاذي خاصيه مندوبه قبايل الاحامده الوجه عمده ا
لقبايل جميعا وقبيلتنا وكذامهم الباقي من عرض قبايل الحامده وجعلوني اولاد شيخ سعد من
قبيلتنا الصميد شيخ كبير لهم ذوات الشيخ عندكم معلوم والعام الماضي الذي لكم علينا من خدمه ووفينا
بها ما امرناه لكم وصرفنا انضر عن بعض الا شيا الذي لنا كله لجل دولتكم ومنا وعدا ووفا او
هاذي الوعده الذي بيننا وبينكم وقبل جوابنا هاذا رسلنا لكم جواب على يد حكومة المدينه ا
نرجو الله انه وصلك في مكه ولعل به عن طول الشرح وحنا قسيبين يوم تاريخ الجواب
او ما يجينا من جنابكم نعتمده ولكم الملو المهو فندم

(١) [illegible] (٢) [illegible]

شعراكم اعرابنا
شيخ سعد جزا



(الرســـم ٢٢٦)

لمنعهم من الزيارة دون سواهم ويلتمسون تيسـيرها . عدت الى جدّة وحدى لمخابرة الوالى والشريف لفقــد المساعد لى بينبع . أرجو تعضـيدى وأطلب تعهدا من حكومة الحجاز بأن لا يمس المحمل وركبه بسوء ما

إبراهيم رفعت

والبرقيتان أرسلتا يوم وصولى لجدّة . وفى اليوم التالى وصلتنى الإجابة من عطوفة ناظر الداخلية بأنه بعد المخابرة مع الشريف والوالى إن لم يتعهدا لكم بالمحافظة على المحمل وركبه من ينبع الى المدينـة ويساعداكم بكل ما استطاعا — فاتركوا للحجاج الحرية فى السفر الى المدينة بعد أن تعطوهم ما يحتاجون له من التأمين وارجعوا أنتم بالمحمل والحجاج الذين يرغبون فى العودة .

ثلاثة مشايخ من الحوازم

A letter from three sheikhs from Al Hawazim dated 25th. Dhul'Higga 1321 A.H.

الحمد لله تعالى الى حضرة عزيزي الجناب المكرم الشيخ عبد الرحمن ابن عبد المطلوب وسليمان ابن علي القرّب وماضي ابن
حامد الطرشي وحسن ابن صالح الهلالي وغانم ابن داخل سلمه الله امين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام
وبعد من بعد السلام لا يخفى جنابكم العزيز بان لنا عند الحج المصري اسماء مفقود من العام الماضي
نطلبناه وخدمناه ولا حصل منه لنا قبل لا في اسمانا وصفاقيدنا ولا في خدمتنا من عوض
قبايلنا فالآن ان شاء الله ان بني سالم فزعت بعضهم والمطلوب فزعتكم وجمعتكم بان بعنا
لا بيشيله الا منهو يتعهد بما هو لنا هذا ما لزم عرفناكم به ودمتم والسلام

تحرير في يوم ٢٥ ذي الحجة عام ١٣٢١

عبد القادر ابن عبد الله عاطف — سليمان ابن عبد الله الظاهري — عمر ابن سليمان



(الرسم ٢٢٧)

وقد أرسلت صورة هذه الإجابة الى الشريف والوالى وطلبت اليهما سرعة الإفادة لأن آخر باخرة تقدم الى ينبع يوم الاثنين ١٢ المحرم (٢٨ مارس) فأفادانى فى ١١ المحرم بأن يسافر المحمل من طريق الطريف — يزيد يومين عن طريق ينبع — ويرافقه عساكر عثمانية من ينبع وسيقابله بالطريق عساكر أخرى تقوم من المدينة، وقد أبرق الينا الشريف عبد الله أمير جهينة بأنه يتعهد بالمحافظة على ركبكم فى طريق الطريف حتى يصل الى المدينة بسلام، وقد أقررناه على ما تعهد فاستصحبوه معكم . وفى ١٢ المحرم (٢٨ مارس) أبرقت الى المعية السنية ونظارة الداخلية بأنا وعدنا المساعدة فى السفر من ينبع الى المدينة بطريق الطريف الذى يزيد يومين وأنى مسافر غدا الى ينبع .

ثم طلب منى نائب الوالى بجدّة أن أحضر الى مكتب البرق لمخاطبة الوالى إذ طلب ذلك فذهبت الى المكتب وأخبرته بحضورى فأخذ يكلمنى بالبرق ويقوم بالترجمة نائبه القائمقام بجدّة على يمنى بك . قال : إنكم وعدتم العربان بإعطائهم مرتباتهم القديمة، فأجبته : إنى لم أعدهم بدفع الماضى منها بل أخذت منهم مكاتبة ممهورة بأختامهم بأنهم تنازلوا عن طلب المرتبات القديمة ، ثم قال : انتظر، وبعد مدّة وجيزة أرسل إلىّ برقية ترجمتها ما يأتى :

الى محافظ المحمل المصرى بجدّة بواسطة نائب الوالى بها .

لما وصلت برقيتكم التى أرسلتموها الينا والى دولة الشريف يوم وصولكم الى جدّة عرضنا مسألتكم على الباب العالى وشرحنا له الحقيقة فورد منه ما يشعر بمنع سفر المحمل الى المدينة ما لم تدفع المرتبات القديمة التى وعد بها فى العام الماضى فان دفعت سافر المحمل تصحبه قوّة كافية من العساكر العثمانية ولم يكن لأحد أى تسلط عليه وبناء على ماورد الينا لاتمكنون من السفر الى المدينة من طريق الطريف الذى أجزنا لكم السير فيه بالأمس وقد أخبرنا محافظة ينبع بذلك ٥١

والى و «قومندان» الحجاز «ياور أكرم» أحمد راتب

وساعة قرأت البرقية استولى الدهش على نفسى وبدت دلائل الحزن الشديد على وجهى حتى قرأ ذلك نائب الوالى وأبرق به اليه، ولا غرابة فى ذلك لأنه ما كان يدور بخلدى مطلقا أن تصدر إرادة سنية بمنع الحجاج من زيارة سيد ولد آدم ولو كان المحمل مدينا حقيقة للعربان بديون باهظة .

وقد أرسلت الى المعية السنية ونظارة الداخلية بذلك المنع وأكدت أنه لم يحصل منى وعد للعربان بدفع المرتبات القديمة بل أخذت عليهم كتابة بالتنازل[1] عنها وصرفت لهم مرتب السنة الحاضرة وإنى مسافر ظهر غد فى آخر باخرة تقوم الى ينبع ٥١

وأبرقت أيضا الى الشريف والوالى بإنكار ذلك الوعد وأن لدى الحكومة المصرية كتابة بالتنازل عن تلك المرتبات القديمة وأنى صرفت مرتب العام الماضى للعربان

(١) التنازل سلم للداخلية مع التقرير فى ٢٣ يونيه سنة ١٩٠٣

وفوقه خمسة آلاف ريال مكافأة وصرفت لهم مرتبهم فى العام الحاضر حسب ما هو مقيد بالدفاتر وعند السفر من طريق ينبع أصرف لهم مكافأة هذا العام »

فورد الينا الردّ من الوالى على يد نائبه بجدّة متضمنا أن المرتبات القديمة لانعرف عنها إلا ما شاع على الألسنة هنا من وعدكم بدفعها فان كان الدفع ممكنا فاكتبوا من الآن الى مصر بذلك و إن لم تدفعوا فلا سفر واتخذوا من التدبير ما ترون »

وكانت الإجابة فى ١٢ المحرم (٢٨ مارس) يوم تقوم الباخرة الأخيرة الى ينبع فلما دنا موعد سفرها نزلت بها و بعد أن تهيأت للسير ورفع كُلَّابها (الهلب) حضر ضابط عثمانى فى زورق صغير جدّ فى السير وقدّم إلىّ ورقة فيها أنه من أجل صدور إرادة سنية فى هذا اليوم يرغب دولة الوالى فى حضوركم الى مكان البرق لمخاطبتكم قبل أن تسافروا الى ينبع وفى ذيلها توقيع (على يمنى) محافظ جده .

فلم يسعنى إلا مغادرة الباخرة والنزول الى الزورق بعد أن قطعت الأمل من السفر اذ لا توجد باخرة أخرى تقوم من جدّة قبل مضى أسبوع ، وقبل أن يتحرّك بنا الزورق رأينا زورقا آخر مقبلا نحونا وكان عليه والى جدّه يلوّح بمنديله للباخرة أن تقف ، ولما وصل الينا بشرنا بصدور إرادة سنية ترجمتها ما يأتى :

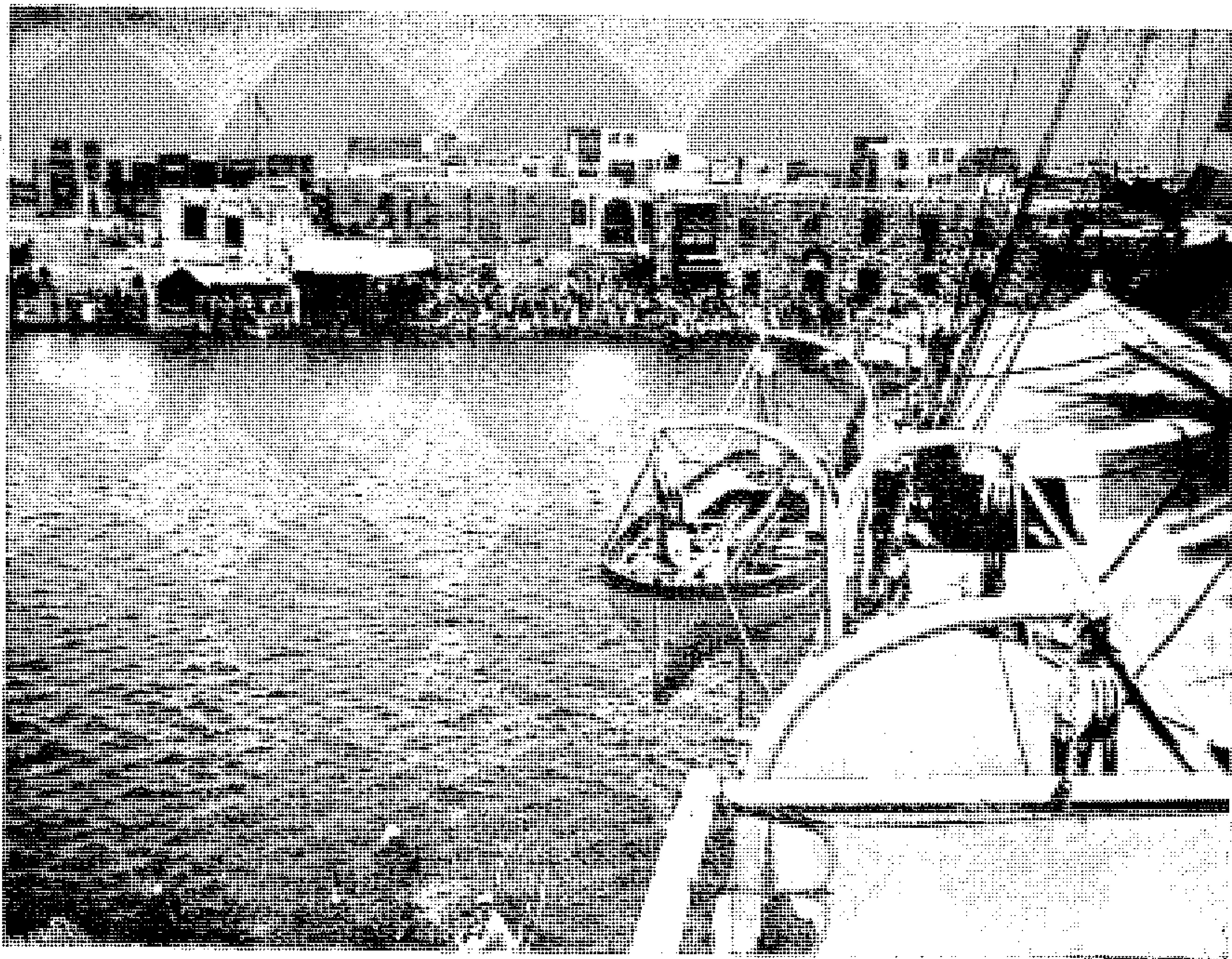
الى محافظ المحمل المصرى بجدّة بواسطة والى جدّة . مستعجل جدا .

أخبرناكم بالأمس أن المحمل المصرى لا يتحرّك ما لم تدفع المرتبات ولكن صدرت الآن إرادة سنية بلغت الينا من رئيس الكتبة بالديوان السلطانى تقضى بسفر المحمل الى المدينة بصحبة العسكر ويكون السير من طريق الطريف الذى انتخب أوّلا وقد أبلغنا ذلك الى نائبنا بينبع ورئيس الجند (القومندان) هنالك وأمير جهينة وطلبنا من محافظ المدينة أن يخرج قوّة عسكرية تستقبلكم بالطريق و إن شاء الله تبلغوا المدينة وتعودوا منها آمنين سالمين وأخبروا نظارة الداخلية المصرية بذلك » تحريرا فى ١٥ المحرّم سنة ١٣٢٠ هـ (٢٨ مارس سنة ١٩٠٤ م)

والى الحجاز ورئيس جنده

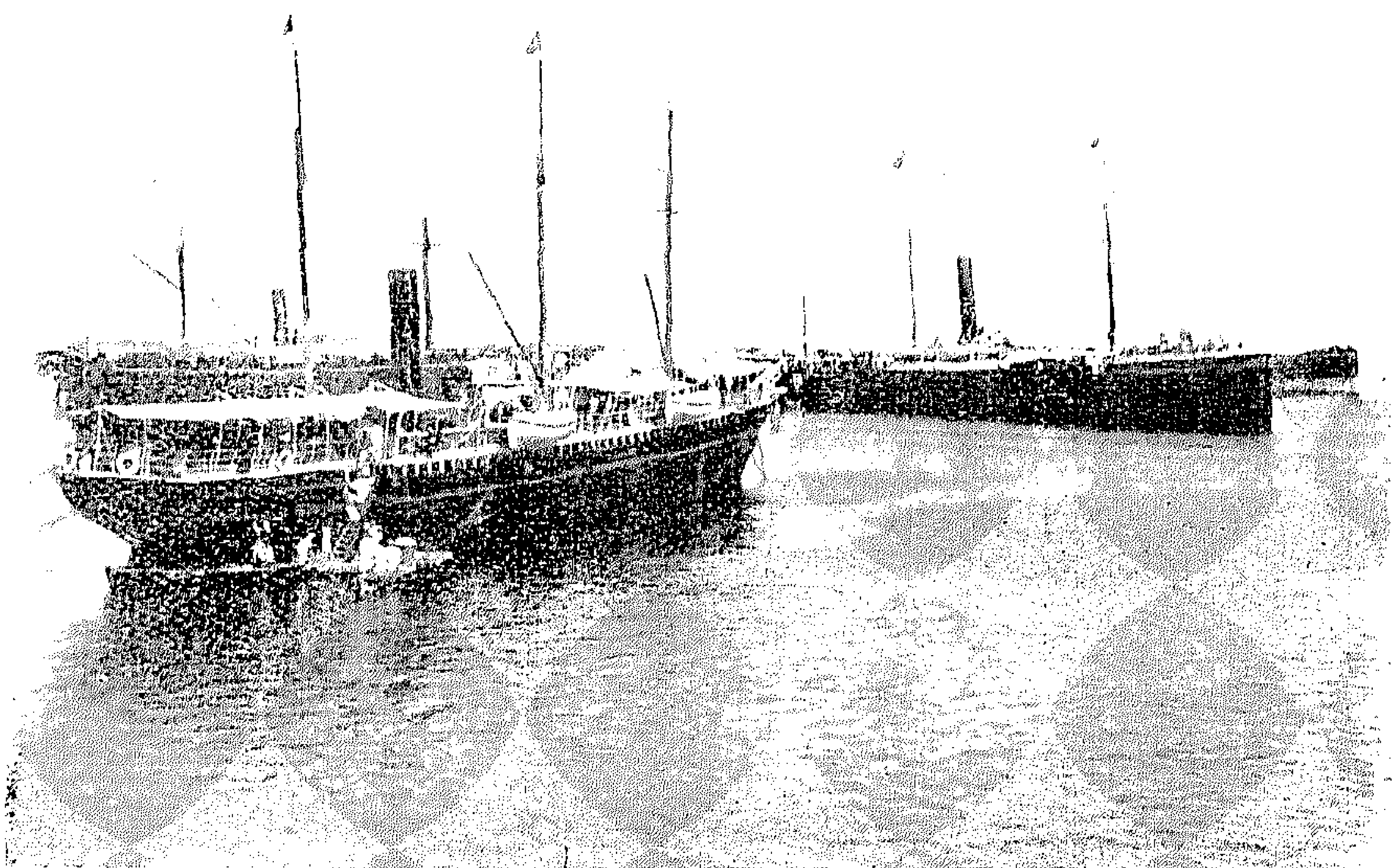
(الامضاء) « ياور أكرم » أحمد راتب

٢٢٨ منظر ينبع البحر



228. A photo of the natives and the pilgrims in Yambo

٢٢٩ مراكب عثمانية بينبع البحر



229. A view of the Turkish ships in Yambo .

صحيفة ٩٥ (*)

٢٣٠ منظر عين ماء بينبع النخل والحجاج يستقون منها



230. A view of Yambo El Nakhl and the pilgrims lifting water from it.

صحيفة ٩٦ (*)



231. A photo of El Monabihy the Minister of War of Morocco and his son and Wakil in the caravan-route of El Tarrif in 1321.

٢٣١

وقد كتبت بالباخرة برقيـة الى المعية السنية ونظارة الداخلية بأنا مسافرون الى المدينة بطريق الطريف كالإرادة السنية وسلمتها لوالى جدّة ليرسلها من مكتبها البرقى وكان ذلك يوم الثلاثاء ١٣ المحرّم (٢٩ مارس) .

ومما يلفت النظر أن البرقيتين القاضيـة إحداهما بمنع السفر والأخرى بإجازته تاريخهما واحد (٢٨ مارس سـنة ١٩٠٤ م) وقد سلّمت الأولى منهما بعد ظهر اليوم نفسه ومكثت بمكتب البرق الى الساعة الخامسة من ليلة الثلاثاء (٢٩ مارس) ولم أسلّم الثانية إلا يوم الثلاثاء فى منتصف الساعة التاسعة العربية وأنا بالبحر فهل من تلاعب ؟

وقد سافرت من جدّة على باخرة المنيا فى يوم الثلاثاء ١٢ المحرم سنة ١٣٢٢ هـ ووصلت ينبع يوم الأربعاء ١٣ منه فاستقبلنى الحجاج فبشرتهم بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم فسرّى عنهم مضض الانتظار واضطراب الحـال وترى فى (الرسم ٢٢٨) الحجاج والأهالى على رصيف المينا ينتظرون قدومى وفى (الرسم ٢٢٩) بعض المراكب العثمانية التى بالمرفأ . وقد مكثنا بينبع أربعة أيام ننتظر حضور الجمـال من المدينة لأنى قبل سفرى الى جدّة أمرت « المقوّم » أن يوزع الجمـال الى أمد معلوم حتى لا يطالبنا بعد بأجرة عن مدّة الانتظار .

السفر من ينبع الى المدينة بطريق الطريف (الزجاج)

المرحلة الأولى من ينبع البحر الى ينبع النخل — قمنـا من الأولى فى منتصف الساعة الثالثـة العربية من يوم الأحد ١٧ المحرم سـنة ١٣٢٢ هـ (٣١ أبريل سـنة ١٩٠٤ م) . وسرنا فى ميدان فسيح مستوية أرضه الى الساعة الحادية عشرة حيث دخلنا بين الجبال وقد مررنا فى الساعة الثانية عشرة ببئر فى ميمنتنا ، وبعد المغرب بساعتين ونصف وصلنا ينبع النخل ولها من معنى اسمها نصيب فان النخل بها كثير وعيون المـاء العذب بها نابعة متفجرة وشكلها كما ترى فى (الرسم ٢٣٠) وقد رافق المحمل فى سفره البطل الهمام السـيد المهدى المنبهى بن العـربى وزير حربية

مراكش الذى عرفنا له فى سفرنا كبير المروءة وعظيم الهمة وجميل الاحسان فانه أكرمه الله أعطى أمير جهينة ٥٠٠ ريال ليوزعها على العربان ووزع بمكة على فقرائها وذوى الحاجة فيها الصدقات الكثيرة بل كلف محدّثه الشيخ شعيبا — من حفاظ الحديث — أن يشترى عقارا بمكة يقفه على فقراء الحرمين وكان اذا بلغه دنو الأعراب من المحمل يقول لخادمه «هات العود ياولد» يريد جواده فيمتطيه بسرعة ليمنع عن المحمل عاديات الأعراب وكثيرا ما سار مع كشافتنا بعساكره المسلحين، وكان جواده يتساق الجبال بسرعة ومهارة وكذلك ينزل منها . وقد أهدى الوزير هدايا قيمة من الجواهر النفيسة لكل من الشريف عون الرفيق باشا ووالى الحجاز أحمد راتب باشا ، وكذلك أهدى لى ولضباط المحمل ساعات فضية وعلب دخان وأهدى أهل بيته لأهل بيتى ساعات ذهبية يدوية وكثيرا ما تناولنا الطعام والشراب سوية وكانت أدوات الشاى من المعدن الأبيض والأكواب من البلور المذهب . وقد صاحبنا الوزير ثلاثة شهور لم نر منه فيها إلا خلقا طيبا وعملا صالحا ونفسا كريمة أبية سباقة الى الخير وكان بصحبته ولده السيد عبد الرحمن الذى توسمنا فيه آيات الفروسية والنجابة ، أنظر الوزير ونجله ووكيله فى (الرسم ٢٣١) وترى الوزير بأوسمته فى (الرسم ٢٣٢) الذى أهداه الينا بعد أن أمهره بتوقيعه الآتى «السيد المهدى بن العربى المنبهى وفق فى ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ» . وترى النجل فى (الرسم ٢٤٥) . وقد كان الوزير فى كل محطة ينزل بها تحاط خيامه بدائرة من الخفراء بين كل واحد وآخر بعض الأمتار وللخفراء رئيس يمر عليهم واحدا واحدا حاملا مصباحا بيده فاذا وقف أمام أحدهم خاطبه بقوله : أجب فيجاوبه الخفير بصوت عال وألفاظ مغربية بقوله : الصلاة والسلام عليك يارسول الله ياجاه النبى فيتركه الى خفير آخر يفعل معه كما فعل مع الأول وهكذا يستمر دائرا حول هاته الدائرة طول الليل .

ولقد زرنا الأمير فى ليلة فأخبرنا بحادثة غريبة وهى أن قائد القوة العسكرية العثمانية التركى أتى الى خيام الوزير صبيحة يوم ودخل عليه بلا سلام وتناول كرسيا جلس عليه وقال له : ان رجالكم منعونى النوم طول الليل ، وقد قضيت ليلتى بين أرق

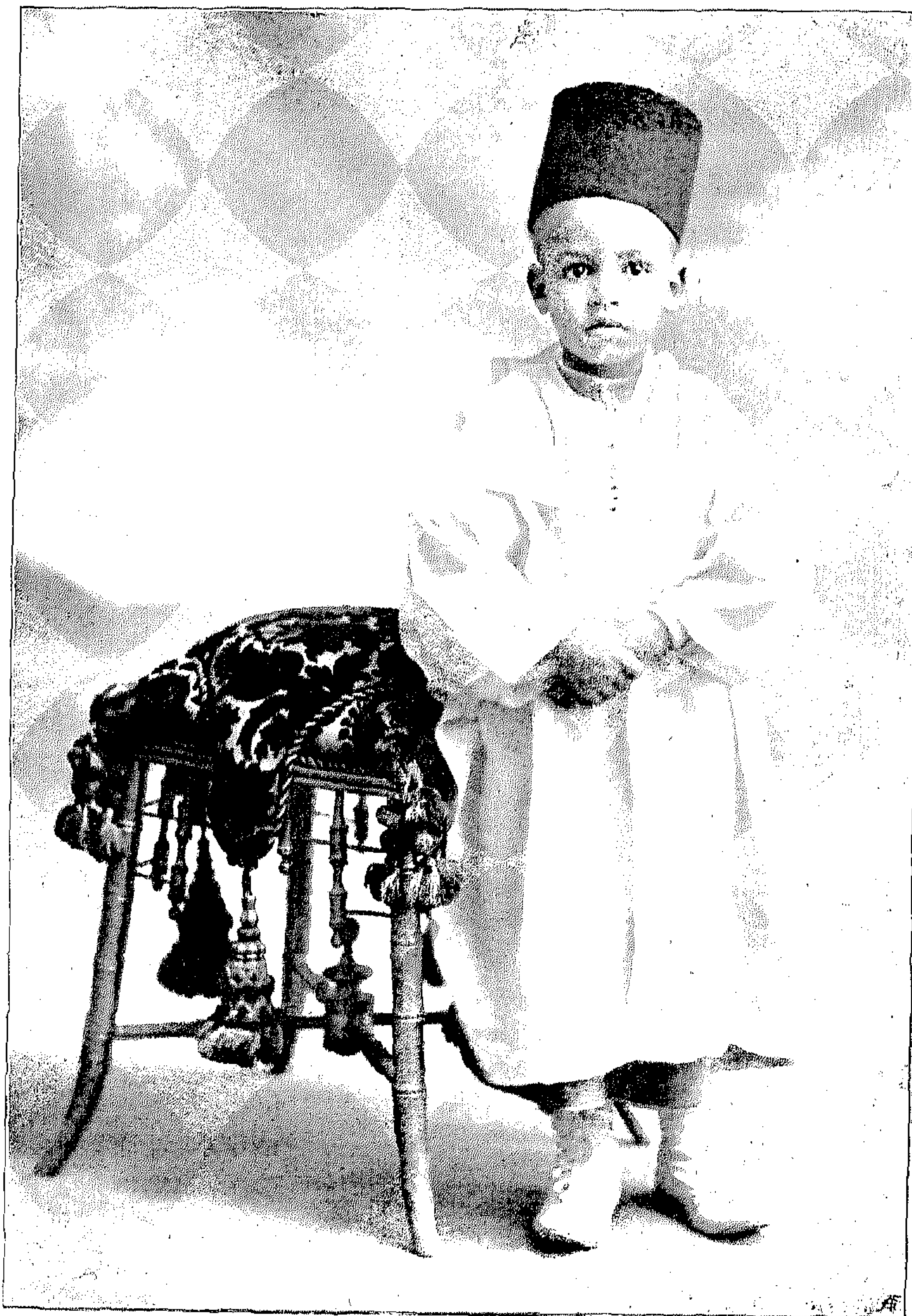
٢٣٢ الوزير السيد المهدي المنبهي بن العربي



في 17 ربيع الاول عام 1322

232. The Minister El Monabihy ibn El Arabi.

٢٤٥ السيد عبد الرحمن نجل السيد المهدي المنبهي بن العربي



حقوق الطبع والتصوير محفوظة باسم ملتزمه اللواء ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري في سنة ١٣٢٦

245. Abdul Rahman the son of the Minister El Monabihy ibn El Arabi.

وكشفت فى القاموس لعلى أجد فيه ما يفسر ألفـاظ الخفراء فلم أعثر فيه على تفسير كلمة وأخيرا طرحت القـاموس وأصغيت لهم ففهمت من كلامهم جمـلة لا ينبغى أن يذكروها خصوصا وأنتم فى بلاد الدولة العليـة فقال له : وما هى تلك الجملة، فقال : أما كنتم تستبدلون قولكم : يشا الانجليز بيشا عبد الحميد فقال له الوزير : ومن ذا الذى قال يشا الانجليز، فقال خفراؤكم . فأجابه : لقد أخطأ سمعك إنهم لا يقولون إلا : ياجاه النِّبى . وان عدم تحرى أذنك لحقيقة ندائهم هو الذى أحدث لك هذا الأرق فخجل وانصرف .

وكذلك صاحبنا فى سفرنا أمين صرة دارفور وأربعة من الضباط العثمانيين معهم مائة جنـدى وخمسة من كبار العثمانيين منهم الحربى والملكى ، وقد علمت أنهـم معينون لتحقيق ما نسب الى محافظ المدينة وسنذكر أسماءهم وما قدموا لأجله بعد .

المرحلة الثانية من ينبع النخل الى خيف البثنة — قمنا من الأولى فى صباح الاثنين الساعة ١٢ وبعد ٤٥ دقيقة وجدنا على يميننا خيفا — الخيف بستان به نخيل وأشجار مختلفة — وبعد ذلك بربع ساعة رأينا على الشمال خيفا كبيرا فى وسطه بيوت كثيرة سرنا فى عرضه ١٥ دقيقة ثم مررنا بمحل يقال له السويقة يسكنه شرذمة من عربان الأحامدة أطلقوا على مؤخرة الركب بعض طلقات نارية وكان به مدفع وقسم من الفرسان وآخر من الرجالة تحت رآسة « اليوزباشى » موسى افندى شكرى فأمر باطلاق الرصاص عليهم من البنادق وأطلق أيضا ثلاث « دانات » من المدفع فتفرّقوا هاربين وانقطعت نيرانهم بعـد أن تخرب بيت من بيوتهم ويقال إنه جرح به اثنان وتلف نخله . والأرض من ينبع النخل سهلة بها حصباء خفيفة وقد انحرفنا الى اليسار بعد مسيرة ٤٥ دقيقة فى أرض شديدة السهولة ووجدنا على يميننا خندقا ومزارع انتهت فى ساعتين و١٥ دقيقة وبعد ذلك بنصف ساعة ضاق الطريق حتى لم يسع إلا قطارين قطارين وكثرت أشجار السنط والسَّلَم فى ميسرتنا وتحجرت الأرض فى سهولة . وفى الساعة ٢ والدقيقة ٥٨ صعدنا على مرتفع به عروق تشبه الزجاج أعنى طبقات حجرية متجاورة تشـبه ألواح الزجاج اذا ما أقيم بعضها بجانب بعض،

ووصلنا خيف البثنة لتمام الساعة السادسة نهارا وبه بتنا وفيه عين كعين وادى الليمون التى وصفناها لك فى المرحلة الثانية من الطريق الشرقى ومن البثنة ينحرف لها الطريق الى جهة اليسار من درجة ٥٥ الى ٣٣٠ ونسير على ذلك الانحراف ساعتين .

المرحلة الثالثة من البثنة الى أم هشيم — قمنا من البثنة فى الساعة العاشرة العربية من ليلة الثلاثاء ١٩ المحرم (٢٥ أبريل) وسرنا على درجة ٣٣٠ سبع ساعات و ٤٥ دقيقة ولتمام الساعة الثانية عشرة انتهت الخيوف والعيون ، وفى الساعة ١٢ والدقيقة ١٠ نهارا بدأ شجر الأثل المسمى بالطرفاء وهو طويل شديد الكثافة ولا سيما فى الجهة اليمنى وأخذ الطريق يضيق شيئا فشيئا حتى انتهى بمضيق طوله ١٠٠ ياردة لا يسع إلا قطارا واحدا ثم انفرج حتى وسع أربعة قطارات وظهر بالأرض مجارى السيول وانتهت غابة الأثل فى الساعة ١ والدقيقة ١٠ وبدأت غابة من شجر السنط الكبير، وفى الساعة ١ والدقيقة ٥٠ مررنا « ببئر الأفيحرة » على اليسار وهى مبنية بالحصى الكبير وعمقها أربعة أبواع ، وفى الساعة ٢ مررنا بمرتفع من الأرض على يسارنا ذى لون أحمر ، وتباعدت الجبال عن الطريق يسيرا وارتفعت وكانت قبل واطئة ، وفى الساعة ٢ والدقيقة ٤٥ مررنا على عقبة مسيرة خمس دقائق لاتسع إلا قطارا واحدا ، وفى الساعة ٣ والدقيقة ١٥ انتهى شجر السنط وبدأ شجر المرخ الذى تتغذى منه الجمال واتسع الطريق ، وفى الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ وصلنا « بئر الأشيهب » وهى مبنية بالحجر وعمقها ثمانية أبواع ونصف وقد استرحنا عندها ساعة وربعها وسقينا منها الحيوان وبدأنا السير فى الساعة الخامسة ، وفى الساعة ٥ والدقيقة ٤٥ تغير الاتجاه الى درجة ٣٠٥ ، وفى الساعة ٦ مررنا بأرض صلبة كثرت بها المدقات والحصباء وبعد ٣٥ دقيقة سرنا فى أرض رملية سهلة فى أولها بئر تسمى بئر « خُريم المدفع » خالية من الماء وعمقها ١٠ أبواع ، وفى الساعه ٧ انحرفنا نحو اليمين وسرنا على درجة صفر ربع ساعة ثم انحرفنا الى اليسار وسرنا على درجة ٢٩٠ ثلاثة أرباع الساعة فى أرض خورية زراعية ، وفى الساعة ٧ تغير الاتجاه الى درجة ٣٤٥ وكثرت الأشجار على الجانبين ثم تغير الاتجاه الى درجة ٣٢٠ من الساعة ٨ والدقيقة ٤٥ الى الساعة ٩

صحيفة ٩٩ (*)

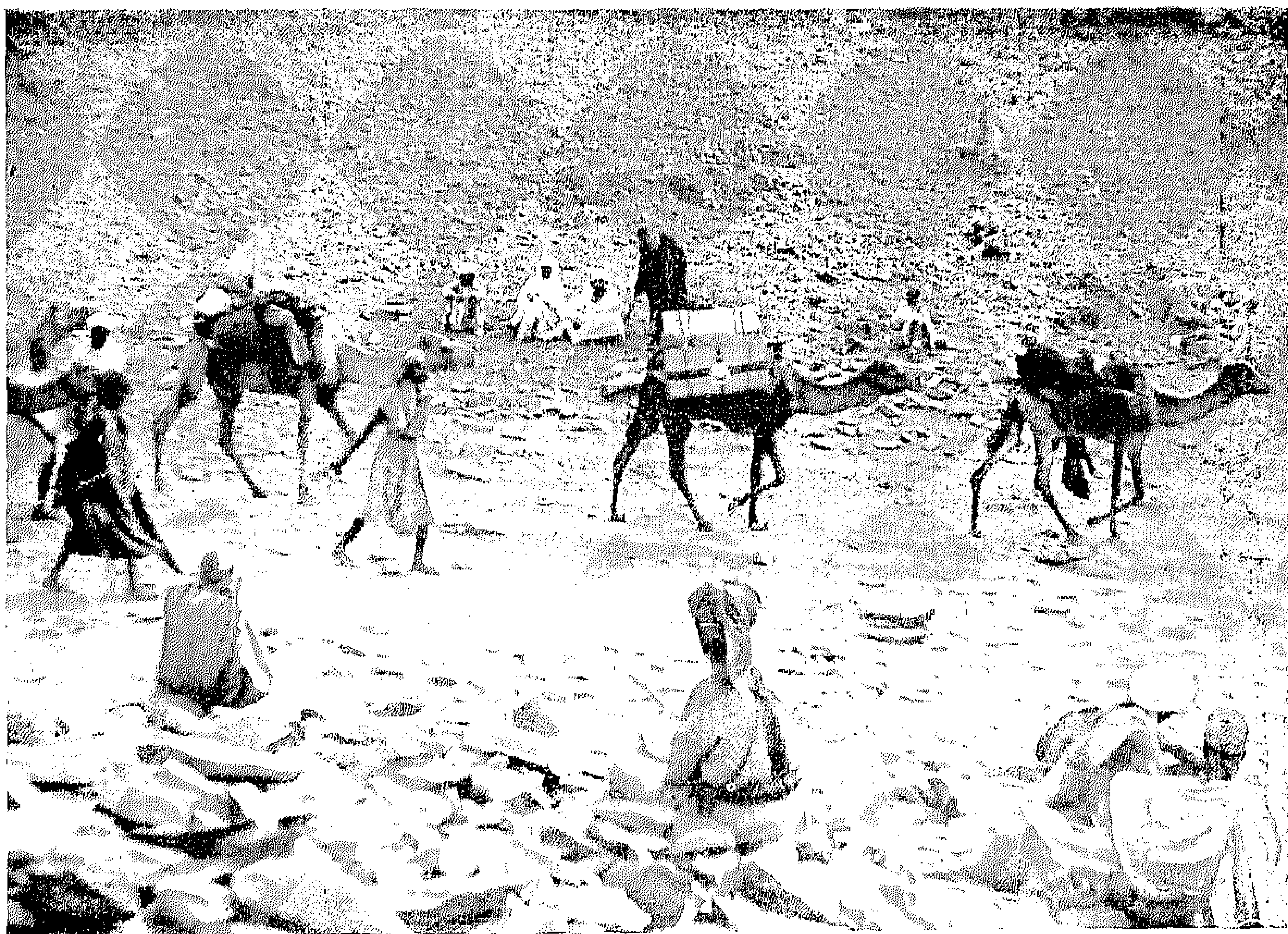
٢٣٣ اجتياز المحمل عقبة بطريق الطريف



233. A view of the Mahmal passing through Akaba in the caravan-route of El Tarrif.

صحيفة ٩٩ (*)

٢٣٤ عقبة بطريق الطريف وباعلاها الوزير المنبهي ووكيله



234. A view of Akaba in the caravan route of El Tarrif and the photo of El Wazir Monabihy and his wakil in 1321.

والدقيقة ٣٠ حيث تغير عندها الى درجة ٣٦٠، واستمر كذلك الى ما بعد المغرب بنصف ساعة حيث وصلنا الى (أم هشيم) وقبل أن نصل اليها مررنا بعقبة مرتفعة صعبة المسلك لا تسع إلا قطارين قطارين وقد قطعناها فى ربع ساعة والأرض حجرية بها حصباء كثيرة تشبه مسن الأمواس فى طولها وشكلها ويكثر بها خشب الحريق وترى شكل العقبة والركب سائر بها فى (الرسم ٢٣٣) كما ترى فى (الرسم ٢٣٤) الوزير المنبهى ووكيله وهم جلوس فوق العقبة .

المرحلة الرابعة من أم هشيم الى بئر العين — رحلنا من أم هشيم فى منتصف الساعة العاشرة من ليلة الأربعاء ٢٠ المحرم (٦ أبريل) وبدأنا السير فى أرض حجرية صعبة ذات ارتفاع وانخفاض لاتسع إلا قطارين أو ثلاثة من أجل صعوبتها وكان اتجاهنا الى الدرجة ٣٢٠ مذ قمنا الى الساعة ١ والدقيقة ٢٠ حيث انحرفنا الى اليمين وسرنا على درجة ٢٠ فى أرض محصبة، وفى الساعة ٢ والدقيقة ٤٥ تغير الاتجاه الى درجة ٨٥، وفى الساعة ٣ والدقيقة ٣٠ تغير الى درجة ١٠، وفى نهاية الساعة ٦ استرحنا بالطريق ساعة ثم سرنا فى طريق أخذ يتسع اتساعا عظيما وتبتعد عنه الجبال، ومن الساعة ٧ والدقيقة ٥٠ زاد صغر الحصى بالأرض ثم قل وقلت الاشجار من الساعة ٨ واستوى الميدان استواء عظيما ثم رجع الحصى من الساعة ٨ والدقيقة ١٥ وصار علو الجبال عظيما وهى طول مرحلتنا هذه أعلى منها فى المرحلة السابقة، وفى الساعة ١٢ كان على ميسرتنا «بئر المنجور» وهى مبنية فى سفح الجبل ماؤها عذب قليل وتجاهها فى الميمنة «بئر المرْبَضَة» وهى بئر قديمة حلوة الماء وكلتاهما يبعد عن قارعة الطريق ساعة وما زلنا نسير على درجة ١٠ حتى وصلنا فى الساعة ٤ والدقيقة ٣٠ ليلا الى بئر العين وهنالك استرحنا الى الساعة ٨ من ليلة الجمعة ٢٢ المحرم (٨ أبريل) بعد أن سرنا ١٨ ساعة فى أرض مستوية أكثرها سهل تخلله الحصباء فى أماكن قليلة، وبئر العين عمقها سبعة أبواع وهى مبنية الفم الذى سعته متر ومن تحته القطر أوسع وماؤها كثير حلو وقد مكثنا بجانب هذه البئر ٢٧ ساعة ونصفا لأخذ المياه الكافية لشربنا وسقى حيواننا سير مرحلتين حيث الماء بعدها مفقود

(أنظر معسكرنا عندها فى الرسم ٢٣٥) وقد رتبنا للبئر خفرا من العسكر والضباط يتناوبون حراستها لمنع الزحام عليها وتنظيم أخذ المياه منها وترى فى الرسم ٢٣٦ الضباط والسقائين وقد أقاموا الزّجامات «السّبية» ذات الأرجل الثلاثة ووضعوا بها الحبال والدلاء لإخراج المياه وحينما اجتمع عندها الفقراء المرافقون للمحمل لأخذ الخبز (البقسماط) ومياه الشرب ضممت اليهم تطييبا لنفوسهم حضرة محمد افندى على سعودى وآخرين وبعض بنياتى وأخذت صورة الجميع كما ترى ذلك فى (الرسم ٢٣٧) .

المرحلة الخامسة من بئر العين الى المقرح أو الشجوة — قمنا من بئر العين عند تمام الساعة الثامنة من ليلة الجمعة ٢٢ المحرم (٨ أبريل) وسرنا على درجة ٥٠ الى الساعة ١٢ ليلا فى أرض أكثرها حجرى وقليل منها رملى ويسع الطريق قطارا قطارا واثنين اثنين وأكثر من ذلك متفرّقا ، ومن الساعة ١٢ تغير الاتجاه الى درجة ١٢٠ واتسع الطريق ورأينا قصر عبلة على مبعدة، ومن الساعة ١٢ والدقيقة ٤٥ زاد اتساع الطريق ووجد به الأحجار والحصى الكبير الأملس، وقد استرحنا بالطريق من الساعة ٤ والدقيقة ٢٠ الى الساعة ٦ والدقيقة ١٥ وبعد ٥ دقائق من مسيرنا تغير الاتجاه الى درجة ١٤٥، ومن الساعة ٧ والدقيقة ٤ سهلت الأرض وتخصبت الى غروب الشمس ووقتئذ بلغنا محلا يقال له المقرح أو الشجوة بحذاء قصر عبلة أو على مقربة منه . وفى هذه المرحلة أرسل الىّ سعادة محافظ المدينة برقية تركية مع هجان خاص قام بها من آبار الملاليح وقد ذكر فيها أنه جهز «طابورا» عثمانيا ليرسله الى «بوغاز المخيط» (بوغاز المدينة) ليستقبل المحمل هنالك ويحافظ عليه فى هذا المضيق وأنه بلغه وصولنا الى آبار نصيف ويطلب منا إفادتنا عن الوقت الذى نبرح فيه هذا المكان والوقت الذى نصل فيه الى بوغاز المخيط وذكر أنه مستعد إذا دعا الحال لإرسال العسكر الى محطات أخرى أبعد من ذلك ذكرها برسالته المؤرخة فى ٢٧ مارس سنة ١٣٢٠ تاريخا شرقيا . وقد كتبت اليه مع الهجان شاكرا له عظم عنايته .

صحيفة ١٠٠ (*) ٢٣٥ معسكر المحمل بطريق الطريف عند بئر العين



235. A view of the camp of the Mahmal on the caravan-route of El Tarrif near the well of El Ain in 1321.

صحيفة ١٠٠ (*) ٢٣٦ منظر اخذ المياه من بئر العين بطريق الطريف



236. Raising water from the well of El Ain on El Tarrif Caravan-route.

٢٣٧ منظر اجتماع الفقراء لحظة العين بطريق الطريف



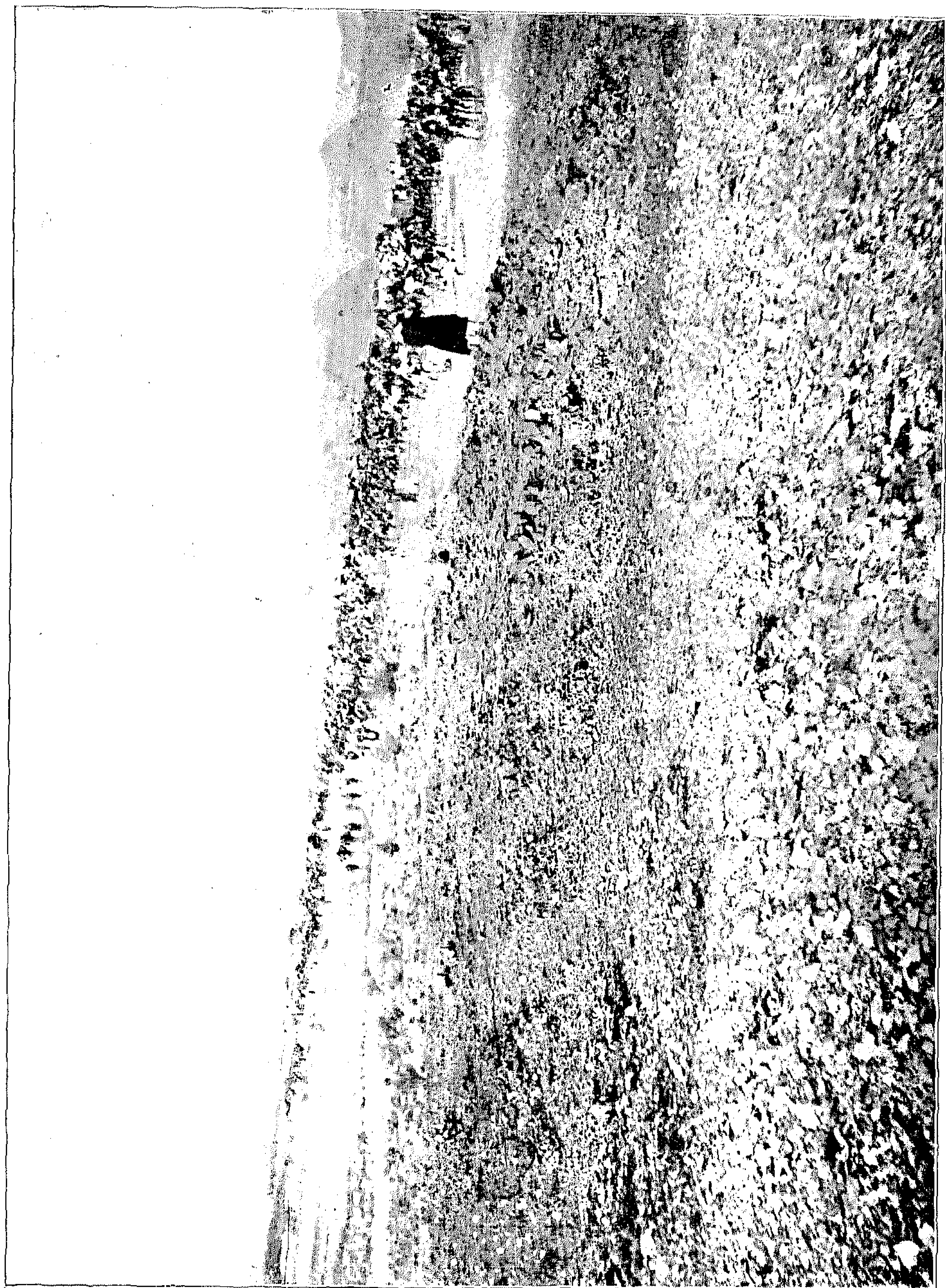
237. A crowd of poor people round the well of El Ain on El Tarrif Caravan-route.

٢٣٩ باب عرب المدينة دياب افندى والشيخ حازم وكيل المقوّم سنة ١٣٢٦



239. Deyab Effendi the chief of the Arabs of Medina, and Shaikh Hazem the Wakil of El Mokawem in 1326.

٢٣٨ ركب المحمل وهو مشرف على وادي الحمض



238. The Caravan of the Mahmal approaching the Himd valley.

المرحلة السادسة من المَقْرَح الى آبار نصيف أو آبار الملاليح —

قمنا من المقرح لتمام الساعة الثامنة من ليلة السبت ٢٣ المحرم (٩ أبريل) وسرنا في ميدان فسيح سهل على درجة ١٤٥ ووقفنا ربع ساعة صلينا فيه الصبح ومن الساعة ١٠ سرنا بين أشجار خفيفة وقد كثرت من الساعة ١١ وتحجرت الأرض وفيها مدقات ناعمة، ومن الساعة ١١ والدقيقة ١٥ قل الشجر والحصى وبعد ساعة ونصف انقطع وسهلت الأرض ووجد بها بعض مجار للسيول، وفى الساعة ٤ والدقيقة ٢٠ انتهى الوادى الذى كنا نسير فيه وحططنا الرحال لنستريح، وفى الساعة ٦ سرنا على درجة ٨٥ فى طريق سعته حوالى ٤٠٠ متر وأكثره حجر صعب ويقال له «مزيرح الحسا». وترى (فى الرسم ٢٣٨) ركبنا وهو سائر فى هذا الطريق، وفى الساعة ٧ والدقيقة ٢٠ انتهت الأرض الحصوية وقلت الأشجار، وفى الساعة ٧ والدقيقة ٤٥ انعطفنا الى اليمين وسرنا على درجة ١٥١ فى واد يقال له «وادى الحِمْض» كله شجر أثل وطريقه سهلة غير منتظمة من كثرة الأشجار، وفى الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ مررنا بقلعة الشجوة وهى فوق الجبال اليسرى خالية من الحراس وكان سيرنا فى خور من أثر السيول صعدنا منه الى أرض حجرية بها الحشائش زُمَرا زُمَرا، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ١٠ وصلنا الى آبار نصيف وتعرف أيضا بآبار الملاليح وهى حفائر غير مبنية عمقها من قامة الى قامتين وماؤها متقبل. وعند هذه الآبار مكتب عثمانى للبرق وهناك بعض عساكر «البيشه» وفرسان عثمانيون ودياب افندى باب عرب المدينة أنظره يمين الرسم (٢٣٩) وبجانبه وكيل المقوّم حازم بن عبد الله مايح والجارة البادية من بناء القلعة والمكتب البرقى. ودياب افندى موظف يقوم بالفصل فى شكاوى العربان بالمدينة وقد أخبرنى بأن محافظ المدينة أرسله ليفرق العسكر على الأماكن المخيفة فوق الجبال وأرسل الينا المحافظ برقية تركية مؤرخة فى ٢٨ مارس سنة ١٣٢٠ تاريخا شرقيا ذكر فيها أنه أرسل لدياب افندى باب عرب المدينة ليلتحق بالعساكر الشاهانية التى قامت اليوم

فى الساعة الثامنة وذلك ليرشدها الى الجهات التى تلزم الحراسة عندها وأنه أرسل الى « قومندان » العسكر بأن يسير الى الجهات التى تعين ورجانا أن نكتب الى دياب افندى أيضا بالسير الى الجنود الشاهانية لإرشادها الى الأماكن المخيفة وأن نكتب أيضا « للقومندان » عن الجهات التى تنبغى حراستها لإرسال الحراس اليها .

المرحلة السابعة من آبار نصيف الى آبار الظعينى — قمنا من آبار نصيف فى الساعة العاشرة من ليلة الأحد ٢٤ المحرم (١٠ أبريل) وسرنا على درجة ١٥١ فى أرض فسيحة ذات ارتفاع وانخفاض بها أشجار شامخة قليلة ومراع وجحور للأرانب . وفى الساعة ٥ والدقيقة ٣٠ عرجنا الى اليسار على درجة ١٣٥ ووصلنا الى المندسة أو آبار الظعينى فى الساعة السابعة نهارا وهى بئران عمق الواحدة منهما ثمانية ابواع — الباع ١٨٥ سنتيا تقريبا — وسعة فم إحداهما أربعة أمتار وسعة فم الأخرى ثلاثة وهما فى الجهة الشمالية قرب الجبل الشمالى عند أشجار أثل ومجرى السيول يتجه اليهما وماؤهما عذب، وفى هذه المرحلة وجدنا «طابورا» شاهانيا فُرِّق على رءوس الجبال عند المضايق التى يخشى عليها من احتلال عربان الأحامدة لها .

المرحلة الثامنة من آبار الظعينى الى المدينة — رحلنا من هذه الآبار لتمام الساعة الثامنة من ليلة الاثنين ٢٥ المحرم (١١ أبريل) وكان سيرنا على درجة ١٣٥ الى الساعة ١٢ حيث تغير الاتجاه الى درجة ١٠٨ الى الساعة ١ والدقيقة ٣٠ ، ثم الى درجة ١٧٠ نصف ساعة، ثم الى ١٤٠° نصفا آخر، ثم الى ١٧٠° ربع ساعة، ثم الى ٩٠° ساعتين ثم الى ١٣٠° ثلث ساعة ثم الى ٧٠° ربعها وإذ ذاك رأينا بساتين المدينة، وفى الساعة ٦ وصلنا « بئر عثمان » واسترحنا بها ساعة . وقد استقبلنا بها مندوب من قبل سعادة محافظ المدينة وشيخ الحرم ليهنئنا بوصولنا سالمين وكذلك استقبلنا بها كثير من أهالى المدينة من أجناس شتى وطبقات مختلفة ثم سرنا فى الساعة السابعة على درجة ١٢٠° ، وفى الساعة ٨ والدقيقة ٣٠ وصلنا المدينة المنورة ودخلناها من الباب الشامى الذى ترى شكله فى (الرسم ١٦١) .

هـذا وقد اجتزنا طريق الطريف بسلام ولم يلحق بنا أى ضرر غير أن أحد رجال المدفعية الذين كانوا فى مؤخرة الركب وأطلقوا الرصاص على بعض عربان الأحامدة نسى بندقيته معمرة وبينما هو واقفٌ حارسا ضغط على زندها من غير قصد فأصابت رصاصتها كتفه الأيمن وقد عولج وشفى باذن الله .

وساعة وصلنا الى المدينـة أبرقت الى المعيـة السنية ونظارة الداخلية بأنا وصلنا جميعا الى المدينة بصحة تامة وأن مدّة السفر تسعة أيام .

وقد بلغت مدّة السـير ٩٦ ساعة و ٥ دقائق غير أوقات الاستراحة . وبما أن الجمل المحمل يسـير فى الساعة حوالى أربعة كيلو مترات فعلى هذا تكون المسافة بين ينبع البحر والمدينة من طريق الطريف ٣٨٤ $\frac{1}{3}$ كيلو متر .

والقبائل التى تسكن حول طريق الطريف وما اليـه من الجهات هى قبـائل الأحامدة وقبائل بنى سالم . أما قبائل الأحامدة فتشمل الصّميدات قبيلة الشيخ سعد، والفَضَلة قبيلة الشيخ فهد ويتفرع من الفضلة الذّكرة ، والصخارنة قبيلة الشـيخ إبراهيم بن مطلق وبنـو سالم يتفرعون الى فرعين ميمون والمرواحة وميمون تحتـوى القبائل الآتية : الرحلة ، المحاميد، صبح، السرحة ، بنى حيـا (يحيى)، التميمى ، السعدنى ، السليمى، الوافى، السعدى، وكل هؤلاء يتبعون الأحامدة؛ أما المراوحة فانها تحتوى قبائل الحوازم أجمع .

ونذكر لك حدود مساكن العربان بطريق الطريف كما سمعناه من أهل هـذه الجهـات .

من ينبع البحر الى قبيل المبارك ، لقبيلة أريباوى . من المبـارك الى خيف العَقَميّة ، للأشراف ذوى هجـار . من العقمية الى الجابرية أو السويق ، للساوية والصيادلة . من السويق الى البثنة وخيف حسين — من بنى ابراهيم — ومسيرة أربع ساعات ذلك، لقبيلة ظبيان .

من حدود ظبيان الى أم هشيم، لقبيلة أريساوى . من أم هشيم الى المَقْرَح، للعامرى . من المقرح الى العين (المنزعة)، لازايدى . من العين الى ما بعد الملاليح بمسيرة ثلاث ساعات، لعروة . من حدود عروة الى المدينة، لبنى محمد وهم السعدى والتميمى والوافى وولد سليم .

أوسمة الإبل — هذا وقد كان طلب منى صاحب السعادة «يعقوب باشا أرتين» وكيل وزارة المعارف سابقا أن أشترى له بعض حلىّ نساء العرب وأرسم له المياسم التى يسمون بها إبلهم فاشتريت له أربعة أزواج من الأساور الحجازية .

وهاك شكل المياسم :

ميسم أشراف جهنية يسمون به على الفخذ اليسار .

ميسم قبيلة القضاة — جماعة دخيل الله — يسمون به على الفخذ الأيمن .

« « ذبيان يسمون به على صفحة الوجه اليمنى ومثلهم بنو إبراهيم .

« « عروة « « الرقبة من جهة اليمين خلف الأذن .

« « المراوين « « صفحة الخد الأيسر .

« « الحوازم « « الرقبة وصفحة الوجه اليمنى .

« « الأحامدة « « الرقبة من جهة اليمين .

« « بِلِى « « الخيشوم .

« « عَنَزَة

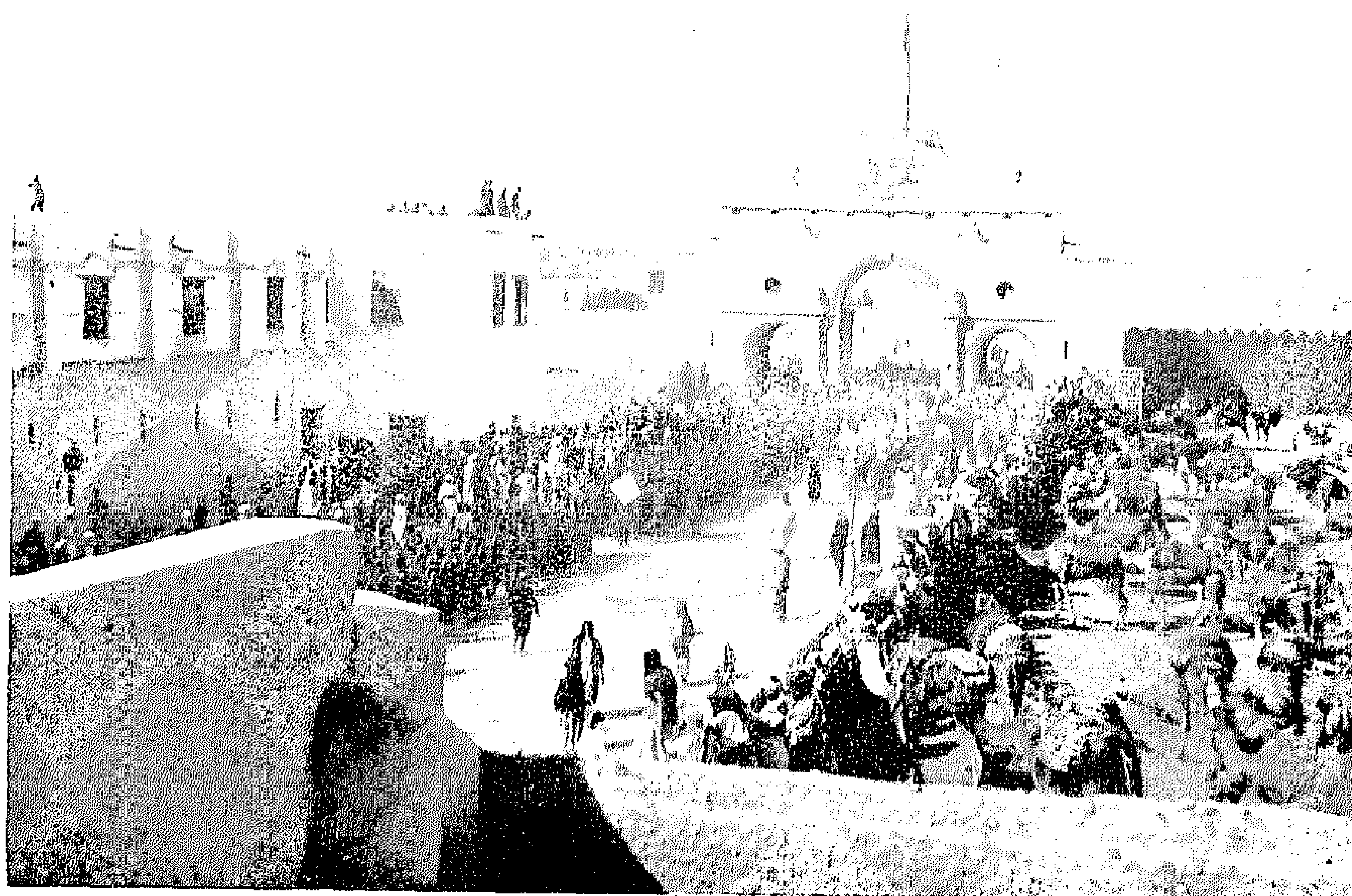
« قبائل ابن الرشيد يسمون بالأوّل على الفخذ الأيسر وبالثانى على الذراع الأيسر .

ميسم قبيلة المطارق أى الحويطات يسمون به على الرقبة يسارا .

« « المعازة يسمون بالأول بين العين والأذن وبالثانى على الذراع الأيمن

(الرسم ٣٣٤)

٢٤٠ دخول العساكر الشاهانية بالمدينة المنورة من باب العنبرية



240. The entering of the Turkish soldiers from the Ambaria Gate in Medina.

صحيفة ١١٢ (*)   ٢٤٢ منظر عين ماء بينبع النخل والحجاج يستقون منها



242. Pilgrims drinking from a well at Yambo El Nakhl.

وقد أرسلت بعد حضورى الأساور وأشكال المياسم الى سعادة الباشا فكتب الىّ فى أول يونيه سنة ١٩٠٤ شاكرا لى ومستفهما عن ثمن الأساور فأفدته فارسله لى شاكرا .

لجنة التحقيق — ولا يفوتنا أن نذكر لك خبر اللجنة التى حضرت من الأستانة وقامت معنا من ينبع الى المدينة لتحقيق الفتنة التى نشبت بها . هذه اللجنة مؤلفة من باقى بك مدير القلم الكتابى بالباب العالى رئيسا ، والسيد أبى السعود افندى أسعد ، واللواء إسماعيل باشا ، واللواء صدقى باشا ، وعمر بك أعضاء ويقوم الأخير بالكتابة أيضا وكان مع هذه اللجنة شرذمة (أورطة) من الجنود العثمانية كانت تسير على الأقدام فكلّت ولم يستطع بعض أفرادها متابعة السير ، فرأينا أن نستمنح الناس لكراء جمال تحملهم حتى لا يتخلفوا عنا فى الطريق ولما عرضنا الفكرة على السيد أبى السعود رأى أن ذلك لا يتفق وكرامتهم وكلم الأعضاء الآخرين فقاموا بكراء جمل لكل شخصين لحمدنا له نخوته وعزة نفسه ولما بلغنا المدينة هرع أهلها لرؤية الجند الذين حضروا لإخماد الفتنة وترى فى (الرسم ٢٤٠) هؤلاء الجنود وهم داخلون من باب العنبرية وقد وصلت قوة أخرى (أورطتان) من جهة اليمن قدمت الى ينبع على بواخر عثمانية — رسمها فى ٢٢٩ — وقت عودتنا اليها من جدّة وقد سافرت هذه القوة الى المدينة من الطريق السلطانى ولما وصلت الى « الجُدَيِّدة » أطلق العربان عليها الرصاص وذلك دأبهم عند مرور أية قوة مسلحة بهم ويرون من العار أن يتركوا مناوشة القوى المسلحة وقد أصاب رصاصهم رجلا لفرس أحد الضباط الكبار ، ولما بلغوا المدينة هرع أهلها لرؤيتهم كما هرعوا الى القوة السابقة .

وسبب هذه الفتنة أن السيد عبد القادر بن عبيد الله الكردي الذى نفى من الأستانة وأقام بالمدينة وأصبح من وجهائها رجا محافظ المدينة عثمان باشا فريدا فى إطلاق سراح موسى بك الكردى الذى حبسه فلم يقبل رجاءه فانتفخت أوداجه من ذلك وأخذ يؤلب عليه أهل المدينة حتى تحالفوا معه على المصحف والسيف ليعزلن المحافظ أو ليقتلنه وأخذوا يبرقون بالشكوى منه الى الدولة ولما لما يسمع

لقولهم أبرقوا الى جلالة السلطان عبد الحميد فنصح لهم أن يعودوا الى السكينة فأبوا فأرسلت الدولة تلك اللجنة التى حضرت معنا من ينبع تصحبها « أورطة » لإخماد الفتنة ولما اشتدت الحال وتفاقم الخطب بانضمام عسكر المدينة وضباطها الى الأهالى طلب عساكر أخرى فجاءت من اليمن أربع بواخر تقل « أرطتين » من العساكر تحت رآسة «الميرالاى» غالب بك .

وقد قامت اللجنة بالتحقيق مع المتآمرين فقررت إدانتهم وحكمت عليهم بالنفى لى الطائف إلا كبيرهم السيد عبد القادر فانه سافر مع المحمل الشامى الى بيروت وقد أفرج عن المنفيين بعد سنتين قضوهما بالطائف .

فى المدينة — احتفل بقدوم المحمل فى ٢٦ المحرم سنة ١٣٢٢ (١٢ أبريل سنة ١٩٠٤) وبعد الاحتفال زرت سعادة المحافظ بلباسى الرسمى وقدمت له الكتاب المرسل اليه من الجناب العالى الخديو المحرر باللغة التركية — انظره فى (الرسم ٢٤١) فشكر له ودعا وأخذ يحادثنى فى طريق الطريف فقال : إنه وإن كان طويلا صعب المسلك فإنه مأمون وأنا مستعد لإعطاء المحمل عند عودته القوة الكافية والإرادة السنية التى صدرت الينا تقضى بسفر المحمل من أى الطرق يختار ولكنى أنصح بترك الطريق السلطانى طريق الأحامدة مهما قدموا من العهود والرهائن فإنه لا عهد لهم وقد وصلنى كتاب من خليل بن حذيفة بأنه سيمنع المحمل من المرور بديارهم اذا لم تدفع المرتبات القديمة وقد شكرت له حسن استقباله ورعايته ثم انصرفت ، وهاك ترجمة كتاب سمو الخديو بالعربية :

"الى الجانب العالى شيخ الحرم الشريف النبوى حضرة صاحب العطوفة .

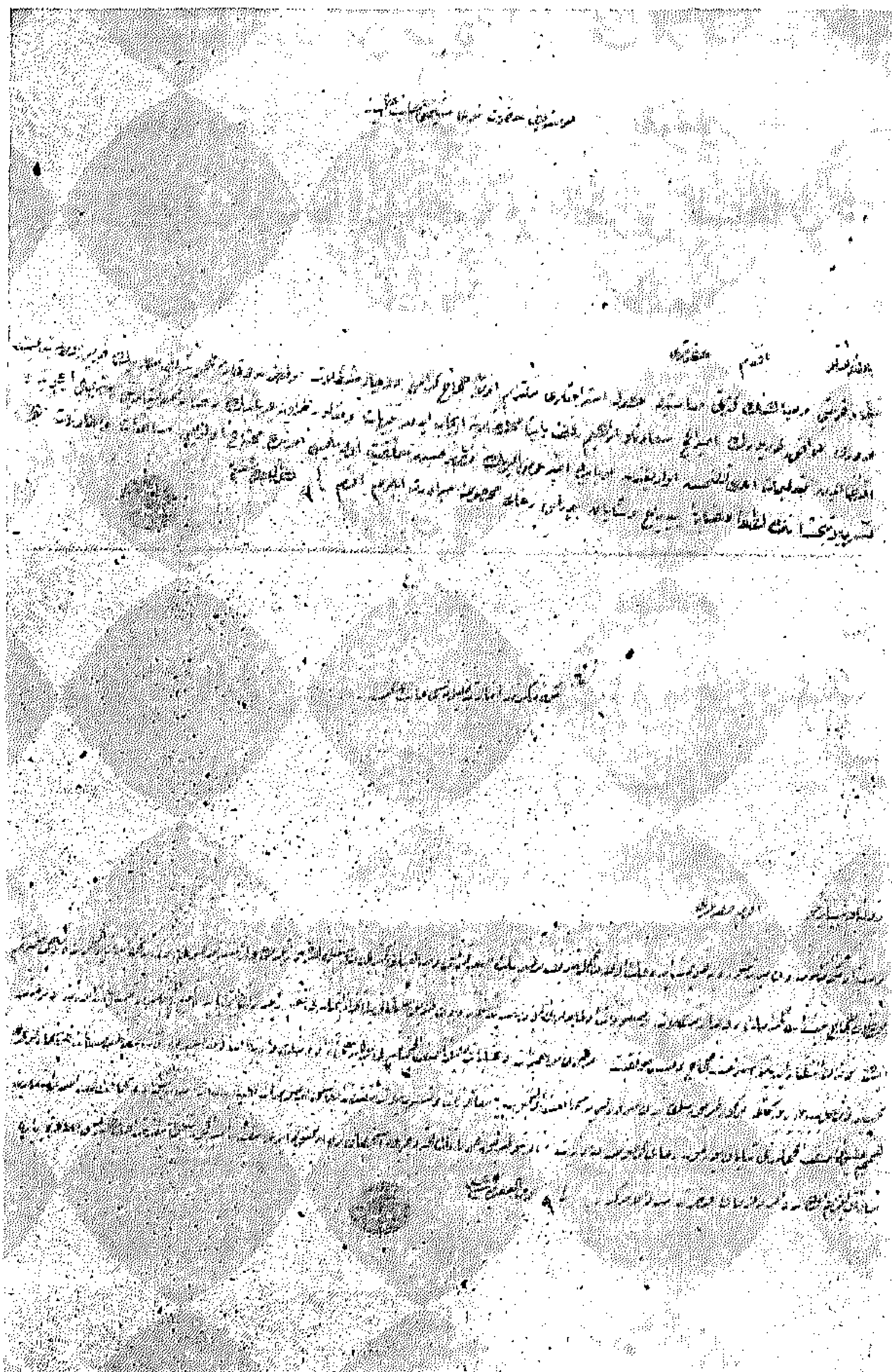
إن المحمل الشريف المصرى المعتاد قيامه من مكة الى المدينة المنورة سيسلك طريق ينبع فى رجوعه من المدينة لأنه أقرب الطرق والمياه به كثيرة وقد نبهنا على

المخلص صاحب السعادة إبراهيم باشا رفعت أمير الحج بإرضاء عربان هذا الطريق حتى لا يقع الحجاج الكرام فى مشاكل معهم فالرجا عدم حرمان الأمير السالف الذكر من المساعدة والإعانة التى توصله الى تلك الغاية المنشودة ".

٩ ذى القعدة سنة ١٣٢٥

(الرســـم ٢٤١)

مكاتيب سمو الخديوى المعظم الرسمية لأمير مكة ووالى الحجاز ومحافظ المدينة المنورة



A copy of the letter of H.H. the Khedive to Amir Mecca.

A copy of the letter of H.H. the Khedive to the Governer of Medina.

حقوق الطبع والتصوير محفوظة باسم اللواء ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصرى فى محرم سنة ١٣٢٦

(الرســـم ٢٦٣)

وقد جاءنى بالمدينة سعد بن حذيفة عم خليل بن حذيفة ومعه أولاده وأقرباؤه وبعض مشايخ القبائل الأخرى وطلبوا إلىّ أن يتعهدوا بسير المحمل من الطريق السلطانى وتقديم الرهائن، فقلت لهم : أخبروا سعادة المحافظ بذلك أولا فأخبروه ثم قابلته فوجدته مصمما على رأيه الأول من أن الأحامدة لا يؤمنون . ثم ورد إلىّ فى يوم الأربعاء رابع صفر (٢٠ أبريل) بطاقة من خليل بن حذيفة بأنه ممانع لمرور المحمل مالم تدفع مرتبات السنين الخوالى .

وقد اخترت بعد الروية العودة من طريق الطريف للأسباب الآتية :

(١) عدم ائتمان الأحامدة وخشيتى أن يزعجوا الحجاج بما يقومون به من المناوشات .

(٢) تكرار صرف المكافآت وغيرها اذا رجعنا من الطريق السلطانى .

(٣) وجود وزير حربية مراكش معنا فان العرب يطمعون فى ماله ويعاكسون ركبنا لينالوا من فيضه .

وقد أقمنا بالمدينة الى يوم الأحد ثامن صفر (٢٤ أبريل) وسافرنا فى مسائه الى ينبع بعد أن أبرقنا الى المعية السنية ونظارة الداخلية بأنا مسافرون الى ينبع صباح الغد وأننا سنكون بمعونة الله بالطور يوم ٢٢ ربيع الأول (٨ مايو) وكذلك أبرقنا الى شركة البواخر الخديوية بالسويس أن ركب المحمل سيسافر من ينبع يوم ١٨ ربيع الأول (٤ مايو) .

السفر من المدينة الى ينبع فالطور فالسويس فالقاهرة

المرحلة الأولى — خرجنا من المدينة فى الساعة العاشرة العربية من يوم الأحد ثامن صفر (٢٤ أبريل) وسرنا على ٣٤٥° الى الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ حيث نزلنا بآبار عثمان وبتنا بها وأخذنا منها كفايتنا من الماء .

المرحلة الثانية — قمنا من آبار عثمان فى الساعة العاشرة من ليلة الاثنين وسرنا على ٣٥٠° الى الساعة ١١ والدقيقة ٣٠، وعلى ٢٧٠° الى الساعة ١٢ والدقيقة ٤٥،

وعلى ٣٤٠° الى الساعة ١، وعلى ٣٢٥° الى الساعة ٣، وعلى ٢٩٥° الى الساعة ٤، وعلى ٢٧٥° الى الساعة ٤ والدقيقة ٣٠، وعلى ٣١٥ الى الساعة ٥ والدقيقة ٣٠، واسترحنا نصف ساعة ثم سرنا على الدرجة نفسها الى الساعة ٨ حيث وصلنا آبار الظعينى وقبل ذلك بساعة مررنا بخيمة بها آلة البرق أو هى مكتب «التلغراف» .

المرحلة الثالثة — سرنا من آبار الظعينى فى الساعة العاشرة من ليلة الثلاثاء على ٣١٥° الى الساعة ١٢، وعلى ٣٤٥° الى الساعة ٢، وعلى ٣٣٥° الى الساعة ٣ والدقيقة ٣٠، وعلى ٣٤٥° الى الساعة ٤ والدقيقة ١٥، واسترحنا ساعة وسرنا على الدرجة نفسها الساعة ٦ والدقيقة ٥٠ حيث وصلنا آبار نصيف وبها مكتب للبرق مبنى بالحجارة والطريق فضاء واسع طول هذه المرحلة ومن الساعة ٣ من مرحلة الأمس .

المرحلتان الرابعة والخامسة — سرنا من آبار نصيف (الملاليح) فى الساعة العاشرة من ليلة الأربعاء على ٣٢٥°، ومن الساعة ١١ والدقيقة ٢٠ وجد بالأرض شجر أثل شامخ كثيف وحفائر للأرانب جعلتها غير مستوية . وفى الساعة ١١ والدقيقة ٤٠ انقطع الأثل وخلفه زمر الحشيش . وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٢٠ عاد شجر الأثل الكبير وبعد ١٠ دقائق تغير الاتجاه الى ٢٧٠° واستوت الأرض وبعد ٢٥ دقيقة تحجرت وكثر بها الحصى الكبير ثم صعدنا على مرتفع ضاق فيه الطريق الى الساعة٢ حيث بدأنا السير فى ميدان قصر عبلة الذى تغير فيه الاتجاه الى ٣٢٨° وأرض الميدان رملية بها قليل الحصى والشجر وحفائر الفيران والأرانب واسترحنا من الساعة ٤ والدقيقة ١٥ الى الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ نهارا وبعد أن سرنا قليلا حاذينا بئرا على اليمين تسمى « بئر البوير » وهى قريبة من جبل قصير مستو ظهره خلفه آخر عال على مقربة من نخل كثير وهذه البئر سعة قطر فمها متر ونصف وعمقها ثمانية وماؤها عذب وتبعد عن نهج الطريق بمسيرة ٢٠ دقيقة . ومن الساعة ١٠ والدقيقة ٤٠ تحجرت الأرض ووجد بها شجر « سنط » متفرق وظهر فى ميمنتنا جبل أحمر بجواره بئر تبعد

عن الطريق مسير ساعتين تقريبا . وفى الساعة ١١ والدقيقة ١٥ حاذينا قلعة الشجوة ويقال : إن بها ساقية بدولاب كانت تدور زمن مرور المحامل بها وتبعد عن الطريق بمسيرة ٦ ساعات لمن يكون قادما من جهة الشام و٣ ساعات لمن يكون قادما من طريقنا والأرض فى هذه الجهة حجرية ولكنها سهلة المسلك ذات مدقات . ومن الساعة ١٢ والدقيقة ٣٠ استوت الأرض . وفى الساعة ٣ انتهى الميدان المتسع الذى كان اتجاهنا فى منتهاه الى ٣٢٠° ثم تغير الاتجاه الى ٢٣٠° ودخلنا فى مضيق جهة اليسار لا يسع إلا قطارين . وفى الساعة ٨ والدقيقة ٢٠ وصلنا الى أرض حجرية قليلا سرنا بها ثلثى ساعة وسرنا ثلثا فى أرض حجرية صعبة انتهت الى أرض حجرية سهلة واسترحنا ٣٥ دقيقة لصلاة صبح الخميس ثم تابعنا السير الى الساعة ١٢ والدقيقة ٥ حيث وقفنا ساعة لسقى الحيوانات ثم سرنا فى أرض صعب مسلكها جدا ، وفى الساعة ٣ دخلنا مضيقا ذا عقبة كثيرة الارتفاع والانخفاض وبالمضيق أشجار خضراء وأخرى جافة كبيرة وانتهينا منه فى الساعة ٤ والدقيقة ٢٠ . ومن الساعة ٤ والدقيقة ٤٠ تغير الاتجاه الى ٢٢٠° ومن الساعة ٥ اتسع الطريق من الميمنة ثم اتسع من الجهتين بعد ثلث ساعة وتغير الاتجاه الى ٢٥٥° وتحجرت الأرض . ومن الساعة ٣ وجد بالطريق أشجار طوّح السيل بكثير منها بخف . وفى الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ من نهار الخميس ١٢ صفر وصلنا بئر العين فوجدنا السيل جرف التراب اليها فأخرجناه وطهرناها مرتين وأخذنا المياه اللازمة فى ٢٤ ساعة و ٣٠ دقيقة .

المرحلتان السادسة والسابعة — قمنا من بئر العين فى نهاية الساعة السابعة من يوم الجمعة ١٣ صفر (٢٩ أبريل) وسرنا على ٢٢٥° فى ميدان متسع حجرى فى أوله مسيرة ١٥ دقيقة وبعد ذلك شجر سنط صغير بعده بنصف ساعة أرض خصبة مسيرة عشر دقائق فأرض رملية جميلة ، ومن الساعة ٩ تغير الاتجاه الى ٢٢٠° وانقطعت الأرض الرملية وصارت حجرية سهلة وكثرت الأشجار فى الجانب الأيمن . وفى الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ تغير الاتجاه الى ١٩٠° ، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ٥٠

نهارا صعدنا مرتفعا فى واد عظيم الاتساع به أشجار كثيرة غير كثيفة وتغير الاتجاه الى ٢٠٠° وبقى كذلك الى الساعة ٥ والدقيقة ٣٠ ليلا حيث تغير الى ١٩٥° ودخلنا فى خور ضيق غير منتظم أرضه حجرية صعبة ذات آرتفاع وآنخفاض وبها أشجار ومجارى سيول، ومن الساعة ١٠ تغير الاتجاه الى ١٥٥° والى ١٨٠° من الساعة ٢ الى الساعة ٤ من نهار السبت ١٤ صفر (٣٠ أبريل) ولم نقف بالطريق إلا ٤٥ دقيقة لصلاة المغرب مع العشاء ونصف ساعة لصلاة الصبح، وقد آسترحنا من الساعة ٤ الى الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ ثم سرنا فى أرض رملية على ١٨٠° الى الساعة ٢ والدقيقة ٣٠ ليلا وعلى ١٦٠° من بعد ذلك، وفى الساعة ٣ والدقيقة ٣٠ مررنا «ببئر حريم الفار» وصارت الأرض حجرية سهلة الى الساعة ٣ والدقيقة ٥٠ ثم صارت رملية سهلة وكثرت بها الأشجار وآتسع الطريق، ومن الساعة ٤ تغير الاتجاه الى ٨٠° ووصلنا « بئر الأشيهب » فى الساعة ٥ ثم مررنا بمضيق به أثل لا يسع إلا قطارين قطارين وقد آجتزنا فى الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ عقبة ومحاجر، وفى الساعة التاسعة تغير الاتجاه الى ٢٢٠° وفى الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ وقفنا لصلاة الصبح ربع ساعة ثم سرنا الى الساعة ١١ والدقيقة ١٥ حيث وصلنا بئر البثنة فى صباح الأحد ١٥ صفر سنة ١٣٢٢ (أوّل مايو سنة ١٩٠٤) .

المرحلة الثامنة من خيف البثنة الى ينبع النخل — قمنا من خيف البثنة فى الساعة السادسة من نهار الأحد وسرنا على ٢٢٠° فى أرض رملية ويقابل هذا الخيف خيف حسين على مسيرة ربع ساعة من الأوّل وبجوار خيف البثنة خيف آخر يسمى اليسيرة، وقد آجتزناهما فى نصف ساعة وتغير الاتجاه من الساعة ٦ والدقيقة ١٥ الى ٢٤٠° وبعد الخيفين بنصف ساعة خيوف حسن وحسين وعلى والفجّة وكلها على اليمين، وعلى اليسار خيفا السويقة وعين على وهما لحرب، وخيف ثالث لجهينة وقد آنتهت خيوف اليسار فى الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ وابتدأت خيوف

على اليمين فى الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ ، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ٤٠ انعطفنا الى اليمين عند مصلى بنى هنالك على الميسرة والأرض حجرية سهلة مسير ٥ دقائق وبعدها أرض زراعية كلها شجر سنط الى ينبع وبعد المنعرج بربع ساعة مررنا بخيف الأشراف وضاق الطريق حتى لم يسع إلا قطارات ثلاث ووصلنا ينبع النخل فى الساعة ١١ والدقيقة ١٥ نهارا ورسمنا مناظرها وعيونها أنظر الرسوم (٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤) .

وترى فى ميسرة الأول منها قِرَب المياه مملوءة وترى فيه ضابطا من كبار الضباط العثمانيين واقفا بإحدى يديه إبريق وبالأخرى كوز ويدعى محمد شكرى وعنده رتبة « بكباشى » وذو العمة والجبة والقَباء الشيخ قاسم وكيل الوزير المنبهى ومعسكر المحمل ظاهر فى سفح الجبل ؛ وفى الرسم الثانى منها الوزير المنبهى على يمينه محدّثه الشيخ شعيب وعلى يساره الشيخ أحمد الجاى فأمير الحج المصرى فمحمد افندى سعودى فعلى بك إسماعيل؛ وفى الرسم الثالث أمير الحج «فالقومندان» فابراهيم بك مصطفى ناظر دار العلوم وعليه مظلة والجالس بجواره الشيخ عودة دليل الحج .

وينبع النخل فيما سلف كانت من المحطات الهامة للحجاج يقيمون بها ثلاثة أيام يريحون فيها أنفسهم ودوابهم من مشاق السفر ويأخذون منها كل ما يحتاجون اذ كانت مملوءة بأصناف الطعام من لحوم وسمن وعسل وتمر ودجاج وأوز وملوخية وباذنجان وليمون وبقل وكانوا يتركون مامعهم من الأمانات عند الثقاة من أهلها حتى يرجعوا اليها بعد الزيارة . وبها مسجد قديم يقال له مسجد العشرة ويطل عليها من الجهة الشرقية جبل رضوى الذى زعمت الكيسانية أن محمد بن على المعروف بابن الحنفية يقيم به وكذبوا فيما زعموا وهى من مآوى الزيدية المنتشرين ببلاد العرب وبيوتها مبنية باللبن ذات طبقة واحدة .

المرحلة التاسعة الى ينبع البحر — قمنا من ينبع النخل فى منتصف الساعة الحادية عشرة من نهار الاثنين ١٦ صفر وسرنا على ٢٤٠° فى طريق رملى سهل به جبال

٢٤٣ الوزير المنبهي بينبع النخل في محرم سنة ١٣٢٢



243. The vizir El Monabihy in Yambo El Nakhl in Moharram in 1322.

صحيفة ١١٢ (*)

٢٤٤ امير الحج والقومندان عندعين ينبع النخل



244. Amir El Heg and his Commandant Ibrahim Bey Mostafa in Yambo El Nakhl.

مسيرة ثلاث ساعات ونصف وباقيه مستو واسع وقد وصلنا ينبع البحر فى منتصف الساعة الثانية عشرة صبح الثلاثاء ١٧ صفر سنة ١٣٢٢ (٣١ مايو سنة ١٩٠٤) وقد وقفنا بالطريق ساعتين استرحنا فيهما وصلينا .

وقد حضر معنا من المدينة حسين باشا مظهر محافظ المدينة سابقا و « القائمقام» نسيم بك « والبكباشى » محمد شكرى بك « قومندان » مدفعية المدينة والأخيران حضرا ليذهبا الى مكة حيث يحاكمان بها من أجل الفتنة التى شرحناها لك .

هذا وقد كانت العودة من طريق الطريف أقل مشقة من الذهاب لأنا كنا فى العودة نسير بالليل على نور القمر ونستريح وقت الظهيرة .

ولا أكتم القارئ ما نالنى من المشقات فإنى كنت محافظة على الركب أمتطى ظهر جوادى خمسا وعشرين ساعة بل ثلاثين متتالية ليس بينها من فترات الراحة إلا قليل وكنت أثناء ذلك ترعى عينى الركب وترعى الطريق وما يكتنفه واليد تقيد ذلك فى الدفاتر التى ننقل عنها تلك الرحلات ، وإننا نحمد الله أن وهبنا قوة وشجاعة مكنتنا مما نبغى والله ذو الفضل العظيم .

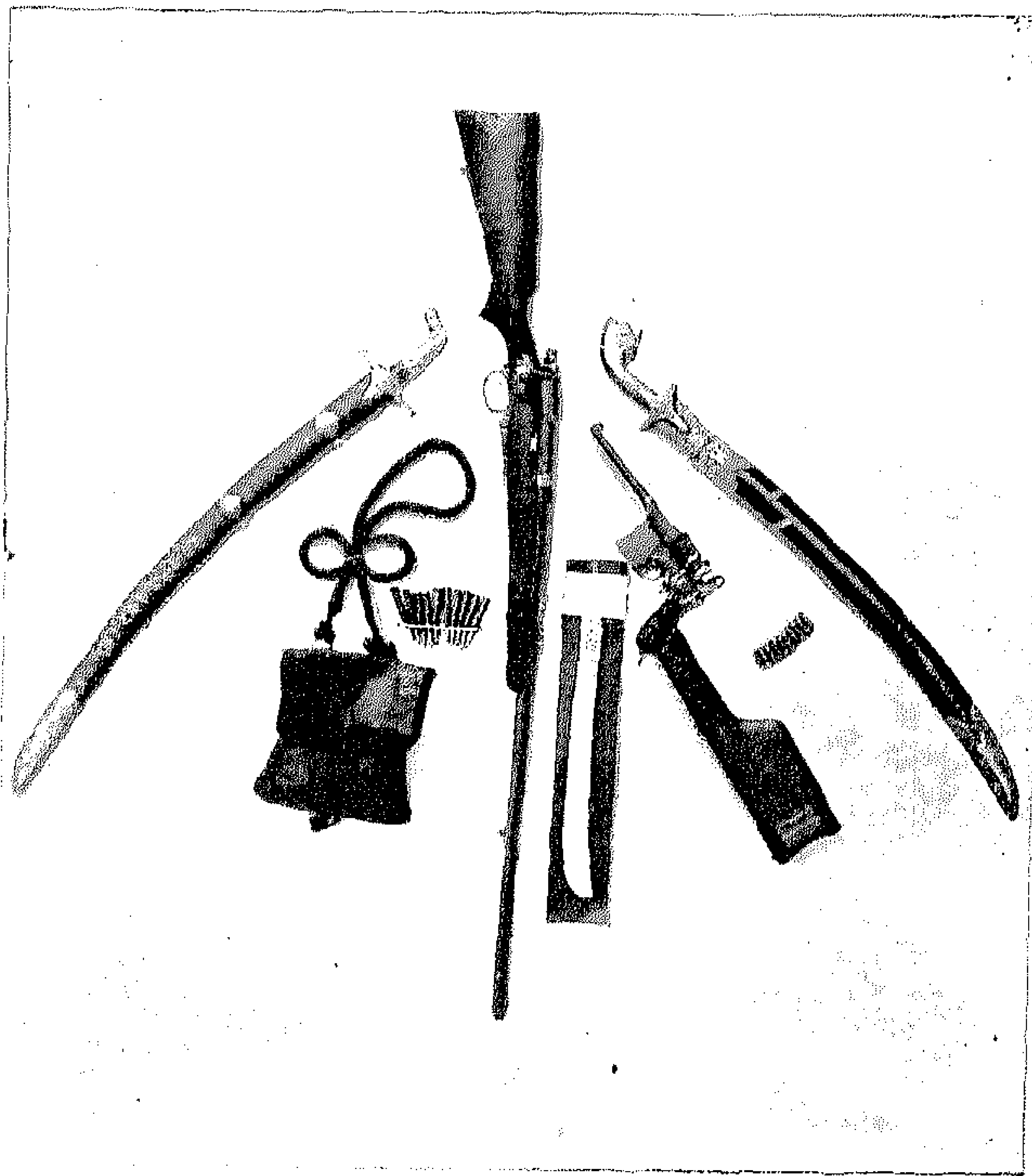
السفر من ينبع الى الطور — سافرنا على باخرة الرحمانية من ينبع فى منتصف الساعة الثامنة من يوم الأربعاء ١٨ صفر (٤ مايو) ووصلنا الطور صبيحة الجمعة ٢٠ صفر فى الساعة ١ والدقيقة ١٥ نهارا بعد مسير ٣١ ساعة و ٤٥ دقيقة وعند حضورنا أبرقنا الى المعية السنية ونظارة الداخلية بالوصول ومكثنا بالطور الى ظهر يوم الثلاثاء ٢٤ صفر ، وقد عوملنا به معاملة حسنة وسرنا حسن النظام فى هذه السنة سرورا دفعنا الى أن نبرق قبل مبارحتنا للطور للمعية والنظارة بالشكر والثناء على مأمور المحجر ومندوب الداخلية وموظفى الإدارة والصحة فأبرقت الينا النظارة بالشكر . وقد أرسلنا برقية الى مصلحة السكة الحديدية لتعد قطارات للمحمل والمرافقين له الذين يبلغ عددهم ٧٠٠

هذا وقد أهدانى الوزير المنبهى ونحن فى الباخرة بين ينبع والطور الهدايا الآتية :

«بندقية موزر (طبنجة موزر) . جراب من الجلد ذو علاقة حريرية توضع به الذخيرة . ساعة فضية أهداها لى بينبع وكان مما قاله لى نجل الوزير السيد عبد الرحمن الذى لم تزد سنه عن تسع سنوات : الباشا هادِى المكحلة — يعنى البندقيــة — حق چدى حرص عليهــا بالزاف — يعنى كثيرا — وكرر الجملة الأخيرة ثلاثا فسرنى ما قال وقبلته فى جبهتــه (انظر ٥ فى الرسم ٢٤٥) وترى هــذه الهدايا ما عدا الساعه فى (الرسم ٢٤٦) الذى ترى فيــه أيضا سيفا على اليمين وسيفا على اليسار . أهــدانى الأول سلطان المكلة والشحر . وأهــدانى الثانى سلطان زنجبار وهو محلى بالذهب الخالص ، والمقلمة التى فى الشكل مصنوعة صنعا جميلا من سنّ الفيل أهدانيها الحاج سيد يحيى صراف بنك بنجال بالهنــد . وإنى آسف أن لم يبق من هذه الهدايا إلا السيفان والمقلمة .

هذا وقد أخذت صورا كثيرة أثناء وجودنا بالمحجر فى الذهاب والإياب فتجد فى (الرسم ٢٤٧) الذى أخذناه بالطور قبل الحج صــورتى وعن يمينى أحمد بك زكى أمين الصرة فمحمد افندى أبو السعود كاتب الصرة الأوّل فالطبيب حسن افندى حسنى فالشيخ يوسف المرجاوى إمام المحمل ، وعن يسارى «القائمقام» على بك إسماعيل رئيس الحرس "فاليوزباشى" موسى افندى شكرى فحسن افندى الشربينى الصراف فطبيب ، وتجد بين علىّ بك إسماعيل وموسى افندى شــكرى "اليوزباشى" بدرخان افندى على ـــ مدير أسيوط الآن ـــ وعن يمينه الملازم الأوّل حسن افندى زكى فالملازم الثانى السيد توفيق فحسن افندى بدوى الكاتب الثانى ، والمضطجعان الملازم الثانى إبراهيم افندى زكى وهبى والملازم الثانى يوسف افندى عفيفى والأول منهما أمام أمير الحج ، وتجد فى (الرسم ٢٤٨) العكامة والضوئية والسقائين والفراشــين وقد أقاموا حفلة بالطور بعد الرجوع ، وتجد رجلا محمولا على الأكتاف له ذقن طويلة مصطنعة

٢٤٦ هدايا السلطان الجبار وسلطان المكلة والشحر والوزير المبتهي لأمير الحج



246, A view of the gifts of the Sultan of Zanzibar & that of El Mekalla & El Shehr, & the Wazir El Mobtahi to the Amir of El Hegg.

حفلة تفريح خدمة المحمل بالطور سنة ١٣٢١



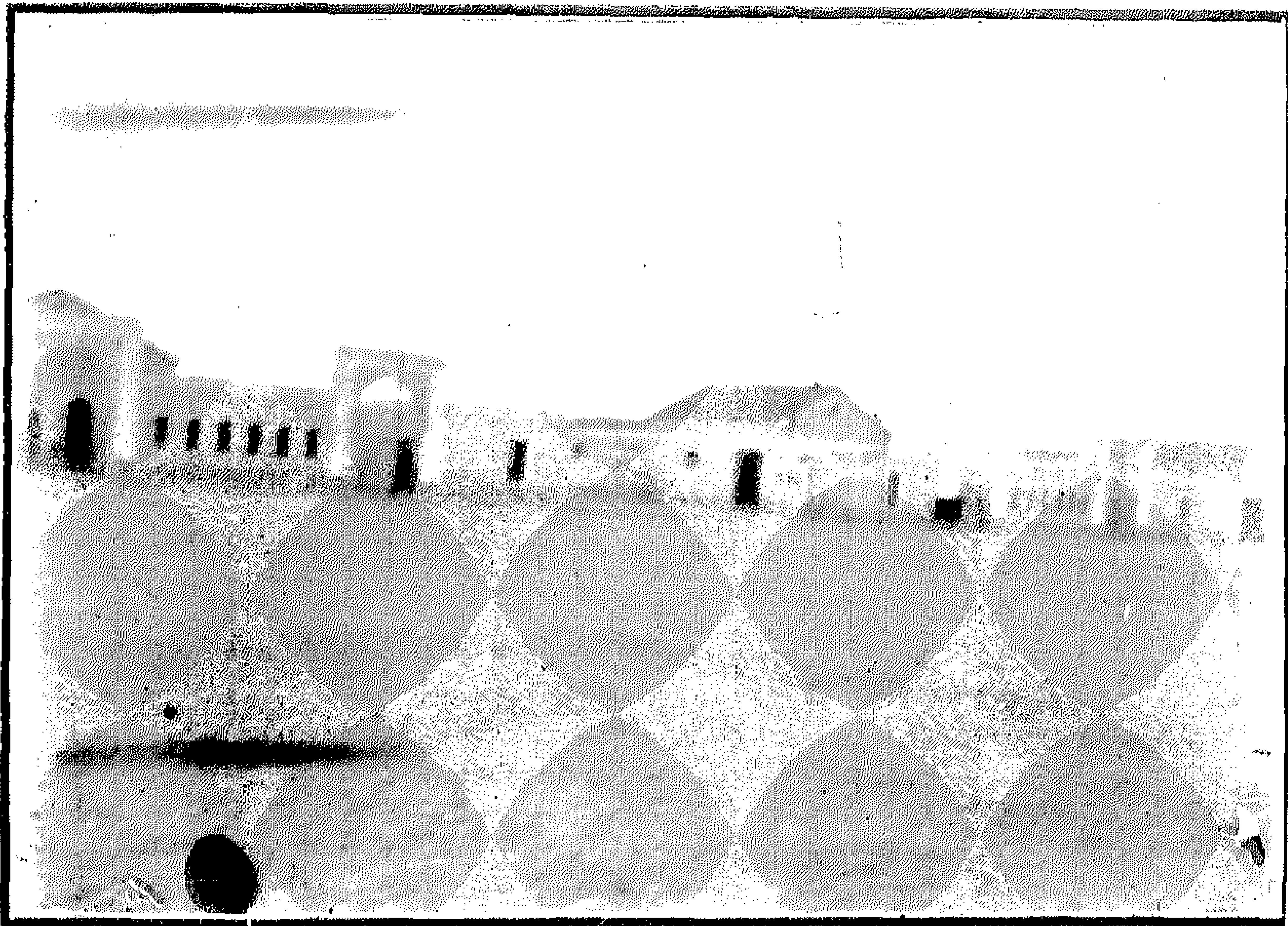
248. The Festival of the servants of the Mahmal in Tor in 1321.

٢٤٧ امير الحج والموظفين بجبل التور سنة ١٣٢١



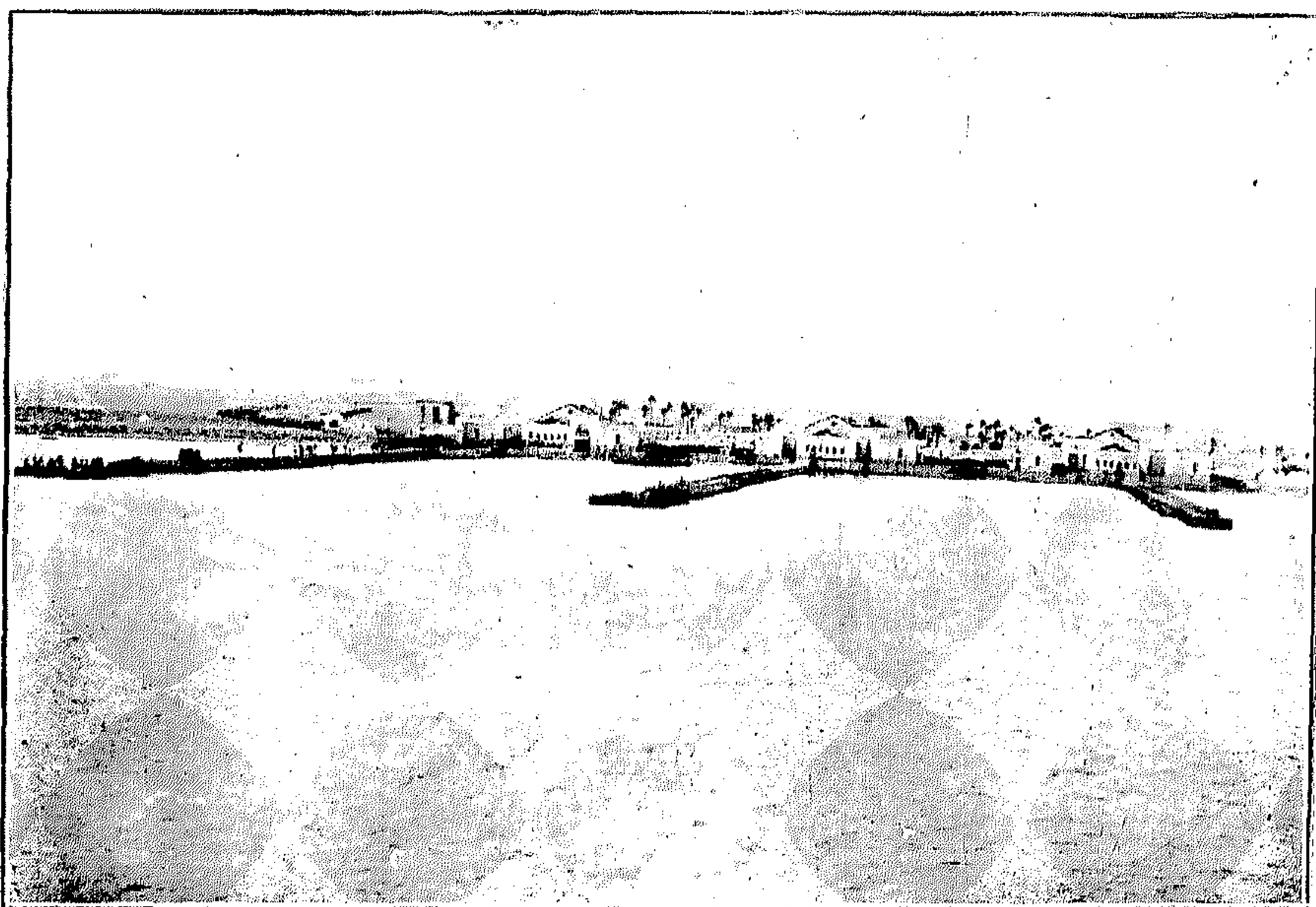
247. Amir El Hegg and the Employees of the Mahmal in Tor in 1321.

٢٤٩ المباخر بالطور سنة ١٣٢١



249. Disinfecting Machines at Tor

٢٥٠ منظر الطور وبه المباخر وثلاثة ارصفه لرسو المراكب سنة ١٣٢١



250. Tor Quarantine with its disinfecting machines & 3 quays

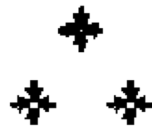
ويلبس عمامة أشبه بعمامة أهل الطرق من فوقها طرطور، وتجد ثلاثة جالسين على الركب يدقون الطبول ومع الجمع رايات ثلاث . وفى (الرسم ٢٤٩) المباخر بالطور . وفى (الرسم ٢٥٠) منظر الطور به المباخر وظاهر بالرسم ثلاثة أرصفة ترسو بجانبها البواخر .

من الطور الى السويس فمصر — سافرنا من الطور على باخرة الرحمانية بعد ظهر الثلاثاء بساعة و ٣٥ دقيقة ووصلنا الى السويس فى منتصف الساعة الخامسة الافرنكية صباح الأربعاء وقمنا منها على القطار البخارى فى الساعة ٣ صباحا بفجر يوم الخميس فوصلنا القاهرة فى الساعة ١١؛ وفى منتصف الساعة التاسعة من يوم السبت ٢٨ صفر (١٤ مايو) بدأ الاحتفال بعودة المحمل بحضور نائب عن الخديو . وفى نهاية الحفلة سلمت زمام المحمل الى النائب .

وقد عدت الى منزلى راكبا جوادى وقد رافقنى ستة من فرسان الشرطة بقيادة «جاويش» وبعد وصولى أعطيت رئيسهم نقودا (بقشيش) لتوزع عليهم والحكومة تعطيهم أيضا جنيهين .

وبعد الاحتفال أبرقت الى سراى رأس التين مستأذنا فى مقابلة الجناب العالى الخديو لتقديم التقرير اليه فأبرق لى رئيس التشريفية بالإذن فى يوم السبت ٤ يونيه وفيه تشرفت بالمثول بين يديه وقدمت لسموه التقرير وبذلك أتممت القيام بما عهد إلىّ ووفيت الواجب حقه من العناية .

وقد التمست مكافأة محمد افندى أبى السعود كاتب الصرة الأول ومحمد افندى على سعوى كاتبها الثانى فكوفئا بالرتبة الرابعة من لدى سمو الخديو السابق .



وبقى علىّ أن أذكر ما عنّ لى من الملاحظات فى هذه الحجة الثالثة إرشادا للسالكين وتمهيدا لما يبغيه المصلحون والله ولىّ التوفيق .

ملاحظات وارشادات ومعلومات

فى حجـــة

ســـنة ١٣٢١ هـ — ١٩٠٤ م

---

(١) زيادة القوّة — إذا كانت الحكومة تريد تنفيذ ما رغبت من السير فى الطريق الذى تقـل نفقته فعليها أن تزيد قوّة حرس المحمل بحيث لا تقـل عن ٤٠٠ جندى من المشاة وتزيد فى الفرسان عشرة وتضيف الى مدفعى كروب، المعتاد أخذهما مدفعى «مكسيم» بمـا يلزمهما من رجال المدفعية . وعلى الجملة لا يصح أن تكون قوّتنا دون قوّة المحمل الشامى الذى أعدّ لحُرّاسه المشاة بغال يركبونها فى الطريق .

(٢) زيادة المكافآت ومبلغ احتياطى الخ — ينبغى أن يوضع مال احتياطى تحت تصرف أمير الحج ينفق منه فيما عساه يطرأ من الحوادث التى تضطره للبذل . وضباط الحرس يقاسون من الشـدائد ألوانا فوق ما يقاسون من الأعمال العسكرية ، ومن أهم ما يقاسون فيه الصعاب تنظيم أخذ المياه من الآبار وتوزيعها بين الحجاج بالقسط فإن الناس إذا ما وصلوا الى بئر أسرعوا اليـه جميعا فيشتدّ الزحام ويتغلب القوىّ على الضعيف وربمـا تشاجروا فالضباط ينظمون حركة الأخذ ولا يمكنون قويا من ضعيف ولا مشاكسا من مسالم، والضابط يعطى ١٥ جنيها مكافأة فى مدّة الحج : أى فى ثلاثة أشهر، وهذه القيمة رتبت فى وقت كانت الأسعار فيه منخفضة ، أما الآن وقد علت الأسعار وكثرت المشاق فمن العدالة أن تزاد هـذه المكافأة زيادة مناسبة بحيث لا تقل عن ثلاثين جنيها فى ثلاثة الشهور وإنها مع ذلك

دون ماينفقه الضابط مدّة السفر . وكذلك ينبغى أن يزاد مرتب العسكرى فى الشهر من ٩٥ قرشا الى ١٢٠ لمثل الأسباب التى أسلفناها وليس هذا بالكثير، فإن العكامة والضوئية يتناول الواحد منهم ١٥٠ قرشا فى الشهر وفرق كبير بين ما يقوم به هؤلاء وما يقوم به أولئك . ويزاد مرتب الإمام جنيها فى كل شهر حتى لا يكون أقل من رؤساء الفراشين والعكامة الخ الذين يتقاضى الواحد منهم فى الشهر ٢٥٠ قرشا، وقد طلبت له هذه الزيادة فى العام الماضى ولا زلت مصرا عليها . ويضاف الى أجر الحمالين بجدّة ثلاثة جنيهات لأنهم يقاسون مشاق عظيمة فى نقل الأمتعة على ظهورهم الى المعسكر الذى يبعد عن الرصيف مسيرة نصف ساعة . وينبغى أن تكون الجمال المخصصة لأمير الحج بين جدّة ومكة ذهابا وإيابا مثل ما كان مخصصا له فى الطريق بين مكة والمدينة لأن أكثر جماله يوزع على الفراشين والعكامين والضوئية والسقائين . وبما أن الحكيمة مخصص لها جمال ثلاثة فمن العدل أن يكون للحكيم الذى هو برتبة "يوزباشى" ثلاثة أيضا بدل اثنين .

مرافقة الحجاج للمحمل وتعيين من يساعدهم لكف الأذى عنهم — لقد علمنا ما حل بالحجاج فى العام الماضى بين جدّة ومكة وبين ينبع والمدينة مما هو ثابت رسميا فدرءا للمخاطر التى تودى بحياة كثير منهم أو تعوقهم عن الرجوع الى وطنهم ينبغى أن تحتم الحكومة على الحجاج مرافقة المحمل ليكونوا فى كنفه فلا يمسوا بأذى وظنى أن الذين لم يعودوا إلى ديارهم فى العام الماضى لا يقلون عن ٢٠٠ شخص، وفى إمكان الحكومة أن تعرف عددهم الحقيقى من قلم الجوازات فلو أن هؤلاء صحبة المحمل ما خسرت مصر واحدا منهم . ثم إذا قررت الحكومة سفر الحجاج مع المحمل ينبغى أن تعين مساعدين لأمير الحج ملكيين أو عسكريين فيتعاضد الجميع على القيام بمصالح الحجاج الكثيرة التى لا يمكن لفرد ما أن ينظر جميعها بنفسه ويسعوا فى توفير الراحة عليهم خصوصا أن الحاج الذى يرافق المحمل يلق حمله على

غيره حتى لو شاكته شوكة طالب أمير الحج بإخراجها [١] ولقد عانيت فى هذا العام من تعب الجسم والفكر ما أتمنى رفعه عن كواهل من يتولى الإمرة فى الأعوام المقبلة .

هذا والمطوّفون يستبدّون بالحجاج ويقسرونهم على دفع ما يفرضون من المكوس أو يحبسون لا يفرّقون فى ذلك بين غنىّ وفقير ورفيع ووضيع ، وليس بمكة من يرفع ظلم هؤلاء أو غيرهم بل إذا كتب أمير الحج الى الشريف أو الوالى رسميا فى رفع هذه المظالم كان جوابهما إنا لا نتـداخل فى أمور الحج وكثيرا ما كان يحضر بالتكية المصرية الحجاج المصريون و يبثون الىّ شكواهم من المطوّفين وأعوان الحكام والدموع تذرف من عيونهم و يقول لى بعضهم : إن لى بوطنى عشرة أفدنة وإنى مستعد أن أهبها لك إذا رجعتنى الى مصر بل الى جدّة سالمـا . فكنت أرثى لحالهم وما كانت تمكننى مشاغلى الجمـة وواجباتى الكثيرة من رفع الكرب عن كل أولئك وأرى دفعا لهذه المظالم بالقـدر المستطاع أن تعين الحكومة مأمورا للحج يكون عمـله تخليص الحجاج من فتك المطوّفين ومنع ما يحيق بهم من الظلم ومساعدتهم بكل ما فيه خيرهم وسعادتهم .

رسوم تضاف للتأمين — يدفع الحجاج الذين يرافقون المحمل رسـوم المحجر وجواز السـفر ضمن التأمين و يدفع كل منهم ٣٢ مليما رسم « كورنتينه » بالسويس ، وعشرة قروش رسمها بجدّة ، وعشرين مليما لجواز السفر بها ؛ ولمـا كان هذا يستنفد كثيرا من وقتنا أرى من الحسن أن تضم الحكومة الى التأمين ٣٥ قرشا تدفع منهـا تلك الرسوم وأجرة القوارب و إخراج الأمتعة منها و إنزالها فيها بجدّة .

الميـاه فى ينبع — الباخرة "ينبع" المعدّة لتكرير المياه بينبع وصلت اليها متأخرة إذ لم تحضر إلا فى ٨ المحرّم سـنة ١٣٢٢ (٢٤ مارس) و ينبغى أن تكون هنالك من

(١) أجابت الحكومة طلبي فعينت معاونا لأمير الحج فى حجة سنة ١٣٢٢ هـ . وهو أحمد افندى فريد "الصاغ" وأضافت الى مالية المحمل ٨٣ جنيها و٧٠٠ مليما منها ٤٥ جنيها مرتبه فى ثلاثة شهور و٣٠ جنيها علاوة سفر و٣ جنيهات مرتب خادم و٥ جنيهات و٧٠٠ مليما بدل عليق واستمر تعيين المعاون الى وقتنا هذا .

أوّل الحجـة حتى إذا ما حضر الحجاج كانت على آستعداد تام؛ ثم إن الصهاريج (الفناطيس) التى كانت تخزن بها المياه قليلة فينبغى أن تزاد الى ٢٠ وأن يعين لتوزيع المياه معاونان وثمـانية ملاحظين وبدون ذلك لا يكون هناك عظيم جدوى من وجود الباخرة المكررة للمـاء لأن قلة العمال والصهاريج توجب شدّة التزاحم على المياه فيضيع الضعيف بين الأقوياء وتتلوث المياه ولولا الضباط والعساكر الذين أنطنا بهم ملاحظة توزيع المياه لاشتدّ التزاحم والتضارب ولم يبلغ شخص غرضه منها .

وقد قدّم الىّ أهالى ينبع فى حجة سـنة ١٣٢٠ هـ . اسـترحاما أتقـدّم به الى إخوانهـم المصريين ليمدّوهم بآلة بخارية دائمة تكرر لهـم المياه وتنقـذهم من مخالب العطش المميت بل تنقذ الحجاج الذين يفدون الى بلدهم من كل حدب؛ وإنا نذكرها لك مع تغيير قليـل فى عبارتهـا دون معانيهـا ومراميها « وذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تنفعُ المؤْمِنين » .

سعادة أمير الحج المصرى

هل تسمحون لأهالى ينبع البحر أن يتقدّموا اليكم باستعطاف لا يرمى الى غرض ما سوى لفت نظركم الى ما فى بلدتنا من قلة المياه وغلو أثمانها الى درجة يكاد الفقير منها يموت عطشا والغنى يصبح فقيرا فإن زق المياه الذى يعادل قربة مصرية بلغ ثمنه فى هذا الوقت ٣٦ قرشا بعملة ينبع أو عشرة قروش مصرية، وليست تقف قيمته عند هذا الحدّ بل يرتفع كلما شاءت أهواء ذوى البرك والصهاريج الذين أغنوا أنفسهم من أموال العالم بل من امتصاص دمائهم وإن ينبع التى هى فرضة المدينة وممرّ الزوّار اليها لا ينقصها إلا المـاء الذى قلل من خطرها وغادرنا فى أشنع حال وإن كثيرا من الحجاج مرّوا بها فى السنين المجدبة ونابهم من الشدّة وغلو الأثمان ما نتحمله نحن الآن والحجاج، وكان ظننا أن يكونوا ألسنة لنا تبث شكوانا الى إخواننا المسلمين المنتشرين

فى أصقاع الأرض علّهم يرثون لحالنا و يساعد بعضهم بعضا فى تخفيف و يلاتنا، ولكن للأسف كذبنا الظن وخاب منا الأمل، ولقد توسمنا فيكم الخير يا سعادة الباشا فرفعنا اليكم شكايتنا راجين قبولها مؤملين إذا رجعتم الى بلادكم تصحبكم السلامة أن تنشروا ذلك بين مواطنيكم أهل الشفقة والخير وأن تستنهضوا هممهم التى نرى فيها سعادتنا المرجوّة وضالتنا المنشودة الله الله يا سعادة الباشا فى أمر كهذا فيه فلاحنا وسعدنا (و إنه لذِكْرٌ لكَ ولقومِكَ) . إنا لا نريد أن تجلب الى بلدتنا عين ماء فإن نفقاتها كثيرة ور بما اعتدت عليها أيدى البدو الأثيمة وإنما نريد آلة بخارية تخرج لنا من بحرنا الأجاج بحرا عذبا وتكون بين ظهرانينا، وإنا فى الختام يرفع كبيرنا وصغيرنا أكف الضراعة الى الحق أن يوفقكم لهذا العمل الخيرى الذى تخدمون به الإسلام والمسلمين أجمل خدمة وتكسبون به الأجر الجزيل ونرجوا الله أن يديمكم كهفا للشاكين وملجأ للباكين آمين م‍‌ ينبع البحر فى ٢ المحرّم سنة ١٣٢١

وقد حادثت محافظ ينبع فى تدبير أمر المياه فأخبرنى بأنه صدرت إرادة سنية بعمل آلة مكررة للمياه الملحة " الكندنسة " تصل الى ينبع بعد خمسة شهور وأخبرت بذلك الولاية والإمارة، وقد مضى على ذلك سنتان ولم تصل " الكندنسة " وقد كررت الكتابة الرسمية والخصوصية فى ذلك فلم تجد شيئا وأن الجنود الشاهانيــة ينفق عليها فى الشهر ثمن مياه ١٥٠٠٠ قرش عثمانى — ولقد كلمت صاحب العطوفة ناظر الداخلية فى مسألة المياه فقرّر إرسال الباخرة "ينبع" الى ثغر "ينبع" لتقيم به نحو ثلاثة شهور فى السنة تمدّ فيها بالمياه المــارّين من الحجاج وأهالى ينبع جميعهم .

طلبات عربان ينبع — قدموا إلىّ فى العام المــاضى جملة طلبات رفعتها الى الحكومة ورجوتها الكشف عنها من مستودع الدفاتر (الدفترخانة) حتى نقف على الحقيقــة ونرتب لهم ما يستحقونه وبذلك نريح أنفسنا من منازعات هؤلاء العربان

وقد بحث فى مستودع الدفاتر على مصدر لهذه الطلبات فلم يعثر على شىء، ولما كان البحث غير رسمى ولم يكن فيه مقنع لأولئك رجوت إعادته رسميا كيلا يكون لهم علينا حجة بعد التنقيب فإن عثر على أن الشيخ حذيفة وأولاده يستحقون أكثر مما يعطون كل سنة أعطوا ما يستحقون وإن لم يعثر خابرت حكومتنا الحكومة العثمانية فى منع حذيفة وأولاده من التعرض للمحمل وأن تأخذ عليه وعلى أمثاله تعهدا بذلك، وأنه لأمر هين عليها لأن دولة الشريف تحت سلطتها وهو الذى عين حذيفة شيخا، وقد كررت نظارة الداخلية كتابتها الى مستودع الدفاتر المصرية (الدفترخانة) بالبحث عما قد يكون للعربان من مرتبات قديمة وكانت الكتابة الأخيرة فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٠٤ فوردت الإفادة الآتية من المستودع الى نظارة الداخلية فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٤ برقم ٤١٩٢ مصحوبة بكشف تأتى خلاصته ونذكر الإفادة لما فيها من المعلومات القيمة :

صورة الإفادة بعد صوغها فى قالب عربى صحيح :

صاحب السعادة وكيل الداخلية

طلبتم فى كتاب منكم مؤرّخ فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٠٤ رقم ٣٣٥٥ البحث عن الحقوق والمرتبات المتأخرة للعربان الذين يعاكسون ركب المحمل فى سيره من طريق ينبع الى المدينة والإفادة بذلك، وقد بحثنا فى دفاتر الصرة الشريفة من عهد ولاية سعيد باشا فوجدنا نطقا ساميا بلّغته نظارةُ المالية "الروزنامجة" فى أمر مؤرّخ فى ١٤ شعبان سنة ١٢٧٧ هـ رقم ٥٣١ وهذا النطق يقتضى سفر المحمل فى هذه السنة من المحروسة الى السويس بالسكة الحديدية، ومن السويس الى جدّة بطريق البحر ومن جدّة الى مكة فالمدينة فينبع بطريق البر، ثم بحرا الى السويس وعلى هذه الخطة سار المحمل فى سنتى ١٢٧٧ و ١٢٧٨ هـ عابرا الطريق السلطانى من المدينة الى ينبع . وفى طالعة سنة ١٢٧٨ هـ عبر الطريق المذكور الى آبار عباس ومنها سار الى

ينبع من طريق الملف. وفى طلعة سنة ١٢٨٠ هـ سلك الطريق السلطانى فى إيابه من مكة للمدينة كما أمر دولة أمير مكة، ومن المدينة عاد الى مصر برا مارا بالقلاع الحجازية ولم يعد بطريق البحر للأمر الذى صدر من سمو الخديو اسماعيل باشا بسير المحمل من طريق البر ابتداء من طلعة سنة ١٢٧٩ هـ وذلك لما كان يلاقيه المحمل من الصعوبات ويتجشمه من النفقات فى سفره بحرا، وهذا الأمر صدر فى آخر رجب ١٢٧٩ هـ رقم ٤٤ تركى، وقد صرف المحمل فى أثناء عبوره الطريق السلطانى نقودا وكساوى وتعيينات لجملة عربان زيادة عما كان مرصدا لبعضهم فى الصرة الشريفة، وهذه الزيادات منها ما صرف فى سنة واحدة فقط، ومنها ما صرف فى بعض السنوات التالية ثم انقطع، ومنها ما استمر صرفه للآن، ولما كانت النظارة تطلب منا بيان ما صرف للعربان فى الطريق من ينبع الى المدينة حررنا لها كشفا بما صرف فى الطريق المذكور فى طلعة سنة ١٢٧٨ هـ بما أننا لم نجد زيادة فى سنة ١٢٧٩ هـ وقد وضعنا إشارات فى الكشف أمام المبالغ التى صرفت مرة واحدة والتى صرفت مرات، وبينا سنواتها الى عام ١٢٩٩ هـ الذى أخذنا الكشف منه، والكشف مرسل لسعادتكم مع كتابنا هذا ١٤ أمين الدفترخانة المصرية

أما الكشف المرفق بالخطاب فيتضمن بيان ماصرف للعربان حال عبور المحمل من الطريق السلطانى وطريق الملف عند العودة من المدينة الى ينبع فى طلعة سنة ١٢٧٨ هـ. ورجعة ١٢٧٩ هـ. وأن ذلك مأخوذ من يوميات الخصم والإضافة ويوميات الصنف بالصرة الشريفة ويتضمن البيان ما يأتى :

٧٥٠٠ قرش أجرة ١٥٠ جاسوسا لكل واحد ٥٠ قرشا والصرف من صرة المحمل كان بإذن من أمير الحج مؤرخ فى ٢٨ المحرم سنة ١٢٧٩ هـ. ومحرر على خطاب من الشيخ حذيفة ابن الشيخ سعد جزا يطلب صرف المبلغ المذكور لهؤلاء، وأمير الحج استصوب الصرف بل رآه ضروريا لما قاموا به من السير حذاء المحمل

على قمم الجبال ليصدّوا من رام الاعتـداء وقد أجازت المـالية فى ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٧٩ هـ . ما استصوبه الأمير وقد أنزل من المبلغ ٢٥٠٠ قرش فرق عملة فكان المدفوع حقيقـة ٥٠٠٠ قرش أو ٣٥٠ ريالا ، وفى طلعة سـنة ١٢٨٠ هـ . كان المدفوع حقيقـة ٦٠٠٠ قرش أو ٣٠٠ ريال ، وكذلك فى سـنة ١٢٨٢ هـ . ٢٠٠٠٠ قرش أو ألف ريال ، صرفت الى الشيخ حذيفة ليوزعها على مشايخ عربان الأحامدة الذين خدموا المحمل ، وذلك بإذن من أمير الحج فى التاريخ السالف محرّر على خطاب من الشيخ حذيفة بطلب ذلك المبلغ بما أنه صرف مثيله فى العام المـاضى لمن خدموا المحمل بل صرف لهم أيضـا خمس كساوى ، وأمير مكة طلب ذلك أيضا فى خطاب مؤرخ فى ذى الحجة سنة ١٢٧٨ هـ . وكذلك طلب الشريف زين العابدين وكيل دولة الأمـير المرافق للمحمل ، فمن أجل كل هـذا صرف المبلغ بعـد أخذ صك بالتسلم ، وقد أجازت المـالية هذا الصرف فى ١٩ ربيع الثـانى سنة ١٢٧٩هـ . ولم يصرف هذا المبلغ من سنة ١٢٧٩ هـ . الى سنة ١٢٩٩ هـ . إلا فى هذه المرّة .

"شال" كشميرى جيد و"كبود" صرفا الى الشيخ حذيفـة نظير مرافقته مع بعض العربان للمحمل من المشهد الى أن وصل بدرا ، وكان السير من بعد آبار عباس من طريق الملف ، وهـذا الصرف بإذن من أمير الحج الى أمين الكساوى مؤرّخ فى ٢٨ المحرّم سـنة ١٢٧٩ هـ . وقد صدّقت المـالية على الصرف فى ٤ ربيع الثانى سنة ١٢٧٩هـ . وقد صرفت هاتان الكسوتان مرة أخرى فى طلعة سنة ١٢٨٠ هـ . ولم تصرفا بعد ذلك لغاية سنة ١٢٩٩ هـ .

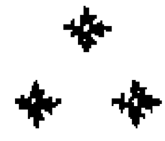
ضرائب أمير مكة (عون الرفيق) باشا على الجمـال وغيرها أو مكوسه ومظالمه — كل جمل يقوم من مكة الى المدينة يأخذ عليـه الشريف الأمير من جنيهين الى ثلاثة يدفعها اليه المتعهد بالجمال (المقوم) وهذا بالضرورة يضيفها الى الأجرة

من أوّل الأمر أو يستعيدها من الحجاج أثناء السير بالطريق بل ربما استعاد أضعافها، فإن لم يدفعوا حبسهم فى الطريق حتى يعطوها له ضيافة كما يزعم ، وقد رأيت بالطريق قافلة صغيرة يقارب عددها ٤٠ شخصا مضى عليها أربعة أيام واقفة فى بئر عباس لا لسبب إلا ابتزاز أموالها ، وقد جاء الينا أحد رجالها عندما سمع مدفع المسير فأقبل نحو الصوت وأطلق رصاصة أمن من بندقيته ثم وضع عليها منديلا أبيض فاستدعيناه فأخبرنا أن المقوّم يطلب كل يوم جنيها من كل حاج واستأذننا فى سفر القافلة معنا فأذنا لهم ورافقونا الى المدينة .

وكل جمل يقوم من جدّة الى مكة له عليه ريال مجيدى وأحيانا ريالان وكذلك كل جمل يقوم من مكة الى عرفات ذاهبا اليها وراجعا منها . ويأخذ على كل جمل يباع نصف جنيه انجليزى وكل رأس من الغنم ربع ريال مجيدى ، فاذا قدّرنا أن الحجاج القادمين من الجهات المختلفة مائة ألف وأنهم يحتاجون الى ٣٠٠٠٠ جمل لحملهم على نوب مختلفة وراعينا الضرائب الأخرى التى ذكرناها كان مايجمعه عون الرفيق كل سنة كما يأتى :

جنيه انكليزى	عـــدد		
٥٠٠٠	٣٠٠٠٠	جمل	الضريبة من جدّة الى مكة على كل جمل ريال مجيدى (الستة تعادل جنيها انجليزيا) .
٥٠٠٠	٣٠٠٠٠	جمل	الضريبة من مكة الى عرفات وبالعكس على الجمل ريال .
٥٠٠٠	٣٠٠٠٠	جمل	الضريبة من مكة الى جدة على الجمل ريال .
٩٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	جمل	الضريبـة من مكة الى المدينة الى ينبع على الجمل ثلاثة جنيهات انجليزية .
١٥٠٠٠	٣٠٠٠٠	جمل	الضريبة على الجمال التى تباع فى مكة موسم الحج على الجمل نصف جنيه .
٤١٦٦,٦٤١	١٠٠٠٠٠	رأس	ضريبـة الغنم التى تباع فى مكة موسم الحج على الرأس ربع ريال مجيدى .
١٢٤١٦٦,٦٤١			نقل بعده

جنيه انكليزى	عـــدد	
١٢٤١٦٦,٦٤١		ما قبله
٤١٦٦,٦٤١	١٠٠٠٠٠ جلد	ثمن جلود الأضاحى باعتبار ثمن الجلد الواحد ربع ريال مجيدى .
٢١٦٦٨	—	ما أخذ من المطوفين ثمنا للمراكز التى باعها الشريف لهم فاختص كل بحجاج المركز الذى شراه .
١٥٠٠٠١,٢٨٣		ما يحصله الشريف عون الرفيق كل سنة من الحجاج ظلما وعدوانا .



ولم يكن للشريف عادة أن يأخذ مكسا على الجمال فى ينبع ولكن لما غير المحمل طريقه وأخذ يسلك الى المدينة طريق ينبع أرسل ثلاثة أشخاص الى ينبع ليجمعوا له المكوس من هنالك وهم :

درويش الهاباش أخو أبى حميدة متعهد المحمل (مقوّمه) . وصالح بن عاتق . وصالح باوزير .

وقد بلغنى أنهم جمعوا للشريف فى سنتنا هذه ٦٠٠٠ جنيه إنجليزى .

نفقات الحج وأجر الجمال — إذا قارنا بين أجر الجمال فى السنين الأخيرة نجد أنها نقصت نقصا عظيما ويرجع معظم ذلك الى تغيير الطريق ، الأمر الذى ترغب فيه الحكومة ، وهاك أجرها فى السنين الأربع الأخيرة :

جنيه انكليزى	
٢١,٥	أجرة الجمل الواحد من جدّة لمكة فعرفات بجدّة فالمدينة فالوجه سنة ١٣١٨
١٦	« « « « « « « « « « سنة ١٣١٩
١١,٥	أجرة الجمل الواحد من جدّة لمكة فعرفات فمكة لجدّة فينبع فالمدينة فينبع سنة ١٣٢٠ هـ .
١٣,١٦٣	أجرة الجمل الواحد من جدّة لمكة فعرفات فمكة لجدّة فينبع فالمدينة فينبع بطريق الطريف سنة ١٣٢١ هـ .

وهاك بيان جميع النفقات التى خصت الحاج الواحد أو الحاجين المشتركين من الذين رافقوا ركب المحمل الشريف طلعة سنة ١٣٢١ رجعة سنة ١٣٢٢ هـ

	حاج واحد سافر بالدرجة الأولى وركب جملا واحدا		حاج واحد سافر بالدرجة الثانية وركب جملا واحدا		حاج واحد سافر بالدرجة الثالثة وركب جملا واحدا		حاجان سافرا بالدرجة الثالثة واشتركا فى الركوب على جمل	
	مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه
أجرة جمل واحد فى جميع المسافات والبيان واضح أدناه	١٦٣	١٣	١٦٣	١٣	١٦٣	١٣	١٦٣	١٣
أجرة الباخرة ذهابا وإيابا	—	١٠	٥٠٠	٧	—	٣	—	٦
رسوم "كورنتينة" بالطور	٣٢٠	—	٣٢٠	—	٣٢٠	—	٦٤٠	—
رسوم "كورنتينة" بجدّة	٨٥	—	٨٥	—	٨٥	—	١٧٠	—
أجرة فلك بجدّة ذهابا وإيابا	١٤٠	—	١٤٠	—	١٤٠	—	٢٨٠	—
أجرة فلك بينبع ذهابا وإيابا	٤٠	—	٤٠	—	٤٠	—	٨٠	—
رسم جواز السفر بجدّة	٢٠	—	٢٠	—	٢٠	—	٤٠	—
أجرة سقائين	٣	—	٣	—	٣	—	٦	—
ماخص الحاج المنفرد أو الحاجين المشتركين	٧٧١	٢٣	٢٧١	٢١	٧٧١	١٦	٣٧٩	٢٠
قيمة التأمين الذى أخذ من الحاج المنفرد والحاجين المشتركين	—	٢٥	—	٢٢	—	١٨	—	٢٤
الذى زاد لكل منهم	٢٢٩	١	٧٢٩	—	٢٢٩	١	٦٢١	٣

بيان أجرة الجمل الواحد فى جميع المسافات :

مليم	جنيه	
٩٥٠	١	من جدّة الى مكة ذهابا .
٩٥٠	١	من مكة الى عرفات ذهابا وإيابا الى مكة .
٩٥٠	١	من مكة الى جدّة إيابا .
٣١٠	٧	من ينبع البحر الى المدينة ذهابا وإيابا الى ينبع البحر .
١٦٠	١٣	

أثمان المأكولات وأسعار العملة بالطور

فى سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م)

ترى الأثمان والأسعار فى الجدولين الآتيين مبينة باللغتين العربية والتركية كما جاء فى المنشورات الرسمية لمجلس الصحة البحرية .

مجلس الصحة البحرية والكورنتينات المصرية

صحة بحرية وكورنتينات مصرية مجلسى

ملیم	تعريفة العملة	ملیم	عمله تك تعريفه سيدر
	(عملة ذهب)		(التون پاره لر تعريفه سی)
١٠٠٠	الجنيه المصرى	١٠٠٠	التون مصر ليراسى
٩٧٥	« الانكليزى	٩٧٥	« انكليز ليراسى
٨٧٧	« المجيدى	٨٧٧	« عثمانلى «
٧٧٠	القطعة من الذهب التى قيمتها عشرون فرنكا موسكو (١)	٧٧٠	« بكرمى فرنك قيمتى اولان موسكوف التون قطعه سى
٧٧٠	البينتو	٧٧٠	التون فرنسيس ليراسى
٣٨٥	نصف البينتو	٣٨٥	« يارم فرنسيس ليراسى
١٩٢	ربع البينتو	١٩٢	« چاريك فرنسيس ليراسى
٤٥٠	مجر	٤٥٠	« مجر التونى
١٠٠	الروبيه الموسكو †	١٠٠	« موسكوف روبيه سى †
	(عملة فضة)		(كموش پاره لر تعريفه سى)
٢٠٠	الريال المصرى	٢٠٠	مصر ريالى
١٠٠	نصف الريال المصرى	١٠٠	« يارم ريال
٥٠	ربع « «	٥٠	« چاريك ريال
٢٠	قطعة ذات غرشين صاغ	٢٠	« ايكى غروشلك
١٠	« غرش واحد صاغ	١٠	« بر غروشلك
٥	« ٥/١٠ من القرش الصاغ	٥	مصر بر قطعه نيكل يارم غروشلك
٢	« ٢/١٠ «	٢	« « سكز پاره صاغ
١	« ١/١٠ «	١	« « دورت پاره صاغ
١٨٥	ريال ذو ٥ فرنكات (٢)	١٨٥	فرنسيس ريالى
١٠٠	« بمدفع (٣)	١٠٠	اسبانيول «
١٦٠	« مجيدى	١٦٠	بياض مجيديه
٩٥	« أبو طاقة (٤)	٩٥	نمسا ريالى
٩٥	الروبيه الموسكو †	٩٥	موسكوف روبيه سى †
٤٠	البريزة †	٤٠	باريزه †
٣٥	الفرنك †	٣٥	فرنك †

† النقود التى أمامها هذه العلامة لا تقبل فى دفع الرسوم. (١) فى الرسوم تحسب بسعر ٧٦٠ مليما.
(٢) فى الرسوم قيمته ١٨٧ مليما (٣) فى الرسوم قيمته ٩٠ مليما (٤) فى الرسوم قيمته ٩٠ مليما

مجلس الصحة البحرية والكورنتينات المصرية

تسعيرة ثمن المأكولات بكورنتينة الطور سنة ١٩٠٤

الأصناف	عدد	أقة	رطل	عملة مصرية		
				مليم	قرش	بارة
لحمة بقرى	—	١	—	٨٢	١٦	٢٠
لحمة ضانى	—	١	—	١٠٠	٢٠	—
عيش نمرة ١	—	١	—	٢٥	٥	—
عيش نمرة ٢	—	١	—	٢٢	٤	٢٠
مسلى ضانى	—	١	—	١٥٠	٣٠	—
سكر أبيض	—	١	—	٣٨	٧	٢٠
بن يمنى مسحوق	—	١	—	١٧٥	٣٥	—
زيتون عال مواس كبير	—	١	—	٤٥	٩	—
أرز مصرى عال	—	١	—	٢٩	٥	٣٠
أرز هندى	—	١	—	١٩	٣	٣٠
جبنه رومى	—	١	—	٩٨	١٩	٢٠
جبنه بيضه	—	١	—	٧٥	١٥	—
عدس مصرى	—	١	—	٢٠	٤	—
جمع عال بالواحدة	١	—	—	٨	١	٢٠
بصل أحمر ناشف	—	١	—	١٠	٢	—
صابون نابولسى	—	١	—	٦٥	١٣	—
عسل أسود	—	١	—	٢٥	٥	—
« أبيض	—	١	—	٦٠	١٢	—
طحينه بلدى	—	١	—	٥٥	١١	—
بطاطس	—	١	—	١٨	٣	٢٠
بندق	—	١	—	٤٠	٨	—
جوز	—	١	—	٤٠	٨	—
زبيب	—	١	—	٢٥	٥	—
تين علبى	—	١	—	٢٥	٥	—
زيت طيب	—	١	—	١٠٠	٢٠	—
سيرج	—	١	—	٤٥	٩	—
خل	—	١	—	١٥	٣	—

(تابع) تسعيرة ثمن المأكولات بكورنتينة الطور سنة ١٩٠٤

الأصناف	عدد	أقة	رطل	عملة مصرية ملیم	قرش	باره
سردين بالعلبة	١	—	—	١٨	٣	٢٠
حطب ناشف	—	١	—	٥	١	—
فحم حطب	—	١	—	١٠	٢	—
كمثرى بالواحدة	١	—	—	٤	—	٣٠
بلح ناشف	—	١	—	٤٠	٨	—
دخان إسلامبولى	—	١	—	٥٢٥	١٠٥	—
قهوة بالفنجال	١	—	—	٥	١	—
شاى بالكباية	١	—	—	٥	١	—
شيشة	١	—	—	٥	١	—
بطيخ بالرطل	—	—	١	٥	١	—
سفرجل كبير	١	—	—	٥	١	—
« وسط	١	—	—	٤	—	٣٠
« دون	١	—	—	٣	—	٢٠
حلاوة سكرية	—	١	—	٥٨	١١	٢٠
بن أخضر	—	١	—	١٦٢	٣٢	٢٠
دخان عال بالأوقية	١	—	—	٢٠	٤	—
ملح بالكيلو	١	—	—	٨	١	٢٠
فول صعيدى بالربع	١	—	—	٥٣	١٠	٢٠
« صعيدى مجروش بالربع	١	—	—	٣٨	٧	٢٠
فاصولية افرنكى	—	١	—	٣٠	٦	—
« بلدى	—	١	—	٢٣	٤	٢٠
فراخ	١	—	—	٧٥	١٥	—
بيض كل أربعة	٤	—	—	١٥	٣	—
ليمون أضاليا	١	—	—	٥	١	—

	باره	قرش	
(تنبيـه) الجنيه المجيدى من الذهب يساوى	٤	١٧٥	عملة عثمانية
الريال المجيدى من الفضة يساوى	٠٠	٣٢	« «

[انظر الى تعريفة العملة العمومية]

صحه بحریه وکورنتینات مصریه مجلسی

طور کورنتینه ده ماکولآت تسعیره سی سنة ١٩٠٤

أصناف	عدد	أقة	رطل	عملة اسلامبولیة: ملیم	قرش	باره
آت بقری أقه	—	١	—	٨٢	١٠	٢٥
آت ضانی أقه	—	١	—	١٠٠	١٣	٢٠
اکمك برنجی درجه	—	١	—	٢٥	٣	٢٠
اکمك ایکنجی درجه	—	١	—	٢٢	٢	٢٥
قیون یاغی	—	١	—	١٥٠	٢٠	—
بیاض شکر	—	١	—	٣٨	٥	—
دویلهش یمن قهوه سی	—	١	—	١٧٥	٢٣	٢٠
أبی قواص بیوك زیتون	—	١	—	٤٥	٦	—
مصری برنجی أعلاه	—	١	—	٢٩	٤	—
هند برنجی	—	١	—	١٩	٢	٢٠
قشار پینیری	—	١	—	٩٨	١٣	—
صاله موره بیاض پینیری	—	١	—	٧٥	١٠	—
مصر مرجماکی	—	١	—	٢٠	٢	٣٠
موم عال	١	—	—	٨	١	—
قوروصاغان	—	١	—	١٠	١	٢٠
نابلس صابونی	—	١	—	٦٥	٨	٣٠
سیاه بال بالأقه	—	١	—	٢٥	٣	٢٠
ایری بالی	—	١	—	٦٠	٨	—
سوسامدن جیقان طحین	—	١	—	٥٥	٧	١٠
بطاطس	—	١	—	١٨	٢	١٥
فندق	—	١	—	٤٠	٥	٢٠
جوز	—	١	—	٤٠	٥	٢٠
قورو لزوم	—	٢	—	٢٥	٣	٢٠
قوطو انجیری	—	١	—	٢٥	٣	٢٠
أبی زیتون یاغی	—	١	—	١٠٠	١٣	٢٠
سمسم یاغی	—	١	—	٤٥	٦	—
سرکه	—	١	—	١٥	٢	—

(تابع) طورکورنتینه ده ماکولآت تسعیره سی سنة ١٩٠٤

أصناف	عدد	أقه	رطل	عملة اسلامبولية ملسيم	قرش	پاره
سردالیا بالغیٔ	١	—	—	١٨	٢	١٠
قوروأودون	—	١	—	٥	—	٢٠
كوراودنی	—	١	—	١٠	١	٢٠
ارمود	١	—	—	٤	—	٢٠
قورو خورمه	—	١	—	٤٠	٥	٢٠
استامبول تونونی	—	١	—	٥٢٥	٧٠	—
قهوه فلجالی	١	—	—	٥	—	٣٠
بربداق چای	١	—	—	٥	—	٣٠
برنارجیله	١	—	—	٥	—	٣٠
قرپوز	—	—	١	٥	—	٣٠
بیوك ایو	١	—	—	٥	—	٣٠
اورطه ایو	١	—	—	٤	—	٢٠
اوفق ایو	١	—	—	٣	—	١٥
طحین استامبول حلوه سی	—	١	—	٥٨	٧	٢٥
جیك یمن قهوه سی	—	١	—	١٦٣	٢١	٣٥
اوقیه ایله اعلا توتون	١	—	—	٢٠	٢	٣٠
طورکیلوتسی	١	—	—	٨	١	—
صعید بقله سی	١	—	—	٥٣	٧	—
قبراق بقله سی	١	—	—	٣٨	٥	—
فرنج فاصولیه سی	—	١	—	٣٠	٤	—
بلدی فاصولیه سی	—	١	—	٢٣	٣	—
طاوق	١	—	—	٧٥	١٠	—
یمورطه	٤	—	—	١٥	٢	—
اضالیه لیمونی	١	—	—	٥	٣٠	—

	پاره	قرش	
(تنبیــــه) ابرالتون مجـیدی ایدر	٤	١٧٥	عمـــلة عثمانیــه
ابر بیاض مجیدی ایدر	٠٠	٣٢	« «

[عموميه تعریفه سنه بق]

تعارف الحجاج

﴿ يا أيها الناسُ إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لتعارفوا ﴾

من أكبر مزايا الحج تعارف المسلمين بعضهم ببعض مع اختلاف الأقطار وتنائي الديار فالجاوى يعرف المراكشي والروسي يتآلف مع الزنجباري والهندى يقترب من المصرى والمغربي وهكذا باقى الأمم الاسلامية الأخرى فى مشارق الأرض ومغاربها ويتجمع منها الكثير فى صعيد واحد حيث الوقوف بعرفات وهناك ترى أجناسا شتى ولغات متباينة وسحنا مختلفة وأخلاقا متغايرة وطبائع متفاوتة وأزياء متلونة ولكن يجمع الكل كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فانها جمعت بين قلوبهم ووثقت روابط المحبة بينهم بالرغم من تلك المفارقات ﴿ لو أنفقتَ ما فى الأرض جميعاً ما ألّفتَ بينَ قلوبِهمْ ولكنّ اللهَ ألّفَ بينهمْ إنّهُ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ .

وقد عقدت الصلة بكثيرين من كبار المسلمين فى حجاتى الأربع وكاتبونى وكاتبتهم بل أخذت صور كثير منهم ولولا خشية الإطالة لقدمت اليك معرضا من كتاباتهم المختلفة وعباراتهم المتغايرة التى سرنى فى جميعها بدؤها بالبسملة أسوة بالنبى صلى الله عليه وسلم فى كتبه الى الملوك والأمراء وغيرهم وإنا نكتفى بذكر أسماء من ارتبطنا معهم برباط الصحبة فى حجتى ١٣٢٠ و ١٣٢١ هـ .

فى حجة سنة ١٣٢٠

(١) سلطان زنجبار السيد على بن حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان وصورته كما فى (الرسم ٢٠٥) .

(٢) محمد بن عبد الوهاب باشا تاجر لؤلؤ بدارين بالبحرين وقد أرسل لى كتابا من بومباى مؤرخا فى ١٢ صفر سنة ١٣٢١ هـ . وكانت يده فياضة بالمال على الفقراء خصوصا أوقات الصلوات الخمس وكان يشترى فى الطريق الأغنام ويوزع لحومها ناضجة على المعوزين وكذلك كان يشترى التمر والبطيخ ويوزعه على ذوى الفاقة وأهدى

ركب المحمل جملة أغنام وقد حضر الى السويس قبل سفره وأهدى أشياء ثمينة لموظفى السويس وموظفى الباخرة التى أقلته وقد أهدانى خاتما ذهبيا يشبه فصه الزمرد .

(٣) الشيخ صالح بن ابراهيم من كبار تجار اللؤلؤ بالبصرة ومن المحسنين وقد كاتبنى من البصرة بتاريخ ٥ رجب سنة ١٣٢٢ هـ .

(٤) الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبد العزيز الابراهيمى من بومباى "سورت" وصورته كما فى (الرسم ٢٥١) .

(٥) إمام الجمعة وظهير الاسلام ببلاد العجم السيد زين العابدين صهر المرحوم السلطان ناصر الدين وولده الحاج سيد جواد صهر سلطان العجم الحالى مظفر سلطان شاه وقد أرسل الىّ الوالد حينما كنت بالطور كتابين عملت طابعا — اكلشيها — لأحدهما . انظر (الرسم ٢٥٢) .

(٦) الحاج سيد يحيى صراف "بنك بنجول مولمن برما" بالهند وقد كتب الىّ خطابا باللغة الإنجليزية مؤرخا فى ١٣ يناير سنة ١٩٠٥ وقد أرسل لى صورتين إحداهما بلباس إفرنجى والأخرى بلباس هندى انظر (الرسم ٢٥٥) وهذا الرجل طيب الأخلاق كثير الاحسان . وقد أهدى الى بعد وصوله إلى بلده مقلمة من سن الفيل بديعة الصنع تراها فى ضمن (الرسم ٢٤٦) .

فى حجة سنة ١٣٢١

(١) الشيخ عبد الله بن محمد التركى ابن البسام بمكة المكرمة انظره فى يسار (الرسم ٢٥٠) .

(٢) الشيخ سليمان بن عبد الله البسام وكيل أمير نجد بجدّة كاتبنى فى ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٢١ انظره فى يمين (الرسم ١٤) صحيفة ٢٠ جزء أول .

(٣) الأمير الشيخ يوسف آل إبراهيم بمكة المكرمة .

٢٥١ الأمير عبد الرحمن آل ابراهيم



حقوق الطبع والتمثيل محفوظة باسم [illegible] في محرم سنة ١٣٢٦

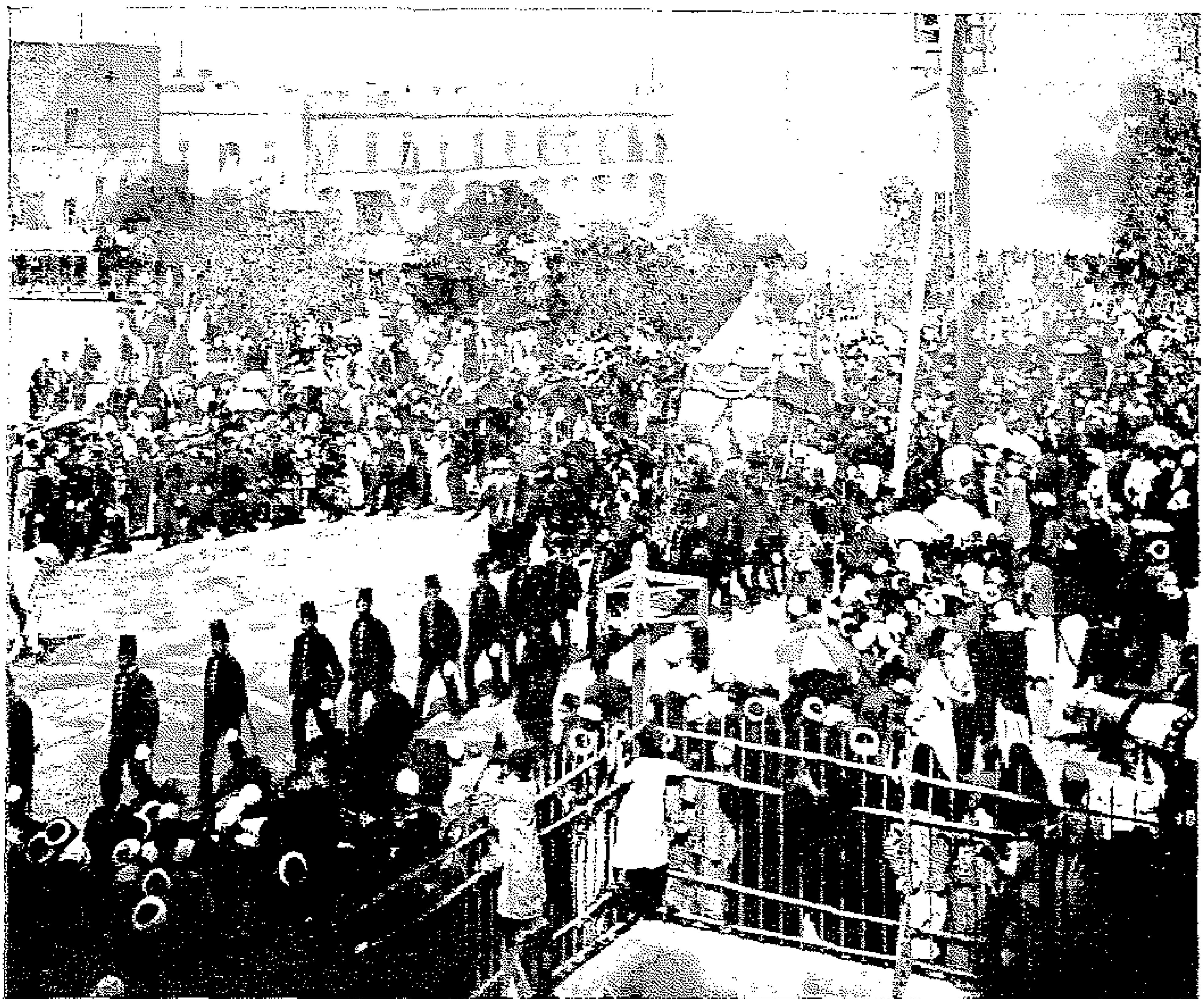
251. A photo of El Amir Abd El Rahman Al Ibrahim.

٢٥٥ الحاج سيد يحيى



255. Al Hag Sayed Yehya the cashier of the Bengal Bank at Molmen.

٢٥٧ حفلة توديع المحمل بميدان القلعه بمصر



257. A view of the reception of Mahmal to Amir Hegg of Egypt.

(٤) الشيخ محمود على زاهد من تجار جدّة .

(٥) الشيخ حمود بن سبهان ابن وزير مالية نجد كتب الينا بمكة لتناول العشاء معه فى ١٩ ذى الحجة سنة ١٣٢١ ﻫ . ولبّيت دعوته .

A letter from Imám-el-Goma.

شوكتلو ابرهيم باشا افندى

سلام يهدى الى جناب الاجل الاكرم الافخم وفقه الله من فضله العميم الى صراطه المستقيم
وبعد فاننا كنا كثير اشتياقنا الى ملاقاتكم والتفقد عن سلامة حالكم وظننا انكم وصلتم
الى مصر قبل خلاصنا من مضيق الحصر وتوقعنا قدوم البريد فابطأ عنا عشرا ويزيد
الى ان اثير سحاب الرحمة الى مضيق كنا فيه باشد زحمة فنجينا من القرية الظالم اهلها
لا سقاها الله بغيثها فنحمد الله على السلامة وما على المصاب من ملامة الى ان وصلنا
الطور ولاحت لنا الدور لها طلل موحش والدال عنها مستوحش ورأينا المراكب
واقفة والركاب بها عاكفة ومركبكم من بينها معطلة فتفقدنا وقوفكم فى المحل
بعد ان كان ذلك محتمل فاردنا ملاقاتكم والمعرفة بسلامة حالاتكم فعرضنا المقصود
الى الدليل فقال هيهات ليس الى ماهويته من سبيل الى ان خرج من شح و
بقى من سمح سألت القبطان عن امكان المراسلة فقال هذا لا بدون المواصلة
فكتبت كتابى هذا وشرحت فيه من الوقايع نبذا ونسأل الله التوفيق وحسن العاقبة لنا
ولكم واخبرونا عن سلامة حالكم وبلغوا سلامنا الى من بحضرتكم سيما الافندية الكملا د
وابن الصرح والسلام عليكم سنة ١٣٢١ جمعه ١٠ صفر امام الجمعه



(الرســـم ٢٥٢)

(٦) الشيخ سبهان بن على أمير الحج بإمارة نجد انظره فى (الرسم ٢٥٣) وعلى يمين أمير الحج المصرى فى (الرسم ٢٥٤) .

(٧) الشيخ العالم عبد الله بن مرعى إمام الأمير عبد العزيز بن الرشيد أمير نجد تجده على يسار الأمير فى الرسم السالف .

(٨) الأمير زكريا بك "قائمقام ياور" جلالة مولانا السلطان عبد الحميد وقد طلب منى صورة الاحتفال بتلاوة الفرمان الشاهانى فى منى يوم العيد .

(٩) الشيخ على بن هاشم شيخ الجاوة بمكة المكرمة وقد أهدانى "حزاما هنديا" .

(١٠) الشيخ أحمد عبد اللطيف لنجاوى من تجار جدّة .

(١١) عيسى روحى افندى المعلم الأول بمكتب الرشدية وقد سكنّا فى منزله بمكة سنة ١٣٢١ هـ .

(١٢) الحاج إبراهيم بن أحمد الزبيدى التاجر "بكلمبو" وهو من الأتقياء الصالحين وقد كاتبنى وكاتبته مرارا وقد زارنى أولاده وأقرباؤه مرتين بمصر حينما كانوا مسافرين لتأدية فريضة الحج فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٢٠ ، وهم ولديه محمد اسماعيل ابن ابراهيم ومحمد صالح بن اسماعيل ومحمد أمين بن عثمان مركار ومحمد خالد بن كلندا مركار وأهدانى فى المرة الأولى صندوقا ملئ بالأنناس وصندوقا ملئ بمربة الزنجبيل من بستانه وفى الثانية أهدانى خاتما ذهبيا ذا فص جميل وتراهم فى (الرسم ٣٣٣) .

(١٣) السيد المهدى المنبهى بن العربى وزير حربية مراكش كاتبنى مرات من ضمنها مكاتبة من "طنجة" مؤرخة فى ١٥ رمضان سنة ١٣٢٢ وأهدانى رسمه ورسم نجله انظر الرسمين (٢٣٢ و ٢٤٥) .

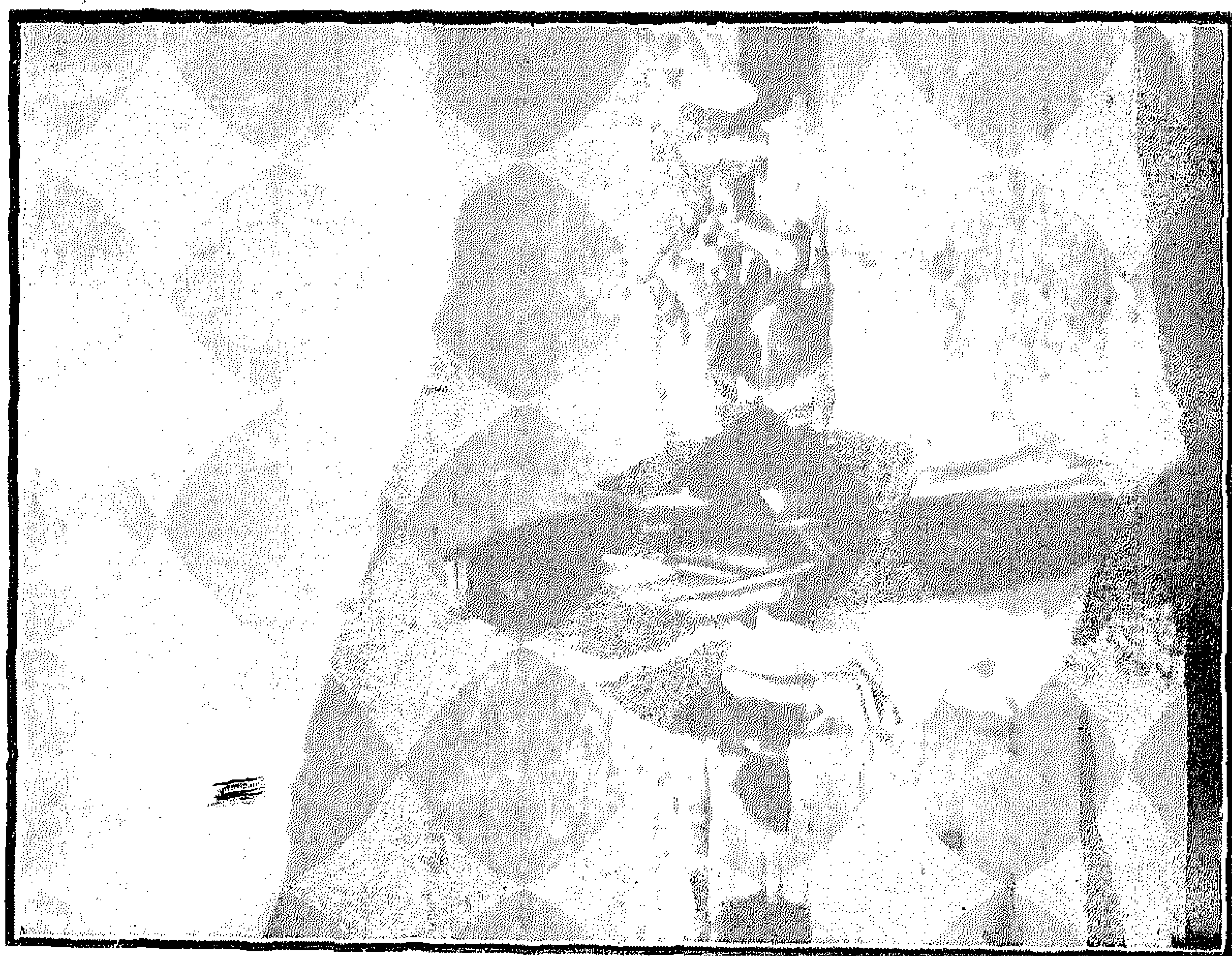
(١٤) السيد عبد الرحمن نجل الوزير المنبهى .

(١٥) « أحمد الجاى وكيل « « انظر فى (الرسم ٢٤٣) .

(١٦) الشيخ شعيب المغربى العالم الفاضل انظر فى (الرسم ٢٤٣) .

صحيفة ١٣٦ (*)

٢٥٣ امير حج نجـــد



253. Emir of Hag at Nagd (Sibhan)

صحيفة ١٣٦ (*)

٢٥٤ امير حج نجد وامير الحج المصري سنة ١٣٢١ وآخرين



254. A view of Amir Hag of Nagd, and Amir Hag of Egypt, others at Mecca in 1321.

(١٧) الشيخ قاسم وكيل الوزير المنبهى ورسمه ضمن (الرسم ٢٤٨) .

(١٨) اللواء عثمان نورى باشا أمير الصرة الهمايونية وهو بوظيفة أركان حرب .

ومع أن الحج وحده كاف فى التآلف والتعارف فإنا لم نغفل الهدايا التى تزرع فى القلوب المحبة والمودة كما لم يغفلها كثير من الأصحاب وكان مما أهديته فى كل حجة الهدايا الآتيـــة :

المهـــدى له	ماء نيـل قارورة كبيرة (جدانة)	أرز رشيدى بالزمبيل «الفرد»	ســـكر «وابورى»	خبيرى مســكوفى طلبه الشريف بالـــبرق
لشريف مكة(١)	١	٢	٢ قنطار	٦ علب
لوالى الحجاز	١	١	١ «	—
للشيبى أمين المفتاح	١	١	١ قنطار	—
لمحسن بك وعبد الله بك	١	—	—	—
لنائب الوالى بجدّة	١	١	—	—
لمحافظ المدينة	١	١	١ قنطار	—
لعمار زاوية الفاسى بمكة	—	١	١ قنطار	—
	٦	٧	٦ قناطير	٦

وقد قدّمنا كثيرا ممـا أهديناه وما أهدى الينا فلا داعى لإعادته .

(١) من عادة أمير مكة المكرمة أن يهدى لأمير الحج ٦ قطع قماش ألاجه وارد الشام الواحدة تكفى جبه با كمام ضيقه كلبوس أهل الحرمين .

جدول خط السير من مصر الى الحجاز ثم الى مصر سنة ١٣٢١ — ١٣٢٢هـ (١٩٠٤ م)

من	الى	التاريخ	مدة السير دقيقة	مدة السير ساعة	المياه	معلومات عامة
القاهرة	السويس	١٩ القعدة سنة ١٣٢١ ٦ فبراير سنة ١٩٠٤	١٥	٧	ماء النيل .	السير بالسكة الحديدية المصرية .
السويس	جدة	٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ ذى القعدة سنة ١٣٢١	٤٥	٦٧	«	« بباخرة الرحمانية .
جدة	بحرة	٢٨ ذى القعدة	٤٥	٨	مياه الآبار .	تقدم وصف الطريق فى جدول سنة ١٣١٨ هـ .
بحرة	مكة	٢٩ «	—	٩	«	كان فى الركب بين جدة ومكة ما يزيد على ٥٠٠٠ جمل .
مكة	منى	٨ ذى الحجة	٣٥	٢		
منى	مزدلفة	«	٥	١		
مزدلفة	علمى الحرم	«	—	١		
علمى الحرم	علمى عرفة	«	٢٠	—		
علمى عرفة	جبل الرحمة	«	٢٠	—		
من عرفة	مزدلفة	ليلة ١٠ ذى الحجة	٤٠	١	مجرى عين زبيدة .	الطريق وصف فى حجة سنة ١٣١٨ هـ .
مزدلفة	منى	يوم ١٠ «	٥	١		
منى	المسجد الحرام	«	١٠	٢		
المسجد الحرام	منى	يوم ١١ «	١٠	٢		
منى	مكة	يوم ١٢ ذى الحجة	٣٥	٢		
مكة	جدة	٢٥ و ٢٦ «	—	—	مياه الآبار .	الطريق وصف فى حجة سنة ١٣١٨ هـ .
جدة	ينبع	١ و ٢ المحرم سنة ١٣٢٢	—	٢٣	ماء النيل .	السير بالباخرة .
ينبع	جدة	٨ و ٩ «	—	—	«	السير بالباخرة وسافرت مع إبراهيم بك مصطفى لمخابرة حكومتنا والشريف والوالى
جدة	ينبع البحر	١٢ و ١٣ «	—	—	«	فى شأن تعرض عربان ينبع لنا .
ينبع البحر	ينبع النخل	١٧ «	—	١٢	بعد مسيرة ٩ ساعات بئر وبينبع النخل عيون كثيرة .	الطريق أولا فى فضاء ثم بين جبال و بينبع النخيل .

ينبع النخل	خيف البثنة	١٨ المحرم سنة ١٣٢١ ٥ ابريل سنة ١٩٠٤	—	٦	بخيف البثنة عين كعين وادى الليمون التى وصفناها فى الطريق الشرق فى حجة ١٣١٨ هـ	بالطريق خيفان ثم السويقة مسكن عربان الأحامدة ثم خندق ثم مضيق ثم أشجار سنط وسلم ثم مرتفع حجرى تشبه رءوسه رءوس ألواح الزجاج .
البثنة	أم هشيم	١٩ المحرم سنة ١٣٢٢	—	١٣	بالطريق آبار ثلاث بئر الأفيحرة والأشهب وخريم المدفع .	بالطريق غابتان من الأثل والسنط ثم مضيق قصير لا يسع إلا قطارا ثم عقبة قصيرة كذلك ثم شجر المرخ ثم خور زراعى ثم عقبة صعبة .
أم هشيم	بئر العين	٢٠ «	—	١٨	بالطريق بئر المنجور والمربضة وبئر العين حلوة الماء كثيرة .	الطريق فى أوله صعب ضيق ثم اتسع .
بئر العين	المقرح أو الشجوة	٢٢ «	٥	١٤	لا ماء .	كان الطريق ضيقا ثم اتسع ويرى منه قصر عبلة .
المقرح	آبار ناصيف	٢٣ «	١٥	١٢	آبار ناصيف أو الملاليح ماؤها متقبل .	الطريق واسع تحجر بعد ثم سهل وكثر به شجر الأثل فى وادى الحمض وفوق الجبال اليسرى قلعة الشجوة وفى آبار ناصيف مكتب للبرق .
آبار ناصيف	المندسة	٢٤ «	—	٩	بالمندسة بئران .	الطريق واسع به أشجار عالية ومزارع وجحور أرانب .
المندسة	المدينة	٢٥ «	٣٠	١١	بالطريق بئر رومة وهى عذبة الماء .	الطريق كثير التعريجات .
المدينة	آبار عثمان أو بئر رومة	٨ صفر	٢٠	١		
آبار عثمان	آبار الطعينى	٩ «	٢٠	٩	المياه تقدمت .	« «
آبار الطعينى	آبار ناصيف	١٠ «	٥٠	٧	«	« «
آبار ناصيف	بئر العين	١١و١٢ «	٤٠	٢٥	«	تخلل هذه المسافة ٦ ساعات و ٥٠ دقيقة راحة .
بئر العين	خيف البثنة	١٣و١٤ «	١٥	٣١	«	تخلل هذه المسافة ٩ ساعات راحة .
خيف البثنة	ينبع النخل	١٥ «	١٥	٥	«	الطريق كله خيوف .
ينبع النخل	ينبع البحر	١٦ «	—	١١	«	« «
ينبع البحر	الطور	١٨و١٩ «	٤٥	٣١	ماء النيل .	السير بباخرة الرحمانية .
الطور	السويس	٢٤ «	٥٥	١٤	«	« «
السويس	القاهرة	٢٦ «	—	٨	«	السير بالقطار البخارى .

جدول عن الطريق الفرعى من مكة المكرمة للمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام

بيان أسماء البلاد والمحطات التى مر عليها ركب المحمل الشريف فى طلعة سنة ١٣٢٤ هـ . رجعة سنة ١٣٢٥ ومقدار مسافات السفر والإقامة ووصف الطريق من السهولة والصعوبة حرره محمد بن سعد بناء على طلب سعادة اللواء إبراهيم باشا رفعت حفظه الله آمين .

أسماء البلاد	مدة الإقامة		مدة السفر		وصول				قيام				ملحوظات
	دقيقة	ساعة	دقيقة	ساعة	دقيقة	ساعة	أيام	تواريخ	دقيقة	ساعة	أيام	تواريخ	
								سنة				سنة	
مكة المكرمة	٣٠ يوما		—	—	—	١٠	الاثنين	٢٩ القعدة ١٣٢٤	—	٤	الاثنين	٢٨ الحجة ١٣٢٤	أرض سهلة جدا بعد المدرج القريب من المعلاه .
وادى فاطمة	—	١٤	—	٦	—	١٠	«	٢٨ الحجة ١٣٢٤	—	١٢	الثلاثاء	٢٩ منه	« وبها بئر ماؤها عذب .
«	٣٠	١٣	٣٠	١٠	٣٠	١٠	الثلاثاء	٢٩ منه	—	١٢	الأربعاء	٣٠ «	« (غير محطة)
عسفان ...	—	١٧	—	٧	—	٧	الأربعاء	٣٠ «	—	١٢	الخميس	غرة المحرم ١٣٢٥	« وبها بئر التفلة عذبة جدا .
وادى خليص	—	١٤	—	١٠	—	١٠	الخميس	غرة المحرم ١٣٢٥	—	١٢	الجمعة	٢ منه	« « ماؤها عذب .
القضيمه ...	—	١٤	—	١٠	—	١٠	الجمعة	٢ منه	—	١٢	السبت	٣ «	« وبعضها به أحجار وبها بئر ماؤها غير عذب .
« ...	—	١٢	—	١٢	—	١٢	السبت	٣ «	—	١٢	الأحد	٤ «	« « « (غير محطة)
رابغ	—	٢١	—	٣	—	٣	الأحد	٤ «	—	١٢	الاثنين	٥ «	« « « وبها بئر ماؤها يميل للمرارة وبعد المحطة مضيق لا يمر منه الا جمل واحد وهو منحدر والحجاج تمر منه على أقدامهم نساء ورجالا وبينها وبين البحر المالح عشر دقائق تقريبا .
رابغ	—	١٥	—	٩	—	٩	الاثنين	٥ «	—	١٢	الثلاثاء	٦ «	(غير محطة)
بير رضوان	—	١٤	—	١٠	—	١٠	الثلاثاء	٦ «	—	١٢	الأربعاء	٧ «	أرض صعبة جدا بها احجار « ظلط » مثل الذى يرمى بشوارع مصر ويمر عليه « الوابور » وأكبر منه يؤلم الجمال والمشاة وبها بئر وحصل مطر شديد .
أبو ضباع	٣٠	١٦	٣٠	١١	—	١١	الأربعاء	٧ «	—	٤	الخميس	٨ «	مثل المرحلة التى قبلها تماما والجبال مرتفعة من الجانبين وحصل بها مطر وأتى السيل من الجبال وبها بئر .

الريان ...	٣٠	١٥	٣٠	٩	٣٠	١ ل	ليلة الجمعة	٩ المحرم ١٣٢٥	—	٣	الجمعة	٩ المحرم ١٣٢٥	أرض سهلة نوعا وبها نخيل تحت الجبال من الجانبين وبها بئر ماؤها عذب .
« ...	—	١٣	—	٨	—	١١	الجمعة	«	—	١٢	السبت	١٠ منه	أرض سهلة نوعا وبها نخيل تحت الجبال من الجانبين . (غير محطة)
بئر العضم ...	—	١٣	—	١١	—	١١	السبت	١٠ منه	—	١٢	الأحد	١١ «	أرض سهلة وبها بئر عذبة .
بئر الماشى	—	١٣	—	١١	—	١١	الأحد	١١ «	—	١٢	الاثنين	١٢ «	أرض سهلة وبها بئر عذبة وعظيمة جدا وصليت بجوارها العصر أنا محمد بن سعد الكاتب بالدفترخانة مأموما لحضرة الشيخ مرسى على طبل شيخ المالكية بالمسجد الأحمدى .
المدينة المنورة	٨ أيام		—	٩	—	٩	الاثنين	١٢ «	٣٠	٥	الثلاثاء	٢٠ «	—

من المدينة الى جدّه

المدينة المنورة	٨ أيام		—	—	—	٩	الاثنين	١٢ المحرم ١٣٢٥	٣٠	٥	الثلاثاء	٢٠ المحرم ١٣٢٥	—
أبار على ...	—	١٤	٣٠	٤	—	١٠	الثلاثاء	٢٠ منه	—	١٢	الأربعاء	٢١ «	مر الركب على بئر الماشى ولم ينزل بها وكان السير شديدا جدا .
« ...	—	١٣	—	١١	—	١١	الاربعاء	٢١ «	—	١٢	الخميس	٢٢ «	
« ...	—	١١	—	١٢	—	١٢	الخميس	٢٢ «	—	١١	ليلة الجمعة	٢٣ «	« « العضم « « « « غير محطة لم يوجد بها ماء .
الريان ...	—	١٣	—	١٢	—	١١	الجمعة	٢٣ «	—	١٢	السبت	٢٤ «	
أبو ضباع	—	١٣	—	١١	—	١١	السبت	٢٤ «	—	١٢	الأحد	٢٥ «	
«	—	١٣	—	١١	—	١١	الأحد	٢٥ «	—	١٢	الاثنين	٢٦ «	مر الركب على بئر رضوان ولم ينزل بها وكان السير شديدا جدا غير محطة ولم يوجد بها ماء وكان الركب فى غاية الظمأ .
رابغ	٣٠	٣٦	٣٠	١١	٣٠	١١	الاثنين	٢٦ «	—	١٢	الأربعاء	٢٨ «	أقام الركب بها يوم الثلاثاء ٢٧ المحرم سنة ١٣٢٥ هـ وكان السير شديدا جدا موجود بها حبحب أى بطيخ كثير جدا بأثمان رخيصة .
القضيمة ...	٣٠	١٠	٣٠	١٣	٣٠	١	ليلة الخميس	٢٩ «	٣٠	١٢	الخميس	٢٩ «	
دهبان ...	—	١٢	—	١٢	٣٠	—	ليلة الجمعة	غرة صفر ١٣٢٥	٣٠	١٢	الجمعة	غرة صفر ١٣٢٥	بها بئر ماؤها مالح وبدله الحبحب وكان السير شديدا جدا بها حبحب أى بطيخ كثير جدا بأثمان رخيصة .
جـدة ...	٤ أيام		—	١٢	٣٠	—	ليلة السبت	٢ منه	—	٨	الثلاثاء	٥ منه	—

تحرر هذا الجدول بقلم الفقير محمد بن سعد بالدفترخانة المصرية فى يوم الجمعة ٥ يوليه سنة ١٩٠٧ م .

طريق الغاير(١) وما احتوى عليـه

هذا الطريق هو رابع الطرق بين مكة والمدينـة كما جاء فى كتاب مرآة جزيرة العرب الذى ألفـه بالتركية اللواء البحرى أيوب صبرى باشا العثمانى . وإن مسافته خمسة أيام من رابغ للمدينة، وإن جبل الغاير فيـه مرتفع جدا ويتعسر الطلوع اليه والنزول منه بالشقادف و«التختروانات» والجمـال المحملة . وهذه المتاعب والمشاق لا توجد فى طريق غيره ، وإن الجمـالة إذا علموا أن قليلا من قطاع الطرق بهذا الجبل أبوا أن يعبروه خوفا على أنفسهم من الهلاك بسبب صعوبة المرتقى، وإنه إن زلق شخص أو دابة فقد سقط فى الهاوية لأنه لا حاجز يمنع الخطر، وإن هذا الطريق أقرب الى المدينـة من الطريق السلطانى والفرعى ، وإن أكثر الناس عبورا لهـذا الطريق الخيالة والهجانة والمشاة من أهل المدينة لقربه .

وإن نبينا عليـه الصلاة والسلام لـما هاجر من مكة الى المدينـة مرّ من هذا الطريق وإن مراحله كالآتى :

من مكة الى رابغ كالآتى فى رحلة سنة ١٣٢٥ هـ .

من رابغ الى «بئر مُبيرِك» ١٢ ساعة وبهذه المرحلة بئر كبيرة ماؤها قليل الملوحة .

من بئر مبيرك الى «رَصْفة» ١٢ ساعة وبهذه المرحلة حفر ماء عميقة عذبة يشرب منهـا .

من رصفة الى جبل الغاير ٦ ساعات وبهذه المرحلة ماء جار دائم عذب جدا، وإن مسافة طلوع هـذا الجبل ثلاث ساعات ويقطع سطحه من الجهة الشرقيـة فى نصف ساعة وفيه بئر تسمى « رصد » .

(١) هذا الطريق عبره المحمل المصرى فى سنة ١٣١٦ هـ (١٨٨٩ م) وقد تركوا «التختروانات» لعدم إمكان مرورها فى الصعود والهبوط تخلصا من عربان الطريق الشرقى الذين ناوءوهم فى ذهابهم الى المدينة فسلكوا هذا الطريق فى قفولهم تخلصا من شر العربان .

من جبل الغاير الى بئر المـاشى ١٢ ساعة، وهذه المسافة تبتدئ من مبدأ سطح جبل الغاير الى بئر المـاشى ومن هنا يوجد طريق يوصل الى الطريق الشرقى .

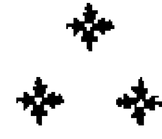
من بئر المـاشى الى المدينـة المنورة ٨ ساعات، وفى هـذه المسافة آبار كثيرة ماؤها عذب .

النداء على الحجاج بموعد السفر

عند ما يعين أمير الحج موعد الســفر من محطة الى أخرى ينادى ضوئى الأمير على الركب بمـا يأتى (معاشر جميـع الحجاج حكم ما أمر أمير حج سلمه الله التحميل الساعة ٩ مثلا على أول مدفع والانجرارة على ثانى مدفع وكل منـه وعقبه ياحجاج والذى يطلع من عقبه يســتاهل ما يجرى عليـه ويكرر هذا النداء مرارا بحسب كبر وصغر الركب . وان كان البيات على غير ماء يضاف على النـداء السابق (بكره مفازه وكل واحد يأخذ ماء يومين ياحجاج) : وفى المرحلة الأخيرة الموصـلة للمدينة المنوّرة يزيد الضوئى على ندائه : عشّاق جمال النبي أكثروا من الصلاة عليه .

بدعة قـــد أزيلت

من المعتاد عند قدوم المحمل الشريف من الحج أن يرسل جمل فى موكب من الناس الى مقام الشيخ سعيد الموجود ضريحه بالسبتية وكان الغرض من إرساله توزيع لحمه على الفقراء وشيخ الضريح والمحاملى وشيخ السادة السعدية وجمّال المحمل وكان الناس بدل أن ينتظروا نحره ليوزع عليهم لحمه يقطعونه بالمدى وهو حى فكان يحصل من ذلك خطر شديد قد يؤدى الى نتائج سيئة خصوصا ما كان يحصل من قصابى الحسينية ولمـا بلغ سموّ الخديو هذه البدعة المستهجنة استحسن أن يرسل بدل الجمل ثمنه وقدره ٥ جنيهات و ٥٠٠ مليم ليوزع عليهم حتى لا يبقى لهذه البدعة أثر واستمر الأمر على ذلك الى الآن .



والى هنا تمت بفضل الله الرحلة الثـالثة وبقيت علينا الرحلة الرابعـة الختامية فنستمد من الله العون على إتمـامها إنه بالاجابة جدير وإنه نعم المولى ونعم النصير .

تم إعدادها للطبع فى يوم الثلاثاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٤٢ هـ (٢٢ يوليه سنة ١٩٢٤م).

فى عهد حضرة صاحب الجلالة "فؤاد الأوّل" ملك مصر فى رمضان سنة ١٣٤٣هـ.

الرحلة الرابعة

فى حجـــة

ســـنة ١٣٢٥ - ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك ونشكر لك صنعك الجميل ونعمك المترادفة ونطلب اليك الهداية للطريق الأقوم حتى نصــل الى غايتنا وندرك أمنيتنا ونصلى على نبيك وصفيك محمد ابن عبد الله ونسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم وآختط نهجهم «وبعد» فإنا نقدّم لك بين يدى الرحلة الرابعة تمهيدا نبين فيه ما يتقدّم سفر المحمل من الأعمال التى ذكرنا كثيرا منها فى مفتتح الرحل السابقــة وأردنا أن نجمعه عاما مرتبا فى أول هــذه الرحلة الختامية ثم نشرع بعد ذلك فى تدوينها كما فعلنا فى سابقاتها والله يهدى الى سواء السبيل .

تمهيـــــــد

(١) تعيين أمير الحج — يعين أمير الحج الآن (١٣٤٢ هـ) بمرسوم ملكى يصدره حضرة صاحب الجلالة ملك مصر — ويبلغه الديوان الملكى العالى لوزارة الداخلية وهذه تبلغه الى وزارة المـالية والى من عين أميرا للحج وفى حجاتنا كان يعين بإرادة سنية تنشر فى الوقائع الرسمية المصرية . والعادة أن يعين لإمرة الحج من عنده رتبة « لواء » إن كان من رجال الجندية ومن عنده رتبـة « مير ميران » إن كان من رجال الملكية وقد يعين من عنـده رتبة أعلى من ذلك فإن عين من عنده دون الرتبتين السالفتين أنعم عليه برتبة «الباشا» كما وقع لى ولسعادة محمود حسنى باشا . وكانت الإرادة السنية تصدر فى الأكثر فى شعبان أو رمضان .

(٢) تعيين أمين الصرّة — يعـين أمين الصرة بإرادة سنية كأمير الحج وربما عينا معا فى إرادة واحدة كما حصـل فى سـنة ١٣٢١ هـ . وينتخب ممن يحوزون الرتبة الثانية ويبلغه الإرادة ناظر الداخلية .

(٣) تعيين « قومندان » حرس المحمل — تقـدّم نظارة الحربية للمعية السنية قائمة فيها أسماء من عنـدهم رتبة « قائمقام » عسكرى ممن يرجى فيـه حسن القيام برآسة عسكر المحمل والخديو ينتخب من هذه القائمة من يرغب فيدرج آسمه فى جريدة الأوامر العسكرية بمعرفة نظارة الحربية .

(٤) تعيين بقية الموظفين — يعين العسكريين ناظر الحربية ويعين الملكيين والخدم السائرين ناظر المـالية .

(٥) شكر الأمير والأمين للخديو — بعد أن تصدر الإرادة السنية بتعيينهما يلتمسان من المعية السنية تحديد موعد لمقابلة الجناب العالى فتبلغهما موعدا يذهبان فيـه الى سموه ويشكران له هـذه المنة فيلقى عليهما نصائح قيمة ويوصيهما بمواساة الحجاج ومعاملتهم بالحسنى .

(٦) زيارة الأمير والأمين لناظرى الداخلية والمالية — ثم يزور الأمير والأمين ناظرى الداخلية والمالية ويتعرّفان بهما إن لم تكن معرفة سابقة ويتلقيان منهما إرشادات تسهل لهما القيام بما عهد اليهما وكذلك يقابلان المستشارين الداخلى والمالى — لا مستشار داخلى الآن — ومدير الحسابات لما لهم من العلاقة بالناظرين .

(٧) تعليمات للأمير والأمين — وقت ما ترسل نظارة الداخلية الى نظارة المالية إشعارا بتعيين أمير الحج وأمين الصرة ترسل هذه الى كل منهما خطابا مرفقا به نسخة فيها واجبات كلٍّ وكشف بعدد الموظفين والخدم السائرين وما لهم من مرتبات ومكافآت وبعدد الخيام والجمال وسائر الأدوات ، فيعرف كلّ منهما واجبه ويعلم من دونه بمرتبه ومكافأته ويأخذ من الموظفين مكاتبات بقبولهم ما رتب لهم حتى لا يكون لهم حق بعدُ فى طلب زيادات . وإن الناس ليتهافتون على وظائف المحمل وحق لهم ذلك فإنهم يمكنون من أداء ركن من أركان دينهم يشهدون فيه منافع لهم ويتعارفون بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ويتعلمون فيه مكافحة الصعاب والصبر على مفارقة النعيم الليالى والشهور وإنهم لينفقون فى سبيل ذلك نفقات كثيرة أضعاف ما يعطون وكان يدور بخلدهم أن يقتصدوا مما أخذوا أو لا يغرموا شيئا ولكن بدا لهم ما لم يحتسبوا فيطلب كثير منهم بعد العودة تعويض ما أنفق فالحكومة تكلفنا بأخذ إقرار منهم بالرضا بما فرض لهم حتى تكون فى حل من رفض طلباتهم إذا ما عادوا فطلبوا ما أنفقوا . وقد تعطيهم الحكومة ما تكلفوا من النفقات فى أعمال أخرى إذا وصى أمير الحج بذلك فى تقريره — وسنذكر فى ذيل هذا التمهيد نموذجا من التعليمات التى كانت ترد الينا .

(٨) أخذ الأمير والأمين بعض المكافأة قبل السفر — يقدّم كل من الأمير والأمين طلبا لمدير الحسابات العامة بصرف بعض ما لهما من المكافأة

لقضاء ما يلزمهما مدّة السفر فيصرف للأمير من خزينة المالية من ١٠٠ جنيه الى ١٥٠ دفعة أو دفعتين و يصرف للأمين حوالى ٥٠ جنيها .

(٩) كاتب الأمير ومساعده وكاتبا الصرة وصرافها — يعين لأمير الحج كاتب يقوم بأعمال الإمارة وأعمال القسم العسكرى و يعين له مساعد برتبة «صاغ» وكان تعيينه بناء على طلبى ذلك فى سنة ١٣٢٢ ه . و ينتخب كاتب الصرة الأوّل من إدارة الخزينة بالمالية والكاتب الثانى يعين من أى المصالح شاء ناظر المالية والعدالة تقضى بأن ينتخب أوّل من قدّموا طلبات كتابية الى نظارة المالية ولكن الرجاء يتكاثر على الناظر حتى يقسر على آختيار من كبر رجاؤه أو عظم جاهه . أما صراف الصرة فيعين من بين الراغبين بعد أن يقدّم ضامنا له ضمان إحضار وغرم فيما يتسلمه من نقود الصرة والأمانات التى معها ولا بد من تصديق كبير الصيارفة بالمالية على صك الضمان .

(١٠) الأطباء والصيدليون والممرّضون — يرافق المحمل سنويا طبيب وصيدلى تعينهما الحربية للقسم العسكرى و يرافقه أيضا طبيب وطبيبتان ينتخبون من مصلحة الصحة و يقومون بمراعاة الحجاج المرافقين للمحمل ولم يكن ذلك إلا من سنة ١٣٢١ ه . أما قبل ذلك فلم يكن يرافق المحمل إلا طبيب القسم العسكرى وصيدلية وطبيبة من مصلحة الصحة ومعهم صيدلية تامة من مصلحة الصحة تصرف منها الأدوية للحجاج ومرضى الفقراء بمكة والمدينة و بعض الأدوية اللازمة من نظارة الحربية . وفى سنة ١٣١٩ ه رأى سعادة أمير الحج المصرى اللواء محمد زهرى باشا أنه لا حاجة الى الصيدلية الملكية ولا الى بعض الخدم السائرين فكانت الحكومة عند ما رأى . مع أن فى ذلك الضرر فإنه حينما كنا بمكة فى سنة ١٣٢٠ ه أصيب الضابط حسن افندى طاهر بضربة شمس فعالجه الطبيب الماهر عبدالحليم حلمى افندى رئيس مستشفى بنى سويف وكان من الحجاج فى ركبنا فشفى على يده وكان طبيب المحمل وقتئذ غادرنا الى داخل البلد ليستريح وكان عليه قبل المغادرة أن

يتحقق من صحة من فى المعسكر ولكنه فضل راحته وآستصحب الصيدلى فلما طلب عبد الحليم افندى الأدوية لم نجد الصيدلى فاضطررنا الى فتح الصناديق وإخراج جميع ما بها حتى عثرنا على الدواء المطلوب ما عدا « حراقة » لم نجدها بالصيدلية العسكرية طلبها الطبيب فاشتريناها من مكة بريال مجيدى أى بستة عشر قرشا وربع ولو طلب منا أكثر لدفعنا لأن الشيء عند الحاجة اليه رخيص مهما علا ثمنه، فلو أن الضابط المذكور مرض بالطريق فمن أين نأتى له بالحراقة؟ أما كانت حياته وقتئذ مهددة بالخطر؟ وما هددها إلا فقد «حراقة» لا تساوى بمصر أكثر من قرشين! فالصيدلية الملكية من ألزم الأشياء لركب المحمل ولكن زهرى باشا آقترح ذلك آقتصادا للمالية الأمر الذى ترغب فيه ولأنه بلغه أن «البكباشى» محمد افندى الحسنى الصيدلى يبيع الأدوية من الصيدلية الملكية مع أنى سافرت مع هذا الضابط النزيه أربع سنوات ولم أر أو أسمع عنه خائنة كما سمع زهرى باشا بل تحققت من أنه كان يستحضر معه أدوية من ماله الخاص ويوزعها على فقراء الحرمين بالمجان . وفى سنة ١٣٢١ هـ خرجت معه ابنته طبيبة للسيدات المرافقات للمحمل فكانت تعطى لمرضاهن أدوية شرتها من ماله الخاص فشخص ورّث بناته خلق الرحمة بالمرضى ولوكان فى ذلك غرامة مالية أيظن به ذلك الظن ؟ على أن ثمن الصيدلية الملكية وأجرة حملها ومرتب الممرّضين بها لا يتجاوز مائتى جنيه فلماذا لا ننقذ من مخالب الموت نفوسا كثيرة بهذا المبلغ الزهيد لهذا طلبت من نظارة المالية إعادة الصيدلية الملكية وبمساعدة سعادة هرارى باشا مدير الحسابات وبطرس بك مشاقة وكيله أعيدت الصيدلية فاستحقا منا الشكر ومن الله الجزاء الحق .

(١١) الاحتياط لما يلزم الحجاج أثناء السفر — ما يلزم الحجاج من مأكولات وهدايا يشترى من مصر وأمير الحج يضع مأكولاته وأدواته فى صناديق يستحضرها مقدّم العكامة ويأخذ عن كل صندوق فى ثلاثة الشهور ما لا يزيد عن ٢٠ قرشا ويحسن الاتفاق على الأجرة قبل السفر خشية المغالاة فيها بعده وكذلك

يحسن الاتفاق مع المقدّمين على أجرة « التختروانات والأحمال » — الحمل يركب فيه اثنان و يغطى « بقماش » وشى بالألوان الجميلة ويشبه الهودج وتصنعه خيمية مصر — وقد استأجرت « التختروان » بثلاثة جنيهات .

(١٢) الاحتفال بنقل كسوة الكعبة من مصنعها بالخرنفش الى ميدان القلعة فمسجد الحسين — فى شهر ذى القعدة من كل سنة كانت تتفق نظارة الداخلية مع نظارة المالية على اليوم الذى يحتفل فيه بنقل الكسوة من ميدان محمد على — بعد أن تنقل اليه من مصنعها بالخرنفش — الى المسجد الحسينى و يصدق الخديوى على ذلك اليوم ويصدر الأمر من رئيس مجلس النظار بتعطيل مصالح الحكومة ودواوينها فيه وينشر ذلك بالجريدة الرسمية وتتناقله الجرائد وتخبر نظارة الداخلية نظارة الحربية ومحافظة العاصمة بذلك ليكون الضباط والجند ورجال الشرطة على استعداد تام للاحتفال بالكسوة فى ذلك اليوم وترسل المحافظة الى العلماء والأعيان وكبار التجار تذاكر الدعوة لحضور الاحتفال الذى يكون فى الغالب من الساعة التاسعة صباحا — أفرنكى — وفى سنة ١٣٢٢ هـ تأخر الى الساعة العاشرة لرغبة سموّ الخديوى فى ذلك وقبل أن يحين الموعد بساعة تصطف الجنود بميدان القلعة تجاه المِسْطَبة التى هنالك حاملين أسلحتهم و يتوافد المدعوون و يستقبلهم هنالك وكيل المحافظة ومندوبوها و يجلسون كلا فى مجلسه العلماء فى الميمنة خلفهم الأعيان والتجار والمندوب العثمانى وحضرات النظار والأمراء و «البرنسات» وكبار الموظفين بالديوان الخديوى وقتئذ فى الميسرة خلفهم كبار العسكريين والملكيين والكل مرتد لباس التشريفة الكبرى [يتركب من «بنطلون» أسود ذى شريط مقصب وسترة سوداء موشاة بالقصب وسيف له علاقة وحزام قصبى وقفاز أبيض وفى الصدر الأوسمة « النياشين » المختلفة هذا لباس الملكيين أما العسكريون فيلبسون لباسهم المعروف] وفى الساعة المحدّدة يحضر سموّ الخديوى فى عربة يجرها أربعة جياد على يساره رئيس النظار وأمامه اثنان من أقدم النظار وخلف عربته عربات تقل مأموريه — الياوران — وكبار رجال المعية ويحيط به فرسان الحرس الذين يبلغون ١٤٨

معظمهم عسكر وقليل منهم صف ضابط و بينهم أربعة ضباط واحد منهم عن يمين العربة وآخر عن يسارها وثالث أمامها يتقدمه « جاويش » فقسم من الحرس ورابع خلف العربات يقود القسم الأكبر من الحرس وحينما ينزل سموّ الخديوى من العربة تحييه القوّة العسكرية ويطلق رجال المدفعية — الطوبجية — ٢١ مدفعا وتصدح الموسيقى بالسلام المعتاد والخديوى متجه نحو العسكر يحيط به النظار ورجال المعية رافعا يديه بالتحية ثم يجلس وسط مكان الاستقبال ويحيي الحاضرين وبعد دقائق يأخذ مأمور تشغيل الكسوة بزمام الجمل الذى عليه المحمل ويدور به ثلاث دورات ثم يتجه الى مكان الاستقبال فيقوم سموّ الخديوى من مجلسه وينزل الى السلم الأوّل من المصطبة والناس محتشدون حوله وإذ ذاك يتقدّم اليه مأمور الكسوة بكيس مفتاح الكعبة قد بسطه على كفيه فيتناوله سموّه ويقبله ويتلوه فضيلة قاضى مصر وإذ ذاك يدعو الشيخ السنباطى دعّاء المحمل ومقدّم هدايا الكسا الى أربابها دعوات خيرية وجيزة ثم يسير المأمور بعض خطوات والكيس على يديه ثم يعتلى جواده ويسير من خلفه المحمل على جمله فكسوة الكعبة وكسوة مقام سيدنا إبراهيم الخليل قد بسطت كل قطعة منهما على أنصاف دوائر حديدية ركبت فى قائمين من الخشب يحمل كل قائمين جملة من الخفراء ويمرّون بين يدى الخديوى ويذهبون بها الى المسجد الحسينى مخترقين شارع محمد على فسوق السلاح فالدرب الأحمر فباب زويلة المعروف ببوابة المتولى فالغورية فالسكة الجديدة ويصاحب الكسوة «أورطة» من الرجّالة ليحفظوا النظام ويمنعوا الناس من التزاحم عليها مع رجال الشرطة الذين ينتشرون فى طول الطريق ولا تبرح «الأورطة» مكانها أمام المسجد الحسينى حتى تدخل الكسوة جميعها اليه . وبعد أن تمرّ الكسوة بين يدى الخديوى بميدان محمد على يستعرض سعادة « السردار » أو نائبه الجيش ويمرّ من أمام سموّه الفرسان فالمدفعية فالرجّالة فالقسم الطبى وبعد المرور يثنى على الجيش ونظامه ويأمر بتبليغ ذلك الى الضباط والعساكر ثم يصافح « السردار » وقاضى مصر وأكابر الحاضرين ثم يركب عربته الى قصر عابدين مارا بالصليبة فالخضيرى فميدان السيدة زينب فشارع

الدواوين فشارع الشيخ عبد الله وعند تحرك العربة يضرب ٢١ مدفعا تحية و إيذانا بانتهاء الحفلة وإذ ذاك ينصرف الحضور .

ويحضر هذا الاحتفال أمير الحج وأمين الصرة مشاهدين فقط ويتوجهان بعد الاحتفال الى المسجد الحسيني ليستقبلا الكسوة هنالك وبعد أن تدخل يزوران قبر الحسين، معهما السدنة ورئيسهم ثم يشربان القهوة فى حجرة الرئيس وينصرفان .

(١٣) الكسوة بالمسجد الحسيني — تبقى الكسوة بالمسجد حوالى نصف شهر فى خلاله يخاط بعض قطعها ببعض لأنها تصنع قطعا كثيرة ويحضر كثير من سكان القاهرة ليتبركوا بها ويرى نفسه سعيدا من يخيط جزءا منها ويتسابق الناس فى تقديم النذور والعطايا الى المنوطين بخياطتها وقد سمعت أنه لا يسمح لبعض المتبركين بمس الكسوة إلا نظير جعل يدفعونه ﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ .

(١٤) الإشهاد بتسليم الكسوة — فى شهر ذى القعدة يرسل ناظر المالية الى قاضى مصر كتابا رسميا يطلب فيه اليه انتداب قاض وكاتبين لتحرير إشهاد بتسليم الكسوة فى وقت يعينه الناظر وكذلك يكتب ناظر المالية الى الأمير والأمين ليحضرا الى المسجد الحسيني ويشهدا تحرير الإشهاد فى الموعد المضروب وساعة اجتماعهم يكتب إشهاد بتسليم الكسوة الى المحملي الذى يتسلمها بالفعل وتوضع فى صناديق أعدّت لذلك ومن وقت أن يتسلمها تكون فى عهدته الى أن يسلمها بمكة الى الشيخ الشيبي أمين مفتاح الكعبة ويأخذ منه صكا بالتسليم وقد قدّمنا لك فى مبتدأ الرحلة الأولى صورة الإشهاد فى صحيفة ٦

(١٥) إشهاد تسليم الصرة — وبمثل هذه الطريقة يكتب إشهاد شرعى بتسليم الصرة الى أمينها يحرّر بحجرة ناظر المالية بحضره الأمير والأمين وصراف الصرة وكاتبها الأول واثنان من موظفى الوزارة .

(١٦) إعداد قطر السكة الحديدية للمحمل وركبه وأمتعته — قبل السفر بمدّة ترسل مصلحة السكة الحديدية الى أمير الحج — بواسطة الداخلية — ليحدّد ساعة يحضر فيها الى المصلحة ليبين ما يلزمه من العربات ويحدّد المواعيد التى تقوم فيها القطارات حتى يكون كل ذلك مهيأ وقت السفر . والذى يلزم المحمل وركبه قطاران يوضع فى أحدهما الأمتعة والحيوانات والخدم ويسافر فى الأكثر عند تمام الساعة الثانية عشرة ليلا ويصل الى السويس بعد ٩ ساعات ويقل الثانى المحمل وموظفيه والحجاج ويقوم عادة فى مشرق الشمس أو قبل ذلك حسبما يسمح به نظام سير القطارات ويصل الى السويس فى ٦ ساعات و١٥ دقيقة وهذان القطاران يحضران الى العباسية قبل السفر بيوم ويقفان بين خمس السرايات وثكنة رجال المدفعية — الآن ثكنة لفرسان الانجليز ورجال مدفعيتهم — وكانت الأمتعة كلها توضع فى القطارين من محطة العباسية ولكن وردت مكاتبة من جيش الاحتلال الى محافظة مصر بأن الأهالى يحدثون ضوضاء وجلبة عند وضع الأمتعة بالقطارين ويتغوطون هنالك وطلبوا اختيار مكان آخر تشحن فيه القطارات فأجيبوا الى ما رغبوا وصارت أمتعة الموظفين والخدم السائرين والمحمل يشحن بها القطار فى محطة مصر . أما أمتعة العسكر ففى العباسية ثم إن السكة الحديدية عملت بعد ذلك رصيفا أمام الثكنة — القشلاق — الحمراء بالعباسية ينزل منه المحمل وركبه من ملكيين وعسكريين فقطعت شكوى المحتلين وأراحت الناس .

(١٧) الاحتفال بخروج المحمل وسفره — يعين أمير الحج يوم الاحتفال بسفر المحمل وتصدق على ذلك المعية السنية وتخبر نظارة الداخلية نظارتى المالية والحربية والمحافظة باليوم المعين ليستعد الشرطة والجند كما سبق وفى هذا اليوم تعطل مصالح الحكومة ودواوينها .

والشوارع التى يمر منها المحمل والكسوة تكون حافلة بالمشاهدين وكذلك الشرفات والرواشن وظهور المنازل وتسمع منهم الدعوات الى الله أن يسهل لهم تأدية الحج وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم .

حفلة لدى أمير الحج وأمين الصرة قبل السفر

تسمى "العراضة"

جرت العادة أنه بعد تعيين أمير الحج وأمين الصرّة تحتفل طوائف الضوئية، والعكامة، والفراشين، والسقائين، وتحضر كل طائفة ومعها رئيسها الى منزل أمير الحج، ثم الى منزل أمين الصرّة بالحال التى سيأتى بيانها :

طائفة الضوئية

الضوئية — هم الذين يضيئون الطريق أثناء السفر فى الليالى المظلمة بإشعالهم الخشب فى مشاعل يحملونها أمام الركب وعلى جانبيه ويسير رئيسهم دائما مرافقا لأمير الحج ويلقب «ضوى» باشا وعددهم ٧ وكيفية احتفالهم هى : ان يحضر رئيسهم لابسا «بنشا» وخلفه رجاله حاملين المشاعل مكسوة رؤوسها بأنسجة ملوّنة ويبتدئون بمديح . وعقبه يسقون شرابا حلوا ويعطى رئيسهم « شالا » كشميريا يتقلده حالا ثم ينصرفون .

طائفة العكامة

العكامة — هم أشخاص وظيفتهم وضع الأحمال على الجمال وقيادتها والمحافظة عليها وإنزالها .

ويحضرون الى منزل أمير الحج لابسا رئيسهم «بنشا» ومعهم «تختروان» محمول على جملين بالهيئة التى يكون عليها حال السفر وتتقدّمهم الطبول والمزامير .

فيسقون الشراب الحلو ويقلد رئيسهم «شالا» كشميريا وينصرفون .

طائفتا الفراشين والسقائين

الفراشون — وظيفتهم نصب الخيام وطيها ويتقدمون الركب مع بعض الحرس قبل وصوله الى أية محطة بوقت كاف ويقيمون له الخيام والسقاؤون يملئون القرب ويضعونها فى الخيام. حتى اذا وصل الركب وجدت الخيام مقامة والمياه فيها داخل القرب .

وكيفية حفلة الفراشين أن يحضروا ومعهم رئيسهم لابسا «بنشا» وامامه الطبول والمزامير وجملان محملان خياما كحالهم وقت السفر فيسقون الشراب الحلو ويقلد أميرالحج رئيسهم «شالا» كشميريا وينصرفون .

وكيفية حفلة السقائين أن يحضروا وكل واحد منهم حامل قربة منفوخة ويرقصون بها على قرع الطبول ونغم المزامير ومعهم جملان محملان قربا مملوءة بالماء وفوق القربة قمع من النحاس يوضع فى فم القربة ويسكب فيه الماء لملئها وعلى أحد الجملين «سيبية» من الخشب ذات ثلاث أرجل تتلاقى من أعلاها وفى موضع اتصالها بكرة يمر عليها الحبل الذى يربط فيه الدلو لاستقاء الماء من الآبار التى فى الطريق ومعهم جمل ثالث على ظهره سعفات نخل محزومة من أسفلها تمثل نخلة صغيرة وقاعدة النخلة وظهر الجمل مزينان «بالشيلان» الكشميرية والأنسجة القطيفة المشغولة بالقصب والترتر .

فيسقون الشراب الحلو ويقلد أميرالحج رئيسهم «شالا» كشميريا وينصرفون .

وهؤلاء الرؤساء الأربعة يلبسون «البنشات والشيلان» الكشميرية المهداة اليهم من أمير الحج فى كل حفلة تعمل أثناء تنقلات موكب المحمل فى مصر والسويس وجدّه ومكة ومنى وينبع والمدينة .

تنبيهات نظارة المـالية لأمير الحج فى سنة ١٣٢٥ هـ

أوّلا ـــ ما يتعلق بالمسائل المـالية :

(أ) من المعتاد سنويا ورود أمانات للـمالية لتوصيلها مع نقود الصرة الى أربابها بالحجاز فنبهوا حضرة الأمين الى الحضور بالمـالية ابتداء من أول ذى القعدة ليقبل هذه الأمانات و يورّدها الى الخزينة التى فى عهدة صراف الصرة .

(ب) بما أن إشهادى تسليم الكسوة والصرة يحرّر أوّلها بالمسـجد الحسينى وثانيهما بالمـالية فى يومين تحدّدهما النظارة وتخبر بهما أمير الحج فعلى سعادته الحضور فى هذين اليومين ومعه أمين الصرة وكاتبها الأوّل لمباشرة تسليم الكسوة والنقود الى المتعهـدين بحفظها وتحرير الإشهادين بحضورهم وعلى سعادته اتخاذ ما يلزم لصيانة الكسوة حتى تسلم بمكة والنقود حتى تسلم لذويها بالحجاز بالطريقة المقرّرة مع المحافظة على ما يبقى منها حتى يسلم لخزينة المـالية بعد العودة .

(ج) بما أن نفقات مستخدمى المحمل وحرسه مقدّرة وموضحة الأنواع بدفاتر وقوائم مع كاتب الصرة الأوّل فإن نظارة المـالية تلفت نظر سعادة الأمير الى مراعاة هذه الأنواع وما قرر لكل منها ولا يجوز له أن يأمر بصرف شىء غير مقرّر أو خارج عن نوعه أو منهى عن صرفه لعدم توفر شروطه ولا يأمر بإقراض أحد مما يبقى من نقود الصرة أو يقترضه لنفسه ولا يعطى موظفا مبلغا كان يستحقه قبـل قيام المحمل من المحروسـة لأن المـالية هى التى تقوم بدفع ذلك اليه والنفقات السرية المقرّرة لا يصرف شىء منهـا إلا بعد أخذ صكوك بذلك وإيضاح الأسباب التى اقتضت الصرف فإن حصل ما يخالف ذلك فسعادته المسئول عن ذلك شخصيا .

(د) بما أن المرتبات وغيرها وشروط صرفها مدوّنة بدفاتر وأوراق فى عهـدة الكتبة وبمـا أن الكتبة هم المسئولون عما يكتبونه بشأنها من استعلامات أو تحرير أذون الصرف أو خط ما يلزم من الحساب أو استيفاء المستندات ـــ من أجل ذلك يجب أن تحققوا عنـد تقديم الأوراق اليكم للختم من أنها ممهورة بتوقيع كاتبى الصرة

الأول والثانى إذا كانت متعلقة بالمحمل أو الصرة وبتوقيع كاتب القسم العسكرى إذا كانت خاصة به وذلك لتتحقق مسئوليتهم إذا حصل منهم تقصير فى واجب أو ظهر خطأ فى حساب عند مراجعة المالية بعد الإياب من السفر وقد سلمنا لكل ممن ذكروا تعليمات خاصة يسير على مقتضاها وأرسلنا لكم صورها .

(هـ) من القواعد الأساسية أن كل ما يلزم صرفه أثناء السفر من مرتبات ونفقات خاصة بالمحمل أو الصرة أو الحرس ومن الأمانات المرسلة مع الصرة من الأوقاف أو الدوائر أو الأعيان — يصرف على يد الأمير والأمين بأذون تصدر منهما موقعة من الكتبة .

(و) مرتبات عربان الحجاز لا تصرف إلا بأذون وقع عليها الأمير والأمين وتصديقات وقع عليها الأمين والكتبة تدل على أن الصرف كان على يد المندوب الذى عينه لذلك دولة أمير مكة .

(ز) المرتبات وبدل التعيين وبدل السفرية شهرية فلا يسوغ للأمير أن يصرف شيئا منها إلا فى آخر الشهر فإن قدّمت اليه شكايات أوحدثت أسباب فجائية تستدعى الصرف قبل آخر الشهر فلا بأس من صرف مقرر الشهر على دفعتين بشرط أن تكون كل دفعة عن خمسة عشر يوما مضت .

(ح) بما أن مدة السفر مقدّرة بثلاثة شهور وهى أقصى مدّة تلزم للحج والزيارة وبما أن المقرر لنفقات المحمل والقسم العسكرى ولمرتبات الموظفين والمستخدمين ولمكافآتهم وأبدال التعيين ولمؤونات جمال المحمل وحيوانات القسم العسكرى إنما هو عن الثلاثة الشهور فقط فإن جدّ ما يستدعى التغيب أكثر من هذه المدّة فعلى الأمير أن يخبر المالية بما يحتاج اليه زيادة عن المقرر ليتحصل على إذن منها بالصرف قبل حصوله .

(ط) بما أن جمال النقل محدّدة فى المسافات المختلفة ولكل موظف منها شىء محدود مبين تفصيله فى كشف عند كاتب الصرة الأول — وسيأتى بيان ذلك —

فعلى الأمير أن يراعى ذلك التحديد فى التوزيع وإذا خلا بعضها فى أية مسافة لوفيات أو غيرها فلا يعطى للوظفين أو غيرهم شيء منه بل ينقص ذلك من الجملة ولا يصرح لأحد بالزيادة عما قرر له ، وكل ما يقدمه "المقوم" من الجمال يعطى له به صكوك حتى تكون سندا له عند المحاسبة ويبين بها ما اقتصد من عدد الجمال ولا سيما فى المسافتين الأخيرتين إذ يكون معظم النقود والمحمول قد وزع .

(ى) الشريف عون الرفيق أمير مكة المتوفى فى سنة ١٩٠٥ كان يعطى له سنويا من خزينة الصرة ٧٣٥ جنيها و ٨٩٠ مليما و ٥ ريالات طاقية ، من ذلك ٣٠٠٠٠ قرش كان يعطاها قبل إسناد الإمارة اليه إحسانا خاصا واستمر صرف ذلك اليه مع مرتب الإمارة الى وفاته ولما خلفه على الإمارة الشريف على باشا وأعطى رتبة الوزارة فى ١٥ شعبان سنة ١٣٢٣ ه كما ورد لنظارة المالية من الديوان العربى الخديوى فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٠٥ رقم ٧٢ وفى سنة ١٩٠٦ صرفت إمرة الحج اليه سهوا ما كان يعطى لسلفه بما فى ذلك ثلثمائة الجنيه التى كانت إحسانا شخصيا لسلفه وكان ينبغى قطعها بمجرد وفاته ولما عرض ذلك على اللجنة المالية أصدرت قرارا فى ٢٩ يونيه سنة ١٩٠٦ رقم ٥١ يقضى باسترجاع ماصرف الى الشريف على من الإحسان وبقطعه فى المستقبل ثم أصدرت قرارا آخر فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٦ رقم ١١٤ يقضى بصرف الإحسان اليه علاوة على مرتب الإمارة بشرط أن يقوم بما تفرضه عليه وظيفته وما يمليه عليه ضميره الحرّ نحو المحمل المصرى والحجاج الوافدين من وادى النيل ، ولما كان تقرير صرف ذلك اليه بناء على طلب نظارة الداخلية فقد أصدرت المكتوب الآتى لأمير الحج فى طلعة سنة ١٣٢٤ ه :

نعلم سعادتكم أن الحكومة الخديوية المصرية قررت إلغاء المرتب الذى كان يتقاضاه أمير مكة كل عام . ومما لا ريب فيه أن صاحب الدولة والسيادة شريف مكة الحالى سيقوم بما تفرضه عليه وظيفته وذمته بإزاء حجاج بيت الله الحرام ، وأنه سيبذل كل ما فى وسعه من المساعدات الجليلة والرعايات الشاملة لقافلة المحمل المصرى وللحجاج الوافدين من وادى النيل ؛ فلذلك رأت حكومة الخديو المعظم أن تكلف

سعادتكم بأن تقابلوا هذا الصنع الجميل من الشريف بما يستحقه من الشكر والثناء، وأن تأذن لكم فى هذه الحالة أيضا بأن تقدّموا لدولته باسمها و بالنيابة عنها مكافأة خاصة تعدل المكافأة التى كان يتناولها سلفه مع العلم بأن صرفها فى المستقبل موكول الى أمير الحج المصرى بحيث تكون كمنحة نظير الخدمات الفعلية الحقيقية التى يؤدّيها من يتولى الإمارة على مكة المكرمة للحجاج المصريين وللمحمل الشريف .

و إنى أرجو سعادتكم التلطف فى تفهيم ذلك شفاها الى دولة الشريف وقبول فائق الاحترام .　　　فى أوّل يناير سنة ١٩٠٧　　　ناظر الداخلية

فنلفت نظركم الى هذا المكتوب .　　　(توقيع)　　　مصطفى فهمى

(ك) مرتبات الأشراف والمجاورين بمكة والمدينة إذا لم يتيسر صرفها لأيدى أربابها فلا بأس من صرفها الى وكلائهم الذين يعتمد وكالتهم دولة الشريف بشرط التثبت من حياة الموكلين ومن إقامتهم بمكة والمدينة، وذلك إما باقرار دولة الأمير، وإما بشهادة من يوثق بهم و يستثنى من ذلك الشريف عبد الاله باشا المقيم بالأستانة الذى صدّقت اللجنة المالية فى أغسطس سنة ١٩٠٧ على صرف مرتبه ما دام حيا الى من يوكله فى تسلمه ويعتمده دولة أمير مكة ومرتب خيرات المرحوم عباس باشا الأول يصرف الى ناظر هذه الخيرات بنفسه بعد التحقق من معرفته كما تقرر ذلك من أوّل سنة ١٨٩٤ م والمرتبات المذكورة لا تصرف إلا بمحضر سعادة أمير الحج وأمين الصرة بأذون وتصديقات .

(ل) على سعادة أمير الحج أن يراعى وقت الصرف قيام أمين الصرة وصرافها وكاتبيها الأوّل والثانى بمراجعة أختام القابضين سواء أكانوا أصحاب المرتبات أم وكلاء عنهم بتوكيلات معتمدة، ويجب أن يكون نقش الأختام واضحا، وإذا ظهر اختلاف فى نقش خاتم أو دل تاريخه على تجديده وجب التحقيق فى ذلك حتى إذا وجدت شبهة منع الصرف .

(م) على أمين الصرة أن يقوم أثناء السفر مع الكاتب الأول بعدّ — جرد — نقود الصرة على صرافها بدون إعلام سابق مرتين كل شهر كما تقضى بذلك أوامر

المالية فى جرد خزائن الحكومة وعملا بشروط الضمان، ويكتب هذا الجرد فى يوميتى الصراف والكتبة موقعا على ذلك من أمين الصرة وكاتبها الأول ومصدقا عليه من سعادة أمير الحج .

(ن) على سعادة أمير الحج وهو بجدّة أو مكة أن يتفق مع "المقوّم" على أجرة كل جمل فى كل مسافة ويبذل ما فى وسعه للاقتصاد فى الأجرة وقبل أن يبرم الاتفاق يخبر المالية برقيا بمقدار الأجرة لتفيده باعتماد ما اتفق عليه وينص بعقد الإجارة على أن يخصم من الأجرة القيمة الرسمية لورق الدمغة الذى تحرر فيه دفعات الأجرة .

والطريق الحجازى الذى قررت الحكومة المصرية سير المحمل منه هو من جدّة الى مكة ومنها الى جدّة بعد الوقوف بعرفات وتأدية فريضة الحج ومن جدّة الى ينبع بحرا، وبين ينبع والمدينة ذهابا وإيابا من الطريق السلطانى، ولكن المحمل فى السنتين الأخيرتين لم يسلك هذا الطريق بل سلك فى طلعة سنة ١٣٢٣ هـ الطريق الفرعى بين مكة والمدينة ومن الأخيرة سار الى ينبع من طريق الطريف . وفى طلعة سنة ١٣٢٤ هـ سلك الطريق الفرعى بين مكة والمدينة أيضا، ومن الأخيرة سار الى جدّة برا، وكلا الطريقين طويل متعب حمّل خزينة الحكومة مبالغ وافرة فى أجر الجمال، ولم يلجئ المحمل الى السير فيهما إلا ممانعة محافظ المدينة فى السير من الطريق السلطانى الذى قررت الحكومة المصرية السير منه بعد اختياره واتفاق أمير الحج مع صاحبى الدولة شريف مكة وواليها على سلوكه، وأدرجت فى النفقات السرية مبالغ تعطى ترضية لعربان هذا الطريق، فعلى الأمير أن يسلكه ما استطاع، وإننا نلفت نظره عند إبرام عقد الإجارة الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع تغيير الطريق الذى منه تتقرر العودة من المدينة، وذلك إما باستشارة محافظ المدينة بالبرق قبل تعيين الطريق، وإما بالاشتراط على مقوّم الجمال ألا يكون له الحق فى استزادة الأجرة إذا تغير الطريق .

(س) جرت العادة أن المقوّم عند السفر الى عرفة يحضر جمالا لحمل أدوات القسم العسكرى — حرس المحمل — من المعسكر الى القلعة والتكية لإيداعها بهما حتى يعود المحمل من عرفة، وكذلك يحضر جمالا يحمل عليها المياه السقاءون مدة

الإقامة بمكة وعرفات ومنى وينبع والمدينة، وذلك ثلاثة جمال للقسم العسكرى، وجملان لإمارة الحج والصرة كل يوم، فعلى سعادة الأمير أن يخبر القومندان وأمين الصرة بما لكلٍّ، حيث إن المالية تدفع للقوّم أجرا عن ذلك ٨٧٩ قرشا وإذا أقام المحمل بإحدى الجهات المذكورة أكثر من المعتاد أو احتاج القسم العسكرى لجمال أكثر بسبب زيادة القوّة فإن المتعهد يُعطى شهادة بما زاده من الجمال وبأجرتها التى يراعى فى تقديرها مناسبتها للأجرة المقررة وتحرر شروط بذلك مع المتعهد .

(ع) أدوات القسم العسكرى تنقل بمصر قبل السفر وبعد العودة على عربات نقل، أجرتها فى السنين السابقة معلومة فى نظارة الحربية فأخبروا حضرة القومندان بذلك، وأن الأجرة تصرفها الحربية من مالها الخاص بمقتضى الشهادات التى تعطى منه .

(ف) مخصص لحمل مدافع القسم العسكرى وجرّها عشرة بغال مودعة بمصلحة الكنس والرش التابعة لمصلحة الصحة العمومية فسعادة الأمير ينبه حضرة "القومندان" بطلب هذه البغال مع السائس الذى اعتادت هذه المصلحة تعيينه بمرتب من قبلها مدة السفر خلاف ما رتب له بميزانية المحمل .

(ص) على سعادة أمير الحج أن يخبر نظارتى الداخلية والمالية باليوم الذى يتقرر فيه الاحتفال بالمحمل فى مصر وبيوم السفر منها الى السويس ويكون الإخبار قبل ميعاد السفر بشهر على الأقل لمخابرة شركة البواخر الخديوية ومصلحة السكة الحديدية بشأن التذاكر وغيرها .

(ق) تشكى بعض المستخدمين بمصلحة السكة الحديد الذين كانوا يرافقون قطارات المحمل عدمَ حصر المسافرين فطلبت المصلحة من المالية بناء على ذلك الموافقة على صرف تذاكر للسفر بالقطارات من مصر الى السويس وبالعكس حتى يكون عدد المسافرين مضبوطا ووافقت المالية على هذا الطلب، وأنه عند اقتراب السفر وبعد اتفاق أمير الحج مع المصلحة على القطارات والعربات اللازمة تسلم المصلحة للمندوب الذى يعينه سعادة أمير الحج تذاكر السفر من مصر الى السويس ليوزعها على أربابها بحسب درجاتهم، وعند الأوبة الى الطور يطلب الأمير من ناظر

محطة السويس القطارات والتذاكر فى اليوم الذى يعينه، فعلى سعادة الأمير ملاحظة ذلك والتنبيه بعدم سفر أحد فوق العدد المقرر، وكذلك عليه إعطاء شهادتين لمصلحة السكة الحديد، إحداهما ببيان الموظفين والمستخدمين وتوابعهم الذين يسافرون بقطار الركاب مع إيضاح الدرجات المخصصة لكل منهم، والآخر ببيان مقدار الأمتعة وعدد الحيوانات المسافرة بقطار البضاعة ويكون تحرير ذلك بمحطة مصر وقت السفر وبمحطة السويس وقت العودة، وحينما يقـدم الشهادات للمصلحة يبعث بصورها الى إدارة الحسابات العامة بنظارة المـالية لتحاسب بمقتضاها السكة الحديد، ولا يدرج بهذه الشهادات إلا موظفو المحمل ومستخدموه وتوابعهم كلّ بدرجته المقرّرة له .

وهاك جدولا بدرجة كل وما له من الجمال والخيـام وغيرها :

الأشخاص	جمال					خيام				درجات السفر			أشياء مختلفة		
	من جدة الى مكة	من مكة لعرفات و بالعكس	من مكة لجدة	من ينبع للمدينة	من المدينة لينبع	يطق خانة ١٦ (١)	يطق خانة ١٢ (٢)	جركة بعمودين (٣)	قبب مماليكى	أولى	ثانية	ثالثة	خيول	قروب مياه	شقادف
إمارة الحج															
لسعادة أمير الحج وأسرته	٢٧	٢٠	٢٧	٣٥	٣٥	١	١	—	٢	٥	١	٤	١	٣٠	١
الضوئية بما فيهم كسار خشب	—	—	—	—	—	—	—	١	—	—	—	٥	—	٤	—
للعكامة بما فيهم نجار	—	—	—	—	—	—	—	١	—	—	—	٧	—	٦	—
للسقائين بما فيهم خراز	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٧	—	٦	—
للفراشين بما فيهم خيمى	—	—	—	—	—	—	—	١	١	—	—	٧	—	٦	—
موظفو الصرة															
لحضرة أمين الصرة	٨	٦	٨	١٠	١٠	—	٢	١	—	٣	١	٣	١	٦	١
لكاتب الصرة الأول	٥	٤	٥	٥	٥	—	٢	١	—	١	١	٢	—	٤	١
لكاتب الصرة الثانى	٢	٢	٢	٢	٢	—	١	—	—	١	—	٢	—	٢	½
لصراف الصرة	٣	٢	٢	٢	٢	—	١	—	—	١	—	٢	—	٢	½

(١) خيمة مكوّنة من ١٦ قطعة خيط بعضها ببعض ولهـا دائر – طوزلك – من أسفل . (٢) كالتى قبلها لكنها مكوّنة من ١٢ قطعة . (٣) الجركة خيمة ليس لها دائر سفلى والتى بعمودين تمثل قبتين .

(تابع) جدول بدرجة كل وما له من الجمال والخيام وغيرها :

الأشخاص	جمال: من جدة الى مكة	جمال: من مكة لعرفات وبالعكس	جمال: من مكة للمدينة	جمال: من ينبع للمدينة	جمال: من المدينة لينبع	خيام: طقم خاقة ١٦ (١)	خيام: طقم خاقة ١٢ (٢)	خيام: حركة بعمودين (٣)	خيام: بيت ملكى	درجات السفر: أولى	درجات السفر: ثانية	درجات السفر: ثالثة	أشياء مختلفة: جراول	أشياء مختلفة: أعمار مياه	أشياء مختلفة: أعمار عادة
لطبيب ملكى للأهالى	٢	٢	٢	٢	٢	—	١	—	—	١	١	١	—	٢	—
لطبيبة ملكية	٣	٢	٢	٢	٢	—	١	—	—	١	١	١	—	٢	—
لصيدلى ملكى للأهالى	٢	٢	٢	٢	٢	—	١	—	—	١	١	١	—	٢	—
« لمستخدمى المحمل	٢	٢	٢	٢	٢	—	١	—	—	١	١	١	—	٢	—
لمرضين للاهالى والمستخدمين	٢	٢	٢	٢	٢	—	—	١	—	—	—	٢	—	٢	—
للإمام الواعظ	٢	٢	٢	٢	٢	—	١	—	—	١	—	١	—	١	—
لحامل علم المحمل (علمدار)	١	١	١	٢	٢	—	—	١	—	—	—	٢	—	١	—
للحاملى والفرحية	٧	٦	٧	٧	٧	—	١	١	—	—	—	٩	—	٣	—
للصـــرة															
لجمّال ومساعده	١	١	١	١	١	—	—	١	—	—	—	٤	—	٤	—
لضوئية الصرة	٤	٣	٤	٥	٥	—	—	١	—	—	—	٩	—	٥	—
لعكامة الصرة	٣	٢	٣	٣	٣	—	—	١	—	—	—	٨	—	٤	—
لسقائى الصرة	٣	٢	٣	٦	٦	—	—	١	—	—	—	١٠	—	٣	—
لفراشى الصرة	٨	٨	٨	٨	٨	—	—	١	—	—	—	٨	—	٤	—
لمستشفى ملكى	٢	٢	٢	٢	٢	—	—	١	—	—	—	—	—	١	٢
لصيدلية ملكية	٢	٢	٢	٢	٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
لحمل نقود الصرة	١١	—	٥	٥	١	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« علف الجمال	٢	١	٢	٢	٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« كسوة الكعبة	٦	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« « المحمل القصبية	١	١	١	٢	٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
للشيخ الشيبي	—	١٠	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
لمقوم المحمل	—	—	—	—	—	—	١	—	—	—	—	—	—	—	—

(١) خيمة مكوّنة من ١٦ قطعة خيط بعضها ببعض ولها دائر طوزلك من أسفل . (٢) كالتى قبلها لكنها مكوّنة من ١٢ قطعة . (٣) الحركة خيمة ليس لها دائر سفلى والتى بعمودين تمثل قبتين .

ما للقسم العسكرى :

أما القسم العسكرى ويتكوّن من «قومندان» برتبة « بكباشى » وأركان حرب برتبة « صاغ » و« يوزباشيين » وطبيب وصيدلى كل منهما برتبة « يوزباشى » وأربعة ملازمين أوائل وأربعة ثوانٍ وكاتب للإمارة والقسم العسكرى و ٣١١ عسكريا — ١٤ موسيقيا و٢٢ فارسا و٣٦ مدفعيا و٦ ممرّضين و٢ لإطلاق الصواريخ (أجيه) وتوفكجى (مصلح بنادق) وسروجى و ٢٢٩ راجلا — و ٥ ضوئيين و١٥ سقاء، لهذا القسم كله ٣١٠ جمل فى كل المسافات ماعدا ما بين مكة وعرفة فإن له ٢١٥ جملا وله ١٤ « يطق خانة اثنى عشرية » و٤٦ جركة وقبة من القباب المماليكية و٥٠٠ وتد و٢٤٠ قربة وسحابة للقومندان و١٧ تذكرة من الدرجة الأولى للقومندان والضباط والكاتب والإمام و٧ تذاكر من الثانية ثنتان « لليوزباشية » وثنتان لكاتب الإمارة وثلاث للإمام و٣٣٢ تذكرة من الدرجة الثالثة لباقى القسم، وكان الموضوع فى الصرة باسم القسم العسكرى ٢٠٠٠ جنيه .

ولكل من أمير الحج وأمين الصرة سحابة زيادة عن المقرّر بالجدول، ويلاحظ أن من ضمن المخصص لكاتب الصرة الأوّل جملا لحمل صناديق الدفاتر والأوراق والخيام و« يطق خانة ١٢ » تجعل ديوانا للأعمال الكتابية وأن الخيمة « الجركة » المخصصة للمرّضين هى لها وللصيدلية وأن من ضمن القرب المخصصة لجمال المحمل قربا ثلاثة لشرب جمال المحمل ومن ضمن الجمال المخصصة بالفراشين الجمال التى تحمل خيام مستخدمى الصرة .

ثانيا — ما يتعلق بحجاج الأهالى المرافقين للمحمل :

(ر) بما أن الحكومة الخديوية[(١)] معتنية أكبر العناية بفريضة الحج وتسهيل السبل إليها فقد قررت فى هذه السنة كالسنين السابقة أن تبيح السفر مع ركب المحمل لمن يرغب فى الحج بشرط أن يقوم بالواجبات التى فرضتها الحكومة لذلك وقد وزعت منشورات على المديريات والمحافظات بينت فيها ما يجب إجراؤه قبل السفر

(١) الآن الحكومة الملكية التى يرأسها حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر .

ومقـدار التأمين الذى يدفعه الحاج لخزينـة مديريته أو محافظته وغير ذلك وقد بلغ عدد الراغبين فى مرافقة المحمل هذا العام بلغوا ١٩٦٥ كما علم من القوائم التى بعثت بها نظارة المـالية المتضمنة لأسمائهم ومواطنهم وما دفعوا من التأمينات المقرّرة لكل درجة وقد سلمت صورة من هذه القوائم الى كاتب الصرة الأوّل .

وقد اتفقت نظارة المـالية مع شركة البواخر الخديوية على تسفير هؤلاء الحجاج من ميناء السويس الى الطور بجدّة ثم الى ينبع ثم الى الطور فالسويس أو من الوجه الى الطور إن دعا الحال الى ذلك ، وحرّرت معها الشروط اللازمة لذلك والتى بعثنا اليكم بصورة منها لتقفوا على ما فيها وتحافظوا على مواعيد الشحن والإخلاء وتراعوا صالح الحكومة ما أمكن ، أما سفر الحجاج من بلادهم الى السويس بقطارات السكة الحديدية فان الداخلية سترسل بمواعيده الى المديريات والمحافظات ليكون الحجـاج بالسويس فى الموعد المضروب .

وقد جرت العادة أن شركة البواخر ترسل قبل سفر المحمل من مصر الى المـالية التذاكر المطلوبة بحسب الدرجات المختلفة وتسلمها المـالية بعد طبعها بخاتمها الى أمير الحج أو من ينيبه عنه وتذاكر الحجاج مختوم عليها من الشركة بخاتم نقشه (حاج مرافق للمحمل الشريف) أما تذاكر المستخدمين فمكتوب فيها مستخدمو المحمل . .

وهذه التذاكر يوزعها المحافظ بالسويس على أربابها كلّ بحسب درجته ، ولا يمكنّ أحد من النزول الى الباخرة إلا اذا كان من الأشخاص المصرح لهم بالسـفر الواردة أسماؤهم فى القوائم السابقة وعليه مع أمير الحج أن يراعى نزول الحجـاج بالبواخر بعد إجراء اللازم والتأشير على جوازات السفر التى بأيدى الحجاج .

وبعد أن يتحقق أمير الحج من نزول جميع الحجاج المرافقين للمحمل والذين هم بمدينـة السويس يحرّر سعادته شهادة لشركة البواخر فيها عدد الركاب ودرجاتهـم لتحاسب بمقتضاها ، وإذا عدل بعض الحجاج أو توفى تحفظ تذاكرهم حتى تسلم بعد العودة الى نظارة المـالية مرفقة بقائمة موضحا فيها أسمـاء أصحابها وبلادهم وأرقام التذاكر ودرجات السفر ويوضح بها أيضا سبب العدول إن أمكن .

*

(ش) بعد وصول البواخر الى المحجر وعمل الاحتياطات الصحية بمعرفة مندوبى الصحة يقوم الأمير بعدّ الحجاج الذين وردوا الى المحجر ويحرّر قوائم بأسمائهم حال الذهاب والإياب يقدّمها بعد العودة الى المالية لتحاسب الحجاج بمقتضاها وتخصم ما أنفق عليهم من التأمين الذى دفعوه ثم ترسله الى مجلس الصحة البحرى .

(ت) عند ما يصل ركب المحمل الى جدّة وينبع ويصرح مندوبو الصحة للحجاج بالنزول مع المتعهدين تحرّر شروط النقل بالقوارب التى تقل الحجاج من البواخر الى الأرصفة أو من الثانية الى الأولى وتكتب قوائم بأسماء الحجاج وبعد كتابتها تصرف الأجرة من خزينة الصرة الى المتعهدين وترسل القوائم مع أذون الصرف الى المالية ليحاسَب الحجاج بمقتضاها أما أجرة نقل المحمل والمستخدمين والأدوات والأمتعة فإن قيمتها مقرّرة ومعلومة لكاتب الصرة الأوّل . وكذلك عند الوصول الى هاتين الجهتين تحرّر قوائم أخرى بأسماء الحجاج وتصرف رسوم الحَجْر والجوازات من خزينة الصرة وترسل القوائم مع أذون الصرف الى المالية بعد العودة لتحاسب المالية الحجاج بمقتضاها .

(ث) أمتعة الحجاج من الأهالى تنقل من أرصفة جدّة وينبع الى معسكر المحمل بأجر من قبلهم ولا يصرف من خزينة الصرة، أما أمتعة المحمل وموظفيه فأجرتها مقرّرة بخزينة الصرة معلومة لكاتبها الأوّل .

(خ) من الحجاج المرافقين للمحمل من دفع ضمن التأمين أجرة جمل كامل ومنهم من رام الاشتراك مع آخر كما بين ذلك فى الكشوف التى سلمت صورة منها لكاتب الصرة الأول، فعند العزم على السفر من جدّة يبين سعادة الأمير للقوّم الجمال اللازمة للحجاج ويسلمه كشفا بأسمائهم ويطلب اليه إحضارها وتوزيعها لأربابها ولا يعطى لأحد زيادة عماله ويؤخذ من كل حاج صك بما تسلمه ليحاسب بما فيه، وكذلك يصنع فى باقى المسافات ولا يصح استعمال جمال المتوفين أثناء السفر بل تنحى عن العدد .

(ذ) إذا توفى أحد الحجاج المرافقين للمحمل فعلى سعادة الأمير إخبار المديرية أو المحافظة التابع لها بتاريخ وفاته ويكلف حضرة «القومندان» بعمل إشهاد يثبت

فيه الوفاة وتاريخها وجميع ما كان مع المتوفى ويسلم جميع ما كان معه الى أحد أقاربه — إن كان — بصك ممضى منه فإن لم يكن بالركب أقارب يبعث العروض بمعرفة لجنة يعينها سعادة الأمير ويوضع الثمن، وكذلك ما مع الميت من النقود بخزينة الصرة ليسلم بعد العودة الى المالية التى ترسله الى المديرية أو المحافظة ليسلم للورثة ولا تسلم النقود مطلقا الى الغريب بل توضع بالخزينة حتى تسلم للورثة .

التعليمات التى يسير عليها قومندان حرس المحمل

وصل الى قومندان حرس المحمل فى ديسمبر سنة ١٩٠٧ م الكتاب الآتى مرفقا بالتعليمات التى ينتهجها كل من يعين رئيسا لحرس المحمل وهى قابلة للتغيير والتبديل بمعرفة نظارة الحربية .

حضرة «البكباشى» مصطفى افندى رفقى من «الأورطة» الرابعة الرجّالة

نعلمكم أن حرس المحمل سيتوجه فى الغالب الى معسكر العباسية بقرب المستشفى الطليانى فى يوم ١٥ ديسمبر فيجب عليكم بعد الاتفاق مع أمير الحج ونظارة المالية أن تطلبوا الأدوات اللازمة للعسكر وللحرس كله فرسانه ومدفعيته ورجّالته وقسمه الطبي وملحقات المصالح، وتكون هذه الأدوات منصوبة معدّة للاقامة بها من يوم ١٥ ديسمبر وعند اجتماع العسكر يجب عليكم التثبت من أن « فنلات » الجنود بها جيوب مخيطة من الداخل ، وذلك تنفيذا للأمر العسكرى رقم ٢٨١ الصادر فى سنة ١٩٠٥ م وعليكم أن تطلبوا الاستمارات التى تدعو الحاجة الى استعمالها بمكتبكم، وكذلك يجب أن تقدّموا لمكتبنا منذ اجتماع الحرس بالمعسكر كشفا كل يوم تذكرون فيه عدد الحرس مع بيان الرتب والسلاح والمصلحة كما تذكرون به الحيوانات والمدافع والذخائر الخ وفى اليوم التالى لاجتماع الحرس تستدعون رئيس حكماء — حكيمباشى — القسم ليفتش على كل صف ضابط أو عسكرى ومرسل مع هذا القوانين والتعليمات التى تسترشدون بها ما

(التوقيع) هربرت ميرالاى

نائب «قومندان» قسم المحروسة

وهاك التعليمات :

«قومنـدان» حرس المحمل هو رئيس القسم العسكرى وهو مسئول وحده عن الضبط والربط والإدارة الداخليـة للقسم المذكور من تاريخ إخبـاره بذلك الى أن يحل القسم ، وعليـه أن ينشر أوامر يومية بالأعمال التى يلزم القيام بهـا و بالأعمال التى أنجزت .

مادة ١ — على « القومنـدان » أن ينفذ جميع الأوامر الصادرة اليه من أمير الحج .

مادة ٢ — عليـه أن يتثبت من أن القوّة والأدوات التى بطـرف الوحدات المختلفة والحيوانات مرتبـة ومنظمة ، وكذلك ينظر الأسلحة والذخيرة التى تصرف للوحدات حتى يتيقن أنها جيدة وقابلة للاستعمال .

مادة ٣ — عليـه إحضار مأكولات الحرس وعلف الدواب التى تلزم فى مدّة السفر أو الاقامة بالأماكن التى تخـلو من الطعام والعلف وقد لوحظ أن بدل الطعام الذى يصرف للعسكر لا يتحصلون به على غذاء كالغذاء الذى كان يعطى لهم من مطابخ الجيش ، ومن العسكر من يقتصـد من بدل الطعام لينفقه فى شؤون أخرى وهـذا يضعف العسكر و ينقص من قوتهم فلهذا نرى من الصواب صرف تعيينات لهم مدة الإقامة بمكة والمدينـة لسهولة الحصول فيهما على المواد المعيشية كما هو شأن الجنود العثمانيين .

مادة ٤ — عليه بعـد مصادقة أمير الحج أن يقوم بتوزيع عربات القطار المخصوص الذى يقل المحمل من العباسية الى حوض السويس و بالعكس وأن يخصص للركاب والأمتعة أمكنتها من الباخرة بعـد استشارة قبطانها وعليه أن ينظم حركة النزول من البواخر والصعود اليها حتى لا يحصل ضرر للأفراد ولا تلف للأمتعة ، وكذلك يوزع بنظام على وحدات الركب الجمـال والخيام وأدوات المعسكر والمياه وقربها .

مادة ٥ — عنـد ما تسلم الصرة والأمتعة النفيسة من «قره قول» (من عليهم الحراسـة) الى « قره قول » آخر يدوّن ذلك فى الدفتر المعدّ لهـذا ويذكر به عدد الصناديق والحالة التى كانت عليها أختامها ويكرر هذا عند كل تسليم ويكون بمحضر الصراف والضابط المنوط به الحراسة (النوبتجى) الذى فى عهدته الدفتر .

مادة ٦ — « القومنـدان » مسئول عن سلامة المستخدمين المرافقين للمحمل أثناء الترحال والإقامة، وكذا مسئول عن الصرة وأمتعة الحكومة والأمتعة الخاصـة ما دام كل ذلك فى دائرة اختصاصه .

مادة ٧ — على القومندان قبـل تحرك الركب من مكان الى آخر أن يتعرف بكل ما أمكنه من الوسائل — أخلاق العربان الذين سيمرّ بهـم وعاداتهم ونياتهـم وما هم عليه من موالاة للمحمل أو معاداة ويتخذ لذلك ما ينبغى من الاحتياطات .

مادة ٨ — عليه أن يعين دائما رجالا يخفرون المحمل (قره قولات) أثناء الحل والترحال وكذلك يعين عنـد الحاجة حراسا خارجيين يقفون بعيـدا عن العسكر اتقاء لشر يراد به سواء أكان ذلك بالليل أم بالنهار .

مادة ٩ — عليه أن يعين جنديا مسلحا بأسلحة الجنب — عصا أو « بلطة » أو مسدس — فى جدّة ومكة والمدينـة وينبع وغيرها من البـلاد الأخرى التى يرى ضرورة تعيينه فيهـا ويقوم ذلك الجندى برقابة أفراد الركب عنـد ما يكونون خارج المعسـكر .

مادة ١٠ — عليـه قبل أن يتحرك الركب الى الصحراء أن يعين مخفرا أماميا ومخفرا خلفيا وثالثا فى الجنب ولاتفض هذه المخافر عند مايصل الركب الى المحطات إلا بعد إقامة المعسكر ومخافر الحفظ ومخافر الترصد — النقط الخارجية — .

مادة ١١ — لا يجوز له أن يأذن مطلقا لأحد من المستخدمين أو الحجاج المرافقين للمحمل بالتقدّم أو التأخر لما قد ينشأ عن ذلك من الحوادث الخطيرة .

مادة ١٢ — عليه أن يراعى فى نصب الخيام أثناء الحل والترحال أن تكون بحال تسمح بضرب نطاق من الديدبانيه (جمع ديدبان) حواليها ويكون معسكر الحرس بعضه بجانب بعض ويحسن فصله من معسكر المستخدمين والحجاج حتى يكون سهل الحركات .

مادة ١٣ — عليه أن يعين مخفرا دائميا مزدوجا — به حارسان — يقوم بحفظ كسوة المحمل والصرة والأمتعة الأخرى الأميرية ويكون أثناء السفر تحت إشراف ضابط .

مادة ١٤ — عليه أن يعين دورية تمرّ أثناء الاقامة بالأسواق المنصوبة قرب المعسكر وأثناء السفر بركاب المحمل وعليها أن تلاحظ الضبط والربط وإصدار الأوامر الشديدة بوقف أى نزاع يحدث وتبليغ ذلك فى الحال الى القومندان .

مادة ١٥ — عليه أن يحدّد المربعات التى تقام عليها الحفلات فى الأماكن المختلفة ولا يسمح للشاهدين أن يختلطوا بالجنود وتطلق «الصواريخ» فى مكان بعيد عن المعسكر بحيث لا يصيبه من إطلاقها ضرر ولا يقوم بإطلاقها إلا عساكر مخزن البارود « الأبجيّه » .

مادة ١٦ — كل ما يجد من الحوادث غير الاعتيادية عليه أن يخبر به مساعد «الادجونانت جنرال» بمصر ويكون الإخبار بطريق البريد والبرق وكذلك يخبره بما فعله إزاء هذه الحوادث .

مادة ١٧ — عليه أن يساعد رجال المحاجر الصحية حتى يتمكنوا من أداء واجبهم بسهولة .

مادة ١٨ — عليه بعد العودة من السفر أن يقدّم الى المساعد « الادجونانت جنرال » تقريرا يبين فيه طول المراحل التى قطعوها بالأميال فى الذهاب والإياب والمحطات التى نزلوا بها وأماكن العساكر فيها والمدّة التى لبثوها بها ويصف المياه وهل هى من الأمطار أو الآبار ويذكر أسماء القبائل التى مروا بها وأنواع الأطعمة هنالك ومقدارها والحوادث العادية وغير العادية التى حصلت وما اتخذ لتلافيها ،

ويذكر الملحوظات والاقتراحات التى يراها ضرورية لتبليغها لسعادة « السردار » وان كان فى الوقت سعة عمل خريطة « طبوغرافية » يوضح فيها خط السير ويمكن رسمها بواسطة ضابط خبير وترفق بالتقرير .

مادة ١٩ — عليه أن يتبع جميع التعليمات التى تعطى له من نظارة المالية كما عليه :

(أ) إحضار عشرة البغال المخصصة لجر المدفعين وحملهما وهى مودعة بمصلحة الصحة بمصر .

(ب) إحضار المتاع والأدوات والمؤن والعلف فى مصر وفى أى بلد آخر .

(ج) إعداد الجمال اللازمة لحمل مياه الشرب فى مكة وعرفات والمدينة وينبع الخ .

(د) الاستغناء عن الجمال التى تخلو بعد صرف المؤن والعلف والذخائر أو تخلو لوفاة ركابها .

مادة ٢٠ — يتفق مع أمير الحج على تقسيم الحجاج الى جماعات يقوم بحراسة كل جماعة منها عدد محدود من العسكر بحيث يسهل إبلاغ الأوامر اليهم وتوزيع المياه عليهم الخ .

مادة ٢١ — سلطة « قومندان » حرس المحمل تبتدئ من تحركه من العباسية الى عودته وهى كسلطة «قومندان» قسم أو كما يحددها سعادة «السردار» .

مادة ٢٢ — بما أن الأعمال التى يؤديها حرس المحمل صعبة عسرة فيستحسن دائما انتخاب الحرس من الجنود الأقوياء ذوى الأخلاق الحميدة والخدمات الطويلة .

مادة ٢٣ — على القومندان أن ينوط بالكاتب الذى تعينه نظارة المالية أداء جميع الأعمال الكتابية الخاصة بالحرس ويسمح له إن أمكن بأداء الأعمال الكتابية التى يأمر بها أمير الحج ٥ العباسية فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٥

(التوقيع) إبراهيم فتحى
لواء بالعباسية بالمعاش

نظارة الداخلية — السكرتارية الافرنكية

منشــور رقم ٥٥

بخصوص الحج طلعة سنة ١٣٢٥ هـ

١٩٠٨ و ١٩٠٩

الى المديرين والمحافظين

قد اقترب الميعاد الذى يقصد فيـه الحجاج بيت الله الحرام فرأينا من الواجب تذكيركم بالشروط والقيود التى يتحتم القيام بهـا على كل من يريد أداء هذه الفريضة الدينيـــة :

أوّلا — ورقة الجواز (البسابورت) — لا يرخص لاحد بأن يبحر الى الأقطار الحجازية ابتداء من ١٥ أغسطس الحالى إلا بعـد حصوله على ورقة جواز (بسابورت) من الشكل المخصوص المرسل لكم مع المنشور رقم ١٢١ المؤرّخ ٤ سبتمبر ســنة ١٩٠٦

ولكى لا يتكبد الذين يرغبون أداء فريضة الحج هذا العام مشاق التنقل والنفقات التى تتسبب من إلزامهم بأخذ جوازاتهم من المديرية أو المحافظة يسوغ صرف تلك الجوازات لهم من المراكز التابعين لهـا فى هذا العام كما حصـل فى العام المـاضى . وعليـه ينبغى أن ترسلوا للمراكز التابعة لدائرة اختصاصكم العدد الكافى من تلك الجوازات مع التنبيـه بمراعاة المنشور رقم ١٢٩ المؤرخ ٢٣ أكتوبر ســنة ١٩٠٦ القاضى بأن يكون العمل بكمال الدقة ومزيد العناية فى صرفها حسبما تدوّن فى المنشورات الصادرة بشأن الحج . ونلفت نظركم الى استيفاء البيانات والتأشــيرات الواجب تدوينها فى هذه الورقة لمـا لها من الأهمية الكبرى ، فإن النظارة قد شدّدت فى التوصية

بهذا المعنى فى العام الماضى ومع ذلك فقد كانت بعض الجوازات ناقصة حتى اضطر الحجاج الحاملون لها الى التأخر عن السفر بمحافظة السويس وتكبدوا من أجل هذا نفقات مختلفة الى أن أتمت المحافظة المذكورة استيفاء ما كان ناقصا فى هذه الجوازات .

فينبغى إذن إعطاء التعليمات الصريحة الواضحة لأجل استيفاء جميع التأشيرات المقتضى كتابتها على جوازات الحجاج بغاية العناية والتدقيق .

ثانيا — وبهذه المناسبة أذكركم بما هو مدوّن بالمنشور الصادر فى ١٠ يناير سنة ١٩٠٠ القاضى بعدم إعطاء ورقة الجواز (الباسابورت) إلا لمن كان تابعا لدائرة اختصاصكم فقط دون أى شخص آخر، وأذكركم أيضا بأنه لا يجوز صرف تذكرة الجواز إلا لمن كان شخصه معلوما لدى المديرية أو المحافظة أو المركز .

فإن لم تتوفر هذه الشروط جاز إثبات الشخصية بشهادة محررة من اثنين ممن يوثق بصدقهم من المقيمين بالجهة التابع لها طالب الجواز . ويجب عليكم التشديد فى مراعاة هذه الشروط بكل دقة وإعطاء التعليمات الصريحة للمراكز التابعة لجهة اختصاصكم ، حتى لا يتمكن المتوجهون للحج من أخذ جوازاتهم إلا من الجهة التابعين لها ، ولكى تكون أسماؤهم وعنواناتهم معلومة بطريقة صحيحة يقينية .

ثالثا — أما فيما يختص بأوصاف النساء فيجب اتباع ما هو مدون بالمنشور الصادر فى ٧ يناير سنة ١٩٠٥ رقم ٢ القاضى بمخابرة مصلحة الصحة العمومية للاتفاق معها على أخذ هذه الأوصاف بواسطة طبيبات المديريات والمحافظات فإن لم يتيسر الحصول على هذه الأوصاف بواسطة الطبيبات المذكورات لإدراجها بجوازات النساء فيكتفى حينئذ بوضع أوصاف القامة واللون والعيون والسن على جوازاتهن .

رابعا — الأطفال المرافقون لأهلهم فى الحج الذين لا يزيد سنهم عن أربع سنوات يجب إدراج أسمائهم وبيان أعمارهم على ورقة الجواز المعطاة لأهلهم (والتمت نظركم لفتا خاصا الى هذه التأشيرات فقد حصل إهمالها فى بعض الأحيان) .

أما الأطفال الذين تزيد سنهم عن أربع سنوات وزوجة الحاج أو والدته المرافقة له يجب أن تصرف لكل منهم ورقة جواز خاصة والتأمينات المنصوص عليها فى المادة السادسة يجب تحصيلها عن كل واحد من هؤلاء الأطفال الذين يزيد عمرهم عن أربع سنوات .

خامساً — قضت المادة (١٨٤) من قانون العقوبات الأهلى بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين أو غرامة لا تتجاوز عشرين جنيها على كل من استعار فى ورقة الجواز اسما مصطنعا خلاف اسمه الحقيقى أو كفل أحدا فى استحصاله على الورقة المشتملة على الاسم المذكور وهو يعلم ذلك، فينبغى تفهيم نص هذه المادة بكل ما فى وسعكم من الوسائط الى من تحت إدارتكم حتى يكون كل فرد منهم عالما بالعقاب الذى يتعرض له إذا زوّر أو ساعد فى تزوير الجوازات .

سادساً — المبلغ اللازم إيداعه لأجل التوجه للحجاز هو مائتان وستة قروش صحيحة منها مائة قرش لنفقة الحاج إذا تناول بالطور من طعام الحكومة ومائة القرش والستة رسوم المحجر (الكورنتينة) كما كانت بالعام الماضى، وهذه الرسوم يجوز تحصيلها أثناء السفر الى الحجاز، ولكن لأجل التسهيل على الحجاج سيكون تحصيلها مقدما .

أما المبالغ التى يصير ردّها الى الحجاج عند الاقتضاء فهى مبينة فى ورقة الجواز وستؤشر محافظة السويس ومجالس (الكورنتينات) على هذا الجواز مبينين اسم الباخرة المسافر عليها كل حاج وتاريخ سفرها ومقدار رسوم (الكورنتينة) التى تقرر ردّها اليه بحسب الاحتياطات التى حصلت معه، وبهذه الطريقة ليس على الحاج عند عودته سوى أن يقدّم جوازه للمركز أو المديرية أو المحافظة التى أخذه منها ليتحصل على رد المبلغ المستحق له ، وبهذه الطريقة أيضا يتيسر رد مبلغ مائة القرش المقررة للمؤونة إذا لم يتناولها من حساب الحكومة بالطور .

سابعاً — بعد التأكد من ثبوت شخص طالب الجواز لأجل السفر الى الحجاز ومعرفة محل إقامته الحقيقى لا يصرف الجواز اليه إلا بعد أن يبرز الأوراق ويستوفى الأشياء الآتى بيانها :

(أولا) تذكرة ذهاب و إياب صادرة من إحدى شركات الملاحة المعتبرة لدى الحكومة .

(ثانيا) إيصال يدل على إيداعه مبلغ مائة القرش المقررة لمؤونته بالمحاجر الصحية إذا عاد من الحجاز لا يملك شيئا .

(ثالثا) إيصال يدل على أنه أودع المائة والستة القروش رسوم الحجر الصحى (الكورنتينة) ونفقات الركوب والنزول من البواخر بمحطة الطور .

و بما أن البيانات الموضحة على أنموذج الجواز تسمح بإلغاء القسيمة التى كانت تعطى سابقا للحجاج والتأشير على نفس ورقة الجواز بما يفيد دفع هذه القيمة يقوم مقام القسيمة المذكورة .

وحيث إنه سيؤشر على نفس ورقة الجواز الخاص بالحجاج باستيفاء كل هذه الشروط فيعفى الحاج من حمل إيصال مبلغ مائة القرش ويجوز له إبقاؤه بمحل اقامته بحيث لا يأخذ معه فى السفر إلا ورقة الجواز (البسابورت) وتذاكر السفر .

ولأجل تسوية الحساب مع مجلس الصحة البحرية و «الكورنتينات» فى آخر كل حج يجب أن تجهزوا كشوفات بمقدار رسوم (الكورنتينة) التى حصلت مبينا فيها اسم كل حاج ورقم الجواز المعطى له ومقدار رسوم (الكورنتينة) المحصل منه قبل سفره، والمبلغ الذى دفع له بعد عودته بناء على التأشير المأخوذ على جوازه من مجلس الصحة البحرية و (الكورنتينات) والمبلغ الباقى للمجلس المذكور من هذه الرسوم ويمكن استخراج هذه الكشوفات بكل سهولة من الدفاتر المذكورة بالبند التاسع من منشورنا هذا المتضمنة لبيان الجوازات الصادرة، وهذه الدفاتر لا تحفظ بالمحافظات أو المديريات فقط بل بجميع المراكز أيضا .

ثامنا — فيما يختص بالحجاج الأجانب يتحتم عليهم أيضا أن يأخذوا أوراق الجواز من الشكل المخصص للحجاج المصريين أما إثبات شخصهم وتعيين محل اقامتهم فيكتفى فيه بتقديم شهادة من (قنصلاتو) الدول التابعين لها . وفيما يتعلق بهؤلاء الحجاج يكفى أن يذكر فى المربع الأول من ورقة الجواز اسم طالب الحج وجنسه

والإشارة الى شهادة (القونصلاتو) التابع له وتاريخ هذه الشهادة وتقوم هذه البيانات مقام البيانات المتنوعة المفروضة على الحجاج المصريين، فإن الحجاج الأجانب غير ملزمين بها إنما يجب عليهم مثل الحجاج المصريين ألا يأخذوا ورقة الجواز من غير المديرية أو المحافظة المقيمين بها ويجب عليهم التأشير على هذه الورقة من تفتيش الصحة فى الذهاب والإياب .

تاسعا — دفاتر قيد الجوازات . يكون فى كل مديرية أو محافظة أو مركز دفتر لقيد كل ما يصدر منها من أوراق الجوازات ويحتوى هذا الدفتر على البيانات الآتيــة :

(أوّلا) رقم الجــواز؛	(سادسا) اسم المركز؛
(ثانيـا) اسم طالب الحج ؛	(سابعا) اسم البلد أو الناحية ؛
(ثالثـا) جنسـيه ؛	(ثامنـا) تاريخ السفر؛
(رابعـا) الأشخاص المرافقين له ؛	(تاسعا) تاريخ العودة ؛
(خامسا) اسم المديرية أو المحافظة ؛	(عاشرا) ملاحظات ؛

وكل من عاد من هؤلاء الحجاج يقيد تاريخ عودته فى النهر المخصص لذلك بحيث يتيسر بمجرد النظر فى هــذا الدفتر معرفة الأشخاص الذين لم يعودوا من الحجاز كما هو مدوّن بالمنشور رقم ١٣٧ المؤرخ أول نوفمبر سنة ١٩٠٦ .

وألفت نظركم أيضا الى الإيضاحات الواجب تدوينها فى آخر ورقة الجواز من الجهة اليمنى التى يكتب فيها رقم الجواز وتاريخه واسم المديرية والمحافظة واسم الحاج وعدد الأطفال المعافين من رســوم (الكورنتينات) إن كانوا، ومقـــدار الرسوم (الكورنتينية) المحصلة سلفا .

ويجب تميم هذه الإيضاحات بمعرفتكم على الجزء المذكور من الجواز، وهذا الجزء يجرى فصله من ورقة الجواز بالطور بمعرفة مجالس الصحة البحرية و(الكورنتينات) عند النزول .

عاشرا — لا تتخذ الحكومة هذه السنة التدابير الاستثنائية التى كانت متبعة فى السنين الماضية فى حق الحجاج الذين فضلوا مرافقة المحمل .

الحادى عشر — تعميم نشر هذه التعليمات . يجب نشر هذه التعليمات بكل ما فى وسعكم من وسائط النشر والتعميم مع ما تستلزمه من التفاصيل لأجل إعلام الجميع بها وتمام معرفته لها خصوصا من كان مقيما فى دائرة اختصاصكم ، ولنا وطيد الأمل فى أنكم تراعون العمل بمقتضى هذه التعليمات بتمام الدقة وكمال الاعتناء ، ونرى وجوب تحذيركم من الآن من الإخلال بأى حكم من أحكامها منعا من الوقوع فى المسئولية .

تحريرا بمصر فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٠٨ عن ناظر الداخلية

وإذ قد انتهينا من المقدّمة نشرع فى تفصيل الرحلة الختامية .

تفصيل رحلة سنة ١٣٢٥

فى يوم الاثنين ٢٨ رمضان سنة ١٣٢٥ (٤ نوفمبر سنة ١٩٠٧) صدرت إرادة سنية رقم ١٣ بتعيينى أميرا للحج وتعيين حضرة محمد بك على الذى كان قاضيا بالمحاكم الأهلية أمينا للصرة فى طلعة سنة ١٣٢٥ هـ . وبلّغتنا تلك الإرادة نظارة الداخلية ، ثم قابلت مع الأمين سموّ الخديو لأشكر له منصب الإمارة ويشكر صاحبى ما أسند اليه من الأمانة ، وبعدئذ قابلت ناظرى المالية والداخلية وتباحثت معهما فى شؤون الحج .

دية من قتل من العربان — وفى ٦ شوّال (١٢ نوفمبر) رفعت الى صاحب العطوفة ناظر المالية الكتاب الآتى :

أتشرف بأن أعرض على عطوفتكم أن أجرة الجمال التى تقل ركب المحمل المصرى زادت فى السنتين الأخيرتين زيادة حملت المالية على أن تدفع أجر جمال فوق ما أخذته من الأهالى المرافقين للمحمل وقد سبب هذه الزيادة تغيير المحمل طريقه القصير المتفق عليه — طريق ينبع — بطريق الطريف الطويل وذلك بسبب

ما حدث فى الطريق الأوّل عند الحمراء سنة ١٣٢٢ هـ من القتال بين حرس المحمل والعربان وقتل جملة من هؤلاء وبما أن العرب يأبون إلا الأخذ بالثأر أو دفع الدية اليهم فأرى أن تدفع الدية لأولياء الدم، ونسلك طريق ينبع ذا المياه الجمة والخضراوات الكثيرة، وبذلك تقتصد المالية نقودا وفيرة، وذلك لأن الأجرة التى اتفق عليها دولة الشريف وأمير الحج كانت فى سنة ١٩٠٥ — ١٥ جنيها، وفى سنة ١٩٠٦ كانت ١٦ عن كل جمل يسير من جدّة الى مكة فعرفات فمكة فالمدينة فينبع، وعند الوصول الى المدينة زيدت الأجرة من أجل تغيير الطريق جنيهين ونصفا فى سنة ١٩٠٥ وجنيها ونصفا فى سنة ١٩٠٦ فإذا راعينا أن ركب المحمل احتاج فى السنة الماضية الى ١٤٥١ جملا وضربنا ذلك فى متوسط الزيادة وهو جنيهان كان مجموع الزيادة ٢٩٠٢ جنيه فإذا ودينا القتلى بألف جنيه وسلكنا الطريق القصير اقتصدنا للمالية ما يقارب الألفين وجلبنا الراحة للحجاج ووطّأنا الطريق للسنين المقبلة وأزلنا ما بين العرب والحجاج من العداء المستحكم، فان رأى عطوفتكم ما ارتأيت فأرجو إعطائى التعليمات اللازمة » ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٧ أمير الحج

اللواء إبراهيم رفعت

وفى ١١ شوّال سنة ١٣٢٥ (١٧ نوفمبر ١٩٠٧) أرسلت صورة من هذا الكتاب الى سعادة مدير الحسابات العامة. وفى ١٢ ذى القعدة (١٧ ديسمبر) أرسل إلىّ ناظر المالية الكتاب الآتى مجيبنى فيه الى اقتراحى :

سعادة أمير الحج الشريف طلعة سنة ١٣٢٥ رجعة سنة ١٣٢٦ هـ

طلب سعادتكم فى المذكرة التى قدّمها للنظارة بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٧ ان يصرح له بدفع الديات الى أسر العربان الذين قتلوا فى حادثة الحمراء التى نشبت فى سنة ١٣٢٢ هـ ما بين العربان وركب المحمل وقد بينتم أنه بدفع هذه الديات يمكنكم أن تسلكوا طريقا أقصر وتقتصدوا للمالية من الزيادة التى دفعتها فى العامين الأخيرين وتعيدوا الصلات الحسنة بين ركبنا والعربان وتمهدوا الطريق الأقصر

للسير منه فى السنين القادمة ، وقد أشرتم الى أن الدية تحتسب من أجر الجمال وأنها لاتعدو ثلث الزيادة التى نشأت فى العامين السالفين من تغيير الطريق القصير بطريق أطول .

ونظارة المالية لا ترى مانعا من إجابة طلبكم و بمراعاة عدد الجمال اللازمة لموظفى المحمل وحجاجه بعد الوصول الى المدينة ومراعاة أن الدية لا تعدو ثلث الزيادة ، قدّرنا لكم ديةً ٩٠٠ جنيه وقد أمرنا بوضعها بخزينة الصرة الشريفة لتكون تحت طلبكم تُدْون بها أولياء القتلى وتستر حقوقهم ، وذلك بخلاف أر بعمائة الجنيه المقدّرة للنفقات السرية التى هى تحت تصرفكم أيضا ولا يجوز أن تزيد نفقات هذا العام مطلقا عن نفقات سنة ١٩٠٦ و١٩٠٧ التى كثّرها زيادة أجر الجمال ، وللنظارة عظيم الأمل فى أن تبذلوا جهدكم فى إرضاء عربان الطريق الأقصر وحسم ما يبدو من النزاع بينهم و بين ركب المحمل حتى يكون فى مأمن من شرهم ولا يضطر الى تغيير الطريق فى السنين المقبلة .

حرر بالقاهرة فى ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ (١٧ ديسمبر سنه ١٩٠٧)

ناظر المالية

(توقيع) أحمد مظلوم

ونلفت نظر القارئ الى أنه مع حصول الصلح فى المدينة بين العربان واللواء ، محمود حسنى باشا أمير الحج بعد حادثة الحمراء فان أميرى الحج فى حجتى سنة ١٣٢٣ وسنة ١٣٢٤ هـ لم يمكنهما سلوكُ الطريق القصير — الطريق السلطانى — وهاك شروط الصلح التى وقع عليها محافظ المدينة وكبار العربان فى (الرسم ٢٥٦) .

مسئولية أمير الحج — بعث إلى ناظر المالية بالكتاب الآتى مرفقا به التعليمات التى قدّمناها لك فى التمهيد قال بعد الديباجة :

مرسل لسعادتكم مع هذا نسخة من التعليمات الخاصة بمالية المحمل وغيرها طلعة سنة ١٣٢٥ رجعة سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) مبينا بها الواجبات التى عليكم

الصلح بين العرب ومتعهد الجمال

Camel-contractor making a compromise between the Mahmal and the Bedouins.



الحمد لله تعالى

سبب تحريره وموجب تسطيره هو أنه بعد أن وقع في الطريق السلطاني ما وقع بين عساكر المحمل الشريف المصري وبين جماعة المقومين من العربان الجمالة [illegible] في الإصلاح بين الفريقين [illegible]

قد توجه [illegible] حضرة شيخ الحرم الشريف النبوي ومحافظ المدينة المنورة [illegible] وجنابه مقدم المحمل المصري [illegible]

أمير الحج الشريف وجنابه الشريف [illegible] وكيل مقام الإمارة الجليلة [illegible] أمير المحمل الشريف

[illegible] في مقام الحكومة السنية قد حصل الإصلاح بين الفريقين [illegible]

وعساكر لا يتكلمون على جماعة المقومين [illegible] عن القانون [illegible] المقومين والجمالين [illegible]

[illegible] وحدوث الفتنة بين الفريقين وأن يكون حضرة سعادة أمير المحمل الشريف المصري [illegible]

[illegible] المحمل الشريف [illegible]

[illegible] من يوم توجههم من المدينة المنورة إلى وصولهم بالسلامة بندر ينبع البحر [illegible]

[illegible] في الطريق من أي قبيلة [illegible] على [illegible] جميع القبائل الذين بمعية المحمل الشريف [illegible]

[illegible] على الجمالين الذين في معية المحمل من العساكر [illegible]

[illegible] وثيقة بيد حضرة سعادة أمير الحج المصري الشريف ووثيقة تحفظ بمقام الحكومة السنية بالمدينة المنورة ووثيقة تحفظ بيد جماعة [illegible]

الناقلين للمحمل الشريف المصري [illegible] وصول المحمل الشريف بالسلامة إلى بندر ينبع البحر [illegible]

ينبع واستقر الأمر على جميع ما سطر وبالله الاعتماد [illegible]

أثناء السفر ومن ضمنها الواجبات المالية ، وكان المتبع قبلا أن يعلن حضرة أمين الصرة مباشرة بواجباته ويعلن "قومندان" حرس المحمل بواجباته بواسطة نظارة الحربية ، ولكن نظارة المالية رأت من كمال النظام أن تكون كل مخابراتها مع أمير الحج نفسه ليكون هو وحده المسئول أمام الحكومة عن كل ما يتعلق بالحج ، وعلى سعادتكم أن تعلموا كل موظف من موظفى المحمل : ملكيين وعسكريين بواجباته ، ويكون مسئولا أمامكم ، وبما أن إمرة الحج جعلت اليكم فالنظارة تلفت نظركم الى كل ما جاء بالتعليمات المذكورة وخصوصا عدم مجاوزة المبالغ المقررة للموظفين أو الجهات الأخرى ، واعملوا كل ما يلزم للمحافظة على نقود الصرة من حين تسليمها اليكم من خزينة النظارة الى أن تسلموا الباقى منها الى المالية بعد العودة .

حرر بالقاهرة فى ١٤ شوال سنة ١٣٢٥ (٢٠ نوفمبر سنة ١٩٠٧) ناظر المالية
أحمد مظلوم

توصية على "على بك بهجت" وكيل دار الآثار العربية

وبعث الينا عطوفة ناظر المالية الكتاب الآتى المؤرخ فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٠٧ قال بعد الديباجة :

انتدبت الحكومة حضرة على بك بهجت وكيل دار الآثار العربية للقيام بعمل فى الأقطار الحجازية وسيرافق ركب المحمل وقررت الحكومة أن تدفع له ٢٥٠ جنيها نظير عمله ونفقاته كلها من مأكل ومشرب وأجر أماكن وجمال وبواخر الخ ، وكذلك منها نفقة من يرافقه فى القيام بهذا العمل وسيصرف اليه من خزينة المالية ١٠٠ جنيه من ضمن ذلك المبلغ وسيودع الباقى بخزينة الصرة تحت طلبه فنرجوكم أن تساعدوه على القيام بما عهد اليه وأن تعطوه ما يطلب من المبلغ الباقى له ويعامل فى «الكورنتينة» بالطريقة التى يعامل بها موظفو المحمل وأتباعهم اهـ ناظر المالية
أحمد مظلوم

موعد تحرير إشهادى الكسوة والصرة — كاتبنى ناظر المالية فى ٨ ذى القعدة (١٤ ديسمبر) أن تحرير إشهاد الكسوة سيكون بالمسجد الحسينى فى يوم الأربعاء ١٨ ديسمبر فى الساعة العاشرة الافرنكية، وأن تحرير إشهاد الصرة سيكون فى يوم الخميس ١٩ ديسمبر فى الساعة الحادية عشرة، وأنه يجب حضورى وحضور أمين الصرة فى المواعيد المضروبة .

نقود الصرة

وفى يوم ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ (١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧) كتب بحضورنا إشهاد تسليم الصرة وكانت النقود التى فيها كما يأتى :

القيمة بالجنيه المصرى		نوع النقود	القيمة بالجنيه المصرى		نوع النقود
مليم	جنيه		مليم	جنيه	
		(نقود الصرة)			(أمانات)
٥٠٠	٢٢٥٢٢	٢٣١٠٠ جنيه انجليزى	٣٧٫٥	٥٦٣٤	٥٧٧٨٫٥ جنيه انجليزى
—	٢٠٢٠	١٠١٠٠ ريال مصرى	٣٩٦٫٢٥	٢٩	٣٣٫٥ « مجيدى
—	٥٠٥	٥٠٥٠٠ نقود فضية	١٦٢٫٧٥	٣٦٩	٤٧٨٫٥ « وينتو
٧٥٧	٣	نيكل	٧٥٠	١٨	٩٣٫٧٥ ريال مصرى
١٢٨	٥٥٠٣	٥٦٠٧٢ ريال طاق	٦٦٥	—	نيكل
			—	—	٥٢٤ ريال طاق
١٨٥	٣٠٥٥٤	جملة نقود الصرة	١٩٦٫٥	٣٦٦٠٦	الجملة غير ٥٢٤ ريال طاق

موعد الاحتفال بطلعة المحمل والسفر — بعث إلىّ مدير الحسابات العامة "أوجست أديب باشا" بكتاب مؤرخ فى ٢٦ نوفمبر اعتمد به مواعيد

الاحتفال والسفر التى اخترتها من قبل ، وأن الاحتفال بطلعة المحمل سيكون فى يوم السبت ١٦ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ (٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٧) وشحن القطار بالأمتعة والأدوات سيكون بمحطة العباسية فى ٢٢ ديسمبر وسفر المحمل ومستخدميه فى اليوم التالى من محطة العباسية أيضا وذكر بالكتاب أنه كتب الى مصلحة السكة الحديدية بإعداد قطارى الأمتعة والركاب فى يومى السفر وأنه بعد اتفاق الأمير مع المصلحة على عدد العربات تخبر المالية لتكاتب المصلحة فى إعداد تذاكر السفر من مصر للسويس لتسلم الى المندوب الذى يختاره الأمير لتوزع على أربابها .

بعثة طبية من ديوان الأوقاف — وبعث بمكتوب إلىّ مدير عموم الحسابات قال فيه : إن ديوان عموم الأوقاف ذكر بمكاتبة مؤرّخة فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٠٧ رقم ٤٠٠ فيها أن البعثة الطبية المقرّر سفرها الى الأقطار الحجازية على نفقته ستسافر فى هذا العام مع المحمل وأنه يلزم لمستخدميها ١١ تذكرة ثنتان منهما من الدرجة الأولى ومثلهما من الثانية والسبع الباقية من الثالثة وذلك ليسافروا بباخرتى المحمل على نفقة الديوان .

والمالية لا ترى مانعا من سفر هذه البعثة مع المحمل برا وبحرا ذهابا وإيابا ، وسعادتكم يعطى مصلحة السكة الحديدية شهادة بعدد هؤلاء المستخدمين لتحاسب ديوان الأوقاف بموجب ما فيها ما

القاهرة فى ٦ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ (١١ ديسمبر سنة ١٩٠٧)

مدير عموم الحسابات
أوغست أديب

أمانات وردت لخزينة الصرة لتسليمها لأربابها بالحرمين

مليم	جنيه	
٤٠٠	٥٢	وردت من أناس مختلفين الى خزينة الصرة فى ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ (١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٧) وذلك لتوزع بمكة على أشخاص مخصوصين
٢٠٢	٣٣٠	
٤٧٥	١٣٧	
٣٠٠	١	
٢٠	—	
١٠	—	
—	٣٩	لأحمد افندى فوزى قراقيش (وردت فى تواريخ مختلفة وتسلم بالمدينة)
٢٩٥	٤	للشيخ مصطفى صقر (وردت فى تواريخ مختلفة وتسلم بالمدينة)
٥٠	١٥٣	من دائرة "البرنس" حليم باشا الى السيد أحمد البرزنجى وكيل الخيرات المرتبة من طرف الدائرة بالأقطار الحجازية وهو خالص معاشه ومرتبات مذكورين لغاية مارس سنة ١٩٠٨ (وردت فى تواريخ مختلفة وتسلم بالمدينة)
—	—	صندوق من اليوزباشى إسماعيل افندى حسن الى السيد محمد صالح الرشيدى بالمدينة
٣٥٧	٥	من الشيخ محمد رزق من كفر طحا منها جنيه الى الشيخ عبد الله شيخ الزمازمة و ٥,١ الى الشيخ صالح كمال العالم ونصف جنيه لنجله وللشيخ المنصورى أو السباعى نصف جنيه وجنيهان لكناسى الحرم وشيخهم ويعطى ضعف ما يخص واحدا منهم
٧٧٥	١٦٤	من زوجة فضيلة الشيخ حسونه النواوى
—	٣٩	من محمد مختار بك الى حازم بن عبد الله بمكة
٩٧٥	—	من اسماعيل بك مختار الى محمد حامد أبو ناصف المطوف بمكة
٨٠٠	٧	من سرور أغا بسراى القبة الى أخته زينب الحبشية رحمها الله بمكة
٦٥٩	٩٣٥	

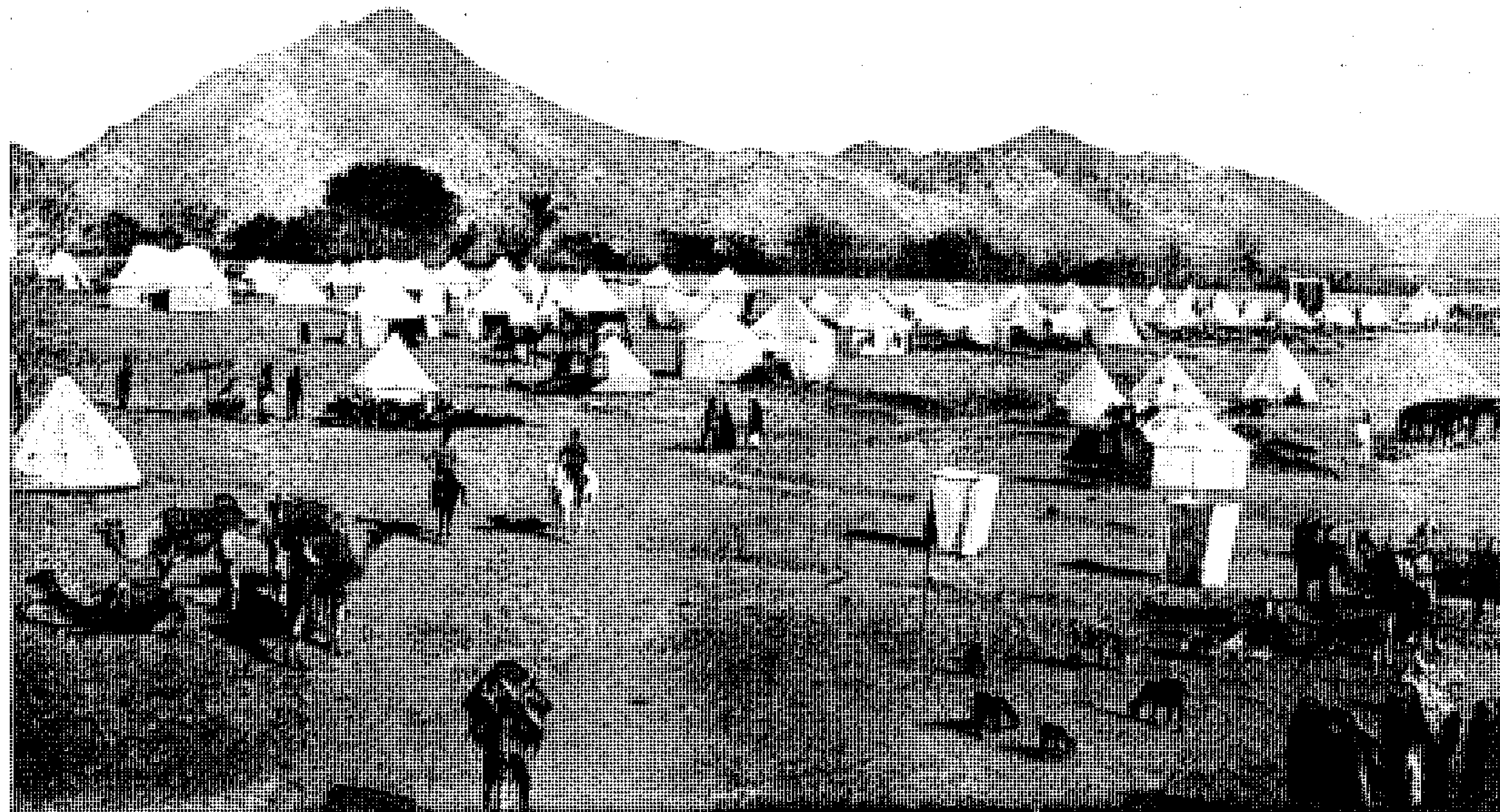
مليم	جنيه	
٦٥٩	٩٣٥	ما قبله
٨٠٠	—	من أحمد افندى كامل الى محمد عمر الياس الزمزمى بمكة
٩٠٠	٣٠	الى محمد رفيع الزمزمى بمكة
٩٥٠	١	الى يوسف افندى الخوجة التركى المجاور بمكة
٩٧٥	—	الى أحمد الغزولى المطوف بمكة
—	—	صندوق لمراد أغا أحمد بمكة
٢٨٤	٩٤٢	جملة الأمانات ٩٤٢ جنيها مصريا و٢٨٤ مليما و٥٢٤ ريالا طاقيا وصندوقان

مبيت الحجاج فى السويس بالباخرة — فى حجتى سنة ١٣٢٠ وسنة ١٣٢١ نال الحجاج كبير مشقة من جرّاء مبيتهم فى السويس ولا سيما ركاب الدرجة الأولى والثانية الذين تعوّدوا النعيم فكتبت فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ الى نظارة الداخلية مستأذنا فى مبيت ركاب الدرجتين السابقتين بباخرة المحمل فأجابتنى الداخلية فى ١٩ ديسمبر الى ما رغبت بعد أن استأذنت مصلحة الصحة فأذنت بالشروط الآتية : (١) سعادة الأمير مسئول بنفسه عن إخلاء الباخرة قبل الميعاد المحدّد للتفتيش؛ (٢) ألا يحصل استثناء لأحد ما مهما كانت منزلته وألا تقدّم طلبات عن ذلك؛ (٣) أن تتبع بالدقة تعليمات تفتيش البواخر المسلم للأمير نسخة منها، وذلك قبل قيام البواخر.

سفر المحمل والاحتفال به — بدأ الاحتفال بسفر المحمل بميدان صلاح الدين بالقلعة من الساعة العاشرة الافرنكية من صباح السبت ١٦ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ (٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٧) وحضره سموّ الجناب العالى الخديوى (انظر الرسم ٢٥٧) وسافر المحمل وركبه من العباسية فى الساعة ٧ والدقيقة ٢٥ من صبيحة الاثنين ١٧ ذى القعدة، وقام من محطة القاهرة بعد ذلك بنصف ساعة ووصل السويس بعد سبع ساعات وربع واحتفل به فى اليوم نفسه احتفالا مهيبا منظما حضره محافظ السويس وتوجه الركب بعد الاحتفال الى الحوض وقد ساعدنا المحافظ وموظفو شركة البواخر مساعدة كبيرة حتى تيسر إبحار ركب المحمل الذى بلغ ٢٤٠٠ شخص فى مغرب

شمس الثلاثاء ١٩ ذى القعدة (٢٤ ديسمبر) . وترى فى (الرسم ٦) منظر المحمل وقد حمل على الأكتاف لوضعه بالباخرة . وقبل إبحارنا من السويس أبرقنا الى نائب الوالى بجدة بعدد الجمال اللازمة للركب لتجهيزها . وقد وصلنا محجر الطور فى صبيحة الأربعاء ٢٠ ذى القعدة وهناك نزل ركاب الدرجة الثالثة لإجراء التبخيرات الصحية وفى اليوم نفسه قامت الباخرة بنا جميعا الى جدّة فوصلناها فى يوم الجمعة ٢٢ ذى القعدة (٢٧ ديسمبر) فى الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ بعد الظهر وقد حضر الينا بالباخرة طبيب المحجر — الكورنتينة — ودفعنا رسوم الحجر عن جميع الحجاج دفعة واحدة، وكذلك رسوم الجوزات وأجرة الزوارق فاقتصدنا بذلك كثيرا من وقتنا وحينما نزلنا بجدّة أبرقت الى كل من دولتى الشريف والوالى بوصول ركبنا سالما وأننا رأينا من تسهيل الحكومة لنا ما سرنا وأن «المقوّم» الذى أرسله الشريف وصل فاجابنا كل واحد منهما بسروره بالوصول وتمنيه أن يرانا قريبا فى أحسن حال انظر البرقية فى (الرسم ٢١٢ صحيفة ٥٦ ثانى) وقد احتفل بالمحمل فى جدّة احتفالا حضره موظفو الدولة وعساكرها الشاهانية وترى فى (الرسم ١٢) شكل الموكب وفى (الرسم ٢٥٨) ضباط المحمل بجدّة وفى ٢٩ ديسمبر وصلنى خطاب من حماده بك الطبيب مندوب مجلس المحاجر الصحية المصرية بجدة بأنه وصلته برقية من رئيس مجلس الصحة البحرية والمحاجر المصرية فيها أن المجلس قرر مصادرة جميع المأكولات التى يحضر بها الحجاج الى الطور و إتلافها و إبلاغ ذلك الى جميع أطباء المحمل من ملكيين وعسكريين ليفهموا الحجاج ذلك ورجانى فى آخر الخطاب مساعدته على تنفيذ ذلك وقد سافرنا من جدّة فى صباح ٢٦ ذى القعدة و بتنا «ببحرة» بعد مسير ٩ ساعات وترى معسكر المحمل بها فى (الرسم ٢٥٩) وفى صباح اليوم التالى قمنا منها الى مكة فوصلناها بعد مسير ٩ ساعات أيضا ودخلناها بالاحتفال المعتاد وأقمنا بمعسكرنا فى الشيخ محمود كما ترى ذلك فى (الرسمين ٢٦٠ و ٢٦١) وترى بهما بعض حديقة الشريف عون وفى الثانى منهما على اليسار سرادق الأمير بجانبه خيمة الأمين وقد كانت عساكر الدولة منتشرة فى الطريق بين جدّة ومكة فتراهم فى الأبراج والحصون وعلى رءوس الجبال ليقوا الحجيج شر الاعراب .

٢٦٠ معسكر المحمل بالشيخ محمود سنة ١٣٢٥



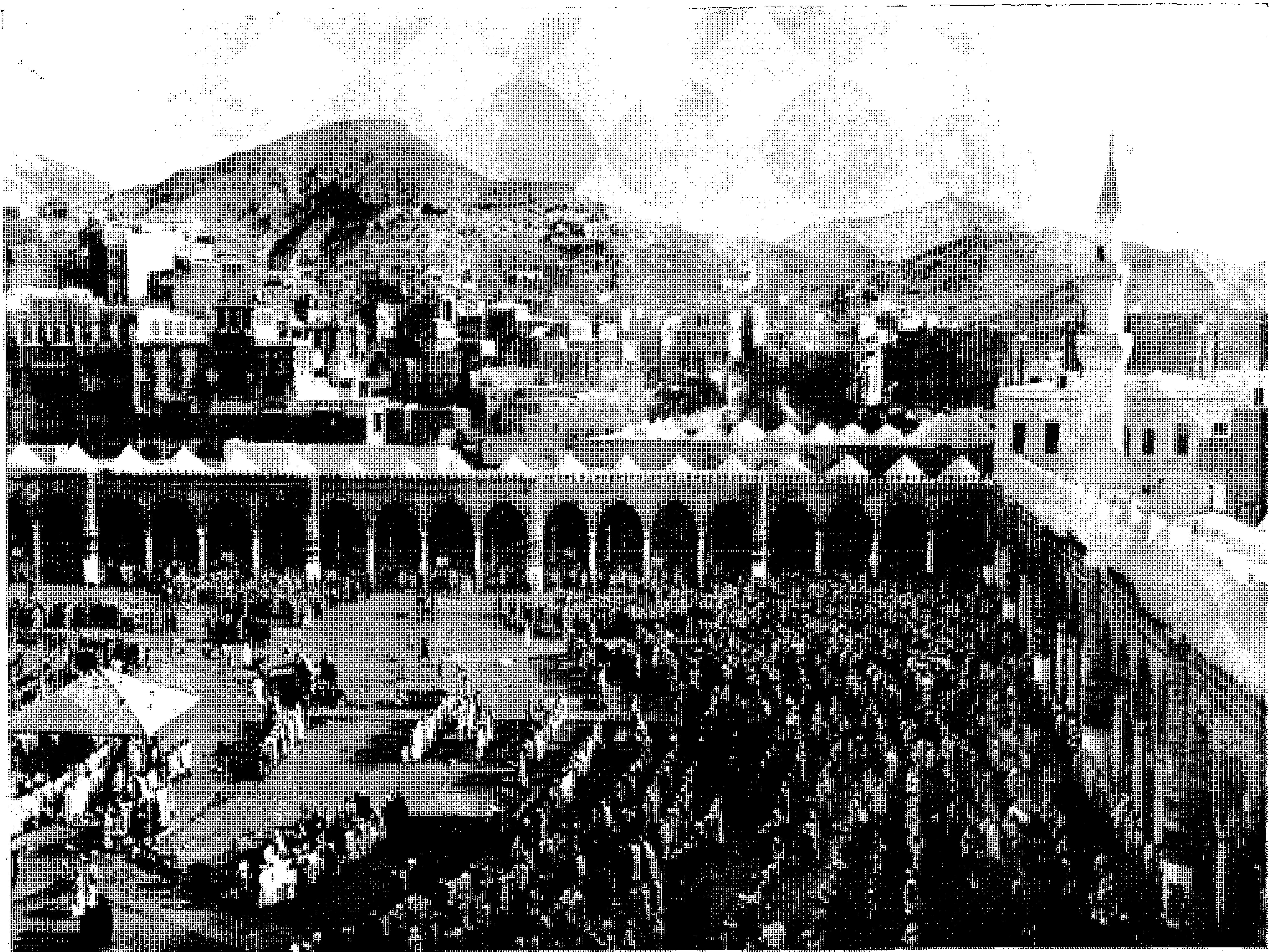
260· A view of the camp of the Mahmal in El Shaikh Mahmoud in 1325

٢٦١ معسكر المحمل بالشيخ محمود بمكة المكرمة



261. A view of the Camp of the Mahmal in El Shaikh Mahmoud in 1325.

٢٦٢ صلاة العصر داخل الحرم المكي من الجهة الجنوبية الغربية



262. The Northern western view of the Kaaba and the praying places of the four caliphs in the Moq. The Pilgrims praying their afternoon worship

في مكة — وعند وصولنا الى مكة بدأنا بزيارة المسجد الحرام الذى تراه مع جبل أبى قبيس فى (الرسم ٢٦٢) وطفنا طواف القدوم وأرسلت فى أول يناير الى المعية السنية ونظارة الداخلية البرقية الآتية : وصلنا جميعا بصحة تامة .

زيارة الشريف والوالى — فى ٢٩ ذى القعدة (٣ يناير سنة ١٩٠٨) توجهنا بعد صلاة الجمعة لمقابلة سيادة أمير مكة[1] الشريف على باشا وقدّمنا له الخطاب المرسل اليه من سمو الخديو فتقبله بالتجلة والاحترام وترى الكتاب فى (الرسم ٢٦٣ صحيفة ١٠٧ ثانى) وترجمته بالعربية ما يأتى :

الى الجانب العالى لإمارة مكة المكرمة الجليلة

حضرة صاحب الدولة والسيادة

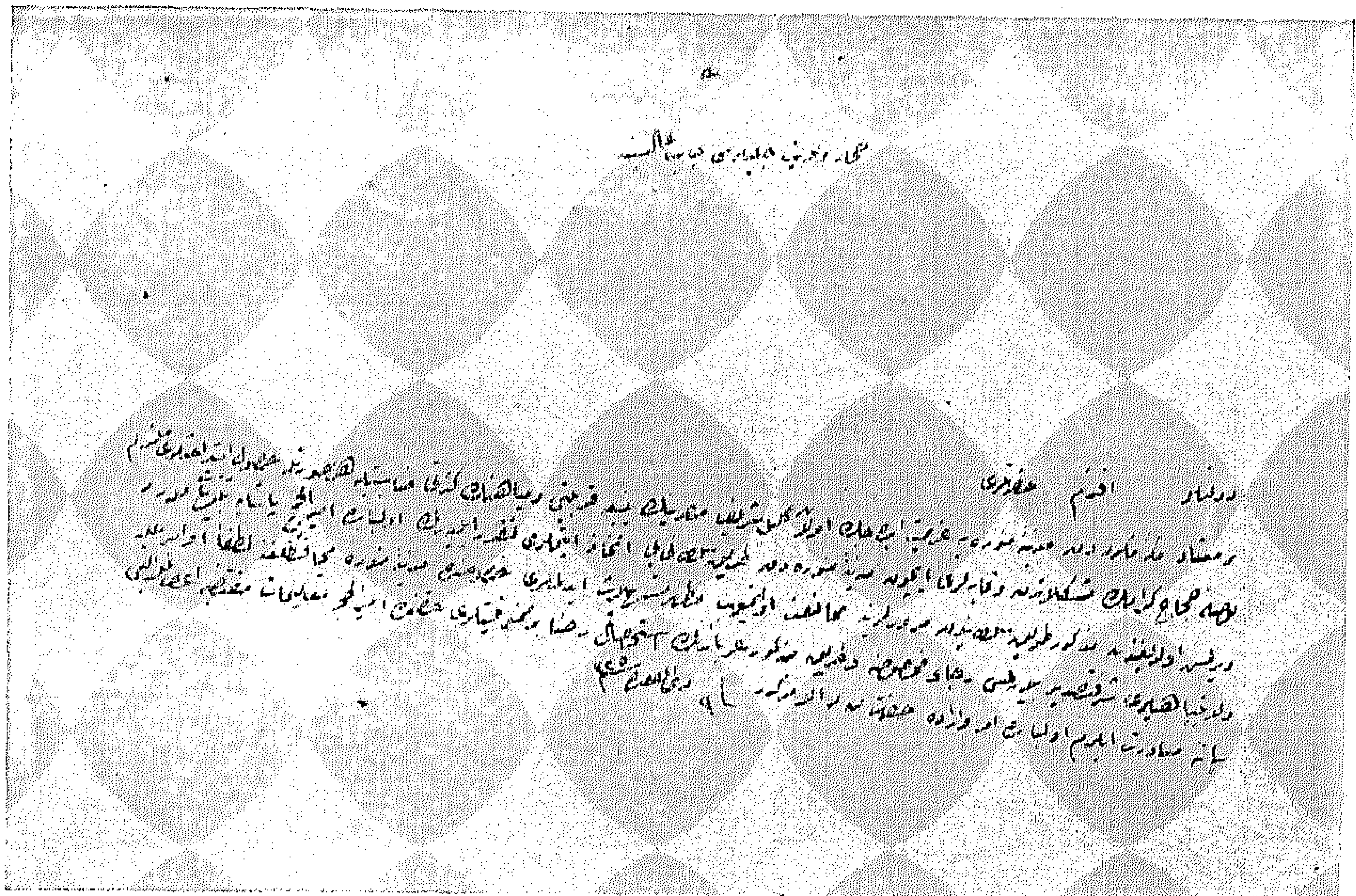
إن المحمل المصرى الشريف الذى اعتاد القيام من مكة الى المدينة قد تقرر أن يسلك الطريق السلطانى من المدينة الى ينبع لقرب هذا الطريق وكثرة المياه به وتجنبا لوقوع حجاج بيت الله الحرام فى المشاكل ومحافظة على راحتهم التى هى لديكم أمر لازم دائما ومع أننا نبهنا الباشا أمير الحج الى كل ذلك فإننا لانرتاب فى أن راحة الحجاج مرهونة بما تبذلونه من المساعدات الجليلة والعنايات الفخيمة فإذا استصوبت ذاتكم العلية الهاشمية المرور من الطريق السلطانى فأرجو أن تأذنوا بصدور الأمر الى محافظ المدينة بأن يمكّن المحمل من سلوك هذا الطريق ويقدم له المساعدات الواجبة وفضلا عن ذلك فإننا أكدنا على أمير الحج باسترضاء عربان هذا الطريق بأى صورة كانت ومع كل فالأمر والإرادة لحضرة من له الأمر م ع

٩ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ هـ

ثم توجهنا الى دولة الوالى وناولناه كتابه المرسل اليه من سمو الخديو أيضا فتقبله بقبول حسن وترى الكتاب فى (الرسم ٢٦٤) صحيفة ١٨٨ وهو ككتاب الأمير إلا أنه مبدوء بحضرة صاحب الدولة فقط . وفى سابع ذى الحجة (١١ يناير سنة ١٩٠٨) ردّ لنا كل منهما الزيارة فى سرادقنا بالشيخ محمود وأطلقنا لقدوم كل منهما ورجوعه

(١) الآن مقيم فى محطة سراى القبة .

A copy of the letter of H.H. the Khedive to the Wâli of El Hejaz.



(الرســـم ٢٦٤)

١٩ مدفعا وآحتفلنا بهما الاحتفال المعتاد ومنيانا المساعدة وأن يعملا كل مافيه راحة الركب وترى فى (الرسم ٢٦٥) منظر استقبال الأمير وعن يساره أمير الحج وترى فيــه العساكر العربية وقد اصطفت أمام السرادق عن اليمين وعن الشمال . وفى (الرسم ٢٦٦) جنودنا وهم يستقبلون الأمير والجواد الواقف جواده عليــه سرج مذهب . وترى فى يسار الرسم مظلة(١) الشريف ولها شأن كبير فى التاريخ . وفى (الرسم ٢٦٧) جنائب

(١) جاء فى صبح الأعشى فى الجزء الثانى ص ١٢٦ تحت عنوان الآلات الملوكية : ومنها المظلة واسمها بالفارسية الجتر — بتون بين الجيم والزاى المعجمة — و يعبر عنها العامة الآن بالقبة والطير وهى قبة من حرير أصفر محمل على رأس الملك على رأس رمح بيد أمير يكون راكبا بحذاء الملك يظله بها حالة الركوب من الشمس فى المواكب العظام . وجاء فى ص ٤٧٣ من الجزء الثالث منه أنها تتكون من اثنى عشر شوزكا عرض سفل كل شوزك شبر وطوله ثلاثة أذرع وثلث وآخره من أعلاه دقيق للغاية بحيث يجتمع الاثنا عشر شوزكا فى رأس عمود بدائرة وعمودها قنطارية من الزان ملبسة بأنابيب الذهب وفى آخر أنبوبة تلى رأس العمود ملكة — لعلها فلكة — بارزة مقدار عرض إبهام تشد آخر الشوازك فى حلقة من ذهب وتنزل فى رأس الرمح ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة وحاملها من أكبر الأمراء . قال ابن الطوير : وكان من شرطها عندهم أن تكون على لون الثياب التى يلبسها الخليفة فى ذلك الموكب لا تخالف ذلك اه .

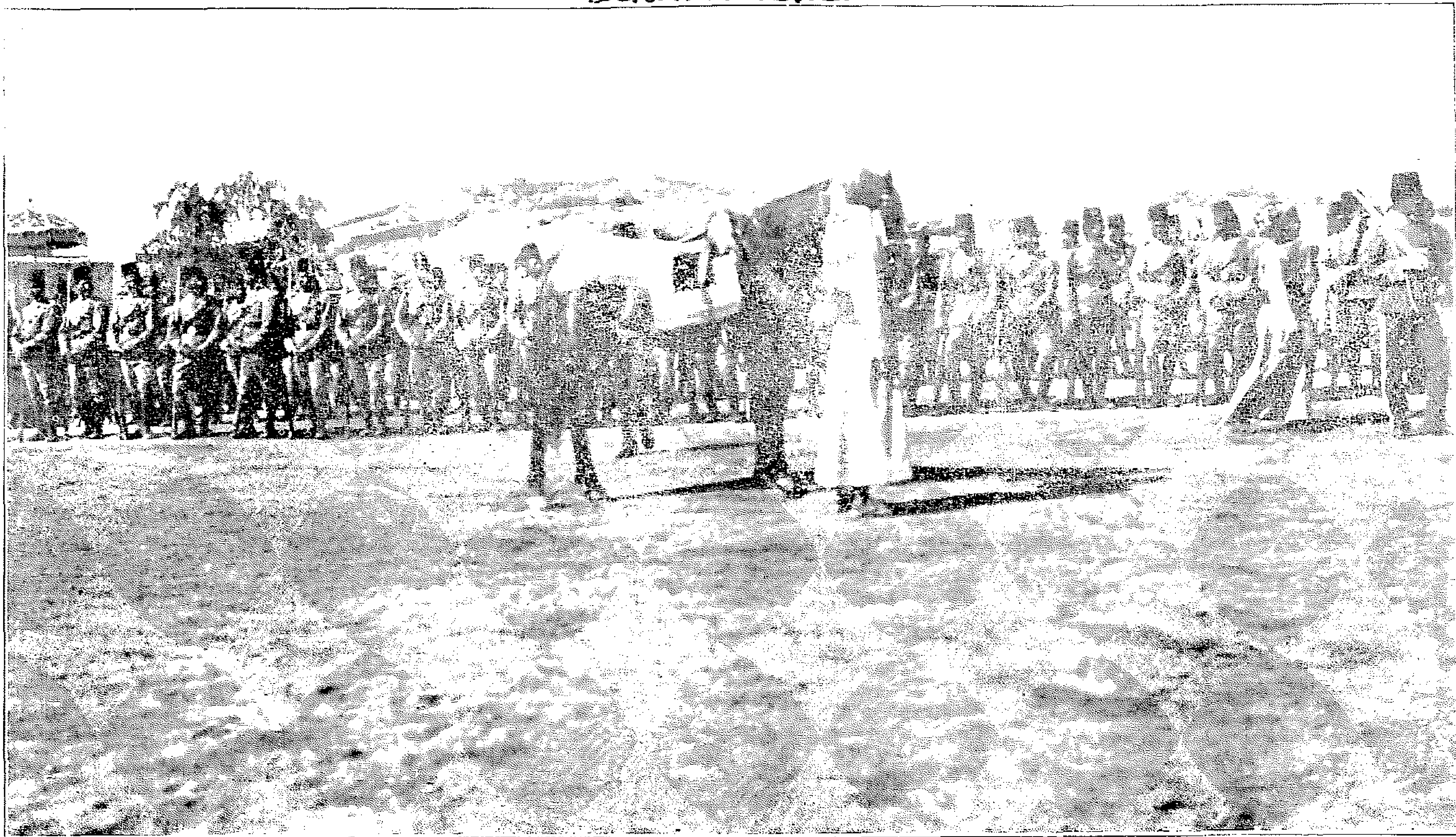
٢٦٥ منظر استقبال أمير مكة المكرمة عند زيارته الرسمية لأمير الحج المصري



265. The Emir of Mecca being received by the Director of the Egyptian Pilgrimage caravan on the Official visit.

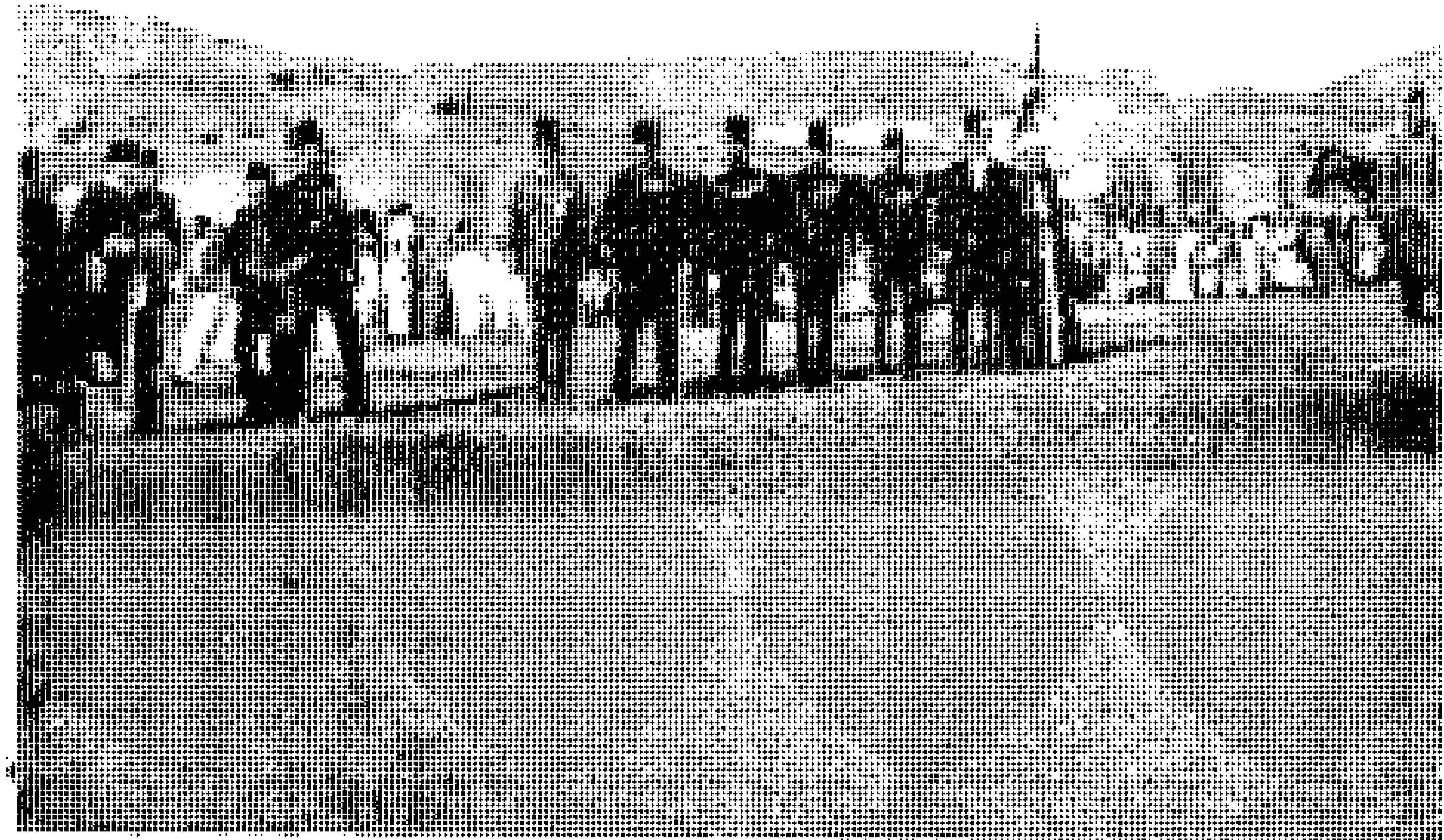
٢٦٣

مظلة صاحب الدولة الشريف علي باشا



263. The umbrella of H. E. El Sherif Aly Pasha

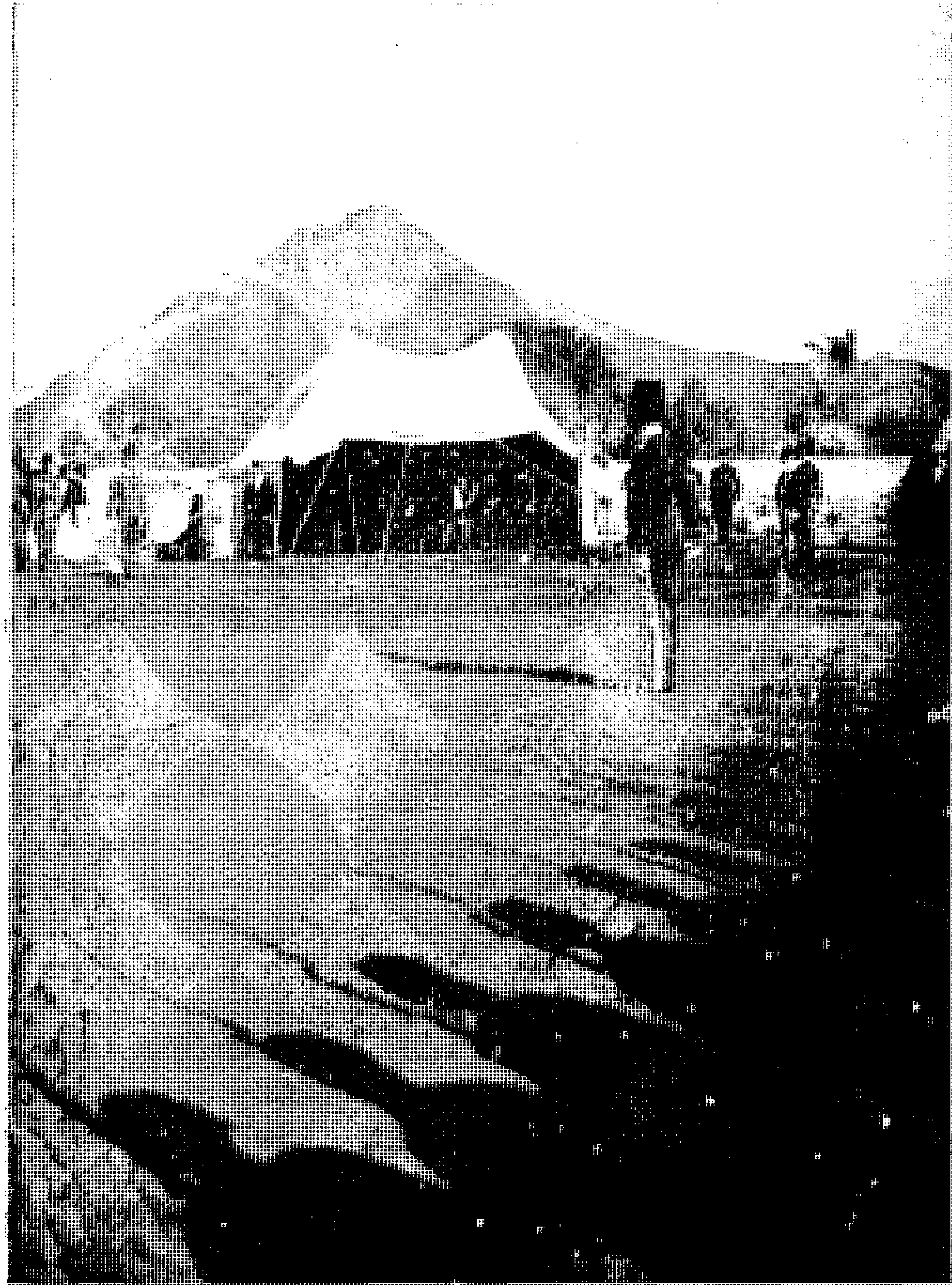
٢٦٨ منظر استقبال والي الحجاز عند زيارته الرسمية لأمير الحج المصري



268. The Wali of El Hegaz being received by the Director of the Egyptian Pilgrimage caravan on the official visit.

صحيفة ١٨٩ (*)

٢٦٩ والي الحجاز في سرادق أمير الحج بمكة المكرمة



269. A photo of the wali El Hejaz in the tent of Amir El Hegg.

الأمير عليها السروج المذهبة وتكون معه فى الزيارات تحت أمره ، وفى (الرسم ٢٦٨) منظر استقبالنا لوالى مكة وترى سرادق الاستقبال والوالى فيه فى (الرسم ٢٦٩) .

أجر الجمال — وقد كتبنا ونحن بمكة الى سيادة الأمير خطابا طلبنا فيه تقدير الأجرة فكتب الينا بأن أجرة الجمل الواحد من جدّة الى مكة ومنها الى عرفات فمكة فالمدينة فينبع سبعة عشر جنيها إنجليزيا ونصف ، ولما كانت الأجرة أزيد من أجر السنين السابقة ولا أمل إذا روجع الشريف فى نقصها أحضرت «المقوّم» واتفقت معه كتابة على أن تكون الأجرة ستة عشر جنيها إنجليزيا كما قدرها الشريف فى العام الماضى وبعد التوقيع منا ومن «المقوّم» على الاتفاق أبرقت الى نظارة المالية لاعتماد هذه الأجرة فلم تجبنا حتى قيامنا من مكة .

الوفيات وتنبيهات تتعلق بها — وردت برقية من الداخلية لطبيب المحمل إبراهيم افندى سليمان بأن يحصر وفيات جميع الحجاج وبرقية لنا بحصر المصريين وإخبار الداخلية كل يومين أو ثلاثة بالوفيات وذلك بدل الإخبار يوميا وكذلك أبرق الىّ ناظر الداخلية بأن أنبه على طبيب المحمل أن لا يرسل برقيات الى مجلس «الكورنتينات» عن وفيات « الكولرا » .

وقد استاء دولة الوالى من تعيين سليمان بك حمادة الطبيب مندوبا للصحة بالأقطار الحجازية وطلب منى دولته أن أبرق الى الداخلية بتعيين خلافه فأبرقت اليها بذلك فأجابتنى بأن إبراهيم افندى سليمان طبيب المحمل يقوم بنعى الوفيات الى الصحة . هـذا وقد توفى بمكة فى ١٢ ذى الحجة (١٦ يناير) أمينة هانم شقيقة الطيب الذكر الفريق الفارس إبراهيم باشا . وتوفى فى ١٥ ذى الحجة « على جمعة » من أتباعنا . وفى يوم الأربعاء ٢٥ ذى الحجة (٢٩ يناير) توفيت خادمتنا الأمينة « قدم خير » ذات الذكر الحميد فرحم الله الجميع .

الى عرفات فمنى فمكة — فى يوم السبت ٧ ذى الحجة سنة ١٣٢٥ (١١ يناير سنة ١٩٠٨) توجه الحجاج الى عرفات وفى اليوم التالى توجه اليها المحمل بضباطه وحرسه وعند مروره بالسراى التى بناها محمد على باشا ليسكنها شريف مكة

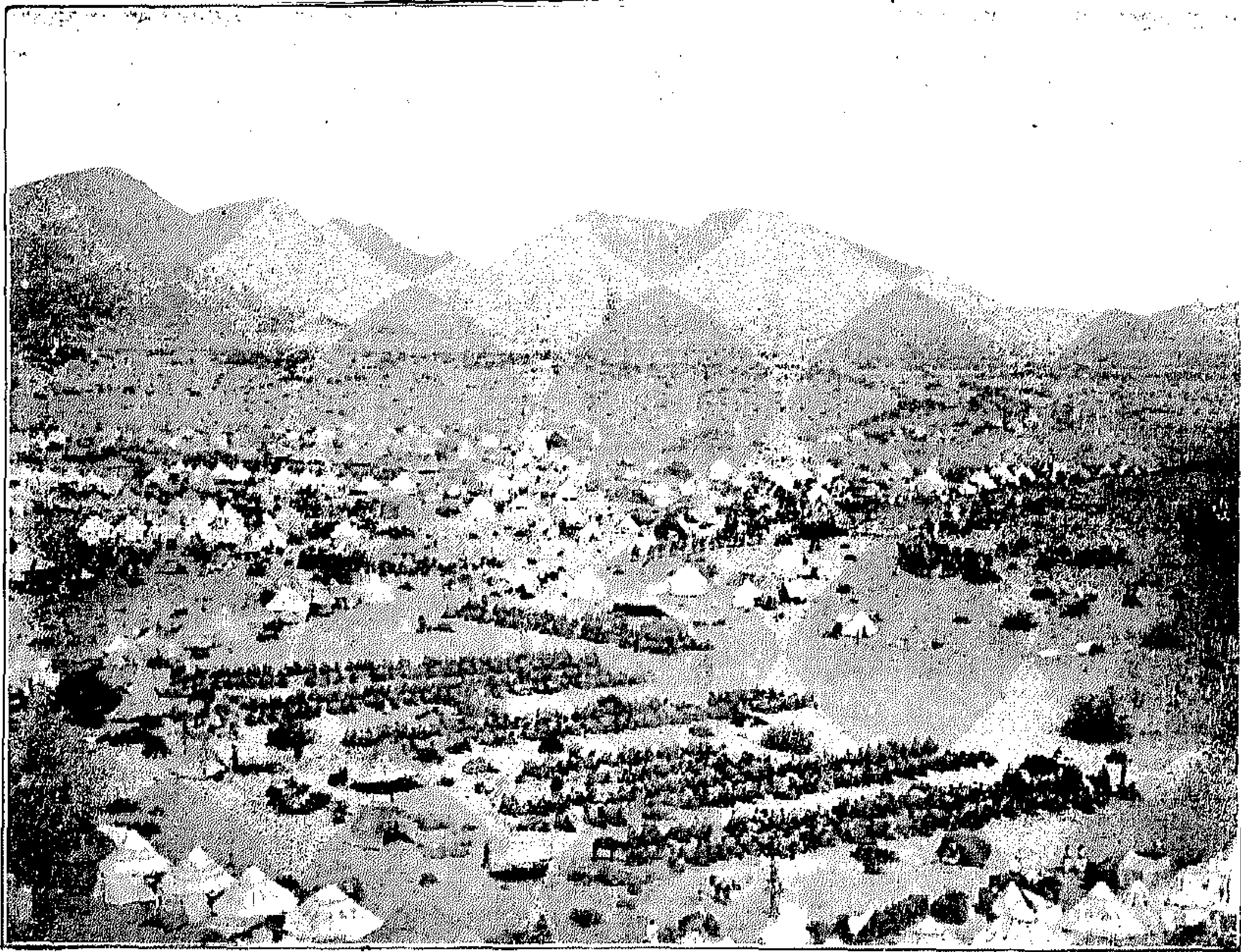
اصطف الحرس وصدحت الموسيقى بالسلام الشاهانى وهتف الجميع ثلاث مرات بطول حياة السلطان (بادشاهم جوق يشا) ولما بلغنا منًى استرحنا بها ثم تابعنا السير الى عرفات فوصلناها بعد مسير خمس ساعات ونصف وهناك وجدنا الخيام قد نصبت فتوجه كل منا الى محله ثم أخذ الناس يزورون جبل الرحمة ومسجد نمرة ومسجد الصخرات وترى فى (الرسم ٢٧٠) معسكر المحمل الشامى فى عرفات وفى (الرسم ٢٧١) ضباط المحمل بلباس الإحرام فى ميدان عرفات وفى (الرسم ٢٧٢) المحملان الشامى والمصرى وقد وقفا بسفح جبل الرحمة وانتشر الحجاج على ظهره . وقد وقفنا بعرفات فى يوم الاثنين تاسع ذى الحجة وبعد الغروب أفضنا منها الى مزدلفة وصلينا بها المغرب والعشاء جامعين بينهما جمع تأخير وبتنا فيها وبعد صلاة الفجر وقفنا بالمشعر الحرام وسمعنا خطبة العيد من الإمام ثم رحلنا الى منى فرمينا جمرة العقبة ونحرنا وحلقنا ثم طفنا بالبيت طواف الإفاضة ورجعنا الى منى عند غروب الشمس لرمى باقى الجمار فأقمنا بها الى ١٢ ذى الحجة . وفى يوم ١١ ذى الحجة حضرنا حفلة تلاوة الفرمان السلطانى باللغتين العربية والتركية وزرنا دولتى الشريف والوالى ومحسنا باشا وعبد الله باشا والقاضى وأمير المحمل الشامى وأمين صرته وقد ردّوا لنا الزيارة إلا الشريف فلا عادة له أن يحيي التحية بأحسن منها أو مثلها وترى فى (الرسم ٢٧٣) والى مكة وشريفها فى سرادق ثانيهما بمنى وقت تلاوة الفرمان الشاهانى وذلك فى يوم ١٠ ذى الحجة وترى الأرض مفروشة بالبسط الجميلة وهاك نص الفرمان . لإمارة مكة الذى تجد صورته الفتوغرافية فى (الرسم ٤٩) صحيفة ٥١ جزء أوّل دوّناه هنا لتسهل قراءته لأن الصورة الشمسية لا تقرأ الا بالنظارة .

بمنه تعالى

طرف مستجمعُ المجدَ والشرفَ حضرَتْ خِلَا فَتْپنَا هيدَنْ

أمير مكة مكرمة جناب امارتمآب أيا لَتْپنصابْ سعادة اكتساب سيادة انتساب وزير فطانت سَمير شريف عون الرفيق باشا دام سعده وأدام الله تعالى إجلاله شرفيا فتهٔ صدور أولان نامهٔ هما يُونْدرْ .

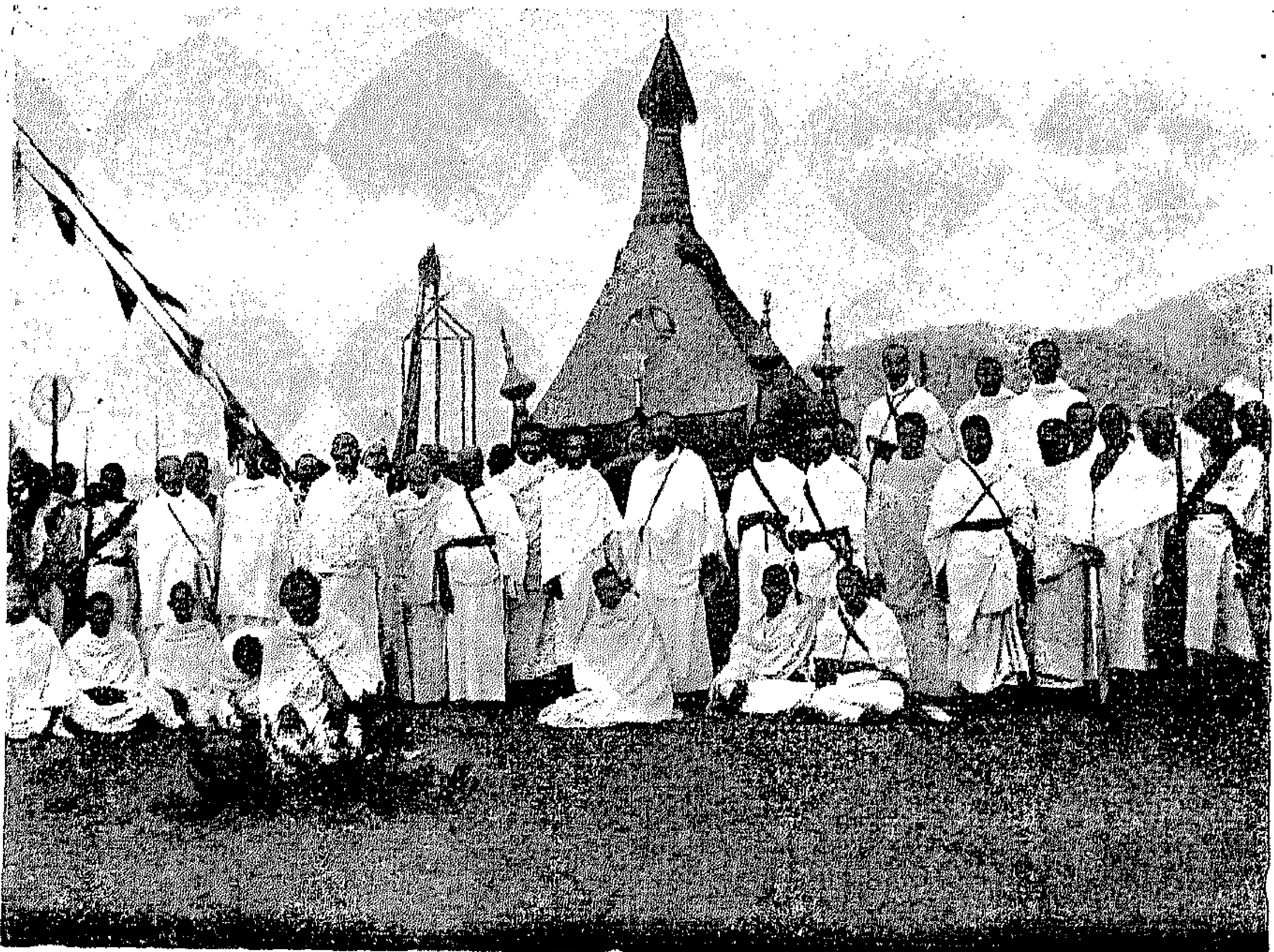
معسكر المحمل الشامي بعرفات سنة ١٣٢٥



270. The camp of El Mahmal El Shami In Arafat In 1325.

صحيفة ١٩٠ (*)

٢٧١ رسم المحمل وأميره بملابس الإحرام بعرفات



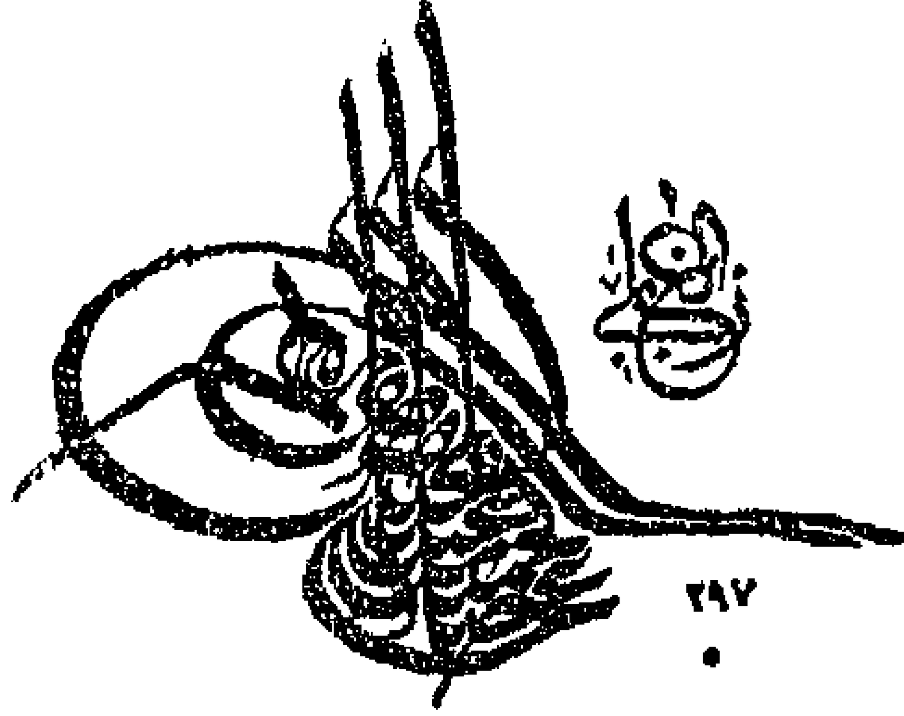
271. The Officers accompanying the Mahmal and the Director of the
e Ihram dress at Arafat

٢٧٣ الشريف علي باشا أمير مكة المعظمة في سرادقه ومعه والي الحجاز في منى يوم ١٠ الحجة سنة ١٣٢٥

273. A photo of El Sherif Aly Pasha, accompanied by the wali of El Hejaz in his camp, on the 10th of El Hegga in Mona in 1325.

٢٧٢ منظر المحملين المصري والشامي موقف جبل عرفات يوم ٩ الحجة ١٣٢١

272. The meeting of the Egyptian and Syrian Mahmals at Arafat on 9th of Zu El Hegga in the year in 1321.



بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله الذى جعل سُرَّةَ البطحاء صدف درة البيضاء، وحلّى بها أجياد عرائس المصنوعات من الثرى الى سدرة المنتهى، وصَيَّر أم القرى محمد نبيّه المجتبي وصفيه المرتضى، وأوحى الى خليله إبراهيم أن يرفع القواعد من البيت، وأمرنا أن نتخذ من مقامه مصلى . وتوجهت الوفود المتوشحون وشاح الهدى ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتلبية وقصدوا نحو المنى، فطوبى لمن سعى بين الصفا والمروة وصلى بمقام إبراهيم بخضوع القلب وانتهج نهج القربى والزلفى . وبيض وجهه باستلام الحجر الأسود متلألئا كسناء الزكا، والصلاة والسلام على من بُعِثَ رحمة للورى، وصار زيارة قبره أرقى مدارج السعادة فى الدنيا والعقبى، وعلى آله وصحبه الطيبين الذين طهروا الكعبة العليا من أدناس الأوثان، وأحكموا بنيان الشريعة المصطفوية بإقامة أحكام القرآن، ما حنتِ الحمائم بتسبيح الله تعالى وتقديسه جل وعلا .

أما بعد، فهذا خطابنا الشريف الخاقانى وكتابنا المنيف السلطانى النافذ حكمه بعناية الله المعين فى أقطار الأرضين مطاعا لأساطين الملوك والسلاطين لا زال ناشرا فوايح العدل والأمان وما برح زاهرا بين حدائق البر والإحسان ما سجعت الطيور ورتعت الغزلان، أصدرناه منطويا بفرائد التحيات الرائقة ومحتويا على قلائد التسليمات الفائقة مظهرا عرف رياحين المحبة والاستيناس وممهدا لمبانى المودة المحفوظة عن الاندراس على جناب الأمير الأمجد الأجل الأوحد المقتفى آثار أسلافه الأشراف من آبائه الغر صناديد آل عبد مناف وأجداده الحميدى السير الجميلى الأوصاف فرع

(١) كتبت بالذهب .

الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المصطفوية المنتمى الى أشرف جرثومة على عنصرها والمنتسب الى أنفس أرومة غلا جوهرها زبدة سلالة الزهراء البتول عمدة آل بيت الرسول المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى من أعاظم وزراى سلطنتنا السنية الحامل النشان الامتياز والمرصع الافتخار والعثمانى والمجيدى وزيرى سمير الفطانة أمير مكة المكرمة الشريف عون الرفيق باشا لا زالت العناية الربانيــة له ملاحظة والكلأة الصمدانية عليــه حافظة تنهى الى نادى الشريف إن الله جل شأنه وعز برهانه آصفطانا من بين عباده خليفة الأنام وأعطانا سـيف الجهاد وأمرنا بتأسيس ركن الإسلام وشرفنا على الملوك بسدانة بيت الله الحرام والركن والمقام وزين منشور سلطنتنا بخدمة روضة نبينا وشفيعنا عليه أسنى التحية وأزكى السلام نحمد الله على ذلك بأتم الشكر وأكمل المحامد وتحلى ترائب عرائس هذه النعم من جواهر الأثنية بأعلق القلائد وأنفس الفرائد فلا جرم أن وجهنا وجهة النهمة الواسعة ونخبة الهمة الشائعة لرفع رايات الشكر فوق القمة الشاسعة وصرفنا أزمة صريمتنا الجليلة الى طريق إيفاء ما وهبنا الله من المواهب الجزيلة وآمتطينا صهوة مطايا الإقــدام فى تنفيذ مصالح الشريعة جاريا مجارى الجد والاهتمام لا سيما مهام الأوقاف المشروطة للفقراء(١) الحرمين المحترمين والأرزاق المعينة المضبوطة للشرفاء شرفهم الله تعالى فى الدارين وللعباد العاكفين فى المقامين المكرمين وأرسلنا من شامل عناياتنا على الرسم القــديم فى العام السابق وهو عام إحدى وعشرين وثلثمائة وألف من هجرة من أسس قواعد الإســلام صبت على ضريحه سجال التحية والســلام كافة الأموال المحصلة من ريع الأوقاف الموقوفة المربوطة والنقود المعروفة والوظائف المضــبوطة التى خصصت بلائذى الحرم ويثرب ممن سكن فيهــما وآخترنا الجوار من حيث المشارق والمغارب وجملتها مثبتــة وأعدادها مفصــلة ومقررة كما هو المسطور والمرقوم فى الدفتر المعلوم والمختوم جميعها الدنانير النضار الخالصة الصافية من النقود الرائجة فى عامة البلاد الدانية والقاصية وسلمنا تلك الصرر أثر ما وضع فى الأكياس الموسومة بختمنا الشريف دفعا

(١) كذا بالأصل .

للالتباس الى يد حامل ذلك المنشور السلطانى وناقل هـذا المثال الخاقانى المنتسب لسدتنا السنية عن خدام عتبتنا العلية الخاقانية رئيس خدمة طيور السراى السلطانية الحامل النشان العثمانى من رتبته الرابعـة والمجيدى من رتبته الخامسة افتخار الأكابر والأكارم عثمان افنـدى زيد علوه وعمـدة أصحاب التحرير والتقـرير كاتب الدفتر زيد قدره بعد ما قلدناهما تلك الخدمة الجليلة وأعطيناهما دفترا مختوما بختمنا المبارك السلطانى لا زال عنوانا وزينة على صحايف مناشير الأمانى مخبرا عن المصارف المعينة متضمنا بالمواهب المقننـة فأمرناهما إيصال تلك الصرر الى خزانة المديرية المأمورة بالسعى مع الاهتمام على جرى الأصول المؤسسة فى سوالف الأيام فى صرف الصرر المقررة فى مصارفها المحررة المقدرة على ما صرح ونص عليه فى جريدة (*) التى هى فى جيد الأمانة فريدة امتثالا لعموم قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ واغترافا من مشارب الأجور الجزيلة فراح عذبها ونهلها وتوزيعها الى مستحقيها من السادات والعلماء والضعفاء ساكنى مكة المكرمة وقاطنى مدينـة (*) المعظمة المستمسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام والمتشرفين بجوار نبينا شفيع الأنام عليه أفضـل الصلاة والسـلام ورسمنا أن لا يفض ختام أكياس هـذه المبرة ولا توزع على أصحابهـا إلا بمعرفة المأمورين الذين وجبت حضورهم ولا يستنسخ دفتر مستقل غير هـذا الدفتر بل يعلم على اسم كل مـن وصل اليـه نصيبه بالمداد الاحمر فإن غاب واحد منهم أو قضى نحبـه ولم يوجد مسميات بعض الأسماء يعـلم على اسمه بالدفتر حسبما يظهر ويحفظ حصصهم ونصيبهم مفرزة محررة كى لا يحتال أحد لأخذ السرة (*) المقررة بأن يؤتى نصيب من توفى أو غاب للأشخاص (*) توافق أسمـائهم وألقابهم ونسبهم وتشابهت الأسمـاء والألقاب والنسب والأنساب هذا وقد أهـدينا الى جنابكم العالى مغرس شجرة المفاخر والمعالى صحبة حامل كتابنـا اللطيف وخطابنا المنيف خلعة تشريفاتنا البهية وإكساءاتنا السنية تجـديدا لمراسم الموالاة وتأكيدا بمعاقد المصافاة فلا بد من استقبالها بتقديم مراسم الإكرام والتعظيم

(*) كذا بالاصل .

والتزيين والاكتساء بهما عواتق الاحترام والتكريم وبذل القدرة الكاملة والنهمة الشاملة فى رعاية الرعية وصيانة الحجاج والمجاورين والمسافرين والمقيمين من العنة والشقاوة لإفاضة الأمن والراحة وحراسة تلك الطرق والمسالك على ما يجب لأمراء الأقطار والممالك وإصلاح الصحبة وحسن جريانها كما هو المطلوب بعناية الصمدانية لمحافظة الصحة العمومية وآستجلاب الأدعية الصالحة من العلماء العاملين والسادات المهديين والفقراء الصالحين والمواظبة على الدعوات بمزيد التضرع والابتهال لأعلاء أعلام دولتنا العليه وثبات أركان سلطنتنا السنية إنه سبحانه لجدير بالسؤال وقدير على تبليغ الأعمال تعالت ذاته عن المضاهى وجل جوده عن التناهى وفضله حسب من بجنابه لاذ وطوله كفاية من به آستعاذ وصلى الله على سيدنا محمد الذى تأسس قواعد شريعته البيضاء بأركان المواهب الربانية ناشرا ظلال سدتها فوق الثرى وآستهل بأرجاز نعوته الملائكة المقرّبون على العرش سربا فسربا وعلى آله وعترته الذين فتحوا بسيوفهم البلاد شرقا وغربا ولمن تبعهم من أمته الى يوم الدين عجما وعربا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . تحريرا فى يوم ١٥ شعبان سنة ١٣٢٢ ه

وفى (الرسم ٢٧٤) ضباط المحمل بمنى وقد ارتدوا لباسهم الرسمى ومن خلفهم جبل ثبير . وفى (الرسم ٢٧٥) محسن باشا ابن الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقا ومعه فى سرادقه بمنى قاضى مكة . وهذا القاضى يعين بمرسوم شاهانى يبلغ الى الخديوية المصرية من أجل ماله من المرتبات بمصر — أنظر ميزانية المحمل — وترى صورة المرسوم فى اللوحة ٢٧٦ وكذلك الشأن فى قاضى المدينة الذى ترى مرسومه فى (الشكل ٢٧٧) والمرسومان صورتهما واحدة تقريبا إلا فى الاسم وجهة التعيين وهاك ترجمة الأول :

الدستور الأكرم والخديوى المعظم المحترم الأفخم نظام العالم ناظم نظم الأمم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الأنام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيدا أركان السعادة والأجلال مؤتمن الخلافة العلية الكبرى معتمد السلطنة السنية العظمى المحفوفة بصنوف عواطف الملك الأعلى خديوى مصر الحائز

٢٧٥ قاضي مكة وغيره بمنى



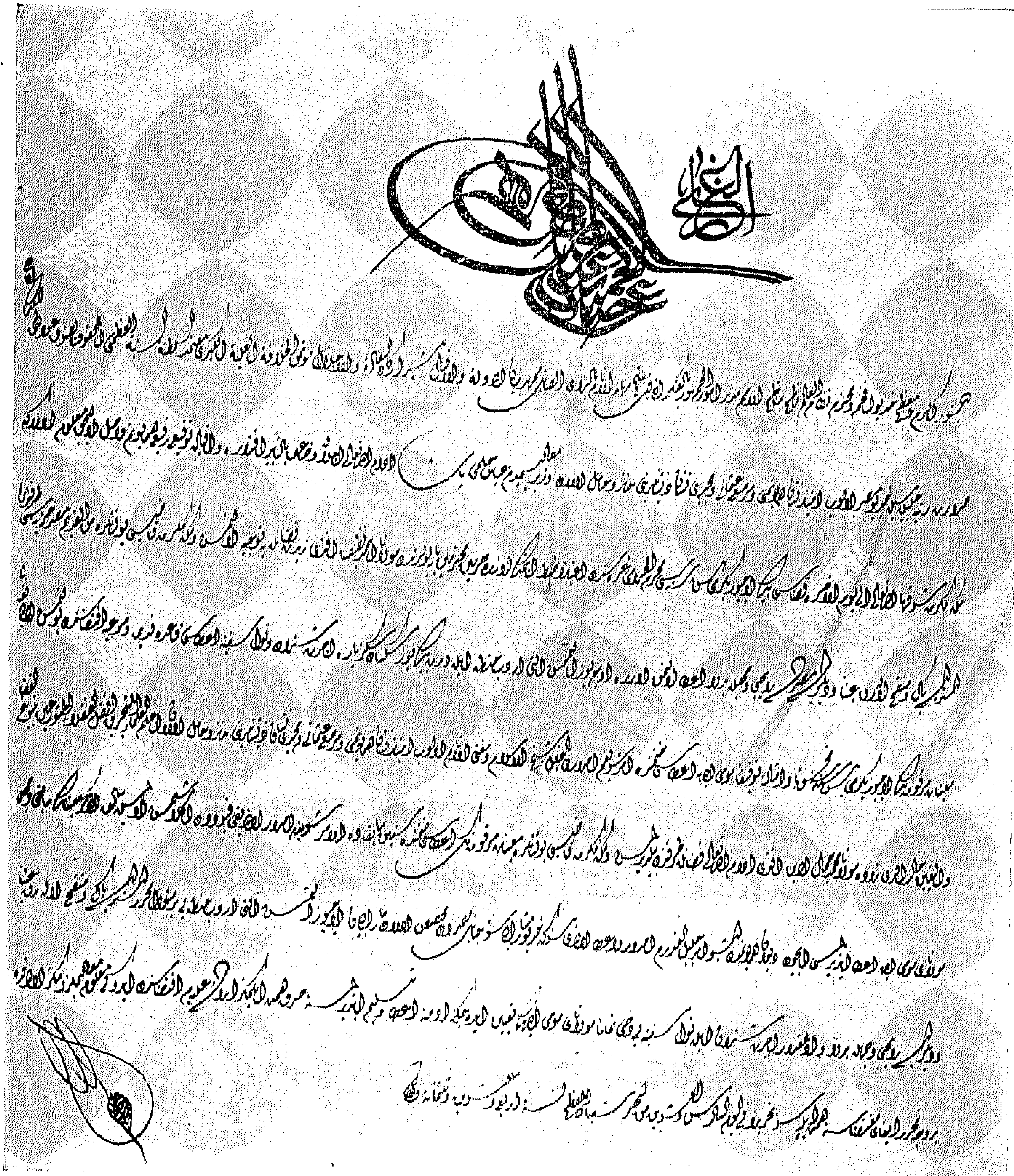
275. The judge of Mecca and others in Mona.

٢٧٤. ضباط المحمل بمنى سنة ١٣٢٥



274. A photo of the officers of the Mahmal in Mona in 1325

٢٧٦ الفرمان الشاهاني للخديوية المصرية اخطاراً لتعيين قاضي مكة



[illegible]

276. A copy of the Turkish Faraman to H. H. the Khedive concerning the appointment of the judge of Mecca and giving him his Salary

ترجمة الفرمان الهمايونى

أيها الدستور الأكرم والمعظم، الخديوى الأفخم والمحترم، ناظم مناظم الأمم، مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب، متمم مهام الأنام بالرأى الصائب، ممهد بنيان الدولة والإقبال، مشير أركان السعادة والإجلال، مؤتمن الخلافة العلية الكبرى، معتمد السلطنة السنية العظمى، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى، المعين خديو مصر برتبة الصدارة العظمى، الحائز نشان الامتياز الهمايونى، والحامل النشانات المرصعة العثمانى والمجيدى، وزيرى سمير المعالى عباس حلمى باشا، أدام الله تعالى اجلاله، وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله .

حينما يصل اليكم توقيعى هذا الرفيع الهمايونى، نحيطكم علما انه اعتبارا من غرة محرّم الحرام قد وجه مسند قضاء مكة المكرمة — شرفها الله تعالى الى يوم الآخرة — لصاحب رتبة الحرمين الشريفين مولانا أحمد نظيف افندى زيدت فضائله، وحيث ان اعطاء قضاة مكة المكرمة من خزينة مصر ثلاثمائة وستة وستون إردب حنطة نظيفة ومنقحة اذا أرادوا عينا، واذا رغبوا بدلها نقدية وإعطاؤهم أيضا أربعة آلاف ومائة وثمانية وثمانين باره أجرة جمال وتذكرة سفر بحرى من مقتضى القواعد القديمة، المرعية فقد عرض علينا شيخ الاسلام ومفتى الأنام، الحامل نشان الامتياز الهمايونى والنشانات العظيمة القدر المرصعة العثمانى والمجيدى، أعلم العلماء المتبحرين، وأفضل الفضلاء المتورعين، ينبوع القضاء واليقين، خالد افندى زاده مولانا محمد جمال الدين افندى، أدام الله تعالى فضائله لاصدار أمرنا الشريف فعلا لاعطاء المعينات المرقومة تبع سنة ثلثمائة خمسة وعشرون للقاضى المومى اليه توفيقا لأمثاله، واتضح أيضا من مراجعة قيود السنين السابقة انه سبق وصدرت أوامرى الشريفة لاعطاء هذه المعينات لقضاة مكة المكرمة، فقد صدر من ديوانى الهمايونى هذا الأمر الجليل القدر، فأنتم حيث انكم الخديوى المشار اليه حينما تعلمون ان اعطاء الثلثمائة والستة والستين إردب حنطة نظيفة ومنقحة عينا أو بدلا حسب الرائج، والمبلغ المعلوم أجرة جمال وتذكرة سفر بحرى تماما لمولانا المومى اليه أو للشخص الذى ينيبه عنه من مقتضى إرادتى العلية. فعليكم أن تصرفوا هممكم لإيفاء مقتضاه .

تحريرا فى ٢٦ شعبان المعظم سنة ١٣٢٤ هـ

٢٧٧

فرمان شاهاني للخديو المصرية بتعيين قاضي المدينة

277. The Shahany Firman for appointing the judge of Medina

لرتبة الصدارة الجليلة والحامل لوسام الامتياز الهمايونى الملوكى وللوسامين العثمانى والمجيدى المرصعين وزيرى سمير المعالى عباس حلمى باشا أدام الله تعالى إجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره وإقباله .

اعلموا أنه لدى وصول توقيعى الرفيع الهمايونى أن قضاء مكة المكرمة شرفها الله تعالى الى يوم الآخرة اعتبارا من غرة المحرم سنة ١٣٢٥ هـ وجهته الى عهدة مولانا أحمد نظيف افندى زيدت فضائله وهو حائز لرتبة الحرمين الشريفين . ومن مقتضى القواعد المرعية أن مرتب قاضى مكة المكرمة من خزينة مصر ٣٦٦ أردب قمح نظيف إن أراد أخذها عينا أو أخذ ثمنها نقدا بحسب السعر الحاضر مع ٤١٨٨ بارة أجرة سفينة وجمال ولما أصدرنا أمرنا الشريف بإعطاء المرتبات المذكورة الى القاضى المشار اليه من ابتداء سنة ١٣٢٥هـ أخبرنا بذلك شيخ الاسلام ومفتى الأنام الحامل لوسام الامتياز الهمايونى وللوسامين العثمانى والمجيدى المرصعين أعلم العلماء المتبحرين أفضل الفضلاء المتورّعين ينبوع الفضل واليقين مولانا محمد جمال افندى ابن خالد افندى أدام الله تعالى فضائله . وبمراجعة التقييدات السابقة اتضح أنه سبق أن أصدرت أوامرى الشريفة بإعطاء المرتبات المرقومة الى قضاة مكة المكرمة ولذا أصدرنا هذا الأمر الجليل القدر من ديواننا الهمايونى بإعطاء المرتبات السابقة للقاضى السالف حسب سوابقه .

فأنت ياخديوى مصر يلزمك أن تصرف الهمة اللازمة فى إعطاء وتسليم الأرادب السابقة المخصصة من جانب مصر لمن يوكله القاضى المذكور فى تسلمها عينا أو ثمنا حسب ما يرغب مع أجرة السفينة والجمال تامة كاملة وبما أنه علم لكم ذلك فابذلوا الهمة فى تنفيذه بحسب ما رسمنا . تحريرا فى اليوم السادس والعشرين من شهر شعبان المعظم لسنة أربع وعشرين وثلثمائة وألف .

هـذا وقد جرت العادة أن المحملين المصرى والشامى حينما ينزلان من عرفة الى المزدلفة يسير الأوّل فى الميمنة والآخر فى الميسرة حتى اذا ما وصلا الى المزدلفة وقف

المحمل المصرى حتى يمرّ من دونه المحمل الشامى وركبه و ينتحون ذات اليمين حيث المعسكر هنالك ثم يسير المصرى وركبه لينزلوا ذات الشمال و بما أن ركب الشامى كبير تطول مدّة وقوفنا فتخلصا من هذا ينبغى أن يسير المحمل المصرى من عرفات فى الميسرة والشامى فى الميمنة حتى اذا ما بلغنا مزدلفة عرّج كل منا على معسكره بدون انتظار .

ولائم — فى يوم الاثنين ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٢١ (٢٠ يناير سنة ١٩٠٤) دعانى والى الحجاز مع أمين الصرة و «قومندان» الحرس وثلاثة من الضباط وناظر التكية المصرية لتناول العشاء على مائدته فلبينا الدعوة وتلك أوّل مرة أولم فيها والى الحجاز لرجال المحمل على ما بلغنى ثم أولم أخرى فى ٢٣ ذى الحجة دعانى اليها مع الأمين و «القومندان» والضباط والموظفين الملكيين وذلك بكتّاب تركى العبارة تراه فى (الرسم ٢٧٨) وكذلك دعا اليها بعض موظفى المحمل الشامى وبضعة من رجال الدولة و بلغ الذين حضروها ٤٠ منهم ٢٣ من ركب المحمل المصرى هم :

ابراهيم رفعت باشا لواء ... ... أمير الحج
محمد على بك ... ... أمين الصرة
أحمد الحكيم افندى ... ... كاتب أوّل
«البكباشى» مصطفى رفقى افندى ... ... رئيس الحرس الآن قائمقام بالمعاش
«الصاغ» محمد شفيق افندى ... ... أركان حرب الأمير الآن قائمقام بالمعاش
«الصاغ» عبد الحليم عاصم أفندى ... ... طبيب القسم العسكرى
«اليوز باشى» عثمان نديم افندى ... ... صيدلى « «
محمود رياض افندى ... ... يوز باشى الآن بكباشى بالمعاش
محمود صالح افندى ... ... «
عبد الحميد حلمى افندى ... ... ملازم أوّل
محمد توفيق افندى ... ... «

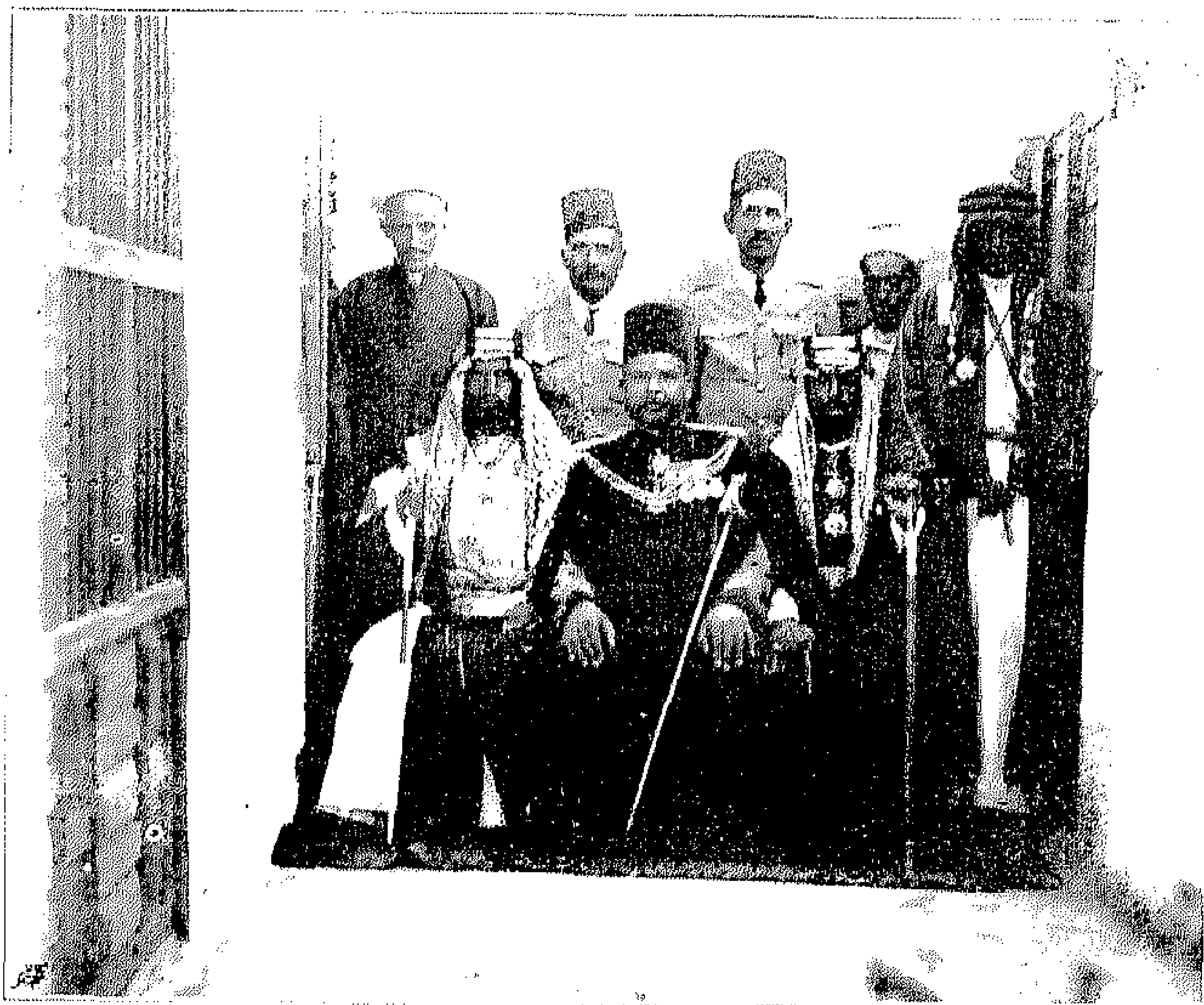
٢٧٩ بيوت مكة من جهة الجنوب الشرقي



279. The Southern Eastern view of the houses of Mecca and a Mosque on the top of the Mountain Abu Kobais

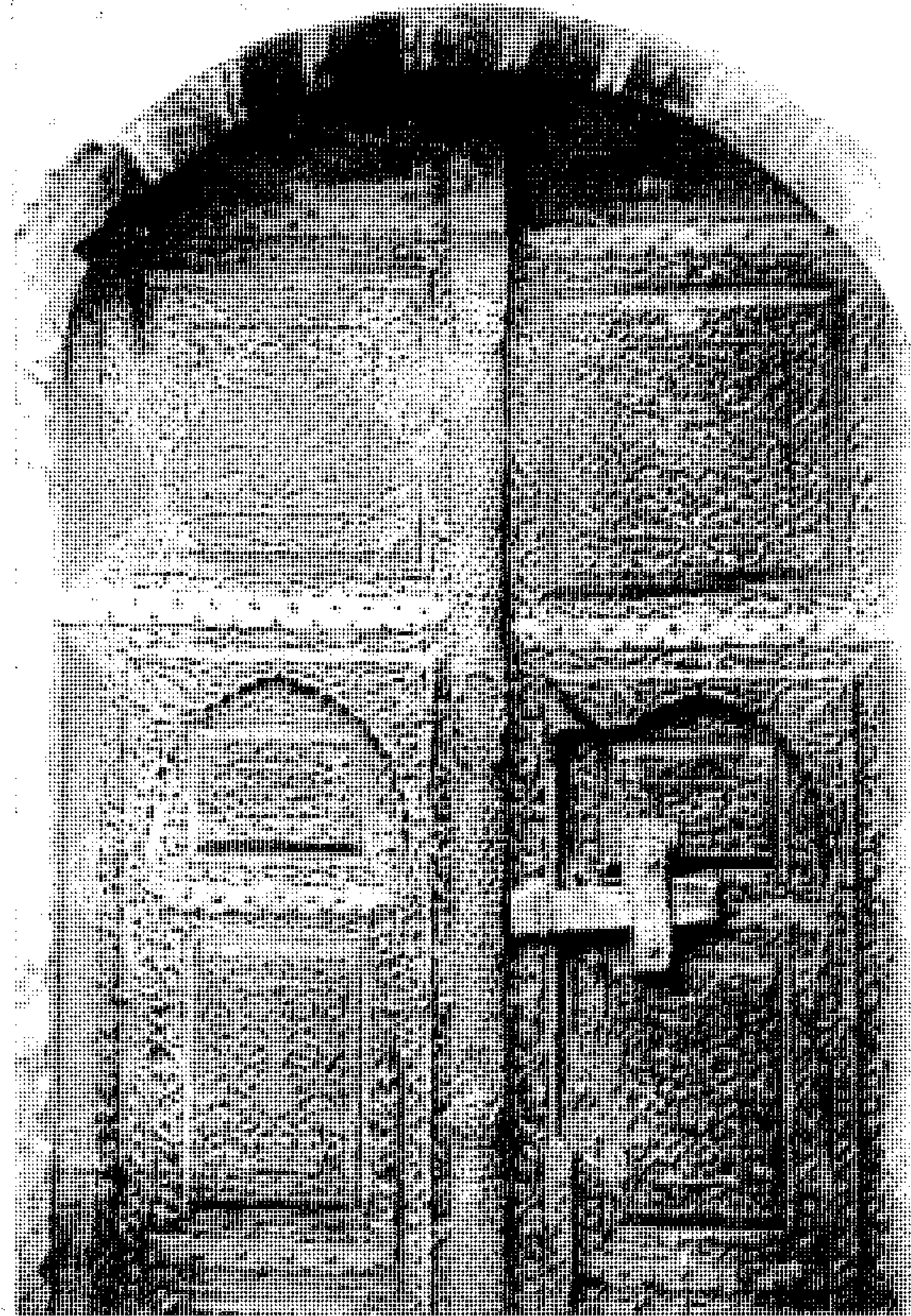
صحيفة ١٩٧ (٥)

٢٨٠ جماعة ابن الرشيد والبسام بمكة سنة ١٣٢٥



280. The followers of ibn El Rasheed and El Bussam in 1325.

٢٨١ باب أثري بمكة



281. An old door in Mecca

٢٨٢ الزينة بالشيخ محمود



282. A view of the decorations in honour of the Mahmal in El Shaikh Mahmoud in 1325.

أحمد مختار افندى ... ... ملازم أول الآن يوزباشى

محمد صادق افندى ... ... « « «

بيومى عثمان افندى ... ... ملازم ثانى

أحمد محمد افندى ... ... «

مصطفى كامل افندى ... ... «

إسماعيل صبرى افندى ... ... «

مصطفى على افندى ... ... «

إبراهيم سليمان افندى ... ... طبيب الأهالى

« البكباشى » عبد النبي السيد افندى ... صيدلى الأهالى

« البكباشى » حسن رأفت افندى طبيب الأوقاف الآن لواء حكيمباشى الحرس الملكى

أحمد عارف افندى ... ... صيدلى الأوقاف

مرسى حسن افندى ... ... صراف الصره

وفى ٢٦ ذى الحجة دعانا محمد صالح الشيبي أمين مفتاح الكعبة لتناول العشاء عنده فأجبنا وممن آجتمعنا بهم فى مكة — ترى جهتها الجنوبية الشرقية فى (الرسم ٢٧٩) الذى فى أعلاه مسجد أبى قبيس — آل الرشيد والبسام الذين تراهم فى (الرسم ٢٨٠) والذى فى الوسط أمير الحج عن يمينه سالم السبهان وعن يساره إبراهيم السبهان والذين خلفنا سالم السبهان « فالبكباشى » مصطفى افندى رفق رئيس الحرس « فالصاغ » محمد افندى شفيق أركان حرب الأمير فالشيخ محمد الياس دعّاء أمير الحج بالمدينة فتابع من توابع ابن الرشيد . وقد رأيت وأنا بمكة بابا أثريا جميل الصنع فنقلت لفن العمارة رسمه كما تراه فى (اللوحة ٢٨١) .

الاحتفال بخروج المحمل من المسجد الحرام — فى ٢٩ ذى الحجة كتب الينا دولة الوالى بلسان تركى دعوة الى الاحتفال بخروج المحمل فى يوم الاثنين

*

وليمة الوالى

Invitation letter to a banquet from Hedjaz Wali to Mahmal officers in the year 1325 H.

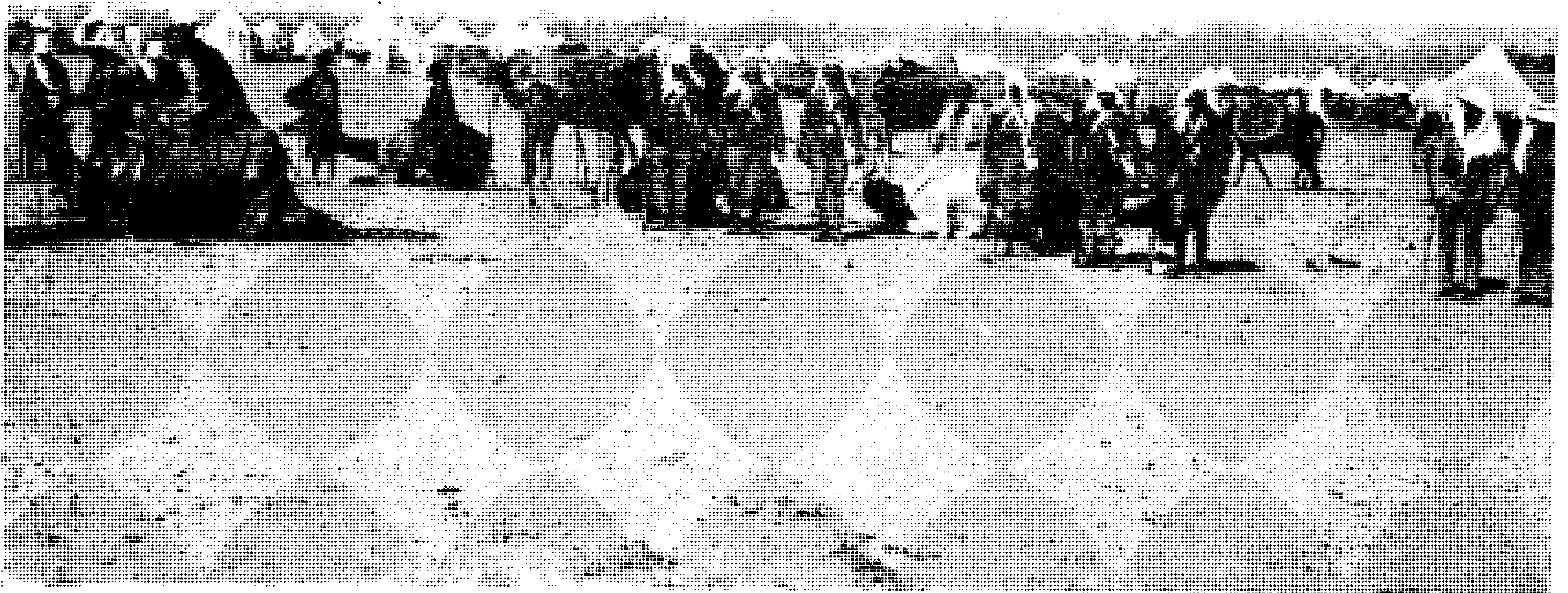
ولاية الحجاز . قلم المكاتبات . عدد الى جناب محافظ المحمل الشريف المصرى

بما أن رجال المحملين الشريفين مدعوون هذه الليلة لتناول الطعام عندنا فالرجا تشريفنا مع حضرات المأمورين والضباط المحرّرة أسماؤهم بالكشف المرفق بهذا وذلك بعد المغرب بنصف ساعة ومن أجل هذا حرّرنا هذه التذكرة والأمر لسعادتكم .

« الياور » الأكرم والى الحجاز وقومندان (ختم)
مشير أحمد راتب

(الرسم ٢٧٨)

٢٨٣ منظر ركب المحمل المصري وهو مشرف على وادي فاطمة وهو أول محطة بالطريق السلطاني



283. Procession of the Mahmal from the valley of Fatimah, the first station on El Sultani caravan-route from Mecca.

٢٨٤ منظر أخذ المياه من بئر عسفان بالطريق السلطاني



284. View of drawing water out of Aasfan's well in the year 1325 H.

٢٣ ذى الحجة (٢٧ يناير) انظر (الرسم ٥٢) صحيفة ٥٥ أول وفى هـذا اليوم خرج المحمل من المسجد واحتفل به احتفالا كالذى وصفناه لك فى الرحلة الأولى وذلك تهيئة لسفره الى المدينـة . وفى يوم الجمعة ٢٧ ذى الحجة زرنا دولة الوالى وسيادة الشريف مودعين وأخذنا من كل منهما مكتوبا للجناب الخديوى إجابة على ما كتب اليهما وكذلك أخذنا من كل مكتوبا الى محافظ المدينـة بتسهيل سفرنا من طريق ينبع السلطانى . وفى ليلة السفر أقمنا حسب المعتاد زينـة بالشيخ محمود تراها وهى تنصب والناس ينظرون اليها فى (الرسم ٢٨٢) .

الطـــريق السلطـانى

استأذنا نظارة الداخليـة فى أن نسلك فيما بين مكة والمدينة الطريق السلطانى « ملف » فأذنت لنا فسرنا منه .

المرحلة الأولى من مكة الى وادى فاطمة ٨ ساعات — سافر ركبنا — باسم الله سيره — من مكة فى يوم السبت ٢٨ ذى الحجة سنه ١٣٢٥ (أول فبراير سنة ١٩٠٨) ومررنا بعد مسير ثلاث ساعات بقبر السيدة ميمونة زوج النبى صلى الله عليـه وسلم وهو بموضع يقال له "سَرِف" ويقال : إنه موضع بنـاء النبى صلى الله عليه وسلم بها وعلى القبر قبة وهنالك مسجد ينسب اليها ترى شكله فى (الرسم ٧٥) صحيفة ٢٠٥ جزء أول وقد بتنا بوادى فاطمة على مسير ثمـان ساعات من مكة وهذا الوادى به ثلاثون عينا جارية ماؤها شديد العذوبة هاضم للطعام وبه أراض زراعية يزرع فيها القاوون والبطيخ والبلح الخ وفيه يكثر دود العلق فى مجرى عين هنالك ويُتَّجر به فى مكة أهل هذه الجهة . وترى فى (الرسم ٢٨٣) معسكر المحمل بالوادى به الحجاج والخيام والمدافع والجمال .

المرحلة الثانية من وادى فاطمة الى المحسنية ٨ ساعات — قمنا من الوادى صباح الأحد ٢٩ ذى الحجة ووصلنا المحسنية بعد مسير ثمان ساعات والطريق كله سهل لا وعورة فيه .

المرحلة الثالثـة من المحسنية الى عسفان ٤ ساعات و ٥ ٤ دقيقة — قمنـا من الحسنية فى الساعة ١٢ والدقيقة ٤٥ صباح الاثنين أول المحرم سنة ١٣٢٦ (٣ فبراير سنة ١٩٠٨) وسرنا على ٣١٥° ، وفى منتصف الساعة الثالثة وصلنا الى مسقى فى ميمنتنا مبنى بالحجر الأسود المتين جميل الشكل لكنه مخرب . وفى منتصف الساعة الرابعة بدأنا نسير فى عقبة حجرية صعبة وسط ميدان فسيح وقد تفرقت عندها جمال الركب واخترقناها فى نصف ساعة ، ولدى الساعة الخامسة تغير الاتجاه الى ١٥° و بعد نصف سـاعة وصلنا محطة عسفان[1] بعد مســير خمس ساعات إلا ربعا و بتنا بها وبهـا " بئر عسفان " وهى مبنية بالحجر الأســود المتين وسمك جدارها متر ونصف وعمقها ثمانية أبواع ونصف عند نقص مائها وخمسة أبواع عند زيادته وماؤها عذب كماء النيل ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم شرب منه . وترى فى (الرسم ٣٨٤) بئر عسفان والسقاءون يخرجون منها المـاء بدلاء ربطت بها أحبال الليف وأديرت على بكـر حديدى علق فى آلة ذات أرجل ثلاثة (السبية) .

وهنـاك ثلاثة آبار أخرى عذبة المـاء الشمالية منها سعتها عشرة أمتار تقريبـا وسمك جدارها متر ونصف ولها سلم على الوادى يتدفق منه السيل الى البئر اذا أقبل وعمقها اثنا عشر مترا وسعة الثالثة خمسة أمتار و بالبلد سوق به حاجات المسافر وقد اشتهر هذا البلد بكثرة اللصوص .

---

(١) عسفان (بضم فسكون وبالفاء) كانت فيما سلف قرية جامعة بين مكة والمدينة — على مسيرة يومين من الأولى — سميت بذلك لعسف السيول فيها . وذكر الأسدى أن بها آبارا وبركا وعينا تعرف بالعولا وبعد عسفان منزلة " العقلة " التى صلى بها النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف حينما كان العدو فى جهة القبلة وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحيان بعسفان وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوما وقال الأعرابى :

لقد ذكرتنى عن جناب حمامة * بعسفان أهلى فالفؤاد حزين
فويحك كم ذكرتنى اليوم أرضنا * لعل حمامى بالحجاز يكون
فوالله ما أنساك ما هبت الصبا * وما اخضر من عود الأراك فنون

(ص ١٧٤ ج ٦ معجم البلدان) والجناب البعد .

المرحلة الرابعة من عسفان الى خليص ٧ ساعات — قمنا من عسفان في منتصف الساعة الأولى العربية صباح الثلاثاء ثانى المحرم وسرنا على ١٠° نصف ساعة . ثم سرنا فى عقبة صعبة معوجة لا تسع إلا قطارين قطارين وقد قطعناها فى ساعتين ونصف وبها مكان عال — خط نار — يقف عليه العربان يمنعون القوافل من المرور مالم يدفعوا ضريبة يقدرونها ولا يمكن لأية قوة أن تمر بهذا المكان اذا احتلته العربان الابخسارة فادحة فإن سبقتهم الى احتلاله سهل مرورها . وفى وسط العقبة وجدنا على اليسار لوحا من الرخام كتب عليه بالخط الثلث الجميل البسملة وأنه أنشىء بأمر سلطانى بمعرفة رضوان بك داود الغفارى فى جمادى الأولى سنة ١٢٠٠ ﻫ وتسمى هذه العقبة بمدرج عثمان (١) وبعد العقبة تغير الاتجاه الى ٣٥° مسيرة نصف ساعة واتسع الطريق جدا ويسمى من العقبة "وادى غران" وبه نخيل كثير ذات اليمين على مقربة من الجبل وقد انعطف الوادى الى اليسار على ٣٤٥° التى سرنا عليها الى أن وصلنا محطة خليص فى منتصف الساعة الثامنة وبجوار خليص خوران كبيران أحدهما على اليمين والآخر على الشمال وتسمى خليص الدف أو التنوجة (٢) .

---

(١) وفيه يقول الصلاح الصفدى

طوينا الفـلا نبغى الوصول لمكة * فناحت علينا الورق من عذب ألبان
وكم مدرج قد راح فى كفن البـلا * لنـوم التـلاقى فى مدرج عثمان

وجاء فى درر الفرائد ص ٢٦٦ أنه يجب على أمير الحج فى ذهابه وإيابه أن لا يمر بوفد الله من مدرج عثمان إلا نهارا لوعورة مسالكه وتعرج طرفه .

(٢) جاء فى درر الفرائد (ص ٢٦٥) أنه كان بخليص عين أصلحت فى سنة ٩٤٠ ﻫ . وأصلح بركة بها أمير جدة بعد خرابها وأقام بجانبها قبة لطيفة تشرف على البركة التى أنشأها لسقاية الحاج أرغون النائب . وذكر صاحب درر الفرائد أنه نزل مع ركبه على تلك البركة فى سنة ٩٣٨ ﻫ . فإذا بها خراب وإذا بالعين نازحة فأصاب الركب من جراء ذلك مشقات جسيمة ولما بلغ ذلك السلطان سليمان أمر بإصلاحها ووظف لها شخصا يقوم برعايتها وتنظيفها فأقام هنالك وتزوج ورزق غلاما وأصبحت بعنايته تلك الجهة من أجل الموارد الحجازية اﻫ ملخصا أما الآن — سنة ١٣٢٦ ﻫ — فإنه لا يوجد سوى بئر عذبة . وفى خليص يقول الشهاب أحمد ابن أبى حجلة

حثثنا المطايا من خليص عشية * وطـرفى الى أفق السماء تردّدا
ولما بدا فيه الهلال لناظرى * ذكرت جبين العامرية إذ بدا

المرحلة الخامسة من خُلَيْص الى القضيمة ٩ ساعات — قمنا من خليص فى منتصف الساعة الأولى من صباح الأربعاء ثالث المحرم (٥ فبراير) وسرنا على ٣٠٠° فى أرض رملية على يمينها شجر العبل . وفى الساعة الثالثة اقتربت جبال اليمين وتكاثر شجر العبل ثم انقطع فى الساعة الخامسة وتغير الاتجاه الى ٣٢٠° ثم الى ٣٦٠° من منتصف الساعة السابعة واختفت عن العيون جبال اليسار . وفى منتصف الساعة العاشرة وصلنا "القَضِيمة" وبها سوق وحفائر وبئر مبنية بالحجر لها سلم ذو درجات ست من الخارج ودرجات تسع من الداخل .

المرحلة السادسة من القضيمة الى رابغ ١٢ ساعة و ٣٠ دقيقة — فى مبتدأ الساعة الأولى من صباح الخميس رابع المحرم (٦ فبراير) سرنا من القضيمة على ٣٤٠° وبعد نصف ساعة رأينا البحر الأحمر وشاهدنا مبانى ترسو عندها المراكب الشراعية ووجدنا على اليسار قليلا من النخل الصغير وبعد ربع ساعة وجدنا فى ميمنتنا نحو ٦٠ نخلة وفى الساعة ٢ والدقيقة ٢٠ مررنا بمحل يسمى "سَعْبَر" به على اليمين حوالى مائة نخلة وفى الساعة ٣ والدقيقة ١٠ وجدنا فى الميمنة أيضا نخيلا تبعد عن محجة الطريق نحو ٣٠٠ ياردة . وفى منتصف الساعة الثامنة بدأنا نسير حذاء شجر قليل ثم تكاثر لتمام الساعة التاسعة شجر السَّلَم والسنط ووصلنا رابغا بعد المغرب بساعة بعد أن جدّ بنا السير ١٢ ساعة و ٣٠ دقيقة واسترحنا نصف ساعة للغذاء والصلاة .

ورابغ قرية فى شمالى جدة بينهما مسيرة ثلاثين ساعة وتبعد عن البحر الأحمر مسيرة ساعة وليس لها مرسى للسفن بل تقف بعيدة عن الساحل وتنقل منها واليها البضائع بواسطة المراكب الشراعية — السنابك — وهى مجتمع طرق ثلاثة الجنوبى منها يتفرع بعدُ الى فرعين : أحدهما الى مكة والآخر الى جدّة والشرقى الشمالى يتفرع الى فرعين يسمى أحدهما بالطريق الفرعى والثانى بطريق الغاير وكلاهما يتجه الى المدينة والشمالى يسمى الطريق السلطانى ويتفرع عند مستورة الى فرعين : الشرقى منهما يسمى بالطريق السلطانى "ملف" والشمالى يسمى بالطريق السلطانى

صحيفة ٣٠٣ (*)

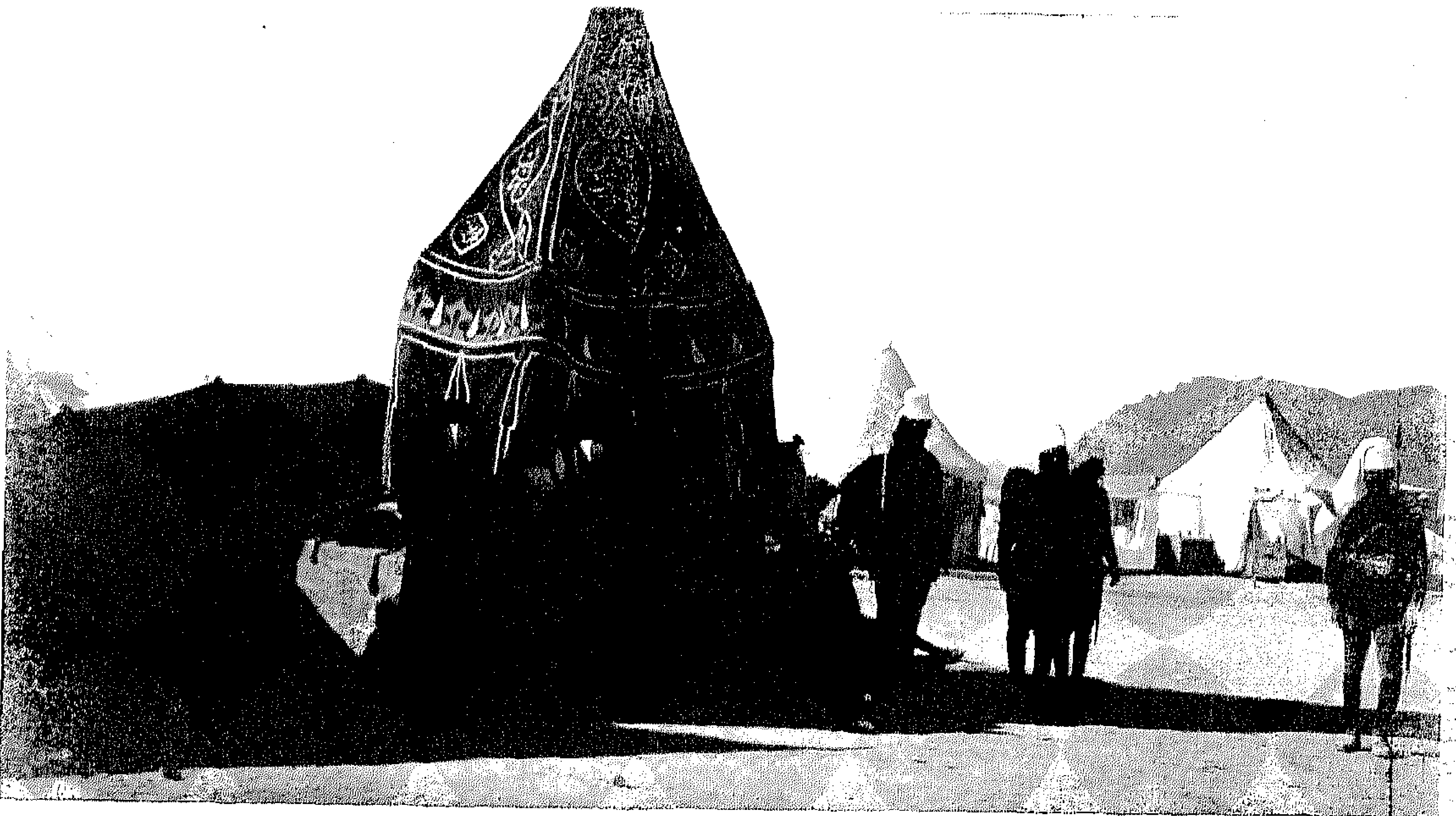
٢٨٥ منظر رابغ وهي نقطة الاحرام لمن جاء برا وبحرا



285. Rabegh, a Post marking the sacred territory.

صحيفة ٢٠٧ (*)

٢٨٦ منظر المحمل بكسوته السفرية وحوله نسوة من أهل المدينة



286. The Mahmal Convoy in travelling dress, surrounded by women from Medina.

فقط وكلاهما يتجه الى المدينـة أيضا ومن الفرع الشمالى طريق الى ينبع . وبرابـغ رئيس مائة — يوزباشي — وملازم وطبيب ومائة جنـدى عثمانى ومدافع وكثير من الذخائر والمهمات الحربية . وقبلُ كانت مركزا للـيرة والذخائر التى تحتاج اليها المحامل حين مرورها بها ، وفيها ١١٦ منزلا و ٥ مساجد و ٢٠ حانوتا و ١٠ صهاريج وسوق وقلعة مبنية بالحجر بناء محكما لها سبعة أبواب تراها فى (الرسم ٢٨٥) وفيها بساتين تحوى كثير النخيل ويزرع بها القاوون والبطيخ وغيرهما . والمياه تستخرج من أرضها بالحفر قليلا وبها يكثر نبت (قرمز قانى) يسمى "دم الأخوين" يداوى به الباصورى اذا غلى وشرب . ورابغ يحرم الناس منها الآن إذا مروا بها برا وإذا حاذوها بحرا ، والجُحفة جنوبها على عشرة أميال منهـا وهى المعروفة بالفقه بأنهـا ميقات الشاميين والمصريين لمـا كانوا يحجون برا ولكن لاحرج فى تقديم الإحرام على الميقات ، وقد استرحنا برابغ خامس المحرم لغسل الملابس والاستحمام لكثرة المياه هنالك .

المرحلة السابعة من رابغ الى مستورة ١٠ ساعات — قمنـا من رابغ على ٣٤٠° فى مفتتح الساعة الأولى من صباح السبت سادس المحرم (٨ فبراير) وفى الساعة ٣ وجدنا حصى بمدقات قطعناه فى نصف ساعة واسـترحنا ساعة من منتصف الساعة السابعة . وفى الساعة ٨ والدقيقة ١٥ مررنا بخور به حصى واقتربت منا جبال اليمين ثم مررنا بعقبـة سهلة بهـا انحدار خفيف انتهى الى أرض مستوية وبعد ٧ دقائق بدأنا نسير حذاء شجر ضخم عال أخذ يقل بعد ساعتين ثم انقطع وتغير الاتجاه الى ٣٦٠° حتى وصلنا مستورة عند تمـام الساعة الحادية عشرة العربية وبها على اليسار أكواخ وبئر بنيت بنـاء متقنا سعتها ثلاثة أمتار وسمك جدرها متر وعمقها ثمانية أمتار وترتفع عن الأرض مترين ولها سلم ثابت ذو درجات خمس ، وماؤها معين جميل صاف . وهناك بئر أخرى فى الجهة الشرقية على مسيرة نصف ساعة وتوجد بها حفائر كثيرة .

المرحلة الثامنة من مستورة الى بئر الشيخ ١٣ ساعة — سرنا من مستورة على ٣٤٠° لتمـام الساعة العاشرة العربية ليلة الأحد سابع المحرم (٩ فبراير)

وبعد أربع ساعات تغير الاتجاه الى ٤٥° حتى وصلنا الى بئر الشيخ قبل المغرب بساعة وعند الساعة التاسعة انحدرنا فى خور سهل والشجر على طول الطريق نادر جدا وبعض الطريق أرضه رملية سهلة، وقد استرحنا فى خلال المسافة ساعة . وبمحطة بئر الشيخ سوق به الحشائش واللحم والأرز المطبوخ والتمر والدخان، وتوجد أشجار فى سفح الجبل الأيمن «وبئر الشيخ» سعتها ثلاثة أمتار وعرض حائطها متر وعمقها ١٥ مترا ، وبجدرها تخريب وهى غير مجصصة من الداخل وماؤها رائق نظيف حلو بعض الحلاوة .

المرحلة التاسعة من بئر الشيخ الى بئر آبن حصانى ٦ ساعات — سرنا من بئر الشيخ على ٣٤٠° فى بدء الساعة الأولى من صباح الاثنين ثامن المحرم (١٠ فبراير) وقد مررنا بمرتفعات نزلنا منها الى ثلاثة عشر واديا وفى الساعة ٢ تغير الاتجاه الى ٦٠° وكثرت الأشجار المتفرقة واعتدل الطريق ووصلنا بئر آبن حصانى فى منتهى الساعة السادسة وبتنا عندها وهناك سوق عظيم وبيوت وآبار أربع طيبة الماء .

المرحلة العاشرة من بئر آبن حصانى الى خَلْص ١١ ساعة — قمنا من بئر آبن حصانى مبتدأ الساعة الأولى من صباح الثلاثاء تاسع المحرم (١١ فبراير) على ٥٠° الى الساعة الرابعة حيث تغير الاتجاه الى ٩٠° وكان السير فى خور به أشجار وحصى ومدقات والطريق ضيق لا يسع إلا أربعة قطارات ومن الساعة الرابعة وجدنا زرعا من الدخن على يميننا سرنا فى عرضه ١٠ دقائق . وفى منتصف الساعة السادسة تغير الاتجاه الى ٥٠° ووصلنا رأس الملف فى منتصف الساعة الثامنة ومن الملف صعدنا الى عقبة لا تسع إلا قطارين فى كل ناحية من ناحيتيها قطار وتغير آتجاهنا الى ٣٣٥° ووصلنا محطة خلص بعد الغروب بربع ساعة وآسترحنا بالطريق ساعة وبعضا لتناول الغذاء وأداء الصلاة وبخلص بئر وسوق وكثير من اللصوص .

وفى طريقنا من بئر آبن حصانى الى خلص وجدنا قبائل صبح والمحاميد وبنى عمرو والكَحَلة قد آنتشروا على رءوس الجبال فى مواقع عدة وكلما مررنا بجماعة منهم

صاحوا والصياح عندهم آية الاعتداء ولكن مشايخهم كانوا ينزلونهم من قمم الجبال وقد أطلق بعضهم علينا طلقات نارية لم تمسنا بسوء ولم يسبق أن حصل تهديد وصياح لركب المحمل قبل هذه السنة إنما أحدثه إنشاء السكة الحديدية الحجازية التى ظن العربان فى وجودها قطع أرزاقهم فحنقوا على الدولة العلية ما صنعت ولما كانوا يعتبرون ركبنا تابعا للدولة صاحوا علينا ليجمعوا إخوانهم لأذيتنا وليلقوا الرعب فى قلوبنا، وقد طلبوا منا ٥٠٠٠ ريال أو يفتكون بنا فأرضيناهم بألف ومائة اتقاء لشرهم وخصوصا عند العقبة الضيقة التى يتمكنون فيها من ركبنا أشد التمكن وقد كان المحمل يدفع اليهم فى السنين الخالية ٣٠٠ ريال فقط ولكن للسبب الذى ذكرنا بالغوا فى الطلب .

المرحلة الحادية عشرة من خلص الى بئر درويش ١٤ ساعة و١٥ دقيقة — سرنا من خلص على ٣٦٠° فى الساعة ٩ والدقيقة ١٥ من ليلة الأربعاء عاشر المحرم وفى الساعة ١٢ حاذينا بئر عباس وهى فى ميسرتنا على نحو ٥٠٠ متر ومن الساعة ١٢ الى أن وصلنا المحطة وجد بالأرض حصى ومدقات عدا ٤٥ دقيقة خلت من الحصى و١٠ دقائق كانت الأرض فيها رملية، وفى الساعة ٣ تغير الاتجاه الى ١١٥° حتى الساعة السابعة إذ تغير الى ١٠° وعند الساعة ١٣ تغير الى ١١٥° حتى وصلنا الى بئر درويش بعد المغرب بثلاث ساعات وبها بتنا، فتلك ١٧ ساعة و١٥ دقيقة عطلنا منها الأعراب الخونة ثلاث ساعات .

وذلك أنه حينما وصلنا الى بئر خلص وجدنا هنالك الشيخ خليل بن حذيفة كبير مشايخ الأحامدة فطلب منا مكافأة نظير أن يدفع عنا تعدى الأحامدة على ركبنا ومسح وجهه ولحيته كما هى عادة العرب إذا أرادوا الوفاء بعهد وقال «فى سد وجهى» يعنى بذلك أنه ضامن، فأعطيناه ٣٠٠ ريال وبعد أن رافق ركبنا فى مسيره قليلا اختفى عن أنظارنا وعلمت أنه لحق بمكة قبل أن يوزع النقود على قبيلته لأن سيادة الشريف طلبه كما أخبرت أنه سيرسل هجانا من قبله يمنع أهل دياره أن يتعدّوا على

ركبنا ولكن حينما مررنا بهم وقفوا على جبالهم الشامخة وأبوا أن يسير المحمل مالم ندفع ١٥٠ جنيها وذلك بعد أن رمونا بالرصاص فاستشهدت امرأة وأصابوا بغلا فحقنا للدماء أن تراق دفعنا المبلغ وسرنا قليلا و إذا بعربان آخرين من نفس قبيلة خليل ابن حذيفة أطلقوا رصاص بنادقهم على مقدمة ركبنا فأرسلنا الى الذين أعطيناهم المبلغ فأنزلوهم .

المرحلة الثانية عشرة من بئر درويش الى المدينة ١٢ ساعة و ٣٠ دقيقة

قمنا من بئر درويش فى منتصف الساعة الأولى من صباح الخميس ١١ المحرم (١٣ فبراير) وسرنا ساعة و ٤٥ دقيقة على ٢٠° و ٤٠ دقيقة على ٥٥° و ٣٥ دقيقة على ٨٥° و ٤٠ دقيقة على ١٥° و ٣٥ دقيقة على ٥٥° و ٢٥ دقيقة على ١٣٠° و ٤٠ دقيقة على ٧٥° و ٥٥ دقيقة على ٣٥° و ٣٠ دقيقة على ١١٥° وساعة و ٣٠ دقيقة على ٧٥° و ٤ ساعات و ١٥ دقيقة على ٥٧° حيث وصلنا الى المدينة بعد العشاء وقد استرحنا فى الظهيرة ساعة للصلاة والغذاء .

وفى الصباح قبل أن نقوم من بئر درويش حضر بعض عربان من الأحامدة وطلبوا مكافأة وكانت الخزينة قد حملت وسارت فوعدتهم الإعطاء فى الظهر حينما نستريح ، فقبلوا وسار ركبنا يصحبه بعض أولئك الطالبين وتخلف بعضهم الآخر واعتلوا جبلا وأطلقوا الرصاص على مؤخرة الركب فأطلقنا مدفعا واحدا وطلقة «طابور انش» إرهابا لهم فلاذوا بالفرار ولم يحصل من ضربهم أذى ما ، وكان ممن سار مع ركبنا من بئر درويش أولياء القتلى الذين قتلوا بالحمراء فى طلعة سنة ١٣٢٢ ﻫ . رجعة سنة ١٣٢٣ ﻫ . لما كان أمير الحج سعادة اللواء محمود حسنى باشا وقد طلبوا دية قتيلين فوعدهم «المقوّم» بالدفع وقت الاستراحة وصدقت له وعده — ولا تنس المخابرات التى جرت بينى و بين المالية فى شأن دية القتلى وأنها أجابتنى إلى ما طلبت وقررت لذلك ٩٠٠ جنيه وضعت بخزينة الصرة — ولما دفعنا الديتين وكافأنا الذين ساروا معنا آبوا الى مواطنهم شاكرين، وأولياء القتلى من قبيلة الفَضَلَة .

صحيفة ٢٠٧ (*)

٢٨٧ منظر مجتمع الشاذلية من اهل المدينة المنورة في بستان

287. The Shazlia party of Medina in a garden.

صحيفة ٢٠٨ (*)

٢٨٨ النخلة المعوجة بمنزل السيد البري زاده سنة ١٣٢٦

288. The zigzag palm tree at the house of El Sayed El Barry Zada in 1326

فى المدينـــة

وصلنا المدينة بعد غروب شمس الخميس ١١ المحرم (١٣ فبراير) بساعة ونصف ونصــبنا المعسكر خارج البلد تنفيــذا لأمر الصحة وترى فى (الرسم ٢٨٦) المحمل بكسوته العادية فى المعسكر وقد وقفت بجانبــه بعض المدنيات بزيهن الذى يمثـل الكمال والحشمة . وفى اليوم التالى صلينا الجمعة بالمسجد النبوى . وفى يوم السبت ١٣ المحرم زرنا محافظ المدينة الفريق عثمان باشا فريدا وسلمته الخطاب التركى الذى بعث به اليه سموّ الخديوى ليسهل للمحمل سفره من طريق ينبع وترى الخطاب وترجمته(١) بالعربيــة فى (الرسم ٢٤١) صحيفة ١٠٧ وقد أخبرت المحافظ بمـا كان من مناوشة العربان لنـا فى الطريق وناولته توصيتى شريف مكة وواليها بمساعدتنا على السفر من الطريق السلطانى وحدّثته أنى مستعد لإرضاء عربانه بالمكافآت المناسبة وقد آعتذر سعادة المحافظ عن إرسال جنود شاهانيــة ترافق المحمل بأنهم مشغولون فى أعمـــال السكة الحديدية الحجازية وفى يوم الاثنين ١٥ المحرم زارنا فأدت له التحية ثلة من جنودنا وأطلقنا لقدومه ورجوعه ١١ مدفعا وقدمنا له الحلوى والقهوة ثم آنصرف بعد أن فتش على الثلة التى حيته فسره نظامها وجمال شكلها .

وفى يوم الثلاثاء ١٦ المحرم احتفل بدخول المحمل الى المسجد النبوى فالمقصورة وآبتــدأنا فى صرف المرتبات الى أربابها وآستمرّ الصرف الى ٢٠ المحرم الذى أخرجنا فيه المحمل من المسجد النبوى بالاحتفال المعتاد .

وقد دعيت لحضور اجتماع للشاذليــة فى بستان جنوبى المدينــة فلبيت الدعوة وقد أخذت صورة المجتمعين كما ترى ذلك فى (الرسم ٢٨٧) والذى فى وسطه شيخ الشاذلية الشيخ مصطفى حَبَشى وعلى يمينه السيد حسين الزبيدى وعلى يساره الشيخ حمزة حمودة .

(١) الذى ترجمه الى العربية صاحب العزة سكوتى بك الذى كان رئيس القلم التركى بالمعية السنية . كما انه ترجم عرائض الرتب وفرمانات رتبة اللواء وفرمانات النياشين العثمانية الممنوحة لنا فله منا جزيل الشكر .

وكذلك دعانا الى منزله بالمناخة السيد برى زاده شيخ فراشى الحجرة النبوية — يعين بفرمان سلطانى — وعنده رتبة « بالا » التى تعادل رتبة لواء وتراه مع صديقنا محمد افندى على سعودى وابن الداعى وحفيده فى (الرسم ٢٨٨) الذى أخذته بمنزله ولما اعتلينا السطح رسمته معى ومع إبراهيم حمدى خربوطى وكامل بك صهر المحافظ وضابط من بغداد كان فى الإجازة انظر (الرسم ٢٨٩) .

الأمير سعود بن عبد العزيز الرشيد وأخواله — رأينا هـذا الأمير مع أخواله بالمدينـة فى محرم سنة ١٣٢٦ هـ . وكانت سـنه إذ ذاك نحو عشر سنوات وأخواله هؤلاء هم الذين أنقذوه من القتل كما قتل أخ له من قبل، ففرّوا به من نجد الى المدينـة ليحفظوا به بيت الملك وكانوا يسـيرون به فى الليـل على ظهور الجياد والهجن ويستريحون النهار وقد قطعوا ما بين نجد والمدينة فى تسعة أيام وقد رتبت لهم الدولة ما يتعيشون به الى أن يرجعوا الى بلادهم بعـد استتباب الأمن فيها وقد رجعوا اليهـا وأقاموه أميرا عليها ولمّا يبلغ الحلم وكان أخواله يرشدونه الى ما فيـه السعادة والفلاح، ولمـا كبر قتل أخواله الذين أنقذوه وولوه الإمارة وأرشدوه الى ما رفع شأنه . ولله درّ من قال : «اتق شر من أحسنت اليه» ، ومن قال :

أعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتدّ ساعده رمانى
وكم علمتـه نظم القوافى * فلمـا قال قافيـة هجانى

وأخوال الأمير هم : (١) ناصر بن السبهان ؛ (٢) حمود بن السبهان ابن أخى ناصر؛ (٣) ابراهيم بن ناصر السبهان ؛ (٤) زامل بن سالم السبهان ابن عم ناصر؛ (٥) عبـد الكريم بن سالم السبهان أخو زامل؛ (٦) سعود بن صالح السبهان ابن أخى حمود ؛ وقد رسمت الأمير مع أخواله وهم على سطح المنزل الذى يسكنون فيه بالمناخة أنظر (الرسمين ٣٢٣ و ٢٩٠) تجد رجالا عظاما تلوح عليهم سمات الملك والعزة قد تحلوا بالوسامات المجيدية والعثمانيـة من الدرجة الثانية وحملوا السيوف العربيـة المذهبـة وارتدوا الملابس الفاخرة وترى شـعورهم مضفرة قد ضربت الى أفخاذهم

صحيفة ٢٠٨ (*)

٢٨٩ اجتماع على سطح منزل السيد البرى سنة ١٣٢٦



289. A meeting on the surface of the house of El Sayed El Barry Zada in 1326.

صحيفة ٢٠٩ (*)

٢٩١ مسجد ومحطة السكة الحديد بالمدينة



291. Mosque & Hedjaz Railway Station at Medina.

أمير نجد وأخواله وتوابعه بالمدينة سنة ١٣٢٦



290. The Amir of Nagd, and his uncles, and followers in Medina in 1326.

صحيفة ٢٠٨ (*)

٣٢٣ امير نجد واخواله



323. Emir Suood of Nejd & his uncle at Medina.

٢٩٢ و٢٩٣ الاحتفال بافتتاح السكة الحديد الحجازية سنة ١٩٠٨

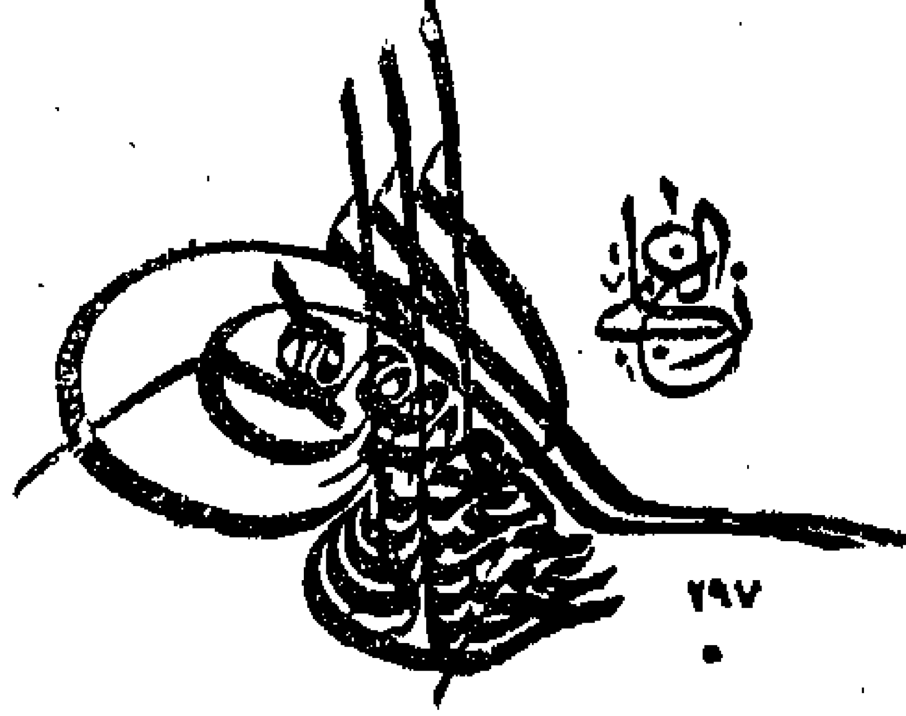




292 & 293. Inauguration Ceremony of Hedjaz Railway at Medina on 14th August 1908

ويكاد يرى الانسان في صورهم الشهامة العربية ممثلة، وقد ثل الوهابيين عرش إمارتهم ويقيم الأمير الآن مع أسرته بالشام كما بلغنا .

وحين كنا بالمدينة كان العمل جادا في إتمام بناء محطة السكة الحديدية والجامع الذى شرعوا فى بنائه بجوارها وقد أرسل الىّ خليل افندى القازانى مدير الكهرباء بالمدينة صورة المحطة والجامع بعد إتمامهما وصورتين للاحتفال بفتح السكة الحديدية انظر (الرسوم ٢٩١ و٢٩٢و٢٩٣) وقدتم إنشاءهذه السكة على يدالمشير كاظم باشا الذى صدر فرمان سلطانى فى سنة ١٣٢٦ بتوليته الحجاز وترى (طرّة الفرمان) فى (الرسم ٣٢٤)



٢٩٧

وأما الفرمان نفسه فاليك ترجمته بالعربية .

الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الأنام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والإقبال مشيد أركان السعادة والإجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى « ياورنا » الأكرم أحد مشيرى سلطنتنا السنية المعظم سمير الدولة ناظر إنشاء السكة الحديدية الحجازية الذى أسندت اليه ولاية الحجاز ورياسة فرقتها الحائز لوسام الافتخار المرصع والوسامين العثمانى والمجيدى المرصعين « كاظم باشا » أدام الله تعالى إجلاله .

عند وصول التوقيع الشاهانى الرفيع الشأن يكون معلوما أن أخص آمالنا الملكية وأغراضنا الشاهانية حسن انضباط الولاية الحجازية والحذق فى إدارتها والمحافظة على حقوق الأهالى والمساواة بينهم وإدامة الأمن والراحة لهم وبما أنك أيها المشير ذو دراية وخبرة وبصير بشؤون الحجاز وعرفنا صدقك فى خدماتك السابقة — وجهت أحاسن توجهاتى وغاية مكارمى الملكية وفوضت الى عهدة حصافتك ولاية الحجاز ورياسة

فرقته فى اليوم الثانى من شهر شعبان المعظم لسنة ألف وثلثمائة وستة وعشرين بموجب إرادتنا السنية الصادرة من ذاتنا الملكية و بمقتضى ذلك أصدرنا ومنحناك من ديواننا الهمايونى فرماننا هـذا المتضمن لتلك المأمورية فيلزمك جلبا لرضانا وتحقيقا لقصدنا الشاهانى أن تبذل مزيد العناية والإقدام باستكمال تأمين حقوق الأهالى ومجاورى الحرمين الشريفين خصوصا كل ماتحصل به راحة الحجاج الى بلد الله الحرام وزوّار مدينة نبيه عليه الصلاة والسلام من التدابير الحسنة وتصرف فى ذلك كل الجهد لاستجلاب الدعوات الخيرية لذاتنا الشاهانية من كافة الناس وذلك بتمسكك بالشريعة المحمدية الغرّاء وابذل وسعك فى تحسين الأحوال المالية والخزينة النبوية وحافظ على جبـاية الأعشار و « الويركو » الذى كلفت به القبائل المختلفـة وعونك فى هذا مأموروهم الموظفون وإن ذاتنا الشاهانية لتنتظر حميتك وجدّك فى تسيير الأمور وتحقيق المصالح العامة وعرض الأشياء اللازمة على إستانتنا العلية .

تحريرا فى رابع ذى القعدة الشريفة سنة ١٣٢٦ هـ .

وكل الفرمانات الصادرة بولاية الحجاز على هذا النمط فذكرنا هذا نموذجا منها .

السفر من المدينة والعودة اليها

سافرنا من المدينة بعد ظهر الأحد ٢١ المحرم سنة ١٣٢٦ (٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨) ووصلنا «آبار على» بذى الحليفة بعـد مسير ساعتين وهنالك بتنا وفى منتصف الساعة العاشرة من ليلة الاثنين قمنا منها الى آبار درويش فوصلناها بعـد ثنتى عشرة ساعة استرحنا واحدة منها وبآبار درويش كان مبيتنا ، وقد اجتمعت بعـد الغروب بالشريف على بن هيازع المعين مأمورا للحج من قبل الشريف وحضر اجتماعنا «قومندان» الحرس والمقوّم وكان مما قاله مأمور الحج والمقوّم الجملة الآتية : أبشرك بأن الطريق مافيه أحد وأن العربان «فاهمين» أن طريق المحمل هو طريق الطريف وأن ذلك بناء على أخبار وصلتهما قالها كل منهما على حدة ثم تبين لنا أن الأمر بخلاف ما زعما فقرّ رأينا على أن يؤخذ من الصرة ألف ريال تكون مع كاتبها الأوّل

ويسير هو والمأمور والمقوّم وبعض الضباط أمامنا على مبعدة من ركبنا وذلك ليمهدوا الطريق وينزلوا من قمم الجبال من يرون من العربان ويعطوهم من الألف المكافآت المناسبة . وفى منتصف الساعة الحادية عشرة سرنا من آبار درويش يتقدّمنا من أسلفنا ومن خلفهم صف من العسكر وبعد مسير ساعة ونصف وصلوا مضيقا وهنالك أطلق العربان الرصاص عليهم من جبلين متقابلين فتقدّم اليهم المأمور والمقوّم واتفقا معهم على ١٦٠ ريالا يأخذونها ويسكتون فصرفت اليهم وبعد أن سار الركب قليلا أعيد ضرب الرصاص فأمرنا العسكر بتسلق الجبال لمنع هـذا العدوان الذى حدث بعد المكافأة وإذ ذاك حضر رسول من قبل المأمور خبرنا أن الذين أطلقوا الرصاص الآن عربان قبيلة الرحلة، أما الذين أطلقوه أوّلا فعربان الرّدادة وما زال إطلاق الرصاص مستمرّا وعساكرنا تجاوبهم بطلقات البنادق ومدفع كروب ومدفع «مكسيم» وفى خلال ذلك انضم الى قبيلة الرحلة أربع قبائل أخرى كانت قادمة من ينبع . فاشتدّ الضرب فأرسل اليهم المأمور واتفق معهم على ٤٠٠ ريال ويتركون المناوأة وقد سلم المبلغ الى غنيمة وعاطر ومشايخ آخرين من قبيلة الرحلة بعد أن تعهدوا بعدم التعرّض ومسحوا وجوههم كما هى العادة عندهم إذا أرادوا الوفاء بالعهد، ثم اعتلوا الجبال لينزلوا العربان فانقطع الضرب قليلا ثم عاد أشدّ ما يكون فقابلناه بأشدّ منه وما زالت النيران مطلقة من الجانبين حتى تأكدنا خطر الموقف إذ لبثنا فى مكاننا خمس ساعات ونصفا نتقاذف فيها الرصاص وقد أصيب سبعة من جنودنا لقى أحدهم ربه وأصيبت امرأة توفيت من فورها ومات أربعة خيول وأصيب اثنان بُرِئا بعد، وكذلك أصيب ثلاثة بغال ومات من الجمال ثلاثة عشر وجرح نحو العشرين، ولما عجز المأمور عن إنزال العربان وغاب المقوّم محمد أبو حميدى عن الركب من ساعة أن تقدّم الى الأمام ودنا الغروب ولا تزال المسافة بيننا وبين آبار عباس بعيدة فإن بتنا بتنا على غير ماء وليس معنا من الماء ما يكفى — لما أن حصل كل ذلك أشار المأمور بالرجوع لتفاقم الخطب وارتأيت ما رأى حقنا للدماء ومحافظة على الأرواح فعدنا الى بئر درويش وقت الظهر وقد اشتدّ الضرب حينما رأى الأعراب

عودة الركب ، ولكن العساكر ما فتئت تدافع عنه حتى وصل البئر ، وتركنا بمكان الموقعة قسما من العسكر « بلكا » يخفر الجرحى والموتى والأشياء التى وقعت حين هرولة الجمال لما أن تكاثر الرصاص عليها وساعة وصلنا البئر وضعنا قوتين على جبلين حاكمين على مقام الركب وقد وجدنا طائفة من العربان محتلة جبلا خلف ذينك الجبلين وأطلقوا علينا بعض الرصاص ، ولكن لم يصيبونا بسوء ، ولما رأوا قوتنا أمامهم كفوا عن الضرب . وقد لبثنا فى مقامنا هذا ساعة وثلثا حتى تكامل اجتماع الركب كله ، وبعد ذلك تباحثت مع المأمور والقومندان فى المبيت بهذا المكان فقر رأينا على مغادرته الى المدينة فغادرناه اليها فى الساعة الثامنة نهارا وقد وصلنا آبار على فى الساعة السادسة ليلا وبتنا بها ، وفى الصباح هم الجمالة بالهروب وحضر الينا كاتب المقوم يستنجد بعساكرنا للمحافظة على الجمال ، فأمرنا بالرحيل الى المدينة فى الساعة ١ والدقيقة ٤٥ من صباح الأربعاء ٢٤ المحرم سنة ١٣٢٦ هـ . (٢٦ فبراير سنة ١٩٠٨) فوصلنا باب العنبرية فى الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ وعسكرنا بالمناخة ، وقد أسف لرجوعنا أهل المدينة أسفا شديدا وهنئونا بالوصول سالمين وكان بلغهم تربص العربان للمحمل فى الطريق وأنهم يريدون بركبه شرا .

وحينما كنا ببئر درويش أرسلنا مع رسول كتابا الى محافظ المدينة قصصنا عليه فيه ما كان من العربان وأخبرناه بأنا آئبون الى المدينة ، وفى ذلك الحين علمنا أننا لو كنا اجتزنا المضيق الذى حصل فيه الضرب لوجدنا أمامنا خمس قوى من عربان الأحامدة كانت تستعد لمشاكستنا بالطريق وتأكدنا ذلك بما رواه العربان لنا بعد عودتنا الى المدينة ، فإنهم قالوا : إن عربان الأحامدة كانوا محتشدين لنا فى المضايق التى بين الجديدة وبئر عباس وعلمنا أيضا أن العربان والأحامدة الذين اعتدوا على الركب كانوا يعتقدون أن دولة المشير كاظم باشا المنوط به إنشاء السكة الحديدية الحجازية مختف بصحبتنا وأنهم من أجل ذلك نقموا علينا ، وكاظم باشا هذا هو الذى خرج من المدينة فى ذى الحجة قاصدا تخطيط السكة الحديدية بين المدينة ورابغ ،

ولما سار يومين اعترضه العربان وأطلقوا عليه الرصاص فقتلوا من جنده الذى يبلغ ألفا وخمسمائة ستة وجرحوا اثنين وعشرين فعاد الى المدينة لما رأى من فداحة الخطب، فالعرب حانقون عليه من أجل همه بتخطيط تلك السكة التى يظنون أن فى إنشائها قطع أرزاقهم وتسليط الإفرنج، ولا سيما الألمان على بلادهم وحنقوا علينا لما أن ظنوا اختفاء المشير بصحبتنا .

ولما عدت الى المدينة توجهت الى سعادة محافظها فوجدت عنده مأمور الحج الذى كان معنا، فقصصت عليه القصص وقدّمت اليه تقريرا كتابيا فصلت فيه الحادث تفصيلا وقلت فى آخره : والآن نحن بالمدينة المنورة وقصدنا السفر الى مصر فى أقرب وقت ممكن من الطريق الذى تختاره الحكومة مع العلم بان أكثر الحجاج نفد ماعندهم من النقود والزاد، وينتظرون رحمة من عطوفتكم حتى يعودوا لوطنهم سالمين فى ظل ورعاية أمير المؤمنين خلد الله ملكه الى يوم الدين . فما كان من المحافظ إلا أن أخبر الدولة والولاية بالحادث وطلب تسفير المحمل وحجاجه بالسكة الحديدية الحجازية .

وقد أرسلت فى ٢٥ المحرّم الى عطوفة ناظر الداخلية برقية قام بها الى ينبع هجان خاص استأجرناه ثلاثة أيام وفيها : بعد أن سار المحمل يومين الى ينبع من الطريق السلطانى الذى عينه دولتا الشريف والوالى اعتدى علينا العربان بعد أن دفعنا لهم دية من قتلوا فى المحرم سنة ١٣٢٣ وأعطيناهم من المكافآت ما لم يسبق له نظير، وقد أطلقوا علينا الرصاص خمس ساعات ونصفا فاستشهد عسكرى وجرح ستة وتوفى حاج ومات أربعة خيول وبغلان وجرح أربعة بغال وقد فعلت ما فى استطاعتى من الترضية فأنفقت أربعة آلاف ريال فى ثلاث محطات، وقد أخبر مندوب الشريف — مأمور الحج — محافظ المدينة بهياج عربان الطرق جميعها من أجل مدّ السكة الحديدية وأرى محافظة على سلامة الركب ما رآه محافظ المدينة من السفر بالسكة الحديدية الى حيفا، فان وافق ذلك فنرجو مخابرة الدولة العلية لتسهيل لنا السفر

فى أقرب وقت لأنه نفد ما مع الحجاج من نقود وزاد، وأجرة الجمل من المدينــة الى مبتدأ السكة الحديدية ستة جنيهات .

وكذلك أبرقت الى ناظر الداخلية ما يأتى : حررت فى ٢٩ فبراير خطابا لوكيل شركة البواخر الخديوية بأن تستعمل الشركة باخرتى المحمل ولا تنتظر ركبه لأنه تأخر عن السفر وأرفقت بالخطاب صورة البرقية التى بعثت بها الى عطوفتكم من المدينــة وطلبت منــه أن يرسلها الى الطور ومنه ترسل الى مصر، وزدت على تلك البرقيــة العبارة الآتية : يرسل لنا الردّ الى المدينــة عن طريق الشام وأيضا يرسل الى الطور ومنه يرسله مأمور «الكورنتينة» الى ينبع بطريق البحر بواسطة شركة البواخر وبعد ينبع يرسله الى المدينــة وكيل الشركة مع منــدوب خاص، لأن خط البرق الحجازى مقطوع من عدّة نقط، ونحن نتخير الآن طريقا آخر يسير منــه الركب فمتى قرّ الرأى على طريق وقدّمت لنا الرهائن الكافية واعتمده محافظ المدينــة سلكناه وقد سلمت هذا الخطاب الى الشيخ عتيق من بنى يحيى وأخذت عليه وصلا بذلك، وقد أردت بهذا الاحتياط سرعة وصول الخبر الى عطوفتكم لأن خط البرق من الشام الى المدينة كثير الانقطاع والتلف . وقد أخبر مأمور الحج محافظ المدينة بهيجان عربان الطرق جميعها من جراء مدّ السكة الحــديدية الحجازية ، وأنه لا يمكن أن يمرّ المحمل من أى طريق وكلمنى المحافظ فى أن طريق الشام أسلم الطرق .

وكتب الىّ محافظ المدينــة فى ٢٧ المحــرّم بأنه وردت له مذكـرتنا المؤرّخة فى ٢٥ المحرّم وأنه نظر جميع ما فيها وحوّلها الى «باب العرب» فأجاب بما ملخصه : إن الطريق السلطــانى والطريق الفرعى مشايخهما غير موجودة الآن، وأما طريق الخط الحجازى فطريق متسع مر منه الحجاج دون أن يحصل لهم مكدر ومشايخه ساروا معهم الى رأس السكة الحــديدية وقبائل عنزة فى مواطنهــم بأطراف الخط السالف فنخبر سعادتكم بذلك .

وقد استأذننى مأمور الحج فى السفر الى مكة لأنه لا يعرف طريق الطريف ، والطريق السلطانى جرى به ما جرى فأذنت له وحررت خطابا بعثت به معه الى سيادة الشريف فصلت له فيه الحادث تفصيلا .

وفى ٢٦ المحرّم (٢٨ فبراير) قام من ركب المحمل الى ينبع ٥٤ شخصا من بينهم السيدة العاملة «بنبه هانم» كريمة الراحل القريبى باشا وقد قتل أحد جمليها فى حادث العربان ، وكذلك قامت فى اليوم نفسه قافلة أخرى الى الشام لا أعرف عددها .

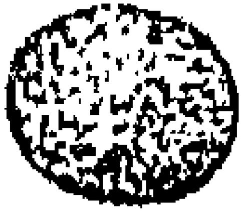
وفى ٢٧ المحرّم توفيت سيدة من سنورس الفيوم ، وكتبت الى المحافظ كتابا أرجوه فيه سرعة تسهيل السفر لنا وأن يكون مجانا بالسكة الحديدية .

وفى صباح ٤ صفر (٧ مارس) ورد لى كتاب من وكيل شركة البواخر بأن باخرتى المنيا وطنطا ينتظران ركب المحمل بينبع حسب طلبنا سابقا ويستعرف هل ينتظر أو يرسل الباخرتين لجهة أخرى (تاريخ المكتوب أول مارس سنة ١٩٠٨) فكتبت اليه فى نفس اليوم مع الهجان الذى أحضر مكتوبه بأن يشغل الباخرتين وعند الحاجة أكتب له بما يلزم .

وفى ٦ صفر (٩ مارس) بعث الىّ محافظ المدينة بمكتوبين تركيين ورد أحدهما اليه من نظارة الصحة العليـة وتاريخه ١٤ شباط سنة ١٣٢٣ وثانيهما من عطوفة سلامى باشا مندوب الصحة بمدائن صالح وتاريخه ٢٥ شباط (٦ صفر) وفى الأول أن الحجاج مخيرون فى السفر من طريق ينبع أو الشام وأنه غير منظور وجود سفن كافية فى ينبع تقل ٥٠٠٠ حاج وأن المحجر الصحى بمدائن صالح مزدحم ، وعلى ذلك يكون من المرجح أن ينتظر الحجاج ببئر عثمان الى أن يخف من بمدائن صالح ، ويرجو فى المكتوب — تلغراف — إفادته عن عدد الحجاج الذين يرغبون فى السفر بالسكة الحديدية ، وفى الثانى أنه نظرا لكثرة الحجاج وعدم توفر الوسائط اللازمة لراحة جميعهم والمحافظة عليهم ينبغى إرسالهم شيئا فشيئا بحيث لا تقل المدّة بين القافلتين عن عشرة أيام ، ولا تمانعوا الحجاج فى السفر من طريق البحر .

Ottoman Imperial ordinance (Irade) regarding
the impossibility of Mahmal travelling by Hedjaz Railway
owing to latter's defective condition,

مدينهٔ منورهٔ محافظلغى
تحريرات قلمى



(الرسم ٢٩٤)

وبينما القوافل تسافر على متون الإبل الى رأس السكة الحديدية بالعلا ، ومنه يسافرون الى الشام بالقطارات البخارية اذا بالمحافظ قد بعث الينا بصورة إرادة سلطانية (الشكل ٢٩٤) بامضاء باشكاتب المابين الهايونى تحسين باشا فيها أن سفر ركب المحمل من طريق سوريا غير متيسر لوجود نقص بالخط الحديدى ، وأن لنا أن نسلك من الطرق الأخرى ما نختار ، هكذا تلعب السياسة بأرواح الحجاج الذين من أموالهم وأموال إخوانهم المسلمين عملت السكة الحديدية ، وإن العهد قريب بالريالين المجيديين اللذين أخذا فى هذا العام من كل حاج إعانة للخط الحجازى ولو كانت الحكومة المصرية أو بعبارة أخرى الإنجليز يرغبون فى سفرنا من هذه السكة لسافرنا ، ولكنها السياسة تعتذر بالباطل فى ثوب الحق .

وفى سابع صفر (١٠ مارس) أرسلت الى نظارة الداخلية برقية أذكرها فيها بأنه مضى علينا أربعة عشر يوما بالمدينة ونحن ننتظر رد البرقية السابقة وأستعجل فيها المالية أن تبرق الى التكية المصرية بإعطائنا أربعة آلاف جنيه لشدّة الحاجة اليها ، ولما تأخر عنا الرد اجتهدنا فى تكوين قافلة تسافر من طريق ينبع فكوّنا قافلة من ركب المحمل مؤلفة من ٨٤١ حاجا سافرت فى تاسع صفر وأبرقنا الى الداخلية بقيام هذه القافلة وعددها ، وأن النقود انتهت ولا يمكن المحمل أن يتحرّك قبل ورود أربعة آلاف الجنيه التى طلبناها مرتين وكلما تأخرنا زادت النفقات وكذلك أبرقنا للشركة بالسويس بسفر العدد المذكور .

وفى ١١ صفر (١٤ مارس) قام من ركب المحمل قافلة الى الشام فيها ٤٣٥ حاج على ١٧٠ جمل . وفى اليوم السابق وصل الى المدينة من قبل والى الحجاز وأميره ستة مندوبين وهم الشريف أحمد بن منصور ، والشريف بركات بن سميح من بنى عوف وحسين بن فليح من بنى عمرو — من أهل الطريق الفرعى — وخلف ابن حذيفة من الأحامدة وفيصل بن أحمد بن فهد من الفضلة ومحمد بن حمد ، وكان

معهم من الوالى والأمير (المكتوب ٢٩٥) المتضمن لانتدابهم عنهما فسلموه لنا ومعه اعلان من محافظ المدينة بارسال هـذا المكتوب الينا ، وقد اجتمع بنا هؤلاء المندوبون وأصدروا قرارا بسفر المحمل من طريق الطريف واتفقنا مع المقوّم على

وصول ٦ مندوبين

Arrival of 6 deputies from Amir Mecca and Wali of Hedjaz
to accompany the Mahmal.

(الرســـم ٢٩٥)

أجرة الجمال وحررنا محضرا بذلك ، وبعد أيام اجتمعنا مرة أخرى وإذا بالشريف أحمد بن منصور أكبر المندوبين لا يرى السفر من طريق الطريف لطمع عربانه واختلاف كلمتهم ويرى السفر من طريق الغاير الى ينبع إذا تأكدنا صلاحيته لسير الركب منه ثم اجتمعنا فى اليوم التالى فقال : انه لا يثق بالطريق المذكور أيضا بل لا يرى هو ولا رفقاؤه السفر من أى طريق إلا إذا وافق عطوفة محافظ المدينة .

١٦٢ بتاريخ ١٦ شباط سنة ٣٢٣

مآل ترجمة ما ورد بالاشتراك من امارة مكة المكرمة وولاية الحجاز لمحافظ المدينة وشيخ الحرم كما هوآت :

علم مما ورد من عطوفتكم بتاريخ ١٤ شباط سنة ٣٢٣ تلغرافيا بوقوع تعرّض من قبيلة الأحامدة ضدّ المحمل المصرى وهذه الحالة جارى التحرّى والتحقيق بخصوص المتجاسرين بالتعرّض للمحمل المصرى واجرى اللازم لذلك وعلى أى الحالات قد عينا لتوصيل المحمل المذكور الى ينبع آمنا سالما كلامن الشريف أحمد بن منصور والشريف بركات بن سميح ومن مشايخ قبايل الأحامدة الشيخ خلف بن حذيفة وفيصل بن أحمد ومعهم حسين بن أحمد فليح ومحمد بن حمد والمأمول فى همة عطوفتكم الاجرى بما يلزم لذلك .

صورة ما ورد من محافظ المدينة

لسعادة أمير الحج المصرى بتاريخ ٣ مارس سنة ٣٢٣ م الموافق ١٣ صفر سنة ١٣٢٦ ﻫ

ما ورد من ولاية الحجاز وامارة مكة عالية مرسول لاطلاع سعادتكم عليه ومعه الشرفا والمشايخ المأمورين بتوصيل المحمل لينبع البحر أفندم .

شيخ الحرم الشريف
ومحافظ المدينة المنورة

ياور فخرى برنجى فريق عثمان فريد (ختم)

وفى ١٥ صفر (١٨ مارس) كتبت الى محافظ المدينة بأن المحمل مضى عليه بالمدينة اثنان وعشرون يوما وأننا أرسلنا برقيات أربع الى الداخلية والمالية ولم ترد لنا إفادة ، وأن نقود الصرة نفدت واستلفنا من التكية ٦٠٠ جنيه نفدت أيضا ، وأننا فى حاجة الى ٥٠٠ جنيه لنعطيها للتجار ثمن مأكولات للعسكر وثمن علف للدواب فاعتذر بعدم نقود عنده لحوّلنا وجوهنا الى أغنياء التجار عسى أن نجد فيهم من يسلفنا ٤٠٠٠ جنيه الى أسبوع فإذا بشخص اسمه أحمد حكيم يطلب منا فائدة لذلك ٧٠٠ جنيه ومن الغريب أن هذا الرجل سافر الى الشام بالسكة الحديدية بعد أن وصل المحمل الى مصر وكان معه نقود جمة فسطا عليه الأعراب وأخذوها منه قسرا وقتلوه ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَا وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَاتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ .

وفى ١٦ صفر (١٩ مارس) وردت الينا برقية من ناظر الداخلية مؤرخة فى ١٤ مارس فيها أن مدير الأوقاف أذن لتكية المدينة أن تدفع لنا ٢٠٠٠ جنيه انجليزى لنسلف منها الحجاج المضطرين ، وأما سفركم من المدينة فمحل البحث وسنرسل لكم بما يتقرر ، وكذلك وصلتنا منه فى اليوم نفسه برقية يستفهم فيها عن مندوبى والى الحجاز هل وصلوا أو لا ؟ وماذا قررتم ؟

وفى ١٨ صفر (٢١ مارس) كتب إلىّ المحافظ يدعونى أنا وأمين الصرة والقومندان لحضور جلسة غير عادية فأجبنا الطلب وهناك وجدنا كثيرين قد دعوا فقرّ قرارهم على سفر المحمل من طريق الوجه وحرر بذلك مضبطة ختمت منا ومن الحاضرين (انظر صورتها باللغة التركية فى الرسم ٢٩٦) وتتضمن ذكر من حضروا المجلس وتشاورهم فى الطريق الذى يسلكه المحمل وأنه قرّ رأيهم على السفر من طريق الوجه وإن كان الشريف والوالى أرسلا المندوبين الستة ليصحبوا المحمل الى ينبع ، ولكن لم يروا السفر من طريقها لكثرة الأشقياء به وتعرض الركب فيه الى الأخطار ويلى ذلك توقيعاتهم جميعا .

قرار باختيار طريق الوجه

Decision re choosing the Wagh road for Mahmal march.

مدينه منوره محافظلغى
تحريرات قلمى

— مضبطه —

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(الرسم ٢٩٦)

ترجمة مضبطة رقم ٢٩٦

لأجل عودة المحمل المصرى الشريف من أى طريق موافق ومناسب قد اجتمع مأمورى ولاية الحجاز والامارة الجليلة وحصلت المذاكرة معهم بحضور باب

عرب المدينة وقرر الشرفا المومى اليهم أن طريق الوجه أنسب طريق لسير المحمل نظرا لاتساعه وهو أوفق من جميع الطرق الأخرى بالتحقيق ولو أن أمر ولاية الحجاز والامارة الجليلة يقضى بعودة ركب المحمل عن طريق ينبع .

وبما أن طريق الوجه متبع المسير منه من زمن طويل واختير طريق ينبع بدله من منذ سنتين .

ولأجل تنفيذ الارادة السنية السلطانية قد رجحنا المسير من طريق الوجه بالاختبار لاستكماله لسلامة الوصول ١٠ ٨ مارس سنة ١٣٢٤

أمين الصرة	أمير الحج المصرى	النبــوى
محمد على (ختم)	ابراهيم رفعت (ختم)	شيخ الحرم الشريف
مأمــور مأمور	بكباشى	ومحافظ المدينــة المنورة
الامارة الامارة الجليلة	قومندان الحرس	ياور فخرى برنجى فريق
باب عرب المدينة	مصطفى رفقى (ختم)	عثمان فريد (ختم)
دياب افندى (ختم)	مأمور الولاية (ختم)	

وبعد أن خرجنا من المحافظة عقدنا جلسة لتقدير أجرة الجمال الى الوجه فطلب المقوّم عن كل جمل عشرة جنيهات فساومته على خمسة فأبى فانصرفت منذرا له بأنى سأخابر الوالى والشريف ، وذلك ليتساهل فى الأجرة . وفى اليوم التـالى اجتمعنا واتفقنا بعد الأخذ والرد على ستة جنيهات وأبى المقوّم أن يوقع على الاتفاق معتذرا بأنه لا يقبل ذلك إلا ليوم ٢٦ مارس إذ غلوّ مؤونة الجمال بالمدينة تدعو أربابها الى السفر بها فلا اتمكن من تقديم العدد الكافى .

وبعد الاتفاق أبرقت الى عطوفة ناظر الداخلية بما يأتى :

المندوبون وصلوا منــذ عشرة أيام وقد تقرّر أمس بموافقة المحافظ سـفرنا من طريق الوجه دون غيره وأجرة الجمــل ستة جنيهات ونحتاج الى ٧٠٠ جمــل أجرتها أربعة آلاف جنيــه خابروا الأوقاف لتأذن للتكية بتسليفنا ذلك المبلغ ويحوّل اليها

باسم " باناجه بجدّة " . المحمل اذا تأخر ليوم ٢٦ مارس لا يجد جمالا ونضطر الى الانتظار ١٥ يوما على الأقل وتزيد الأجرة وطول الاقامة يطمع فينا ويزيد فى نفقاتنا استلفنا ٧٠٠ جنيه ومطلوب للرتبات والنفقات بالطريق مثلها فأسعفونا .

وفى ٢٠ صفر (٢٣ مارس) ورد من ناظر الداخلية نبأ برقى مؤرخ فى ٢١ مارس صورته : أرسلنا اليكم ألفى جنيه لحاجات الحجاج وعلمنا بأن ٨٠٠ حاج تركوا المحمل ووصلوا الى الطور سالمين ، ونظن أن ألفى الجنيه اللذين سبق إرسالها لكم تكفيان لتوصيلكم الى ينبع ، ويجب بقدر الإمكان أن تأجلوا كل نفقة الى أن تصلوا الى ينبع ونأمل الإبراق لنا فى الحال بالمانع من السفر .

وفى ٢٣ صفر (٢٦ مارس) قامت قافلة من ركبنا الى الشام عددها ٢٦٥ من بينهم البعثة الطبية و إبراهيم بك مصطفى وخطاب افندى المهندس .

وفى صباح الجمعة ٢٤ صفر حضر إلىّ بالصّوان جميع الجمالة يشكون من طول مكثهم بالمدينة واستدعاء ذلك كثرة النفقات على أنفسهم وجمالهم وقالوا : إن كنتم ترغبون فى بقائنا فأنفقوا علينا وعلى إبلنا فاستمهلناهم بكل جهد ٢٤ ساعة عسى أن تأتى برقية بالحوالة فمضى الوقت ولمّا تأت فانصرف الجمالة الى بلادهم بعد أن انتظروا قليلا فوق الموعد المضروب وقد أبرقت الى الداخلية مستعجلا النقود .

وفى مساء السبت ٢٥ صفر وردت الينا برقية بأن ديوان الاوقاف أرسل الينا ألفى جنيه أخرى وطلب منا الإفادة برقيا بموعد القيام وفى اليوم نفسه عملت مع المقوّم شروطا أخرى للأجرة زادت فيها أجرة الجمل نصف جنيه بعد أن طالت المساومة وكتب اتفاق بذلك وقعه الطرفان .

وفى ٢٦ صفر وردت إفادة برقية الى التكية المصرية بإعطائنا ١٥٠٠ جنيه وفى الساعة ٩ والدقيقة ١٠ من اليوم نفسه وضعت ابنتنا بنتا أسميناها فاطمة .

وفى الساعة الثانية العربية من ليلة الاثنين ٢٧ صفر وردت برقية بأن الأوقاف حوّلت الى شركة البواخر بجدّة ٥٤٠٠ جنيه حسب طلبنا ، وهذا المبلغ هو نفس

المبالغ السابقة التى أخبرنا بأنها حوّلت الينا ، لكنها تنقص ٥٠ جنيها وفى اليوم نفسه وردت إشارة أخرى بالاستفهام عن موعد السفر ووقت الوصول الى الوجه فجاوبنا فى برقية بأن السفر فى ٤ أبريل والوصول الى الوجه — إن شاء الله — فى ١٥ منه .

من أسباب التعدى على المحمل — قبل أن نصف لك سفرنا من المدينة الى الوجه نذكر لك نص المضبطة التى بعثت بها قبيلة الرحلة الى سعادة محافظ المدينة بدون أن نغير فى عبارتها لتقف على مبلغ اللغة والكتابة عندهم .

الحمد لله وحده

الى جناب المكرم الأكرم عثمان باشا محافظ المدينة المنورة سلمه الله تعالى آمين

وبعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا خافى جنابك العزيز فى جُرّة الواقع بين الحج وطافة الرحلة فهو أصل السبب محمد أبو حميدى مقوّم المحمل الشريف يوم جاء فى مكة ، وكل من جاه من القبائل أرضاه واحنا لنا من بير على الى بير الروحا وهذا كله مداركنا — أرضنا — وَجُوه الرحلة وطلبوا مثل غيرهم وأوعدهم وألزمهم وجهه إنى أعطيكم فى بئر دورويش وَجُوه فى بئر درويش ولا أعطاهم ما ألزمهم عليه بعد جانادر — خارج — من المدينة استمشا الحوازم وهم ما هم أهل مدارك ولا طلب منا مساعدة وبعض طافة الرحلة بعد خروجه من المدينة على بئر درويش إنا نبغى مثل ما تعطى حرب واحنا أهل مدارك ولا أحسن لهم قول وزاد الهرج بينهم وبأنه قال والله لأعديها عليكم بخشم البندق ما تفعل شىء يارحيلى وفى الناس من قبائل الردادّة الذين يبيعون الحشيش والحطب وتقدّموا وما سألم وقال يا محيا يأربعى وأعطاهم والرحلة سرى العساكر لهم فى مداركهم ولا أصبح الصبح إلا والعساكر مقسمهم وسط الجبال وتعلم يا افندينا أن ما أحد يرضى المكسرة على نفسه وسار ما سار ولا أرسل عليهم بما أعطاهم إلا بعض ست سياع من النهار وأعطى ثلاثمائة ريال وسار عليها الرضا ونادوا الرحلة بالأمين والأمان وهو جنب عن الحج مع درب خلاف درب المحمل وقعد الحج

ما أحد يقداه — يقوده — ولا لايم الحج إلا فى أبيار على وهـذا الشىء حنا — نحن — عنـدك فى المدينة ولا والله عند فى هـذا الجارى خير والحمد لله أنت لك مدّة خمسة وعشرين سنة فى المدينة المنورة وعرفت الصالح من الطالح والخدام والذى ما هو خدام واحنا كل المدارك لنـا ولا عمرنا تعرضنا لباشا ولا محمـل الذى أحوج الرحلة المصالح الذى يعطى أبوحميدة فى مداركنا . والذى ما يساوى القبائل ببعضها فهو ما فيه ذمة ولا أمانة وما يحصل فيه المسئولية عليه واليوم ان كان المحمل الشريف له رغبة فى طريق السلطانى بنفوسك فهو ليس له معارض من رجال الرحلة هذا ما لزم عرفناك به والسلام ه‍ ١٣ صفرسنة ١٣٢٦

الشيخ محمد بن نافع الشيخ جاد الله بن مرشد الشيخ عطية الله بن مرشد

الشيخ محسن بن مرشد الرحيلى [أختام]

السفر من المدينة الى الوجه

قبل قيامنا من المدينـة أرسلنا فى ٢٦ صفر (٢٩ مارس) لسعادة سليمان باشا ابن رفادة البرقية الآتية :

سليمان باشا بن رفادة شيخ مشايخ قبائل بلى بالعلا . المحمل سيحضر من طريق الوجه فالرجا إعداد الآبار و إرسال أدلاء ومندوب من قبلكم ليقابلنا فى المقرح أو الفقير وسنقوم بمشيئة الله فى يوم الخميس أوّل ربيع الأوّل ونرجو الإفادة ه‍

وقد قابلنا مندوب من قبله فى يوم ١٣ ربيع الأوّل وذلك لتغيب الباشا .

المرحلة الأولى من المدينة الى بئر الظعينى ٩ ساعات و٤٥ دقيقة — قمنا من المدينـة لتمام الساعة الأولى العربية من صباح السبت ٣ ربيع الأوّل سـنة ١٣٢٦ (٤ أبريل سنة ١٩٠٨) ووصلنـا إلى "بئر الظعينى" أو المندسـة فى الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ وآسترحنا من ذلك ساعة .

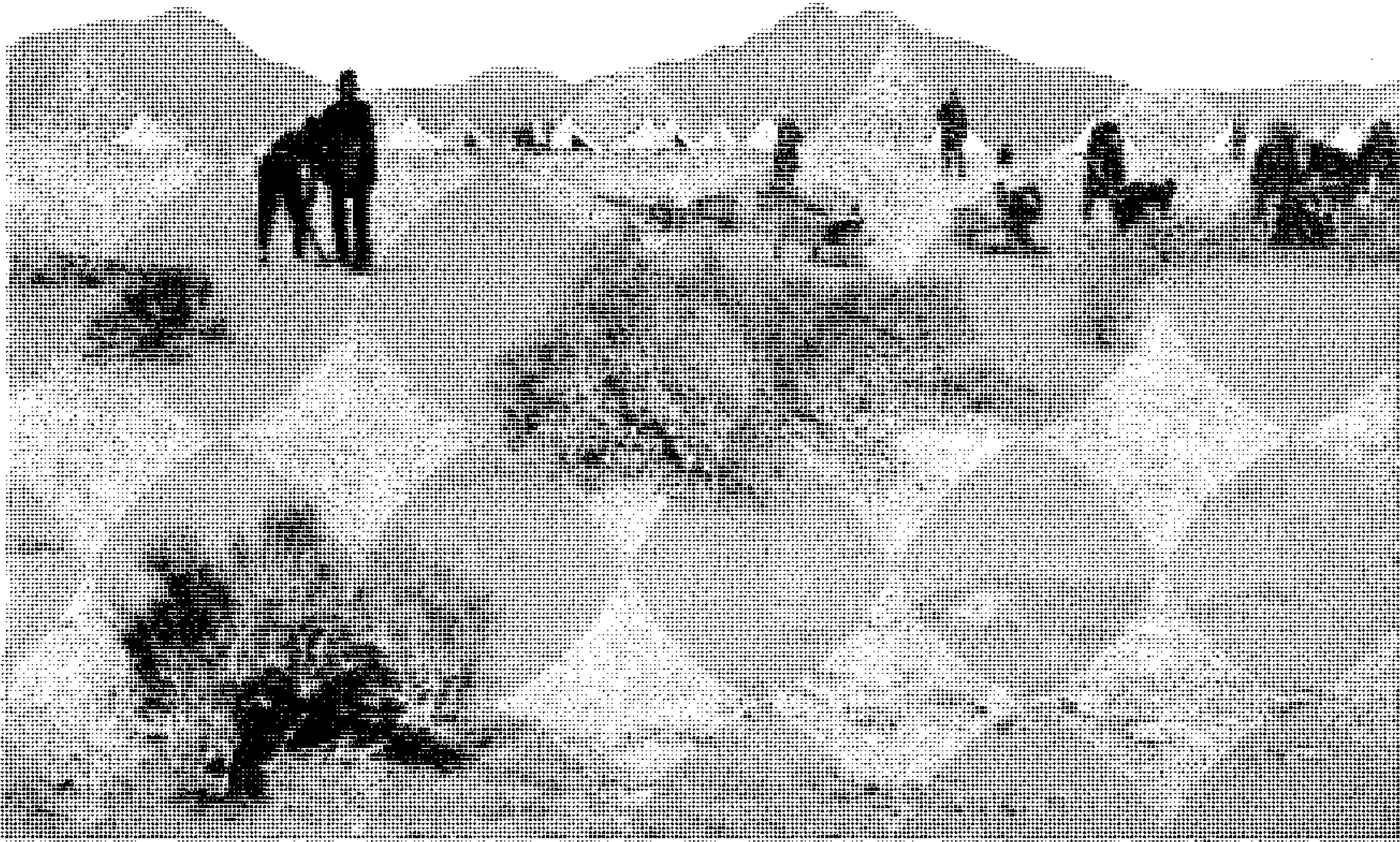
المرحلة الثانية من آبار الظعينى الى آبار ناصيف ٨ ساعات — سرنا من آبار الظعينى على ٢٧٠° فى الساعة ١١ ليلا و بعد ساعة وربع بدأنا نسير فى سفح الجبل

الأيمن وفى ميسرتنا السكة الحديدية الحجازية وترى فى (الرسم ٢٩٧) الجنود العثمانية وهم يعملون فى السكة الحديدية والضباط معهم يلاحظون ، وهم رئيس المائة كامل افندى والملازمان مصطفى افندى وزكريا افندى وترى فى الرسم خيام العسكر والعربات ذات اليدين قد أمسكها الجنود وفى منتصف الساعة الثانية تغير الاتجاه الى ٩٠° ثم تغير عند الساعة الخامسة الى ٢٤٥° وقد وصلنا "آبار ناصيف" فى الساعة السابعة من اليوم نفسه (الأحد ٢٤ ربيع الأول) وبهذه المحطة ماء حلو وترى شكلها والركب بها فى (الرسم ٢٩٨) الذى ترى به أربعة من رجال الدولة وأمير الحج ومحمد افندى على سعودى .

المرحلة الثالثة من آبار ناصيف ١١ ساعة و ٣٠ دقيقة — قمنا من آبار ناصيف فى الساعة الحادية عشرة قبل شروق شمس الاثنين ٥ ربيع الأول (٦ أبريل) وسرنا على ٢٤٥° حتى منتصف الساعة الثانية حيث تغير الى ٢٧٠° والأرض حجرية ذات مدقات بها قليل من شجر السنط ، وعند الساعة الثالثة مررنا بمضيق أفضى بنا الى وادى الحمض الذى يكثر به شجره وتغير الاتجاه الى ٣٣٠° وقد وصلنا " بئر البوير" فى منتصف الساعة السادسة واسترحنا فيها ساعة وربعا وفى الساعة ٦ والدقيقة ٤٥ قمنا من مستراحنا ، ومن الساعة الثامنة سرنا فى أرض حجرية بها شجر السنط وعند الساعة التاسعة حاذينا "قلعة الشجوة" على اليمين ، وقبلها جبل أحمر بجواره بئر كما أخبرنا بذلك ، وعند منتصف الساعة العاشرة أخذنا نسير فى أرض رملية وفى الساعة ١١ و الدقيقة ٤٥ بتنا بالطريق على غير ماء .

المرحلة الرابعة الى آبار الحلو ٨ ساعات و ٤٠ دقيقة — بدأنا الرحيل فى الساعة الحادية عشرة من ليلة الثلاثاء ٦ ربيع الأول وسرنا على ٣٣٥° فى فضاء واسع أرضه رملية ، وفى منتصف الساعة الثالثة وصلنا مفترق المحملين المصرى والشامى وتغير اتجاهنا الى ٣٢٥° ، وفى الساعه ٣ والدقيقه ٢٠ سرنا وسط جبال مرتفعة تنحدر الى أرض مستوية واسترحنا من الساعه ٦ والدقيقه ١٠ إلى تمام الساعة السابعة حيث

٢٩٧ منظر العساكر الشاهانية حين عملهم في السكة الحديد الحجازية



297. Turkish soldiers working on the Hedjaz Railway.

صحيفة ٢٢٦ (*)

٢٩٨
منظر محطة ابار ناصيف



298. The Station of Abar Nasif

٢٩٩ أمير الحج وقومندانه وآخرين بمحطة آبار الحلو



299. A photo of the Amir of El Hegg and others in the station of Abar El Holow on the caravan-route of El Wagh.

صحيفة ٢٢٧ (*)

٣٠٠ معسكر المحمل في طريق الوجه بمحطة الفقير سنة ١٣٢٦



300. Procession of the Mahmal at the station of El Fokayyer on the Road to El Wagh.

سرنا على ٢٥° الى منتصف الساعة الثامنة إذ تغير الاتجاه الى ٢٩٠°، وفى الساعة ٨ والدقيقة ٢٠ وصلنا "آبار الحلو" بين شجر أثل كبير والشجر على طول الطريق كله، ومن الساعة السابعة كثر المرعى من كل جهة وحين كنا بآبار الحلو أخذت (الرسم ٢٩٩) الذى ترى فيــه الأمير و"القومندان" وخيشان ابن سليم فاضل دليل الحج وشيخ قبيلة عروة قد لبس جوخة حمراء لها أزرار مكسوّة وهى من هدايا المحمل والذى بجانبه بعض أتباعه فى فمه "بيبة" والمعمم الشيخ محمد سالم طموم والبنية الصغيرة ابنتى .

المرحلة الخامسة من آبار الحلو الى السبخة أو أم زرب ١١ ساعة — قمنا على ٩٠° فى الساعة ١١ من ليــلة الأربعاء ٧ ربيع أوّل وبعد نصف ساعة تغير الاتجاه الى ٣٣٠° وسرنا فى واد كله أثل انقطع من الساعة ٢ ورجع فى الساعه ٥ واسترحنا ساعة من الساعة ٥ والدقيقة ٥٠ وعند منتصف الساعة ٩ تحجرت الأرض وبهــا شجر قليل ولكنه ضخم ، وفى الساعه ٨ والدقيقة ٥٠ تغــير اتجاهنا الى ٣١٠° والطريق كله فى فضاء واسع يكثر فى أوّله شجر العبل وقد بلغنا "السبخة" قبل المغرب بساعة وهى فى أرض سبخة بها نحو ٧ آبار حلوة المــاء والحر هنالك شديد .

المرحلة السادسة الى الفقير ٧ ساعات — سرنا من السبخة على ٢٧٠° فى الساعة ١١ من ليــلة الخميس ٨ ربيع الأوّل وكان السير فى أرض سبخة بين أشجــار كبيرة كثيفة ، ومن الساعة ٢ والدقيقة ١٥ كان شجر الدوم الكبير ذات اليمين وذات الشمال، وبعد ساعة قل الشجر ووصلنا "الفُقَيِّر" فى الساعة ٦ نهارا ولم نسترح بالطريق والمحطة بين الجبال بهــا سبع آبار حلوة المــاء وكان الحر بها شــديدا وترى ركبنا بها فى (الرسم ٣٠٠) والواقفان بأسفله أمير الحج وسعودى افندى .

المرحلة السابعة الى العقلة ١٤ ساعة — رحلنا عن الفقير فى الساعة ٩ من ليلة الجمعة ٩ ربيع الأوّل وسرنا فى أرض لينة سهلة على ٢٨٧° والطريق فضاء واسع به حشائش صغيرة ويندر به الشجر الكبير، وفى الساعة ٢ والدقيقة ٢٠ دخلنا مضيقا أرضه حجرية ، وبعــد ٣٥ دقيقة صعدنا الى عقبة ذات ارتفاع وانخفاض

لا تسع إلا خمسة قطارات وتغير اتجاهنا الى ٢٧٥° وأثناء اجتيازنا لهذه العقبة رأينا أسفل منا على الميسرة قصر عبلة أو إسطبل عنتر .

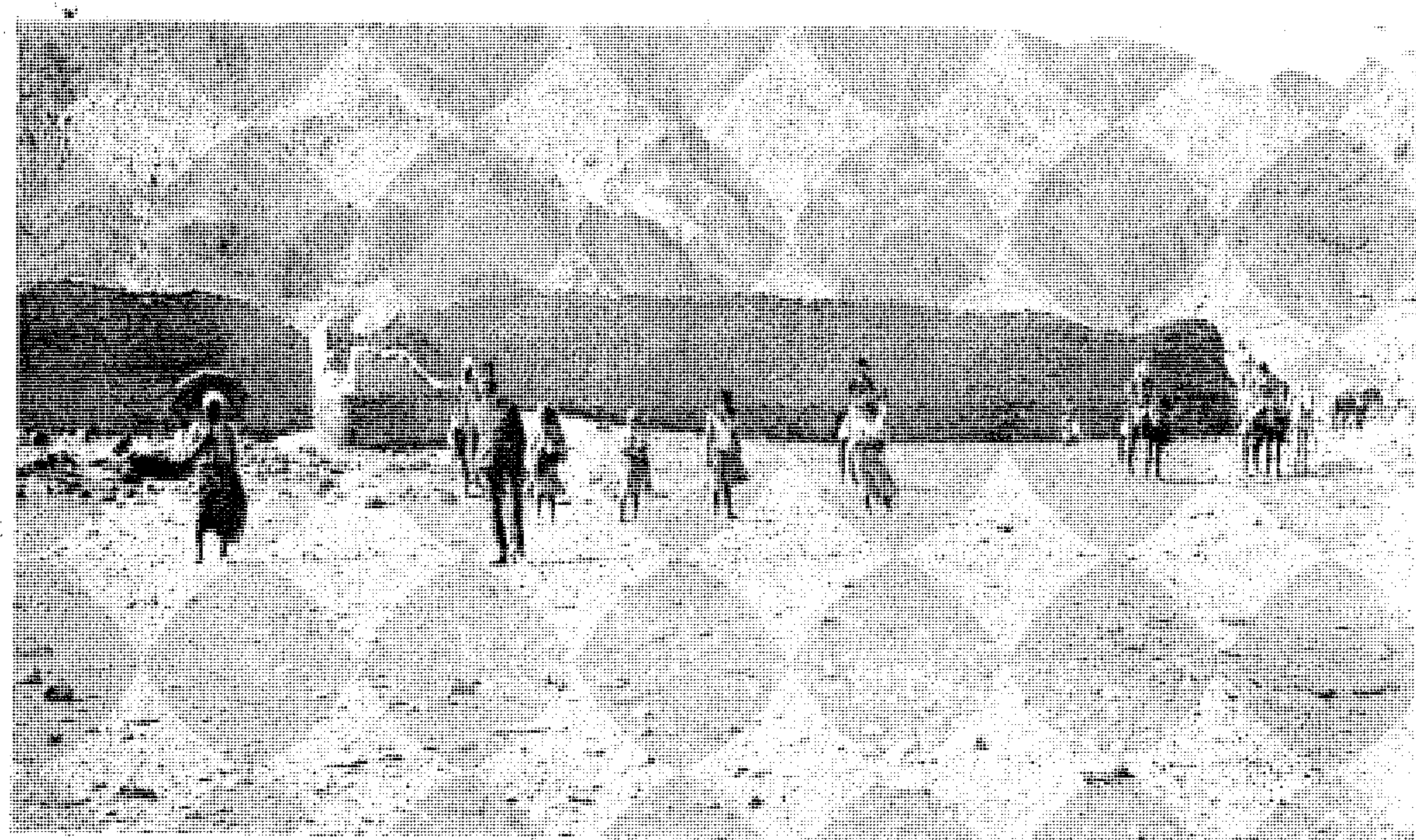
الذى يقول فيه الصلاح الصفدى :

ركب الحجاز تراه * إذا مشى يتبختر
كم فيه عبلة ردف * تخاف وادى عنتر
إذا دنت لمحب * صالت عليه بأبتر
وليس يحمى المعنى * لو بالدروع تستر

قال ذلك لما سطا لصوصه على الركب الغزاوى سنة ٨٤١ هـ. وترى الإسطبل فى (الرسم ٣٠١) وبناؤه باللبن ويقال إنه بنى منذ سبعة قرون، وفى الرسم الأمير خلفه "البروجى" على فرسه وأربعة فرسان آخرين وترى فى (الرسم ٣٠٢) قطارين من قطر الركب حين مروره بالعقبة السابقة ومن منتصف الساعة ٦ استرحنا الى الساعة ٦ والدقيقة ٤٠، وفى الساعة ٧ والدقيقة ٥٠ كانت الأرض حجرية بها مجارى سيول وفى منتصف الساعة ٩ انحرفنا ذات اليسار على ١٦٠° والمسير فى خور به شجر ثم انحرفنا الى اليسار على ٢٦٤° من الساعة ٩ والدقيقة ١٥ وبعد ١٠ دقائق انحرفنا الى ١٦٥°، وفى الساعة ١٠ والدقيقة ١٠ تغير الاتجاه الى ١٧٥° وفى الساعة ١١ والدقيقة ١١ انتهت الأرض الحجرية إلى أرض رملية ووصلنا محطة "العقلة" عند غروب الشمس بعد ١٥ ساعة لم نسترح منها إلا واحدة، وبهذه المحطة بئر طيبة الماء انظر المحطة والمعسكر بها فى (الرسم ٣٠٣) .

المرحلة الثامنة من العقلة الى مثر أو العجلة ١٠ ساعات و ٣٠ دقيقة — قمنا من العقلة منتصف الساعة ١١ من ليلة السبت ١٠ ربيع الأول (١١ أبريل) وسرنا على ٣١٠° ومن منتصف الساعة ١٢ سرنا على ٢٨٥° فى أرض رملية سهلة لا نبات بها إلا شجر السنط المتفرق ومن الساعة ٢ والدقيقة ٤٥ سرنا فى خور به شجر كثير ربع ساعة ومن الساعة ٤ تغير الاتجاه الى ٣٠٥°، ومن الساعة ٥ والدقيقة ٢٥

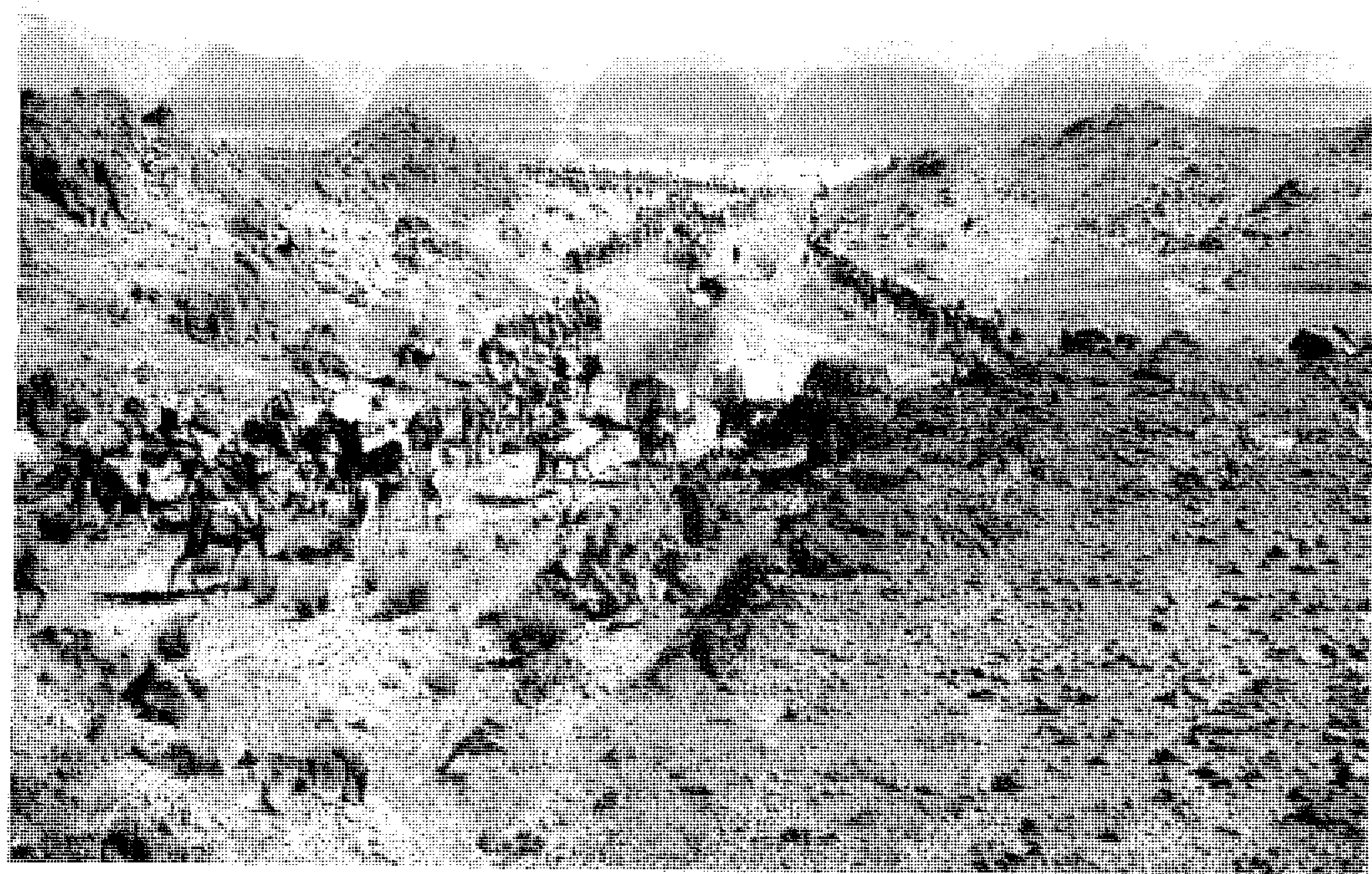
٣٠١ اصطبل عنتر في طريق الوجه



301. A view of the stable of Anter in the caravan-road of El Wagh

صحيفة ٢٢٨ (*)

٣٠٢ اجتياز المحمل عقبة بطريق الوجه قبيل محطة الخوتلة



302. A view of the Mahmal passing through Akaba on the caravan-route of El Wagh before the station El Khotala in 1326.

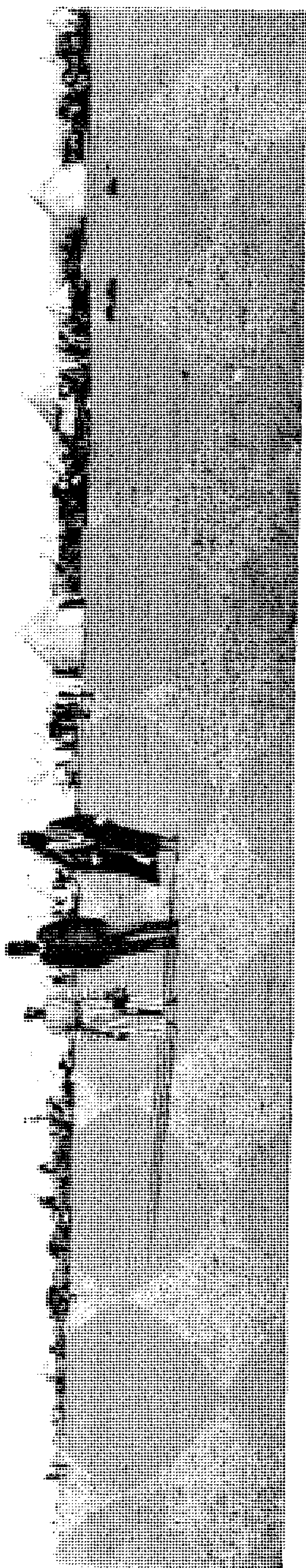
صحيفة ٢٢٨ (*)

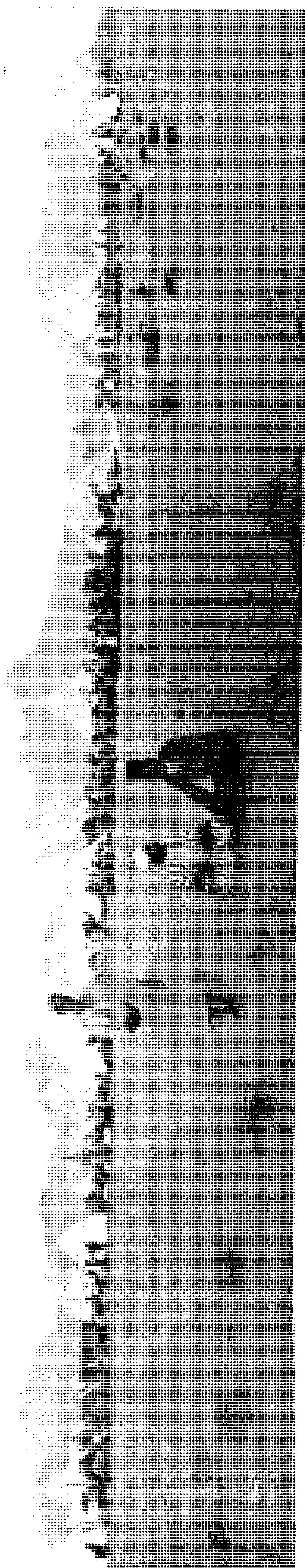
٣٠٣ معسكر المحمل بطريق الوجه بمحطة العقلة



303. The Mahmal camping on the El Wagh caravan at the station of Okla.

٣٠٤و٣٠٥ منظر ركب المحمل وقت الاستراحة في القيلولة





304 & 305. Views of the Mahmal at the time of noon rest.

تغير الى ٣٣٥° وبعد ٢٥ دقيقة تغير الى ٣٠٥° ومن الساعة ٦ والدقيقة ٤٥ سرنا فى أرض حجرية بها مجارى سيول صعبة وفى منتصف الساعة ١١ حططنا الرحال وبتنا بمحل يسمى "مثر" أو العجلة .

المرحلة التاسعة من مثر أو العِجْلة الى الخوتلة ١٢ ساعة — رحلنا فى منتصف الساعة ٨ من ليل الأحد ١١ ربيع الأول وسرنا على ٣٠٥° وبعد ساعة سرنا على ٣٣٠° بين جبال واطئة وفى الساعة ١٠ و ٤٥ دقيقة اجتزنا فى ٥ دقائق مضيقا حجريا انعطفنا منه الى اليمين على ٣٥٥° والأرض رملية من مبتدأ السير ومن الساعة ١١ كانت الأرض حجرية بها خور مشجر وفى منتصف الساعة الأولى نهارا انحرفنا الى اليسار على ٢٢٠° وبعد ٥ دقائق سرنا على ٣١٠°، وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٥٠ سرنا على ٣٤٥° وبعد ساعة سرنا على ٣٥٥° ثم انعطفنا عدة انعطافات كانت الأخيرة منها على الدرجة السابقة ثم انحرفنا الى اليسار على ٢١٥°، وفى الساعة ٦ والدقيقة ٥٠ وجدنا شجر الدوم على اليمين وأشجارا ضخمة فى خور متسع ووصلنا "الخوتلة" فى منتصف الساعة الثامنة نهارا وبها بئران ماؤهما حلو.

المرحلة العاشرة الختامية من الخوتلة الى الوجه ٢٥ ساعة و ٣٠ دقيقة — رحلنا عن الخوتلة فى الساعة ١٠ من ليلة الاثنين ١٢ ربيع الأول (١٣ أبريل) وسرنا على ٣٠٥° فى أرض بعضها حجرى وبعضها رملى ومن الساعة ١٢ كان اتجاهنا الى ٥٥° وكنا نسير بين جبال إلى منتصف الساعة الثالثة حيث غادرناها وانحرفنا نحو اليمين على ٢٩٠° فى أرض واسعة ابتعدت عنها جبال اليسار وصغرت واسترحنا من الساعة ٦ الى ما بعد المغرب بنصف ساعة وترى ركبنا فى مستراحنا هذا فى (الرسمين ٣٠٤ و ٣٠٥) والواقفون فى الأول الأمير وسعودى افندى ومعهما حازم بن عبد الله وكيل المقوم ومعهما فى الثانى خادم قد أمسك لها القلة وهما يتناولان الغذاء وقد قمنا من مستراحنا فى منتصف الساعة ١ بعد المغرب وسرنا الليل كله وقد وصلنا دار الفضة أو أم حرز عند تمام الساعة الخامسة ليلا ووصلنا "بين النهدين" فى منتصف

الساعة الأولى من صباح الثلاثاء ١٣ ربيع الأوّل ، وكان يصادفنا فى الطريق أشجار كثيرة ولدى الساعة ٢ قابلنا مندوب من قبل سليمان باشا ابن رفادة شيخ مشايخ بلى وهو غير وكيله الشيخ صالح الذى تراه فى (الرسم ٣٠٦) ووصلنا مدينة الوجه فى الساعة السادسة نهارا فتكون المسافة من الخوتلة الى أم حرز ١٢ ساعة و٣٠ دقيقة ومن أم حرز الى النهدين ٧ ساعات و ٣٠ دقيقة ومن النهدين الى الوجه ٥ ساعات و٣٠ دقيقة بجملة مسيرنا ٢٥ ساعة و٣٠ دقيقة غير ٦ ساعات و٣٠ دقيقة استرحناها .

وترى فى (الرسم ٣٠٧) مدينة الوجه والسفينة التى كانت تقل المحمل والحجاج من البر الى الباخرة وسفينة أخرى كانت تقل المحمل والحجاج من البر الى الباخرة وفى (الرسم ٣٠٨) باخرة المحمل قد زينت بالأعلام والباخرة الصغيرة حضرت ونحن هنالك بالبريد وفى (الرسم ٣٠٩) العربان على ظهر الباخرة يودعوننا .

سليمان باشا ابن رفادة و إعفاء العربان من العوائد — من عادات العرب أنه إذا مرّ قوم بإبل محملة فى بلاد غير بلادهم يدفعون لرب البلاد التى مروا بها ريالا عن كل جمل والعربان الذين كنا نركب إبلهم من الحوازم فالعادة تقضى بدفعهم الريال ولكنهم طلبوا منى التوسط لدى حسين أبى سالم وكيل سليمان باشا عساه يعفيهم من الضريبة فكلمته فأعفاهم من دفع ٥٠٠ ريال ضريبة الإبل التى معهم وتلك مبرة من مبرات سليمان باشا ابن رفادة الكثيرة .

ولما اخبر الوكيل الباشا بالمعافاة كتب الىّ الباشا مجيزا ما فعل الوكيل ومتأسفا أنه لم يقابلنى بنفسه ونذكر لك كتابه بنصه ورسمه .

سعادتلو أفندم حضرتلرى أمير الحج المصرى الشريف دام إجلاله

بعد تقديم واجب الاحترام لسعادتكم أبدى أنه لما حضرنا فى « العلا » برفقة دولة المشير كاظم باشا اطلعنا على مشرفكم الموضوع عند حسين أبو سالم و بتلاوته حصل لنا الاطمئنان على سعادتكم وتأسفنا غاية الأسف لعدم مقابلتنا مع سعادتكم وتذكروا بخصوص الخمسين جنيها التى سامحتو حرب بها فوالله لو تنازلتو لهم عن

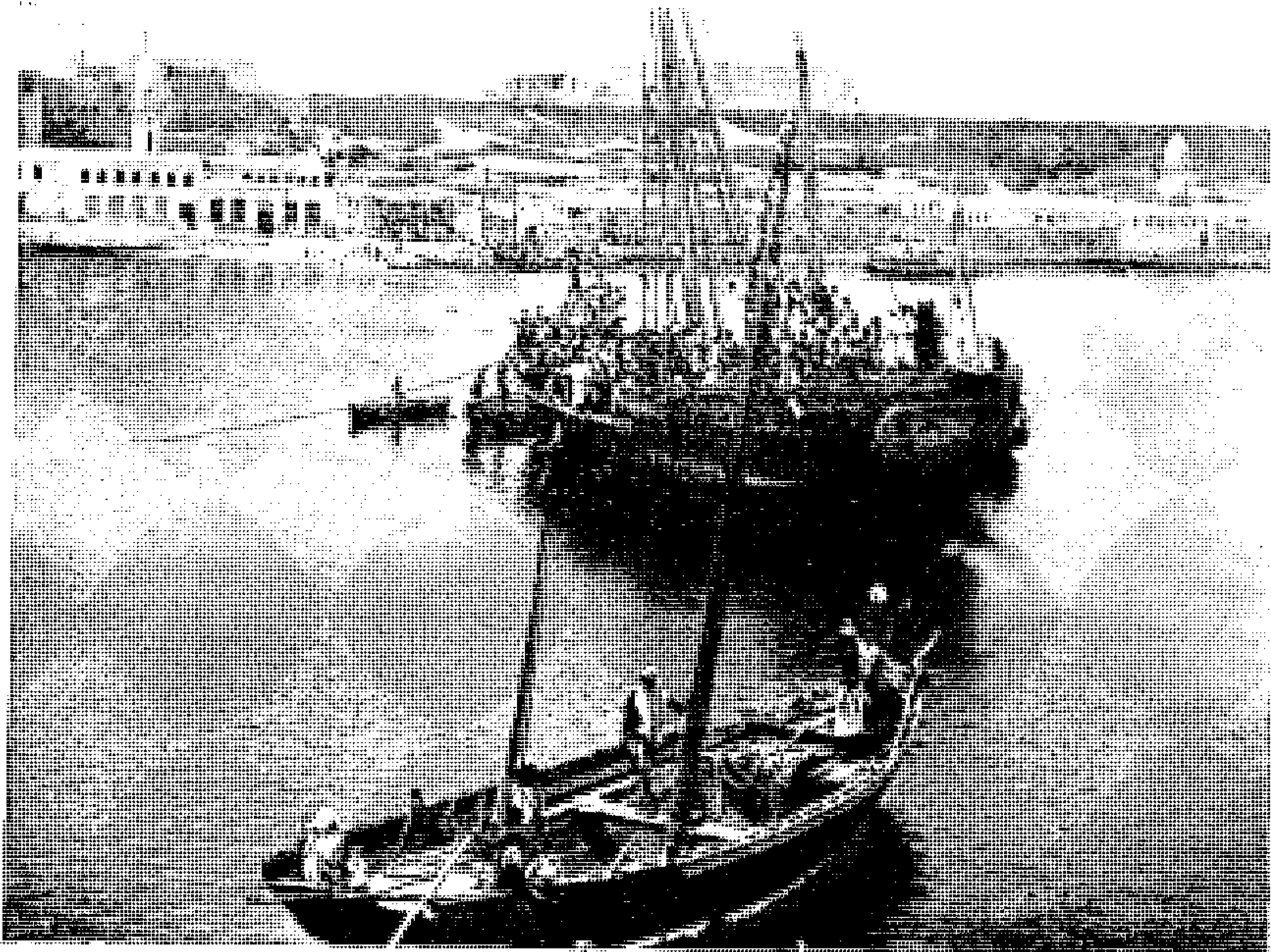
٣٠٦ الشيخ صالح وكيل سليمان باشا ابن رفاده بالوجه



306. Sheikh Saleh the Deputy of Suliman Pasha Ibn Rifadah.

٣٠٧

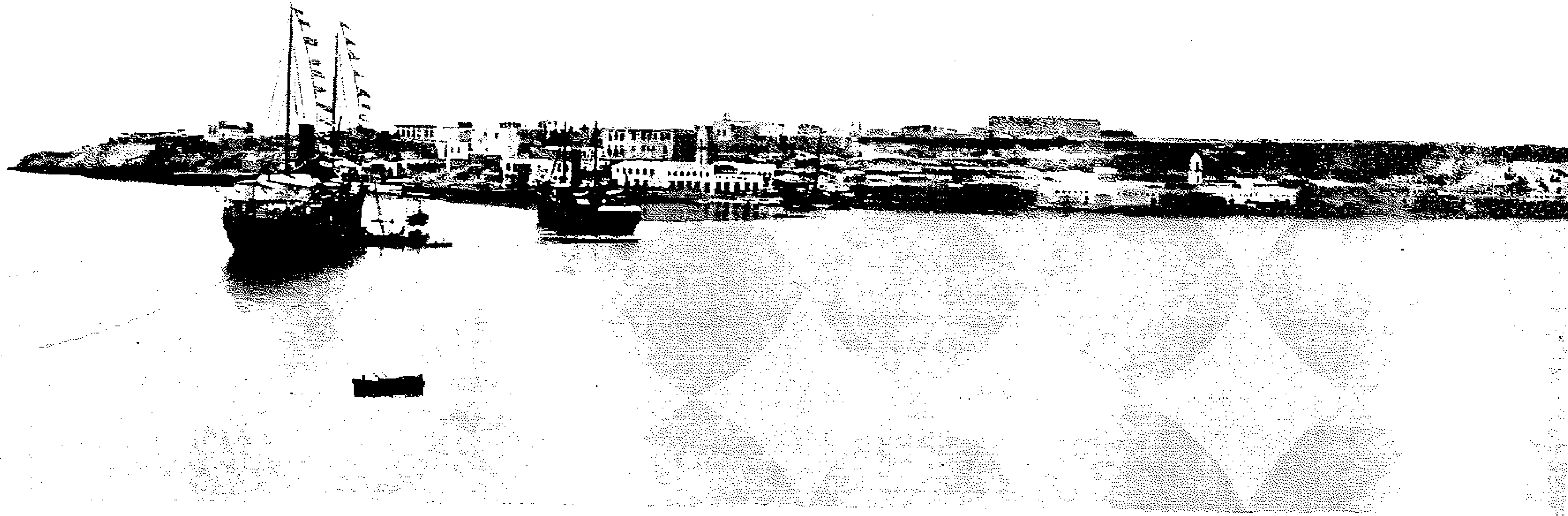
منظر الوجه وبه سفينة حاملة الحجاج والمحمل الى الوابور



307. The Harbour of El Wagh. Boat conveying the Pilgrims and the Mahmal to steamer.

٣٠٨ وابور الرحمانية في مينا الوجه لنقل ركب المحمل للطور مزين بالأعلام

٢٢



308. "El Rahmania" decorated with flags in the Harbour of El Wagh, ready to convey the Mahmal to Tor.

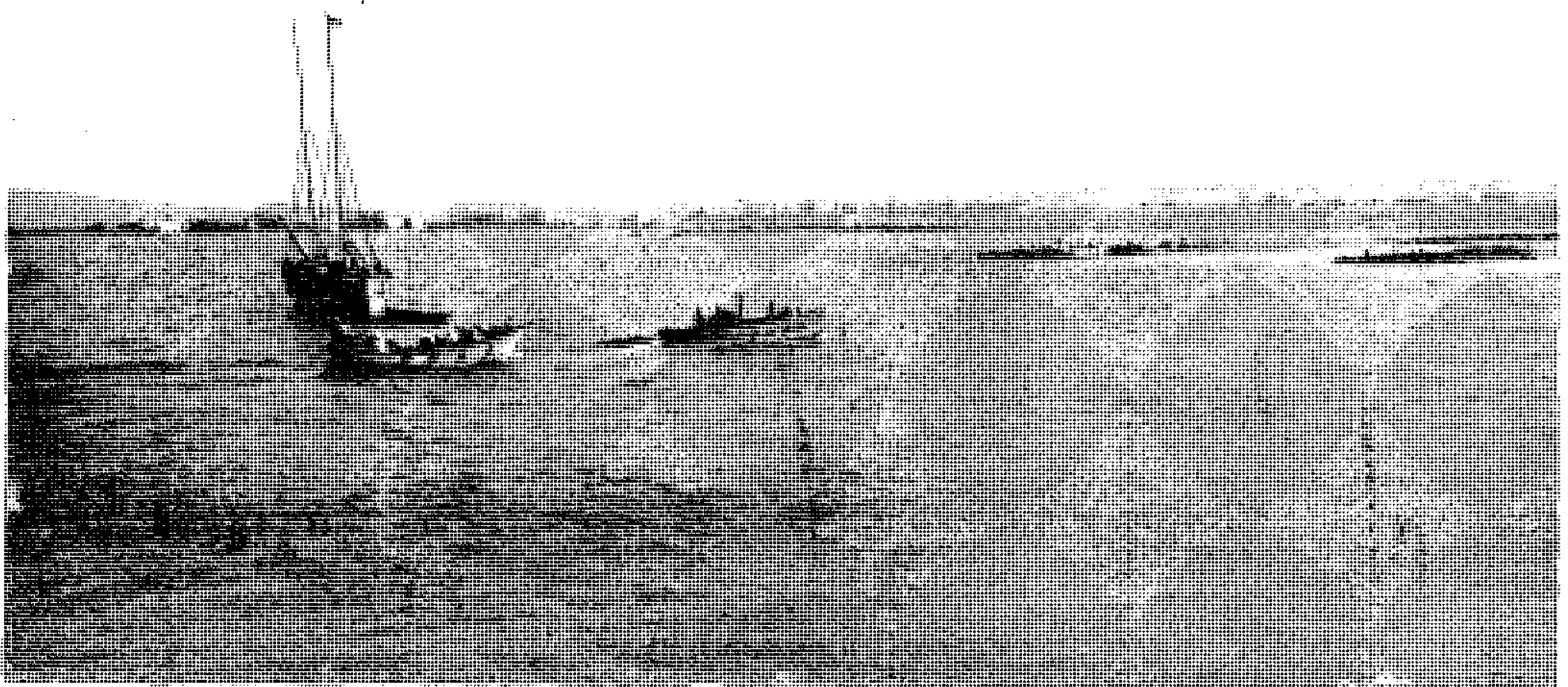
٣٠٩ العربان في الوجه على ظهر الباخرة



309. A photo of the Arabs bidding farewell to Amir El Hag in El Wagh abroad in 1326.

صحيفة ٢٣٥ (*)

٣١١ الطور وبه الحزاءات



311. A view of the harbour of El Tour and a ship.

أشكل — أكثر — وهو يخصنا فما نزعل من ذلك ولا مكدر على خاطرنا غير عدم مقابلة سعادتكم و إنى لم عندى خبر بنزولكم على طريق الوجه إلا من بعد وصولى الى العلا ولما حسبنا الحساب وجدنا لم يمكنا الحصول على مقابلتكم ولو أخذت خبر لأخلى الهجانة يقابلوكم فى محل ما تريدوا والحمد لله عندنا الكفاية التى تقوم بخدمة دولة المشير — يريد كاظم باشا الذى كان قائما بإنشاء السكة الحديدية وكان بصحبته — وخدمة سعادتكم لكن كل شيء نصيب وأنا لما بلغنى تأخيركم فى المدينة المنورة مدة مديدة وأنا منتظر لربما يصير حضوركم على الوجه ومستعد للمقابلة، لكن تأسفنا كثير الذى ماجاتنا أخباريات كنا نقابل سعادتكم بوادى الحمض وأنا مستعد لخدمة الحكومة المصرية فى ديارنا فى كل وقت حتى إن كانوا يرغبوا يحضروا الحاج أو الزوّار عن طريق الوجه واحنا نوديهم لحد السكة الحديد وعند رجوعهم أيضا نحافظ عليهم ونشيلهم الى الوجه بغاية الراحة والأمن وإذا لزم عازة — مراده طلب — خدمة عرفونا واقبلوا فائق احترامى أفندم، والمسافة من الوجه الى محطة السكة الحديد خمسة أيام إن كان أحد يرغب للمرور على الوجه نرجوكم تخبرونا قبل حضورهم بجدة لأجل نتهيأ لهم إلا أن أوّل دفعة البدو الذين فى ديارنا ما هم مستعدّين للشقادف وسفرهم بحول الله بغاية الأمنية ذهابا و إيابا على أرواحهم وعلى أموالهم وهذا الجواب ما هو منى لأجل طمع بل إنى ما أحب الشيء الذى يضر على المسلمين مه

٢٧ ربيع الأوّل سنة ١٣٣٦ شيخ مشايخ عربان بلى

(ختم) سليمان رفادة

وإنما ذكرنا لك هذا الكتاب بنصه كما ذكرنا أمثاله لنقفك على لغة العرب وكتابتهم الآن وأين هما من لغة أسلافهم الأقدمين الذين بلغوا من الفصاحة غايتها، وسليمان باشا هذا أكرم العرب غير مدافع وواحدها عزة و إباء غير منازع ولقد سافرت الى الحجاز أربع مرات من طرق مختلفة يعلمها من تتبع رحلاتنا هذه فما وجدت عفة فى صغير أو كبير بل كلهم طالب للعطاء مخالف للواعيد ليس بينهم صغير يوقر كبيرا أو كبير يرحم صغيرا إذا ظفر أحدهم بشيء أخذه بالحق و بالباطل أما سليمان باشا

فانه رجل العرب وواحدها كرما وخلقا وتواضعا فى عزة وعفــة وله من النفوذ بين قومه ما ليس للحكومات ذات الأنظمة الحديثة ولو ضاع عقال من صاحبه فى طريق الوجه لأتى به سليمان ولقد سبق أن سرق جملان من عرب الجيزة الذين كانوا معنا فى سنة ١٣١٨ هـ . فأحضرهما بعينهما وسلمهما الى ذويهما ومحال أن تجــد أمثال هذه الأخلاق فى مشايخ العرب الآخرين، ولقد عرفته الدولة فأكبرته وقلدته الأوسمة الفاخرة ورتبة الباشوية وقد أخذت صورة الباشا الشمسية التى تراها فى(اللوحة ٣١٠) وقد قتل هــذا البطل الكريم فى الحرب الأخيرة فرحمه الله رحمة واســعة وعسى أن يكون له من الأولاد من يخلفه فى كرمه وشهامته وعزته ومروءته .

من الوجه الى الطور — فى الساعة الثانيــة الافرنكية بعــد ظهر الأربعاء ١٤ ربيع الأول (١٥ أبريل) أقلعت بنــا الباخرة الى الطور فوصلت فى منتصف الساعة ١١ قبــل ظهر الخميس ١٥ ربيع الأول وقد خرج فى اليوم نفســه العسكر والأهالى الى محجر الطور ليبخروا فبخر بعضهم فى يوم الخميس وكمل باقيهــم فى اليوم التــالى . وقد مكثنا بالطور عشرة أيام ضرب علينا فيهــا الحجر الصحى وذلك من ١٥ ربيع الأول الى ٢٥ منه حيث أنزل متاعنا الى الباخرة فى هذا اليوم .

هــذا وقد كان أرسل الىّ صاحب العطوفة ناظر الداخلية الكتاب الآتى قبل سفرنا من مصر :

سعادة أمير الحج المصرى

لايخفى على سعادتكم أنه فى العام المــاضى عند عودة المحمل الشريف الى الطور لتمضية الحجر الصحى أصيب أحد الحجاج المرافقين له بالطاعون فكانت العاقبــة أن جدّد الحجر عشرة أيام على القافلة بأجمعها وكان عددها يربو على الألفين فلئلا يحصل مثــل ما حصل فى العام المــاضى كتبنا لمجلس الصحة البحرية و « الكورنتينات » نسأله ما إذا كان من الممكن تقسيم قافلة المحمل الى عدّة فرق توضع كل واحدة فى حذاءات خاصة منعزلة عن الحذاءات الأخرى بحيث إذا حصلت — لا سمح الله —

٣١٠ سليمان باشا ابن رفادة



310. Solyman Pasha Ibn Rafada, the chief of the tribe of Beli

إصابة معدية فى إحدى الفرق لا يتسبب عنها اعتبار القافلة كلها ماوثة فيعاد الحجر على الجميع بل يعاد الحجر على الفرقة التى حدثت فيها الإصابة فقط فأجاب المجلس بأن اتباع هـذه الخطة ليس من شأن موظفى المحجر و إنما هو من خصائص أمير الحج الذى يمكنه أن يقوم بذلك التقسيم .

وبناء عليه نأمل من سعادتكم عند العودة الى محجر الطور أن تتخذوا الاحتياطات اللازمة لذلك بالاتفاق مع ناظر المحجر الصحى ٥٦ (إمضاء) ناظر الداخلية

حرر بمصرفى ٢٦ شوال سنة ١٣٢٥ (٢ ديسمبر سنة ١٩٠٧) مصطفى فهمى

كلمة عن الطور ومحجره

نلخص هذه الكلمة من كتاب «تاريخ سينا» الذى أتم تأليفه فى سنة ١٩١٥ م المؤرخ الخبير صاحب العزة نعوم بك شقير .

مدينة الطور — هى مدينة خطت منذ آلاف السنين على ساحل خليج السويس على بعد ١٢٥ ميلا من مدينة السويس ولا تزيد بيوت المدينة عن ثلاثين بيتا بعضها لصق بعض كأنها بنـاء واحد ، وأهمها فى الجنوب مركز لرهبان دير سينا يشـمل كنيسة ومدرسـة للصبيان ومنازل استراحة للرهبان وزوار الدير . والكنيسة بنيت باسم « مارجرجس » سـنة ١٨٧٥ م والمدرسة أسست منذ سنة ١٨٩٧ وقامت بمال الدير وفيها نحو ٤٠ تلميذا من أبناء مدينـة الطور و باديتها ، وتدرس فيها مبادئ العربية والإنكليزية واليونانيـة والحساب و «الجغرافيا» وجنوبى مركز الدير منازل لناظر الطور وكاتبها وشرطتها ومنزل لمفتش الجزيرة بنى سـنة ١٩١١ على تل صغير وحفرت بجانبه بئر عمقها ١٢ مترا .

وفى شمالى المدينـة جامع صغير ذو مئذنة من عهد المغفور له توفيق باشا خديو مصر السابق ، وفيـه مقام قديم للشيخ الجيلانى . وسميت المدينـة بالطور نسبة الى طور سيناء أشهر جبالها وكانت تسمى قديما «ريثو» و بقيت معروفة بهذا الاسم الى القرن الخامس عشر الميلادي .

ميناء الطور — ولهذه المدينة مينا حسن له لسان مرجانى يمتد عشرات الأمتار تحت الماء ولا يمكن السفن البخارية أن تقترب من البر بسببه وهو ضيق جدًا لا يسع إلا السفن الصغيرة ولأهل المدينة فيه نحو ثلاثين مركبا شراعيا تستخدم فى نقل الحبوب والبضائع من السويس وجدّة ونقل حجارة البناء من ساحل أفريقيا وفيه مصنع لبناء المراكب . انظر المينا فى (الرسم ٢٥٠) .

ضواحى مدينة الطور — ولمدينة الطور من الضواحى العامرة محجر الطور وقرية المنشية أو الكروم الجديدة ومُسَيْعِط وقرية الجُبَيْل و ‌ّام موسى ووادى الحمام .

محجر الطور — هذا المحجر قائم على شاطئ البحر جنوبى المدينة على بعد ٦٤٠ مترا منها ومساحته نحو ٤ كيلو مترات مربعة يحدّه من الغرب خليج السويس ويحيط به من جهة البر شبكة من الأسلاك مرفوعة على عمد خشبية متينة علوها نحو أربعة أمتار — انظر (الرسم ٢٠٧) — وهو محجر مصر العام والحجاج المصريين .

وقد أسس هذا المحجر منذ سنة ١٨٥٨ م فى عهد سعيد باشا ابن محمد على باشا ولكنه لم يبدأ فى تنظيمه على الطراز الحديث وتجهيزه بأحدث المعدّات والأدوات الصحية إلا بعد صدور الأمر العالى بذلك سنة ١٨٩٣ م ومن ذلك الحين أخذ ينمو ويتحسن حتى أصبح الآن من أكبر المحاجر الصحية وأكثرها إتقانا وهو على شكل طائر عظيم جَثَم فى البحر وبسط جناحيه فى البر . وله ثلاث أرجل وهى ثلاث مباخر من أحدث طرز مدّت منها جسور فى البحر الى آخر حدّ اللسان المرجانى (الرسم ٢٥٠) ليتسنى للسفن الصغيرة الاقتراب من البر وفى رأسه معزل الموبوئين أو مستشفى للأمراض «غير العادية» .

وفى عنقه أربعة مستشفيات واحد للجراحة وثلاثة للأمراض العادية وصيدلية كبيرة ومنازل للأطباء والممرّضين والممرّضات والعساكر وبيت المال ومخزن للكهرباء ينير المحجر كله وجهاز «للتلفون» يربط مراكز المحجر الهامة بعضها ببعض وفى جناحيه صفان من «الحذاءات» أو المنازل للحجاج فى كل صفّ عشرة فالتى إلى اليمين مبنية

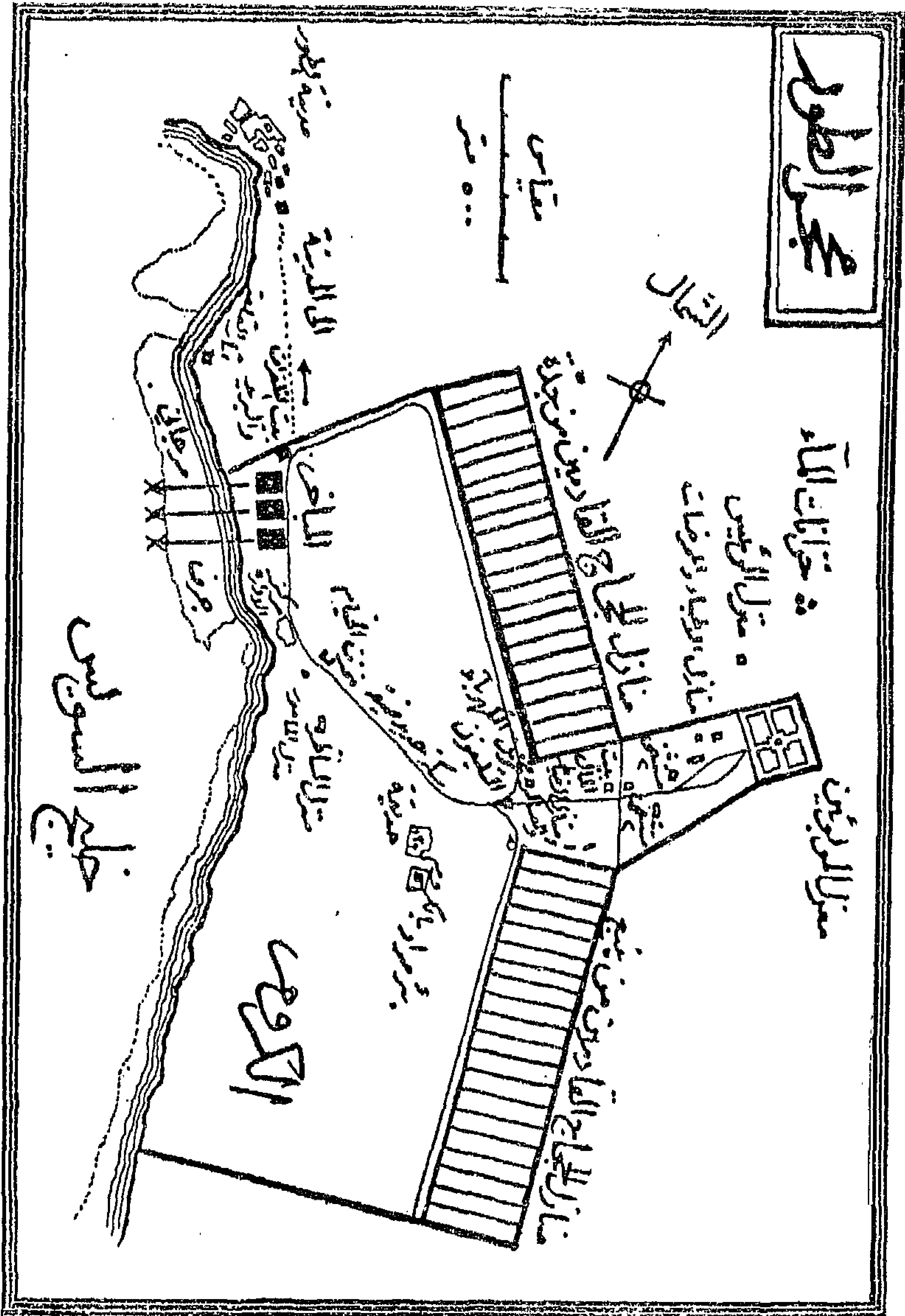
بالحجر وقد خصصت بالحجاج القادمين من جدّة والتى الى اليسار مجهزة بالخيام وهى للحجاج القادمين من ينبع وهى تأوى آلافا من الحجاج فى وقت واحد (أنظر الرسم ٣١١) .

وفى بدنه بئر عذبة الماء غزيرته تدعى بئر مراد وقد ركب عليها آلة بخارية لرفع الماء ومنها يشرب أهل المحجر ومدينة الطور وحديقة متسعة من النخيل وأشجار الفاكهة ومنزل لناظر المحجر ومنزل للمأمور ومخزن للخيام ومكتب للإدارة .

هذا وتخترقه سكة حديد ضيقة من رأسه الى قدمه تبتدئ من البحر من آخر طرف اللسان المرجانى وتمر بالمباخر و"الحذاءات" وجميع المراكز الهامة فى المحجر الى أن تنتهى بمعزل الموبوئين وخارج المحجر منزل الرئيس وخزانات الماء أنظر (الرسم ٣١٢) .

وكانت «السردارية» المصرية قد مدّت إلى مدينة الطور خط البرق من السويس سنة ١٨٩٧ وأسست مصلحة البريد فيها فرعا سنة ١٩٠٠ فلما تم نظام المحجر سنة ١٩٠٧ نقل البرق والبريد اليه كما ترى ذلك بالرسم السابق . وكان البريد قديما يحمل بالبر على الهجن فلما انتظم المحجر وأسست مصلحة البريد فرعا فى مدينة الطور صارت تمرّ بها مرة فى كل أسبوع باخرة من بواخر الشركة الخديوية فى السويس وذلك فى ذهابها الى سواكن وجدّة وفى رجوعها منهما وفى موسم الحج يساعد على نقل البريد سفينة بخارية خاصة تسير بين الطور والسويس مرتين فى الأسبوع . وللمحجر فى موسم الحج خفر داخلى من الشرطة يأتى من مصر وخفر خارجى من الشرطة وبدو الطور . وفى نظارة الداخلية فى القاهرة قلم للمحاجر المصرية يختص بالعناية محجر الطور . ومجلس الصحة البحرية و«الكورنتينات» مركزه فى الاسكندرية وقد أصدر فى ١٩ فبراير سنة ١٩١٤ إحصاء عن الحجاج الذين دخلوا محجر الطور من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩١٤ فكان عددهم ٣٥٨٣٤١ حاج وهم ٧٦٠٧٦ عثمانى و ١٥٢٦٨٣ مصرى و ١٨٧٨٧ جزائرى و ٧٦٧٧ تونسى و ١١٧٠٩ مراكشى و ٨٢٢ بوشناقى و ٦٢٦٨ عجمى و ٧٨٧٨٨ روسي و ٥٥٣١ من أمم مختلفة .

ويؤخذ من هذا الإحصاء أن الحج اعتبر نظيفا من كل داء فى كل تلك المـدّة مرتين فقط فى سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٤ واعتبر ملوّثا بالهواء الأصفر فى سنى ٢ و ٨ و٧ و ١٢ و١٩١٣ و بالطاعون فى السنين الأخرى وأن الذين مرضوا داخل المحجر فى تلك المـدّة بلغ عددهم ١١١٦٥ حاج منهـم ١٠٩٩٤ أصيبوا بأمراض عادية ،



Tor Quarantine. — محجر الطور

(الرسـم ٣١٢)

و ١٦٤ بالهواء الأصفر و٧ بالطاعون ، شفى منهـم ٨١١٧ وتوفى ٣٠٤٨ وإن أقل عدد دخل المحجر من الحجاج كان فى سنة ١٩٠٣ دخله فيها ١١٢٦٦ حاج وذلك لأن الحكومة المصرية رفعت قيمة التأمين الى ٥٠ جنيهـا لراكب الدرجة الثـالثة والى ٧٠ جنيها للدرجة الأولى . وأكبر عدد كان فى سنة ١٩٠٧ دخله فيها ٤٣٢٧١ حاج ودخله هذه السنة ٢٦٤٢٦ حاج .

(١) الكروم الجديدة أو المنشية — تشمل أرض المحجر بلدة قديمـة تسمى الكروم من بناء عساكر قلعة الطور فى الأرجح وقد اشترتها الحكومة المصرية من أهلها فى سنة ١٩٠٥ بمبلغ ١١٣١٢٠ قرش صحيح عدا حديقة متسعة من النخيل وأشجار الفاكهة لرهبان دير سيناء اشتريت بألف جنيه وأعطت الحكومة أهلها بدل أرضهم أرضا شرقى مدينة الطور على نحو نصف ميل منها فبنوا فيها بلدة وبنت لهم الحكومة فيها جامعا نخما ذا مئذنة وقد سموا هـذه البلدة الكروم الجديدة أو المنشـية أو «منشية عباس» .

(٢) مسيعط — هى حدائق من النخيل شمالى المنشية على نحو نصف ميل منها وشرقى الطور على مثل هذه المسافة وبين حدائقها حديقة أنشأها محافظ سيناء الأسبق وغرس فيها النخيل وأشجار الفاكهة وزرع فيها الخضراوات وحفر فيها بئرا جعل عليها «طلمبة» تدار بالهواء ومساحة هذه الحديقة فدّانان .

(٣) حمَّام موسى — شمالى مدينـة الطور على نحو ألفى متر منهـا وبقربه حدائق متسعة من النخيل فيها مساكن لعرب المواطرة وفيها منزل لرهبان دير سيناء قائم وسط حديقة جميلة من النخيل وأشجار الفاكهة .

(٤) وادى حمَّام موسى — هو شمالى الحمام على نحو ميل منه وفيه نخـل كثير لأهل الطور ومساكن للواطر وغيرهم من البدو وهناك خرائب دير قديم لم يبق

ظاهرا منه سوى قنطرة بالحجر المنحوت وكنيسة صغيرة لا تزال جدرانها قائمة الى الآن وفى نخل هذا الوادى قبر يزوره العامة للشيخ الحريزى من عرب المواطرة .

آبار مدينة الطور — وفى مدينة الطور وضواحيها آبار قديمة العهد كان يغتسل منها الأهلون ويشربون من بئر مراد فى الكروم فلما ضمت الكروم الى المحجر جرت مصلحة المحاجر بعض ماء البئر الى خارج النطاق الصحى ثم الى مدينة الطور ليستق منها أهل المدينه والمنشيه .

سكان الطور — سكان مدينة الطور والكروم الجديدة لا يزيد عددهم على ٣٠٠ نسمة نصفهم مسلمون وهم سكان «الكروم» ويظن أنهم من متخلفى العسكر الذين كانوا يخفرون قلعتها والبحارة الذين جاءوها من السويس ولا زال أكثرهم يشتغل فى المراكب الى الآن ومن وجهائهم الشيخ أحمد موسى راضى والشيخ محمد عبد القادر والنصف الآخر نصارى على مذهب الروم الأرثوذكس وهم سكان مدينة الطور ويظن أنهم من متخلفى زوّار الدير وموظفيه ونصفهم أروام من جزائر الأرخبيل والنصف الآخر سوريون من القدس الشريف وغيرها وأكثرهم يتجر مع البدو فى الحبوب والمأكولات والأنسجة وأهم أسر النصارى أسرة عنصرة وأسرة براميلى .

وكانت نظارة الداخليه المصرية جعلت مدينة الطور منفى للتشردين المصريين فكان فيها منهم سنة ١٩٠٥ خمسة شبان ثم أبطل النفى اليها سنة ١٩٠٧ م .

قلعة الطور — كان فى جنوبى مدينة الطور قلعة قديمة فوق البحر من بناء السلطان سليم فى المشهور أدركها الخراب منذ عشرات السنين فاستخدم الأهلون حجارتها لبناء منازلهم وساعدهم حديثا بعض موظفى الحكومة على محو آثارها فأخذوا ما بقى من حجارتها فى بناء منازل الحكومة ولم يبق ما يدل عليها سوى أثر الحفر فى أساسها وشهادة أهل الطور الذين عاصروا خرائبها .

جبل طور سيناء — الى هذا الجبل ينتسب شبه جزيرة طور سيناء وهو واقع على نحو ٦٠ كيلو مترا الى الشمال الشرقى من مدينة الطور ويقال : إنه الجبل الذى جاءه موسى ليرعى عنده غنم حموه شعيب فظهر له الرب وأمره بالعودة الى مصر لينقذ بنى إسرائيل وهو الذى نزل عنده موسى بعد خروجه ببنى إسرائيل من مصر وتجلى ربه للجبل وأنزل عليه التوراة ولهذا الجبل عدّة قمم يسمونها جبالا أعلاها وأبهاها :

(١) جبل موسى الذى يعلو عن سطح البحر ٧٣٦٣ قدم وقد بنى على رأسه كنيسة صغيرة لرهبان دير سيناء وجامع أصغر منها .

وقد ذكر ياقوت فى معجمه (ص ١٥٣ ج ٤) الكنيسة ووصفها ثم قال : وزعم النصارى أن بها نارا من أنواع النار الجديدة التى كانت ببيت المقدس يوقدون منها فى كل عشية وهى بيضاء ضعيفة الحر لا تحرق ثم تقوى إذا أوقد منها السرج وهى عامرة بالرهبان يقصدها الناس وفيها يقول ابن عاصم

ياراهب الدير ماذا الضوء والنور * فقد أضاء بما فى ديرك الطور
هل حلت الشمس فيه دون أبراجها * أم غيب البدر عنه فهو مستور
فقال ما حله شمس ولا قمر * لكنما قربت فيه القوارير

(٢) ثم جبل المناجاة وعلوه عن سطح البحر ٦٠٠٠ قدم وينشأ من منقلبه الغربى واد صغير يفيض فى وادى الشيخ ويسمى وادى الدير لأنه أقيم على جنبه الأيسر دير طورسيناء الشهير .

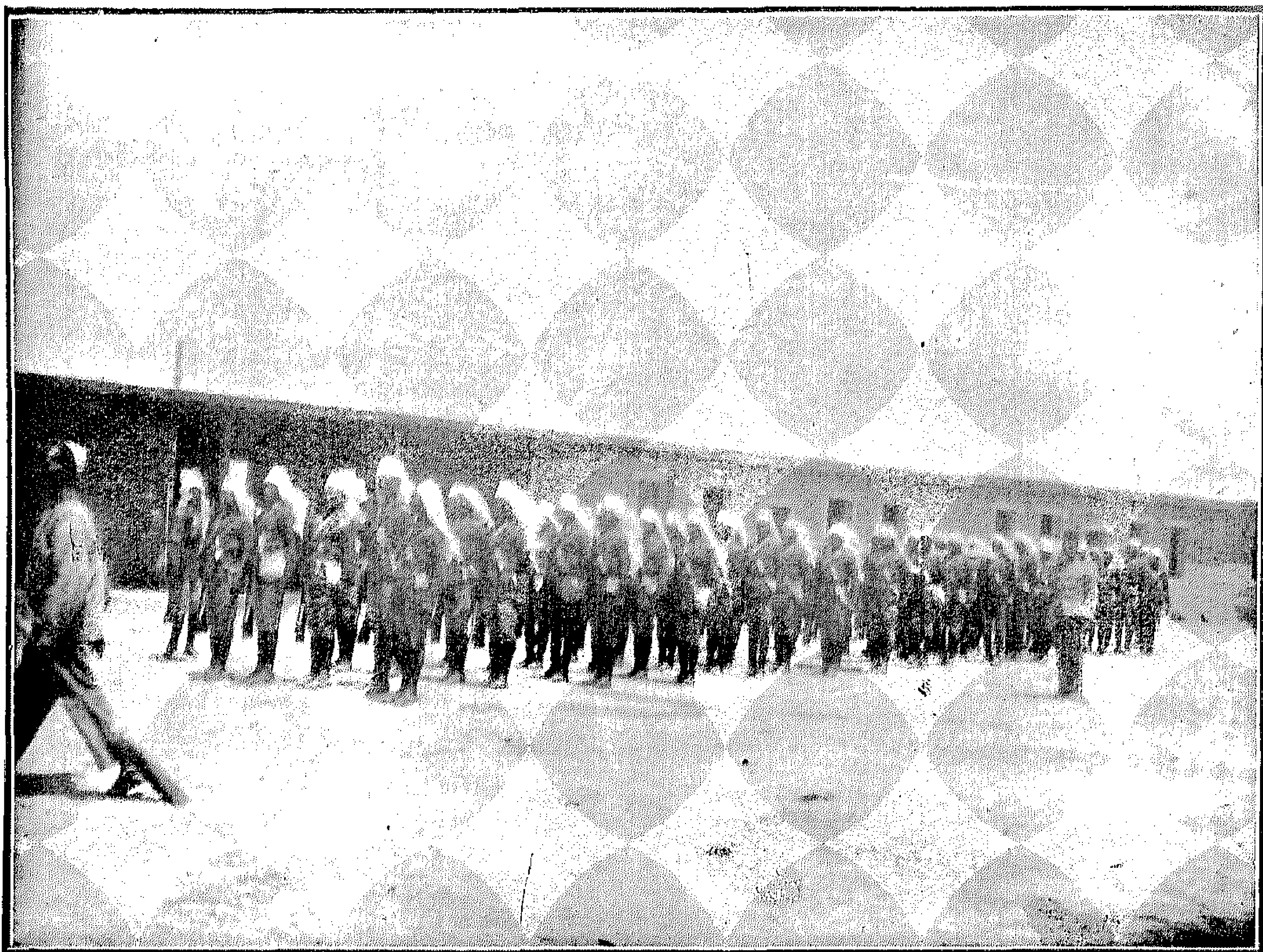
(٣) جبل الصفصافة فى الشمال الغربى لجبل موسى سمى بذلك لصفصافة فى سطحه الشرقى ويعلو عن سطح البحر ٦٧٦٠ قدم ويطل على سهل فسيح غربيه يسمى سهل الراحة يرتفع عن البحر ٥٠٠٠ قدم وتبلغ مساحته ميلا مربعا والى طرف

هـذا السهل الشرقى عند مصب وادى الدير وعلى نحو ميل غربى الدير تل صغير عليه كوخ من الحجارة الطبعية يسمى « مقام النبي هرون » والذى عليه أكثر المحققين الآن أن جبل الصفصافة هذا هو الجبل الذى وقف عليه موسى عند إلقائه الوصايا العشر وأن سهل الراحة هو السهل الذى وقف فيه الإسرائيليون عند تلقيهم تلك الوصايا (خروج ص ١٩) وأن التل الذى عليه مقام النبي هرون الآن هو التل الذى عليه عبد الاسرائيليون العجل الذهبي الذى صنعه السامرى حينما ذهب موسى الى الجبل ليتلقى التوراة .

هذا وبدو الجزيرة يزورون جبل موسى ومقام هارون مرة فى صيف كل سنة ويذبحون لها يضربون خيامهم فى سهل الراحة عند مقام النبي هارون ثم يصعدون الى قمة جبل موسى ومعهم الذبيحة من ماعز أو ضأن فيذبحونها فى مكان معين شرقى الجامع ويسلخون جلدها ثم ينزلون بها الى المخيم أو يكتفون بشرط أذنيها على قمة الجبل وينزلون بها حية فيذبحونها ويأكلونها فى المخيم وفى اليوم التالى يعيدون لهارون فيذبحون له جملا . وأكثر البدو محافظة على هذه الذبائح الخيالية ثم الصوالحة ثم العليقات ومزينة — شَرَعُوا لهم من ٱلدِّين ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ —

وقد أخذت كثيرا من الصور أثناء إقامتنا بمحجر الطور فى سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) . من ذلك (الرسم ٣١٣) الذى ترى به بعض حرس المحمل بالطور . (والرسم ٣١٤) الذى ترى به الحجاج وبعض الموظفين أمام باب الحذاء وقد استعدّوا للسفر . ومن ذلك (الرسم ٣١٥) الذى تنظر فيه باب حذاء وعربات السكة الحديدية ينزل فيها الحجاج وتشحن بالأمتعة وتنظر فيه أيضا الأعمدة التى حول الحذاءات بينها الشباك الحديدية والبناء الأمامى الدائر فاسقية مياه بها صنبور (حنفية) يؤخذ منه المياه . ومنها (الرسم ٣١٦) الذى ترى به فى الصف الأوّل من اليسار الى اليمين حضرات محمد بك كمال وكيل شركة البواخر الخديوية بالسويس فطبيب إنجليزى

٣١٣ قسم من حرس المحمل بالطور سنة ١٣٢٥



313. A detachment of Mahmal guards at Tor in the year 1326 H.

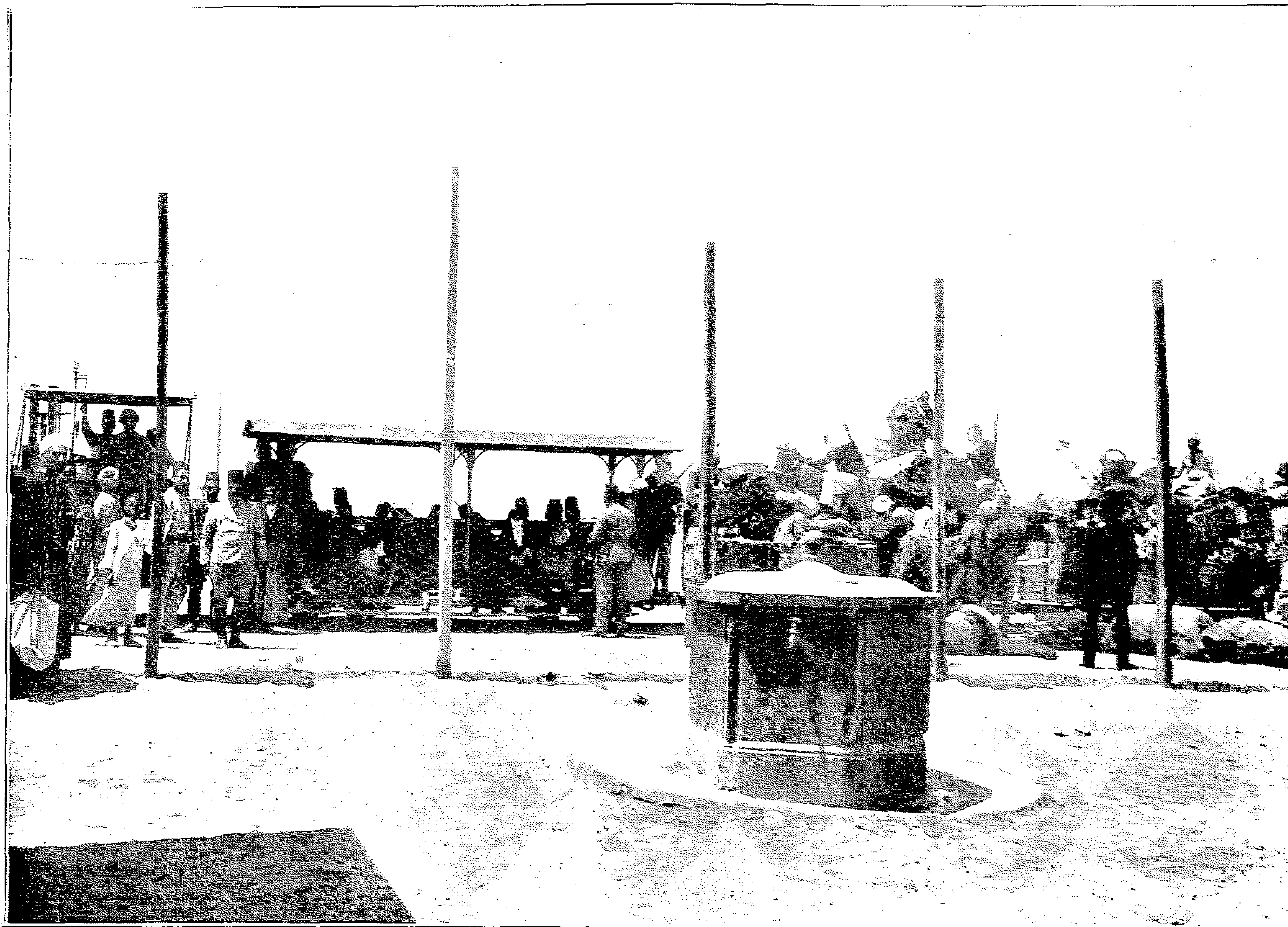
صحيفة ٢٤٠ (*)

٣١٤ منظر مستخدمي المحمل داخل الحزا بالطور



314. A photo of the employees of the Mahmal near the door of El Heza in Tor in 1325.

شحن العفش بالسكة الحديد بالطور سنة ١٣٢٥



315. The Despatch of the buggage by rail in Tor in 1325.

٣١٦ منظر مستخدمي المحمل داخل الحجر بالطور



316. A view of the employees of Mahmal in the interior of the Heza in Tor

٣١٧ الضباط في الطور



317. A photo of the officers in El Tor in 1325

فمحمد على بك أمين الصرة فأمير الحج «فالبكباشي» مصطفى افندى رفقى رئيس الحرس فاليوزباشي حسن افندى الدجوى الآن مدير بنى سويف فالضابط محمد صادق، وفى الصف الثانى طبيب القسم العسكرى «الصاغ» عبد الحليم افندى عاصم فشخص لا أذكر اسمه فالشيخ يوسف المرجاوى فالطبيب إبراهيم افندى سليمان فكاتب الصرة إبراهيم افندى محمد وفى الصف الثالث محمد افندى على سعودى فعبد العزيز افندى صدقى ضابط الشرطة والآن وكيل مديرية قنا «فالصاغ» محمد افندى شفيق أركان حرب أمير الحج فمرسى افندى حسن صراف المحمل وهؤلاء هم الذين فى (الرسم ٣١٧) غير أنه زاد عليهم شخصان .

السفر من الطور الى السويس فمصر

أبحرنا من الطور فى الساعة السادسة الافرنجية من مساء الاثنين ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ (٢٧ أبريل سنة ١٩٠٨م) . ووصلنا السويس فى صباح اليوم التالى عند تمام الساعة الثامنة صباحا فمدّة السير ١٤ ساعة .

وفى منتصف الساعة السادسة من صباح الأربعاء سافرنا من السويس فوصلنا القاهرة فى الساعه ١١ والدقيقة ٣٠، وفى صباح الخميس ٢٩ ربيع الأول (٣٠ أبريل) قابلت سموّ الخديو قبل أن يدخل اليه العلماء ثم قابلته فى مساء اليوم نفسه مرة أخرى من الساعة الخامسة الى منتصف الساعة السابعة . وقد قدّمت له التقرير وشرحت له ما جدّ من الحوادث .

وفى يوم السبت أوّل ربيع الثانى سنة ١٣٢٦ هـ (٢ مايو سنة ١٩٠٨ م) احتفل بعودة المحمل احتفالا حضره النظار والعلماء والعظماء . وناب عن الجناب الخديوى رئيس النظار مصطفى باشا فهمى .

وهاك جدولا بخط السير فى هذه الحجة ثم تليه خريطة مبينة للطرق التى سلكناها فى حجاتنا الأربع :

جدول خط السير من مصر الى الحجاز ثم الى مصر سنة ١٣٢٥ — ١٣٢٦ هـ (١٩٠٧ — ١٩٠٨ م)

من	الى	التاريخ	مدة السير: دقيقة	مدة السير: ساعة	المياه	معلومات عامة
القاهرة	السويس	١٨ ذى القعدة ١٣٢٥ هـ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ م	١٥	٧	ماء النيل	السفر فى السكة الحديدية المصرية .
السويس	الطور	١٩ ذى القعدة	—	—	»	« فى الباخرة .
الطور	جدة	٢٠ و ٢١ و ٢٢ منه	—	—	»	» »
جدة	بحره	٢٦ منه	—	٩	مياه آبار	السير على الإبل وسبق وصف الطريق .
بحره	مكة	٢٧ »	—	٩	»	» » » » »
مكة	عرفات	٨ ذى الحجة	٣٠	٥	مجرى عين زبيدة	الطريق واد كما قدمنا .
عرفات	المزدلفة	ليلة ١٠ »	٥٠	١	»	» » »
مزدلفة	منى	يوم ١٠ »	٣٠	١	»	» » »
منى	مكة	»	—	٢	»	» » »
مكة	منى	»	—	٢	»	» » »
منى	مكة	»	—	٢	»	» » »
مكة	وادى فاطمة	٢٨ ذى الحجة ١٣٢٥ ١ فبراير سنة ١٩٠٨	—	٨	بالوادى مياه كثيرة	مررنا بسَرِف بعد مسير نحو ٣ أميال من مكة .
وادى فاطمة	المحسنية	٢٩ ذى الحجة	—	٨	لا ماء فى المحسنية	الطريق سهل .
المحسنية	عسفان	غرة المحرم سنة ١٣٢٦ ٣ فبراير	٤٥	٤	بعسفان أربع آبار عذبة	بالطريق مسق مخرب و به عقبة حجرية .
عسفان	خليص	٢ المحرم	—	٧	بخليص ماء	بالطريق عقبة صعبة ووادى غران وهو كثير النخل .
خليص	القضيمة	٣ »	—	٩	بئر بالقضيمة	يكثر شجر العبل بالطريق . .
القضيمة	رابغ	٤ »	٣٠	١٢	برابغ حفائر مائية	بالطريق مكان يقال له "سَعْبَر" ورابغ قرية هامة .
رابغ	مستورة	٦ »	—	١٠	بمستورة بئر عذبة قليلا	« مدقات وعقبة وأشجار ضخمة .
مستورة	بئر الشيخ	٧ »	—	١٣	ببئر الشيخ ماء صاف	ببئر الشيخ سوق هامة .
بئر الشيخ	بئر ابن حصانى	٨ »	—	٦	آبار اربع فى المحطة	بالطريق ثلاثة عشر واديا .

بئر ابن حصانى	خلص	٩ المحرم سنة ١٣٢٥هـ	—	١١	بئر بخلص	الطريق ضيق وبه الملف فعقبة يمرّ بها الركب فوادى وفيه مدقات .
خلص	بئر درويش	١٠ المحـــرم	١٥	١٤	بئر درويش	عا كسنا عربان الأحامدة بين هاتين المحطتين .
بئر درويش	المدينة	١١ «	٣٠	١٢	فى المدينة عين الأزرق	ودينا قتيلين بين هاتين المحطتين .
المدينة	ذى الحليفة	٢١ « ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨	—	٢	بذى الحليفة بئر على	تقدّم وصف الطريق .
ذى الحليفة	آبار درويش	٢٢ المحـــرم	—	١٢	ميـاه آبار	« « «
آبار درويش	موضع الحادث	٢٣ «	٢٠	١	«	بعد قيامنا من آبار درويش بساعة ونصفها كانت حادثة الاعتداء على ركبنا فرجعنا بعد أن تفاقم الخطب .
موضع الحادث	ذى الحليفة	٢٣ «	٢٠	١١	«	رجعنا الى ذى الحليفة وبتنا بها .
ذى الحليفة	المدينة	٢٤ «	—	٢	«	أسف لرجوعنا أهل المدينة .
المدينة	بئر الطعينى	٣ ربيع الأول ٤ أبريل	٤٥	٩	سبق وصفها	الطريق كثير التعريجات .
بئر الطعينى	آبار ناصيف	٤ ربيع الأول	—	٨	«	كان على ميسرتنا السكة الحديدية الحجازية .
آبار ناصيف	المبيت بالطريق	٥ «	٣٠	١١	«	فى الطريق وادى الحمض وشجر السنط ومدقات .
المبيت	آبار الحلو	٦ «	٤٠	٨	«	الشجر على طول الطريق .
آبار الحلو	السبخة	٧ «	—	١١	بالسبخة سبع آبار عذبة	الطريق واسع فى بعضه شجر العبل .
السبخة	الفقير	٨ «	—	٧	بالفقير الماء عذب	بالطريق شجر الدوم وأشجار أخرى .
الفقير	العقلة	٩ «	—	١٤	بالعقلة بئر طيبة الماء	فى الطريق قصر عبلة أو اسطبل عنتر .
العقلة	مثر	١٠ «	٣٠	١٠	فى مثر ماء عذب	بالطريق أخوار وأشجار .
مثر	الخوتلة	١١ «	—	١٢	ميـاه آبار	« « « ضخمة .
الخوتلة	الوجه	١٢و١٣ «	٣٥	٢٥	«	قابلنا فى الطريق مندوب عن سليمان باشا ابن رفادة .
الوجه	الطور	١٤و١٥ «	٣٠	٢٠	ماء النيـل	السفر بالبحر فى الباخرة .
الطور	السويس	٢٥و٢٦ «	—	١٤	«	« « «
السويس	القاهرة	٢٧ «	—	٦	«	السفر بالسكة الحديدية المصرية .

بلجنة للتحقيق فى سبب رجوع المحمل الى المدينة

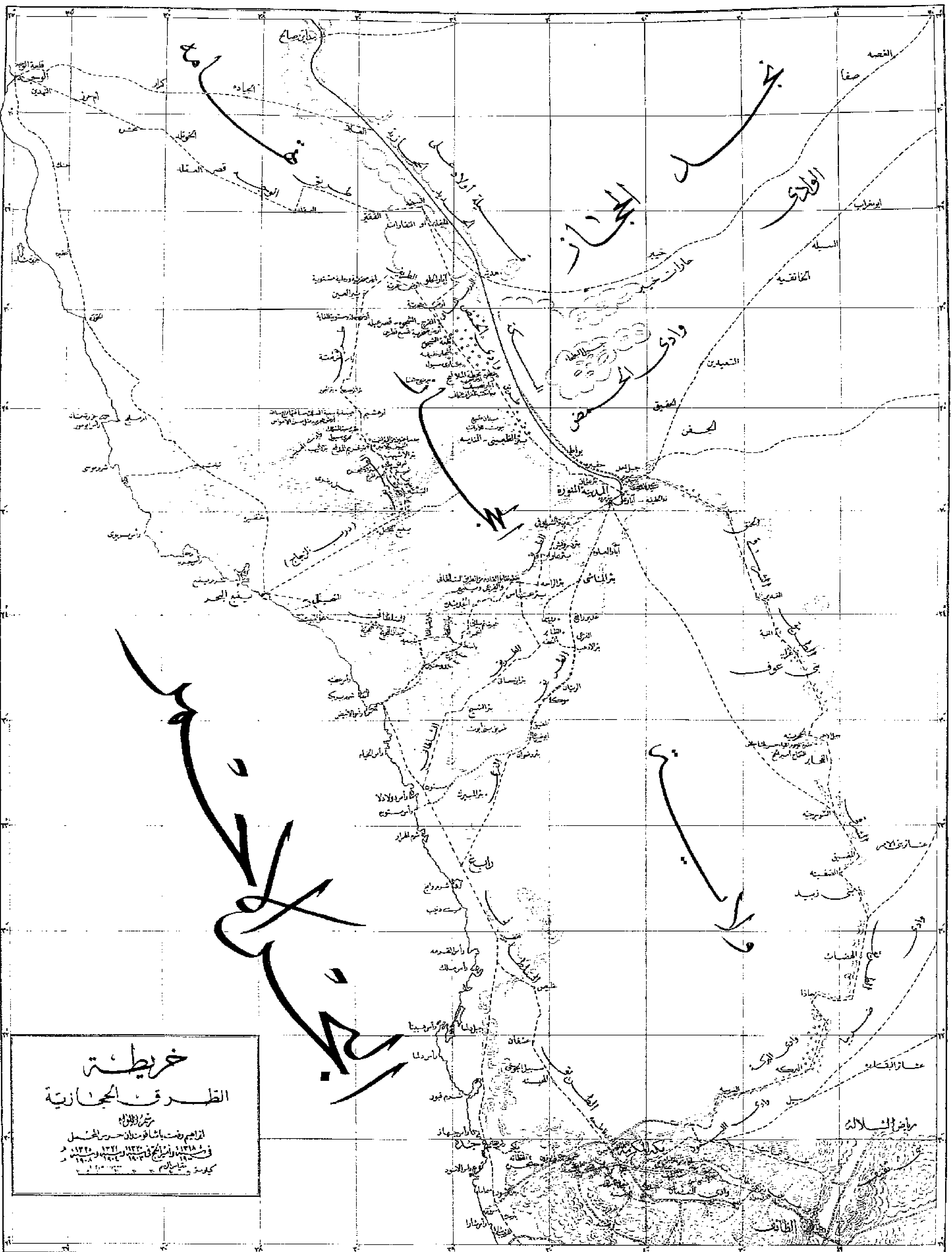
تشكيل لجنتين وانتقاد الرأى العام ذلك — شكلت لجنة بنظارة الداخلية لتحقق سرا فى سبب رجوع المحمل وكانت مؤلفة من صاحب السعادة إبراهيم باشا نجيب وكيل الداخليـة رئيسا وصاحبى السعادة حسن باشا رضوان مدير الغربيـة وعبد الخالق باشا ثروت مدير أسيوط عضوين وقد انتقدت كما انتقد الرأى العـام تأليف هذه اللجنة قبل أن أتقدّم الى الحكومة بتقريرى وقد عبرت «الجريدة» فى عددها رقم ٣٤٨ الصادر فى غرة ربيع الثانى سنة ١٣٢٦ (٢ مايو سنة ١٩٠٨) عما فى نفسى . لذلك أنقل اليك كلمتها التى قالتها فى هذا الصدد وكلمة لها أخرى ذكرتها فى العدد نفسه تنتقد تشكيل لجنة أخرى لسؤال « البكباشى » مصطفى افندى رفقى « قومندان » حرس المحمل عما نسب اليه من الإهمال الخ .

أما كلمتها الأولى فهى ما كتبته تحت عنوان «أمير الحج» .

يسرنا أن الرأى العام المصرى يقدر الحوادث قدرها ويحكم فيهـا الحكم العادل الذى تستحقه . ذلك هو عنوان الخير ودليل الحرية وعلامة الأهلية للاستقلال .

زارنا أمس جماعة من الكتّاب وأولى الرأى فى البـلد وهم يرون رأينا فى أن الحكومة قد جاوزت حدود المجاملات الرسمية وتعـدت بوجه ما على احترام الحرية الشخصيـة بتأليفها مجلس تحقيق لأمير الحج قبـل أن يقدم تقريره التفصيلى عن الحوادث التى تخللت بعثته وتصرفاته فى تلك الحوادث وأسبابها . ويقولون إن عملا كهذا — على كونه جزئية من الجزئيات — من حقه أن يستفز الرأى العام لما يستتبعه من النتائج التى تبعدنا عن مطامعنا فى الحكومة الدستورية .

قائد عسكرى حقيق بثقة الحكومة رأى نفسه مضطرا الى طلب نقود من حكومته فأرسلت له ما طلب فماذا تكون جريمته التى حملت الحكومة على ألا تمهله ريثما يقدم كشوف حسابه وتقريرا عن تصرفاته فتؤلف له مجلس تحقيق كما فعلت ؟


خريطة
الطرق الحجازية
رسم اللواء
ابراهيم رفعت باشا قومندان حرس المحمل
البحر الاحمر
المدينة المنورة
مكة المكرمة
جدة
الطائف
ينبع البحر
رابغ
وادي الحمض
خيبر

أليس هـذا التصرف مدعاة للظن بأن الحكومة ترتاب فى أمر الرجل من غير وجه يدعو الى الارتيـاب ؟ أو ليس سـالب الثقة من قائد عظيم على هـذه الصورة تحكما يجعلنا نشعر بثقل الحكومة الشخصية ؟؟ أو ليست هـذه المعاملة دالة فى الجملة على أن حكومتنا تقف بتصرفها حجر عثرة فى سبيل تكوين الكفاءات العالية التى لا ينميها فى النفوس إلا الثقة فى الموظفين الكبار واحترامهم فى المعاملة ؟

لقد كان تسرع مجلس النظار فى هذا الأمر مدعاة للظنون المختلفة، فمن قائل : إن هـذا اللواء الحاكم ليس حائزا لرضـا الجناب العالى ، لأنه إذا كان كذلك وكان تصريف الأمور فى مصر حاصلا باشتراك سمو الأمير مع المعتمد البريطانى ما استطاع مجلس النظار أن يقرر تأليف مجلس التحقيق المذكور .

ومنهم من يقول : إن المحتلين يتذرعون بالحوادث التى رافقت المحمل وقت خروجه من المدينة المنورة ليغيروا نظام المحمل الشريف .

ومنهم من يقول : إن الحكومة فى عملها هذا تجرى على سنتها العادية، وهى أنها لا ترى المصرى مهما كبرت منزلته ومهما شرف ماضيه بعين الاحترام اللائق لمركزه فعدم احترامها لأمير الحج ليس بدعة جديدة فى ماضيها بل هو موافق تمـاما لتصرفاتها اليومية . كأن المصرى مستحق للارتياب والتهم بطبيعته فالأصل فيه أن يكون متهما حتى يبرئ نفسه .

ومهما يكن من قرب هـذه الفروض أو بعـدها عن الصحة فإن النتيجة المتفق عليها بين جميع الناس أن تصرف الحكومة فى هذه المسئلة كان خطأ محضا .

فإذا كنا لا نستطيع أن نطلب من الحكومة أن تغير قرارها السابق فإنا نطالب منها أن تهون على الأمة نتائجه بأن تطلب من أمير الحج أن يقدم لها تقريره فإن رأت عليه شيئا أحالت التقرير على المجلس الذى ألفته لذلك . حقيقة إنها مسئلة شكل، ولكن الشكل لا يستهان به لأن عليه مدار تقدير الحوادث والأشياء سواء أكانت طبيعية

أم سياسية . فإن لم تفعل الحكومة ذلك فقد عرضت نفسها للانتقاد المرّ الذى يوجه اليها من قبل الرأى العام .

وأما كلمتها الثانية فهى ماقالته تحت عنوان « تحقيق حادثة المحمل » .

تألفت لجنة من جناب « الميرالاى كرى بك قومندان الأورطة الثانية » المشاة وصاحب العزة «البكباشى» إسماعيل بك رأفت «قومندان الأورطة الثالثة الفرسان وحضرة «الصاغ» حسين افندى فهيم من المدفعية «الطوبجية» لسؤال حضرة «البكباشى» مصطفى افندى رفقى «قومندان» حرس المحمل الشريف عما حصل من الإهمال وعن سبب ضرب المحمل ووجود مدفع كروب فى وسط الأعراب بدون حرس وتعريضه للخطر حتى أرسلوا بعض الجمّالة لتخليصه .

ولقد علمنا اليوم فى هذا الشأن أن ركب المحمل الشريف برح المدينة فى أوّل يوم إلى آبار على، وفى اليوم الثانى وصل آبار درويش و برحها فى صباح اليوم الثالث ولما بعد عنها ووصل الى مضيق أولاد درويش قابلهم الأعراب بنار حامية فصعد فى الحال نصف حرس المحمل وانقسموا الى قسمين فوقف الملازم الأول أحمد افندى مختار ومعه مدفع مكسيم و ١٢ عسكريا و « اليوزباشى » محمود افندى صالح ومعه ٣٥ عسكريا من المشاة على قِمّة المضيق من الجهة اليمنى وصعد حضرة « اليوزباشى » محمود افندى رياض ومعه ٥٠ عسكريا من المشاة ووقف على قِمّة المضيق اليسرى وكان حضرة رئيس المدفعية قد وضع مدفعا من مدافع كروب فى أوّل الركب بجهة تجعل المدفع فى مأمن من نيران الأعداء وتمكنه من إرسال نيرانه عليهم ونصب المدفع الثالث فى مؤخر الركب لدفع هجمات الأعراب من الوراء إذا أرادوا الإضرار بمؤخرة الركب ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين نحو خمس ساعات وكانت الشمس قد ارتفعت فدحر الأعراب عن مواقفهم وصاحوا « الأمان الأمان » وطلبوا الصلح فحينئذ صدر أمر «قومندان» الحرس الى القوات المحتلة للأكمتين بالنزول فلما نزلوا من مواقفهم أسرع الأعراب اليها واحتلوها وصبوا على الركب نارا حامية وكان قبل

صـدر الأمر الى رجال مدفع كروب الذى كان موضوعا فى محل أمين بالتقدّم الى الأمام بغيرحرس فلما وصل الى مكان مكشوف صبت عليه الأعراب نيرانها فقتل واحد من العساكر وجرح أربعة ولم يبق مع المدفع إلا « جاويش » وعسكرى ولا يمكنهما القيام بإطلاق المدفع أو إرجاعه إلى موقفه الأوّل فأرسل حضرة «القومندان» الملازم الأوّل أحمد افندى مختار رئيس المدفعية ومعه نفر من الجمّالة لتخليص المدفع فلم يبعد بهم حضرة الملازم المذكور قليلا حتى تمكن منهم الخوف فعادوا وتركوه وحيدا فعاد واصطحب معه نفرا من المدفعية وقصد إنقاذ المدفع فوجدوا «الجاويش» والعسكرى قد تمكنا من تخليصه وهما قادمان به فرجعوا جميعا الى الركب وحينئذ قفـل الركب عائدا رأسا الى آبار على، وفى اليوم التالى عاد الى المدينة وقد مات فى هذه الحادثة عسكرى من « الطوبجيـة » يدعى أحمد عرابيا ورجل من أهالى المنيا وامرأة من سكان القرى ويقال : إن الذى جرح فى هذه الواقعة من الأعراب نحو ٣٥ على أن الروايات مختلفة فى تقدير عددهم .

وكانت هذه الواقعة الثالثة لأن الأعراب قابلوا الركب عنـد ذهابه الى المدينة وصوّبوا عليـه نيرانهم فأعطاهـم أمير الحج ١٥٠ جنيها فأخلوا له الطريق غير أنه لم يطل سير الركب حتى قابله الأعراب مرة ثانيـة فتبودلت الطلقات النارية بشدّة فارتد الأعراب على أعقابهم واستأنف الركب المسير الى المدينة المنوّرة .

وقبل أن أذكر ما صنعت اللجنة معى أذكر ما صنعت لجنة «القومندان» معـه فأقول : قد قرّرت هـذه اللجنة إحالته الى المعـاش ونشر ذلك بالجريدة العسكرية ومع أنه كان واجبا على اللجنة أن تدعونى لتسألنى عن شخص كان تحت رآستى، لكن لم تفعل ولئن قصرت اللجنة وقرّرت ماقرّرت فإنى لم أقصر فى واجبى نحو شخص خبرته فى سـفرى فكتبت فى ٢٤ ربيع الثانى سـنة ١٣٢٦ (٢٤ مايو سنة ١٩٠٨) كتابا الى مساعد «ادچونانت چـنرال» الجيش المصرى ذكـرت فيـه أن كثرة الأراجيف حول حرس المحمل دعتنى الى أن أكتب لكم بالحقيقة وقلت : إن جميع الحرس من ضباط وصف ضباط وعسكر كان سلوكهم أحسن ما يكون فى كل موطن

من المواطن ولا سيما فى يوم ٢٥ فبراير يوم الحادث فانهم أظهروا من الشهامة والهمة ما هو خليق بأمثالهم، وذلك بفضل التدبير الذى قام به «قومندانهم» ذلك القومندان الذى كان مثال العفة والاستقامة والحزم والشجاعة التى كافح بها ما ناله من المشقات فى أداء وظيفته التى هى من أصعب الوظائف وأشدها حاجة الى الصبر والدربة، وإنه ليستحق أجزل مكافأة على ما قام به ولا أنسى ما قام به «الصاغ» عبد الحليم افندى عاصم طبيب الحرس فانه فى يوم الحادثة أظهر همة عالية وشجاعة نادرة فى تضميد الجراح ومداواة المرضى أثناء تساقط الرصاص عليهم من أيدى العربان الأثيمة، والحمد لله قد شفى كل من ضمده أو داواه وكذلك أظهر بسالة ونخوة «الصاغ» محمد افندى شفيق و «اليوزباشى» محمود افندى صالح والملازم الأول أحمد افندى مختار والملازم الثانى مصطفى افندى على من المدفعية وطلبت مكافأتهم وختمت كتابى بطلب رفعه الى «سردار» الجيش المصرى وحاكم السودان العام .

وقد رد على المساعد بكتاب مؤرخ فى ١٨ يونيه سنة ١٩٠٨ م رقم ١٦٤٨ صورته ما يأتى :

سعادة اللواء إبراهيم رفعت باشا أمير الحج

لى الشرف أن أحيط سعادتكم علما بأن سعادة «السردار» كلفنى أن أخبركم بأن خطابكم الرقيم ٢٥ مايو سنة ١٩٠٨ قد عرض على مجلس التحقيق الذى عقد للبحث فى أحوال حرس المحمل وقد اقترح بعض اقتراحات ستعرض على الجناب العالى عند عودته من أوربا، وفى الختام اعتبر نفسى خادمكم الخاضع المطيع .

(توقيع) نائب مساعد ادچوتانت چنرال

وقد كتبت الى المساعد فى ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٢٦ (٢١ يونيه سنة ١٩٠٨) أشكر لسعادة السردار عرضه كتابى على مجلس التحقيق وأرجو فيه الرحمة بالقومندان الذى يستحق المكافأة لا المؤاخذة على عمل بذل فيه من الهمة مالا يرجى من غيره وتمنيت أن تكون الاقتراحات فى مصلحته ؛

وقد كان من أثر هـذين الخطابين أن عدّلت اللجنـة قرارها الأوّل ونقلته من المعاش الى الاستيداع ومنـه عين رئيسا لقرعة مديرية قنا، وبقى فى هـذه الوظيفة حتى أتم المدّة التى يستحق بها المعاش الكامل ثم أحيل الى المعاش ورقى الى رتبة «قائمقام» شرف .

هذا ما كان من أمر «القومندان» أما ما كان من أمرى فان اللجنة الأولى طلبتنى أمامها للتحقيـق فى ٣ ربيع الثـانى (٤ مايو) و ٤ و ٥ و ٦ و ٨ و ١٠ حيث تم التحقيق فى اليوم الأخير .

وفى اليوم السادس من ربيع الثانى وصلت الينا برقية من الحجاج القادمين من بيروت حين وصلوا الى بورسعيد بتوقيع السيد افندى عبد العال الموظف بمصلحة البرق يذكرون أنهم طلبوا مكافأة أمير الحج ويشكرون له حسن صنيعه، وفى التاسع من الشهر أرسلت لهم بالطور برقية أشكر لهم وفاءهم .

تقـــرير اللجنـــة

وفى يوم الاثنين ١٧ ربيع الثانى (١٨ مايو) تسلمت صورة من تقرير اللجنـة طبعناها وحلينا صدرها بالآيات الكريمة التى ينبغى للسلمين أن يسترشدوا بهـا فى أمثال هذه الحوادث وهاك صورة التقرير وحليته :

قال الله تعالى فى كتابه العزيز وهو أصدق القائلين * كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ * إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ * ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَٱنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا

حضرة صاحب العطوفة رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية

بناء على ما صدر من عطوفتكم بتاريخ ٢٨ أبريل سنة ١٩٠٨ بتشكيل لجنة منا للنظر فى أسباب تأخير عودة المحمل والموانع التى عاقتـه عن الوصول إلى ينبع وفيما

اتخذه أمير الحج من الاجراءات وكيفية تصرفه فى المبالغ التى كانت فى عهدته ثم تقديم تقرير عن كل ما ذكر وعما يتراءى للجنة إجراؤه فى الحج القابل وعن الطريقة التى تتبع لمرافقة الحجاج المصريين للمحمل ، نتشرف بأن نعرض على عطوفتكم نتيجة التحقيقات التى أجريناها فى هذه المسائل وقد سمعنا فيها أقوال كل من كانت عنده معلومات ذات فائدة فيما ندبنا لإبداء الرأى فيه وعلى وجه خاص حضرات أمراء الحج السابقين .

وإنا نقسم الكلام فى ذلك إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأوّل

أسباب تأخير عودة المحمل والموانع التى عاقته عن الوصول إلى ينبع وما اتخذه أمير الحج من الاجراءات

المعتاد فى السير بأراضى الحجاز أن يجزأ الطريق إلى مراحل يبيت الركب كل ليلة فى مرحلة منها وقد قام الركب من المدينة قاصدا ينبع فى يوم ٢٥ فبراير فأمضى ليلة هذا اليوم فى نقطة تعرف بآبار على ، وفى الصباح بارحها فأمسى فى نقطة أخرى تعرف بآبار درويش ، وفى غسق ليلة ٢٧ أى فى منتصف الساعة الحادية عشرة العربية من الليل تقريبا قام منها قاصدا بئر عباس . ولأجل أن يصل الركب الى هذه البئر كان لا بد له من اجتياز مضيق طوله مسيرة ست ساعات .

فلما فارق آبار درويش وصار منها على مسيرة ساعة واحدة وأصبحت مقدّمته (أى العسكر السوارى) على بعد خمسين ياردة تقريبا من المضيق فوجئت هذه المقدّمة بطلقات نارية أرسلها عليها قوم من الأعراب كانوا قد احتلوا أعالى مدخل المضيق .

عند ذلك أخبر « القومندان » العسكرى فأمر باتخاذ الاحتياطات العسكرية اللازمة من تسنم النقط العالية من جانبي المضيق ثم حضر أمير الحج ، ولما علم من

مأمور الحج (وهو الشخص الذى يرسل عادة من قبل أمير مكة لمصاحبة ركب المحمل ليكون وسيطا بين العربان وأمراء الحج فى كل ما يتعلق بطلباتهم) ومن المقوّم (متعهد الجمال) أن المعتدين هم أفراد قبيلة الرّدادة وأن غايتهم من ذلك هى الحصول على مبلغ ١٦٠ ريالا وأنهم لا يسمحون للركب بالمرور إن لم يدفع لهم سلم أمير الحج ذلك المبلغ الى مأمور الحج والمقوّم وهما راحا به الى العربان ورجعا فأخبرا أنهم رضوا به وكفوا عن العدوان .

هنالك أمر أمير الحج بتقدّم الركب إلا أنه ما كادت تطأ مقدّمته مدخل المضيق حتى قوبل بنيران شديدة . عند ذلك استسفر أمير الحج المأمور والمقوّم بينه وبين الأعراب ليسألهم ما سبب هذا العداء فعادا وأخبراه أن الذين يطلقون النيران إنما هم أفراد قبيلة الرحلة وأنهم عقدوا النية على ألا يكفوا عن الإيقاع بالركب إلا إذا أعطوا مبلغ ٤٠٠ ريال فسلم الأمير المبلغ الى مأمور الحج ليعطيه لرؤسائهم فأعطاهم إياه بحضور المقوّم وشيوخ الحوازم (القبيلة التى منها الجمالة) ووعد الرؤساء المذكورون بانزال رجالهم من قمم الجبال لكنّ خلافا شجر بينهم وبين رجالهم حال دون وفائهم بوعدهم فاستمرّت النيران تنصبّ على الركب حتى اضطر أمير الحج بعد أن فاوض فى الأمر مأمور الحج « والقومندان » وبعض شيوخ الجملة الى أن يصدر أمره بالعودة الى آبار درويش ليتمكن من النظر فى التدابير اللازمة، فلما عاد الركب الى هذه النقطة تبين الأمير من المأمور والمقوّمين أن كثيرا من الأعراب كامنون للركب على طول هذا المضيق فاضطر الى الرجوع الى المدينة ثم قدم الى محافظها تقريرا مفصلا بما لاقاه الركب وطلب اليه أن يعين له طريقا مأمونة ليسلكها فأخبره المحافظ أنه لا يضمن سلامة الركب إلا إذا مرّ من طريق السكة الحديدية الحجازية فأرسل بذلك « تلغرافا » الى الحكومة المصرية وبعد تبادل المخابرات فى ذلك معها اجتمع بمندوبى شريف مكة وبمحافظ المدينة للنظر في آمن الطرق لعودة المحمل وقد قرّ رأي هذه الهيئة على أن أحسن طريق يمكن

المحمل أن يعود منها هى طريق الوجه فاستأجر الإبل لذلك وعاد المحمل من الطريق المذكورة بعد أن أقام فى المدينة ٣٨ يوما .

وقد تبينت اللجنة أن أمير الحج قبل سلوكه طريق ينبع وهى الطريق التى حصلت فى أوّلها حادثة الاعتداء لم يدخر وسعا فى الاستيثاق من أمنها وهدوئها بالاسترشاد والاستعلام ممن لهم الدلالة والإرشاد عادة فى مثل هذه المسائل .

فإذا أضيف الى ذلك أن سلوك المحمل هذه الطريق كان مقرّرا من قبل قيامه وأن شريف مكة ومحافظ المدينة أكدا لأمير الحج رسميا أن الطريق مأمونة صعب كثيرا إسناد التقصير اليه فى اتخاذ احتياط كان واجبا .

كذلك مسئلتا تأخره فى المدينة واتخاذه فيما بعد طريق الوجه على ما فيه من الطول والكلفة على الحكومة .

فأما بقاؤه بالمدينة فقد اضطرّ اليه اضطرارا إذ كان ينتظر ما يتم عليه الرأى بعد أن بعث الي الحكومة المصرية بالحادثة « تلغرافيا » .

وأما رجوعه عن طريق الوجه فلأنه إنما اتبع رأى هيئة هى أدرى الناس بأحوال الطرق فى تلك الأصقاع .

فلو أن طريقا أخرى ميسورة له وسار فيها من تلقاء نفسه لعرّض نفسه لمسئولية عظمى إذا عرض له عارض فيها .

وأما عن كونه رجع عن اجتياز المضيق وعن الاحتياطات العسكرية التى اتخذت للتأمين والمرور منه عنوة فإن اللجنة — مع ملاحظتها أن النظر فى الاجراءات العسكرية التى تمت هل حصلت بحسب الأصول الحربية أم لا هو أمر ليس من اختصاصاتها — لا يسعها إلا أن تقر أمير الحج على ما أمر به من الانصراف عن اجتياز المضيق بعد أن أجمع ضباط القوة العسكرية الذين سمعت شهادتهم فى التحقيق على أن مرور الركب من هذا المضيق كان يعرّضه لأخطار جسيمة بسبب حال هذا المضيق وارتفاع جانبيه وكثرة الأعراب فيه ونوع الأسلحة التي كانوا متسلحين بها

(فانها كانت من الطراز الحديث) وكثرة الذخيرة لديهم مع عدم كفاية العسكر وكثرة الركب لا سيما أن هـذه الشهادات قد أيدتها أقوال من أدّى الشهادة أمام اللجنـة من حضرات أمراء الحج السابقين وكلهم مجمعون على تفضيل مسالمة الأعراب ومراضاتهم على مقاومتهم وردّهم بالقوة .

ومن ثم يتبين أنه إن كان هناك شيء يلام عليـه سعادة أمير الحج فإنما يكون أمره الركب بالتقـدّم والدخول فى المضيق قبـل أن يستكشف حاله ليعلم إن كان جانبـاه خاليين من الأعراب حتى كان يتجنب انحصار مقـدّمة الركب فى المضيق واضطراره الى المفاوضة مع المعتدين وهو فى موقف حرج تحت نيرانهم .

البـاب الثـانى

كيفية تصرف أمير الحج فى المبالغ التى كانت فى عهدته

إن التحقيق الذى قامت به اللجنـة فيما يتعلق بهذه المبالغ كان خاصا بمـا كان استعماله منها متروكا لتصرف أمير الحج ورأيه لمعرفة أن كان فى تصرف سعادته تبذير لهذا المـال كان يمكنه اجتنابه باتباع طريقة أخرى .

أما بقية المبالغ فإنها عبارة عن مرتبات ومقررات لأشخاص معلومين يتحتم عليه صرفها اليهم على حسب قواعد موضوعة لذلك ويدخل فى اختصاص المـالية البحث فيما إذا كانت صرفت لأربابها على الوجه المطلوب .

أما أنواع القسم الأوّل فهى :

(أولا) ما صرف من أجر الجمـال حين قيام الركب من المدينـة الى الوجه ويبلغ ذلك ٣٤٤٧ جنيه .

(ثانيـا) المصاريف السرية التى أنفقت وقدرها ٧١٨ جنيه تقريبا أى بزيادة ٣١٤ جنيها وكسور عن المبلغ الذى كان مقررا من قبل .

(ثالثـا) المبالغ التى صرفت قرضا للحجاج وقدرها ٤١٣ جنيها وكسور .

فأما عن النوع الأوّل فقد بحثت اللجنة هل كان فى استطاعة سعادة أمير الحج ان يتفق على مبلغ أقل من ذلك بما أن المتعهد بالجمـال لحمل الركب الى الوجه كان هو بعينه المتعهد بتوصيله الى ينبع وتسلم جميع المبلغ المتفق عليه . وقد تبينت اللجنة أنه ما كان يتسنى لسعادة أمير الحج الاتفاق على أقل من ذلك نظرا لأن الجمالة آنصرفوا بجمالهم بعد العودة الى المدينـة بسبب ما تتكلفه الجمال أثناء بقائها فى المدينة لغلاء المؤونة إذ يبلغ ما يتكلفه الجمـل الواحد فى اليوم ٢٥ قرشا وقد آضطرّ المقوّم بسبب ذلك عنـد ما تقرّر سـير المحمل من طريق الوجه أن يستحضر إبلا أخرى اشترط لها أجرا خاصا بذل أمير الحج وسعه فى إنزاله الى الحدّ الموافق وهو الذى دفع الى الجمالة بعد أن كانت طلباتهم تزيد عما تقرّر وفضلا عن ذلك فقد اتبع أمير الحج فى هذا الأمر الأصول المقررة فى الأحوال العادية فأخطر الحكومة بمـا اتفق عليه وطلب منها اعتماده .

وأما عن النوع الثانى وهو المصاريف السرية فمع ملاحظة أن التصرف فيهـا موكول عادة لمحض إرادة أمير الحج من غير قيـد ولا شرط بحسب الظروف وأنه لو اقتصر على صرف المبلغ الذى كان مقررا لذلك من قبـل وهو ٤٠٠ جنيه ما كان هنالك محل لمناقشته فى أوجه صرفه — ترى اللجنـة أنه بالنظر لمـا سيفصل بعد من حال الهياج العام بين الأعراب فى هـذا العام وحال الطرق التى تصدت الأعراب فيها للركب أثناء سـيره من مكة الى المدينة وما قرره أمامها من سمعوا من حضرات أمراء الحج السابقين أن ما فعله حضرة أمير الحج من صرف تلك المبالغ إنمـا كان عملًا بالأحوط وتجنبا لخسائر كبيرة كان من الممكن أن يلحقوها بالقافلة وقد حصل مرة أن تصدّى للركب جمـاعة من الأعراب فى أوّل المضيق الذى حصلت فيـه الواقعة التى اقتضت رجوع المحمل الى المدينة فرأى أمير الحج أن يصرفهم بالحسنى وأعطاهم مبلغ ١٥٠ جنيها فأظهر بعض ضباط الفرقة العسكرية اشمئزازا وعدّوا ذلك تساهلا من أمير الحج لاعتقادهم أنه كان من الممكن توفير هـذا المبلغ وصد هؤلاء القوم بالقوّة ولكنهم لمـا استكشفوا بعد ذلك حال المضيق عدلوا عن هـذا الرأى

ورأوا أن امير الحج أصاب فيما فعل وذلك يدل على أن سلوكه وإن شم منه رائحة الضعف فى بعض الأحيان كان مبنيا على احتياط وخبرة أيدتهما الحوادث فيما بعد .

وأما عن مبلغ السلفة فإن اللجنة ترى أيضا أن أمير الحج قد اتخذ فى أمرها ما كان مستطاعا من الأبحاث لمعرفة من كان يجب عليه إمداده بشيء منها وأنه لم يحصل فى التصرف فيها تبذير لا سيما أن معظمها لا يزيد عن الخمسة أو الستة الجنيهات وأنها قد صرفت جميعها تقريبا للحجاج الذين كانوا مرافقين للمحمل : أى هؤلاء الذين قد أخذت على نفسها الحكومة مسئولية إرجاعهم الى وطنهم .

الباب الثالث

أحسن الطرق لسير المحمل فى المستقبل وما يجب اتخاذه لذلك

الكلام على هذا الموضوع يستلزم بيانا موجزا للحالة الحاضرة فى البلاد الحجازية من حيث الأمن فيها ومقدار سلطة الحكومة المحلية على الأعراب المتوطنين هناك .

والظاهر من أقوال ذوى الخبرة فى ذلك أن حالة الأمن فيها مما لا يبعث الطمأنينة فى النفوس ولا يجعل سير القوافل فيها مأمونا وأن سلطة الحكومة المحلية هنالك على من هم السبب فى تلك الحال وهم الأعراب ليست كافية لكبح جماحهم .

ومما يمكن الاستشهاد به فى ذلك الصدد ما وقع هذا العام من مهاجمة الأعراب لفرقة عسكرية عثمانية كان يقودها المشير كاظم باشا يبلغ عددها ١٥٠٠ جندى وكان معها مشايخ العربان وباب عرب المدينة دياب افندى .

ولقد يظن بادئ الرأى أن صد هؤلاء الأعراب وتشتيت جموعهم من الأمور السهلة على القوى العسكرية المنظمة ولكن إذا لوحظ أن أكثر الطرق التى تسلكها القوافل فى الأراضى الحجازية بها مضايق كثيرة تحيط بها جبال شامخة وأن أعراب اليوم هم غير أعراب الأمس فإنهم أصبحوا مسلحين بأحدث أنواع الأسلحة النارية البعيدة المرمى بعد أن كانوا لا يحملون إلا السلاح الأبيض والبنادق ذات الشطف

إذا لوحظ ذلك أمكن تصوّر ما تلاقيه القوى العسكرية فى صدّ هجمات الأعراب فى مثل هذه المضايق حتى أنهم اضطروا القوّة العسكرية المذكورة الى الرجوع الى المدينة بعد أن قتلوا منها ستة وجرحوا ٢٢ وطموا الآبار .

ومما يزيد مسئلة تأمين الطرق تعقيدا أن كل قبيلة أصبحت لا تخضع لرأى رئيس واحد فيها فبعد أن كانت القبيلة الواحدة تعنو لكلمة رئيس واحد إذا أخذ رهينة أو أعطى أحد ذويه رهينة أمن شر تلك القبيلة أصبحت منقسمة بين شيوخ لكل منهم رأى فلا يرتبط بوعد أو قول وعد به رئيس القبيلة أو شيخ من شيوخها الآخرين .

وتلك حال عامة فى جميع طرق الأقطار الحجازية إلا أن الطرق تختلف درجة الأمن فيها تبعا لأمور ثلاثة : ضعف القبائل النازلين فيها أو قوتهم، ووجود مضايق فيها أو عدم وجودها، ووجود نقط عسكرية مشرفة عليها أو عدم وجودها .

فأما من القبيل الأخير فليس هناك إلا طريق واحدة هى الطريق بين جدّة ومكة فإنها تعد مأمونة نوعا لقيام نقط عسكرية على طولها . وأما الطرق الموصلة الى المدينة ففيها طريق واحدة تعد مأمونة ولو لم تكن بها ثكنات عسكرية وذلك بسبب عدم وجود مضايق فيها . وهذه الطريق هى الموصلة من المدينة الى الوجه وهى التى سلكها المحمل فى عودته هذا العام إلا أنه مما يؤسف له أنها طريق شاقة جدا والمياه فيها ناضبة بحيث يتعذر مرور المحمل منها مع قافلة الحجاج .

وأما ما عدا ذلك من الطرق وعددها ست : أربع منها بينها وبين مكة، وهى الشرقى والفرعى والسلطانى والسلطانى الملف، واثنتان بينها وبين ينبع الأولى تعرف بالسلطانى والثانية بالطريف، فكلها غير مأمون لأن بها مضايق قد يتربص الأعراب فيها ويلحقون بالركب أذى كبيرا .

ولما كانت هذه الطرق التى يجوز أن يمر منها ركب المحمل مع الحجاج للوصول الى المدينة كلها واحدة من حيث قلة الأمن وجب اختيار أقلها مشقة ونفقة وأقصرها مسافة .

ولقد رأينا بالاتفاق مع حضرات أمراء الحج السابقين أن خير طريق للمحمل ما دام يصحبه حجاج أن يعود من مكة الى جدّة، ومنها يذهب بحرا الى ينبع ومن هذه الى المدينة بالطريق المعروفة بالسلطانى وهى التى كان مقررا أن يعود منها الركب فى هذا العام من المدينة وذلك على شرط أن يحصل الاتفاق مقدّما والركب بمكة على أن تكون الجمال حاضرة بينبع يوم وصول الركب اليها حتى لا يضطر الى انتظار مجىء الجمال طويلا وأن يفوّض الى أمير الحج العودة بالركب الى مصر إذا رأى بعد انتظار مدة مناسبة فى ينبع أن المقوّم لم يحضر الجمال اللازمة فيها لحمل الركب الى المدينة . وتختلف هذه المدة فى الأحوال العادية تبعا لكون الجمال المذكورة هى التى تكون أحضرت الركب من مكة الى جدة أو غيرها ، ونرى أن تكون هذه المدة فى الحالة الأولى ثلاثة أيام وفى الثانية ستة ، وقد لوحظت فى هذا التقدير المدة اللازمة لسير الجمال سيرا معتدلا من جدة أو مكة الى ينبع .

أما من حيث تأمين هذه الطريق (وهى وغيرها فى ذلك سواء) فياللأسف قد حال دون توفيقنا الى إيجاد حل لهذه المسئلة ما قدّمناه من حال الأعراب وذهاب ما كان لرؤساء قبائلهم عليهم من السلطة ووجوب اتخاذ تدابير عسكرية نرى أنه ليس فى إمكان غير حكومة تلك الجهات اتخاذها، ولما كانت الحال كذلك فلا مفرّ للحكومة من الرضوخ الى مراضاة الأعراب وبذل العطايا (البقاشيش) لهم ما دامت هناك ضرورة الى تسيير الركب الى المدينة ، وفى هذه الحال يحسن كثيرا أن تزاد القوّة العسكرية المرافقة للمحمل بعض الزيادة ليكون فيها شىء من الإرهاب للأعراب فلا يتغالون فيما يطلبون ولا يعودون ينكثون عهودهم ووعودهم وليتسنى للقوّة أن تنقسم وتحتل كثيرا من مواقع المضايق عند مرور الركب منها .

أما العطايا التى تعطى للأعراب فإن اللجنة لم تهتد الى طريقة توصلها الى إمكان تحديد المبلغ اللازم لها الآن بالدقة نظرا لعدم معرفة حقيقة مطالب أولئك الأعراب أوّلا وتشعبهم ثانيا كما قدّمنا، وهذا لا يجعل فائدة فى الاتفاق مقدّما مع رؤسائهم على شىء من ذلك، ونرى أن الأفضل أن يعطى لأمير الحج فى العام القابل مبلغ نحو

ألف جنيه يخصص لهذا الغرض ويترك التصرف فيه الى فطنته وعليه أن يتصرف فيه بمزيد الحكمة وأن لا يعطى منه شيئا إلا بقدر، وفى الأحوال الماسة التى لا يرى فيها بدا من الإعطاء بحيث إن لم يفعل عرض الركب حقيقة لأخطار جسيمة وذلك لكى يتخذ المنصرف فى العام المذكور أساسا للسنين المقبلة لأن من عادة الأعراب أنهم اذا أعطوا شيئا فى سنة من السنين اعتبروه إتاوة واجبة الأداء فى كل عام مستقبل .

وإن فيما تقتصده الحكومة من المبالغ بتقرير سفر المحمل من هذه الطريق ما يسهل عليها تخصيص مثل هذا المبلغ فإن ما تقتصده من أجر الجمال فقط (خلاف العطايا التى يتحتم عليها بذلها إذا كان سفر الركب من مكة الى المدينة برا) يبلغ نحو ٢٤٠٠ جنيه فإذا أضيف الى ذلك ما كان مقررا هذا العام للصاريف السرية وهو ٤٠٠ جنيه كان المجموع ٢٨٠٠ إذا استنزل منه مبلغ الألف جنيه المذكور كان المتوفر على الحكومة مبلغ ١٨٠٠ جنيه هذا مع افتراض أن مبلغ الألف الجنيه سيصرف برمته فى هذا السبيل .

وصدا لمطامع العربان فى المستقبل يستحسن أيضا أن لا يتبدل أمير الحج كل عام ليكون له خبرة بأحوال الطرق يعرف ما يصعب الدفاع فيها منها وما لا يصعب وليتعرّف تعرّفا خاصا بشيوخ القبائل ورؤسائهم فلا يمكنهم أن يدعوا كذبا فيما بعد بسابقة عطية أو وعود يتذرعون بالمطالبة بها الى الاعتداء على الركب إذ قد تبين من التحقيقات أن الأعراب كانوا فى الحج الماضى يبنون اعتداءهم على المطالبة بعطايا سبق الوعد بها من أمراء الحج السابقين .

كذلك نرى توحيدا لمسؤلية المحافظة على الركب وسعيا وراء تنفيذ هذه الأغراض التى قدّمناها وهى عدم صرف الأموال إلا عند الضرورة الصحيحة وغير ذلك أن يكون أمير الحج من رجال العسكرية وأن تكون له الرآسة العامة إدارية وعسكرية حتى لا تضيع المسؤلية فى ذلك كله بينه وبين «القومندان» العسكرى بحجة أن الاجراآت العسكرية ومعرفة موافقتها للأصول وعدم موافقتها من حدود

القومندان العسكرى لا من حدوده هو أو بحجة أن هذا القومندان قرر عدم إمكان دفع الأعراب بالقوة ولذلك دفع المال بدل استعمال القوة كما حصل فى هذا العام .

هـذا ولما هو واضح من أن وصول المحمل الى البقاع المقدسة بغير خطر على من يصحبه غير محقق مهما تبذله الحكومة من العناية فى سبيل تأمين الطرق وذلك للأسباب التى تقدم شرحها نرى أن الحكومة إذا أخذت على نفسها تسفير الحجاج من مصر وإرجاعهم اليها كما جرت عليه فى السنين السابقة عرضت نفسها الى مسئولية هى فى غنى عنها وتستطيع أن تتوقاها بتركها الحجاج أحرارا فى السفر بأى طريق يريدون ، وفى مصاحبة المحمل إن رأوا فى ذلك زيادة أمن لهم كما كان ذلك حاصلا من قبل خصوصا أنه قد ظهر من الاحصاآت التى اطلعت عليها اللجنة أنه بالرغم من تعرض الحكومة لهذه المسئولية كان عدد الحجاج المسافرين من غير تداخل الحكومة فى أمرهم يبلغ ٨٨ فى المائة من مجموع حجاج هذا العام . (أنظر الإحصاء المرفق بهذا) .

ذلك ما رأته اللجنة فى المهمة التى فوضت اليها بأمر عطوفتكم ويمكن تلخيصه فيما يأتى :

(١) أن تصرف أمير الحج فيما يتعلق برجوع الركب عن طريق ينبع واتخاذه طريق الوجه بدلا عنه وفيما يتعلق بالمبالغ التى كانت فى عهدته لا ترى اللجنة محلا لمؤاخذته فيه وإنما كان يجب عليه أن يتحقق من خلو المضيق من الأعراب قبل أن يأمر بمرور الركب فيه .

(٢) أن لا يتغير أمير الحج سنويا وأن يكون من رجال العسكرية وأن تكون له الرآسة العامة إداريا وعسكريا .

(٣) أن لا تتداخل الحكومة فى شؤون الحجاج بمعنى انها لا تدعوهم الى مصاحبة المحمل ولا تتعهد لهم بالرجعة .

(٤) أن تتبع طريق البحر الى جدة ومنها الى مكة برا ومن هـذه الى جدة ثم من جدة الى ينبع بحرا ومنها الى المدينة ومن هذه الى ينبع .

(٥) أن تزاد القوة العسكرية المصاحبة للركب وأن يستعاض عن مدفعى كروب بمدفعين من طراز مكسيم (نوردن فيلد) قطر ٧٥ مليمترا وأن تزاد الذخيرة للمدافع والبنادق .

(٦) أن تجعل المصاريف السرية ألف جنيه ولعطوفتكم الرأى الأعلى أفندم،

١٣ ربيع الثانى سنة ١٣٢٦ هـ (١٤ مايو سنة ١٩٠٨م)

وكيل الداخلية

رئيس اللجنة

(التوقيع) ابراهيم نجيب

مدير الغربية
عضو
(التوقيع) حسن رضوان

مدير أسيوط
عضو
(التوقيع) عبد الخالق ثروت

كشف

ببيان عدد الحجاج المرافقين وغير المرافقين للمحمل فى السنوات الآتى بيانها :

السنة	جملة الحجاج المصريين	الحجاج الذين سافروا برفقة المحمل	الحجاج الذين سافروا بغير مرافقة المحمل
١٩٠٣	—	(١) ٢٨	—
١٩٠٤	١٠٣١٩	٦٩٦	٩٦٢٣
١٩٠٥	١٤٣٦٦	١٦٠٥	١٢٧٦١
١٩٠٦	١١٦١٥	٨٤٧	١٠٧٦٨
١٩٠٧	١٨١٧٠	١٥٨٤	١٦٥٨٦
١٩٠٨	١٥٨٥٦	١٨٢٩	١٤٠٢٧

(١) كان قد منع الحج بقرار من مجلس النظار لكل من لا يتوجه برفقة المحمل وذلك خوفا من عودة الوباء للقطر المصرى ، وقد قدّرت نفقات السفر فى الدرجة الأولى ٧٠ جنيها و ٥٠ جنيها للدرجة الثالثة .

وفى ٢٧ ربيع الثانى (٢٨ مايو) اجتمع مجلس النظار تحت رآسة سمو الخديو ونظر فى تقرير اللجنة ، وفى اليوم نفسه أبرقت الى الخديو والنظار ورئيسهم والمستشار المالى بأنى لا أقبل أن ينسب الىّ فى التقرير عدم القيام ببحث المضيق قبل الأمر بمرور الركب ، وفى ٢٨ منه سافرت الى الاسكندرية لتوديع سمو الخديو فى سفره الى أوربا وفى اليوم التالى قابلته فهنأنى بأن اللجنة لم تمسنى بشىء .

وفى رابع جمادى الأولى (٣ يونيه) طلبنى وكيل الداخلية لمقابلته بها فى الغد ولما أن قابلته أطلعنى على مكتوب مؤرّخ فى ثانى يونيه من عطوفة ناظر الداخلية ورئيس النظار يستدعينى فيه الى الحضور بالإسكندرية لإخباره بما قرره مجلس النظار فى مسألته . وفى السادس منه سافرت الى الإسكندرية وقابلت رئيس النظار مصطفى باشا فهمى فى « سان استفانو » فقال لى : إن مجلس النظار كلفه بإخبارى أن المجلس بحث تقرير اللجنة وقرر أن لا شىء عليك مطلقا وأنه استأذن سمو الخديو ليخبرنى بالقرار من قبله فأذن له بذلك .

قرار مجلس النظار — وفى عاشر جمادى الأولى نشر قرار مجلس النظار ببراءة أمير الحج فى جرائد اللواء والمؤيد والمقطم والجريدة والمنبر وهاك نص القرار :

اطلع المجلس على تقرير اللجنة التى شكلت تحت رياسة سعادة وكيل الداخلية وعضوية مديرى الغربية والمنوفية للنظر فى أسباب تأخير عودة المحمل والموانع التى عاقته عن الوصول الى ينبع وفيما اتخذه أمير الحج من الإجراءات وكيفية تصرفه فى المبالغ التى كانت فى عهدته وما تراءى للجنة إجراؤه فى الحج القابل وعن الطريقة التى تتبع لمرافقة الحجاج المصريين للمحمل ، والتقرير المذكور يشتمل على نتيجة التحقيقات التى أجرتها اللجنة المذكورة فى هذه المسائل ، وقد سمعت فيها أقوال كل من عنده معلومات ذات فائدة وعلى وجه خاص حضرات أمراء الحج السابقين . وأرفق التقرير المذكور وأوراق أخرى بهذا المحضر .

بعد مبادلة الأفكار واتفاق الرأى على أن ما أشارت به اللجنة من تعيين طريق المحمل وزيادة القوّة العسكرية المصاحبة له — ليس هو الحل الحقيقى للمسألة ما دام لا تؤخذ المواثيق الأكيدة من أولى السلطة بالحجاز بالمحافظة على الطريق التى يسير فيها المحمل تقرر أن تبقى الحالة على ما هى عليه فى هـذا العام وأن يكلف أمير الحج الذى سيعين هو و « قومنـدان » الحرس وأمين الصرة بمخابرة والى الحجاز وشريف مكة عن الطريق التى يشيران باتباعها الى المدينة والعودة منهـا وأخذ الضمانات اللازمة على ذلك — أما من خصوص مصاحبـة الحجاج للمحمل فقـرر المجلس أن تدعهم الحكومة من الآن فصاعدا أحرارا فى السـفر والعودة تحت مسئوليتهم بدون تدخل فى أمورهم »

٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٢٦ هـ (٢٨ مايو سنة ١٩٠٨ م)

فالحمـد لله أن وفق للحق رجالا ينصفونه وللمخلصين أولى العـزم من يعرف لهم إخلاصهم وبلاءهم ويقـدرهم حق قدرهم ، وبقى على أن أدلى برأيى فى سفر المحمل فى المستقبل وسأشفعه برأى صاحب العزة إبراهيم بك مصطفى ناظر دار العلوم سابقا والذى كان معنا فى حجة الحادثة وقد بعث برأيه هذا الى رئيس لجنة التحقيق بعد أن اطلع على تقريرها .

رأيى فى سـفر المحمل فى المستقبل — أرى أنه بعـد تأدية فريضـة الحج يسافر المحمل مع مرافقيه من الحجـاج الى جدّة ومنها يبحر الى ينبع ومنها يسافر الى المدينة من الطريق السلطانى وكذلك يعود منهـا الى ينبع وذلك لأن هذا الطريق مسيرة خمسـة أيام فقط وفيه الميـاه بكثرة ، والمسافات بين بعض محطاته وبعض قصـيرة ويصرح لأمير الحج بأن يصرف عطايا « بقاشيش » الى عربانه حسب ما يراه ملائمـا ، ومهما كثرت العطايا فان توازى ما تزيده أجر الجمـال إذا سلك بين مكة والمدينـة الطريق السلطانى الذى يقطع فى اثنى عشر يوما أو إذا غير الطـريق من أقصر الى أطول حينما يكون المحمل بالمدينـة لأن كل الطرق تطول طريق ينبع الى الضعف أو أكثر . والذى حدث فى هذا العام حدث لأسباب وقتية

لا يصح أن تبنى عليها أمور دائمة وقواعد ثابتة، ومن تلك الأسباب هيجان الاعراب من أجل مدّ السكة الحديدية بالأراضى الحجازية الأمر الذى يظنونه قاطعا لأرزاقهم من الحجيج كما يدل على ذلك الخطاب الرسمى الذى قدّمه الىَّ مأمور الحج بعد عودتنا الى المدينة، وقد جرأ العربان على العدوان تمكنهم من ردّ المشير كاظم باشا الى المدينة بجيشه الذى يبلغ ألفا وخمسمائة وذلك قبل حادثتنا بشهر .

وإن لحادثنا أمثالا فى السنين الغابرة ، ففى سنة ١٢٩٥ هـ . ردّ العرب المحمل الشامى بعد أن سار يومين من المدينة الى مكة فرجع اليها خلفه الحجاج ولم يمكنه الرجوع إلا بقوّة الجيش التى كانت بالمدينة مع البون الشاسع بين المحملين فاننا نرى ركب الشامى خمسة أمثال ركبنا أو يزيد ومعه ثمانمائة فارس وذخائر كثيرة ومدافع جمة، وما لنا نذهب بعيدا وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع من الحديبية وقبل تلك الشروط القاسية التى كبرت على المسلمين ولكن كانت الحكمة ما فعل ولنا فى رسول الله أسوة حسنة .

ثم إنه ما دام طريق المحمل يتغير سنويا وأمير الحج كذلك فمن المستحيل أن ينتظم للمحمل حال إذ الاستمرار على طريق واحد وأمير واحد فيه فوائد جمة، من ذلك معرفة الطريق وعقباته والوقوف على حال عربانه الطيب منهم والخبيث والصادق والمائن والأمين والخائن فيعامل كلا بما يناسبه ويتعرّف أيضا عادهم وأخلاقهم وطباعهم وذوى النفوذ فيهم فيزيد فى الحفاوة بهم ليساعدوه على تذليل العقبات التى تعترض سبيله ، ومنها أن أمير الحج إذا استمرّ فى الإمارة سلك مع العربان مسلكا يحقق ثقتهم فيه ومودتهم له بخلاف ما إذا عين لسنة واحدة فانه يتخلص بوعود الله يعلم أنه قالها غير عازم على الوفاء بها أو المساعدة عليها فاذا لم يحقق ما وعد حنق عليه العربان وانتقموا من خلفه ما لم يعطهم ما وعد أو يسلك طريقا غير ما سلك .

ثم إذا رغبت الحكومة فى سفر المحمل وحده لا يرافقه حجاج يكون طريق الوجه أحسن له لأن الركب يكون قاصرا على المستخدمين والقسم العسكرى فقط فتكفيهم مياه الطريق القليلة ولكن عدم مرافقة الحجاج للمحمل ينافى المقصود من سفره لأنه

ما جعل إلا ليكون علما مصريا يلتف حوله الحجاج المصريون يسيرون فى ظله ويحتمون بحرسه مع العلم بأن طريق الوجه يقطع فى ثلاثة عشر يوما فى الذهاب وفى مثلها فى الإياب . وإن اختير للمحمل طريق الوجه يكن سيره هكذا : يسافر بعد الحج من مكة الى جدّة ثم يبحر الى الوجه ومنه يركب الإبل الى المدينة ، وبعد الزيارة يعود الى الوجه كما بدأ ثم يعود الى الطور فالسويس ، وينبغى مخابرة سليمان باشا ابن رفادة قبل سفر المحمل من مصر بشهر على الأقل بإعداد الشقادف " والشبارى " المستعملة لركوب الحجاج لأن عربان هذا الطريق غير مستعدين لذلك الآن .

وإذا رافق المحمل حجاج كثيرون كالذين كانوا فى هذه السنة فلا ينفع المحمل طريق الوجه لقلة مياهه بل ينبغى سلوك طريق ينبع وإذا صرف لعربان الأحامدة المرتبات التى زعموا أنها لهم من قديم وأوضحتها فى تقريرى سنة ١٩٠٣ وزيدوا عليها مكافآت أخرى أمنا فى طريق ينبع شر هذه القبيلة التى هى أشقى القبائل حتى على العربان أنفسهم بل على جماعات منها .

ويضاف الى ذلك تغيير مقوّم المحمل (١) لأنه يجتهد دائما فى خلق المشاكل التى تستدعى تغيير الطريق لينتفع بزيادة أجر الجمال تلك الزيادة التى تتراوح بين ألف جنيه وثلاثة آلاف وأكثر وذلك حسب قلة الجمال اللازمة للركب وكثرتها ودائما يقدم مصلحته الشخصية على مصلحة الحجاج خصوصا اذا كان معه أمير لم يسبق له أن عين فى الإمارة واذا أمكن أن يكون المقوّم من أكبر بيوتات الأحامدة المنتشرين بالطريق السلطانى كان ذلك أكبر ضمان لراحة الحجاج وأمنهم فى طريق ينبع .

ومن أسباب الشقاق حسبان الريال الطاقى بثلاثة وعشرين قرشا كما كان قديما مع أنه الآن لا تزيد قيمته على عشرة قروش فمن الغبن الفاحش أن يحسب على العرب بثلاثة وعشرين قرشا .

(١) فى حادثة المحمل سنة ١٩٢٥ هرب المقوّم ٢٤ ساعة بعيدا عن الركب كما انه هرب يومين فى حادثة المحمل بالحمراء سنة ١٣٢٢ وما دام الهرب عادته فى وقت اللزوم فلا فائدة فى جعله مقوّم لأنه معروف فى قبيلته ويمكنه تسوية الامور بين الركب والعرب ويظهر أن هروبه مقصود لأمور يعلمها الله .

وأرى اذا اختير طريق ينبع أن تزاد قوة المحمل فتكون ثلاثة أقسام "بلوكات" بدل اثنين — البلوك : القسم وعدده فى الأكثر ١٠٠ جندى — ويكون معه مدفعا مكسيم، وأربعون فارسا بدل اثنين وعشرين، ويكون لكل عسكرى مائتا طلقة بدل مائة ولمدفع المكسيم ٥٠٠٠ طلقة بدل ١٢٠٠ ويكون باقى القوة كما كان، هذا ما أراه فى سفر المحمل فى المستقبل، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

٩ مايو سنة ١٩٠٨

وها نحن أولاء نذكر لك القصيدة — على علاتها — التى قالها على موسى الأفندى ثانى أئمة المالكية بالمسجد النبوى لما ردّ الأحامدة المحمل الشامى فى ٢٦ ذى القعدة سنة ١٢٩٥ هـ .

يا راكبا نحو القصيم وعارض * والى الحسا ثم العراق وشمّرا
عرج على قحطان ثم دواسر * وأخبر عُتَيْبة والدُّوَيْس وحسّرا
واقصص على العجمان مع حرب كذا * سكان حائل ثم تيم وخيبرا
وكذا جهينة مع بلِي ووائلِ * وأهالى مصر وشامنا ثم القرى
مع كل حى جئته فى فدفد * حتى الصغار من البنات العُذّرا
وأوص السعاة الى عسير وصعدةٍ * والراحلين الى الحجاز ومن ترى
أن يعلنوا هذا الحديث بأسره * لا يكتموا عمن أتى مستخبرا
إن الأحامدة الذين هم هم * بفعالهم قد حيروا كل الورى
ما كان يكفيهم تجرؤهم على * نهب الغريب وأخذ مال القصرا
وقتال زوار الحبيب وتركهم * بين الجبال مجندلا ومُعَفّرا
حتى استباحوا حرمة البلد الذى * هو دار هجرة خير من وطئ الثرى
هل لا أتاهم قول طه المجتبى * فى ذا الجوار الأعطرى الأنورا
أنسوا قواعد ربعهم فى بعضهم * من أن للضيفان حقا أوفرا
لم لا رعوها فى ضيوف نبينا * المرتجى يوم الزحام الأكبرا

تبعوا الهــوى فأغرهم وأقادهم * نحو القُرَيْش مظاهرين بلا امترا
وأتى الرسول من العقيد وفهدهم * لعــوائد الحج الشريف الأزهرا
أعطاهــمُ معتادهــمْ بتمـامه * ونهاهــمُ صــبرىٌّ باش وحذرا
ومن النظام(١) كثيره نحو البغا * ز وحول بئر علِّينا قد ســيرا
فبــدا لهم أن يقربوا نحــو الحمى * وأتوا بدار مظهريــن تجــبرا
ظنــوا بأن الله منجح ســعيهم * أو أنهـــم يمسوا كراما ظُفَّــرَا
ونســوا بأن الله منجــز وعده * وإذا أراد قضى المــراد ويسرا
فتحصنوا حول المدرج يرتجــوا * رد الحجيج ومحمـــلا والعســكرا
وتنــاولوا بالبغى بعض أباعر * من فوقها قِــرَب لذاك العسكرا
فعلا الصياح من الشوام لجاءهم * ابن سِمّدْيَنَة ؟ سعيد باشا حاسرا
ليث همــام قسورىّ عضــنفر * بطــل هزبر ماله مثـــل يرى
من تحته فرس كخيــل أبجر * صــيدا تراه فى الطراد إذا جرى
وغدا يكر بفرقة من خيــله * حتى التجا منــه العــدو الى ورا
وبقــاى عسكرنا النظام تبادرت * بالابتـــلاء الى القتــال تبخــترا
وابن الأطايب محسن بن حازم * مأمور ســيدنا الجليل الأقمرا
حامى حمى بــلد الاله وذخرنا * العبــد لى حســيننا عالى الذرا
ببياشــة(٢) الهيجاء مال لحـــرة * وعلا على فوق الكمين المخمرا
وأتى السميدع باشة البلد الذى * هى قبــة الاسلام حقا لا امترا
صبرىّ من بالصـــبر نال مراده * حتى أتاه الصــيد طعما حاضرا
تتــلوه خيـــل للمدينـــة سبق * ومدافع إذ كُورُها تَســعَّرا
وصــبا صبا نجــد يبشر ربعنــا * بالنصر من رب العباد الأكبرا
وغدا الرصاص من العساكر صوبهم * كالغيث منهلا عليهم مشــبرا
ورجيف أطواب المعــزة فوقهم * مثل الرعود من السحاب الأعكرا

(١) يعنى الجنود . (٢) العساكر غير المنظمة .

وطلائع الفرسان خاضت جمعهم * وتناولت روس الرجاء الشُّطَّرا
فحمى الوطيس وليس إلا هنيهة * حتى تفرق شملهم وتمزرا
ووطت عساكرنا فحول رجالهم * بين الفجاج مجندلين كأسطرا
وتنكست أعلام حرب مرتجى * طرق السلامة بالفرار الى ورا
حتى التجوا وجلا لعَيْر ليتهم * لما أتوها لم يبيتوا سهرا
ماذا لهاهم عن رجال شُمَّط * تركوهُم فى حالة لن تخبرا
تتصايح العقبان فوق لحومهم * ولها عجيج حولها وتشاجرا
وبجنح ليل شد باقيهم الى * أوطانه قَيْد العشارة حائرا
حتى أتوارحقان عاشت نسوة * لم يعهدوا هذا المصاب المذعرا
فغدون يضربن الوجوه تأسفا * يبكين ربعا حل فيهم ما جرى
ترثيهم حمر البراقع حرقة * أو مادروا أن الغرور مدمرا
ما كان يعلم شيخهم وعقيدهم * أن الحمى يحميه رب قادرا
أو قد رأى يوما كهذا عمره * أو قيل قط مثله أو يذكرا
قد قيل أن كبيرهم سعد الذى * يلقى الجموع بعزمه متدبرا
أوصى بنيهِ مع حذيفة انهم * لا يقصدوا دار الحبيب الأنورا
هذا جزاء المعتدين رءوسهم * مصلوبة للناظرين بلا امترا
وكفاهم بعد المعزة ذلة * بجماجم دفنت بجب أحقرا
كم يتموا طفلا وأبكوا طفلة * هذا بذاك قضى الاله وقدرا
والله ما كثر الغرور بغُزْوة * إلا وأمر الله فيهم قد سرى
فاخبر وحدث لا تخف من سامع * واقسم على من لم يصدق ما جرى
ان يأت عَيْرا سائلا عن يومه * وهل البسوس لحربه أو أكثرا
أو يسأل الغربان عما قد رأت * هل كان يوما مثل ذاك به قِرى
أو يسأل السِّرحان كيف صفا له * هذا الطعام المستطاب الأذخرا
أو ينظر البارود مع لاماتهم * بيد العساكر معْرضاة للشرا

أو يسأل العـقد الكبير ببابنا الـ * ـمصرى عن تلك الرءوس الجُزَّرا
فلعلهم من بعد هذا ينتهوا * عن قصد طيبة والطريق مع القرى
أو واعظا يخلقـه ربى فيهـم * من نفسهم يبقى عليهـم زاجرا
وآثن على السلطان دام علوه * عبد الحميد الشهم غازى الكُفَّرا
وعلى ولاة الأمر أعوان الهـدى * وأمير حج مع سـواريه السرى
وعلى البياشـة والنظام ومن غدا * يرمى المـدافع حامرا ومشـمرا
وعلى المحافظ وابن حازم محسن * وكذا عقيـل مع بواقى العسـكرا
وعلى الحسين أمير مكة سـيدى * وكذا المشـير على الولاية أمرا
واطلب اله العرش خير صـلاته * تغشى النبى الأبطحى الأعطرا
والآل والأصحاب ما بحـر بدا * طول الدوام على الجوار الأزهرا
لا زال ربى حافظا لمدينـة الـ * ـهادى الشفيع لنـا بيوم المحشرا
هذا وإن تمـامها تاريخها: * خسر العـدو وآب نادم حائرا

٢٢٠ ٩٥ ٩ ١١١ ٨٦٠
١٢٩٥

وإنا لم نذكر هذه القصيدة — ان صح أن تسمى قصيدة — مع كثرة الخطأ فيها الا لمـا حوته من تفصيل الحادث، ولنقدم اليك نموذجا من شعر الحجازيين الغث فى عصرنا الحاضر . ونقدم اليك قصيده جيدة أنشأها الأديب صارم الدين إبراهيم ابن صـالح المهتدى الهنـدى اليمنى يستنهض الإمام المتوكل لمـا ردّ الحج اليمنى من السعدية — ميقات الأعجام الشيعة وهى جنوبى مكة على مسير ثمـان ساعات منها وهى محاذية ليلملم ميقات اليمنيين — قال :

أظلمـا عن البيت الحرام تذاد * على مثلها الخيـل العتاق(١) تقاد ؟
وخسـفا يسـام الهاشميون إنهـا * لفادحـة فيهـا الحتـوف عتاد(٢)
فـلا نامت الأجفـان يا آل قاسم * وكيف وفيهن السـيوف حداد

(١) الكريمة النجيبة . (٢) حاضر مهيأ .

ولا حملتكم من نتائج داحس * شواذب[١] إن لم يستشب زناد
إذا لم يصن عرض الخلافة فيكم * فمن أين مجد طارف وتلاد[٢]؟
تدافعت البيد[٣] الموامى لقومكم * تدافع ذل فى ضماه[٤] ضماد
وردوا حيارى خائبين بصفقة * ينال بها ربح الردى ويفاد
وقد شارفوا أرجاء مكة وانثنوا * بفارقة تفرى الأديم وعادوا
بنى القاسم المنصور لا تحسبونها * بهينة لا بل عنا[٥] وعناد
فعزما فأنتم أسرة السودد الذى * مبانيه فوق النيرات تشاد
ألستم بأهل الركن والحجر والصفا * بلى وهى أركان لكم وبلاد
فلا تتركوا الأتراك فى جنباتها * على الغى قد ساموا القروم[٦] وسادوا
وصولوا صئولا يترك البحر جذوة * وحزما فمن فوق الجماد رماد
فيا آل قحطان ويا آل حاشد * وآل بكيل إن ذا لجهاد
يذاد عن البيت الحرام حجيجكم * كما ذيد عن ذئب الفلاة نقاد[٧]
فشدوا حزام الحزم فالطرف[٨] إن يدع * مشد حزام مال منه بداد[٩]
ألا أيقظوا نجل العيون عن الكرى * فليس بها إلا قذى وسهاد
اذا فاتها من أسود الركن نظرة * فلا دار فى أحداقهن سواد
قليل بأن نشرى منى بمنية * ليالى لقا تزهو بهن سعاد
ويجرع كأس الموت أن تذر زمزم * وأعوزت الوراد منه ثماد[١٠]

---

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق . (٢) جديد وقديم . (٣) البيد جمع بيداء وهى الصحراء يبيد فيها الناس ، والموامى جمع موماة وهى الصحراء أيضا . (٤) الضما مصدر ضمى اذا ظلم . ضمده كسره . (٥) العناء التعب . (٦) جمع قرم وهو السيد . (٧) النقد جنس من الغنم قبيح الشكل وراعيه نقاد والجمع نقاد ونقادة . (٨) الطرف الجواد . (٩) البداد اللبد الذى يشد على الحيوان تحت السرج أو البرذعة ليقيه الجراح . (١٠) الثماد جمع ثمد وهو الماء القليل .

ونحن التنا[١] المكروب فى عرفاتها * على وقفة فيها الحرور براد
ألذ وأحلى للكمى مذاقة * ألا انتبهوا ياقوم طال رقاد!
أتقذى عيون منكم بمذلة * وتغضى جفون حشوهن قتاد
أيصفو على ذا الضيم للحر مشرب * وكيف وشرب الهون منه يراد
دعوتكم هل تسمعون نداء من * يحرض لكن لا يجيب جماد
فياسيف سيف الآل من حسن أجب * لقد لقحت حرب وثار جلاد
أأحمد ماذا العود منكم بأحمد * ولكن حديث الضيم منه يعاد
فثر ثورة واغضب لربك غضبة * بعزم له فوق النجوم مهاد
وقل لأمير المؤمنين أمثلة * يراد بنا والمقربات جياد؟
لأية معنى هذه الخيل تدعى * وبيض المواضى والرماح صعاد
وفيم يجر الجيش وهو عرمرم * لهام[٢] به غصت ربا ووهاد
أغايته يوم الغدير لزينة؟ * وغاية جرد[٣] الخيل منه طراد
أبى الله! والدين الحنيف وصارم * على عاتق الاسلام منه نجاد
ويأبى أمير المؤمنين وبأسه * وفى الثغر والرأى السديد سداد
وانصاره الآساد أقيال يعرب * غطارف[٤] فى دين الاله شداد
فيأيها المولى الخليفة عزمة * فقد شاب فود[٥] واستطار فؤاد
فلا تبر أقلاما سواء[٦] لهاذم * لها من دماء المارقين مداد
ولا كتب الا الكتائب والظبا[٧] * ولا رسل إلا قنا وجياد

(١) هكذا فى الأصل والبيت يتزن ويستقيم معناه بوضع نرى موضعها . (٢) اللهام الجيش العظيم . (٣) جمع أجرد وهو قصير الشعر رقيقه . (٤) جمع غطريف وهو السيد الشريف .
(٥) معظم شعر الرأس مما يلى الأذن . (٦) بمعنى غير، واللهاذم جمع لهذم وهو القاطع من الأسنة .
(٧) جمع ظبة وهى حد السيف .

دعا أحمد الهادى بمكة مفردا * فمال ذووه عن دعاه وحادوا
وقام وجنح الليل داج إهابه * وما الكون إلا ضلة وفساد
فلما تجلى صبح أسيافه انجلت * حنادس غى واستنار رشاد
وأنت لدنيانا أجل خليفة * بكفك للنصر المبين قياد
فسير أمير المؤمنين جحافلا * لهن من السحب الثقال مداد
وحث بخيل الله وابعث رجالها * فقد ساء تأليف وعز زواد
وجهز صفى الدين يمضى بهمة * بأشراكها نسر السماء يصاد
وأيده بالأبطال أبناء عمه * وبابنك عن آل س[1] وساد
ولا تطو أحشاء الفخار على جوى * تأجج منه جذوة وزناد
أتقصى عن البيت العتيق ركابنا * ويهدم من آل النبى عماد؟
ألم تذكر الأتراك غارة أثلة * وأنود إذ ذاقوا الوبال وبادوا
ويارب يوم ذكروا فيه مصرعا * وللوحش منهم منهل ووراد
اذا أحرمت بيض السيوف بمكة * وفاض نجيعا أبطح وجياد
هنالك يشفى غيظ نفس كريمة * وقد حان من أهل الضلال حصاد
ودونكم الخزاء[2] من قلب عارف * لها حكم ما إن لهن نفاد
لقد أرسلت أمثالها وترسلت * فواضل فيها للعدو فساد
أصيخوا له سمعا وعزما بقوله * خطيب بليغ الواعظات جواد
سلام عليكم ان عملتم بحكمها * والا فلا جاد الديار عهاد[3]

رأى ابراهيم بك مصطفى فى سفر المحمل فى المستقبل

حضرة صاحب السعادة المفضال إبراهيم نجيب باشا

اطلعت على التقرير الذى وضعته اللجنة التى رأسها سعادتكم لتحقق فى حادث المحمل هذا العام ، ولما كنت ممن صحبوا ركبه وقد سبق لى الحج مرتين قبل هذه السنة أستسمح سعادتكم فى إبداء ما يأتى :

(١) هكذا بالاصل . (٢) يريد قصيدته . (٣) مطر .

وصف التقرير الحال كما كانت : ورفع مسئولية كان يتوهم بعض الناس أنها لاصقة بسعادة أمير الحج . الذى لا يستطيع أن يصف ما كان يكابده من العناء والمشقة والرغبة الصحيحة فى خير ركب يرى أنه مسئول عنه أمام الله والناس إلا من علم بالخُبْر لا بالخبر مقدار ما كان يعانى .

رسم التقرير خطة يجب أن يسار عليها فى المستقبل — والخطة هى السداد بعينها . ولكن ألفت نظر سعادتكم الى تعديل قد يكون مستحسنا فى الطريق الذى يجب أن يسلكه ركب المحمل فى زيارة المدينة المنوّرة . وذلك التعديل هو : أن يأخذ المحمل طريقه كما أقرّته اللجنة من جدّة الى مكة ومنها يعود ثانيا الى جدّة وبدل أن يسير الى ينبع يتجه الى الوجه بحرا ثم من الوجه الى العلا برا بالجمال مسيرة خمسة أيام، ومن العلا يأخذ طريق السكة الحديدية الى المدينة مسافة عشر ساعات تقريبا ، وتكون عودته أيضا من المدينة الى العلا بالسكة الحديدية ، ومنها الى الوجه بالجمال ثم يبحر من الوجه الى الطور .

ومن مزايا هذا التعديل :

(أوّلا) أن اللجنة قد حتمت على أمير الحج أن يعود بلا زيارة إن لم توجد الجمال فى ينبع فى ظرف ثلاثة أيام . ووجود الجمال فى هذا الظرف الضيق يكاد يكون مستحيلا لأن معظم الجمال تستعمل فى نقل الحجاج من مكة الى المدينة ، وما يوجد فى ينبع من الجمال يستخدمه الحجاج الذين يبكرون بمغادرة مكة الى جدّة فينبع بعد تأدية فريضة الحج مباشرة . والمحملان : المصرى والشامى لا يؤذن لهما عادة بالقيام من مكة إلا بعد سفر جميع الحجاج .

(ثانيا) اجتناب الطريقين : السلطانى والطريف الواصلين بين ينبع والمدينة ، لما فيهما من المشاكل ، فالعربان قبائل مختلفة كثير عددها وكل قبيلة أصبحت الآن منشقة حتى بعضها على بعض لا تعرف رئيسا واحدا ، وإنما رؤساء متعدّدون يكيد بعضهم لبعض بإيذاء المحامل عادة . وقد كثر منهم الطمع وزاد فيهم الشره الى حدّ لا يمكن الحكومة معه أن تسدّ شرههم هذا وتوفى أطماعهم تلك .

(ثالثا) تخفيف المشاق نوعا عن الحجاج لأن المسافة بين ينبع والمدينة من الطريق السلطانى وهو أقصر من الطريف سير ست مراحل طويلة فى ستة أيام . وأما من الوجه للعلا فخمسة أيام .

(رابعا) تخفيف النفقات لأن أجرة الجمل عن الطريق المسلوك الآن أصبحت باهظة فهى ستة عشر جنيها ونصف على الأقل، عدا ما يطرأ عادة فى كل سنة من الزيادات، من ذلك ستة عن المسافة ما بين جدّة لمكة ذهابا وإيابا فالباقى عشرة جنيهات ونصف عن كل جمل نظير قطع المسافة للمدينة فالبحر وهو شيء كثير . أما عن طريق الوجه فالأجرة لا تزيد عن خمسة جنيهات .

(خامسا) تحكير المحمل — على الطريقة المسلوكة الآن أو التى تقرّر أن تسلك — لمقوّم واحد أساء أو أحسن ، تعينه إمارة مكة وتعين له الأجرة ولا سبيل للتخلص منه أو للتدخل فى اختيار غيره، لذلك يتحكم فى الحجاج كيف يشاء .

ويتحمل منه أمير الحج غالبا الكثير .

أما اذا سلكت الطريق الأخرى التى أشير اليها فيكون للمحمل مقوّمان : أحدهما تنتخبه إمارة مكة ما بين جدّة ومكة فى مسافة لا أهمية كبيرة للمقوّم فيها بالنسبة لقصرها وعدم وجود مضايق فيها من وجهة، ولاستتباب الأمن فيها غالبا من جهة أخرى . وثانيهما لا تعينه الإمارة وإنما تختاره الحكومة المصرية بواسطة سليمان باشا ابن رفادة وهو رجل على ماهو مشهور عنه مخلص للحكومة المصرية اعتاد من سنين أن يخدمها فى طريق الوجه من غير ما طمع ولا أذى .

(سادسا) إن عربان جهة الوجه سهلة أخلاقهم بهم شيء من الوداعة بخلاف عربان ما بين ينبع والمدينة فان بأخلاقهم اعوجاجا ساعدت عليه كثرة المضايق وتزاحم الطلب على إبلهم، وقد شاهدت بنفسى فى الطريق ما بين المدينة والشام هدوءا فى أخلاق العربان مع الحجاج حتى لم أسمع بخلاف ذى بال بين أحد العربان والحجاج . وهذا يغاير ما كنت أرى من الشجار والشقاق الدائم بين العربان والحجاج فى طريق ما بين ينبع والمدينة .

(سابعا) يتوفر باتخاذ هذه الطريقة التى ذكرتها جزء عظيم من المرتبات الدائمة التى تصرف سنويا لعربان كل طريق يمكن أن يسلكه المحمل سواء سلكه أم لا . فلن تعود حاجة لإعطاء رؤساء قبائل هـذه الطرق ما كان يعطى ، ويكتفى باعطاء جزء منها الى سليمان باشا ابن رفادة نظير عنايته براحة الحجاج وتسهيل السبيل للمحمل ولعربان الطريق المسلوكة . والسلام على سعادتكم ورحمة الله و بركاته ؟

٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٦ هـ (٧ يونيه سنة ١٩٠٨ م)

(التوقيع) إبراهيم مصطفى (١)

ناظر دار العلوم سابقا

والى هنا تم بتوفيق الله وتيسيره الرحلة الرابعة ، وبها تمت رحلنا الأربع ، وبذلك قاربنا النهاية اذ لم يبق إلا خاتمة نلم فيها ببعض المواضيع الهامة ، والله يرشدنا الى مافيه الخير والمصلحة إنه ولى التوفيق ؟

(١) من عجيب أمر هذا الرجل العظيم ابراهيم مصطفى بك انه كان ينفق فى الحج كل ما جمعه من المال فى أثناء السنة ينفقه على الفقراء وأبناء السبيل وفى إصلاح ذات البين بين المتشاحنين .

٣١٨ الشريف عون الرفيق باشا اميرمكه الاسبق



318. The Sherif Awn ar-Rafiq Pasha Emir of Mecca.

خاتمـــة الرحلات

قد فرغنا من تسطير الرحلات الأربع وبقيت أمور لا ينبغى إغفالها خصصنا لهـا هذه الخاتمة وهى :

(١) إمرة الحج وشرعيتها وواجباتها وبعض وظائف الإمارة وما لأمير الحج من المنزلة والمرتبات فى الزمن السالف .

(٢) المحامل وتاريخها وبعض الطرق التى كانت تسلكها .

(٣) صـدقات المسلمين الى أهل الحرمين المكى والمدنى ويدخل فى ذلك قمح الجراية والصرة والكلام على تكيتى مكة والمدينة والمرتب فيهما للفقراء والمشرب الخيرى .

(٤) مالية المحمل منذ أربعين سنة أو تزيد أو الخيرات المصرية فى البلاد الحجازية .

(٥) سيرة عون الرفيق الذى كان أميرا على مكة فى رحلاتنا الثلاث الأول .

عون الرفيـــق

ليس أدل على سيرة عون الرفيق (فى الرسم ٣١٨) وفداحة ظلمه وتفاقم شره وتماديه فى غيه من كلمات ثلاث :

(إحداها) رسالة عنوانها «ضجيج الكون من فظائع عون» كتبها فى ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣١٦ هـ . السيد محمد الباقر بن عبد الرحيم العلوى يعدّد فيها مثالبه ويستصرخ الى خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد من ظلم هذا الأمير وبغيه .

(وثانيها) رسالة أخرى عنوانها « خبيئة الكون فيما لحق ابن مهنى من عون » خطها قلم الشريف محمد بن مهنى العبـدلى وكيل الإمارة بجدة وأمير عربانها ، وفيها يذكر مالقيه من حيف عون وعصابة السوء التى كانت تعينه على ظلمه ، وترى فيها كيف أن السلطان عبد الحميد كان جاثما فى قصره حوله حاشية فساد لا تعرف لها معبودا سوى المال ، وأنها كانت تحول بين الشكايات العادلة والسلطان .

(وثالثها) قصيدة جادت بهـا قريحة أمير الشعراء أحمد بك شوقى نشرت بجريدة اللواء فى العدد ١٣٨٣ الصادر فى يوم الخميس ٢٨ المحرم سـنة ١٣٢٢ هـ (١٤ أبريل سنه ١٩٠٤) ولا ننسى مائة وخمسين ألف جنيه يأخذها عون كل سنة ظلما وعدوانا من حجاج البيت الحرام .

الكلمة الأولى

"ضجيج الكون من فظائع عون"

(هذا بلاغ للناس ولِيُنْذَرُوا به وليَعْلَموا أنّما هو إلهٌ واحدٌ وليذَّكّرَ أُولو الألبابِ)

لك الحمد أما ما نحب فلا نرى * ونسمع ما لا نشتهى فلك الحمد

هذه نفثة مصدور، وصرخة موتور، الى أصحاب النظر والاعتبار وأرباب النفوذ والاقتدار من مشهورى العالم الاسـلامى وخامليه ومعتنق الدين المحمدى وحامليـه شكاية وأخبار بل إعذار وإنذار أوجبته الحوادث التى أذهلت العقول وحيرت العالم والجهول .

أمور يضحك الجهال منها * ويبكى من عواقبها الحليم

طالمـا كنا نسمع من الوافدين من بيت الله الحرام على تفاوت رتبهم ومقاماتهم من أخبار تلك الجهـة ما تتفتت له الأكباد ويذوب له الجمـاد من الظلم والاستبداد والعسف والإلحاد، على العاكف والباد، منسوب جميع ذلك الى أمير مكة الحالى الشريف عون الرفيق باشا أنقـذه الله من مهاوى الظلم فصعب على العقول تحقيق النتيجة من تلك المقدّمات التى لا يصدر مثلها عن عاقل و بقينا بين مصدّق ومكذب حتى برح الخفا وأسفر الصبح لذى عينين، وثبت ذلك بالتواتر القطعى ولم يبق للشك مجال ولا للمنكر مقال فى شىء من تلك الفظائع المتعـدّدة التى لا تدخل تحت الحصر على أننا سنذكر أنموذجا منها يكون عنوانا لمـا لم يذكر .

فمنها خيانة الإسلام والدولة بمكاتباته السرية مع دول النصارى لتمشية أغراضهم ثابت بعضها بالبرهان الصحيح و بالخطوط التى تحت يد الشريف محمد بن مهنى الموجود الآن بالأستانة وتحت يد غيره .

ومنها أكله معظم الجرايات والمعاشات المقررة من الدولة للبوادى والأهالى حتى اضطروا الى العصيان وقطع السبل و بذلك أصبح الحجاز من أخوف بلاد الله .

ومنها تسليطه ندماه وموظفيه السفلة على أعراض الرعايا وأموالهم حتى صاروا يعبثون عبث الذئاب فى الغنم .

ومنها إفساده كثيرا من موظفى الدولة فى مكة والأستانة واستخدامهم فى أغراضه الخسيسة بالرشوة حتى إن أحمد راتب باشا والى الحجاز الآن بعد فقره المشهور صار له رأس مال عظيم فتح به محلا عظيما للتجارة بمصر تحت ظل الاحتلال الانكليزى ولنا على ذلك أدلة نوافى بها عند الاقتضاء .

ومنها تداخله فى جميع دوائر الأحكام حتى لا يصير نقض ولا إبرام إلا طبق غرضه وبثمن ينقد الى يده وتركه الشرع الشريف والقانون وراء ظهره .

ومنها بيع المناصب باتحاده مع الوالى لمن يغالى بالثمن غير ملتفت الى لياقة أو عدمها .

ومنها اغتصابه مهور الأعيان ووضعها على ما شاء من مزوراته تغريرا للدولة وغشا لها .

ومنها إهانة من عظم الله شأنه من علماء الحرمين وفضلائها اذا لم يوافقوه على تُرّهاته كحبسه الشريف أحمد بن عبيد الله أمير الوادى سنينا عديدة حتى مات بالسجن مكبلا بالحديد لأمر ما . . . . .

وكفرشه(١) الشريف الكافوت أمير المضيق، وكفرشه الشريف أحمد المنديلى وحبسه، وكفرشه السيد العالم عمر بن سالم العطاس العلوى المدرس بالحرم لاحتجاجه فى واقعة حال بالفرمان الشاهانى المعطى للسادة العلويين بمكة ولأتباعهم الحضارم،

(١) طرحه أرضا .

وكفرشه السيد محضار السقاف العلوى المجذوب، وكفرشه السيد با فقيه العلوى ثلثمائة عصا لتزوجه بشريفة هو مثلها فى الكفاءة، وإكراهه على تطليقها، وكنزعه مفتاح البيت المعظم من سادنه المستحق له بالوراثة، مولانا الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشيبي وإعطائه لنديمه على الشراب الفاسق محمد صالح المشهور بالخلاعة؛ على ان النزع المذكور هو الأمر الذى نهى الله عنه فى كتابه، ووصف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاعله بالظلم فى الحديث الصحيح حتى لم يتجرأ عليه قبل هذا الخبيث لا بر ولا فاجر، ولم يجر فى ولاية خليفة ولا سلطان، من فتح مكة الى الآن .

ومنها تشريده بالتهديد والوعيد عيون أعيان مكة المكرمة وفاضلى فضلائها مثل العلامة شيخ السادة العلويين السابق بمكة السيد علوى بن أحمد السقاف العلوى، والسيد الفاضل العلامة السيد عبد الله بن محمد صالح الزواوى، وشيخ السادة السيد زين بن حسين الجفرى العلوى والعلامة مفتى الأحناف شيخ الاسلام بمكة الشيخ عبد الرحمن سراج، ومفتى المالكية الشيخ عابد، ونائب الحرم الشريف السيد إبراهيم ابن السيد على نائب الحرم، وترسيمه على الشيخ عبد الرحمن الشيبى بالهدا حتى مات بها محبوسا .

ومنها إحداثه العشر على الفواكه والخضراوات والحشيش فى مكة وبيعه التزام ذلك لخواصه حتى عم الغلاء والبلاء وصار ما ثمنه واحدا عشرة .

ومنها أخذه من الأغنام المجلوبة الى مكة خيارها وسمانها ومن السمن أحسنه ظلما بلا ثمن حتى قل الجلب وغلت الأسعار ومنها بيعه تقارير مشايخ الحجاج ومطوفيهم والمخرجين والزمازمة بأثمان باهظة على أن لهم أن ينهبوا من أموال الحجاج ما شاءوا وكيفما شاءوا .

ومنها أخذه من البدو الجمالة من الكرى ثلثه بعد أن كان يؤخذ منهم عن الجمل الى المدينة ريال واحد والى جدة ربع ريال، فنتج عن ذلك أن صار كرى الجمل الى

المدينـــة نحو ستين ريالا بعد أن كان نحو عشرة فقط، والى جدّة نحو ستة ريالات بعد أن كان نحو ريال واحد .

ومنها أخذه عن كل جمل ورد مكة شيئا من النقود بدعوى أن الدولة محتاجة الى تسخير البدو حتى يفـدوا أنفسهم وجمالهم بالمـال، ولذلك قل الوارد وغلت الأسعار وغلا الكرى على العموم :

هذه منه عشرعشر المخازى * وعلى هذه فقس ما سواها

غـــيره :

مساوى لو قسمن على الغوانى * لمـا أمهـرن إلا بالطلاق

ثم ما كفى هذا السفيه الأحمق ما ارتكبه من هذه القبائح التى سارت بها الركبان واقشعرت منها الأبدان وعيبت بها الدولة العلية بين الأمم المتمدّنة وزرع بها بغض الأتراك فى قلوب شعوب المسلمين حتى ارتكب ما اضطربت له أقطار الاسلام شرقا وغربا، وغورا ونجدا. مما له به سوّلت نفسه الخسيسة من محوه اسم السيادة عن أبناء الحسنين عموما، والسادة العلويين خصوصا، ومنعه من كتابتها لهم فى السجلات الرسمية وغير الرسمية، ومن التخاطب بها، وتهديده من تسمى أو سمى بها، أمر ما اجترأ عليه بنو حرب ولا بنو مروان ولا غيرهـم من الجبابرة والظلمة، وليت شـعرى ما الذى سوّلت له نفسه الأمارة، وهجس بفكره الفاسد من هذه الفعلة الفظيعة؟ وماذا يؤمله من النتيجة ينفى أبناء الرسول عن انتسابهم اليه ؟ أيظن الأحمق أن نغمته الذبابيـة تزعزع ذلك الجبـل الراسخ ؛ أو تهز ذلك الطود الشامخ ؟ ألم يعلم (لا علم ولا درى) أن أنساب السادات ليست مرتبة على حكمه وهذيانه ؟ إن لهم فى ضبط ذلك وحفظه دفاتر توارثوها أبا عن جدّ، وتلقوها كابرا عن كابر . كل طائفة منهم مهتمة بضبط أنسابها .

أما السادة العلويون فإنهم أحمد الطالبيين سـيرة، وأطهرهم سريرة، وأغزرهم حكمة، وأوفاهم ذمة ، وأزكاهم حقيقـة، وأقومهم طريقة ، وإن لهم فى نسـبهم

المؤلفات المفيدة ، والمشجرات العديدة، يتلقاها نجباء الأولاد والأحفاد، عن كرام الآباء والأجداد، حتى وقع الإجماع على ضبط أصوله وفروعه، واتفقت الأمة على جمع أفراده وتصحيح جموعه :

نسب له تعنو وجوه ربيعة * وتخر ساجدة تبابع حمير

غيره

وإذا استطال الشيء قام بنفسه * وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

لكن الغرابة والعجب العجاب ، والأمر الذى حار فى تأويله أولو الألباب ، هو سكوت الدولة العلية عن مثل هذه الأمور الجارية بمرأى ومسمع من موظفيها وهى فى ذلك بين أمرين : كلاهما قبيح وشنيع ، فإنها إما غافلة عن ذلك ، وتلك مصيبة عظمى، أو راضية بما هنالك، فالأمر أدهى وأمر، والمصيبة أعظم وأضر.

وما أظن الدولة تجهل أن بالغرب أكثر من اثنى عشر مليونا من المسلمين يسوسهم تاج العصابة الحسنية ، يأتمرون بأمره خاضعين لسلطانه ، يوالون من والاه، ويعادون من عاداه ، وأن باليمن الميمون والهند وجاوه وأفريقية وما جاور تلك الجهات أكثر من مائة وخمسين مليونا من المسلمين ، جلهم شيعة ومريدون وتلامذة للسادة العلويين منتشر بينهم الآن من نفس السادة العلويين أكثر من خمسة وعشرين ألف نفس ، على اختلاف طبقاتهم، المشاهد مشاهدهم ، والمعابد معابدهم ، والمنابر منابرهم، والمنائر منائرهم، ولهم الكلمة النافذة، والقول الفصل، بين تلك الملايين المستضيئة بأنوارهم ، المقتفية لآثارهم أترى تلك الملايين أو غيرهم ممن يؤمن بالله واليوم الآخر ويقر برسالة جدّهم الحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلم ويعرف أنه سبب الهداية والإرشاد يرضى بنفى السلالة التى أمرهم الله ورسوله بتعظيمها ، والانقياد لها ، والتمسك بهديها، لا والله . بل كلهم يعلم علم اليقين أن محوها محو للاسلام، واجتثاث لعروق الايمان، وأن قلوبهم لتضطرم نارا من هذه البدعة الهادمة لأركان الدين ، والفعلة التى اجترأ عليها رئيس المفسدين ، ولئن دام هذا الحال ولم تكبح هذه الدولة مجنونها وحَجَّاجها وتنقذ أشرافها وحُجَّاجها ليتطايرن

شرر هذه المفسدة (لا سمح الله) الى محوما لهذا الخليفة الحالى من الخلافة الدينية والسيادة الملية وليصرخن بذلك خطباء المنابر ودعاة المنائر، فما قتل عثمان (رضى الله عنه) إلا بجرائم مروان ، وما لعن يزيد إلا بفعل ابن زياد ، وحينئذ ترقص أعداء الدولة (لا قدّر الله ذلك) طربا واستبشارا وفرحا بضالتهم المنشودة إذ طالما خطبوا بالأصفر الرنان ما هو أقل من هذا .

ولولا أن لنا أملا وطيدا ورجاء أكيدا فى غيرة وحمية مولانا أمير المؤمنين السلطان الغازى عبد الحميد خان جعل الله التوفيق له رفيقا لباشرنا ما أشرنا اليه من الانقلاب، وأخذنا فى التأهب لتلك الأسباب، ولكنا نتربص وننتظر ريثما يبلغ هذا الكتاب اليه ، ونتلى تلك الفظائع عليه، فإن أثمر لنا غرس الأمانى، وقطع بحسام عدله يد الجانى، وعلم — ألهمه الله الرشاد — أن كل من يمدح ذلك الطاغى أو ينافح عنه ممن اشترى الدنيا بالدين، وغش الاسلام والمسلمين، فذلك الأمر المطلوب ، والغرض المرغوب، وإلا فلتبك على الخلافة البواكى، وليحك عن بنى إسرائيل الحاكى، ويتسع الخرق على الراقع .

ولقد كان يسىء كثيرا من الناس استيطان بعض السادة العلويين تحت سيطرة النصارى، ولكنهم الآن صاروا مغبوطين بذلك، ألا ترى أن صديق انكلترا وحبيبها الشريف عون الرفيق المذكور قد أبقى اسم السيادة لكل من هو من رعايا الانكليز من العلويين، ومحاذلك عمن هو من رعايا الدولة العلية منهم، ولعمرى إن فتوى علماء الجزائر بسقوط الحج التى نقلتها ثمرات الفنون فى العدد ١٢٢٦ منها عن المبشر لفتوى صحيحة كيف لا، وقد صرح العلماء بحرمة الذهاب للحج إن عرض الحج نفسه بذلك للظلمة، ولعل التعليل بخوف المرض قصد به ذلك المفتون التلويح بما به فى هذه العجالة التصريح والشوط بطين ويكفى من العقد ما أحاط بالجيد .

فأوجه خطابى أوّلا للحضرة السلطانية وفقها الله لكل خصلة رضية ثم الى أهل الحل والعقد وأرباب الوظائف ثم الى ذوى النفوذ والكلمة المسموعة ثم الى حملة

المنقول وصيارفة المعقول ثم الى أصحاب الصحف والأفلام ثم الى عموم أهل الاسلام لينظروا فى هـذا المهم، وليسعوا فى كشف البلاء المدلهم فقد بلغ السيل الزبى وضاق صـدر الإمكان، عن الكتمان، والله المستعان، وعهدنا بدولتنا تحب الناصحين وتبل رحم سيد المرسلين .

وهنا ربما اندهش القارئ لسكوت جرائد الأجانب عن الإشارة الى شىء ممـا شرحناه مع وقوفها للدولة العلية بالمرصاد ومحاسبتها لها على الأنفاس وترقبها لكل بارقة فاذا صار ببلاد الدولة أدنى أمر نشرت له الأعلام وضربت به الطبول ونفخت له البوقات وزمجرت به الخطباء وجسموه بمكبرات أغراضهم حتى يتخيل السامع أنه أمر عظيم، وخطب جسيم فكيف يسوغ سكوتها طول هذه المدّة على هذه الفظائع المتكررة الجارية على مرأى ومسمع، وجوار من قناصل الدول، أترى سكوتها عن ذلك محبة للدولة أو سترا لمساويها؟ لا والله ! ما غرضها إلا تمادى هذا الأمير الظالم الملحد فى هذه الفظائع حتى يعود الحجاج الى أوطانهم وأصقاعهم ناشرين تلك القبائح متذمرين من هذه الوقائع فيبذرون بذلك البغضاء والكراهية لدولتنا بين عوالمهم ولا لوم عليهم فى ذلك، إذ من المعلوم البديهى سياسة وديانة أن أحق بلاد الله من الدولة بالإصلاح والالتفات التام هى قبلة المسلمين ومدينة سيد المرسلين، والمسلمون متفرّقون فى أقطار الأرض وجلهم تحت سيطرة الأجانب وقلوبهم عاكفة على حب الدولة وصدورهم ممتلئة بتعظيمها، وهم لا يعرفون منها إلا الاسم ولا يقصدون من ممالكها إلا الحرمين فيقيسون عليهما ماسواهما من ممالك الدولة قياسا أولويا وتشهد لهم بهذا جرائد الأجانب لأن ضالة تلك الجرائد هى خدمة دولها وليست ككثير من جرائدنا التى طالمـا أضجرتنا بأخبار سفر فلان ووصول فلان، ونحو ذلك من الهذيان وتسكت عن نصح الدولة وتشارك خونة الملة والدولة بسكوتها عنهم إما بأجرة زهيدة أو خوف من وهم لا ظل له من الحقيقة، فجرائد الأجانب بسكوتها هذا قد استحصلت على الغرض الوحيد لدولها من نفور قلوب عوالم من المسلمين عن ولاء الدولة ورضاهم بماهم فيه من حكم الأجانب لأن بعض الشر أهون من بعض، كما أنها قد أفقدت الخليفة

نفوذه الديني بين كثير من مسلمى أقطار العالم وحيث إنه ليس لمولانا أمير المؤمنين حفظه الله عين يبصر بها ما غاب عنه ، ولا أذن يسمع بها المنادى من بعيد فأنشد الله كل موحد وقف على هـذا أن يسعى جهده فى إبلاغه اليـه أو الى من يبلغه اليه سائلا له ومقسما عليه بحرمة المصطفى وأخيه وأهل بيته وأصحابه وذويه أن يبذل غاية جهده وما فى وسعه فى إشاعة هذا ورفعه وترجمته ونقله وإشهاره محبة للأمة ونصحا لسلطانها ، وإلا فهو عدوّ لله ورسوله ، وللعترة الطاهرة وللملة والأمة ، غاش لمن ذكر للسلطان مشارك لهذا الظالم فيما يستحقه ، وخصمه غدا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وربك يعلم المغرور من المعذور ﴿وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون﴾ وقد بعثت كتابى هـذا الى أنحاء المعمورة لكل مذكور طالبا للتعاون على البر والتقوى غير قاصـد لشيوع الفاحشة بل عامل بقوله تعالى ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ وفار من عموم الهلاك الناشئ عن ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعند انتهاء أربعة أشهر من هذا التاريخ لى عودة (أغنانى الله عنها) إن اقتضى الحال يستمر بعدها ما نرجو من الله ألا يحوجنا اليه بمنه وكرمه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله وسلم على خير خلقه سـيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ومن تبعه ووالاه . حرّر فى ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣١٦ هـ خادم الطلبة

السيد محمد الباقر بن عبد الرحيم العلوى

سامحه الله آمين

الكلمة الثانيـــة

"خبيئة الكون فيما لحق ابن مهنى من عون"

الحمـــد لله

شكوى غريب به قد شطت الدار * سعى ولكن له لم تقض أوطار

شكرا لصنيع يد الصحف الكفيلة بنشر ظلامة كل مظلوم ، طيا لبساط الجور المستنكف من استعماله من أيقظه من نوم الغفلة تتابع العـبر ، وقياما بحق الجنس المكرم ، وردعا للصائل ، وحضا لأولى القوة على قطع دابر الذين يسعون فى الأرض

فسادا، وإبقاء للمخزيات على مستحقها بقاء يزاحم النيرات، ويجلب لصاحبها مقت أهل الأرض والسموات، فنعمت الناصرة هى للمحق حتى يؤخذ له الحق، ونعمت الفاضحة هى للمبطل حتى يستقيم أو يجرى عليه ما استوجبته بوائقه، فهى ألسنة أنطقتها همم المتمدنين وباهى بسيرها البدر حزم القادرين فأصبح الصارخ بها مجابا لا يخشى بصدعه بالحق عتابا رغما عن تصامم الغاوين الذين حقت عليهم كلمة الهمجية وألجمت الرشا أفواههم عن تبليغ الحق الى الذات الملوكية حالوا باقترابهم من الملوك بين اللاجئين، وبين مايشتهون ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون﴾ بهم انقطعت الحيل إلا بالإهداء اليهم وكاد يزيغ قلوب فريق من المعتدى عليهم لولا التمسك بحبل الرجاء فى فضل مهدى الرشاد بتأييد عبده الذى اختاره للقيام بمصالح العباد أميرالمؤمنين المسئول عن الدانى منا والقاصى، والطائع والعاصى، فالى أعتابه السامية أرفع مالا يرضاه لى من مصاب قذفت بى قواذفه الى فيافى الجهات وأمصارها ونسجت لى يد انقلاباته حللا منيت بعد عرفانى بإنكارها تقطعت لحوقه بى أكباد آل البيت فركنت الى ليت وهل ينفع شيئا ليت ؟ رمتنى فيه سهام بنى أبى بما أفضى الى الاستجارة بالغبى قسيم الحجر الأسود فى لقبه، وفى قساوته الدالة على نسبه .

قال النبى مقال صدق لم يزل * يتلى على الأسماع بالأفواه
من غاب عنكم أصله ففعاله * تنبيكمو عن أصله المتناهى
فزعمت أنك من سلالة ماجد * أفأنت أصدق أم رسول الله ؟

أرقاه رقيا صعبا بخته فكنت فى استجارتى به كالنضر إذ قالت فيه أخته

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحام هنـاك تمـزق

مصاب له نبأ تقشعر الجلود عند استماعه، وتستسمج النفوس مصدر إيقاعه أوقعنى فى حبائله التحلى بزينة «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» والتخلى عما يوجب الدخول فى هاتيك المضايق وهو أنى كنت وكيل إمارة مكة على إدارة أشغالها بجدة مغنيا لها فى المشكلات عن عدد وعدة وأميرا على العرب الضاربين بضواحيها والوافدين إليها من نواحيها قائما بالحق اللازم سنين عديدة، حاملا من اعباء تلك

الوكالة أثقالا أصبحت غير مفيدة الى أن كلفنى جناب الأمير دولة سيادة الشريف عون الرفيق باشا بتكاليف سياسية تأباها التبعية للخلافة العظمى، فسوّفته فى إجراء أوامره فيها درءا للفضائح ناصحا له فلم تجد النصائح — أرأيت صبا يألف النصاحا — ولما تفاقم الأمر وكاد يصل السيل الزبى، واسودّت وجوه النصائح وتفرّقت أيدى سبا، جنحت الى تقديم استعفائى من وظائفى مرارا، حرصا على السلامة مما يورث بوارا، وكان قبول آخر استعفاء منى فى الثامن والعشرين من جمادى الأولى عام ستة وثلاثمائة وألف عندما يئس الأمير من طاعتى له فيما تقدّم ذكره فحمدت قبوله استعفائى، وعظم فى نفسى شكره فاستمنحت من سيادته الإذن بإجراء حساب ما كنت مكلفا به من المعاملات بأمره لتبرأ ذمّته ولأخلص من طلب زيد العالم وعمره فأعرض زافرا زفرة القيظ، وكاد يتميز من الغيظ فانتظرت رجوعه الى الحق ولم أرض خلق من عق، فتمادى فى إعراضه وحب نفوذ أغراضه، فاضطررت لوفور المبلغ المطلوب منه الى الإنهاء فى ذلك الى والى الحجاز فى ذلك التاريخ دولة نافذ باشا فالتمس من حضرة الأمير الإجابة الى ما أنهيته اليه فيه فأمر الأمير بإشخاصى من جدّة الى مكة فحضرت لائذا بالحكومة، طالبا من الوالى إجراء الحساب مع من ينوب عن الأمير بمعرفة الحكومة خوفا من الغدر وللنجاة مما حاك فى الصدر فامتنع الأمير من ذلك فاضطر الوالى بعد مراجعة طويلة الى أن بعثنى اليه مصحوبا بمعيته مشيرا بذلك للأمير أنه لم يسمح بارسالى اليه إلا مكرها، فتجاهل عن معرفة مقدار اعتناء الوالى بشأنى فأمر بإيداعى السجن مطوّقا بالأغلال غير مكترث بعلم الجمهور وإعوال العيال، فمكثت فيه شهرا لم يزرنى غير المهدّدين لى من خدم قصره بالقتل، وفى كل ليلة لى بفريدة من المروّعات مضاجعة مؤذنة بالختل فى بيت ما أشبه نهاره بليله وما أشبه جرذانه ببغال الإصطبل وخيله :

بيت تبيت الجن تحرس نفسها * فيه وتندب باختلاف لغاتها

فيه خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها

يروم الأمير بذلك التهديد الحصول على بعض حجج تحت يدى عليه متضمنة لما كنت مكلفا به من حضرته ، ولما قضى بحق لى وللناس فى ذمته ، وقد لحق أهلى من الفزع ما ألزمهم الجزع لهجوم الحادث بغتة ولجزمهم بأن الجائر لا ترجى منه لفتة ولا فلتة ، ولمنعهم من الوصول الىّ ولعدم معرفتهم بوجه التحامل بالسجن علىّ فتتابعت منهم الإنهاءات الى الوالى فلم تثمر إلا استحصال الأمير على بعض الحجج المذكورة كرها ، وبعضها الآخر لم أزل عاضا عليه بالنواجذ الى الآن ولما أخذ الحجج التى اغتصبنى إياها أمر بإجراء الحساب فى السجن طبق هواه على يد كتبته ، فذكرت قول القائل لرفقته :

إذا جار الأمير وكاتباه * وقاضى الأرض داهن فى القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضى الأرض من قاضى السماء

فأفضى عمل الحساب الذى بالدفاتر وقد رضيه الأمير الى أن ذمته عمرت لى بأربعة عشر ألف فرنك ومائة وخمسة وستين فرنكا : أى تعمير ما هو بثلاث حجج ممضاة بطابعه بها أربعة وخمسون ألف فرنك وأربعمائة فرنك دون ما بذمة كاتبه وتابعه فجملة ما بالدفاتر وما بالثلاث الحجج المذكورة ثمانية وستون ألف فرنك وخمسمائة وخمسة وستون فرنكا محصورة وبعد موافقته على ما بالدفتر واعترافه به وعد بالوفاء عندما تسمح له فرصة الإيسار بدفعه :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها إلا الأباطيل

لم تفدنى مطالبته ولا الاستعانة بالوالى على ذلك إلا الحرمان الى الآن والاغتراب عن الأوطان :

يا ساكنى البطحاء هل من عودة * أحيى بها يا ساكنى البطحاء

ولى بذمة كاتب سره العربى محمد عبد الواحد الحظيظ لديه ثمانية عشر ألف فرنك وثلاثمائة وعشرة فرنكات بحجج عليه أبى الوفاء بها اتكالا على مخدومه فى إلغاء ما ينهى اليه فيه من مظلومه فعمدت الى تعيين وكيل يخاصم الكاتب المذكور لدى الوالى وكان الوالى يومئذ بالطائف وأنا بجدّة فطلب الوالى من الأمير إلزام كاتبه

بدفع المبلغ المذكور أو المحاكمة فلم يجب الأمير إلا بنفى وكيلى و بإشخاصى الى الطائف تحت مراقبة حرس الحكومة فأحضرت بعد سجنى بجدّة ومكّة ماقى فى سجن الطائف محوقلا حوقلة المترقب الخائف فبلغ الوالى أنى بالسجن صبيحة يوم وصولى وقد يئست من بلوغ مأمولى فأحضرنى الوالى من السجن متأسفا على ما أبداه الأمير من المفظعات ورق ولكن هيهات الظفرهيهات ثم أمرنى بأن أكون ضيفه فظننت أنى أمنت سطوة الساطى وحيفه ثم إنه طلب منى جميع الحجج التى لى على الأمير وكاتبه غذىّ إشباعه فبادرت بتسليمها اليه وفيها رسم على إبراهيم العراقى أحد أتباعه متضمن أن لى بذمته اثنى عشر ألف فرنك وخمسمائة لم يدفعها إلىّ الى تلك الغاية فأمر الوالى حافظ مكاتيب الولاية بترجمة مضمون تلك الحجج فترجمت وقرائن الحال مانعة من اعتقاد خلاص المال فصدّق قرائن تلك الحال بلا توقيف قول الوالى لى أن الأمير امر بإجراء الحساب بينك وبين كاتبه بدار عمر نصيف أحد مشاهير أتباع الأمير :

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو العدوّ لكل طرف لاحظ

وقوله أيضا لم أستطع إكراه الأمير على خلاف ما ظهر له أحسن أم أساء لتردّده علىّ صباحا ومساء ولتعجيزه إياى بالترجى و إقسامه علىّ بصلاتى وحجى ثم استحسن الوالى توجهى ولو مرة واحدة مع وكيل خرجه ومعينه الى المحل الذى أمر الأمير بإجراء الحساب فيه بينى و بين كاتبه بعد تعيينه على أنى إن لم أجد للخلاص وجها لديه أرجع اليه صحبة رسوليه فتوجهت ممتثلا فلم أر إلا إرهابات من أعوان الأمير تشيب الرءوس وتقضى بأنهم أشأم على الأيام من البسوس بما أبدوه من التحيلات على نهب الأوراق والحجج منى لكن الله كفانى شر النهب المذكور بما أغنى عنى فرجعت الى الوالى أناورسولاه بخفى حنين شاكيا اليه ما لاقته النفس والعين فأمرنى بتحرير معروض يتضمن طلب نشر الدعوى لدى الحكومة فحررته فأحيل الى مجلس إدارة الولاية فبينا أنا بالمجلس يوم انعقاد جلسته بين يدى الوالى إذا بمعين الأمير قد دخل علينا وطلب من الوالى مثولى بين يدى الأمير بدعوى أنه يريد أن يسألنى سؤالا شفاهيا فأمرنى الوالى بالتوجه اليه لما ذكر فأفهمته أنى غير آمن على نفسى من شر هذا

التوجه اليه لما سلف من الغدر فاستبعد الوالى أن يصدر من الأمير ما يخل بقانون استدعائى من مجلس الحكومة ورأى أن لا بأس بإجابته فتوجهت ممتثلا فلم يكن إلا كحل عقال حتى أودعنى السجن غير مبال بحال ولم يصل الى الوالى خبر إيداعى السجن المبير إلا فى وقت لم نتيسر فيه مخابرة الأمير وقد رق ثوب الأصيل وانقطع صوب التحصيل فبعث الوالى إلىّ بالسجن أن المخابرة مع الأمير فى شأنك ستكون صباح غد فبت به ليلة كليلة ذى العائر الأرمد ولما لألأ الأفق ذنب السرحان وآن آنبلاج الفجر وحان أخرجنى السجان فى هيئة يأنف منها السمع من نصها وتأنف المحافل من قصها فأركبنى دابة وأوكلنى الى أربعة من أعوان الأمير فانصرفوا بى غير عالمين الى أين المصير ولما فارقنا عمران البلد وقد تركت فيها غير مودع فيها الأهل والولد أنزلنى الأعوان المذكورون كأنهم لآت بتعيين جهة النفى ينتظرون فطلع علينا من نحو البلد آثنان من أعوان الأمير فلما وصلانا أسرا الى الأربعة الذين معى حديثا ورجعا فتوجه الأعوان المذكورون بى الى مكة فأودعت سجن الإمارة ذلك اليوم كله أكابد كربا ووجعا وفيه أخبرنى نائب الأمير بمكة أنه ورد اليه «تلغراف» منه يأمره فيه بتخلية سبيلى فى التوجه الى جدّة فأتيت جدّة أحير من ضب وأيأس من عليل أعيى داؤه من طب فأعلمنى نائب الوالى بجدّة على لسان الوالى بما يشعر بإضاعة سعيي وخيبة آمالى .

ألا قولوا لشخص قد تقوى * على ضعفى ولم يخش رقيبه
خبأت له سهاما فى الليالى * وأرجو أن تكون له مصيبه

ولولا خوف الله باجتناب آرتكاب النواهى لكان فى الإمكان إكراه الأمير على الإنصاف باعمال الدواهى ومثله آتقاء فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يعنى نبأ آشتباه البرىء بالمجرم فيها قاصمة وإباء الشرف أن يبدو من صاحبه ما لا يليق مما هو بآل البيت النبوى غير خليق والخضوع لجلالة الخلافة خضوعا وجوبه على المؤمن يحرم خلافه فالخليفة لا وجه لأحد فى عصيانه وإن زخرف المرجفون فى المدينة أرجحية عدل الأمير وميزانه ولقد تغلب على الأمير بشق عصا الطاعة غير واحد

وفى خبر السرورى وعبد الله بن واصل إرغام لأنف الجاحد أرضاهما الأمير رهبة منهما بأكثر مما يستحقانه وحازا من الشهرة ما بها أشار اليهما العالم ببنانه أما أنا فكم نار فتنة كان إخمادها بتدبيرى كالشمس فى رائعة النهار فعلى حسن ما كنت عليه من النصائح جوزيت جزاء سنمار ، فقصدت دار الخلافة معتصما بأبوابها آملا نجاح السعى برفع شكواى الى أعتابها فلما بلغ أمير مكة خبر وصولى الى الأستانة أنهى الى الباب العالى أنى آختلست أسلحة أميرية وفررت بها وطلب إرجاعى الى مكة بتلك الأفيكة فاحتسبت عليه الله مليكى ومليكه فبحث عنى بالأستانة متنكرو الضبطية فأحضرونى بعد العثور علىّ الى ناظرهم صاحب العطوفة كامل بك فقررت له بعد الاستفسار ما اقتضت الحقيقة تقريره فلما وصل الى كنه المسألة بنباهته الغزيرة أمرنى بتحرير لائحة فى ذلك وتقديمها رسميا فحررت لائحتين إحداهما له والأخرى لصاحب السعادة قادرى بك أحد مأمورى «المابين» فثبت بعد البحث والتحقيق لدى ناظر الضبطية المذكور أنها أفيكة أفاك على غير سفاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال .

وقد عرض ما طلب به ناظر الضبطية على الأعتاب السلطانية ومثلها اللائحة المقدمة من طريق سعادة قادرى بك المذكور وصدرت الإرادة بأنه إن كان ما تضمنته اللائحة من نسبة ما فيها الى الأمير بحجج تثبت ذلك فلتعرض أفاد ذلك كله سعادة قادرى بك فبمقتضى الافادة المذكورة أبرزت ستة مكاتيب أنا مخاطب بها من حضرة الأمير فى شأن الأسلحة الواردة اليه من الخارج وفى المخابرة الشفاهية مع بعض معتمدى دولة الانكليز والكتب المرسلة منه اليهم على يدى وسلمتها الى سعادة قادرى بك ومخائل حبه نجاح سعيي لائحة على وجهه فله منى على الدوام حسن الذكر وتخليده بصفحات الدفاتر والفكر، فلقد قاسى من مكابدة موانع المتعرّضين ما استوجب به الثناء الجميل الثمين ، اثنان من المكاتيب الستة المذكورة بخط يد الأمير وواحد بخط كاتبه ممضى بطابع الإمارة والثلاثة الباقية هى خطاب لى من الكاتب تحت إمضائه على لسان الأمير ومع المكاتيب المذكورة ثلاث بطاقات بخط الكاتب

بدون إمضائه على لسان الأمير أيضا ثم إنى أقمت بالأستانة منتظرا بلوغ المرام بحسن نية باستحسان من سعادة قادرى بك وعطوفة ناظر الضبطية معتكفا على تحرير معروض بعد آخر الى مقام الصدارة العظمى ونظارة الداخلية فى خلاص ما تقرر لى نحو الأمير وتابعيه فلم أنل غير حظ التعب بدعوى أن محاكمة الأمير لا تسوغ إلا بنص إرادة سنية فالتفت الى الاشتغال بتحرير معروض بعد آخر أيضا الى الأعتاب الشاهانية فلم أظفر إلا بطول الانتظار والتقلب على جمر غضا الادكار فصرفنى عدم اليأس من الفرج والاعتبار بإهلاك من ذب من الجبابرة ودرج الى إنهاء « تلغراف » الى الذات السلطانية ففى ثالث يوم من إنهاء « التلغراف » دعيت الى « المابين » بواسطة عون من أعوان الذات الملوكية أوصلنى الى الكاتب الأول بالمابين دولة ثريا باشا فسألنى بعد الاحتفال بى والاعتراف عن موجب إنهاء « التلغراف » فأجبته بأنه مقرر فيما قدمته من اللوائح والمعروضات وأرجو أن أتشرف بالمثول لتقبيل الأرض بين يدى أمير المؤمنين ذى الكمالات فجنح الكاتب الأول بالمابين المذكور الى الملاطفة بقوله تعلقت إرادة أمير المؤمنين بتوضيح حقيقة الأمر ولئن مكنتنى مما يوضح أمرك لأعرضنه فورا على حضرته فناولته نسخ المعروضات واللوائح المتقدم ذكرها فأمرنى بالرجوع الى محل استقرارى الى أن يبعث لى بما يسر الفؤاد فانتظرت وعده أياما فلم يأت الانتظار بما أفاد فأتيته مستفسرا طالع الخبر لديه فأظهر لى أنه أشبه الناس بى فى إبهام الأمر عليه فرجعت من مقره أجر أذيالى منشدا لسان حالى :

أيا سكر الزمان متى تفيق * ويا وسع المطالب كم تضيق
ويا نيل الحظوظ أما اليها * بغير مذلة أبدا طريق

وأقمت بالأستانة عاما يضرب بشؤمه المثل فى مداراة قوم كالخشب المسندة والأثل هم أضر على الوافد من قطاع الطريق تعهدوا بعدم وصول حقيقة الى محل التحقيق باعوا حظهم من الآخرة بالدينار وتردوا بأردية الخزى والعار هم أشهر

بالاستانة من نار على علم وأشدّ ضررا على المضطر من ملازمة الألم يحسبهم الجاهل بنى آدم وقد ضرب بأمثالهم المثل فى الحمق فيما تقادم :

لا يغـــرنك اللبـــاس * ليس فى الأثواب ناس
كم يد تصـلح للقطـــع * وقد أضحت تبـاس

بتهديداتهم الافكية بارحت الأستانة الى مصر المحمية فى وحشة الضالع الضليل . قائلا عسى ربى أن يهدينى سواء السـبيل وأنهيت بوصولى مصر الى الأعتاب السلطانيـة « تلغرافا » مستمدا من بحر فضلها ما يغترف اغترافا ومسترحما عدالتهـا ومستمطرا إغاثتهـا فورد لى « تلغراف » من الكاتب الأول بالمـابين فى أواخر ذى القعدة عام سبعة وثلاثمـائة وألف هجرية يأمرنى فيه بالرجوع الى دار الخلافة بموجب إرادة سنية فقلت : لعل غرس التمنى أثمر أو ليل كربى قد أقمر فرجعت اليهـا جازما بالنجاح أحث نفسى فى السـير بحى على الفلاح ويممت يوم وصـولى الأسـتانة مقر الكاتب الأول بالمـابين وأنا قرير النفس والعين فأمرنى بالإقامة بدار صـاحب الرشاد الشيخ محمـد ظافر ذى البركات والإفادات السوافر فى ظل ضيافة أمير المؤمنين بموجب إرادة منـه فى الحين فهنأت نفسى بمورد تلك الإرادة وبشرتهـا بالحسـنى وزيادة لمـا اشتملت عليـه من الاعتناء بشأنى بواسطة العون السلطانى المبعوث بى الى دار الشـيخ المذكور ذى الفعل الحميـد المشكور فأقمت ضيف مقام الخلافة عاما لا أذم بدار الشيخ إكراما وإنعاما أتبع المعروض الى الأعتاب السلطانية بمعروض وأتابع بين الثناء على حضرتها والدعاء المفروض والشيخ المذكور لم يأل جهدا فى تحريض الكاتب الأول بالمـابين وحثه وتبيين ثمين الأمر له من غثه .

ولكنما الأمر يا ذا العريف * رهين بوقت له أقتـا

ولاعتماد الأمير على شيطانه بالأسـتانة قطعت عنى رسائل الاستعانة وهـدد خلطائى بالانتقام لإقرائهم إياى السـلام وأنظاره متوجهة الى أسرتى بمـا لا يطاق من الهوان فهلك من هلك منهـم وهاجر من هاجر الى الآن ولم يبـق إلا الأرامل والأطفال يتجرّعون غصص الصغار والنكال أخرجهم من دارى التى لا ملك له فيها

ولا شبهة وكلفهم اكتراء غيرها تحكما ولطا فى الجبهة . ولما ضقت بالأستانة ذرعا ويئست لجدب المرعى ، وفشا من أهل الشر التحكم ، وطالت يد التهكم ، وكثرت التهديدات لى بمفاجأة الأذى ، من المحافظين على بقاء نفوذ الأمير بطمس عين الحق بإلقاء القذى ؛ ولم يمنعهم كونى فى حمى ضيافة الخليفة ، من عمل السفهاء أولى الأحلام السخيفة ؛ ذاكرت الشيخ الذى أنا بداره ضيف أمير المؤمنين ، فى تصميمى على مبارحة الأستانة اتقاء شر المجرمين ؛ فرأى أن من الواجب تحرير بطاقة فى ذلك الى الكاتب الأول فحررتها وأعطيته إياها فأبلغها الشيخ الى الكاتب بمحضر ناظر الداخلية سابقا منير باشا وأمين المدينة الحالى رضوان باشا أخبرنى بذلك كله الشيخ المذكور فباليأس من الجواب عن البطاقة بعد أشهر من تحريرها ، وبعد إعادتى على الشيخ مسألة تصميمى على المبارحة وتكريرها ؛ بارحت الأستانة الى الديار التونسية ومن تونس أنهيت سبع برقيات الى الأعتاب السنية بواسطة بعض من رجال « المابين » المصادمين كل ذى شين ، فأنبئت أنه منعها من الوصول المانع الأول ، بغروره الذى زين له الشقاء وسوّل :

حسنت ظنك بالأيام إذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

لله فى إجراء الشر على يد من شاءه حكمه هى أغمض من إدراك المشاهدات على الأكمه ، جعل الله كيد المانع فى نحره ، وأوقعه فى شؤم حبائل سحره . وكان وصولى الى تونس فى شوّال عام ثمانية فأقمت بها عاما وثلاثة أشهر بالغا ممن أنا نزيله أمانيه مثنيا عليه بما هو أهله ، داعيا له أن يتصل به من المحامد سؤله ، والنفس لا زالت مشتاقة الى مسقط رأسها توّاقة الى الاستضاءة بمصباح أرضها ونبراسها :

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى * وأوّل أرض مس جلدى ترابها

وها أنذا لازلت متشبثا بأذيال رفع شكواى الى رحمة أمير المؤمنين ، متمسكا بعرا صدق انتمائه الى سيد المرسلين ؛ فى تدارك أمرى بانتهاز فرصة القبول ، وبالالتفات الى سدّ عوز فرع أبناء البتول ، وآملا من ذاته الملوكية الشاهانية صدور إرادته

السنية الى والى الحجاز بسلوك منهج الحق وأتباعه ، فى خلاص ما شهدت به حججى على الأمير وأتباعه ؛ فان الكرب قد تجاوز الحدّ وأربى تاليا . ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودّةَ فى القُرْبَى ﴾ أيرضى جنابه السامى إهلاك أربعين من أشرف عصابة ، وقد تقدّمت آية حب أولى القرابة ، وأن يكون مسئولا عن ظلامتهم يوم القيامة ، وبحبهم تمتطى سفينة النجاة والسلامة ؛ حاشاه أن يرضى ولو جعلت السماء أرضا أيده الله بنصره ، ولا زالت الأيام مطوّقة بمفاخر عصره ؛ آمين .

وكيل الإمارة وأمير عربان بجدّة سابقا الشريف محمد بن مهنى العبدلى .

الكلمـــة الثالثـــة

قصيدة شوقى بك

صدى الحجيج

ضج الحجاز وضج البيت والحرم * وآستصرخت ربها فى مكة الأمم
قد مسها فى حماك الضر فآقض لها * خليفة الله أنت السيد الحكم
تلك الربوع التى ريع الحجيج بها * أ للشريف عليها أم لك العلم
أهين فيها ضيوف الله وآضطهدوا * إن أنت لم تنتقم فالله منتقم
أفى الضحى وعيون الجند ناظرة * تسبى النساء ويؤذى الأهل والحشم
ويسفك الدم فى أرض مقدّسة * وتستباح بها الأعراض والحرم
يد الشريف على أيدى الولاة علت * ونعله دون ركن البيت تستلم
«نيرون» إن قيس فى باب الطغاة به * مبالغ فيه « والحجاج » متهم
أدّبه أدّب أمير المؤمنين فما * فى العفو عن فاسق فضل ولا كرم
لا ترجُ فيه وقارا للرسول فما * بين البغاة وبين المصطفى رحم
ابن الرسول فتى فيه شمائله * وفيه نخوته والعهد والشمم
ما كان طه لرهط الفاسقين أبا * آل النبى بأعلام الهدى ختموا

*
* *

خليفة الله شكوى المسلمين رقت * لسدّة الله هل ترقى لك الكلم
الحج ركن من الإسلام تكبره * واليوم يوشك هذا الركن ينهدم
من الشريف ومن أعوانه فعلت * نعمى الزيارة ما لا تفعل النقم
عن السبيل الى طه وتربته * فمن أراد سبيلا فالطريق دم
محمد روعت فى القبر أعظمه * وبات مستأمنا فى قومه الصنم
وخان عون الرفيق العهد فى بلد * منه العهود أتت للناس والذمم
قد سال بالدم من ذبح ومن بشر * واحمر فيه الحمى والأشهر الحرم
وفزعت فى الخدور الساعيات له * الداعيات وقرب الله مغتنم
رجعن ثكلى أيامى بعد ما أخذت * من حولهن النوى والأينق الرسم
حرمن أنوار خير الخلق من كثب * فدمعهن من الحرمان منسجم
أرى صغائر فى الإسلام فاشية * تودى بأيسرها الدولات والأمم
يجيش صدرى ولا يجرى به قلمى * ولو جرى لبكى واستضحك القلم
أغضيت ضنا بعرضى أن ألم به * وقد يروق العمى للحر والصمم
موه على الناس أو غالطهمو عبثا * فلست تكتمهم ما ليس ينكتم
من الزيادة فى البلوى وإن عظمت * أن يعلم الشامتون اليوم ما علموا
كل الجراح بآلام فما لمست * يد العدو فثم الجرح والألم
والموت أهون منها وهى دامية * اذا أساها لسان للعدى وفم

*
* *

ربَّ الجزيرة أدركها فقد عبثت * بها الذئاب وضل الراعىَ الغنم
إن الذين تولوا أمرها ظلموا * والظلم تصحبه الأهوال والظلم
فى كل يوم قتال تقشعر له * وفتنة فى ربوع الله تضطرم
أزرى الشريف وأضراب الشريف بها * وقسموها كإرث الميت وانقسموا
لا تجزهم منك حلما واجزهم عنتا * فى الحلم ما يسم الأفعال أو يصم

كفى الجــزيرة ما جرّوا لها سـفها * وما يحـاول من أطرافها العجم
تلك الثغـــور عليها وهى زينتهـا * مناهل عـــذبت للقوم فازدحمـــوا
فى كل لج حـــواليها لهم سـفن * وفوق كل مكان يابس قـدم
والاهـــو أمراء الســـوء وآتفقوا * مع العـــداة عليهـا فالعـــداة همو
فجـرّد السـيف فى وقت يفيد به * فان للسـيف يوما ثم ينصرم

إمرة الحج

واجباتهـا ونبـــذة من تاريخهـا

إمرة الحج وشرعيتها — قال تعالى ﴿إنّ اللهَ يأمركُم أن تُؤدُّوا الأَماناتِ إلى أهلِها وإذا حكمْتُم بين الناسِ أَنْ تحكُمُوا بالعَدْلِ إنّ الله نعِمّا يَعِظُكُم به إنَّ اللهَ كان سميعا بصــيرًا . يأيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولِى الأَمرِ منكم فإن تنازعتُم فى شيء فَرُدُّوه الى اللهِ والرسولِ إن كنتم تؤمنون باللهِ واليـومِ الآخِرِ ذلك خيرٌ وأحسن تأويلًا﴾ .

قال العلماء نزلت الآية الأولى فى ولاة الأمور عليهم أن يردوا الأمانات الى أهلها واذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ، ونزلت الآية الثانية فى الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم أن يطيعوا أولى الأمر القائمين بذلك فى جميـع أحوالهم إلا أن يأمروا بمعصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فان تنـازعوا فى شيء ردّوه الى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا كانت الآية أوجبت أداء الأمانات الى أهلها والحكم بالعدل فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة ، ويجب أن تعرف أن ولاية أمر النـاس من أعظم واجبات الدين بل لا يقام الدين ولا الدنيا إلا بها فان بنى آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم "اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم" رواه أبو داود من حديث أبى سعيد وأبى هريرة (رضى الله عنهما) وللامام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أن النبى صلى

الله عليه وسلم قال: لايحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمّروا عليهم أحدهم فأوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر منبها بذلك على سائر أنواع الاجتماع .

فتعين بذلك التأمير على حجاج بيت الله تعالى شرعا وهم فى الغالب جمع كثير ويدل على ذلك أنه أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك لا يتم إلا بقوة وإمارة قال شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية : يجب على ولى الأمر أن يولى على كل عمل أصلح من يجده لذلك العمل ، قال صلى الله عليه وسلم : من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا هو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين — رواه الحاكم فى صحيحه ، وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين) ، وليحذر ولى أمر المسلمين من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ويتق ذلك فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللهم من ولى أمرا من أمور أمتى وشق عليهم فاشقق اللهم عليه .

فيجب على ولى الأمر البحث عن المستحقين للولايات خصوصا ولاية إمرة الحج فانه منصب جليل وعمل مقداره نبيل يجتمع فيه العلماء والفقهاء والأولياء والصلحاء والقوى والضعيف والبادن والنحيف والنساء والصبيان والأتباع والغلمان ، فتعين على ولى الأمر أن لا يولى على وفد الله تعالى إلا من علم استقامة أحواله واختبره فى دينه وفعاله ومقاله ، ولا يقدّم الرجل لكونه طلب أو سبق فى الطلب بل ذلك سبب المنع ، فان فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن قوما دخلوا عليه فسألوه ولاية فقال : إنا لا نولى أمرنا هذا من طلبه ، وقال لعبد الرحمن بن سمرة : يا عبدالرحمن لا تسأل الإمارة فانك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها و إن أعطيتها عن مسألة وكلت اليها — أخرجاه فى الصحيحين — فان عدل عن الأحق الأصلح الى غيره لأجل صداقة أو مصاهرة أو موافقة فى شىء من الدنيا أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة أو لغير ذلك من الأسباب فقد خان الله ورسوله والمسلمين .

وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الولاية أمانة يجب أداؤها فى مواضعها ، روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قيل يا رسول الله : وما إضاعتها قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) ولا يجوز لإمام المسلمين أن يولى على حجاج بيت الله تعالى من سبح فى قلبه جمع المال خصوصا إن كان من غير حله كما يفعله بعض أمراء زماننا من السعى فى هذه الإمرة لجمع الحطام فقط ، والوقائع فى ذلك كثيرة لا حاجة لسردها لأنها مؤلمة .

إذا علمت ذلك فما تجب معرفته أيضا أن الوالى راع وكل راع مسئول عن رعيته قال صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" فإمرة الحج ولاية سياسية وتدبير وهداية لأنها من أجل المراتب الدينية وأفخم الوظائف السنية ، وأمير الركب هو الذى يجيز بالوفد فى تلك الأماكن الكريمة والمشاعر العظيمة والمتلبس بفرض شعائره ظاهرة فى الإسلام فسما بهذه المرتبة على النيرين وعلا محله على السماكين وناب عن الإمام الأعظم فى خدمة الحرمين الشريفين فقد تولاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فحج بالناس حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة ، وحج بالناس الإمام أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، و بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى جميع خلافته إلا السنة الأولى منها ذكر ذلك الفاسى فى كتابه العقد الثمين ، وحج بالناس الإمام الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه فى جميع خلافته إلا السنة الأولى والأخيرة ، وحج بالناس بعده معاوية بن أبى سفيان وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان والوليد الخ ، والملوك من اليمن ومصر والشام و بغداد والعراق والأكابر من جميع الأوقات ، وكان الناس اذا أرادوا جاها وعزا وحماية ووقاية يسعون إلى خدمة أمير الحج أشد السعى و يتطلبون ذلك من أبوابهم ويبذلون ما أحبوا ليبلغوا ما يريدون من الوجاهة والحرمة حتى لو كانوا أصحاب جنايات لا يتعرض لهم بسوء .

ولعمرى لقد عكس الموضوع وصار من عرف بخدمة هـذا المهم الشريف بكل باب مدفوع ولقد ضعف الطالب والمطلوب وصـار يسعى فى هـذه الإمرة وفى مناصبها من ليس بمحبوب ولا بمرغوب .

واجبات أمير الحج — الذى على أمير الحج فى هـذه الولاية عشرة أشـياء ذكرها الإمام النووى فى مناسكه عن الماوردى ملخصا عبارته فى الأحكام السلطانية قال : هذه الولاية ضربان : أحدهما أن يكون على تسيير الحج ، والثانى على إقامة الحج فأما تسيير الحج فهو ولاية سـياسية وزعامة تدبير والشروط المعتبرة فى المولى عشرة أشياء : أن يكون مطاعا ذا رأى وشجاعة وهيبة وهداية والذى عليه من حقوق هذه الولاية عشرة أشياء :

(١) جمع الناس فى مسيرهم ونزولهم حتى لا يتفرقوا فيخاف عليهم التوانى والتغرير .

(٢) ترتيبهم فى المسـير والنزول بإعطاء كل طائفة منهم مقادا حتى يعرف كل منهم مقاده اذا سار ويألف مكانه اذا نزل فلا يتنازعون فيه ولا يضلون عنه .

(٣) أن يرفق بهم فى المسير حتى لا يعجز عنه ضعيفهم ولا يضل عنه منقطعهم . روى عن النبى صـلى الله عليه وسلم أنه قال : « الضعيف أمير القوم » يريد أن من ضعفت دوابه كان على القوم أن يسيروا بسيره .

(٤) أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها ويتجنب أجدبها وأوعرها .

(٥) أن يرتاد لهم المياه اذا انقطعت والمراعى اذا قلت .

(٦) أن يحرسهم إذا نزلوا ويحوطهم إذا رحلوا حتى لا يختلط بهـم ذاعر ولا يطمع فيهم متلصص .

(٧) أن يمنع عنهـم من يصدهم عن المسير ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج بقتال إن قدر عليـه أو ببذل مال إن أجاب الحجيج إليه ولا يسعه أن يجبر أحدا على بذل الخفارة إن امتنع منها حتى يكون باذلا لها عفوا ومجيبا اليها طوعا فان بذل المـال على التمكين من الحج لا يجب .

(٨) أن يصلح بين المتشاجرين ويتوسط بين المتنازعين ولا يتعرض للحكم بينهم إجبارا إلا أن يفوض الحكم إليه فيعتبر فيه أن يكون من أهله ، فيجوز له حينئذ الحكم بينهم فان دخلوا بلدا فيه حاكم جاز له ولحاكم البلد أن يحكم بينهم فأيهما حكم نفذ حكمه ولو كان التنازع بين الحجيج وأهل البلد لم يحكم بينهم إلا حاكم البلد .

(٩) أن يقوّم زائغهم ويؤدّب خائنهم ولا يتجاوز التعزير الى الحدّ إلا أن يؤذن له فيستوفيه إذا كان من أهل الاجتهاد فيه ، فإن دخل بلدا فيه من يتولى إقامة الحدود على أهله نظر ، فإن كان ما أتاه المحدود قبل دخول البلد فوالى الحجيج أولى بإقامة الحدّ عليه من والى البلد ، وإن كان ما أتاه المحدود فى البلد فوالى البلد أولى بإقامة الحدّ عليه من والى الحجيج .

(١٠) أن يراعى الوقت حتى يؤمن الفوات ولا يلجئهم ضيقه الى الحث فى السير فاذا وصل الميقات أمهلهم للإحرام وإقامة سننه ، فان كان الوقت متسعا عدل بهم الى مكة ليخرجوا مع أهلها الى المواقف ، وإن كان الوقت ضيقا عدل بهم عن مكة الى عرفة خوفا من فواتها فيفوت الحج بها ، فان زمان الوقوف بعرفة ما بين زوال الشمس من يوم عرفة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن أدرك الوقوف بها فى شىء من هذا الزمان من ليل أو نهار فقد أدرك الحج ، وإن فاته الوقوف بها حتى مطلع الفجر من يوم النحر فقد فاته الحج وعليه إتمام ما بقى من أركانه وجبرانه بدم وقضاؤه فى العام المقبل إن أمكنه وفيما بعده إن قدر عليه ، ولا يصير حجه عمرة بالفوات ولا يتحلل بعد الفوات إلا بإحلال الحج . وقال أبو حنيفة رحمه الله : يتحلل بعمل عمرة . وقال أبو يوسف : يصير إحرامه عمرة بالفوات .

وإذا وصل الحجيج الى مكة فمن لم يكن على العود منهم زالت عنه ولاية الوالى على الحجيج فلم يكن له عليه يد ومن كان منهم على العود فهو تحت ولايته وملتزم أحكام طاعته .

فإذا قضى النـاس حجهم أمهلهم الأيام التى جرت بهـا العادة فى إنجاز علاقتهم ولا يرهقهم فى الخروج فيضرّ بهم فإذا عاد بهم سار على طريق المدينة لزيارة المسجد النبوى وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يجمع لهم خير المسجدين وفضل الزيارتين رعاية لحرمة بيت الله وحرمة رسـوله صلى الله عليـه وسلم ؛ واذا لم تكن زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسـلم من فروض الحج فإنهـا من مندوبات الشرع المستحبة وعادات الحجيج المستحسنة .

وظائف إمرة الحج وتعيين الأمير — جاء فى « درر الفرائد ص ٤٢ و٤٣ و ٤٦ » أن أمير الحج فى عهد المؤلف — أواخر القرن العاشر — كان يعينه السلطان ليـلة المولد النبوى فإذاما اجتمع الأمراء لدى السلطان فى ليلة الثانى عشر من ربيع الأول ليسمعوا القرآن وقصة المولد وحان وقت إدارة الشراب الحلال بدأ الساقى بالسلطان فشرب من كوبه يسـيرا ثم يأمر بالبـاقى الى من يريده أميرا للحج ، فاذا ما أعطى الكوب عرف أنه الأمير فقام للسـلطان شاكرا وعرف الحاضرون فقاموا للأمير مهنئين . ومن ذلك الوقت يعد عدّته للسفر دون أن يكون له قانون معين يسـير عليه ويعينه على أداء عمله أصحـابه ومحبوه فيقدّمون له المـال والغلال والهدايا . وكان للأمير فى نفوس الناس مكانة سامية وجاه عظيم حتى كانوا يتقربون اليـه بمراعاة خدمه وغلمـانه وكان اذا احتمى بملاذه قاتل النفس المحرمة أو أحد الجناة لا يتعرض له بسوء ثم تغير الحال وأصبح النـاس يعاملون الأمير كما يعاملون أحد الرعايا وهذا هو الحق بعينه ، فان الإمرة ما كانت لتمنع فى الشرع أولياء القتيل من أن يأخذوا حقهم وما كانت سدا دون إقامة الحدود والقيام بالجزاء العادل .

وكان للأمير أعوان يساعدونه على القيام بما عهد اليه ؛ فمنهم «الدودار» ووظيفته تبليغ الرسائل عن الأمير وإبلاغها اليه وتقديم الأوراق اليه ليوقع عليهـا وهو كاتب الأمير فى المسائل التى لا يتولاها بنفسه أو تكبر فيها المشقة كتقطير الجمـال وتسهيل الطرق فى المضيقات والطواف على الحجـاج ليلا أو نهارا إذا دعت الحاجة الى ذلك وتتبع اللصوص والمفسدين . ويعين لهذه الوظيفة من يصلح للقيام بها وقد يعين من

شجعان العسكر الذين عرفوا بالعقل والمروءة والسياسة والشجاعة والفروسية والديانة و « الدودار » يعتبر كأركان الحرب بالنسبة الى القائد وكالسكرتير بالنسبة الى الوزير أو الرئيس؛ ومنهم « كاتب ديوان إمرة الحج » ويعين بأمر السلطنة ووظيفته قيد ما يرد لأمير الحج من الهدايا وغيرها؛ ومنهم «العسس» الذين يطوفون ليلا مع الحجيج يتعرّفون الأخبار ويمنعون ماعساه يقع من الشجار وهم أشبه برجال «البوليس السرى» عندنا . وأوّل من عس ليلا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أمره على ذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

وممن كان لهم سلطان وشأن كبير مع أمير الحج « قاضى المحمل » ونذكر لك كلمة عنه .

قاضى المحمل — كان للمحمل فيما سلف قاض يفصل بما تقضى به شريعتنا الغرّاء فيما يجد من الحوادث بين الحجاج وكان يتولى هذه الوظيفة فى أيام الجراكسة (سنة ٧٨٤ — ٩٢٣ هـ) قاض من قضاة المذاهب الأربعة يعينه قاضى قضاة مذهبه بناء على طلب أمير الحج أو سعى من يريد هذه الوظيفة . ولما كانت الدولة العثمانية وآمتدّ نفوذها فى الأقطار الإسلامية صار أمير الحج يعين قاضى المحمل من بين أبناء العرب بدون سعى منهم أو تقديم رشوة اليه حتى كانت سنة ٩٤٠ هـ . إذ تنافس فى هذه الوظيفة الشيخ زكريا الشافعى آبن الشيخ زكريا الأنصارى قاضى القضاة والشيخ رضِيّ الدين الحنفى فكان الفوز لأوّلهما إذ قدم رشوة ٥٠٠ دينار للأمير، فكان أوّل من سنّ تلك السنة السيئة فى الحصول على هذه الوظيفة ثم تبعه فيها منافسه الشيخ رضى الدين ثم أخذ قضاة الأروام يتسابقون الى قضاء المحمل ويبذلون لذلك المساعى الكبيرة لدى البـاب العالى حتى آستقرّ الأمر على أن يعين قاضى المحمل كل سنة بأمر سلطانى وكان للقاضى سلطان واسع ومرتبات كبيرة حسده عليها قاضى القضاة فعمل على مشاركته فيما يتناوله وكثيرا ما كان القضاة يظلمون الحجيج ويسيئون معاملتهم حتى قال بعض الشعراء فى ظالميهم :

قاض له نفس يلـــوح أذاها * أمنت وفود الله من تقواها
أتبـاع أحكام الحجيج بمبلغ * جم وأعراض الأنام فشاها
أحكامه قبحت وساءت سيرة * إذ لم نشاهد مخلصـا زكاها
فلرشـــوة يأتى بأمر واضح * ولفقدها تبت يدا نجـــواها
لم يرض إلا بالكثير ولو يكن * خمسين أو ستين لا يرضاها
رحمت به الحجاج فى عام مضى * وتألمت لمـــزيد ما واساها
وتضرعت كل الأنام لربهـا * حتى الجمال شكت الى مولاها

أما الآن فليس للمحمل قاض وإنما الفصل فى الخصومات الى أمير الحج . نعم له إمام يصلى بالناس ويستفتى فى المسائل الدينية وليس له من المنزلة ما كان لأولئك القضاة ولا ما يدانيها بل هو دون كثير من موظفى المحمل الأدنين ، وقد طلبت من الحكومة أن ترفع مستوى هذه الوظيفة فتعين فيها الأكفاء أهل البصر بالدين وتعطيهم من المرتبات مايلائم مركزهم ويناسب حالهم وقد أجابتنى الى جل ماطلبت فأصبحت لا تعين فيها إلا من العلماء وزادت المرتب بعض الزيادة .

مرتب أمير الحج — كان مرتبا لأمير الحج — على ما جاء فى كتاب درر الفرائد المؤلف فى سنة ٩٩٥ هـ — من الديوان السلطانى فى زمن الدولة الجركسية سنة (٧٠٨ — ٩٢٢ هـ) ١١٠٠٠ دينار (٥٥٠٠ جنيه تقريبا) منها ١٠٠٠٠ دينار ينفقها فى الأمور الهامة ، والألف الباقى ثمن مائة جمل وله من الجمـال « الشعارة » مائتان ومن القمح الجيد ١٠٠٠ أردب ومن الفول الصحيح ٢٠٠٠ ومن التشاريف — كسا — ١٤ وكان لأمير الركب الأول ٤٥٠٠ دينار منها ٥٠٠ ثمن إبل والباقى للنفقة وله مائة جمل «شعارة» و ٥٠٠ أردب من القمح و ١٠٠٠ من الفول الصحيح ولم يكن الحجيج ركبا واحدا بل كانوا عدّة حتى زمن خاير بك (حج سـنة ٨٧٠ وتوفى سنة ٨٧٩) الذى جعل الحجيج ركبا واحدا وجعل لأمير الحج المرتبات الآتية :

عـــدد
١٨٢٠٠ دينار منها ثمن الجمال وقد آستمرت كذلك الى سـنة ٩٥٤ هـ . ثم نقصت الى ١٤٠٠٠ دينار .

عـــدد		عـــدد	
٢٠٠٠	أردب من القمح الجيد .	٥٠	قنطارا من البقسماط .
٤٠٠٠	« من الفول الصحيح .	٤	قناطير من الجبن «القايات» .
١٢٥	« من الفول المجروش .	٤	قرب من ماء النيل .
٢٥	أردبا من الشعير .	٥	تشاريف — كسا — له .
٥	قناطير من السكر المكرر .	١٣١	جوخة مخيطة لعربان الطرق .
٢ ½	قنطار من الحلويات المتنوعة .	١٠٥	« مليطات معليكية » .
١٢	حبة من البطيخ الصيفى .	١١	شاشـــة .

وكانـ أمير الحج يفصــل بديوانه الخاص ٤٠٠ جوخة و ١٢٥ «مليطة» و ١٠٠ ثوب « عجلونى[(١)] » وكان للعسكر الحجاج خاصـة ٤٠ قنطـارا من البقسماط و ٢٠ أردبا من الفول المجروش .

وكان لأمير الحج من الطين السلطانى ٨٠ فدانا لزراعته وربيع جماله وخيوله . وله من الذخائر السلطانية ستة أحمال يأخذ منهـا ما يحتاج اليه ويرد الباقى للديوان السلطانى وكان له خاصة الى سنة ٩٤١ هـ . ذخائر خاصة ينعم بها عليه وكانت تنقل الى داره وكان له ضريبة على أمير مكة بلغت فى سنة ٨٩٦ هـ ٥٠٠٠ دينار وله عليه من الأغنام ٢٧٠ رأس يقدم اليه مطبوخا مع الطعام يوم يدخل لمكة ٧٠ ويقدم اليه الباقى حيا وكان له على أمير ينبع ٢٣٠ رأس يقدم اليه مشويا ٣٠ ويقدم له ٢٠٠ حية ١٠٠ عند السفر و ١٠٠ عند الأوبة، وهذا كله بخلاف ما كان «لدوداره وأتباعه» .

وبالجملة فقد كانت إمرة الحج موردا عظيما من موارد الثروة لأميره الذى كان له سلطان مطلق يأخذ به من أموال النـاس ما يشاء حقا وباطلا بل كانت له الكلمة على أمراء مكة حتى سـنة ٩٦٩ هـ . إذ حصلت موقعة بين أمير الحج والأشراف

(١) ثياب من الملحم المصبوغ بالأصفر .

آنتهت بجعل الأمر فى مكة الى الشريف أبى نمى وأولاده، وغلت يد الأمير عن الضرائب التى كان يتقاضاها من المكيين ولم يبق له إلا السلطة بالطرقات .

المحامل وتاريخها

المحمل أعواد من خشب على شكل الهودج شكله مربع ذو سقف يأخذ فى الارتفاع من الجوانب الى الوسط الذى فيه قائم ينتهى بهلال وفى العادة يسدل على ذلك الهيكل الخشبي كسوة قد تكون من الحرير وقد تكون من غيره ويوضع أثناء السفر على ظهر جمل (انظر الرسم ٣١٩) .

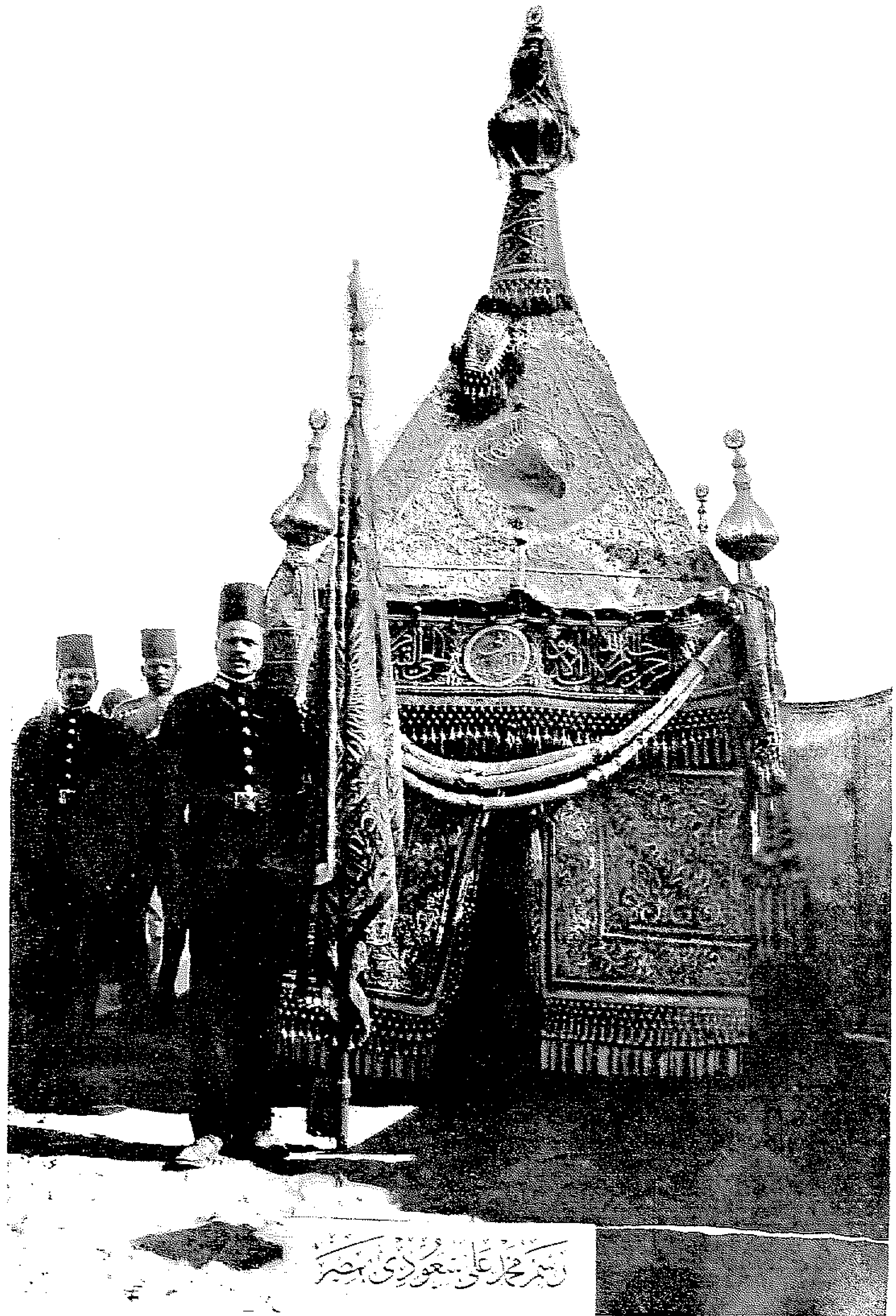
وقد جاء فى كتاب الكنز المدفون للسيوطى : أن أوّل من أحدث المحامل فى طريق مكة شرفها الله الحجّاج بن يوسف الثقفى .

وذكر صاحب درر الفرائد : أن المحامل التى آعتادت أن ترد من الأقاليم الى الحجاز أربعة : العراقى والمصرى والشامى واليمنى . وحج فى بعض السنين الحلبيون بمحمل وحج آخرون بمحامل فى سنين مختلفة .

المحمل العراقى — كان المحمل العراقى أجل المحامل فى وقته لأن الخلافة الإسلامية كانت فى مدينة بغداد عاصمة العراق وكان معوّل أقاليم الإسلام على ما يصدر منها ويرد اليها والولايات والأمور الدينيـة والدنيوية إنما تنشأ منها ويخبر بها عنها ولقد آعتنى أبو سعيد بن خَرْبَنْدَا بأمر حاج العراق عناية تامة وغشى المحمل بالحرير ورصعه بالذهب واللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر الأخرى حتى بلغت قيمة الحلية ٢٥٠٠٠٠ دينار من الذهب المصرى أو ١٢٥٠٠٠ جنيه وجعل للمحمل خزا يسبل عليه اذا وضع . ولما تقلص ظل الخلافة عن العراق وآل أمره الى الملوك والمتغلبين من الأمراء والأعيان ضعف شأن المحمـل العراقى فكان يستهتر بركبه العربان وكثيرا ما آعتدوا عليه .

ففى سنة ٦٣١ هـ . رجع الحج العراقى إذ طمع عرب الأجاودة الآبار وآختلف الحجاج مع العربان حتى ضاق الوقت فرجعوا من حيث أتوا . وفى سنى ٦٣٣ و ٦٣٤





EL- MAHMAL EL- MASRI

و٦٣٥ و٦٣٦ و٦٣٩ هـ . لم يحج العراقيون لدخول التتر بغداد ثم صار المحمل العراقى يجىء مرة وينقطع أخرى الى القرن التاسع الهجرى .

المحمل اليمنى — كان أهل اليمن يحجون من طريق البحر وقل منهم من سلك طريق البر لأن العربان كانوا يعتدون عليهم ويفرضون على كل جمل مائة درهم سواء أكان صاحبه حاجا أو تاجرا معه شىء أو ليس معه فكانوا من أجل ذلك معرضين عن طريق البر إلا من سخت يده وخشى ركوب البحر وبقى الأمر كذلك الى زمن مصطفى باشا المعروف بالنشار — لأنه كان ينشر اللصوص — فانه فى سنة ٩٤٩ هـ . مهد السبيل البرى لحجاج اليمن وضرب على أيدى العربان العابثين وجعل صحبة الحجاج أميرا وجندا وما زال الأمر على ذلك الى سنة ٩٦٣ هـ التى عرض فيها مصطفى باشا والى اليمن على السلطان أن يحدث محملا يمنيا فأذن له واستمر مجيئه الى سنة ١٠٤٩ هـ . ثم انقطع لما جدّ من الفتن .

المحمل الشامى — جاء فى كتاب (خلاصة الكلام ص ٥١) أن المحمل الرومى ابتدأ مجيئه الى الحجاز فى سنة ٩٢٣ هـ . زمن السلطان سليم فإنه أرسل الأمير مصلحا بك بمحمل رومى وكسوة للكعبة وصدقات فهل هذا هو المحمل الشامى أو غيره ؟ لقد جاء فى « درر الفرائد ص ١٤٩ » ما يدل على أنه غيره وأن المحمل الشامى بدأ سفره الى الحجاز قبل هذا التاريخ إذ فى الدرر أنه فى سنة ٩١٩ هـ . تسابق المحمل الشامى والمصرى فسبق الشامى فشق ذلك على المصريين فعقروا جمل المحمل الشامى فجاء الأمير الأول للمحمل المصرى وقدم جملا حمل عليه الشامى الذى قال أميره : "أنا ما بقيت أرجع بالمحمل خلوهم يرجعوا به" وقد أصلح بين الركبين فى منى الشريف بركات .

وما زال المحمل الشامى يرد الى مكة والمدينة من ذلك التاريخ صحبته أميره والحجاج والجنود الشاهانية والموسيقى السلطانية والذخيرة الكافية الى أن قامت الحرب الكبرى فى سنة ١٩١٤ م ذان الأتراك شغلوا عن إرساله منذ دخلوا فى الحرب بجانب دول

الاتفاق . ولما كانت سنة ١٩١٨ م وضعت الحرب أوزارها وتقلص ملك الأتراك عن بلاد الحجاز وأصبح الأمر فيها للشريف حسين بن على الذى أصبح فيما بعد ملكا على الحجاز يسوسه ويسوس بلاده الإنجليز الذين قلدوه هذه النعمة والذين يعملون لمدّ نفوذهم على البلاد العربية بأسرها فأقاموا ابنه فيصلا ملكا على العراق وابنه عبد الله أميرا على شرق الأردن وما زالوا يجدّون فى إثارة الشقاق بين أمراء الجزيرة ليجعلوا بأسهم بينهم شديدا فتضعف شوكتهم ويبسط الإنجليز نفوذهم على مهد الإسلام وموطن حرميه .

المحمل المصرى — شاع على الألسنة أن المحمل المصرى يرجع تاريخ إرساله للحجاز الى عهد شجرة الدرّ (سنة ٦٤٨ هـ) وأنه كان هودجا لها حين حجت وقد زينته بجمائل الحرير والتطريز البديع من فوقه الأحجار الكريمة وكانت تحمل معها هدايا للكعبة والحجرة الشريفة ثم تتابع إرساله وإرسال تلك الهدايا الى يومنا هذا ولكن لم نعثر فى بطون التواريخ التى اطلعنا عليها على مصدر هذه الإشاعة بل لم نر فيها أن شجرة الدرّ من بين الملوك الذين حجوا وما كانت حجات الملوك لتخفى على الناس فضلا عن أن يغفلها المؤرّخون الذين يتتبعون خطا الملوك والأمراء . والمحمل المصرى من قديم الزمان تصحبه كسوة الكعبة وما يلزم الحرمين والصدقات التى توزع على فقرائهما لذلك كان فى مقدمة المحامل وكان أميره مقدما فى الرتبة والمنزلة .

وقد مكث حجاج مصر والمغرب من سنة بضع وخمسين وأربعمائة الى سنة ست وستين وستمائة — أى من سنة الفتنة التى كانت فى عصر الخليفة المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وانقطع الحج فى البر الى السنة التى كسا فيها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مفتاحا وأخرج قافلة الحج من البر — لا يتوجهون الى مكة إلا من صحراء "عيذاب" يركبون النيل من ساحل مدينة "الفسطاط" الى "قوص" ويعبرون هذه الصحراء الى عيذاب ومنها يركبون الجلاب فى البحر الى جدّة فرضة مكة وكان تجار الهند واليمن والحبشة يركبون البحر الى "عيذاب"

ويعبرون صحراءها الى قوص ثم يركبون النيل الى القاهرة فكانت عيذاب ثغرا عامرا وكانت الصحراء لا تخلو من القوافل الغادية والرائحة يتجرون ويحجون . ولما غير طريق الحج قل السالكون لهذه الصحراء من الحجاج وما زال التجار يسلكونها حتى انقطع منها السير بعد سنة ٧٦٠ ﻫ . فزالت عظمة قوص وكانت الصحراء تقطع فى ١٧ يوما ينفد الماء فى ثلاثة أيام منها متوالية وربما نفد فى أربعة .

و" عيذاب " مدينة على ساحل البحر الأحمر كانت فى ذلك الزمن غير مسورة وبيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسى الدنيا لما قدمنا ثم انتقلت العظمة الى مرسى عدن ببلاد اليمن ثم انتقلت بعد بضع وثمانمائة الى جدّة وهرمز وكل ما كان "بعيذاب" مجلوب اليها من الخارج حتى الماء فانها فى صحراء جرداء وكان لأهلها فوائد لا تحصى من الحجاج والتجار، فكان لهم على كل حمل يحملونه ضريبة مقررة وكانوا يكرون للحجاج جلابهم — مراكبهم — لتقلهم الى جدّة ومنها الى "عيذاب"، فكان يتجمع لهم من ذلك مال عظيم . ولقد كان الحجاج يقاسون من جلابهم أشد الآلام لأن الرياح فى أكثر الأحيان كانت تلقى بجلابهم الى مراس صحراوية جنوبى عيذاب فيلتقى بهم التجار ويكرونهم الجمال ويسيرون بهم على غير ماء فيهلك أكثرهم عطشا ويأخذ التجار ما معهم وقد يضلون الطريق فتودى بحياتهم البوادى ومن سلم منهم ووصل الى عيذاب وجدته قد استحالت سحنته وتغيرت هيئته وانتقصت الآلام من جسده وكثيرا ما كانت تغرق بالحجاج تلك الجلاب لأنه ما كان يدق فيها مسمار بل كانت ألواحا أحيطت بالقنبار المتخذ من شجر النارجيل وكان يتخللها دسر من عيدان النخل ثم تسقى بالسمن أو دهن الخروع أو دهن القرش — حوت عظيم يبتلع الغرقى — وكانت قلاعها من خوص شجر الدوم ثم إنهم كانوا يحملون المركب فوق طاقتها ويجعلون الحجاج بعضهم فوق بعض حرصا على كثرة الأجرة ولا يبالون بما يصيب الحجاج بل يقولون : " علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح " ولا تعجب لذلك فإنهم كانوا فى أخلاقهم أقرب الى الوحوش منهم الى الأناسى وكانوا يعيشون عيشة البهائم ولا دين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم عراة دائما لا يسترون سوى عوراتهم

بل ربما أبدوا العورات . وكان على أهل عيذاب ملك منهم وهناك مندوب من قبل ملك مصر وعلى مقربة من ثغر عيذاب مغاصات اللؤلؤ فى جزر قريبة منها يخرج اليها الغواصون فى وقت معين من السنة ويقيمون هنالك أياما ثم يرجعون بما قسم لهم .

وأوّل سنة نقل فيها المحمل الى السويس سنة ٩٥١ ه . وقد غرق نصفه وغرق كله فى سنى ٩٦١ و٩٦٢ و٩٦٣ ه .

وكان يقام للمحمل حفلتان بالقاهرة كل سنة يدور فيهما فى شوارعها التى تكون قد زينت له وأكترى فيها الناس البيوت والحوانيت والسطوح ليشاهدوا المحمل وحفلته ، فالمرة الأولى فى رجب ، والثانية فى نصف شوّال وبدأ ذلك من سنة ٧٠٠ ه . وفى سنة ٨٤٨ ه . أبطل السلطان الظاهر جقمق دوران المحمل فشق ذلك على الناس . ثم رسم الأشرف اينال بدورانه فى شهر رجب سنة ٨٥٨ ه . ولعب الرماحة بين يدى السلطان على عادة من تقدّمه من الملوك فى السنين الخالية ، وكان ذلك بطل من نحو عشر سنين . ثم أبطل الملك الأشرف قايتباى دورانه الرجبى . وكذلك بطل فى عصر خلفه الناصر الذى تولى سنة ٩٠١ ه .

وكان للمحمل عفاريت من الإنس يأتون بألعاب يضحك منها الناظرون .

وقد حرق سعود الوهابى المحمل المصرى سنة ١٢٢١ ه . بعد أن أنذر أميره فى العام السابق بأن لا يسترجع معه هذه الأعواد — يعنى المحمل — لأنها بدعة محدثة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . وكذلك بعث الى أمير الحج الشامى فى السنة نفسها بعد أن وصل الى "هدية" ينهاه عن الحضور إلا على الشرط الذى شرط عليه فى العام الماضى أن يأتى الحجيج الى بيت الله غير متلبسين بالبدع فرجع الأمير بركبه ولم يحج لاحق لسعود الوهابى فى حرق المحمل لأنه كعلم يلتف حوله المسافرون الى الحج ولم يكن فيه شرك بالله (لكل إمرء من دهره ما تعوّد) .

الصدقات الجارية لسكان الحرمين

أوّل من أرسل صرة النقود الى الحرمين المقتدر بالله العباسى (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ)، ثم تبعه الأمراء والخلفاء يزيد كل منهم على سلفه مايليق بكرم نفسه . وكان أوّل من جهزها الى مكة من سلاطين آل عثمان السلطان محمد خان (٨١٦ — ٨٢٤ هـ) ابن السلطان يلدرم خان كان يرسلها من بلاد الروم إذ لم تكن بلاد العرب فى ذلك الحين دخلت حوزة آل عثمان وكانت من أجل ذلك تسمى "الصدقة الرومية" واقتفى أثره ولده وخلفه السلطان مراد خان (٨٢٤ — ٨٥٥ هـ) وكان يرسل أضعاف ما أرسله أبوه. فالسلطان بايزيد خان (٨٨٦ — ٩١٨ هـ) الذى ضاعف الصدقة . ولما آل الأمر الى السلطان سليم خان (٩١٨ — ٩٢٦ هـ) أرسل الصدقات الرومية أضعاف ما كان يرسله أبوه وجعل لها دفترا تسجل فيه العطايا وقرر لجماعة من المجاورين بالحرمين مائة دينار لكل شخص تدفع اليهم من خزينة مصر، فكان يقوم بارسالها الجراكسة وسمى هذا "مال الذخيرة" وكذلك رتب الأمير مصلح بك لثلاثين شخصا يقرءون القرآن كل يوم اثنى عشر دينارا لكل منهم فى السنة وسجل ذلك فى دفتر الرومية وكذلك تطلق "الذخيرة" على صدقة كان يخرجها الجراكسة من خزينة مصر فأبقاها السلطان سليم بعد افتتاحه بلاد العرب وأخذه لأقاليم مصر والشام وحلب تفرق على العربان أصحاب الادراك أو المدارك وعلى فقراء أهالى مكة .

والسلطان سليم أول من رتب "صدقة الحب" لأهل الحرمين، ففى سنة ٩٢٤ هـ وصل من السويس الى جدّة سفائن تحمل ٧٠٠٠ إردب من القمح جهزها بأمر السلطان سليم خاير بك نائب السلطنة بمصر منها ٢٠٠٠ لأهل المدينة والخمسة الباقية لأهل مكة، وقد كون الأمير مصلح الدين لجنة تنظر فى توزيع هذه الصدقات فرأت أن يباع بعضها لتنقل بثمنه الحبوب من جدّة الى مكة ويوزع الباقى على أهل مكة فردا فردا وقد أخذوا يقيدون أهل كل محلة وسكان كل بيت من رجال ونساء وصغار وكبار عدا التجار والسوقة والعسكر، فكان عدد المكيين خلا من ذكرنا

اثنى عشر ألفا وزع عليهم القمح وما بقى من ثمن ما بيع نخص كل فرد ربع الأردب ودينارا ذهبيا وجعل لكل من القضاة الأربعة الشافعى والحنفى والمالكى والحنبلى ثلاثة أرادب وزيد فى أسماء بعض البيوت لما لكبرائها من المكانة والمنزلة .

ولما انتقل الملك الى السلطان سليمان (٩٢٦ — ٩٧٤ هـ) ضاعف «الصدقات الرومية» حتى بلغ ما كان يرسله لأهل مكة وحدها ١٨٠٠٠ دينار أشرفى أحمر . وكان أهل الحرمين يسدّدون من هذه الصدقة ديونهم وينفقون الباقى فى حجهم وكساويهم وعلى عيالهم وأولادهم . وقد اشترى السلطان سليمان عدّة قرى بمصر وقفها وجعل غلتها وريعها لأهل الحرمين، فكان لأهل المدينة من غلتها ١٥٠٠ أردب من القمح يجهزها ناظر الوقف ويرسلها ثم أبلغ مرتبها الى ٢٠٠٠ إردب وجعل لأهل مكة ٣٠٠٠ إردب وكانت هذه الصدقات توزع حسب المرصود فى الدفاتر التى صدرت بها أحكام سلطانية وأقرّها القضاة ونظار الحرمين . ومن قبل لما حج السلطان قايتباى وزار المدينة وقف على أهلها وأهل مكة قرى وضياعا يصل ريعها الى الحرمين . وللسلطان جقمق أيضا أوقاف قليلة لأهل ذينك البلدين ولكن كل ذلك دون ماوقفه السلطان سليمان .

ومن الصدقات التى قرّرها السلطان سليمان لعلماء الحرمين ومشايخهما والمتقاعدين بهما « صدقات الجوالى » والجوالى جمع جالية وهى ما يؤخذ من أهل الذمة نظير إقامتهم فى بلاد الإسلام وعدم إجلائهم عنها .

وقد ذكرتنا خيرات السلطان سليمان بالكتاب البليغ الذى خطه بيده الى صاحب مكة ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد، فان الحسنة فى نفسها حسنة وهى من بيت النبوّة أحسن والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بيت النبوّة أشين، وقد بلغنا عنك أيها السيد الجليل أنك بدلت الأمان بالخيفة وفعلت فعلا تحمرّ منه الوجوه وتسوّد الصحيفة فلا تفعل القبيح وجدّك الحسن ولا تضيع الفرض ومن أبيك عرفت الفرض والسنن فكيف آويت المجرم وسفكت دم المحرم ﴿ ومن يهن الله فما له من

مكرم ﴾ فان لم تقف عنـد حدّك ، أغمدنا فيك سـيف جدّك والسلام ؛ فكتب الجواب العبد معترف بذنبه تائب الى ربه ؛ فان أخذت فحقك الأقوى ، وأن تعفوا فهو أقرب للتقوى .

وذكر الشيخ مرعى الحنبلى هـذا الكتاب وقال إن السلطان بيـبرس كتبه الى صاحب مكة — ولنعد الى سياق الصدقات .

ولما ولى السلطان سليم خان (٩٧٤ — ٩٨٢ هـ) زاد صـدقة الحب ٣٠٠٠ إردب وكان يهدى الى بعض أهل مكة كساوى كالقاضى والمفتى والمدرّسين .

ومن مبرات السلطان مراد (٩٨٢ — ١٠٠٣ هـ) حب الجراية المرادية وكان نحو ٥٠٠ إردب ، وجعـل مرتبات للأئمة ، وفى سنة ٩٩٨ هـ . «أرسل ٣٠٠٠» إردب من القمح وما زال يزيدها حتى بلغت ١٠,٠٠٠ وصارت هذه الصدقة تعرف « بالروميـة الجديدة » أما القـديمة فكانت تخرج من مصر وما زال ملوك آل عثمان يزيدون فى قمح الجراية من ٥٠٠٠ لمكة و٢٠٠٠ للمدينة فى بادئ الأمر الى أن وصل فى أيامنا هـذه الى ١٢٠٠٠ إردب لأهـل مكة و ٨٠٠٠ لأهل المدينـة — وزن الاردب بالأقة العثمانية ١٠٨ —

ملوك بنى عثمان مذ كان أصلهم * كرام لهم فى المكرمات مفاخر
إذا ولد المولود منهـم تهللت * له الأرض واهتزت اليه المنابر

أما « ما ترسله مصر » الآن للحرمين فانه ٢٠٢٣٥ إردبا من القمح منها ٨٥١٩ لأهالى ومجاورى المدينة المنوّرة والبـاقى لمجاورى مكة وأهاليها ويضاف الى مرتب المدينة ٣٦ إردبا باسم الشيخ محمد خيرالدين بن الشيخ منتظر أفندى واسرته ، وكان مرتب أهل المدينة يزيد على ماذكرنا ٢٣٣ إردب ، ولكن اقتطع ذلك منه منذ أربع سنوات نظير ثمن ٨٥١٩ غرارة — زكيبة أو شوال — ولهذا القمح مخزنان كبيران — شونتان — أحدهما بينبع يوضع فيه قمح المدينة بعد إخراجه من البواخر وتشكيل

لجنة من مأمورى ينبع تراقب إخراجه وتسلمه ويوزع على مستحقيه بمقتضى تذاكر تعطى لكل مستحق من خزينة المدينة عليها توقيع مديرها و « روزنامجيها » ثم إن القمح بعد وضعه فى المخزن يختم عليه من المأمور المعين من طرف خزينة المدينة واسمه «أحمد أرناوطى» ومن أعضاء مجلس إدارة ينبع وكاتبه وكلما وزع منه شيء أعيد الختم ، وأما المخزن الثانى فانه بجدّة ينقل اليه من البواخر قمح مكة ويوزع على مستحقيه والتوزيع بحسب الكيل الوارد من مصر وكل غرارة داخلها إردب .

ومما يتصل بهذه الخيرات المرتبات التى خصصتها مصر لأهل الحرمين ولعربان الطرق وما تقوم به تكيتا مكة والمدينة من إطعام الفقراء والمساكين وهاتان التكيتان من آثار محمد على باشا جدّ الاسرة المالكة بمصر وجميع نفقاتهما ومرتبات موظفيهما من قبل الحكومة المصرية وقد بلغ المقدر للتكيتين فى سنة ١٣٢١ ٣٥٥٠ جنيها مصريا وهاك ماتنفقه يوميا تكية مكة .

المرتب اليومى لتكية مكة

الجملة		مسلى	أرز هندى أو مصرى		دقيق	ملح	حمص	حطب		بيان الأيام
درهم	أقة	أقة	درهم	أقة	أقة	أقة	أقة	درهم	أقة	
١٥٠	٣٠٢	٦	٣٥٠	٤٦	١١٨	٤	—	٢٠٠	١٢٧	يوم شربة فى مدة ثمان شهور من المحرّم لغاية شعبان
—	٤٤٠	١٥	٢٠٠	١٤٠	١١٨	٤	١٥	—	١٤٧	يوم "فلاو" وهو كل خميس من كل السنة خلا رمضان
—	١١٧٣	٣٠	—	٤٢٠	٣٢٠	١١	٥٠	—	٣٤٢	فى كل يوم من أيام رمضان ورمضان جميعه "فلاو"
—	٧٨٠	٩	—	١٥٦	٣٢٠	١١	—	—	٢٨٤	يوم شربة وذلك فى جميع المدّة من شوّال لغاية الحجة

ومرتب لكل يوم من أيام المواسم ٢٨٢ أقة و ٢٠٠ درهم من اللحم الجملى . وفى الأيام العادية ١٥٠ أقة والجارى صرفه الآن ١٠٠ أقة من لحم الضأن فى أيام المواسم و ٣٧ أقة و ٢٠٠ درهم فى الأيام العادية .

وهاك جدولا مفصلا عما يصرف فى التكيتين المذكورتين :

ميزانية تكية مكة مفصلة وكذلك مرتبات أهلها

ملسيم	جنيه	
—	١٠٤٧	مرتبات موظفى تكية مكة المكرمة .
—	٧٠٥٠	ثمن أغذية وغيرها « « «
—	٨٠٩٧	
—	١٠	لإحياء ليلة المولد النبوى .
—	١٠	« « ١٣ رمضان تذكارا لوفاة محمد على باشا .
—	١٠	« « عيد جلوس حضرة صاحب الجلالة ملك مصر
—	١٠	« موسم عاشوراء .
—	١٦	لاتخاذ محل لصلاة التراويح بالمسجد الحرام .
—	٥٦	

مرتبات من أوقاف الحرمين تصرف شهريا

ملسيم	جنيه	
—	١٠	للشيخ عبد اللطيف الدندراوى شيخ السادة الدندراوية يصرف من الوزارة .
—	١٠	للشيخ حازم بن عبيد الله بن مليح .
٥٠٠	٦	لعلى فالح وأخيه أبى بكر للأول ٥ جنيهات وللثانى جنيه و٥٠٠مليم
—	٥	للشريف ناصر بن شكر .
—	٥	لعبد الحفيظ بن عبد الله مليح .
—	٥	للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى .
—	٥	« « زين العابدين بصراوى
—	٥	للسيد أحمد عبد الله عقيل .
—	٥	لمحمد كامل الهراوى .
٥٠٠	٥٦	نقل بعده

مليم	جنيه	
٥٠٠	٥٦	ما قبـــله
—	٥	لفتح الله الصاوى يصرف من الوزارة .
٧٠٩	٣	لمحمد يحيي خلوصى .
—	٣	للسيد عبد الله الزواوى .
—	٣	لأسرة محمد سعيد أحمد أبى الخير .
—	٣	لعبد التواب سلامه .
٥٠٠	٢	لمصطفى يوسف البسيونى .
—	٢	لعبد العزيز على زمزم .
—	٢	للحاج حبيب الله الداغستانى .
—	٢	لأولاد السيد حسن الحبشى وهم أحمد ومحسن وعبد الله وفاطمة
—	٢	للحاج إسماعيل بيتر .
—	٢	للحاج يوسف شاه الداغستانى .
—	٢	لعلى عبد الله على .
٨٥٤	١	لمحمد سعيد أبى الفرج .
٧١٣	١	لأسرة السيد أحمـد بافقيه وهم خديجة زوجتـه وهانم وفاطمة وشيخه أولاده .
٥٠٠	١	لورثة السيد سالم البار .
٥٠٠	١	لأسرة محمد أبى طالب المصرى .
٥٠٠	١	لبنات السيد عمر شطا .
—	١	لعلى بن محمد سعيد بابصيل .
—	١	لأبى بكر سعيد بابصيل .
—	١	لورثة السيد عثمان الراضى .
—	١	للسيد الشريف حمزة بن حسن البركاتى .
٧٨٦	١٠٠	نقل بعده

	ملـيم	جنيـه
ما قبــله	٧٧٦	١٠٠
لأرملة الشيخ بدوى الديب .	—	١
لخديجة بنت على وصفى .	—	١
لأحمد أحمد حجازى .	—	١
للسيد عثمان أبى طالب .	—	١
لمحمد حامد أبى ناصف .	٩٢٧	—
لمحمد أحمد بن عباس الدليل .	٥٠٠	—
لأحمد محمد محسن المهدى .	٥٠٠	—
للشيخ محمد على الرهينى .	٥٠٠	—
لفاطمة بنت مصطفى بصاص .	٥٠٠	—
لفاطمة أم أحمد زاهد .	٥٠٠	—
لآمنة بنت محمد كشميرى .	٥٠٠	—
لخضرة بنت ابراهيم عويس .	٥٠٠	—
لأحمد سلامة همام .	٥٠٠	—
لأولاد الشيخ محمد نعيم .	٥٠٠	—
لزهرة بنت أحمد مغازل .	٥٠٠	—
لنور بنت عبد الله كعكى .	٥٠٠	—
لأمينة بنت اسماعيل الزمزمى .	٥٠٠	—
لورثة محمد حسن الخياتى .	٥٠٠	—
« محمد طاهر الكتبى .	٥٠٠	—
« ابراهيم فوده .	٥٠٠	—
لزهرة إبراهيم شاهين .	٥٠٠	—
لعلى سفاف بن جماله .	٢٥٠	—
نقل بعده	٩٥٣	١١٣

مليم	جنيه	
٩٥٣	١١٣	ما قبله
٢٥٠	—	لعائشة كريمة جماله .
٢٥٠	—	لزينب بنت محمد على السقا من أوقاف الحرمين .
٤٥٣	١١٤	جميع ذلك من أوقاف الحرمين وهو مرتب شهر من أوقاف خيرية تديرها الوزارة .
٢٠٠	١٣٨	من وقف الست ماهتاب قادن لخدمة الحرمين الشريفين سوية بينهما .
٣٥٠	١٢	من وقف أحمد باشا رشيد .
٣١١	٧	« « يوسف بك قطامش منه ٧٥٢ مليم لسقى ماء وجنيهان وخمسين مليما لقراءة قصة المولد فى شهر المحرم و٤ جنيهات و٥٠٩ مليمات لسقى ماء زمزم .
—	٨	من وقف الست أنجه هانم لإقامة شعائر مسقاها بمكة .
—	٦	« « سليمان أغا السلحدار لعمل خيرات بمدفن أخيه بالمعلاة
١٤٣	٦	« « عبد الرحمن كتخدا مرتب خيرات الوقف .
٨٠٠	٥	« « عثمان كتخدا القازدغلى « «
—	٥	« « خديجة الفروجية .
٦٣٧	٤	« « عمر افندى رسمى لإقامة شعائر ضريح السيدة آمنة .
—	٤	« « السيدة حور جنان لقراء يقرءون القرآن لها بالحرم .
—	٤	« « « « لملء عشرين دورقا من ماء زمزم
—	٢	« « محمد افندى إبراهيم رزه وزوجته للحاج محمد أبى العينين الزمزمى .
—	١	« « على كتخدا صالح للشيخ الزمزمى لملء دوارق .
—	١	« « سليمان أغا الحنفى مرتب لملء أربعة دوارق .
—	١	« « زينب بنت على كاشف لملء دوارق بالحرم المكى
٩٥١	—	« « زين الدين مصطفى سعيد وابنته لملء دوارق .
٣٩٢	٢٠٧	نقل بعده

مليم	جنيه	
٣٩٣	٢٠٧	ما قبله
٦٦٦	—	من وقف مصطفى جلبي القبرصلى وابنته .
٤٠٠	—	« « الحاجة منوسة بنت محمد الشيمى لأحد الزمزمية لسق العطاشى .
٣٨٥	—	« « عثمان جلبي ومحمد جلبي قنصوه لملء دوارق بالحرم المكى .
٨٤٣	٢٠٨	من أوقاف خيرية تديرها الوزارة جملة ما تقدم .
٢٩٦	٨٤٧٦	مرتب التكية بما فيه ١١٤ جنيه و٤٥٣ مليم مرتب شهر للفقراء
٩٨٣	١٢٥٨	مرتب ١١ شهرا للفقراء بقية السنة
٢٧٩	٩٧٣٥	مجموع ما تصرفه التكية سنويا و بيانه
٨٤٣	٢٠٨	من أوقاف أهلية تديرها الوزارة .
٤٣٦	١٣٧٣	من أوقاف الحرمين باعتبار كل شهر ١١٤ جنيها و٤٥٣ مليم .
—	١٠٤٧	مرتبات موظفى التكية .
—	٧٠٠٠	ثمن أغذية للفقراء بالتكية .
—	٥٠	بدل سفر لموظفى التكية .
—	٥٦	لإحياء ليالى بالمسجد الحرام بمكة المكرمة .
٢٧٩	٩٧٣٥	

تكية المدينة المنورة ومرتبات أهلها

مليم	جنيه	
—	٢٥٩	مرتبات موظفين داخلين فى هيئة العمال حسب الميزانية .
—	٥٤٢	« « خارجين عن هيئة العمال .
—	١٨٥٠	ثمن أغذية وغيرها بما فيه بدل انتقال وسفر .
—	٥٠	مرتبات لإحياء ليلة المولد النبوى وليلة عاشوراء و ٢٧ رجب و ١٣ رمضان لذكرى وفاة المغفور له محمد على باشا جد الأسرة المالكة وعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة ملك مصر كل ليلة ١٠ جنيهات من وقف الحرمين .
—	٢٧٠١	نقل بعده

مرتبات فقراء من أوقاف الحرمين الشريفين

مليم	جنيه	
—	٢٧٠١	ما قبله
—	١٥	لمحمد الخضر .
—	١٠	للشريف حسين شحات .
—	١٠	للسيد أحمد الدندراوى شيخ السادة الدندراوية (يصرف من الوزارة).
٥٠٠	٧	للسيد عبد الحميد محمد أسعد .
—	٥	للشيخ محمود على شويل .
—	٥	لعمر افندى لطفى .
—	٥	للسادة الرشيدية .
٥٠٠	٤	لمحمد كامل وهدان .
—	٤	لعبد الله بن مصطفى صقر .
—	٤	لأسرة الشيخ عبد المحسن أسعد و يصرف لولده .
—	٤	لمحمد محمد العلوى .
—	٣	لسيد الأمين .
—	٣	لأحمد بن خطار .
—	٣	للشيخ عطية محمود .
—	٣	للشيخ محمد عبد الرحمن الشنقيطى .
—	٣	لحسين بن مصطفى طيار .
—	٣	لعزة بنت ابراهيم توفيق .
٦٢٥	٢	لحسن ابن الشيخ محمد محمود الشنقيطى .
٥٠٠	٢	لمبارك بن الحارث الشابى .
—	٢	لخديجة ربيبة فاطمة جهان .
—	٢	لزينب بنت عبد الله أرملة محمد على شيخ .
١٢٥	٢٨٠٣	نقل بعده

مليم	جنيه	
١٢٥	٢٨٠٢	ما قبله
—	٢	لباب ابن محمد .
—	٢	للسيد أحمد رضا الحسينى .
٩١٦	١	لورثة محمد سعيد تخه وهم زوجته مالكة وأولاده حمزة وعائشة .
٧٥٠	١	لمحمد زين الدين الحسينى .
٦٦٦	١	للشيخ حامد محمد الخطيرى .
٥٠٠	١	لمحمد جمل الليل .
—	١	لأولاد أحمد الطرابلسى .
—	١	لأولاد الشيخ محمد العزب وهما سليمان ومالكة .
—	١	لطيبة بنت مصطفى صقر .
٩٣٧	—	للشيخ ماجد عبد الرحمن برى .
٨٣٣	—	لفاطمة بنت على الجزايرلى .
٨٣٣	—	لخديجة بنت صالح سندى .
٧٥٠	—	لآمنة بنت على افندى أنور عشق .
٧٥٠	—	لزكية بنت عبد الغنى عشق .
٧٥٠	—	للشيخ أحمد شمس .
٦٠٠	—	« محمد حسن جياد .
٥٠٠	—	« محمد العايش المصرى .
٥٠٠	—	آسية بنت سليمان العزب .
٥٠٠	—	لعبد المبين محمد عطية أبى ذراع .
٥٠٠	—	لأولاد محمد على خليل وهم أم الفرج وسلمى وكامل .
٥٠٠	—	للرئيس أحمد الكروى .
٣١٢	—	لفاطمة بنت هاشم برى .
٢٢٢	٢٨٢٤	نقل بعده

مليم	جنيه	
٢٢٢	٢٨٢٤	ما قبــــله
٢٧٨	—	لفاطمة سمانية بنت آمنة .
٢٧٨	—	لأولاد عبد العزيز أحمد العمان .
٢٧٧	—	لعبد الله عبد الكريم .
٢٧٧	—	محمد زيد أحمد العمان .
٢٧٧	—	لعبد المطلب سمان .
٦٠٩	٢٨٢٥	المرتب سنويا للتكية بما فيه ١٢٤ و ٦٠٩ مليم مرتب شهر للفقراء
٦٩٩	١٣٧٠	المرتب سنويا فى ١١ شهرا من أوقاف الحرمين للفقراء ومن أوقاف أهلية تديرها الوزارة .
٧٧٠	٢٤٨	من وقف بشير أغا دار السعادة مقررات خيرية .
٧٧٣	٧٥	« « أحمد رشيد باشا « «
٨٥٧	٣٨	« « عبد الرحمن كتخدا « «
٦٠٠	٥	« « عثمان كتخدا القازدغلى « «
٦٣٧	٤	« « عمر افندى رسمى
—	٣	« « محمد افنـدى ابراهيم رزه وحرمه لريحان أغا الديرى أحد خدمة المسجد النبوى ثم لمن يلى عمله .
—	٢	من وقف على كتخدا صالح مقرر خيرات الوقف .
—	٢	« « الست خديجة الفروجية مقرر خيرات الوقف .
—	١	« « سليمان أغا الحنفى .
٥٧٢	—	« « زين الدين مصطفى سعيد وابنته .
٣٨٥	—	« « عثمان شوربجى ومحمد چلبى قنصوه لملء دوارق .
٥٩٤	٣٨٢	
٩٠٢	٤٥٧٨	تكية المدينة المنورة .

ملـيم	جنيـه	
—	٢٧٠١	مرتب التكية والموظفين .
٣٠٨	١٤٩٥	مرتب سنوى للفقراء باعتبار الشهر ١٢٤ جنيه و ٦٠٩ مليم .
٥٩٤	٣٨٢	من أوقاف أهلية تديرها الوزارة سنويا .
٩٠٢	٤٥٧٨	الجمـلة

ناظر تكية مكة وسوء تصرفه — لما كنت بمكة فى حجة سنة ١٣٢٥ هـ . وجدت الناظر لم يصرف للفقراء شيئا مطلقا من ٦ ذى الحجة الى ٢٢ منه وفى اليوم الأخير توجهت الى التكية بعد صلاة الصبح لألاحظ صرف المرتبات الى الفقراء فوجدت الباب مغلقا والفقراء من دونه ينتظرون فأمرت — جاويش القره قول — بفتح الباب وأشرت الى الفقراء بالدخول وبعثت الى الناظر فأوقظ من نومه وحضر فأمرته بالصرف فقال : إنى غير مستعد فقلت له : هذه تكية محمد على باشا جعلت للفقراء فكيف توصد أبوابها من دونهم؟ وأمرته بشراء خبز من السوق وصرفه للفقراء الذين حرموا من طعام التكية منذ ١٧ يوما ثم سألته عن السبب فى عدم الصرف، فقال : إن بالبلدة وباء وأنه أرسل تقريرا لديوان الأوقاف بمنع الصرف حتى يسافر المحمل (والحجاج طبعا) فأخبرته بأن ترك الصرف يزيد فى الوباء لأن الفقراء يموتون جوعا فتزداد الوفيات، ولقد أقر الناظر بأن الدولة تعمل العيش لجيشها الجرار ولم تقطعه، فلماذا لم يقتد بالدولة؟ وقد بعثت ببرقية الى ديوان الأوقاف بعدم النظر فى تقريره الذى أرسله للأسباب التى أبديها بعد، ولقد رأيت فى نفوس أهل مكة قاطبة ولا سيما المحتاجون كراهة لهذا الناظر حتى انطلقت ألسنة بعض الفقهاء بقول الشعر فى ذمه ومن ذلك :

تكية مصر أطعمت كل جائع * بأمّ القرى حتى تخيلها أمّا
فقد أصبحت فينا كناقة صالح * تزار بها الأيام محضا لمن أما
رماها فدار من كنانة جهله * بسهم فأصماها وعهدى به أعمى
كذا الناظر المشئوم مهما توله * زماما فان الشؤم يتبعه حتما

تكية المدينة ومرتبها — هاك ما يصرف يوميا من التكية المصرية لثمانمائة فقير من فقراء المدينة، وذلك فى سنة ١٣٢١ ﻫ .

الصنف	أيام الغلاء		الأيام العادية	
	الجملة	ما للفرد	الجملة	ما للفرد
	أقة	درهم	أقة	درهم
مسلى	٨	٤	٣	١٫٥
أرز مصرى	١٠٠	٥٠	٤٠	٢٠
دقيق	٩٦	٤٨	٩٦	٤٨
لحم	٤٠	٢٠	—	—
حطب للفرن والطبخ ...	٩٢	٤٦	٩٢	٤٦
	٣٣٦	١٦٨	٢٣١	١١٥٫٥

وأيام الغلاء أيام الزيارة وتشمل أيام رمضان كلها وأخمسة النصف الأول من شهر شوال وأخمسة النصف الأول من ذى القعدة وأخمسة المحرم ورجب والأيام العادية ماعدا ذلك .

هذا وقد أرسل ديوان الأوقاف معاون الديوان الأول الى مكة والمدينة للتفتيش على تكيتهما وتصادف أنه عند ما حضر الى المدينة كان بها وباء حمل الفقراء على مغادرتها الى خارجها فلما آن وقت الصرف وجد العدد دون المقرر بجعل الحاضرين أساسا للصرف، وبذلك اقتصد من المرتب ما يكفى سنة أو يزيد .

وكتب ناظر التكية الى ديوان الأوقاف بعدم إرسال مرتب للسنة المقبلة لوجود ما يكفيها مما اقتصده إبراهيم بك، ولما زال الوباء وعاد الفقراء لم يمكنه الزيادة لعدم الاذن له من الديوان ، وترى فى الجدول الآتى المرتب اليومى لثلثمائة وخمسين شخصا بعد الاقتصاد :

٣٢٢

الفقراء داخل تكية محمد علي باشا بالمدينة المنورة



322. Inmates of the Charity House of Mohamed Aly Pasha at Medina.

الصـــنف	ما للجمـــلة		ما للفــرد	مــلاحظات
	درهم	أقــة	درهم	
مسلى	١٢٥	١	١٫٥	
أرز مصرى	٢٠٠	١٧	٢٠	
دقيق	—	٤٢	٤٨	
لحم ضأن	٢٠٠	١٧	٢٠	فى أيام الخميس فقط
حطب للطبخ والفرن ...	٢٠٠	٤٥	٤٫٥	للفرن ٢١ أقة وللطبخ ٢٤
	٣٢٥	١٢٣	١٤٠٫٩	

ولمـا عينت أميرا للحج فى طلعة سنة ١٣٢١ هـ . كلفنى صاحب السعادة الفريق عبد الحليم عاصم باشا مدير الأوقاف بالنظر فى أمر فقراء المدينـة وسبب الاقتصاد من مرتبهم وتقديم تقرير اليه بمـا أراه موافقا ، ولمـا وصلت المدينة زرت التكية ومعى صاحب العزة أحمـد بك زكى أمين الصرة ، وكان ذلك وقت صرف الطعام لهم فوجدنا الفقراء هنالك بكثرة لا تتفق مع ما قرره حضرة المعاون المقتصـد إذ كانوا يزيدون على الألف ، ولمـا كان معى آلتـان لحبس الصور الشمسية بحجم ١٣ × ١٨ و ٩ × ١٢ صعدت الى سطح التكية ورسمت الفقراء وهم يتضرعون الى الله سبحانه بانزال سحائب الرحمة على جدّ الأسرة المـالكة محمد على باشا منشئ التكية وعلى سلالتـه الطاهرة خديونا عباس باشـا الذى وفقه الله لعمل هـذه الخيرات (انظر الرسم ٣٢٢) .

ولمـا قدمت الى مصر قدّمت تقريرا بما رأيتـه وأرفقته بصورة الفقراء داخل التكية تلك الصورة التى تدل دلالة يقينية على أن الفقراء بالتكيـة يزيدون على ثلاثة أمثال ما قرره حضرة المعاون ، ولمـا اطلع سموّ الخديو على الرسم رق لهؤلاء البائسين وأمر برجوع المرتب الى أصله بل بالزيادة عليه فاكتسب بذلك دعوات صالحات من الفقراء والمنقطعين الذين يتعيشون مما يصرف اليهم من التكية كما اكتسب رضا الخالق وإنه لخير وأبقى .

وما هذه الفعلة من معاون الديوان الأول إلا كفعلة أمير من أمراء الحج فانه كان مرتبا ١٠٠٠ أقة من البقسماط للفقراء الذين يرافقون المحمل فى سفره من مكة الى المدينة وكثير ماهم، وكان ترتيب ذلك بناء على ماعرضته على مدير عموم الأوقاف الفريق عبد الحليم عاصم باشا من كثرة الفقراء بالطريق وحاجتهم الى الزاد فلبى الطلب وأمر بشراء ألف أقة من البقسماط بعد استئذان سمو الخديو وعين ملاحظا تكون فى عهدته وآخرين يساعدونه فى التوزيع فأحيا بذلك نفوسا كانت من الموت قاب قوسين أو أدنى وأضاف بذلك مأثرة الى مآثره الجمة التى عرفناها له فى ديوان الأوقاف وفى المعية السنية فلما كانت إمرة هـذا الأمير فى سنة ١٣٣١ هـ . طلب من الديوان حذف هذه المبرة بحجة عدم الحاجة اليها وما كان ذلك إلا ليزيد فى عدد جماله ويحرم مئات من الفقراء انقطع بهم السبيل فى صحراء قاحلة لانبات بها ولا زرع ولقد أجابه الديوان الى ما طلب ظانا صحة الأسباب، ويعلم الله بعدها عن الواقع .

المسقى الخيرى — لما عدت من حجة سنة ١٣٢٠ هـ . وقابلت سمو الخديو حدثتـه عن الفقراء الذين يحجون ويزورن مشيا على الأقدام، وعن الصعاب التى يلاقونها فى سبيلهم فتطرح بهم فى الفيافى والقفار بلا ماء ولا زاد، وكذلك حدثتـه عن الحجاج الذين تنتابهم نوائب فى سفرهم تجتاح مالهم وإنهم لكثيرون، لما حدثته عن ذلك — وكان كلمه من قبل فى هـذا الموضوع مدير الأوقاف — أصدر أمره الكريم فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٣ م لمدير الأوقاف بعمل مسقى خيرى يرافق المحمل حتى يكفى الفقراء المـاء وفى البقسماط لهم زاد وكان الانفاق على المسقى موكولا الينا فى سنتى ١٣٢١ و ١٣٢٥ هـ .

وهاك الكتاب الذى بعث به الىّ مدير الأوقاف فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٠٣ م:

سعادة أمير الحج المصرى

وافقت المكارم السنية على صرف مائتى جنيه لسعادتكم من ذلك مائة وخمسون جنيها نفقات مسقى متنقل يسير مع ركب المحمل والباقى وهو خمسون جنيها يشترى

به سجادات تفرش للصلاة فى المسجد الحرام كما ورد بذلك كتاب من سعادة رئيس الديوان الخديوى مؤرّخ فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٣ م . رقم ٢٦ وقد أذنا اليوم بصرف هذا المبلغ لسعادتكم لتنفقوا منه فى هذين المشروعين وتقدّموا لنا تفصيل المنفق بعد عودتكم مع مستندات الصرف ". مدير الأوقاف

عبد الحلم عاصم

وهاك تفصيل المنفق فى حجة سنة ١٣٢١ هـ :

مليم	جنيه	
٧٠٠	١٧	ثمن ٦٠ قربة على دفعتين .
٥٦٠	١	« حبال .
١٢	٢	« دلوين وكيزان وأحبال تيلية و" سبيه " .
٢٧٠	—	« ٤ قطع " صنفاص " .
٤٠٠	—	« قمع نحاس زنته ثمانية أرطال .
—	٧	« خيمتين .
٤٠٠	٣	« ثلاثة أزيار من الجلد .
٥٠٠	١٣	مرتب ثلاثة أشخاص فى ثلاثة شهور لكل منهم شهريا ١٥٠ قرشا .
—	٩	« رئيس ثلاثة أشهر .
—	٢٠	ثمن ٤ تذاكر درجة ثالثة سعر ٥٠٠ قرش .
—	٧	تأمينات ورسوم محاجر وجوازات سفر .
٥٠٠	٣١	مرتبات الخدم فى ثلاثة أشهر .
٩٠٠	٦	ثمن مياه فى جدّة ٥١٠ قرش وفى عرفات ومنى ١٨٠ قرش .
٤٠٠	—	أجرة حمل الأمتعة فى جدة ذهابا وإيابا .
—	١	ثمن عشرة أجربة لترميم القرب .
٢٠٠	٢	صرفت فى الطور للمقدم ٥٠ وليوسف على ٥٠ ولأربعة أشخاص ١٢٠ .
٦٥٠	٩١	أجرة الجمال .
٤٩٢	٢١٥	نقل بعده

مليم	جنيه	
٤٩٢	٢١٥	ما قبله
٣٤٠	—	ثمن ١٧ غرارة .
—	٥٠	« ٥٠ سجادة — أكامة من القطن الهندى — للمسجد الحرام .
٨٣٢	٢٦٥	جملة المصروف .
—	٢٠٠	المقرر من الديوان .
٨٣٢	٦٥	الباقى وقد تسلمه من ديوان الأوقاف متعهد الجمال بعد رجوعنا .

والسجادات التى شريناها وزعناها على خدم زمزم والمطوفين والملازمين للصلاة فى المسجد الحرام ليقدموها لزوار المسجد يصلون عليها . وفى الكشف الآتى أسماء الأشخاص الذين وزعت عليهم :

بيان بأسماء الأشخاص الذين فى عهدتهم سجاجيد المسجد الحرام وما لدى كل منهم :

سجادة	
١	الشيخ يحيي محمد شاه ولى الزمزمى .
١	« يحيي صالح عطار .
٣	« عبد الله فضل شيخ الزمازمة .
١	« محمد صالح الحسنى .
١	« عبد الحميد الزمزمى .
٣	« أحمد هندى الزمزمى .
١	« أحمد أشقر الزمزمى .
١	« فضل الله تابع المرحوم عبد الغنى الزمزمى .
١	« أحمد عبيد الزمزمى .
١	« سليمان قاسم تابع «الأغوات» .
١	« حسن حسنى الزمزمى .
٣	« محمد طونجى .
٢	« عبد الرحمن مكى الزمزمى .
٢	« صدقه فاضل وأخواته .
١٩	نقل بعده

سجادة
١٩ ما قبـــله
٣ الشيخ إسماعيل « أغا » شيخ « أغوات » المسجد الحرام .
١ « أحمد إبراهيم نعمان خازن تكية مكة .
١ « أحمد محمد رجب السكندرى الزمزمى .
٦ « محمد سعيد أبو الفرج زاده الزمزمى .
٣ « محمود ابن المرحوم عبد الله رفيع .
٤ « محمد حامد أبو ناصف المطوف بالمسجد الحرام .
٣ « محمد ابن المرحوم عبد الله رفيع .
٤ « حسين الشماع الزمزمى .
٦ « محمد إبراهيم بن شمس الدين محمد المكى الفاسى الشاذلى .
٥٠ الجمـــلة

أما نفقات السبيل الخيرى فى حجة سنة ١٣٢٥ فهى كما يأتى :

المصـــروف		المنفق فيـــه
مليم	جنيه	
٧٢٥	٢	أجرة تصليح قرب وثمن مياه .
١٠٠	٣	« بيت فى مكة وأجرة لنقل « البقسماط » .
٣٠٠	١	ثمن خيمة .
٨٤٠	—	« شقدف وأشياء أخرى .
١٠٠	١	مصاريف جوازات السفر وأجرة عربات للأمتعة .
٥٩٠	١	نفقات متنوعة بها صكوك .
١٥	١	أجرة بيت فى المدينة .
—	١	أجرة فى نصف شهر فبراير لمساعد .
٨٥٠	٨٠	مرتب موظفى المسق فى المدة من ١١ يناير لغاية ٣٠ أبريل .
٩٩٠	٨	« لخدمة البقسماط من ١١ يناير الى ١٠ فبراير .
٢٥٠	١٤٦	أجرة الجمـال .
٧٦٠	٢٤٨	الجمـــلة
	٢٠٠	تنزيل ما قررته الأوقاف .
٧٦٠	٤٨	الفرق صرفته الأوقاف لمتعهد الجمال باقى أجرتها بعد رجوعنا .

ولقد كان فى هذا المسقى الخيرى والبقسماط إنقاذ كثيرين من عوادى الجوع ، ومخالب العطش الذى كثيرا ما أودى بحياة أناس لم يقصدوا بسفرهم إلا وجه الله وابتغاء مرضاته .

وقد بلغنى قطع هاتين النعمتين عن حجاج الحرمين وأنه لأمر يشق على النفس ولكن لنا كبير الرجاء وعظيم الأمل فى جلالة مليكنا فؤاد الأول أن يعيد هذه الخيرات الى نصابها ويضيف اليها من حسناته الجمة وخيراته الوافرة .

وكم لمصر من حسنات أخرى وهبات كبرى للحرمين وساكنيهما وسينجلى لك كثير منها فى الكلمة الآتية :

خيرات مصر فى الحجاز

مرتبات مكة والمدينة

قد رأينا أن نذكر لك سنة بالتفصيل الواسع ثم نتبع ذلك بتفصيل نفقات كسوة المحمل القصبية ثم بتفصيل ميزانية القسم العسكرى فى سنة واحدة ونعقب ذلك بمجمل الميزانية من سنة ١٨٨٠ م الى سنة ١٩٢٤ م ثم نذكر أبواب ميزانية المحمل وما جعل لكل منها فى السنين التى حصل فيها اختلاف بما يربو على ١٠٠٠ جنيه حتى تكون على خبرة تامة بهذا الموضوع ، فخذ ما آتينك وكن من الشاكرين .

تفصيل ميزانية المحمل سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٩٩ م)

الفصل الأوّل — فى نفقات كسوة الكعبة

مليم	جنيه	
—	١١٢٢	ثمن ٦٦٠ أقة حرير سعر الأقة ١٧٠ قرشا .
٧٥٠	١١٩٦	ثمن ١٦٠٠٠ مثقال من المخيش البلدى الأصفر سعر المثقال ٥,٢٥ قروش و ٦٥٠٠ مثقال من المخيش البلدى الأبيض سعر المثقال ٣,٢٨ قروش .
—	١٣١٠	أجرة تشغيل المخيش .
١٩٠	٥١	« فتل الحرير .
١٠٠	١٣٧	« صباغة الحرير .
٢٢٠	١١	ثمن أطلس ساسى أخضر وأحمر .
٢٠٠	٤	« غزل كتان .
٨٥٠	٢٤	« قطن مفتول .
٥٧٠	٣	« أمشاط بوص جديدة وأجرة تصليح القديمة .
٥٨٠	—	أجرة "تكويف" غزل .
٥٧٠	٤	« فتل الحرير "الزمار" .
٧٢٠	٦	ثمن أصناف من الحرير المصبوغ .
٨٣٠	١	أجرة تشغيل أصناف القطن .
٣٣٠	٢	« صباغة حرير وغزل ملون .
٧٢٠	١	ثمن أوعية "غلايات" نحاسية يوضع بها ماء الورد .
٥٥٠	٦	أجرة تشغيل أصناف العقادة .
٧٤٠	—	ثمن أحبال "دوبارة" من التيل الشامى .
٣٦٠	١	« لباد صوف .
٢٨٠	٣٨٨٧	نقل بعده

مليم	جنيه	
٢٨٠	٣٨٨٧	ما قبله
٨٨٠	١٧	ثمن بفتة عريضة (مقصورة) سمراء (خام) .
٩٣٠	١١	« ثمن أصناف فضية — كنتير وترتر وغيرهما .
٧٤٠	٢	« أزرار فضة .
٢٦٠	١	« ماء ورد .
٩٠٠	٧	أجرة تفصيل وخياطة الكسوة .
٢٠٠	—	ثمن ورقتى دمغة .
٨٠	٢	أجرة ركوب مأمور الكسوة وتابعه بالسكة الحديد .
٢٢٠	٨	نفقات جزئية فى تشغيل الكسوة .
٢٧٠	٦	ثمن مياه .
٤٨٠	٤	أجرة "تكويف" الحرير اللحمة .
٨٠٠	٢١٨	« العمال الذين ينسجون الكسوة .
—	٣٠	مرتب رئيس "النوالة" وزيد مرتبه الى ٤٢ جنيها من أوّل سنة ١٨٩٤
٣٧٠	٢٢	أجرة وضع — لق — سديات الكسوة على الأنوال .
٥٥٠	٧	« وضع — لف — سديات الكسوة فى ثقوب "المطاوى" التى بالأنوال .
٩٥٠	٥	أجرة تنظيف حرير الكسوة مما به من العقد والخيوط الرفيعة المسمى ذلك "بالتزبيك" .
٥٥٠	٣	نفقات جزئية فى نسيج الكسوة وعوائد الرؤساء ورئيسهم ومكافآت تصرف يوم الموكب .
٢٥٠	١	لكبير رؤساء الصناع يوم الشدّ .
٢٥٠	—	لرئيس النوالة « « .
٤٢٠	٣	ثمن "بنش" للأمور يوم الاحتفال بالكسوة .
٣٨٠	٤٢٤٣	نقل بعده

مليم	جنيه	
٣٨٠	٤٢٤٣	ما قبله
٤٨٠	٣١	لرؤساء الصناع .
٤٣٠	١٥	للرسيم .
٦٣٠	٢	لكبير الرؤساء ٢,٤٨٠ يوم الموكب ، ٠,١٥٠ يوم الحزم وصار ٣ جنيهات من سنة ١٨٩٦ م . الآن ٥ جنيهات و٦٠٠ مليم .
٥٨٠	٢	لرئيس النوالة ٢,٣٣٠ يوم الموكب ، ٠,٢٥٠ يوم الحزم وصار ٣ جنيهات من سنة ١٨٩٦ م .
٩٠٠	١	للحاملي ٠,٢٥٠ يوم الموكب ، ١,٦٥٠ يوم الحزم وصار جنيهين من سنة ١٨٩٦م ومن ضمن ذلك جنيه ونصف للشيخ الشيبي .
٤٥٠	١	للفقيه الذى يقرأ القرآن مدّة الشغل وصار ٢,٥ من سنة ١٨٩٤م ، ٣ جنيهات من سنة ١٨٩٦ م .
—	٣	لخزان المصلحة نظير الأوزان .
٥٠٠	١	لمستحفظى مقام أبينا الخليل إبراهيم صار ٢ جنيه من سنة ١٨٩٦
٤٥٠	—	لمن يقوم بالأدعية وإلباس الأقبية — القفاطين — وصار ٥٠٠ مليم من سنة ١٨٩٦ م .
٣٥٠	—	لنقيب الإشارات السعدية — صار ٥٠٠ مليم من سنة ١٨٩٦م . الآن ٧٠٠ مليم .
٤٠٠	—	لحمالى الأحزمة — صارت ٥٠٠ مليم من سنة ١٨٩٦ م .
٥٠٠	—	لشيخ الحزامين .
٣٠٠	—	لحمالى البرقع — صارت ٥٠٠ مليم من سنة ١٨٩٦ م .
٧٠٠	—	لضوئى المصلحة — صارت جنيها من سنة ١٨٩٦ م .
٢٥٠	—	للضوئية والمشاعل .
٨٠٠	—	للزركشى .
٢٠٠	—	لفراشى محافظة مصر — صارت ٥٠٠ مليم من سنة ١٨٩٦ م . الآن ٧٠٠ مليم .
٣٠٠	٤٣٠٧	نقل بعده

مليم	جنيه	
٣٠٠	٤٣٠٧	ما قبله
٩٠٠	—	لحمالى أحمال الكسوة — صارت جنيها من سنة ١٨٩٦ م .
١٠٠	—	لبواب المصلحة — صارت ٢٥٠ مليما من سنة ١٨٩٦ م .
٢٠٠	—	لحمالى مقام الخليل يوم الموكب — صارت ٥٠٠ مليم من سنة ١٨٩٦ م .
٣٥٠	—	لنقيب الرفاعية وأرباب الإشارات يوم الموكب — صارت ٥٠٠ مليم من سنة ١٨٩٦ م .
٣٠٠	—	للخيمى والقفاطيني ليوم الموكب ١٥٠ وليوم الحزم ١٥٠ مليم مناصفة بينهما . الآن ٥٦٠ مليما .
٤٥٠	—	لكاتب المصلحة — صارت ٣ جنيهات من سنة ١٨٩٦ م .
١٥٠	—	لفراش المصلحة — صارت ١٥٠ مليما من سنة ١٨٩٦ م .
٧٦٠	—	لنجار أخشاب مواكب الكسوة — صارت جنيها من سنة ١٨٩٦ م .
٩٠	—	مكافأة بمسجد الحسين تصرف يوم الحزم باسم محمد حموده . الآن ٩٠٠ مليم .
٥٥٠	—	مكافأة بمسجد الحسين تصرف يوم الحزم باسم السيد الحناوى .
٣٥٠	—	تصرف للزركشى يوم الموكب لخياطة الكسوة — صارت ٥٠٠ مليم من سنة ١٨٩٦ م .
١٥٠	—	للفران ثمن الوقود الذى يسخن به المخيش .
٨٠٠	—	للشرطة الذين يحضرون للمصلحة يوم الموكب — صارت جنيها من سنة ١٨٩٦ م .
—	٤	للزركشيين نظير تسخين المخيش .
—	٥٥	نفقات صنع ستارة المنبر فى المسجد الحرام .
٥٥٠	١٢٨	احتياطى لما عساه يطرأ من الزيادات أو يحتاج الى شرائه .
—	٨٠	ما ينفق ليلة الاحتفال بالكسوة زيد ٢٠ جنيها من سنة ١٨٩٣ م الآن ١٥٠ جنيها .
—	٢٠	نفقات محل الاستقبال — الكشك — ليلة الاحتفال .
٨١٠	٤٦٠٠	جملة المربوط للكسوة .

وقد رأت المـالية أن تحتسب مرتبـات المأمور والكاتب والخازن من المبلغ المربوط للكسوة ومجموع ذلك ٤٩٢ جنيه موزعة كالآتى : فالباقى للكسوة ٤١٠٨

جنيه	
٢٤٠	مرتب المأمور — زيدت ٢٤ جنيها من سنة ١٨٩٦ م .
١٦٢	للكاتب والخازن — « ١٢ « «
٩٠	للخدمة الخارجين عن هيئة العمال — زيد مرتبهم ١٨ جنيها من سنة ١٨٩٦ م .

الفصل الثانى — فى المربوط للقسم العسكرى

جنيه	
١٢٧٦	ماربط للقسم العسكرى وتعمل ميزانيته بمعرفة السردار .

الفصل الثالث — مرتبات ومكافآت موظفى المحمل وخدمه ونفقاتهم

مليم	جنيه	
—	٤٠٠	مكافأة أمير الحج ولا يحسب للأمير مرتب أو معاش مدّة الإمرة ثلاثة شهور وزيدت المكافأة الى ٥٠٠ جنيه من سنة ١٨٩٠م ومن سنة ١٩٠٣ م لم يخصم المرتب أو المعاش من المكافأة وكان ذلك بناء على طلبنا .
—	٢٠٠	مكافأة أمين الصرة — زيدت فى السنة التالية الى ٢٥٠ جنيها منها المرتب أو المعاش فى مدّة ثلاثة أشهر .
٦٥٠	٥	ثمن «فروة سمور أو كرك» لخطيب المسجد النبوى .
—	١٣٢	مرتب كاتب الصرة الأوّل فى ١٢ شهرا .
١٤٠	٨	تصرف للكاتب السابق بدل أصناف .
١٨٠	٩	ثمن ملابس مختلفة للكاتب السابق .
—	١٥	بدل تعيين له أيضا .
٥٠٠	٢٢	مرتب لكاتب الصرة الأوّل فى ٥ شهور وإذا عين من الموظفين يقتصد هذا المرتب .
٤٧٠	٧٩٢	نقل بعده

مليم	جنيه	
٤٧٠	٧٩٢	ما قبـــله
٤٢٠	٣	بدل أصناف للكاتب السابق .
٨٠٠	٣	ثمن كساوى له .
٥٠٠	٧	بدل تعيين له .
٩٢٠	١٣	نقدية تصرف لصراف الصرة وإن كان من الموظفين يعطى مرتبه مدّة القيام بالعمل المنتدب له لمصلحته .
٨٠	٨	بدل ألبسة .
—	٩	بدل تعيين .
٥٠٠	٢٢	بدل سفر لصيدلى مدّة ٩٠ يوما لكل يوم ٢٥ قرشا وهذا خلاف المعاش .
—	٩	مكافأة لطبيبة خلاف مرتبها واذا عينت من غير الموظفات يحسب لها شهريا أربعة جنيهات مدّة السفر .
٢٥٠	٨	لممرّض ٦ جنيهات مرتب والباقى بدل تعيين .
٣٨٠	—	ثمن «بنش» وسط و«شال» أبيض لأمين الكساوى زيدت الى جنيه من سنة ١٨٩١ م .
٥٠٠	٤	بدل تعيين لأمين الكساوى كنفرين .
٢٨٠	٣	لنائب قاضى مصر والشهود حين تحرير إشهاد الصرة منها ٨٨ قرشا نقدية والباقى ثمن «فرجيتين» .
—	٦	مرتب لحامل علم المحمل فى ١٢ شهرا وزيدت الى جنيه فى الشهر .
٧٥٠	—	بدل صنف .
٧٥٠	—	ثمن إردب قمح .
٣٣٠	—	ثمن «قفطان» قطنى تصرف بمكة .
٥٠٠	٤	بدل تعيين له كنفرين .
٤٣٠	٨٩٨	نقل بعده

البيان	جنيـــه	ملـيم
ما قبـــله	٨٩٨	٤٣٠
بدل تعيين لحامل العلم الصغير .	٢	٢٥٠
مرتب(*) ١٢ شهرا للمبلغ فى عرفات وزيد مرتبه الى جنيهين فى الشهر .	١٨	—
بدل تعيين له كأربعة أنفار .	٩	—
مرتب(*) لأبى القطط فى ١٢ شهرا عن كل شهر ١٢٥ قرش وزيد المرتب فى الشهر الى جنيهين من سنة ١٨٩١ م .	١٥	—
بدل تعيين له كنفر واحد .	٢	٢٥٠
لشيخ(*) الجمـــل مرتب فى ١٢ شهرا وزيد المرتب شهريا الى جنيهين من سنة ١٨٩١ م . والى ٢٧٩ قرش من سنة ١٨٩٣ م .	١٥	—
ثمن سروال جوخ وحزام .	٢	٢٧٥
بدل تعيين نفر واحد .	٢	٢٥٠
ثمن(*) ٦ أرادب قمح سعر ٩٥ وثمن ١٢ أقة بن سعر ١٢,٥ قرشا وخمسة بارات لشيخ الجمل فى كل موسم من المواسم الآتية إردب وأقتان والمواسم هى : مولد النبى صلى الله عليـه وسلم ومولد الحسين ومولد السيدة زينب ومولد الشافعى وطلعة المحمل ورجعته .	٧	٢٠٠
للضوئيـــة .	٨	٢٥٠
بدل صنف لهم .	١	٣٠٠
ثمن «بانشين» لهم سعر ٢٧ قرشا .	—	٥٤٠
تصرف لهم بمكة .	—	٤١٠
بدل تعيين لهم كاثنى عشر نفرا .	٢٧	—
نقدية للسقائين تصرف لهم فى مصر وفى مكة .	١٠	٥٠٠
بدل تعيين كخمسة أنفار .	١١	٢٥٠
نقدية للعكامة .	٨	٥٠٠
نقل بعده	١٠٣٩	٤٠٥

(*) أرباب هذه الوظائف لا يسافرون الآن مع المحمل ولكنهم يتقاضون المرتب الى الوفاة . وهذه الوظائف وراثية يأخذها الأبناء بعد وفاة الآباء حتى تبقى بيوتهم مفتوحة وقد أيد ذلك الأمر الكريم الصادر للمالية فى ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٠٤ وكذلك أيده أمر صاحب العطوفة ناظر المالية الصادر فى ٣٠ صفر سنة ١٣٣٠ (٢١ سبتمبر سنة ١٨٩٢) بتعيين محمد محمد عبد النبى خادما لقطط خلف والده .

مليم	جنيه	
٤٠٥	١٠٣٩	ما قبله
٩٠٠	١	بدل صنف لهم .
٥٤٠	—	ثمن «بنشين» لهم .
٩٣٠	—	مكافأة معتادة لهم .
٤٩٠	—	تصرف لهم بمكة .
—	١٨	بدل تعيين ثمانية أنفار .
—	٨	نقدية للفراشين قبل السفر .
٣٠٠	١	بدل صنف لهم .
٢٧٠	—	ثمن بنش .
٤٧٠	—	تصرف لهم بمكة .
—	١٨	بدل تعيين لهم .
—	٣٠	مرتب المحاملى ١٢ شهرا وزيد المرتب شهريا الى ٣ جنيهات من سنة ١٨٩٢ م .
٧٥٠	١٥	بدل تعيين للزمارية ٤ فرحية و ٣ عكامة .
٥٠٠	٢	لقائد المدفعية وقد استغنى عنه من حين ترتيب القسم العسكرى .
٦٣٠	٢	ثمن «كشميرتين» و بنش وكبود وسطين وشال أبيض لقائد المدفعية .
١٠٠	١	نقدية لخادم الأبغال (سائس الهرجلة) .
٢٥٠	٢	بدل تعيين للخادم .
٧٧٠	—	للشيخ السنباطى الذى يقوم بالأدعية فى موكب المحمل والكسوة ثمن بنش زيد الى جنيه من سنة ١٨٩١ م .
٧٧٠	—	نقدية له تصرف بمصر قبل القيام .
٢٥٠	٢	بدل تعيين له كنفر واحد .
—	٢	تصرف نقدا لجمال إبل المحمل .
٣٢٥	١١٤٩	نقل بعده

مليم	جنيه	
٣٢٥	١١٤٩	ما قبله
٣٦٠	١	منها ٥٤٠ مليما ثمن بنشين له و٦٠ ثمن شال أبيض و٩٦٠ ثمن إردب قمح .
٢٥٠	٢	بدل تعيين له .
٢٥٠	٦	لسواق متأخرى الركب منها ٤ جنيهات مرتب له فى ١٢ شهرا والباقى بدل تعيين زيد المرتب جنيهين من سنة ١٨٩١ م .
—	٣	مرتب إمام وواعظ ويستصحب معه مغسلة وقد زيد المرتب الى ستة جنيهات من سنة ١٨٩١ م . والى ١٢ من سنة ١٨٩٣ م . ومن هذه السنة جعل له بدل تعيين ٢٥٠ قرشا .
٨٢٥	٩	لضوئية أمير الحج وهم تسعة زيدت بعد الى ٢٨ جنيها و١٢٥ مليم .
٩٥٠	١٣	لسقائى أمير الحج وهم اثناعشر زيدت بعد الى ٥٢ جنيها و٢٠٠ مليم .
٦٧٥	٣	لعكامة أمير الحج وهم سبعة زيدت بعد الى ٢٦ جنيها و٥٦٥ مليم .
٦٢٥	٢	لفراشى أمير الحج وهم خمسة زيدت بعد الى ١٧ جنيها و٨٣٠ مليما .
٥٠٠	١٢	ثمن ١٠٠٠ أقة بقسماط يصرف منها فى الطريق بين مكة والمدينة والوجه اذا تأخر المحمل عن المدّة المقرّرة للسفر فى هذا الطريق ويحسب ثمن مايصرف لكل واحد من بدل تعيينه واذا لم يتأخر المحمل يباع البقسماط فى مدينة الوجه .
٢٥٠	٢	بدل تعيين للذى فى عهدته البقسماط .
٣٢٥	٢٦	ثمن $\frac{7}{8}$ ٤٣ إردبا من الفول المجروش لعليق جمال المحمل الثلاثة سعر الإردب ٦٠ قرشا .
٧٥٠	١٨	ثمن ٧٢٣٠ أقة من التبن سعر الأقة ربع قرش وذلك لجمال المحمل أيضا .
٧٥٠	٦	ثمن برسيم زراعة فدان ونصف بسعر الفدان ٤٥٠ قرشا لجمال المحمل .
١٦٠	١٢٥٨	جملة مرتبات ومكافآت وثمن تعيينات موظفى المحمل وخدمه .

الفصل الرابع — فيما لعربان القلاع الحجازية

مليم	جنيه	
٩٠٥	٣	تصرف نقداً لثلاثة عشر شخصاً من قبيلة القصاصين شياخة سلامة هليل، وأصل هذا المبلغ ٥ جنيهات وثلاثون مليا ولكنه يصرف لهم ريالات طاقية بسعر الريال ٢٠ قرشا مع أن قيمته الحقيقية فى هذه السنة كانت ١٥٥ مليم .
٧٥٥	٩	ثمن كساوى مختلفة لتسعة أشخاص من قبيلة القصاصين .
٧٩٦	١٥	« $\frac{٣}{٨}$ ٣١ إردب فول مجروش سعر الإردب ٦٠ قرشا و $\frac{٥}{٦}$ إردب دقيق بسعر الإردب ١٠٧,٥ و $\frac{٣١}{٤٨}$ من إردب عدس بسعر الإردب ٩٦ وهذا الثمن بسعر الريال الطاقى ٢٠ قرشا وسعره الحقيق ١٥,٥ والقيمة المذكورة بحسب السعر الحقيق، وهذه المؤونات تصرف بالسويس والعقبة ونخل والوجه لأشخاص من قبيلة القصاصين لكل منهم مقدار معلوم .
٣٧٠	٢٨	مرتب ٥٨ شخصا من قبيلة العمران شياخة خضر مقبول، وأصل المبلغ بالريال الطاقى ٣٦ جنيها و ٥٦٠ مليا فما نقص منه فرق العملة .
٣٣٠	٢١	ثمن كساوى لثلاثة وعشرين شخصا من قبيلة العمران .
٣٨٠	٦٢	أصل المبلغ بالريال الطاقى ٨٠ جنيهـا و ٤٧٠ مليا ولكن أنزل منه فرق العملة وهو ١٨ جنيها و ٩٠ مليا وهذا المبلغ ثمن $\frac{١}{٦}$ ٩٦ إردب فول مجروش و $\frac{٣١}{٨٤}$ ٥ إرادب دقيق و $\frac{١}{٣}$ ٢ إردب عدس الثلاثة بالسعر السابق و $\frac{٢}{٣}$ ٤ إردب أرز بسعر الإردب ١٨٠ قرشا و ٤ أرادب شعير بسعر الإردب $\frac{١}{٤}$ ٦٨ قرشا و ٨٠ أقة بقسماط بسعر الأقة قرش وثلاثون بارة، وهذه الأصناف تصرف لعدد كبير من قبيلة العمران والصرف فى المويلح والسويس ونخل والعقبة .
٥٣٦	١٤١	نقل بعده

مليم	جنيه	
٥٣٦	١٤١	ما قبله
٨٥٠	١	تصرف نقدا لشخصين من قبيلة الشقيرات، وأصل المبلغ ٢٣٩ قرش.
٧٠٥	٢	أثمان كساوى لثلاثة من الشقيرات .
٢٤٠	—	ثمن $\frac{١}{٤}$ إردب فول و $\frac{١}{٨}$ إردب دقيق لمصلح بن أحمد شيخ الشقيرات .
٣٥	٤	تصرف نقدا لأربعة عشر شخصا من قبيلة الحيوات شياخة سليمان سالم نجم وأصل المبلغ ٥١٦ قرشا أنزل منه ١١٢,٥ قرش فرق عملة .
٩٦٥	٣	تصرف نقدا لتسعة أشخاص من قبيلة الحيوات شياخة قاسم مصلح الخليق والمبلغ الأصلى ٥٠٩ قروش أنزل منه ١١٢,٥ فرق ريالا طاقيا .
٣٠	٤	ثمن كساوى للشيخ سليمان سالم نجم وأربعة معه .
٤٤٠	٤	« كساوى للشيخ قاسم مصلح وثلاثة معه .
٧٣٨	٣٣	« ما يصرف فى السويس ونخل والعقبة للشيخ سليمان سالم نجم وأتباعه والشيخ قاسم مصلح واتباعه والجميع من قبيلة الحيوات وهذا المبلغ أصله ٤٣ جنيها و ٥٤٨ مليم وهو ثمن $\frac{٧}{٢٤}$ ٥٦ إردب فول مجروش و $\frac{٩}{١٦}$ ٣ إردب دقيق و $\frac{١١}{٢٤}$ ٢ إردب عدس وإردبى أرز، الجميع بالسعر السابق .
٩٧٠	٢	ثمن كساوى لجماعة من قبيلة الحويطات .
٨٤٥	٩	أصله ١٢ جنيها و ٧٢٥ مليما أنزل منه فرق الريالات ٢٨٨ قرش. وهذا المبلغ ثمن $\frac{٧}{١٢}$ ١٥ إردب فول مجروش و $\frac{١}{٦}$ ١ إردب دقيق وثلث إردب عدس وإردب أرز بالسعر السابق وهو لعربان، قبيلة الحويطات، وقد وقف صرف ما لقبيلة الحويطات بناء على طلب كاتب الصرة لأنهم لم يقوموا بطلبات الحجيج .
٣٥٤	٢٠٩	نقل بعده

مليم	جنيه	
٣٥٤	٢٠٩	ما قبله
٥٠٠	٧٠	تصرف نقدا لسبعة وثلاثين شخصا من قبيلة العلويين بالعقبة ورئيسهم الشيخ محمد حسين جاد .
١٦٠	٩١	تصرف نقدا لاثنى عشر شخصا من قبيلة العلويين برياسة الشيخ محمد حسن رشيد .
٦٧٠	٣٨	تصرف نقدا لتسعة أشخاص من قبيلة العلويين برياسة الشيخ عزار نصار جازى .
٤٩٠	٢٨	ثمن كساوى وحلويات للشيخ محمد حسين جاد واثنى عشر معه .
٩٤٠	٣٦	ثمن كساوى وحلويات للشيخ سالم محمد حسن رشيد وسبعة معه .
٤٤٠	١٨	ثمن كساوى وحلويات للشيخ عزار نصار جازى وأربعة معه .
٢٠٦	١٧٣	أصل المقدر ٢٢٣ جنيه و٥١٦ مليما أنزل منه ٥٠ جنيها و ٣١ قرشا فرق الريالات الطاقية ، وهذا المبلغ ثمن $\frac{1}{12}$ ٢٣٤ إردب من الفول المجروش و $\frac{41}{48}$ ١٤ إردب دقيق و $\frac{17}{48}$ ٤ إرادب عدس $\frac{5}{6}$ ٢٧ إردب أرز و ٥ أرادب شعير و ٥٤٠ أقة بقسماط الجميع بالسعر السابق .
٤١٥	١٠	أصل المبلغ ١٣,٣٨٥ جنيها أنزل منه فرق ريالات ٢,٩٧٠ جنيهان يصرف هذا لاثنين وأربعين شخصا من قبيلة السواعديين شياخة عليان بن رفيع .
٨٦٠	١٢	ثمن كساوى لأتباع الشيخ عليان بن رفيع .
٤١٥	١٤	أصل المبلغ ١٨٦٠ قرشا أنزل منه فرق ريالات ٤١٨,٥ قرش لأتباع الشيخ عليان وهذا المبلغ ثمن $\frac{5}{24}$ ٢٩ إردب فول مجروش و إردب دقيق و ٦ إرادب قمح — سعر الإردب منه ١٠٠ قرش — والباقى تقدم سعره .
٤٥٠	٧٠٤	نقل بعده

مليم	جنيه	
٤٥٠	٧٠٤	ما قبله
٨٥١	٦	تصرف نقدا لقبيلة بنى عقبة شياخة حسن بن سليم وأصل المبلغ ٨,٨٣١ جنيهات .
٢٢٥	٦	ثمن كساوى لقبيلة بنى عقبة .
٢٣٢	٢٣	أصل المبلغ ٢٩,٩٨٢ جنيها أنزل منه ٦,٧٥٠ جنيهات فرق ريالات، وهذا المبلغ ثمن ١٧/٤٨ ٣٢ إردب فول مجروش و ١١/٢٤ ٩ أرادب دقيق و ٥/١٢ إردب عدس بالسعر السابق والجميع يصرف لقبيلة بنى عقبة .
٥٠٥	—	لستة أشخاص من قبيلة بلى بالوجه وأصله ٦٤٠ مليما .
٢٠٠	٢	ثمن كساوى لأربعة أشخاص من قبيلة بلى .
٤٢٢	٣٢	أصله ٤١,٨٢٧ جنيها ثمن ٣٩ إردب فول مجروش و ١/١٢ إردب دقيق و ١٥ أقة بقسماط الكل بالسعر السابق وأقة سمن سعر ٧,٥ قروش و ١٨ إردب قمح الجميع لعربان قبيلة بلى .
١٣٥	١٨	باقى المقرر لعربان القلاع الحجازية ويعتبر ذلك وفرا .
٢٠	٧٩٤	جملة المقرر لعربان القلاع الحجازية نقدا وثمن كساوى ومأكولات، وقد اقتصد هذا المقرر من سنة ١٨٩٢ م لأن القلاع استولت عليها الدولة العثمانية من سنة ١٨٩١ م .
٤٠	١٥٨٨	الجملة

الفصل الخامس — فى مرتبات عربان الحجاز

مليم	جنيه	
١٦٠	٦١	مرتب ٢٣ شخصا من أشراف ينبع البحر .
١٩٧	٤١٣	مرتب ١٣٠ شخصا من أشراف وعربان جهينة .
٥٥	١٧٩	مرتب ٢١ شخصا من عربان قبيلة الحوازم .
٤١٢	٦٥٣	نقل بعده

مليم	جنيه	
٤١٢	٦٥٣	ما قبله
٣٨٠	٤١	مرتب ١١ شخصا من عربان قبيلة بنى عمرو بطريق ينبع السلطانى .
٣١٠	٦٥	« ١٥ « « « صبح « «
٢٩٠	١٠٣	« ٣١ « « « ذوى ظاهر « «
٤٥٠	٢	« ٢ شخصين « « الجحلة « «
٧٣٠	١٠	« ٢ « « « زبيد « «
١٥٠	٢	« ٢ « « « حرب « «
٢٠٠	٢	« الشيخ عرابى شيخ رابغ بين مكة والمدينة .
٧١٠	٨	« أولاد الشريف حسين سليمان وهم محمد وعبد الله وأختهما .
٣٢٠	١	« عبد الله معوض من الأحامدة رتب له ذلك من سنة ١٢٩٨ هـ . بأمر المالية فى ١٢ صفر رقم ٨٤٠
٣٧٠	٤	مرتب محمد بن مسلم رتب له ذلك من سنة ١٢٧٩ هـ . بأمر المالية قبله عدد ٢٥
٦٤٠	٥	مرتب سالم محمد الزهيرى رتب له ذلك من سنة ١٢٧٩ هـ . بأمر المالية قبله عدد ٢٥
٦٢٠	٤	أجرة دليل من الحورة الى ينبع ومنها الى مكة .
٧٠٠	٢	« دليل من مكة الى رابغ .
٩٦٠	—	« دليل من رابغ الى بئر رضوان بالطريق الفرعى .
٩٦٠	—	« دليل من بئر رضوان الى أبى ضياع بالطريق الفرعى .
٨٨٠	٢	مبلغ احتياطى عند الحاجة اليه .
٧٠٠	٢	أجرة دليل من المدينة الى الشجوة بطريق الوجه .
٦٩٠	١١١	مرتبات لعربان الطريق الفرعى لأحد عشر شخصا .
٨٣٢	٤٤٢	لعربان قبيلة الأحامدة من ذلك للشيخ حذيفة رئيس القبيلة ١٣٧,٥١٧ جنيه بطريق ينبع السلطانى .
٣٧٠	٥	لمحمد أبى العلا بن أبى بكر .
٦٧٤	١٤٧٥	نقل بعده

مليم	جنيه	
٦٧٤	١٤٧٥	ما قبله
٧٨٠	١	لأولاد عبد الباقى .
٧٧٠		للحاج سليمان .
٦٦٣	١٨٥	مرتبات وقتية لـ ٥٢ من عربان الطريق الفرعى من ذلك لمأمور الحج ٣١٫٧٦٠ جنيها .
٨٨٧	١٦٦٣	جملة مرتبات عربان الحجاز .
٣٧٧٫٥	٣٧٤	فرق قيمة الريال الطاقى من قيمته المقدرة فى المبلغ كله .
٥٠٩٫٥	١٢٨٩	المرتبات المدفوعة حقيقة .
٤٩٠٫٥	١٠	باقى المقرر فى الميزانية لعربان الحجاز .
—	١٣٠٠	الجملة

مليم	جنيه	
٣١٠	٣٣٦	بدل تعيينات كانت تصرف فى ينبع البحر لأربعة وسبعين شخصا منها لشيخ الحرم النبوى ١٢٫١١٢ ٣٤ جنيها و إبدال التعيينات بنقود قرره مجلس النظار فى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٠٢ هـ . (٩ مارس سنة ١٨٨٥) وكان ذلك بناء على طلب العربان .
١٧٠	٥٣١	بدل تعيينات كانت تصرف من مخازن مكة لـ ١٣١ شخصا .
٥١٩	٩٤	بدل تعيينات مؤقتة لتسعة أشخاص .
١٨٣	٢	لمبارك عودة دليل الحج من محطة الفقير الى قلعة الوجه وهذا بدل تعيين .
١٩٥	٢٦٢	لأشراف وعربان بدر .
٣٧٧	١٢٢٦	الجملة بحساب سعر الريال الطاقى ٢٠ قرشا .
٨٩٥	٢٧٥	تنزيل فرق عملة .
٤٨٢	٩٥٠	الجملة بعد إبعاد الفرق
٥١٨	٢	باقى المقرر للتعيينات التى غيرت بنقود كما تقدم .
—	٩٥٣	جملة المقرر .

مليم	جنيه	
٩٩٥	٣٦	بدل كساوى وثمن مواد « فطرية خام» لصنعها كساوى وثمن حلويات وسكر لـ ٤١ شخصا من قبيلة جهينة .
٩٥٥	٨	لـ ١٠ أشخاص من قبيلة الأحامدة ثمن وبدل ما تقدّم .
١٠	٣	لشخصين من قبيلة زبيد « « «
٢٩٠	١٠	لـ ١٧ شخصا من قبيلة ذوى ظاهر « « «
٤٨٥	٢	لـ ٤ أشخاص « « بنى عمرو « « «
٧٣٥	٦١	
٣٠٥	١١	لثمانية أشخاص من الحوازم ثمن وبدل ما تقدّم .
٣٨٠	٧	كان مقررا سابقا لتسعة أشخاص منهم خدم فى مخازن ينبع ومكة ومنهم مشايخ عربان الطرابيل والعليقات وهشيم والطقتيقات.
٧٠٧	—	نفقات « كرك » جيد .
٢٥	٤٧	ثمن مواد فطرية وأصناف « سيم » — القصب الكذاب —
٦٢٥	١٤	« حلويات ٦٥٠ علبة فى كل علبة رطلان بسعر الرطل قرش واحد وخمس بارات .
٧٧٧	١٤٢	جملة الثمن
٢٢٣	—	باقى المربوط فى الميزانية .
—	١٤٣	الجملة

فجملة ما لعربان الحجاز ما يأتى :

جنيه	
١٣٠٠	للعربان
٩٥٣	لأهالى ينبع البحر وآخرين .
١٤٣	لأشخاص من قبائل معينة .
٢٣٩٦	جملة ما لعربان الحجاز .

الفصل السادس — فى مرتبات الأشراف بمكة والمدينة (١)

مليم	جنيه	
٦١٠	٤٣٢	مرتب أمير مكة عون الرفيق باشا وأصل المرتب ٤٩٧٥٠ قرشا خصم منه ٦٤٨٩ فرق ريالات عن كل ريال ٣ قروش وهذا المرتب خلاف ٤٣,٢٦١ جنيها ثمن كساوى وحلويات .
٨٥٠	٢٦٠	مرتب خاص لعون الرفيق وأصله ٣٠٠٠٠ قرش باعتبار كل شهر ٢٥٠٠ كما جاء بالأمر العالى الصادر فى أول رمضان سنة ١٢٧٧ رقم ٧٣ وقد خصم منه فرق ريالات ٣٩١٥ قرشا .
٨٥٠	٢٦٠	مرتب خصوصى للشريف عبد الله باشا كالمرتب السابق فى أصله وتاريخه وفرقه .
٧٦٠	١٢٢	لمحمود جميل بك نجل شريف باشا الراحل شيخ الحرم النبوى وأصله ١٤٩,٥ جنيه طرح منه ٢٦ جنيها و٧٤٠ مليم فرق الريالات باعتبار كل ريال ثلاثة قروش من الأصل ومنه ٦٠ جنيها مرتب خاص له باعتبار الشهر ٥٠٠ قرش وذلك حسب الأمر الصادر فى ١٤ ربيع الآخر سنة ١٢٦٨ هـ رقم ٥٨ ومنه ٢٩,٥ جنيها بدل ٢٩,٥ أردب شعير وذلك بأمر صادر من الخزينة « للرزنامجه » فى ٢٨ رمضان سنة ١٢٧٢ رقم ٢٠١ ومنه ٦٠ جنيها كان مرتبا لأختيه
٧٠	١٠٧٧	نقل بعده

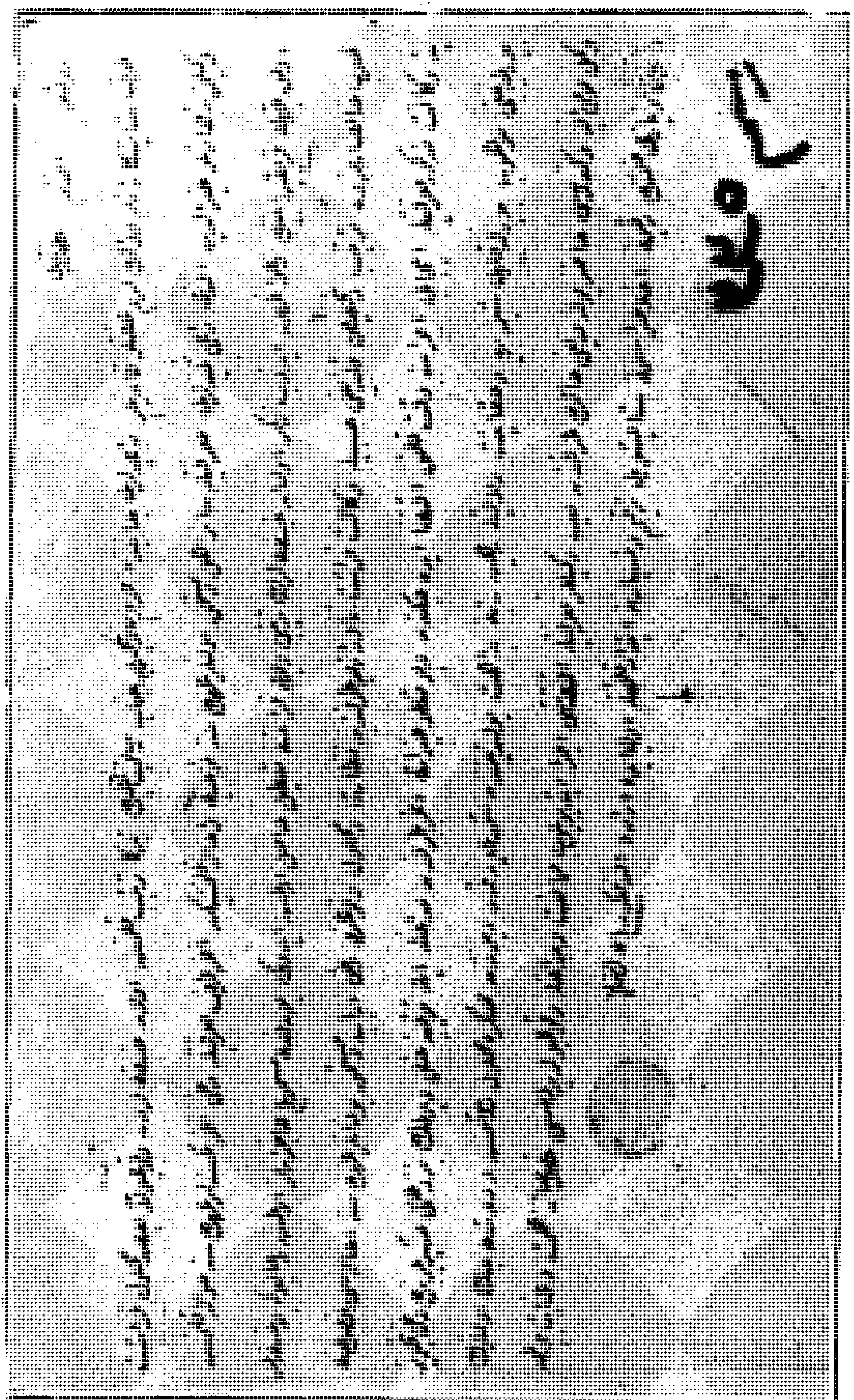
(١) كانت مرتباتهم تصرف لهم بالريالات الطاقية باعتبار قيمة الريال ٢٣ قرشا وذلك حسب الأمر العالى الصادر فى ١٦ رمضان سنة ١٢٧٧ هـ . ثم اعتبرت قيمة الريال ٢٠ قرشا وخصم من المبلغ المقرر للرتبات مقدار الفرق ومن سنة ١٨٨٦ م . اعتبر وزن الريال وكان فى هذه السنة قيمته الحقيقية ١٥,٥ قرشا فيسلم الريال للأشراف محسوبا عليهم بعشرين قرشا وقيمته الحقيقية ما ذكرنا واستمر اعتبار هذه القيمة بالنسبة للرتبات . أما المصروفات الأخرى فالمعتبر فيها بالنسبة لماليتنا سعرها الحالى وبالنسبة لأربابها ٢٠ قرشا ، والمرتبات تصرف لأربابها ما داموا أحياء أو ما دامت الأناث عزبات، فان توفوا أو تزوجن قطعت عنهم وتربط لآخرين اذا طلبوا ذلك وصدر أمر عال بتعيين مرتبات لهم كما عرف من إفادة « الدفترخانة المصرية » المؤرخة فى ٢٤ المحرم سنة ١٣٠٦ هـ — ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٨ م رقم ٨٧٤ ومرتبات الأشراف نقلت من ديوان الأوقاف الى نظارة المالية بمقتضى الأمر العالى رقم ٧ الصادر فى ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٠٧ هـ . (١٣ نوفمبر سنة ١٨٨٩) .

مليم	جنيه	
٧٠	١٠٧٧	ما قبــــله
		شريفة وسعدة وقطع عنهما بأمر صادر فى ١٠ المحرم سنة ١٢٦٩هـ . وأضيف اليه بأمر صادر فى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٨٦هـ . رقم ١٤١
٤٣٠	١١١	مرتب زوجة وأولاد عثمان بك قاضى مصر سابقا الذى كان له ١١٦,٤٠٠ جنيه مرتبا سنويا و ١٤٠,٦٨٢ جنيــه بدل تعيين ولما توفى تقرر نصــفه لهؤلاء بأمر صادر للمالية فى ١١ رجب سـنة ١٢٦١ هـ . رقم ٥٢٦ وأصل المبلغ ١٢٨,٥٤١ جنيها خصم منه فرق ريالات وبدل تعيين وعليق ١١١,١٧ جنيها .
٩٠٠	٩٣	مرتب(١) محمـد افندى أديب وكيل فراشــة الحضرة الخديوية وذلك بأمر عال صدر فى ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٠٦ هـ . (٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٨) وأصله ١٠٨٠٠ قرش أنزل منه ١٤١٠ فرق ريالات وكان هذا المرتب للشيخ محمد الخطيرى وكيل الفراشه وجعل لمحمد افندى أديب بعد وفاته والباقى باعتبار الريال ٢٠ قرش .
٢٥٠	٧٨	للشريف محمد بن الشريف حسن الراحل تقرر بأمر كريم صدر للمالية فى ٣ ذى الحجة ســنة ١٢٨٠ هـ . رقم ٢٠٥ وأصله ٩٠ جنيها أبعد منه فرق ريالات ١١٧٥ قرش .
١٧٠	٥٢	للحاجة ياور المقيمة بالمدينة رتب بأمر عال صدر فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٠٠ هـ رقم ٢ وأصله ٦٠٠٠ قرش وأبعد منه فرق ريالات ٧٨٣ قرشا .
٦٦٠	٥١	مرتب أولاد وزوجة الشريف يحيي والشريفة حجرة والشريف أورخان وذلك من ســنة ١٢٥٣ هـ . وأصله ٥٩٤١,٤ قرش من ذلك ١,١٦١ جنيــه لأولاد وزوجة الشريف يحيي ولأورخان وحجرة ٥٨ جنيها و ٢٥٠ مليما وقد أنزل من المبلغ فرق ريالات ٧٧٥,٤ قرش .
٤٨٠	١٤٦٤	نقل بعده

(١) الفراشة بالمسجد النبوى قديمة وترى فى (الرسم ٣٣٥) صورة ارادة سنية تركية بختم عباس باشا الأول مؤرخة ٥ ل سنة ١٢٧٠ هـ و بظاهره ترجمتها بتعيين السيد محمد خير الدين بن السيد محمد منتظر وكيل فراشة لسموه وتعين بعده وكيل فراشة لسعيد باشا محمد حجى افندى ومحمد الخطيرى لاسماعيل باشا ومحمد افندى أديب لتوفيق باشا وعباس باشا الثانى . ولما توفى عين الشيخ محمد كامل وهدان بدله .

اراده تركيه بتعيين وكيل فراشه لعباس باشا الاول

٣٣٥



335. Turkish Irada Sanieh dated 5 Shawal 1270 H. from Abbas Pasha the first, appointing an Agent from his part to serve in the Mosque of the Prophet as Wekil Ferrasheh.

اشهاد وقف لقراءة القرآن والحديث

٣٣٦



336. Irada Sanieh dated 24 Shawal 1268 H., bequeathing an Annuity of 1620 dollars for reciting the Holy Koraan and Bukhari; and supplying drinking water in the Mosque of the Prophet.

سند إيقاف مرتبات من الرزنامة العامرة ثمنه ٣٣ قرش

الوظائف الآتية مرتبــة لقراءة القرآن العظيم ولتلاوة البخارى والشفا ودلائل الخيرات وبعض السور الشريفة داخل الحرم الشريف النبوى على صاحبه أفضــل الصلاة وأزكى الســلام ولتسبيل مائتين وخمســين دورق ماء بالحرم النبوى حسب ما كان مقيدا باسم صاحب السمو الدستور الوقور أفندينا ولى النعم الخديوى الأكرم الحاج عباس باشا حامى حمى الاسلام بالديار المصرية فى دفتر مرتبات الخزينة التابعة لسموه بالرزنامة العامرة بموجب الســند الديوانى المحرر منها على الأصول قد أوقفت وأرصدت الوظائف المذكورة بحسن ارادة أفندينا المشار اليــه أبد الآبدين ودهر الداهرين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وقفا مؤبدا مؤكدا مستمرا لا يبدل ولا يغير ولا ينقص كما ســيأتى إيضاحه وبيانه بمقتضى المنصوص عنه بصورة الوقفية المشرفة بالختم الكريم رقم شــوّال ســنة ١٢٦٨ ثمــانية وستين والمحفوظة بالرزنامة العامرة وهو برسم ١٥ نفر يقرءون يوميا ختمة قرآن كريم مع تلاوة دلايل الخيرات يوميا ثلاث مرات ويقرءون أيضا سورة الفتح سبع مرات مع تلاوة سورة الكهف بمرتب سنوى مقداره ٦١٢ ريال فرانســه وبرسم نفر واحد يقرأ سورة يٰس كل يوم ٤١ مرّة بمرتب سنوى ٤٨ ريال فرانسه وبرسم نفرين يقرءون البخارى فى كل شهر مرّة بمرتب سنوى ٢١٦ ريال فرانســه وبرسم ثلاثة أنفار يقرءون الشفا كل يوم ٣ مرات بمرتب ســنوى ٢١٦ ريال فرانســه وبرسم نفر واحد يقرأ حزب النصر والحزب الأعظم كل يوم مرة عنــد المواجهة الشريفة بمرتب سنوى ٧٢ ريال فرانسه وبرسم تلاوة ختم خوجه كل يوم بعد العصر وتلاوة (١٠) أجزاء صباح كل يوم ليكون كل ثلاثة أيام ختمة كاملة تهــدى لروح المرحوم الحاج محمد أغا راغب خازن سعادة أفندينا الواقف بمرتب سنوى ٣٣٦ ريال فرانسه وبرسم تسبيل (٢٥٠) دورق يسقى بهم زوار الحرم الشريف النبوى مدّة ستة أشهر من زمن الصيف وللساقى مع ثمن الدوارق المذكورة مرتب ســنوى (١٢٠) ريال فرانســه فيكون مجموع هــذه المرتبات الخيرية المبرورة ســنويا (١٦٢٠) ريال فرانسه أبو شوشه بموجب صــورة الوقفية الموضح تاريخها أعلاه وقد أسندت نظارتها لحضرة فخر السادات الأشراف المعظمين قدوة الصلحاء العاملين السيد محمد منتظر النقشبندى وأولاده واذا انحلت وظيفة من هذه الوظائف تعطى برأى حضرة الناظر المومى اليه كما شرط ولىّ النعم الواقف المشار اليه وبموجب الارادة العليــة الصادرة الى ســعادة الكتخداى العــالى ورئيس مجلس الأحكام المصرية رقم ٢٤ ل ســنة ١٢٦٨ وبموجب أمر المشار اليه الصادر للمــالية رقم غرة ذا سنة ٦٨ وافادة المــالية الصادرة الى الرزنامة رقم غرة ذا سنة ٦٨، فبناء على منطوق الارادة المشار اليها ووفقا للأصول المرعية بالرزنامة قد جرى قيد تلك الخيرات المبرورة بدفاتر الصرة الشريفة بوجه الايقاف وقف وارصاد سعادة أفندينا المشار اليه أدام الله أيام دولته وقفا مؤبدا مؤكدا مستمرا ولعنة الله وملائكته ورسله وأنبيائه وأوليائه وجميع خلقــه على من يبدله أو يغيره والقاطع له والساعى والمتكلم والكاتب بقطعــه الى قيام الساعة (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) وتطبيقا للأصول قد تحرر هذا السند الديوانى بوجه الايقاف وبالفرمان الشريف ٦١ سنوى فرانسه بشوشه عدد ١٦٢٠

مليم	جنيـه	
٤٨٠	١٤٦٤	ما قبـــله
٩٩٥	٢٦	مرتب محمد رشيد وخديجة وأحمد شفيق أولاد محمد افندى كريم وترتيبه بأمر عال صدر فى ١٤ ربيع الآخر سنة ١٢٦٨ هـ . رقم ٥٨ تركى وكان أصل المرتب ٦١,٩٥٣ جنيها لهم ولأخيهم عبدالله فأبعد مرتب الأخ عبد الله ١٣ جنيها و٤٦٥ مليم و١٣ جنيها و٤٠٠ مليم مرتب أحمد شفيق المتوفى فى ٢٣ شعبان سنة ١٣٠٩ وفرق الريالات ٨ جنيهات و٩٣ مليما فرق عن كل ريال ٣ قروش على المبلغ الأصـلى وتوفر فى سنة ١٨٩٢ بجملة المستقطع ٣٤ جنيها ٩٥٨ مليم من المبلغ المذكور .
٩٠٠	٢٦	مرتب شكوفتة شوق هانم زوجة الراحل شريف باشا شيخ الحرم النبوى وأصل المرتب ٣٦ جنيها منها ١٨ جنيها من أصل المربوط لها مع زوجات أخرى أربع رتب لهن ٩٠ جنيهـا بأمر عال صـدر فى ١٤ ربيع الآخر سنة ١٢٦٨ هـ . رقم ٥٨ والثمانية عشر جنيها الباقية أضيفت الى مرتب « شكوفتة » بأمر من الخزينة فى ٢٨ رمضان سنة ١٢٧٢ هـ . رقم ٢٠١ وذلك ثمن ١٢ أردب قمح وقد أنزل من مبلغ ٣٦ جنيها فرق الريالات وهو ٩,١٠٠ جنيهات باعتبار ٣ قروش .
٦٠	٢٦	لأولاد الراحل السيد محمد الكتبى مفتى مكة وهم عبد الهادى والقصر محمد أمين ومحمد طاهر ومحمـد نور وصفية ومصباح رتب لهم بعد وفاة والدهم بأمر عال للداخلية فى ١٠ شوّال سـنة ١٢٩٥ رقم ٤ والصرف بشهادات بوجود الجميع رقم ٦٤ وأصـل المبلغ ٣٠ جنيها باعتبار الريال ٢٣ قرشا بأمر عال رقم ٦٤ صادر للمـالية فى ٥ شوّال سنة ١٢٧٩ هـ . أبعد منه فرق الريالات وهو ٣٩٤ قرش باعتبار ٣ قروش كل ريال وهـذا المرتب لهم خلاف ٢٧٠٤ قروش بدل كساوى لهم .
٦٠	٢٦	مرتب مؤقت لمحمد افندى نجيب بالمدينة . وأصل المبلغ ٣٠٠٠ قرش واقتصد من سنة ١٨٨٨ لأنه كان لخمس سنوات فقط .
٤٩٥	١٥٧٠	نقل بعده

مليم	جنيه	
٢٨٥	١٥٧٥	ما قبـــله
٧٣٠	٢١	لأبي الفرج حافظ سليمان سقاء زمزم وأصل المرتب ٢٥ جنيها رتبت بأمر عباس باشا الأوّل الصادر فى أوّل جمادى الأولى سنة ١٢٦٥ هـ . وبأمر سعادة كتخداى باشا رقم ٢ المصوغ باللغة التركية واستنزل منه ٣٢٧ قرش فرق باعتبار ٣ قروش عن كل ريال .
٦٦٠	٢٥	مرتب ناظر تكية المدينة المنوّرة . وأصل المرتب ٣٠٠٠ قرش باعتبار الشهر ٢٥٠ قرشا أبعد منه ٣٨٤ قرش فرق ريالات كل ريال ٣ قروش و ٥٠٠ مرتب ٦ أيام : أى نقص ٦ شهور عن ثلاثين يوما .
٢٧٠	٢١	مرتب عثمان بك ابن خال الراحل شريف باشا شيخ الحرم النبوى . وأصلـــه ٢٧ جنيها منها ١٨ مرتبه فى ضمن أمر عال صادر فى ١٤ ربيع الآخر سنة ١٢٦٨ هـ رقم ٥٨ و ٩ جنيهات ثمن ٦ أرادب قمح مرتبه بأمر من الخزينة فى ٢٨ رمضان سنة ١٢٧٢ هـ . رقم ٢٠١ للرزنامجه وقد أبعد من المرتب فرق الريالات ٥٧٣ قرش عن كل ريال ٣ قروش .
٥٥٠	١٩	لأولاد الراحل يحيى باشا مرتب من سنة ١٢٥٣ هـ . بدون أسماء وأصل المرتب ٢٢٥٠ خصم منه فرق الريالات ٢٩٥ قرشا عن كل ريال ٣ قروش .
٨٠٠	١٧	لفاطمة بنت الراحل أحمـــد افندى حجى زاده . وأصل المرتب ٢٥٠٨,٢٣ قرش وهو نصف ما كان لوالدها ورتب لها من ٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٩ هـ . ضمن أمر من المـــالية للرزنامجه فى ٢٥ منـــه رقم ٥٧٤ استنزل منه ٧٢٨,٢٣ قرش فرق الريال ٣ قروش .
٦٤٠	١٥	مرتب الشريفة حسنه خاتون والدة الشريف راجح رتب بالأمر الكريم رقم ٥ الصادر فى ٩ ربيع الآخر سنة ١٢٨٠ هـ . وأصله ١٨٠٠ قرش أبعد منه فرق الريالات وقد اقتصد المرتب من سنة ١٢٩٢ هـ . لوفاتها .
١٤٥	١٦٩٢	نقل بعده

ملـيم	جنيــه	
١٤٥	١٦٩٢	ما قبـــله
٦٤٠	١٥	مرتب الشريفة فاطمة بنت الشريفة فاطمة الزهراء بنت الشريف يوسف الصاوى كالمرتب قبله .
٦٤٠	١٥	مرتب محمد افندى نجيب آبن الراحل محمد افندى طوقتلى . وهـذا المرتب نظير خدمته قناديل المسـجد النبوى وقد رتب بالأمر الكريم للمـالية رقم ١٢ المصوغ باللغة التركية الصادر فى ٢٨ شوّال سنة ١٢٨٦ هـ . وأصله كالذى قبله .
٥٠٠	١٢	مرتب لزوجة وأولاد أحمد افندى آبن الراحل قره چولى حسين أغا من مجاورى المدينة ولأولادهم : محمد رشيد، ومحمد فريد، وعائشة وفاطمة، ووالدتهم خديجة أصل المرتب ١٤٤٠ قرشا وهو مقرر بأمر عال للداخلية رقم ٥ صادر فى ٢٥ ربيع الأوّل سنة ١٣٠٠ هـ . وأنزل من الأصل ١٩٠ قرشا فرق ريالات . وفى سنة ١٢٩٣ هـ . أنزل منه أيضا ١,٨٢٣ جنيه لوفاة بنت . وفى سنة ١٢٩٤ هـ . أنزل منه ٣,٦٤٦ جنيهات مرتب محمد الأصغر لوفاته .
٨٣٠	٧	لمحمد أمين ابن السيد عبدالحميد المرزوق له من زليخة بنت داودزاده عمر افندى أصله ٩٠٠ قرش رتب بالأمر الكريم رقم ٣ الصادر فى ٤ شوّال سنة ١٢٨٦ هـ . للداخلية استنزل منه ١١٧ قرش .
٢٠٠	٥	ريّس حافظ وعبد الملك ولدى الشيخ عثمان نعمان مناصفة أصـله ٦٠٠ قرش رتب ضمن أمر كريم صـدر للمـالية رقم ٧٢ فى ١١ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ . استنزل منه ٨٠ قرشا .
٣٤٠	٤	لأولاد الشريف يحيى بن بركات أصله ٥٠٠ مرتب من سنة ١٢٤٠ وكان يصرف لهم بمصر الى سنة ١٢٧٦ هـ . ثم صدر أمر المـالية للرزنامجه فى ٢٤ شوّال سنة ١٢٧٦ هـ . رقم ٣٧٥ بصرفه لأولاد يحيى باشا بمكة ثم استنزل منه ٦٦ قرشا ولم يستدل من الدفترخانه على أسمائهم .
٢٩٥	١٧٥٣	نقل بعده

مليم	جنيه	
٢٩٥	١٧٥٣	ما قبله
٢٦٠	١	لبدر وحسنين ابنى الشريف بركات فراغة السيد هاشم زين العابدين ابن الشريف عمار أصله ١٤٠ قرشا مرتب من سنة ١٢٥٠ هـ . ولم تعرف الدفترخانه أصل ترتيبه استنزل منه ١٨ قرشا .
٧١٠	١	لمن ينظف قناديل المسجد النبوى أصله ١٩٨ قرش مرتب بأمر خديوى صدر فى سنة ١٢٦٩ هـ . رقم ٦٩ وهى عهدة حبيب افندى الهندى وتصرف لمن يؤدّى الوظيفة بأمر شيخ الحرم النبوى استنزل منها ٢٧ قرشا .
١٥٠	٥٢	لعبد الله وشرف ومحمد وحمد وهبا أولاد الشريف هاشم بن شرف أصله ٦٠٠٠ قرش باعتبار الريال ٢٣ قرشا واستنزل منه ٧٨٥ قرشا فرق الريالات مرتب بالأمر العالى رقم ١ الصادر للداخلية فى ١٢ رمضان سنة ١٣٠٢ هـ . (٢ نوفمبر سنة ١٨٨٥) .
٤١٥	١٨٠٨	الجملة
٤٠٠	١٣	مرتب أحمد شفيق أدرج هنا بعد خصمه ليكون ما ذكر مطابقا للأصل
٨١٥	١٨٢١	
٩٠٥	٤٠٩	تنزيل فرق الريالات باعتبار قيمته ٢٠ قرشا واعتبار السعر الوزنى ١٥,٥ قرشا .
٩١٠	١٤١١	الباقى بعد ذلك وهو ما تدفعه المالية حقيقة .
—	٤٤	ثمن كساوى وحلويات باسم دولة أمير مكة .
—	٣٦	« « « لأهل مكة والمدينة تسلم لناظرى التكيتين .
٩٠	١	باقى المقرر بالميزانية يحسب من زيادة ثمن السكر والحلويات .
—	١٤٩٣	جملة المقرر لأشراف مكة والمدينة .

الفصل السابع — فى مرتبات لأهالى مكة والمدينة

مليم	جنيه	
٩٠٠	٨٣٥	مرتبات لأهالى مكة المكرمة تصرف لهم بمقتضى دفتر فيه أسماؤهم بطرف ناظر التكية .
٧٩٠	١٨٤٩	مرتبات لأهالى المدينة المنورة تصرف لأربابها كسابقتها .
٤٢٠	٢٦	مرتب فى مولد الراحل السلطان مصطفى .
١١٠	٢٧١٢	نقل بعده

صحيفة ٣٥١ (*)

اشهاد وقف لقراءة صلوات بالمسجد النبوى ٣٣٧

337. Irada Sanieh dated 14 Rabia Awal 1269 H. bequeathing an annuity of 120 dollars for reading Noor-El-Falah in the Mosque of the Prophet

صحيفة ٣٥١ (*) ٣٣٨ وقفية لتلاوة قرآن وبخارى الخ بالمسجد النبوى

338. Irada Sanieh dated Ist. Safar 1270 H. bequeathing an annuity of 1164 dollars for reciting the Holy Koraan, Bukhari; Al Shifa and Dalail in name of Ibrahim Elhami Pasha.

مليم	جنيه	
١١٠	٢٧١٢	ما قبله
٢٥٠	٧٨	مرتبات للأغوات والهنود الذين يقومون بإيقاد مصابيح "النجف" بالمسجد النبوى .
—	٣٢٤	لمن يقومون بتلاوة القرآن أو سور منه وبقراءة البخارى والشفاء ودلائل الخيرات ولمن يقوم بملء مائتى "دورق" بالماء لشرب الناس وكل ذلك بالمسجد النبوى وذلك تنفيذا لشروط الوقفية الصادر بها أمر عباس باشا الاول فى ٢٤ شوّال سنة ١٢٦٨ ﻫ . والتى بلغها نائب الخديو للمالية فى غرة ذى القعدة سنة ١٢٦٨ ﻫ . وقد خصص جزء من هذا المبلغ لمن يقوم بقراءة كتاب "نور الفلاح بالصلاة على خير الملاح" صلى الله عليه وسلم بالمسجد النبوى يقرأ مرة كل يومين وذلك بمقتضى الإرادة السنية الصادرة فى ١٤ ذى القعدة سنة ١٢٦٩ ﻫ . والصادر بها أمر نائب الخديو للمالية فى ٢١ منه وبلغتها المالية للرزنامة فى ٢٨ منه أنظر الارادة (رسم ٣٣٦) .
—	٢٤	يصرف بعضه لمن يتلو قصة المولد النبوى فى مقام سيدنا حمزة بن عبد المطلب ليلة المولد ويشترى ببعضه الآخر أرز وبلح وشربات توزع على الفقراء والمساكين وذلك حسب ما نص عليه فى وقفية عباس باشا الأول السابقة ووردت به إفادة من وكيل الديوان الخديوى فى ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٩ ﻫ . وأمر المالية فى ٧ منه . أنظر الارادة (رسم ٣٣٧) .
٤٠٠	٢٠	لمحمد افندى منتظر ناظر الوقف وذلك بموجب إرادة فى ٢٥ شوال سنة ١٢٦٩ ﻫ .
٨٠٠	٢٣٢	لمن يتلو القرآن بالمسجد النبوى باسم سعادة إبراهيم إلهامى باشا خادم عباس باشا الأول وذلك بمقتضى وقفية صدر بها أمر عال مؤرّخ فى ١٥ صفر سنة ١٢٧٠ ﻫ . وبلغت للمالية فى ٢٠ منه ١١٦٤ ريال . أنظر الارادة (رسم ٣٣٨) .
٥٦٠	٣٣٩١	نقل بعده

مليم	جنيه	
٥٦٠	٣٣٩١	ما قبـــله
—	٦٠	منها ٣٠ جنيها للسقائين بشرط أن يطوفوا بخمســين على المصلين بالمسجد النبوى وقت كل صلاة بحساب يومى ٢٥٠ والثلاثون الأخرى يشترى بها بدل ما يكسر من "الدوارق" وترتيب ذلك حسب الوقفية الصادر بها أمر عباس باشا الأوّل فى ٢٠ صفر سنة ١٢٧٠ هـ . وبلغتها المـالية للرزنامة فى ٢١ منــه . أنظر الارادة (رسم ٣٣٩) .
٨٠٠	٢٣٢	لقرّاء القرآن والبخارى والشفاء ودلائل الخيرات وسور معينة وذلك باسم محمد صديق بك خادم عباس باشا الأوّل الذى وقف هذا المبلغ باسم خادمه بمقتضى إرادة صدرت منه لوكيله فى ١٥ صفر سنة ١٢٧٠ هـ و بلغتها المـالية للرزنامة فى ٢١ منه (رسم ٣٤٠) .
—	٣٠	مرتبة لمـائتين وخمسين "دورقا" يسقى منها المصلون بالمسجد النبوى منها مائة باسم إبراهيم إلهـامى باشا ومائة باسم محمد صديق بك وخمسون باسم راغب افندى الخازن وكلها من خيرات عباس باشا الأوّل الصادر بوقفيتها أمره فى ٢٥ ربيع الأوّل سنة ١٢٧٠ هـ . أنظر الارادة (رسم ٣٤١) .
٣٦٠	٣٧١٤	هذا هو المربوط بميزانية سنة ١٨٩٠ م ولكن المربوط بميزانية سنة ١٨٨٩ ينقص عن ذلك .
٣٦٠	٥	فرق ميزانية ١٨٩٠ من ميزانية ١٨٨٩ م .
٧٢٠	٣٧١٩	المقرر بميزانية سنة ١٨٨٩م لأهالى مكة والمدينة .

الفصل الثامن — فى قاضيى مكة والمدينة

مليم	جنيه	
٢٧٧	٢٢٦	لقاضى مكة منها ١٣٣,٩٠٠ جنيه نقديا و ٦٢,٥ جنيها ثمن ٥٠ أردب قمح و٣,٩٣٧ جنيهات ثمن ١٧٥ أقة أرز و ٣,١٢٥ جنيهات ثمن ٢٥ أقة سمن و ١٦٥ مليم ثمن حطب و ٧,٩٢٠ جنيهات ثمن ٢٨٨ أقة بقسماط و ٣٠ مليما ثمن مشعل و ٣ جنيهات
٢٧٧	٢٢٦	نقل بعده

الكودبان لباس الخطيب يوم الجمعه بالمسجد النبوى

نموذج كساء الخطباء بالمسجد النبوى

رسم محمد علي سعودي

326. The cloth of the "Imam" in Friday at Medina

٣٣٩ اشهاد وقف لسقي ماء عذب بالمسجد النبوى

٢٢٩

339. Irada Sanieh dated Safar 1270 H. bequeathing an annuity of 300 dollars to supply drinking water in the Mosque of the Prophet at the rate of 255 decanters daily.

٣٤٠ وقفية لقراءة قرآن وبخارى بالمسجد النبوى

340. Irada Sanieh dated 1270 H. bequeathing an annuity of 1146 dollars for reciting the Koran, Bukhari Al Shifa, etc. in the Mosque of the Prophet in name of Mohammed Seddik Bey

٣٤١ وقف لسقي ماء عذب بالمسجد النبوي

٣٤١

341. Irada Sanieh dated 15 Rabia Sani 1270 H. bequeathing an annuity of 150 dollars for supplying drinking sweet water in the Mosque of the Prophet in names of Ibrahim Elhami Pacha, Mohammed Saddik Bey and Ragheb Agha El-Khazen.

مليم	جنيه	
٢٧٧	٢٢٦	ما قبله
		ثمن ١٠ قرب شعرية للماء و ٢٠٠ مليم ثمن خشب "اشراق" و ١١,٥٠٠ جنيها ثمن خيمتين بما يلزمهما .
٢٧٧	٢٢٩	لقاضى المدينة تفصيلها كالسابق و يزيد ٣ جنيهات فى ثمن الخيام .
٥٥٤	٤٥٥	المقرر لقاضي مكة والمدينة .

الفصل التاسع — فى نفقات متنوّعة

مليم	جنيه	
—	١٦٠٩	المقرّر لتكية مكة .
—	١٦٥٧	« « المدينة وقد أضيف اليه فى السنة التالية ٣٥٢ جنيه منها ١٨ جنيها ثمن القمح المرتب لناظر التكية و ٣٣٤ جنيه ثمن أصناف مرتبة لمائتين وخمسين فقيرا بالتكية .
—	٢٢٥٠٠	ثمن ونفقات ٢٠٨٢٨,٥ أردب قمح الأردب بارة وثمانية قروش ومائة منها ١٢٠٤٠,٥ أردب لأهالى ومجاورى مكة تسلم فى مخازن جدة و ٨٧٨٨ أردب لأهالى ومجاورى المدينة وهذا القمح هو المعروف بقمح الصدقة .
٥٢٠	١٢١	أجرة نقل الحجاج بالسكة الحديدية المصرية من القاهرة الى السويس وأصل الأجرة ١٨٢,٢٨٠ جنيه ثمن ١٨ تذكرة للدرجة الأولى و ٣١ للثانية و ٢٧٦ للثالثة وخصم من هذا المبلغ ٦٠,٧٦٠ جنيها مقدار الثلث المسموح به لركب المحمل .
٥٢٠	١٢١	الأجرة فى الإياب .
٤٤٨	٤٠	أجرة الخيول والبغال فى السكة الحديدية من القاهرة الى السويس وبالعكس .
٨٠٨	٤١٤	أجرة نقل الأمتعة فى السكة الحديدية من القاهرة الى السويس وبالعكس .
٧٠٤	١	باقى المربوط للنقل بالسكة الحديدية وهو ٧٠٠ جنيه حسب ما حصل عليه اتفاق أمير الحج نصحى باشا مع "قومسيون" السكة الحديدية .
—	٢٦٤٦٦	نقل بعده

مليم	جنيه	
—	٢٦٤٦٦	ما قبله
—	٣٠٠	اجرة النقل بحرا من السويس الى جدة فى الذهاب ومن الوجه الى السويس فى العودة .
—	٢٢٨٠	أجرة ٢٨٣ جمل من جدّة الى مكة و ١٩٤ من مكة لعرفات وبالعكس و ٨,٥ من مكة للدينة و ٣٣٨ من المدينة الى الوجه
—	١٨٦	مكافأة للقومين أو المتعهدين الذين يقدّمون الجمال اللازمة للحمل ويرافقونه فى سيره وكانت أنزلت الى ١٠٠ جنيه من أجل فرق الريالات ولكن لما اشتكى قلتها شاهر بن نصار صدرت إرادة سنية سنة ١٨٨٩ برجوعها الى ما كانت .
—	٢١٤	مبلغ احتياطى يؤخذ منه ما عساه يطرأ من الزيادة فى الأجر أو الأثمان وكان أصله ٣٠٠ جنيه نخصم منها ٨٦ جنيها التى أضيفت الى ١٠٠ جنيه المقومين حتى صارت مكافأتهم ١٨٦ جنيها
—	١٥	أجرة برقيات .
—	١٥٥	لتجديد وتصليح ما قدم من خيام المحمل وقربه ؛
—	٥٠	ثمن شمع وقناديل للسجد الحرام والمسجد النبوى .
—	٢٦٥	مصروفات نثرية ويحسب منها ما عساه يتلف من الجمال أوالبغال الى آخره .
—	٢٩٩٣١	الجملة

مجمل ميزانية سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) السابقة

مليم	جنيه	
—	٤٦٠٠	نفقات الكسوة ثمنا وصنعا واحتفالا .
—	١٢٧٦	المربوط للقسم العسكرى .
١١٠	١٢٥٨	مرتبات ومكافآت وثمن تعيينات لأمير الحج وأمين الصرة وسائر موظفى المحمل وخدمه .
٢٠	٧٩٤	مرتبات وكساوى وأثمان مأكولات لعربان القلاع الحجازية .
١٣٠	٧٩٢٨	نقل بعده

مليم	جنيه	
١٣٠	٧٩٢٨	ما قبله
—	٢٣٩٦	مرتبات وبدل تعيينات لعربان الحجاز .
—	١٤٩٣	المقرر لأشراف مكة والمدينة .
—	٣٧٠٩	مرتبات أهالى مكة والمدينة .
—	٣٢٦٦	المرتب لتكيتى مكة والمدينة .
٥٥٤	٤٥٥	المقرر لقاضيي مكة والمدينة .
—	٢٢٥٠٠	ثمن قمح الصدقة لمكة والمدينة .
—	٧٠٠	أجرة أشخاص وأمتعة وحيوانات فى السكة الحديدية المصرية .
—	٣٠٠	« الباخرة من السويس الى جدّة فى الذهاب ومن الوجه الى السويس فى العودة .
—	٢٢٨٠	أجرة الجمال .
—	٤٠٠	منها ١٨٦ مكافأة للمتعهدين والباقى احتياطى .
—	٢٢٠	أجرة برقيات ١٥ ولتجديد الخيام والقرب ١٥٥ وثمن شمع وقناديل ٥٠
—	٢٦٥	مصروفات نثرية .
٦٨٤	٤٥٩١٢	مجمل مالية المحمل فى السنة السابقة .

نفقات كسوة المحمل المقصبة التى عملت فى سنة ١٣١٠ هـ

بناء على قرار اللجنة المالية فتح اعتماد لها بمبلغ ١٦٠٠ جنيه وأقر ذلك مجلس النظار فى ١٥ ربيع الأول سنة ١٣١٠ هـ . (٦ اكتوبر سنة ١٨٩٢ م) وكان قرار اللجنة المالية لذلك بناء على طلب سعادة أمير الحج .

مليم	جنيه	
٩٥٤	٢٨٦	ثمن ٤٩٩٠,٥ مثقال من المخيش الأصفر الأفرنكى .
٢٩٩	٨	« ٢٥٧,٣٣ « « « الأبيض .
٢٥٣	٢٩٥	نقل بعده

ملـيم	جنيـه	
٢٥٣	٢٩٥	ما قبـــله
١١٠	١٤	ثمن ٢٧٥,٣٣ مثقال من الششخان الأصفر .
٣١٥	١٦	« ٣١٨,٣٣ « « الششخان الأبيض .
٤٤٩	١٩	« ٣٧٩,٥ « « الكنتير الخام الأصفر .
٣١٦	١٢	« ٢٤٠,٣٣ « « « « الأبيض .
٢٤٢	٦٠	« ١١٧٥,٥ « « الترتر الأصفر .
٧٤١	٣	« ٧٣ مثقالا « « الأبيض .
٩٧٠	٥٠	« ٦٨,٢٥ ذراعا « القماش الأطلس .
١٠٠	—	« ذراع من الأطلس الساسى الأخضر .
٤١٦	—	« ٥٦,٢٥ ذراعا من البفتة الخام .
٦٢٩	—	« ١٧٤٥ درهما « الغزل المجهز — المسنع — المكفوف .
٢٠٠	—	« ٣٦٠ « « الشمع الإسكندرى .
٩٦٦	٨	« ٩٨٠ « « الحرير الزنار .
٠٤٦	٢	« ٣٢١ درهما من الحرير الزنار صنف آخر .
٥٦٩	—	« ٦٤ « « الحياكى الأصفر .
٢١٥	—	« ٢٣ « « الحرير الأحمر الياقوتى .
٧٨٤	٦١٦	أجرة زركشة ٧٧٠٩,٨ مثقال .
٤٢٠	١٢	ثمن ٢١٦ مثقال من المخيش الفضة الأصفر الافرنكى .
٩٥٨	—	« $22\frac{2}{3}$ مثقالا « « « « البلدى .
٦٤	٣	« ٦٤ « « « « الأبيض «
٤٣٤	٧٧	« ١٥١٨,٦٦ مثقالا « القصب الأصفر الافرنكى الفضى .
٩٢٠	١٧	« ٣٤٩,٦٦ « « الكنتير الفضى أصناف .
٢٣٦	٥٥	« ٦٠٧٨ درهما « الحرير أصناف .
٣٤٣	١٢٦٨	نقل بعده

مليم	جنيه	
٣٤٣	١٢٦٨	ما قبله
٢٤٠	—	ثمن ٣٥٠ درهم من القطن الأصفر المبروم .
٣٠٥	—	« ١٢٩ « « التيل الأصفر .
٥٥٠	١٧	أجرة عمال .
٤١١	٧	ثمن أصناف لتشريج الكسوة وخياطتها .
٢١٤	٥	أجرة الخياطة .
٧٣٤	—	ثمن أشياء عادمة فى التشغيل .
—	٢٢	معتاد رئيس الصناع لكسوة الكعبة .
٢٣٦	٤٩	للصائغ ومن ذلك ٢٥ جنيها ثمن ٥٠ بندقيا .
٢٠٠	—	أجرة تجهيز القلادة .
٢٥٠	—	« سحب القصب .
—	٨	« كاتب تحت إشراف ومسئولية كاتب الكسوة الدائم .
٩٠٠	٣	معتاد خازن الكسوة .
٥٠٠	—	« الضوئى .
—	١	« لقارىء .
٧٥٠	—	« للحاملى .
٢٨١	١	ثمن مياه .
٩١٤	١٣٨٦	جملة ما أنفق فى صنع وثمن كسوة المحمل المقصبة حسب الكشف الذى أرسله مصنع الكسوة الى المالية مع إفادة رقم ١٣ محاسبة أرخت فى ١٣ يونية سنة ١٨٩٣ م .

وقد سبق تجديد كسوة المحمل فى سنة ١٣٠٤ هـ — ١٨٨٧ م .
وكانت نفقاتها ١٥٧١,١٢٩ جنيه .

تفصيل ميزانيـــة القســـم العسكرى

حسب ما جاء فى جدول بعث به «السكرتير المـالى» بنظارة الحربية الى نظارة المـالية مع الإفادة رقم ١٣١ المؤرخة فى ٢٢ مايو سنة ١٨٩٢ م ٠

الشخص أو نوع المصروف فيه	بدل ملبوسات		علاوة وبدل تعيين		المرتب		الجملة	
	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم
لرئيس الحرس "قائمقام" ومماله ٧٠ر٥ جنيهات بدل علف لركوبته ٠	—	—	٥٠	—	٩٠	—	١٤٥	٧٠
لراجل رئيس مائة "يوزباشى" ٠	١	٧٠٧	١٨	١٥٠	٢٢	٥٠٠	٤٢	٣٥٧
لرئيس مائة من القسم الطبى ٠	١	٨٣٠	١٨	١٥٠	٤٥	—	٦٤	٩٨٠
للملازمين أوّلين ٠	٤	١٥٤	٣٠	٣٠٠	٢٧	—	٦١	٤٥٤
« ثانيين ٠	٣	٤١٤	٣٠	٣٠٠	٢٤	—	٥٧	٧١٤
لثلاثة من رؤساء العشر يذيين "باشجاويشية" ٠	٢	٦٥٥	٧	٦٥٠	٦	٣٠٠	١٦	٦٠٥
لأمين قسم "بلوك أمين" ٠	—	٨٨٥	٢	٥٢٠	١	٨٠٠	٥	٢٠٥
لسبعة عشر يذيين "جاويشية" منهم موسيقى ٠	٦	١٩٥	١٥	٧٥٠	١٠	٥٠٠	٣٢	٤٤٥
لأربعة عشر من العشر يذيين منهم موسيقى ٠	١٢	٣٩٠	٢٩	٤٠٠	١٦	٨٠٠	٥٨	٥٩٠
لمعلمين بالمواعيد "بروجيين" ٠	١	٧٧٠	٣	٩٠٠	١	٨٠٠	٧	٤٧٠
لعشرى بيطارى — أونباشى —	—	٨٨٥	٢	١٠٠	١	٢٠٠	٤	١٨٥
لستة وأربعين ومائة عسكرى منهم مصلح البنادق "توفكچى" و١٢ موسيقى ٠	١٢٩	٢١٠	٢٨٤	٧٠٠	١٣١	٤٠٠	٥٤٥	٣١٠
ثمن علف لواحد وثلاثين حصانا ٠	—	—	—	—	—	—	١٥٩	٤٠٣
« « سبعة بغال ٠	—	—	—	—	—	—	٣٥	٤٤٠
نفقات متنوّعة ٠	—	—	—	—	—	—	١٠	—
مهمات ٠	—	—	—	—	—	—	٦٠	—
حيوانات ٠	—	—	—	—	—	—	١٥٠	—
علاوة مرتبات لخمسة عشر موسيقيا من الدرجة الاولى ٠	—	—	٦	٧٥٠	—	—	٦	٧٥٠
علاوة على مرتبات صف الضباط والعسكر ومعلمى المواعيد عن مدّة خدمتهم وأجرة عمل البيطار ٠	—	—	٤٥	٨٢٥	—	—	٤٥	٨٢٥
جملة ميزانية القسم العسكرى فى السنة السابقة ٠	—	—	٤٥	٨٢٥	—	—	١٥٠٨	٨٠٢

وكانت ميزانيته فى سنة ١٩٠٧ — ٣٠٠٩ جنيه ٠

الخيرات المصرية فى البلاد الحجازية

السنة	جملة المربوط	السنة	جملة المربوط	السنة	جملة المربوط	السنة	جملة المربوط
	جنيه		جنيه		جنيه		جنيه
١٨٨٠	٤١٩٩٣	١٨٩٢	٤٩٤٧٣	١٩٠٣	٤٤٧٤٠	١٩١٤	٥٣٣٦٢
١٨٨١	٤١٦٢٦	١٨٩٣	٤٦٨٨٦	١٩٠٤	٤٦٠٦٦	١٩١٥	٥٣٣٦٢
١٨٨٢	٤١٥٨٢	١٨٩٤	٤٦٨٢٦	١٩٠٥	٤٦٠٦٦	١٩١٦	٥٣٣١٠
١٨٨٣	٤١٠٤٠	١٨٩٥	٤٥٢٠٩	١٩٠٦	٦٠١٢٣	١٩١٧	٥٣٦٢١
١٨٨٤	٤٦٩٠١	١٨٩٦	٤٥٢٦٩	١٩٠٧	٥٩٥٧٥	١٩١٨	٩٦٦٢١
١٨٨٥	٤٤٤٥٧	١٨٩٧	٤٥٣٠٥	١٩٠٨	٥٩١٩٠	١٩١٩	٩٢٩٤٦
١٨٨٦	٤٣٧٥١	١٨٩٨	٤٥٢١٠	١٩٠٩	٥٩١٨٤	١٩٢٠	٩٥٥٩٩
١٨٨٧	٤٣٧٥٠	١٨٩٩	٤٥٢٩٠	١٩١٠	٥٩٤٩٢	١٩٢١	٩٥٨٤٥
١٨٨٨	٤١٧٣٠	١٩٠٠	٤٥٢٩٠	١٩١١	٥٩٥٩٧	١٩٢٢	٧٦١٣٢
١٨٨٩	٤١٧٣٠	١٩٠١	٤٤٧٥٩	١٩١٢	٥٥٠٩٧	١٩٢٣	٧٢٠٤٧
١٨٩٠	٤٧٣٧٠	١٩٠٢	٤٤٧٣٢	١٩١٣	٥٤٣٢٢	١٩٢٤	٦٩٨٥٧
١٨٩١	٤٩٤١٩						

ميزانيـــــــــــــــة

جـــهة الانفـاق	سنة ١٨٨٠	سنة ١٨٨٤	سنة ١٨٨٥	سنة ١٨٨٨	سنة ١٨٩٠	سنة ١٨٩١
	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه
تكاليف الكسوة وعمالها وموظفيها والاحتفال بها	٤٧١١	٤٦٠٠	٤٦٠٠	٤٦٠٠	٤٦٠٠	٤٦٠٠
مرتبات ومكافآت ونفقات موظفى وخدم قافلة المحمل ...	١٥٥٩	(١) ٣٣٣١	(١) ٣٣١٧	١٧٣٩	١٢٤٠	١٣٩٠
« العربان	—	١٥٩٠	٢٦٣١	٣١٩٠	٣١٩٠	٣١٩٠
« الأشراف بمكة والمدينة	—	—	—	١٤٩٣	١٤٩٣	١٤٩٣
المقرر لتكيتى مكة والمدينة	٣٦١٨	٣٢٦٦	٣٢٦٦	٣٢٦٦	٣٦١٨	٣٦١٨
مرتبات أهالى مكة والمدينة	—	١٤٠٠	١٣٤٣	—	٣٧٠٩	٢٨٧٩
ثمن ونفقات قمح الصدقة	٣٦٩٤١	٢٣٢٦١	٢٢٥٠٠	٢٢٥٠٠	٢٢٥٠٠	٢٢٥٠٠
أجرة جمال وسكك حديدية وبواخر	٢٥٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٤٥٠٠	٣٦٨٠	٤٢٤٨
« برقيات	—	—	—	١٥	١٥	١٥
ثمن خيام وقرب للمحمل	—	٣٠٠	٣٠٠	١٥٥	١٥٥	١٥٥
« شمع وقناديل للحرمين	}	—	—	٥٠	١٦٢٩	١٦٢٩
« زيت	١٤٣٤	—	—	—	—	—
« حصـــر	}	—	—	—	—	—
نفقـات نثرية	٤٠٠	—	—	٦٠	٢٦٥	٢٦٥
« ســرية	—	—	—	—	—	—
« الحجـــر الصحى	—	—	—	—	—	—
ثمن ملابس وتعيينات وحلويات ونفقات لعربان القلاع وعساكرها	٢٧١٢	(٢) ٥٠٠	(٢) ٥٠٠	—	—	—
مرتبات لعربان القلاع	—	١١٤٦	—	—	—	—
مرتبات وذخائر للمخازن الحجازية	—	٢٥٠٠	٢٥٠٠	—	—	—
مكافآت للعربان	١١٠	—	—	—	—	—
ثمن ذخائر «لأورطتين كولمان» تصاحبان المحمل ...	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	(٣) ٢١٣٧	٢٢٧٦	١٥٠٩
نفقات القلاع الحجازية	٢٢٨٠	١٥٠٧	—	—	—	—
ثمن مؤونات ونفقات حمل	٧٣٧٠	—	—	—	—	—
مرتبات الصرة	٨٢٠٨	—	—	(٤) ٢٥	—	—

(١) من ضمن كل ٢٠٠٠ لحرس المحمل . (٢) ثمن ملبوسات وحلويات وشمع . (٣) سيوضع فى هذا السطر نفقات حرس المحمل وقد جعلت ميزانيته تابعة لوزارة الحربية من سنة ١٨٩٥ . (٤) ثمن محمل خشب .

المحمـــــــــل

سنة ١٨٩٣	سنة ١٨٩٥	سنة ١٩٠٤	سنة ١٩٠٦	سنة ١٩١٢	سنة ١٩١٤	سنة ١٩١٨	سنة ١٩١٩	سنة ١٩٢٠	سنة ١٩٢٢	سنة ١٩٢٣	سنة ١٩٢٤
جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه
٤٦٧٤	٤٦١٤	٤٠٨٣	٤٠٨٣	٤٦٦٣	٤٩٩٥	٦١٣٨	٧٤٣٢	١٠٠٨٥	٩٤٩٩	٨٦٨٦	٨٩٤٥
١٣٩٠	١٢٨٢	١٥٦٧	١٦٢٤	١٣١١	١٥٩١	١٥٨١	١٥٩٤	١٥٩٤	١٥٤٦	١٦٨٦	١٧٣٧
٢٥١١	٢٥١١	٢٥٧٧	٢٦٤٦	١٥٣٦	١٥٢٣	١٥١٩	١٥١٩	١٥١٩	١٥١٩	١٥١٩	١٥١٩
١٤٩٣	١٤٩٣	١٤٦٦	١٤٦٦	٩٥٨	٨٨٠	٨٨٠	٨٩٨	٨٩٨	٨٨٠	٨٨٠	٨٨٠
٣٦١٨	٣٦١٨	٣٦١٨	٣٦١٨	٣٥٩٠	٣٦٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠
٢٨٧٩	٢٨٧٩	٢٨٧٩	٢٨٧٩	١٦٢٠	١٧٤٨	١٧٤٨	١٧٤٨	١٧٤٨	١٧٤٨	١٧٤٨	١٧٤٨
٢٢٥٠٠	٢٢٥٠٠	٢٢٥٠٠	٢٢٥٠٠	٢٦٢٨٣	٢٧٨٠٠	٧٠٠٠٠	٦٥٠٠٠	٦٥٠٠٠	٤٩٠٠٠	٤٥٠٠٠	٤٠٤٧٠
٤٢٤٨	٤٢٤٨	٥٣٤٨	٥٣٤٨	٥٦٨٣	٨٩٠٠	٨٩٠٠	٨٩٠٠	٨٩٠٠	٦٦٠٠	٦٨٨٠	٨٠٨٤
١٥	١٥	١٥	١٥	٤١	١٥	١٥	١٥	١٥	—	—	—
١٥٥	١٥٥	١٨٥	١٨٥	١٨٥	٢٤٠	٢٤٠	٢٤٠	٢٤٠	٢٤٠	٣١٥	٣١٥
١٦٢٩	١٦٢٩	١٦٢٩	١٥٦٠	١١٥٦	٣٨٣	٣٨٣	٣٨٣	٣٨٣	٣٨٣	٣٦٣	٣٧٤
—	—	—	—	—	٤٧٥	٤٧٥	٤٧٥	٤٧٥	٤٧٥	٦٦٥	٤٣٠
—	—	—	—	—	١٩٢	١٩٢	١٩٢	١٩٢	١٩٢	٢٥٥	١٩٦
٢٦٥	٢٦٥	١٩٩	١٩٩	١٥٠	٤٨٠	٤٦٠	٤٦٠	٤٦٠	٤٦٠	٤٦٠	٤٦٠
—	—	—	—	٢٨٤	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	٥٠٠	—	—	—
—	—	—	١٤٠٠٠	(٥) ٦٦٦٦	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	(٦) ١١٠٩
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
١٥٠٩	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

(٥) هذا خلاف ٧٨٠ جنيها لمأمورالحجر و ١٩٢ لسكرتيره .
(٦) ثمن لوازم لمستوصفى جدّة ومكة .

شكر واجب

وقبل أن أرفع قلمى أتقدّمه بالدعاء والثناء على فضيلة صهرنا الهمام الطيب الأثر الشيخ محمد طموم من كبار علماء الأزهر وممن لهم مآثر دينية علينا ونصائح قيمة فى رحلاتنا الأربع التى كان فيها بصحبتنا والتى كان يرشدنا فيها الى السنة لنرتسمها وكذلك أتقدم بالشكر لفاضلين ساعدانا فى كثير من المواطن بمعلوماتهما القيمة وأبحاثهما الثمينة وهما حضرة الصديق الفاضل محمد افندى على سعودى الخبير البحاثة والمصوّر الماهر الذى رافقنا فى رحلتين وفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد العزيز الخولى المدرس بمدرسة القضاء الشرعى الذى عرفنا فيه ضليعا فى الدين خبيرا بالكتاب والسنة وترى الثلاثة فى الرسوم رقم ٣٤٢ ورقم ٣٤٣ ورقم ٣٢١ التى أثبتناها فى رحلاتنا شكرا لهم على ما قدموا لنا — وترى فى الرسم الأوّل صورة صاحب الآثار الخالدة صهرنا المرحوم الشيخ محمد طموم وصديقنا الشيخ محمد حسين الديابى الذى حج حجة معنا سنة ١٣٢١ والله يوفقنا لما فيه سعادتنا فى أولانا وأخرانا انه سميع الدعاء .

أهم المصادر التى راجعناها عند إعداد الرحلات للطبع

الكتب الدينية

(١) كتب التفسير .
(٢) « السنة .
(٣) « الفقه فى المذاهب .
(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ، طبع مصر .
(٥) زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم «
(٦) مناسك الحج لابن تيمية ، طبع مصر .
(٧) « وحكمه للسيد رشيد رضا ، طبع مصر .
(٨) « للشيخ أحمد السرسى ، طبع مصر .



MOHAMMED ALY EFENDI SÉOUDY

٣٤٢ امير الحج وفضيلة المرحوم الشيخ محمد طموم



342. El Sheikh Mohamed Tomoum, Emir El Hag, and El Sheikh Mohamed Hussein.

فضيلة الشيخ محمد عبد العزيز الخولى

٣٤٣



343. El Sheikh Mohammed Abdul-Aziz El Kholi

٣٤٤ الملازم الاول ابراهيم افندي رفعت



344. Photograph of the Mulazem Awwal (1st. Lieutenant) Ibrahim Rifaat Effendi at Suakin in 1884

الكتب التاريخية الخاصة

(١) أخبار مكة للأزرقى ، طبع ألمانيا .
(٢) المنتقى فى أخبار أم القرى للفاكهى ، طبع ألمانيا .
(٣) القطبي طبع ألمانيا .
(٤) شفاء الغرام فى أخبار البلد الحرام للتقى الفاسى ، مخطوط .
(٥) الجامع اللطيف فى فضائل مكة وبناء البيت الشريف لجمال الدنيا والدين ابن ظهيرة ، مخطوط وطبع أخيرا فى مصر .
(٦) درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحج ومكة المكرمة لمحمد بن عبد القادر الأنصارى الحنبلى ، مخطوط .
(٧) منائح الكرم فى أخبار البيت وولاة الحرم للسنجارى ، مخطوط .
(٨) خلاصة الكلام فى أخبار البلد الحرام للسيد أحمد بن زينى دحلان ، طبع مصر .
(٩) التقويمات الحجازية لسنى ١٣٠١ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣٠٥ و ١٣٠٩ ، طبع مكة .
(١٠) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودى ، طبع مصر .
(١١) تحفة الناظرين للبرزنجى ، طبع مكة .

الكتب التاريخية العامة

(١) حقائق الأخبار عن دول البحار للفريق إسماعيل سرهنك باشا وكيل الحربية سابقا ، طبع بولاق .
(٢) الخميس فى أحوال أنفس نفيس للشيخ حسين بن محمد الديار بكرى ، طبع مصر .
(٣) بدائع الزهور لابن إياس ، طبع بولاق .
(٤) تاريخ وجغرافية الممالك العثمانية للصاغ على جواد ، طبع تركيا .
(٥) الجزء الرابع والخامس من كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق ، طبع بولاق .

(٦) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية للامام شرف الدين يحيي بن المقر ابن الجيعان، طبع بولاق .

(٧) صبح الأعشى للشيخ أبي العباس أحمد القلقشندى، طبع دار الكتب المصرية .

(٨) معجم البلدان لياقوت، طبع مصر .

(٩) المشترك وضعا والمفترق صقعا لياقوت، طبع ألمانيا .

(١٠) تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية، طبع مصر .

رحلات

(١) رحلة ابن جبير، طبع أوربا .

(٢) « ابن بطوطة، طبع مصر .

(٣) « أبي سالم عبد الله العياشي، طبع المغرب .

(٤) « صادق باشا المعروفة بدليل الحج، طبع بولاق .

(٥) « محمد لبيب البتانونى بك، طبع مصر .

٣٦٣ المرحوم خليل بك سرى ٣٠ يونيو سنة ١٨٩٥

المرحوم خليل بك سرى ٣٠ يونيه ٩٥

363. Photograph of Khalil Bey Sirry on 30th June 1895.

تاريخ حياة المؤلف

بقلم خبير منصف

نشأة المؤلف وحياته المدرسية — هو إبراهيم ابن الشريف[1] سويفى التاجر ابن عبد الجواد بن مصطفى بن المليجى ولد بحارة أبى حجازى بمدينة أسيوط فى يوم الأربعاء ١٨ جمادى الأولى سنة ١٢٧٣ هـ (١٤ يناير سنة ١٨٥٧ م) وقد توفى أبوه فى ٢٠ ربيع الأول سنة ١٢٧٣ هـ (١٨ نوفمبر سنة ١٨٥٦) وأمه حامل به ولما أدرك سنّ التمييز أدخلته أمه مكتبا بحمراء أسيوط ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ القرآن ثم نقلته بعد فترة الى مكان آخر بأسيوط أرقى من الأول يسمى مكتب الشيخ إسماعيل السراج وما زال به حتى أتمّ حفظ القرآن ولما اكتمل أربع عشرة سنة أدخله السرى الوجيه خليل بك سرى (تراه فى الرسم ٣٦٣) مدرسة أسيوط الأميرية التى كانت تعلم بالمجان بل كانت تغذى وتكسو بلا مقابل، وكان الباعث لخليل بك على إدخاله المدرسة ما كان يتوسمه فيه من النجابة إذ كان يجلس أمام منزله عصر كل يوم مع صديقه حسن باشا سرى رئيس مجلس الأحكام بأسيوط وكان المترجَم يمرّ بهما وهو قافل من مكتبه فيستدعيانه ويختبرانه وكان يعجبهما منه ذاكرته وحسن جوابه فأبيا إلا تنمية هذه النفس الطيبة باقتطاف العلوم فى مدرسة أسيوط الابتدائية، وقد مكث بهذه المدرسة ثلاث سنين دأبا كان فيها مثال الجد والنشاط بين الطلبة ومقدمهم فى جميع الاختبارات وفى امتحانه الأخير كافأته المعارف على تفوقه وتقدمه بكتاب تاريخ قدماء المصريين، ونشر ذلك

---

(١) يدل على ذلك حجة بيع شرعية مدموغة فيها تلقيب والد المؤلف بالشريف وهذه الوثيقة محررة بخط الشيخ زين الدين رافع نقيب أشراف أسيوط ومهورة بختمه وشهد عليها العلامة العالم الشيخ على حسين الطوبجى الشافعى والشيخ على أبو زيد الجعبرى اليسرى وشقيقه حسين الجعبورى وهى مؤرخة فى ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٦٥ هـ.

بالعدد ٢٢ من مجلة روضة المدارس الصادر فى آخر ذى القعدة سنة ١٢٨٩ هـ . ثم دخل المدرسة التجهيزية بدرب الجماميز بالقاهرة فى سنة ١٢٩٠ هـ . ولم يكد يتمّ بها نصف عام حتى آختارته نظارة الحربية مع بعض المقدّمين من إخوانه ليكون من طلبة المدرسة الحربية فمكث بها ثلاث سنوات منح فى آخرها رتبة الملازم الثانى، وكان ذلك فى ١٦ ذى القعدة سنة ١٢٩٣ هـ . فى عهد الخديو إسماعيل باشا (وترى فى الرسم ٣٤٥ الصورة الشمسية لالتماس الترقية وصورة المؤلف فى هذا الوقت فى الرسم ٣٤٤) والالتماس باللغة التركية وترجمته بالعربية ما يأتى

بما أن رئيس العشرة (الأونباشى) إبراهيم رفعت متخرج فى مدرسة الفرسان بالمدارس الحربية ومتفوق على أقرانه فى الامتحان النهائى وأظهر غيرة وحمية فيما كلف به من الخدمات وقررت لجنة الامتحان جدارته برتبة الملازم الثانى وهو مع ذلك طيب الأخلاق، وبما أنه خلت رتبة ملازم ثان بفصيلة الفرسان الثانية المعدّة لحراسة الخديو فى مصيفه بالاسكندرية من أجل هذا نتقدّم بكل أحترام الى أعتاب ولى النعم عارضين ذلك عليه والأمر والارادة لمن له ذلك فى كل حال من الأحوال .

ختم « ديوان الجهادية »

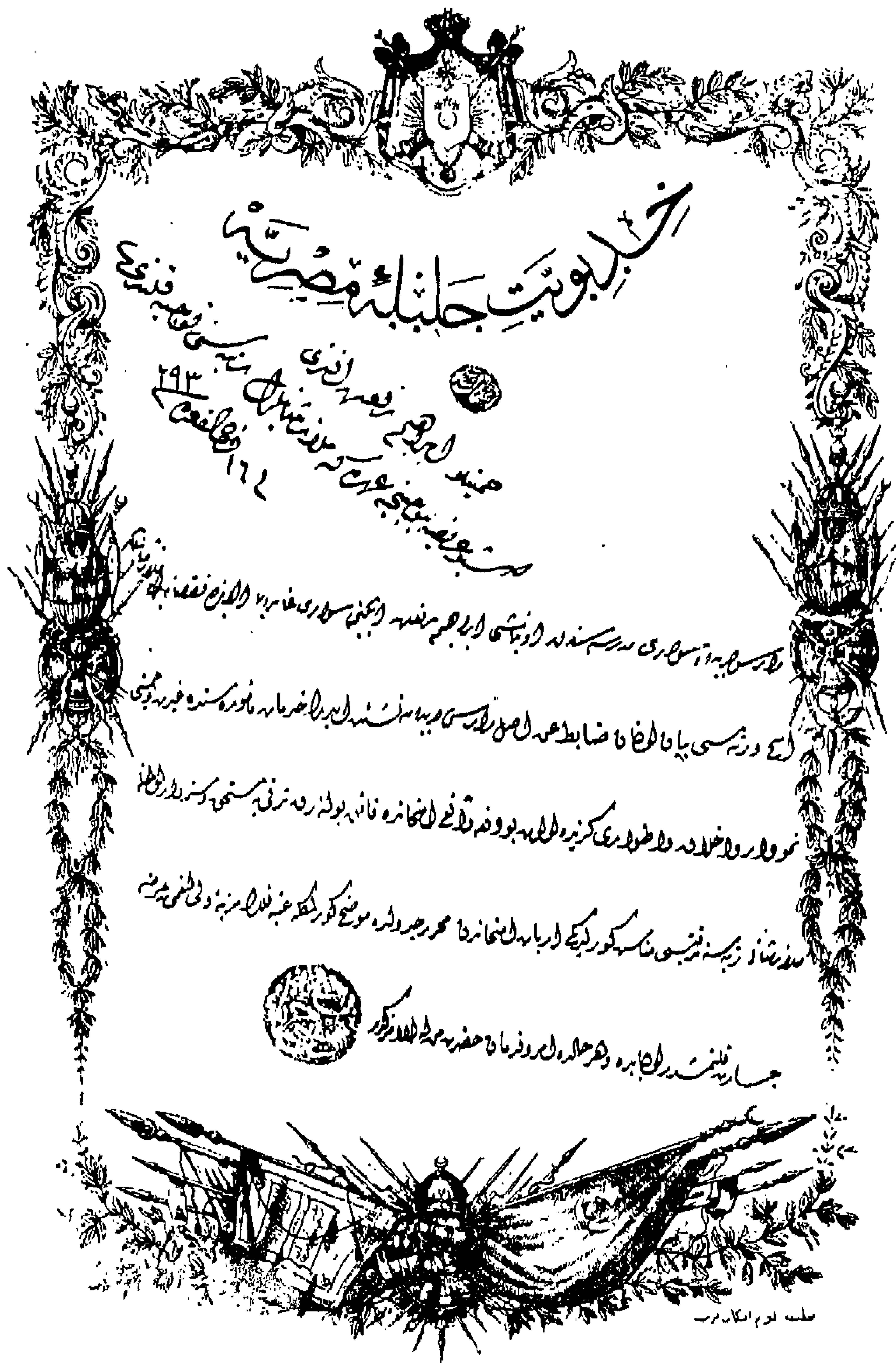
وفى أعلى هذا الالتماس ختم الخديو إسماعيل تحته ما ترجمته :

حضرة صاحب الحمية إبراهيم افندى رفعت

بموجب ما فى هذا الالتماس منحناكم رتبة الملازم الثانى ١٦ ذى القعدة سنة ١٢٩٣ هـ .

ولما أشارت لجنة المراقبة المالية بالاقتصاد فى أبواب النفقات سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م) نقص عدد الجيش وأحيل كثير من ضباطه الى الاستيداع فكان المؤلف من بينهم ولكن لم يمكث بالاستيداع إلا تسعة أشهر وتسعة عشر يوما — من أوّل إبريل سنة ١٨٧٩ م الى ٢٩ ينايرسنة ١٨٨٠ — وفى مدّة الاستيداع كان يتردّد على الأزهر يوميا فيأتى من مسكنه بقبة الغورى الى الازهر مشيا على

٣٤٥ عريضة ملازم ثانى المؤلف فى ١٦ ذى القعده سنة ١٢٩٣



345. Brevet of the rank of Milazem Sani (2nd. Lieutenant).

ان الاونباشي ابراهيم رفعت من مدرسة السوارى بالمدارس الحربية بالنظر لوجود ملازم ثانى نقصان بالاى السوارى الغارديا الثانى ولكون الضابط المبين اسمه ورتبته نشأ من المدارس الحربية ولكون الخدمات المأمور بها اظهر فيها الغيرة والحميه وفضلا عن ذلك فأن أخلاقه حسنة وظهر أنه فائق لاقرانه في امتحان هذه الدفعة ولائق ومستحق للترقى وقد توضح بالجدول المحرر من الممتحنين أنه لائق للترقية الى رتبة الملازم ثانى تجاسرنا بعرض ذلك على اعتاب ولى النعم ومع كل فالامر والارادة لصاحب الأمر فى كل حال من الاحوال .

وبعالى هذه العريضة الامر السامي بالاحسان عليه برتبة الملازم الثانى

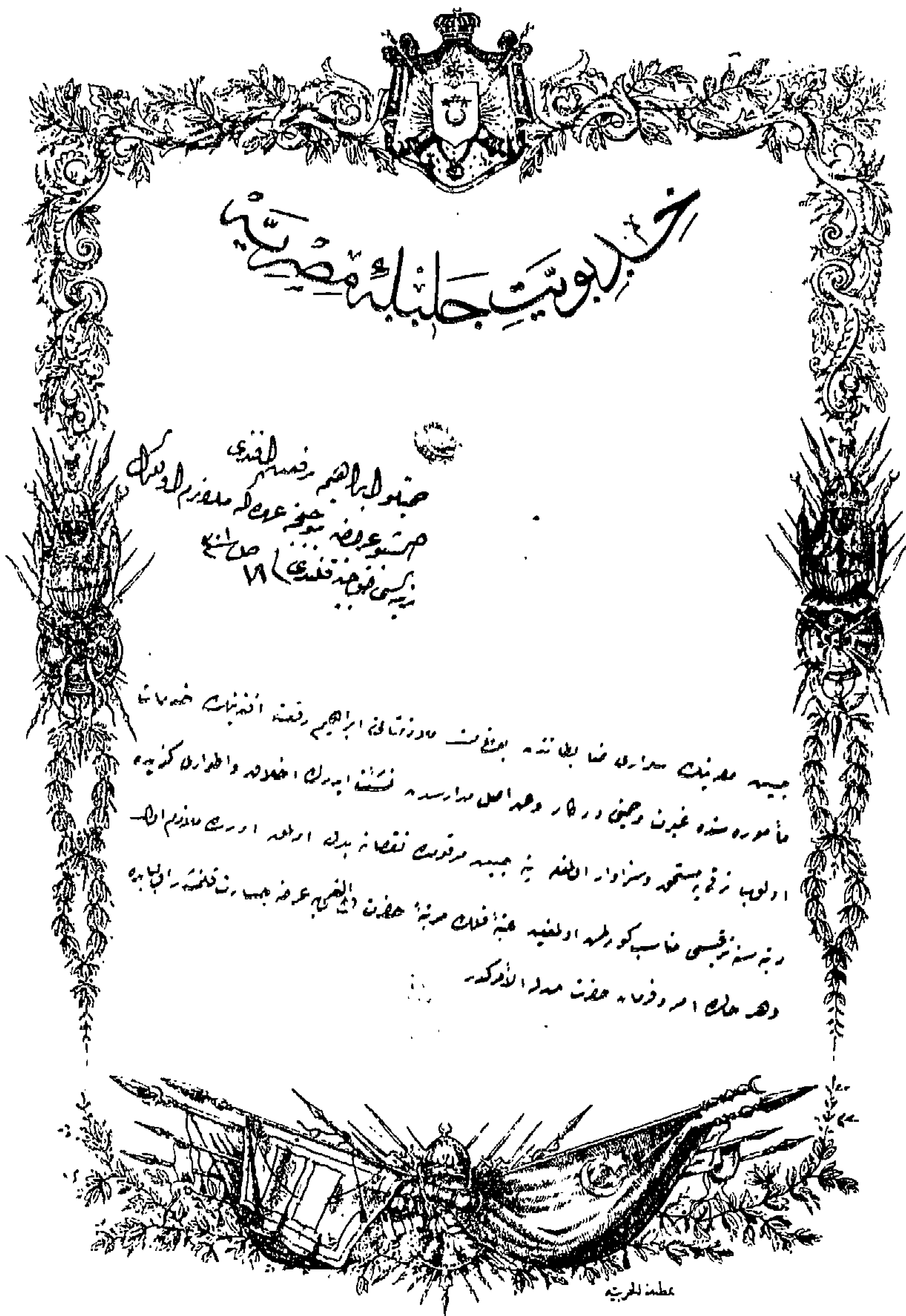
صاحب الحمية ابراهيم رفعت افندى

بموجب هذه العريضة وجهنا لعهدتك رتبة الملازم ثانى فى ١٦ ذى القعده سنة ١٢٩٣

ترجمة حسين سكوتى بك

من موظفى الديوان العالى السلطانى
والخبيرلدى محكمة الاستئناف العليا

٣٤٦ عريضة ملازم اول (المؤلف)

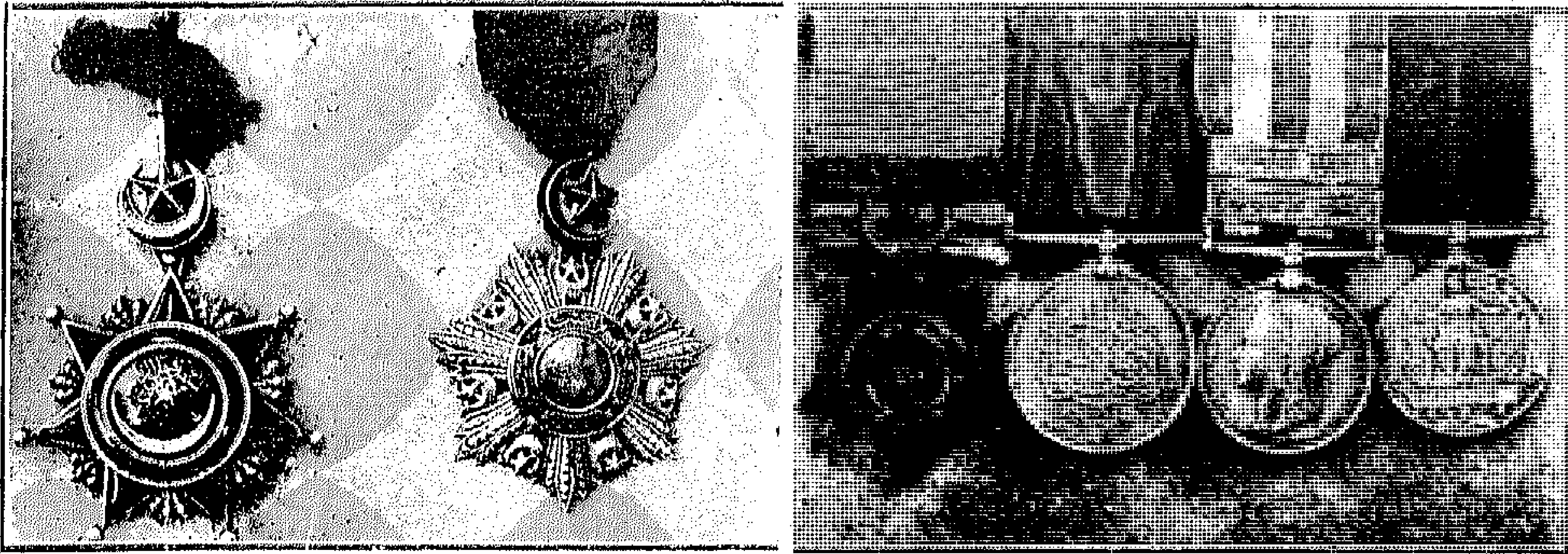


346. Brevet of the rank of Mülazem Awwal (1st. Lieutenant).

صحيفة ٣٦٧ (*)

رسم النياشين والمداليات

٣٦١ ٣٤٧ ٣٤٩



347. Facsimile of Medjidieh Decoration 4th. class.

349. Military medals of war in the years 1885, 1889, 1890 & 1896.

361. Facsimile of Osmanieh Decoration 3rd. class.

صحيفة ٣٧٠ (*)

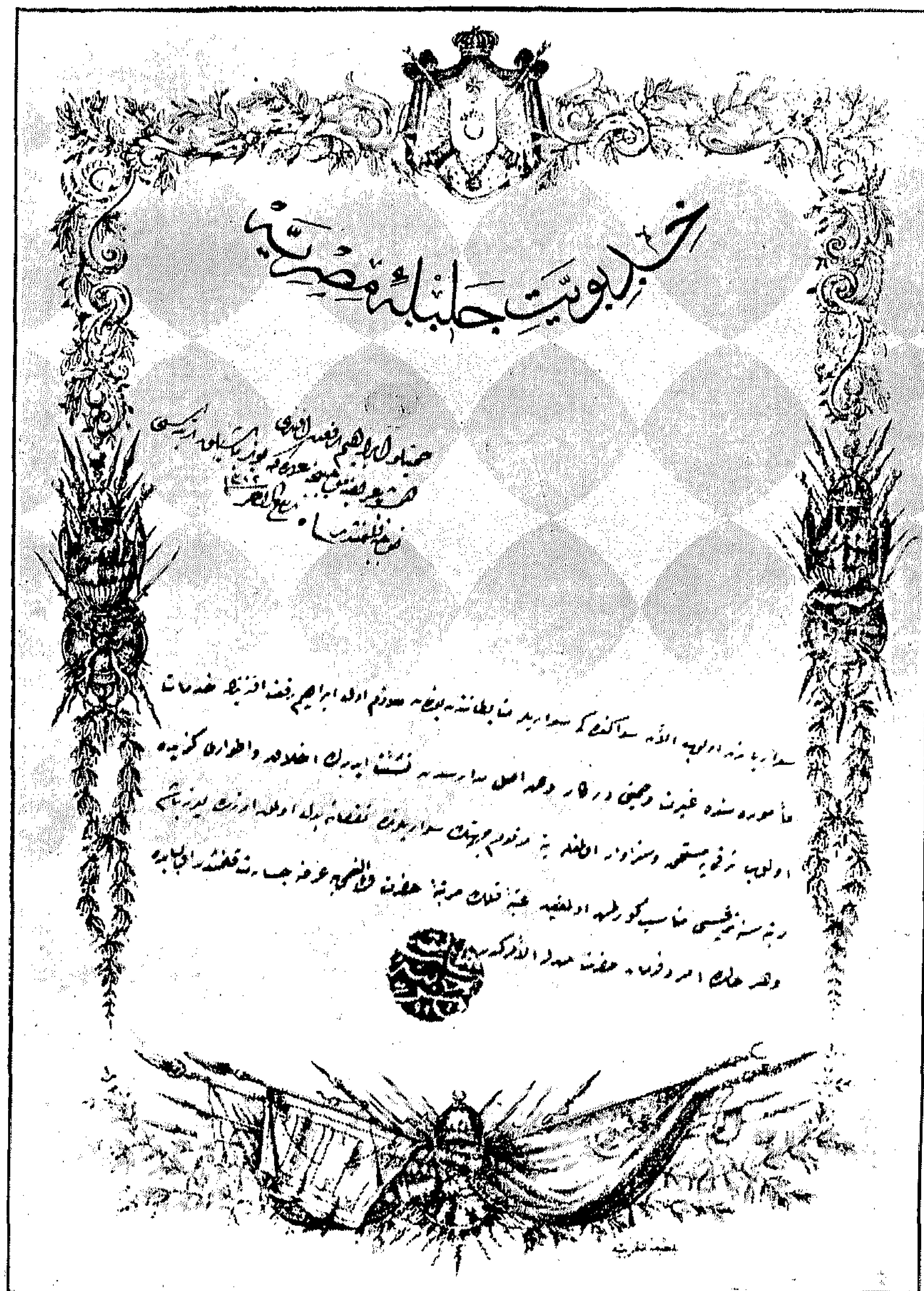
٣٦٢ رسم مظروف العثمانى الثالث



حقوق الطبع والترجمة محفوظة باسم المؤلف ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصرى في محرم سنة ١٣٤٤

362. Photo of the Envelope of the Ottoman 3rd. Firman.

٣٤٧ عريضة يوزباشي (المؤلف)



حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اللواء ابراهيم رفعت باشا

347. Brevet of the rank of Yuzbashi (Captain).

٣٤٨

اليوزباشى ابراهيم رفعت افندى



348. Photograph or Yuzbashi (Captain) Ibrahim Eff. Rifaat, in June 1890

٣٤٩

الصاغ ابراهيم رفعت افندى



349. Photograph of El Sagh (Major) Ibrahim Eff. Rifaat, in 1895.

ترجمـــة البراءة

بناء على انهاء الخـديوية الجليلة المصرية، ان اليوزباشى ابراهيم افندى رفعت من الضباط المصرية هو جدير بتلطيفاتنا السنية الشاهانية، فبموجب أمرنا وفرماننا الهمايونى الشاهانى الصادر والسانح قد أصدرت هذه البراءة العظيمة الشأن المتضمنة الإحسان اليه بقطعة النشان المجيدى من الدرجة الرابعة .

حرر فى اليوم التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمـائة وألف

ترجمـــة الرسم ٣٣٥

حضرة صاحب الدولة (شيخ الحرم النبوى)

بمـا ان المقارئ « الخسفات » المرتبة تبركا من طرف المثنى عليكم ومن طرف صاحبات العفة والدانى الداعيات لدولتكم، وذلك لدائرة حرم مخدوم الإنس والملائكة صاحب الرسالة صـلى الله عليه وسـلم — تسند الى مستحقيها وأهليها بمعرفة وكيل فراشتنا، الداعى المتواضع الزاهد خير الدين افندى، وقد وصل الى سمعنا ان المنحلات أسندت لآخرين بمعرفة غيره، ونشأ عن ذلك قضية بين الفريقين تسببت فى تعطيل المقارئ على وجهها المرتب .

و بمـا ان هذه المقارئ مرتبة ومخصصة من طرف المخلص فيجب أن تكون النظارة لوكيل فراشتنا، فيكون وحده صاحب الحق فى إعطاء المنحل للمستحقين، ولا يخفى على دولتكم ان التدخل المخل للنظام المتبع فى مثل هـذه الخيرات لا يجوز ولا يقبل لدى مقامكم العالى المشيرى ذى الشيمة البهية والعدالة المعروفة لدولتكم، فالمأمول والمتمنى أن تتركوا فيما بعـد أمر المنحلات الواقعة والتى تقع للوكيل المشار اليه أو للوكلاء المعينين من قبله، وأن تهتموا وتعتنوا بمنع كل تدخل فى هذا الأمر .

ومن أجل هذا التدخل حررنا هذه التذكرة المشبعة بالاخلاص والثناء وبادرنا بإرسالها لجنابكم العالى، وفى كل حال الأمر والإرادة لدولتكم .

٥ ل سنة ١٢٧٠ هـ .   عباس حلمى " الأول "
ختم

٣٥٨ فرمان النيشان المجيدى الرابع

358, Firman of conferring the 4th, Medjidieh Decoration.

قدمه ليتلق العلوم الدينية، وممن تلق عنهم شيخ الجامع الأزهر الشيخ الإنبابى والشيخ محمد البسيونى البيبانى والشيخ المنصورى وقد اتخذ له فى الأزهر خزانة يودعها كتبه ومتاعه، وفى ٢٠ يناير سنة ١٨٨٠م ألحق بعد مدّة الاستيداع بفصيلة الفرسان فى سوهاج ثم فى أبى شوشة على حدود مديرية قنا الشمالية وبقى بها الى ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢ حيث نقل الى القاهرة فى أوّل عهد الاحتلال، وألحق بفصيلة الفرسان وفى ٨ مايو سنة ١٨٨٣ رقاه الخديو محمد توفيق باشا الى رتبة الملازم الأوّل وترى التماس الترقية فى الرسم ٣٤٦ ومافيه قريب مما فى الالتماس السابق، وفى ٦ إبريل سنة ١٨٨٤ نقل مع فصيلته من القاهرة الى سواكن، وفى ١١ أغسطس سنة ١٨٨٤ منحه الخديو المذكور رتبة «اليوزباشى» التى ترى صورة التماسها فى الرسم ٣٤٧، وصورة المؤلف إذ ذاك فى الرسم ٣٤٨ وقد منح وهو بسواكن النجمة المصرية «ومدالية» سواكن الفضية ذات المشبك الذى لا يمنح إلا لمن حضر الوقائع الحربية، وقد كتب فى هذا المشبك (سواكن سنة ١٨٨٥) وفى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٨٥ صدر أمر عسكرى رقم ٨٠٤ شكرا له على ما قام به من الأعمال الهامة وفى أثر هذا الأمر منح «الوسام المجيدى الرابع» الذى تراه فى الرسم ٣٦١ وكتاب منحه فى الرسم ٣٥٨ وفى ٣١ مارس سنة ١٨٨٥ نقل الى القاهرة ثم نقل الى حلفا فى ٤ ديسمبر من السنة نفسها وقد حضر أثناء إقامته بحلفا عدّة مناوشات ووقائع حربية كانت بين الجنود المصرية والسودانيين، من ذلك واقعة صرص التى كانت فى ٢٨ إبريل سنة ١٨٨٧ — ٢٧ رجب سنة ١٣٠٤ هـ. وكان يقود الجنود المصرية اللواء شرم سيد باشا ويقود السودانيين البطل النور الكنزى الذى قتل فى هذه المعركة، ومن ذلك مناوشات بجهة سمنة وأمبيجول وعكاشة، ومن الوقائع واقعة توشكى فى ٣ يوليه سنة ١٨٨٩ — ٣ ذى القعدة سنة ١٣٠٧ — وكان رأس الجند المصرى غرنفل باشا، ورأس السودانيين ابن النجومى وقد منح المؤلف فى هذه الواقعة مشبك فضى كتب فيه توشكى سنة ١٨٨٩ وكذلك حضر المؤلف واقعة أرجين وعدّة مناوشات أخرى فى سنى ٨٧ و ٨٨ و ١٨٨٩ على الحدود الفاصلة بين مصر والسودان،

وفى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٩ نقل الى القاهرة ثم نقل الى سواكن مرة ثانية فى ٣١ أكتوبر سنة ١٨٩٠ ، وحضر وهو فيها جملة مناوشات بين الجنود المصرية والسودانيين بقيادة عثمان دجنة، وفى ١٣ فبراير سنة ١٨٩١ سافر الى ترنكتات بحرا ثم الى التيب برا وذلك لفتح طوكر وقد حضر موقعتها التى كانت فى ١٩ فبراير من السنة نفسها — ٩ رجب سنة ١٣٠٨ ه . وكان يرأس المصريين اللواء هولد اسمس باشا، ويرأس السودانيين عثمان دجنة يساعده القائدان النائب والشائب، وقد قتل فى هذه الموقعة من السودانيين نحو ٦٠٠ من خيار شجعانهم الذين ما كانوا يهابون الهجوم ويرون الموت فى سبيل الجهاد أحسن ما تختم به الحياة الطيبة، وبعد هذه الموقعة سافر مع فصيلة الفرسان الى بلدة « عقيق » لرؤيتها وكان معه القائد وكبار الضباط الإنجليز ثم عادوا الى طوكر وفى أثر موقعها منح الوسام العثمانى الرابع الذى تراه هو ومكتوبه فى الرسمين ٣٥٩ و ٣٦١ ومنح مشبكا برونزيا كتب عليه طوكر سنة ١٣٠٨ ه . وفى ٣ يوليه سنة ١٨٩١ نقل الى القاهرة وعين بها « أركان حرب عموم السوارى » ومنحه سمو الخديو السابق رتبة «الصاغ» فى ٢٦ يناير سنة ١٨٩٢ — ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ ه . أنظر التماس الترقية لها فى الرسم ٣٥٠ والمؤلف وقتئذ فى الرسم ٣٤٩ وفى ١٥ إبريل سنة ١٨٩٢ نقل الى حلفا مرة ثانية ولم تخل مدة اقامته بها من المناوشات ، وقد عين بها فى سنة ١٨٩٣ رئيسا « لأورطة » الفرسان الرابعة ، وفى ٢١ مارس سنة ١٨٩٤ صدر أمر خاص بالشكر له و« لأرطته» . وفى ٣٠ مارس المذكور نقل الى القاهرة ثم نقل الى حلفا للمرة الثالثة فى ٦ مايو سنة ١٨٩٥ ، وفى أول يناير سنة ١٨٩٦ — ١٥ رجب سنة ١٣١٣ هـ — أنعم عليه برتبة «البكباشى» وعين أركان حرب سواكن وترى التماس الإنعام فى الرسم ٣٥١ والمؤلف حينئذ فى الرسم ٣٥٢ والذين معه موظفو المكتب وقد منح « مدالية » استرجاع السودان الفضية المصرية سنة ١٣١٤ ه ومنح أخرى إنكليزية . وكانت مدّة اقامته بحلفا مملوءة بالمناوشات بين جنودنا والجند السودانى ، وفى أول إبريل سنة ١٨٩٩ عين «ياورا» للخديو السابق، وقد انتدبه سموه لكشف الطريق بين الاسكندرية

٣٥١ عريضة بكباشى (المؤلف)

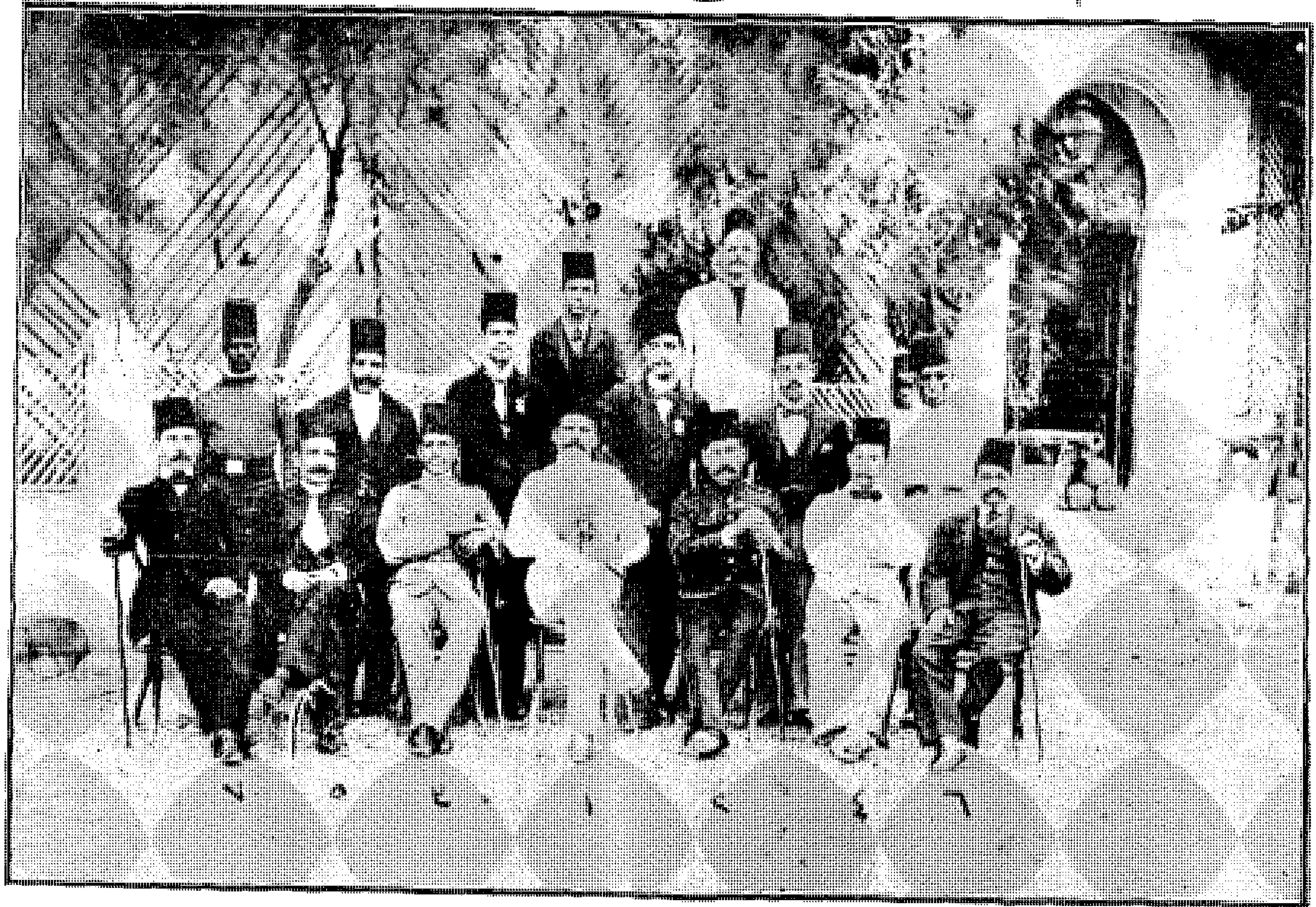
بكباشى

خديويت جليلهٔ مصريه

351. Brevet of the rank of Bimbashi (Lieu'enant Colonel).

٣٥٢ رسم المؤلف (بكباشي نمرة ١) مع موظفي قسم سواكن في ٢٥ يناير سنة ١٨٩٩

(١) المؤلف
(٢) اليوزباشي ابو العنين سيد احمد
(٣) مختار عباسي ضابط السجن
(٤) وكيل البوسته الان ببوستة مصر
(٥) امين رسمي باشكاتب
(٦) ابراهيم زيدان المترجم
(٧) فؤاد فوجي مترجم
(٨) موظف بالبوسته
(٩) مكسي كاتب
(١٠) محمد امين كاتب الان بالاشغال
(١١) كاتب
(١٢) مراسلة المكتب
(١٣) محمد مطر مراسلة
(١٥) ابن الباشكاتب



352. Photograph of Bimbashi (Lieutenant Colonel) Ibrahim Eff. Rifaat and his staff at Suakin in 1899

٣٥٩ فرمان النيشان العثماني الرابع

359. Firman of conferring the Osmanieh Decoration

صحيفة ٣٦٩ (*) ٣٥٣ القائمقام ابراهيم بك رفعت



353. Photograph of Kaimakam (Colonel) Ibrahim Rifaat Bey.

صحيفة ٣٦٩ (*) ٣٥٤ بيورولدى قائمقام

354. Brevet of the rank of Kaimakam (Colonel).

وواحة سيوة وتقديم تقريرعنه فقام بذلك فى ٤٢ يوما من ٢٨ مايو سنة ١٨٩٩ الى ٨ يوليه من السنة نفسها وكان بصحبته « اليوزباشى » ابراهيم أفندى أدهم — الآن اللواء ابراهيم باشا أدهم مدير المدرسة الحربية — ولما فى هذا التقرير من المعلومات القيمة سنردف به الترجمة ونجعله خاتمة الكتاب إن شاء الله .

وفى ١١ فبراير سنة ١٩٠٠ سافر مع سمو الخديو السابق من مريوط الى السلوم على ظهور الخيل واستغرقت هذه الرحلة ٢٨ يوما وترى خط السير فى الجدول الآتى

وفى ١٢ رجب سنة ١٣١٨ — ٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠ — رقى الى رتبة «القائمقام» التى ترى صورة التماسها (البيورولدى)(١) فى (الرسم ٣٥٤ وصورة المؤلف وقتئذ فى الرسم ٣٥٣)، وفى ٤ رمضان سنة ١٣١٨ — ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠ — عين رئيسا لحرس المحمل، وفى ١٥ شوّال سنة ١٣١٩ — ٢٥ يناير سنة ١٩٠٢ — منح رتبة « الميرالاى » وعين المؤلف رئيسا للحرس الخديوى (أنظر مكتوب(٢) الرتبة

(١) ترجمة هذا المكتوب ما يأتى :

قد وجهت رتبة " القائمقام " لعهدة افتخار الأماثل والأقران ابراهيم رفعت بك من "ياوران" المعية السنية زيد نخره لما شوهد من استعداده ودرايته وحسن خدماته وصداقته فى عمله فلذا توجهت وأعطيت لعهدته رتبة " القائمقام " تقديرا لاعلاء قدره وحيثيته بين الأمثال فيجب عليك أن تقدر قدر وقيمة التفاتى وحسن توجهاتى وعلى هذا المنوال تزيد باستحصال رضاى وسرورى وبالمحافظة على استقامتك وصداقتك وعلى ذلك صار أصدار هذا الأمر العالى الذى يجب العمل والسير بمقتضاه ١٢ رجب سنة ١٣١٨

ترجم هذا والمكتوبين التاليين حسين بك سكوتى من موظفى الديوان العالى السلطانى والخبير بمحكمة الاستئناف العليا .

(٢) ترجمته بالعربية ما يأتى :

افتخار الأكابر والأكارم ابراهيم رفعت بك زيد نخره الذى عين رئيسا لعموم حرسنا والذى توجهت الى عهدته هذه الدفعة رتبة "الميرالاى" الرفيعة قد أنهى الينا انه بالنسبة لاستعدادكم ودرايتكم ولما أبرزتموه من الاجتهاد والغيرة فى الخدم التى أمرتم بها قد وجهنا الى عهدتكم رتبة الميرالاى الرفيعة فى هذه الدفعة وأحسنا عليكم بها وبهذه الصورة جعلناكم مغبوطين لدى الأقران فمتى علم لك ذلك حق عليك أن تقدر التفاتنا وحسن توجهاتنا هذه حق قدرها وأن لا تخرج بعد الآن عن منهج الصدق والاستقامة المرغوب وأن تبادر بالحصول على آثار امتناننا وشكراننا على الدوام وبذا صدر أمرنا هذا اليكم فيجب عليكم العمل بمقتضاه . وفى أعلى هذا المكتوب والذى قبله ختم كتب فى وسطه عباس حلمى وبدائرته

عناية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم

١٥ شوّال سنة ١٣١٩

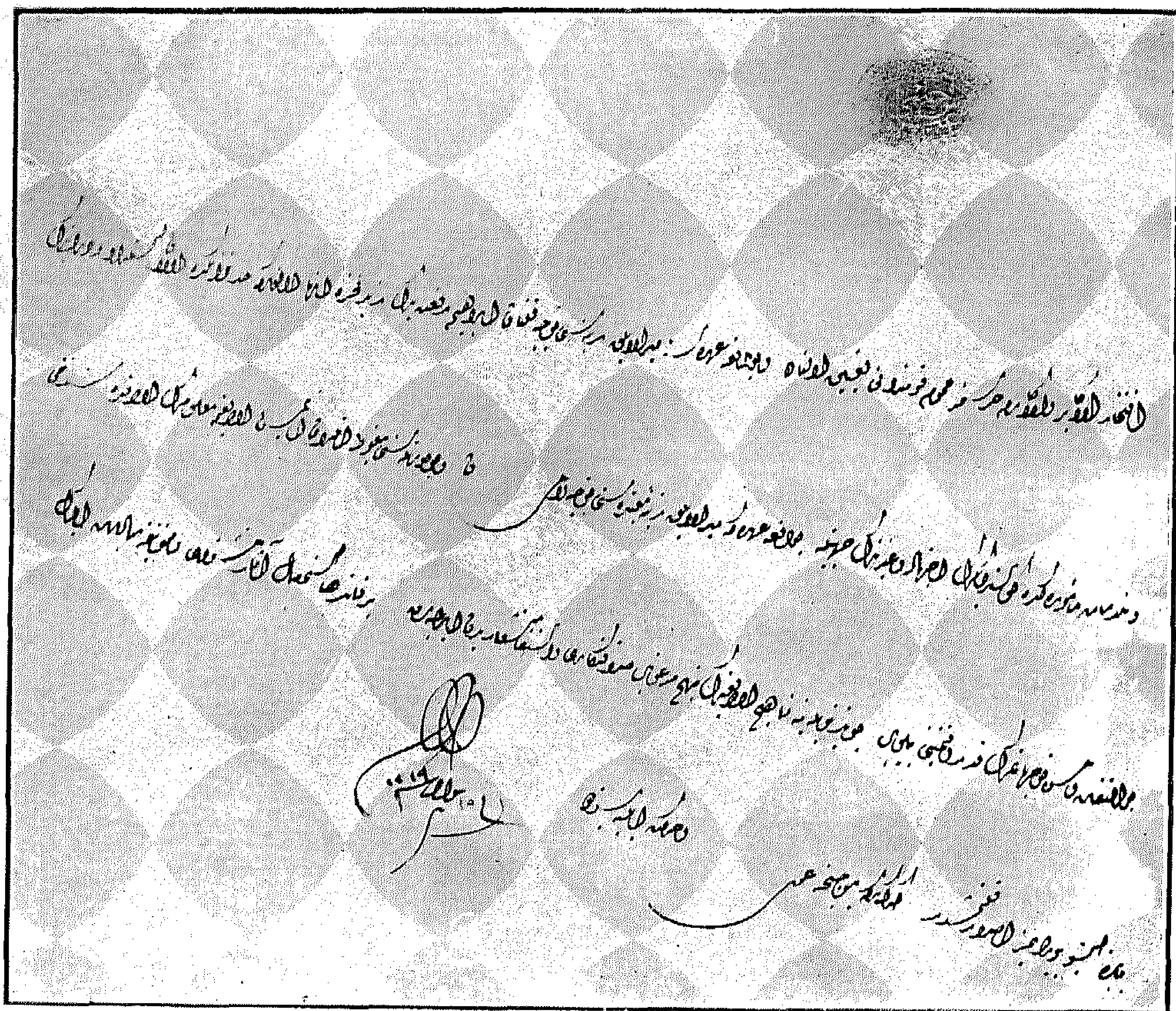
فى الرسم ٣٥٥) ورسم المؤلف وقتئذ تراه مع ضباط الحرس الخديوى فى الرسم ٣٥٧ وفى ٣ رجب سنة ١٣١٩ — ١٦ أكتوبر سنة ١٩٠٢، أحيل الى المعاش وقد شكر له سمو الخديو السابق ما قام به من الخدمات الجليلة أثناء أربع سنوات التى كان فيها بصحبته — بمعيته — وما قام به قبل ذلك وقد درج فى البند ٢٩٤ من الأوامر العسكرية الصادرة فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٠٢ [1]، وفى ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٠ هـ — (٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٣ م) عين أميرا للحج فى طلعة سنة ١٣٢٠ هـ رجعة سنة ١٣٢١ هـ ومنح رتبة اللواء أنظر "فرمانها" [2] (فى الرسم ٣٥٦) وفى ٣ شعبان سنة ١٣٢١ هـ — (٢٤ أكتوبر سنة ١٩٠٣ م) عين للمرة الثانية أميرا للحج فى طلعة سنة ١٣٢١ رجعة سنة ١٣٢٢ هـ، وفيها منح النيشان العثمانى الثالث الذى تراه فى الرسم ٣٦١

(١) (أمر وداعى) انه لمناسبة احالة حضرة "الميرالاى" ابراهيم بك رفعت "قومندان" عموم الحرس الخديوى على المعاش فسمو الخديو المعظم يرغب أن يعرب عن مزيد ارتياحه فى قيام حضرته بأعماله حق القيام وخدماته التى أداها بالأمانة خصوصا فى مدة الأربع سنوات الأخيرة التى كان فيها ملحقا بمعية الجناب العالى "بصفة ياور" وأخيرا بوظيفة "قومندان" عموم الحرس الخديوى التى تعين بها من تاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٠٢

(٢) ترجمة هذا الفرمان الصادر من السلطان الغازى عبد الحميد خان ما يأتى :

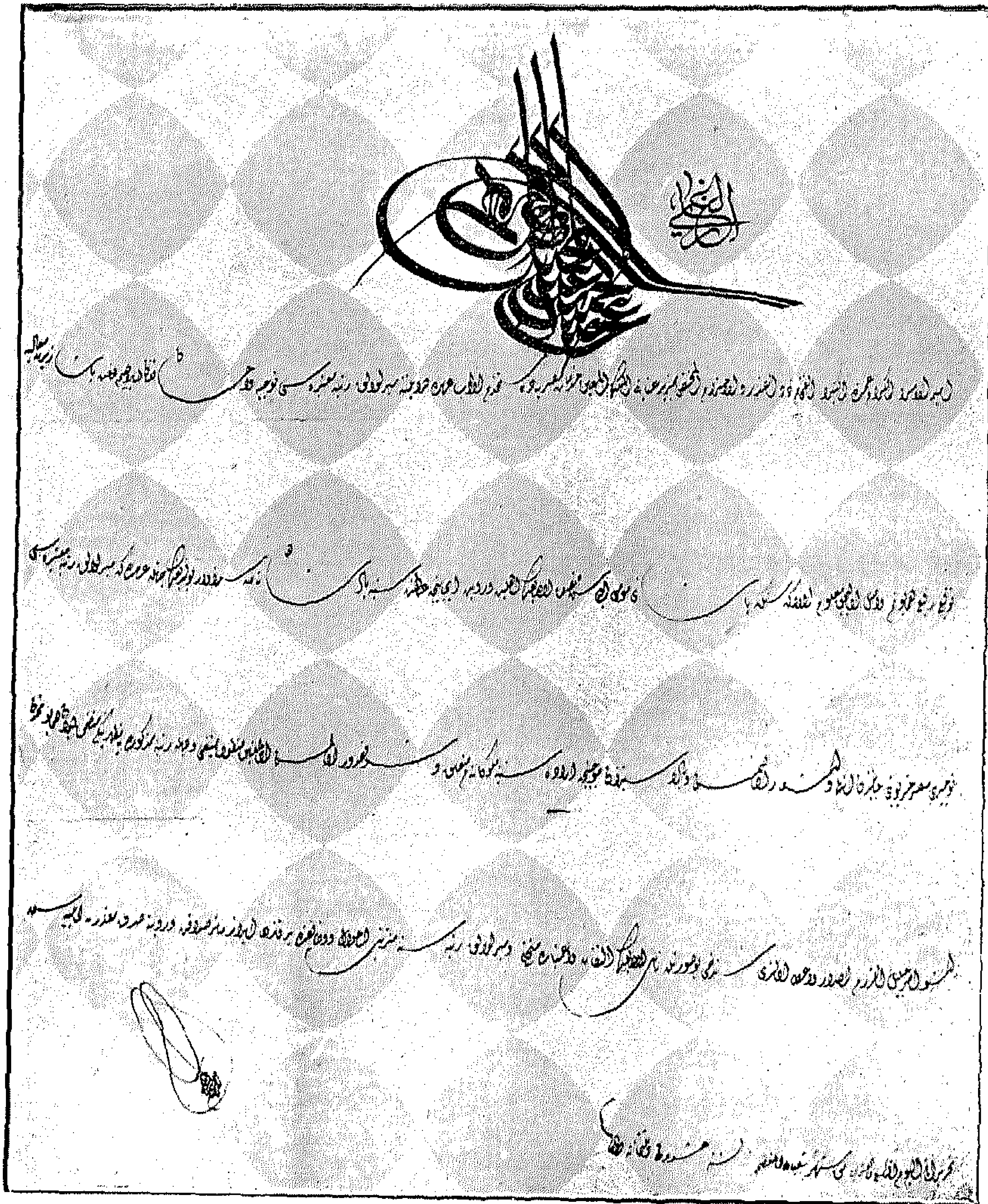
أمير الأمراء الكرام عمدة الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام المختص بمزيد عناية الملك المعين ابراهيم رفعت باشا المستخدم بالخدم المصرية والذى توجهت الى عهدة درايته رتبة "الميرلوا" المعتبرة وأحسنا بها عليه زيدت معاليه لدى وصول التوقيع الهمايونى الرفيع يكون معلوما لك أنت أيها الباشا المشار اليه انك بمقتضى ما اتصفت به من الأهلية والدراية ولكونك مستحقا لعواطفنا السنية الشاهانية قد أنهى من جانب الخديوية المصرية بتوجيه رتبة "الميرلوا" المعتبرة الى عهدتكم وبالاستئذان منا عن ذلك قد تعلقت إرادتنا السنية وصدرت بها وبمقتضى مضمونها المنيف أصدرنا أمرنا الجليل القدر هذا من ديواننا الهمايونى متضمنا استحقاقك لهذه الرتبة المعتبرة والاحسان بها عليك فيجب عليك أنت أيضا أن تبرز مآثر الصداقة والروية اللائقة بشرف هذه الرتبة الجليلة فى سائر الوظائف والأحوال وتبذل جل مقدورك فى ذلك تحريرا فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان المعظم لسنة عشرين وثلثمائة وألف هـ .

٣٥٥ بيورولدى ميرالاى

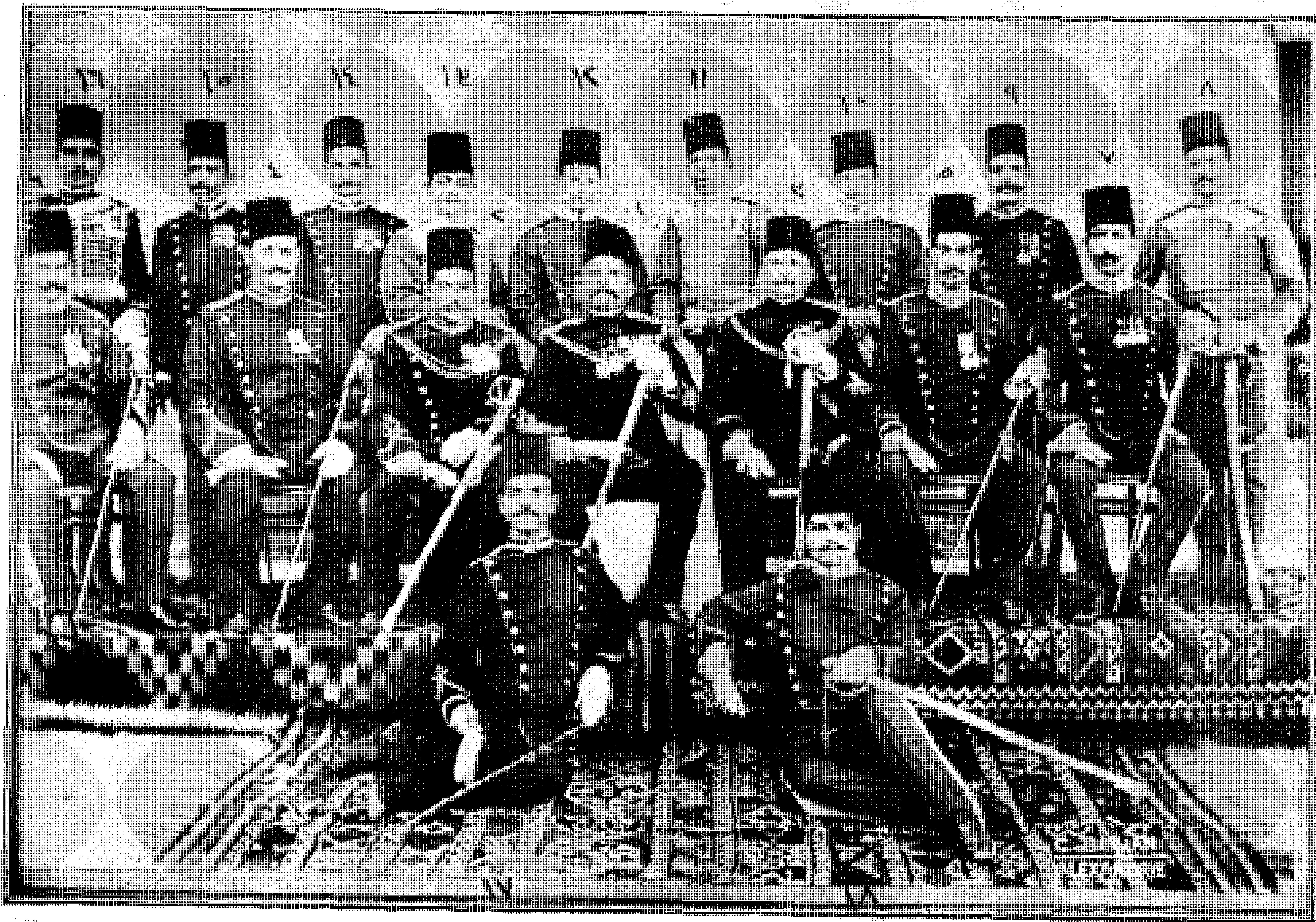


355. Brevet of the rank of Miralai (Brigadier General).

٣٥٦ فرمان لواء

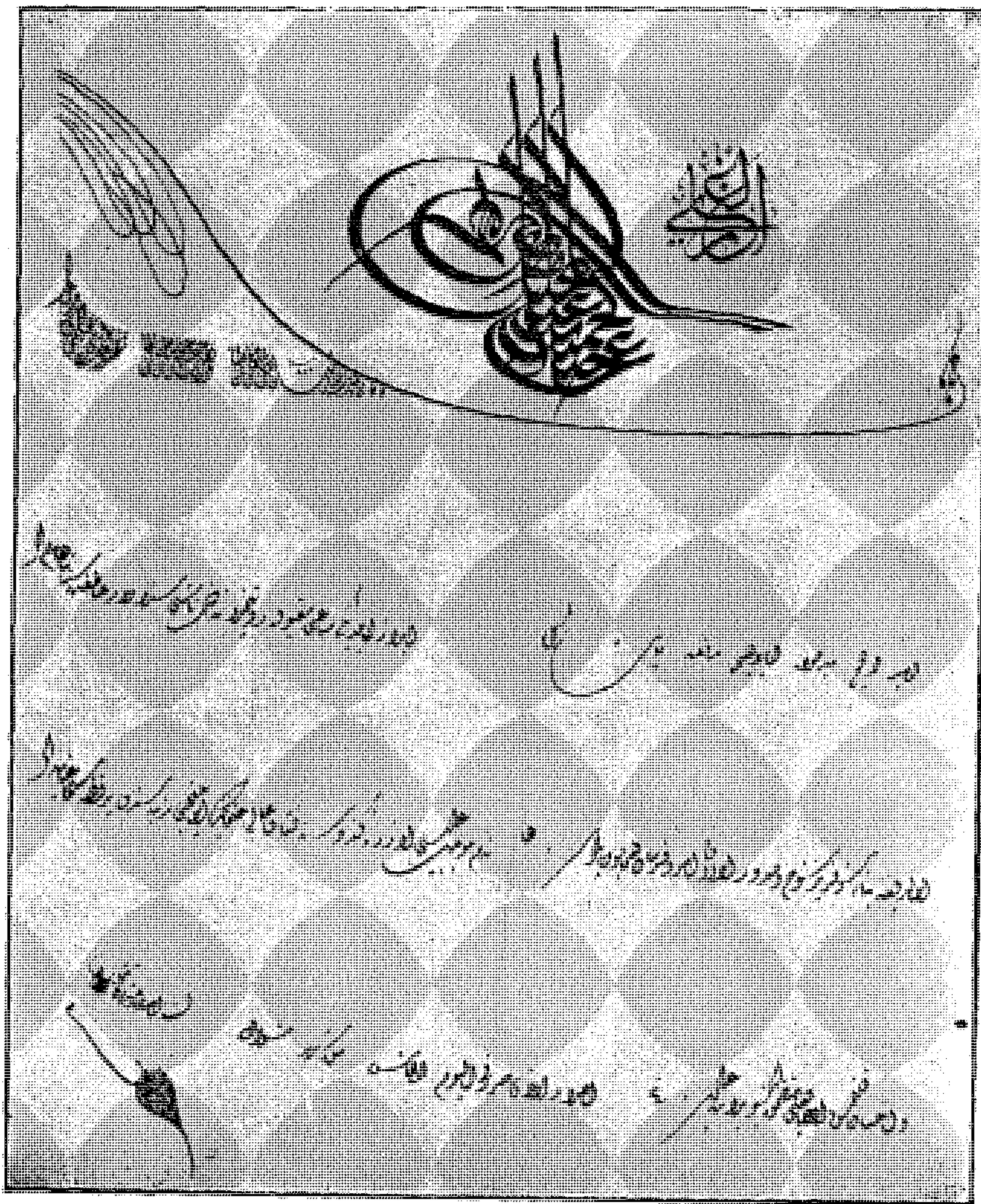


356. Ottoman Imperial Firman of the high grade Al Lewa (Major General).



357. Photograph of El Miralai Ibrahim Rifaat Bey, General Officer Commanding Khedivial Guards and his Officers, up to 15th. Oct. 1902.

٣٦٠ فرمان النيشان العثمانى الثالث



360. Firman of conferring the 3rd. Osmanieh Decoration.

ترجمـــة البراءة

بناء على انهاء الخـديوية الجليلة المصرية، ان اليوزباشي ابراهيم افندى رفعت من الضباط المصرية هو جدير بتلطيفاتنا السنية الشاهانية، فبموجب أمرنا وفرماننا الهمايونى الشاهانى الصادر والسانح قد أصدرت هذه البراءة العظيمة الشأن المتضمنة الإحسان اليه بقطعة النشان المجيدى من الدرجة الرابعة .

حرر فى اليوم التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمـائة وألف

ترجمـــة الرسم ٣٣٥

حضرة صاحب الدولة (شيخ الحرم النبوى)

بمـا ان المقارئ « الحسفات » المرتبة تبركا من طرف المثنى عليكم ومن طرف صاحبات العفة والداتى الداعيات لدولتكم ،وذلك لدائرة حرم مخدوم الإنس والملائكة صاحب الرسالة صـلى الله عليه وسـلم — تسند الى مستحقيها وأهليها بمعرفة وكيل فراشتنا، الداعى المتواضع الزاهد خير الدين افندى ،وقد وصل الى سمعنا ان المنحلات أسندت لآخرين بمعرفة غيره، ونشأ عن ذلك قضية بين الفريقين تسببت فى تعطيل المقارئ على وجهها المرتب .

و بمـا ان هذه المقارئ مرتبة ومخصصة من طرف المخلص فيجب أن تكون النظارة لوكيل فراشتنا ، فيكون وحده صاحب الحق فى إعطاء المنحل للمستحقين، ولا يخفى على دولتكم ان التدخل المخل للنظام المتبع فى مثل هـذه الخيرات لا يجوز ولا يقبل لدى مقامكم العالى المشيرى ذى الشيمة البهية والعدالة المعروفة لدولتكم، فالمأمول والمتمنى أن تتركوا فيما بعـد أمر المنحلات الواقعة والتى تقع للوكيل المشار اليه أو للوكلاء المعينين من قبله ، وأن تهتموا وتعتنوا بمنع كل تدخل فى هذا الأمر .

ومن أجل هذا التدخل حررنا هذه التذكرة المشبعة بالاخلاص والثناء و بادرنا بإرسالها لجنابكم العالى، وفى كل حال الأمر والإرادة لدولتكم .

٥ ل سنة ١٢٧٠ هـ .   عباس حلمى "الأول"
ختم

وفرمان[1] اعطائه فى (الرسم ٣٦٠) ومظروف الفرمان فى (الرسم ٣٦٢) وفى ٢٨ رمضان سنة ١٣٢٥ هـ، عين للمرة الثالثة أميرا للحج فى طلعة سنة ١٣٢٥ هـ، رجعة سنة ١٣٢٦هـ. ولسنا فى حاجة لأن نخبرك بما قام به المؤلف أثناء إمرته للحج بعد أن أسمعك أحاديث رحلاته وعرفت منها جلائل أعماله .

وقد عين بعد إحالته للمعاش عضوا فى المجلس الحسبي ومحلفا فى المحكمة المختلطة وعضوا بمجلس تنظيم مصر و رئيسا لشركة التعاون بين موظفى الحكومة وعضوا فى لجنة مراجعة العوائد بمحافظة مصر، ولا زال يشغل بعض هذه المناصب لخدمة الأمة .

أخلاق المؤلف — تحديث المرء عن نفسه بكرم أخلاقه وطيب أرومته مظنة للريب، ولكن إذا حدّثتك عن أخلاق المرء أعماله فهنالك الخبر اليقين الذى دونه خبر الإخوان والخلان، ونحن إذا قلنا كلمة فى أخلاق المؤلف فانما نستمدّها من ثنايا رحلاته ومما رأيناه رأى العين .

المؤلف من العصاميين الذين بنوا لأنفسهم مجدا فى هذه الحياة وأسسوا لمن بعدها . نبت ميالا الى معالى الأمور نفورا من سفسافها عرف بالجدّ والدأب من صغره، وكان ذلك شأنه طول حياته حتى كتابة هذه السطور أناف على السبعين ولا زال النشاط يجرى فى عروقه، يعرف من الدين وأحكامه ما لا يعرفه أمثاله الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، الذين غرتهم زخارف هذه الحياة عن حياة أخرى هى أولى بالمراعاة وأحق بالعمل لها (وإنَّ الدارَ

(٢) ترجمة براءة شاهانيــة بالاحسان بالنيشان الثالث العثمانى على ابراهيم رفعت باشا أمير الحج وهى بطغراء السلطان عبد الحميد خان الغازى .

الفرمان الشريف العالى الشأن السامى المكان السلطانى ذات الطغراء الغراء المؤيدة للعمران الخاقانية يكون حكمها بالعدل الربانى كما يأتى :

انه بالنسبة لكون الميرلوا ابراهيم رفعت باشا أمير الحج أبرز من التروى مساع مقبولة و بذا استحق عطفنا الشاهانى فبموجب أمرنا وفرماننا الهمايونى الصادر أحسنا عليه بقطعة الدرجة الثالثة من النيشان العالى العثمانى وأصدرنا اليه هذه البراءة العلية الشأن بذلك تحريرا فى اليوم الخامس من شهر شوال لسنة احدى وعشرين وثلثمائة وألف . حرر بالقسطنطينية المحروسة

الآخرةَ لَهِيَ الحيوانُ لو كانوا يعلمون﴾ يحافظ على الصلوات فى أوقاتها ويؤدّيها أداء العلماء الخاشعين، إذا قرعت أذنه الموعظة نفذت الى قلبه فحركت أعضاءه الى العمل الصالح، يرأف بالبائسين والمساكين وتمدّهم يمينه بما لا تعلم شماله شأن الذين يرقبون الله فى أعمالهم ولا يقصدون بها منا ولا أذى ولا رياء الناس، يساعد أرباب الحاجات بجاهه فيسعى لهم فى الخير مااستطاع الى ذلك سبيلا، قام على تركات فكان يخشى ذرية ضعافا فكان يحب للأيتام ويعمل لهم مايحبه لولده من بعده، لا تأخذه فى الحق لومة لائم ولا رهبة ظالم، بل يرى نفسه قويا بساعد الحق، وكان اعتقاده انتصار الحق على الباطل مما يزيد فى ثباته ويدفعه الى الدفاع عن الحق حتى يقضى الله له ﴿ولينصُرَنَّ اللهُ من يَنْصُرُهُ إنَّ اللهَ لقويٌّ عزيزٌ﴾ .

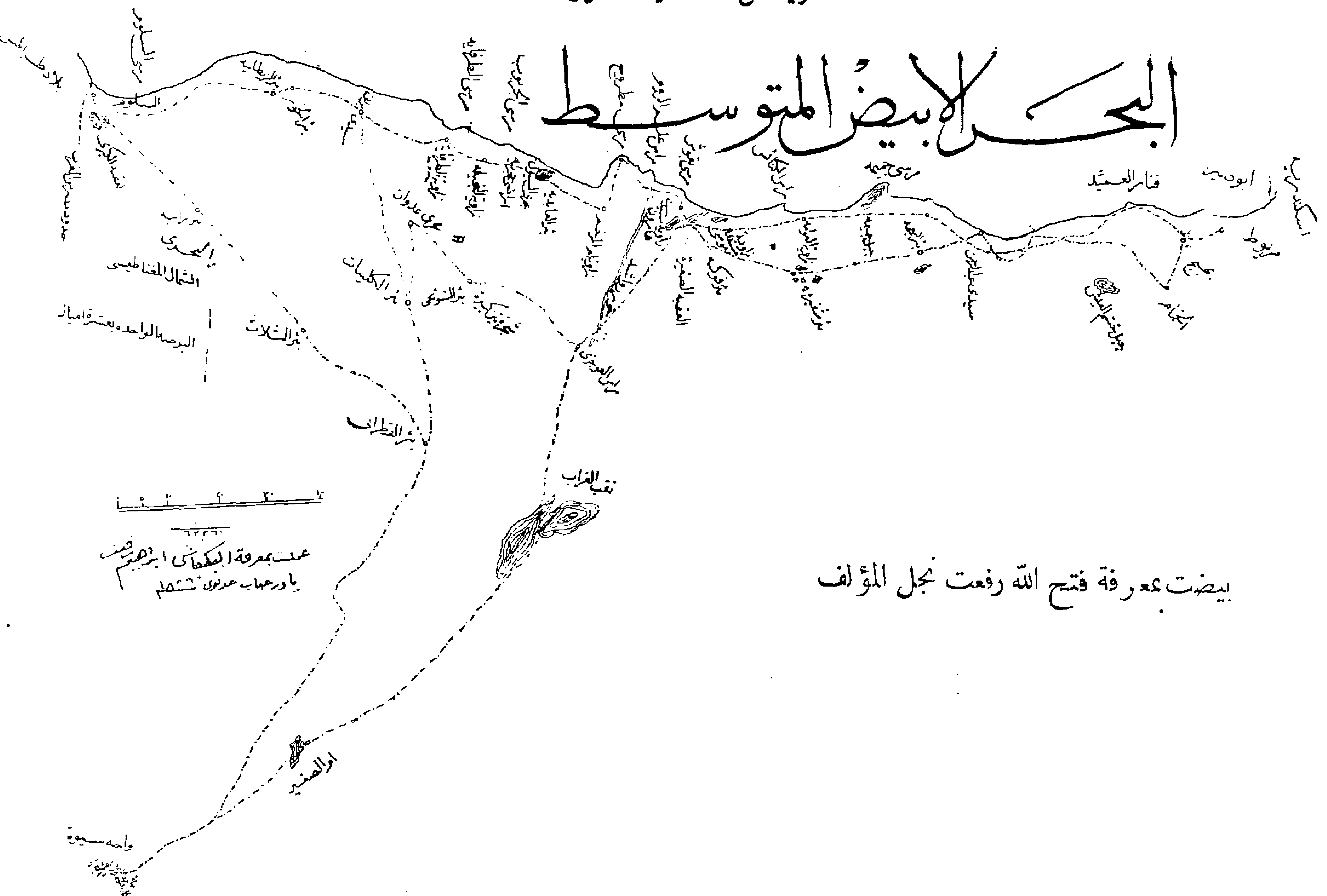
المؤلف صبور على الشدائد تجاهد أن تغلبه فيأبى إلا أن يغلبها ويأبى الله له إلا ما أبى ، يصبر على الصدق وإن كان مرا على النفس ويجاهر به مهما كان فى ذلك من المضرة له وهل هى إلا مضرة موهومة ينقشع غيمها أمام الحق وريحه .

المؤلف من أوساط الموسرين الذين ينفقون من أموالهم بقدر ما تسمح حالهم لا تغرّه مظاهر العظمة الكاذبة ولا تستهويه الى مالايجد، وإنما له نفس رزينة وخلق كريم يأبى به أن يسلك للدنايا مسلكا وأن يتخذ الباطل اليه منفذا .

يحفظ من أمور الحياة ونظمها ما يتجمل به المرء فى هذه الدنيا، وما كان ذلك ليلهيه عن محمدة أو يقعد به عن واجب ﴿وآبتغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرةَ ولا تنسَ نصيبكَ مِنَ الدُّنيا﴾ .

يعلم من الحجاز وطرقه وأمرائه وولاته والحج ومناسكه ما لا يعلمه كثير غيره، ونظرة فى رحلاته تنبئك بالخبر اليقين .

وبالجملة فالمؤلف ممن أخذ بحظ وافر من سعادة الدنيا وعمل عملا صالحا آذخره للحياة الأخرى ولو لم يكن له إلا هذا السفر الجليل الذى شرح به أكبر شرح فرضا من فروض الدين الاجتماعية وبين لنا فيه مهد النبوة ومبعث الهداية الربانية ومشرق



364. Map of the route to Siwa in 1899.

الحكمة المحمدية لو لم يكن له إلا هـذا السفر وما أنفقه فى سبيل إخراجه لعامة المسلمين لكفاه شرفا وفخرا ويد صدق يتقدّم بها الى رب العالمين وأرحم الرحمين .

﴿ إِنَّ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ إنا لانضيعُ أَجْرَ من أحسنَ عملا أولئك لهم جناتُ عدنٍ تجرى من تحتِهِم الأنهارُ يُحَلَّون فيها من أساورَ من ذهبٍ ويَلْبَسون ثيابا خضرا من سندسٍ وإستبرقٍ متكئين فيهـا على الأرائك نعم الثواب وحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

رحلة المؤلف الى سيوة والسلوم

ندبنى سموّ الخديو السابق لكشف الطريق بين مريوط وسيوة وتقـديم تقرير عنـه وكان معى « اليوز باشى » ابراهيم افندى أدهم من رجال المعيـة و ١١ هجانة وخبير بالطرق يسمى أبا مستورة ، وكان فى خدمتنا خمسة جمـال و ١٣ هجينا وطاهٍ للطعام والجميع مزوّد بالمـال والطعام الكافى، وذلك من حساب الخاصة الخديوية وقد قمت بمـا طلب منى وقدّمت تقريرا وصفت فيـه الطريق وشفعته بخريطـة مفصلة للأماكن والطريق تراها فى الرسم ٣٦٤، وهاك خلاصة التقرير .

من مريوط الى بهيج — الطريق سهل تكتنفه من الجانبين تلول حجـرية قليلة الارتفاع وبعض بساتين صغيرة بها شجر التين، والأرض صالحة للزراعة فيهـا بعض المراعى ، وبهيج ثلاث آبار عذبة المـاء، عمق كل منها ستة أمتار تقريبا، وفيها بستان به أنواع من الخضراوات وأشجار التين البرشومى وقد قطعنا المسافة بين مريوط وبهيج فى ٤ ساعات و ٥٠ دقيقة وإذا كان للساعة ثلاثة أميال بسير القافلة فالمسافة بينهما $٤ \frac{٥}{٦} \times ٣ = ١٤٫٥$ ميلا وسنذكر المسافات فى الجـدول الآتى فلا نطيل بذكرها فى الوصف، وكذلك عمق الآبار :

من بهيج الى الحمـام — الطريق كسابقتها بها ست آبار عذبة غزيرة المياه تكفى ألوف الحيوان وبجوار الآبار مساكن ومزارع كثيرة .

من الحمام الى العمَيِّد ثم الشمامة — وصف الطريق كما سبق غير أن الآبار معدومة والسكان قليلون .

من الشمامة الى سيدى عبد الرحمن — بالطريق ست آبار مقبولة الماء قريبة من البحر الأبيض المتوسط وحول الآبار كثير من السكان والحيوان، وقبلها بنحو ميلين ترى رسوم أبنية قديمة تحدث عن بلدة كانت هنالك .

من سيدى عبد الرحمن الى بئر النعجة — الطريق كما سبق ، بها المراعى الطيبة الكثيرة ، وفيها القمح الجيد والشعير والقثاء والبطيخ والشمام ، وبها بئر ماؤها من المطر يمكث فيها ثلاثة شهور فقط وقد وجدناها ناضبة حين القفول .

من بئر النعجة الى شفيرة — يتخلل الطريق تلول مرتفعة وفيها بئر حجرية تحيط بها غابة كثيفة وبعض تلول ولا يشرب منها إلا الناس، أما الجياد وسائر الحيوان فتشرب من آبار هنالك ملحة ، والسكان قليلون لديهم من الشعير ما يكفيهم السنين ويدخرونه فى حفر أرضية يسمونها المطامير .

من شفيرة الى فوكه — فى الطريق بئر فى مائها بعض الملوحة والعفونة والأهالى حولها قليلون والحيوانات كثيرة تنبىء عن عربان كثيرين يسكنون بعيدا عن الآبار .

من فوكه الى رأس العجيزى — الطريق سهل نحو ميلين ثم يصعد الى العقيبة مارا بأرض حجرية سهل سلوكها ثم يمتد فى واد فسيح، أرضه مستوية قابلة للزراعة به مواش كثيرة ومزروعات قليلة عندها بعض السكان ، وبالوادى مراع للحيوانات وعلى نحو ٢٠ ميلا من العقيبة تسلك الطريق واديا حجريا مسيرة ٣ ساعات و ٥٠ دقيقة .

من رأس العجيزى الى بئر الشولحى — يسلك الطريق من رأس العجيزى الوادى الحجرى السابق مسافة ٢٥ ميلا تقريبا، وفى منتهى ذلك الوادى شجرة تين برشومى كبيرة جدا زرعت منذ أمد بعيد، والطريق خال من الناس والحيوان والنبات لا تبصر به إلا مهامه قفراء بها كثير من الأحجار التى تصعب سلوك السبيل ،

وبئر الشولحى من الآبار الأثرية القديمة ماؤها مطرى يمكث بها نحو ثلاثة شهور وفى جوارها مطامير للشعير وبعض الزراع، ولهم مواش كثيرة يسقونها من آبار قريبة من البحر الأبيض على نحو يوم .

من بئر الشولحى الى بحرى عدوان — الطريق فى واد حجرى كسابقه فى بعض جهاته قمح وشعير وقليل من العربان .

من بحرى عدوان إلى بئر الكليبات — الطريق فى أوله حجرى ثم سهل بعد ذلك وبه مراع للحيوان وبئر الكليبات من الآبار الأثرية القديمة ماؤها من المطر لا يشرب منها سوى الناس، والجياد وباقى الحيوان يشرب من آبار قريبة من البحر الأبيض على مسيرة يوم أو أكثر وبجوار البئر آثار بناء قديم بنى من الأحجار المتينة المنتظمة .

من بئر الكليبات الى بئر القطرانى — الطريق حجرية فى أكثر المسافة بها آثار قديمة وآبار لا ماء فيها وبئر القطرانى مطرية يشرب منها القاطنون بجوارها والمارة، وهى من أهم الآبار لأن جميع القوافل التى تمر بها ميممة سيوة تأخذ من مائها ما يكفيها أربعة أيام حتى تصل الى سيوة، وفى شرقى البئر مكان يقال له الكنائس به ماء وفى غربيها بئر الثلاث وهى كسابقتها فى الأهمية، وعند بئر القطرانى يكثر الذباب والشعران اللذان يؤذيان الإبل إيذاء شديدا تكاد تأكل لحمها منه .

من بئر القطرانى الى سيوة — الطريق حجرى تكتنفه الجبال على مدى ٢٢ ميلا تقريبا وقد بدأ الطريق بمراع أخذت تقل حتى انقطعت ودخلنا صحراء حجرية فسيحة ليس بها إنسان ولا ماء ولا حيوان وفى زمن الشتاء توجد بها أماكن للمياه يقال لكل منها « برقه » وهى عبارة عن أرض مطمئنة يتجمع فيها ماء المطر الذى تشرب منه القوافل، وقبل سيوه بنحو ٢٠ ميلا يوجد قليل من المراعى التى لا يأكل أكثرها الحيوان، وترى فى الطريق آثار الغزلان وهى سائرة وعلى جانبيه جبال وتلال وخيران متسعة تشبه الترع أخذت تزيد كلما اقتربنا من سيوة، وقد أخذت الأرض

تصعد بنا ثم تنحدر ثم تستوى ثم تمثل ذلك كرة أخرى حتى انتهينا الى منحدر رأينا منه سيوة فى مكان سحيق ، وهذا المنحدر يسير به الناس فرادى راجلين غير راكبين. ولا بد من الأخذ بخطام كل بعير أثناء نزوله لصعوبة المنحدر الذى ينتهى بأرض رمليه مستوية ملحة بها مدينة سيوة .

وعلى طول الطريق بين القطرانى وسيوة مدقات قديمة يهتدى بها المسافر ولا تنقطع إلا فى الأماكن التى ينزل بها ماء المطر ويمكث مدة ثم يجف فيترك الأرض بلاطا لا تؤثر فيها أقدام الناس ولا أرجل الحيوان ، ومن أجل هذا تجب العناية بمعرفة اتجاه الطريق خشية أن يضل السالك محجته ، ولقد ضل الخبير عن نهج الطريق أول يوم سرنا فيه فى الصحراء ومكثنا زهاء تسع ساعات نلتمس المدقات فلا نجدها ولكن تداركنا لطف الله وتبين لنا أن ما سلكناه هو النهج ، وقد كان القيظ فى هذا اليوم شديدا ولكن شغل أفكارنا بالتماس المحجة أنسانا حر اليوم وجعلنا نسير ثنتى عشرة ساعة متتالية لا نحس فيها بألم .

وقد وصلنا الى سيوة بعد ١٥ يوما من بعد ظهر يوم ٢٨ مايو سنة ١٨٩٩ الى ما بعد ظهر ١٢ يونيه ولم نسترح من هذه الأيام إلا يومين ونصفا ومدّة السير ١٣٥ ساعة و٤٥ دقيقة أو ٤٠٧,٢٥ ميل ، وقد لبثنا بسيوة خمس ليال وأربعة أيام عرفنا فيها البلد وأهلها وما حواليها ، وغادرناها فى صباح ١٧ يونيه : وهاك وصف البلد

سيوة — هى مدينة صغيرة تسورها الجبال عدا ثلاث فتحات يدخل منها الناس اليها ويسكنها ٨ آلاف نسمة ينقسمون الى شرقيين يعرفون بالمدنيين وغربيين يعرفون بالسنوسيين ، ولكلٍّ منازل خاصة متجاورة ومساكن الأولين فى أراض مطمئنة ومساكن الآخرين فوق جبيل هناك بعضها فوق بعض فى وسطه بئر يشربون من مائها ويغسلون وفى الجبل ٣ طرق توصل الى البيوت ومنازل البلد مبنية بالأحجار الصغيرة والطين لا تلبث أن تنهدم اذا نزل عليها صيّب المطر ، وبالبلد ستة مساجد ومصلى صغير وخمس وعشرون معصرة للزيت يقوم بالعمل فيها فقراء البلد نظير أخذهم العشر مما يصنعون ،

وفيها جملة حوانيت تبيع السكر والشاى والأنسجة والبقول والدخان الخ ، وفيها نحو ١٥٣ عين ينبع منها المـاء بشكل جميل وهى مبنية من الحجر المنحوت ومستديرة الشكل مغطاة الفم بحجر يرفعه من أراد إرواء زرعه و يعيده حيث كان بعد الإرواء ، ومن هذه العيون تشرب بدون عناء جميع المزروعات من نخيل وأعناب وزيتون ورمان ، ومن عادتهم اذا أرادوا إرواء بساتينهم أن ينادى المنادى بقوله : كل من صام رمضان يحضر فى بستان فلان وقت إروائه فيحضرون فى الموعد و يسقون ثم يتناولون طعام الغذاء الذى أعدّه لهم صاحب البستان وهو فى الغالب من ثريد العدس أو الفول ، وان كان صاحبه غنيا ذبح لهم من غنمه ثم يشربون الشـاى وينصرفون بلا أجر الخ . وأهـم المحصولات فيها البلح ثم الزيتون وبها كافة الفواكه ولا تقل أشجارها عن ٨٨٠٠٠ شجرة وفيها الخضراوات وقليل القمح وكثير الشعير الذى منه ومن التمر يغتذون ومن الزيت والبصل يأتدمون ولا يأكلون اللحوم إلا فى الأعياد حاشا الأغنياء فإنهم يأكلونها كلما رغبوا ، وأكثر السيو يين فقراء وتراهم لذلك يأكلون الحمير والكلاب والفيران والقطط وهم مغرمون بشرب الشاى و يفضلونه على الطعام يستدينون ليشتروه فيشربوه وكثيرا ما يأخذون من التجار زهيدا من المـال يشترون به الشاى و يعطونهم بدله وافرا من التمر حين يجنون المحصول فترى الواحد يعطى فى ريال استلفه ٣٠ صاعا من التمر مع أن الريال وقت الحصاد لا يشترى به أكثر من ١٥ صاعا ، كل هذا ليرووا أنفسهم بلذة الشاى الذى قلما يكون من الأصناف الجيـدة وهو مع ذلك بأثمـان باهظة ، وكذلك الشأن فى السكر وأظن أن هذا هو العامل الكبير فى فقر أكثرهم .

و يلبس السيو يون نسيج القطن الأسمر — البفتـة السمراء — يلبس رجالهم الأبيض منه ونساؤهم الأسود وألبستهن الى الركب ، وفى أعناقهن أطواق حديدية أو فضية وأقراطهن من ذينك المعدنين . والأنسجة القطنية والملابس ترد اليهم من كرداسة الجيزة يحضر بها التجار الجيز يون و يستبدلون بهـا التمر والزيت والزبيب . و يسافر فى الشتاء الى سيوة عربان العقيبة معهم جمالهم محمـلة بالشعير يعتاضون عنه التمر والزيت والبصل .

وأجرة العامل الكبير عنـدهم طول السنة ١٥٠ قرشا صحيحا و ١٧٠ صاعا من البلح و ٢٠ صاعا من الشعير ونصفها من القمح وفوق ذلك يأكل ويشرب من الشعير والفول والعدس التى ترد من كرداسة الى سيوة، ويعطى ثوبا من « البفتة » و«بشتا» من الصوف؛ أما أجرة العامل الصغير فثمانية صيعان من القمح ومثلها من الشعير وستة مقاطف من البلح وأكله وكسوته كالكبير .

وتكثر الحميات بسيوة لانخفاضها كثيرا عن سطح البحر ولإحداق الجبال بها وقد وقانا الله شر هذه الحميات .

وفى شمال سيوة الشرقى على ميلين منها بلدة تسمى « أغرمى » وقبلها بميل معبد أمون الشهير كما قيل وهو متخرب لم يبق من بنائه إلا رسوم قليلة فى ناحيته الجنوبية عليها نقوش وصور قديمة .

وقد قابلنا مأمور سـيوة وضابط شرطتها وطبيبها وقاضيها وأعيانها مقابلة حسنة وأكرموا مثوانا فى خمسة الأيام التى أقمناها فى ديارهم .

من سيوة الى بئر الكايبات فسيدى برانى — سافرنا من سيوة قاصدين السلوم فرجعنا من حيث جئنا الى بئر الكايبات وقد كان الحر شـديدا فى يومى ١٧ و١٨ يونية حتى كاد يقضى علينا، فاضطررنا الى ترك السير من الساعة ١٠ صباحا الى الساعة ٦ مساء وشربنا المـاء الكثير لاطفاء الحرارة ولأن المـاء هناك لا يروى وقد استنفدنا خمسة « فناطيس » فوق ما استنفدناه حال الذهاب وقد مرض الخرّيت أو الخبير بالطريق بعـد أن خرجنا من سيوة ببضع ساعات وأخذت الحمى تزداد به حتى يئسنا من مصاحبته لنا فسلمناه لأهله عند بئر القطرانى بعد أن أعطيناه أوراقا من «الكينا» خففت عنه من الحرارة، ولولا مرشد « البوصلة » والمدقات التى بالطريق لالتهمتنا الصحراء وأودى بنا الضلال عن الطريق .

لهذا نرى من اللازم أن يكون لمن يقومون بمثل رحلتنا أن يكون معهم خبيران إذا ناب أحدهما مايقعد به عن عمله كان فى الآخر غنية .

وقد وجدنا على نحو ثلاثة أميال فى الشمالى الغربى للطريق قبل أن نصل الى بئر القطرانى بنحو ١٥ ميلا ميدانا حجريا واسعا جدا تجمعت به مياه كثيرة مثلت مياه النيل إلا أن عمقها من ٣٠ سنتيا الى ٥٠ والماء عكر لكثرة الحيوانات الواردة اليه و يقال لهذا الميدان « بلطة الصيف » وتمكث به المياه خمسة شهور أو أقل اذا كان المطر نزرا ، وقد كان لرؤية هذه اللجة فرحة عظيمة فى نفوسنا لأن الجمال كانت عطشى من شدّة الحرّ عليها .

والطريق من بئر الكلبيات الى سيدى برانى يسير نحو الشمال تقريبا وأرضه حجرية مسيرة ٨ س ثم زراعية مسيرة ٥ ساعات ، أى الى أن وصلنا الى الزاوية ، وفى المسافة الأخيرة قليل من الأعراب وبعض المزارع ، وفى زاوية سيدى برانى بناء على مرتفع من الأرض بنى بالحجر الغشيم والطين وهناك بئر ماؤها ملوحة متقبلة يستقى منها الناس والحيوان من شروق الشمس الى غروبها وعمقها حوالى ٤٠ مترا وينزح الماء منها ومن مثيلاتها البعيدة الغور بواسطة الجمال أو الحمير أو الخيول كما وصفنا ورسمنا لك فى آبار المدينة فراجعها ان شئت ، ويجاور البئر بستان ملئ بالتين البرشومى . والزاوية على مسير ساعة ونصف من البحر وعلى مسافات منها عدّة آبار أخرى وقد بالغ فى إكرامنا والحفاوة بنا شيخ الزاوية سيدى برانى وأخبر الزوايا الأخرى لتحتفى بنا وقد مكثنا بالزاوية يوم الجمعة ٢٣ يونية ولم نمر الا بخمس زوايا أخرى وعرجنا عن طريق باقى الزوايا إذ كان شيوخها يأبون إلا إكرامنا وحب الإقامة عندهم فغيرنا الطريق اقتصادا فى الوقت .

من سيدى برانى الى السلوم — وفى يوم السبت ٢٤ يونيه برحنا الزاوية سالكين نحو السلوم آخر حدود مصر من جهة الغرب وقد وصلنا بعد ٥ س و ١٥ ق بئرى الحور ، وانهما لعميقتان ماؤهما نظيف عذب يشبه ماء النيل فتزودنا منه ثم سرنا ووجدنا بئرا ثالثة بعد ساعة يقال لها بئر الزيطانية وهى شبيهة بالبئرين السالفتين ويجاورها مغارة حجرية يهبط اليها بسلم حجرى ينتهى الى ردهة فسيحة وحجرتين

ورأينا فيهــا يهوديا من بلدة « درنة » يتجر مع شريك عربى فى الأردية الصوفيــة والأنسجة القطنية والطرابيش والمناديل والدخان وغيرها ممــا يلزم العربان ، والثمن من الشعير ، وقد كان سيرنا فى هــذا اليوم الى ما بعد الساعة السابعــة بربع حيث وضعنا الرحال ونمنا بالخلاء .

وفى يوم ٢٥ يونيه سرنا لتمام الساعة الخامسة صباحا من مبيتنا ووصلنا السلوم عند الزوال والطريق بين سيدى برانى والسلوم كان عامرا بالأهالى والمزارع أكثر من كل جهة مررنا بها اللهم الا زاوية سيدى برانى فإنها أكثر عمارا من كل جهة ، والثعابين بالطريق كثيرة صغيرة وكبيرة وما كانت تمر بنا بضع دقائق حتى نراها وقد قتلنا أربعة منهــا .

فى السلوم — والسلوم مرسى للمراكب مستدير الشكل محاط بجبــل مرتفع نحو ٥٠ مترا يرى على مسير ٨ س وبه فلك كبيرة وأخرى صغيرة للأروام تستخرج الاسفنج مــن البحر ، وبالسلوم متجر كالذى وصفناه لك ببئر الزيطانية غير أنه يزيد عنــه المأكولات من أرز و زيت وغيرهما ، وقد وجدنا هنــالك مركبا من المراكب التابعــة لخفر السواحل به الملازم إسماعيل أفنــدى حسن فقابلنا أحسن مقابلة وقدم لنا الغــذاء وأخبرنا بانه فى مطروح نقود ومأكولات أرسلها لنا الجناب العالى فدعونا له

من السلوم الى زاوية سيدى برانى فزاوية الطرفاية — قمنا من السلوم فى اليوم الذى وصلنا فيه فى الساعة الثالثة بعد الظهر وبتنا فى الطريق ووصلنا سيدى برانى فى يوم ٢٦ ثم واصلنا السير الى زاوية الطرفاية فى أرض سهلة زراعية يكثر بها الناس والمزروعات ، وفى الطرفاية ثلاث آبار فى مياهها يسير الملوحة ويجاورها متجر كالذين وصفنا ، وشرقى هذه الآبار بنحو ٥ أميال متجر آخر بمكان يقال له « المقتلة » وهنالك مرسى الطرفاية

من الطرفاية الى زاوية النجيلة — الطريق بينهما كسابقه وعلى نحو ستة أميال منه زاوية الشميسى وهى زاوية خيرية أكرمنا شيخها

من النجيلة الى بئر العابدية — الطريق بينهما حجرى كثير الخيران والعقبات ولهذا يصعب المرور منه وبئر العابدية مالحة قليلا فى أرض منخفضة تحيط بها الجبال وفيها مراع كثيرة يرعى فيها الحيوان بغير راع ويسكن الأهالى بعيدا عن البئر.

من بئر العابدية الى زاوية أم الرخم — بالطريق جملة آبار يصلح ماؤها للشرب وفى جنوبى الآبار على مبعدة منها مزارع فى أرض فسيحة وقبل الزاوية بميل ونصف عقبة حجرية، منحدرها صعب ينزل منه الركب فرادى راجلين .

من أم الرخم الى مرسى مطروح — الطريق أشبه بسابقه به كثير من النخيل والأشجار المثمرة وعلى مسيرة ثلاثة أرباع الساعة من أم الرخم يوجد فى البحر صخرتان منفصلتان تمثلان جزيرتين تبعدان عن الشاطئ نحو الميلين، والطريق مملوء بالعربان والمزارع ومطروح رأس داخلة فى البحر يسكنها شرذمة من الجنود تبعد الآبار عن مسكنهم بنحو ميل .

من مطروح الى زاوية سيدى هرون — الطريق سهل زراعى به مراع كثيرة وجملة خيران حجرية وعند الزاوية بئر عذبة الماء وفى مقابلها مرسى (بقوش) وقد أكرمنا شيخ الزاوية .

من زاوية هرون الى زاوية سيدى موسى ثم زاوية العوامة — الطريق يسير فى أرض سهلة على مقربة من الشاطئ وبالزاوية آبار صالحة للشرب من مائها، وهنالك السكان والمزارع الكثيرة .

من العوامة الى آبار الخور ثم بئر أكفيل — الطريق تمر بعيدة عن الشاطئ فى أرض زراعية ذات ارتفاعات وانخفاضات كثيرة . وآبار الخور أربع مبنية بالحجر عذبة الماء يشرب منها آلاف الناس والحيوان ، وقد أخذ العرب بكرها بقصد منعنا من الماء فلما علمت ذلك أمرت « اليوزباشى » أدهم أفندى باحضار الجند بأسلحتهم وقبضهم على آخذى البكر فلما رأوا ذلك أوجسوا خيفة وطلبوا العفو بعد أن أخذنا منهم عشر قرب مملوءة صببناها فى المسقى وأحضرنا الجمال ليشربوا منه ثم

بعد أن كنا نمتاح المـاء بالدلاء امتاحوه لنا وخضعوا مرغمين فقلت فى نفسى « من لم تصلحه الكرامة يصلحه الهوان » وقد كان العربان فى الطريق ينكرون وجود المـاء بالآبار لظنهـم أننا ندين بغير ما يدينون وكانوا يقولون (النصارى داسوا البئر يا خسارتك يا علوانى بك لو كنت موجود ما رأينا النصارى) .

من بئر أكفيل الى الشمامة ثم فنار العِمَيِّد — الطريق من أكفيل للشمامة يمتد فى أرض سهلة صالحة الزراعة ولكن لازرع بها ولا أهل، ومن الشمامة للعميد الأرض ملحة تنكر النبات اللهم الا ماابتعد منها عن الشاطئ، ولاتجد بالطريق آبارا بعـد آبار الحور ما عدا آبارا ملحة عند العِمَيِّد وعلى مقربة منـه تشرب منهـا الحيوانات ولدى العميد بئر واحدة عذبة يشرب منها المستخدمون وأتباعهم .

من فنار العميد الى الحمَّـام فمريوط — المسافة كما اسلفنا فى بدء السفر فلا داعى للاعادة ولا يفوتنا أن نصف لك الزوايا التى تكرر ذكرها على مسمعك .

هذه الزوايا تؤدى بها الصلوات الخمس جماعة بعد الأذان لهـا والاقامة ويقرأ فى الصباح نصف جزء من القرآن وبعـد الغروب يقرأ مثله وفى كل زاوية مكتب لتعليم القرآن وفى الزاويا بساتين تحوى النخيل والعنب والتين، وأحسنها زاوية النجيلة ولكل زاوية شيخ يكرم من مر بها من غنى أو فقير ومصدر المال الذى عند الشيوخ من زكاة الابل والغنم والحبوب الخ الذى يقدمونه العربان للزوايا اختياريا لأنه حق شرعى .

وقد ختمت تقريرى بابداء ثنائى للجناب العالى على «اليوز باشى» ابراهيم افندى ادهم وصف الضباط والعسكر الذين كانوا معـه ، وقد رجعنا والحمـد لله الى مصر لم يصب أحد منا بسوء بل كانا فرح مسرور من توفيق الله له فيما كلف به .

وهاك جدولا بأماكن الطريق ومسافاته وآباره ومياهه وخريطة بخط السير من مريوط الى سيوة ومنها الى زاوية سـيدى برانى ثم السلوم ومنها الى مريوط وذلك فى سنة ١٨٩٩ ثم جدولا آخر برحلة سنة ١٩٠٠ أشرنا اليه فى صحيفة ٣٦٩ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

جدول مستخرج من تقرير اللواء إبراهيم رفعت باشا سنة ١٨٩٩ م

من	الى	تاريخ السير	مدة السير دقيقه	مدة السير ساعة	نوع المياه	عمق الآبار متر
خط السير من مريوط الى سيوه						
مريوط	بهيج	٢٨ مايو سنة ١٨٩٩	٥٠	٤	معين وسط	٦
بهيج	الحمام	٢٨ « «	٢٠	٤	»	١٣
الحمام	العميد	٢٩ « «	٣٥	٤	»	٣٠ر٥
العميد	الشمامة	٢٩ « «	—	٣	»	—
الشمامة	سيدى عبد الرحمن	٣٠ « «	—	٨	معين مالح	٥
سيدى عبد الرحمن	بئر النعجه	٣٠ « «	٤٠	٣	مطر	٩
بئر النعجه	الشفيرة	٣١ « «	٣٠	٩	عذب جدا	٤٢
الشفيرة	فوكه	أول يونيه «	—	٦	مالح عفن	١٧
فوكه	الشريزى	٢ « «	٤٠	٦	—	—
الشريزى	العجيزى	٢ « «	٤٠	٣	—	—
العجيزى	الشولحى	٣ « «	٤٥	٨	مطر	٣
بئر الشولحى	بحرى عدوان	٤ « «	٥٠	٦	—	—
بحرى عدوان	بئر الكليبات	٥ « «	١٥	٨	مطر	٥
٦ و ٧ منه راحة وانتظار لتأجير جمال للركب وخبير بالطرق						
بئر الكليبات	بئر القطرانى	٨ يونيه سنة ١٨٩٩	١٠	٨	مطر	٥
بئر القطرانى	سيوة	٩ « «	—	١٢	—	—
		١٠ « «	—	١٥	—	—
		١١ « «	٣٠	١٢	—	—
		١٢ « «	٤٥	٦	معين عذب	١
من ١٣ يونيه الى ١٦ منه إقامة بسيوة للاستراحة ومشاهدة البلدة						
خط السير من سيوة الى السلوم						
سيوة	بئر القطرانى	١٧ يونيه سنة ١٨٩٩	٥٠	١٠	—	—
		١٨ « «	٤٥	١١	—	—
		١٩ « «	١٥	١٢	—	—
		٢٠ « «	٤٥	٧	مطر	٥
بئر القطرانى	الكليبات	٢١ « «	١٥	٧	»	٥
الكليبات	مبيت بالصحراء	٢١ « «	—	٣	—	—
محل المبيت	سيدى برانى	٢٢ « «	—	١٠	معين عادى	٤٠

٢٣ منه استراحة بزاوية سيدى برانى

(تابع) جدول مستخرج من تقرير اللواء ابراهيم رفعت باشا سنة ١٨٩٩ م

من	الى	تاريخ السير	مدة السير دقيقة	مدة السير ساعة	نوع المياه	عمق الآبار متر
(تابع) خط السير من سيوه الى السلوم						
سيدى برانى	آبار الخور	٢٤ يونيه سنة ١٨٩٩	١٥	٥	عذب جدا	٣٠
آبار الخور	بئر الزيطانيه	٢٤ « «	—	١	« «	٣٠
بئر الزيطانيه	مبيت بالصحراء	٢٤ « «	٣٠	٤	—	—
محل المبيت	السلوم	٢٥ « «	—	٧	مالح	١
خط السير من السلوم الى مريوط						
السلوم	مبيت بالصحراء	٢٥ يونيه سنة ١٨٩٩	٤٥	٤	—	—
محل المبيت	سيدى برانى	٢٦ « «	٤٥	٩	معين وسط	٤٠
سيدى برانى	الطرفاية	٢٧ « «	—	٤	«	٣
الطرفاية	المقتلة	٢٧ « «	٤٠	١	«	٣
المقتلة	مبيت بالصحراء	٢٧ « «	—	٣	«	—
محل المبيت	النجيلة	٢٨ « «	٣٠	٦	«	٣٠
النجيلة	بئر العابدية	٢٩ « «	٣٥	٦	«	٤
بئر العابدية	أم الرخم	٣٠ « «	—	٤	«	٤
أم الرخم	مطروح	٣٠ « «	٤٠	٤	مالح مقبول	٤
أول يوليو استراحة بمطروح						
مطروح	مبيت بالطريق	٢ يوليه سنة ١٨٩٩	—	٤	—	—
محل المبيت	سيدى هرون	٣ « «	—	٧	عذب	٢١
سيدى هرون	زاوية العوامة	٤ « «	٢٠	٩	معين مقبول	٣
زاوية العوامة	آبار الحدود	٥ « «	—	٨	عذب	٣٩
آبار الحدود	اكفيل	٥ « «	٣٠	٢	—	—
اكفيل	الشمامة	٦ « «	—	٦	—	—
الشمامة	العميد	٦ « «	٤٥	٣	مالح جدا	١ — ٢١
العميد	الحمام	٧ « «	—	٥	معين مقبول	٥ و ٣٠
الحمام	بهيج	٧ « «	٤٥	٥	«	١٣
بهيج	مريوط	٨ « «	٣٠	٥	«	٦

من	الى	مدة السير دقيقة	مدة السير ساعة	تاريخ السير	معلومات عامة
				١٩٠٠	
٣جى مريوط	الحمام	٤٥	٦	١١ فبراير	—
الحمام	العميد	—	٤	١٢ »	—
العميد	سيدى عبدالرحمن	—	١١	١٣ »	
سيدى عبد الرحمن	زاوية عبد المنعم	٤	٧	١٤ »	هذه الزاوية مجاورة لمرسى جميمه (وبعدها بنصف ساعة زاوية سيدى هاشم) .
زاوية عبد المنعم	زاوية عبد الرحيم	—	٨	١٥ »	زاوية عبد الرحيم بجوار مرسى القط .
زاوية عبدالرحيم	زاوية هرون	—	١٠	١٦ »	« هرون « « بقوش .
زاوية هرون	مطروح	—	١٠	١٧ »	يوم ١٨ فبراير كان استراحة بمطروح .
مطروح	بئر الاسطاسى	٣٠	٥	١٩ »	بئر الاسطاسى محل المرحوم خالد بك .
بئر الأسطاسى	زاوية المتنان	١٠	١٤	٢٠ »	(آبار المتنان على مسافة ساعتين من بئر الأسطاسى بسير "الاشكين" وبعد ٤٥ دقيقة توجد آبار الثعالب وعددها ٣ وهى من ماء الأمطار) .
زاوية المتنان	سيدى برانى	—	٨	٢١ »	—
سيدى برانى	بئر بقبق	—	٩	٢٢ »	قطع هذه المسافة الجناب العالى فى ٥ س، ٣٠ ق والماء فى هذه المرحلة ملح .
بئر بقبق	السلوم	٣٠	٧	٢٣ »	—
		٥٩	١٠١		جملة الزمن بسير القافلة المعتاد .

العودة من السلوم

من	الى	مدة السير دقيقة	مدة السير ساعة	تاريخ السير	معلومات عامة
السلوم	الزاوية والهيف	—	١٠	٢٤ فبراير	المياه ملحة .
الزاوية والهيف	زاوية المقتله	٣٠	١٢	٢٥ »	فى هذه المسافة مررنا على زاوية الطرفاية .
		٣٠	٢٢		نقل بعده

من	الى	مدة السير دقيقة	مدة السير ساعة	تاريخ السير	معلومات عامة
				١٩٠٠	
		٣٠	٢٢		ماقبله
زاوية المقتله	أم عامود	١٠	١٠	٢٦ فبراير	الجناب العالى وصل الى زاوية الشميسى بعد ٣ ساعات وثلث ووصل زاوية النجيلة بعد سير ٤ ساعات بسير "الأشكين" وترك زاوية النجيلة بمسافة ساعتين وبات فى أم عامود .
أم عامود	سيدى العوام	١٠	١١	٢٧ «	بعد سير ساعتين ونصف وصلنا بئر العابدية وبعدها بساعتين ونصف زاوية أم الرخم وبعد نصف ساعة مطروح وبعد ساعتين ودقيقتين زاوية العوام. وهذا باعتبار سير الجناب العالى المعروف .
—	—	—	—	٢٨ «	استراحه بمطروح .
مطروح	سيدى هارون	—	١٠	أوّل مارس	الجناب العالى وصل الى زاوية سيدى على أبو موزّد. فى مسافة ٥ ساعات وثلث بسير "الأشكين" الطويل ومن ذلك ربع ساعة "غار" فى المسافة. كلها وبعد ساعة و ٣٣ دقيقة سيدى هارون .
سيدى هارون	زاوية عبد الرحيم	١٥	٩	٢ «	الجناب العالى اجتاز هذه المسافة فى ٦ ساعات وثلث.
زاوية عبد الرحيم	زاوية عبد المنعم	٣٠	٦	٣ «	وبها مرسى جميمه ولا يوجد مياه الا للشرب من الزاوية وآبار الحدود تبعد بنحو ساعة .
جميمه	زاوية عبد الرحمن	٤٥	٦	٤ «	—
زاوية عبد الرحمن	العميد	٥٠	١٠	٥ «	—
العميد	الحمام	١٠	٤	٦ «	—
الحمام	مريوط	٤٥	٦	٧ «	—
		٥	١٠٠		الجملة

ملاحظة — كان الجناب العالى فى هذه الرحلة يسير ٩ دقائق بسير الغار الذى يعادل ٨ أميال فى الساعة. و ٦ دقائق بسير الأشكين الذى يعادل ٤ أميال فى الساعة فى غالب المسافات .

كلمة شكر

الآن وقد تم طبع هذا الكتاب بمطبعة دار الكتب المصرية فى عهد حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر، لا يسعنى إلا أن أبدى جزيل الشكر لحضرات مصححى القسم الأدبى بدار الكتب المصرية على معونتهم الصادقة لى فى تصحيح الكتاب وأخص بالذكر رئيسهم حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأديب الشيخ أحمد زكى العدوى .

وكذلك أقدّم جزيل الشكر أيضا لحضرة الفاضل محمد افندى نديم ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية لما بذله من عناية موفقة فى كل مايقتضيه جمال فنّ الطباعة، فقد كان لذوقه الجميل، أثر فى اتقان طبع الكتاب جميل . ولن أنسى ما لقيته منه من حسن معاملة وكرم أخلاق ، فجزا الله هؤلاء جميعا عن العلم والأدب والفن أحسن الجزاء ؟

٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٥

(اللــواء)

ابراهيم رفعت باشا

الفهرس الهجائى للجزء الثانى

(مطبعة دار الكتب المصرية ۱۹۲۵/۲۰۱/۳۰۰۰)

بيـــان الخطأ والصـــواب بالجـــزء الثـــانى

صحيفة	سـطر	خطـــأ	صـــواب
٩	١٢	مخيفـا	مخـــوفا
١٠	٢٠	كثـــيرا	كثـــير
١٨	٣	الحمـــرة	الحمـــراء
١٩	٤	الحمـــرة	الحمـــراء
١٩	١٣	الصـــفرة	الصـــفراء
٢٠	العنوان	تحرش الأعراب بركب المحمل	من الحمراء الى بئر عباس — نشيد الأعراب
٢٠	٨	الحمـــرة	الحمـــراء
٢١	العنوان	من الحمراء الى بئر عباس	تحرش العربان بركب المحمل
٢٢	«	من بئر عباس الى بئر درويش	بئر الترعة — بئر عباس
٢٣	«	بئرا عار ودرويش — مكافآت الاعراب	بئرا عار ودرويش
٢٤	«	وادى العقيق — آبار على — بئر عروة	مكافآت الاعراب
٢٥	«	دخول المدينة المنورة فى ٩ محرم سنة ١٣٢١ﻫ	بئر الشريوفى — بئر الماشى — آبار على — وادى العقيق — بئر عروة — دخول المدينة المنورة فى ٩ محرم سنة ١٣٢١ﻫ
٢٦	«	تغيير طريق ينبع بطريق الطريف	عربان الأحامدة — تغيـير طريق ينبع بطريق الطريف
٢٧	١٤	مخيف	مخـــوفا
٣٠	العنوان	تفتيش الحجاج فى الطور	من رافقنا فى السفر من المدينة الى ينبع
٣١	«	نقد النظام فى الطور	السفر من المدينة الى ينبع — تفتيش الحجاج فى الطور — نقد النظام فى الطور
٣٣	١٤	(الرسم ٢٠٩)	(الرسم ٢٠٧)
٤٢	٢٠	فدان	فـــزاد
١٠٦	٦	اداتهـــم	اداتهـــم
١٠٦	٧	لى	الى
١٩٢	٧	اصـــفطانا	اصـــطفانا
٢٠٩	١	الوهابيين	الوهابيون

تنبيـــه — الترجمـــة التى طبعت على ظهر الرسم نمـــرة ٣٥٨ طبع بعضها خطأ على ظهر الرسم نمرة ٣٦٠ فاقتضى التنبيه ·